المشرق

مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة العاشرة

١٩٠٧

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و ١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٧

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université S^t Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois

en un fascicule de 48 pages grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

DIXIÈME ANNÉE

1907

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1907

المشرق

حوادث السنة الغابرة

نظرة للاب لويس معلوف اليسوعي

هو العمر تتوالى سنوهُ بما فيها من الحوادث المتنوعة تتباين في نعيمها وبؤسها وتختلف في كل احوالها واطوارها ولا تكاد تتماثل الّا في كونها مظاهر الجود الالهي عند من فقه نظام هذا الكون وتدابير الحكمة الصمدانيَّة في شؤون العباد فنسرد ما همَّ منها شاكرين الرحمة الالهيَّة وطالبين من فيض نعمها ان تبعد الشرور وتزيد الخيرات وتوطد الامن والراحة في كل انحاء المعمور

الدولة العليَّة

انصرفت عناية المتبوع الاعظم بنوع اخص في هذه السنة الماضية الى ما يزيد البلاد ثروة والرعيَّة راحةً والاشغال التجاريَّة رواجاً. ومن تأمل في حالة المالك المحروسة ونظر الى الاعمال الجارية في انحائها والمشروعات المختلفة التي تبحث الشركات فيها وتحاول اخراجها من حيز الدرس الى حيز العمل بتوفيق الباري ومدد ولي النعم تأكد ان البلاد السلطانيَّة قد دخلت في طور جديد وها ان عيون الآمال قد تفتحت على ارجائها ويد الجدّ والاستثمار قد جالت في اراضيها دانيها وقاصيها. تلك الاراضي التي كانت في غابر الزمان يُضرب بخصبها المثل قد صارت امانينا وطيدة في ان تعود عن قريب تدرّ على العباد غزير الدر ووافر الخير وكل ذلك من اثار وتوفيقات الذات الشاهانيَّة تخلد لها على صفحات التاريخ وفي قلوب الرعيَّة ذكرًا جميلًا لا يمحى

وقد أُجريت الاعمال بجد ونشاط على الخطوط الحديديَّة المختلفة فاتصل خط الحجاز الى ما وراء الستمائة والخمسين كيلومترًا وقد اشترت الحكومة السنيَّة خط حيفا وصيَّرتهُ

فرعاً لخط الحجاز وهكذا زادت اهميّة هذا الخط لاتصالهِ بالبحر المتوسط · امّا خط بغداد فقد أُكمل فيهِ نحو من مائتين وخمسين كيلومترًا ولا تزال الهمم منصرفة الى تذليل ما في جبل طورس من المصاعب والعقبات

وقد وصلت السكة الحديدية بين بيروت والشام وحلب فاصبحت العلائق بين اهم مدن سوريّة سهلة جدًا فنجم عن ذلك رواج لم يعهد سابقًا في عالم التجارة والصنائع وسائر المعاملات وزادت حركة المرافئ والاسواق وارتفعت اسعار الاراضي وزادت عناية القوم في تحسين الزراعة وايجاد احسن الطرق لاستثمار الاملاك واتجهت الافكار الى المعادن والمناجم لاستنباط كنوزها والكشف عن دفائنها

وقد تواترت الاوامر من دوائر الحكومة السنيّة الى الولايات بالسهر على حفظ الاحراج والسعي في توسيع نطاقها ومن هذه العناية السلطانيّة يرجى ايضاً تحسن عظيم في اراضي الممالك المحروسة

الكرسي الرسولي

في بدء السنة الغابرة نشرت حكومة الفاتيكان كتاباً ابيض ضمّنتهُ المراسلات الرسميّة التي تبودلت بين الكرسي الرسولي وحكومة فرنسة قبل قطع العلاقات بين الدولتين · ومن هذه المراسلات والمخابرات يظهر جليًا ان المسئوليَّة في هذا الحادث الهامّ والضارّ انما هي على الوزارة الكومبية التي أبدت نحو الحبر الاعظم وممثليهِ وفي المسائل الدينيَّة من التطرُّف والتهور وامتهان الحقوق ما لا يدع سبيلًا للريب عند من اراد معرفة الحقائق في ان بيوس العاشر قد سعى كل السعي وحاول ما استطاع لابقاء العلاقات الحسنة بين الكرسي الرسولي وفرنسة

ثم ان الحبر الاعظم قد ارسل بعدئذٍ رسالة الى اساقفة فرنسة اعرب فيها عن ان حقوق الله وحقوق الكنيسة وحقوق الطبيعة الانسانيَّة تقضي بعدم الرضوخ لقانون فصل الكنيسة الذي كان ألَّفهُ المسيو بريان وسعى في حمل مجلس النواب على قبولهِ والمصادقة عليهِ · فقوبلت تعاليم واوامر بيوس العاشر بكل الاحترام والطاعة والسرور واتحدت قلوب الشعب مع قلوب الاساقفة في عاطفةِ الانقياد التام لما قررهُ نائب المسيح في حبهِ وحكمتهِ ورضوا ان يفدوا بالنفس والنفيس شرف ايمانهم وحقوق كنيسة الله

وقد استصوب حكمَ البابا وامتدحهُ العدد العديد من الحكماء ومشاهير الكتبة ممَّن لَم تُغوهم الاهواء الكفريَّة وكذلك تواردت من جميع انحاء المعمور مراسلات الثناء على كاثوليك فرنسة وما اظهروهُ من علوّ الهمة وصدق التفاني في الدفاع عن ايمانهم

ومن منتصف شهر كانون الاول اخذت الحكومة الافرنسيَّة تنفذ هـذا القانون العدائي الاضطهادي فقفلت الكنائس وطردت الاساقفـة من كراسيها واعملت برهط الكاثوليك اشد الضغط

فما كانت هذه الحوادث المحزنة الّا لتسحق قلب ابينا الحبر الاعظم وتجري دموعهُ وقد عبَّر عن اسفه وحزنه لما حصل في فرنسة بخطاب القاهُ في مجمع الكرادلة الاخير

على ان قداستهُ اذا نظر الى سائر الممالك واجال فكرهُ في احوال العالم الكاثوليكي رأى دواعي تعزية عظيمة فان الكنيسة لله الحمد تتمتَّع بالراحة والامن في اهم الممالك والاقطـار

اما اوربَّة ففي انكلترة لا شيء يعيق انتشار الدين الكاثوليكي. والرهبان الذين تركوا فرنسة يجدون فيها كل حفاوة وكل تسهيل لاتمام اعمالهم الخيرية الصالحة. وفي المانية يُظهر الامبراطور شديـد الاكرام للحبر الاعظم وعواطف المسرّة والرضى لكاثوليك مملكته المقتدرة. وان الانسرار عظيم في الدوائر الڤاتيكانيَّة من حالـة الكثلكة في المانية وللكردينال كوپ المشهور بدرايتهِ في تفكيك المشاكل بعض الفضل في وجود هذه العلاقات الحسنة. وفي ايطالية يغتنم رجال الدولة الفرص لاظهار احترامهم لنائب المسيح وقد جاهر البعض من كبراء ساستهم انهم لا يرون من الحكمة الاقتـداء بسواهم في مسّ العواطف الدينيَّة والضغط على الضمائر. وقد حاز الكاثوليك في هذه الدولة فوزًا عظيمًا في مواقف انتخابية عديدة لاسيما في الانتخابات البلديَّة. وفي روسيَّة قد اخذ الشعب في الظروف الحاضرة يميل الى الكنيسة الكاثوليكيَّة والذين دخلوا في حضنها هذه السنـة يُعدُّون بالالوف. كذا قل عن بلاد النروج التي تزدهر الكثلكة فيها الآن ازدهارًا يُذكر وقبلًا ما كنت تجد فيها الّا افرادًا من الكاثوليك وقد اراد ملكها الجديد هاكون ان يؤدي للكرسيّ الرسوليّ فائق احترامهِ في اوَّل تبوُّئهِ على عرش وطنهِ واعلن بانتخابهِ للحبر الاعظم كما اعلنهُ لسائر الدول رسميًّا. ومثلهُ

ملك اليونان الذي اظهر في زيارتهِ الاخيرة للفاتيكان ما في قلبهِ من تجلَّة الكرسي الرسولي وعدم تعرُّضه بشيء لتعزيز الدين الكاثوليكي في بلادهِ

امَّا خارجًا عن اوربَّة فان الحبر الاعظم يرى الكنيسة الكاثوليكيَّة تمتدّ بسلام وتزداد مساعيها الخيريَّة نجاحًا وانتشارًا . وممَّا يحق ذكرهُ ان حكومتي كولومبية والبيرو قد اتفقتا على تحكيم الكرسي الرسولي في جميع المنازعات التي تقع بينهما وان البرازيل قد حصل فيهِ من لدى الحكومة حفاوة عظيمة بالكردينال البرازيلي الاول الذي حصل لهُ لمَّا عاد من رومية استقبال باهر لم يجرِ لهُ مثيلٌ في ماضي تلك الاقطار وكان ارباب الامر قبل ذلك ابطلوا سنَّة مشئومة قضت بنزع الصليب من المحاكم فأُعيدت الصلبان المقدَّسة الى مقامها بحفلات عظيمة حضرها الالوف المؤلفة

وقد اراد الكرسي الرسوليّ اغتنام ما يبديهِ اليابان من الرفق لإيلاء البشارة بالايمان في تلك البلاد نهضةً جديدة وقد حظي المطران اوكونل المبعوث البابوي بمقابلة حسنة من قبل الميكادو ورجال سياستهِ

هذا وان ما يزيد في تعزية قلب الحبر الاعظم ما قد تألَّف في هذه السنة من المؤتمرات الكاثوليكيَّة في انحاء مختلفة في فرنسة والمانية وسواهما التي جاهر فيها عظماء الرجال على اختلاف مشاربهم بحسن تعلقهم بخلف المسيح وبشديد عزيمتهم على الاستنارة بتعاليم الكنيسة المقدَّسة في حوادث هذا الدهر وتقلباته (لهُ بقيَّة)

عيد الدّنح

نظر لحضرة القس بطرس نصري الكلداني

نحن معشر النصارى نعتقد ان يسوع المسيح هو كلمة الله الذي بهِ أبدع كلَّ شيء من العدم الى الوجود . وهو الذي لاجل خلاصنا تجسَّد بقوَّة الروح القدس في احشاء مريم العذراء . فظهر الى العالم مثلنا في طبيعتين الهيَّة وبشريَّة قائمتين في اقنوم واحد وهو كلمة الله . وبعد ولادتهِ في مغارة بيت لحم كما تنبَّأ عنها الانبياء ظهر الى العالم بوسائط مختلفة وخاصَّةً على يد المجوس الذين وافوا من المشرق ليسجدوا لهُ . وقد وصلوا الى بيت

لحم واكملوا شعائر عبادتهم في اليوم الثالث عشر من ولادته ۰ وهو اليوم الذي نعيّد فيهِ عيد الدنح من الكلمة الكلدانية (ܕܢܚܐ) اعني الظهور والكشف والاعلان ۰ ويقابلها في اللغة اليونانيَّة كلمة Ἐπιφάνια التي جرى استعمالها لدى كل الطوائف الغربيَّة

وقبل الشروع في الكلام عن هذا البحث علينا ان نعتبر ان الشرقيين قاطبةً يعيّدون في مثل هذا اليوم عيد عماد يسوع المسيح على يد يوحنا المعمدان ۰ وذلك لان المسيح ظهر عَلَنًا يوم عمادهِ للعالم كما قال يوحنَّا المشار اليهِ عن المسيح (يو ١ : ٣١) : «لكي يُعلَن في اسرائيل لذلك أتيتُ لاعمّد بالماء» ۰ وكلا الامرين راجع الى غاية واحدة ۰ لان الشرقيّين انما يعيّدون في عمادهِ ظهورَهُ العَلَني والغربيين ظهورهُ الخفي بعد ميلادهِ (١ ۰ وسبب ذلك انَّ لاهوت المسيح كما نرى لم يُعلن للجميع في اثناء ولادتهِ بل كان يجب ان يختفي تحت حجاب طفوليَّته ۰ ولكن لمَّا بلغ الى العمر الكامل الذي فيهِ كان يجب ان يعلّم وينذر الناس ويجترح المعجزات قد اعلن يوم عمادهِ شهادة الآب الذي سُمع صوتهُ قائلًا (متى ٣ : ١٧) : «هذا هو ابني الحبيب الذي بـهِ سُررتُ لهُ اسمعوا» ۰ وبذلك اضحى تعليمهُ اكثر تصديقًا ۰ وعليهِ قال المسيح (يو ٥ : ٣٧) : «الآب الذي ارسلني هو يُعطي شهادةً عني» ۰ وبعد هذا التمهيد الوجيز علينا ان نرى خصائص هذا العيد او ظهور المخلّص الفادي للعالم وظروفه باعتبارهِ الخفيّ والعلني

١

فنقول ان المسيح في ولادتهِ لم يظهر نفسهُ بذاتهِ علنًا للجميع بل ظهر في كلّ شيء ۰ شبيهًا بسائر الاطفال الذين لا يُظهرون انفسهم في اثناء ولادتهم ۰ على ان ولادة المسيح انما كانت مرتبةً لخلاص البشر الذي يُنال بالايمان ۰ ومعلوم ان الايمان الخلاصي يعترف بلاهوت وناسوت المسيح معًا ۰ فوجب ان يُعلن ميلاد المسيح بحيث ان بيان لاهوتهِ لا يُجحف ويضرّ بالايمان بناسوتهِ ۰ ولذلك لم يصطنع المسيح اعجوبةً ما مع قدرتهِ على الامر قبل ان يبلغ العمر الكامل لئلّا يظنّ الناس ان تجسدهُ كان خياليًا ۰ واوّل اعجوبةٍ اجترحها هي تحويل الماء الى خمر كما يُقرأ (يو ٢ : ١١) : «هذه الآية الاولى

١) وفي اليوم عينهِ تذكر الكنيسة ظهور ابن الله لتلاميذهِ لمَّا اصطنع آيتهُ الاولى في عرس قانا الجليل وحوّل الماء خمرًا فآمن بهِ تلاميذهُ (يوحنَّا ٢ : ١-١١)

صنعها يسوع » . وقد تمَّ ذلك بحكمةٍ الهيَّة اذ بيَّن المسيح ذاتهُ شبيهاً في كلّ شيء بالطبع البشري. ولذلك لم يُعلن المسيح ميلادهُ بذاته وانما قد اظهر قوَّة لاهوتهِ بخلانقهِ كما سترى

الَّا ان ولادة المسيح لم تظهر للجميع كما تنبَّأ اشعيا (٤٥ : ١٣) قائلًا : « انك حقيقةً اله مختفٍ » . وقد برهن ذلك مار توما بقولهِ (٤ : ٣٦ : ١) « ان اظهار ولادتهِ للجميع كان يمنع ثمرة الفداء البشري الذي تمَّ بالصليب كما قيل (١ قو ٢ : ٨) : « لو عرفوا لما صلبوا ملك المجد » . ثم لأن ذلك لمّا ينقص استحقاق الايمان الذي اتى ليبرّر بهِ الناس كما قيل (رو ٣ : ٢٢) : « برّ الله بالايمان في يسوع المسيح » . لانهُ لو أُعلن ميلاد المسيح للجميع في اثناء ظهورهِ على الارض بادلَّة واضحة لرفع اعتبار الايمان الذي « هو برهان غير الظاهرات » كما قيل (عبر ١١ : ١) . واخيرًا لانهُ بذلك يوقع الشك في حقيقة ناسوتهِ . لانهُ لو لم يجرِ مجرى غيره من البشر منذ طفوليَّتهِ الى شبوبيَّتهِ ولم يأخذ قوتًا لم يذقْ نومًا ألَا كان يؤيد بذلك الضلال فيُظنّ انهُ لم يتَّحد قط بالجسد . ولو صنع كلّ شيء بنوع عجيب لانتقض ما صنعهُ برحمتهِ كما قال مار اوغسطينوس

ومع ذلك يجب القول ان ميلاد المسيح قد كُشف لبعض الناس . والَّا لكان عبثًا قد وُلد المسيح إذ لو بقيت ولادتهُ خفيَّة لما استفاد الناس منهـا شيئًا . على ان الاشياء الصادرة من الله هي كلها مرتَّبة . ومعلوم ان من شأن ترتيب الحكمة الالهيَّة ان لاتوزّع مواهب الله واسرار حكمتهِ على الجميع على السويَّة بل على بعض بادئ بدء . ثم تتصل بهم الى غيرهم . وهكذا قد تمَّ في سر القيامة كما يُقرأ في اعمـال الرسل (١٠ : ٤١) : « اقامهُ الله واعطاهُ ان يظهر علانيةً لا للشعب كلهِ بل لشهودٍ اصطفاهم من قبل » . وقد حُفظت هذه القاعدة ايضًا في سر الولادة اي ان لا يُعلَن المسيح للجميع بل للبعض وبواسطة هؤلاء قد اتَّصلت معرفتهُ للغير . وان قيل انَّ اظهار ولادة المسيح ولو للبعض انشأ اضطرابًا في اورشليم واضرارًا للغير اذ قتل هيرودس في هذه الفرصة اطفال بيت لحم فهـذا لا يخالف تصرُّف حكمة الله . لان الاضطراب الناتج من اعلان ولادة المسيح كان لهُ أحسنُ وقع في اثناء مولدهِ لاسبابٍ . منهـا ان تُعلن وظيفة المسيح السماويَّة ومقامهُ العالي اذ اخزى مفاخر كلّ علوّ ارضي باضطراب مالك الارض في اثناء ولادة ملك السماء . ثم لكي يُشار بذلك الى سلطة

المسيح ديَّان العالم. قال مار اوغسطينوس: «كيف يا تُرى يكون منبر الديَّان مع انَّ مهده وهو طفلٌ قد ارعب الجبابرة المتكبّرين». واخيرًا لانهُ يُشار بذلك الى سقوط مملكة الشيطان ولذلك قال مار لاون البابا في احد ميامر الدنح: «لم يضطرب هيرودس فقط في نفسهِ بل بالحري اضطرب الشيطان في هيرودس. لان هيرودس كان يعتبر المسيح انسانًا ارضيًا اما الشيطان فكان يعرفهُ الهًا. وكلاهما كان يخاف على التخلّف في ملكهِ. الشيطان على الملك السموي. وهيرودس على الملك الارضي». وكان خوف هيرودس باطلًا. لان المسيح لم يأتِ ليملك على الارض كما قال هو عن نفسهِ. اما اضطراب يهود اورشليم مع انهُ كان يجب ان يفرحوا بولادة مخلّصهم المنتظَر فقد فعلوا ذلك موافقةً ومجاراةً لهيرودس الذي كانوا يخافونهُ. ولا سيما لان الاشرار لا يفرحون بمجيء الصدّيق كما قيل عن المسيح (يو ١ : ١١): «الى خاصّتهِ جاء وخاصّتهُ لم تقبلهُ». ثم ان قتــل اطفال بيت لحم لم يؤدِ الى ضررهم بل الى منفعتهم. ومن المستبعد عن الصواب كون المسيح الآتي لخلاص البشر لا يفعل في اثناء ولادتهِ شيئًا لمكافأة الذين قُتلوا من اجلهِ مع انهُ صلّى حينما كان معلّقًا على الصليب من اجل الذين قتلوهُ وجذب اليهِ كلَّ شيء.

ولنرَ الآن لمن قد أُعلنت ولادة المسيح. فنقول ان الخلاص الذي كان مزمعًا ان يتمَّ بالمسيح انما كان مختصًا بجميع الناس على اختلافِ نحلهم وحالاتهم. كما قال الرسول (قول ٣ : ١١): «ليس في المسيح ذكرٌ او انثى ولا أُمّي او يهودي ولا عبدٌ او حرٌ». ولكي تسبق الاشارة الى ذلك ولادة المسيح نفسها قد أُعلن لبعض الناس في كل حالاتهم. لان الرعاة هم اسرائيليون والمجوس هم وثنيّون. اولئك عن قربٍ وهؤلاء عن بُعد وكلاهما قد تسابقا الى حجر الزاوية وهو المسيح. لا بل انهُ كان بينهم اختلاف آخر. لان المجوس كانوا حكماء ومقتدرين والرعاة كانوا بُسطاء وادنيــاء. ثم قد أُعلن ايضًا لحالة الصديقين اعني شمعون وحنّة النبيّة. والى الاشرار المرموز عنهم بالمجوس. وكُشف ايضًا للرجال والنساء. لكي يتبيَّن لذي عينين ان ليس من حالة بين البشر نُفيت عن الخلاص بالمسيح

وبعد هذا البحث لنعتبر الوسائط التي تمَّ بها اعلان ولادة المسيح لهؤلاء الناس. فنقول: كما ان البيان المنطقي يتمّ تحقيقًا للشيء بالادلّة او المبادئ التي هي اكثر تصريحًا

كذلك كَشف الامور يجب ان يكون بعلاماتٍ مألوفة لدى من تُكشف لهُ تلك الامور. ومعلوم انَّ من دأب الصدّيقين ان يتعلَّموا بتحريك روح القدس او بروح النبوَّة بدون اظهار العلامات الحسيَّة . امَّا المولَعون من الناس بالاشياء الجسديَّة فينقادون بالحسيَّات الى الادراكيَّات. وكان اليهود قد اعتادوا ان يقتبلوا الاجوبة الالهيَّة على يد الملائكة. ولذلك اقتبلوا ايضاً الشريعة على يدهم كما قيل (اعمال ٧ : ٥٣) : « اقتبلتم الشريعة بترتيب الملائكة » . امَّا الوثنيُّون وخاصَّةً علماء الهيئة فقد اعتادوا ان يلاحظوا مسالك النجوم. بناء عليه لمَّا كان اعلان ولادة المسيح من اهمّ واشرف اعمال الله التي هي كاملة في ذاتها قد أُعلنت ولادة المسيح لشمعون وحنَّة الصدّيقين بتحريك الروح القدس الباطني كما يُقرأ (لو٢ : ٢٦) : « سمع من الروح القدس انهُ لا يرى الموت قبل ان يرى مسيح الرب » . اما الرعاة والمجوس الذين كانوا اعتادوا الامور الجسديَّة المحسوسة فقد أُعلنت لهم ولادة المسيح بالمظاهر المنظورة . ومن حيث ان هذه الولادة لم تكن ارضيَّةً محضاً بل سمويَّةً من حيث قد وُلد لنا ملك السماء لذلك قد كُشفت لليهود والمجوس بعلامات سمويَّة. لان الملائكة تسكن السماوات والنجوم تزيّنها وبكليهما تُخبر السماوات بمجد الله . الَّا انـهُ كان امرًا صوابيًّا ان تُكشف ولادة المسيح بالملائكة لليهود الذين كانت رؤيا الملائكة متواترةً لديهم. اما المجوس الذين كانوا مولَعين بملاحظة الاجرام السماويَّة فقد أُعلنت لهم ولادة المسيح بالنجم الذي ظهر لهم في المشرق. ولا سيما لان اليهود الذين كانوا يتصرَّفون بنور العقل لمعرفة الله قد انذرهم الملاك او الروح الناطق. اما الوثنيُّون الذين رذلوا هُدى العقل فقد توصَّلوا الى معرفة الله لا بالصوت النطقي بل بالعلامات . وكما ان الواعظين المتكلِّمين او الرسل قد انذروا الامم بالربّ المتكلِّم كذلك العناصر البُكم قد انذرت بهِ وهو صامتٌ غير متكلِّم

اما ولادة المسيح فقد أُعلنت على هذا الترتيب . فانهُ قد كُشفت اوَّلًا للرعاة يوم ولادته كما يُقرأ في لوقا (٢ : ٨) : « وكان في تلك الناحية رعاة يسهرون على رعيَّتهم . واذا بملاك الرب قد وقف بهم ومجد الله قد اشرق عليهم. فقال الملاك : وُلـد لكم مخلص وهو المسيح الربّ في مدينة داود » . ثم ان المجوس اتوا الى بيت لحم ليسجدوا ليسوع الطفل في اليوم الثالث عشر (١ من ولادتهِ وهو اليوم الذي يُعيَّد فيهِ عيد الدنح .

١) لم تتَّفق آراء الاباء في تعيين زمن مجيء المجوس الى بيت لحم . والبرهان الذي يأتي بهِ

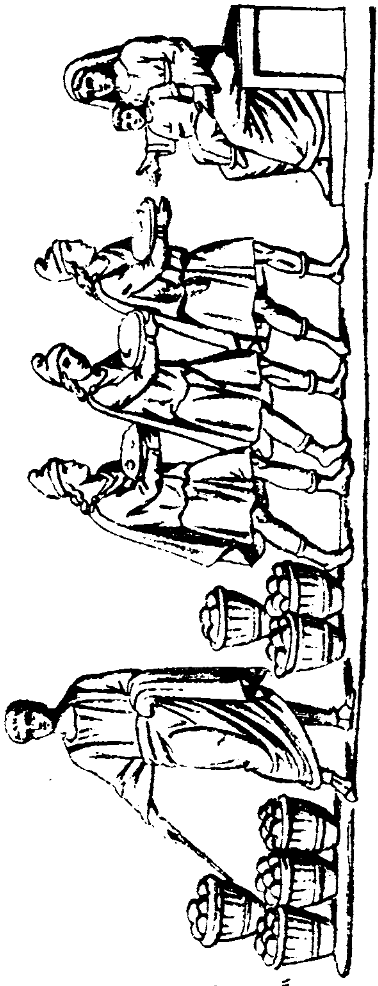
لانهم لو اتوا بعد انقضاء سنةٍ او سنتين لَما وجدوهُ في بيت لحم. لاننا نقرأ في (لوقا ٢ : ٤٠) « انهُ بعد ان اكملوا كلَّ شيء بحسب ناموس الربّ وقرَّبوا الطفل يسوع في الهيكل (بعد اربعين يوماً) رجعوا الى الجليل الى الناصرة مدينتهم ». واخيرًا قد أُعلنت ولادتهُ للصدّيقين في الهيكل بعد اربعين يوماً من مولدهِ كما يُقرأ (في لوقا ٢ : ٣٨). وسبب هذا الترتيب هو انهُ يُشار بالرعاة الى الرسل وغيرهم من اليهود المؤمنين الذين كُشف اولًا لهم سرّ التجسُّد. ولم يكن بينهم مقتدرون كثيرون واشراف كثيرون كما يُقرأ (في ١ قر ١ : ٢٧—٢٨) ثم ان ايمان المسيح قد اتَّصل الى عموم الأُمم التي يُشار اليها بالمجوس. واخيرًا قد اتَّصل هذا الايمان الى عموم اليهود الذين يُشار اليهم بالصدّيقين. ولذلك قد ظهر المسيح لليهود في الهيكل

ولنرَ الآن كيف عرف المجوس النجم الذي اهتدوا بهِ الى بيت لحم. ومتى ظهر لهم. وما هو طبع او كيان هذا النجم

فنقول ان المجوس قد عرفوا كيان هذا النجم اما من التقاليد المتواترة الابويَّة التي كانوا محافظين عليها. استنادًا الى قول بلعام (٨ : ١٥) « يشرق نجم من يعقوب ». وفي اثناء ملاحظاتهم المتواترة لسير النجوم التي كانوا يرصدونها رأوا هذا النجم الغريب الجنس. فلمَّا عاينوهُ في السماء خارجاً عن النظام العام فهموا انهُ هو المطلوب الذي تنبَّأ عنهُ بلعام بان يكون دليلًا لولادة ملك اليهود. ويسوغ القول ايضاً ان الملائكة أُوحوا للمجوس منبّهين ايَّاهم ان هذا النجم يُشير الى ولادة المسيح. وكلّ هذه الاعتبارات لا تبعد عن التصديق من حيث ان كل الصالحين كانوا في ذلك الاوان يلتمسون ببحثٍ جدّي خلاص البشر على يد المسيح المنتظر. فلمَّا رأوا صورة ذلك النجم العجيب في رونقهِ ومنظرهِ اعلمهم نور الحق انهُ لاح للبُشرى بالمسيح

امَّا متى ظهر هذا النجم للمجوس ففي ذلك رأيان. الاوَّل ان هذا النجم قد ظهر لهم سنتين قبل ولادة المسيح. فلمَّا تأمَّلوا فيهِ وتهيَّأُوا للسفر بلغوا من انحاء المشرق البعيدة الى بيت لحم وسجدوا للمولود في اليوم الثالث عشر من ولادتهِ. ولذلك نرى

هنا حضرة الكاتب اعني رجوع العائلة المقدَّسة الى الناصرة بعد تقدمة المسيح للهيكل ليس بقاطع. لأنَّ كثيرين يقولون ان العائلة المقدَّسة لم تذهب الى الناصرة الَّا لوقت ريثا تنقل اثاثها وحاجاتها الى بيت لحم فرجعت الى مدينة داود بعد وقت قليل وسكنتها (المشرق)



سجود المجوس للمسيح كما ورد في احدى صور دباطس روبنة

ان هيرودس بعد ان لحظ سخريّة المجوس بهِ لدى عودهم الى بلادهم . أمر حالًا فقتل اطفال بيت لحم من عمر سنتين وما دون ظانًا ان المسيح قد وُلد حينما ظهر النجم كما سمع من المجوس . وهذا هو مذهب مار يوحنا فم الذهب ومار اوغسطين الملفانين . والراي الثاني الذي لا يبعد عن الصواب هو ان النجم قد ظهر في السماء حينما وُلد المسيح . فتأهَّب المجوس حالًا لدى رؤيتهم النجم واسرعوا في مسيرهم قاطعين ذلك الطريق الى بيت لحم في ثلثة عشر يوماً بمساعدة العناية والقدرة الالهيّة . وهذا في افتراض انهم اتوا من بلادٍ بعيدة . وقد ارتأى البعض انهم اتوا من البلاد القريبة التي كان منها بلعام الذي كانوا تابعين لتعليمهِ . وانما يُقال انهم اتوا من المشرق لان ارضهم وبلادهم كانت واقعةً شرقي ارض اليهودية .

وبناء على هذا الراي لم يقتل هيرودس اطفال بيت لحم حالًا بعد عود المجوس بل بعد سنتين . إمّا لانهُ قصد رومية ليجاوب عن الشكايات التي قُدّمت عليهِ . وإما لأن اهوال الاخطار قد ازعجتهُ فصُدَّ عن اجراء قتل الاطفال في تلك الاثناء . وامّا لانهُ ظنَّ اوّلًا ان المجوس قد خُدعوا برؤية النجم فاستحيَوا ان يرجعوا اليهِ بعد انقطاع أملهم من وجدان الطفل . ولذلك لم يقتل الاطفال في سنّ السنتين فقط بل ايضاً ما دونهُ . لانهُ تخوَّف من ان الطفل الذي خدمتهُ النجوم قد غيَّر هيئتهُ فوق او دون سنّهِ

بقي علينا ان نرى خواصّ هذا النجم الذي تراءى للمجوس وحقيقة كيانهِ هل انهُ

كان من جملة النجوم التي تحفظ نظام سُبلها تحت شريعة الخالق منذ بداية الخلقة او انَّ نجماً جديدًا ظهر في اثنـاء ميلاد المسيح . فيجيب مار يوحنا فم الذهب في احد ميامرهِ على متّى: « ان هذا النجم الذي ظهر للمجوس ليس هو من جملة النجوم السمويَّة ويتَّضح ذلك من وجوهٍ شتَّى: (اوّلا) انهُ ليس من نجمٍ في نظـام السماء يسير بهذه الطريق. لان هذا النجم كان يتَّجه ايضاً من الشمال الى الجنوب وبالعكس فسار نحو اليهوديَّة من بلاد الفرس او العرب التي اتى منها كان المجوس ثم عاد هؤلاء الى بلادهم بهداية ذلك النجم. (ثانياً) يتَّضح ذلك من الزمان. لان هذا النجم لم يكن يظهر في الليل فقط بل في رائعة النهار ايضاً . وهذا ليس من شأن قوَّة النجوم بل ولا من شأن قوة القمر . (ثالثاً) لانهُ كان تارةً يظهر وتارةً يختفي عنهم . لانهم لمَّا دخلوا اورشليم قد غاب واختفى عنهم ثم لمَّا تركوا هيرودس عاد وظهر لانظارهم. (رابعاً) لانهُ لم يكن لهُ حركة متتابعة ومتَّصلة بل حينما كان المجوس يسيرون كان هو ايضاً يسير دليلًا لهم. ولمَّا كانوا يستريحون كان هو ايضاً يقف في مكانهم. على مثال الغمامة التي كانت تسير في القفر مع بني اسرائيل . (وخامساً) لان هذا النجم لم يبقَ في اعلى السماء مبيّناً محلّ ولادة العذراء مريم بل نزل الى اسفل مظهرًا مغارة بيت لحم» لانهُ يُقال (متى ٢ : ٩) انَّ النجم الذي رآهُ المجوس في المشرق كان يتقدَّمهم الى ان اتى حيث كان الصبي. ومن ثم يظهر معنى كلام المجوس: رأينا نجمهُ في الشرق . لا كأنهم رأوا النجم موجودًا في ارض يهوذا وهـم في المشرق بل انهم رأوهُ في المشرق من حيث اتوا ثم كان يتقدَّمهم الى بيت لحم. ومعلومٌ انهُ لم يقدر ان يُظهر لهم بتمييز مغارة بيت لحم لو لم ينزل بقرب الارض. وهذا الحادث الغريب ليس خاصًّا بالنجم بل بقوَّة عقليَّة خارقة . وعليهِ ذهب بعضهم انـهُ كما نزل الروح القدس على المسيح في اثناء عمادهِ بصورة حمامة كذلك ظهر للمجوس بصورة نجم. وذهب غيرهم ان ملاكاً ظهر للرعاة بصورةٍ بشريَّة ثم ظهر للمجوس بصورة نجم وهو قول بعيد. وارتأى غيرهم رأياً اقرب الى العقل ان نجماً جديدًا قد خُلق لا في السماء بل في الهواء القريب الى الارض وكان يتحرَّك باشارة الارادة الالهيَّة

اما سبب اختفاء النجم عن المجوس لدى بلوغهم الى بيت لحم مع انهُ كان يقدر ان يهديهم رأساً الى حيث وُلد الطفل يسـوع فلم يجرِ دون باعثٍ صوابيّ . وهو ان يلتزم المجوس ان يدخلوا الى اورشليم ويسألوا من كتبة اليهود وعلمائهم « اين وُلد ملك

اليهود (متّى٢ : ٣) » لكي يقدّم اليهود نفسهم شهادة على ذلك قائلين: « انهُ وُلد في بيت لحم يهوذا كما قال النبي» . فاذا تحقّق المجوس وتأكّد لديهم ذلك بهذه الشهادة المضاعفة اعني شهادة اليهود ودلالة النجم يبذلون مجهودهم بغرام وايمان حيّ في التفتيش عن ملك اليهود الذي اعلنهُ ضياء النجم وسلطة النبوّة . وقد افاد استفهامهم من اليهود انهم انذروهم معلنين لهم ولادة المخلّص الذي طالما كانوا ينتظرونهُ . وبذلك تتمّ نبوّة (اشعيا ٢ : ٣) : « من صهيون يخرج النور وكلمة الرب من اورشليم » . وبسعي المجوس يوبّخ اليهود الذين يُشبَّهون بنجّاري سفينة نوح الذين اشتغلوا لخلاص غيرهم من الطوفان وهم لم يقدروا ان يخلّصوا انفسهم منهُ

وعلى خلاف ذلك نرى المجوس يدخلون مغارة بيت لحم يؤدّون للطفل يسوع الاكرام الواجب لمقامهِ السامي ويؤمنون بدون خلَل وضلال بدليل الهدايا التي قدَّموها لهُ كما قال اشعيا (٦٠ : ٣) : « تسير الامم بنوركِ والملوك في ضياء إشراقكِ » . وصاحب المزامير (٧١ : ١٠) : « ملوك ترتيش والجزائر يحملون اليهِ الهدايا . ملوك شبا وسبأ يقرّبون اليهِ العطايا » . وبالحقيقة ان المجوس هم باكورة الشعوب التي تؤمن بالمسيح وفيهم تظهر كما في مرآةٍ حقيقة ايمان وعبادة الامم التي سوف تعود الى حضن كنيسة المسيح وكما ان ايمان وعبادة الامم المهتدية الى دين المسيح بنعمة والهام الروح القدس كانت دون خلل وضلال هكذا المجوس قد ابدوا بحكمة والهام روح القدس الاكرام الواجب للمسيح المولود . لانهم لم يفتّشوا على ملك ارضي بل سمويّ . ولو لم يروا لهُ علامات الهيبة وجلالًا اهلًا بالملوك مع ذلك سجدوا لهُ مكتفين بشهادة النجم وحدهُ . لانهم رأوا انسانًا واعترفوا بكونهِ الهًا وقدَّموا لهُ هدايا جديرة بمقام المسيح . فانهم قدّموا ذهبًا كما لملكٍ عظيم . ولبانًا وهو الذي يُوضع في الذبيحة لله لكي يُقرَّب لهُ بما انهُ إله . ومُرًّا وهو الذي تحنَّط بهِ اجسام الموتى لكي يُشار بذلك الى انهُ يموت عن خلاص جميع البشر . وبذلك نتعلّم ايضًا ان نقدّم للمسيح الملك المولود الذهب الذي هو رمزٌ عن الحكمة متلألئًا امام وجههِ بنور حكمتهِ الازلية . واللبان الذي هو عبارة عن عبادة الصلوة لكي ننهض بروح الارتفاع الى الله . والمرّ الذي هو اشارة الى إماتة الجسد لكي نقمع شهواتنا بروح الإماتة والتواضع (التتمّة للآتي)

احسن ما سُمع

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

ممَّن اصابوا قصبة السبق في مجال الآداب وتركوا لمن بعدهم آثارًا طيّبة صنّفوها في كلّ باب . واناروا بها الاذهان واطربوا الالباب . كاتب فاضل يُعدّ بين ائمّة الكتّاب . نريد ابا منصور عبد الملك الثعالبي احد ادباء نيسابور . ففيها وُلد سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١م) وفيها توفي سنة ٤٢٩ (١٠٣٨) وقد قضى حياتهِ الطويلة في خدمة الآداب ونال الحظوى لدى كبار رجال زمانهِ من ملوك وامراء واعيان وكان يراسل اكثر علماء زمانهِ كما تدلُّ عليـــهِ تآليفهُ . اما مصنّفاتهُ فهي عديدة تنيف على ثلاثين مصنّفًا في الأدب والشعر والانشاء والمراسلات والتاريخ نُشر منهـــا في بلاد الشرق قسم صالح فطُبع لـهُ في الاستانة العليّة التمثيل والمحاضرة . وسحر البلاغة . والمبهج . والنهاية في الكتابة . والايجاز والاعجاز . وبرد الأكباد . وفي دمشق الشام يتيمة الدهر في اربعـــة اجزاء . ونثر النظم وحلّ العقد . وفي بيروت فقه اللغة . ومن غاب عنهُ المطرب . وفي تونس خاصّ الخاصّ . وفي مصر سرّ العربيّـــة . والظرائف واللطائف . وقد نشرنا في المشرق (٢٨:٣) كتابهُ في مكارم الاخلاق . وقد عرف الاوربيُّون فضـــل هذا الكاتب فاذاعوا من تآليفهِ مؤنس الوحيد . ولطائف المعارف . ولطائف الصحابة . وغُرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم وهو من ابدع الآثار التاريخيّة طُبع في باريس مع ترجمة افرنسيّة للعلّامة زوتنبرغ . وقـــد بقي لهذا الكاتب عدَّة تآليف مخطوطة تستحقّ ان تبرز الى الوجيد لفوائدها نخصّ منها بالذكر كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب منـــهُ نسخة قديمة في مكتبتنا الشرقيّة . وفيها ايضًا كتاب آخر عزيز الوجود يدعى كتاب الآداب . وفي مكتبة باريس كتاب احاسن المحاسن . وفي مصر المتشابه . وفي ڤيِنَّة كنز الكتَّاب الى غير ذلك ممَّا لا يزال في زوايا النسيان

وممَّا طُبع آخرًا في مصر لابي منصور الثعالبيّ كتاب متوسّط الحجم تبلغ صفحاتهُ نحو المائتين يُدعى « احسن ما سُمع » طبعهُ بمطبعة الجمهور « حضرة الكاتب الفاضل

محمّد افندي صادق عنبر » وهو قد « نظر فيـهِ وصحّحهُ وشرح عباراتهِ » فبادرنا الى مطالعة هذا الاثر الجديد الذي استخرجهُ متولّي طبعه من المكتبة الخديويّة وهو من نفائس تركة الفقيد الامـام العلّامة محمّد محمود التركزي الشنقيطيّ فنثني على جناب المصحح وعلى كلّ ملتزمي الكتاب الـذي نُشر بالحرف الاستنبوليّ المُشرق وأُحكم طبعـهُ

ولمّا كان هذا التأليف من المجاميع الادبيَّة النـادرة يحتوي غررًا من الحكم المنظومة بقلم شعراء مفلقين من الطبقات الاولى احببنا ان نختار منهُ بعض دررهِ لتزيّن بها صفحات مجلّتنا في غرّة هذه السنة الجديدة . لكنّنا رأينا ان نقدّم على ذلك بعض الملحوظات في التأليف المنوّه بهِ ثمّ في طبعتهِ الجديدة

أَجلنا النظر في تأليف الثعالبيّ فاذا هو يقسمهُ الى ٢٢ فصلًا في موادّ مختلفـة يفتتحها بالالهيّات ثمّ يعقبهـا بالنبويّات ثمّ الملوكيّات ثمّ الاخوانيّات ثمّ الادبيّات ثمّ الخمريّات ثمّ فصول السنة ثمّ الآثار العلويّة ثمّ الدنيـا والدهر والامكنة والابنية والطعاميّات الى ان يختمها بالمراثي والتعازي وفنون من المحاسن . فضمَّن كلّ باب بعض مقطّعات من نظم مشاهير الشعراء . تبلغ اباتهـا اذا عُدّت نحو ١٣٠٠ بيت وجدنا كثيرًا منها رقيق اللفظ بليغ المعنى كما سترى

ومع استحساننا لهذا المجموع قد وجدنا مؤلفهُ اطلق عليهِ اسمًا لا يوافقهُ الموافقة التامّة . وبيانًا لذلك نسأَلهُ اهذا « احسن ما سُمع » منهُ هو او « احسن ما سُمع » مطلقًا . فان قال الاوّل رُدّ قولهُ بابيات كثيرة اوردها لشعراء اقدم زمنًا او ابعد مكانًا من ان يسمعهم بنفسهِ . ثمّ تجد في مجاميع ابي منصور الاخرى كيتيمة الدهر والاعجاز واللطائف ابياتًا ومقاطيع بديعة لا تقلّ عمّا اوردهُ هنا شأنًا وتجاريها في حسن لفظها وانسجام تراكيبها وبُعد شأوها قد نعتها بنعوت الثناء وجعلها من احسن ما سمعهُ وهو مع ذلك لم ينظمها في سلك هذا المجموع

وان قال الثاني اي انّ الكتاب يحتوي « احسن ما سُمع » على الاطلاق كان الاسم ابعد من المرمى لانـهُ مستحيلٌ ان يكون مجموع صغير كهذا « أَحسن ما سُمع » من اقوال كل العرب . والدليل على قولنا انهُ لم يكد يُدخل في مصنَّفهِ شيئًا من اقوال شعراء الجاهليَّة مع انَّ في دواوينهم ابياتًا اجمع الادباء على فضل بلاغتها . وكذلك قد سكت

عن كثير من شعراء الاسلام الذين لا يختلف اثنان في محاسن اقوالهم كالفرزدق وجرير ولم يذكر للاخطل الّا بيتًا واحدًا هيهات ان يُعدّ من احسن ما قالهُ . وكذلك لم نجد للمتنبي ولابي فراس الحمداني وللبحتري الّا النزر القليل . وقد اكثر على خلاف ذلك من اقوال من هو دون هؤلاء كابن المعتزّ وابي الفتح البستي والمهلّبي وابن الروميّ . وزد على ذلك انهُ لو جمع افضل ما سُمع على الاطلاق لما كفتهُ المجلّدات الضخمة مع كثرة اغراض الكتابة واختلاف ابوابها

وان تصفحنا بعد هذا فصول الكتاب وجدنا ايضًا في بعض متفرّقاتهِ ما لا يحسن بهِ ان يُنظم في « أحسن ما سُمع » فلو عرضناهُ على غيرهِ لتحقّقنا انّ ذلك افضل من هذا المسموع ولا نزيد شاهدًا على قولنا الّا ما افتتح بهِ الكتاب قال « أحسن ما جاء نظمًا في حمد الله وذمّ الزمان قول ابن المعتزّ :

حمدًا لربّي وذمًّا للزمان فما   اقلَّ في هذه الدنيا مسرّاتي »

فكلّ يرى انّ هذا البيت لا يتجاوز القول الصحيح ولا نجد فيهِ من البلاغة ما زعم الثعالبي . وكذلك قول كشاجم (ص ٨١) الذي جعلهُ احسن ما قيل في وصف الهلال :

اهلًا وسهلًا بالهلا   لِ بدا لعينِ المبصرِ
او ما تراهُ يلوحُ في   جوّ السماء الاخضرِ

وهو كما ترى نظم رائق ليس الّا . ومثلـهُ قول الآخر رواهُ كأحسن ما سُمع في هجو بخيل (ص ١٠٤) :

جئتهُ زائرًا فقال لي البَـوّابُ صبرًا فانّهُ يتغدّى

وفوق ذلك انّا وجدنا في هذا المجموع اقوالًا بذيّة بعيدة عن الذوق السليم حتّى ان متولّي طبع الكتاب نفسهُ استنكف من ايرادها . وبعض ما اوردهُ كان الاولى ان يُطوى ذكرهُ كقول ابن المعتزّ في مغالبة الشمس للسحاب (في الصفحة ٨١) لا نرويهِ لبذاءتهِ . ومثلهُ ما اورد للآخر (ص ١٧٢) :

وجه ابي عمرو واللعينُ بـهِ   في القبح والبرد يُضرَبُ المثلُ
كأنـهُ في اتّساع صورتهِ   روثةُ ثورٍ قد داسهـا جملُ

فاين كلّ ذلك من الحُسن . ولكن دَعْنا بعـد هذا نخصّ بالنظر عمل متولّي طبع

الكتاب ثمَّ نبدي لهُ ملحوظاتنا ليزيدهُ حسنا في طبعتهِ الثانية ان شاء الله . واوَّل ما افادنا انَّ النسخة التي اخذ عنها كانت « سقيمةً مكتوبة بقلم لا تكاد تُحلُّ رموزهُ لما دخل على الفاظهِ من التصحيف واعتور رسمها من التحريف » . فمن هذا ترى فضل الطابع وهمَّتهُ في نشر هذا الكتاب منقَّحًا . وقد صحَّح بعض اغلاطهِ . ويا ليتهُ كان دلَّ على مواضع الاصلاح ليطَّلع القارئ على صوابهِ ولعلَّ بعضهُ يخالف مقصود الشاعر او منطوقهُ . وعلى كلّ حال كان الاولى بهِ لو فتَّش على نسخةٍ ثانيةٍ يقابل نسختهُ عليها فيصلحها بالمعارضة . نعم أنَّنا لا نجهل انَّ نسخ هذا الكتاب عزيزة في المكاتب لكنَّ في خزانة كتب « كوپريلى » في الاستانة العليَّة نسخةً حسنة لو استنسخها جنابهُ لسهَّلت لهُ العمل

وقد نبَّه في بعض الاحيان الى وجوه الاصلاح فرأيناهُ غالبًا مصيبًا . فممَّا احسن في اصلاحهِ (ص ٣٨) ما جاء في عتاب الرَّجل المَلُول في قول الشامي (كذا) :

اذا انا عاتبتُ المَلُول فانَّما اخطُّ بأقلامي على الماء احرفا

وكانت اللفظة تحرَّفت « بالملوك » . وكذلك اصلح لفظة « منتحل » بمتَنَخِّل في قول المهلبيّ :

فكأنَّ لفظك لؤلؤ متنخَّل وكأنَّ آذاننا اصدافــهُ

فالمتنخَّل المختار ويجوز ايضًا « متنصَّل » بالصاد . واحسن ايضًا باصلاح قولــهِ « غدَنَ » بغدَتْ في بيت ابي تمَّام (ص ٣٥) :

ارواحنا في مكانٍ واحــدٍ وغدت ابداننا بشآم او خراسانِ

وفي الصفحة عينها اصلح « على رعمي » تصحيف « ابن عمّي » :

أميل مع الذمام على ابن عمّي واقضي للصديق على الشقيق

ومع حسن هذه الاصلاحات قد بقي في هذه الطبعة ابيات كثيرة مغلوطة مكسورة الوزن كقولهِ (ص ١٩ س ٤) :

كَلَّا امر اللهُ الحكيم بشكرهِ فقال اشكروا لي ايــا الثقلانِ

والصواب « أيُّها الثقلان » . ومثلهُ (ص ٣١ س ١٢) :

الم ترَ انّ الله قال لمريم وهزّي اليك الجزع يساقط الرطب

والصواب : « كي يسقط الرُّطَبْ » . وفي (ص ٣٣ س ١٥) قد صُحّف بيت النابغة

« ولا قرار على رأزٍ من الاسدِ »

والصواب « على زأرٍ من الاسدِ » . وقد صُحّف البيت في قولهِ (ص ٤٥ س ٤) :

حكت السماءُ ندى بديـــك فلم اطلق سعيا البكا

ونظن انَّ الصواب :

حكتِ السماءُ ندى يديـــك فلم أُطِق سعيًا البكا

وكذلك صُحّف قولهُ (ص ٦٣ س ٧) :

قُمْ فاسقني بينْ خفق الناي والقود

يريد « العُود » فصُحّفت بالقود . وكذا (في ص٧٩ س ١) روى « جيب مزروز » يريد : « جيبٌ مزرور » . وكذلك كُسر الوزن (ص ٨٤ س ٢) في قولهِ :

كأنما نجم الثريـــا لمن يرمقها والظلام منطبقُ

والصواب « أنجم الثرَّيا » . وفي (ص ٩١ س ٢ و ٧) فسد المعنى بروايتي « جمعب » و « دينا » يريد « جمعت » و « دنيا » . وفي الصفحة التاليـــة (س ٣) كُسر الوزن بروايتهِ « فأخرجنا آله الناس » يريد « إِلٰهُ الناس » . وروى (ص٩٨ س ٤) بيت ابن العلّاف الشهير في وصفهِ للهرّ :

لا بارك الله في الطعـــام اذا كان هلاك النفوس في الجد

فصار المعنى مشوّهًا اقبح تشويه . والصواب « في المِعَدِ » . وكذلك البيت الذي بعدهُ روى شطرهُ الأول « كم دخلت اكلة حشاشره » وكان الشاعر كتب « كم دخلت اكلةٌ حَشَا شَرِهٍ » ويروى « لقمةٌ » بدلًا من « اكلة » . ومن سوء رواياتهِ (ص١٤٥س ٢) :

« من شاب قد هو مات وهو حيّ يمشي على الارض مشي هالـــك

والصحيح « قد مات » . ومن تصحيفهِ قولهُ (ص ١٤٧ س ١٢) في الهلال :

يزداد حتّى اذا تمّ في الاشراق اعقبه كرّ الجديدين نقصـــا ثمّ ينمحق

وهو من البحور التي لم يروها الخليل . وصُحّف ايضاً قولهُ (ص ١٥٠ س٦) :

اوجههُ الواضح ام حلم الرا جح ام نائلـــه الغمر

والصواب :

اوجهـــهُ الواضح ام حلمهُ م الراجحُ ام نائلهُ الغمرُ

وصحّف ايضاً (ص ١٧٣ : ٣) قول الصابي :

مضع الهنـــدي لا مرّة خبزًا فرماها

والصواب « وضع » ولم يحسن تقطيع البيت . وكسر بيت عنترة (ص ١٧٥ س ٣) :

ويما بمن نـال فضلُ عافيةٍ وقوت يومٍ فقر الى احدِ

والصواب « وما بمن » . وكُسر ايضاً بيت القائل (ص ١٩٠ س ٣) :

فلا تحتقرن عدوًّا رما ك ولو كان في ساعديهِ قصرْ

يُقام البيت ان اصلحتهُ بقولك « فلا تحقرنْ » . وصُحف البيت الاوَّل في الصفحة الاخيرة

فتقاسم الناس المسرَّة بينهم قسماً وكان اجلُّهم حظّاً لنا

اصلاحهُ « انا » . وهذه بعض تصحيفات لحظناها تشوّه المعاني امَّا الاغلاط الطبعيَّة فتُعدُّ بالعشرات لا نتعرَّض لها . وكذلك لا نقول شيئاً عن تقطيع الابيات التي تدلُّ على قلَّة معرفة الطابع بأحكام العروض لا سيَّما في بعض البحور كالرمل والمتقارب . ففي الصفحة ٣٨ وحدها اربعة ابيات أُسيء تشطيرُها فيروي مثلًا :

وكنتُ اذمُّ اليك الزما ن فلمَّا نبا صرتَ حرباً عليَّا

ومن البديه انَّ « نون » زمان تختصُّ بالشطر الاوَّل على مقتضى تقطيع المتقارب

امَّا الشروح التي في ذيل الكتاب فهي مع فائدتها غير مستوفية وربَّما اورد الشارح ما لا يُحتاج الى شرحهِ وترك العويص . مثال ذلك البيت الاوَّل من الصفحة ١٠٣ « ولا تكن سابريَّ العرض محتشماً » فانَّهُ اتَّسع في شرح « المحتشم » وسكت عن « السابريّ » . وكذلك (في الصفحة ٦٧ س ١٤) بيت الحمداني

الخمر شمس في غلالـة لاذٍ تجري ومطلعها من الجرذاذ

فشرح الغلالة واللاذ ولم يفدنا عن معنى الجرذاذ شيئاً . وكذلك ضرب الصفح (ص ٧٨ س ٧) عن « البجازي » في بيت المأموني بعد شرحهِ الفاظاً اخرى سهلة :

كأنّـهُ في الاناء اوعية من البجازيّ ملؤها عسلُ

بقي علينا ان نقتطف من هذا المجموع بعض فرائدهِ لنتحف بهـا القرَّاء . ونبدأ بذكر ما رواهُ الثعالبيّ من الالهيَّات . قال (ص ١٦) : ومن احسن ما قيل في الشكر لله على نعمتهِ قول محمود :

اذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً عليَّ لـهُ من مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغ الشكر الَّا بفضلهِ وان طالت الايَّام واتَّصل العمرُ
اذا عمَّ بالسرَّاء عمَّ سرورها وان خصَّ بالضرَّاء اعقبها الاجرُ

ومن احسن ما قيل في التوكّل قول بعضهم (ص ٢٢) :

توكّلْ على الله في النائبات ولا تبغِ فيها سواهُ بديلا
وثِق بجميل صنيع الإلـه فما عوّد اللهُ الّا جميـلا

ومن اجود ما قيل في محبَّة الله قول محمود (ص ٢٤) :

تعصي الإله وانت تظهر حبَّهُ هذا محالٌ في القياس بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقًا لأطعتَهُ انَّ المحبَّ لمن أحبَّ مطيعُ

ومن محاسن الاشعار الملوكيَّة قول سلم بن عمرو في الرشيد (ص٣٤) :

ملكٌ كأنَّ الشمس فوق جبينهِ متهلّلُ الامساء والاصبـاحِ
فاذا حللتَ ببابهِ وفنائـهِ فانزل بسعدٍ وارتحلْ بنجاحِ

ومن احسن ما جاء في الاخوانيَّات قول زياد الاعجم (ص ٣٦) :

اخٌ لي ما اراهُ الدهرَ الّا على العلّاتِ بسَّامًا جوادا
سألناهُ الجزيلَ فما تلكّا واعطى فوق منيتنا وزادا
واحسنَ ثمَّ احسن ثمَّ عُدْنا فاحسن ثمَّ عاودنا فعـادا
مرارًا ما اعودُ اليهِ الّا تبسَّم ضاحكًا وثنى الوسادا

واحسن ابو تمَّام في مخالطة الاخوان (ص ٣٤) :

ذو الودّ منّي وذو القربى بمنزلةٍ واخوتي اسوةٌ عنـدي فاخواني
عصابـةٌ جاورتْ آدابُهم أدبي فهم وإن فرّقوا في الارض جيراني
ارواحنا في مكان واحدٍ وغدتْ ابداننا بشـآمٍ او خراسانِ

ويستظرف لكشاجم قولهُ في فراق الاخوان (ص ٤١) :

قلتُ وقالوا بانَ اخوانُـهُ فابدلوهُ البُعـد بالقربِ
واللهِ ما شطّت نوى صاحبٍ سار من العين الى القلبِ

قال (ص٤٢) : « وممَّا لا يزيد على حسنهِ قول بعض المولّدين» :

خطراتُ ذكرك تستبين مودّتي فاحسُّ منهـا في الفؤاد دبيبا
لا عضوَ لي الّا وفيهِ صبابةٌ فكأنَّ اعضائي خُلقنَ قلوبـا

ومن اظرف ما قيل في الاستزارة قول ابي الفتح البستي (ص ٤٥)

عندي فديتُك سادةٌ احرارُ وقلوبهم شوقًا اليـك حرارُ
وشرابنا شربُ العلوم وروضُنا نُزَهُ الحديثِ ونُقلنا الاشعارُ
فامنن علينـا بالبدار فانَّما اعمارُ اوقاتِ السرورِ قصارُ

ولم يسمع في حسن الكتابة قول احسن من قول ابي اسحاق (ص ٤٧)

واذا استنطق الانامل جاءت ببيانٍ كالجوهر المنضودِ
في سطورٍ كانها نشرت يُمْناهُ منها عصائبًا من بُرودِ
فِقَرٌ لم يزل فقيرًا اليها كلُّ مبدي بلاغةً ومُعيدِ
بيانٍ شافٍ ولفظ مصيبٍ واختصار كافٍ ومعنًى سديدِ

ومن مُلَح ابي الفتح البستيّ (ص ٤٨) في وصف كتاب :

كتابك سيّدي اجلى هموي وحلَّ بهِ اغتباطي وابتهاجي
كتابٌ في سرائرهِ سرورٌ مناجيهِ من الاحزان ناجِ
فكم معنًى بديعٍ دَرْجَ لفظٍ هناك تزوّجا ايَّ ازدواجِ
كراحٍ في زجاجٍ بل كروحٍ سرت في جسم معتدلِ المزاجِ

ومن احسن ما قيل في ذم الدنيا قول ابن بسّام (ص ٨٧) :

أُومن بالدنيا (١ وايّامها فانّها للحزن مخلوقهْ
غمومها لا تنقضي ساعةً عن مَلِك فيها ولا سوقهْ
يا عجبي منها ومن شانها عدوّةٌ للناس معشوقهْ

ومن قلائد ابن الروميّ في تقلّبات الدهر (ص ٨٩) :

دهرٌ علا قدرُ الوضيعِ بهِ وترى الشريف يحطّهُ شرفُهْ
كالبحر يرسبُ فيهِ لؤلؤهُ سفلًا ويعلو فوقهُ جيَفُهْ

وكان الاستاذ الطبري يقول امدحُ بيتٍ للبحتري قولهُ (ص ١٤٨) :

دنوتَ تواضعًا وعلوتَ مجدًا فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ
كذاك الشمس تبعدُ اذ تُسامى ويدنو الضوء منها والشعاعُ

ومثلهُ للوأواء (ص ١٤٩) :

للناس ما لم يروك اشباهُ والدهرُ لفظٌ وانتَ معناهُ
والجود عينٌ وانت ناظرها والناس باعٌ وانت يُمناهُ
ان كان فيما نراهُ من كرمٍ فيك مزيدٌ فزادك اللهُ

ولابن الروميّ (ص ١٥٩) :

كلَّ الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت منكمُ الاخلاقُ والخُلُقُ
فانتم شجرُ الأُترجِّ طاب معًا حملًا ونَوْرًا وطاب العودُ والورقُ

١) قد زعم متولي طبع الكتاب ان هذا تصحيف قوله « افٍّ من الدنيا »

ومن احاسن الاستماحات قول البحتري (ص ١٦٦) :

يدٌ لك عندي قد ابرَّ ضياؤها على الشمس حتَّى كاد يخبو سراجُها
فان تُلحق النُعمى بنعمى فانَّهُ يزين اللآلي في النظام ازدواجُها

ومن لطائف ابي نواس في الشكر قولهُ (ص ١٦٣) :

قد قلتُ للعبَّاس معتذرًا من ضعف شكريهِ ومعترفا
انت امرؤٌ حمَّلتني نعمًا اوهتْ قوى شكري فقد ضعفا
لا تسدينَّ اليَّ عارفةً حتَّى اقوم بشكر ما سلفا

واحسنَ من قال في الشيب (ص ١٤٢) :

ولقد رأيتُ صغيرةً مسحت عذاري بالخمارِ
قالت غبارٌ قد علا ك فقلتُ ذا غير الغبارِ
هذا الذي نقل الملو كَ الى القبور من الديار

وبخلافهِ قول الآخر (ص ١٤٦) :

لا يَرُعْكِ المشيبُ يا ابنة عبد الــلهِ فالشيب زينةٌ ووقارُ
انما تحسنُ الرياض اذا ما ضحكت في خلالها الانوارُ

وليس في هجاء اعمى احسن من قول القائل (ص ١٧٣) :

كيف يرجو الحياء منهُ صديق ومكان الحياء منهُ خراب

ومن جميل ما كُتب في الهديَّة قول احمد بن يوسف الى علي بن يحيي (ص ١٨١) :

من سنَّة الاملاك فيما مضى من سالف الدهر واحوالهِ
هديَّةُ العبد الى ربّهِ في جدَّة الدهر واقبالهِ
فقلتُ ما أهدي الى سيّدٍ حالي اذا فكَّرتُ من حالهِ
ان أهْدِ نفسي فهي في ملكهِ او اهدِ مالي فهو من مالهِ
فليس الَّا الحمد والشكر والمــدح الذي يبقى لامثالهِ

ومن احاسن ما قيل في مرثية الولد قول العتبيّ (ص ١٨٦) :

دعوتك يا بنيَّ فلم تجبني فرُدَّت دعوتي بأسًى عليًّا
بموتك ماتت اللذاتُ منّي وكانت حيَّة اذ كنت حيًّا
فيا أسفي عليك وطول شوقي اليك لوَ آن ذلك ردَّ شيًّا

ولآخر في صغير (ص ١٨٧) :

ان يكن ماتَ صغيرًا فالأسى غيرُ صغيرِ
كان رَيحاني فقد اصبح ريحانَ القبورِ

واحسن ما قيل في السرور بالبشرى قول بعضهم (ص ١٩١) :

ورد البشيرُ بما اقرَّ الاعينا وشفى النفوس فنلنَ غايات المنا
فتقاسم الناس المسرَّةَ بينهم قسماً وكان اجلّهم قسماً انا

ومن لطائف الاوصاف ما قالهُ الصاحب في الثلج (ص ٧٩) :

اقبل الجوّ في غلائل نورِ وتهادى في لؤلؤٍ منثورِ
فكأنَّ السماء صاهرت الار ضَ فكان النثارُ من كافورِ

ومن احسن ما وصف بهِ الربيع قول بعضهم (ص ٢٣) :

اربأ بربعٍ للربيع وكُن لهُ ضيفًا تكنْ ندماءك الأنوارُ
من قانئٍ في ناضرٍ في فاقعٍ في ناصعٍ صبّاغُها الجبّارُ

ومثلهُ قول الآخر (ص ٦٥) :

طاب هذا الهواء وازداد حتَّى ليس يزدادُ طيبُ هـذا الهواء
ذهبٌ حيثما ذهبنا وورقٌ حيث رُدْنا وفضَّةٌ في الفضاء

ونعم ما قيل لبعضهم في وصف الهشاشة للضيف (ص ١٠٣) :

أضاحك ضيفي قبل انزال رحلهِ ليترل عندي والمحلّ جديب
وما الخصب للاضياف ان تُكثر القرى ولكنَّما وجهُ الكريمِ خصيب

الاوصاف الحسنة وصف دارٍ للصاحب (ص ٩٣) :

دار على العزّ والتأييد مبناها وللمكارم والعليـاء معناها
فاليمنُ اقبل مقرونًا بيمناها واليُسر اقبل مقرونًا بيسراها
لمَّا بنى الناسُ في دنياك دورَهمُ بنيتَ في دارك الغرَّاء دنياها

وممَّا يفضَّل في الطعاميَّات قول البستيّ (ص ٩٨) :

كل قليلًا تعشْ طويلًا وتسلمْ من عوادي الاسقام والادواء
انما يغتذي الكريمُ ليبقى وبقـاءُ السفيهِ للاغتذاء

ويُستحسن قول ابي اسحاق الصابي في وصف الفستق (ص ٧٨) :

زمرُّدٌ صانهُ حريرٌ في حُقّ عاجٍ لهُ غلافُ

واحسن ايضاً في وصف البقّ (اي البعوض) (ص ٧٤) :

اطافَ بي عسكرٌ للبقّ ذو لجبٍ ما فيـهِ الَّا شجاعٌ فاتكٌ بطلُ
من كلّ شائلة الخرطوم طاعنة لا تحجبُ السُّجُفُ مسراها ولا الكِلَلُ
طافوا علينا وحرُّ الشمس يطبخنا حتَّى اذا نضجتْ اجسادنا أكلوا

وعارضهُ الثعالبي موءلف الكتاب فقال (ص ٧٥):

وليلٍ بتُّ رهنَ اكتئابٍ اقاسي فيهِ ألوان العذابِ
اذا شرب البعوض دمي وغنَّى فللبرغوث رقصٌ في ثيابي

ونختم هذا بوصف طبيب فصَّاد لكشاجم اجاد فيهِ كما شاء (ص ١٦٠):

الحمد لله قد وجدتُ اخًا لستُ بذا الدهر مثلهُ واجدْ
اسكنُ في محبتي اليهِ فان مرضتُ كان الطبيبَ والعائدْ
احنى على كلّ من يعالجهُ من الشفيقِ والوالدْ
يعلمُ من قبل ان تخاطبهُ ما انت من كلّ علّة واجدْ
كأنما تحت ما يجسُّ بهِ قلبٌ دليل وناظرٌ رائدْ
كانما طرفُهُ لمبضعهِ متّصل في طريقهِ القاصدْ
كانهُ في نصيحةٍ وتقىً لنفسهِ دون غيرهِ قاصدْ
يُبقي علينا دم الحياة ولا يُخرج الّا المضرَّ والفاسدْ
يُخرجُ مقدارَ ما نريد على الـمزاج لا ناقصًا ولا زائدْ
مبارك الشخص حين تبصرهُ توقن بالبرء انهُ واردْ

فهذه المنتخبات شاهد بيّنٌ على ما اسلفنا من مديح هذا الكتاب وحُسن مضامينهِ . والسلام

اثر جديد لمار افرام السرياني

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

هو عمود البيعة وشمس المشارق . بل نبيُّ السريان وصنّاجة الروح القدس افرام النصيبينيّ الذي لم يتَّسم بهذه الاسماء الشريفة كالقاب فارغة لكنَّهُ استحقَّها بحصر القول فضاق المنطق عن احصاء مناقبهِ وتعداد مبرَّاتهِ . وكفاهُ فخرًا ان تآليفهُ عُدَّت في كنائس الشرق بمثابة الاسفار المنزلة فكانت تُتلى في الحفلات الدينيَّة كما افاد القديس ايرونيموس . فلا بدع ان يتزاحم العلماء على مناهل ذلك الرجل العظيم فيستقون من ينابيعهِ ويتناقلون اقوالهُ بل يلتقطون شذرات كلامهِ كما يلتقط الجياع الفتات المتناثر من القصاع . فما قولك بهم ان جاءهم احد باثر جليل كان اخنى عليهِ الزمان او تلاعبت بهِ ايدي العيث فطمست محاسنهُ طوارق الحدثان . وها نحن نبشر

محيي الدرر الافراميّة بظهور احد مصنّفاته التي أيس البعض من التمتّع بفوائدها وذلك بهمّة احد جهابذة الشرقيين غبطة السيد الجليل والعلّامة النبيل بطريرك طائفة انطاكية على السريان الكاثوليك مار اغناطيوس افرام الثاني الرحماني الذي أُولع بآداب السريان فاحيا منها بعد مواتها ما خلّد لهُ شكر العلماء . لكنّهُ أُغرم بآثار سميّهِ وشفيعهِ وابن اوطانهِ الجزيريّة لينشر منها ما لم يزل في طيّ النسيان . ونعم ما فعل اذ تفوق اعمال القديس افرام على مآثر سواه بقدمها وسموّ مضامينها وحسن سبكها

تزين معانيها الفاظَها والفاظُها زائناتُ المعاني

وممّا اتحفنا بهِ آخرًا مجموع خطير يبلغ ١٣٦ صفحة مطبوع احسن طبع في مدرسة السيّدة في الشرفة بحرفنا الاسطرنجلي الذي سبكناهُ في مطبعتنا الكاثوليكية على مثال بديع من مخطوطات مكتبة باريس واضاف اليهِ مقدّمات وشروحاً مع ترجمة لاتينيّة مستوفية وانيقة العبارة وفوائد أُخرى زادت تلك الطرفة قدرًا وحسنًا فنمحض لغبطتهِ التهانئ متمنّين لهُ طول البقاء ليواصل اعمالهُ الممتازة خدمةً للكنيسة ورفعاً لمنار اللغة السريانيّة

*

وقبل ان نخصّ بالنظر هذا الاثر الجديد ونعرّف القرّاء بمكنوناتهِ يجدر بنا ان نذكر شيئًا عن مؤلفات القديس افرام فنقول : انّ ملفان الكنيسة السريانيّة احد رجال القلم الذين توسّعوا في الكتابة حتّى يحتار العقل لغزارة مادّتهم ووفرة تصانيفهم فهو بين السريان كاوريجانس ويوحنّا فم الذهب بين اليونان وكترتليان واوغسطينوس بين اللاتين اقامهُ الله في انحاء ما بين النهرين ليتصدّى لشيع الهراطقة المتعدّدة في تلك الاصقاع ويرشد الضالّين ويثبّت المؤمنين في سبيل الحقّ فلم يدع بابًا في الانشاء الّا طرقهُ او منهجًا دينيًا الّا سلكهُ . لهُ شروح على اكثر الاسفار المقدّسة ومدائح وميامر ومداريش واقوال جدليّة منها بالنثر واكثرها بالشعر وفي شعرهِ من الرقّة والطلاوة والاتّساع في المعاني المبتكرة والتشابيه البديعة ما يأخذ بمجامع القلوب . واثنى عليها كثير من اهل الانتقاد والذوق كالقديس باسيليوس وفوطيوس . وقد عدّد البعض القصائد التي الّفها القديس افرام واذا هي تزيد على ١٢٠٠ قصيدة بينها المنظومات الطويلة

ثمّ توالت القرون على هذه الآثار فكادت تذهب فريسة الضياع والنسيان لولا

دخول قسم كبير منها في طقوس الكنائس الشرقيَّة من كلدان وسريان وموارنة ترى فرائضهم الدينيَّة وصلواتهم الملِّيَّة مشحونة باقوال القديس افرام يتغنَّون بها في كلّ اطراف الليل وآناء النهار وخصوصاً في مواسم الاعياد لا يملكهم في تردادها سأم لحسن معانيها وانسجام تعابيرها

ولمَّا حصلت في اوربة في القرن السادس عشر نهضة الآداب الشرقيَّة اقبل كثيرون على درس اعمال القديس افرام وطبعوها كما وجدوها في خزائن كتبهم منقولةً الى اليونانيَّة والى اللاتينيَّة. وفي مطاوي ذلك العصر وفي الجيل التالي تنبَّه الاحبار الرومانيُّون كلاون العاشر وسكستوس الرابع وبيوس الرابع وبولس الخامس واوربانوس الثامن الى الكنوز الادبيَّة الشرقيَّة وسعوا في اغناء مكتبة الڤاتيكان بتآليف السريان والكلدان والعرب والعبرانيين والفرس والحبش والاقباط والارمن فانفقوا عليها المبالغ الطائلة. وقد زادت في ذلك مساعيهم وتضاعفت هممهم منذ أُنشئت في رومية العظمى المطابع الشرقيَّة فنالت بذلك فضل السبق على بقيَّة الدول. ولمَّا صار زمام الكنيسة في ايدي الطيّب الذكر اقليميس الحادي عشر افرغ كنانة وسعهِ في الحصول على المخطوطات الشرقيَّة فاستعان على الامر بهمَّة المرسلين واوفد الى مصر والصعيد وانحاء الشام من يجمع تلك الآثار وقد اشتهر في ذلك بعض تلامذة المدرسة المارونيَّة في عاصمة الكثلكة كابراهيم الحاقلاني والياس نسيب السماعنة واندراوس اسكندر وعلى الاخصّ المنسنيور يوسف شمعون السمعاني فلم تلبث الخزانة الڤاتيكانيَّة ان تزدان باجل المؤلفات التي خلَّفها مشاهير الكتبة الشرقيين. وكان لنبيّ السريان بين هذه الآثار عدَّة تآليف يرتقي بعضها الى الف سنة بنيّف

واوَّل من سعى بنشر اعمال القديس افرام في لغتهِ الاصليَّة الاب بطرس مبارك اليسوعيّ الماروني طبع منها في النصف الاوَّل من القرن الثامن عشر مجلدين ضخمين ونصف مجلَّد ونقل ذلك الى اللاتينيَّة ولمَّا توفَّاهُ الله في اثناء العمل اكمل هذا المجلد الثالث مطران افامية الشهير اسطفان عوَّاد السمعاني. وكان المنسنيور يوسف السمعاني ناظر المكتبة الڤاتيكانيَّة يُعنى في اثناء ذلك بطبع ما لقيهُ من اعمال ملفان السريان باليونانيَّة في ثلاثة مجلَّدات على حجم المجلَّدات السريانيَّة ناقلًا ايَّاها الى اللاتينيَّة

دخول قسم كبير منها في طقوس الكنائس الشرقيَّة من كلدان وسريان وموارنة ترى فرائضهم الدينيَّة وصلواتهم المليَّة مشحونة باقوال القديس افرام يتغنَّون بها في كلّ اطراف الليل وآناء النهار وخصوصاً في مواسم الاعياد لا يملكهم في تردادها سأم لحسن معانيها وانسجام تناجيها

ولمَّا حصلت في اوربة في القرن السادس عشر نهضة الآداب الشرقيَّة قبل كثيرون على درس اعمال القديس افرام وطبعوها كما وجدوها في خزائن كتبهم منقولةً الى اليونانيَّة والى اللاتينيَّة. وفي مطاوي ذلك العصر وفي الجيل التالي تنبَّه الاحبار الرومانيُّون كلاوون العاشر وسكستوس الرابع وبيوس الرابع وبولس الخامس واوربانوس الثامن الى الكنوز الادبيَّة الشرقيَّة وسعوا في اغناء مكتبة الفاتيكان بتآليف السريان والكلدان والعرب والعبرانيين والفرس والحبش والاقباط والارمن فانفقوا عليها المبالغ الطائلة. وقد زادت في ذلك مساعيهم وتضاعفت هممهم منذ أُنشئت في رومية العظمى المطابع الشرقيَّة فنالت بذلك فضل السبق على بقيَّة الدول. ولمَّا صار زمام الكنيسة في ايدي الطيب الذكر اقليميس الحادي عشر لفرغ كنانة وسعه في الحصول على المخطوطات الشرقيَّة فاستعان على الامر بهمَّة المرسلين واوفد الى مصر والصعيد وانحاء الشام من يجمع تلك الآثار وقد اشتهر في ذلك بعض تلامذة المدرسة المارونيَّة في عاصمة الكثلكة كابراهيم الحقلاني والياس نسيب السمعاني واندراوس اسكندر وعلى الاخصّ المنسنيور يوسف شمعون السمعاني فلم تلبث الخزانة الفاتيكانيَّة ان تزدان باجمل الموثَّقات التي جعلتها اشهر مكتبة الشرقيين. وكان لنبيّ السريان من هذه الآثار عدَّة تآليف يرتقي بعضها الى الف سنة ونيّف

واوَّل من سعى بنشر اعمال القديس افرام في كتبه الاصليَّة الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني طبع منها في منتصف الاوَّل من القرن الثامن عشر مجلدين ضخمين ونصف مجلَّد ونقل ذلك الى اللاتينيَّة ولمَّا توفَّاه الله في اثناء العمل اكمل هذا الجزء الثالث مطران افامية الشهير اسطفان عوَّاد السمعاني. وكان المنسنيور يوسف السمعاني ناظر المكتبة الفاتيكانيَّة يعنى في اثناء ذلك بطبع ما بقي من اعمال ملفان السريان باليونانيَّة في ثلاثة مجلدات على حجم المجلدات السريانيَّة نقلاً ايضاً الى اللاتينيَّة

وبقيت هذه المنشورات كدستور يرجع اليهِ العلماء الى اواسط القرن التاسع عشر حيث قام مستشرقون فضلاء وتجاروا في استخراج اعمال القديس افرام من قماطيرها المجهولة لاسيَّما في خزانة لندن وباريس فنشر اوفربك كثيرًا من ميامرهِ وردودهِ على البدع وعلى يليان الجاحد وغير ذلك وابرز بيكل احد اساتذة ڤينَّة مداريشهُ النصيبينيَّة التي ضمَّنها القديس امورًا من تاريخ نصيبين وطنهِ واحوالها وجيرتها . وطبع لامي في بلجكة مجلَّدين آخرين من نخبة اعمالهِ التي لم تُنشر بعد للطبع فيها الميامر على الاعياد الكنسيَّة والمداريش والقصائد الرثَّانة فيها المئات من الابيات كقصَّة يوسف بن يعقوب ووصيَّة القديس افرام . وكذلك تسنكرله (Zingerle) وحضرة وطنيّنا الاب بدجان الكلداني اللعازري نشرا للقديس افرام عدَّة قصائد لم تُطبع حتَّى الآن

دعنا الان نسرّح الابصار في الاثر الجديد الذي نشرهُ بالطبع غبطة السيد الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني السرياني فنقول : انَّ بين المخطوطات التي كان حصل عليها الياس نسيب السمعانيّ سنة ١٧٠٧ في دير الاسقيط كتابًا نفيسًا خطَّهُ على الرقّ كاتبٌ يُدعى قزما سنة ٨٣٤ للاسكندر الموافقة سنة ٥٢٣ للميلاد وهو الكتاب السابع من مقتنيات الياس المذكور ثمَّ وُسم بالعـدد ١١١ ويحتوي على ٢٦٠ ميمرًا من ميامر القديس افرام تُقسم الى خمسة اقسام : ٥٢ منها في الكنيسة وتعليمها الصادق . ثمَّ ٥٠ في البتوليَّة . ثم ٨٧ في الايمان القويم . ثم ٥٦ في تفنيد البدع . ثمَّ ١٥ في الفردوس . وهذا المجموع فريد في جنسهِ ليس منهُ نسخة اخرى كاملة مثلهُ ولكن لسوء الحظّ قد أُصيب هذا الكتاب بآفةٍ كادت تتلفهُ وذلك انَّ المخطوطات التي اتى بها الياس السابق الذكر كانت وقعت في مياه النيل وما استُخرجت منها الّا بعد ان طُمس منها قسم كبير . فلمَّا اقبل العلماء على نشر مخطوطات القديس افرام لم ينشروا من هذا الكتاب الّا ما تيَّسر لهم مقابلتهُ مع غيرهِ واصلاحهُ بالمعارضة

وبين اقسام المخطوط المنوَّه بـهِ قسمٌ لم يُعرف منهُ حتى الآن الّا هذه النسخة الفريدة نريد المداريش الخمسين الموسومة بمداريش البتوليّـة من اجلّ منظومات القديس افرام لكنَّ كثيرًا من سطورهِ قد فسدت بماء النيل كما ترى في المثـال الذي اثبتناهُ هنا فعجز العلماء عن قراءتها واحجموا عن طبع الكتاب

بيد ان هذه العوائق ما كانت لتضعف همَّة السيّد البطريرك فانهُ لم يزل يعمل

نظرهُ في معمّيات الكتاب حتى فكّ كثيرًا من اسرارهِ . وممّا اعانهُ على الفوز بالمرغوب كتابان في خزانة مخطوطات لنـدن موسومان بعدد ١٧١٤١ وعدد ١٤٥٠٦ يحتوي الاوّل منهما ثلاثة عشر مدراشًا من هذه المداريش اعني المدريش الاولى الاحد عشر ثم المدراشين الرابع عشر والثامن عشر . امّا الثاني الراقي عهدهُ الى القرن التاسع ففي ضمنهِ عدّة قصائد افراميّة من كتاب البتوليّة أُدرجت في الفرض الطقسيّ . واستفاد ايضًا غبطتهُ لاصلاح خلل المصحف الفاتيكاني بالصلوات القانونيّة التي يتلوها السريان ايّام الاحاد والاعياد السنويّة وهي تشمل نبذًا شتّى منتخبة من هذه مداريش البتوليّة كما انـهُ جزاهُ الله خيرًا استعان بتآليف علماء السريان الاقدمين الذين استشهدوا بطُرَف من هذه القصائد الجميلة . وقد اشار الى كلّ ذلك في الحواشي التي علّقهـا على النصّ السرياني

ثمّ انَّ السيد البطريرك لم يكتفِ بكل ذلك بل احبَّ ان يقتبس الغربيون عمومًا والكلفون بالدروس الشرقيّة خصوصًا من انوار هذه المداريش فافرز لهم قسمًا مطوّلًا افتتحهُ بمقدّمة مفيدة بحث فيها عن مبنى الكتاب ومخطوطه الفاتيكاني ثمَّ عن صحّة نسبتهِ الى القديس افرام ثمَّ عن مضامينهِ ثمَّ عن البحر اوزانهِ . وعقَّب المقدّمة بترجمـة المداريش فنقلها الى اللاتينيّة بامانةٍ وعبارة فصيحة معًا تنبئ باضطلاع الناقل الكريم على دقائق اللغتين سواء . وعلّق على ترجمتـهِ بعض حواشٍ ايضاحًا للتعابير العويصة او الملتبسة واشار فيها كذلك الى الآيات الكتابيّة التي قصدها المؤلف القديس في نظمهِ

ومن فضل غبطتهِ ايضًا انهُ الحق بتلك الترجمة نبذةً تتضمَّن الالفاظ اللغوية التي وردت في هذه المداريش ولا اثر لها في المعجمات السريانيّة ووضع بازائها ترجمتها اللاتينيّة

فترى من ثمَّ ما امتازت بهِ هذه الطبعة من المحاسن التي لا يشوبها سوى اغلاط خفيفة طبعيّة في اللاتينيّة يسهل على العلماء اصلاحها

*

قد بقي علينـا ان نذكر شيئًا من خواصّ هذا التأليف الافراميّ ليحيط بفوائدهِ علمًا قرّاوْنا الكرام . وان سألت اوّلًا كيف تثبت نسبة هذا الكتاب للقديس افرام وما ادرانا انها ليست لغيرهِ من كتبة السريان ولعلَّ بعضهم نسبها اليهِ زورًا

فالجواب على ذلك (اوّلًا) ان مداريش البتوليّة في مجموع يحتوي اعمالًا للقديس

افرام لا ريب في صحّتها . فليس من داعٍ للقول بان مداريش البتوليّة لغيرهِ . (ثانياً) انَّ الناسخ وهو من الربع الاوَّل من القرن السادس قد صرَّح في ختــام نسختهِ انَّ المداريش المنسوخة كلها من اقوال القديس افرام . (ثالثاً) ويثبت ذلك ما ورد من المقاطيع المتفرّقة التي في مخطوطَيْ لنــدن السابق ذكرهما وهي تُنسب هناك للقديس افرام كما في نسخة الفاتيكان . (رابعاً) ويزيد الامر ثبوتاً اذا قوبل بين انشــاء مداريش البتوليّة وبقيَّة قصائد افرام السرياني فتجدها موافقةً لها في طريقــة الكتابة والتعابير وسعة المادَّة والتفنن في التشابيه واشكال البديع وتفنيد الهراطقــة الذين ناقضهم في بقيَّة تآليفهِ من بردسانيين ومرقيونيين ومانويين وآريين الخ . (خامساً) واخيرًا قد صرَّح القديس افرام باسمهِ في ختــام مدراشين من هذه المداريش اعني الحادي عشر في الدور العاشر حيث يقــول : « انَّ اسمي افرام ولكن يكسف بالي ما ورد في نبوَّة هوشع عن هذا الاسم (يريد سبط افرائيم) » . وفي المدراش التاسع عشر افاد ايضاً انهُ وضعها وهو شيخ بالغ في السنّ

ولكن ما سبب تسمية هذه المداريش بالبتولّيَة ؟ ان نسبتها للبتوليَّة ليس لكونها تبحث عن البتوليَّة وانَّما دُعيت بهذا الاسم لانَّ المداريش الاولى منهــا مختصَّة بمحامد البتوليَّة ومفاخر العفَّــة والطهارة . وبينها قصائد عديدة في مدح السيِّد المسيح وذكر اسرار حياتهِ الالهيَّة وقيامته وفيهــا اقاويل في نينوى وتوبة اهلها على يد يونان النبيّ ومواضيع اخرى كتابيّة ودينيّة كذكر لوط وسليمان النبيّ والكنيسة والايمان وغير ذلك

وهذه المداريش كما سبق من النظم السريانيّ الذي نهج لهُ القديس افرام مناهج خاصَّة وليس في العروض السريانيَّة كما في العربية قوافٍ بروّيٍ واحد وانَّمــا لها اوزان ذات عدد معلوم من المقاطع تعود بنظــام في كلّ دور وللدور شطور يختلف عددها من الشطرين الى ١٤ شطرًا . وكذلك مقاطع الشطور تختلف من الاربعة الى الثمانية . وربَّما كانت شطور ادوار القصيدة كلها ذات خمســة او سبعة او ثمانية مقاطع وربَّما امتزجت شطور المقاطع المختلفة على قاعدة ثابتة كما بيّن الامر السيِّد البطريرك في مقدَّمتــهِ

ولهذه المداريش فوائد شتَّى فانَّها تُطرب السمع بنظمها ثمَّ تفكّه الالباب بمعانيها الشعريَّة وتفيد التاريخ في اشيــاء متعدّدة كبيان احوال السريان في زمن المؤلف في

دينهم وآدابهم وما قام بينهم من المبتدعين . ومن اعظم فوائدها تأييدها للعقائد الدينيّة الكاثوليكيّة كعقيدة الخطيئة الاصليّة وعقيدة براءة البتول منهـا في حبلها الطاهر وعقيدة ابن الله الكلمة المتجسد ذي الاقنوم الالهيّ الواحـد في الطبيعتين وكحقيقة اسرار الكنيسـة من عماد وتثبيت وتوبة وقربان مقدَّس محتوٍ لجسد ودم المسيح وكعقيدة الكنيسة الواحدة ورئاسة بطرس عليهـا وكعقيدة النعمة واتّفاقها مع حرّيّة الانسان وكاكرام الصوَر وشفاعة القديسين الذين يحصلون على السعادة حالًا بعد انتقالهم

وفيها كذلك اشارات شتّى الى عادات الكنيسة القديمـة كدهن المذبح بالزيت المقدَّس ومسح الموعوظين بالزيت وعمادهم يوم سبت النور ووضع صليب خشب ضمن جرن المعموديّة وتقبيل القربان الاقدس في القداس والانكفاف عن شرب الخمر أيّام الصـوم ومسح وجه الميت بالزيت وغير ذلك ممّا يصوّر احوال المسيحيين الاقدمين تصويرًا لطيفًا حيًّا

وكنّا نودّ ان نختم هذه النبذة بامثلة نقتطفها من هذا السفر الجليـل لولا ضيق المكان فنكتفي بذكر نُتَف قصيرة منـهُ ترغيباً للقرّاء في مطالعة الكتاب . قال في المدراش التاسع عشر عن ميلاد المسيح :

بميلادك ايها المسيح قد نشرتَ الخلائق الميّتة (بالخطيئة) اذ برزت من احشاء (مريم) الجسديّة واظهرت نفسك (للعالم) وقد برزت اوّلًا من حضن الآب بميلادك الازليّ فاخزيتَ العالم (البشرى) واني لمنذهل لكليهما حيث انَّ بك حيي الضالّون وبك أُخزي المتطرّفون بالبحث

ثمَّ اتّسع في وصف المولود الى ان قال :

انتَ المرآة الوضيئة التي وُضعت بازاء اعين الشعوب فالشعوب بها نالت عيونًا خفيّة ومنهـا اقتربت فعاينت قبح سلوكها وقرّعت نفسهـا . لا بل استعانت بهذه المرآة فرحضت آثامها واظهرت للعيون محاسنها . طوبى لمن يطهّر عيوبهُ ببهائكِ (ايتها المرآة) ويصوّر مثالكِ في نفسهِ . .

انتَ السنبلة البهيّة التي زكت بين الزوان الممقوت واشبعت الجياع دون عناء بخبز الحياة . هي هي التي حلّت اللعنة التي غُلَّ بها آدم ذاك الذي بعرقهِ اكل خبز الاوجاع والاشواك . طوبى لمن يذوق الخبز الربّاني المبارك ويزيل عن نفسهِ اللعنة

ومن اقوالهِ في بطرس الرسول في المدراش الخامس عشر:

طوباك يا سمعان بطرس فانك تمسك بيديك المفاتيح التي اصطنعها الروح القدس . ما اعظم وما اشرف الكلمة التي منحتك السلطة لتربط وتحلّ من فوق وفي اسفل . وطوبى للرعيّة التي سلّمها لك الرب . فانَّ خرافك قد نمت نموًّا عجيباً منذ نصبتَ الصليب في المياه (اشارة الى وضع الصليب

في جرن المعمودية) . . . انك قد جُعلت كراس لجسم اخوتك وكاسان لهم . . . لما رأى ابنا زبدى عرش بطرس طلبا من سيدهما ان تعطى لهما عروش مثلهُ لكنَّ هذا الوحي لم يُوحِ بهِ الاب الَّا لبطرس الذي هو الصخرة الغير المتزعزعة

فنختم هذه الامثلة بتكرار الشكر لهمَّة غبطة السيّد البطريرك الذي اظهر هذا التأليف الى حيّز الوجود بعد ان كان معرَّضًا للدثار ثمَّ نحضُّ الراغبين في مطالعة الآثار القديمة ان يقبلوا عليهِ ويلتقطوا منهُ اسنى الفوائد

التجارة في القرن التاسع عشر

نظر في تقلُّباتها ونواميسها الجديدة للاب هنري لامنس اليسوعيّ

انَّ الاختراعات العجيبة التي دوَّنها تاريخ العلوم والتي بها تمهَّدت الطريق لما هو اعظم شأنًا وارفع قدرًا ليست بالفضل الوحيد العائد على القرن المنصرم . فانَّ لهُ ايضًا اليد الطولى في تقدُّم التجارة فحوَّر النواميس التي كانت جاريةً عليها من ذي قبل . وقصدنا في هذه النبذة ان نوقف قرَّاءنا الكرام على اهمّ تلك التحويرات

واوَّل ما تأثرت بهِ التجارة فزاد رواجها انتشار الادَوات الميكانيكيَّة في عالم الشغل فان بها توفَّرت الارزاق وامتدَّت الثروة العموميَّة . وبسببها خفَّ شغل العملة المادّي حتى صار عملُهم ارقى واعقل . ومن جرَّائها خصوصًا تسهَّلت واتَّسعت المعاملات بين الشعوب كما انَّها قرَّبت الوسائل لترقّيات أُخرى عتيدة

وكانت حالة التجارة حتَّى اوائل القرن التاسع عشر اشبه بحالة الامم فانَّها كانت منزويةً معتزلةً في قطر دون آخر . وكانت كلّ دولة متشبّثةً بناموس حماية تجارتها تبالغ في صيانتها من مزاحمة جاراتها فتنشئ الحواجز المنيعة حول تخومها من دواوين وحرس كما يفعل اهل الارزاق بوضع الاسيجة المشوكة حول املاكهم . ثمَّ رأت بعد ذلك انَّ في فعلها لشططًا اذ تبعد عنها مرافق البلاد وتترك الوطن في عزلةٍ سيئة بينما التجارة تطلب التقرُّب والموالات بين الشعوب

بيد انَّ شغل الادوات كان يزداد يومًا بعد يوم حتى ان محصولات بعض البلاد كانكلترة مثلًا أَربت بعد حين على مقطوعيَّاتها وهذا ما دفع الدول الى عقد معاهدات تجاريَّة بنوها

على شروط متبادلة وتسهيلات في المعاملات والجوازات الديوانيَّة ينتفع بهما الأمتان المتعاهدتان. واوَّل عهد تجاري توثّق بين الدول انَّما كان بين فرنسة وانكلترَّة سنة ١٨٦٠ ثمَّ استحسنتهُ غيرها من الدول فجرت على موجبهِ ودخلت هذه العهود بعد ذلك في سلك المبادي التي ألفتها الشعوب في معاملاتها ونالت منها كلّ جدوى وفائدة ثمَّ أنشئت بعد حين السكك الحديديَّة وترقَّت الملاحة البخارية فزادت الحاجة الى مثل تلك المعاهدات الدوليَّة

وممَّا ساعد على توسيع نطاق المعاملات التجاريَّة عامل آخر غاية في الخطر نزيد الثقة العموميَّة بين المتاجرين (الكرديتو) فانَّها كانت قبل ذلك محصورةً في بلاد معلومة ثمَّ اتَّسعت حلقتها حتى كادت تعمُّ كلّ الدول فأُنشئت اوراق الحوالات (البوالص) والسفاتج العموميَّة وشركات المصارف والترويج ثمَّ حُسنت المعاملات الماليَّة فحصل بكل ذلك ترقٍّ عظيم في المتاجرات لم يُعرف لهُ مثال سابق. وكانت النقود في الوقت ذاتهِ تزيد وتنمو حتَّى ان المسكوكات التي كانت تبلغ سنة ١٨٠٢ نحو ٢٥٠ مليونًا من الفرنكات زادت على ذلك نحو ثلاثة اضعاف سنة ١٨٥٠ وهي اليوم تتجاوز مليارين ونصف من الفرنكات

ومن فضل هذه التحسُّنات انَّها زادت في ثروة الافراد وغنى الشعوب ورفعت أُجرة العَمَلة وحسَّنت اسباب المعاش وخفَّفت معدَّل الموتى فنتج عن كلّ ذلك نهضة في الهمم لم تُعهد سابقًا. وجرى ايضًا بين الدول التسابق التجاريّ وسعى الناس في ربح الاسواق ليفوز بعضهم على بعض وتضاعفت بهذه المجاراة حركة الاشغال وجودة الاعمال اذ لا شيء كالمزاحمة لتنشيط الهمم البشريَّة

والى السنة ١٨٧٠ لم ترَ بين الدول الاوربيَّة من يفكّر في التجارة مع الخارج الَّا الدولتين السابق ذكرهما. امَّا منذ السنة ١٨٧٠ فقامت المانية وعارضت انكلترَّة وفرنسة ولم تزل تُجاريهما في مدَّة ثلاثين سنة حتى تمكَّنت من الفوز بقصبة السبق على فرنسة وتهدّدت تجارة انكلترَّة وذلك بتوفُّر سكَّانها وترقّي صناعتها وزراعتها ومتجرها (١ ثمَّ دخلت في هذا الميدان السلميّ الدول الصغرى كسويسرة وخصوصاً بلجكة فلعبت بهِ

١) راجع كتاب تاريخ التجارة لاوكتاف نويل (Histoire du Commerce, III, 587)

دورًا مهمًا واصدرت الى الخارج المحصولات المتوفرة عندها شاكرةً لله على سقوط الحواجز القائمة في وجهها وإزالة العقبات المتعرّضة لها . فتوصّلت بعد حين الى ان استعاضت بتجارتها ما ينقصها من سعة التخوم . ومما استنهض همم الدول الاوربيّة دخول الولايات المتّحدة في حومة هذه الحرب التجاريّة مع ما لها من الاملاك الفسيحة والثروة الطائلة والترّقي الصناعي الهائل فكان ذلك باعثًا لاوربّة لتتحفّظ منها وتقتدي بمثلها

على انّ هذا التوفّر الزائد في محصولات التجارة كاد يكون خطرًا لولا سعي الدول بتحسين احوال مستعمراتها النازحة . وكانت روسيّة مدّت سلطتها الى اقاصي سيبريا فبلغت الاوقيانوس الهادئ . ثم عُرفت مجاهل افريقية وتعدّدت فيها الاستعمارات الاوربيّة فتوجّهت اليها المحصولات التجاريّة وأُنشئت فيها مراكز النفوذ لكلّ دولة . وزد على ذلك انّ الصين بل كلّ الشرق الاقصى فتح ابوابهُ للمعاملات الدوليّة فكأنّ بهِ فُتح عالم جديد لمساعي البشر لتصريف اعمالهم الصناعيّة . كيف لا والصين وحدها ينيف عدد اهلها على ٤٠٠ الف الفٍ من النفوس اعني انّها تزيد على ربع سكّان الارض . فللّه ما اوسع هذا المجال لمستقبل الصناعة والتجارة

ولكن قل لي يا رعاك الله لمن يكون السهم الأفوز في هذا الميدان ؟ لا شكّ انّ الفائز هو الذي يمكنهُ نقل محصولاتهِ بشروط اوفق واسعار اهود يرضى بها المشتري ويُقبل عليها . وان شئت فقل انّ الفوز التجاريّ في المستقبل يكون لايّ شعبٍ تتوفّر لديهِ الموادّ الاوّليّة التي عليها مبنى الصناعة والتجارة اعني الحديد والفحم الحجري ويكون مالكًا على معامل تامّة الاهبّة قديرة على العمل . ثمّ ينبغي لهذا الشعب ان توافقهُ حالتهُ السياسيّة بحيث يستطيع عمّالهُ ان يشتغلوا باجرة متهاودة . وهو شرط يزيد القيام بهِ في الدول الكبرى كلّ يوم صعوبةً لانّ مثل هذه الدول تُثقل عاتق اهلها بالضرائب وتكثر ديونها وتزيد قواها العسكريّة . وذلك بخلاف الدول الصغيرة التي لخلوّها من هذه الاثقال تقوى على مجاراة الدول الكبيرة في تجارتها . ولعلّ تلافي الاضرار الناتجة عن هذه الحالة سوف تحمل الدول على نزع السلاح وهو امر يشعر الجميع بضرورتهِ

وهاك بعض الارقام نثبتها هنا ايضاحًا لما بيّنّاهُ على وجه الاجمال من اتساع نطاق التجارة . لمّا ابتدأ القرن العشرون منذ عهد قريب كان طول السكك الحديديّة في العالم اجمع بالغًا ٤٠٢,٠٠٠ كيلومتر تنقل في السنة ثلاثة مليارات من المسافرين واكثر من

مليارَي طنّ من السِلع . وكذلك بلغت الاسلاك التلغرافيَّة البرّيَّة ١,٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر طولًا والبحريَّة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر وكادت الاسلاك التليفونيَّة تبلغ ٧٠٠,٠٠٠ كيلومتر وقد وُزنت الاسلاك التلغرافيَّة فقُدّر ثقلها بستَّة مليارات كيلوغرام . امَّا السفن التجاريَّة في العالم فتنقل ما يساوي محمول ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ برميل وقد بلغت نفقاتها خمسة عشر مليارًا من الفرنكات . فهذه الارقام تولي معتبريها الحيرة والاندهاش لكنَّها عبرةٌ محسوسة تبيّن بوضوح ترقي التجارة في عهدنا على التجارة قديمًا

ودونك ارقامًا اخرى توقفك على المزاحمة التجاريَّة بين الدول الكبرى في ترويج سلعها . تبلغ تجارة المانية الخارجيَّة (وسكَّانها ٦٠,٠٠٠,٠٠٠) ١٨ مليارًا من الفرنكات . وتجارة انكلترَّة (وسكَّانها ٤٣,٠٠٠,٠٠٠) ٢٢ مليارًا . وتجارة بلجكا (وسكانها ٧,٠٠٠,٠٠٠) ٨ مليارات فلا ينقصها الَّا نصف مليار لتساوي مجمل تجارة فرنسة . فلو قابلت الدول وساويت بين عدد سكَّانها ومبالغ تجارتها تحقَّقت انَّ السبق لبلجكة على جميعها . وانَّ لانكلترَّة المقام الثاني يقتضيها ان تزيد تجارتها الى نيّف وخمسين مليارًا لتعارض بلجكة . ومن هذا ترى بطلان قول القائلين بانَّ السبق في التجارة للبلاد البروتستانيَّة وكلّ يعلم انَّ بلجكة دولة كاثوليكيَّة . فالدين الكاثوليكيّ لا ينفي اذن الترقّي المادّي وثقوب العقل في تدبير الامور لا بل نراهُ يعوّض ما ينقص الدول الصغرى من جهة العدد ويمكّنها من مجاراة غيرها من الامم

وقد استندنا في تدوين الارقام السابقة الى كتاب نفيس الَّفهُ احد اساتذة مكتب الدروس التجاريَّة العليا في باريس اسمهُ اوكتاف نويل . وقد دعا تأليفهُ بتاريخ التجارة منذ اقدم القرون الى اَيامنا . وهاءنذا قد انجز قسمهُ الثالث والاخير (١ ومنهُ اخذنا النتائج التي استلخصناها آنفًا ومن احبَّ ان يقف على تفاصيلها المطوَّلة مع بيان اسانيدها فعليهِ بمراجعة الاصل فانهُ يجد فيهِ كلّ ما يُطلب من الأسفار العلميَّة من ادلَّة وبيّنات وخرائط ورسوم وجداول للتقاويم فانَّهُ حقيقةً من التُحف التي لا يستغني عنها كلّ من يُعنى بالدروس التجاريَّة . جزى الله خيرًا مؤلفهُ

١) واسم الكتاب :
Histoire du Commerce du Monde depuis les temps les plus reculés par **Octave Noël**. — III. Depuis la Révolution française jusqu'à la guerre franco-allemande (1870-1871), ***Paris, Plon-Nourrit*** 1906, p. 684 avec planches.

الطرُق في بعلبك وضواحيها

بقلم الاثريّ الاديب ميشال افندي الوف

غنيٌّ عن البيان ما كان لبعلبكّ من الخطارة في المدنيّة والترقي في العمران. فقد كانت في سالف العصور المدينة المقصودة في سوريّة لحسن هوائها وطيب مائها واستفحال العصبية الوثنية فيها اذ كان يؤمها كثيرون من اهل المعرفة والصناعة للعمل في ابنيتها العظيمة والوفود من الزوّار لاقامة المناسك الدينيّة فيها. تلك اسباب جعلتها في مقدّمة المدن السوريّة بالثروة وازدهار التجارة وتقدُّم الصناعة. بل أنّها وهي قائمة في ارضٍ اختصّتها الطبيعة بحسن التربة وغزارة المياه وسلّطتها على سهلٍ فسيح ترويهِ الجداول الوفيرة فيُنبت احسن الحبوب وأطيب الاثمار تحفُّهُ الجبال الشاهقة المزّينة بأحراج الارز والسرو والشربين والسنديان واللذاب والمأول آويةً اليها القطعان العديدة من الغنم والمعز حتى أنها لتلك الارض التي تدرُّ لبناً وعسلاً مفيضةً الخيرات والبركات على اهالي هـذه السهول. كل هذا وبعلبكُّ في متوسطٍ من الارض بين امّهات المدن القديمة العامرة يطوي الركبانُ المسافة منها واليها بيومين من طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا ودمشق وحمص ومعلولا ويبرود. فلا غرو أن تكون نقطةً مهمةً للمواصلات ومحطةً تتزاحم فيها القوافل وتتسابق اليها رجال الجد والاقدام واهل التجارة من سائر البلدان مصدرين منها انواع تجارتهم الى بعيد الاقطار

كل هذه اسباب تزيدنا تثبُّتاً في قِدَمية بعلبك وإن خَفِيَت عن نواظرنا اثارُ اهليها الاقدمين. فهل لم يفطن الفينيقيُّون لهذا الموقع البديع وقد كانوا رجال الكدّ والعمل والقابضين على اعنّة الاخذ والعطاء في سائر الامصار؟ لا لعمري فانَّ هذه الاسباب والاسم الفينيقي الذي نُعتت بهِ بعلبكُ لأوضح دليل على كونها من اقدم المدن وانَّ الامم الشرقيّة اتخذتها طريقاً للتجارة بين بلدانها والمدن الواقعة في وادي العاصي وعلى ضفاف الفرات. ولو لم تكن بعلبكُّ اقرب موصلٍ لهذه البلاد لاتخذت السكك الحديديّة طريقاً اخرى في غير سهلها ونفذت منهُ الى الشهباء وبلاد الفرات

*

اذًا كانت بعلبكُ في صِلةٍ دائمـةٍ مع غيرها من المدن الكبرى وكان بينها وهذه سكك عامرة مُمهّدت لتخفيف العناء . اماً الطُرُق الفينيقيَّة فلا نظن انهــا كانت غير تمهيد ما أستوعر من الارض اذ لا دليل لنا عمَّا كانت عليــهِ . ولكن في العصر الروماني لم يألُ حكام البلاد جهدًا من توثير الطرق وفرشها بالحصباء والرمل مغموسةً بالكلس حتى تقوى على عوامل الطبيعة سنين طوالًا وتحمل الى هذه المدينــة ما كانت تستلزم اعمالهم الخطيرة فيها حملهُ من معدَّات البناء ولوازم الفعلة وصنوف البضائع

بيد ان كل هــذه الطرق عفى اثرها في هذا الانحاء ولم تبقِ لها الايام رسمًا شأن كل شيء يعتورهُ الاهمال . ولكنَّ حضرة الباحث المدقق الاب هنري لامنس اليسوعي عثر على اثار الطريق الرومانيَّة « التي اصطنعوها بين جبيل وبعلبك وهي تمرّ في اعالي لبنان فوق العاقورة وهناك شِعبٌ بين جبلين تخرقهُ الطريق فتفضي الى بركة اليمُّونة ثم تتسع وتمتدُّ فتصبح من احسن السكك الجبليَّة واتقنها لكن آثارها في منعطف لبنــان الشرقي دارسة . ولعل هذه الطريق سبقت عهد الرومان وما لا مشاحَّة فيــهِ ان الرومان تولوا اصلاحها وتوسيعها كما يؤخذ ذلك من كتابــة لدوميطيانوس قيصر في آخر القرن الاول للمسيح وُجدت عند المكان المسمَّى بدرَّاجة مار سمعان » (١

فان كان وجود هذه الطريق امرًا واقعيًا نظن بانها كانت الطريق التي تقل عليها الرومان تلك العُمُد الكرانيتيَّة الكبيرة التي كانوا يأتون بها من اصوان مصر على مراكبهم فيرمونها على ساحل جبيل ثم يحملونها على عجلات متينة تجرُّها الثيران على هذه الطريق حتى بعلبك وهنا كانوا يزينون بها المعابد (٢

---

١) المشرق . السنة الثانية (ص ٤٢٩)

٢) باحثنا مؤخرًا حضرة الاب هنري لامنس في امر هــذه الطريق فوجدناهُ يشكُّ الآن بوجودها بين جبيل والعاقورة وامكان توغلها تلك الجبال الشامخة لوعورتها وشدة انحدارها وقــد رأى بان الكتابات هناك لا تشير الَّا الى حدود بعض الاراضي . ويذهب الى وجــود طريق من صور الى بعلبك مارةً في هضاب لبنان الجنوبيّ ومخترقةً سهل البقاع وانها لربما هي التي كان ينقل عليها الرومان الاعمدة الغرانيتيَّة الى هياكلهم في بعلبك

(المشرق) كان مرفأ صــور اعظم المرافئ التي تحطُّ عندها السفن فمن هناك كانوا ينقلون العواميد من جنوبي السهل مجتازين بالسكك المطروقة وليس لدينــا دليل قاطع على وجود طريق رومانيَّة في هذه الجهة من سهل البقاع (هـ . ل)

وقد اسعدنا الحظ بان عثرنا على دليل آخر للطريق الرومانيَّة التي كانت تصل بعلبك بحمص المدينــة التي كانت كما هي الآن ثغر البريَّة ومَوْرِدِ القبائل المخيّمة في تلك السهول الفسيحة المتصلة بتدمر والضاربة حتى بغداد

فاننا بينما كنّا في شهر تموز نمعن النظر في حجارة مبعثرة ومكتشفة حديثًا في ارض تدعى بتلّة الدير شرقيّ قرية جبُّولة الواقعة شمالي محطة اللبوة وعلى مسافة عشرين دقيقة منها رأينا هناك رسوماً مسيحيَّة منها بلاطة واسعة من حجر الكدان وعليها رسم صليب كبير بيزنطي ثم بضعة قطع اعمدة وقواعد وحجر كبير كأنَّهُ مقطوع من عمود قطرهُ نحو المتر ونصف ومحفور بــهِ جرن . وهناك ايضاً ابنية من حجر الكدان مغموسة بالكلس والقصرمل على شكل دائرة فارغة في وسطهـا . وبين هذه الآثار ركيزة عموديَّة طولها ١٧٠ سنتيمترًا وقطرها ٤٤ سنتيمترًا وقاعدتهُ مربعة وهي من نفس الحجر وفي اعلاه اثار كتابة لاتينيَّة محيت قصدًا لجهل حفَّارها قواعد اللغة وجُدِّد نصُّها تماماً بجانب الكتابة الممحية عبارة عن خمسة سطور طولها معاً ٤٥ سنتيمترًا وعرضها ٢٨ . واحرفهـا جميلة طول الحرف خمس سنتيمتر وهذا نص الكتابة (١ :

١ لسيِّدَيْنا فلافيوس فالاريوس	DDNNΓLVALERIO
٢ قنسطنطيوس ثم	CONSTANTIOET
٣ غالاريوس فالاريوس	GALERIOVALERIO
٤ مكسيميانوس القيصرَين	MAXIMIANOCAESS
٥ مستعمرة يوليا اوغسطا هليو بوليس	CCLIVLAVGHEL
٦ (الميل) ١٧	XVII

١) وهذه قراءة الكتابة بتمامها D(ominis) n(ostris) Fl(avio) Valerio Constantio et Galerio Valerio Maximiano Caes(aribus) . C(o)l(onia) Jul(ia) Aug(usta) Hel(iopolis) XVII هذه الكتابة كما ترى تدلّ على الحجر الميليّ السابع عشر من بعلبك وهي مكتوبة باسم القيصرين كاورس ابي قسطنطين الكبير (ويدعى باسم مرقس فلافيوس فالاريوس) وغالاريوس (ويدعى قايوس فالاريوس مكسيميانوس) وكان كلاهما شريكاً في الملك لديوكلطيانوس امَّا تاريخ الكتابة فمجهول يتراوح بين ١ آذار ٢٩٣ التي فيها نال قنسطنطيوس وغالاريوس رتبــة القياصرة و١ ايار ٣٠٥ حيث رقيا الى رتبة اوغسطوس باستعفاء ديوقلطيانوس وهذا الحجر الميلي هو الثاني من جنسهِ الذي وجد في الطريق بين بعلبكّ وحمص . وكان الاثريَّان پاردريزه وفوسّه (Perdrizet et Fossey) وجدا الاول في عرجون على بعد ثلاثة كيلومترات من تلّ ابي مندو في شماليّها الشرقي وهو من التاريخ عينه لكنَّ فيهِ اسماء اربعة قياصرة . وقد دثر في هذا الحجر اسم

فهذه الكتابة تنبئ عن بناء طريق رومانيَّة في زمن الامبراطور كلور قنسطنطيوس وشريكه في الملك غالاريوس مكسيميانوس وان في ذلك المكان كان الميل السابع عشر من مدينة هليوبوليس المشرَّفة باسم جوليا اوغسطا

فمن هذا الحجر الميلي يُستدلّ بان بنـاء هذه الطريق او تجديدها حدث بعد ان لستقل قنسطنطيوس وغالاريوس بالملك واجبر القيصر ديوقلطيانوس وشريكهما الرابع مكسيميانوس على التخلي عن العرش القيصري في نحو السنة ٣٠٥ للمسيح

ولا يبعد اذًا ان هذه الطريق كانت تمرّ في هـذه السهول الى حمص محاذيةً عن قريب نهر العاصي. ولربما كان يتشعب منها طريق اخرى الى بلاد عكار ومدينة طرابلس فقد اكّد لي بعض سكّان هذه الجهات بانهُ يشاهد في ارض تابعة لقرية راس بعلبك تدعى بارض «شوكان» اثار طريق قديمة درستها صروف الزمان حتى تكاد اثارها لا تظهر الّا في بعض الاماكن التي يشاهد فيها حجارة مرصوفة الواحدة بجانب الاخرى فكأنها حفا في تلك الطريق. وقد يُعثر من مسافة الى أُخرى بمثـل ذلك حتى الجسر القائم اليوم على العاصي تحت قرية الهرمل. ومن هناك تنساب الطريق الرومانية في السهل مقاربةً السكة السلطانيَّة المستعملة اليوم حتى تتصل بحمص

اما طريق طرابلس فلا يبعد انها بعد ان تقطع جسرُ العاصي تنفصل عن طريق حمص وتمرّ بوادي خالـد تحت قرية اكوم ثم تتناول الطريق التي كانت بين حمص وطرابلس حيث هي الآن طريق العربات. وقد ذكر لي كثيرون انـهُ لمَّا بُنيت طريق العربات هذه كان يُعثر في اقسام كثيرة منهُ على اثار الطريق الرومانية القديمة. فاذا تحقق والحالة هذه وجود الطريق الرومانية بين بعلبك وطرابلس نرجح بانها كانت هي الطريق التي استعملها الرومان لارسال العمد الغرانيتية من هذه الميناء البحرية الى مدينـة الشمس. فانها لأقرب لبعلبك وأسهل من طريقٍ يُفترَض امتدادها من صيداء.

بعلبكّ وعدد الحجر. وقد وجد حضرة الاب س. رنزفال حجر ميلًا ثالثًا على مسافة ميل واحد من تلّ نبي مندو في شرقهِ مع ميلة الى شمالهِ الشرقيّ

واعلم انَّ في هذه الكتابة قد ضُوعفت بعض الحروف كالحروف D و N و S وهذا موافق لقواعـد الكتابات الرومانيَّة الاثريَّة التي يضاعف في الفاظها الحرف الهجائي الاخير او يثلّث او يربّع على حسب عدد الاشخاص المذكورين فلمّا كان الكلام هنـا عن سيّدين وقيصرين ضوعفت الحروف D و N و S

دير الزّور

لمعة في تاريخها ووصف احوالها

بقلم جناب الاديب عبد الكريم نوري استاذ اللغة الفرنسويَّة سابقاً بلواء دير الزور

ان دير الزَور (بفتح الزاي مصدر زارَ يزور زيارةً وزَوراً) بلدة موقعها على شاطئ نهر الفرات العظيم في الجانب الجنوبي منهُ يحدّها جنوباً برّ الشام وشمالاً ديار بكر وماردين وشرقاً الموصل وبغداد وغرباً حلب

ومن البيّن ان هذه البلدة لَعريقة في القدم ويستدلّ على ذلك مما يظهر فيها وفي أنحائها من العاديات والآثار القديمة العهد والتاريخ . فقد كانت اول امرها ديراً لنسّاك انقطعوا الى عبادة الله تحت قيادة رئيس لهم يدعى سرجيوس وذلك في عهد القياصرة الرومانيين ولكثرة ما احرزهُ ذلك الدير من الشهرة الطائلة اخذت الناس من كل صوب وحدب تتهافت على زيارتهِ افواجاً فغلب اسم الزَّور عليهِ ونُعتت البلدة بهِ من باب تسمية الكل باسم جزئهِ . وقد عُرفت هذه البلد قديماً بغير هذا الاسم كدير الشعّار ودير العصافير وغيرهما ممّا هو محفوظ عند اهل الشام والعراق الى يومنا هذا

نظر في تاريخها

ولمّا تولّى عمر بن الخطاب امر الخلافة الاسلاميَّة سنة ١٥ هـ (٦٣٧م) بعد أبي بكر الصديق بعث خالد بن الوليد بعدد عديد من المقاتلين الى بلاد سوريَّة وما بين النهرين ليفتتحها فسار خالد بمن معهُ وتوغّل في البلاد السوريَّة فافتتحها عنوةً وبعد فراغه من افتتاح حلب والاستيلاء على حصنها المنيع في عهد صاحبها يوحنا سار يريدُ بلاد ما بين النهرين فمرَّ في مسيرهِ بدير الزور فاستولى عليها واهلُها يومئذٍ على دين النصرانيَّة واليهوديَّة امَّا دير النسّاك فخرب وأُقيم في مكانهِ مصلّى ويعرف في يومنا هذا بالجامع العمري ثم شخص منها خالد غازيًا الى بلاد ما بين النهرين

واخذ المسلمون منذ ذلك العهد يتواردون اليها زرافاتٍ من العراق وغيرها من الامصار السحيقة لحسن موقعها الجامع بين جودة الهواء وغزارة المياه ولا سيما أولي الاملاك والمواشي منهم ابتغاء لكثرة أريافها وانتجاعاً لمراعي ابلهم منها . اما المسيحيون فتصدّع شملهم شيئاً وشيئاً ومنهم من دان بالاسلام

وكان يتولى تدبير القوم الشيوخ منهم تارةً وطوراً مشايخ القبـائل الراحلة من مثل الموالي والعقيدات وغيرهم من الغزاة المنتشرين في بقاعها فيستوفون منهم الجزية دون قاعدة راهنة ومكثوا على تلك الحال الى السنة ١٢٨٠ هجريّة حيث قدم البلدة من الاستانة السردار اكرم عمر باشا شاخصاً منها الى بغداد حيث أُقيم عليها والياً . فلمّا رأى اهلها وما هم عليهِ من الاحوال لا ينتظم لهم امر بالحكم اقام عليهم ضابطاً مع نفر من الجند ليقوموا بامر تدبيرهم وتركهم ونحا نحو بغداد وأعلم بما كان ولاية حلب التي كان متقلداً زمام رعايتها يوم ذاك ثريّا باشا. فلمّا كانت سنة ١٢٨١ اقبـل ثريّا باشا وفي صحبتهِ قائم مقام عسكريّة حلب عمر باشا وعدد غير يسير من العسكر فوكل ادارة شؤونهم الى عمر باشا ريثما يتسنّى لهُ تعيين قائم مقام عليهم وانكفأ عائداً الى حلب

اما عمر باشا هذا فقد ابدى في وكالتهِ من الهمّة وشدّة الحزم والعزم ما خلّد لهُ ذكراً في قلوب الاهلين طرّاً ويُعرف عندهم بابي منقور سمّي بذلك لنقرةٍ كانت في أنفهِ . ولكن لم يطل عهد وكالتهِ ستة اشهر حتى تعيَّن خليل بك قائم مقام على الزور للمرة الاولى وذلك سنة ١٢٨٢ فلم تكد تستقرّ لهُ قدم في الزور حتى أخذ يصرف أقصى ما يجد اليهِ السبيل من الجد والجهد فيما ينهض القضاء ويعزّز شأنه فكان اول ما همّ بهِ وعوّل عليهِ انشاء دار للحكومة السنية للمرة الاولى في موقعهـا الحالي وتشييد ثكنةٍ ومستشفى للعساكر الشاهانيّة ولم يمضِ على حكمهِ حول حتى تعيَّن بمكانه سنة ١٢٨٣ احمد حلمي افندي فقام هذا بمهمّتهِ زهاء ستة اشهر بما بهِ من النشاط والهمّة وفي منتصف السنة نفسها وليه في القضاء عثمان افندي فبعد ان ساسهُ نحواً من سنتين أُحيل القضاء الى لواء فأُقيم عليهِ متصرّفاً لاوّل دفعة حسني باشا سنة ١٢٨٥ فقضى هذا نحبهُ في الزور لستة اشهرٍ مضت من متصرفيتهِ وعقبهُ في الحكم من السنة عينها ارسلان باشا فجاء هذا وجعل يسعى جهدهُ في تنظيم شؤون اللواء وتوثيق الاهلين بعرى الطاعة للدولة العليّة بهمّة واقدام لا يعرفان الكلال حتى اذا اجتمع لهُ ما أراد من أمرهِ سار يُريد مَن حولهُ من القبائل الراحلة من مثل الجبور والعقيدات وشمّر وعنزة والموالي وغيرهم من الغزاة المنتشرين في ربوع الزور فذلّلهم وخضد من شوكتهم حتى كانوا لهُ أطوع من تولب فعـاد منهم بغنائم وافرة واستولى بعد ذلك على كثير من القرى والضواحي المطيفة بالزور وجعل العاشرة والدقة منهما مركزي قائمقامية والحقهما باللواء ثم وافتهُ

منيّتهُ لسنتين من حكمهِ واخذت النصارى في عهدهِ تتسرّب الى الزور

ثم خلف هذا عمرُ باشا سنة ١٢٨٧ لم يكن اقلّ من سالفه غيرةً واقداماً فانهُ لمّا رأى ان قد استتبّت الراحة وقرّ الامن في نصابه اخـذ يصرف النظر الى ما من شأنهِ ان يرقي اللواء في مراقي النجاح والفلاح فكان ممّا فكر فيهِ وعزم عليهِ انشاؤه مكتباً رشدياً لتهذيب احداث الوطن وتخريجهم في المعارف والآداب ثم اقامتـهُ مستشفىً وثكنة للعساكر الشاهانيّة ومتنزّهاً عمومياً الى غير ذلك مما لا يزال الى يومنا هذا يثني على الهمّة العُمَريّة ما بقي لهُ معلم على وجه الغبراء ولم يحدث شيء من التغيير مع تقادم عهده سوى المكتب الرشدي فانـهُ في الحول المتخرّم جُدّد بناؤهُ على طرزٍ بديع الهندسة واسع الارجاء بهمّة سعادة متصرفنا الحاليّ الافخم

ثم تولّى الحكم بعد هذا قاسم باشا عام ١٢٩١ وتخلّى عن منصبهِ لنحو سنتين من حكمهِ فعقبهُ في المتصرفيّة حسين باشا الحلبي سنـة ١٢٩٣ فبعد ان ساس اللواء نحوًا من سنةٍ او تزيد أعرب فيهـا عن غيرة واقدام تولى الحكم من بعدهِ علي باشا الشريف زهاء ثلاث سنين وقد كان لواء الزوار فيما مضى تابعاً لولاية حلب فلمّا عُهد امره الى حسن باشا الفريق سنـة ١٢٩٧ انفصل اللواء المذكور بنفسهِ واخذ يرجع في الامور الى الاستانة العليّة توًّا وجعل في حكم الالوية المستقلّة وهو لا يزال كذلك الى يومنا هذا

ثم أُقيم خلفاً لحسن باشا هذا محمد رشيد باشا سنة ١٢٩٩ وغب مرور سنـة من حكمهِ قام بامر اللواء محمد رشيد باشا سنة ١٣٠٠ ولم يكد يتمّ السنة حتى وليهُ في المتصرفيّة يوسف طالع باشا سنة ١٣٠١ ثم عقب هذا الاخير ابراهيم باشا لستة اشهر مضت من متصرفيّتهِ فجاء هذا وجعل يفرغ كنانة جهـده في نشر العلوم وتوسيع نطاقها في اللواء علماً منهُ بانها باعثٌ عظيم على عمران اللواء وارتقاء اهاليهِ في سلّم الحضارة والتمدن ولذلك عمد الى تشييد مكتبين صناعي واناثي واحدث في غير ذلك من المكاتب الانشاءات الخطيرة تعميماً لفائدة العموم وكان فيما قبل كلفاً بالعلوم مولعاً بحفظها ولكن لم يطل عهد حكمهِ سوى سنتين

فلمّا كان عام ١٣٠٣ خلفهُ في المتصرفيّة احمد توفيق باشا فساس هذا اللواء زهاء خمس سنين بحكمة واقدام وفي عهدهِ جرى سيل نهر الفرات العظيم فطغى وبغى حتى

غدا النهر بقسميهِ الصغير والكبير نهرًا واحدًا على ما بينهما من بُعد الشقّة فكان يخال للناظر اليهِ بحرًا عرمرمًا واحتمل من السوامّ والبيوت شيئًا كثيرًا وذهب عدد غير يسير من الناس فريسةً لهُ. هذا فضلًا عما نالتهُ بهِ الاهلون من المضار بسبب هلاك الزرع وفيما أتلف وأخرب دار الحكومة السنيّة والجسر المقـام على القسم الاصغر من نهر الفرات فابتدر سعادة المتصرف المشار اليهِ تجديدهما بهمّة واقدام لا يشوبهما ملل فما كانت الّا بضعة اشهر حتى جاءا على احسن ما يرام من جودة الهندسة والمتانـة ويُعرف ذلك الفيض عند الاهلين بالطامّة

ثم تولّى الحكم بعد هذا حافظ باشا سنة ١٣٠٧ وسعى ايام متصرفيتهِ في تمديد السلك البرقي من حلب الشهبـاء الى اللواء تيسيرًا للمراسلات الرسميّة والشؤون التجاريّة فصدرت الارادة السنيّة آذنة بذلك وتمّ امتداده في عهد خلفه عطوفتلو صالح باشا الذي خلفهُ في المتصرفيّة لستة اشهر خلت من حكمهِ لمكان تسميته واليًا للبصرة. وكان هذا الاخير مشهودًا لـهُ بحسن الراي والتدبير يُحسن السياسة في الرعيّة ولمّا عُيّن لأن يكون واليًا للموصل عهدَ أمرَ ادارة اللواء الى مصطفى رقي باشا سنـة ١٣١١ ولكن لم يطل عهد حكمه سنة حتى قام بامر اللواء من بعدهِ عطوفتلو اسماعيل زهدي بك. وكان هذا وزيرًا هماماً وحاكمًا مقدامًا قصارى بغيتهِ انتشار العلوم والمعارف يؤثر العناء والنصب على الراحة والدعة ارادة تحسين شؤون اللواء وتقدمهُ ما استطاع الى ذلك سبيلًا ولم يكن يعدله أحد ممّن مضى قبلـهُ من الحكام حكمةً وذكاء وسعة مدارك واقترح انشاءات جليلة تُذكر فتُشكر منهـا المستشفى الحميدي البلدي البديع الهندام فقد مضى على تشييدهِ نحو من ثماني سنين وهو يؤدّي خدَمًا جليلةً للوطن ومنها الجامع الحميدي القريب في هندستهِ ثمّ انشـاؤه في النواحي والقرى التابعة للواء من المكاتب الابتدائيّة ما ينيف على العشرين عدًا الى غير ذلك مما لا يسعنا حصرهُ ما خلّد لهُ ذكرًا معطرًا بالثناء الجميل

ولمّا كانت سنة ١٣١٥ تولّى امر اللواء احمد شكري باشا وعقب ان ساسهُ نحوًا من ثلاث سنين وافاه حمامهُ فيـهِ فنصب بمكانهِ عطوفتلو احمد رشيد باشا متصرفنا الحالي الافخم لا زالت ايام حكمهِ مقرونـة بنواصي التوفيق والاقبال. وكان لوفودهِ الكريم في ظلّ الحضرة العلية السلطانية احسن وقع في نفوس الاهلين لما عهـد بهِ

من الحكمة وسداد الراي وعلو الهمّة وقد حقق اماني الرعية فيـه بما يريها في كل آن من الاعمال الخطيرة وما يبذلهُ من السعي والجدّ في جنب مصلحتهـا وتقدم اللواء في معارج الفلاح ولهُ من المآثر الغرَّاء ما من شأنها ان تخلد لـهُ في بطون الاوراق ذكرًا مقلّدًا بقلائد الشكر من ذلك استئنافه بناء المكتب الرشدي على نمط لم يُسبق لهُ مثال من الهندسة ودقة النظام كما سبقت الاشارة الى ذلك ثم تشييـدهُ دارًا للمتصرفيَّة جاء على احسن منوال من حسن الموقع وزخرف البناء هذا فضلًا عمَّا ينفقهُ من السعي والاقدام في انجاز بنـاء الجسر المقام على القسم الاعظم من نهر الفرات الى غير ذلك مما يبذلهُ من النفس والنفيس في سبيل عمران اللواء وتوفير اسبـاب رفاهيتهِ مظهرًا للعدل والنزاهة طبقًا لرغائب صاحب السلطنة العظمى

٢ وصفهـا

هذا وممَّا لا مغالاة فيهِ ان موقع دير الزور من احسن المواقع وقلّما شُوهدت بلدة فازت من محاسن الطبيعة بمثل ما فازتهُ الزور من نهر عظيم قد اعترض امامها في الجهة الشماليَّة منها فاشرفت عليهِ ومن امامهِ البساتين الغنَّاء والرياض الفيحاء هي أشبه شيء بتاج سندسي قد كلّلهُ ذلك النهر ومن سهول رحبة ووديان خضرة نضرة قد انبسطت في الجهة الجنوبية منها كانها بسط من الزمرُّد فقـام من ورائها الجبل المعروف عندنا بالجبل الاسود على مثال سور يقيهـا هجمات العدوّ الى غير ذلك من المناظر الشائقة والمشاهد الرائقة التي من شأنها ان تستلفت برونقها الابصار وتأخذ محاسنها بالانظار

ثم ان للزور كما لغيرها من البلاد المتوغلة في القدم بلدتين قديمة وحديثة . امَّا القديمة فواقعـةٌ الى شمال الحديثة وهي تخالُ لناظرها عن بعد كركام خرابات تعلو بعضها فوق بعض على شكل درج . فازقّة هـذه وشوارعها هي بمكان من الحرج والضيق ويكاد السائر يضلّ فيها لمكان ازدحامها واعوجاج معابرها وتكاثر فيها الاقذار والاوساخ التي كثيرًا ما تكون باعثًا تنبعث عنـهُ الادواء المضرَّة بصحة الاهلين ولا سيَّما في حمارَّة القيظ اذ تغلب فيها الوخامة ومع تعدّد دورها لا تكاد تشاهد فيها دارًا منتظمة الَّا ما ندر وقلّ مما لا يجاوز عدد الانامل

اما بنايات البلدة الحديثة ومنازلها فهي من النظام والترتيب بحيث تريد الَّا النادر منها واكثرها توفي على النهر والحدائق الفيحاء والاشجار اللمياء وفيها كثير من الجوادّ

العمومية اما اعظمها فهي الجادَّة التي تشقّ البلدة ويأخذ حدّها من الثكنة العسكرية حتى ينتهي الى الحي المعروف بجيّ شيخ ياسين فنها تتشعَّب واليها تفضي بقيّة الدروب وقد كان المسير فيها قبلًا شاقًا لكثرة غبارها الذي كان تكاد الاقدام تغيب فيهِ الّا ان البلدية جزاها الله خيرًا قد عُنيت هذه السنة بتمهيدها وتحصيبها حتى جاءت وافية بالمرام وزد على ذلك انهـا قد فرشت على جانبيها النحيت من الآجرّ على ارتفاع ربع متر في عرض مترٍ ونصف متر في الغالب حتى غدا الممرّ فيها سهلًا هيّن المراس وقد فعلت ذلك في كثير من طرق الاحيـاء. ومن بديع انتظامها ان الاسواق التي تبلغ الثماني عدًا قد تخلَّلت هذه البلدة وهي على ادقّ نسق ونظام تأخذ بعضها باعناق بعض تنتظم بلبَّتها دار الحكومة السنيَّة المُحكمة المبنى انتظام العقود في نحور الكواعب. ولدار الحكومة هذه اربعة مداخل من الجهات الاربع فالاثير فيها هو النافذ الى الاسواق وهو على أبدع شكل قد قامت من فوقهِ الطغراء الحميدية مكتوبة باحرف ذهبيَّة على احسن أُسلوب يأخذ بمجامع الفؤاد وفي هذه الدار من الردهات الرحبة والأَبهاء المتَّسعة ما لا سبيل الى ذكرهِ وهي على اتمّ ترتيب يُطلّ اكثرها على النهر والحدائق النضرة والاشجار الغضَّة وغير ذلك من المشاهد الشائقة

امَّا اسواق هذه البلدة فحافلةٌ باصناف البضاعة وزد على ذلك أنهـا قد غدت موردًا تجاريًّا لكثير من بلاد برّ الشام اذ فيها ما ليس في غيرها من انواع التجارة التي تحمل منها الى تلك الأَمصار كالسمن والصوف والسمسم والمواشي وغير ذلك ممَّا هي غنيَّةٌ بهِ. بيد ان ما قد زادها رونقًا واتَّسعت بهِ احوالها توسّطها بين البلاد العامرة من مثل حلب والشام والموصل وبغداد وقربها منها فهي على مسيرة ثمانية اَيام من كل منها او تزيد ومفاد ذلك ما هي عليهِ من الارتباط المحكم بعلائق التجارة مع تلك البلاد المارّ ذكرها ولا يخفى على احد ما في ذلك من عظم النفع ما يُنبئها بمستقبل باهر

على ان صناعتها ليست باقلّ رواج من تجارتها اذ يجد فيها المرء من الصنائع ما هو في حاجة اليهِ لمرافق الحياة وهي وان كانت الآن في حاجة الى غيرها من الصنائع زيادةً في رونقها بيدَ ان ذلك لا يمنعها من التقدم في المستقبل اذا قوبل بين ما هي عليهِ الان وما كانت عليهِ منذ بضع سنوات حيث لم يكن يجد المرء منها ما يسدّ بهِ خلَّتهُ

اما زراعتها فمن احسنِ الزراعات لجودة تربتها وغزارة مياهها على انك قلّما تجد بلدةً

حوت من سعة الاراضي الصالحة للزراعة ورحابتها ما حوتهُ الزور. وهذه الاراضي يسقيها نهران عظيمان نهر الفرات والخابور. اما الاخير فمصدرهُ من رأس العين وهو اسمٌ لقضاء لاحق بلواء الزور على مسيرة اربعة ايام منهُ ومصبّ هذا النهر في البصيرة وهي ناحية داخلة في حكم اللواء المذكور تبعد عنـــهُ زهاء خمس ساعات وكانت تُعرف قديمًا باسم قرقيسياء. وتوغل هذه البلدة في القدم مما لا يجهلهُ من وقف على تاريخها واستطلع طلعة خبرها. هذا وقد بُنيَ في جوف نهر الخابور السابق ذكرهُ من السكور الشاهقة ما لا احصاء لعدّهِ قد قامت من فوقها الأرحاء لسقي تلك الاراضي الواسعة لكنَّ اكثرها لا يزال قفرًا يبابًا على خصبها وان لنا من وثيق الامل انها ستعود الى عمرانها بممرّ خط قونية الكبير بهــا فتكون زاهيةً بالخيرات مأهولة بأهلها ويمهدّ ذلك للاهلين سبيل السعادة والفلاح بفضل الحضرة السلطانيَّة العليَّة على رعاياها في تلك الامصار

على ان اللواء المذكور كان يضمّ تحت سلطتهِ في اوَّل امرهِ من الاقضية ما يناهز العشرة عدًا فضلًا عن المديريّات او النواحي واليـــوم يملك من الاقضية ثلاثة فقط وهي رأس العين والعشارة والبوكمال. ومن النواحي اربع وهي تدمر والسبخة وكوكب والبصيرة

على انَّ العشائر اللاحقة بالاقضية والنواحي الملمع اليها هم في الغالب من ارباب الزراعة والفلاحة لا يشغلهم عنهــا شاغل الّا متى طرأ عليهم طارئ سيل نهر الفرات فيصرفون عنهــا حينًا من الزمن. ولسيل الفرات هذا زمن مضروب في بحر السنـــة مبدأُهُ من غرة أيار حتى اذا كان آخر شهر حزيران يرجع من ثمَّ الى ما كان عليـــهِ سابقًا من النظام الطبيعي في المجرى ولقد ينجم عن سيلهِ في بعض الاحيان من المضارّ في الزرع اذا اشتدّت وطأتـــهُ وقويت شوكتهُ كما لا يخلو توسّطهُ في الامر من المنافع حيث لا يرجع القهقرى الّا وقد نالت الارض منهُ حظًا وافيًا من الريّ فتدخل اذ ذاك في طور جديد من الطراءة واللدونة ويذهب بعض المؤنة والعنـــاء عن الفلاح الذي يعاني في سبيل سقيهـــا بالدلاء ما يعاني فتبارك الله من خالقٍ حكيم

هذا وان اللواء يحتوي من النفوس مع ملحقاتهِ على نحو مائة الف ما خلا القبائل الراحلة فاولئك يبلغون الستين الفًا او يزيدون. امًا مركز اللواء فلا يتجاوز عدد سكانهِ الخمســة عشر الفًا وهم مسلمون في الغالب وفيهم من النصارى ما يبلغون الثلاثمائة

تقس بين سريان وارمن وكلدان وروم · وفي اللواء من الجوامع خمسة ومن الكنائس اثنتان للسريان والارمن (١ واماً من المكاتب ففيهِ ثلاثة اثنان منها ابتدائي والآخر رشدي فيُدرّس في هذا الاخير من اللغات اربع التركية والعربية والفارسيَّة والافرنسية · بيد ان هذه الاخيرة قد أُدخلت من نحو سنتين في سلك اللغات بهمّة عطوفة متصرفنا الحاليّ الافخم ذلك ليكون منها إلمام لمن يتسنَّى لـهُ الدخول ترفيعاً في المكاتب الاعداديّة في الولايات العظمى من مثل حلب والشام وبغداد وغيرها بعد ان يكون قد انجز دروسهُ في المكتب الرشدي وحاز الشهادة المؤذنة بذلك وهو إنعام نالهُ اللواء منذ عهـد غير يسير من لدن نظارة المعارف الجليلة أيدها الله · وقد تخرَّج في مكتب اللواء هذا عدد لا يحصى عديدهُ من الشبَّان شُهد لبعضهم بطول الباع وسعة الاطلاع في اللغات الثلاث الاولى فمن هؤلاء من انخرط في سلك مناصب الحكومة السنيَّة ومنهم من تقلّب في غير ذلك من الوظائف لا زال اللواء راقياً مراقي النجاح والفلاح في ظل صاحب الشوكة والقدرة مولانا وسلطاننا الاعظم أيدهُ الله بالنصر المبين وخلَّد ملكهُ ما ذرّ بدرٌ وطلع قمر يمنهِ وكرمهِ ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

PAUL ALLARD : **Dix leçons sur le Martyre**, Paris, Lecoffre 1905. In-16° XXX-874 pages.

عشرة دروس في شهداء النصرانيّة

لمَّا ارسـل السيّد المسيح تلاميذهُ الى العالم ليبشّروا باسمهِ صرَّح لهم قائلاً (اعمـال ١ : ٨) : « ستكونون لي شهودًا في اورشليم وجميع اليهوديَّة وفي السامرة والى اقصى الارض» وقد دعاهم بهذه آية ليس فقط الى اعمال الرسالة والتبشير بل الى تضحية نفوسهم لاجل اسمهِ · فاستشهد الحواريون وبذلوا حياتهم دون سيّدهم وتبعهم النصارى في كلّ قرن وماتوا بطيب القلب في سبيل ايمانهم · ولو عدَّ شهداء الدين المسيحيّ لبلغوا ألوف الالوف · وممَّن كتبوا في هذه الازمنة الاخيرة اخبـار الشهداء احد اساتذة

١) وفي رحلة الدكتور البارون فون اوپنهيم (Von Mittelmeer z. pers. Gulf, I,332) المدينة انَّ عدد المسلمين من ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ وعدد النصارى ٧٠٠ (المشرق)

المكتب الكاثوليكي في باريس اسمهُ بولس ألارد (P. Allard) لـهُ في مجلّدات عديدة تاريخ اضطهادات القياصرة في قرون النصرانيَّة الاولى مستندًا فيها الى كتابات القدماء من وثنيين ونصارى والى الآثار والعاديَّات المكتشفة في دياميس رومية فجاءت تآليف اصحّ واضبط ما كُتب في هذا الشأن . وقد استلخص المؤلف بنفسهِ ما كتبهُ في مصنَّفاتهِ المتفرّقة فجعلهُ على شكل خُطب القاها في شتاء سنـة ١٩٠٥ امام نخبةٍ من اعيان باريس وعلمائها وهي عشرٌ عدًّا افتتحها بنظر عموميّ في انتشار النصرانيَّة العجيب على يد تلامذة المسيح الذين اشهروا الحرب على اصنام الامم فقـام الوثنيُّون للدفاع عنها ومدّة مئتين وخمسين سنة بنيّف لم يزالوا يضطهدون النصارى في كلّ انحاء العالم الرومانيّ واتّخذوا كلّ الوسائل الممكنة ليستأصلوا شأفة الدين الجديد فطاش سهمهم فالمسيو ألارد في كتابهِ قد اعمل النظر في هذه الاضطهادات ليس كمؤرخ بل كفيلسوف فبحث اوَّلًا عن القوانين التي سنَّها القياصرة مرّةً بعد اخرى لمصادرة النصارى ثمَّ اردف ذلك بتعريف المضطهدين ثم بتعريف ضحاياهم . ثم بوصف الدعاوي المقامة على الشهداء ثمَّ ببيان اصناف العذابات التي صُودروا بها من سيف ونار والقاء للسباع وتسمير على الصليب الى غير ذلك من المحن التي اوحى بهـا الابالسة لإبادة دين الحقّ . وقد ختم الكاتب العالم هذه الفصول بدرس أخير بيَّن فيـهِ انتصار الشهداء على مضطهديهم بما جرى لهم بعد وفاتهم من المجد والاكرام فأُقيمت على اسمهم المعابد وصارت ذخائرهم معظَّمةً كاعضاء اولياء الله وعبادهِ الكرام فجازاهم احسن جزاء على صبرهم حتَّى في هذا العالم . ومن النتائج التي استنتجها المؤلف انَّ موت الشهداء وحدهُ لكافٍ للدلالة على سموّ دين اصحابهِ وصدق تعاليمهِ اذ لولا ذلك لما استطاعوا احتمال كلّ هذه المحن لديانة باطلة ل . ج

كلمة شاعر في وصف خطب نادر

نظم الشـاعر الناثر امين ظاهر خيرالله

طُبعت في نيويرك بمطبعة جريدة مرآة الغرب سنـة ١٩٠٦

كان صاحب هذا الكتاب يتحفنا وهو في بيروت حينًا بعـد آخر بتآليف حسنة ومقالات يثني قرّاؤها على مضامينها وحسن سبكها وسلامة ذوق كاتبها . وها هوذا اليوم قد اطلق في اعركة العنان لقلمهِ فأتى باعمالٍ اخرى ليست دون السابقة في شيء .

منهـا هذا التأليف الحديث الذي وضعهُ في نكبة صُدعت القلوب بانتشار خبرها نريد زلزال مدينـة سان فرنسيسكو الذي دهم احدى حواضر العالم فكاد يجعلها قاعًا صفصفًا (راجع مقالـة الاب كولنجت في هذا المصاب في المشرق ٩: ٤٨٥) فلا بدع ان تكون هذه الفاجعة شحذت قريحة احد شعرائنا فنظم فيها عقودًا غوالي تتحلّى بها جيأد الآداب. لكنَّ صاحبها الاديب لم يشأ ان يسلك في ذلك المسالك المطروقة بل تفنن في اوصافهِ ايَّ تفنن ليستنزف الدموع على من مُنوا بهذا المصـاب. وقد استعان لبلوغ غايته بذكر الحقائق العلميَّة والعلوم العصريَّة وما هو افضل من ذلك انَّهُ استقى من موارد الكتاب المقدَّس الغزيرة وتمثَّل بحوادثهِ فكان لكلامهِ احسن وقع في القلوب لما في آيات الوحي من بلاغة المعاني وسموّ الخواطر. وقد بلغت شذور هذا الديوان ٢١٠ شذرة تتالَّف الشذرة من اربعة ابيات وترى بين الشذرة والشذرة علاقة فكاني بهـا السلسلة الذهبيَّة لا ينتقل القارئ من احدى حلقاتها حتى يرى في شقيقتها ما هو احسن وأطلى. ومما يزيد فضل منشئها انهُ وضعها في وقت قليل لا يتجاوز بضعة اشهر. فنشكر جناب المؤلف على ديوانهِ ونضاعف شكرنا على ما ضمَّنهُ من التعاليم الادبيَّة والدينيَّة معًا ونحضُّ محبّي النظم الرائق الخالي من التعقيد على اقتناء هذا الكتاب ل. ش

شذرات

قبَّة الجامع الامويّ كانت الذات الشاهانيَّة رخَّصت لبعض علماء الالمان ان يفحصوا في دمشق ما تحويهِ قبَّة الجامع الامويّ من المخطوطات على رقّ الغزال. فخصَّ العلَّامة ڤيوله (H. Violet) اشهرًا في مراجعة هذه الآثار المنثورة ثمَّ طبع منها مقاطيع نفيسة ألمعنا اليها سابقًا. واليوم قد وقفنا على قائمة هذه المخطوطات ومضامينها للعلَّامة فون سودن. وجد بينهـا (اوَّلًا) بعض قطع لاتينيَّة من القرن العاشر منها رسالة لبغدوين الرابع وجَّهها من اورشليم الى بعض التجار. ومنها كتابات طقسيَّة تصاوير ملوَّنة غاية في الحسن. (ثانيًا) بعض شذرات منظومة في الفرنسويَّة القديمة من جملتها قصَّة مريم المصريَّة وخبر ميلاد المسيح وقصائد فيرابراس Fierabras (ثالثًا) قطع عبرانيَّة من صكوك ورسائل وعهود. (رابعًا) نُتَف سامريَّة بينها تقويم للسنـة وفصول من الكتاب المقدَّس. (خامسًا) اوراق ارمنيَّة اكثرها دينيَّة كمزامير

وصلوات ومیامر وسیر قدیسین وادبیّات ترتقي الى ما وراء القرن العاشر . (سادساً) قطع في اللغة الكرجيّة لم تُقرأ بعد . (سابعاً) صحائف قبطيّة منقولة عن الكتب المقدسة تاريخها القرن الحادي عشر . (ثامناً) عدّة مقاطيع سريانيّة من الترجمة البسيطة والطقوس . (تاسعاً) قطع عديدة يونانيّة من القرن السادس الى الثامن بينها اوراق دينيّة وادبيّة شتّى . من جملتها مزامير عربيّة كتبت بحرف يونانيّ سبق لنا وصفها مع اقوال من كتبة اليونان وشعرائهم . (عاشراً) صفائح من اللغة الآراميّة الفلسطينيّة منقولة من كتب العهد القديم ومن الاناجيل ومن رسائل القديس بولس بينها قطعة منسوبة لهُ ليس لها ثانٍ من شكلها

اسئلة واجوبة

س سأل مستفيد من اهل البلدة انَّ القاعدة الايمانيّة عند النصارى انَّ الآب والابن والروح القدس متساوون بالجوهر والازليّة والعلم وهلمّ جرّاً ولقد جاء في انجيل مرقس (١٣ : ٣٢) انَّ الساعة لا يعلم بها احد ولا الابن الّا الآب . وجاء في يوحنّا (١٢ : ٤٤) انَّ الذي يؤمن بيسوع ليس يؤمن بهِ بل بالذي ارسلهُ . وكذا جاء فيهِ (٥ : ١٩) انَّ الابن لا يقدر ان يعمل شيئاً من نفسهِ الّا ما ينظر الآب يعملهُ . وفيهِ (٧ : ١٧) انَّ تعليمهُ ليس لهُ بل للذي ارسلهُ . وفيهِ (٧ : ٤٠) انهُ انسان كلّمهم بالحقّ الذي سمعهُ من الله . فكيف يثبت مع هذه الاقوال لاهوت المسيح وهو يصرّح انهُ مرسل يدعو الى الاله الواحد وانَّ ليس لهُ من الأمر شيء وان الله يعلم ما لا يعلمهُ وانهُ انسان

لاهوت المسيح

ج نجيب على هذه الاسئلة عموماً بانَّ هذه المشاكل تُحلّ على وجهٍ مرضٍ ان اعتبرتَ (اولًا) انَّ للمسيح طبيعتين الهيّة وبشرية فينسب تارةً للواحدة ما لا يصحُّ في الاخرى . (ثانياً) انَّ رسالة المسيح يجوز نسبتها للابن كاله وانسان معاً وهي لا تخلُّ بشرف اللاهوت ان نُسبت للابن كاله لانّ الرسالة تكون ايضاً بين اشخاصٍ متساوين بالسلطة . فهب ان ملكين يتّفقان على انّ احدهما يتوجّه الى عملٍ فيمكنهُ القول انَّ الآخر ارسلهُ دون ان يكون في ذلك نقصٌ في رتبتهِ . (ثالثاً) انَّ المسيح من حيث هو مُرسَل امكنهُ ان ينفي عن نفسهِ اموراً لا لكونهِ خالياً منها بل دلالةً على انَّهُ ليس لها علاقة مع رسالتهِ وليس بمفوّض لتبليغها للبشر فمن هذا القبيل قولهُ بانَّ الساعة لا يعلم بها احد ولا الابن . فالابن وان كان عالماً بالساعة الّا انهُ لم يُرسَل ليُعلم بها الناس . وذلك شأن السفير الذي وان علم بامرٍ يمكنهُ ان يقول انهُ يجهلهُ اذ لم يُرسَل للتفاوض فيهِ . (رابعاً) انَّ الابن مع كونهِ الهاً كالآب ليس هو المبدأ الاوّل بل هو منبثق منذ الازل من الآب كالشعاع المنبثق من الشمس منذ اوّل وجود الشمس . وعليهِ يمكنهُ ان ينسب للاب ما يفعلهُ وما ينطق بهِ وغايتهُ بذلك ان يدلَّ البشر على مصدر سلطتهِ وعلمهِ ومعجزاتهِ لأنهُ اخذ كل ذلك من الآب كما اخذ اللاهوت منذ الأزل (راجع مقالة المشرق (٧ : ٢٤١) في لاهوت المسيح ل . ش

المشرق

قِدَم الانسان

للاب يوسف خليل اليسوعي

طرح علينا احد الادباء المشكل التالي وسألنا ان نبدي فيهِ رأينا قال :

« ذهبَ قوم ان آدم خُلِق قبل المسيح بنحو اربعة آلاف سنة ولكنَّ الفيلسوف سبنسر (Spencer) اثبت انهُ وُجدت مع عظام الحيوان المدعو « مستودون » حراب صوانيَّة وغيرها من الادوات التي كان يستعملها لاصطياده شعوب تلك القرون الخالية وهي قرون طال مهد قِدَمها وهذا اعظم شاهد على قِدَم الانسان . وقال الاستاذ دريبر ما تعريبهُ : « اثبت لنا البحث ان الانسان كان موجودًا منذ مئات الوف من السنين ويستحيل علينا ان نجمل تاريخ العصر الجليدي الاوروبي باقل من ربع مليون سنة ولقد كان الانسان قبل هذا العصر ولسوف يظهر لنا التفتيش انهُ كان بالعصر المدعو عند علماء الجيولوجيا « ميوسين (١) » (miocène) . فيكون الانسان معاصرًا للحيوان البائد المسمَّى « مستودون » . ثم اورد حضرة المراسل الاديب بعض شهادات تؤيّد هذا الرأى وختمها بقوله : « فكيف نوفّق بين هذا المذهب ومذهب اولائك الذين جعلوا المدة منذ آدم الى المسيح اربعة آلاف سنة وبضع سنين ؟ »

قلنا هذا بحث كان في كل زمن مَجلبةً للمناهضة بين العلماء فتضاربت فيهِ آراؤهم واختلفت اقوالهم وقام كل فريق منهم فاستعان ببيّنات وبراهين ظنَّها قاطعة لإثبات مذهبهِ وادحاض ما يعدّهُ عند خصمهِ زعمًا واهنًا ومحض افتراء . لكنَّ الله قدَّر لنا بعونهِ رجالًا من جهابذة العلوم التاريخيَّة والجيولوجيَّة فسبروا غور هذه الأبحاث وكشفوا القناع

(١) اعلم ان اصحاب الجيولوجيا قسموا العصر الثالث الى اربعة اقسام تختلف عهدًا وقدمًا واليك باسمائها : éocène, oligocène, miocène, pliocène وقد دُعيت هذه الطبقات بهذه الاسماء دلالةً على ما يظهر فيها من اجناس النبات الحالي فيدعونها ايوسان (éocène) ان كانت هذه الاجناس في اوَّل ظهورها ثم يدعونها ميوسان (miocène) او اوليغوسان (oligocène) او بليوسان (pliocène) على حسب ما تتوفَّر فيها هذه الاجناس من قليل الى كثير

عن بعض غوامضها وكان موقفهم موقف المنصف الخبير الذي لا يبدي رأيًا ألّا بعد البيّنة ولا يأخذهُ في حكمهِ تحامل ولا محاباة . منهم العلّامة دي لاپاران (de Lap-parent) احد اعضاء محفل المعارف في باريس فانهُ وضع في هذا البحث مقالات ضافية الاذيال نخصُّ بالذكر احداها المدرجة آخرًا في مجلّة المُراسل (١ فعلى مثل هؤلاء الأعلام نعتمد في بعض ما نثبتهُ في هذه العجالة . وليعلم القارئ اللبيب اننا دفعًا للملل وطلبًا للجلاء سنكتفي بايراد براهين كلتا الفئتين لدعم مذهبهما وباظهار ما نراهُ ثابتًا او واهنًا

١ مذهب المستندين الى الاسفار المقدسة

اتخذت فئة سندًا لرأيها ما وجدتهُ مدوّنًا في التوراة والكتب المقدّسة لكن في هذه الاسفار تباينًا على اختلاف النُسخ الثلاث الشائعة بين العلماء اعني النسخة العبرانية الاصليّة والترجمة السامريّة والترجمة السبعينيّة . فلا بأس اذًا من وضع جدولٍ للسنين الخالية منذ ابداع آدم الى السيد المسيح وفقًا لهذه النسخ:

	العبرانيّة	السامريّة	السبعينيّة
آدم	١	١	١
الطوفان	١٦٥٦	١٦٥٦	٢٢٥٦
بناء برج بابل	١٧٧١	٢٢٨٨	٣٠٨٦
ولادة ابرهيم	٢٠٠٨	٢٧٤٩	٣٤٣٧
ذهاب يعقوب الى مصر	٢٢٩٢	٢٨٨٩	٣٧٢٧
ولادة موسى	٢٤٣٣	٣٠٢٤	٣٨٦٢
الخروج من مصر	٢٥١٣	٣١٠٤	٣٩٤٢
بناء الهيكل	٢٩٩٣	٣٦٨٥	٤٨١٥
سبي اليهود	٣٣٩٩	٤٠٩٥	٥٢٦٧.
اطلاق سراح اليهود من السبي	٣٤٦٨	٤٤٦٤	٥٣٣٦
التاريخ المسيحي	٤٠٠٤	٤٧٠٠	٥٨٧٢٠

واعلم ان النسخة العبرانيّة هي التي حُفظت في مملكة يهوذا وكُتبت باحرف كلدانيّة ولقد آثرها قومٌ لان القديس ايرونيموس اختارها مع غزارة علمهِ ورائع فهمهِ ولان

١) اطلب عددها الصادر في ٢٥ ت ٢ (Le Correspondant, 25 Novembre, 1906)

الكنيسة استعملتها فزادت بذلك على اعتبارها اعتباراً . واما السامريّة فانها كانت في مملكة اسرائيل وقد كُتبت وحدها باحرف قديمة عبرانيّة ربّما شابهت تلك التي كان يكتب بها موسى . ولذا يفضّلها كثير من العلماء على غيرها . ولا يخفى ان الترجمة السبعينيّة هي التي نقلها الى اليونانيّة السبعون شيخاً من اسرائيل ايام بطليموس الفيلادلفي نحو ثلاثمائة سنة قبل المسيح . وهي جديرة بالاعتبار لما كان للسبعين مترجماً من الاعتناء بها وهم نخبة قومهم في العلم والحذق . ولعلّهُ كان بيدهم من الكتب المخطوطة ما ساعدهم على زيادة التحقيق

فمن ثمّ يرى المطالع ان حجج الذين يتخذون الكتاب المقدّس دعمةً لرأيهم في هذه الابحاث لا تخلو من الوهن لان التوراة على اختلاف نسخها لا تُثبت لنا صريحاً عهد وجود الانسان بل كل ما دوّنتهُ من عدد السنين بقي عديم القرار ولن يزال عرضةً للتنقيب . ولا يغضّ ذلك من شرف الكتاب العزيز فان ما وقع في هذه الارقام من الخلل صدر عن تغافل النسّاخ والنَقَلة . وعلّة ذلك امر سهل الحلّ لان العبرانيين يستعيضون في كتابة الارقام بكتابة حروف الهجاء على طريقة حساب الجمّل عندنا . ولمّا كان بعض تلك الحروف متشابهاً في الهيئة ابدل النسّاخ واحداً بآخر إمّا سهواً وإمّا لعدم تفريقهم الحرفين المتشابهين . وهذا دأبهم في كل زمان . ولم يتعهّد الرب باحداث الخوارق لحفظ هذه الارقام من آفات التصحيف والتحريف اذ ليس بهِ ما يشوّه حسن الآداب ويعكّر صفاء العقائد الدينيّة ويمسّ كنه نصّ الكتاب المقدّس وذلك ما قصدهُ تعالى من وحي هذه الاسفار . ولقد طاش سهم من يزعم ان جهل السنين الغابرة منذ خلق آدم الى مجيء السيد المسيح يقيم العقبات بوجه خلاصنا ويُخلّ بقوام مفروضاتنا والامر واضح لا يحتاج الى بيّنة

وزد على ذلك انهُ ورد في الفصلين الخامس والحادي عشر من سفر التكوين جلّ ما اتّصل الينا من سلسلة نسب الآباء الاوّلين فوجد بذلك فريق من العلماء الاقدمين والمحدثين حلاً للمشكل الذي نحن بصددهِ فقالوا: انهُ طرأ على هذه السلسلة بعض النقصان وأُهملت بعض حلقاتها . ودعموا رأيهم بادلّة جديرة بالاعتبار منها ان القديس متى اسقط عمداً من سلسلة نسب المسيح اسماء ثلاثة ملوكٍ معروفين وكذلك زاد القديس لوقا (٣ : ٣٦) في سلسلة الآباء الاوّلين اسم قينان لم يذكر في التوراة . فلا

عجب والحالة هذه اذا اضرب واضع هذه السلسلة عن ذكر بعضهم لعلل نجهلها

واذا ما تأملت الآن بالبون العظيم بين ارقـام النسخ الثلاث التي ذكرناها آنفًا وبحثت عمّا اوجب في الترجمتين السبعينيّـة والسامريّة زيادة مِئين من السنوات على النسخة العبرانيّة فانك حسب قـول القديس اغسطينوس : « لا تجد جوابًا شافيًا لهذا السؤال » . ولاجل هذا الاختلاف لم تُبدِ الكنيسة الكاثوليكيّة حكمها بهـذا الامر بل انها في كل آنٍ عدّتهُ مسألة علميّة واقعة تحت البحث ولم تخطّيْ مذاهب العلماء فيـهِ اللهمّ ان لم تكن مجحفة بالحق ومناقضة لعقائد ثابتة . وبيانًا لصدق مقالنا اليك بجدول لبعض هذه الآراء مع القائلين بها ولم ترذل الكنيسة رأيًا منها :

اسماء المؤرّخين	عدد السنين بين مجيء السيد المسيح وخلق آدم
القديس ايرونيـموس في مؤلَّفهِ عن المسائل العبرانيّة	٣٩٤١
كرنيليوس الحجري اليسوعي	٣٩٥٣
فيلون العبراني	٣٩٥٧
پاتافيوس اليسوعي	٣٩٨٣
الكردينال بلارمينوس اليسوعي	٣٩٨٤
مرقس انطون كابلّي وتيرينو سوارز وناتالس اسكندر وكثيرون غيرهم	٤٠٠٠
يانينو وتورنلّي وغيرهما	٤٠٥١
اوريجانوس في شرح انجيل القديس متّى	٤٨٣٠
القديس ابيفانيوس على قول مجمع نيقية الثاني	٥٠٠١
القديس ايزيدورس الاشبيلي	٥١٩٦
السنكسار الروماني والقديس بيدا والكردينال بارونيوس	٥١٩٨
القديس اغسطينوس	٥٣٥١
التاريخ القسطنطيني	٥٥٠٨
يوسيفوس اليهودي	٥٥١٥
اسحق فوسيوس	٥٥٩٠
اكليمنضوس الاسكندري	٥٦٢٤
لاكتانسيوس	٥٨٠٠
القديس قبريانوس وغيره	٦٠٠٠
القديس يوليانوس رئيس طليطلة	٦٠١١
يوحنا من مون ريال	٦٩٨٤

فاصحاب كلّ هذه الآراء يستندون الى الاسفار المقدّسة . وذهب بعض الكاثوليك

المحدثين سيّما في عصرنا ان المدة المذكورة تبلغ ٨٠٠٠ سنة بنيف

فيظهر مما تقدّم اوَّلًا ان مسألة قِدَم الانسان من مدار العلم وان الكنيسة الكاثوليكيَّة لم تقطع بها بل تركتها عرضةً للبحث والتنقيب . ثانيًا ان معظم ادلّة القائلين بخلق آدم قبل السيد المسيح بنحو اربعة آلاف سنة بُني او كاد يُبنى على شفير هار لا قرار لهُ لدى صائب الانتقاد. ثم ان اجوبة هذه الفئة على اعتراضات مناهضيها لا تقنع من تبصَّر بالامر وامعن النظر بطبقات الارض وبما اكتُشف حديثًا من العاديّات وهياكل الحيوانات البائدة

فهو اذًا على معتقدنا رأيٌ اقرب للوهن منهُ للثبات والاصالة . والآن فلنجرِ البحث على قول من غالوا بقدَم الانسان وننظر ان كانوا اصابوا سهمًا وصدقوا فيما اتوا بهِ من البينات تأييدًا لزعمهم

٢ مذهب القائلين بخلق آدم منذ مئات الوف من السنين قبل السيد المسيح

قال العلّامة أوبرماير (Obermaier) الجيولوجي الشهير : « من يدقّق البحث في جغرافية البلاد ويدرس بحذق طبقات الارض ويمعن النظر مليًّا فيما تبرزهُ للعيان الاكتشافات الحديثة يُطلعنا وحدهُ على كنهِ تركيبها وقِدَم سكّانها . ومن يُثبت امرًا او ينفيهِ دون فحصٍ وإعمال فكرةٍ ويُسند رأيهُ على براهين واهنة فانهُ يُعرب عن جهالة مكابر او انهُ يأتي بما أتى بهِ لمآرب في النفس . وهذه آفة للعلم الصحيح »

ولعمري انهُ كلام جدير بان يكون شعارًا لكل كاتب وخطةً لما يخطّهُ كل يراع فنيهِ ومهُ تُنفى الجهالة واللَّبس ويُؤمَن الشطط والمجازفة . وعليهِ فانّنا نتحرّاهُ في كل ما نثبتهُ بهذه الاسطر

ذهب علماء الجيولوجيا ان الازمنة التي تقدمتنا منذ ابداع العالم تُقسم الى اربعة اطوار ما عدا الطور الذي نحن فيهِ الآن . وقد دفعهم الى هذا التقسيم ما اطّلعوا عليهِ من طبقات الارض المتعدّدة وبعض هياكل وبقايا حيوانات متنوّعة وغير ذلك مما تضيق عن تعداده هذه العجالة . لكنَّ آراءهم تضاربت في تحديد الزمن اللازم لاستقرار كل طبقة في مقامها . ثم انهم بحثوا عن الانسان في خلال هذه الاطوار فلم يجدوا لهُ اثرًا في الاول والثاني وخالج الريب صدورهم فيما يتعلق بالطور الثالث فعقدت فئة منهم مؤتمرًا في مدينة بلوا (Blois) فاجمعوا الرأي ان يخوّلوا لاربعين جيولوجيًا المهمَّة بكشف

القناع عن هذا البحث الغامض. فباشروا الحفريّات في تربة لا انكار انها من تكوين الطور الثالث وهي تربــة تانه (gisement de Thenay) فلم يعثروا بعد الفحص المدقّق على اثرٍ للانســان . فقالوا انهُ ظهر في غرَّة الطور الرابع . واذا ما سألنا عن قدَم هذا الطــور وزمن ابتدائهِ وانتهائهِ وعمّا يفرزهُ تماماً عن غيرهِ فنكاد لا نلفي جوابين متَّفقين . قال الجيولوجي دي مورتيليه (de Mortillet) : « وُجد الانســان على الاقلّ منذ ٢٣٠,٠٠٠ او ٢٤٠,٠٠٠ سنة . وذهب غيرهُ ان قِدَم عهد المرء يبلغ ١٢٠,٠٠٠ سنة وهلمّ جرّا. وزعم كلٌّ ان ما لديهِ من الادلَّة حملهُ على اثبات هذه الارقام على تباينها وتناقضها . واليك بعض مصادر هذه البيّنات :

١ (سلاح الاقدمين) كان الانســان لا سيَّما في مستهلّ امرهِ عرضةً لفواجئ الحيوانات الضارية فوجب عليهِ ان يخترع لنفسهِ من الادوات والاسلحة ما يتقي بــهِ كل ملمّة ويدفع عنــهُ كل خطر فاتخذ اسلحة من الصوّان. انَّما طور الظرَّان يقسم الى زمنين احدهما اقدم عهداً وهو زمن الحجر العادي المنحوت (paléolithique) والآخر احدث وهو زمن الحجر المصقول (néolithique) . ومن سِمات الزمن الأوَّل عدم وجود آثار الخزَف فيهِ. فحيثما اكتُشف هذا الشكل من الصوان لم يُعثر على شيء من القطع الخزفيَّة كأنَّ اهل تلك الاعصار البعيدة لم يكونوا ليقفوا على صناعة الفخَّارين وقد وجد علماء الجيولوجيا كثيرًا من هذه الاسلحة وهي فؤوس ومسالّ ومصاقل وغير ذلك نخصّ منها بالذكر ما وقف عليهِ احد المرسلين اليسوعيين في محطات شتّى من بلاد فينيقيــة كعدلون ونهر عقبيَّة ونهر ابرهيم ونهر الجوز وانطلياس ونهر بيروت وطرابلس وجعيتــا وحراجل ورأس الكلب ورأس بيروت ونهر الزهراني والعاملتين (المشرق ١ : ٩٧—٣٥٣) . وبعض هذه الادوات كانت مختلطة بعظام حيوانات باد معظمها كالمَموث والكركند الطويل الشعر ودبّ المغاور الكبير والرنّة. فحاول المغالون بقِدم الانســان اتخاذ هذه الاكتشافات دعيمةً لرأيهم وزعموا انها بيّنات لا ردّ عليها فقالوا : ان غلظة هذه الاسلحة المكتشفة في كثير من اقطار المعمور تنبئ عن همجيَّة البشر في كل فجّ ولكننا لا نعرف عصرًا من عصور التاريخ عمّت بهِ الهمجيَّة جميع سكَّان الارض فلا بدَّ اذًا من الارتقــاء الى اجيال ما وراء التاريخ وذلك ممَّا يستدعي مئات الوف من السنين. ثم ان الانسان ظهر في غرَّة الطور الرابع من ازمنة العالم واما هذا الطور فكان

ابتداؤهُ قبل عهدنا بنحو ٢٣٠،٠٠٠ او ٢٤٠،٠٠٠ سنة فوجود الانسان اذًا عريق بالقدَم
هذه آراؤهم وعندنا انهم طاشوا سهمًا واتت ادلّتهم غير وافيـة بالمرام لاسباب نوردها باختصار:

اولًا ليس كل ظِرّ يحاكي المسالّ والفؤوس والمصاقل هيئةً ونحتًا يكون الانسان قد نحتهُ واستعملهُ لخدمتهِ وحاجاتهِ لان الصوان من مجرَّد تركيبهِ كثير الشظايا رقيقهـا سيَّما اذا اصطدم بحجر اصمّ او بمعدن صلب. وهذا ما اختبرهُ العلماء وعاينوهُ اثناء السنة الغابرة فانهم اكتشفوا على مقربة من باريس سهولًا واكامًا ذات تربة طباشيريَّة تتخلّلها قطع من حجارة الصوان فاذا ما التصق بهذه الحجارة قليل من التراب ومرَّت عليها المياه وجرَّت بعضها وصدمتهُ ببعض تكسَّرت على صور عجيبة تشبه اجمل الفؤوس والمسالّ واحكمها صنعًا وذلك بعدة بضع ساعات . وقد عاين هذا المشهـد كثير ممَّن اتخذوا الظرّان برهانًا عدّوهُ متينًا لاثبات قِدَم الانسان فضعفت ثقتهم بهِ ونبذهُ بعضهم (١).

ثانيًا هب ان السلاح الظرّاني كان مستعملًا في العصور الخاليـة ونحن نعتقد استعمالهُ فمن ذا الذي يثبت لنا انـهُ يرتقي الى مئات الوف من الاجيال؟ أطبقات الارض التي وُجد فيها؟ فكم من الطوارئ والتقلُّبات والتغيّرات طبيعيَّةً كانت او غير طبيعيَّة حدثت على وجه كرتنا فأخَّرت وقدَّمت وخلطت طبقةً بطبقة اخرى. ثم ان تلك الاسلحة لثقلها تخرق الطبقات التي أُودعت فيها فتصل بعد ازمان الى اراضٍ اعرق في القِدَم من التي كانت فيها اوّلًا كما شوهد بذلك الامتحان . فاعتراضات كهذه حدت بالعلّامة ميتشل على اعادة النظر والبحث في الاسلحة الظرانيَّة وادَّت بـهِ الى الاقرار انها لا ترتقي عهدًا الّا الى اربعة او خمسة آلاف سنة

ثالثًا ان الاغلاط التي غلطها ارباب هذا العلم اظهرت لنـا مرارًا وهن ادلّتهم وحذَّرتنا من اقوالهم . فان كثيرًا من الفعلة كانوا يأتونهم بمثل هذه الاسلحة ويجعلونها في حالة يتبيَّن منها انها قديمة طمعًا في الكسب فكان يشتريها هؤلاء العلماء بثمن غالٍ ثم يقدّرون لها من الازمان والمدَّات الوفًا وآلاف الوف مع انهُ لم يكن مضى عليهـا لا سنة ولا نصف سنة وحينئذٍ تنكشف اغاليطهم فيرجعون خاسرين

(١) اطلب مجلَّة المراسل (Le Correspondant, 25 Décembre, 1905, et 25 Novembre, 1906)

واماً قولهم بان الطور الرابع ابتدأ منذ ٢٣٠٠٠٠ سنة فانهُ محض حدسٍ ووهم لا دليل ثابت يدعمهُ الى الآن ويشهد لنا بذلك تضارب آرائهم في هذه المسألة. فكل بمقتضى زعمهِ يزيد الوفاً ويحذف الوفاً من السنين كأنَّ الف سنة لديهم تقابل بعض الثواني ولذا لم يتمالك الاثري الشهير سليمان ريناخ عن القول: « لقد حاد الاستاذ دي مورتيليه عن مبادئ العلم واطلق العنان لمخيَّلتهِ وهواهُ حينما عيَّن ٢٢٢٠٠٠ سنة للازمنة التي كان بها الانسان يتخذ سلاحهُ من الحجر المنحوت » (١

٢ (تكوين بعض الاراضي والعصر الجليدي) ومن ادلَّة المغالين بقِدَم الانسان تلك البقاع التي تتكوَّن عند مصبّ كثير من الانهار مثل النيل والمسيسيبي. فان المياه تجرّ الرمال وتقذف بالاوحال ثم تلقيها جانباً فتمتدّ منها اراضٍ فسيحة خصبة غزيرة الغلّات. فقدَّر لها اصحاب العلم السابق التاريخ على عادتهم المألوفة عدداً عديداً من آلاف السنين وذهبوا ان الانسان معاصر لها لانهم وجدوا فيها عظامهُ وبقاياهُ. فالجواب على هذا المشكل بيّن وسهل. فمن يثبت لنا ان المياه لم تجرّ هذه الرفات من مكان الى اخر ولم تلقها مع ما القت من الاوحال؟ ثم ان الانهار الكبيرة تجرّ مدَّة سنة مقداراً عظيماً من التراب واصول الاشجار ويختلف جرّها من عام الى عام حسب هطل الامطار وحدوث الطوارئ واختلاف التربة حيث تمرّ المياه. وزد على ذلك ان هؤلاء العلماء لا يتفقون كلمةً ورأياً في المدَّة اللازمة لتكوين هذه الاراضي. فان كارل فُغت (Vogt) يذهب انهُ اقتضى ١٥٨,٤٠٠ سنة لامتداد بِقاع مصبّ نهر المسيسيبي ويزعم جون لوبوك (Lubbock) ان ثلاثة آلاف عام كافية بيد ان الجيولوجي شميت (Schmidt) يرتأي ان لا حاجة للامر ذاتهِ الّا لالف وسبعمائة سنة. فالبون عظيم بين هذه المزاعم

وقولنا هذا يزيّف البرهان الذي يحاولون اخذهُ من العصر الجليدي وزمنهِ ومدّتهِ فانهم لم يأتلفوا على ما يروون عنهُ بل انهم فتحوا باباً رحباً لاوهامهم في هذا السبيل (٢

٣ (جماجم ورفات عريقة بالقِدَم) لا بأس ان نجري البحث عمَّا اكتشفهُ العلماء من جماجم وعظام مختلفة فعلّق عليها اصحاب العلم السابق التاريخ آمالًا كبيرة لتوطيد

---

(١) اطلب كتاب وصف عاديات باريس (Description raisonnée du Musée de Saint-Germain-en-Laye, t I, p. 78)

(٢) اطلب مجلّة المراسل (Le Correspondant, 25 Novembre 1906)

رأيهم . واشهر هذه الجاجم « جمجمة كانستات » . وكانستات قرية على مقربة من مدينة ستوتغارت . قال الذاهبون الى قِدَم الانسان انها اكتُشفت سنة ١٧٠٠ بين عظام وبقايا دبّ المغاور والمموث وغيرها من حيوانات الطور الرابع . انّما بحث العلّامة اوبرماير في هذا الصدد يكفينا عن الاطالة في الكلام واليك خلاصة دروسه . وضع سليمان ريسل (S. Reissel) سنة ١٧٠٠ قائمة لكلّ ما اكتُشف في كانستات من العظام وذكر في آخرها ما هو بحرفه : « لم اجد اثرًا لعظام الانسان بين كل هذه البقايا » . وفي سنة ١٧٠١ كتب العلّامة سپليسيوس (Spleissius) مقالة في تلك العظام واتت شهادته مطابقةً ومؤيدةً لشهادة ريسل . وفي مدار السنين التالية ١٧٢٣ و ١٧٣٥ و ١٧٤٩ و ١٧٥٣ زار كثير من العلماء تلك الرمم وصنّفوا فيها مقالات وكتبًا ولم يذكروا ان ثمّ جمجمة آدميّة . وروى كوڤيه (Cuvier) الطائر الشهرة (١٨١٢) ان في كانستات يوجد فك انسان لا جمجمة . وانّما سنة ١٨٣٥ اعني بهِ مائة وخمس وثلاثين عامًا بعد اكتشاف الرفات المذكورة اخبر العالم ياغر (Jäger) انهُ شاهد في بعض معاهد كانستات جمجمة غريبة في هيئتها فقيل لهُ انها وُجدت مع العظام التي اكتُشفت سنة ١٧٠٠ فلا عجب والحالة هذه اذا ختم العلّامة اوبرماير درسهُ بهذه الكلمات : « ما من احد يرتاب الآن بان جمجمة كانستات لم تُكتَشف سنة ١٧٠٠ فلا يُعرَف من اين اتت والى اي عهد ترتقي (١ »

وفي اثناء عام ١٨٥٦ وجد عَمَلةٌ في جوار مدينة دوسلدورف (Dusseldorf) هيكل انسان اعتاد العلماء ان يدعوهُ بهيكل انسان نياندرتال (Neanderthal) . ومن غريب امرهِ انهُ قصير القدّ ممتدّ الجمجمة ضيّق الجبهة ناتئ الحاجبين فتباينت الآراء في قدمهِ وبالغ قوم في عراقة عهدهِ دون بيّنة الّا عجيب هيئتهِ . فانهم لم يكتشفوا معهُ بقايا حيوانات تنبئ عن الاجيال التي أُودع فيها الثرى . وبما ان هذه العظام كانت ملقاة على حدة ولا دليل على وضعها هناك في ضريح ارتاب العلماء في بيان مركزها الاصلي وذهب بعضهم ان السيل جرّها الى حيث وُجدت ثم انهال عليها قليل من التراب

واما بقايا الحيوانات البائدة كالمموث والكركند العظيم وغيرهما فاننا لا نعلم تمامًا زمن انقراضها عن وجه الارض

١) اطلب المجلة السابق ذكرها (Le Correspondant, l. c.)

ويجدر بنا اخيرًا ان ننبّه القارئ الكريم اننا لا ننكر ما يقدّمهُ علم الجيولوجيا من الخدمات في معرفة كنه الكرة الارضيَّة والاطلاع على اسرارها وتاريخها وزمن وجود الانسان على وجهها لكننا ننبذ فقط الغلو في بعض مسائل خطيرة والاثبات دون بيّنة ودليل راهن. وكذا يُقال في تاريخ الامم القديمة كالبابليين والمصريين والصينيين فانَّ ما اكتُشف من آثارهم لا يقتضي عهدًا يتجاوز بضعة آلاف من السنين. ونحن الآن في موقف من ينتظر براهين اوضح واصدق من رجال خصّهم الله بذكاء البصيرة وصائب الانتقاد وخوَّلهم العزم لبذل النفس والنفيس في جلاء الغوامض فاذا ما اتت ادلّتهم قاطعة فاننا بطيبة خاطر نذعن لها اقرارًا بالحق. وما دامت الامور على ما هي فاننا نرتأي مع كثير من العلماء ان المدَّة بين خلق آدم والسيد المسيح لا تتجاوز سبعة او ثمانية آلاف سنة والله اعلم

حوادث السنة الغابرة

نظرة للاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

اوربة

﴿ اسبانية ﴾ في ٢٥ ك ٢ من السنة الغابرة قد خطب الملك الفونس الثالث عشر البرنسس الانكليزيَّة اينا ده باتنبرغ وقد كفرت خطيئتهُ بالشيعة البروتستانيَّة واعتنقت الدين الكاثوليكي في ٧ اذار على يد مطران نطنغهام وجرت احتفالات الزيجة في ٣١ ايّار فأُقيمت الافراح والمظاهرات الباهرة في كل ارجاء المملكة

وقد توالت الازمات الوزاريَّة وتألفت وزارات مختلفة عديدة كل ذلك بجرَّاء الاغراض الشخصيَّة والاميال الافراديَّة التي ينقاد لعواملها زعماء الاحزاب في اسبانية. وقد حاولت وزارة المركيز دومنيكز نصَّ وتقرير قانون لفصل الكنيسة عن الدولة يضاهي القانون الذي قررتهُ فرنسة او يكاد. فحبطت مساعيها وسقطت بسبب تطرفها في هذه المسألة

﴿ المانية ﴾ في اوائل السنة الماضية احتفلت الاقطار الالمانية بالعرس الفضي

للامبراطور والامبراطورة وقد فاه الامبراطور بهذه المناسبة بخطاب يُستشفّ منـهُ الشغل الشاغل الذي لا يزال عاهل المانية جاعله نصب عينيهِ قال :

« ان اول افكاري وآخرها هو تعزيز قوانا الحربيَّة في البرّ وعلى البحار . ابعد الله الحروب ولكن اذا احدثها احد فانا على يقين ان جيوشنا لا تظهر اقلّ بسالة ممّا ظهرت سنـــة ١٨٧٠ »

ومما ساعد ويساعد المانية على تعزيز جيشها هو حسن الحالة المالية التي سعى وراءها البرنس ده بولوف سعياً جميلًا كللهُ النجاح ومدحهُ عليهِ الامبراطور برسالة خطّها بيدهِ الملوكيـــة

امَّا العلاقات مع الدول فان رجال المانية قد جدوا جدَّهم في جعلها سلميَّة وعن ذلك صرَّح المسيو تشيرسكي وزير الخارجيَّة في اواسط السنة حيث قال في الريشستاغ « ان حكومة الامبراطور تجعل اساس سياستها الخارجية المعاهدات مع دول اوربـــة المتوسطة والعلائق الوديَّة مع غيرها » . ومن هذا الباب ما ابدتهُ دولة المانية من مجاملة فرنسة في نقل رفات الجنود الفرنسويين الذين سقطوا في ساحة الحرب سنـــة ١٨٧٠ فاقامت لهم احتفـــالًا شائقاً شكرتها عليهِ حكومة فرنسة وكان من وراء ذلك بعض التقرب بين قلوب الشعبين . وقد كثرت المباحث والمناقشات هذه السنـــة بين رجال حكومة المانية بخصوص المستعمرات فمنهم من يريد زيادتها اهمية ومنهم من لا يرى في ذلك صواباً ولا فائـــدة . وقد عاكس الريشستاغ في هذا الامر رغائب الوزارة وكفّ يدها عمّا كانت تنويهِ وترغبهُ من توسيع نطاق المستعمرات . وفي اواخر السنة طلبت الوزارة من الريشستاغ المصادقة على نفقات تلزم لذلك فما رضي بهـــا ففي الحال نُفذ في الريشستاغ المقاوم امرٌ امبراطوري يقضي بحله ونقض عقده وعن قريب تُجدَّد الانتخابات

﴿ انكلترة ﴾ حصل انقلاب هامّ في الاحزاب التي تتشاطر اعضـــاء مجلس العموم الذي لـــهُ كما لا يخفى اليد الطولى في تدريب شؤون الدولة الانكليزيَّة وتوجيه سياستها . فان الانتخابات لهذا المجلس التي تمت في اوائل السنة الغابرة قد افصحت عن اغتنام حزب الليبرال ١٨٤ كرسيًا وعن اكثريتهم بتسعين صوتاً بالنسبة الى سائر احزاب المجلس . وهكذا قد انتقلت بنوعٍ ما ادارة الاحكام من يـــد المحافظين الى يد حزب الليبرال الذي كان في ما قبل معارضاً لهم . وقد سعى هذا الحزب كما سعى الاسبق في

توطيد دعائم الوفاق الولائي الذي أُبرم مع فرنسة وكان من مفاعيلهِ السنة الماضية حصول تقرّب بين دولة انكلترة ودولة روسية حليفة فرنسة

ومن الخطط التي اعتمدت عليها حكومة انكلترَّة في التجاريّات جعل المبادلة الغير المقيدة من المبادئ المعمول بها بقدر ما تسمح الظروف والاحوال

وقد عقدت انكلترَّة مع فرنسة معاهدة تختص بجزائر إبريد وتقرر ان تلك الاراضي تكون مشاعة لنفوذ واستثمار الدولتين وان رعاياهما يكونون متساوين في الحقوق الشخصيَّة والتجاريَّة والملكيَّة ويخضع كل منهم لقوانين وطنهِ

ومن المباحث التي اخذت طورًا عظيماً في مجلس العموم ومجلس النبلاء مسألة نظام التعليم الابتدائي. فان مجلس العموم بعد ان صادق على هذا النظام ارسلهُ لمجلس النبلاء كي يبدي فيهِ رأيهُ ويرضى بهِ. فكان من مجلس النبلاء انهُ اعترض على النظام وتطلَّب ان يعدَّل ويحوَّر فيهِ احكام شتَّى ومما اشترطهُ ان لا تُعتبر مدرسة من المدارس العموميَّة التي تقوم الحكومة بمصاريفها ان لم يكرَّس في تلك المدرسة كلَّ يوم قسمٌ من الوقت للتعليم الديني. على ان مجلس العموم لم ينقَدْ لمطاليب النبلاء وتحزبت الوزارة لهُ وطلبت من النبلاء ان يتنازلوا عما ارتأوهُ فلم يشاؤوا واعلنوا انهم يفضلون عدم وجود قانون في هذا الامر على قانون فيهِ من الخلل ما فيهِ. وقد خشي القوم مدَّة من الزمن ان تأول الحالة الى أزمة شديدة تفضي الى فض مجلس النبلاء وقد افادت الاخبار الاخيرة ان المجلس حاد عن رأيهِ ولعلَّ ذلك النظام يبقى مدفونًا طيَّ النسيان الى امدٍ بعيد

﴿ ايطالية ﴾ مما يجدر ذكرهُ ان رجال سياسة ايطالية قد اعربوا في ظروف مختلفة عن عواطف اعتبارهم للحبر الروماني ورُغبتهم في التقرّب من الكرسي الرسولي وقد اعلن احد الوزراء في مجلس النوّاب ان دولة ايطالية لا ترى من الصواب مناهضة ارباب الدين ولن ترضى ان تكون هذه الخطَّة خطتها. وانهُ مهما كان من مبادئ وتصرفات احدى الدول المجاورة فهي تعتدّ ان من واجباتها ترك حريَّة الاديان للشعب

ومن اهمّ ما حدث في ايطالية السنة الماضية الانفجار المهول الذي حصل من بركان الڤيزوف فكانت الموادّ الناريَّة ترتفع بشدَّة غريبة من جوف الجبل ثم تسيل من كل جهة ولها منظر مرعب مهول وكانت سحب الرماد تتصاعد في طبقات الجو ثم تسقط على القرى والمدن المجاورة التي دُمّر منها كثير وهُجر منها اكثر وقد زاد عدد

الذين التجأوا الى مدينة نابولي على مئة الف مهاجر فامتدت الى هؤلاء البائسين ايدي الجود والرحمة من كل قطر وقد ارسلت اليهم فرنسة اسطولًا فكانت نحوهم من اعظم المحسنين وحضر ملك وملكة ايطالية الى محل هذه المشاهد المؤثرة المحزنة لتسلية المنكوبين وتخفيف وطأة الويل عنهم

﴿ بلجكة ﴾ لم يزل الكاثوليك حاصلين على الاكثريَّة في مجلس النواب وقد فازوا في الانتخابات الاخيرة باكثريَّة ١٢ كرسيًّا على اخصامهم . ومما يزيد قوتهم هو اتحادهم التامّ في وقت ان مناصبيهم تختلف اهواؤهم ورغائبهم وخططهم . زد على ذلك ان الكاثوليك هم اصحاب الفوز من سنة ١٨٨٤ ولذلك قد اصبحت مراكزهم وطيدة الدعائم تقوى على هجمات المناضلين وعليهِ فالآمال معقودة على انهم يداومون على خدمة وطنهم خدمة صادقة عادت وتعود عليهِ بالمنافع والنجاح

وممَّا يهمّ ذكرهُ تبليغٌ من الملك اثبت فيهِ حقوق دولتهِ على الكونغو وقصدهُ ان يضمّ قريبًا تلك البلاد الى بلجكة

هذا وقد أُبرمت بين الكرسي الرسولي وحكومة الكونغو البلجكي معاهدة تخول المؤسسات الكاثوليكيَّة منافع جمة وامتيازات عديدة . وقد أُقيم في بلجكة في اواسط شهر آب مؤتمر افخارستي ترأسهُ نيافة الكردينال ڤانوتلي النائب الرسولي فكان ذلك المؤتمر مظهرًا لعواطف الايمان الحارَّة في تلك البلاد

﴿ الدانمرك ﴾ ان ملكها كريستيان التاسع قد مات فجأة في ٢٩ ك ٢ وكان اقدم ملوك اوربَّة في العمر . وُلد سنة ١٨١٨ . وقد أُقيمت حفلات جنازه في ١٧ شباط حضرها امبراطور المانية وملك نروج وغيرهما من عظماء رجال اوربة كثيرون . وقد خلفهُ على عرش الملك وليّ عهده كريستيان فريدريك الثامن . ولد سنة ١٨٤٣

﴿ روسية ﴾ صرفت روسيَّة معظم قواها لتحسين احوالها الداخليَّة التي ساءت نوعًا بسبب حربها مع اليابان فلم تحصل على كبير نتيجة من جهة تنظيم الامور على ان ماليتها قد تحسنت بعض التحسن وعادت اليها ثقة المتمولين اكثر مما قبل

﴿ فرنسة ﴾ في ١٧ ك ٢ تم انتخاب المسيو فاليار رئيسًا للحكومة الافرنسيَّة فحاز ٤٣٩ صوتًا ضد ٣٧١ احرزها المسيو دومر وفي ١٨ شباط احتفل بتسليم مقاليد السلطة وفي ١٢ اذار تألفت وزارة جديدة برئاسة المسيو ساريان ودامت الى ١٩ ت ١

حيث استعفى المسيو ساريان مدعياً انحراف صحتهِ فاستقالت وزارتهُ معهُ وعُهـد الى المسيو كليمانسو ان يشكل وزارة جديدة ففعل

وقد تجدد في شهر ايار مجلس النواب فكان ان مناصري الحكومة اكتسبوا ٥٠ كرسيًا وان حزب المغالين تقوّى. وقد تمهّدت بعض العقبات بين حكومتي فرنسة والمانية بعد تقرير مسألة مراكش ولا عاد يخشى في الوقت الحاضر تعكّر صفاء جوّ السياسة بين الأمتين. وان الوزارات التي تعاقبت قد جرت على خطة واحدة في تعزيز الاتفـاق الودادي مع دولة انكلترة فحصل عن ذلك في هذه السنة زيادة التبادل في التجاريّات والصناعيّات واصبحت الامال وطيدة في ان يد العمل تمتدُّ عن قريب لتنفيذ مشروع نفق المانش فيصبح رابطاً جديدًا بين فرنسة وانكلترّة يقرّب بينهما المسافات ويسهل المعاملات وستلوح فوائد هذا الاتفاق بنـوع اجلى في المعرض التجاري الذي ستقيمهُ الامتان في انكلترة بعد مدة من الزمن

ولا تزال علاقات فرنسة السياسية مع سائر الدول حسنة ومعاملاتهـا الخارجيّة امنية سلمية. فيا حبذا لو كانت احوالها الداخليّة سلميّة ايضاً

لكن الامر الواقع الذي يحزن قلوبنا ويحزن كل محب للأمّة الافرنسيّة الكريمة هو ان رجـال دولتها الحالية قد اعتمدوا على خطة مناهضة الدين ومقاومة الكنيسة والاعتداء على حقوق الكرسي الرسولي وفي ذلك علاوة على الاجحاف بالحقوق الراهنة خطأ سياسي جسيم وضرر عظيم في راحة الوطنيين وقد اتت حوادث هذه السنة دليلًا جليًا على ما نقول. فان ما حصل من الشغب والاضطراب وتعطيل الاشغال بسبب جرد اموال الكنائس من ابتداء السنة المنصرمة وما حصل في اواخر السنة ذاتهـا من نزع الصلبان من المحاكم وقفل معاهد العلوم الكهنوتية وطرد الاساقفة من دورهم واعمـال الضغط مع الكاثوليك ومعاكسة ما تقتضيهِ راحة الضمائر وحقوق الله والدين كل هذه الاضرار هي ممّا كان لفرنسة عنهُ غنًى ومما لا يرضى بهِ من اراد خيرها واعتلاء منارها

وممّا كدّر القلوب ايضاً وخدّش الآذان وجرح العواطف خطاب القاهُ المسيو ڤيڤياني في مجلس النواب تحامل فيه على كل دين تحاملًا لم يُسبق اليهِ فاشمأزّ من لهجتهِ الملحدون انفسهم

اما كاثوليك فرنسـة فانهم في وسط هذه الاضطهادات وهذه الظروف المؤلمة لم

ترل الحاظهم متجهة نحو الكرسي الرسولي وخلف المسيح ليستنيروا بنصائحهِ ويستمدوا اوامرهُ ويتلقوا منـهُ التعزية في احزانهم . ولقد دُوّن لهم على صفحات تاريخ الكنيسة ما لا تمحوهُ الدهور من الاتحاد التام باساقفتهم واتحاد اساقفتهم بالحبر الاعظم مظهرين في كل الاحوال ورغمًا عن كل المصاعب والمخاطر خضوعًا لا استثناء فيهِ لما يبديهِ حبر الاحبار من الاوامر والنصائح لخير شعب المسيح وشرف الكنيسة المقدسة والمحافظة على حقوقها الازليَّة . وقد اعطوا للعالم كلهِ مثالًا بارعًا في حب الدين والتفاني على نصرتـهِ وبذلوا الاموال الطائلة للتعويض بقدر ما يستطيعون عما اختلستهُ رجال الحكومة من الكنيسة امهم ولذلك ألَّفوا الجمعيّات الخيريَّة وقد امتاز فيها جمعية السيدات الكاثوليكيات بالغيرة وسخاء اليد . وهذه البسالة في الدفاع عن الدين وهو اعز ما يدافع الانسان عنهُ قد أثَّر في عقول من يعقلون في سائر الاقطار وعلى ذلك قد برهنت الرسالات العديدة التي تواردت على اساقفة فرنسة من كل ارجاء المعمورة تستصوب خطتهم وتهنئهم

اما الحالة الماليَّة في فرنسة فان المسيو پوانكاره قد اعلن انها تشتكي عجزًا قدرهُ ٢٥٠ مليونًا على التقريب

فمن رب المراحم نطلب ونرجو ان يبعد عن فرنسة هذه الإحن ويعيد اليها كل راحة وخير

﴿ النمسة والمجر ﴾ من اهم حوادثها الداخليَّة حلّ البرلمان المجري الذي امر بهِ الامبراطور فرنسوا جوزف اثر مظاهرات يطول ذكرها . وقد زالت الازمة الناتجة عن مقاومة الاحزاب وآلت الاحوال الى انتصار الحكومة انتصارًا باهرًا على مناهضيها . اما بالنظر الى الخارج فان همّ وزارة المسيو غولوكسكي قد كان متجهًا الى توطيد اركان المحالفة الثلاثية مع ايطالية والمانية وقد قال عن هذه المحالفة انهـا محور سياسة مصيبة قد اظهرت السنون منافعها وانها تضمن السلم لاوربة كلها . على انـهُ قد حصل بعض مظاهرات ضد ايطالية بالغت الجرائد في اهميتها وحملت القـوم على خوف انقطاع العلائق بين الدولتين . لكن صوالح الامتين قد اعادت عاجلًا ميـاه المسالمة والمصادقة الى مجاريها

﴿ اليونان ﴾ في اواسط شهر حزيران قطعت العلائق السياسيَّة بين اليونان ورومانيــة

وقد زار ملك اليونان رومية واستقبلهُ الحبر الاعظم في الڤاتيكان استقبالًا رسميًا . وقد تبودلت بينهُ وملك ايطالية نخب الوداد والصفاء (ستأتي البقيَّة)

قبل الولادة وبعد الموت

ردٌّ ثالث على المقتطف

للاب انطون صالحاني اليسوعي

يظهر ان مسألة النفس تهمّ المقتطف كما تهمّنا وتهمّ كل انسان . وهذا حقّ . فهي مسألة المسائل . لانهُ « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسهُ . أم ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسهِ » (متى ١٦ : ٢٦) . واذا نفينا وجود النفس فما معنى وما منفعة هذه الحياة الدنيا القصيرة المفعمة اتعابًا واحزانًا وامراضًا ومصائب وشقاء . ولهذا عاد المقتطف مرَّة ثالثة الى الخوض في هذه المسألة الخطيرة : فنعود اليها نحن ايضًا لنتعقَّب خطواته ونفنّد مزاعمه

انَّ المقتطف مع تظاهره بان مسألة النفس تهمّه لا يبحث عنهــا ولا يطلبها في مظانّها بل من حيث لا يمكنه ان يعثر على جوهرها ولا ان يعرف حقيقتها . فهو الى نفي النفس الروحيّة اقرب منهُ الى اثباتها . وما غايتــهُ الّا انكارها في بحثهِ عنها بالعلوم الطبيعيَّة فقط التي لا تستطيع ان تبحث الّا عمّا يقع تحت الحواس . والّا فلماذا لم يصرّح ولا مرَّةً واحدة في مقالاتهِ الثلاث بالقول ان النفس وان ثبت وجودها بالبراهين العقليَّة لم تتصل الى معرفتها بالعلوم الطبيعيَّة . فهذا الكلام الواضح الذي يزيل كل إبهام وكل سوء فهم لم يخطّهُ قلم المقتطف ولن يخطّهُ لانهُ بالحقيقة لا يسلّم بوجود نفس روحيَّة . فيكتفي بتكرار بعض عبارات مبهمة ليموّه على عقــول السذّج . وهذا هو اثم علماء عصرنا الماديين فانهم يشتغلون بالعلوم الطبيعيَّة نابذين الفلسفة العقليَّة فيغرقون في المادة ويختنقون . ولو كان صرَّح المقتطف بوجود نفس روحيَّة وبثبوت هذه الحقيقة من البراهين

المنطقيّة والفلسفة الحقّـة ثم اخذ يبحث عنها بالعلوم الطبيعيّة لمّا كنّا آخذناهُ ولما كنّا تعرّضنا لهُ لننتصر للحقيقة

ادرج المقتطف في عدده الاخير الصادر في كانون الاول رسالة لاحد المشتركين لم يسمّهِ هي على جانب عظيم من التمويه حاول فيهــا المراسل ان يبرّر المقتطف ونسب الينا « سخافة العقــل او التمحّل والمحاولة والمكابرة » (كذا) . افيصدق المراسل اذ يخاطب اصحاب المقتطف قائلًا : « لم تنكروا ما تقولهُ الاديان ولا ما يقولهُ الفلاسفة ولم تتعرّضوا لذلك لا بنفي ولا باثبات . ولم تشيروا الى ما يقولــهُ الفلاسفة واصحاب الاديان الّا للفرق بينهُ وبين البحث الطبيعي الذي اشرتم اليــهِ » فاين هذا القول من قول المقتطف « ان الاديان المختلفة تحلّ هذا السؤال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً او علماً عالياً غير مبنيّ على الحسّ والمشاهدة بل على الالهــام الالهي » . فقولهُ « حدس وتخمين » هو نفي لحقيقةٍ ثابتة مقرَّرة . وقولهُ « علم عالٍ غير مبني على الحسّ والمشاهدة » هو نفي ايضاً للبراهين الفلسفية التي تؤيد وجود النفس ومن ثم هو نفيٌ ايضاً لحقيقــة وجودها . لكونهِ لا يقبل الّا بما يقرّرهُ العلم المبني على الحسّ والمشاهدة . ومعلوم ان النفس الروحيّة لا تُعرف بالحسّ . وقولهُ « علم عالٍ مبني على الالهام الالهي » يدل على ان المقتطف لا يعلم ما هو العلم العالي اذ لا يميّزهُ عن الالهام الالهي بل يخلطهُ مع الوحي . وهذا غريب من اصحاب المقتطف . لانهُ لا احد يجهل ان الفلسفة العقليّة تبحث عن النفس بقطع النظر عن الالهام الالهي او الوحي . وعليهِ فالمقتطف في ما قالهُ لم يتعرض لاثبات الحقيقة لكنّهُ تعرَّض لنفيها . ومن ثم لم يصدق مراسلهُ لمــا حاول ان يبرّر اصحابهُ

ولنوضحنَّ ذلك بالمثل الذي اوردهُ مراسل المقتطف اي مثل السارق وهو :

« لنفرض ان زيدًا سُرق بيتهُ فاتّهم خالدًا بسرقتهِ وشكاهُ الى المحكمة وادَّعى انــهُ عرف بالهام الهي ان خالدًا هو السارق واقام ادلة كثيرة على ان الله يوحي اليــهِ احيانًا . فان المفوَّض بالحكم لا يقبل دعواهُ ولا يحكم على خالد بالسرقة . وكذلك اذا قال زيد انهُ عرف بشعور داخلي في نفسهِ ان خالدًا هو السارق وان هذا الشعور الداخلي صحيح وطالما كشف لــهُ الغوامض . فان المفوَّض بالحكم لا يقبــل دعواهُ ولا يحكم بموجبها . ولكن اذا اقام زيد ادلة طبيعيَّة محسوسة على ان خالدًا هو السارق وذلك بانــهُ اثبت وجود الامتعة المسروقة في بيت خالد واستشهد اثنين من

الشهود العدول . . . فان المفوَّض بالحكم يأخذ بهذه الادلة المحسوسة ويحكم على خالد بالسرقة مع انهُ لم يأخذ بادلة الوحي ولا بادلة الشعور الوجداني لا لان ادلة الوحي غير صحيحة ولا لان ادلة الشعور الوجداني غير صحيحة بل لان القانون يضطرهُ ان يبني حكمهُ على الادلـة المحسوسة او المستنتجة من امور محسوسة »

فنجيبهُ لو أنكر المراسل على المفوّض بالحكم ليس فقط الاستناد الى ادلّة الوحي والى أدلّة الشعور الداخلي بل انكر عليـهِ ايضاً الاستناد الى الادلة الطبيعيّة المحسوسة التي توصلهُ الى معرفـة من هو السارق أفلا يكون منع الوقوف على الحقيقة . فهذا هو عمل المقتطف . فانهُ من جهة لا يقبل بالوحي في البحث عن النفس . (ونحن لم نبحث عنها بالالهام الالهي) . ولا يقبـل بالعلم العالي لانهُ لا يقبل بعلم عالٍ غير مبني على الحس والمشاهدة فضلًا عن انهُ يخلطهُ مع الالهام الالهي . ومن جهة اخرى يصرّح بان العلوم الطبيعية لم تتصل الى الآن الى معرفة وجود النفس وماهيتها ومصدرها ومآلها . فماذا أبقى لنا رعاهُ الله سوى نفي وجود النفس بما انهُ لا براهين لديهِ لمعرفتها وينكر علينا البراهين العقليّة التي من شأنها ان توصلنا الى معرفة الحقيقة

فلو انكرنا على المقتطف البحث عن النور بحاسّة البصر واردنا حملـهُ على هذا البحث بحاسّة السمع وصرّحنا ان حاسة السمع لم تتصل الى الآن الى معرفة ما هو النور وكيفيَّة سيرهِ الخ . أفليس انَّهُ ينسب الينا الخطأ الفاحش . كذلك نخطئهُ نحن وبكل صواب اذ نراه يحظر البحث عن ماهيّة النفس بعلم ما وراء الطبيعة المميز عن الالهام الالهي والغير المبني على الحسّ والمشاهدة . ويحصر هذا البحث في العلوم الطبيعيَّة التي لم تتصل ولن تتصل ابدًا الى معرفة حقيقة النفس . لان العلوم الطبيعيَّة لا تتناول الّا ما يُدرَك بالحواس ويستحيل ان تُدرَك النفس بالحواس . فيلقي قرّاءهُ في الشك ويضلّهم

هذا هو خطأ المقتطف اذ يكرّر القول بان تعليم الاديان بخصوص النفس « حدس وتخمين » اي امر غير ثابت ولا مقرَّر . وان تعليم الفلسفة الحقيقيَّة « غير مبني على الحسّ والمشاهدة » ومن ثم مردود ومرفوض عنده . وان العلوم الطبيعيَّة قصّرت الى الآن عن الوصول الى معرفة النفس كما يقرّ هو وكما بيّنّا لهُ في مقالتينا السابقتين . فبقي لقرّائه اذا كانوا من السذّج الغفّل أن يستنتجوا عدم وجود النفس الروحيَّة . وهـذا

هو مراد المقتطف. شأن من يقصد التضليل دون التصريح والمجاهرة . لأن الذي لا يسلم بحقيقة ثابتة ويرفض بدون حقّ البراهين التي وحدها تمكن من اثباتها فهذا لعمري يتعرّض لنفي الحقيقة. ومن ثم فقد اخطأ عمداً مراسل المقتطف بقولهِ لاصحابهِ « لم تنكروا ما يقولهُ الاديان ولا ما يقولهُ الفلاسفة ولم تتعرضوا لذلك لا بنفي ولا باثبات ». وقد خطأهم من حيث قصد المدافعة عنهم

وعليهِ فجوابنا لم يكن من « سخافة العقل » بشيء. كما زعم . ولا جواب « متمحّل محاول مكابر » بل جواب الحق والحق يَقوى ولا يُقوى عليهِ

هذا واننـا بكل طيبة خاطر نلبّي طلب المقتطف في الجواب على بعض مسائل عرضها علينـا

اولها : « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوَّن في بطن امّهِ » . فالجواب هو ان النفس قبل تكوُّن الجنين في بطن امّهِ لا وجود لها البتة بل هي عدم . انما يخلقهـا الله رأساً حال تكوّن الجنين . نبيّن ذلك بتشبيه قريب لا يمكن للمقتطف ان ينكرهُ . هذه المادَّة التي تكوَّن منهـا العالم الارض والقمر والشمس والنجوم نسأل المقتطف أهي مخلوقة ام غير مخلوقة . فاذا قال انها مخلوقة فنسألهُ اين كانت قبل ان يخلقها الله . وان قال انها غير مخلوقة فيكون قد سلَّم بقـول الدهريين والطبيعيين والماديين وهو قول الكفر لانهُ يجعـل المادة ازلية اي يجعلها الله وينفي الاله الحقيقي. والعجب كل العجب ان الماديين يسلِّمون بمادة ازلية تكوَّن منها العالم ولا يسلّمون بعقل ازلي كلِّي الكمال هو الله. ومن ثمّ فلا بدَّ للمقتطف من الجواب بان الله خلق المادة من العدم اي انـهُ لم يكن لها وجود قبـل ان تُخلق ولم تكن في محلّ بل كانت عدماً . وهكذا نقول عن النفس. فانها قبل ان يتكوّن الجنين في بطن امّهِ كانت عدماً اي غير موجودة فلم تكن في محلّ وانّما اوجدها الله اي خلقها لتتَّحد بالجنين حال ابتداء تكوّنهِ. وعليهِ فسؤال المقتطف « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوَّن في بطن امّهِ » هو باطل لا معنى لهُ ولا فائدة إن علم الحقيقة

والبرهان على ان الله يخلق رأساً للنفس حال ابتداء تكوّن الجنين بيِّن. لان النفس بما انها بسيطة لا اجزاء لها فلا يمكن ان توجد بان تشتقّ من نفس الامّ . وبما انها روحيَّة

وعقليّة فلا يمكن ان توجد بان تُستخرج من المادة . فلم يبقَ الّا ان يخلقها الله رأساً كما خلق المادة

السؤال الثاني : « في اي وقت تدخل (النفس) جسم الجنين » . قبل ان نجيب على هذا السؤال نقول ان الكلمة « دخل » التي استعملها المقتطف ليست مناسبة ولا صوابية لان النفس لا تدخل في الجسم كانها ضمنهُ ويحتوي عليها . فليست في الجسد كالماء في الاناء او كالحنطة في الكيس . بل هي متحدة بالجسم اتحادًا جوهريًا فيتكوّن من النفس والجسم شخص واحد هو شخص الانسان

فبعد ان قدّمنا هذه الملاحظة نجيب اوّلًا : على افتراض انهُ لا يمكنّا ان نعيّن ونحدّد الوقت الذي فيهِ تتحد النفس بالجسم فهذا لا ينفي وجودها واتحادها بهِ . كما انهُ لا يسوغ للعالم في العلوم الطبيعيّة ان ينفي وجود المادة إن لم يمكنهُ ان يعيّن الوقت الذي فيهِ خُلقت . وكما لا يجوز لهُ ان ينفي الشمس إن لم يمكنهُ ان يعيّن ويحدّد الوقت الذي فيهِ كُوّنت . وكما لا ينفي احد الحريق المشتعل في غابة او في بناية وإن لم يتمكّن من تعيين الساعة التي فيها ابتدأ

نجيب ثانياً : ان النفس يخلقها الله رأساً حالما يصير الحبل اي حالما يتمّ تلقيح البويضة . هذا هو اشهر تعليم العلماء سواء كانوا لاهوتيين او فلاسفة او اطبّاء . ومن ثم تُميّز النفس جسم الجنين في كونهِ جنين انسان عاقل لا جنين حيوان غير عاقل

السؤال الثالث : « هل تكون (النفس) حينئذٍ كاملة في كل مداركها »

الجواب : ان مدارك النفس تستلزم بعض النموّ في الجسم وكمال الجهاز الحسّي والدماغ . لان النفس في حال اتحادها بالجسم لا تُدرِك الّا بالحواس او بعد ان تكون الحواس تمت وظائفها اي شعورها . فالنفس تدرِك الماديات ويشترك الحسّ بهذا الادراك . وتدرِك غير الماديات اي تعلمها بشرط ان يرافق معرفتها شعور حسّي او تخيُّل حسّي فانها تجرّد من الشعور الحسي موضوع ادراكها العقلي اي المعاني . وعليهِ فطالما لم تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال لا يمكن لقوى النفس ان تخرج الى حيّز العمل . فتكون كالنار الكامنة تحت الرماد التي تضطرم وتلتهب حين يكشف عنها الرماد ويُلقى عليها الوقود . ويحسن ان نوضح ذلك بتشابيه اخرى : ان شجرة النخلة مثلًا لمّا تكون نبتة صغيرة تكون كاملة في جنسها . ومع ذلك طالما لم

تبلغ النموّ اللازم لا تزهر ولا تثمر . وهــذا النمو اللازم يختلف في النبات والاشجار لمختلفة . والولد هو كامل في جنسهِ الانساني لا يقوى على التناسل طالما لم يبلغ . مع ان فيهِ مبادئ قوة التناسل . ومبادئ النطق كامنة في الرضيع ولا تظهر بالفعل الّا بعد مدّة . فهذه التشابيه تقرّب لنا فهم ما يخصّ قوى النفس ومداركها . فانها موجودة فيها كامنة فتتنبه شيئاً فشيئاً مع نمو الجسم وتهيؤ الحواس والدماغ لمساعدة النفس في ادراكها . وهذا لا يتمّ الّا بعد زمن من الولادة . فتدرك بالحواس وتدرك بالعقــل بأن تجرّد من الشعور الحسي موضوعها العقلي اي المعاني . ومن هنا المعرفة الحسيّة التي نشترك فيها مع الحيوانات . والمعرفة العقليّة المختصة بالانسان

السوٴال الرابع : « الى اين تذهب (النفس) بعد الموت »

الجواب : انها تمثل حالّا امام الله الديان الموجود في كل مكان لتوٴدي الحساب عمّا عملت في حال اتحادها مع الجسد . وتكون في سلطتهِ تعالى . لا كما يقــول بعض العلماء الذين تثقون بهم واوردتم زعمهم « ان نفوس الموتى تبقى حول الاحياء توٴثر فيهم على طرق مختلفة » . فان هذا متعلّق بمشيئة الله وسلطة القدير العادل . فيضع النفس امّا في السماء محل السعادة الابدية اذا كانت خالية من كل خطيئة او معصية . امّا في جهنم محلّ العذاب الابدي اذا مات الانســان وهو اثيم بخطيَّة مميتة او معصية باهظة لشريعة الله ولم ينل المغفرة عنها قبل موتهِ بالتوبة الصادقة . واما في المطهر الى زمن محدود يعرفهُ الله وحدهُ اذا مات الانسان وعليهِ بعض زلّات او مخالفات عرضيّة لوصايا الله ولم يفــِ عنها قبل الموت . لانهُ « لا يدخلها (السماء) شيء نجس » (روٴيا ٢١ : ٢٧) . وهذا التعليم يبرهنهُ العقل فضلًا عن الايمان . لانهُ ليس من العــدل الالهي ان الرجل الملطّخ باشنع الخطايا المرتكب لكثير من الآثام وقد يكون معزّزًا مكرّمًا متلذذًا غنيًا في دنياه يرحل من هذه الحياة دون ان يلقى بعد الموت جزاء ما جنت يداهُ من الشرّ . كما انهُ ليس من العدل الالهي انَّ البار الطاهر العادل المحب لقريبهِ الحافظ لشريعة الله ولحقوق الناس وكثيرًا ما يكون مجهولًا مظلوماً مبتلًى بمصائب متنوعة يرحل دون ان يجازى بعد الموت على ما تمّمهُ من الخير والبرّ في ايام حياتهِ

ولا يتخيلنّ المقتطف ان النفس توضع في المكان كالجسم . لان الروح البسيطة لا اجزاء لها ولا طول ولا عرض ولا يمين ولا شمال . فلا تشغل المكان كما تشغلهُ المادة .

فنفسك يا هذا هي كلها في جسمك وكلها في كل جزء من جسمك . فلا تُقطع ولا تنقص اذا قطعت يدك او رجلك طالما جسمك هو في الاستعداد اللازم لحفظ اتحاد النفس بهِ . لكن متى فُقدت الشروط لحفظ هذا الاتحاد فتنفصل النفس . وبما ان النفس هي غير مادّية فلا تتلاشى بالانحلال كالاجسام لان لا اجزاء فيها قابلة الانحلال . ولا تعود الى العدم لان الله الذي خلقها ويقدر ان يعدمها الوجود يريد حفظها ليجازيها على اعمالها ان صالحة بالخير اي بالسعادة وان طالحة بالشرّ اي بالعذاب

وهذه السؤالات التي عُرضت علينا كل من لهُ بعض الالمام بالفلسفة العقليّة وهي العلم الحقيقي العالي يمكنهُ ان يجيب عليها . فلا حاجة حسب وعد المقتطف الى تعيين « جائزة عشرين جنيهاً لمن يكتب مقالة في هذا الموضوع تملأ عشر صفحات من المقتطف على الاكثر وتقرّ لجنة من كبار علماء القاهرة على انها وفت بالمطلوب وتستحق الجائزة » . فان اعضاء هذه اللجنة اذا كانوا من الماديين وتشرّبوا مشرب المقتطف لا يحكمون الّا بحكمهِ . وان كانوا يعلمون معنا تعليم الحق يردّ المقتطف حكمهم كما يردّ حكمنا . فليسأل اناره الله لجنة كبار العلماء والفلاسفة في العالم اجمع يجدهم يحكمون على المقتطف كما حكمنا ويقولون بوجود نفس الانسان وبروحانيتها وبخلقها رأساً من الله وباتحادها مع الجسم الخ . وقد ذكرنا لهُ منهم في مقالتنا الاولى عدداً وافراً يربي على الخمسين . فلماذا لم يذعن لحكم هذه اللجنة وهي اعظم اهمية من كبار علماء القاهرة

وفي ما قلناهُ كفاية لذوي العقل السليم المتجردين عن الاهواء والغايات الراغبين في معرفة الحقيقة . ويشقّ علينا وايمُ الحق ان نرى المقتطف يكتب حيناً بعد حين مقالات او فقرات في مسائل خطيرة يتحرّى فيها تأييد آراء الطبيعيين والماديين والدهريين . لان العالِم اذا ضلّ يُضلّ معهُ كثيرين وسيؤدي حساباً مدققاً صارماً لله تعالى في يوم الدين عن كل ما كتب في المسائل التي لها علاقة شديدة مع الديانة

ومن ثم نطلب الى مراحمهِ تعالى ان يهدي اصحاب المقتطف لانهُ يمكنهم ان ينفعوا ويمكنهم ان يضرّوا كثيراً . ونرغب ان ينفعوا في مجلتهم ولا يضرّوا

عيد الدّنْح

نظر لحضرة القس بطرس نصري الكلداني (تتمّة)

٢

قلنا ان عيد الدنح يشير ايضاً الى ظهور المسيح العلنيّ للعالم بواسطة عماده. وذلك ان السيد المسيح لدى بلوغهِ سنة الثلثين من عمرهِ اتى الى الجليل الى يوحنّا ليعمَّد منهُ في الاردن (متى٣). وقد تعمَّد لاسبابٍ منها لكي ينقّي ويطهّر المياه بجسدهِ فتحصل بهذه التنقية على قوّةٍ وفاعليَّةٍ لتطهير المعمَّدين بها. ثم لانهُ ولئن كان هو الطهارة والنقاوة بالذات ولم يعرف الخطيَّة قد اخذ طبيعةً شبيهةً بجسد الخطيَّة. فاراد بعمادهِ الذي لم يكن محتاجاً اليهِ ان يغطّس طبيعة الجنس البشري كلها المحتاجة الى تطهير الماء. واخيرًا لكي يعمل هو ما أمر الجميع ان يعملوهُ. لذلك قال (متى٣: ١٥): «هكذا يجب ان نكمّل كلّ البرّ»

ولا يخفى انهُ انما عمل هو ما أمر الجميع ان يعملوه لا لكي نعتمد نحن الآن بعماد يوحنا كما كان شعب اليهود يعتمد بهِ (لوقا ٣). لان هذا عماد يوحنا كان يجب الغاؤهُ اذ لم يكن لهُ قوّة تخويل النعمة. بل لكي نعتمد بالعماد الذي رسمهُ المسيح لمغفرة الخطايا. لان كل تعاليم واعمال يوحنا المعمدان كانت استعدادًا وتأهباً لرسوم المسيح. امَّا النعمة فكان يجب تخويلها للناس بالمسيح الذي وجب بهِ النعمة والحق (يو ١: ١٤). والفرق بين عماد يوحنا وعماد المسيح هو ان عماد يوحنا ولو كان قد رُسم من الله (لو ٢٠: ٤). الّا ان مفعولهُ كان من يوحنا ولذلك سُمّيَ بهِ اذ لم يكن يفعل اكثر ممّا كان يفعلهُ يوحنا وهو غسل الجسد الذي كان رمزًا عن غسل النفس من الخطيَّة وخاصَّةً الاصلية بقوّة النعمة التي يخوّلها فقط العماد الذي رسمهُ المسيح. وعليهِ فكان عماد يوحنا ليعدّ الناس فقط الى النعمة: اوّلًا بتعليم يوحنا الذي كان يقتادهم الى الايمان بالمسيح. ثانياً بتعويدهم على طقس عماد المسيح. واخيرًا بالتوبة مُعدًّا اياهم لاقتبال مفعول عماد المسيح. ولذلك قال (متى ٣: ١١): «انا اعمدكم بالماء للتوبة وهو يعمدكم بالروح القدس»

ومن ثم ينتج ان الذين عُمّدوا بعماد يوحنا كرُسل المسيح كان يجب ان يُعمَّدوا بعماد المسيح الذي هو وحده يخوّل النعمة ويطبع فيهم سِمَةً لا تُمحى تميّزهم عن غيرهم كما قيل (يو ٣ : ٥) : « من لم يُولد من الماء والروح لن يقــدر ان يدخل ملكوت السماء » . امّا المسيح فلم يُعمَّد بالعماد الذي رسمهُ بل بعماد يوحنا الذي كان بالماء لا بروح القدس . لان المسيح لم يكن محتاجاً الى العماد الروحي لمغفرة الخطايا . لانهُ كان ممتلئاً من نعمة الروح القدس منذ الحبل بهِ . ولذلك قد أخّر عمادهُ الى السنة الثلثين من عمرهِ ليس فقط ليبيّن انــهُ لم يكن محتاجاً الى العماد بل لانهُ اراد ان يبتدئ حالاً بعد عمادهِ ان يعلّم ويكرز الامر الذي كان يقتضي عمراً كاملاً

اما كون المسيح قد اختار العماد في نهر الاردن (مرقس ١) فليس ذلك دون سرّ . لان نهر الاردن دخل بــهِ بنو اسرائيل الى ارض الميعاد . ومن شأن العماد الذي رسمهُ المسيح وخاصّتهِ ان يدخلنا الى مملكة الله والكنيسة المشار اليها بارض الميعاد . ولذلك قيل (يو ٣ : ٥) : « من لم يولد من الماء والروح لن يدخل ملكوت السموات » . ثم ان ايليا قسم مياه الاردن حينما اختُطف الى السماء بمركبةٍ ناريّة (٤ ملوك ٢ : ١١) . وبذلك اشــارة الى ان الداخلين بماء المعموديّة يتهيّأ لهم الطريق الى السماء بنار الروح القدس

هلمّ الآن نبحث عن معنى افتتاح السماوات في اثناء عمــاد المسيح وكيف نزل الروح القدس عليهِ بصورة حمامة والى ماذا يشير صوت الآب القائل : « هذا هو ابني الحبيب » . فنقول :

ان المسيح اراد ان يُعمَّد لكي يقدّس بعمادهِ العماد الذي نتعمَّد بــهِ نحن . ولذلك يجب ان يبيّن عماد المسيح الاوصاف المختصّة بفاعليّة عمادنا . فالوصف الاوّل هو قوّة الفاعل الاول السماويّة . ولذلك انفتحت السماوات للمسيح بعمادهِ . الثاني ايمان الكنيسة والمتعمّدين الذين يعترفون بالايمان . ولذلك سُمّي العماد سرّ الايمان . فانفتحت السماوات لاننا نرى بالايمان السماويّات التي تفوق الحس والعقــل البشري . الثالث كون العماد هو الطريق الى السماء لان بــهِ يتهيّأ لنا الدخول الى مملكة السماء . فانفتحت السماوات بعماد المسيح

ولا يخفى ان انفتاح السماوات لم يتمّ بفصل او شقّ العناصر . لان الاجسام السماويّة غير قابلة التأثير والكسر ولكن بنظر الاعين الروحيّة كما ان حزقيــال النبي ذكر في

بداءة كتابهِ ان السماوات قد انفتحت . لانهُ لو شُقَّت او كُسرت الاجسام السماوية بانفتاح السماوات لرآها الجميع مفتوحةً . والحال انهُ يُقال (متى ٣ : ١٦) : « انفتحت السماوات لهُ » اي للمسيح . وكذلك نقرأ (مر ١ : ١٠) : « انهُ حالما صعد من الماء رأى (هو لا غيره) السماوات مفتوحةً » . وهذا الانفتاح يمكن فهمهُ عن رؤية حسيَّة وعقليَّة معاً اعني ان المسيح ولو كان يعرف قبلًا وينظر كلَّ شيء . الَّا انـهُ بعد تقديس العماد قد رأى السماء فعليًا مفتوحاً للناس . لانهُ ولو كان يجب ان يفتح لنا السماوات بآلامهِ كما بعلَّة عموميَّة . الَّا انـهُ يقتضي للدخول الى السماء تطبيق هذه العلَّة العموميَّة او آلام المسيح على كلِّ واحدٍ من البشر لكي تفتح لنا السماوات . وهذا يتمّ بالعماد ولذلك يقال (رومية ٦ : ١٤) : « نحن الذين اصطبغنا بيسوع المسيح قد اصطبغنا في موتهِ »

ثم كون الروح القدس قد نزل على المسيح في اثناء عمادهِ فهذا امر يختصّ بسرّ كل المؤمنين الذين يقبلون العماد . لان المعمَّدين ان لم يُقدموا اليـهِ بالحيلة والخداع يقبلون هم ايضاً الروح القدس . كما قال يوحنا عن المسيح (متى ٣ : ١١) : « يعمّدكم بالروح القدس » . ولا يخفى ان نزول الروح القدس بصورةٍ منظورة على المسيح في اثنـاء عمادهِ هو مثال وانموذج لِما يتمّ في عمادنا ولو ان الروح لا ينزل منظوراً في عمادنا الَّا انهُ يحلّ علينا بنـوع غير منظور لان الظهورات الحسيّة كانت في بادئ الامور الروحيَّـة ضروريَّة لخير الذين لا يقدرون ان يفهموا كنه الطبيعة الغير الجسديَّة لكي يقبلوا الايمان ما بعدُ بنزول الروح القدس على عمادهم نزولًا غير منظور كما تمّ يوماً بنوعٍ منظور

ولا يخفى ان لنزول الروح القدس على المسيح بصورة حمامةٍ ولا بصورةٍ أُخرى اسباباً مهمّة منطبقة وموافقة لهـذا السر اولًا نظرًا للاستعداد الذي يُطلب من المعمَّدين الى ان يتقدَّموا ببساطة قلب دون غشّ وخداع كما هو شـأن طبع الحمامة وسِمَتُها . ثانياً للاشارة الى سبع مواهب الروح القدس اعني الحكمة والمشورة والفهم والقوّة والعلم والتقوى وخوف الله التي تنطبق انطباقاً كاملًا على خواص الحمامـة وصفاتها . ثالثـاً نظرًا للمفعول المخصوص بالعماد وهو غفران الخطـايا والمصالحة مع الله . وكما ان الحمامة قد عادت الى سفينة نوح وفي فيها غصن الزيتون الذي هو علامة وبشارة السلام بعـد غسل الارض من خطايا البشر بمياه الطوفان العرمرم كذلك نزل الروح القدس بصورة حمامة مبشِّرًا البشر بغفران الخطايا بغسل الماء وبالمصالحة مع الله . رابعاً للاشارة

الى مفعول العماد العمومي وهو تقويم الوحدة البيعيّة. ولذلك قيل عن المسيح (اف ٥ : ٢٧) : « أعطى نفسهُ ليقيم لذاتهِ كنيسةً مجيدةً لا عيب فيها ولا غضن ولا شيء يشبه ذلك منقيًا اياها بغسل الماء بكلمة الروح » . ومعلوم ان الحمامة هي حيوان صدوق مخلص مُحبّ للائتلاف . اما كون الروح القدس قد حلّ على التلاميذ بصورة نار فلكي يُبيّن لنا انهُ بعد ان نقّاهم بغسل الماء يريد ان يضرمهم ويحمّي ذنوبهم بحرارة الايمان فينذروا بالمسيح بين ضيقات الاضطهادات

ويجب ان نلاحظ ان الروح القدس قد نزل على المسيح بصورةٍ جسديّة لا كأن جوهر الروح القدس الغير المنظور بدأ ان يُنظر . ولا كأنَّ تلك الحمامة او الخليقة المنظورة قد اتّحدت بأُقنوم الروح القدس الالهيّ كما اتحد كلمة الله بالطبيعة البشريّة . لانـهُ لا يقال قط ان الروح القدس هو حمامة كما يقال ان ابن الله هو انسان لسبب الاتحاد . فيجب القول ان الروح القدس نزل على المسيح بزيّ حمامة خُلقت اواتخذ لتلك الغاية اما لسبب اعتبار مزيّة الحمامة المشيرة الى الروح القدس وهي نازلة على المسيح كما مرّ الكلام . واما لسبب اعتبار النعمة الروحيّة التي تصدر من الله بطريق النزول الى الخليقة . كما قيل (يع ١ : ١٧) : « كل عطيّة صالحة وكل موهبة كاملة هي من فوق نازلة من ابي الانوار »

ولنختم الآن كلامنا بظهور الآب بزيّ صوت في عماد المسيح . ولنتذكّر ما قلناه في بدء هذه اللمعة ان لاهوت المسيح لم يظهر للجميع في ولادتهِ الجسديّة ظهورًا علنيًا بل ظهورًا مختفيًا وذلك للبعض فقط . ولكن حينما بلغ عمرًا كاملًا قد أعلن في عمادهِ لاهوتهُ بشهادة الثالوث الاقدس . لان عماد المسيح الذي هو نموذج عمادنا يجب ان يبيّن ما يتمّ في عمادنا . والحال ان عمادنا انما يتمّ ويُقدَّس باستدعاء الثالوث الاقدس وقوّتهِ كما قال المسيح (متى ٢٨ : ١٩) : « اذهبوا وعلّموا كل الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » . ولذلك قد ظهر الثالوث في عماد المسيح فانَّ الابن ظهر بطبيعتنا البشريّة والروح القدس بصورة حمامةٍ وسُمع صوت الآب يشهد لابنهِ قائلًا : « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ » . ولا يخفى ان الصوت الذي بهِ أعلن الآب نفسهُ في عماد المسيح قد صُوّر بفعل الله او الثالوث الاقدس كما ان تصوير الحمامة والطبيعة البشريّة التي اتّحد بها الكلمة الالهي قد تمّ بفعلهِ ايضًا .

ولذلك لن يعلن الآب بالصوت الّا بما انــهُ مُبدع الصوت او المتكلّم بالصوت. من حيث أنَّ من خاصَّة الآب إصدار الابن او الكلمة . وهذا الاصدار هو عبارة عن النطق او القول العقلي لذلك كان جديرًا بالآب ان يعتلن بالصوت الذي يعني الكلمة. وهذا الصوت الصادر من الآب هو كنايةٌ عن إعلان لبنوَّة الكلمة الازليَّة . وكما ان صورة الحمامة ليست طبيعــة الروح القدس وليست الطبيعة البشريَّة طبيعة الابن الاصليَّة كذلك هذا الصوت ليس طبيعة الآب المتكلّم بل هو من خلقتهِ

وفي هذا المقام وبمناسبة عيد ظهور يسوع المسيح مخلّصنا للعالم علينا ان نرفع عقولنا الى السماء متأمّلين في المحبَّة الالهيَّة التي بها اعلن لنا ربُّنا اسرارهُ الفائقة طور العقــل البشري وخاصَّةً سر الثالوث الاقدس المتعالي على كل وصفٍ ونشكر جودته العظيمة التي اخرجت الجنس البشري من ديجور الضلال وظلام الموت الى نور الحيوة مكرّرين مع بولس الرسول (رومية ١١: ٣٣): « يا لعمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ . ما أبعد احكامه عن الادراك وطُرقه عن الاستقراء. من عرف فكر الرب ومن كان لهُ مشيرًا ومن سبق فأعطى لهُ فيُكافأ . لان كلّ شيء هو منهُ وبهِ واليهِ فلــهُ المجد لدى الدهور آمين »

المُكْحلــة

توطئة

نقلنا هذه المقالة عن كتاب مخطوط في مكتبة احدى مدارس البلدة وهي مدرســة الروم الارثذكس المعروفة بالثلاثة اقمار. وقد سبق لنا وصفهُ في العام المنصرم وعنهُ اخذنا المقالات الثلاث في الآلات المنغّمة (المشرق ٩: ١٨-٢٨) ومقالــة بني موسى في الآلات المزمّرة (٤٤٤-٤٥٧) وممَّا ورد في هذا المجموع النفيس رسالــة في المكحلة لابي محمَّد عبدالله بن قاسم الصقليّ . وان سألت ما هي المكحلة اجبنا انَّ المكحلة في اللغة وعاء يُجعل فيهِ الكحل ليس لها في المعاجم اللغويَّة معنًى آخر وقد استعمل كتبة القرون المتوسّطة لفظة المكحلة لآلة كانوا يجعلون فيهــا الحرّاقات والنفط (feu grégeois) يلقون بها على العدوّ (Journ. As., 1850¹ p. 248) ولها في هذه الرسالة معنى ثالث لم نجد لهُ اثرًا في كتاب اعني الساعة الشمسيَّة (cadran solaire) يتّخذونها لمعرفة اوقات الصلاة برصد الشمس وظلّها. وللعرب لفظة اخرى اشبع منها وهي المِزْوَلة قال في التاج انها آلة للمنجّمين يُعرف بها زوال الشمس فدعاها صاحب المقالة مُكْحلةً لشبهِ علبتها بالمكحلة

امّا مؤلف هذه المقالـة فهو ابو محمّد عبدالله بن قاسم بن عبدالله بن يحيى الصقلي وقد بحثنا عنهُ في ما لدينا من تراجم اصحاب علم الهيئة فلم نجد لهُ ذكرًا وهو بلا شكّ ممّن عاشوا قبـل القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح كما يشهد بذلك تاريخ المخطوط الذي نقلنا عنـهُ (اطلب المشرق ٩ : ١٨ – ١٩) امّا طريقة رسم هذه الآلة الرصديّة فهي غير الطريقـة الشائعة اليوم وان كان مبناها على مبدأ وقوع ظلّ الشمس في حركاتها النهاريّة على سطح يُنْصَب فيـهِ لسانٌ او ميل . وبين هذه الآلة والاسطرلاب بعض الشبه (راجع مقالـة الاب كولنجت في الاسطرلاب في المشرق ٣ : ٨٢٩ مع صورة الاسطرلاب ص ٨٢٧ و ٩٨٣) ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم (p. 147)

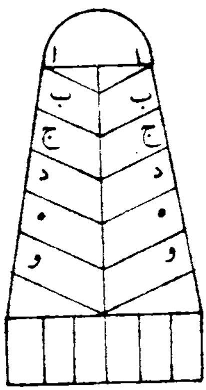
قال ابو محمّد عبدالله بن قاسم بن عبدالله يحيى الصقلّي

الحمد لله المحمود بكل لسان . المعبود في كلّ مكان . الدائم في العزّ والسلطان . الذي ارسل محمّدًا بالهدى ودين الحقّ ليظهرهُ على الدين كلّهِ ولو كره المشركون . وبعد فيجب على كلّ عاقل بالغ باستكمال سنّ البلوغ والحلم شرعًا النظر والذكر في خالقـهِ وصانعهِ وعمّا يجب لـهُ وما يُتّقى عنهُ . فاذا علم ذلك وجب عليهِ اتّباع انبيائهِ وامتثال اوامرهِ والوقوف عند نواهيهِ وزواجرهِ . فاذا ما امتثل ما امرهُ تعرّض للثواب الجزيل في الحياة الدنيا وفي الآخرة وان أعرض عن ذلك تعرّض للوعيـد والعذاب الشديد على خلاف ما يريد وعلم انّ لهُ ربًّا يتحكّم فيهِ بما يريد لا رادّ لحكمهِ ولا مدّبر غيرهُ . ثمّ يمتثل ما امرهُ بهِ الله على لسان نبيّهِ عليهِ السلام وهي الصلوات الخمس المطلوبات في اوقاتهنّ بركوعهنّ وسجودهنّ وما فُرض عليهِ . فاذا علم ذلك يجب عليهِ معرفة الاوقات لهذه الصلوات ليؤدّيها في اوقاتها اي « معرفة الآلة التي تُعرف بهـا اوقات الصلوات بالنهار في سائر المدن » وهي الآلة المعروفة بالمكحلة وبها تُستخرَج ساعات النهار وتُعرف فصول السنـة

فتبدأ على بركة الله وعونهِ ثمّ تتّخذ من النحاس او من البقس او من الخشب او من اي جسد شئت على هذا الشكل وهو شكل مخروط . ثمّ تقسّمهُ باثني عشر قسمًا متساويةً بما دارت وهـذه هي قسمة الشهور الاعجميّة وتكتب اسم كلّ شهر في قسم

وترسم تحت تلك القسمة مما يلي اسفل المكحلة قسمةً اخرى مخالفة لها وهي لأَخذ القبلة لصلاة الظهر . واعلم انَّ (148) هذه القسمة للاثني عشر شهرًا مرسومة طولًا من اعلى المكحلة الى اسفلها

ثم ترسم ستّة خطوط ايضًا عرضًا تقاطع اعلى الخطوط الاثني عشر المقسومة طولًا [وهذه الستّة الخطوط المتقاطعة عرضًا تجتمع اطرافها في رأس المكحلة في نصف شهر « دجنبر » من قسمة الشهور الاعجميّة المرسومة (١] طولًا على الخطوط الاثني عشر ثمَّ تنفرج على مقدار المكحلة وكلّما انفرجت كان انفراجها لنهايته ونهايتهُ في النصف من « يوليه » ثمَّ يلتقي في ٦ خطوط لستّ ساعاتٍ نازلة ولستّ ساعات طالعة تمام اثني عشر ساعة والخطّ السادس من هذه الخطوط يسمّى خطّ الاستواء وخطّ



نصف النهار وهو الخطّ الذي ينتهي الى الدارة التي في اسفل المكحلة وعلى الخطّ الخامس من هذه الخطوط نُقط وعليها مكتوب « ظُهر » وعلى الخط الثالث منها نُقط ايضًا مكتوب « عَصر » وهي ثلاث في كلّ شهر وهي علامة العصر وهي ايضًا لقسمة الشهر عند الوزن في رأس المكحلة مما يلي الغطاء . ثلاث نقط في كلّ شهر لقسمة الشهر عند الوزن ليس لها معبر غير ذلك وما بين الثلاث نُقط اربع فسح هي المعدودة لاربع جُمَع

فاذا اردت ان تزن بالمكحلة انزلتَ اللسان بعد ان تدير الغطاء على مقدار ما مضى من الشهر من تلك الاجزاء الاربعة فانزلتَ طرف اللسان ايضًا على الجزء الذي يوازيه من النقط التي على الخط الذي للعصر حتّى يكون الظلّ على زاوية قائمة وبذلك يصحّ الوزن ان شاء الله

واعلم انَّ رأس المكحلة فيه ثلاثة ألسنة فان نقص الاقصر (149) منها في قطر ما وزنتَ بالآخر اطول لانَّ التقريب بينهما يسير (٢ خانة اذا لم يصل ظلّهُ الى

١) ما وضعناهُ بين معقّفين أُعيد مرّتين في الاصل بسهو الناسخ
٢) هنا كلمة او كلمتان قرضتها بأ كل السوس

اما مؤلف هذه المقالة فهو ابو محمَّد عبدالله بن قاسم بن عبدالله بن يحيي الصقلي وقد بحثنا عنهُ في ما لدينا من تراجم اصحاب علم الهيئة فلم نجد لهُ ذكرًا وهو بلا شكّ ممَّن عاشوا قبل القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح كما يشهد بذلك تاريخ المخطوط الذي نقلنا عنهُ (اطلب المشرق ٩ : ١٨-١٩) اما طريقة رسم هذه الآلة الرصديَّة فهي غير الطريقة الشائعة اليوم وان كان مبناها على مبدأ وقوع ظلّ الشمس في حركاتها النهاريَّة على سطح يُنصَب فيهِ لسانٌ او ميل . وبين هذه الآلة والاسطرلاب بعض الشبه (راجع مقالة الاب كولنجت في الاسطرلاب في المشرق ٣ : ٨٢٩ مع صورة الاسطرلاب ص ٨٢٧ و ٩٨٢) ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم (p. 147)

قال ابو محمَّد عبدالله بن قاسم بن عبدالله يحيي الصقلّي

الحمد لله المحمود بكل لسان . المعبود في كلّ مكان . الدائم في العزّ والسلطان . الذي ارسل محمَّدًا بالهدى ودين الحقّ ليظهرهُ على الدين كلّهِ ولو كره المشركون . وبعد فيجب على كلّ عاقل بالغ باستكمال سنّ البلوغ والحلم شرعًا النظر والذكر في خالقهِ وصانعهِ وعمَّا يجب لهُ وما يُتّقى عنهُ . فاذا علم ذلك وجب عليهِ اتّباع انبيائهِ وامتثال اوامرهِ والوقوف عند نواهيهِ وزواجرهِ . فاذا ما امتثل ما امرهُ تعرّض للثواب الجزيل في الحياة الدنيا وفي الآخرة وان أعرض عن ذلك تعرَّض للوعيد والعذاب الشديد على خلاف ما يريد وعلم انَّ لهُ ربًّا يتحكَّم فيهِ بما يريد لا رادَّ لحكمهِ ولا مدبّر غيرهُ . ثمَّ يمتثل ما امرهُ بهِ الله على لسان نبيّهِ عليهِ السلام وهي الصلوات الخمس المطلوبات في اوقاتهنَّ بركوعهنَّ وسجودهنَّ وما فُرض عليهِ . فاذا علم ذلك يجب عليهِ معرفة الاوقات لهذه الصلوات ليؤدّيها في اوقاتها اي « معرفة الآلة التي تُعرف بها اوقات الصلوات بالنهار في سائر المدن » وهي الآلة المعروفة بالمكحلة وبها تُستخرَج ساعات النهار وتُعرف فصول السنة

فتبدأ على بركة الله وعونهِ ثمّ تتَّخذ من النحاس او من البقس او من الخشب او من اي جسد شئت على هذا الشكل وهو شكل مخروط . ثمّ تقسمهُ باثني عشر قسمًا متساويةً بما دارتْ وهذه هي قسمة الشهور الاعجميَّة وتكتب اسم كلّ شهر في قسم

[illegible]

[illegible]

فقد [illegible] على [illegible] من الشعر من [illegible] من النقط التي على [illegible] حتى يكون [illegible] الوزن [illegible]

واعلم [illegible] ما وزنت بالآخر [illegible] التقريب [illegible]

---

١) ما وضعنا [illegible]

٢) [illegible] كلمة او كلمتين [illegible]

خطّ زوال نصف النهـار . فاذا دخلتَ بلدًا فاردتَ ان ترى الشمس كأنك ترصدها حين تستوي في وسط السماء فاذا استوتْ نسبتَ الظلّ في ذلك الوقت بالثلاثة الالسن على مقدار اليوم من الشهر العجميّ الذي انتَ فيهِ كما اعلمتُك قبل هذا فايّ لسان وقع خطّهُ في خطّ الزوال في ذلك اليوم فبذلك اللسان الوزن ما دمتَ في تلك البلدة . فان لم يوافقك احد الالسن الثلاثة في خطّ الزوال وجاءت كلّها زائدة عليهـا فخذ أقصرها وأنقص منهُ قليلًا حتّى يستوي فيهِ . وان جاءت كلها ناقصة عنهُ فخذ اطولها ومدّ فيهِ قليلًا حتى يستوي فيهِ . وهكذا فافعل في كلّ بلدةٍ حللتَ بهـا واستعمل ذلك في وقت الاستواء لبلاد تفوتك ويفسد عليك الميزان لغير علم

واعلم انك بهذا الاصل الذي ذكرتُ لك اعني زيادة اللسان ونقصانـهُ تعمل بالمكحلة في جميع الاقطار لا يختلف ذلك لأنَّ منزلة الالسنة في المكحلة بمنزلـة الزوال في المبسوط الذي يختلف باختلاف الاقطار ومنزلة الخطوط فيهـا من المكحلة وهو الظلّ المنكوس بمنزلة الشخص في المبسوط الذي لا يُزاد فيهِ ولا يُنقَص منهُ فاعلم هذا فانهُ علمٌ حسن

واما طريق العمل بالمكحلة لاخذ الساعات ومعرفة الزوال وقت صلاة الظهر والعصر فاعلم انك ان اردت اخذ الساعات ومعرفة اوقات الصلوات بالمكحلة المذكورة فاعرف في ايّ شهر انت من شهور السنة واعرف كم يوم مضى من الشهر فاذا عرفت ذلك فاقصد اليوم والشهر الى قسمتهِ وأخرج اللسان الذي هو لذلك القطر من جملة الالسن الثلاثة التي في الغطاء فأدِرْهُ على مقدار ما مضى من الشهر على (150) المرتبة المقدّم ذكرها ثمّ تُطبق اللسان على الجسد اعني جسد المكحلة اطباقًا جيّدًا حتى لا يبرح عنهُ في جهة من جهاتهِ وتبعد يدك من اصل الخيط قليلًا اذا علّقتهُ حتى لا تُمسّ هي بشيء من يدك فيفسد الوزن وتستقبل باللسان الشمس حيث كانت فان كانت بالغداة عند طلوع الشمس فليس ترى لهُ ظلًّا وكلّما ارتفعت الشمس نزل ظلّهُ . فاذا ارتفع الظلّ في اوّل خط من الخطوط الستّة المحيطة بالمكحلة قلتَ : مضى من النهار ساعة . وكذلك اذا ارتفع قياس الخطّ وقياس المكحلة في نصف الفناء قلت : نصف ساعة . وكذلك تقـول في اقيسة الساعات كلها تعدّ أنصافها وأثلاثها وأرباعها وما كان من اجزائها على التقريب . فاذا وقع في الخطّ الثاني قلتَ : ساعتان . فاذا وقع في الثالث قلتَ : ثلث ساعات . وهكذا الى

السادس فينتصف النهار. ثم تمكث برهةً طويلة وهي في الشتاء اطول منها في الصيف ولا يكون نصف النهار على الحقيقة الّا في نصف تلك البرهة التي يلبث فيها الظلّ في خطّ الزوال راجعاً فاذا نقص الظلّ قلتَ : قد زالت الشمس وحلّ الاذان والصلاة لمن اراد ان يصلّي اوّل الوقت. فاذا نكس الظلّ الى الخط الذي يليهِ راجعاً قلت: سبع ساعات. فاذا نقص الى النقط التي فيها مكتوب « ظهر » قلت: هذا وقت صلاة الجماعة في المساجد. وهو وقت الابراد ووقت استيفاء الذراع في الظلّ المبسوط. فاذا انقبض الظـلّ الى الخط الثالث من خط الزوال وهو الخطّ الرابع من راس المكحلة قلتَ : ثمان ساعات . فاذا انقبض الظلّ الى الخطّ الرابع من خطّ الزوال وهو الخط الثالث من راس المكحلة الذي عليهِ النقطة وفيها مكتوب « عصر » قلت: تسع ساعات. وهو اوّل وقت العصر وهو وقت القامة في المبسوط. فاذا انقبض الى الخط الخامس من خط الزوال وهو الخط (الثاني) (151) من الارتفاع والارتفاع من الظلّ فلا يكون بين ما يُستخرج بالحساب وبين ما يؤخذ بالقياس اختلاف قليل ولا كثير

وقد تبيَّن لنا ممّا مثّلنا انهُ اذا كان مركز حلقة القياس عند طرف العود فان قُدّر جيب الارتفاع من جيب تمامهِ الى ٩٥ لَقُدّر العود من الظلّ فعند هذا تعلم انهُ لا يلزم من قبل اختلاف العيدان في الطول والقصر شيء يُحسُّ بهِ وذلك انـهُ يمكنك ان تتوهم انّ مركز حلقة القياس ابدًا عند طرف العود لانهُ ليس بين مركز حلقة القياس وبين طرف العـود وان كان العود كاعظم ما يمكن في الصفة شيء يُحسُّ قدرهُ من الارض ولا يختلف من اجلـهِ القياس فهو اذًا من فلك ايِّ كوكبٍ قستَ اقلّ قدرًا وأبعد من ان يُحسّ

قد بيّنّا ان بُعد الشمس من مركز الارض لا يُعرف الّا بعد معرفة مقدار الارض من فلك الشمس ومعرفة مقدار الارض من فلك الشمس فهو البُعد الذي ايَّاهُ طلبت.
وبيَّنّا ان استخراج مقدار الارتفاع والارتفاع من الظلّ هو على ما استخرجهُ العلماء صحيح وبيّنّا انهُ ليس من قبل اختلاف العيدان في الطول والقصر شيء يُحسّ في شيء من الكواكب وبيّنّا ايضاً انهُ لو كان يمكن ان يستخرج من ارتفاع الشمس الموجود ومن ظلّ عود القياس بعد الشمس من مركز الارض لزم ان تكون أبعاد الكواكب كلها من مركز الارض سواء لأنّا اذا توهّمنـا القمر قد كسف الشمس وطبّق

جرمُ القمر جرمَ الشمس لزم ان يكون ارتفاعهما وظلهما الموجود سواء ولمّا استُخرج من الارتفاع والظلّ بعد الشمس من مركز الارض لزم ان يكون بُعد القمر من مركز الارض مثل ذلك سواء . ومثل هذا يمكن في الكواكب كلها تم بحول الله وتوفيقهِ

ملحق

(قلنا) ولمّا كان المثل بالمثل يُذكر احببنا ان نثبت هنا ما وجدناهُ في تاريخ قديم مخطوط غُفل من اسم مؤلفهِ ونظنّهُ كتاب مرآة الزمان لسبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ . (١٢٥٧م) وكان ابن ابنة ابي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي ويدعى ايضًا بابن كيزوغلي :

في السنة ٦٣٣ (١٢٣٦م) تكامل بناء الايوان الذي أُنشيء مقابل المدرسة المستنصريَّة وعُمل تحتهُ صُفَّة يجلس فيها الطبيب وعندهُ جماعةُ الذين يشتغلون عليهِ بعلم الطبّ ويقصدهُ المرضى فيداويهم . وبنى في حائط هذه الصفة دائرة وصُوّر فيها صورة الفلك وجُعل فيها طاقات لطاف لها ابواب لطيفة وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما بندقتان من شبهٍ لا يدركهما الناظر فعند مضيّ كل ساعة ينفتح فم البازين وتقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات والباب مذهَّب فيصير حينئذٍ مفضَّضًا . واذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما . ثم تطلع اقمار من ذهبٍ في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقيَّة ويدور مع دورانها ويغيب مع غيبوبتها . فاذا جاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يبتدئ في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيُعلم بذلك اوقات الصلوات (١ . ونظم الشعراء في ذلك اشعارًا منها قول ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من ابياتٍ مدح بها الخليفة :

يا ايها المنصور يا مالكًا ... برأيهِ صعبُ الليالي يهونْ
شيَّدتَ لله ورضوانهِ ... اشرف بنيانٍ يروق العيونْ
ايوان حسنٍ وضعهُ مدهشٌ ... يحار في منظرهِ الناظرونْ
صُوّر فيه فلكٌ دائرٌ ... والشمس تجري ما لها من سكونْ
دائرةٌ من لازوردٍ حكت ... نقطةَ تبرٍ فيهِ سرٌّ مَصونْ
فتلك في الشكل وهذي معًا ... كمثل هاءٍ رُكّبت وسط نونْ

١) راجع ما نقلناهُ في مجاني الادب (٤ : ٢٢٨) لابن جبير في وصف ساعة مثل هذه في باب جيرون

كتاب حديث
في
شمپوليون ومصر (١

للاب رينه موترد اليسوعي

قد لعب شمپوليون العالم الفرنسويّ الشهير دورًا عظيمًا في تاريخ مصر فانهُ باكتشافاتهِ قد فتح للعلم عالمًا جديدًا بقي مجهولًا قرونًا متعدّدة. ومع ما احرز لهُ من المجد من هذا القبيل كنتَ لا تكاد تجد لهُ ترجمةً اللهمَّ الّا بعض الاسطر خطّها لذكرهِ اصحابهُ ومعارفهُ. فهذا الخلل قد سدَّتهُ اليوم آنسة المانية تدعى هرتلابن فصنَّفت كتابًا واسعًا في جلدين ضمَّنتهما اخبار ذلك الرجل الهمام

واوّل ما يستلفت الانظار عند تصفُّح هذا التأليف الجديد ان صاحبتهُ اثابها الله لم تُقدم على عملها الّا بعد ان جمعت موادهُ من مصادر شتّى يوثق بها وحسبك دليلًا على فعلها جدول التآليف المتعدّدة التي سردت اسماءها في مقدّمتها مع ذكر كثير من العلماء والاثريين ونظّار المتاحف وانسباء شمپوليون واصدقائهِ الذين اعانوها في هذا العمل الجليل فجاء طبق المرام لا ينقصهُ شيء من اسباب الحسن والاتقان ولذلك قد اثنى على هذا التأليف رجلان لا يشكّ احد في طول باعهما واصالة رأيهما اعني بهما العالمين الفاضلين مسپرو وماير فانهما وجدا في هذا المصنَّف مثالًا صادقًا رُسمت فيهِ مع تمام الشبه صورة ذلك العالم المبرّز فترنو اليها الابصار وتقرُّ لمحاسنها العيون

*

وممّا افادتهُ الكاتبة الاديبة هرتلابن ما اتت بهِ من الحجج الراهنة لتثبت لصاحب الترجمة السبقيّة في كشف اسرار الكتابات المصريّة الهيروغليفيّة. وكان البعض قد ادّعوا ان شمپوليون قد تتبّع آثار عالمٍ آخر انكليزيّ الاصل سبقهُ الى هذا الاكتشاف يُدعى يُنغ (Young) فيزعمون استنادًا الى اقوال يُنغ نفسهِ انهُ هو الذي مهّد

---

١) اسمهُ في الالمانيّة :
CHAMPOLLION. Sein Leben und sein Werk von **H. Hartleben,** mit einem Titelbild, einer Tafel und 19 in dem Text gedruckten Abbild., in-8°, *Berlin. Weidmannsche Buchhandlung*, 1906.

الطريق لقرينهِ وارشدهُ الى قراءة الخطّ الهيروغليفيّ (١ . فردًا على هذا الزعم الباطل بيّنت الآنسة هرتلابن انَّ الذي استفادهُ شمپوليون من اعمال قرنهِ نزرٌ قليل وانَّ هذا العالم كان وقف منذ السنة ١٨١٠ على خواصّ الكتابة الهيروغليفيَّة وموافقتها لاصوات معلومة وفي ذلك كان السرّ العظيم المؤذن بحلّ رموزها . اما يُنغ فانهُ لم ينشر كتابهُ في الكتابات المصريَّة وتطبيقها للاصوات الَّا السنة ١٨١٤ . ثمَّ ان يُنغ بعد ان بيّن معاني بعض العلامات المصريَّة احجم عن العمل فبقي شغلـهُ عقيمًا على خلاف شمپوليون الذي جرى على طريقة علميَّة وعلى اسلوب ثابت شرحهُ في رسالتهِ الى المسيو داسيه (Dacier) المؤرخة في ٢١ ايلول سنة ١٨٢٢ ثم نشر في السنة ١٨٢٤ كتابهُ الذي عنوانهُ « خلاصة الطريقة الهيروغليفيَّة عند قدماء المصريين »

ولمَّا انجز شمپوليون تأليفهُ اراد ان يعرضهُ على الآثار المصريَّة التي جمعتها الدول في متاحفها ليستدلَّ بهذه المقابلة على صحة اكتشافهِ وعلى مضامين تلك الكنوز الادبيَّة المجهولة . فزار اوَّلا متحف تورين الشهير بمجموع عادياتهِ المصريَّة ثم اخـذ في تنظيم آثار مصر التي كانت في باريس

وفي سنة ١٨٢٨ قدَّمت لـهُ الحكومة الفرنساويَّة ١٢٠٠٠ فرنك ليباشر سفرًا علميًا الى مصر وتكلَّفت كلَّ مصاريف رحلتهِ . وهنا قد اطلقت الكاتبة الفاضلة العنان لقلمها لتعرّف القرَّاء ليس فقط باعمال بطلها بل بنفسهِ واخلاقهِ الكريمـة وسجاياهُ الفريدة في سرّهِ وعلانيتهِ وولعهِ بالابحاث العقليَّة . كما انَّها وصفت احسن وصف رفقتهُ الذين صحبوهُ في بعثتهِ لا سيَّا نسطور لوهت (Nestor l'Hôte) ذا الطبع الفكه واللسان الذلق الذي ساعد شمپوليون في جمع الآثار المصريَّة وقام وقعد للحصول على شيء من بقاياها ومحصولاتها ونباتهـا حتَّى انهُ كان ينسى الاكل والشرب واللبس في سبيلهـا مع حبّهِ للمداعبات واسترسالهِ في الاقاصيص المضحكة . وممَّن احسنت وصفهم دولة خديوي مصر محمَّد علي الذي اكرم وفادة شمپوليون وسهَّل لهُ العمل مع عظم هيبتهِ في النفوس وشدَّة مراسهِ . هذا الى اوصاف اخرى تجدها في هذه الترجمـة من امكنة وبلدان وآثار وابنية تزيد القارئ شوقًا في مطالعتها

(١ اطلب تاريخ المسيو مسپرو *Hist. anc. des peuples de l'Orient*, (Maspéro: p. 828) وقد بيّن هناك المؤلف ما كانت حصَّة يُنغ في هذا العمل

*

وما كاد شمپوليون يطأُ ارض مصر عند نزوله في الاسكندريَّة حتَّى قبَّل تربتها وشكر الباري على انهُ وفَّقهُ لنوال امانيهِ وكان عمرهُ اذ ذاك ٣٨ سنةً لهُ في درس الخطوط المصريَّة ٢٦ سنة لا ينقطع عنها ليلاً مع نهار . وكان منذ تفرُّد لهذه الابحاث في سن الثانية عشرة لا يتوق الّا الى مصر ولا يفكّر في سواها لعلمهِ بان رموز مخطوطاتها لا ينجلي لديهِ تماماً الّا اذا شاهد ارض الفراعنة . وكان في اثناء ذلك يعدُّ نفسهُ لهذه الاكتشافات بتعليم اللغات العبرانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة بل اراد درس الفارسيَّة والصينيَّة امَّا العربيَّة والقبطيَّة فانهُ كان يحكم معرفتهما وكان وضع كتاباً مطوَّلاً في جلدين عنونهُ « بمصر في عهد الفراعنة » جمع فيهِ كلَّ ما وجدهُ عن قدماء المصريين في كتب اليونان والقبط والعرب . وكلَّ هذه الدروس كان اتخذها كتوطئة لاكتشاف معمَّيات المخطوطات المصريَّة . فلمَّا داس ارض مصر احسَّ بانهُ سيجد فيها مسك ختام اشغالهِ واتعابهِ

وما بادر الى عملهِ هو ورفقتهُ انهم تقلَّدوا الشرقيين في ازيائهم واعمالهم فارخوا لحاهم وحلقوا شعر رأسهم ولبسوا العمائم وتقلَّدوا السيوف الشرقيَّة . ثم ركبوا قناة النيل المعروفة بالمحموديَّة على سفينتين جُهِّزتا لخدمتهم وهما ايزيس اكبر المراكب المصريَّة في ذلك العهد كان يركبها الخديويَّ عينهُ وذهبيَّة بديعة تدعى هاتور

وكان وصول هؤلاء العلماء الى القاهرة في ٢٠ ايلول فدخلوها من باب الامراء فاجتازوا من بولاق الى الازبكيَّة . وكان المصريون قد سمعوا بخبر العالم القدام الذي عوَّل على قراءة مكتوبات قدماء مواطنيهم فرحَّبوا بهِ واكرموا مثواهُ امَّا هو فاستبشر بهذه الملاقاة ووعد نفسهُ بالخير

فزار اوَّلاً انحاء تلك المدينة التي دعاها في رسائلهِ « مدينة الالف منارة » فدار في كلّ جهاتها وعاين كلَّ آثارها وكان هو ورفقتهُ يقومون صباحاً ويركبون الحمير الفارهة التي اعجبهم سيرها الحثيث فيتجوَّلون على متونها حتَّى اقاصي البلدة لا يدفعون في حقّ ركوبها سوى اربعة غروش مصريَّة

وبينما كانوا يقضون نهارهم في زيارة القاهرة كانوا يصرفون قسماً من الليل في إعداد ما يلزمهم لبعثتهم العلميَّة فانجزوا ذلك بعد عشرة ايَّام . وكانت نيَّة شمپوليون

يصعد النيل الى جنادلهِ الثانية دون ان ينزل في ضفاف النيل الاهمّ الّا الزمن اللازم ليتحقَّق ما يجده من بقايا المدن القديمة ويأخذ صورَ الآثار المهمَّة موْجلًا درسها لوقت نزولهِ في الحواضر

ولم يشأ شمپوليون في رحلتهِ هـذه ان يبحث عن آثار جديدة لقلَّة ما لديهِ من الوسائط لهذه الغاية وانَّما اكتفى بمراجعة ما وصفهُ العلماء من قبلهِ فنسخ بضبط وتدقيق ما سبقوا الى تمثيـل صورتهِ ليتفرَّغ عند رجوعهِ الى درس هذه الكتابات وبيان معانيها على الطريقة التي اكتشفها

وباشر شمپوليون عملهُ بزيارة آثار منف ثم اهرام الجيزة وتمثال ابي الهول · ولم تكن بعد الطريق بين مصر والقاهرة قد فُتحت فركب النيل الى بدرشين · فلقي في «ميت رينه» تمثال رعمسيس الثاني وتعجَّب ممَّا رآهُ فيهِ من حسن الصورة ودقَّة الصنع الجبَّاري ثمَّ اعمل النظر في صورة ابي الهول لكنَّهُ وجدهُ غائصًا في الرمل والاطلال فلم يسمح لهُ الوقت بان يتبيَّن خواصَّ هذه الدمية وكان سبق فكتب انَّ وجههُ كوجه العبيد · ثمَّ تفقَّد الاهرام وجرى لهُ عند نظرهِ لها ما جرى لكثيرٍ من الزوَّار الذين عند تقرُّبهم منها لم يجدوا فيها ما كانوا ينتظرونهُ من ضخامة الاقدار ومهابة المرأى وكاد ينسب الى الغلوّ والمبالغة ما كتبهُ فيهـا الكتبة لولا انهُ تحقَّق صدقهم بقياس حجارتها الضخمة · وكان القرويُّون واهل البادية الذين هناك تقاطروا حول شمپوليون ورفقتهِ «على عدد النمل» فكان يطيّب قلوبهم ويلقي عليهم الاسئلة ليسمع منهم الاقاصيص الشائعـة بينهم عن تلك الآثار العجيبة لعلَّهُ يستدلُّ بها على بعض غاياتهِ

ثمَّ عاد فركب السفينة وصعد النيل الى منية حيث وجد معملين للقطن فساءهُ انَّهما جُعلا على بقايا آثار قديمة فشوَّها محاسنها · ونزل في اسيوط فوجد فيها سوقًا رائجة للقوافل العديدة من الشام وما بين النهرين وجزيرة العرب كلّهـا تأتيها للمتاجرة مع القبائل الافريقيَّـة · ولمَّا انتهى الى جرجه مال الى الشمال ليزور آثار ابيدوس فمرَّ على محابس قدماء النسَّاك والرهبان لا سيَّما التي كانت في تابنَّة

وممَّا جلب الاندهال لشمبوليون هيكل دندرة العجيب لكنَّهُ بعـد تفقُّدهِ عرف انهُ اقرب عهدًا الى زماننا ممَّا زعم العلماء قبلًا · امَّا الأَقصر فأنـهُ دُهش بمرأى آثارها الغريبة وممَّا كتبهُ فيها اوانئذٍ: «انا نحن الاوربيين نستعظم اعمالنا وأيم الحقّ انَّنا لسنا

اذا عرضنا آثارنا بآثار قدماء المصريين الّا كالاقزام بالنسبة الى الجبابرة فان بين مآثرهم ومآثرنا كما بين الثريّا والثرى

وكان شمبوليون في هذه الرحلة يواصل شغلهُ ليلًا مع نهار لا يدّخر عناء في سبيل غايتهِ يتّخذ مع اصحابهِ الحضيض فراشًا والسماء غطاء. وربّما كان هو يقوم ليلًا فيوقد فانوسًا ويتفقّد وحدهُ الآثار في المغاور والاسراب فيدوّن ما لم يسمح لهُ الوقت في نسخهِ في النهار حتّى هدّت قواهُ بهذا الشغل الزائد وكاد يخور في طريقهِ لا سيّما انّ مزاجهُ كان ضعيفًا نحيفًا. فوصل الى اسوان بعد الجهد والعناء. وبعد ان اخذ قليلًا من الراحة اسرع الى تتمّة سفرهِ فبلغ في ٣٠ كانون الاوّل من السنة ١٨٢٨ قرية ابي سنبل على بُعد نصف ساعة شمالًا من الشلّالة التي قصدها. وبذلك انتهى القسم الاوّل من رحلة البعثة فاسرع شمپوليون وكتب لكاتب اسرار المجمع العلميّ في باريس المسيو داسيه ما تعريبهُ: «اني افيدك بملء الفرح والرضى انّ ما وجدناهُ حتّى الآن في رحلتنا من الكتابات المصريّة يوافق تمامًا ما سبقنا فقرّرناهُ في الجدّيّة الخطّ المصريّ فلا يحتاج الى شيء من التحوير والاصلاح فترى بذلك انّ تنشيطك لدروسي لم يذهب سدًى ولنّ الذين اطلقوا لسانهم في عذلي وتخطئتي قد طاش سهمهم»

*

ثم قفل شمبوليون راجعًا الى القاهرة وكان في ايابهِ يتعقّب الابنية القديمة كما في الذهاب وممّا زارهُ هيكل «درّ» الذي سمع ادباء الوطنيين ينسبون بناءهُ «الى الفرنسويين والمسكوب والانكليز منذ ٣٠٠,٠٠٠ سنة». وقضى ايضًا مدّة في الاقصر ليتتبّع ما فاتهُ من آثارها. واخذ يمعن النظر في احدى مسلّاتها كيف يتوصّل الى نقلها الى باريس فتوفّق الى طريقة العمل ودلّ على ذلك بتدقيق عجيب فامتثل العملة امرهُ ووصلت المسلّة الى باريس دون اذًى سنة ١٨٣٢ اربعة اشهر قبل وفاة شمپوليون وكان ثقلها مع غلافها الخشبيّ بالغًا ٢٥٠,٠٠٠ كيلو

وفي ثيبة جعل شمپوليون يدرس درسًا نعمًا تاريخ السُلالات المصريّة وتقاويم قدماء المصريين فكتب في ذلك عدّة كتابات لم ينجز عملها. وفي الكرنك صرف النظر الى النقوش التاريخيّة التي فيها فعُني برسم اكثر من ٥٠ نقشًا منها

وكان شمبوليون طول مدّة سفرهِ يعود في كلّ مساء الى ما رآهُ ونسخهُ في نهارهِ

فيحكم فيهِ النظر ويصلح ما يرى اصلاحهُ ويأخذ خلاصة كلّ شيء ليكون على بيّنةٍ من العمل ويصف وصفاً كافياً لكل اثرٍ وجدهُ. وقد نُشرت كلّ هذه الكتابات وهي تنبئ بثاقب عقل كاتبها وعلمهِ العجيب. فترى من ثمَّ انَّ شمبوليون في ايابهِ لم ينفكّ عن الشغل لا بل كان شغلهُ ادقّ واتعب حتّى زاد ضنكهُ وقد وجدهُ رفقتــهُ يوماً في مدفن رعمسيس السادس في ثيبة مغشياً عليهِ فرأى انهُ من الواجب اللازب ان يعــود الى فرنسة. فكان وصولهُ الى طولون في ليلة عيد الميلاد من السنة ١٨٢٩

على انَّ هواء الوطن لم يحسّن كثيرًا صحة العليل فعاش سنتين واشهرًا بين انتقاه وانتكاس حتّى لبّى دعوة ربّهِ في ٣ آذار من السنة ١٨٣٢ . وكان العلماء الفرنساويون بعد عودتهِ اجمعوا على فضلهِ فجازوهُ بان نظموهُ في عداد ائمة المكتب العلميّ ووكلوا اليهِ الرتبة الاولى في تدريس الآثار المصريّة في مكتب فرنسة. لكنَّ هذا المجد الاثيل لم يذقهُ شمپوليون زمناً طويلًا فمات قبــل ان يتمّ الصرح العلميّ العظيم الذي باشر بتشييدهِ الّا انَّهُ انجز فقط غراماطيق اللغة المصريّة الذي ظهر بعد وفاتهِ بقليل

امَّا الموادّ الواسعة التي كان جمعها فاقبل عليها العلماء ونشروا معظمها لا سيما اخا الفقيد « شمپوليون فيجاك » وكان اكبر منهُ سنًّا يخلص لهُ المحبّــة ويقدّر اعمالهُ حقّ قدرها فطبع منها كتاباً نفيساً دعاهُ « آثار مصر والنوبة كما رسمها في مواقعها شمپوليون مع تعريفها ووصفها » ونشر ايضاً لهُ « كتاب معجم الخطوط الهيروغليفيّة » وكلاهما من التآليف البديعة

وتوفّي شمپوليون وعمرهُ لا يزيد على ٤١ سنةً وفي هذه المدّة من حياتهِ تمكّن من كشف اسرار الخطوط المصريّة ووضع كتاباً مدقّقاً في كلّ خواص لغة قدماء المصريين وميّز طرائقهم الحسابيّة ودوّن تواريخ سلالاتهم وعرّف اعلام بلدانهم . فهــذه المشروعات الجليلة وغيرها ايضاً قد احسنت في وصفها كاتبة هذه الترجمة الادبية فاقامت بعملها اثرًا خطيرًا لذلك الرجل المقدام يُسرّ بمراجعتهِ الكلفون بتواريخ مصر . ولعلّها تزيد على فضلها هذا ان وافقت ما طلبهُ منهــا المسيو مسپرو بأن تنشر كلّ رسائل شمبوليون التي كتبها من ايطالية ومصر فتخدم بذلك الآداب خدمةً تُذكر فتُشكر

بصر الحيوان البحري في اعماق البحار

للدكتور كونيغ طبيب امراض العيون في بيروت

شطَّ العلماء شططاً عظيماً الى اوائل القرن التاسع عشر في ما كتبوهُ عن اعماق البحار فان لهم في ذلك آراء غريبة يُضحَك منها . تاهيك بانَّ احدهم وهو الفرنسويّ بارون كان يزعم انَّ قاع البحر مغطًّى بالجليد . الَّا انَّهُ سنة ١٨٢٨ رحل جون روس (S. John Ross) الى الجهات القطبيَّة فقاس في امركة الشماليَّة اعماق خليج بافين فبلغ الى عمق ١٠٥٠ باع (والباع عندهم متر ٨٣ سنتمترًا) فاجتذب من قاع البحر حمأةً وجد فيها اصداف حيوانات حيَّة فتحقَّق من ثمَّ ارباب الطبيعة انَّهُ يمكن بعض الحيوانات ان تعيش في اعماق البحر حتى في الاقطار الشماليَّة القاصية

وفي السنة ١٨٥٠ وجد احد السيّاح النرويجيين يُدعى سَرْس في جهات لافوتن على عمق ٤٥٠ باعاً عددًا وافرًا من الحيوانات المائيَّة

وبعد هذا توفَّرت الدلائل على وجود المواليد الحيوانيَّة في اغوار البحر وذلك في النصف القرن الاخير لمَّا حاولت الدول مدَّ القلوس البحريَّة في الاوقيانوس للمراسلات التلغرافيَّة بين اوربَّة وامركة فتبيَّن لاصحاب العمل انَّ حيوانات جمة تعيش في أغوار البحار على عمق الف باع . وزاد الامر وضوحاً لمَّا انقطع الحبل التلغرافي الممدود في الاوقيانوس سنة ١٨٥٨ والحبل الموصل بين سردينية والجزائر . فنظروا الى الحبال واذا بعدد لا يحصى من الحيوانات البحريَّة كانت قد لصقت بها وكانت انواعها مختلفةً تبلغ خمسة عشر نوعاً . وكان لم يمرَّ على مدّ هذه الاسلاك اكثر من ثلاث سنوات في عمق ٣٦٠٠ متر

ومذ ذاك الحين تنبَّهت الافكار الى البحث عن المواليد الحيوانيَّة في قاع البحار وتشكَّلت البعثات العلميَّة لهذا الشأن منها بعثة انكليزيَّة على المركب المسمَّى «پرُزِرْبين» من السنة ١٨٦٨ الى ١٨٧٠ ثم بعثة تشالنغ سنة ١٨٧٢ ثم بعثة المانيَّة على السفينة المسمَّاة بالغزال ١٨٧٤—١٨٧٦ وليتها بعدئذٍ رحلات غيرها منها للاميركان ومنها اربع رحلات كبيرة للفرنسويين في البحر المتوسّط ثمَّ اسفار اخرى للايطاليين والنمسويين

كان السفر الاخير في البحر الاحمر. وكل هذه الرحل اتت بالفوائد الجمّة لتعريف حياة الحيوان في غمر المياه وممّن اشتهروا بابحاثهم في هذا الشأن امير موناكو. وكذلك في زماننا جرت سنة ١٨٩٠ بعثة السفينة ڤلديڤيا الالمانيّة فأتت بمعلومات وافرة

وممَّا اتّصل اليهِ اصحاب هذه المشروعات العلميَّة انهم بلغوا في ابحاثهم الى اعماق عجيبة في البحر فانهم قريباً من جزيرة اللصوص ادركوا عمقاً لا يقلّ عن٩٦٤٤متر وعند جزيرة طنغا ٩٠٠٠ متر وان قستَ مقدار الضغط الذي تحملهُ الاجساد في تلك الاغوار وجدت أنها تناهز الف جَلَد. فاستنتج العلماء من ذلك انَّ للحيوانات العائشة في اقاصي البحار خواصّ مختلفة عن احوال سواها من الحيوان

وهنا نتيجة اخرى توصَّلوا اليها تهمّنا الآن وتوخَّينا عرضها على القرَّاء اعني مسألة النور. كيف يا تُرى يمكن تلك المواليد ان تحيا وتقوم باحوال معاشها في قعر البحار دون النور. هذا سرّ لا يُدرَك لو شبَّهت حالة تلك الحيوانات البحريَّة بحالة الحيوان على الارض. فانهُ لا يخفى انَّ مفاعيل النور على الارض عجيبة اذ لولاهُ لسكنت كلّ حركة وجمدت كلّ حياة ومات كلّ حيوان. امَّا في اعماق البحر فانَّ ضوء النيّرات كالشمس والقمر والكواكب لا يبلغ الَّا الى اقدار معلومة تختلف بعض الاختلاف مع حالة الجوّ في صفائهِ او ظلمتهِ ومع سكون البحر او هيجانهِ ومع نقاوة المياه او كدورتها

وقد اخترع الطبيعيُّون في زماننا مقاييس شتَّى ليقيسوا بها قوَّة النور في طبقات البحر العليا والوسطى والسفلى. منها آلة سيمِنس (Siemens) الفوتوغرافيَّة. وهي تتألّف كالجهاز الفوتوغرافيّ من غرفة مظلمة يركّبون في علبتها صفائح تُطلى بالبروم وللهُلام. وهذه الصفائح مجهَّزة بحيث ينكشف غطاؤها اذا بلغت عمقاً معلوماً فتتأثر من النور ان وُجد واذا سُحبت الآلة انحجبت الصفائح كما كانت. فمن هذه الاختبارات قد تحقّق العلماء انَّ الصفائح الفوتغرافيّة لا يفعل فيها النور ان بلغت عمقاً مسافتهُ ٤٠٠ متر. وقد عارض سيمنس العالم پترسن (Petersen) فاثبت انَّ لنور الشمس فعلاً في مياه البحر الى حدّ ٥٥٠ مترًا. امَّا ڤريل (Verill) فقد رجَّح كون الشمس بنورها تعمل في اعماق البحر كما تعمل المصابيح ذات النور الاخضر الكاشف الَّا انَّ هذا النور يكون ثابتاً امَّا اذا بلغ اعماقاً اعظم فيكون متلألئاً يخفق ويترجرج كنور

الكواكب ولا شكَّ انهُ ليس من برهان مُقنع بان لنور الشمس تأثيرًا في الاعماق التي تتراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ متر

فمن اين اذن تستمدُّ هذه الحيوانات ما تحتاج اليـــهِ من النور لحياتها ؟ أليس لها مصادر اخرى تنال منها نورها ؟ نعم والغريب من ذلك انَّها لا تأخذ هذا النـــور الَّا من نفسهـــا فانَّ لها اجهزةً تكفيها لذلك كما استدلُّوا بالامتحانات والنظر في اجسامها . قال العلماء الذين ركبوا سفينة ڤَلديڤية : « انــهُ لمرأى فتَّان يأخذ بالابصار ان تنظر الى الشبكة التي بها تُسبَر اعماق البحر فيُستخرَج بهـــا شيء من قاعهِ . فاذا فُتحت الشبكة في ظلمة الليل رأيت فيها عددًا من الحيوانات والدويبات الحيَّة وكلُّها تشعُّ باشعَّة منيرة وتتألَّق بلمعان عجيب . منها هوامّ صغيرة ومنها دود مستدقّ ونجوم البحر واصداف متنوّعة وخصوصًا ضروب من الاسماك الصغرى وكلهـــا يلمع بنورهِ وهـــذا النور تراهُ امَّا في خاصرتي الحيوان وامَّا في بطنهِ ولهُ اجهزة نوريَّة تشبه المرايا المقعَّرة او المحدَّبة فتلوح اذا سطعت انوارها كمواقد ناريَّة او سُرج كهربائيَّة دقيقة وبعض من هذا الحيوان يحمل سراجهُ اللامع على رأسهِ او تحت حنكهِ . ولهذه الاجهزة اعصابٌ يتصرَّف الحيوان بتدبيرها كيفما يشاء فيسرج سراجهُ اذا شاء او يطفئهُ ان احب »

هذه بعض مقدَّمات اردنا تصديرها قبل ان نتَّسع في موضوعنا وهو ان نبيّن انَّ الخالق جهَّز لهذه الحيوانات حاسَّة بصريَّة موافقـــة لاحوالها في قاع البحر لتتمَّ هناك اسباب معاشها . وفي قسم آخر نفيض الكلام في ما توخَّينا بيانهُ (لهُ تتمَّة)

عاصمة الحبش

للصيدلي الاديب عبدالله افندي مخائيل رعد

عاصمة الامبراطورية الحبشيـــة اليوم اديس ابابا — وبالعربية الزهرة الجديدة — وقد تنقلت هذه السدَّة جملة مرات في عهد الملوك الاسبقين فكانت اولاً مدينـــة اكسوم ويعتبرها الاحباش الى اليوم بلدة مقدسة لما فيها من اثار الكنائس والاديرة والابنية القديمة . ثم مدينة كوندرْ . ثم ديراثابور . ثم عدوى التي جرت فيها الموقعة المعلومة في حرب الطليان والحبش . ثم لاليبيـــلا وهي بلدة شهيرة ايضاً بابنيتهـــا وتذكاراتها

القديمة . ثم انكوبر وهي مبنية على راس جبل تطـل على صحراء الدناكل . ثم انطوطو التي توج فيها النجاشي منليك ملك الشوا بعد وفاة الامبراطور يوحنس امبراطورًا على الحبشة في ٤ ت ٢ سنة ١٨٨٩ وهو العاهل الحالي الذي نقل العاصمة الى اديس ابابا

١ وصفهـا

اما هذه المدينة فهي عبارة عن قرية واسعة الارجاء والانحاء او بالحري مجموع قرى كثيرة تغطي من الارض مساحة نحو من خمسة وعشرين الى الثلاثين كيلومترًا مربعاً وفيهـا قدر خمسين الفاً من السكان المستوطنين لكنهُ يقدمها في كل يوم ممَّا جاورها من الانحاء قدر العدد المذكور ايضـاً وكذلك لا تخلو دائماً من حاكم او امير حبشي جاء لمواجهة سيده النجاشي فتبعهُ من عساكره وآل بلده اقله ثلاثون او اربعون الفاً فاصبحت المدينة تحتوي على نحو المائة والاربعين الفاً هـذا ان لم يأتِ من الحكام او الرؤساء او الامراء ثلاثـة او اربعة في آن واحد فيجتمع عندئذٍ في العاصمة مئتان وخمسون او ثلاثمائة الف نفس بل ازيـد وكلما حضر هكذا احد ممن ذكرنا مكث في العاصمة ستة اشهر على الاقل فترى عنـد ذلك البلدة على اتساعها وما جاورها من السهول القريبـة مغطاة بالسرادق البيضاء حيث يأوي هؤلاء الغرباء فيخال لك انك في معسكر حربي

اما عن مركز المدينـة التوبوغرافي والجيوغرافي والطبيعي فاديس ابابا كناية عن مجموع تلال كثيرة يفصل بينها انهار ماء جارية تقسمها الى احياء منها حي أراده وهو المركز او البندر التجاري وفيـهِ الوكالة الطليانية · وحي الارمن دعي بهـذا الاسم اذ سكنتهُ اكثر الجاليـة الارمنية وفيهِ الوكالـة الالمانية والوكالة البلجكية والدار الاسقفيـة ويدعو بعضهم هذا الحي حي المطران . وحي كبانا اخذ اسمه من نهر كبانا الذي يجري فيـهِ وهذه المحلة مركز الوكالة البريطانية والوكالة الروسية والمستشفى الروسي . وحي روئيل سمي كذلك على اسم كنيسة الملاك روئيل (؟) المبنية فيهِ . ومثله حي القديس جاورجيوس وحي الثالوث الاقدس وحي الملاك ميخائيـل على اسم

الكنائس القائمة على قممهـا وحي الراس مكونين بـه قصر هذا الامـير المتوفى وعلى مقربة منهُ بنك الحبشة والوكالة الفرنساوية وهي لم تزل بيوتها ومساكنها حتى مسكن الوزير نفسه من هشيم كما كانت الوكالات كلهـا من ذي قبل ولم تبن فيها الى اليوم الحكومة الافرنسيـة بناية جيـدة اسوةً بباقي الدول التي بنت كلها الوكالات الجميلة الفخيمة . وغير ذلك من الاحياء التي لا اسم لها الى اليوم لقلة اهمية مركزها

وفي منتصف هذه الاحياء تقريباً رابية عالية محاطة بثلاث نطق من الاسوار ترى من بعيد بابنيتهـا الجميلة البيضاء واسقفتها المصنوعة كلهـا بالصفائح واشجارها العالية وحدائقها الغناء كانها قرية من اجمل القرى الاوربية وهي البلاط الامبراطوري وتوابعه وملحقاته وعلى قمته قصر النجاشي مستدير كالبرج يشاهد منهُ البلاط والمدينة كلها. هناك يجلس جلالـة الامبراطور منايك في ساعات الراحة وبيده منظر فيرقب كل ما يتحرك في المدينة. واذا وقفت على قمة احدى تلك الروابي واجلت النظر ذات اليمين وذات الشمال رأيت المدينـة قائمة احياؤها في وسط سهل واسع جميل تحتاطه من جهاته الاربع جبال عاليـة فتمنطقهُ كانهـا السور المنيع والقلعة الحصينة . وهذه الاطواد هي جبل انطوطـو في الشمال وجبل إدير من الجنوب وجبـل منا كشا من الغرب وسلسلة جبال سولولتا من الشرق. وان رمت ان تعلم نقطة موقع اديس ابابا جيوغرافياً فها كه على وجه التقريب: هي في الدرجة ¼ ٩ من العرض الشمالي و ¼ ٣٧ من الطول الشرقي على موجب خط باريس وتعلو سطح البحر ٢٫٥٠٠ متر

٢ مناخها وعواملها الطبيعيّة

مناخ اديس ابابا جيد وهواؤها عليل وهي تحسب من البلاد المعتدلة بالرغم عن وقوعها ضمن منطقـة الجدي الشمالي وذلك لعلو مركزها كل هذا الارتفاع عن سطح البحر. فأقـل درجة يهبط اليهـا العمود الزئبقي هي + ٨ واعلاها + ٢٥ والمتوسط من + ١٥ الى + ٢٠ على حساب التعديل المئوي (سنتغراد). ومما يزيد هذا المناخ اعتدالاً هو ابتعاد المساكن عن بعضها وسعة مساحة المدينة وكثرة الاشجار

التي معظمها الاوكاليبتوس ولا مشاحة في طيب هواء هذا النبات . اما الماء فهو عذب طيب واكثره آبار حفرها الاوربيون في بيوتهم وقد حذا حذوهم كثير من الوطنيين على ان العدد الاكبر من هؤلاء يرد من الينابيع التي تتدفق في بعض احياء المدينة وخصوصاً في سفح الاكات وهي لا تقل عن ماء الآبار طيبة وعذوبة وصفاء

اما تقسيم السنة من حيث الفصول فأديس ابابا كباقي البلاد الواقعة ضمن المناطق الحارة ان في العالم الاسود او في العالم الجديد تقسم فصولها الى قسمين فصل الشتاء وفصل الصيف او بعبارة اصح فصل الامطار وفصل النشوفة . فالاول في عرف آل هذه البلاد ثلاثة اشهر من نصف شهر سانيه وهو باونه القبطي الى منتصف مسكرام وهو توت فيسقط فيهِ امطار كثيرة قد لا ينقطع لها خيط مدة ثمانية او عشرة ايام متوالية ولا يصحو الجو يوماً حتى تعود الغيوم الى التكاثف والغيث الى الانهمال فتصبح طرقات المدينة صعبة السلوك بل مستحيلة في بعض الامكنة ويضحي الوحل لا يقدر فيتعذر المرور فيهِ حتى ولو كان الانسان راكباً فرساً او بغلًا . ولولا بعض الطرقات التي مدها جلالة النجاشي ليسير فيها على العربة لاستحال قطعياً الذهاب في احياء المدينة مدة الفصل كله . وقد رأيت راي العين حمارًا غرزت قوائمه الاربع في الوحل فاضطر اصحابه ان يغادروه في مكانه بعد ان اعيتهم وسائل انتشاله فمات على حالته . على انهُ كثيرًا ما تطول المسافة بسبب دوران الطريق المذكورة المفروشة بالحصى والرمل فيضطر الانسان ان يقطع بساعة كاملة ما لا تكاد تتجاوز مسافته العشر دقائق في ايام النشوفة

وقد بنيت بعض الجسور بعضها بالحجارة والنورة وبعضها بالحديد بين حي وآخر ولولاها لاستحال قطع الغدران الجارية بين تلة واخرى فانها اي الغدران تتحول في هذا الفصل الى سيول جارفة سريعة الجري وكثيرة العمق . . وفصل النشوفة يدوم ما بقي من ايام السنة على انهُ يتخلل هذا الفصل الطويل نحو الشهر من الامطار وذلك في النصف الثاني من شباط والنصف الاول من اذار وقد يتأخر احياناً هذا الفصل

فيكون بين اذار ونيسان او يتقدم فيبتدئ في اوائل شباط . على ان هذا الفصل المتوسط وان كان قليل الايام الا ان امطاره تكون عادة غزيرة وغير متواصلة . وفيما سوى ذلك لا تعدم ارض اديس ابابا وضواحيها في مدة فصل النشوفة من بعض رشات صغيرة من وقت الى آخر اقله مرة في كل شهر تنعش القلوب وتخفف وطأة الغبار التي تقوم في هذا الفصل مقام الوحل في ايام الامطار. اما الربيع والخريف فلهما اسماء في لغة الاحباش لكن لغير مسمى

مطبوعات شرقية جديدة

GRAMMATICA DELLA LINGUA AMARICA. Metodo pratico per l'insegnamento di **G. J. Afevork.** *Roma*, 1905. gr. in-8º 326, pp.

اصول اللغة الامحريّة

الامحريّة لغة الاحباش وقد افرد لها المشرق مقالة (٨: ٣١٤–٣٢٠) بيّن فيها خواصّها وذكر التآليف التي وُضعت في قواعدها وآدابها وهاءنذا بتأليف جديد لدرس هذه اللغة وضعهُ في الايطاليّة العلّامة أفيڤرك ولم يقصد بتصنيفهِ التعمّق في اصولها العلميّة وانّما اراد خصوصاً تعريف خواصّهِ وتقريب درسهِ على من يرغب التكلّم بها سريعاً وقد اطّلعنا على الكتاب فوجدناهُ حسن التقسيم قريب المنال . وقد قدّم على كلّ فصل منهُ قواعد غاية في الوضوح والحقّة بتمرينات شتّى حسنة التنظيم ينتقل فيها الدارس من السهل الى ما هو اصعب . وممّا اجاد فيهِ الباب المختصّ بدرس الفعل فانهُ غاية في الاحكام شرح فيهِ اوّلًا الفعل المجرّد كما يفعل العرب ثمّ انتقل الى الفعل المزيد موضحاً ما بينهُ وبين الفعل المجرّد من العلاقة . وهي الطريقة المثلى لتسهيل درس الافعال هذا وقد استقصرنا الباب المختصّ بالحروف التي تستدعي شروحاً اطول لكنّ المؤلف تلافى هذا الخلل نوعاً بالتمارين التي الحقها بهِ . اما النصوص الامحريّة التي اختارها عقيب التمارين فانّها كثيرة العدد كثيرة التفنن تجمع اصناف الكتابات من امثال وقصص ورسائل وفكاهات ممّا تراهُ جارياً حتى يومنا في انحاء الحبش . فنحن نثني على هذا التأليف المفيد ونحضّ طالبي اللغة الحبشيّة على درسهِ فيؤدي بهم في وقت قريب الى اتقان اصول هذه اللغة وادراك معانيها

الاب ماريوس شان

الكوكب السيّار

في رحلة غبطة السيّد ماري الياس بطرس الحويك

للقس اغوسطين البستاني الديراني . طُبع في مطبعة الارز (لبنان) ١٩٠٦ ص٢١٣

لمّا رحل غبطة السيّد السند بطريرك الطائفة المارونيّة الجليل في منتصب سنة ١٩٠٥ الى رومية العظمى فعاصمة الفرنسيس فدار السعادة كانت الانباء البرقيّة والرسائل الشخصيّة تفيدنا يوماً بعد آخر عن تفاصيل سفرهِ الميمون فترافقهُ القلوب في حلّهِ وترحالهِ وتتمنّى لهُ كل نجاح وفوز في ذهابهِ وايابهِ وتثلج الصدور بما ينالــهُ حيثما نزل من شارات الاكرام وآيات التجلّة والتعظيم حتّى كنّا نودّ لو توخّى احد اعضاء الوفد المارونيّ الذي سار في خدمة غبطتهِ تسطير اخبار هذه الرحلة فما كان املنا ليخيب وها ان حضرة النائب العام في الرهبانيّة الحلبيّة والمرسل الرسولي القس اوغسطين البستاني الديرانيّ قد تولّى هذا العمل فدوّن تاريخ هذه الرحلة الشهيّة بل هذا الانتصار الباهر على اسلوب لطيف جمع بين اللذّة والافادة وزيّنهُ برسوم متعدّدة فنشكر لحضرتهِ حسن مسعاهُ ونحضُّ ابناء طائفتهِ العزيزة على تفكيه اذهانهم بقراءة كتابهِ

الافلاذ الزبرجديّة في مدائح العترة الطاهرة الاحمديّة

للشاعر المجيــد تقيّ الدين عبد الحميد افندي الرافعي الفاروخيّ

طُبع في طرابلس ص١٢٧ . وثمنهُ ٧ غروش ونصف

هو ديوان شعر جمع فيهِ صاحبهُ الفاضل ما جادت بهِ قريحتهُ من المدائح في السيّد احمد الرفاعيّ الكبير وفي عترتهِ الكريمة خصوصاً اهل البيت الصيادي ذي الفضــل والآلاء . ومن تلا هذه القصائد وجدها غررًا تشرّف بها قائلها وشرّف ممدوحيها . وهي تنيف على مئة قصيدة او قطعة تبلغ ابياتها ١٩٨٣ بيتاً . طيّب الله روح ناظمها ل . ش

L'ABBÉ MARIN : **Saint Théodore** (759-826), 2e édit., Paris, V. Lecoffre, 1906.(Collection « les Saints »)

ترجمة القديس تاودورس

سبق لنا وصف مجموع من سير كبار القديسين يقوم بهِ عددٌ من مشاهير الكتبة في فرنسة على انّ هؤلاء المؤلفين انعكفوا خصوصاً على تأليف تراجم الائمة الغربيين امّا اولياء الشرق فلم يكتبوا اعمال احد منهم الّا القديسين العظيمين يوحنا فم الذهب وباسيليوس . وهاءنذا بترجمة قديس ثالث شرّف الكنيسة القسطنطينيّة بآثارهِ الخطيرة

في القرن التاسع نريد القديس ثاودوسيوس من ستوديوم . وقد اشتهر المذكور بدفاعه عن العقائد الدينيّة ولا سيّما حقوق الكنيسة الرومانيّة لم تأخذهُ في ذلك لومة لائم ولم يردعهُ خوف بشريّ حتى بازاء ملك الروم . فنعم ما صنع صاحب هذا التأليف اذ احيا بوصفهِ اعمال ذلك الرجل العظيم . ومما استحسناهُ في هذا الكتاب فصلهُ الخامس حيث توسّع المؤلف في انشاء وصف المعامل الشهيرة التي انشأها القديس ثاودوروس في ديرهِ منها للتصوير والنقش ونحت الاشخاص ومنها للحياكة والسكافة ومنها لنسخ الكتب القديمة ومنها لتعليم التراتيل المقدّسة . فما لبث دير ستوديوم بهمّة رئيسه ان اضحى مركزًا مهمًّا لكل الاعمال الصناعيّة والعلوم الفنيّة . ومع هذه الاعمال الجليلة صار القديس ثاودوروس هدفًا لاضطهادات اعدائهِ مدّة عشرين سنة فغلبهم بصبرهِ وطول اناتهِ وكان آخر ما اوصى بهِ تلاميذهُ في ساعة موتهِ سنة ٨٠٦ ان قال لهم : «هذه وصاتي الاخيرة ان تصونوا ايمانكم من كلّ بدعةٍ وتحفظوا حياتكم نقيّة من كل اثم» فترى انّ هذه السيرة تهمّ الشرقيين ومحبّي التاريخ البوزنطيّ ليروا حالة الكنيسة القسطنطينيّة قبل فوطيوس بزمن قليل . ولا نأخذ على كاتبها الّا بعض اطالات كان في غنًى عنها س . ر

شذرات

عيسى الهزار كتب لنا حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس شبلي ما نشكرهُ عن افادتهِ قال : اجابةً لطلبكم ان يفيدكم قرّاء المشرق ما يعرفون من امر عيسى الهزار رأيت ان افكركم بوجود ذكر هذا الشاعر في تأليف الكردينال ماي الموسوم بالمجموعة الجديدة للكتبة الاقدمين المجلد الرابع ص ٥٩١ عدد ٦٨٢ (Scriptor. Veter. nova collectio, t. IV, p. 591, cod. DCLXXXII) حيث يصف الكردينال العلامة احد المصاحف المعروفة عندهم بالسمعانيّة لانها كانت خاصة علماءنا السماعنة . هذا تعريب كلامه :

«كتاب بقطع ١/٨ على ورق . عدد اوراقه ١١٨ . عربي . وهو يشتمل على قصائد «للهزار» ومرقس وعبدالله ويوحنا وداود ويعقوب وابن شداد وابي مقيطف الشعراء السريان اليعاقبة في مدح العذراء والقديسين . . . وعدد القصائد ٤١ . . . هذا المصحف خطهُ القس ابرهيم الحسيني (؟) سنة ١٨٦٨ لليونان (الموافقة للسنة ١٥٥٧ للمسيح) كما هو مرقوم في اخر الكتاب» اه .

فمن هذا الكلام ومن تاريخ المخطوط الواتيكاني يتضح ان المؤلف عاش في القرن السادس عشر وانهُ كان يعقوبيًّا

اسئلة واجوبة

س سأل احد الادباء من كفرحيّ هل من دواء للأرق اي عدم النوم

دواء الأرق

ج ان مداواة الأرق تختلف كثيرًا مع حالة المصاب بهِ فربَّ دواء ينفع الواحد دون الآخر. فمنهم من يتّخذ الشاي فينام ومنهم من يستعين بالقهوة على خلاف غيرهم الذين يشربونها لليقظة. والبعض يحتقنون بالمرفين وربّما اضرَّت باعصابهم. ومن الادوية المستحدثة التي تنفع دون ان تهيّج الاعصاب الانتيپيرين والسلفورال والتريونال توجد في بعض صيدليّات بيروت ويجوز الانقطاع عنها دون أذى. بخلاف المرفين والكلورال. ولعلّ احسن الوسائل لشفاء الأَرق الوسائل الصحيّة كالارتياض والاكل القليل مساء والاستحمام بالماء الفاتر

س سأل احد الكهنة المستخدمين في دير الكرمل: ١ً كيف كان ينتخب البابا قبل الجيل الحادي عشر ٢ً هل شريعة الصوم عند الشرقيين تقبل خفّة المادّة ٣ً كم يبلغ عدد كاثوليك الشرق

انتخاب الباباوات قبل القرن الحادي عشر – الصوم عند الشرقيين – عدد كاثوليك الشرق

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ انتخاب الباباوات قبل القرن الحادي عشر قد جرى على طرق شتّى وانّما الغالب انَّ الاكليروس الروماني هو الذي كان ينتخب الحبر الاعظم على شروط اختلفت اختلافًا عظيمًا. وكثيرًا ما كان يدخل في هذه الانتخابات اعيان رومية مع الشعب وكانوا ايضًا يطلبون رضى الامبراطرة المسيحيين. وجوابنا على (الثاني) ان الصوم عند الشرقيين لا يقبل خفَّة المادَّة للقادرين عليهِ لانَّ الصوم عندهم لا يتناول الّا الوقت الوجيز اي من نصف الليل الى الظهر وقسمٌ من هذا الوقت يقضيهِ الصائم نومًا فلا يقاسي الجوع الّا بضع ساعات. اما اذا اريد بخفَّة المادَّة الخطيئة الخفيفة فانَّ شريعة الصوم تقبلها فيكون الخطأ خفيفًا ان اكل الصائم او شرب شيئًا زهيدًا. ونجيب على (الثالث) انّنا كتبنا في الكاثوليك مقالةً موسَّعة (المشرق ٤: ١٠٠٩ و ١٠٨٧)

(اصلاح) وقع في عنوان مقالة ميشال افندي الوف (ص ٤٠) سهوٌ فكُتب «الطرُق في بعلبك وضواحيها» والصواب «الطرق الرومانيَّة في بعلبك وضواحيها» ل. ش

السنة العاشرة   العدد ٣   ١ شباط   سنة ١٩٠٧

المشرق



منشور الاب الاقدس للفرنسويين

الى اخوتنا المحترمين كرادلة ورؤساء اساقفة واساقفة فرنسة والاكليروس والشعب الفرنسي

ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء السلام والبركة الرسولية

ان الحوادث الخطيرة التي تتهافت في وطنكم الشريف تدعونا من جديد لتوجيه خطابنا الى كنيسة فرنسة كي ننشطها في نكباتها ونعزيها في احزانها. فان ميل قلب الاب وانعطافه نحو بنيه يكون اشد واقوى عند ما يكونون في الحزن والالم عندما وعليهِ اننا نراكم تقاسون الاوجاع تفيض ولا ريب من اعماق قلبنا الابوي عواطف الحنو والحب فتسير اليكم بشدة اعظم وتلطف اوفر

تلك الاوجاع ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء لها الان صدى مؤلم في الكنيسة الكاثوليكية كلها. لكننا نحن نشعر بها اكثر من الجميع ونشاطركم اياها بحب يناسب نكباتكم قدرًا وكانهُ يزداد كل يوم عن يوم

على ان المولى القدير قد مزج بهذه الغموم المرّة تعزية لفؤادنا عذبة وثمينة جدًّا . وهي التعزية التي سببها لنا تمسككم المتين بعرى الكنيسة المقدسة وانقيادكم التام لهذا الكرسي الرسولي واتحادكم المحكم وتكاتفكم الصادق. ولقد كنا على ثقة من هذا الانقياد وهذا الاتحاد لاننا كنا اعلم وادرى بشهامة وبسالة القلوب الافرنسية من ان نخشى بينكم انفصالاً او وهناً في معامع الوغى. لكن ذلك لا ينقص شيئاً من فرحنا العظيم اذ نعاين المشهد البديع الذي تمثلونه الان وتثني عليكم اسمى الثناء امام كنيسة الله كلها. واننا نشكر عن ذلك من صميم فؤادنا رب المراحم ومصدر كل خير

ومما يجعل الاستغاثة باله الجود اعظم ضرورة هو ان الحرب التي أُشهرت علينا عوضاً عن ان تسكن ثائرتها لا تزال تشتد هجماتها وتتسع ساحتها . ليس الايمان المسيحي هو وحده ما يسعون الان في استئصاله من القلوب بل ايضاً كل عقيدة تجعل الانسان يرتفع فوق آفاق هذا العالم وتوجه بذاتها الحاظه نحو السماء. لم يبقَ سبيل للغرور قد اشهروا حرباً عواناً على كل ما يفوق الطبيعة علماً منهم بان وراء الحقائق الفائقة الطبيعة يوجد إله ولأن ما يحاولون نزعه من قلب الانسان وعقله هو الله

هذه الحرب ستكون عنيفة دون مهادنة ممن يسعرون نيرانها. فمن الممكن بل من المنتظر ان تشتدّ اوجاعكم وتتفاقم بلاياكم بدوام هذه الحرب وامتدادها . وعليهِ فمن الحكمة ان تستعدوا لها . وستفعلون لا محالة بثقة وبسالة متيقنين انكم مهما اشتدت سورة الحرب ستكونون انتم الظافرين

وعربون ظفركم هذا هو الاتحاد. اتحادكم مع بعضكم اولاً ثم اتحادكم مع هذا الكرسي الرسولي وهذان الاتحادان يصيرانكم منيعين تتحطم دونكم كل سهام العدى

ولم يكن اعداؤنا على غير بصيرة من هذا الامر. فانهم بادئ بدء وباصابة نظر عظيمة قد اختاروا هدفهم والغرض الذي يرمون اليهِ اي فصلكم اولاً عنا وعن كرسي بطرس ثم زرع بذر الشقاق فيما بينكم

ومنذئذٍ لم يعدلوا عن خطتهم هذه. بل لم يزالوا يعودون اليهـا حيناً بعد حين متوسلين بكل الوسائل لانجاحها فمنهم من تذرع بابرع اقاويـل التمليق والتقرب ومنهم من آثر الشراسة والقحة فكم من وعود غرَّارة وترغيبات بالشقاق مخجلة وكم من التهديد وسوء المعاملة كل ذلك قد جروا عليهِ وعملوا بـهِ لنوال بغيتهم . لكن ثباتكم وامانتكم النيرة قد اذهبت مساعيهم ادراج الرياح

فعندها ارتأوا ان احسن الوسائط لفصلكم عنا هي ملاشاة ثقتكم بالكرسي الرسولي. فما ترددوا في ان يشنعوا بافعالنا في الندوة وفي الجرائد مستجهلين حسن نياتنا وبعض الاوقات مفترين علينا الافتراءات الكاذبة

زعموا ان الكنيسة تسعى في اسعار نار الحرب الدينية في فرنسة وان الاضطهادات العنيفة هي غاية ما ترغبه. فياما اغرب هذه التهمة. الكنيسة التي قد انشأها من اتى العالم ليسكن هائجه ويصالح الانسان مع خالقه. الكنيسة رائد ورسول السلام بين الناس لا تستطيع ان ترضى بالحروب الدينيـة دون ان تجحد دعوتهـا السامية وتكذبها في اعين الجميع . وهي على عكس ذلك لم تزل ولن تزال محافظة كل المحافظة على هذه الخطة خطة الوداعة وطول الاناة والمحبة

على ان العالم كلهُ يعلم اليوم علم اليقين ان سكينة الضمائر ان كانت قد اضطربت في فرنسة فما ذلك فعل الكنيسة بل اعداء الكنيسـة. واصحاب العدل والانصاف حتى الذين لا يعتقدون معتقـدنا يقرُّون بانهُ ان ثارت الان في وطنكم العزيز حرب دينيـة فليس ذلك لان الكنيسـة قد رفعت راية المناضلة والمعاداة بل لان اعداءهـا هم الذين جاهروا بالحرب واشهروها عليها

تلك الحرب لا تزال الكنيسة تقاسي مضضها لاسيما من خمس وعشرين سنة. هذا هو الحق يثبته كل ما نُشر وأُعيد مرارًا نَشرهُ في الجرائد وفي المؤتمرات وفي المجتمعات الماسونية وفي الندوة الافرنسية ذاتها. يثبته ايضاً الطعن الذي وُجه عليهـا بطريقة منتظمة متواصلة وبعنف كان يزداد يوماً بعد يوم

هذه كلها امور جلية لا يمكن انكارها ولا يقوى على تكذيبها قول قائل . نعم ان الكنيسة لا ترغب في الحرب والحرب الدينية تكرهها اكثر من سواها ومن قال عكس ذلك فقد اهانها وافترى عليها كذباً

وكذلك لا ترغب الكنيسة في الاضطهادات العنيفة . انها تعرف ما هي الاضطهادات فانها كابدت اهوالها في كل زمان ومكان . هي التي عاشت قروناً عديدة خائضة في دماء ابنائها يحق لها ان تقول بعزة مقدسة انها لا ترهب اضطهاداً وانها كلما قضت الاحوال بهِ تقبلهُ وتقاسي مضضه

لكن الاضطهادات في ذاتها هي شرّ من حيث انها جور وظلم ولانها تعيق الانسان عن ان يعبد ربَّهُ براحة وحرية . فلا تستطيع الكنيسة ان ترغبها حتى ولا لاجل الخير الذي تنتجهُ العناية الالهية في حكمتها السامية بواسطتها

وعلاوة على ذلك ليست الاضطهادات شرًّا فقط فانها ايضاً عذابٌ وألم . وهذا داعٍ آخر يحمل الكنيسة أحن الامهات على ان تكره الاضطهادات رحمةً ببنيها وشفقةً عليهم

ولكن ذلك الاضطهاد الذي يتهمون الكنيسة بالدفع اليهِ والذي يعلنون بانهم لا بدّ سيحرمونها من مجده هو في الحقيقة امر واقع ينالها . أما انهم من ايام قلائل قد طردوا الاساقفة من دورهم حتى اجلّهم بالعمر وبالفضيلة؟ ألم يشتتوا شمل طلبة الكهنوت من المدارس الاكليريكية الكبرى والصغرى ؟ اما شرعوا الان بنفي كهنة الرعية من بيوتهم ؟ فلعمري ان العالم الكاثوليكي كله قد نظر الى هذا المشهد بحزن عظيم ولم يتردد في تسمية هذه الفعال الفظيعة بالاسم الذي يليق بها

اما بخصوص الاملاك الكنائسية التي اتهمونا باننا تركناها فيجب الانتباه الى ان هذه الاملاك منها ما كان ملك الفقراء ومنها ما كان مخصصاً وبوجه اقدس لمساعدة انفس المتنيحين . فما كان اذاً يسوغ للكنيسة لا ان تتركها ولا ان تسلمها . وما كان لها الا ان تراها تُنزع من يدها كرهاً بالقوة والعنف

ومن يا ترى يصدق انها باختيارها وبدون ان تقضي عليها احكام لا مناص منها قد تخلّت عما كانت أُودعته على تلك الصفة وما كانت اليه في حاجة ماسة لممارسة العبادة والعناية بالبنايات الدينية وتهذيب طلبة الكهنوت والقيام بمعيشة خدمة المذابح. انها لما أُجبرت بدهاء الدهاة على ان تختار بين الخراب المادي والمخالفة برضى لقوانينها التي هي من الله عندئذ فقط رضيت بألم الفقر ولم تسمح بالتعدي على حقوق الله فيها. ومن ثمّ قد سُلبت منها املاكها سلباً وليست هي التي تخلت عنها

وبناء عليهِ من زعم ان الاملاك الكنائسية مهملة في زمن معين لان الكنيسة في ذلك الزمن لم تنشيء في داخليتها هيئةً جديدةً واشترط ان تكون تلك الهيئة الجديدة في حالة تخالف مخالفة بينة لنظام الكنيسة الالهي بحيث ترضى الكنيسة بان ذلك النظام يخول تلك الجمعيات حقوقاً من شأن السلطة الكنائسية ان ترفضها ثم اعطى تلك الاملاك لغرباء كأَنها اصبحت لا مالك لها واخيرًا اعلن انهُ بعمله ذلك لم يسلب الكنيسة بل انما تصرف باملاك تركتها وتخلت عنها فهذا ليس فقط يستند في مزاعمه الى حجج ساقطة واهية بل علاوة على ذلك يقرن الهزء والسخرية باقسى الغصب وافظع الجور. نعم هو اغتصاب واختلاس. وقد سعى باطل السعي من حاول التمويه في امره اذ زعم انهُ لم يوجد هيئة ادبية يمكن ان تتعلق بها تلك الاملاك. فان الدولة لها ان تعطي الشخصية المدنية لمن يقتضي الخير العام ان تعطى لهُ وللموءسسات الكاثوليكية كما لسواها. وعلى كل الاحوال قد كان يسهل على الدولة أَلّا تشترط لتأليف الجمعيات الدينية المقامة لخدمة الكنيسة شروطاً تناقض مناقضة صريحة نظام الكنيسة الالهي

والحال ان هذا هو بالذات ما فعلوه في ما يتعلق بالجمعيات الدينية فان ما قرره النظام بشانها قد جعلها تعاكس معاكسة بينة حقوق الكنيسة الجوهرية الاساسية ولاسيما حقوق الرئاسة الكنائسية ذلك الاساس الذي اقام الله نفسه كنيسته عليهِ ولا ينقض. فضلًا عن ان هذا النظام شططٌ اي شطط ان كان في امر ممارسة العبادة او في

شان الاملاك وامتلاكها وتدبيرها . واخيرًا ليست هذه الجمعيات خارجة عن دائرة السلطة الكنائسية مستقلة عنها فقط بل انها فوق ذلك قد جُعلت تحت سيطرة وحكم السلطة المدنية . وهذا هو الذي حملنا في رسائلنا السابقة على رفض ورذل هذه الجمعيات المذهبية رغماً عن الخسائر المادية الجسيمة التي يسببها ذلك الرفض

وقد نسبونا الى التعصب ومناقضة اعمالنا باعمالنا فزعموا اننا رفضنا ان نسمح في فرنسة بما قد سُمح بهِ في المانية . هذه ايضاً تهمة باطلة لا حظ لها من الانصاف فانهُ وان كان النظام الذي سُنَّ في المانية يستوجب الرفض من اوجه عديدة وما قبل الكرسي الرسولي الّا التساهل بهِ فقط رغبةً في منع شرور اعظم فمع ذلك يوجد بون عظيم بين الحالتين والنظام الذي سنتهُ المانية يعترف اعترافاً صريحاً بالرئاسة الكاثوليكية على خلاف ما ترى في النظام الافرنسي

اما التبليغ السنوي لممارسة العبادة فانهم لمّا طلبوه منا لم يقدّموا لنا الضمان والتأمين القانوني كما كان حقنا ان ننتظر

على انهُ ولو كان وجود عباد الله في الكنائس ليس لهُ مبدئياً صفات الاجتماعات المدنية فيعامَل معاملتها وان كان تنزيله منزلتها ضربٌ من الاهانة فان الكنيسة ربما كانت اخيرًا تساهلت ورضيت بهِ ولكن اذ قرروا ان خوري الرعية او خادم الهيكل لا يكون من الان وصاعدًا في كنيستهِ الّا كمنتفع ليس لهُ شيء من الحقوق القانونية ولا يستطيع ان يباشر اي عملٍ اداري كان جعلوا خدَمة الدين عند ممارسة وظائفهم نفسها في حالة مهانة محتقرة مبهمة بحيث ان الكنيسة اصبحت لا تستطيع الرضى بذلك التبليغ

بقي القانون الذي صادقت عليهِ الندوتان . فان نظرتَ اليهِ من حيث الاموال الكنسية والاوقاف وجدت انهُ قانون اغتصاب واستصفاء. اذ اتمَّ تجريد الكنيسة عن مقتناها . نعم ان منشئها الالهي ولد فقيرًا في مذود ومات فقيرًا على صليب وهي ايضاً قد ألفت الفقر منذ مهدها الا ان الاموال التي كانت في ايديها كانت تملكها ملكاً تاماً ولم يحق لاحد ان ينزعها من حكمها . وملكها هذا المبني على حقوق راهنة من كل

وجه كانت الحكومة نفسها قد قررتهُ واثبتتهُ فلم تستطع ان تنهك حرمته

واذا اعتبرتَ هـذا القانون من حيث الدين وواجباته المقدسة وجدته يبلبل كل نظـام . اما الذي احدثهُ فالارتياب والتحكم . ترتاب العقـول وهي لا تعلم ما يجري بمعابد الدين اذ تكون عرضة في كل وقت لان تخصَّص لغير غايتها المقدسة واليوم يجهـل ارباب الدين والمؤمنون اتبقى هذه المعابـد في حوزتهم والى اي زمن . اما التحكم فيظهـر من الشروط التي اشترطوها للتمتع بهذه المعابـد وهي شروط واهنة لا اساس لها . فان القيـام بالفرائض الدينية ليختلف في فرنسة على اختلاف مديرياتها ونواحيها لا بل يصبح الكاهن في كل رعية تحت حكم الدائرة البلدية ومن ثمَّ يكون الخصـام على الدوام ممكنًا بينهما وذلك في كل اطراف الدولة . وعلاوة على ذلك يلزم الكاهن ورعيتهُ ان يقوموا بكل الاعباء مهما كانت ثقيلةً في وقت ما تُحصر المالية المختصة بها حصرًا فاحشاً . فـلا عجب اذا كان هذا القانون الذي سُنَّ الامس قـد اصبح اليوم هدفاً لانتقادات عديدة ومرَّة وجَّهها الى مشترعيه رجالٌ من كل الاحزاب السياسية على اختلاف معتقداتهم الدينيـة وكفاك بهـذه الانتقادات دليلًا للحكم على غاية وماهية هـذا القانون

فمما اوردنا لكم ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء يسهل عليكم ان تدركوا كم تتفاقم بهذا النظام وطأة النظام المسنون سابقاً في فصل الكنيسة ومن ثم لا نستطيع الّا نبذه وتزييفه

وان اعملتَ النظر في نص بعض بنود القانون المذكور وجدتهُ مشتبهاً مبهماً غير مدقق فيلوح لكل ناظر غرضُ اعدائنا من تدوينهِ . وما غايتهم الا ان يقوّضوا اركان الكنيسة ويسلبوا فرنسة دينهـا المسيحي كما قلنا سابقاً . وذلك بحيث لا يشعر الشعب ولا يعير الامر بالاً . فلو كان مشروعهم يعتقده القوم خيرًا لهم كما زعموا لما تردَّدوا في متابعتهِ على عيون الاشهاد وفي قبول المسئولية على نفسهم علانيةً . ولكن هيهات ان يرضوا بهذه المسئولية بل تراهم يبرئون نفوسهم منها وينبذونها عنهم ولبلوغ هـذه الغاية يلقـون

بطائلها على الكنيسة ضحيتهم . فهذه لعمري اقوى حجة واظهر بينة على ان عملهم عمل مشؤوم فاسد لا يرضى بهِ الوطن . وعليهِ بئس مـا يصنعون اذ يسعون بتضليل العقول زاعمين انهم لمَّا اضطرونا بالرغم عنا ان نزيّف السنن التي وضعوهـا صرنا المطالبين بالويلات الحاضرة التي جرُّوها على وطنهم . وقد رذلها كل ذي عقل صائب حتى صار نفور الجميع منهـا اشبه ببحر تتهددهم امواجه المتصاعدة . لكن شكايتهم في حقنـا باطلة لا تأتيهم بجدوى

اما نحن فقد قمنا بواجباتنا المقدسة كما كان فعل غيرنا من الاحبار الرومانيين لو كان في مقامنا فان الرتبة السامية التي شاء العلي ان يرقينا اليها على غير اهلية منا لا بل مجرد ايماننا في السيد المسيح قد قضى علينا بان نسلك كما سلكنا . وما كنا لنجري على خطـة اخرى دون ان نطأ تحت الاقدام واجبات الذمـة ونحنث باليمين الذي اقسمنا بهِ يوم جلوسنا على السدة البطرسية ودون ان ننقض نظام السلطة الكاثوليكية الذي وضعـهُ ربنا يسوع المسيح لكنيستهِ ومن ثم نحن منتظرون دون خوف حكم التاريخ في استقامة طريقتنا . فسوف يقول يوماً اننا شخصنـا بانظارنا الى الله لندافع عن حقوقهِ العلوية ولم نقصد البتة ان نذلل السلطة المدنية او نعارض احدى هيئات الحكم والسياسة . وانما كانت غايتنا ان نصون من كل يد اثيمة البناء الذي شيده سيدنا ومعلمنا يسوع المسيح . سيقول التاريخ اننـا ذببنا عنكم ايها الابناء الاحباب بكل استطاعة تعطفنا المستفيض وانَّ غاية ما طلبناه وما لا نزال نطلبهُ للكنيسـة جمعـاء وكذلك لكنيسة فرنسة التي هي ابنتها البكر واحد اقسامها المعدودة انما هو صيانة نظام سلطتها الدينية وعدم انتهاك حقوقها في اموالهـا واستقلالها . فلو كان مطلوبنا هذا مرعياً لما أُصيب السلام الديني في فرنسة بخلـل وايٌ يوم يرضخ لهذا المطلوب اهل الامر سوف يعود هـذا السلام المرغوب . وسيقول التاريخ اخيرًا اننـا لمَّا صرحنا لكم لعلمنـا بمروءتكم وشهامـة نفوسكم ان ساعة تضحية النفس قد دقت انمـا اردنا ان نعلن باسم الرب الضابط الكل انهُ ينبغي للانسان في عالمهِ الحاضر ان

يشغل نفسه بشواغل اسمى وارفع من امور هذه الحياة الزائلة وان الفرح الاقصى وسرور النفس الثابت في هذه الارض انما هو القيامُ بالواجب يتممهُ الانسان بنعمته تعالى رغماً عن كل العوائق فيعظم خالقهُ ويعبده ويحبه دون ان يعبأ بشيء.

ولما كانت ثقتنا بالسيدة الطاهرة ابنة الاب ووالدة الابن وعروسة الروح القدس ان تنال لنا من الثالوث المقدس المسجود لهُ اياماً اسعد وايمن نهديكم من صميم الفؤاد كعربون السلام والهدوء بعد الانواء كما لنا الامل بركتنا الرسولية لكم ايها الاخوة المحترمون ولجميع اكليروسكم ولكل الشعب الفرنسوي

أُعطي في رومية بجوار كنيسة القديس بطرس في يوم عيد الغطاس ٦ كـ٢ سنة ١٩٠٧ وهي السنة الرابعة لحبريتنا الاوقصا بيوس العاشر

المذاكرات الجغرافيّة في الاقطار السوريّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

تمهيد

تجوّلنا في انحاء لبنان مع قرّائنا الكرام فسرّحوا معنا الابصار في ما يحتويهِ هذا الجبل من الآثار فوجدوا في هذا النظر فائدةً ولذّة . ومذ ذاك الحين أَلحّوا علينا بان نوسّع نطاق ابحاثنا فنشمل بدروسنا كلّ انحاء الشام فها نحن نلبّي ملتمسهم ونباشر كتابة فصولٍ متتابعة في هذا الشأن نُطلق عليها اسماً جامعاً فندعوها « المذاكرات الجغرافيّة في الاقطار السوريّة »

وقبل ان نُقدم على العمل ندوّن هنا خلاصة مشروعنا ليكون القرّاء على بيّنة مما قصدناهُ . نفتتح اليوم سياق مذاكرات شتّى نتابعها على صفحات المشرق بسرعة كافية مع مراعاة الظروف والاحوال . ويكون ابتداء كلامنا في ابحاث عموميّة عن موقع سوريّة الجغرافيّ وما نالتهُ هذه البلاد في سالف الزمان لفضل مركزها من المنافع والمرافق وما ينتظرها ايضاً بسببهِ في المستقبل من النجاح . ثمّ ننتقل الى وصف صورتها وتخطيطها ثم نذكر جبالها ومياهها مع البحر الذي يماسُّ سواحلها ثمّ نصف مواليدها

من معادن ونبات وحيوان. واذا انتهينا من هذا النظر العموميّ ننتقل ان شاء الله الى اوصاف كلّ جهة بجدتها ونعرّف خواصّ حواضرها وتاريخ ابنيتها القديمة وآثارها الجليلة وكلّ ذلك على التقريب يوافق الفصول التي خصصناها بلبنان واحواله

فمن هذا الرسم الوجيز ترى سَعة المواد التي تشملها ابحاثنا اذ لا تتناول فقط الاحوال الحاضرة بل تمتدّ ايضاً الى ما سلف عهـده . وأملنا انّ القارئ يصحبنا في هذه الرحلة الطويلة دون ان يأخذهُ الملل ولا ريب انهُ يستدرك هذا الخطر ان صرف نظرهُ الى ما يقال ليس الى من يقول لأنّ الموضوع ذو بال كثير الشُّعَب متعدّد المناظر يعاين فيـه القارئ مع طولهِ مشاهد فتّانة تتناوب وتتوالى فيقرّ اليها بصرهُ ولا يحسّ بسأم . وزد على ذلك انّ الذي نصفهُ ليس بامرٍ غريب عن القرّاء لكنّهُ امرٌ قريب تحنّ اليـه اضلاعهم وتمسّهُ مشاعرهم اعني سوريّة مسقط رأسهم ووطنهم العزيز فكل ما ينوط بهِ يهمّهم شأنهُ ويجدر بهم الالتفات اليهِ . وهذا الذي حدانا الى مباشرة العمل كي تزيد قرّاءنا اعتباراً لبلادهم اذا ما عرفوا كلّ ما اودعهُ الخالق من المحاسن والكنوز . فمن الله نطلب ان يمدّ الينا يد المساعدة لنقوم بهذا المشروع قياماً اهلاً بسموّ شأنهِ فنحقّق اماني القرّاء فينا

وها نحن نصدّر مقالاتنا بفصل اعداديّ نبحث فيـهِ عن موقع سوريّة جغرافيا لنستدلّ بـهِ على تاريخها القديم . ولهذا الفصل مقدّمة غاية في الاعتبار تعود الى اصل العترة البشريّة كلّها . اعني

١

سوريّة ومهد الجنس البشري

قال اتيان لامي (١ ما تعريبهُ: « انّ في العالم بلاداً تتصافح فيهـا اقطار اوروبّة وآسية وافريقية . وتعيش بالالفة على السواحل نفسهـا . هي بلاد بريّة وبحريّة معاً . هي سوقٌ جامعة لمرافق مئة مدينة ومرفأ تتبادل فيهِ القارات الثلاث محصولاتها المتنوّعة . هناك تتصلّب وتتوارد الطرق التجاريّة التي فتحها العالم القديم . هي اقدم موطن يعاين فيهِ الانسان آثار اقدامهِ . فيها نشأت اخصّ الديانات الشائعة . وخلاصة القول لستَ تجد

(١) في مقدّمة كتابهِ المعنون « La France du Levant »

حيثما نظرت بلدًا اصغر من هذا في مساحتهِ قد اختلطت فيهِ وتزاحمت امم اكثر وديانات اعظم وآثار اخطر »

نعم القول يسرُّنا ان ننقلهُ عن كاتب بليغ فنحلّي بـهِ مطلع هذه الدروس التي افردناها لسوريّة وآثارها

ولا مراء انَّ سوريّة قبل كلّ بلادُ القِدَم بلاد الزمن السابق للتاريخ . فليت شعري أليس لها علاقة مع اوّل منازل البشر ؟ انَّ الانسان منذ الوفِ من السنين قد طبع في ذهنهِ ذكر فردوس ارضي ظهر فيـهِ جنسهُ فاين هي يا تُرى هذه جنّة عدن ؟ افي العراق ؟ افي سهول ما بين النهرين ؟ افي غوطة دمشق وبقعتها الفيحاء كما ارتأى القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيّة اليسوعيّة في كتاب رياضاتهِ الروحيّة ؟ هذه الآراء وغيرها قد كُتبت فيها التآليف الواسعة بل تجفّ المحابر قبل ان يُستقصى فيها البحث او يُكشف سرّها بالتمام امّا كون الفردوس في تخوم سوريّة فهذا احد الآراء الثمانين التي قال بها الكتبة (١ يؤيّدهُ كون الفرات يجري في بعض جهات هذه البلاد

في النصف الاوّل من القرن السابق نزل عند حفف لبنـان شاعر كان اصاب الشهرة في قومهِ يُدعى لامرتين . فاعجبهُ طيب هواء البلاد فاتّخذ بيروت لـهُ موطنًا وكان يخرج منهـا الى انحاء الشام ليزورها ويدرس آثارها . ففي بعض مسيرهِ رقي أكمة الاشرفيّة فوق كنيسة مار متري فاجال نظرهُ مليًّا في المشاهد التي كانت تحدق بـهِ فاخذت بمجامع قلبـهِ وكادت تسحر لبّهُ . فكان يرى البحر حول بيروت من جهاتها الثلاث كانهُ المنطقة المزركشة بالارجوان والذهب . وكان ينظر على شمالهِ لبنان الناطح بقرونهِ السحاب وبين هذا الجبل وموقف الشاعر كانت تنبسط السهول السندسيّة الغنيّة بمزارعها منها غابات الزيتون عند شويفات وغابة الصنوبر . وكان يجد في ارمال بيروت صورة ملطّفة لمفاوز بلاد الصحراء . نعم انَّ في العالم محاسن اجمل وابدع ولكن أيوجد في العالم امكنةٌ عديدة جمع فيها الله كلّ هذه المناظر المتباينة والرؤى الفاتنة في دائرة ضيّقة كهذه ؟ ذلك ما شغل فكر الشاعر زمنًا طويلًا فبقي غائصًا في تأملاتهِ الى ان عاد الى نفسهِ فهتف : « حقيقةً انَّ الله قد وضع في هذا المكان اكثر ممّا يمكنهُ الانسان

(١) راجع الصفحة ١٠ من كتاب للعلّامة دلتش حيث اتّسع في اقوال العلماء عن مكان الفردوس والصفحة ٤٣ (F. Delitsch : *Wo lag das Paradies?* 43)

ان يتصوّرهُ فاني كنتُ اتوق الى مرأى فردوس عدن فها هوذا بعينهِ (١ »

لا أُريد ان احكم في هذا القول اهو عين صواب او هو بالحري وصف تخيُّلي لشاعر متفنن وليست غايتي ان أنسب لهُ حلَّ هذا المشكل العويص. ولكن يمكننا ان نعتبر هذا البحث من وجه آخر فنحصرهُ في حدود معلومة. ولا يخفى عليَّ بانهُ يلذُّ القرَّاء ان يستقروا اخبار الشعوب جيلًا بعد جيل ليعرفوا مهد الجنس البشري ويتبيَّنوا موقع الفردوس الارضي. لكنَّ هذا البحث يخرج عن حيّز الممكنات وانَّما نستطيع ان نقتصر في البحث عمَّا ورد في تاريخ السلالتين العظيمتين من السلالات البشريّة اللتين لعبتا في العالم اشرف الادوار نريد الامم الساميَّة والهندواوربيَّة فنقول:

انَّ المذهب الشائع بين العلماء في موطن بني سام الاصلي انَّهم ظهروا في شبه الجزيرة التي موقعها بين خليج العجم والبحر الهندي والبحر المتوسّط اعني في مربَّع عظيم تشغل سوريّة جهتهُ الغربيَّة. لا نجهل انَّ غيرهم من المستشرقين يجعلون اصل الساميّين في افريقية ويزعمون انهم تخطَّوا منها الى آسية. فرأيهم هذا يستدعي بحثًا لا يسعنا الآن الخوض في غمرهِ. وما لا شبهة فيهِ انَّ مهد الساميين التاريخي حيث يظهرون في نور التاريخ فنتبع اعمالهم واخبارهم دون ريب وغيّز خواصُّهم التي تفرزهم عن غيرهم من الامم في القرون التالية قد كان موقعهُ في المربَّع الكبير الذي ذكرناهُ آنفًا. سواء كان هذا المقام محلَّهم الاصليَّ ام لا ومنهُ انتشروا في بقيَّة انحاء آسية المتقدّمة ثمَّ الى كلّ انحاء المعمور. ومن اراد ان يتجاوز هذه الحدود التاريخيَّة سار في مجاهل على غير هدى وتعرَّض للضلال والعثرة. ولعلَّ تقدُّم العلوم يأْتينا يومًا بوسائل جديدة لتلطيف هذه الظلمات الكثيفة (٢

امَّا السلالة الهندواوربيَّة التي تهمُّنا من وجوه متعدّدة فانَّ رأي العلماء في اصلها كرأيهم في الساميين. فانَّهم لا يتفقون في تعيين مهدهم الاوَّل وان كانوا يجعلونهُ في

١) راجع رحلة لامرتين (Lamartine: *Voyage en Orient*, ed. Hachette, I, 434)

٢) راجع ما ورد في هذا الموضوع في تآليف العلماء الآتي ذكرهم: مسبرو في تاريخ الشعوب الشرقيّة (Maspéro: *Hist. anc. des peuples de l'Orient*, I. 550) ثمَّ مقالة ڤنكلر في شعوب آسية المتقدّمة (H. Winckler: *Die Völker Vorderasiens*) في مجموعة « Der alte Orient » ثمَّ كتاب غرم (Grimme: *Mohammed*, 6)

آسية ليس بعيدًا من البلاد التي سبق القول فيها بأنَّ الساميين اخوة الآريّين سكنوها في طورهم التاريخيّ

ولبيـــان ذلك نكتفي بما يأتي وهو انَّ العلماء مهما تقدَّموا في الدروس التاريخيَّة المتعلّقة بنشأة الجنس البشري زاد ايضاً توجُّه ابصارهم الى ذلك القسم من آسية المتقدّمة الذي سوريَّة تُعدّ كركز لهُ فيجعلون فيهِ مهد الانسانيَّة . والحق يقال انك إن تصفَّحت تاريخ الشعوب اربعـــة آلاف سنة قبل المسيح وجدت البلاد الغربيّة متسكّعة في ظلمة الهمجيَّة بينما نرى الجهات الواقعة في شرقيّ البحر المتوسّط مزدهرة بنور التمدُّن اعني وادي النيل والاصقاع الاسيويَّة المجاورة لهُ من سواحل الشام وضفاف الفرات ودجلة . فيكون منشأ التمدُّن جنوبيّ غربي آسية ومنهُ انتشر جيلًا بعد جيل الى بقيَّة البلاد حتى عمَّ الامم المتنوّرة (١ . وبعبارة اخرى يصحُّ القول بانَّ سوريَّة كانت في مركز دائرة كبيرة من البلاد التي ألّفت العالم القديم حيث كانت نشأة التمدُّن الاوَّل في المسكونة وان عجزنا عن بيان وقوع الفردوس فيها فكفاها فخرًا أنَّها كانت مهد تاريخ البشر . ومن ثمَّ نقول ايضاً عن سوريَّة أنهـــا من الاقطار التي استوطنتها المستعمرات البشريَّة الاولى إن لم تكن اوَّل ارض وطئها الانسان بقدمهِ . وما لا ريب فيـــهِ انَّ سوريَّة قد تفرَّدت مع بلاد بابل والقطر المصري بكونها حفظت اقدم ما وُجد من الآثار المنبئة بوجود الانسان الناطقة باعمالهِ الاولى . وهو لعمري مجدٌ اثيل احرزتهُ لها في ميدان لم يجارِها فيهِ الّا القليل

٢

موقع سوريَّة الجغرافيّ

لسوريَّة فضلًا عن كونها من مواطن البشريَّة الاولى فضلٌ آخر وهو موقعها العجيب في وسط المعمور . فأنَّها قائمـــة في حدود الشرق كالحارس يصونها وهي مع ذلك قسم صالح من حوض البحر المتوسّط الذي يوصلهـــا باقطار الغرب تراها منفصلةً عن آسية المتقدّمة بجبال طورس الشامخة وبصحاري جزيرة العرب يصلهـــا بافريقية برزخ دقيق

(١) راجع جغرافيّة روكلو (Elisée Reclus: *Asie Antérieure*, I, 2)

برزخ سويس واقعةً على سواحل البحر المتوسط الذي كان يُعدّ الى اواسط القرن السادس عشر كبحر المسكونة كلها فأسرع سكّان الشام وسلكوا هذه الطريق اللاحبة ودخلوا ذلك الباب الواسع المفتوح في وجه نشاطهم وتقاطروا الى الجزائر النازحة والبلاد السحيقة الواقعة في الغرب فطبعوا فيها صورة تمدُّنهم وآثار حياتهم. فكأنهُ تبارك وتعالى لم يجعل سوريّة على جوار البحر المتوسط الذي اضحى منذ ٣٠٠٠ سنة من اخصّ سُبُل التمدُّن الّا ليجعل اهلها في مقدّمة روّاد المدنيَّة ونَقَلة الأُلفة فقاموا بهذه المهمّة احسن قيام مدَّة نيّف والف سنة

قد قلّد لله كلّ شعب دعوةً يفيد بها الهيئة الاجتماعيّة. امّا خاصّة الفينيقيين واهل سوريّة فانّ دعوتهم انّما كانت نشر التمدُّن. نعم انّ التمدّن بلغ في بابل واشور مبلغًا اعظم منهُ في انحاء الشام كما انّ عقول الاشوريين لم تكن أقلّ توقُّدًا من جيرانهم. لكنّ فعلهم في نشر الترقّي المدنيّ كان دون فعل الفينيقيين. فاذا اقتصهم لذلك؟ انهم يُعطَوا هبةً نالها السوريّون فامتازوا بها في كلّ اجيالهم تزيد الاقدام على نشر المشروعات. لانّ الاشوريين لم يجدوا بقربهم بابًا بحريًّا يخرجون منهُ الى بقيَّة انحاء العالم وينشطهم على العمل ويشدّد ازرهم للتوسُّط في المعاملات بين الشعوب المتباينة وكلّ ذلك قد اصابهُ السوريُّون لوجود موطنهم بين بلاد متوغلة في التمدُّن وبلاد جديدة كانت منتظرة نعمة هذه المدنيَّة. وكان السوريُّون دون جيرانهم البابليين والمصريين قدرةً وثروة فسدُّوا ما ينقصهم من هذا الوجه بما اتاحهم الله من حسن الموقع والمنافع الجغرافيَّة

ولمّا نالت سوريّة هذا المقام في الوَضع الطبيعيّ صارت في كلّ الازمنة هي الوصلة بين الشرق والغرب تنـوط بهما جميعًا دون ان تختصّ باحدهما. فان اعتبرت سكّانها ولغتها ورسومها فهي شرقيَّة. وان لحظت جيرتها من بحرٍ غربيّ ومعاملاتها المتوالية مع الامم الساكنة في حوض البحر المتوسط واخلاق اهلها المتنوّعة العامَّة فهي اشبه بالغرب. ولذلك تراها اذا تصفَّحت تاريخها القديم كمعبر ومجتمع كانت تتصافح فيهما كلّ الامم القديمة فتتلاقى فيهما كأنها في بلادها جميعًا. وكان الله سبحانهُ وتعالى قد قضى ان يكون هذا الالتقاء سلميًّا جامعًا للقلوب وربَّما تبلبل نظام الخالق بسوء نيَّات الشعوب فصارت سوريّة ساحةً للقتال جرت فيها الدماء سيولًا بدلًا من ان تصير سوقًا لتجارة الارض ومرسحًا للأُلفة والتحابّ. فكم من أمَّة طمعت في اقتناء سوريّة وبذلت دونهـا كلّ غالٍ

ونفيس خصوصاً في ايّام الاشوريين وفي عهد الفراعنة · فكانت منافعها الجغرافيّة تتحوَّل لها الى ويلاث وشرور· وقد قامت بعد هذه الدول دول اخرى تختلف اسماً وجنساً لكنّها لم تختلف فعلاً· وكما قدم الى سوريّة رعمسيس الثاني ونبوكدنصّر كذلك جاءها الاسكندر وكثيرون غيره تُرى كتاباتهم واسماءهم مرقومة في متحف طبيعيّ عجيب تحت القبّة الزرقاء اعني بهِ مضيق نهر الكلب (١ (لهُ بقيّة)

حوادث السنة الغابرة

نظرة للاب لويس معلوف اليسوعي (تتمّة)

آسية

﴿ الصين ﴾ ضُربت معاهدة في اوائل السنة الماضية بين الصين واليابان غايتها تقرير بعض امور تتعلق بمعاهدة السلم بين اليابان وروسيَّة· وفي تلك المعاهدة تعترف الصين لليابان بكل الحقوق التي خوَّلها اياها الظفر وكذلك رضيت حكومة الميكادو بالمحافظة على الاتفاقيَّات الموجودة سابقاً بين الصين وروسيّة بالنظر الى السكك الحديديّة وما سوى ذلك

عُقدت معاهدة اخرى بين الصين وانكلترة اهمّ ما جاء فيها ان دولة انكلترة والتبّت يعترفان للصين بحقوق الحماية على التبّت وان انكلترة لا يحقّ لها التداخل في شؤون داخليّة هذه البلاد طالما لا يتداخل فيها غيرها من الدول

على ان ما استوجهت الصين بهِ الحاظ العالم اجمع هو انتباهها الى تعزيز قواها العسكريّة وجدّها في تنظيمها وليس الامر دون ان يمثل امام اعين رجال السياسة ذلك الخطر الذي كثيرًا ما أُطلقت الالسنة بهِ اعني الخطر الاصفر فان تلك الأمّة الصينيّة التي ينيف سكانها عن ربع سكّان الارض اذا صارت جيوشها تضاهي جيوش الامم المتقدمة تدرُّباً وحنكة وصارت تتلاعب بالمدافع الجديدة الطرز في ساحات

١) اطلب كتابنا تسريح الابصار (ج ١ ص ٨-٩)

الوغى ستصبح لا شكّ خطرًا عظيماً يتهدّد من تاخمها من الامم ومن بعُد عنها . وان التمرينات الجنديّة التي اجرتها في اواسط السنة الغابرة اثبتت برهاناً لدى من حضرها من ضباط الدول على ان مساعي الصين لم تذهب سدًى وانها قد اتصلت الى شيء يذكر من مطالبهـا

﴿ اليابان ﴾ بعد ان كانت اليابان وروسيّة تتبادلان في ساحة الحرب الكرات الناريّة اصبحتا تتبادلان العبارات الوديّة والعواطف الولائيّة الى اواخر السنة الماضية حيث نجمت بينهما بعض اسباب التنافر والامل انها زالت الآن او كادت تزول . وقد تقربت اليابان من فرنسة حليفة الروسيّة تقرّباً انتبهت اليهِ الخواطر وكان تعيين المسيو جيرارد سفيرًا لفرنسة لدى الميكادو مظهرًا وداعياً لتوطيد علائق الصفاء بين الدولتين

ولا يخفى على أحد ما اولاهُ الظفر لدولة اليابان من علو القدر بين الدول والاعتزاز على من يجاورها او يحاول مناهضتها . وقد اخذت اهمّ الممالك تسعى في انشاء المواصلات والعلائق الحسنة مع حكومة الميكادو واخذت هي تخابر الولايات المتحدة مخابرة الندّ لندّهِ مع ما تعلم من عظمة الاميركان وقوتهم . امّا التنافر الذي حصل اليابان والولايات المتحدة فقـد كان سببهُ الاخير اغلاق باب المدارس في وجوه شبّان اليابانيين في ولاية كاليفورنية وقد كادت هذه الشرارة تضرم نيران الحروب بين الدولتين . لكن حكمة رئيس الولايات المتحدة قد مهدت سبل المصالحة وكادت تعيد المياه الى مجاريها

وان حركة الاصلاح وتقدم القوم الياباني في الفنون والصنائع والتجـارة والعلوم قد جعلت تلك الامة تتباهى على سواها لا في القوى الحربيّة فقط بل وباسباب التمدن وعوامل الترقّي وها ان معاهد العلوم والآداب فيها تكاد تضاهي ما في سواها عند سائر الامم التي سبقتها اليها بقرون طويلة كما ان البوارج التي تخرج من معاملها والمدافع التي تُسكب في مصانعها لا تقلّ كمالًا ودقّة واحكاماً عما يصدر من اهم المعامل الاوربية والاميركية . كل ذلك مما يدل على ان النجاح اعظم منشط واقوى مساعد على مواصلة الاعمال وبلوغ الرغائب . فمن المولى نطلب لهذه الأمّة ان تستنير باقرب الاوقات بمـا هو اسمى وابقى من انوار العلوم البشريّة انوار الدين الحق الهـادي الى سعادة تدوم لا تكدرها الحروب ولا تفنيها صروف الدهر

افريقية

﴿ الترنسفال ﴾ قد منحت حكومة بريطانية مستعمرة الترنسفال أن يتولى ادارتها حاكمٌ وقائدٌ يسميهما الملك ويكون لرعايا انكلترة البيض حقوق في انتخابهما. وقد قررت ايضاً انكلترة ان يشكَّل في الترنسفال مجلس لسنّ القوانين يتألف من خمسة عشر عضوًا ينتخبهم الحاكم ومجلسٌ آخر لنوّاب الأمة يضمّ ستين عضوًا ينتخبهم الرعايا الانكليز البيض البالغون ٢١ سنة من العمر . وعند حدوث خلاف بين المجلسين يحق للحاكم حل احدهما او الاثنين معاً

﴿ تونس ﴾ في ١١ ايار توفي الباي محمد الحاج فتولَّى الامر بعدهُ محمد النصر ابن عمه ولهُ من العمر ٥٠ سنة

﴿ الحبشة ﴾ تمَّ اتفاق ايطالية وفرنسة وانكلترة على المعاهدة المتعلقة بالحبشة والتي طالت المناقشة فيها وقد قبلها النجاشي وصادق عليها ثم وقَّع عليها كل من الدول المذكورة. ومن مقتضياتها ضمان حيادة الحبشة والاعتراف للسكة الحديدية من جيبوتي الى اديس ابابا بصفة سكة افرنسيَّة

﴿ السودان ﴾ في ٢٧ ك ٢ من السنة الغابرة صار تدشين السكة الحديديَّة من بربر الى البحر الاحمر واحتفل بهِ احتفالاً عظيماً دلَّ على اهميَّة السكة الجديدة وعلى ما يعلّق عليها القوم من الآمال. ومما قالهُ اللورد كرومر في خطاب القاهُ عندئذٍ ان هذا هو بدء تحقيق المشروع الذي يُنوى بهِ تكثير وتقريب الطرق التجاريَّة والعمرانيَّة من الاقطار السودانيَّة واليها. ولا يغرب ان يصير پور سودان بسبب هذه السكة اهم مواقف البواخر الماخرة في البحر الاحمر

﴿ مراكش ﴾ في ١٦ ك ٢ عُقدت في مدينة الجزيرة اول جلسة من المؤتمر الدولي لتنظيم شؤون مراكش حضرها ممثلو المانية والنمسة وبلجكة واسبانية والولايات المتحدة وفرنسة وانكلترة وهولندة وايطالية والبورتوغال وروسية واسوج ومراكش. فترأس ممثل اسبانية وخطب خطبتهُ الافتتاحيَّة جاهر فيها بمبادئ ثلاثة هي استقلال سلطنة حاكم مراكش وصون تخوم مملكته على ما هي وجعل ابواب التجارة مفتوحة للجميع. وعلى هذه المبادئ وافق ممثلا فرنسة والمانية. وقد جرى في غضون المناقشات

من تمسك ممثلي بعض الدول بحقوق دولهم ما خُشي معهُ سوء العاقبة وقد خيف مدة من الزمان اشتعال نيران الحرب بين المانية وفرنسة. ولكن اخيرًا تمَّ الاتفاق ووُقع على المعاهدة وقوامها ١٢٣ بندًا نُصَّ فيها على تنظيم البوليس ومنع تهريب الاسلحة وانشاء بنك للحكومة المراكشيَّة والكمارك والاشغال العموميَّة الى غير ذلك. وقد قررت تلك المعاهدة ان عدد انفار البوليس يجب ان يكون من ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ وان الضباط يكونون من فرنسة واسبانية وان يكون فوقهم مراقب عام سويسري. وايضًا ان بنك الحكومة تكون ماليَّتهُ من ١٥ الى ٢٠ مليونًا باسهم ثمنها ٥٠٠ فرنك ويكون تحت مراقبة اربعة مأمورين تعيّنهم بنوك المانية وانكلترة واسبانية وفرنسة

على ان الاحوال عادت بعد زمن قصير الى القلق والاضطراب وكثر التعدي وضجّ القوم وجلًا وآل الامر الى ان ارسلت حكومتا فرنسة واسبانية بعض البوارج لتسكين الخواطر واعادة الامن والراحة

اميركة

ان المؤتمر الثالث لعموم الشعوب الاميركيَّة قد أُلّف السنة الماضية في مدينة ريو ده جانيرو وافتُتح في ٢٤ تموز

وقد بعثت جميع الممالك الاميركية من يمثلها فيهِ ما خلا ڤنزويلا وهايتي وسان دومينيك وترأسهُ وزير خارجيَّة البرازيل

ومن اهم ما قيل فيهِ ما جاهر بهِ المسيو «ايليهو روت» ممثل الولايات المتحدة حيث قال: ان الولايات المتحدة ترغب وتقصد ان تنزع من ايدي اوربة تجارة اميركة الشماليَّة والجنوبيَّة حتى تصيّرها اميركيَّة محضة وستسعى كل السعي وراء تلك الامنيَّة

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الخطر. وان تمَّ الامر كانت ضربة شديدة على اوربة من حيث الاحوال العمرانيَّة والاقتصادية

﴿ البرازيل ﴾ انتُخب «المسيو الفونسو بنّا» رئيسًا لحكومة ولايات البرازيل في ١ اذار وأُقيم المسيو «نيلو بسانها» نائبًا لهُ ورئيسًا لمجلس الاعيان

﴿ ڤنزويلا ﴾ في اوائل السنة الماضية انقطعت العلائق السياسية بين فرنسة وڤنزويلا وكان السبب في ذلك سوء تصرفات الرئيس كاسترو نحو الافرنسيين وكان مما

اجترمهُ انهُ وضع يدهُ على الاسلاك التلغرافيَّة البحرية مع انها خاصَّة بشركة افرنسيَّة · وقد تنازل الرئيس المذكور عن منصبهِ في ١٣ نيسان

﴿ كوبا ﴾ اضطربت فيها الاحوال واستظهر الخوارج على رجال الحكومة واحوجت الظروف دولة الولايات المتحدة الى احتلالها احتلالًا عسكريًا وكان ذلك في ١ ت ١ · وقد استعفى الرئيس بالما واقامت الولايات المتحدة من قبلها حاكمًا على البلاد الى ان يعود اليها الامن والراحة وتُنظَّم شؤونها

﴿ الولايات المتحدة ﴾ انصرف همّ رجل تلك الدولة القديرة المستر روزفلت رئيس حكومتها الى تحسين شؤونها الداخليَّة وزيادة مصادر الثروة وعوامل العمران فيها ومما يلوح منهُ بعض ما نواهُ وحاول تحقيقهُ كلامٌ نصّهُ في لائحة وجهها الى زعماء حزبهِ بمناسبة انتخابات ممثلي الولايات قال: انهُ لمن الضرورة ابقاء التعريفة الممتازة لمصنوعات البلاد فانها لازمة كل اللزوم لحفظ صنائعنا الوطنيَّة ناجحةً نجاحها البديع الغريب ولصونها من مهاجمة ومزاحمة الواردات الاجنبيّة · وقد افصح مرارًا عن جدّه وسعيه في تعزيز القوى البحريَّة في مملكتهِ واعدادها لما يجب توقعهُ من المعاداة · ومن هذا القبيل عناية الرئيس روزفلت في تعجيل اعمال ترعة بناما وتنشيط من أُقيموا على اتمام فتحها ولذلك قد ذهب بنفسهِ وباشر الاشغال واظهر ارتياحهُ مما شاهد وحرَّض على الجدّ والاسراع · ومن البيّن ان فتح ترعة بناما تقرّب على الولايات المتحدة امداد اساطيلها حيثما وُجدت وبالاخص اذا نشبت حرب بينها وبين اليابان

سيرة

يوليانا الشيخ الناسك

المؤسس ديرهُ في القريتين

للخوري الفاضل الاب اسحاق ارملة السرياني الكاثوليكي

طالعنا رحلة حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي الى نواحي بادية تدمر وسرَّنا ما اتى بها من التفاصيل في آثار تلك البلاد وعمرانها · وتصفَّحنا خاصةً في ما كتبهُ

بشأن دير مار يوليان الشيخ . ولمَّا كان كلامهُ فيهِ وجيزًا احببنا ان نتحف قرّاء المشرق بنبذة نلخّص فيها حياة الوُسس معتمدين على ثلث نسخ موجودة لدينا . احداها نسخة الاب بولس بيجان العازاري الفاضل . والثانية نسخة المثلَّث الرحمات البطريرك ميخائيل جروه كتبها اذ كان قسّيساً يعقوبيًّا في دير الزعفران سنة ١٧٤٦ . والثالثة نسخة كُتبت في حمص في اواسط القرن السابع عشر . فنقول :

وُلد عليهِ السلام في ارزن بلدة عند نهر الفرات قريبة من آثور كثيرة العمائر غاصّة بالسكّان . وكان في براريها المجاورة لحدياب مغاور عديدة قصد يوليان واحدةً منها زاهدًا ولم يكن يتقوّت الّا بخبز الشعير مع نخالته وبالملح ذلك مرّةً في الاسبوع . ولوفور فضائلهِ وانتشارها لقّبهُ اهل البلدة (ܣܒܐ) اي الشيخ

امّا لذّتهُ فكانت في تلاوة المزامير لِما كان يشعر فيها من العذوبة السماويّة . ولمّا ضاع عرف فضائله وتطاير صيتهُ في الأصقاع أمَّهُ باديَ بدءٍ عشرة رهبان . وازدادوا رويدًا رويدًا حتى بلغوا المائة . فغصّت بهم تلك المغارة الصغيرة الحرجة . فألحّوا على رئيسهم ان يبنوا قلّايةً لسكناهم ولوضع حشائش كانوا يلتقطونها ويمرثونها ويوزّعونها على المرضى . فأذن لهم واعطاهم القياس

وكان من عادته ان يتوغّل في البراري طاويًا مسافة خمسين غلوة يناجي الله غير مكترث للوصب الذي ينالهُ من جرّاء ذلك . فاغتنم رهبانهُ الفرصة وفسحوا في البناء متجاوزين القياس المحدود . وعند عودتهِ لامهم قائلًا : « يا احبّائي اخاف من اننا اذا ما وسعنا مساكننا الارضيّة تضيق بنا المساكن السماويّة » . الّا انهُ بعدئذٍ تغاضى عن ذلك حبًّا بالقريب

هذا وراض تلامذته على الجولان في البيداء اثنين اثنين تأسّيًا بهِ . فكانوا يهذّون ثناء ذلك بالمفاوضة الروحيّة . وكانوا متهافتين على الطلبات والتراتيل والتأملات . وكانوا يلتئمون قبل الغروب لتلاوة الصلاة القانونيّة

واستصحب يومًا الى البادية تلميذهُ يعقوب الفارسيّ (١) الذي اشتهر بفضائلهِ

١) اشتهر القديس يعقوب افرهاط الفارسيّ سنة ٣٤٥ وهو مؤلف كتاب البراهين (ܬܚܘܝܬܐ) يشتمل على ٢٢ مقالة مرتبة على حروف المعجم . ولهُ مقالة تُعرف بالمنقود (ܡܢܩܘܕܐ)

وطومهِ . عمّر مائة واربع سنين . ولمّا كان يقفو اثر معلّمه من بعيد ألفى وحشاً كاسراً مجندلاً على الارض . فجعل يقدّم رجلًا ويؤخر اخرى . وما كاد يدنو منهُ حتى اخذ حصاة ضربهُ بها . واذ لم يبدِ حراكاً تأكّد ان رئيسهُ فتك بهِ . ولمّا جلسا يستريحان طفق يلحّ عليهِ ان يطلعهُ عن حقيقة الواقع . فشرط عليهِ ان يكتم الأمر ما دام في قيد الحياة . ثم اخبرهُ قائلًا : لمّا هجم عليَّ ذلك الحيوان الضاري يبتغي افتراسي استنجدت بيسوع ورسمت اشارة الصليب فألقيتهُ مجندلًا على الأرض (١

والحّ عليـــهِ مرّةً اسطرُيس تلميذهُ ان يستصحبهُ الى البرّية ولشدّة الحرّ ادركهُ الظمأ فاستنجد القديسَ وطلب منهُ الغوث . فجثا يوليان على الارض وبلّهــا بدموعهِ فأنبطت ينبوعاً زلالًا فارتوى التلميذ وشكر الله (وهذا الينبوع يُعرف باسمهِ حتى اليوم)

واشتهر اسطرُيس هــذا في جندريس العظيمة بقرب انطاكية حيث رمّم ديراً التأم فيهِ عدّة تلاميذ من جملتهم اقاق (٢ الذي تمطرن على حلب ثماني وخمسين سنة(٣ لم ينثنِ اثناءها عن النسك والزهد (٤ وعمّر مائة سنة وعشر سنين

وكان اسطرُيس المشار اليهِ يتفقّد قدّيسنا ثلاثاً في السنة جالباً معهُ اربعة احمالٍ تيناً للرهبان يوسق منها حملًا على عاتقهِ ويمشي زهاء سبع مراحل في اليوم عادّاً ذاتــهُ عبدًا ليوليان . فشقّ ذلك على قدّيسنا وهتف نحوهُ قائلًا : ايجمل بنــا ان نغتذي من

طُبعت اوّلًا في لندن سنة ١٨٦٩ واخيرًا في باريس سنة ١٨٩٤ راجع روبيس دوفال .Litt (syriaque, 225-227 (وافادنا ابن العبري في تاريخــهِ الكنسي : ان بوزيطس الحكيم الفارسيّ مؤلّف كتاب البراهين المستقيم الايمان عاش في زمان يوليان الشيخ ومار افرام وابراهيم القيدونيّ . وقد اكّد ذلك تاودريط (ك ١ فصل ٢٥ و ٢٦) . والسمعانيّ (مجلّد ٣ وجه ٨٥)

١) وفي كتاب فرضنا (ج ٣) شهادة على صحّة ذلك

٢) كان من احد اباء المجمع القسطنطيني . وذكر ابن العبريّ ان فلابيانس الاوّل بطريرك انطاكية ارسلهُ الى رومية حيث كان ثاودوسيوس الملك يومئذٍ ليصالح الرومانيين مع آل انطاكية . وذكر سقراط (ك ٣ فصــل ٢٥) ان اقاق خلف توادون وسقّفهُ على حلب اوسابيوس اسقف صميصاط وكان من الحامين لفم الذهب

٣) وفي نسخة خمساً وثمانين سنة . وورد في رسالة اساقفة الشرق الى ثاودوسيوس الملك انهُ استمرّ اسقفاً خمسين سنة وعاش مائة وعشر سنين . مناضلًا عن التعليم الانجيليّ

٤) اكّد ذلك سوزومان في تاريخهِ (ك ٧ فصل ٨)

تعبك. اجابهُ اسطريس: لا أنزل الحمل عن كاهلي او تعدني بانك تطعم منهُ. ولمَّا ضاق بهِ الأمر اجاب الى سؤله

ورحل قديسنا الى جبل سينا مع نفر من تلامذتهِ كانوا يحملون مؤنتهم على اكتافهم ويبيتون في البرّيَّة ليلهم: ولمَّا بلغوا الى جبل الله زاروا مغارة موسى الكليم وكرّس قدّيسنا ثمَّ كنيسة تعرف الى اليوم باسمهِ (١

وما طرق مسمعيهِ خبر جور سميّهِ القيصر يوليان الجاحد حتى بعثتهُ الغيرة على الاستصراخ الى الله بحرقة قلب ان يلطف بعبادهِ وبعد ايَّام وجيزة سمع صوتاً يبشرهُ بموتهِ شرَّ ميتة (٢ فاستفزَّ طرباً وحبورًا ورطّب اللسان بالثناء للمولى القهار. واذ ذاك سألهُ تلاميذهُ عمَّا يسرّه. فاجابهم: ان الملك العاتي قُتل والرب القدير أعتق عبيده

وخلفهُ والنس الاريوسي في التعسّف والجور. فأقلق الكنائس ونفى ملاطيوس (٣ بطريرك انطاكية وجملةً من اساقفتهِ. وضعضع الاقليروس والمسيحيين المتمسكين بالاعتقاد بطبيعتي السيد المسيح. فكانوا لخوفهم يلتمسون لقضاء فروضهم الدينيَّة تارة في لحف جبل انطاكية وطورًا على ساحل النهر وآونةً في ساحة القتال شمالي البلدة

هذا ولمَّا كان اعداء الحقّ ينسبون تعليم اريوس الواهي الى يوليان قدّيسنا (٤. قصدَ ان يجذبوا الأنام المعتبرين قداستهُ الى معتقدهم نهض فلابيانس (٥ وديودرس (٦

١) اثبت ذلك موروني في قاموسهِ (جزء ٣١) تحت اسم يوليان. وكتاب فرضنا (جزء ٢: وجه ٧). والبيتكاز المنسوخ في القرن الحادي عشر وهو خاصة مدرسة الشرفة البطريركية السريانيَّة بلبنان (راجع المغيث ٢٧٩)

٢) موروني (ج ٣١)

٣) هو معلّم فم الذهب وقد رسمهُ انجيليًّا وقلَّدهُ وظيفة الوعظ. وهو الذي رسم القديس باسيليوس اسقفًا لقيصاريَّة. وخلفهُ في البطريركيَّة اوزيس ونفاهُ الاريوسيون. وفي المجمع القسطنطيني رُفض اوزيس وردُّ ملاطيوس الى كرسيهِ ولم يلبث زمنًا حتى مات سنة ٣٨١. (راجع تاريخ ابن العبري)

٤) اطلب معجم موروني (ج ٤١)

٥) هو الذي كان يسوس انطاكية بدلًا من اوسطاثيوس وفي عهدهِ ظهر ابولينار. وفي زمان اسطفان بطريرك انطاكية الاريوسي كان فلابيانس ضابطاً كنيسة واحدة فقط. (ابن العبري وتاودريطك ٥ ف ٣)

٦) كان كاهنًا في انطاكية في زمان يوليانس الجاحد وعهد اليه اسقفهُ (ملاطيوس) بحفظ الاواني

الكاهنان المغبوطان رئيسا الشعب وتوجّها الى حلب ملتمسين من اقاق اسقفها المذكور ان يرافقهما ليأتيا بيوليان فيمحق اقتراء الملحدين ويذلّهم

ولمّا عادوا بـهِ حلّوا في احدى القرى فاستضافتهم سيدة نبيلة واحسنت لقياهم واكرمت مثواهم . ولمّا كانت منشغلة في خدمتهم أمر قديسنا باحضار نجلها لأَخذ البركة فانطلقت لتأتي بهِ . واذ هو واقع في البئر . فامتقع لونها ورامت اخفاء الأَمر ريثما ينهضون من المائدة . غير ان قديسنا لعلمهِ بالواقعة خفّ الى البئر ودلّى نبراساً فأُلفي الصبي يطفو على الماء جذلًا فانقشع غمام الكآبة عن امهِ المسكينة . وأمر القديس فنشلوا الصبيّ . وما كاد يخرج حتى عدا وجثا امام يوليان قائلًا : باركني ابتِ . لولا انك تحملني على عاتقيك لغرقت لا محالة (١

وكان قدّيسنا يجترح الآيات على هذا المنوال في كلّ بلدة يطأُها . ولمّا وصلوا الى انطاكية ادركتهُ حمّى أَليمة فشقّ ذلك على اقاق خوفاً من انهُ اذا ما مات نصير الدين المستقيم يتغلّب الضلال وينتصر الاعداء . امّا قدّيسنا فطمّنهم بقولهِ : لا تغتمّوا سيبرئني الله . وكان كما قال

وما كادوا يلجون المدينـــة حتى حبا اليهِ مخلّع يمشي على يديهِ عند باب البلاط الملوكي فتشبّث بذيلهِ وطلب ان يشفيهُ . فما صلّى عليهِ يوليان حتى قام يركض مسبّحاً لله . وتقاطر اذ ذاك الناس من كلّ اوب والتأموا في ساحة انطاكية افواجاً افواجاً . فجعل يبرهن لهم بادلّة قاطعة عن الاعتقاد بلاهوت المسيح ضدًّا لاريوس (٢ فأُفعمت افئدتهم حبورًا وعزاء وطفقوا ينعتونهُ بفخر المسيحيين وعدوّ الملحدين

وكان آنئذٍ في انطاكية حاكم بلاد المشرق مريضاً فشفاهُ . وابرأ اسقام ذوي العاهات والمضنوكين . وكلّ من قصدهُ نال الشفاء بصلواتهِ

البيعة . ولمّا غضبهُ الملك على تسليمها ولم يرضَ أمر فقُطع رأسهُ . تاودريط (ك ٣ ف ٨ و ٩) وسوزمان (ك ٥ ف ٨) وغيرهما

١) وكان عمر الصبيّ سبع سنين وفي نسخة عشر سنين . وهذه الآية متداولة في افواه آل فونيقي ولا سيما حمص وحماة وما يجاورهما . وقد ورد ذكرها في كتاب فرضنا ايضاً

٢) يؤكد ذلك المنيث الذي ورد في بيتكازٍ نُسخ في اوائل القرن السابع عشر بدؤهُ : يا غصن الديانة

هذا ولمَّا ضرب الامن اطنابهُ وسطع نور الدين القويم كرَّ راجعاً الى ديرهِ . فمرَّ بمدينة قورش وحلَّ في بيت ديونيسيوس الشهيد. وعند ذلك تناهض اهلهـا متوسّلين اليـهِ ان ينقذهم من ضلالة اسطرُيس الفيلسوف الكذوب والاسقف الدخيل (١ فسكَّن قديسنا روعهم ووعدهم بانـهُ تعالى يطفئ سعير تلك النار المتأجّجة . ويدرأ عنهم افك الاسقف المحتال. على انـهُ لمَّا نوى اسطريس هذا الشقيّ ان يلقي عظةً في ايضاح بدعتهِ بغتهُ الربّ بضربة اليمة نزعتهُ الحياة. وجرى ذلك بابتهال قديسنا . فشكر لهُ آل قورش . فودَّعهم وبلغ الى ديرهِ واستمرّ لدى رهبانهِ زمناً طويلاً حتى توفاهُ الله شيخاً شبع من الايام

هذا ما رواهُ اقاق المغبوط الذي كان مطّلعاً ومستقصياً اخبارهُ يوليان بسر متحقق(٢

وقبل انتقالهِ عليهِ السلام جمع تلامذتهُ وحثَّهم على التقوى والمحاماة عن الدين . وقال لهم اخيرًا : يا اولادي الاحباء اوصيكم ان تضعوا جسمي ضمن عجلة وتأخذوا معكم علفاً لدوابكم وحيثما تقف الدوابّ وينفد العلف ادفنوني وكان لمَّا انتقل الى جوار ربّهِ حزنوا جدًّا وناحوا عليهِ نوحاً اليماً . وبعد ذلك قال بعضهم لبعض : هيا بنـا نقوم بوصيَّة رئيسنا القدّيس فنهضوا وكفَّنوا جسمـهُ المقدَّس وساروا بهِ كما امرهم حتى وصلوا الى بادية تدمر (٣ فنفد العلف ووقفت الدوابّ عند القريتين. فآثروا ان يدفنوهُ في جبل كان غير بعيد عنهم غير ان العجلة لم تتخطأ المكان فاتضح لهم انـهُ هو هو المكان الذي ابتغاهُ القدّيس لضريحهِ . وما كادوا ينزلون عن العجلة حتى التأم سكّان

١) ذكرهُ ايرونيموس (كتاب النبلاء فصل ٩٤) وقال انهُ كان اسقف اللدّ وكان اريوسياً . والّف كتباً تؤيد ضلالهُ وعلى ما نظنّ انهُ اسطرُيس هذا بعينهِ ولا يخفى انهُ ليس اسطريس تلميذ وليان المذكور سابقًا

٢) الى هنا ما نقلناهُ عن نسخة الاب بيجان الفاضل وفي آخرها ورد ما نصُّهُ : ان مار افرام الطوباوي هو الذي الّفها . ونرتأي مع الاب المذكور ان ذلك ليس صحيحاً لان النصّ ليس نصُّهُ على ما يبان . وما يلي فقد نقلناهُ عن نسخة حمص

٣) يتضح لي ان ذلك مبالغة . والّا فلا يمكن القول انـهُ توفي في ديرهِ في حدياب ثم نُقل جسمهُ الى القريتين وذلك لبعد المسافة . وعلى الغالب اقول : من الممكن انهُ مات في نواحي قورش واتى تلامذتهُ ونقلوا جسمهُ الى القريتين

تلك البادية طرًّا ليتباركوا منهُ ويشفوا من اسقامهم . وامتلأت افئدتهم حبورًا لفوزهم بتلك الدرَّة اليتيمة

وشيَّدوا بعد ذلك ديرًا حذاء القريتين واتوا بجرن من حجر البازار احرزوا فيهِ ذخيرتهُ المقدَّسة . فغدا مذ ذلك الحين مينا النجاة والشفاء لمن يقصدهُ حتى يومنا هذا

انتهت قصّة مار يوليان الشيخ

تتمَّـة

فممَّا ورد في سيرة يوليان الشيخ نستنتج ما يأتي :

١ً : لم يكن شهيدًا كما زعم البعض . اما يوليان الشهيد الذي ذكرهُ اوسابيوس القيسري في مقالتهِ على شهداء فلسطين ومعترفيها (١ فليس هو قدّيسنا لان الشهيد وُلد في نواحي قبدقية وهذا ولد في ارزن . وللاوّل ذكرٌ مع رفقائهِ في ١٦ آب كما ورد في جدول القديسين المنسوخ سنة ١٥٧٩ (٢ .

٢ً : لم يكن قدّيسنا بطريركًا على انطاكية كما توهّم البعض استنادًا الى رسم صورتهِ . فانه قد قام ثلاثة بطاركة انطاكيين باسم يوليان . احدهم يوليان خلف بطرس القصّار في اواخر القرن الخامس الذي خلف مرطوريوس ثم تغلَّب عليهِ القصار . ثانيهم يوليان بطريرك اليعاقبة البليغ وهو الثالث بعد ساويروس . ويتّضح من المعنيث ١٦١ (٣ انهُ كان يعقوبيًا حقًّا . وتفطرك ثلاث سنين وثلاثة اشهر ومات في اواخر القرن السادس . ثالثهم يوليان الرومي خليفة اثناسيوس البلاديّ اليعقوبيّ وتوفّي سنة ٧٠٨ . امَّا في صورتهِ فنقول : كان من عادة رؤساء الرهبان قديمًا ان يحملوا صليبًا وعصًا كما يظهر ذلك من صورة انطونيوس ابي الرهبان وشليطا الناسك وغيرهما . وعلى فرض ان صورتهُ هي

---

١) بيجان المجلّد الاوّل من اخبار الشهداء والقدّيسين (ص ٢٧٠)

٢) راجع المشرق (٥ : ٧)

٣) المعانيث او الاغانيّ منسوبة لساويروس اوّل بطريرك اليعاقبة . وقد ضبطها يعقوب الرهاوي الشهير ونقلها الى السريانيّة فولا مطران الرها . وزاد عليها يوحنا برشوشان ويوحنا بر افتونيا رئيس دير قنسرين ويوحنا الذي خلفه . وقد ورد فيها معنيثان احدهما باسم يوليان اليعقوبي يثبت انهُ كان عضدًا لبطرس القصّار وبليغًا . والآخر باسم يوليان الشيخ يوضح فيهِ فضائلهُ وزيارتهُ لجبل سينا

صورة بطريرك · فذلك لا يثبت شيئاً بل انما هو غلط من الذي اوصى بتصويرها

٣ : لم يكن قدّيسنا يوليان اليعقوبيّ الذي تلمذ الحبشة واقام ثَمّ نحو سنتين وذلك في اواخر القرن الخامس

٤ : ولم يكن يوليان الاسقف اليعقوبيّ الذي صحبهُ يعقوب البرادعي مع المطران سركيس الى القسطنطينيّة والاسكندريّة لبثّ بدعتهِ كما ذكر ابن العبري · على ان ذلك كان في اوائل القرن السادس

٥ : وكذلك ليس هو يوليان الحمصي الطبيب الشهيد الذي اشتهر في اواخر القرن الثالث في عهد نمريان سالف ديوقلتيان ملك الروم · وذكرهُ واردٌ في ٦ شباط

٦ : اما زمن وفاة قدّيسنا فكان على ما افادنا تاريخ الرها الشهير سنة ٣٦٧ وجعلهُ موروني سنة ٣٧٠ وعلى كلّ حال فمن سيرتهِ يتّضح انهُ كان في اواسط القرن الرابع

٧ : اما عيدهُ فقد ورد في ٩ ايلول كما يظهر من نسخة كُتبت في حماة سنة ١٦٣٨ ونسخة أُخرى كتبت في دير الزعفران في اوائل القرن السابع عشر ونسخة ثالثة كتبها البطريرك ميخائيل جروه المثلّث الرحمات · (بيد انهُ في نسخة كتبت سنة ١٥٧٩ في دير الزعفران محفوظة في خزانة مدرسة الشرفة يرد اسمهُ مع مار اوجين في ٢٣ كانون الثاني · ويتّضح ان ذلك وكيد · على انهُ ما بين المعانيث التي اوردناها سابقاً يرد ذكرهُ بعد مار انطونيوس وقبل دخول الربّ الى الهيكل)

٨ : امّا احتفال عيدهِ في ٥ كانون الاوّل فوهمٌ لانّ ذلك اليوم مخصَّص لسابا رئيس الدير الناسك (١ الذي اشتهر في اورشليم ومات سنة ٥٣١ فظنّوه قدّيسنا يوليان سابا اي الشيخ

*

٩ : بقي ان نذكر يوليان الشيخ الذي صنّف فيهِ مار افرام الملفان السرياني اربعاً وعشرين مدراشاً (٢ وذكر عنهُ انهُ اشتهر بالزهد في الرها وانضمّ اليهِ كثيرون ·

---

١) المشرق (٥ : ٧)

٢) طبعها العلّامة لامي سنة ١٨٨٩

وكان يداوي كلّ سقم روحيٍ وجسديّ ومات في الرها وقُبر فيها . يتقاطر الناس الى قبرهِ من كلّ الاصقاع . وملأ بادية الرها من اديرتهِ

ثم يستتلي مار افرام في المدراش السادس قائلًا : يا قومنا اشكروا يوليان لانهُ ادّبنا بالحبّ . الارض تجمّلت بهِ . والبادية ازدهرت باديرتهِ . وحسبنا انهُ عندنا في الحياة والممات . وفي المدراش الثامن يوضح على انهُ كان كاهنًا اذ يقول (ܟܗܢܐ ܡܫܠ ܗܘܐ ܗܘ ܕܠܐܠܗܗ . ܘܚܝܠ ܘܗܘܐ ܩܪܒ ܥܠܝܗ ܩܘܪܒܢܘܗܝ) .

ويؤيد ذلك في المدراش ٢٠ بقولهِ : « ان يوليان اقام مذبحًا في جبل سينا وقسم عليهِ الجسد الحيّ وانحدر الروح القدس على خبز الحياة الذي قسمهُ »

ويقول فيهِ : انهُ لم يأكل الخبز مدَّة ثلاثة اسابيع وكان يسير حافيًا في ارض بلدتنا . ويمشي في البرّية ثلاثين ميلًا . وفي المدراش ١٢ يقول : في يوم دفنهِ رفعوهُ على راحات ايديهم وفي المدراش ١٧ يوصفهُ بكونهِ رفيقهُ . وفي المدراش ١٩ يبيّن انهُ اسّس كنيسة في جبل سينا وكرّسها وقرّب عليها ذبيحة . وفي المدراش ٢٣ يصفهُ بانهُ هو قلّد الرهاويين سلاح الصلاح وعلّمهم العوائد الحميدة . وفي المدراش ٢٤ يقول : « رأيتك مبدّدًا . رأيتك مجموعًا . وانت واخوتك تشبهون ربّنا . ان بارًا واحدًا غنى واضحى كثيرين »

وقد اكّد فلوكسين اسقف منبج ان هذه المداريش هي لمار افرام . واثبت ذلك السمعاني (١ وقال موروني (٢ ان يوليان هذا بيع عبدًا ثم تحرّر وانتقل الى ما بين النهرين وتعرّف بمار افرام الذي كتب سيرة حياتهِ . وهو الذي اشار على ابينا مار افرام (٣ ان يصعد الى جبل اورفا زاهدًا ويتبعهُ في السيرة النسكيّة ومنهُ اقتبل الاسكيم الرهبانيّ . وقد اكّد ذلك السمعاني في المجلّد الاوّل في قصّة ابينا مار افرام . وقد ورد في تاريخ الرها (٤ انهُ توفي سنة ٦٧٨ يونانيّة وهي ٣٦٧ مسيحيّة

---

١) في المكتبة الشرقية (١ : وجه ٥٤ عدد ٤١)

٢) في قاموسه (مجلّد ٣١)

٣) المجلّد الثالث من سيرة القدّيسين والشهداء (وجه ٦٢٣) – والسمعاني (١ المجلّد الاوّل (عد ٩ وجه ٣٣)

٤) السمعاني (مجلّد ١ وجه ٣٩٧ عدد ٢٨)

فمماَّ اوردناه الى الآن من الشهادات الواردة في كتب العلماء والمؤرخين نقول : ان يوليان الذي كتبنا سيرة حياتهِ لا يبعد ان يكون يوليان هذا الرهاويّ بعينهِ . وذلك لورود اسم كليهما في كتب المؤرخين في زمان واحد . وهنا ننبه القارئ ان يوليان ولو كان مولدهُ في ارزن فليس من المستحيل انهُ اسس ديرهُ في الرها القريبة من نهر الفرات كما جاء في سيرتهِ . على ان تلك المدينة كان يقصدها زهاد كثيرون من اقصى البلاد . ويؤيد مقالنا بان ديرهُ اشتهر في الرها من ذهاب اقاق وفلابيانس وديودورس اليـهِ لقرب المسافة من حلب الى اورفا . امَّا انشاء ديرهِ في القريتين فنقول : ليس بعيدًا انهُ اوصى تلامذتهُ بذلك . وعندنا ان تلامذتهُ عندما ثار عليهم الاضطهاد في الرها في زمـان هرقل وما بعدهُ او في زمن استيلاء اليونان على اورفا . حملوا جثتهُ واتوا بها الى بادية تدمر . كما ذُكر في القصة التي كتبت في حمص . ولم يكتب عن ذلك مار افرام لانهُ عليهِ السلام مات بعدهُ بستّ سنين لا غير

الهياطلة

بقلم الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرمليّ البغداديّ

اذا سألنا بعض الاجانب : من هم الهيـاطلة والهياطل ؟ وجدناهم متردّدين في امرهم لا يدرون من هم . والدليـل على ذلك انهم نقلوا وينقلون كتب العرب الى لغتهم فاذا جـاء اسم الهياطلة ذكروهُ بلفظهِ العربي بحروف فرنجيَّة ولم يفيدونا شيئًا عن هؤلاء الاقوام . واما اذا سألنا العرب فيقول لنا لُغَويُّوهم :

« الهَيطل جنس من الطرق (١ (وهو الراي الصحيح) او الهند (وهو خطأ عندنا الَّا ان يقـال ان بعض الهياطلة لما سكنوا الهند أُطلق عليهم اسم الهنود وهو تسامحٌ تُجيزهُ اللغة غير ان تاريخ الامم لا تجيزهُ ولا يمكنها ان تجيزهُ) قالهُ الازهري : وفي

١) المراد بالطرق عند العرب الاقدمين هو ما يقابلهُ عند الافرنج لفظة (Scythes) وهي التي عرَّبها المحدّثون بصُوَر مختلفة فقالوا السَكيثة او الإسكيثة والسَقيطة او الإسقيطة والسكوثيون او الاسكوثيّون وهلمَّ جرًّا . اما كون الطرق هم السَكوثيّون او السَكيثة فبراهيننا كثيرة بهذا الصدَد . نذكرها اذا دعتنا الحاجة اليها

الاساس : من الطرق والسِند. وقال غيرهُ : جيل من الناس كانت لهم شوكة وكانت لهم بلاد طَخارِستان (١ واطراق خِلج (٢ والخِنجيةُ (٣ من بقاياهم. قلتُ : ومنهم كانت ملوك دهلي سابقاً. منهم : السلطان جلال الدين فيروز شـاه الخلجيّ. ولي السلطنة بعـد السلطان معزّ الدين بن ناصر الدين بن غياث الدين بلبن. وكان حليماً عادلًا ولهُ مآثر حسنة (والهَيطَلُ) كالهياطل والهياطلة قال الشاعر :

حَمَلتُهُمْ فيها مَعَ الهُيَاطِلَهْ أثقِلْ بِجِمْ مِنْ تِسعَةٍ في قَافِلَهْ » (اه عن التاج بحرفهِ)

ويمثل هذا القول أو بما يكاد يشبهُهُ نطق صاحب اللسان فراجعهُ ان شئتَ

واما اذا سألنا المؤرخين فان البلاذريّ يجيبنا ما هذا حرفهُ : الهياطلة أطراق. ويقال: بل هم قوم من اهل فارس كانوا يلوطون فنفاهم فيروز الى هراة فصاروا مع الاطراق(٤ فكانوا معاونين لاهل قُوهِستان فهزمهم (الاحنف بن قيس) وفتح قوهستان عنـوةً (سنة ٣٠هـ–٦٥٠م) ويقال: بل الجأهم الى حصنهم. ثم قدم عليهِ ابن عامر فطلبوا الصلح فصالحهم على ستّمائة الف درهم. (اه عن البلاذري ص ٤٠٣)

واما ياقوت فقد ذكر في مادة « أشرُوسَنة » انها : « بلدة كبيرة بما وراء النهرين بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند ». وذكر في «باذ غيس» ... «قيل انها كانت دار مملكة للهياطلة (٥ » . وفي حدود تُبَّت ذكر من جهـة الشرق بلاد الهياطلة. وذكر في مادة خراسان (٢ : ٤٠٩) سبب تسمية الهياطلة فقال : « قال دَغفلُ النسّابة : خرج خُرَاسان وهيطلُ ابنـا عالم (٦ بن سام (ولعالم اسم آخر عند العرب وهو عَيلَم او غَيلَم وهو

١) ويجوز ان يقال : طَخَيْرِستان كما في اللسان

٢) وفي اللسان : اطراق خزلخ

٣) وفي اللسان : « وخنجينة » وهو تصحيف

٤) هذا راي لا حظَّ لهُ من الصحة لان وجود الهياطلة في هَرَاة قبل فيروز الملك بزمان طويل

٥) لم تكن باذغيس دار مملكتهم ابدًا بل التي كانت كذلك هي وَرغجَن كما سيأتي الكلام عنهـا

٦) هذان الابنان لنسّابي العرب وقولهم ضربٌ من الخرافات لانهما ليسا ابدًا من اولاد عيلام فان الكتاب العزيز لا يعرفهما وكذلك يجهلهما اصحاب التواريخ

عَيلام) بن نوح عليهِ السلام لمَّا تبلبلت الالسن ببابل فنزل كل واحــدٍ منهم في البلد المنسوب اليهِ يُريدُ أنَّ هيطل نزل في البلد المعروف بالهياطلة وهو ما وراء جيحون ونزل خراسان في هذه البلاد التي ذكرناها دون النهر فسُمّيت كل بقعة بالذي نزلها »

وقال عن بلادهم في نفس تلك المادَّة ((٢ : ٤١٠) فامَّا ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية براسها » . اه . وقد زاد كلامهُ جلاء في مادة ما وراء النهر (٤ : ٤٠٠) قال : ما وراء النهر يراد بهِ ما وراء نهر جيحون بخراسان فما كان في شرقيّهِ يقال لـهُ : بلاد الهياطلة . وفي الاسلام سموهُ ما وراء النهر (وفي الافرنجيَّة Transoxiane) وما كان في غربيّهِ فهو خُراسان وولاية خورازم »

فيتحصَّل من هذه الافادات الجليلة الجمَّة المختلفة ان الهياطلة هم المعروفون عند الافرنج بالهونة الهفطلة (les Huns ephtalites) او (Abdela) وسمَّاهم اليونان بما معناهُ : الهُونة البيض (les Huns blancs)

وعندي ان الهياطلة هي في الاصل هيطلة بياء بعد الهاء واصل اليــاء باء موحدة تحتيَّة مأخوذة من هَبطَلَة او هنطلة (والهاء والبــاء تتعاوران في الالفاظ العربيَّة كما في الاعلام الاعجميَّة كما في اصبهان واصفهان) اي (Ephtalites) . او من « أبدَلة » (Abdela) بتفخيم الحرُوف فصارت هَبطَلَة ثم نقلها العرب الى هيطلة باليــاء لعدم وجود مادة هبطل بالباء بخلاف الهيطل بالياء فانها معروفة

وممَّا يزيدنا اثباتاً في كون الهياطلة هم نفس ما يسمّيهِ الافرنج بالهونة الهَفطَلة او الهبطلة (les Huns ephtalites) اتفاق ما ذكرهُ الافرنج عن هؤلاء الاقوام مع ما ذكرهُ العرب قال بويّه (Bouillet) في معجمهِ التاريخي في مادة « Huns » الطبعــة الأُولى ما هذا معْناهُ : الهُونة الهبطلة (بالباء الموحدة) : جيل من الناس ديارهُ في شرقي بحر الخزر على شواطئ نهر جيحون (اي ما وراء النهر) في جنوبيّ تركستان الحاليَّة . وكانت دارُ مملكتهم وَرَغْجَن (١ . ويُظنُّ انهم جاؤوا تلك الديار في عهــد هجرَة

---

١) وَرَغْجَن . بواو مفتوحة بعدها راء مهملة مفتوحة يليها غين معجمة ساكنة بعدها جيم مفتوحة وفي الآخر نون هي الرواية الصحيحة ويقابلها بالافرنجيَّة (Varakhchan) . قال ياقوت « وَرْغَجَن بالفتح ثم السكون وعين مهملة وجيم ثم نون من قرى نسف . عن ابي سعد . ووجدت في موضع آخر : وَزَغجَن بالزاء والغين معجمة من قرى ما وراء النهر ولا أدري أهي هيَ واحدها

الهونة في المائة الرابعة بعد المسيح . وكانوا غالبًا محاربين للدولة الساسانية وهم الذين نصبوا على العرش فيروز الاوّل (اي فيروز بن يزدجرد بن بهرام) ثم أعادوا على سرير الملك قُباذ (بن فيروز بن يزدجرد) الذي كان قد زُحزِحَ عنهُ . ثم آل بهم الامر الى الامتزاج بالطرق

هذه زبدة ما قالهُ الافرنج عن هؤلاء الاقوام وهو يتَّفق كل الاتفاق مع ما نطق بهِ العرب كما تقدَّم شرحهُ وكما اليك تتمَّة بعضٍ من اقوالهم . قال ابن الاثير في كلامهِ عن يزدجرد (١ : ١٤٢) : « وكان لهُ ابنان يُقال لاحدهما هرمز وللآخر فيروز وكان لهرمز سجستان فغلب على المُلك بعد هلاك ابيـهِ يزدجرد فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة واستنجد ملكهم فامدَّهُ بعد ان دفع اليهِ الطالقان فاقبل بهم فقتل اخاهُ بالريّ وكانا من امٍّ واحدة . وقيل لم يقتلهُ وانما اسرهُ واخذ المُلك منهُ » اه

وقال عن قباذ : « وهرب قباذ (من السجن) فلحق بملك الهياطلة يستجيشهُ فلمَّا صار بايران شهر وهي نيسابور نزل برجل من اهلهـا . . . فغلب اخاهُ جاماسب على المُلك » . اه

فانظر حرسك الله كيف ان الكلامين في المعنى واحد والراوين لـهُ مختلفو اللغة والنسب والوطن . فلا غرو ان الهونة الهَبطلة هم نفس الهيطل او الهيطلة او الهياطل او الهياطِلة . فاحفظهُ لانَّ فيهِ فائدة عظيمة لمعرفة امور التاريخ وحوادثهِ

العهد القديم والاكتشافات الاشوريَّة

في بابل والعجم

للاديب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعيَّة الكتابيَّة الاثريَّة

تتبَّعنا في كتاباتنا السابقة عدَّة آيات وردت في الاسفار المقدَّسة وعارضنا مؤدَّاها بما اكتشفهُ ارباب البحث في الحفريَّات الحديثة . فكانت نتيجة هذه المقابلة توافق الآثار القديمة والكتاب الكريم وبيان صحة الكتب المنزلة التي سُطِّرت فيهـا هذه

تصحيف او غيرها » . قلنا : ان القرية التي هي من قرى نسف ضبطها صاحب التاج كسَفَرجل . قال في مستدرك مادة ورن : وَرَغْجَن كسَفَرجل . قرية بنسف عن ابن السمعاني » . اه

الآيات وحقيقة الزمن الذي نُسبت اليهِ . وها نحن نكتب فصلًا آخر في بعض المسائل التاريخيّة التي انجلت بفضل هذه الاكتشافات نفسها (١

١ نبوكدنصَّر وفتحهُ لصور ومصر

﴿ فتح صور ﴾ تجد في الفصل السادس والعشرين من سفر حزقيال نبوءة عجيبة ذات تفاصيل مدقّقة قالها النبيّ في صور وسبق فوصف ما سيحلُّ بها من النكبات كالحصار والفتح والنهب والدمار بكلام شعريّ يأخذ بمجامع القلوب وذلك على يد نبدكدنصَّر ملك بابل . وهي نبوّة صريحة تجدها اشبه بالتاريخ منها بالنبوّة

على انَّ قوماً من المحدثين ومن جملتهم بعض المشاهير كپارو وشيپيه ومسپيرو قد انكروا اتمام هذه النبوءة وزعموا انَّ نبوكدنصَّر لم يَقوَ على مدينة صور . وقد ذهب المسيو مسپيرو في تاريخ الامم الشرقيّة (الطبعة ٦ ص ٦٣٧ في الحاشية) الى ان المؤرخ يوسيفوس اليهوديّ اشار الى احباط مسعى نبوكدنصَّر بازاء صور في كتابهِ على ابيون (Contra Apion. I, 22) لكنَّ نصَّ يوسيفوس ليس بصريح ومن تبيَّنهُ تحقَّق انَّهُ لم ينكر انتصار نبوكدنصَّر . لا بل في سياق كلامهِ ما يثبتهُ اذ نجد ذكر ملكين وهما مربال واخوهُ حيرام يُستَدعيان من بابل لتدبير الامر في صور وفي ذلك دليل على ان ملوك بابل كانوا أخضعوا اصحاب صور . ومن العلماء من يسلّم اليوم بفتح نبوكدنصَّر لصور منهم كواانان (Kuenen) مستندًا الى بعض ابحاث موفرس (Movers)

وقد جاءت الاكتشافات الاشوريّة مزيلةً للشكّ فانَّ بين ألواح اللبن المكتوبة التي وجدت في بابل لوحين فيهما صكّ مبايعة في صور وتاريخهما من اواخر سني ملك نبوكدنصَّر . فاللوح الاوَّل كُتب في «صورو» السنة ٣٥ لنبوكدنصَّر وفيهِ حجّة مبايعة سمسم بين رجلين احدهما عامل للملك في «صورو» . امَّا اللبنة الثانية فتاريخها السنة ٤٠ من ملك نبوكدنصَّر تحتوي سندًا على مبيع مواشي لرجل يدعى «ملك ادري» كان واليًا على قدَس (قدريس) كُتبت في «صورو» في ٢٢ تموُّز . فمن هذين الصكَّين يثبت انَّ صور وضواحيها كانت تحت حكم نبوكدنصَّر ملك بابل

(١) وهذا احسن تفنيد لمزاعم بعض الكتبة الذين ينقلون في بلادنا دون تروٍّ وفكر ما يجدونهُ من الاقاويل الواهنة للملحدين المحدثين في قدم الاسفار المقدَّسة نخصُّ منهم كتبة المقتطف الذين نسبوا في مددهم الاخير للعلم ما هو براء منهُ (المشرق)

عليها فصار البلدان تحت حكم ملك واحد . وكان ملوك عيلام وملوك ما بين النهرين في مودّة وتحابّ لما بين الشعبين من وحدة الجنس فيتكاتبون ويتهادون . وكان اذا حدث بينهما حرب فتغلب ملوك اشور على بلاد عيلام لم تكن وطأة الغالب ثقيلة على المغلوب لاتفاقهما في اصل النسب .

لكنّ سكّان بلاد عيلام (واسمها مشتق من اصل ساميّ) كانوا يتألّفون من أمّتين الأنزانيين والشوشنيّين . فالشوشنيّون كانوا من اصل ساميّ وكانت حاضرتهم شوشن ساميّة كما يدلُّ على ذلك اسمها ومعناهُ الزنبق وكان موقعها في بلاد يغلب عليها العنصر السامي . وكان اسم احد ملوكها الاوّلين ساميًا يُدعى يدادو (ايلو) شوشيناك اي المحبوب من الإله شوشيناك يشبهُ اسم يديدياه الوارد في سفر الملوك الثاني

امّا الانزانيّون فلا نعلم الى اي جنس ينتمون . والمظنون انهم كانوا غرباء فتحوا تلك البلاد فاستوطنوها ثمّ غلبهم العيلاميون الساميّون وصار امر تلك البلاد بين الشعبين فيتناوبان الملك تارة لهؤلاء وتارةً لاولئك . هذا سواء قيل انّهُ قبل ورود الأمّتين وُجد وطنيّون غيرهما او لم يوجد

وما لا يُنكر انّ الكتابات التي نشرها الاب شيل هي انزانيّة وانّ اصحابها لم يكونوا ساميّين كما يظهر من اسمائهم الشبيهة بالاسماء العيلاميّة التي تُقرأ في الآثار الاشوريّة

وخلاصة القول ان سفر التكوين صادقٌ في قولهِ انّ العيلاميين من بني سام . وكذلك الآثار الاشوريّة لمّا روت اسماء عيلاميّة والقابًا مخالفة للاسماء الساميّة ولألقابها لم تكذّب بذلك قول الكتاب المقدّس وغاية ما ينتج من روايتها انّ في بلاد عيلام كان يوجد شعب آخر مختلط بالعنصر العيلاميّ الساميّ وهذا الشعب هو شعب الانزانيين الذين لم يكونوا ساميين

وهنا افادة أخرى استفدناها من الاكتشافات الحديثة في شوشن لاثبات صحّة رواية سفر التكوين . وذلك انهُ ورد فيهِ عن نمرود منشئ مدينتي بابل ونينوى انهُ كان من بني كوش حفيد حام بن نوح . وقد ذكر السفر عنهُ انّ في جوار بحر العجم كان يضًا غيرهُ من بني حام . فهذا الامر قد انكرهُ البعض ونفوا صدق رواية الكتاب

موقعهـا في دفَّة التي يدعوها الكتاب المقدَّس تحفنحة وكان ارميا النبيّ (٤٣ : ٧) اكَّد بان نبوكدنصَّر يدخل تلك المدينة (١

٢ الانساب العيلاميَّة

قد علم القرَّاء عظم شـأن الحفريَّات العجيبة التي اجراها المسيو دي مرغان في شوشن وما للاب شيل الراهب الدومنيكيّ من المنَّة والفضل في نشر وشرح العدد العديد من الكتابات المسماريَّة التي استُخرجت من اعماق الارض. ولعلَّ العلماء تغاضوا نوعًا في تعريف علاقـة هذه الآثار مع مرويَّات الكتاب المقدَّس لا سيَّما اثباتًا لاحد الامـور التي وردت في سفر التكوين فشكَّ في صحتها كثيرون حتَّى المستقيمو الامانة نريد اصل العيلاميين وانسابهم

جاء في سفر الخليقة (١٠ : ٢٢) انَّ ابا العيلاميين احد ابناء سام فيكون العيلاميُّون اذن ساميّين. وكان ورد قبل ذلك في نبوَّة نوح لابنهِ (٩ : ٢٦—٢٧) انَّ يافث يسكن في اخبية سام وانَّ نسل حام يكون عبدًا لسام او عبدًا ليافث او عبدًا لكليهما معًا. فبحث العلماء عن صحة هذا القـول فذهب بعضهم كالعلَّامة ساس (Sayce) انَّ الآثار الاشوريَّة والبابليَّة تخالف هذه الآية في نصوصها عن غزوات ملوك بابل واشور لبـلاد عيلام وشوشن واستندوا في تأييد زعمهم الى اسماء قوَّاد العيلاميين وامرائهم التي ليست باسماء ساميَّة فشـاع هذا القول بين العلماء حتى انَّك لو تصفَّحت احد الكتب التي نُشرت منذ زمن قريب في انكلترَّة لوجدتها في الغالب تكرّر اقوالًا كهذه: «انَّ صاحب سفر التكوين (ف ١٠) لم يحسن معرفة الانساب ولذلك جعل العيلاميين في جملة الساميين كالاشوريين والآراميين والصواب انهم طورانيُّون». او كهذه: «انَّ العيلاميين من اصل الاكَّاديين والسومريين والكوسيين وكلهم طوارنيُّون» يريدون بالطورانيين بني يافث وها انَّ الاكتشافات الحديثة التي جرت في شوشن ونشرها الاب شيل قد برزت من خباياها لتحكم لصحَّة سفر التكوين. فنقول:

انَّ الآثار الكتابيَّة المكتشفة ترتقي الى ابعد عهد من تاريخ بلاد عيلام والى زمن لم يُشيَّد فيـهِ بعد شيء من الابنية فنرى انَّ عيلام وتُدعى في الكتابات «نينيكي» كانت ممتازةً عن بلاد شوشن المدعوَّة براسيمكي الَّا انَّ العيلاميين كانوا قد استولوا

(١ اطلب «Egypt Exploration Fund, *Tanis*, II, 51»

عليها فصار البلدان تحت حكم ملك واحد. وكان ملوك عيلام وملوك ما بين النهرين في مودَّة وتحابٍّ لما بين الشعبين من وحدة الجنس فيتكاتبون ويتهادون . وكان اذا حدث بينهما حرب فتغلب ملوك اشور على بلاد عيلام لم تكن وطأة الغالب ثقيلة على المغلوب لاتفاقهما في اصل النسب

لكنَّ سكَّان بلاد عيلام (واسمها مشتق من اصل سامي) كانوا يتألَّفون من أُمتين الأنزانيين والشوشنيّين. فالشوشنيُّون كانوا من اصل ساميّ وكانت حاضرتهم شوشن ساميَّة كما يدلُّ على ذلك اسمها ومعناهُ الزنبق وكان موقعها في بلاد يغلب عليها العنصر السامي. وكان اسم احد ملوكها الاوّلين ساميًّا يُدعى يدادو (ايلو) شوشيناك اي المحبوب من الإله شوشيناك يشبهُ اسم يديدياه الوارد في سفر الملوك الثاني

امَّا الانزانيُّون فلا نعلم الى اي جنس ينتمون . والمظنون انهم كانوا غرباء فتحوا تلك البلاد فاستوطنوها ثمَّ غلبهم العيلاميون الساميُّون وصار امر تلك البلاد بين الشعبين فيتناوبان الملك تارة لهؤلاء وتارةً لاولئك . هذا سواء قيل انَّهُ قبل ورود الأُمتين وُجد وطنيُّون غيرهما او لم يوجد

وما لا يُنكر انَّ الكتابات التي نشرها الاب شيل هي انزانيَّة وانَّ اصحابها لم يكونوا ساميّين كما يظهر من اسمائهم الشبيهة بالاسماء العيلاميَّة التي تُقرأ في الآثار الاشوريَّة

وخلاصة القول ان سفر التكوين صادقٌ في قولهِ انَّ العيلاميين من بني سام . وكذلك الآثار الاشوريَّة لمَّا روت اسماء عيلاميَّة والقابًا مخالفة للاسماء الساميَّة ولألقابها لم تكذّب بذلك قول الكتاب المقدّس وغاية ما ينتج من روايتها انَّ في بلاد عيلام كان يوجد شعب آخر مختلط بالعنصر العيلاميّ الساميّ وهذا الشعب هو شعب الانزانيين الذين لم يكونوا ساميين

وهنا افادة أُخرى استفدناها من الاكتشافات الحديثة في شوشن لاثبات صحة رواية سفر التكوين. وذلك انهُ ورد فيهِ عن نمرود منشئ مدينتي بابل ونينوى انهُ كان من بني كوش حفيد حام بن نوح . وقد ذكر السفر عينهُ انَّ في جوار بحر العجم كان يضًا غيرهُ من بني حام . فهذا الامر قد انكرهُ البعض ونفوا صدق رواية الكتاب

المقدَّس مع انَّ تقليد اهل تلك البلاد يثبتـــهُ فيروون انَّ عنصرًا حبشيًا حاميًا سكن في سالف الزمان اقطارهم مع عنصر آخر اسود ساميّ

واليوم قد ظهر الحقّ وزهق الباطل فانَّ الرحَّالة الفرنسويّ ديولافوا (Dieulafoy) اكتشف اوَّلًا في بلاط قديم جنوبيّ العَجم وفي شوشن نقوشًا تمثّل صور رجالٍ لا شبهة في هيئتهم واصلهم الحبشيّ

ثمَّ وجد آخرًا المسيو دي مورغان قطعةً من الرخام المحفور تمثّل صورة نصفيَّة لرجل على رأسهِ عقال وفي يدهِ اسلحة وصورتهُ كصورة الحبشة تمامًا لأنَّ انفهُ افطس مستدير وشفاههُ ضخمة ولحيتهُ جعدة وهو متَّسع العينين (١

وكذلك نشر الاب شيل منذ زمن قريب كتابات خطّت في لغـــة مجهولة وبقلم غير القلم الاشوري وجدوها في شوشن يرتأون حدسًا انَّها مكتوبة بلغة مقاربة للحبشيَّة القديمة اي اللغة المصريَّة الحاميَّة المحضة قبل ان تضمّ اليها عددًا معدودًا من الالفاظ الساميَّة الدخيلة

ومهما كان من اصل هذه اللغات لا غرو في انَّ نبوَّة نوح في استعباد بني سام لبني حام قد تمَّت بحرفهـــا فانَّ الآثار تشهد بان البابليين وعيلاميي شوشن الساميين كانوا اذلّوا قبائل من السودان الحاميين . وكذلك بنو يافت فانَّهم استعبدوا بني حام ان لم يكن قبل البابليين فعلى الاقلّ في ايَّام ملوك الفرس والماديين واليونان وكلهم من نسل يافت حتَّى ان اولئك الحاميين على طول الزمان ولوطأة العبوديَّة بادوا واضمحلّوا

وان كان نمرود وغزاتهُ من اصل كوشي كما قرَّر الكتاب الكريم فانَّ ملكهم لم يدم زمنًا طويلًا بل قهرهم الساميُّون في جهات العراق وبابل

٣ الفضَّة والذهب في العهد القديم

قال في سفر التكوين (١٣ : ٢) في النص العبراني انَّ ابراهيم كان غنيًا « بالفضَّة والذهب » . وكذلك يُقرأ في سفر الملوك الثالث (٢٠ : ٣) على عهـــد آحاب انَّ بَنهَدَد اراد ان يسلب من عدوهِ « فضتهُ وذهبهُ » . فبتقديم الكتاب في هاتين الآيتين الفضَّة على الذهب قد اشعر بانَّ الفضَّة كانت اثمن من الذهب

(١) اطلب دليـــل العاديات الشرقيَّة (Babelon: *Manual of Orient. Antiquities*, fig. 247, p. 223.

والحقّ يُقال انّ في ذلك دليلًا على قدم سفر التكوين وسفر الملوك لأنّ كليهما قد وافقا الواقع كما سترى . فانّ في أيّام السلالات الفرعونيّة الاولى كانت الفضة مقدّمةً على الذهب واذا عدّوا المعادن الثمينة جعلوا السبق للفضّة على ما سواها . وبقي ذلك الى عهد تحوتمس الثالث فانّ في الكتابة التي خلّفها قد قدّم ذكر الذهب على الفضة (١ وعلّة ذلك انّ الفضة في مصر بعد انتصار الفراعنة على الحثّيين اخذت تزداد بما كان يؤدّيهِ من الجزيّة امراء آسية الصغرى وكان هناك معادن فضة شهيرة . وقد سبق في المشرق (٩ : ١١٢٨) انّ المعاهدة بين رعمسيس الثاني والحثيين دُوِّنت على صفيحة من فضّة

وممّا يدلّ على انّ المصريين لم يعرفوا الفضّة الّا بعد الذهب انهم كانوا يدعون الفضّة باسم « الذهب الابيض » . وكذلك في سواحل الشام . فانهُ قد ورد في الكتابة المدفنيّة التي على قبر ملك صيدون تبنيت ابي اشمونعزر الثاني ما تعريبهُ : لا يقلقني احدٌ (بفتح قبري) اذ ليس فيهِ ما يُسلَب لا فضّة ولا ذهب » . فتقديمُ الفضة على الذهب دليلٌ على قلّتها في صيدون كما في مصر . ولو تتبّعنا الآثار الاشوريّة امكنّا ان نعرف متى كثرت الفضّة في آسية الغربيّة حتّى زادت على الذهب

ففي احدى كتابات الملك سلمناصر المرقومة على حجر صمّاء جاء بالترتيب ذكر المعادن التي تؤدّيها لهُ البلاد التي فتحها وهي « الفضة والذهب والرصاص وآنية النحاس » . وفي هذه الكتابة عينها ذكر ملك اسرائيل آحاب والملك حدد عزر . اعني انّها كتبت في زمن سفر الملوك الثالث الذي اوردنا سابقًا آيتهُ وفيها تُقدَّم الفضّة على الذهب على انّ لسلمناصر كتابةً أخرى كتبها نحو سنة ٨٥٤ قبل المسيح ذكر فيها غزوة لجهات حلب وما سباهُ من « الذهب والفضّة » فقدّم الذهب مشيرًا الى انّهُ صار اثمن من الفضّة والسبب فتحهُ للبلاد التي كانت فيها المعادن الفضيّة . ولدينا شاهد آخر على ذلك وهو انّ اهل توبال في قبادوقية كانوا يؤدّون بسنة ٧٣٢ ق . م ألف وزنة فضّة لملوك آشور . فكفى بذلك دليلًا على شيوع الفضّة [illegible]وط قيمتها

٤ ذكر بعض المعبودات الاشوريّة في سفر عاموس

ورد في سفر عاموس (ف ٥ ع ٢٦) ما نصّهُ : « ונשאתם את סכות מלככם ואת

---

١) اطلب « Lepsius : *Denkmäler*, III, 30 b., *10* »

כיון צלמיכם כוכב אלהיכם אשר עשיתם לכם » يقرّع النبيّ بني اسرائيـــل لا كرامهم اصنام الامم قائلًا: « وحملتم سكوت ملوخكم وكيوان صنمكم كوكب الهكم الذي صنعتموهُ لكم ». ففي هذه الآية اشارة ظاهرة الى صوَر اصنام كانوا يحملونها بحفلة اكراماً لبعض نجوم السماء.

امّا كيوان فهو في الاشوريّة كما في العربيّة اسم السيّارة زحل كانوا يعبدونها (١. ولمّا جعل النبي اسم الكوكب مفردًا فدلّ بذلك انهُ كانت علاقة للالهين سكوت وكيوان بهذا الكوكب وفي الكتابات الاشوريّة ما يُظهر هذه العلاقـــة بين الالهين المذكورين. فان كليهما يُدعى باسم نينيب. وفي مكاتبات تلّ العمارنة ما يوضح انّ عبادة الاله نينيب كانت شائعة في اورشليم قبل دخول العبرانيين الى ارض الميعاد فمن المحتمل انّ بني اسرائيل بعد ذلك اكرموا هذا الاله على هيئتهِ باسم سكوت وباسم كيوان فجمع النبيّ بينهما في هذه الآية

امّا كون سكُوت وكيوان عُرفا باسم نينيب فذلك يتّضح من الآثار المكتشفة فان نينيب قد ورد مرارًا بدلًا من كيوان حتى ان جنسن في كتابهِ علم الهيئة (Jensen: *Kosmologie*) يجعلهما واحدًا. وكذلك سكُوت عُرف باسم نينيب كما عُرف باسم « أنو » لِاحد آلهة الاشوريين الشهيرة كان الاشوريّون في سفرائيم يقدّمون لهُ اولادهم محرقة فيرمونهم في النار كما ورد في سفر الملوك الرابع (١٧ : ٣١) وكانوا يدعونهُ « انو ملك » [illegible] عاموس اراد الاشارة اليـــهِ فسمّاهُ « سكُوت ملوخكم » اي ملككم الذي تحرقون لهُ اولادكم كما يفعل عَبَدة ملوخ

فترى مما سبق ما كان من العلاقة بين سكُوت وكيوان اللذين جمعهما عاموس النبيّ في آيتـــهِ . وكانا ايضاً مجموعين في عبادة الاشوريين لكنّنا نجهل سبب الاتحاد بينهما ووجه الاتحاد [illegible] كان مقرّرًا فان العلّامة تسيمرن (Zimmern: *Beiträge z. Kenntnis d. bab. Religion*, 1896, p. 10) قد نشر نصًّا اشوريًّا ورد فيهِ اسم الالهين سكُوت وكيوان معاً. وذلك في رقية من الادعية السحريّة المسمّاة « شُربو ».

١) وقد جاء اسم كيوان في النسخة السبعينية على هـــذه الصور Ραιφάν و Ρεμφάν و Ρηφάν لكنّ هذا تصحيف فانّ الناقـــل قرأ الكاف العبرانية راء وبين كليهما شبه اذا قُطع ذنب الكاف

وكان باستطاعتنا ان نورد هنا غير شواهد في عبادة كيوان وسكُّوت عند البابليين وكفانا هنا القول بان اسم سكُّوت دخل في اعلام متعدّدة كما روى پنشس (Pinches) منها « سكوت مباليت » ومعناها سكُّوت رازق الحياة و « ايني سكُّوت » اي سكُّوت خالقي

امّا قول عاموس « كيوان صنمكم » فانّ لفظة « صنم » بالعبرانيّة צלם تُطلق كما في السريانيّة على الصنم عموماً وعلى صَنم خصوصيّ كلفظة « البعـل » والمرجَّح انّ النبي اراد هنا إلهاً خاصًا رجساً كان العبرانيُّون قدّموا لهُ التقادم نفاقاً . وكان في شمالي جزيرة العرب اصنام متعدّدة تدعى بهذا الاسم الخاصّ وقد دخل هذا الاله في تركيب بعض الاعلام فانّ في تيماء وجدت كتابة ورد فيها علم رجلٍ يدعى « صلمشهذب » اي صلم أنقذ. وكذلك وُجدت كتابة اخرى وهي تقدمة لصلم حجر قرّبها رجل يدعو نفسـهُ « كاهن صلم »

فترى ما استفادت الدروس الكتابيّة من هذه الاكتشافات . وان قال قائل انّ هذه موافقاتٌ غريبة ليس الّا فأجبنا انّ موافقات كهذه اذا تعدّدت وتوفّرت في امور شتّى اضحت كحجج مقنعـة وادلّة صادقة على صحة الكتب المنزلة لاسيّما انّها حتى الآن لم تكذّب في شيء آيات الاسفار الالهيّة . فتبارك الله الذي سوّل لعبادهِ اسباب الايمان فهو وحدهُ الاله الحق ولا اله غيره

هامّةٌ سامّةٌ

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كان حضرة الاب انستاس مكاتبنا البغداديّ الفاضل وضع فصلًا مفيدًا في الحيوانات السامّة في الجزيرة والعراق (المشرق ٨ : ٩٨٣) ولكنّه لم يفدنا شيئًا عن دويّبة شائعة في بلاد الشام معروفة باذاها ولعلّها قليلة في العراق [illegible] ام اربع واربعين وقد قرأنا فيها نبذة حسنة لاحد المرسلين اليسوعيين (١ فرأينا ان نستفيد منها لقرّائنا فنعرّف خواصّها ومعالجة سمّها

أنّنا اذا رأينا هذه الدويـبة تجرُّ حلقاتها وارجلها المتعدّدة اخذنا النفور من نظرها

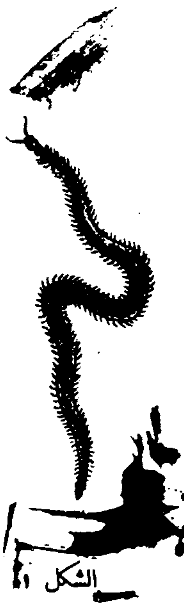
(١ اسم مقالتـهِ Les animaux nuisibles dans les Missions: myriapodes ou mille pieds, par *A. Renard* s. j.

فاسرعنا الى قتلها . والناس يتناقلون في شأنها اخبارًا ليست كلّها خرافة مع ما فيها من المبالغة ولذلك رأينا ان نصفها وصفًا علميًّا

﴿ اسمها ﴾ لهذه الهامّة في العربيّة اسمٌ يعرّفها احسن تعريف فدعوها بامّ اربع واربعين لأنَّ على كلّ جانب منها اثنتين وعشرين رجلًا امّا الاوربيّون فقد دعوها باسماء لا توافق صحّة حالها تمامًا فهم يدعونهم تارة مئة ألف رجل (myriapode) او الف رجل (chilopode) او مئة رجل (centipède, cent-pieds) وفي كلّ ذلك غلوّ ظاهر . ويدعونها بسقولوفندرة (scolopendre) وهو اسم يونانيّ لنبات يشبه هذه الدويبة بعض الشبه في اوراقهِ فسمّوها بهِ وقد استعارهُ العرب من اليونان فدلّوا على هذا النبات باسمهِ الدخيل

وللعرب ايضًا اسماء اخرى دلّوا بها على هذه الدويبة فدعوها باسم الشَّبَث لتشبّثها في جسم من تنوبهِ . ودعاها البعض بالحرشف لشبه ابرها بنبات الحرشف . واهل عكّار يسمّونها ام حراش

﴿ انواعها ﴾ تدخل امّ اربع واربعين في رتبة حيوانات تتألف من حلقات متعددة ليس فيها كما في بقيّة الحشرات ثلاثة اقسام مختلفة اعني رأسها وصدرها وجوفها بل ترى رأسها مفرزًا عن جسمها الذي يتركّب من اقسام متشابهة شبهًا تامًّا . لكنّها في تركيبها الداخليّ تقرب من الحشرات والطبيعيون يجعلونها في رتبة خصوصيّة بين الحشرات



الشكل ١



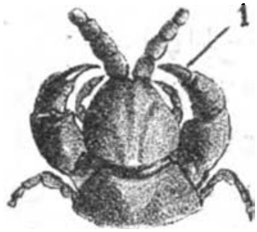
الشكل ٢

والحيوانات الصلبة القشرة (crustacés) . وهي تختلف في طولها بين ٥ سنتمترات الى ١٢ سنتمترًا

وممّا تتميّز بهِ هذه الهوامّ ارجلها المتعددة المنوطة بحلقات جسمها تنتهي بابر صغيرة

في رأسها شوكة دقيقة. وهي على صنفين فمنها ما يكون لكلّ حلقة منهــا رجلان (chilognates) ومنها ما لا يكون في حلقاته غير رجل واحدة (chilopodes) والصنف الاوّل لا بأس منهُ فانهُ لا يؤذي البتّة (الشكل ١) . وهو يخالف الصنف الآخر في تركيبهِ فانّ رأسهُ عموديّ وجسمهُ اسطوانيّ مخروط ونضرب عنهُ صفحاً . اما الصنف الثــاني فهو الجنس الضارّ واخصّ انواعهِ امّ اربع واربعين (الشكل ٢)





الشكل ٣ (١ ابرة السمّ)   الشكل ٤ (١ غدّة السمّ)

﴿ وصفها ﴾ تعيش هــذه الدويبة في تخاريب الحجارة والشجر وفي المزابل وتحت النباتات والإعشاب النديّة وفي الاخشاب المسوّسة المنخورة. واذا باضت جعلت بيضها في مكانٍ معتزل. ويولد الصغار في بعض اجناسها دون ارجل كالدود ثمّ تتولّد لها الارجل بالتوالي. وغيرها تولد تامّة الحلقات والابر

وارجل امّ اربع واربعين متشابهة الّا الزوجين الاوّلين والزوجين الاخيرين فالزوج الاوّل اطول ممّا سواهُ تستعين بهِ الدويبة ككفّين تتناول بهما طعامها . يليهِ زوج ثانٍ اقصر كالكلّاب وسيأتي وصفهُ . وبعد هذين الزوجين عدّة ارجل متجانسة تجري عليها الهامّة. والزوج الذي قبل الاخير اطول من ارجل السير واطول منهُ الزوج الاخير. وامّ اربع واربعين تقتات بلحوم الحيوان كالذباب والعناكب

﴿ سمّها ﴾ لامّ اربع واربعين شراسة اخلاق وخبث يظهران منها في اصطياد قوتها فانّها اذا سطت على هامّة تكمّشت [illegible] بمخاليبها الجارحة ثمّ نفثت فيها سمّها الى ان تميتها فتغتذي بها . فأذى امّ اربع[illegible]برها اوّلًا التي تنشب في عدوّها نشوبًا يصعب فصمهُ . وثانيًا بسمّها وهو الاذى الخطر

وكان العلماء حتى القرن الماضي يجهلون [illegible] مستودع سمّهــا ومجراهُ الى ان وقف العلّامة لوڤنهك (Leuwenhoeck) على منفذهِ فانهُ كان يثير الحيوان ويرصدهُ فكان يرى نقطة من السمّ دقيقة تسيل من زوج ابرتهِ الثاني الواقع تحت الزوج الفكيّ . لكن

هذا العالم مع اكتشافهِ لمخرج السمّ لم يقف على الغدَّة التي يتكوّن فيها السمّ فتوفّق الى معرفة ذلك الطبيعيّ نيوپرت (Newport) ودرس العلّامة ماك ليود (Mac Leod) تلك الغدّة درساً مدقّقاً سنة ١٨٧١ وقد ابانا انّ موقع هذه الغدة في اوّل حلقة من الحيوان وهي الواقعة وراء رأسهِ (انظر الشكلين ٣ و٤) فاذا تشبّث بصيدهِ مزّقهُ بابرهِ ثمّ ضغط غدّتهُ السامّة فنفث منها السمّ الذي يصبّهُ في الجرح فيخدر الحيوان بعد قليل ويموت

امّا مفعول هذا السمّ فعظمهُ في الهوامّ الصغيرة ذات المفاصل الرجليّة (arthro-podes) فانهُ يقتلها لا محالة ولهُ فعل اخفّ في الزحّافات والاسماك وفي العقرب نفسهِ. امّا الدود فلا فعل لهُ فيها وكذلك الحيوانات التي من جنسهِ فانّها لا تتأذّى بهِ

وليس الانسان بخلو من شرّ امّ اربع واربعين فانّها اذا ثار ثائرها لسعتهُ وآذتهُ. ولأمّ اربع واربعين لسعتان الواحدة شتويّة وهي خفيفة تكاد لا تزيد على وجع لسع البعوضة وحكّتها تزول بعد ساعة. والاخرى تكون في الربيع فانّ للهامّة شرّة واذى كبيرين حيث الملسوع بها يشعر بوجع اليم في محل اللسع الذي يحمرّ وينتفخ فاذا لسع الحيوان في اصبعهِ انتفخت لسمهِ اليد كلّها والساعد. ولولا انهُ لا يكفي لقتلهِ

﴿ مداواة لسعها ﴾ قد ثبت بالاختبار انّ هذه الهامّة لا تأتي بأذًى ان لم يزعجها الانسان فالاولى بهِ ان رآها ولم يقدر على قتلها ان يتركها وشأنها. وكذلك ان لسعتك فايّاك ان تنزعها عنك بعنف فانّ خبثها يتفاقم ويزيد سمّها. امّا الدواء لمعالجة لسعها فان تكوي محلّ الجرح كيًّا خفيفاً فيخمد الوجع ويجوز ان تحقنهُ بحامض الكروميك على قدر جزئين في مئة جزء من الماء وكذلك يُحقن بقليل من المورفين او باللبخات الرطبة فيزول الالم بعد قليل

قائمة المخطوطات الشرقيّة في ليبسيك

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

من اعظم الفوائد التي جنيناها من تقدُّم العلوم الشرقيّة نشر القوائم الموسّعة في وصف المخطوطات المصونة في حواضر اوربة. فكانت هذه الكنوز الادبيّة حتّى اواسط القرن الاخير كاللآلئ الثمينة في مغاصها وكالحجارة الكريمة في معدنها لا يعرفها الّا

القليلون ممَّن يمكنهم التقرُّب الى مصادرها . ومنذ ذاك الوقت طُبعت اللوائح المدقّقة في وصف تلك الخبيّات نخصّ بالذكر منها قائمة مخطوطات لندن العربيّة لشرل ريو (Rieu) ومخطوطات ليدن للافاضل دوزي (Dozy) ودي خوي (de Goeje) وهوتسما (Houtsma) ودي ينغ (de Jong) ومخطوطات باريس للاديبَين دي سلان (G. de Slane) وزوتنبرغ (Zotenberg) ومخطوطات برلين للعلّامة هلوَرْدت (Ahlwardt) وقسم من مخطوطات مجريط للمستشرق درنبورغ (Derenbourg)

ولا يظنَنَّ القارئ ان هذا العمل قريب المنال يقوم بهِ ايّ عالم كان فانَّ الامر على خلاف ذلك يستدعي معارف جمة واطّلاعات متعدّدة ونظرًا دقيقًا لانَّ اصحاب هذه القوانم لا يكتفون بسرد اسماء الكتب مع ذكر مؤلّفيها كما يفعل الكتبيّون في الشرق بل تراهم قد وسَّعوا نطاق ابحاثهم حتى اذا وصفوا كتابًا باشروا بمقايسة طولهِ وعرضهِ ووصف ظاهرهِ ونوع تجليدهِ وتعريف خطّهِ وعدد صفحاتهِ واسطر كلّ صفحة منهُ . ثمَّ يتخطَّون الى ما هو اجدى نفعًا من ذلك فيعرّفون مضمون الكتاب وينقلون اسطرًا من مطلعهِ ويعدّدون اقسامهُ وابوابهُ وفصولهُ وان وجدوا فيها ما يستحقُّ الذكر دوّنوهُ بالتدقيق ثم يخصّون بالنظر صاحب الكتاب فيشيرون الى تاريخهِ او يدلُّون على الكتب التي وردت فيها ترجمتهُ . ثمَّ يوجّهون النظر الى النسخة وتعريف الناسخ مع بيان كلامهِ في آخر نسختهِ . ويزيدون على ذلك إعلامًا بعرض نسختهم الموصوفة على النسخ غيرها المعروفة في الحواضر الكبرى فيبيّنون مزايا كلّ نسخة واصلها ومصدرها ليكون القارئ على بيّنة من خواصّ كلّ النسخ . الى غير ذلك من الفوائد التي تجعل هذه القوانم كمجموع علوم شتّى تُغني المطالع عن الأَسفار لنظر تلك المخطوطات في خزائنها لاستطلاع وتمييز خواصّها . وما لا يجوز الضربُ عنهُ انَّ اصحاب هذه القوانم يضيفون الى عملهم فهارس متعدّدة للموادّ ولكل الاعلام وجدول اسماء الكتب على طريقة حروف المعجم بحيث يتمكّن القارئ من مطلوبهِ على اقرب منوال

فهذه الاوصاف التي قدّمناها لتعريف قوانم المخطوطات تجدها كلّها في تأليف حديث تولّاهُ احد كبار المستشرقين الدكتور ڤولرس ناظر المكتبة الخديويّة سابقًا واستاذ اللغات الشرقيّة في كليّة يانا (Iéna) حاضرًا وهو قائمة مخطوطات كليّة ليبسيك الشرقيّة . وكتابهُ هذا عبارة عن مجلّد ضخم تبلغ صفحاتهُ ٥٠٨ وهو مطبوع احسن

طبع على ذمّـة الكتبيّ اوتو هارسوفتس (١ وقد اشتغل فيهِ ستّ سنوات فجاء تحفة تزدان بهـا المكاتب الشرقيّة يحقّ لصاحبها الشكر العميم والثناء الجميل

وها نحن نلخّص هنا بعض محتوياتهِ ليعرف القرّاء فضل مصنّفهِ . يحتوي الكتاب اوصاف ١١٢٠ كتاب مخطوط في اللغات الشرقيّة قسمهـا الاكبر في العربيّة يبلغ عددها بين مخطوطات اسلاميّة ونصرانيّة ويهوديّة ٩٢٠ كتاباً . ثمّ في الفارسيّة وعدد مخطوطاتها ١٠٣ . ثمّ في التركيّة وعددها ٤٩ . ثمّ في العبرانيّـة وعددها ١٧ . ثمّ في القبطيّة وعددها ١١ . وكتب اخرى قليلة في الهندستانيّة والارمنيّة والكرجيّة والسامريّة وفي اللغة المصريّة الهيروغليفيّة . امّا الكتب القبطيّة فقد تولّى وصفهـا المعلّم ليپولد (J. Leipoldt)

ولمّا كان اخطر هـذه المخطوطات واعظمها شأناً انّما هي العربيّة احببنا ان نتّسع قليلاً في تعريفها . وقد قسم جناب المؤلف هذه الخطّيات الى ٤٥ باباً على حسب المواضيع مباشراً بالعموميّات كالتآليف الموضوعة في اوصاف الكتب اوالجاميع العلميّة تليهـا الدينيّات كالمصاحف والتفاسير والسير والحديث وعلم الكلام والتصوّف والادعية وما يلحق بها . ومن الكتب الدينيّة العزيزة التي حصلت عليهـا مكتبة ليبسيك كتاب (ع١٠٦) بدو الدنيا وقصص الانبياء للكسائي ومنهُ اخذ الثعلبيّ في كتاب العرائس . وكتاب (ع ١٠٨) المواعظ لابي عبيد القاسم بن سلّام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ (٨٤١م) . وكتاب (ع ٢١٢) الدرّ المكنون في اسئلة ما كان وما يكون للترمذي . وكتاب (ع٢٢٧) انس الحاضر وزاد المسافر لفخر الدين الرازيّ . وكتاب (ع ٢٩٥ و٢٩٦) الزهد لعبدالله بن مبارك المروزي مع زيادات شتّى . ثمّ اتبع المؤلف هذه الابواب بوصف الكتب الفقهيّة العموميّة والخصوصيّة على حسب المذاهب الاربعة اعني المذهب الحنفيّ ثمّ الشافعي ثمّ المالكي ثم الحنبلي مع فصل في كتب الفرائض . وبعد هذا كتب السياسة والتدبير منها (ع ٣٩٩) كتاب نفيس لبدر الدين محمّد ابن جماعه الكنانيّ

---

١) وهذا اسم الكتاب :
Katalog der Handschriften der Universitaets-Bibliothek zu Leipzig.—II. Die Islamischen, Christlich-Orientalischen, Juedischen und Samaritanischen Handschriften von **K. Vollers**, *Leipzig*, *Otto Harrassowitz*. 1906, *VI*-508 SS.

الحمويّ اسمهُ تحرير الاحكام في تدبير اهل الاسلام. وفي اثرهِ كتب آداب البحث ثم كتب النحو اوّلها كتاب الجُمَل في النحو من اجلّ الكتب واتقنها ثمّ شرح جُمل ابي القاسم الزجّاجي ثمّ كتاب ابن جنّي المعروف بالمقتصب في اسم المفعول وقد طُبع حديثًا في المانية . ومما يجدر ذكرهُ في مخطوطات علم اللغة كتاب (ع ٤٦٢) تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين للفيروزابادي صاحب القاموس . وكتاب (ع ٤٦٤) الدرّ اللقيط في اغلاط القاموس المحيط للداودي

ويعقب كتبَ اللغة كتب البيان ثمّ العروض ثمّ الرسائل ثمّ الادب والشعر نخصّ منها بالذكر كتاب (ع ٤٧٠) العمدة لابن الرشيق القيرواني . وكتاب (ع ٥١٠) المفضّليات . وكتاب (ع ٥٠٩) اخبار الاجواد لابي علي المحسّن التنوخي . وكتاب (ع ٥٩٢) منشآت بديع الزمان . وكتاب (ع ٦٠٦) درر الاداب ومحاسن ذوي الالباب . وكتاب (ع ٦٠٧) زواهر الجواهر لاسماعيل بن عبد الرحمان الانصاري الكاتب . وكتاب (ع ٦٢٠) تذكرة الصفدي

وقد وجدنا في باب التاريخ وتراجم الفضلاء بعض الكتب النادرة . منها (ع ٦٥٠) كتاب منهاج القاصدين للامام ابن قدامة . وقسم (ع ٦٦٢) من كتاب عقود الجمان في تاريخ الزمان للزملكاني . وكتاب (ع ٦٧٦) الوافي للصفدي . وكتاب (ع ٦٧٨) المنتهى في وفيات اهل النهى للسيّد حمزة بن احمد الحسيني . وكتاب (ع ٦٨٨) مشاهير علماء الامصار لابي حاتم محمّد البستيّ . وكتاب (ع ٧١٤) تاريخ الحكماء لجلال الدين القفطيّ الذي طُبع حديثًا

وفي القسم الباقي ابواب شتّى كالرحل والنبات والحيوان والجغرافيّة والهيئة والطبّ والصيدلة فيها ايضاً كتب حسنة يطول وصفها ومنها كذلك بعض المخطوطات النصرانية التي ليس تحتها كبير امر لا نتعرّض لذكرها . وفي ما قلنا كفاية ليعرف القرّاء غنى هذه المكتبة بالمخطوطات العربيّة وفضل واصفها لا نأخذ عليه الّا امرًا واحدًا وهو سكوتهُ عن تاريخ هذه المكتبة ومن اين جُمعت هذه المخطوطات الشرقية ومن سعى بجمعها فانّ في ذلك فائدة لا تخفى وعلى كلّ حال نشكر همّة مؤلف هذا الكتاب ونتمنّى لتأليفهِ رواجًا في الشرق والغرب

مطبوعات شرقية جديدة

Jean Guiraud : Questions d'Histoire et d'Archéologie. Paris, Lecoffre, 1906, in-16, pp. 304.

ابحاث تاريخيّة واثريّة

جمع صاحب هذا الكتاب عدّة مقالات كتبها في امور تاريخيّة واثريّة متباينة كمجيء القديس بطرس الى رومية ومعاني الطقوس الكاثوليكيّة وترجمة العلّامة الاثري يوحنّا دي روسي (١٨٢٢—١٨٩٤) والمقابلة بين القديسين عبد الاحد وفرنسيس الاسيزي وبعض دروس في شيعة الالبيجيين والبدع التي ظهرت في القرون المتوسّطة. وكلّ هذه الابحاث قد ابدى فيها الكاتب وهو احد اساتذة كليّة بزَنسون علماً واسعاً وتدقيقاً في طلب الحقيقة. وممّا آثرناهُ في هذه الدروس ما كتبهُ صاحبها في البدعة الالبيجيّة والشيع المجانسة لها التي افسدت العقول وكادت تنقض اساس الهيئة الاجتماعيّة في الاجيال الوسطى وبيّن حكمة الكنيسة اذ قاومتها وتشدّدت على أنصارها وقهرتهم بالقوّة ولولا ذلك لتشوّهت بها الآداب واستفحل الشرّ وتضعضعت اركان الممالك. وكان بعض هذه الشيع كشيعة الكاتار يجدّد فظائع المانويين وهم يتستّرون بمظاهر الدين س. ر

E. A. Wallis Budge : The Egyptian Heaven and Hell. (Books on Egypt and Chaldæa, XX-XXII). *London, Kegan Paul*, 1905, in-8, 3 vols.

جنّة المصريين الاقدمين وجهنّمهم

لا شيء في الآثار المصريّة قد تكرّر في المدافن والنقوش والكتابات كاعتقاد المصريين في الآخرة وخلود النفس امّا في الافراح الابديّة وامّا في العذابات الدائمة حتى انهُ يمكن القول انّ معظم ما بلغنا من آثارهم ينوط بالآخرة فلا ترى قبرًا او هرماً او ناووساً او كفناً الّا فيهِ الصلوات والادعية والطقوس التي تحتاج اليها الموتى ليحظوا بنصيب صالح بين الآلهة وبسعادة مخلّدة . وبين الآثار التي تحتوي اوصافاً واسعة للجنّة والجحيم كتابان شاعا بين قدماء المصريين يُدعى احدهما «ما يوجد في الطوات» والطوات عندهم الجنّة ويسمّى الثاني «كتاب الابواب» اعني الابواب التي تعبر بها النفوس قبل ادراكها دار البقاء . وهذان الكتابان كان نشرهما سابقاً العلّامتان مسپرو

ولوفيڤر (Lefèbvre) الّا انهما لم ينتقدا هذين التأليفين انتقادًا كافيًا ولم يقابـلا بينهما ليستخلصا منهما تعاليم المصريين الاقدمين في احوال الآخرة فسدّ العلامة بودج احد علماء العاديّات المصريّة هـذه الثلمة فاعاد طبع الكتابين ودقّق في نقلهما الى الانكليزيّة وذيّلهما بالحواشي وقدّم عليهما مقدّمات تنبئ برسوخ قدم صاحبها بالآثار المصريّة وقد اعجبتنا طريقتهُ في الكتابة لوضوحها وسلاستها وفصيح عبارتها وان كنّا لا نسلّم لهُ ببعض المزاعم التي ذهب اليها دون برهان كافٍ الاب ماريوس شان

شذرات

آثار قديمة — لا يمرُّ علينـا اسبوع دون ان نسمع باكتشاف آثار قديمة يستخرجها من بطن الحفائر ارباب البحث وطلبة العاديّات ولمصر في ذلك السبق فان المتحف الجديد الذي شيّدتهُ الحكومة لا يلبث ان يضيق بهذه الآثار التي تخرج من خباياها كلّ يوم . فمن ذلك عدّة انصاب فرعونيّة اكتشفهـا في سقّارة العلّامة الانكليزي كويبل . ومنها جواهر ثمينـة ومصوغات جميلة وجدها المسيو ادغار في طوخ الجراموس . ومنها ادراج ملفوفة طول بعضها اكثر من اربعة امتار وعددها خمسون وجدوها في قوم شقارون وفيها كتابات يونانيّة غاية في البهاء والحسن يحتوي بعضها سندات ووصايا وحججًا باللغة اليونانيّة . وكان بينها ١٢٠٠ بيت من قصائـد هزليّة لشاعر شهير اسمهُ ميندر المتوفى سنة ٢٩٠ ق م . وكانت كلهـا ضائعة ومنها ايضًا آثار مدفنيّة متعدّدة اكتشفها في مصر المسيو شياپارلّي ناظر متحف تورين ونقلها الى ايطاليـة في ٢٠٠ صندوق . وممّا وجدوهُ في العراق نَوْط مصطنع بالفسيفساء تاريخهُ القرن الثاني بعـد المسيح يمثّل صورة بلاد غاليا على مثال سيّدة جليلة المنظر قويّة البنية رأسها متوّج باكليل من البروج وتحت صورتها اسم « غاليا » باليونانيّة وهو اقدم اثر من جنسهِ اقتناهُ متحف برلين

سخاء الانكليز لمشروعاتهم الدينيّة — كلّ يعلم انّ لارباب الدين في انكلترة رواتب واسعة ورثوها من اوقاف الكنيسة الكاثوليكيّة سابقًا . ولا يكتفي الاهلون بذلك فانّ لهم ايضًا شركات تقوم باعباء المشروعات الخيريّة الدينيّة وتجمع الحسنات

الاختياريَّة لذلك. وقد اطَّلعنا على برنامج هذه الصدقات للسنة ١٩٠٦ فاذا هي تبلغ ١٩٦,٨٥٤,١٧٥ فرنكاً منهـا للرسالات الاجنبيَّة ٢٠,٦٢٢,٤٧٥ ف وللرسالات الداخلية ١٥,٩٧[illegible] ف ومنهـا لتهذيب الاحداث وللمطبوعات التقويَّـة ٢٦,٤٠٠,٠٠٠ ف ومنها لمساعدة ارباب الدين ٥,٥٩٣,٠٠٠ الخ. فهذه الارقام دليل لامع على اعتبار الانكليز للمشروعات الدينيَّة وعلى سخائهم في مساعدتها

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الخوري يوسف البواري ما هو اصل لفظة دفرون للقرية اللبنانيَّة المعروفة

اسم دفرون

ج هي لفظة آراميَّة ܕܦܪܘܢܐ ومعناها الشربين والعرعر وقيل السرو

س وكتب ا. ت. من ادباء البلدة : قد قرأنا في مجلَّة مصريَّة انَّ السيّد المسيح قبل بشارتهِ بني اسرائيل في سنّ الثلاثين رحل الى الهند واخذ عن علمائها افهذا صحيح

المسيح في الهند

ج هـذه احدى الخرافات العديدة التي تنشرها المجلَّات المصريَّة ليس لها من الصحَّة الَّا تخيُّلات بعض القصَّاصين واوهامهم اقتطفوها من الكتابات المزوَّرة. والانجيل الطاهر يعلمنا انَّ السيّد المسيح لذكرهِ السجود قضى ثلاثين سنةً من عمرهِ في الشغل والطاعة لوالدتهِ ولوالدهِ بالذخيرة ليعلّم البشر بامثالهِ وفضائلهِ السامية قبل ان يرشدهم باقوالهِ. وقد خرج مرَّةً واحدة عن هذه الخطَّة ليفيدنا انهُ آثر ذلك باختيارهِ

س وسأل من القاهرة حضرة الاخ بلاج من اخوة المدارس المسيحيَّة من هما ابو الغيلان وطلحة الوارد ذكرهما في البيتين الآتيين :

١ : جزى بنوهُ ابا الغيلان عن كبرٍ وحسن فعلٍ كما يُجزى سنمَّارُ

٢ : او ما رأيت المجد القى رحلـهُ في آل طلحـة ثمَّ لم يتحوَّلِ

ابو الغيلان — طلحة

ج ورد البيت الاوَّل في عدَّة تآليف يستشهد بـهِ العلماء في مثل سنمَّار الرومي الذي نال بدلًا من الخير شرًّا وقصَّتهُ معروفة. لكنَّ ابا غيلان المذكور اسمهُ في البيت لم نجد من يتعرَّض لذكرهِ البتَّة في كتب العرب التي لدينا. امَّا طلحة فهو ابو حرب طلحة بن عبيدالله بن خلف الخزاعي الملقَّب بطلحـة الطلحات احد الذين يُضرب بجودهم المثل في الاسلام وذكرهُ مستفيض وفي عهدهِ اشتهر بالجود طلحة بن عبدالله بن عوف ل. ش

المشرق

الاكتشافات البَرْديَّة

نظر للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرّس العاديّات في مكتبنا الشرقي

في مقالة سابقة (المشرق ٩ : ٨٥١) اثبتنا تاريخ البردي واستعمالهُ في الكتابة وفوائدهُ الجمّة للمواصلات التجاريّة والرسالات العلميّة والادبيّة وشيوعهُ بين القدماء قبل اكتشاف الورق القطني فكانت نبذتنا هذه كتوطئة قدّمناها على الكلام في الاكتشافات البرديّة واهمّ ما ظهر منها الى عالم الوجود في القسم الثاني من القرن المنصرم. ولسنا نبتغي في هذه اللمعة ان نستقصي البحث في كلّ الآثار التي خرجت من خباياها بعد الاجيال المتعدّدة لأنها على عدد دَثر وفي موادّ تتناول كلّ المواضيع الكتابيّة وهذه الاكتشافات تتكرّر كلّ يوم فيظهر الوفٌ من البابير يضيق ذرع علماء العاديّات المصريّة عن استيفاء معانيها لكثرتها. ومنها ما يُصلح معلوماتنا التاريخيّة السابقة بحيث تتجدّد معها كل يوم وربّما تغيّرت تماماً وذلك ما حمل العلّامة مُمسِن المؤرخ الالماني البارع على قولهِ بانّ القرن العشرين سوف يُدعى جيل الآثار البرديّة كما دُعي القرن التاسع عشر جيل الكتابات الاثريّة

والحقّ يقال انّ ظهور هذه الآثار بعد اجيال متعدّدة ضربٌ من العجائب او بالحري نعمةٌ من النعم يستحقّ عليها الباريَ شكر العالمين. كيف لا وقد اخنى الدهر على ما هو اصلب واهمّ وابقى من البرديّ فهذه الكتابات الحجريّة كم الوفٍ منها ودروات كُسرت وانتُسخت بفعل الظواهر الجويّة. وكذلك قد باد بجور الزمان معظم الكتابات التي رقمت على صفائح الحديد والشبه. امّا الكتابات المدوّنة على الاخشاب

فانها دخلت جميعها في خبر كان اللهمَّ الّا ما وُجد منها في پمپاي وفي داقية . فما قولك بعد ذلك عمّا هو ادقّ وانعم واسخف أفكان يمكن ان يدور على خلد احدٍ انّ البرديّ يقوى على ما لم تقوَ عليهِ الحجارة والحديد والخشب . فنحمد الله اذن الحمد التامّ اذ احرز لنا في بطن المطامير وتحت ركام الاطلال ما خرج في عصرنا من مخبّآتهِ ليشهد لنا على احوال الامم الغابرة . وبعد ان كان العلماء يجهلون اصل البرديّ وكنههُ كما افاد منفوكون الشهير سنة ١٧٠٨ صاروا اليوم يتقلّبون بين قماطرهِ ويجهدون النفس في استخراج معاني كتاباتـهِ

واوّل ما ظهر من ذلك انّما كان في هركولانوم . وهي مدينةٌ مدّ عليها القاسوف سنة ٧٩ للمسيح كفناً من الرماد والحُمَم البركانيّة بلغ سمكهُ عشرين مترًا فصار فوق المدينة كالبناء المرصوص . فلمّا كانت سنة ١٧٥٢–١٧٥٣ فتحت معاول العَمَلة ذلك الحرز الحريز فبانت للعيان مدينة رومانيّة جامعة لكلّ اسباب المدنيّة والرفاهية . وكان من جملة ما وُجد في احد منازلها مكتبة واسعة لرجل من فلاسفة الابيكوريين يُدعى أرستيد جمعها بحسن ذوق ومعرفة تامّة فضمّنها تآليف ائمّة اليونان ومشاهير الرومان وكان مجموع هذه الاعمال لا يقلّ عن ١٨٠٦ أدراج من ورق البرديّ الّا انّ هذه المدارج كانت في حالة يُرثى لها تتساقط وتتناثر لأدنى مماسّة وحروف خطوطها كادت تندثر وتتوارى . فجمعوها بحرص واعتناء مؤمّلين من قراءتها اكتشاف مصنّفات مفقودة للاقدمين من نثر وشعر في كلّ ابواب الكتابة . وهاءنذا قد مرَّ على اكتشافها قرن ونصف دون ان ينجز الاثريون قراءتها لما يحول دون العمل من المشاكل العديدة . وقد بقي منها ٦٠٠ دَرْج لم تُفكّ بعد اسرارها . امّا ما قُرئ منها فجُعل على ٢٨٠٠ لوح يُصان منها تحت الزجاج ٨٠٠ والباقي ملصوق على مقوّى . امّا محتوياتها فانها تتضمّن اعمالا فلسفيّة وبعض المقاطيع الادبيّة التي كان يُعرف قسمها الاكبر

ثمّ وليتها الاكتشافات المصريّة فكانت اعظم قدرًا واوسع مادّةً . امّا الفضل في حفظ هذه الكنوز في ارض الفراعنة فانّما كان لهواء البلاد اليابس ولرملها الساتر فلا يكاد تمرّ سنة بل شهر واسبوع دون ان تنقل الينا الانباء البرقيّة اخبار سارّة تهتزّ لها طربًا افئدة العلماء لوجود آثار مفقودة . وها نحن نلخّص هنا تاريخ ومحتويات هـذه

الاكتشافات ليقف القرّاء على ما زادت بهِ ثروة العلوم وخلفة الآداب بفضـل هذه الآثار النفيسـة

*

انَّ معظم ما وُجد في مصر من مخطوطات البرديّ انّما كان خصوصاً في بـلاد الفيُّوم. ولعلَّ سبب ذلك الحفريَّات المتعدّدة التي جرت في تلك العاملة. امَّا المراكز التي توفَّرت فيهـا هذه الاكتشافات فهي الآتية: البهنسـاء وامّ براجات وهيبه وغوران ومدينة النحاس. هذا فضلاً عمَّا وجد في امكنة اخرى اقلّ شأناً من الاولى كنف وربه واخميم والكرنك وكوم اشقاو وهذه الاخيرة قد وجد فيها المسيو لوفاڤر (Lefèbvre) آخرًا في دفعة واحدة خمسين مدرجاً من البابير باللغة القبطيَّة من القرن السابع ثمَّ وصيَّة رجلٍ من اهل انتينوبوليس (شيخ عباده) عاش في عهـد الملك يستينوس الثاني ثمَّ درجاً كبيرًا يحتوي ١٢٠٠ بيت من شعر ميناندر الشاعر الشهير وكانها مجهولة

امَّا قماطير البرديّ فكان وجودها على الطرائق الآتية:

١ كثيرًا ما كان الحفَّارون يبلغون في حفرهم الى ردوم بيوت قديمة منها سابقة لعهد المسيح ومنها رومانيَّة بعد المسيح ومنهـا قبطيَّة للنصارى. فكانوا اذا فتَّشوا في زوايا تلك المنازل او في حُجرها الداخليَّـة وجدوا قطعاً من البرديّ او ادراجاً كاملة اودعها اصحاب المنزل اخبارَ نسبهم وتفاصيل احوالهم وكان بعض منها ملقًى منفيًّا لا يصلح الَّا لحاجات البيت شأن فعلنا بالورق الدون

٢ وقد وجدت مرَّات اخرى تلك المدارج في اصونـة تحت طبقتين من ردوم وتراب كأن اهل البيت جمعوها هناك لحرصهم عليها. ومن تصفَّح تلك المجاميع وجدها غاية في الافادة لارتباط معانيها ولمدارها على امور متوافقـة. وفي البهنساء قد توفَّق الحفَّارون الى اكتشاف اكداسٍ من مخطوطات البرديّ فعرف العلماء انهُ كان ثمَّ صوانٌ للاوراق الرسميّة او لِما نُبذ منها وأُهمل. وذلك انَّ العمَّال كانوا يحرصون الحرص التامّ على حفظ الاوراق الرسميَّة من حجج وسندات وقوائم وتذاكر. وكذلك كان الاهلون اذا ارادوا حفظ شيء من اوراق المبايعات والمعاهدات وغيرها خوفاً من ضياعها يسلّمونها الى الدوائر الرسميَّة لتصونها. وكلّ هذه الاوراق كانت تبقى زمناً في مكانها الى ان يعود النظَّار الى مراجعتها فيعزلون منها ما يرونهُ مبطلًا مماتًا فيفرزونهُ في سلال

ثمَّ يُلقى على المزابل . فلحسن الحظّ قد نجا كثير من هـذه الاوراق وربَّما وُجدت مصمودةً في سلالها او مُلقاةً معها وبعد المطالعة تحقَّقوا انهـا تشمل اخبارًا متناسقة قريبة العهد لبعضها متجانسة المضامين

وهذه الآثار لو وُجدت على حالتها الاولى كما كُتبت لكانت تُعدُّ ككنوز ادبيَّة غاية في الفائدة والشأن لكنَّهـا في الغالب ليست كذلك لأنَّ الكتَّاب كانوا عادةً يمزّقون المدارج قبـل ان يلقوها في السلال لاستغنائهم عنها فصارت في قففها شذر مذر لا سيَّما اذا قلَّبتها ايدي الصنَّاع وملتقطي الخرق وتراكمت فوقها الردوم وافسدتها الرطوبة فتراها كزُالة اوراقنا اذا دعكناها ورمينا بها على المزابل وعدنا الى قراءتها بعد أيام . فكذلك تكون تلك قطع البردي التي يحاول قراءتها العلماء . فانَّها مدعوكة متَّسخة مصفرَّة كادت كتابتها تبور لقدم عهدها . ولمَّا كانت هذه القطع متخرّقة احتاج مطالعوها الى مقابلات ومعارضات شتَّى ليوقف لها على معنًى . وهذا شغل لا يتمُّ الَّا بأيام طويلة بل باشهر وسنين . وكثيرًا ما تبقى القطع منفردةً لا يكمل معناهـا فيبقى طالب اسرارها في حيرةٍ يقدّر لها معاني بالحدس والتخمين

٣ واحسن من هذه المقاطيع المدارج التي تُستخرج من القبور والمدافن لكنَّها اعزّ واندر . وكان المصريون يحسبون مدافنهم كبيت ثانٍ تسكن فيهِ امواتهم فتحيا حياةً جديدة بتقرُّب نفوس الموتى من اجسادها المحنَّطة . فكان الاهل لترتاح نفوس موتاهم بهذه السكنى وتُسرّ بملازمة قبورها دون ان تقلق الاحيـاء يوفّرون في المدافن كلّ الآنية والآثار والادوات التي كان يألفهـا الميت قبل وفاتهِ فيزوّدونهُ في قبرهِ باصناف المآكل والمشارب وبادوات صنعتهِ . فكانوا يجعلون في قبر الصيَّاد ادوات صيدهِ ويعطون للمخلّع عكَّازهُ وللكاتب كتبـهُ ومدارجهُ البرديَّة . ومن ذلك ما اكتشفهُ العلَّامة برخهردت (Borchhardt) في غرَّة شباط من السنة ١٩٠٢ فانهُ وقف على مدفن في ربض منف المسمَّى « ابو صير » فاذا هناك مدفن من عهد دولة الفرس وكان في المدفن ناووس قُبر فيهِ يونانيّ وكان بقرب الناووس اضابير من ادوات احد الكتَّاب ومن جملتها مدرج طولهُ متر و ١١ سنتمترًا محفوظ جيّدًا وهو يحتوي على نشيد شهير لم يكن يُعرَف منهُ غير اسمهِ وهو نشيد العجم (les Perses) من تأليف طيموثاوس المليطيّ ألَّفـهُ بين السنة ٤٠٤ و٣٩٦ قبل المسيح . ثمَّ وُجد غير ذلك في مدافن اخرى

٤ ومن خزائن البردي التي لم تخطر على بال المكتشفين صناديق جثث الموميا . فانَّ الذين اصطنعوا تلك التوابيت كانوا يتخذون لها بدلًا من الخشب قطعاً من البرديّ المنثي الملقى فيلصقون اوراقها بعضها لصقاً محكماً الى ان تصير كشبه الصناديق الصلبة وكان علماء العاديات يجهلون ذلك الى ان تبيَّنوهُ على طريقة التوفيق ومذ ذاك الحين اخذوا يفحصون كلّ تابوت ويقشطون كل ورقةٍ منهُ . وقد اكتشفوا على هذه الصفة مئات من الادراج التي كُتبت في عهد البطالسة

٥ واغرب من ذلك ما وجدهُ في الفيُّوم العلّامتان غرنفل (Grenfell) وهُنت (Hunt) عند هيكل الهٍ يدعى سَكْنَبْتونيس كان يصوَّر على شكل التمساح. فانهما وجدا مدفناً لعدد لا يحصى من موميا التماسيح كان المصريون جمعوها هناك بعد تحنيطها . فترى جسم كلّ حيوان ملفوفاً بعصابات من البردي القديم اما جوفهُ فكان مفرغاً من الاعضاء ومحشوًّا بقطع من البردي المرزوم. وكلّ هذه المقاطيع كانت مزيَّنةً بنصوص كتابيَّة قديمة

فهذه هي الخبايا التي وُجدت فيها تلك الكنوز الادبيَّة التي برزت من مطاميرها فاحيت لنا كثيرًا من موات اعمال القدماء لا سيَّما اليونان . فانَّ الاكتشافات الجديدة اوقفتنا على تآليفهم المفقودة كما أنها وسَّعت نطاق معارفنا المختلفة في عيشة المصريين الاهليَّة وفي رسومهم العموميَّة

*

هلمَّ بنا الآن نوجّه النظر الى مضامين تلك الكتابات البرديَّة ونخص منها بالذكر اليونانيَّة دون سواها فنقول : انَّ صحائف البردي اليونانيَّة المستخرجة من انحاء مصر تُقسم الى قسمين . قسمٌ منها يشمل تآليف ادبيَّة وقسمٌ مصنَّفات غيرها

فالقسم الأوَّل اي الادبيّ هو الذي استوقف ابصار العلماء واليهِ سكنت قلوب محبّي الآثار العقليَّة فهو اخطر شأناً وافضل بياناً وان كان في عدد مكتشفاتهِ اقلّ كثيرًا من القسم الثاني

فممَّا يدخل في حيز الضرب الأوَّل تآليف اهتزَّت لاكتشافها الالباب منذ خمس عشرة سنة وفاقت بعددها ما استخرجهُ الأثريُّون من خزائن المكاتب منذ نهضة الآداب في القرن الخامس عشر . واخصُّ هذه التُّحف الادبيَّة كتاب لارسطاطاليس

يُدعى « سياسة الاثينيين » Ἀθηναίων πολιτεία وهو اليوم في المتحف البريطاني ويتيمة قلادتهِ الثمينة . قد ضمَّنهُ ذلك الفيلسوف قريع دهرهِ تاريخَ دستور اثينة وشرائعها واماط الستر عن احوال بلاد اليونان في الاجيال السالفة حتى استفاد منهُ العلماء بوقت قليل ما لم ينالوهُ من دروسهم الطويلة

على ان هذا الكتاب اقرب للتاريخ منهُ للمصنَّفات الادبيَّة . فمنها هو ادبيٌّ محض ويرجع فضل اكتشافهِ الى اوراق البرديّ مقاطيع وشذرات متعدّدة من نظم مشاهير شعراء اليونان كألقاي (Alcée) المتوفى سنة ٦٠٤ قبل المسيح والشاعرة صافو ازهرت في القرن السادس قبل الميلاد والشاعرين المفلقين بنداروس (من ٥٢٠ الى ٤٤٠ ق م) وميننذرس (†٢٩٠ ق م) وهيبريدس الخطيب (†٣٢٢) . واعزّ من ذلك ما وُجد من هَزْليات هيروندا س (من شعراء القرن الثالث ق م) وقصائد باشيليدس († ٤٣٠) ومنظومات طيموثاوس الميلطيّ (†٣٥٧) . وكلّ هذه الآثار من نُخب مؤلّفات الاقدمين تلطّف أسفنا على الكثير ممّا اضاع الدهر من نتائج فكرتهم الوقّادة . والبعض من هذه المصنّفات لشعراء ما كنّا نعرف غير اسمائهم . والامل معقود على اكتشاف غيرها

اما القسم الثاني فهو وان كان خارجاً عن دائرة المؤلفات الادبيَّة كثير الجدوى عميم الفوائد فضلًا عن وفرة موادّهِ فترى بين هذه الصحائف المكتشفة أُلوفًا من الكتابات الشرعيَّة كالصكوك والسندات والوثائق والاوامر والتبليغات والمعاهدات والوصايا والمعاريض والقرارات واوراق الدعاوي والاستنطاقات والاحكام يُضاف اليها رسالات اهليَّة شتّى وبطاقات للدعوات ولوائح للاعياد واوصاف للحفلات المدرسيَّة ونصوص للتمائم والسحريات وغير ذلك ممَّا يطول وصفهُ

وهذه الاوراق مكتوبة بيد قومٍ كانوا يعربون عن احوالهم وافكارهم ومعاملاتهم اليوميَّة يُجرون اقلامهم دون تصنُّع كما يلهمهم قلبهم او تقتضيهِ امورهم ليس كما يفعل الكتبة الذين لا يقدمون على الكتابة الّا بعد الرأي الفطير والفكرة الطويلة ويصلحون مرارًا ما كتبوا . فترى من آثار اولئك صورةً صادقة لكافّة امورهم الطارئة يصفون ماجرَّياتهم يوماً بعد يوم لا يشغلهم البتَّة في اصلاحها انتقاد المنتقدين ولا يفكرون في القال والقيل وغاية ما يقصدون ان يترجموا عن احوالهم الحاضرة وحياتهم الجارية ومعاملاتهم المتداولة ففي لغتهم الدارجة وتعابيرهم الاصطلاحيَّة ما هو افيد لتمثيل شؤونهم

فلولا هذه الصحائف الجديدة لما عرفنا مثلًا من امر الدوائر الحكميَّة في مصر على عهد البطالسة والرومان غير اسماء عمَّالها . اما الآثار المكتشفة حديثًا فانَّها تفيدنا التفاصيل الواسعة عن نظام تلك الدوائر وامتيازات ذويها وخواص كلٍّ من اصحابها مع بيان فرائضهِ وحقوقهِ وعلاقاتهِ وتصرُّفهِ في اعماله مع رؤسائهِ وزملائهِ وعمَّالهِ الخاضعين لامرهِ وربَّما تبعناهُ في حركاتهِ وسكناتهِ وبقيَّة احوالهِ من عدلهِ او جورهِ رفقهِ او خرقهِ نزاهتهِ او طمعهِ

وكذلك افادتنا الصحف البرديَّة احوال البلديَّات ومجالسها وطبقاتها وما يحقُّ عليها لبيت المال من الضرائب وما يترتَّب عليها من تنظيم امور كل بلد وتوثير طرقهِ وترميم ابنيتهِ . وفي بعض هذه الاوراق وصف جلسة من جلسات اعضاء البلديَّة واختلاف آرائهم في ما يُعرَض عليهم من الامور وجلَبة قومٍ منهم اذا ما خافوا ان تُبخس حقوقهم فتسمع واحدًا منهم يتبرَّأ من مسئوليَّة بعض الدعاوي وآخر ينسب الخلل الى غائب وثالثًا يستعطف المجلس ويطلب تخفيف المؤونات عن عاتقهِ

ويلحق بما سبق افادة اخرى اعمّ واشمل نريد ماليَّة مصر وقد وصفنا في المشرق (٩ : ٢٨٣) كتابًا للمسيو هنري مسپرو ابن الاثريّ الشهير في ماليَّة مصر ومواردها ومحصولاتها من مكوس ورسوم واحتكارات على عهد الفراعنة ثمَّ في ايَّام البطالسة والرومان مع ما لحقها من التحسُّنات دولة بعد دولةٍ . وكانت الاحتكارات خصوصًا غاية في النظام لما كان يكسبهُ منها بيت المال . وكانت اصنافًا منها لتربية المواشي والحيوان كالخنازير والإوزّ ومنها للصناعة ومنها للزراعة وكان بعضها مطلقًا وغيرها محصورًا . وكان الملك محتكرًا لزيت السمسم وزَيت الخروع وكان يعيّن لكل قضاء ما يجب على اهلهِ ان يزرعوهُ من الحبوب . وكذلك كانت قوانين مقرَّرة لاستثمار المزروعات والغابات وانشاء المعامل . وكانوا يحتكرون للمنسوجات القطنيَّة والصوفيَّة والخمر والمشروبات وللصيد وللخشب وللنطرون وللملح وللمرّ . وكانت الاموال الاميريَّة والجبايات والخراج كلّها على نظام تامّ . وكان للدولة حقوق على الاملاك وعلى الابنية وايجارها وعلى مال الخاصَّة وعلى الشركات وعلى ارباب الدَّين وعلى ادوات الشغل وعلى الحيوانات الاهليَّة تقتضي على كلّ ذلك رسومًا معلومة . وزد عليها ما كانوا يجبونهُ من الدواوين والمبايعات وحقوق الوراثة مع ما كانوا يجمعونهُ من الجوائز النقديَّة

والاستصفاءات والتسخيرات . وكان لكل هـذه الاعمال عدد لا يُحصى من العمّال يقومون بها قياماً مدقّقاً ليعمروا بيت المال

وممّا اوقفتنا عليهِ تلك المطمورات احوال الدين في مصر . فانّ الصُّحف البرديّة تذكر اسماء الآلهة على اختلافها وتعدّدها مع ما يُقام لها من المواسم . وفيها ذكر الكهنة القائمون بسداناتها مع اسماء الكواهن المختصّات بمذابحها . ثم يليها اسماء كلّ الرتب الدينيّة واصحابها الى آخر وافهٍ يخدم في هياكل اصغر المعبودات . وفي الصُّحف ذاتها فوائد متفرّقة تعلم بسلوك الكهنة واخبارهم وتصرُّفاتهم بعضهم مع بعض ومع الغرباء . فمن ذلك عدّة اوراق وُجدت في امر اختين شقيقتين ابنتي رجلٍ مصادقٍ لناسك تعبّد للاله سيرابيس وانقطع لخدمتهِ في هيكل منف . فلمّا مات الرجل سنة ١٦٥ قبل المسيح خلّف الابنتين واسمها طاويس وطاوس فطردتهما امهما نيفوريس وغصبت اموالهما . فما كان من امر الفتاتين الّا انهما التجأتا الى الناسك الـذي اهتمّ بامرهما وخصّهما براتب من اوقاف الهيكل بدلًا من خدمٍ وكلّهما بهـا في هيكل سيرابيس وكان هذا الراتب ارغفةً من الخبز مع شيء من الزيت . الّا انّ بعضاً من عمّال الهيكل حسدوا الفتاتين على ذلك وقطعوا عنهما راتبهما . فقدّمتا المعاريض للرؤساء منها معروض للفرعون بطلميوس فيلوميتر يطلبـان حقوقهما . فحكم لهما بطلميوس وامر بتعويض ما خسراهُ قبلًا . ثمّ عاد اعداء الفتاتين في السنـة التالية وزاحموهما في مالهما فاضطرّتا الى العود الى معاريضهما لذوي الامر . وكلّ هذه الاوراق لا تزال محفوظةً وهي من انشاء الناسك

وفي صحيفة اخرى من البرديّ — ومثلها مئات — ذكر العبادة التي كانوا يقدّمونها لتمساح مقدّس اسمهُ پتيسوخوس . وذلك انهم كانوا اذا ارادوا التقرُّب اليهِ يحشون فاهُ باللحم المشويّ وباقراص الخبز السميذ والسكنجبين . وكانوا اذا مات هذا الاله الغريب يدفنونهُ في قبرٍ خاصّ بهِ وبنسلهِ ثمّ يجعلون راتباً معلوماً لمن يقدّم لهُ الضحايا بعـد موتهِ ويوقد المشاعل امامهُ في ايّام معيّنة

ومن هذه الصحائف ما يدخلنا في حياة المصريين الاهليّة ويمثّل عاداتهم اليومية . مثال ذلك شكوى قدّمتها امرأة لحاكم تطلب منهُ ان يردّ لها مِلاءَة اختلسها يهوديّ فاخفاها في كنيسهِ . ومثلها شكوى اخرى لامرأة تدعى سيرا تتظلّم من بعلها الذي اوسعها شتماً وضرباً ثم سلبها صداقها . وشكوى ثالثـة لبائعة بقول اسمها طرموثيس

تشكو الى قاضٍ زميلتها طاورسانوفيس التي مزّقت ثوبها وكساءها . او رقعة سيّدة تطلب من الوالي عقاب صاحب الحمّام الذي احمى الماء الى درجةٍ بالغة فاحترق بحرارته بدنها

وهناك مجموع آخر من الاوراق تحتوي مراسلات اهليّة غاية في الحسن والرقّة نختار منها بعض امثلة لفائدة القرّاء . فمن ذلك كتاب من جندي الى امّه ليستعطفها وينال منها شيئاً من الدراهم :

الى امّي العزيزة اهديها الف سلام . قبل كلّ اتمنّى لكِ الصحّة التامّة انت واهلكِ . ثمّ ارجوك عند وصول هذه الرسالة ان ترسلي اليَّ ٢٠٠ درهم . لمّا قدم اليَّ اخي جمالّوس كان لديَّ ٢٠ قطعة من الفضّة امّا الآن فلم يبق عندي شيء لاني ابتعت عجلةً يسوقها البغل فصرفت فيها كلّ دراهمي . كتبت هذا لتكوني على بصيرة . ارسلي اليَّ ايضاً كساءً وطاقيّتين وثياباً من الجلد ومصدغتين ولا تنسي مصروفي الشهريّ . قلتِ لي عند الوداع : قبل وصولك الى فرقتك ارسل لك كلّ شيء مع اخيك وها انك لم ترسلي شيئاً فكيف طاوعكِ قلبك ان تتركيني دون مصروف كأني احد كلاب الازقّة . زارني ابي ولم يُعطني شيئاً لا كساءً ولا غيرهُ وها انّ الجميع يسخرون بي ويقولون انَّ اباهُ في الجنديّة مثلهُ ولم يتكرّم عليهِ بشيء وانتِ كذلك قد نسيتِني . فلماذا ؟ انّ امّ جارنا ڤالاريوس ارسلت اليهِ منطقتين وجرّة زيت وسلّة لحم ومئَتي درهم . فالرجاء كلّ الرجاء ان لا ابرح من بالكِ فتساعديني بالمصروف لاني قد استدنتُ دراهم من احد رفقتي . . . .

ودونك بطاقة لسيّدة تدعو صديقتها الى عيد :

السلام يا سيّدة «سَرِينيا» من قبل صديقتك پتوزيريس . اسعي غاية ما امكن لكي تأتينا لعيد الإله السنويّ وأعلميني ايكون مجيئكِ بحرًا او برًّا على حمار لأرسل اليكِ من يلاقيك . لا تنسي . اتمنّى لك العافية الطويلة

واظرف من هذه رسالةٌ كتبها ولد صغير مدلَّل يُدعى طاوُن الى والدهِ :

طاون الى والده سلام . اتظنّ انك عملت باللطف اذ ذهبت الى المدينة ولم تأخذني معك . اعلم انك ان سرت الى الاسكندريّة دوني لا اعود اكتب اليك ولا اكلّمك ولا اصبّحك . نعم ان رحلت الى الاسكندريّة لن اصافحك ولا اهديك السلام مطلقاً . هذا ما افعلهُ ان لم تأخذني معك . قالت امّي لارخلاوس : ان كان ابوهُ لا يصحبهُ معهُ سوف تقوم قيامتهُ . اشكر لطفك على الهديّة التي ارسلتها لي اليوم الثاني عشر من سفرك . ارجوك ان تهدي اليَّ عودًا لأتعلّم الدقّ . ان لم تفعل لا اعود آكل ولا اشرب . خاطرك وعافية تامّة

كفى بهذه الامثلة دليلًا على ما تتضمّنهُ تلك الالوف من الاوراق فانّ فيها من

الفوائد الجمّة لتصوير احوال تلك الازمنة السالفة ما يستفزّ همّة العلماء فلا يدّخرون وسعهم في ادراك مضامينها رغماً عمّا يتكلّفونهُ من الاتعاب في قراءتها (١

نوم القائلة

للدكتور فيلبب افندي بركات

ربّما تسآل الناس عن القيلولة اي النوم بعد الظهر أتوافق الصحّة ام لا . فيجيب الاطباء عن هذا السؤال بعضهم بالانكار وبعضهم بالايجاب وللفريقين براهين سديدة يصحّ قبولها اذا نظرنا فيها الى الاحوال الشخصيّة

وانك سترى في بحثنا عن الحركة وفعل الهضم فوائد تجعلك حكماً عادلًا فانظر يا رعاك الله عادات الحيوانات بعد الاكل انها ترتاح لا بل تنام واذا اطعمتَ الكلب مثلًا تراهُ شتاء يقصد زاويةً دافئة وصيفاً مكاناً بارداً فيرتاح . وتشاهد الاطفال انهم ينامون بعد الرضاعة ولكن الحكم القاطع في هذا البحث هو للعالم الفرنساوي كلود برنارد انهُ اطعمَ كلبين من كلاب الصيد أكلتين بوزن واحد ثم حبس احدهما في بيتهِ واخذ الآخر للصيد وعند المساء ذبح الكلبين وفحص معدتيهما فكانت معدة الكلب المحبوس فارغة ومعدة الكلب الاخر ملآنة طعاماً غير مهضوم

فما قولك في هذا الامتحان البسيط ألم يقنعك ان الراحة بعد الطعام مسهّلة لفعل الهضم ؟

وقد ترى بعض الاشخاص يعسر هضمهم للطعام الّا اذا ارتاحوا بعدهُ فلا يشعرون بصداع ولا بقيءٍ ولا بوجع . ورأى طبيب مريضاً لا يهضم طعامهُ الّا اذا اكل مستلقياً على ظهرهِ والّا شعر بأرق وتُخمة وخفقان قلب وثقل وامتلاء في المعدة . واكثر

١) هذه بعض مقالات نشير بمطالعتها على من يحبُّ الاطّلاع على محتويات اوراق البردي :
Archiv für Papyrusforschung. = **N. Hohlwein**: *La Papyrologie grecque,* Louvain, 1905 = Bulletin papyrologique par **S. de Ricci** (Revue des Etudes Grecques) = Chronique des Papyrus par **Jouguet** (Revue des Etudes anciennes).

الناس يمشون بعد الاكل او يلعبون ليساعدوا فعل الهضم . وقد فتح احد الاطباء معدة مريض لعمل جراحي فلاحظ ان حرارة معدتهِ ترتفع اذا مشى وتسهل هضمهُ . وفي فرنسة جمعيّة صحيّة يرأسها طبيب اسمهُ ماجندي غايتها ملاحظة الشروط الصحيّة في الخيل فهي تقول ان الفرس الذي يركض أسرع هضماً من الفرس المربوط

وقد يحتمل بعضهم دون ضرر ظاهر حركاتٍ عنيفة يأتونها بعد الاكل . اماَ رأيتَ الاولاد يُجبرون في اكثر المدارس على اللعب بعد الظهر لكنّي اظن ان فيهم من ينزعج ويتأخر هضمهُ للطعام على مثال الكلب الذي أُخذ للصيد ومع هذا وذاك استميح عفوًا من سادتي رؤساء المدارس واسألهم الّا يظنوا ان مقالتي غايتها منع الاولاد عن اللعب بعد الاكل فالكسالى لا يُبنى عليهم حكم ولكل مزاج راي يراهُ الطبيب واذا شئتَ قل معي ان الناس في الهضم ثلاثة اقسام:

القسم الاول : هو الذي لا يتأثر من الحركات بعد الاكل ولو كانت عنيفة ويدخل في هذا القسم الاولاد والمراهقون وبعض الشبّان الذين يشتغلون الاشغال اليدويّة اقول بعضهم لا كلّهم لان بعض الفعلة يتغدّون ثم يرتاحون متشاغلين بالتدخين او بشرب القهوة ساعة من الزمن . وقد رأيت الفلاحين خصوصاً ابان الحصاد ينامون تحت كل شجرة كما ينام التاجر او الكاتب في بيتهِ او مخزنهِ

ويدخل في القسم الثاني الشبان الاصحّاء الجسم ذوو المِعَد الجيدة فعلى هؤلاء ان يتنشّقوا الهواء بعد الاكل ماشين او راكبين الهوينا

اما اصحاب المزاج الدموي السمان الاجسام ذوي الرقاب القصيرة الغليظة فعليهم بالحركة والتمرين المعتدل بعد الاكل فرارًا من الموت الفجائي والامراض الناتجة عن قلة الحركة الدمويّة لكنّي انصحهم الّا يتجاوزوا حدود الحركة بالتعب وان يرتاحوا ربع ساعة بعد الاكل قبل ان يُقدموا على حركة . اما الشغل العقلي بعد الاكل فغاية في الضرر يعسّر الهضم كما تراهُ في كل من قرأ كتاباً او كتب على ورقة . ويقول المثل اللاتيني : المعدة الملأى لا تشتغل بحرّية . لكن ان شئتَ ايها الذكي الشغل بعد الاكل فاتخذهُ بعد راحة عشر دقائق مستلقياً على كرسي متمدّد الرجلين رافع الرأس متحدثاً او قارئاً مثل هذه المجلة منتقدًا لمقالتي

اما القسم الثالث وهو الذي يكثر عددهُ كل يوم بفضل تقدّم العصر (وكاتب

الفوائد الجمّة لتصوير احوال تلك الازمنة السالفة ما يستفزّ همّة العلماء فلا يدّخرون وسعهم في ادراك مضامينها رغماً عمّا يتكلّفوهُ من الاتعاب في قراءتها (١

نوم القائلة

للدكتور فيليب افندي بركات

ربّما تسآل الناس عن القيلولة اي النوم بعد الظهر أتوافق الصحّة ام لا . فيجيب الاطباء عن هذا السؤال بعضهم بالانكار وبعضهم بالايجاب وللفريقين براهين سديدة يصحّ قبولها اذا نظرنا فيها الى الاحوال الشخصيّة

وانك سترى في بحثنا عن الحركة وفعل الهضم فوائد تجعلك حكماً عادلًا فانظر يا رعاك الله عادات الحيوانات بعد الاكل انها ترتاح لا بل تنام واذا اطعمتَ الكلب مثلًا تراهُ شتاء يقصد زاويةً دافئة وصيفاً مكاناً باردًا فيرتاح . وتشاهد الاطفال انهم ينامون بعد الرضاعة ولكن الحكم القاطع في هذا البحث هو للعالم الفرنساوي كلود برنارد انهُ اطعمَ كلبين من كلاب الصيد أكلتين بوزن واحد ثم حبس احدهما في بيتهِ واخذ الآخر للصيد وعند المساء ذبح الكلبين وفحص معدتيهما فكانت معدة الكلب المحبوس فارغة ومعدة الكلب الاخر ملآنة طعاماً غير مهضوم

فما قولك في هذا الامتحان البسيط ألم يقنعك ان الراحة بعد الطعام مسهّلة لفعل الهضم ؟

وقد ترى بعض الاشخاص يعسر هضمهم للطعام الّا اذا ارتاحوا بعدهُ فلا يشعرون بصداع ولا بقيءٍ ولا بوجع . ورأى طبيب مريضاً لا يهضم طعامهُ الّا اذا اكل مستلقياً على ظهرهِ والّا شعر بأرق وتخمة وخفقان قلب وثقل وامتلاء في المعدة . واكثر

١) هذه بعض مقالات نشير بمطالعتها على من يحبّ الاطّلاع على محتويات اوراق البردي :

Archiv für Papyrusforschung. = **N. Hohlwein**: *La Papyrologie grecque,* Louvain, 1905 = Bulletin papyrologique par **S. de Ricci** (Revue des Etudes Grecques) = Chronique des Papyrus par **Jouguet** (Revue des Etudes anciennes).

الناس يمشون بعد الأكل او يلعبون ليساعدوا فعل الهضم . وقد فتح احد الاطباء معدة مريض لعمل جراحي فلاحظ ان حرارة معدته ترتفع اذا مشى وتسهل هضمهُ . وفي فرنسة جمعيّة صحيّة يرأسها طبيب اسمهُ ماجندي غايتها ملاحظة الشروط الصحيّة في الخيل فهي تقول ان الفرس الذي يركض أسرع هضماً من الفرس المربوط

وقد يحتمل بعضهم دون ضرر ظاهر حركاتٍ عنيفة يأتونها بعد الاكل . اماَ رأيتَ الاولاد يُجبرون في اكثر المدارس على اللعب بعد الظهر لكنّي اظن ان فيهم من يتزعج ويتأخر هضمهُ للطعام على مثال الكلب الذي أُخذ للصيد ومع هذا وذاك استميح عفواً من سادتي رؤساء المدارس واسألهم ألّا يظنوا ان مقالتي غايتها منع الاولاد عن اللعب بعد الاكل فالكسالى لا يُبنى عليهم حكم ولكل مزاج راي يراهُ الطبيب واذا شئتَ قل معي ان الناس في الهضم ثلاثة اقسام:

القسم الاول : هو الذي لا يتأثر من الحركات بعد الأكل ولو كانت عنيفة ويدخل في هذا القسم الاولاد والمراهقون وبعض الشبّان الذين يشتغلون الاشغال اليدويّة اقول بعضهم لا كلّهم لان بعض الفعلة يتغدّون ثم يرتاحون متشاغلين بالتدخين او بشرب القهوة ساعة من الزمن . وقد رأيت الفلاحين خصوصاً ابان الحصاد ينامون تحت كل شجرة كما ينام التاجر او الكاتب في بيتهِ او مخزنهِ

ويدخل في القسم الثاني الشبان الاصحّاء الجسم ذوو المِعَد الجيدة فعلى هؤلاء ان يتنشّقوا الهواء بعد الاكل ماشين او راكبين الهوينا

اما اصحاب المزاج الدموي السمان الاجسام ذوي الرقاب القصيرة الغليظة فعليهم بالحركة والتمرين المعتدل بعد الاكل فراراً من الموت الفجائي والامراض الناتجة عن قلة الحركة الدمويّة لكنّي انصحهم ألّا يتجاوزوا حدود الحركة بالتعب وان يرتاحوا ربع ساعة بعد الاكل قبل ان يُقدموا على حركة . اما الشغل العقلي بعد الاكل فغاية في الضرر يعسّر الهضم كما تراهُ في كل من قرأ كتاباً او كتب على ورقة . ويقول المثل اللاتيني : المعدة الملأى لا تشتغل بحريّة . لكن ان شئتَ ايها الذكي الشغل بعد الاكل فاتخذهُ بعد راحة عشر دقائق مستلقياً على كرسي متمدّد الرجلين رافع الرأس متحدثاً او قارئاً مثل هذه المجلة منتقداً لمقالتي

اما القسم الثالث وهو الذي يكثر عددهُ كل يوم بفضل تقدّم العصر (وكاتب

هذه السطور من عبيد هذا القسم) فانا من جملة الذين اذا اكلنا شعرنا بارتخاء في العروق يرمينا غصباً عنّا على أسرّتنا فننام. وهذه الحالة اراها متعلقة بثلاثة اسباب:

اولها: كثرة الاكل: انهُ من المحقق كون هذا التأثير هو نتيجة غذاء كثير فاذا اعتدلنا قاومنا هذا الكسل الاغتصابي لكن هذه الغلبة غير مقررة ابدًا رغمًا عن قلّة الاكل

ثانيها وقت الاكل وحالة تعب الشخص خصوصاً التعب العقلي: غير خافٍ ان شغل النهار وبالأخص الشغل الدماغي يخزن في الجسم مواد منوّمة لا نعرف ماهيتها لكن فعلها الحقيقي يظهر جليًا في جسمٍ اضناهُ الضعف العصبي بسبب تعب سابق او فعل هضمي

ثالثها حالة الشخص العامّة والهضميّة: ان اصحاب المزاج العصبي النحيفي البنية الفقراء الدم لا يمكنهم الّا الاستراحة بعْد الاكل

الخلاصة: في كل الاحوال يجب الاعتدال في الاكل والنظام في توقيتهِ ومعالجة الصحة العامّة واستنهاض الصحة العصبية واني اشير بقيلولة قصيرة (نصف ساعة على الكثير) فانها لا شك مفيدة. والانسان في هذا الشأن حكيم لنفسهِ فاذا كان النوم خفيفًا هادئًا قصيرًا وشعر النائم بعد افاقتهِ انهُ استراح جسمًا فالنوم أصاب المرمى في مساعدة فعل الهضم وهذه هي غالبًا حالة من اشتغل عقلًا من الصباح الى الظهر شغلًا هامًا. واما اذا كان النوم غير هادئ ثقيلًا تقلقهُ الاحلام وافاق النائم وهو تعبان وفمهُ ناشف ورأسهُ ثقيل فهذا ناتج عن غذاء ثقيل او كثير

واني لأُقاومنّ النوم في اصحاب الامراض القلبيّة ذوي العروق المستصلبة المعرّضين لداء النقطة السمان الاجسام لكني اشير عليهم بالراحة قبل الاكل فانها اليهم غاية في الافادة

اليك الآن تعليل اسباب النوم بعد الاكل. ان الدم وقت الهضم ينحدر غزيرًا الى المعدة او بالأحرى الى كل الجهاز الهضمي فيحصل بذلك فقر دموي وقتي ونسبيّ في سائر الاعضاء فيتأثر من ذلك الجهازُ العصبي خصوصاً الدماغ ويحصل بعدهُ ردود فعليّة في الاوعية الدموية مصدرها المعدة فيتعب الجسم وتذبل قواهُ وينام

وكل حركة من شأنها ان تجعل احتقانًا دمويًا في احد الاعضاء وتقلل كميّة الدم في

المعدة تؤخر فعل الهضم وبالتالي تجعلهُ عسيرًا وان كان الجسم صحيحاً مثل جسم الولد او الشاب الدموي انحدر الدم غزيرًا الى المعدة والحركة عندئذٍ لا تضرّ لا بل هي نافعة واما اذا كان الجسم متعوباً منهوكاً فقير الدم فالانحدار الدموي المذكور لا يكون كافياً ليقوم بوظيفتين كبيرتين اعني بهما الراحة الجسميَّة العامَّة والفعل الهضمي فعلى الانسان ان يختار احداهما. والطبيعة وحدها تخولنا ان نطلب ما يوافقنا فنرتاح او نتحرَّك

وانك ستعلم من بعض الحوادث الطبية ان هذا التوازن الدموي لا بدَّ منهُ واذا احببتَ نذكر لك بالختام قصَّة مريض كنَّا نعالجهُ لعسر هضمٍ مزمن واستفراغ دموي وهو عصبي المزاج فهذا كان كلما شرب لبناً (حليباً) شعر ببرودة شديدة في اطرافهِ فدُعينا اليهِ يوماً ما واذا هو يتلجلج بلسانهِ لا يمكنهُ التكلُّم ولا الكتابة وبقي في هذا العارض نحو خمس او ست ساعات الى ان تظاهرت فيهِ اواخر الافعال الهضميَّة فشفي تماماً

(المشرق) نقل البشير في عددهِ الاخير الصادر في ٤ شباط فصلًا لاحد العلماء قدَّمهُ الى جمعيَّة العلوم الافرنسيَّة وفيهِ تقرير ضافٍ في فوائد النوم الليلي والنوم النهاري بعد اختبارات متعددة اجراها على اناس مختلفين فأحببنا ان نلخص النتائج التي استخلصها من ملاحظاتهِ فنضيفها الى المقالة السابقة لتزيد فائدتها. قال:

١ً ان النوم في النهار اقل فائدة من النوم في الليل والراحة التي يولدها القَيل في الجسم قليلة بالنسبة الى الراحة التي تنتج عن النوم في الليل

٢ً ان كل حركات الجسم الانساني التي تدخل في نوم الليل براحة تامة تكون في نوم النهار عرضة للاضطراب والقلق

٣ لا يستغرق الانسان في نوم النهار استغراقه في نوم الليل ما لم يكن فيهِ اختلال في نظام الجهاز العقلي او الجسدي

٤ً تتمكن العادة من زيادة وقت النوم في النهار دون ان يعادل مدة نوم الليل ومع ذلك فيقتضي اسابيع واشهر حتى تتملك هذه العادة في الانسان. وكأن بين شدة النوم وظلام الليل علاقة خفيَّة. حال كون النوم في النهـار لا يكون غالباً الَّا نوماً مقصـودًا

٥ً ان الاحلام في نوم النهار تكون اوضح واجلى منهـا في نوم الليل وتحفظها الذاكرة بسهولة وتكون اليقظة اسرع والهجوع اقل طولًا من رقاد الليل

ونتيجة كل ذلك انهُ ينبغي على الانسان ان يعتاد على قضاء ليلهِ في فراشهِ ويصرف نهاره في عملهِ وان الذين يسهرون الليالي الطوال ما هم الَّا من اصحاب الغرور يعملون بنفسهم على نقض دعائم صحتهم وملاشاة قواهم العقليَّـة والجسديَّة . لم يختلف على حقيقة هذا المبدا الراهن اثنان وها ان العلم اتى مثبتاً هذه الحقيقة بنورهِ الساطع

آلهة بعلبك الثلاثة والادلَّة عليها

بحث جديد في امر الثالوث البعلبكي

للاثري الاديب ميخائيل افندي موسى الوف

كتب منذ بضع سنين الاثري الشهير العلامة پردريزه في مجلَّة الدروس القديمـة بان البعل الايليوبولي (البعلبكي) لم يكن منفردًا بالوهيَّتهِ وواحدًا في اقنومهِ بل كان ثالوثًا كغيرهِ من الآلهة الفينيقيَّة . ولكن لم يترك لنا التاريخ ذكرًا لشريكي البعـل في الالوهيَّة ولم يبقَ الَّا البحث في ما تركهُ اليونان والرومان من الآثار عن الآلهـة التي استبدلوا بها تلك الالهة الوطنيَّة كما جرت بذلك عادتهم . فاستدلَّ من كتابة وُجدت في اثينـا ان هذا الثالوث كان مؤلفًا من جوبيتر (المشتري) وڤينوس (الزهرة) ومركور (عطارد) . وقد أيدت ظنونـهُ الابحاث التي اجراها حضرة الاب سبستيان رونزڤال في آثار مسجد بعل مرقُد في دير القلعة فوق بيروت حيث وجد كتابة اخرى مقدَّمة للاله البعلبكي باسمائهِ الثلاثة « الى جوبيتر الكبير العظيم الايليوبولي وڤينوس ومركور . . . الخ (١ » . فتحقق المسيو پردريزه وجود الثالوث في معبود بعلبك وتأكدت لهُ معرفة اسماء اقانيمهِ بلا مراء . وزادهُ تأكيدًا في ذلك كتابـة اخرى وجدت في قرية ترلهوزن في امارة هسّ من بلاد المانيـا مفتتحة بتقدمة الى الثالوث البعلبكي جوبيتر وڤينوس ومركور (٢ . وفضلًا عن ذلك وقف الاب لويس جلابرت مؤخرًا على كتابـة من قرية الشويفات مهداة الى الآلهة الثلاثة المنوَّه بها (٣

---

١) Les dossiers de P. J. Mariette — Note sur la Triade adorée à Héliopolis, par **P. Perdrizet**, page 35.

٢) M. F. Cumont, *Cf*. Musée Belge, 1901, p. 149.

٣) *Cf*. Inscript. Grecques et Latines de Syrie. (Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale de l'Univ. S[t]-Joseph), p. 178.

غير انــهُ مما كان يدهشنا ان هذه الكتابات وُجدت كلها خارج بعلبك واما في المدينة التي كانت مركز عبادة هذا الثالوث والتي منها انتشرت في جميع الاصقاع فلم يوجد ولا كتابة واحدة تذكر الآلهة المذكورة معاً او تذكر واحدًا منها — ما عدا كبيرها جوبيتر — على انفراد حتى ولا في ما ظهر بالحفريات الالمانية الحديثــة من الكتابات العديدة فليس بينها واحدة تنوّه باسم ڤينوس او مركور . واكثرها تقتصر في التقدمة « الى جوبيتر الكبير العظيم الايليوبولي » . فكيف غفل بناة الهيكل ومزينوهُ بالتحف والتماثيل عن شريكي جوبيتر بالتكريم والعبادة وضريبَيهِ في تمثيــل البعل الوطني ولم يذكروا لهما اسماً على نَصَبٍ او على قاعدة من قواعد العُمُد حتى خفي على العالَم أمرهما لو لم تكشفهُ كتابات اثينة وتِرِهوزن ودير القلعة واخيرًا كتابة الشويفات ؟

ان هذا الغموض شغــل فكر حضرة الاثري الفاضل الاب لويس جلابرت فاخذ يدرس بتدقيق الكتابة الكبيرة المنقوشة مكررةً على ثلاث قواعد من اعمدة الرواق المقدم الذي هو المدخل الفخيم لهيكل بعلبك العظيم . وكان يرى في القراءة التي وضعها علماء الآثار لتلك الكتابة ريبةً وشكًا . فانهم اتفقوا على ان جملة التقدمة الباقية اثارها على القواعد — وهي : الخ ... M. DIIS HELIOPOL. PRO SAL — فُقد من اولها حرفان وهما .I. O مما يوجب قراءتها على هذا الوضع : « الى جوبيتر العظيم والى آلهة ايليوبوليس لسلامة . . الخ » . او انها كانت هكذا M (agnis) DIIS HELIOPOL. PRO SAL... « الى الهة ايليوبوليس العظيمة لسلامة . . . »

فبعد ان امعن حضرتهُ جيدًا في الكتابة وقاس ما تهشّم من اولها وحسب عــدد الحروف المفقودة تأكد لهُ بكل حقٍّ وصواب انّ المفقود من اول الكتابة خمســة حروف وهي .I. O. M. H. V وأن الحرف .M الباقي الآن في اولها مُقتَطعٌ من كلمة مركور (عطارد) . عليهِ فانّ الجملة الافتتاحيَّة في كتابات الرواق يجب ان تقرأ هكذا « الى جوبيتر الكبير العظيم الايليوبولي وڤينوس ومركور آلهة ايليوبوليس لسلامة . . . الخ » . وعلاوةً عليــهِ قد وجد حضرتهُ آثار حرف .V (وهو الحرف الاول من كلمة ڤينوس) ظاهرةً بوضوح على الحجر في احدى الكتابات وبعدهُ نقطةٌ تنفصلهُ عن الحرف الباقي .M (وهو المقتطع من كلمة مركور) . ومما زادهُ يقيناً في رأيهِ ان الكتابة المذكورة كانت في الزمن الذي زار فيهِ السائح دلاروك بعلبك (سنة ١٧٢٢) اكثر حفظاً

فنسخها السائح المذكور هكذا: الخ· ..M. V. M. DIIS HELIOPOL. PROSVL كما وان النسخة التي بعث بها قنصل طرابلس الشام الفرنسوي المسيو بولارد الى الكونت بونشارترن في ٢ تشرين اول سنة ١٧٠٥ وان تكن مغلوطة قد حفظت الاحرف التي تدلُّ على اسم ڤينوس ومركور (١ فكان ذلك مصداقاً على راي حضرتهِ في اعادة الكتابة لاصلها ودليلًا قاطعاً على أن الرومان لم يهملوا تماماً نقش اسماء الالهة المؤلفة للثالوث البعلبكي في الهيكل الذي تخصص لتكريمهم في بعلبك والذي انتشرت منهُ عبادتهم في سائر الانحاء الامبراطوريَّة الرومانيَّة· وقد ارتأى الاب المومأ اليهِ ورأيهُ قريب الى الصواب ان الاله البعلبكي كان يمثَّل في اول الامر بجوبيتر وڤينوس الى اوائل القرن الثالث ثم أُضيف اليهما مركور واصبح الاله المذكور مثلَّثاً · ولهذا السبب ندرت الكتابات التي تذكر اسم مركور مع جوبيتر وڤينوس لان عبادتهِ لم تأتِ الّا في زمن متأخر· ولكننا نظن بانهُ عدا عن السبب المتقدم ذكرهُ كان اصحاب الكتابات يكتفون بنقش التقدمة لكبير الالهة جوبيتر فكأنَّ اهميَّتهُ وعظمتهُ في نفس هياكل بعلبك غلبت على ما سواه وكانت السبب الاعظم لاغفال اسم رفيقيهِ ڤينوس ومركور وهما دونهُ في المقام· وشاهدنا على ذلك ان اسم ڤينوس لم يأتِ ولا في كتابةٍ من الكتابات مع جوبيتر فقط · وشاهدنا ايضاً كتابة على قاعدة تمثال وجدت في الحفريات المتأخرة من زمن الامبراطور غورديانس وهو من امبراطرة اواسط القرن الثالث للمسيح· وكلمات الاهداء فيها مخصصة «لجوبيتر الكبير العظيم الايليوبولي» فقط دون سواه بهذا النص I. O. M. HEL. PRO SALVTE D. N. IMP. CAESAR. M. ANT. GORDIANI الخ·

*

ولما كان ما اوردناهُ من الكتابات الدليل الوحيد على عبادة الاله عطارد (مركور) في هيكل بعلبك (اذ لم يأتِ ذكرهُ قبلًا في نصٍ قديم ولولا مباحث المسيو پردريزه والاب جلابرت لبقي امرهُ مجهولًا) فقد اسعدنا الحظ وعثرنا من زمن قريب على دليل آخر لعبادة مركور في هذه المدينة · اتفق لنا ان نلمح حجرًا كبيرًا مغروزًا في

(١ اطلب Inscript. Grecques et Latines de Syrie. (Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale de l'Univ. S^t. - Joseph, Beyrouth من وجه ١٧٥ الى وجه ١٧٨

اسفل بناء موقعهُ وراء الكنيسة الكاتدرائيَّة حيث كان سور المدينـة الجنوبي وعلى الحجر اثار كتابة فنظَّفناهُ واذا عليهِ كلمتان فقط محفورتان حفرًا عميقًا وجليًّا باللغـة اللاتينيَّة وتعريبهما « الاله مركور »

ΔEO
MERCYR.
*

وتحت هذه الكتابـة علامة كان يستعملها المسيحيون الاقدمون للدلالة على الصليب (١ ونظن انها حُفرت في زمان متأخر وقد استُعملت في هذه الكتابة اللاتينيَّة بعض الحروف اليونانيَّـة كما يُرى ذلك في كثير من الكتابات التي حُفرت في اواخر القرن الثالث . فمن ذلك ومن هيئة حروفها نرجح انهـا نُقشت في ذلك القرن . امَّا نسبة هاته الآلهة الغريبة للآلهة الوطنيَّة فقد وضح باجلى بيان ان جو پيتر كان يمثّل البعل . والزُهَرَة ڤينوس كانت تنوب عن عشتروت . امَّا الإله مركور فالى الآن لم يظهر وجه نسبته لمثله من آلهة السوريين . ولعل الايام تكشف لنا في المستقبل شيئاً عمَّا كان يمثّلهُ مركور اليوناني من الآلهة الوطنيَّة . ولا شكّ بان الزمان حلَّال المستغلقات وكشَّاف الخبايا

المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

٣ موقع سورية (تابع)

فلمَّا رأى ملوك بابل واشور ما خصَّ الله بـهِ بلاد سوريَّة من خصب التربة ومن حسن الموقع للمعاملات التجاريَّة احبُّوا ان يجعـلوا البحر المتوسّط تحت سيطرتهم لتسهيل المواصلات بين بلاد الشـام ووادي دجلة والفرات وتلك لعمري كانت مسئلةً

---

١) قلنا ان هذه العلامة (*) قابلة لتفاسير شتَّى ولا نظنُّ انها الاختصار المتاد للدلالة على قائد المائة (ἑκατοντάρχης) او قائد الالف (χιλίαρχος) وابعد من ذلك ان يقال انها علامة الصليب عند قدماء النصارى وذلك اذا افترضنا انَّ رسمها كان بعد عهـد الكتابة والتقدمة للاله مركور (Des Mercur(io)) وان الذين رسموها هم من النصارى. وعندنا ان هـذه العلامة تدل على صورة الصاعقة مختصرةً . واني سأعود ان شاء الله (Mélanges , II) الى فحص هذا الاثر الذي توفَّق جناب ميخائيل افندي الوف الى اكتشافهِ فصانهُ من الخراب وسبق الى معرفة شأنهِ
الاب ل . جلابرت

حيويّة اذ بها تنفتح الطرق التجاريّة فتُنقل الى جهات الغرب مرافق الهند وثروتها (١ . فما كان من امرهم لتحقيق غايتهم الّا ان يتعقّبوا آثار القوافل الكنعانيّة التي سبقتهم الى استيطان الشام وكان يحدوهم ايضًا الى سيرهم الى الامام رغبتهم في مبارزة فراعنة مصر وهم لم يعرفوا دولةً أخرى تقوى على ان تحولهم دون انجاز مقاصدهم فتنزع من ايديهم السلطة على آسية (٢ . وكان لهم سبب آخر ينهض هممهم ويدفعهم الى جهة البحر المتوسّط اعني حاجتهم الماسّة الى الخشب وكانوا في ذلك والمصريين سواء فلم يرضوا ان ينتفع الفراعنة وحدهم من غابات سوريّة الفاخرة لا سيّما ارزها الذي كانوا يتّخذونهُ لزخرفة مبانيهم وقصورهم حيث وُجدت آثارها في ايّامنا (٣

وهنا لا يجوز لنا ان نضرب الصفح عن امرٍ لم يكن في الحسبان وهو تأثير غابات لبنان في احوال اهلها وتدبير شؤونهم . فانّ هذه الاحراج هي التي اكسبت الفينيقيين نقابة البحر لأنّ منها كانوا يستمدّون الاخشاب اللازمة لتجهيز السفن فصاروا بذلك في مقدّمة الملاّحين يتولّون التجارة البحريّة مع البلاد البعيدة. لكنّ هذه المنافع ايضًا قد حرّكت مطامع الشعوب المحيطة بهم للاستيلاء على بلادهم . فترى كيف الاهواء البشريّة تتعرّض لأحكامهِ تعالى فتبلبل النظام الذي سنّهُ لكلّ بلاد . وقد سبق انّ سوريّة في رسم الخالق وُضعت لتكون بلدًا وسطًا يجمع في التحابّ والالفة الشعوب المتنائية

واعلم انّ بلاد الشام لم تشعر فقط بثقل وطأة الامم الشرقيّة لكنّها نالت ايضًا من موقعها نعمًا عزّتها عن هذه المساوئ وخوّلتها منافع مشكورة ومننًا سابغة فانّ وقوعها بجوار بلاد اليونان كان سببًا لترقّيها في الصنائع والفنون ولتقدّمها في ضروب العلوم . وكذلك استفادت من الرومان حسن سياستهم وتدبيرهم وصيانتهم للسلام كما تعلّمت من امم القرون الوسطى ان تدافع عن المبادئ الدينيّة اذ رأت ما

---

١) اطلب كتاب شرادر وونكلر في الكتابات المسماريّة والعهد القديم (Schrader-Winckler: *Die Keilinschriften und das alte Testament*, 37; 41; 46; 78)

٢) اطلب Comptes-rendus de l'Acad. de Berlin, 1906, p. 356 ثمّ التاريخ القديم للمسيو مسبرو (Maspéro: *Hist. ancienne*, I, 392-3)

٣) اطلب كتابنا تسريح الابصار (ج ١ ص ١٣٠)

للدين من القوَّة في طلب آثارهِ القديمة وصيانة معابدهِ التي لاجلها اهتزَّت شواعر الوفرِ من البشر فبرحوا المواطن حبًّا بها (١

ليس التاريخ الَّا صدًى لاصطـدام الاهواء البشريَّة ولما ينجم عن التحامها من النكبات ومن الحروب ومن الخرائب. وعلى خلاف ذلك السلام والخير والفضيلة فانَّها لا يُسمع لها جلبةٌ. وبنـاء على هذا قد قال القائل: طوبى للأُمم التي ليس لها تاريخ وهذا لا يصحُّ في سوريَّة كما رأينا. وكان الأَولى بها وباهلها ان تبقى في عزلتها دون ان تستلفت اليهـا نظر العالم. لكن الشعوب كما الافراد لا يمكنها ان تؤثر لها خطَّة تجري عليهـا باختيارها وتنسج على منوالها حياتَها العموميَّة لأَنَّ الشعوب في التفكير والله في التدبير

اعلم انَّ الثروة والجمال موهبتان خطرتان واوَّل غوائلهما انهما يثيران الحسد على اصحابهما. قلنا انَّ الله سبحانهُ وتعالى اذ منح لسوريَّة موقعًا اثيرًا جعلها كطريق عامّ يجمع بين ثلاث قارات العالم القديم وذلك انَّ سوريَّة محصورة بين البحر والبادية ففيها وحدها طريق سهل يمكن سلوكهُ بين آسية وافريقية وقد ادرك الفينيقيُّون ذلك فجعلوها سوقًا واسعةً لتجارة الخافقين ومعبرًا متواصلًا لقوافل الامم. واضحى مع ذلك اهل السواحل السوريَّة رؤساء البحر وفاقوا كلَّ القدماء في خوض غمراتهِ مدَّة قرون متعدّدة فمخروا عبابهُ قبل اليونان بزمن طويل. ولمَّا اراد البابليُّون وبنو اسرائيل ان ينشئوا لهم ملاحة ويعمّروا السفن لم يستطيعوا اتمام مرغوبهم الَّا بأَن يلتجئوا الى الفينيقيين(٢ وسليمان الملك راسل في ذلك حيرام صاحب صور كما ذكر الكتاب الكريم. لانَّ الفينيقيين كانوا اوقفوا نفوسهم ليكونوا سعاةً وعمَّالًا بين الشعوب الساكنة على سواحل البحر المتوسّط ففتحوا في كل مرفأ مكتبًا تجاريًّا لمعاملاتهم. وسبقت صور وصيدا غيرهما من المدن في الاستعمار فانَّ اوَّل مستعمرة يذكر التاريخ انشاءها ينسبها لتينك المدينتين. واليهما يعود الفضل في توسيع المعاملات التجاريَّة وتعميمها بين الدول. فان المتاجرات كانت قبل ذلك محصورة بين الشعوب المتجاورة فتستبدل الواحدة ما يزيد على احتياجها مما ينقصها من محصولات جارتها. والتجارة على هذه الصورة ترتقي الى اوّل العالم. امَّا الفينيقيون فانَّهم انشأُوا

١) اطلب الجغرافية التاريخيَّة Georges A. Smith: *Historical geogr.*, p. 13

٢) راجع كتاب دليتش في موقع الفردوس (Delitzsch: *Wo lag das Paradies*, p. 99)

التجارة الكبرى اعني التجارة البحريَّة فنالوا من الفخر ما لم يحصل عليهِ شعب آخر الى القرن السادس عشر اذ دخل فنّ الملاحة في طور جديد باكتشاف قارة اميركة (١. وما يزيد فضلهم انَّهم اوَّل من نهج تلك المسالك وكان المصريُّون من قبلهم كما البابليُّون والصينيُّون منزوين في اصقاعهم يتنعَّمون بهبات الطبيعة دون ان يفكّروا في نشرها بين غيرهم

وفي هذا لعمري عبرةٌ للمعتبرين لا سيَّما اذا قابلوا بين صغر بلاد فينيقية وسعة مستعمرات اهلها وبعدها السحيق. وليس في ذلك ما تُنكر صحّتهُ او يُردّ برهانهُ لأَنَّ التاريخ قد بيَّن منذ ذاك العهد انَّ الدول التي ضاقت مساحة املاكها اذا ما كانت مجاورة للبحر في احدى جهاتها كانت اسرع الى الاستعمار وأحكم فيهِ من الدول الكبيرة ذات التخوم البرّيَّة لأَنَّ هذه الدول لا يمكنها ان تستعمر في الخارج قبل ان تقوم باستعمارها الداخليّ فتحسّن املاكها وتستثمر اراضيها وكلّ ذلك يقتضي زمناً مديداً بل اجيالاً طويلة ويستفرغ قوى الأُمة. ولو سهت عن ذلك وقدَّمت الاستعمارات الخارجيَّة عرَّضت نفسها الى التهلكة كما حدث آخرًا لروسيَّة التي تملك في اوربَّة على انحاء متَّسعة واقطار فسيحة بينها السهول القفرة التي لم تُحسن زراعتها فارادت ان تزيد في املاكها الاسيويَّة الى حدود الشرق الاقصى فكان من امرها ما كان واصابها من الويلات ما هو فوق نكبات حربها مع اليابان. ولنا بيّنة على صدق هذا القول في تاريخ البرتغال والبندقيَّة وجنوة وهولندة وفي أَيامنا هذه في تاريخ بلجكة فرأينا ما نالتهُ هذه الدول الصغيرة من الفوز والتقدّم في استعماراتها

ومثَل البندقيَّة حريٌّ بالاعتبار لأَنَّها جدَّدت بعد الفي سنة اعمال الفينيقيين فنالت في طرف البحر المتوسّط الغربيّ ما نالهُ الفينيقيُّون في الطرف الشرقيّ. وكلا البلدين في موقع متشابه واهلهما مولعون على سواء بالعيشة البحريَّة. وانَّما بينهما فرق واحد وهو انَّ الحركة الاستعماريَّة للبنادقة ابتدأَت من الغرب فبلغت الاقطار الواقعة في شرقيّ البحر المتوسّط (٢

---

١) اطلب تاريخ التجارة في القدم (E. Speck: *Handelsgeschichte des Altertums*, I, 506–507)

٢) اطلب Edmond Demolins : *Comment la route crée le type social*, p. 347, 349

وقد سبق السوريون وادركوا ما لموقع بلادهم من المحاسن وعرفوا انهم يصيبون الهدف اذا ما عانوا الاسفار البحرية وتكلّفوا اعمال التجارة فان توسطهم بين الدول القديمة اعني بابل ومصر كان كافياً لأن يكسبهم الثروة الواسعة فينقلون الى اهلهم السلع المتعدّدة ويبتاعون منهم محصولات بلادهم المتوفرة فيربحون على الوجهين الارباح الطائلة اذ يبيعون بالاسعار الغالية ويشترون بالاثمان المتهاودة. وفي ذلك سرّ غناهم العظيم وكما انهُ كان اقوى مهماز لتنشيط اعمالهم

واليوم ان تروّيت في احوال الامم التجاريّة وجدت انّ اسباب ترقيها تنوط باحد هذه الامور الثلاثة اعني وضعها الجغرافيّ كاتساع سواحلها ثم تركيب طبقاتها بتوفر مناجم فحمها الحجري ثم احوالها الاقتصاديّة الدائرة على حرّية التبادل والمعاهدات التجاريّة المبنيّة على اصول قريبة وقوانين سهلة (١. فمن هذه الامور الثلاثة لا يسعنا الجواب على آخرها ونحن نجهل شروط التجارة بين الفينيقيين بين غيرهم من الامم. اما الامر الثاني اعني الفحم فانّهم لم يكونوا اليهِ في حاجة لما اصابوا في جبالهم من ثروة الغابات التي تسدُّ حاجاتهم في تعمير السفن وهم لا يعرفون اذ ذاك تسيير السفن بقوّة البخار. فيبقى علينا ان نبحث عن الامر الاوّل فنبيّن الاسباب الجغرافيّة التي اكسبتهم احتكار التجارة البحريّة

ان نظرت الى لبنان رأيت سلسلتهُ تمتدُّ موازيةً للبحر لكنّها من مسافة الى اخرى تلقي في البحر رؤوساً تنتصب فوقهُ وتشرف عليهِ اخصُّها الرأس الابيض بين عكّا وصور ثمَّ راس نهر الكلب ولا سيّما راس الشقعة الناطح بطرَفهِ الهائل بين بترون وطرابلس وليس بين هذه الرؤوس الضخمة مكان الّا الأودية حرجة عميقة او لسهول متوسطة في سعتها او لشقق مستطيلة من الرمل والصلصال تخترقها الصخور على صور شتّى منها داخل في البحر ومنها راكب بعضها على بعض ومنها المسنّن ومنها الروس والمدرّج. فاقتضى على الاهلين الذين قطنوا في هذه الارض الحرجة بين البحر والجبل ان يوجّهوا بنظرهم الى مياه العرمرم لينالوا منها ما يسدُّ رمقهم امّا بالصيد وامّا بالمتاجرة بين مدينة واخرى. فهكذا كانت صيداء مقاماً للصيد كما يدلّ عليهِ اسمها قبل ان تضحي مركزاً بحريًّا عظيماً

١) اطلب مقالتنا عن التجارة في القرن التاسع عشر في عدد سابق (المشرق ١٠ : ٣٠)

وهذه الملحوظات عن غرائب الساحل السوريّ كادت اليوم تبرح عن الخواطر بعد ان امتدَّت على سيف البحر طرق العربات بل مُدَّت الاسلاك الحديديَّة لقواطر البخار فيسير المسافر على الطريق السويَّة المهَّدة دائرًا حول رؤوس الساحل وقاطعًا لركام الصخور دون ان يحجزهُ حاجزٌ اللهمَّ الّا رأس الشقعة الذي لم يتمكَّن المهندسون من قطعهِ حتَّى الآن. ولكن هيهات ان تجد مثل هذه الطريق السهلة في المسالك القديمة فانك لو نهجتها لعلمت ما يتكلَّفهُ السائر في سيرهِ من المشقَّة لينتقل من وادٍ الى آخر وما يحول دون مرامهِ من توريبات السكَّة ومن المراقي الصعبة قبل ان يبلغ مكانًا قريبًا لو امكنهُ قَطْعهُ على طريق مستقيم. فلا بدع أن الاهلين منذ نشأت التجارة فكَّروا في تقصير هذه الطرق بالسلوك بحرًا وربَّما كانت الطريق البحريَّة هي وحدها الممكنة

وان قيل انَّ السواحل السوريَّة مكشوفة ليس فيها ملاجئ للسُّفن في وقت الانواء فضلًا عن انَّ عدَّة مرافئ كحيفا وطرابلس ولا سيَّما يافا لا يمكن الرسوّ قربها ايامًا طويلة في فصل الشتاء فكيف كان الفينيقيون يبحرون؟ نجيب على ذلك انَّ الملاحة القديمة كانت تخالف ملاحتنا اليوم فانَّ البحريين ما كانوا يُقلعون مراكبهم الّا في فصل الهدوّ وصفاء الجوّ فكانوا اذ ذاك يفضِّلون الوقوف عند الرؤوس او عند الجزر للبحريَّة فلا يشعرون بهبوب النسيم حتَّى يسرعوا الى السير على الساحل من مدينة الى مدينة ومن رأس الى رأس. وكانت السفن الفينيقيَّة كبيرة مسطَّحة لا تغوص كثيرًا في المياه حتَّى أنَّها كانت تستطيع ان تصعد النيل الى الاقصر (١ فكان الملّاحون يواصلون سيرهم من ارواد الى طرابلس فبيروت فصيداء فصور راسين عند رووسها كما في طرابلس وبيروت او عند الجزُر المجاورة لها كما في ارواد وصيداء وصور ومستقين من العيون التي تُرى في كلّ هذه الامكنة جاريةً فيها ومخصبةً لها. اما في فصل الشتاء فترى مراكبنا اليوم اذا احسَّت بقرب النوْ اقلعت الى الغمر لئلّا تغوص بالرمل او تُلقي بها العاصفة على الصخور. وكان الفينيقيون في فصل الشتاء في مأمن من ذلك يجرُّون الى البرّ سفنهم الى ان تهدأ الريح وتزول العاصفة

امَّا اذا اعتبرت سواحل سوريَّة من حيث وضعها الجغرافيّ فانك تجد فيها مُسهّلات متعدّدة للملاحة القديمة فانَّ مراحل السفن من مكان الى آخر كانت قصيرةً واذا ارست

١) راجع التاريخ القديم لمسپيرو (Maspéro: *Hist. anc.*, II, 407)

في محلّ صادفت فيهِ عيونًا دارَّة لا تنقطع وكذلك كان سيرها عاجلًا تجاري الساحل في خطّـهِ المستقيم دون ان تتريّث بالخلجان المتَّسعة والمرافئ الباطنة وذلك فضلًا عمَّا يهبُّ في السواحل السوريّة من الرياح الثابتة الهبوب المعتدلة · فكل هذه الصفات لم تسمح للقدماء بان يتركوا شواطئهم سدًى كالدقعاء المقفرة تأوي اليها الضواري والكواسر وتسبح في مياهها النينان دون ان يستخدموها لمنافعهم لمَّا للصيد وامَّا للمتاجرة

هذا ولا ننكر ان الساحل السوريّ مع صلاحيّتهِ للملاحة لم يخلُ من بعض المخاطر كما رأينا وذلك لانكشافهِ وتعرُّضهِ للرياح الشماليَّة العاصفة وكثرة ما يتخلَّلهُ من الرؤوس والصخور البارزة لا ملجأ فيهِ للملَّاح مع ما يلقاهُ في سيرهِ الى الجنوب من المقاومة من قبل المجاري المضادّة (١· فان كلّ ذلك يستدعي نظرًا صائبًا وحذاقة بالغـة في خوض البحر فكان ينال في هذا الجهاد اليوميّ خبرةً ليوسّع نطاق اسفارهِ البحريّة التي كانت تساعدهُ عليها الغابات اللبنانيَّة اذ يجد في اخشابها ولا سيما ارزها ما يقوى بـهِ على مثل هذه الرحل البعيدة

وممَّا تجدي السواحل السوريَّة من النفع لاصحابها فضـلًا عن الملاحة التجاريّة مجاورتها للجبال القائمة في وجه سكَّانها كأنَّها تدعو اهلها الى قطع مشارفها ليلقوا ما وراءها ما يقوم بمعاشهم في السهول الواسعة الخصبة التي تسدّها تلك الجبـال عنهم· ألا ترى انَّ الساحل الفينيقي قليـل الاتّساع لا يستطيع اصحابه ان يستغلُّوا ريع الارض ممَّا لا غنًى عنهُ من القمح والزيت · وقد ذكر الكتاب المقـدّس (سفر الملوك الثالث ف ٥) ان غاية ما طابـهُ حيرام الصوري من سليمان الملك بدلًا من خدماتهِ مقدار من الزيت والحنطة·فهذه الحاجة في ساكن الساحل يُضاف اليهـا عدم وجودهِ لجزائر ينتفع من غلَّاتها وبعدهِ عن قبرس الحافلة بسكَّانها · كلّ ذلك صرف بنظر السوريّ الى جبلهِ ليفتح لهُ معبرًا يجتاز بهِ الى البقاع التي من ورائهِ فنقر في الصخور تلك المراقي الصعبة التي يقطعها المكاري مع بغالهِ بسرعة عجيبة وقدم ثابتة· وبسيرهِ هذا لا

١) ومما قد تحقَّق بالاختبار انَّ للنيل فعلًا في استقامة السواحل السوريّة لأنَّ مجرى مياههِ مع الرياح التي تهبُّ على امتداد الساحل من جهة الجنوب الغربيّ قد جرَّ الرمال التي يجرفها في سيرهِ الى شواطئ فلسطين وجعلها متساوية خصوصًا جنوبيّ الكرمل · (راجع ما قلناهُ سابقًا في تسريح الابصار ج ٢)

يلبث ان يعتـاد ما هو اوسع عملًا واجدى نفعاً فيتحوَّل الى قائد قوافل ولا يزال يجدُّ ويكدّ نافذًا في وسط اوديتهِ متوجّاً بين سيولها الجارفة ثمَّ راقياً الى اعالي جبلهِ حتَّى يبلغ عطفهُ الآخر فيدخل في تلك السهول الداخليَّة الفسيحة التي تُعدّ كاهراء حنطة لا تنفد مستغلَّاتها وكان من هناك يضرب في الارض راحلًا الى انحاء العراق فيستجلب منهـا محصولاتها التي كان مواطنوهُ ينقلونها بحرًا الى الجزائر المجهولة الواقعة في بحر الظلمات

انهُ لناموس من نواميس الهيئة الاجتماعيَّة انَّ الدول التي تنحصر املاكها في حدود حرجة اذا كانت ثروتها واسعة ونقودها متوفرة لن تطلب لضغطها منفذًا بتوسيع تجارتها والسعي وراء الاستعمارات . فقد ادرك اجدادنا السوريُّون والفينيقيون هذه الحقيقـة اذ ليس امرٌ جديد تحت الشمس فاستشفُّوا ما وراء البـلاد التي اعتبروها كحدودهم الشرقيَّة بلادًا غيرها لاحت لهم في اعماق الأُفق نريد شبـه الجزيرتين الهنديتين وما يُطيف بهما من الجزائر فاستوقفت تلك الاقطـار انظارهم بما تتضمَّنهُ من المرافق العديدة والثروة النباتيّة الواسعة واصناف الزهور الناصعة الالوان التي تفوق ما يُرى من ذلك في غيرها من الانحاء . فلم تثبّط همَّتهم المسافات الطويلة والعوائق المتعدّدة . فكانوا ينقلون من حدودها ما يستحبُّهُ تمدُّن ذلك الزمان لحاجاتهِ او لذَّاتهِ من افاويه وعطور وزيوت طيَّارة واقمشة زاهية وضروب القطنيَّات الهنديَّة الرقيقة والانسجة المشرقة الالوان واصناف الحرائر البهيَّة التي يبذل الباعة الدينار في حقّها بيدٍ سخيَّة . . وكذلك كانوا يستجلبون من الهنـد المعادن الثمينة كسبائك الذهب وصفائح الفضة واللؤلؤ والعقيق والياقوت وقطع الماس التي تزدان بها تيجان الملوك واكلَّة الاميرات . وكان الناس لاعتبارهم لتلك البلاد يروون عنهـا العجائب والغرائب فيعدُّون ارضها تبرًا وهواءَها مسكًا وثمارها شفاء وقوَّة وطيرها شبيهاً بالانسان في نباهتهِ وحسنهِ

فتجارة الهند في تلك القرون البعيدة كانت تُحسب كثروة البلاد وغنى الشعوب كما حسبها بعد ذلك اهل القرون الوسطى . وكانت تلك التجارة تروج او تكسد على مقتضى امور الزمان وصروف الحدثان ينقلها من مظانّها الكلدان والعرب تأتي بهـا قوافلهم على طريق آسية الوسطى الى اطراف بحر العجم او البحر الاحمر وكان الفينيقيون يرحلون الى جهات بابل والى انحاء اليمن فينقلون تلك المحصولات الى المرافئ السوريَّة فيصرفونها الى الغرب

وكان من نواميس العالم القديم انهم اذا ارادوا المتاجرة مع الاقطار النازحة يفضّلون في ذلك الطرق البرّية رغماً عن طولها على خوض البحار وان كانت طريقها اقرب واقصر . وذلك على خلاف ما ترى في تجارتنا اليوم وهي تؤثر الطريق البحريّة على سواها فتسير المراكب الى اقصى ١٠ تستطيع لأنهم يجدون في تفضيل البحر سرعةً فضلًا عن كونها اقلّ كُلفاً . لكنّ هذا النظام حديث ابتدأ منذ انتشرت الملاحة الشراعيّة الكبرى ولا سيا منذ اكتشاف القوّة البخاريّة . وكانوا قديماً لا يركبون البحر الّا لمواصلة الطريق البرّية لأنّ الملّاحين القدماء كانوا اذا اقلعوا قاصدين بلداً معلوماً لا يعرفون ما سينالهم في طريقهم من العاقات وخصوصاً ما سيلقون من الرياح الموافقة او المعاكسة فيعرفون ساعة خروجهم ولا يعلمون يوم وصولهم . ولذلك كان القدماء لا يتجشمون اهوال البحر الّا عند الضرورة الماسّة (١ وكان الفينيقيّون يرون في ذلك رأي غيرهم من الشعوب مع كونهم ادخلوا البحر في تاريخ العالم . وبينما نشاهد اليوم التجارة مترتّبةً على الملاحة منوطةً بها في المعاملات كانت على عكس ذلك في الزمن القديم برّيةً محضاً . فلا نرى انهُ خطَرَ على بال احدٍ ان يصرف القناطير المقنطرة لفتح قناة كقناة سويس او قناة پناما . فان نظرت مثلًا الى الحميريين وكان لا يفصلهم عن مصر الّا بحر صغير ترى انهم كانوا يفضّلون على هذا السفر القصير في بحر القلزم طريقاً بعيدةً كانت القوافل تتبعها فتسير على سيف البحر الى وادي موسى ثمّ الى غزّة وهي الطريق التي كان يسلكها العرب الى زمن ابي سفيان والى اوائل تاريخ الهجرة . ولعلّهم لم يختاروا البحر للاخطار التي كانت تتهدّدهم في البحر الاحمر والسّفَر فيهِ صعب لكثرة صخورهِ وتعدّد مجاريهِ وشواطئهِ الرمليّة فضلًا عمّا كان في سواحلهِ من القرصان او اللصوص الذين يهجمون على الغرقى فينهبونهم او يستعبدونهم (٢ (لهُ بقيّة)

---

١) اطلب مقالة بيرارد في المجلّة الاثرية (V. Bérard, *Revue arch.*, 1899, I, 80)

٢) اطلب تاريخ التجارة (Speck: *Handelsgeschichte*, I, 17-18)

الرهبانيَّة الباسيليَّة القانونيَّة الحلبيَّة

١٨٢٩ـ١٩٠٧

لحضرة الاب الفاضل تيموثاوس جق الباسيلي الحلبي

تتبَّعنا في مقالة اولى (المشرق ٩ : ٨٩١) تاريخ الآباء الاجلّاء الذين اداروا شؤون الرهبانيّة الحنّاويّة الشويريّة من اوّل انشائها سنة ١٦٩٦ الى وفاة رئيسها الرابع عشر الخوري اندراوس مقرّي الحلبي سنة ١٨٢٩ . وفي تلك السنة جرى انقسام الرهبانيَّة الى قسمين قسم حلبيّ مختصّ باهل حلب وقسم بلدي لبقيَّة الانحاء . وها نحن ننجز تاريخ القسم الحلبيّ الى عهدنا ونلحقهُ بجدول روساء مار يوحنا الصابغ في الشوير تتمّة للفائدة اذ لم يمكنا الحصول على غير ذلك

١ (الخوري باسيليوس شاهيات) ولد في حلب سنة ١٧٩٥ وكان ابوهُ متري شاهيات احد وجهاء الطائفة الحلبيَّة . ودُعي الولد بولس . وكان دخولهُ في الرهبانيَّة الحنّاويَّة سنة ١٨١٥ وبعد سنتين نذر النذور الرهبانيَّة في دير القديس يوحنا الصابغ عن يد الخوري انطون شابوري ودُعي يوستينوس ثمَّ سيم شمّاساً وقسًّا وتسمَّى باسم باسيليوس

ولمَّا حصلت القسمة النهائيَّة بين الحلبيين والبلديين قُلد الخوري باسيليوس رئاسة الفئة الحلبيَّة في دير الملاك ميخائيل في الزوق ٢٦ ت ١ سنة ١٨٢٩ فادار شؤونها الى ان وكل اليهِ الطيّب الذكر السيّد البطريرك مكسيموس مظلوم كرسيّ الفرزل فسقّفهُ يوم خميس الصعود سنة ١٨٣٦ في الكنيسة المريميَّة بدمشق الشام ودبّر ابرشيّتهُ ٢٨ سنة بغيرة عظيمة مع ما قاساهُ من العناء والاتعاب وكان مواظباً على الوعظ يعلّم بذاتهِ التعليم المسيحي للاحداث ويثابر على عمل الرياضات للكهنة والشعب ويعود المرضى ويعزّي الحزانى . واليهِ يحقّ الفضل في انشاء اكليروس عاليّ يساعدهُ في تدبير رعيّتهِ الروحيّ كما كان جارياً في الشهباء منذ زمن مديد فتولّى تهذيبهُ وتثقيفهُ والتزم بمعاشهِ على خلاف بقيَّة الابرشيَّات التي تستخدم لذلك الرهبان لقلّة الكهنة العالمين او لعدم وجودهم . وفي سنة ١٨٥٨ عزم السيّد باسيليوس على تشييد كنيسة كاتدرائيّة ودار اسقفيَّة ومدارس في مدينة زحلة فارسل من قبلهِ كاهنين الى بلاد اوربة ليجمعا

الاحسانات لذلك وهما الخوريّان موسى مقحّط وفيلبُّس غير وزوّدهما بكتابات يوصي بهما ذوي الفضل والمحسنين . فتوفّقا في عملهما وجمعا مالًا كافيًا لبناء كنيسة سيّدة النجاة لا سيما من اهل النمسا التابعين للطقس اليوناني فباشر السيّد الاسقف حالًا بتشييدها لكنّها احترقت بالنار سنة ١٨٦٠ مع الدار الاسقفيّة . فعاد الابوان وجمعا الصدقات ورجعا بعد قليل الى الشرق مصحبَين باموال وتحف وتصاوير واواني قدسيّة للكنيسة الزحلاويّة . فشاد السيد باسيليوس الكنيسة الكاتدرائيّة على اسم سيّدة البشارة واحاطها بمدارس وقلاليّ لسكنى كهنتهِ الافاضل ثمّ بنى كنيسةً صغيرة وضع فيها صورة سيّدة النجاة المباركة كما انـهُ كافأ الابوين موسى مقحط وفيلبُّس غير على مساعيهما الطيّبة . فرقّى الاوّل الى رتبة ايكونومس والثاني الى رتبة رأس كهنة (بروطوبرسفيتروس) وفوّض اليهما ان يتصرّفا بما احضراهُ من الدراهم لاعمال الخير والصلاح . وفي سنة ١٨٦٢ اصاب السيّد باسيليوس مرضٌ عضال اوصلهُ الى باب المنون وكان وقتئذٍ في بيروت فنذر لسيّدة البشارة انهُ يزور ابرشيّتهُ ان نال العافية فسمع الرب طلبتهُ وقام معافىً بعد ايام قليلة وتفقّد ابرشيّتهُ كلها بهمّة ونشاط مع انهُ كان لا يستطيع الركوب ولا يحسن المشي . وفي ٩ ك ٢ ١٨٦٤ شعر بنزل دموي فاعترف حالًا واستدعى وكيلهُ الخوري يوحنّا ملوك فسلّمهُ كيس دراهمهِ ليوزّعهُ على الفقراء وبعد ساعة اسلم روحهُ الطاهرة ودُفن في الكنيسة الكاتدرائيّة بين ذرف الدموع وكان لهُ من العمر ٦٩ سنة

٢ (الخوري ميخائيل جربوع) ولد في مدينة حلب سنة ١٧٩٦ من ابيهِ روفائيل جربوع ودُعي بولس وجاء دير الصابغ في ٢٥ اذار ١٨١٥ ثم نذر النذور الرهبانية عن يد الاب العام الخوري انطون شابوري وسُمّي كرنيليوس وفي سيامتهِ شمّاساً وقسًّا عُرف باسم ميخائيل وانتُخب ابًا عامًّا في ١ ت ٢ ١٨٣٢ واقام في تلك الوظيفة الرفيعة الشأن ستة مجامع غير متواصلة وكان رحمهُ الله متواضعاً لا يرغب التقدم والارتفاع ففي المجمع الذي عقدتهُ الرهبانيّة الحلبيّة سنة ١٨٤٧ في دير القديس جاورجيوس الشير اوعزّ الى الآباء اصحاب الاصوات انـهُ يمتنع عن قبول الرئاسة وحرّضهم على انتخاب شخصٍ غيرهُ يكون كفوًا للقيام بتلك الوظيفة فلمّا كان الانتخاب القانوني اصابت الاصواتُ صاحب الترجمة فصاح وخرج من المجمع واخذ يلحّ

على الآباء ويرجوهم بان يقبلوا استعفاءه فرضوا حينئذٍ لكثرة لجاجتهِ وعفوه الّا انهُ في المجامع التالية اخذ على كاهلهِ اثقال الرئاسة العامّة واقام بحملها الى نهاية حياتهِ فانهُ انتقل الى رحمة ربهِ سنة ١٨٧٢ ودُفن في دير الملاك ميخائيل بالزوق

ومما يحقُّ لهُ الذكر في حياة هذا البارّ انهُ قياماً بوعدهِ ابتنى سنة ١٨٥٦ دير زين الرعايا او زرعايا كما يدعونهُ باللغة الدارجة وذلك لسكنى الراهبات الحلبيات (١

٣ (الخوري برتلماوس بساراني) هو يوحنا بن يوسف بساراني وُلد في الشهباء سنة ١٧٨٠ وانتظم في سلك الرهبانية الحناويّة سنة ١٨٠٢ وبعد سبع سنوات من نذرهِ الرهبانيّة سيم كاهناً وانتُخب مدبّراً ثانياً وسنة ١٨٣٨ أُقيم رئيساً عاماً ثمّ انتقل الى وظيفة المدبّر الاوّل والثاني الى ان توفاه الله سنة ١٨٤٣ بدير القديس جاورجيوس الشير

٤ (الخوري توما قبّاش) وُلد في حلب في اوائل سنة ١٨٢٠ من ابويهِ سليمان قبّاش وتريزا مقرّي ودُعي فتح الله . وبعد الدروس الابتدائيّة في الرابعة عشرة من عمرهِ ترهّب في دير النبيّ اشعيا الذي بارض عرنتا بجوار قرية برمّانا ولبس الثوب في ١٧ ت ٢ سنة ١٨٣٤ ودُعي توما . ثمّ ابرز النذور في الدير المذكور عن يد الاب العام ميخائيل جربوع في غرّة ك ٢ سنة ١٨٣٦ وكان قدوةً لجميع اخواتهِ . وفي ٨ آذار سنة ١٨٤١ صار شمّاساً انجيلياً في دير القديس سمعان العامودي بوضع يد السيّد اغابيوس الرياشيّ مطران بيروت وجبيل ثمّ رقّاهُ السيد المذكور الى الدرجة الكهنوتيّة في ٣ شباط ١٨٤٤ . وعُرف في اثناء ذلك بتوقّد ذهنهِ وعلوّ همّتهِ ومزيد غيرتهِ وكان صائب الراي يستشيرهُ الرئيس العام الخوري ميخائيل جربوع في الامور الصعبة فيذلّلها باصالة رأيهِ ونافذ بصيرتهِ

وفي المجمع العام الذي عُقد في دير الشير سنة ١٨٤٤ ترأس على الدير المذكور لكنهُ بعد سنتين دعتهُ الطاعة الى ان يذهب الى مصر ليخدم فيها النفوس بعد وفاة الخوري اندراوس قديد الحلبيّ ففعل . وفي سنة ١٨٤٧ استعفى الخوري ميخائيل جربوع من الرئاسة

---

١) وسوف نذكر ان شاء الله في مقالة خاصة ما يتعلّق في هذا الدير الكبير ونقول ما نالتهُ في خدمتهِ من الايادي البيضاء الامُّ انستاسيا كبّابة الرئيسة العاملة التي ورّثت بناتها العذارى ذكراً مخلدًا وزرعت في قلوب اللبنانيين المجاورين لهذا الدير احساناتها الغزيرة الى ان اصبحت امًّا ثانية لهم ولاولادهم ولسائر اميالهم . زادنا المولى من امثالها ومتّعنا باعمالها المبرورة الصالحة

العامَّة فانتُدب الخوري توما ليقوم مقامهُ . فلمَّا بلغهُ هذا الخبر توجَّد لـهُ وكتب الى السيِّد البطريرك مكسيموس مظلوم والى السيد اغابيوس الرياشي والى الآباء المدبّرين كي يعفوهُ من الرئاسة فلم يُقبَل عذرهُ بل الزمهُ السيِّد البطريرك ان يباشر باعمال منصبهِ في اقرب وقت . فلم يبقَ لهُ الَّا الانقياد لحكم الله وعاد من مصر في ٣٠ ك ٢ سنة ١٨٤٨ فاستقبلهُ الرهبان بفرح عظيم والبسهُ السيد اغابيوس الحجر في ٢٥ نيسان من السنة وفوَّض اليهِ ملء الرئاسة على اخوتهِ في دير الشير وعمرهُ اذ ذاك لا يتجاوز ٢٨ سنــة

ولهذا الاب الجليل مناقب عديدة نخصّ منهـا بالذكر توفيقهُ في تحسين ماديَّات رهبانيَّتهِ . فانهُ اقتنى لها ارزاقاً شتَّى في قرية القماطيّة وفي زرق ميكائيل وفي سن الفيل ما خلا ما دفع للرئيس بعدهُ من المبالغ الوافرة . ولمَّا تجدَّدت لهُ الرئاسة في مجمع سنة ١٨٥٤ سامهُ السيِّد اغابيوس الرياشي ايكونومساً والبسهُ الخاتم والصليب ومن آثارهِ حينئذٍ الدير الذي ابتناهُ للراهبات في زرعايا بجوار قرية كفرتيه ودفع لخلفـهِ الخوري ميخائيل ٣٧٠٠٠ غرش لاتمامهِ

وفي اواخر السنة ١٨٥٦ طلب ان يستقيل من الرئاسة فلبَّوا دعوتهُ مدَّة ثمَّ اعادوه الى رتبتهِ في مجمع سنة ١٨٥٩ وجدَّدوا انتخابهُ اربعة مجامع متواصلة الى سنة ١٨٧١ فاهتمَّ بامور رهبانهِ اهتماماً عظيماً وحبَّب اليهم الكمال قولًا وفعلًا حتَّى انتشر في هذه الاقطار عَرف برّهم

وفي السنة ١٨٧١ تمكَّن الخوري توما من القـاء حمل الرئاسة عن عاتقهِ فاختير الخوري سابا كوسا لهذا المنصب لكنَّهُ توفّي في سنة ١٨٧٥ فلم يرَ بدًّا من استلام زمام التدبير ثالثةً وبقي في مقامهِ هذا الى نهاية سنة ١٨٩٥ . ومن مساعيهِ المشكورة انـهُ اشترى في قرية صربا اخربة قلعة كانت هناك من الخواجا عبد الاحد خضرا فبنى فيهـا ديرًا عظيماً على اسم المخلّص وجعلـهُ مدرسةً لتعليم الرهبان وتثقيفهم ومقاماً لمشايخ الرهبانيَّة يقضون فيهِ ايَّامهم الاخيرة

وفي السنة ١٨٨٨ قدَّم بايعاز السيِّد البطريرك رئيسا الرهبانيَّتين البلديَّة والحلبيَّة مراسيم التهاني للحبر الاعظم لاون الثالث عشر بنسبة يوبيلهِ الكهنوتيّ . وكان الخوري توما قدَّم لقداستهِ غطاء طاولة لطيف الصنعة في وسطهِ هـذه الكتابة « الرهبانيَّة

الباسيليَّة الحلبيَّة لاون الثالث عشر ، فانعم قداستهُ على الرئيسين بوسام عالي الشأن ولمَّا رفعا الى حبر الاحبار تلغرافيًا واجبات شكرهما لعواطفهِ الابويَّة نحو الرهبانيَّات الشرقيَّة ورد لهما من نيافة الكردينال رمپولّا الجواب الآتي :

حضرة الابوين الخوري توما قبَّاش والخوري يوسف الكفوري الرئيسَين العامَّين الاكرمين .
انَّ الاب الاقدس تقبَّل بعبارات الرضى الخاصّ فروض اخلاص ابوَّتكما وعهد اليَّ ان ابلّغكما البركة الرسوليَّة التي اهداها من صميم فؤادهِ لكما ولجميع ابناء رهبانيتكما

الكردينال رمپولّا

وفي السنة ١٨٩٢ ارادت الرهبانية الحلبية ان تحتفل بيوبيل رئيسها وعرسهِ الذهبيّ فجرت اذ ذاك حفلات شائقة اعربت فيها الرهبانيَّة لرئيسها المفضال عن شكرها الحميم لما قام بهِ من الاعمال الجليلة وتكلَّفهُ من الاتعاب في سبيل ابنائهِ . وكانت ارسلت الى عظيم الاحبار رسالةً تبشّر قداستهُ ورئيس المجمع المقدَّس بهذا العيد الاغرّ ملتمسةً لصاحبهِ بركةً خصوصيَّة من الكرسيّ الرسوليّ لخمسين سنةً قضاها في خدمة الكنيسة فاتاهُ الجواب بالايجاب مع الرسالة الآتية

عن رومة العظمى في ٢٠ ك ٢ ١٨٩٢

حضرة الاب الكلي الاحترام

بمزيد الفرح والسرور تقبَّلتُ بشائر عيدكم الذهبي لخمسين عامًا قضيتموها في الرئاسة العامة على الرهبانية الشويرية الحلبية فان كتابكم المؤرخ في ٢٨ ت ٢ المنصرم سرَّني جدًّا ولذا فاني اعتقد واثقًا بفطنتكم العالية وغيرتكم الشهيرة على نجاح الرهبانية وتقدمها في معراج الكمال والقداسة . فعربونًا لما ابديتموهُ من الاعمال والخدم يمنحكم الاب الاقدس بركتهُ الرسوليَّة التي استمددتموها وانا اسأل الرب الاله ان يمدَّ في حياتكم هذه الغالية ويعطيكم آخرة صالحة تليقُ بما سَبَقَ لكم من الاعمال الرسولية

عبد ابويتكم المخلص
الكردينال لدوكوسكي

ولمَّا احسَّ الاب توما بثقل السنين استمدَّ من آباء المجمع الملتئم في دير المخلص سنة ١٨٩٥ ان يعفوهُ من جميع الوظائف فأُقيم مدبّرًا اوَّل واخذ يصرف ايَّامهُ بالصلاة والعبادة مستعدًّا لملاقاة ربّهِ . وكان يظهر الصبر الجميل في ما ألمَّ بهِ من الامراض والاوجاع . ولمَّا شعر بدنو أجلهِ تسلَّح باسرار البيعة واسلم روحهُ الطاهرة بين يدي ربّهِ صباح الاثنين الواقع في ٢٦ آب سنة ١٨٩٩ . ودُفن مأسوفًا عليهِ في دير المخلص وهو اوَّل من دُفن فيهِ

ومن صفاته انهُ كان يجري في اعماله على القانون تهابهُ الكبار والصغار والمتقدمون في الوظائف الكنسيّة فكنتَ تراهُ منعكفاً على الاهتمامات والاشغال المختصة بوظيفتهِ العليا وكان جعل لأيامهِ واوقاتهِ كلها نظاماً مدقَّقاً فيقوم باكرًا كل صباح ويتلو كافة صلواتهِ الخصوصية مع ابيات المديح التي لوالدة الاله ثم يوقظ الاخ القندلفت فيقرعُ جرسَ الكنيسة وحالًا ينتصب في كرسيهِ بالخورس مرددًا صلواته الى ان تلتئم الاخوة في الكنيسة فيبتدئ الصلاة فالقداس ثم يرجع الى غرفتهِ فيتلو فصلًا من كتاب لستعداد الموت وينهي اشغالهُ الرئاسيَّة لحينما يقرعُ الاخ جرس المائدة فيُسرع وينتصبُ امام باب الكنيسة لاجل تلاوة الساعة الثالثة والسادسة جملةً مع لفيف الاخوة وبعد الغداء يزور القربان الاقدس فيرجع الى غرفتهِ ملازماً امور وظيفتهِ الى ان يقرع الاخ جرس الغروب. فكنتَ تراهُ اول الكل في الخورس ملازماً الصلاة والتضرع لله عزَّ وجلّ وكان رحمهُ الله لا يتساهل مع اصحاب الوظائف الديرية ويلزمهم باتقان اشغالهم بكل اعتناء ورغبة. وقصارى الكلام كان لا يهاب احدًا في تتميم واجباتهِ الرئاسية وكان هو مثالًا وقدوة للجميع مع حسن تصرفه وسياستهِ وثباتهِ رحمهُ الله رحمةً ولسعةً

٥ (الخوري سابا كوسا) ولد في حلب من ابيهِ فتح الله كوسا سنة ١٨٢٦ ودُعي رزق الله ولبس الاسكيم الرهباني في ١ كـ٢ ١٨٥٠ في دير القديس جاورجيوس الشير ودُعي سابا ثم انتدب رئيساً عاماً سنة ١٨٧١ الى ان توفاهُ الله في ٢٧ كـ ١ سنة ١٨٧٥ بدير الشير

٦ (الخوري ثاوفانوس البدوي) هو يوسف بن ميخائيل البدوي وُلد في دمشق الشام سنة ١٨٥٥ وجاء دير النبيّ اشعيا سنة ١٨٦٩ ونذر الرهبانية سنة ١٨٧١ وبعد سنتين ارسلهُ الرئيس العام الخوري سابا كوسا الى مدرسة عين تراز الاكليريكيَّة الى غاية ١٨٧٨ حيث رُقي الى درجة الشمَّاس الدياكونوس وسنة ١٨٨٠ سامهُ قسًّا السيّد ملاتيوس فكاك فارسلتهُ الرهبانية لخدمة الانفس في منصورة مصر المحروسة وهناك أُرسل لهُ خبرُ انتخابهِ رئيساً عاماً سنة ١٨٩٥ فساد بين اخوتهِ ورغب كثيرًا في نجاحهم واستقام مجمعين ومنذ اربع سنوات استدعاهُ اليهِ السيد كيريوس فلابيانوس كفوري

رئيس اساقفة يبرود واقامهُ نائباً لـهُ في سائر الابرشية وهو لا يزال في تلك الوظيفة الى الآن

٧ (الخوري جبرائيل باسيل) وُلد في مدينة حلب سنة ١٨٤٢ من والديهِ ميخائيل باسيل وكتر غلام فجاء دير النبي اشعيا سنة ١٨٦٦ وبعد سنتين نذرَ الرهبانية وارتسم شمَّاساً انجيلياً سنة ١٨٧٤ ثم عقيب سنة كاملة سامهُ قساً السيِّد اغابيوس رياشي في دير القديس جاورجيوس الشير اخيرًا انتُدب رئيساً عاماً في ٢ ت ٢ ١٩٠١ وهو لم يزل الى الآن ضابطاً زمام الرئاسة العامَّة وفضلهُ مشهور

هذا وكنَّا نودّ ان نلحق بنبذتنا خلاصة اعمال رؤساء الشويريين البلديين او الحناويين. لكنَّنا لسوء الحظ لم نحصل على شيء من اخبارهم مع تحرّينا في السؤال عن ذلك وعسى احد ابناء الرهبانية يتولّى هذا الامر ويفرد لـهُ مقالة خصوصية فيفيدنا عن اعمال الرؤساء العاّمين منذ انقسام الرهبانيَّتين الى يومنا

واننا لنكتفي بذكر اسماء هؤلاء الاجلّاء الافاضل مع ذكر السنين التي فيها ارتقوا السدَّة الرئاسيّة العامَّة وعدد المجامع التي فيها خدموا الرهبانية بغيرةٍ ونشاط نقلًا عن «مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين»:

سنة	١٨٢٩	الخوري اغناطيوس البيطار الدمشقي	اقام مجمعين متواصلَين
«	١٨٣٥	الخوري فلابيانوس الكفوري	اقام مجمعين متواصلَين
«	١٨٤٠	الخوري نيقولاوس صوايا الشويري	اقام في الرئاسة العامة ٨ اشهر وتنازل
«	١٨٤١	الخوري مرتينوس المعلوف	
«	١٨٤٥	الخوري نيقولاوس صوايا المذكور آنفاً	اقام مجمعين متواصلين
«	١٨٥٠	الخوري اناطوليوس صباغ	اقام اربعة مجامع متواصلة
«	١٨٥٩	الخوري فلابيانوس الكفوري المذكور آنفاً	اقام ثلاثة مجامع متواصلة
«	١٨٦٨	الخوري دمتري جامد	
«	١٨٧١	الخوري فلابيانوس الكفوري المذكور	اقام ثلاثة مجامع متواصلة
«	١٨٨٣	الخوري سليمان الشامي	تنازل قبل نهاية المجمع لاسبابٍ

وحينئذٍ اقامت اصحاب الاصوات رئيساً عاماً بالصوت الحي

سنة ١٨٨٥ الخوري يوسف الكفوري الرجل العالم العامل الذي لا يزال يدبر الرهبانيَّة البلديَّة بغيرة ونشاط ولهُ من الاعمال الطيّبة والاصلاحات ما اكسبهُ الشكر المخلَّد من اولاد رهبانيَّته وقد تجدَّد انتخابهُ مرارًا متوالية الّا في مجمع سنة ١٩٠٤ فانتُخب الخوري باسيليوس صوايا الذي توفّي في غرّة سنة ١٩٠٥

شاهد عياني في الصعيد الرهبانيّ

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كثيرًا ما نقرأ في الجرائد والمجلّات اطراء لعصر النور الذي نحن فيهِ فبفضلهِ كما يزعمون انقشعت سُحب الخرافات عن عقول البشر ولاحت اشعّة العلم الصحيح والحقّ اليقين . لسنا ممَّن ينكر مواهب التمدُّن الحديث بل نقرّ انهُ ابرز الى النور كثيرًا من الحقائق التاريخيَّة المجهولة ووسَّع ثروة العلوم البشريَّة كما انــهُ ازال الشبهات عن امور ملتبسة طرأ عليهــا شيء من الغلوّ الدينيّ . لكنَّنا ناخذ ايضاً على بعض ارباب العلم الحديث تسرُّعهم الى تزييف اعمــال القدماء ونسبتهم الى الكذب كثيرًا ممَّا رووهُ فتجري اقوالهم مجرى اليقين وبزلَّتهم يزلُّ كثير من العالمين

في اوائل القرن السابع عشر نشر احد الآباء اليسوعيين اسمــهُ روسفيد (H. Rosweyd) مجلّدًا ضخماً طبعهُ في انفرس سنــة ١٦١٥ وضمَّنهُ عشرة تآليف من اخصّ ما كتبهُ القدماء عن تاريخ الرهبان في بلاد الصعيد . ثمَّ وسَّعهُ في طبعة ثانيــة سنــة ١٦٢٨ وذيَّلهُ بالحواشي المقيدة . فاقبل القرّاء على مطالعة هذا الكتاب إقبال الصادي الى ينابيع المياه وبهِ تلاشت او خفَّت تلك الشكاوى التي وجَّهها اعداء الدين الى الرهبانيَّات اذ وجدوا في هذا المجموع ما أتى بهِ قدماء الرهبان من الاعمال الجليلة وفيهــا وصفٌ مدقّق ليس فقط لمناسكهم الدينيَّة بل ايضاً لاشغالهم اليوميَّة من صناعة وزراعة وانكباب على الدروس وامور غيرها عظَّمت الحالة الرهبانيَّة في اعين العموم

على انَّ بعض المحدثين تصدَّوا لهذه التآليف القديمة وادَّعوا انَّها مصنوعة لا سند لها وانَّ اصحابها عاشوا بعد زمن النسَّاك بعهد طويل ونسبوا اعمالهم زورًا لمؤرخين قدماء . وبلغ بهم انتقادهم الفاسد الى ان نكروا وجود رؤساء السيَّاح كالقديس بولا والقديس انطونيوس الكبير وزعموا انَّ تراجم آباء الصعيد خصوصاً ملفَّقة خياليَّة لا شيء فيها من الصحَّة . وكان السابق الى هذه الاقوال الغريبة بعض الالمان والانكليز ولا سيَّما ڤينغرتن ولوقيوس وفرَّار وغوا تكين . لكنَّ بعضهم احجموا عن هذه المزاعم لمَّا رأوا معرفــة مؤلّفيها للامكنة وضبطهم لاوصافها التي لا يمكن تدوينها الَّا لشهود عيان . ومع هذا

ارتأوا انّ اصحابها بالغوا فيها كلّ المبالغة واقحموا فيها الروايات الضعيفة التي لا يقبلها العقل

تلك كانت حالة الانتقاد الموهوم ريثما ظهر قومٌ من العلماء الاثبات بين الكاثوليك والبروتستان انفسهم فعادوا الى التنقيب والتنقير واخذوا كلّ عمل من هذه الاعمال التاريخيّة فقابلوا بين نسخها العديدة وتبيّنوا غثّها من سمينها ولم يزالوا يفرغون قصوى الجهد في سبيل الحقّ حتى ظهر تحت الرغوة اللبن الصريح . والفضل في ذلك لعلماء مختلفين دينًا وبلادًا منهم زوكلر (Zoeckler) وپروشن (E. Preuschen) والخوري لادوز (Ladeuze) وليپولد (Leipoldt) فانّهم فنّدوا اراء الناكرين واثبتوا صحّة اقوال الرُّواة الاقدمين

وممّن اكتسب آخرًا من هذا القبيل ثناء العلم والدين معًا الاب البندكتي الانكليزي دون كوثبرت بُتلر (Dom Cuthbert Butler) الذي خصَّ بدروسهِ تاريخًا مهمًّا لاحد كتبة اواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس يُعدّ تأليفهُ كالحكم الفاصل في هذه الدعوى . نريد احد شهود العين الذي عاش نحو عشرين سنةً بين اولئك النسّاك وتتلمذ لهم واخذ عنهم وبحث بحثًا نعمًا عن كلّ احوالهم . والمذكور هو پلاديوس الذي وُلد في بلاد غلاطية من اعمال آسية الصغرى نحو سنة ٣٦٣ للمسيح وتفرَّغ للعيشة الرهبانيَّة زاهدًا في الدنيا سنة ٣٨٥ فقضى اعوامًا في النسك قريبًا من بيت المقدس على جبل الزيتون . وبعد ثلاث سنوات احبَّ ان يعاين العجائب المرويَّة عن سيّاح مصر فرحل اليها وساكن اوّلًا الرهبان المجاورين للاسكندريَّة ثمّ توجَّه الى الجنوب متوغّلًا في براري الصعيد في اقفار جبل النطرون والاسقيط

وبعد تسع سنين اضطرّتهُ صحّتهُ النحيفة ان يعود الى فلسطين سنة ٣٩٩ فاستوطن بيت لحم الى ان وقع عليهِ اختيار اهل بيثينية لكرسيّ اسقفيَّة هيلانوبوليس فصار هناك احد أنصار القديس يوحنا فم الذهب في وجه مضطهديهِ ونالهُ بسببهِ محنٌ شتّى ثمَّ أُلقي في الحبس فقاسى الشدائد احد عشر شهرًا ثمّ نُفي فانتهز هذه الفرصة ليعود الى صعيد مصر فيذوق ثانيةً لذّات الزهد ويتمتّع بنعمة التعبّد لخالقهِ بين اخيار البشر فواصل ذلك ستّ سنوات . ثمَّ عاد الى بلادهِ سنة ٤١٢ ونُقل الى كرسيّ أسپونا الاسقفي في غلاطية وبقي فيهِ الى سنة وفاته نحو ٤٣٠

هذه خلاصة ترجمة بلاديوس . ولعلَّهُ كان مات وخمل ذكرهُ وتلاشت معهُ معلوماتهُ عن السيَّاح الذين عرفهم حقَّ المعرفة وسكن بينهم طويلًا لولا كبير حجَّاب الملك ثاودوسيوس الثاني يُدعى لوزوس (Lauzus) الذي صادق بلاديوسَ الاسقف وسمع غير مرَّة من فيهِ العجائب التي عاينها بين فئات الرهبان في فلسطين وخصوصاً في الصعيد فألحَّ عليهِ الحاجب بان يسطّر اخبار اولئك الزهَّاد فاجابهُ بلاديوس الى سؤْلهِ وكتب باليونانيَّة التاريخ المطلوب قسَّمهُ على عدَّة فصول فكان تأليفهِ اصدق واثبت ما ورد عن اولئك العبَّاد

وقد نال هذا العمل من الشهرة ما أدَّى الى توفير نسخهِ وربَّما تداولتهُ ايدي النساخ فسختهُ . ومنهم من زاد عليهِ ما بلغهُ بالسماع او ادخل فيهِ ما قرأهُ في غيرهِ من الكتب المجانسة لهُ ولا سيما بعد ان نُقل الى لغات شتَّى كاللاتينيَّة والقبطيَّة والارمنيَّة والسريانيَّة والعربيَّة (راجع المشرق ٧: ١٠٦٨ ع ٤٨) حتى يصعب على المنتقدين ان يعرفوا ما صدر مكتوباً بقلم بلاديوس في الاصل وما أُضيف اليهِ من بعدهِ .

وقد توفَّق الى بلوغ هذه الغاية الاب بُتلر في كتابين جعل الاوَّل كمقدَّمة على الثاني ففي الاوَّل بحث عن كلّ التآليف التي تصان في خزائن الحواضر الاوربيَّة ومدارها على عيشة قدماء رهبان الصعيد ثمَّ اوقف نظرهُ في تاريخ بلاديوس ففحص نيِّفاً وتسعين نسخة من نسخهِ التي وجدها في مكاتب الغرب وفي جبلَي أتوس وسينا وفي اورشليم ولما كن غيرها . فبعد المقابلات الطويلة والنظر المدقّق والاستعانة باقوال المؤرخين الذين عاشوا في زمن بلاديوس او بعده بقليل كسوزومين والقديس ابيفانيوس والقديس ايرونيميوس تمكَّن من استخراج النصّ الاصليّ فنشرهُ في الكتاب الثاني الذي تمَّ بعد الاوَّل بستّ سنوات قضاها المؤلف اثابهُ الله في التفتيش والبحث . ومن راجع هذا المتن بعد تمحيصهِ وجدهُ كافياً لمجد اولياء الله الذين شرَّفوا بلاد الصعيد بعبرَّاتهم المتعدّدة ومساعيهم المشكورة وخوارقهم العجيبة التي دوَّنها بلاديوس كما رآها بنفسهِ او سمعها ممَّن عاينوها وكلهم رجال ثقة لا يُشكّ في رواياتهم (١

١) وهذا اسم الكتاب بالانكليزيَّة :

DOM CUTHBERT BUTLER : **The Lausiac History of Palladius.** *Texts and Studies,* Contributions to biblical and patristic literature, edited by J. A. Robinson, D. D., *Cambridge, at the University Press.* vol. VI, n^os^ 1 et 2, 1898 et 1904. In-8, XIV-293 et CIV-278

*

هلمَّ بنا نذكر شيئاً مما افادنا اياه صاحب تاريخ رهبان الصعيد عن اولئك النسّاك الذي تألّهوا بالعبادة والاعمال الصالحة لكنّنا نضرب الصفح عن كثير مما سبق حضرة الاب ميشال جوليان فاختصره في مقالتين نشرهما في المشرق (٤: ٥٧٧ و ٦٥٣ ثم ٦: ١٤٥ الخ) وقد وصف فيهما اديار مصر القديمة ولا سيما اديار القديس باخوميوس في الصعيد التي زار آثارها وذكر اقوال الكتبة الأثبات في صددها

١ ﴿ عدد الرهبان ﴾ واوّل ما يُستفاد من تاريخ پلاديوس عدد الرهبان المتنسكين في زمانه . فانّ جهات مصر عموماً والصعيد خصوصاً كانت أضحت حافلةً بالمستعمرات الرهبانية حتى ان عدد الاديار المذكورة في هذا التاريخ وفي كتابات ذلك العصر يربي على الثلاثين . وكان بعض هذه الدِيَرة يحتوي الفاً من الرهبان بنيّف فان دير التبنّي مثلًا كان يسكنهُ ١٣٠٠ راهب . وكان عدد الرهبان الذين يتبعون قانون القديس باخوميوس وحده ٧٠٠٠ عابد وكان يسكن جبل النطرون ٥٠٠٠ غيرهم . وزد على ذلك اديرةً كانت مختصةً بالرواهب وحدهنَّ يبلغ عددهنَّ الأُلوف وكان في انطينوبوليس وارباضها ١٢ ديرًا للمتبتّلات . ويشير پلاديوس الى اديرة فلسطين والعراق وما بين النهرين وكان عدد نسّاكها كما في مصر . فكأنَّ نصارى ذلك العهد كانوا يشعرون بدافع عظيم يسوقهم الى سكنى البراري والقفار فقطنوها وقدّسوها بحياتهم الالهيّة . وربّما كان وجودهم سبباً لانشاء مُدنٍ كبيرة عمروها اوّلًا كمناسك لهم ثمّ تحوّلت بعدئذٍ الى بلاد عامرة تدلُّ اسماؤها الى اليوم على أصلها . وعلى هذا المثال في بلاد الشام دير الزور ودير عطيّة

٢ ﴿ مناسكهم ﴾ لم يعش هؤلاء الرهبان هَمَلًا بل كانت سيرتهم منظَّمة يقضون حياتهم بالشغل والاعمال الصالحة تحت نظر احد الآباء العريقين بالعيشة النسكيّة المتأسّسين على آدابها منذ الزمن القديم. وكان الذين سبقوا الى الترهّب كبولا وانطونيوس ومكاريوس وهيلاريون متوحّدين عائشين في الزهد منقطعين عن العالم لا يشاوُون البتّة الاختلاط باهلهِ يقسمون وقتهم بين الصلاة وشغل اليدين . لكنَّ عرف فضائلهم ما لبث ان انتشر في النواحي المجاورة فجعل الناس يتواردون اليهم ثم تتلمذوا لهم وانتسوا

بامثالهم . وكان اذا زاد عددهم اقتسموا كثَوْل النحل فعمروا منسكاً جديدًا تحت قيادة احد شيوخ الرهبان

على انَّ هذه العيشة وان كانت بنظام وترتيب لم يكن لاصحابها قانون يجرون عليهِ في كلّ اوقاتهم حتى شعر الشيوخ بالحاجة الى وضع قانون معلوم يسير بموجبهِ الذين يطلبون الترهُّب . فمن ذلك قانون القديس انطونيوس وقانون القديس باخوميوس وقوانين أُخرى منها عموميَّة ومنها خاصَّة ببعض الامكنة . وعلى مثال هذه القوانين كتب القديس باسيليوس قانونهُ الشهير في بلاد بنطوس والقديس مبارك في ايطالية

وكان القادمون الى هذه الاديرة اذا اتوها كضيوف يسكنون في منازل خاصَّة خارجاً عن سور الدير فاذا لم يرحلوا بعد ثمانية ايّام دعوهم الى شغل اما عقليّ امَّا يدوي فرارًا من البطالة . امَّا اذا اتوا طالبين الترهُّب فكانوا يكلون بامرهم الى احد النظَّار قبل ان يضمُّوهم الى جماعة الرهبان فيروّضهم الناظر في كافَّة اعمال النسك ويختبرهم بضروب الاختبارات ليمتحن دعوتهم ويدرّبهم على الفضائل الرهبانيَّة فيدوم ذلك ثلاث سنوات يُقبَلون من بعدها في عداد الاخوة ان وجدوهم اهلًا بذلك

وكان للاخوة في الاديرة القانونيَّة لبس واحد وطعام واحد . فكان لبسهم من جلود الماعز او الوبر في نهارهم وفي ليلهم درعاً من الكتَّان ويجعلون على رؤوسهم في الرتب الدينيَّة قبعة تُعرف بالاسكيم يجعلون على مقدَّمها صليباً احمر . اما سكناهم فكانت القلاليّ يبيتون فيها ثلاثة ثلاثة وفي القلاية ثلاث دككٍ لطيفة من الحجر بانحناء خفيف كانوا يضطجعون عليها بلا فراش . وكان مأكلهم في مطاعم عموميَّة يجتمع فيها الاخوة كلُّهم وكانوا لا يأكلون سوى الخبز والبقول والالبان اللهمَّ الَّا العَجَزَة بينهم او المرضى فيطعمون لحماً . وكان كثير منهم لا يأكلون الَّا مرَّة واحدة في اليوم عند غروب الشمس وكان منهم من يطوي صائماً اليومين واكثر . وكانوا يدفنون موتاهم في قبور منقورة في الصخور تُرى الى عهدنا . وربَّما اتخذوا لذلك مدافن قدماء المصريين في اعطاف الجبال . وامَّا النساء فكانت اخواتهنَّ يسجّيهنَّ في الاكفان ويجعلنهنَّ على ضفَّة النيل فيأتي الاخوة وينقلون الجثَّة الى المدافن العموميَّة

٣ ﴿ اشغالهم ﴾ كثيرًا ما يتخيَّل الناس ان العيشة الرهبانيَّة عيشة راحة لا يتكلَّف اصحابها عناء . وكفى بالردّ على هذا القول ما اخبر بهِ پلاديوس عن رهبان

الصعيد الذين عاش بينهم ورأى اعمالهم . وكان اوّل اشغالهم اقامة فرائضهم الدينيّة في ساعات معلومة من النهار والليل يجتمعون فيها لتلاوة المزامير وصلوات اخرى طويلة ويترنّمون بالتسابيح . وكان مجمل هذه الصلوات في ايّام الاعياد ٣٩ صلاةً يقسمونها اربعة اقسام

وكانوا اذا فرغوا من الصلاة يسرعون الى الشغل والشغل هذا فرض لازب على قدر قوى كلّ راهب وعلى حسب استعداده . فكان بينهم قومٌ للتعليم والارشادات التقويّة وملازمة الدروس الدينيّة كالعلّامة ايفغريوس والشيخ امونيوس وديديموس المكفوف احد علماء الاسكندريّة . وكان غيرهم يصرفون وقتهم في نسخ المخطوطات فاكتسبوا بذلك شكر العلماء اذ حفظوا لنا من الضياع عددًا لا يُحصى من المخطوطات التي وفّروا نسخها . وكان غيرهم يُعنَون بتمريض الاعلّاء . واكثر منهم من يشتغل بالاعمال اليدويّة كنسج الحصر واصطناع القفف والسلال وحياكة الثياب . وبعضهم كان موكلًا برعية المواشي وتربية الخنازير يبيعونها دون ان يمسّوا لحومها . والآخرون كانوا يهتمّون بالزراعة على كلّ فنونها ويُعنَون خصوصاً بالنّخل لكثرة منافعهِ . وممّن وجدهُ بلّاديوس من الصَّنَعة في دير بانوبوليس (حيث كان عدد الرهبان ثلاثمائة) خمسة عشر خيّاطاً وسبعة حدّادين واربعة نجّارين واثني عشر جمّالًا وخمسة عشر قصّارًا . فناهيك بهذه الامثلة شاهدًا على شغل اولئك الرهبان الذين عدّوا الشغل كشقيق للصلاة . امّا الذي كانوا يكسبونهُ من الأجرة في مبيع هذه الاعمال فكانوا يصرفونهُ في حاجات اهل الدير وما فضل عن ذلك كانوا يتصدّقون بهِ على الفقراء والمساكين او يصرفونهُ في الاعمال الخيريّة

٤ . ﴿ فضائلهم ﴾ لو اردنا الاتّساع في هذا الموضوع لأدى بنا الى الطول المملّ وما يُقال اجمالًا أن سيرة اولئك الرهبان كانت بالارواح اشبه منها بالبشر . اذ كانوا يمارسون اسمى الفضائل التي تحبّبهم الى الله وتقرّبهم من الكمال السرمدي . وقد تتبّع بلاديوس في كتابهِ اعمال كثير من هؤلاء المتنسكين فوصفهم احسن وصفٍ دون مبالغة في ما روى وهو لا يخاف ان وجد فيهم ضعفاً بشريًا ان يذكرهُ كما عرفهُ . وكان اكثرهم اذا زهدوا في الدنيا يبدأون بمحاربة الاميال البدنيّة والاهواء الجسديّة فيعاملون الجسد معاملة العدوّ الالد . فهذا يقمعهُ بالصوم الطويل وشظف العيش وذاك

يحرمهُ من النوم او ينام غرارًا او واقفًا مسندًا رأسهُ الى حائط دون اضطجاع . ومنهم من كان يشتغل الاشغال الشاقّة من بناء وحراثة ونقل الاثقال وكان غيرهم يتعرَّضون في النهـار للَسع الزنابير او يتقلَّبون بين الاشواك والدغل الى غير ذلك من التقشفات الغريبة التي كانوا يضاعفونها اذا ما ازعجتهم وساوس الشيطان

وكان اولياء الله اذا ما قهروا اجسادهم وذلّلوا اهواءهم المنحرفة ينكبُّون على الفضائل التي تزيدهم حظوى الى الله عزَّ وجلَّ من اتّضاع وتقىً وتفـانٍ في خدمة القريب وسدّ حاجاتهِ واصلاح طباعـهِ السيئة وتعليمهِ طريق الخلاص . وكان غيرهم يتردَّدون مع الله ويتنعَّمون في مناجاتهِ دون انقطاع . وقد ارتدَّ على يد هؤلاء النسَّاك كثيرون الى الايمان المسيحيّ بعد ان كانوا يعيشون كالهمج في عبادة الاصنام منهم في النوبـة وفي بلاد برقة وليبية وبلاد السودان . وكثيرًا ما منحهم الله اصطناع القوّات والعجائب من شفاء المرضى واخراج الشياطين من المسكونين . ومنهم من كان يوحي اليـهِ الله خفايا القلوب او يريهِ ما يجري في بلاد بعيدة كديديموس الذي بعد ان صلّى يومًا الى الربّ زمنًا طويلًا ليكفَّ عن كنيستهِ يد يوليان الجاحد غلب عليـهِ النعاس فرأى في نومهِ خيلًا عليهـا فرسان سمعهم يقولون : « بشّروا ديديموس بموت يليان فانهُ نال جزاءهُ اليوم . . . قم يا ديديموس وافطر بعد صومك واكتب الى اثناسيوس بما جرى» . فبعد ايّام وردت اخبار كسرة الامبراطور يليان في المدائن

هذه وامور اخرى كثيرة اودعهـا پلاديوس في تاريخهِ كما شاهدها وسمعها دون تصنُّع ولا زخرفة كلام حتّى ان تيلمون المؤرخ الشهير قال في حقّـهِ : « انَّنا لا نعرف في التواريخ القديمة كتبًا كثيرة تلوح الحقيقة من خلال سطورها كهذا فان صاحبها مولعٌ بالصدق واليقين لا يروي امرًا الَّا بعد أن تحقَّق صحتهُ بنفسهِ او بحث عن رواتهِ الثقات لئلّا ينخدع بما يروي او يخدع قرّاءهُ » . قلنا وهذه الطبعة الجديدة التي نحن في صددها قد زادت الكتاب قيمةً اذ جرَّدتهُ عمّا كان أُضيف اليـهِ من الروايات غير الاصليَّة وصفَّت ماءهُ الزُّلال من كلّ تكدير .

رسالة في المؤنَّثات السماعيَّة

استنسخنا هذه الرسالة عن كتاب مخطوط فيهِ عدَّة مقالات لغويَّة اوَّلها مقالــة مطوَّلة في الفروق لنور الدين بن نعمة الله الحسيني الجزائري من كتبة القرون المتأخرة . ونظنّ انَّ الرسالة في المؤنَّثات السماعيَّة لهُ ايضاً وهي في المجموع عينهِ دون فاتحة ل . ش

(قال) انَّ معرفة المؤنَّث السماعيّ متعسّرة. امَّا طريق معرفتها فتتبُّع كلام العرب. وكلامهم قد جُمع على الاكثر. ونحن نذكر هنا المؤنَّثات السماعيَّة بحيث لا يبقى منها الَّا النادر ونرتّب اوائلها على ترتيب حروف المعجم:

﴿ الهمزة ﴾ أُذُن. إصبَع. أرْوَى (اي الوعل الجبليّ). ارضٌ. إنْس. آل (وهي السراب). ألُوب (وهي النشاط والريح). أرْنب. أجأ (اسم جبل). إبل. استٌ. أفعى. أضْحَى

﴿ الباء ﴾ بُنصر. بئر. باع. بَشَر (يجوز تأنيثهُ وتذكيرهُ)

﴿ الثاء ﴾ الثُّمام (للنبت يُصنع منــهُ الحُصر). واما ثَعْلَب وثُعبان وثَدْي فتؤنَّث وتذكَّر

﴿ الجيم ﴾ جَراد. جنّ. جَحيم. جِعَار (حبلٌ يشدُّهُ الرجل على وسطهِ اذا نزل الى البئر). جهنَّم. جَزُورُ. جام. جَنُوب

﴿ الحاء ﴾ حَلاق (وهي الموت). حَضَا (اسم نجم). حَرْب. حَضاجِر (وهي الضبع). حَرُور (وهي الريح الحارَّة بالليل). حَدُور (وهي الطريق من علو الى اسفل). حانوت. وامَّا الحَال والحمَّام فيذكَّران ويؤنَّثان

﴿ الخاء ﴾ خَيل. خِنصِر. خَمر. وجميع اسماء الخمر ومعانيها . واما الخِرْنِق (ولد الارنب. بكسر الخاء) فيذكَّر ويؤنَّث

﴿ الدال ﴾ دَبر. دار. دَلْو. دِرْع (التي تُلبَس لدَفْع السلاح. امَّا الدِّرع الذي هو قميص النساء فمذكر). دَبُور

﴿ الذال ﴾ ذِراع. ذُكاء (وهو اسم للشمس). ذَنُوب (الدلو الكبيرة). اما الذَّهَب فيذكَّر ويؤنَّث. الذَّود (وهي الثلث الى العشر من النوق)

﴿ الراء ﴾ الرّيح وجميع اسمائها كالجَنُوب والشّمال وغيرهما . الرِّجل (التي هي العضو المعروف من الحيوان) والرِّجل (التي هي قطعة من الجراد) . رَحِم . رَحى . رُوح (بمعنى النفس . واما الروح بمعنى المهجة فمذكّر)

﴿ الزاي ﴾ زَند . زَوج

﴿ السين ﴾ سَهْ (وهي الإِسْت) . ساق . سَعير . سلطان (اي السلطة) . سماء . سِلم (وهي الصلح) . سَبيل . سَفط . سُلَّم . سِلاح . سَراويل . سَبَاط (وهي الحُمّى) . سَقَر . سُوق . سُرى . سَمُوم (وهي الريح الحارّة في النهار)

﴿ الشين ﴾ شَمال . شَعُوب (وهي الموت) . شَمس

﴿ الصاد ﴾ صَاع . صَدر . صُراط . صَعُود (وهي مثل الحَدُور) . صَبا . صَعُوب (وهي ضد الصبر) . واماَّ صَليف (وهي صفحة العُنق) فتذكّر وتؤنّث

﴿ الضاد ﴾ ضِلع . ضَرَب (بفتح الراء . وهي العسل الابيض) . ضَبُع . ضأن . ضُحى

﴿ الطاء ﴾ طاغوت . طبَق . طَويّ (وهي اسم البئر) . طَير . طَست . طاووس

﴿ الظاء ﴾ الظُّهر (بضمّ الظاء)

﴿ العين ﴾ عَين . عَضُد . عُمر . عَرُوض (وهي آخر المصرع الاوّل من البيت واسم لمكّة والمدينة) . عُقاب . عَقْرَب . عاتِق . عُقار . عِير . عِرس (وهي الزوجة) . عَواء (بالفتح وهي منزل من منازل القمر) . عَجز . عشاء . عصاً . عَنكَبوت . عنز . عُنُق . عَقِب

﴿ الغين ﴾ غُول . غنم

﴿ الفاء ﴾ فَخذ . فَرَس . فِرسِن (وهي تحت خفّ البعير) . فِهر (وهي الحجر الصغير واسم لقبيلة) . فأس . فُلك

﴿ القاف ﴾ قِتب (وهي المِعَى . قَفا . قِدر . قُلب (وهي الحفرة في الجبل) . قَوس . قَدُوم . قُدَّام . قَليبٌ وهي البئر

﴿ الكاف ﴾ كفٌّ . كُرَاع (وهي الخيل) ولما دون الكعب من الدوابّ) كَبِد . كِرش . كَتِف . كَؤُود (وهي الطريق الى موضع مرتفع صعب) . كأس . كُحُل

﴿ اللام ﴾ لَظىً · لَيل · لَبُوس · لِسَان

﴿ الميم ﴾ مِعًا (وهي الكِرش) · مِلح · مِسْك · موسى (وهو ما يُحلَق بـه الرأس) · مَنُون (وهي الموت) · مَنجَنيق · مَنجَنُون (وهو الشيء الذي يُقال لـه بالفارسيَّة ِكردون)

﴿ نون ﴾ نَار · نَعل · نَفس · نَوَى

﴿ الهاء ﴾ هَبُوط (مثل الحَدُور) · هُدَى

﴿ الواو ﴾ وَطِيس · وَرِك · وَعْل (وهي الحِمَاء) · وراء

﴿ الياء ﴾ اليمين بجميع معانيها · يد · يَسار · يَعْرُب (اسم قبيلة) · يزاد عليها اسماء البلدان · وحروف الهجاء · والحروف نحو : في وعلى · كلّها مؤنثات سماعيَّة · وقد نظم ابن الحاجب المؤنّثات السماعيّة في قصيدة هذا لفظها :

نَفْسي الفداء لسائلٍ وافاني ... بمسائلٍ فاحت كغصن البانِ
اسماء تأنيث بغير علامةٍ ... هيَ يا فتى في عُرفهم ضربانِ
قد كان منها ما يؤنَّث ثم ما ... هو فيـهِ خيرٌ باختلاف معانِ
امَّا التي لا بدَّ من تأنيثها ... ستون منها العين والأذنانِ
والنفس ثم الدار ثم الدلو من ... اعدادها والسنّ والكتفانِ
وجهنَّم ثم السعير وعقرب ... والارض ثم الاستُ والعضدانِ
ثم الجحيم ونارها ثم العصا ... والريحُ منها واللظى ويدَانِ
والغول والفردوس والفلك التي ... تجري وهي في البحر في العرّانِ
وعَروض شعرٍ والذراعُ وثعلبٌ ... والملح ثم الفأس والوركانِ
والقوس ثم المنجنيق وَارنَبٌ ... والخمرُ ثم التِبرُ والفخذانِ
وكذاك في ذهبٍ ومهرٍ حكمهم ... ابدًا وفي ضربٍ بكل بنانِ
والعين للينبوع والدرعُ التي ... هي من حديدٍ قدكَ والقدمانِ
وكذاك في كبد وفي كرشٍ وفي ... سَقَرٍ ومنها الحرب والنعلانِ
وكذاك في فرس فكأسٍ ثم في ... افعى ومنها الشمس والعقبانِ
والعنكبوت منها والموسى معًا ... ثم اليمين واصبع الانسانِ
والرجل منها والسراويلُ التي ... في الرجل كانت زينة العربانِ
وكذا الشمال من الاناث ومثلها ... ضبعٌ كذاك الكفّ والساقانِ
امَّا الذي قد كنتَ فيهِ مخيَّرًا ... هو كان سبعة عشر للتبيانِ
السِلم ثم المسك ثم الصدر في ... لغة ومثل الحال كل آوانِ
والليث منها والطريق وكالسرى ... ويُقال في عُنُقٍ كذا ولسانِ

وكذاك اسماء السَّبيل وكالضحى وكذا السلاح لقاتــلٍ طعَّانِ
والحكم هذا في القضاء ابدًا وفي رحمٍ وفي السكّين والسلطانِ
وقصيدتي تبقى واني اكتسي ثوب الفناء وكل شيء فانِ

مطبوعات شرقية جديدة

SEMITIC STUDY SERIES edited by **R. J. H. Gottheil** and **M. Jastrow** — N° I. Selection from the *Annals of Tabarî* by **M. J. de Goeje,** 1902, pp. 74 — N° VI. Selections from the *Saḥîḥ of al-Buḫârî* by **Ch. C. Torrey,** Leiden, late E. J. Brill, 1906, pp. 108.

نخبة مدرسية من تاريخ الطبري وصحيح البخاري

سبق لنا في المشرق (٨ : ٨٦٢) ذكر مشروع مدرسيّ قام بهِ جلَّة العلماء المستشرقين لتسهيل الدروس العربيَّة في كليَّات اوربَّة. وذلك أنّهم وكلوا الى بعض مشاهيرهم ان يستخرجوا من تآليف ائمَّة الكتَّاب مُلحًا يجعلونها في ايدي الطلبة يستغنون بها وقت دروسهم عن مراجعة الاصول الموسّعة. وممَّا بلغنا من ذلك آخرًا كرَّاستان تحتوي الاولى نخبةً انتزعها من تاريخ ابي جرير الطبري العلَّامة دي غوي من اساتذة كليَّة ليدن. والثانية فصولًا من صحاح البخاريّ للاستاذ طُرّاي. امَّا طريقة المتولّين لهذه الاعمال المفيدة فكلها متشابهة. فانَّهم يصدّرون منتخباتهم بفصل في الانكليزيَّة يجعلونهُ كمقدَّمة للعمل ثمَّ يلحقونهُ بما نقلوهُ من الاصل مع تذييلهِ ببعض الحواشي اللازمة ويختمونهُ بشرح الالفاظ العويصة او العبارات المستغلقة الواردة في كل صفحة وهذه الشروح بالانكليزيَّة والالمانية. فكفى بوصف هذه المنشورات وطريقتها لتعريف فوائدها ولترغيب القرَّاء في اقتناء ما طُبع منها ل . ش

كتاب دليل الفردوس

خطبٌ انشأها وجمعها حضرة الخوري افرام ابيض خادم طائفة السريان بمصر

المجلَّد الثالث. طُبع في مطبعة التَّوفيق في مصر سنة ١٩٠٦ (ص ٤٢٩)

نعم الدليل ورد علينا ثالثةً ليقود ليس الاجساد بل الارواح. ليس الى مشاهدة بلاد زائلة او الى معاينة تحف فانية بل الى نظر ما لا ينتهي مع الزمان ولا يبرح مع الابدان الى معرفة طريق الهدى الى جنَّات مخلَّدة وفردوس دائم. وكأنَّ صاحب الدليل عرف

الفرق بين الزمني والابديّ فاوقف نفسهُ الى نهج طريق هذا دون ذاك بلّغهُ الله تلك الغاية الشريفة وبصحبتهِ الألوف ممّن ينكّب بهم بتعاليمهِ عن الغيّ والضلال. وفي هذا الجزء ٣٥ عظـةً او خطبةً ألقاها حضرة الخطيب المصقع أمام الجموع التقاطرة الى استماعهِ فضمّنها لُباب التعاليم الخلاصيّة متعقّباً في ايرادها آثار من زانوا منابر الخطابة بين الخطباء المحدثين . ولم يكتفِ لتحقيق امانيـهِ بالمواعظ الروحيّة التقويّة بل احبّ ايضاً ان يخوض مع اعداء الدين في ميدان البحث والتنقيب لتزبيف الاعتراضات التي توهّموا صحّتها واستندوا اليها كما يُستند الى الجرف الهاري . فجاءت براهينهُ مقنعـةً وادلّتهُ قاطعةً وكلّ ذلك على طرز الكتبة « المحدثين متسربلًا في انشائهِ كل الازياء وجائلًا ضروب الفصاحة وابوابها ليفوز بغايتهِ الجلّى ». وعليهِ فلا يبقى علينا الّا ان نثني على صاحب هذه الخطب ونشكرهُ على توفيرهِ للمسيحيين مناهج الخلاص ونحضّ القرّاء على مطالعة الكتاب ليحرزوا فوائدهُ الكثيرة فضلًا عما يجدونـهُ في آخرهِ من التذييلات نخصّ منها بالذكر مقالةً في يعقوب السروجي نقلهـا حضرتهُ عن المشرق بعد اطرائهِ لمجلّتنا بما اوجب علينا مضاعفة شكرهِ اجزل الله ثوابهُ ل . ش

RUBENS DUVAL : **Littérature Syriaque**, 3e éd., Paris, Lecoffre, 1907, In-12, XVII-430

آداب اللغة السريانيّة

انّ الدروس السريانيّة قد اتّسعت منذ عشر سنوات اتّساعاً كبيرًا . وممّن ساعد على هذا الترقّي بين الفرنساويين خصوصاً العلّامة روبنس دوڤال استاذ اللغة السريانيّة في مكتب باريس بما نشرهُ من المطبوعات المفيـدة كمعجم بربهلول وغيرهِ . ومن خدمهِ المشكورة تاريخ الآداب السريانيّة طبعهُ لاوّل مرّة سنة ١٨٩٩ فأقبل على مطالعتهِ محبّو الآثار الشرقيّة اقبالًا عجيباً . وها انهُ اليوم قد اضطرّ الى اعادة طبعهِ ثالثةً . وجنابهُ لم يشأ ان يُنشر الّا بعد أن اعاد النظر في عملهِ وزاد عليـهِ فوائد جديدة مع حواشي متعدّدة لتعريف المطبوعات المستحدثة والاكتشافات الاخيرة فجاءت هذه الطبعة شاملةً جامعة . والكتاب على قسمين قسمٌ في آداب السريان والكلدان منذ نشأتها الاولى على اختلاف فنون الكتابة . وقسم في تراجم الكتَبة جيلًا بعد جيل . وناهيك بهذا التقسيم دليلًا على كلّ مآثر الطوائف السريانيّة ومجمل تاريخ حياتهم الادبيّة . وهذا الكتاب ممّا لا يستغني عنهُ من اراد الاطّلاع على مصنّفات الشرق المسيحيّ الاب ل . ريفوله

Modern Arabic Tales, by **Enno Littmann**, Ph. D. — Arabic text. — *Leiden, E. J. Brill,* 1905, in-8°, 272

قصص في اللغة العربيّة السائرة

أمّت الشرق في خلال سنة ١٨٩٩ بعثة اميركيّة للبحث عن الآثار القديمة والتنقيب عن غوامض تاريخ البلاد وشوارد اللغة العربيّة سيّما التي تتداولها العامّة في هذه الايام. وقد قام بهذه المهمّة رهط من العلماء المستشرقين الذين شُغفوا بمآثر امصارنا ووقفوا حياتهم على نشرها منهم الاستاذ أنو ليتمان الالماني احد المتخرجين على العلّامة نلدكه المستشرق الشهير فخلفهُ في تدريس اللغات الساميّة في كليّة ستراسبورغ وحسبنا ذلك برهانًا على مقدرتهِ وتعمُّقهِ في المباحث وصدق آرائهِ فيها. وقد اخذ على نفسهِ ان يميط الحجاب عن اسرار اللغة العربيّة السائرة في نواحي القدس على اختلاف لهجتها وتراكيبها فلجأ الى الاهلين وسألهم ايراد بعض قصص، رووها لهُ فاثبتها كاتب اسرارهِ بالحرف وُعني هو بنشرها في كتاب بلغت صفحاتهُ ٢٧٢ واحتوت على ٣٥ فكاهةً. وقد وعد حضرة الاستاذ ليتمان بترجمتها الى الانكليزيّة وبالحاق ترجمتهِ بمجموع قواعد يضمّنها شتات لغة القدس وبمعجم يُرجع اليهِ فيما كان غامضًا من مفرداتها فتعمّ بذلك فائدة الكتاب وتستقرّ بهِ اصول لهجة سكان فلسطين ولا يخفى ان المصنَّف المذكور هو القسم السادس من تآليف البعثة الاميركيّة المشار اليها. واننا نأسف لبعض اغلاط لم يتداركها من وقف على طبع الكتاب ولعلّ حضرة الاستاذ يصلحها في القسم الثاني. وعلى كلّ فاننا نشكره لاعتنائهِ في اللغة العربيّة وبذل قواهُ في احياء الآثار الشرقيّة ي. خ

شَذَرَاتٌ

رتبة ذر الرماد عند الموارنة — كتب لنا حضرة القس جرجس منش ما يلي: ذهب البعض (المشرق ٨: ٢٥٧) الى ان رتبة ذرّ الرماد دخلت في طقوس طائفتنا المارونية من امدٍ قريب. واستدلُّوا عليهِ بسكوت المجمع اللبناني عنها في تعداد الرتب التي يجب على كاهن الرعيّة ان يقوم بها ومن ثمّ ظنّوا انها على الاصحّ من تأليف سعيد الاثر البطريرك يوسف اسطفان. (قلتُ) فالظاهر من اصحاب هذا الراي ان استعمال هذه الرتبة لا يتجاوز اواخر القرن الثامن عشر وعندنا انّ قولهم ليس بصواب اعلم ان رتبة ذرّ الرماد اعرق وضعًا واقدم زمانًا فان لم يكن استعمالها من مبادئ

القرون المعروفة بالمتأخرة فلا اقلّ من ان يكون من اول القرن السابع عشر على ما يظهر بكل جلاء من النسخة المخطوطة في هذا القرن الآتي ذكرها . فهي ليست من تأليف البطريرك يوسف اسطفان بل من تأليف طقسي ماروني آخر تقدّمهُ زمناً فان لم تكن من تعريب القلاعي عن الرتبة الرومانيّة فهي بلا شك من تعريب احد تلامذة مدرسة رومية المارونية وبعدهُ اعاد تعريبها وتهذيبها العلّامة جرمانوس فرحات كما سترى . وبناء عليهِ فاستدلال البعض بالمجمع اللبناني باطلٌ اما لان مؤلفهُ قد سها عن ذكرها او يكون سكت عنها لعدم شيوعها في كنائس الطائفة كلها . ومهما يكن من الامر فهل كل ما ذكرهُ المجمع من مثلها قديم ؟ وهل كل ما لم يذكرهُ حديث ؟ وبالنتيجة هل ذكر كتب الطقس برمتها ؟ تلك اسئلة يجيب عليها كل من راجع هذا المجمع وعرف كل ما ذكره من كتب الطقس الماروني قديمها وحديثها

وهذا كلهُ يثبتهُ كثير من الأسناد فقد ورد في ذيل نسخة الرتب المصونة في كنيسة حلب حاشية علّقها جرمانوس فرحات هذا نصُّها :

اعلم ان هذه الرتبة (المبحوث عنها) كانت قديمة عند طائفة الموارنة ثم دثرت من خراب بلادهم ومن عدم المعتني باستعمالها . والآن جددها في كنيسة حلب الحقير في روساء الكهنة جرمانوس الماروني الحلبي اسقف حلب سنة ١٧٢٩ مسيحيّة . نقلها من كتابٍ كرشوني قديم من كتب دير قنوبين كرسي بطركية الموارنة تاريخهُ ستة وعشرون يوماً من شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٣٢ مسيحية . وهذا الكتاب محفوظ الآن في قلاية الموارنة في مدينة حلب

وورد في فريضة ٦٣ من مجموعة فرائض فرحات ما هذا حكايتهُ :

يوم الاثنين او الصوم الكبير يتبارك الرماد في الكنيسة امّا من الاسقف او من صاحب السبّة او من خوري الرعيّة . حسب الرتبة الرومانية التي وضعت هنا . . . ويُرش على رؤوس المسيحيين في ذلك اليوم كما هو معيّن من الرتبة المنقولة من اللاتيني . . . وهذه الرتبة اول من اثبتها في كنيسة حلب جرمانوس اسقفها . وذلك سنة ١٧٣٠ مسيحيّة في حلب المحميّة

وفيهِ غنى عن شواهد اخرى اضرب عن اثباتها خشية ملل القرّاء الكرام

على ان ما في هاتين الفقرتين لا يخلو من الاعتراض لاول وهلة على الزمان الذي ألّف فيهِ فرحات هذه الرتبة او اعاد تعريبها ولكن لا تناقض بينهما اذا علمت ان الفقرة الاولى تشير الى زمن تأليف الرتبة والثانية الى زمن تثبيتها وبالتالي ان كلّا منهما يشير الى رتبةٍ تخالف الاخرى ُعني بكلتيهما العلّامة فرحات الآنف الذكر فالاولى توافق القديمة وتخالف الثانية ترتيباً ووضعاً ما خلا بعض الصلوات المنثورة والثانية توافق

للطبوعة تمام الموافقة ما عدا بعض اختلاف وزيادة احدثهما فيها على ما اظن البطريرك يوسف اسطفان او المطران نقولا مراد طابع كتاب الرتب. وعليهِ فقد اصبح من الثابت المقرر ان الرتبة مأخوذة عن الرتبة الرومانية اخذها عنها الطقسي الماروني الاصلي ثم اعاد تعريبها وترتيبها وتهذيبها جرمانوس فرحات ثم غيَّر البطريرك الحساي واللحن الاول السرياني واضاف الابيات العربيَّة الاخيرة. واقف عند هذا المدى وفيهِ حدُّ الكفاية لبطلان ما توهمهُ البعض في هذه الرتبة واصلها والسلام

مشروع عظيم لا تزال المعامل الباريزيَّة في نموّ واتساع فيقتضيها كميَّات وافرة من الفحم الحجري الذي تنفق عليهِ فرنسة في السنة ١٢٠ مليونًا من الفرنكات هذا فضلًا عمَّا يُستخرَج من مناجمها العديدة. فتلافيًا لهذه النفقات الطائلة قدَّم احد المهندسين اسمهُ ماهل (Mahl) لحكومتهِ قرارًا لتُنقَل الى باريس قوَّة مياه نهر الرون فتُتَّخذ لانشاء الكهربائيَّة في معامل المدينة. فقد وجد هذا المشروع حظوى لدى مجلس بلديَّة باريس والمنتظر انهُ قريبًا يصادق على العمل. وغاية المهندس ان يحبس مياه النهر بسدّ عظيم عند بلغارد فيجمعها في حوض كبير قريبًا من كولونج (Colfonges) يمكنهُ ان يسع ٢,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعَّب ثم يحفر هناك قناتين طولها ٤٥٠٠ متر فيُحدر المياه من علو ٦٥ متر فهذه الشلالة تولد قوَّة كهربائيَّة عظيمة تبلغ مئة الف حصان بخاري ويقام بناء كبير لتحويل قوَّة المياه الى قوَّة كهربائيَّة تجعل فيهِ ٤٨ آلة مولدة للكهرباء ثم تُنقل الى باريس على طريقة مجرًى متواصل. وذلك بقلوس ضخمة وعلى خطّ مستقيم. فاذا تمَّ هذا المشروع اقتصدت باريس في كلّ سنة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات

اسئلة واجوبة

س كتب الينا حضرة الخوري ي. ط. من افاضل كهنة الموارنة في الثغر: «قرأنا في عدد الاهرام الصادر في ٤ شباط المنصرم ثمَّ في لوائح اخرى مطبوعة صدرت من المحفل الاورشليمي ومحفل السلام ان المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي قد عرَّب ترجمة الكتاب المقدَّس المطبوعة في مطبعتكم وانَّ حروف مطبعة اليسوعيين في بيروت من صنع يدهِ فنرجوكم الافادة عن صحَّة الخبر

تعريب التوراة — حروف مطبعتنا

ج نجيب (على الاوَّل) انَّ الكتاب المقدَّس الذي طُبع عندنا قد عرَّبهُ نقلًا عن

اللغات الاصليَّة الاب اوغسطين روده اليسوعيّ وكان المذكور درس العربيَّـة في بلاد الجزائر وعلَّم العبرانيَّة سنين طويلة وقد استعان على عملـهِ بثلاث طبعات عربيَّة اخرى سابقة: الاولى مطبوعة في مجموع التراجم الكتابيَّة المعروفـة بالپوليغلوتّا الذي طُبع في لندن سنـة ١٦٥٤ والثانية طُبعت في رومية سنة ١٧٦١ في ثلاثة مجلَّدات عرَّبها تلامذة مدرسة الموارنة في رومية . والثالثة الطبعة الامركانيَّة التي حوَّر عبارتها المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي . وقد رأينا مرارًا مسودَّات المترجم . وكان المذكور يعرض عملهُ على الشيخ ابراهيم اليازجي الذي ينقّح ما يرى تنقيحهُ فيأخذ منهُ الاب روده ما يراهُ موافقًا للاصل او يتباحثان في ذلك الى ان يقرّ رأيهما على شيء ثابت ثمَّ يعود اربعة آباء يسوعيين آخرين فينظرون في الترجمـة ويدوّنون ما لديهم من الملحوظات للمترجم فيصلح ما يقتضي اصلاحهُ . ومن ثمَّ ترى انَّ المرحوم الشيخ ابراهيم ليس هو المعرّب بل المنقّح فقط لهذه الترجمة . وكيف يا تُرى يمكنهُ ان يُدعى معرّبًا وهو لم يعرف اللُّغات العبرانيَّة والسريانيَّة واليونانيَّة اللهمَّ الَّا ما كان يتهجَّاهُ من اللغتين الاوليين ليس الَّا . وقد عاشرنا الشيخ مدَّةً وتحقَّقنا معرفتهُ من هذا القبيل . وزد على ذلك انَّ المرحوم بعد انتهاء ترجمة الكتاب المقدَّس قد نشر في البشير فصلًا مطوَّلًا من قلمهِ اثنى فيهِ على هذا العمل ونسب الى نفسهِ حصَّتهُ فيهِ اعني ما ذكرناهُ آنفًا من تصحيح العبارة وتثقيفها ليس التعريب نفسهُ (راجع الضياء ١ : ٤٧١) . ونجيب على (الثاني) انَّ مطبعتنا منذ انشائها قد استعملت ١٦ جنسًا من الحروف . ١ً الحرف الباريزي الذي جلبناهُ من باريز . ٢ً صنفًا آخر من الحرف الباريزي اغلظ اشتغل بحفرهِ المرحوم الاخ طالون الفرنسويّ . ٣ً–٦ً اربعـة اصناف من الحرف الاميركيّ غير المشكَّل اشترتهُ المطبعة وحسَّنتهُ . ٧ً–١٠ً اربعـة اصناف اخرى من الحرف ذاتهِ مسبوكة بحركاتها وهو شغل مطبعتنا الخاصّ . ١١ً الحرف الاسلامبولي الكبير مع اصلاحات لاحد اخوة رهبانيَّتنا . ١٢ً الحرف عينه مع الشكل المسبوك فيهِ . للاخ عينهِ . ١٣ً الحرف الاسلامبولي الوسط من شغل الاخ ذاتهِ . ١٤ً الجنس الصغير المعروف بجنس بولاق قد حفر أُمياتـهِ الشيخ ابراهيم اليازجي واصلحهُ الاخ المذكور . ١٥ً الحرف البيروتي الناعم . للاخ المنوَّه بهِ . ١٦ً الحرف الثلث او العلَّامي لهُ ايضًا . فترى ان بين كلّ هذه اصناف الحروف جنسًا واحدًا للشيخ ابراهيم وانَّ لاحد رهباننا فيهِ اصلاحات . وكفى بهذا لاثبات الحقيقة . ل . ش

المشرق

لبنان

نظر في اشغاله العموميَّة وزراعته ومستقبله الاقتصاديّ

للاديب اميل افندي خاشو سر مهندس لبنان سابقًا

قضيتُ سنتين في ادارة القلم الهندسيّ في لبنان فطفتُ كلّ انحاء هذا الجبل للقيام بمأموريّتي وعرفتُ احوالهُ حقّ المعرفة وذلك ما يسمح لي بتدوين بعض الملحوظات التي لحظتُها او بابداء ما خطر لي من الخواطر اثناء تجوالي. وقبل الاستفاضة في الموضوع الذي تحرّيتُهُ اصدّرهُ بوصف عامّ لحدود الجبل

(حدود لبنان) يدخل لبنان في جملة الجبال السوريَّة التي تتركب من اربع سلاسل كبيرة: الاولى تمتدّ في حدود سوريَّة الشماليَّة وهي فرعٌ من جبل قيليقية المعروف بجبل طورس. والثانية تعرف بجبل اللكَّام وهي تنقطع من الفرع القيليقيّ وتبلغ ارتفاعها الاعلى بازاء خليج الاسكندرونة ثمَّ تمتدّ الى جبل موسى فجبل كاسيوس وهو الجبل الاقرع وتميل الى الجنوب ومنها يتألَّف جبل النصيريَّة حتى تنتهي عند وادٍ كبير تسيل فيهِ مياه النهر الكبير الذي بهِ يتَّصل وادي حماة بالبحر المتوسّط. والثالثة هي سلسلة لبنان تقوم ما وراء وادي النهر الكبير وتسير توًّا من الشمال الى الجنوب مع ميلة خفيفة الى الغرب. والرابعة سلسلة تنتصب بازاء السلسلة اللبنانيَّة موازيةً لها. وهي السلسلة المعروفة بالجبل الشرقيّ نهايتها عند الجنوب بالجبل المسمَّى جبل الشيخ ومنها تتفرَّع شرقًا فروع أُخرى تمتدُّ الى ما وراء دمشق الى جهات تدمر

فلبنان والجبل الشرقي هما في وسط سوريَّة والسلسلتان على طولها منفصلتان «بسوريَّة المجوَّفة» التي تشمل في الشمال بلاد البقاع. والبقاع تنحدر الى وادي الاردن

حتى يصير منبطها تحت سطح البحر المتوسط بنحو ٣٩٠ مترًا (١ ثم تتصاعد جنوبًا فوق بحيرة لوط فتعلو على سطح البحر ٢٥٠ مترًا

واعلى قمم لبنان شمالًا ظهر القضيب وعلوهُ ٣٠٦٣ مترًا ثم في الوسط جبل صنّين وعلوهُ ٢٦٠٨ م . اما الجبل الشرقيّ فاعلى نقطهِ في جبل حرمون حيث يبلغ ٢٨٦٠م واذا بلغ لبنان حدود فلسطين اقترب من الساحل وتفرَّع منهُ جبلٌ يعرف بالكرمل يتّصل بالبحر . ومشارف لبنان تنخفض في جهة صور وعند وادي نهر الليطاني وتتفرَّع منها فروع اخرى تتشعَّب في انحاء فلسطين وتُعدّ من جبالها

وان حصرنا النظر في لبنان وحدهُ اعني الجهات التي تديرها حكومة الجبل فنجدها واقعةً بين درجتي الطول ٣٣ و ٣٤ شرقي هاجرة باريس وبين درجتي ٣٣ ,٣٠ و ٣٤ ,٣٠ من العرض الشمالي فيكون طول تلك المساحة ١١٢ كيلومترًا اعني درجة جغرافيَّة من العرض يبلغ معدَّلها ٣٠ كيلومترًا وان كسَّرتها كانت مساحتها ٣٣٦٠ كيلومترًا مربعًا او بالاحرى ٣٥٠٠ لتدخل في هـذا الحساب ناحية هرمل وعلى كلّ حال قد وهم الجغرافيّ كوينه (Cuinet) اذ جعل هذه المساحة ٦٥٠٠ كيلومتر فتبعهُ في قولهِ غيرهُ من الكتبة (٢

(احصاء النفوس) يبلغ عدد سكان لبنان نحو ٤٠٢٠٠٠ نفس كما ترى في الجدول التالي . ومما يؤيد صحّة هذا الاحصاء ان عدد المكلَّفين بدفع المال الاميري في لبنـان رسميًا يبلغ ١٠٠,٠٠٠ فان احصيت ملتزمًا واحدًا في الاربعة كان مجمل السكَّان ٤٠٠,٠٠٠ وليس في ذلك مبالغة مع ما نعلم من حالة العيال اللبنانيَّة التي تكثر عادةً اولادها . امَّا بالنسبة الى المسافـة فيكون عدد السكَّان في كلّ كيلومتر مربَّع ١١٥ نفسًا وهو لعمري عدد وافر قلَّما تجد مقدارهُ في بلاد أُخرى . ومما يجب اعتبارهُ انَّ عدد الملتزمين بأداء الجزية من الذين هاجروا الى بلاد شتَّى يبلغ ٣٠,٢٠٠ رجل . فان ضاعفت هذا العـدد ليضمَّ النساء والصغار كان عدد الغائبين حالًا ٦٠,٤٠٠ على الاقلّ . ومن اراد زيادة ايضاح في ذلك عليـهِ بدليل لبنان لصاحب العزّة جناب

---

١) وقعر بحيرة لوط يبلغ ٧٩٠ مترًا دون سطح البحر

٢) راجع كتاب كوينه في سوريَّة ولبنان وفلسطين (Cuinet: *Syrie, Liban, Palestine*)

ابراهيم بك الاسود وليراجع ايضاً مقالات شتَّى ظهرت في هذا الصدد اخصُّها ما كتبهُ حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي. فدونك الجدول:

جدول احصاء النفوس في لبنان

النصارى		باقي السكان	
الموارنة	٢٣٠,٠٠٠	المسلمون	٣٠,٠٠٠
الروم الارثذكس	٥٤,٠٠٠	الدروز	٥٠,٠٠٠
الروم الكاثوليك	٣٤,٠٠٠	اهل الوبر والبدوان	٥٠٠
البروتستان	١,٥٠٠	الاجانب	٣٠٠
الارمن والسريان والكلدان	١,٠٠٠	اليهود	٢٠٠
اللاتين	٥٠٠		٨١,٠٠٠
	٣٢١,٠٠٠		٣٢١,٠٠٠
		المجموع	٤٠٢,٠٠٠

تقسم الحكومة اللبنانيَّة الى سبع قائمقامات او قضاوات وهي المتن والشوف والبترون وكسروان وجزّين والكورة وزحلة يُضاف اليها مديريَّة دير القمر الممتازة يلحق بها خمس قرى. والقضاوات تقسم الى ٤٥ ناحية فيها من القرى ٩٣١ قرية. وللحكومة مركزان رسميَّان بعبدا لفصل الشتاء وبيت الدين للصيف. هذا هو لبنان من حيث جغرافيَّتهِ اما من حيث التاريخ فلا حاجة الى تتبُّع اخبارهِ مع شيوعها. والغاية من هذه المقالة النظر في اشغالهِ العموميَّة وفي زراعتهِ وفي حالتهِ الاقتصاديَّة التي صار اليها بعد مهاجرة قسم من اهلهِ الى اميركة وما نجم عن ذلك من توفر الرساميَّات

١ الاشغال العموميَّة في لبنان

الاشغال العموميَّة في لبنان تنحصر في ثلاثة امور خصوصاً في طرق العربات ثمَّ سقي الاراضي الزراعيَّة ثمَّ بعض الاعمال الصناعيَّة الخاصَّة

١ الطرق وسكك العربات

السكك اهمّ واخطر ما صرفت اليهِ حكومة لبنان همَّتها بل يجوز القول أنها عملها الوحيد. امَّا ما سوى ذلك من الابنية فانهُ لا يزال في دائرة النظريَّات ولم يخرج حتَّى الآن الى حيّز العمل

باشرت متصرفيَّة الجبل بفتح الطرق للعربات على عهد الطيِّب الاثر المرحوم رستم باشا . ولم يكن قبــل ذلك في لبنان طريق اخرى غير طريق العربات من بيروت الى الشــام (١ التي أُنشئت سنة ١٨٦٠ . وكان المير بشير الشهابيّ سعى قبل ذلك بفتح طريق للبغال من بيت الدين الى بيروت فتكلَّف عليها المبالغ الوافرة مع تسخير الاهلين بها ولو جعلها سكَّة للعجلات لكانت انفع واقلّ نفقة . وبقيت الامور على ذلك الى سنة ١٨٧٥ حيث قرَّ رأي دولــة المتصرّف رستم باشا على انشاء طريق لسير العربات من بكفيًا . واهل هذه القرية لا يزالون الى يومنا هذا يذكرون حفلة افتتاح العمل لمَّا دقَّت النوبة اللبنانيَّة واخذ الفعلة يقطعون شجر التوت . ثمَّ ارادوا ان يوصلوا هذه السكَّة بسكَّة غزير لكنَّ مهندس ذلك الوقت قرّر لهذه الطريق خطًا غاية في الغرابة تُرى آثارهُ حتى اليوم وذلك فرارًا من تشكِّيات البعض الذين كانوا يضنُّون على ارزاقهم ولا يرضون بان يؤْخذ منها شبر لمنفعة العموم . وهذا النفور يتجدَّد كلّ مرَّة تحاول حكومة لبنان فتح طريق جديدة كما رأيتــهُ بالعيان في مدَّة مأموريَّتي اذ كان كثيرون يعتبرونني كعدوّ ارزاقهم ومتولّي مضرَّتهم

ومن اوَّل السكك التي أُنشئت في لبنان سكَّة عاليه منها الى طريق الشام وكان طولها كيلومترين . ثمَّ اصطنعوا سكك بيروت وانطلياس وبكفيًا وغزير . وكان رستم باشا يفرغ في انجاز هذه الاعمال كنانة جهدهِ . ثمَّ جاء المتصرّفون من بعدهِ فجروا على آثارهِ لكنهم خالفوهُ نوعًا في توزيع النفقات على القرى . وكانت الحكومة أوَّلًا اذا ارادت نهج طريق جديدة تحمَّلت هي كُلَف العمل ثمَّ جروا بعــدهُ على خلاف ذلك وهاك النظام المألوف منذ ٢٠ او ٣٥ سنة . اذا ما رغبت قرية او ناحية في فتح طريق قدَّمت للمتصرّف معروضًا موقعًا باسماء اكثريَّة الاهلين . والمتصرّف يعرض الامر على مجلس الادارة فيرتأي في ذلك رأيهُ ويثبت المتصرّف رأي المجلس . فان كان الامر ايجابيًا أمر المتصرّف بان يسير المهندس الى المكان المقصــود فيختطّ رسمًا للطريق ويكتب في ذلك قرارًا مفصَّلًا في تخطيط السكَّة ونفقاتها الى غير ذلك من المعلومات . فيعود مجلس

١) وهذه الطريق لا تزال حتى اليــوم مطروقة تجري فيها العجلات لكنهُ يسوءُنا ان نرى الخراب يتهدَّدها فانَّ مدار الحياة اللبنانيَّة في الغالب متوقف عليها واليها تنفذ سكك اخرى متعدّدة اخصّها الطريق الممتدَّة من عاريًا الى عبيديه وحمَّانا والمتن الاعلى

الادارة الى تحوير الامر ويهتمّ خصوصاً بتوزيع اقساط النفقات على اهل القرى التي تنتفع من السكّة الجديدة على قدر ما يأتيها من الارباح · وخلاصة القول انّ القرويّين ملتزمون بنفقات الطريق امّا الحكومة فتدفع كُلَف الجسور وتلتزم باصلاح السكّة وهي في كلّ سنة تقتضي من كلّ مكلّف بالدفع أن يؤدي لاصلاح الطرق ربع ريال الّا قضاء المتن حيث يجبون نصف ريال ولعلّهم يعمّمون ذلك الى كلّ انحاء لبنان لأنّ ربع الريال لا يفي بالغاية المقصودة · والسكك في قضاء المتن اكثر منها في القضاوات الاخر · وهاءنذا بقائمة بمجموع كلّ السكك اللبنانيّة كما قستُها قبل اشهر قليلة

قائمة لطرق العجلات في لبنان

١ الطرق العموميّة (١	امتار
من بعبدا الى صيداء	٣٩,٣٦٠
من بعبدا الى البترون	٦٤,٠٠٠
من بعبدا الى بيت الدين	٤٩,٥٤٠
من دير القمر الى الدامور (لم تكمل)	٢١,٠٠٠
	١٧٣,٩٠٠

٢ طرق قضاء المتن	
من الدكوانة الى بعبدات فارصون فحمّانا فدبرج	٥١,٤٥٠
من بعبدات الى المروج مع زحلة وملحقاتها	٥٤,٧٩٠
من انطلياس الى بكفيا فبسكنتا	٤١,٨٥٠
تفرّعات اخرى في الساحل	٢٣,١٥٠
تفرّعات في المتن الاعلى	٥٠,٥١٠
تفرّعات في المتن الشمالي	٥١,٠٦٦
	٢٧١,٨١٦

٣ طرق الشوف	امتار
من بيت الدين الى الباروك فعين زحلتا فدبرج	٣٣,٧٥٤
من بيت الدين الى المختارة فحدود الشوف	٢٧,٧٩٠
من جسر القاضي الى عين طور فبحمدون الى القريّة	٢٥,٦٦٠
تفرّعات مختلفة الى بمقاين فالباروك فبرجا والدامور الخ	٢٠,٠٠٠
تفرّعات اخرى الى عاليه فعبيه فالشويفات فعيناب فعيتات فعين الرمّانة فكفتين	٣٥,٦٩٦
	١٤٢,٩٠٠

٤ طرق كسروان	
من عين طورا الى مجلتون	٣٣,٢٠٠
من جونيه الى بكركي فريفون	٢٨,٦٥٥
من المعاملتين الى غزير فالجديدة	١٣,٠٠٠
تفرّعات شتّى	٦,٠٠٠
	٦٨,٨٥٥

١) المفهوم بالطرق العموميّة طرق الساحل من صيداء الى بعبدا ومن بيروت الى طرابلس والطريق الممتدة بين مركزي الحكومة اي بعبدا وبيت الدين ولهذه السكك صندوق خاصّ يُعرف

٥ طرق البترون	امتار
من البترون الى مار يوحنا مارون مع تفرّعات اخرى	٢٠,٥٠٠
سكّة جبّة بشرّاي	٦٠,٠٠٠
كسبا حدث الجبّة	١٧,٠٠٠
من نهر ابي علي الى زغرتا فطرابلس	٢١,٠٠٠
	١١٨,٥٠٠

٦ طرق جزّين	امتار
من مختارة الى جزين ومن حدود الشوف الى جزين (لم تكمل)	٥,٤٦٠
من جزّين الى صيداء وتفرّعاتها	٤٠,٠٠٠
	٤٥,٤٦٠

٧ طرق الكورة	امتار
من هري الى شكّا فكفرحزير فبحصاص فطرابلس	٣٠,٥٠٠
من كفرحزير الى اميون فكوسبا فعين بترّان	١٧,٢٨٥
من عين بترّان الى نهر ابي علي فكوسبا فبصرما	١٥,٠٠٠
	٦٢,٧٨٥

٨ سكك زحله	١٢٠٠٠
مجموع كل الطرق	**٨٩٦,٢١٦**

فان جمعنا كلّ هذه السكك بلغ مجموعها ٨٩٦,٢١٦ مترًا اعني نحو ٩٠٠ كيلومتر وان أضفت اليها الطرق التي باشروا بفتحها والتي طلب الاهلون اصطناعها زاد قياس الطرق نحو ٣٠٠ كيلومتر رسمتُ تخطيطها النهائي مدّة السنتين التي قضيتهما في مأموريّتي وهي الطرق الآتية (١

١ الطرق العموميَّة	امتار
من البترون الى طرابلس على طريق المسيلحة	١١,١٤٠ + ١٥,٥٦٠ = ٢٦,٧٠٠
وهذه الطريق قد بُوشر بعملها	

٢ قضاء المتن	امتار
* من عين موفّق الى قبّيع	٦,٠٠٠
من جسر صليما الى بزبدين	٨,٥٠٠
* من قرنايل الى صليما	٥,٠٠٠
* من بزبدين الى المتين	٩,٠٠٠
* شعبة بتخنيه	٣,٨٦٠
طريق مغارة جعيتا	١١,٩٠٠

طريق المنصورية	امتار
* من قرنايل الى كفر سلوان فظهر الحرف	٩,٠٠٠
	١٥,٠٠٠
من فالوغا الى ظهر البيدر	١,٥٠٠
	٧٤,٧٠٠

٣ قضاء كسروان	امتار
من جونيه الى مغارة جعيتا	١٠,٠٠٠
من حالات الى قرطبا	٣٥,٠٠٠
من زوق مصبح الى جسر نهر الكلب	٤,٥٠٠
	٤٩,٥٠٠

بالنافعة تكاليفهُ من ضريبة الربع الريال السابق ذكرها ومصاريف هذا الصندوق للاشغال العموميّة كالجسورة وغيرها

١) وقد دللتُ بنجمة على الطرق التي جرى فيها الشغل وتنتهي قريبًا او التزمها الملازمون ضاربًا الصفح عن سواها وان جرى التباحث في فتحها

٤ قضاء الشوف	امتار
* سكّة مجدل معوش	٨,٠٠٠
* من جمهور الى بسوس	٤,٥٠٠
من عزرونية الى عين دارا	٣,٠٠٠
* من المعاصر الى الباروك	٨,٥٠٠
* من كفرمتّى الى عبيه فكفرقطرا فعين معاصر فبمقاين فعين بال	١٠,٠٠٠
من عاليه الى عين تراز	١٣,٠٠٠
	٤٧,٠٠٠

٥ قضاء البترون	امتار
من مار يوحنّا مارون الى قناة	٣٧,٠٠٠
من البترون الى ادّه فجران	١٣.٠٠٠
من اميون الى دوما	١٦,٠٠٠
	٥٦,٠٠٠

٦ قضاء جزّين	امتار
* شعبة من بكاسين	٤,٥٠٠
* شعبة من كفر حونى	٨,٥٠٠
شعبة من جيطوره	٣,٥٠٠
	١٦,٥٠٠

٧ زحله	
شُعب مختلفة في البلدة	١٠,٠٠٠
فيكون المجموع	٢٨٠,٤٦٠

فترى من هذه القائمة انَّ لبنان سيحصل قريباً على مشبَّك من الطرق المتواصلة يكون مجموعها نيفاً على الف كيلومتر وهذا مما يستحقُّ الثناء والشكر لاولي الامر. وان قابلت بين هذه الطرق ومساحة لبنـــان وجدت انَّ كلّ ثلاثة كيلومترات مربعة ونصف يوازيها كيلومتر واحد من طرق العجلات بنسبة كيلو متر لكل ٤٠٠ نفس

بعض ملحوظات في الطرق اللبنانيّة

ليسمح لي القرَّاء ان أُلحق بالجدولين السابقين بعض ملحوظات لحظتها بخصوص الطرق اللبنانيّة: قبل خمس عشرة سنة قام احد اعيان قضاء المتن وهو المرحوم يوسف الزغزغي فنوى خيرًا لقضائهِ واراد ان يزينهُ بطرق شابكة تمتدُّ في انحائهِ فنال الرخصة لذلك من مجلس الادارة . وشرع بتحقيق امنيَّتهِ وجرى على الامر بثبات عجيب ريثما بلغ اقصى مرغوبهِ حتى تعدَّدت في قضـــائهِ الطرق وحسدتهُ في ذلك بقيَّة النواحي . ولم يكتفِ المذكور بتخطيط هذه السكك حتى فتح لها منفذًا في الانحاء المجاورة فانَّهُ ممَّن سعوا بفتح طريق المديرج وعين زُحلتا وبيت الدين اتماماً لطريق حمَّانا . وهـــذه الاعمال النافعة التي جرى فيها الفقيد على رسمٍ معلوم واتمَّها بدقَّة ورويَّة قد أكسبتهُ في لبنان شهرةً واسعة في حياتهِ وقد تضاعف ثناء مواطنيهِ عليهِ بعد وفاتهِ

وقد حرَّك هذا المثل عددًا من اهل لبنان على اقتفاء آثارهِ فصار كثيرون يحاولون تمهيد طرق جديدة في انحاء شتّى دون التحرّي الكافي والتروّي الواجب حتى بالغوا في الامر وتجاوزوا الحدود . ومثال ذلك انَّ قرية عين عار متَّصلة اليوم باربع طرق مختلفة تنتهي الى اربع قرى (١ فان طريقين على الاقلّ بين هـذه السكك الاربع لا فائدة منهما . واعجب من هذا انَّ البعض يريدون فتح طريقٍ خامسة طولها اربعة كيلومترات . وكذلك ما الفائدة من شعبة مكين الى المروج التي تبلغ اربعة كيلومترات وهي سائرة بموازاة طريق اخرى على مسافة ٥٠٠ متر منها . ولو اردنا لضربنا امثالًا اخرى متعدّدة على صحَّة قولنا . وهذا لعمري غلوّ وخلل نستلفت اليـهِ انظار الحكومة اللبنانيَّة لما ينجم عنهُ من المضرَّات للخواصّ وللعموم معًا اذ لا تلبث هذه الطرق ان تخرب وتزيد بذلك النفقات والضرائب على الاهلين والأَولى ان تُصرَف هذه الدراهم بما هو اجدى نفعًا

وممَّا يُستغرب ايضًا انَّ هذه طرق العجلات لا تفيد الَّا القليل لنقل الاثقال فان اكثر اللبنانيين يفضِّلون على العجلات متون البغال والحمير مع انَّ حمولها تكلّف اكثر من النقل على العربات لان الطنّ على العربات يكلّف ٢٥ بارةً في كلّ كيلومتر وعلى الدوابّ يكلّف قرشًا ونصف بل قرشين . فليت شعري اليست اوَّل فائدة طريق العجلات نقل الاثقال وتسهيل المواصلات التجاريَّة بين الانحاء . امَّا اتّخاذها لركوب المتجوّلين فانَّ هذا امرٌ ثانويّ منفعتهُ قليلة زهيدة . وعندي انَّ طرق المتن اضحت اليـوم زائدةً على حاجة السكَّان والخوف كلّ الخوف ان تخرب قبل ان تُصلح

وممَّا يجب اعتبارهُ في امر الطرقات التي عليهـا معوَّل الحياة اللبنانيَّة ان يوضع لها رسم يتَّفق عليـهِ وكلاء نواحي لبنان فتعمّ منفعتها الجميع . وها ءنذا برسم اعرضهُ هنا وفيهِ على ما اظنّ ما تعمُّ فايدتهُ كلّ انحاء لبنان

قد كاد ان يتمَّ قريبًا تخطيط الطرق الساحليَّة وعمَّا قليـل تسير العجلات من

١) وهذه الطرق هي اوَّلًا طريق مزرعة الشمار الى عين عار ثمَّ طريق قرنة الحمراء اليها ثمَّ بيت شباب اليها واخيرًا طريق جورة الزيتون الى عين عار فبكفيا . واليوم يريد البعض اصطناع طريق خامسة من عين عار الى مزرعة يشوع . وكلّ يعلم أنَّـهُ لا تسير في السنة اكثر من خمس عجلات على شُعبتي عين عار الى بيت شباب ثم عين عار الى قرنة الحمراء . فينتج من ذلك خراب تلك الطرقات وزيادة في مصروف النافعة دون فائدة

صيداء الى بعبدا ومن بيروت الى طرابلس. وكذلك الشغل قائم على ساق لتتمَّة طرق صيداء فجزّين فبيت الدين فديرج فحمَّانا فبسكنتا وطريق طرابلس الى زغرتا فبشرّي اي فحصرون فحدث الجبَّة. فيبقى ان يُوصل بين بسكنتا وحصرون فبشرّي اي بمواصلة خطّ افقا وتنُّورين والحدث. ولا بُدَّ ايضاً من فتح ثلاث طرق اخرى وهي سكة حالات الى قرطبا ثم سكة جبيل الى دوما فتنُّورين ثم سكَّة البترون الى قنات التي انتهى منها قسم الى مار يوحنا مارون (١. فيكون مجمل الطرق اللازمة لقضائي كسروان والبترون ١٥٠ كيلومترًا وهما افقر الى هذه الطرق من سواهما بالنسبة الى مساحتهما وشأنهما. ومن اراد ان يعرف ما لهذه الطرق من الاهميَّة فعليهِ بالخارطة التي علّقناها على هذه المقالة فيتحقَّق انَّ هذه السكك تكمّل السكك المنتهية وتزيدها نفعاً

ونرى ما عدا ذلك طريقاً اخرى يحتاج اليها اهل الجبل وهي طريق بعقلين الى دير المخلص عند نهر الاولي يبلغ طولها ٣٠ كيلومترًا. ومن منافعها أنها تقوم بخدمة جنوبي الشوف حيث يوجد اكثر من ٣٠ قرية بعيدة عن كلّ طريق مطروقة. امَّا الطريق التي يطلبها البعض من السعديات الى بعقلين فانَّها تسير في امكنة خالية من السكَّان فضلًا عن انَّ الطريق بين دير القمر والدامور تسدُّ مسدَّها ولا نزيد بما سبق ان نجعل الطريق بين حالات وقرطبا وبين جبيل وتنُّورين ودوما طرقاً اجباريَّة لا يُستغنى عنها فانَّنا نعلم انهُ يمكن ايضاً تخطيط طرق غيرها كخطّ قرطبا وغزير وجونية لكنَّنا نرى الحاجة ماسَّة الى فتح طرق داخليَّة الى النقط المذكورة اعني الى قرطبا وتنُّورين وقنات

نظارة الطرق واصلاحها

يتَّفق الرأي العام على وجه الاجمال بان طرق لبنان وان كانت غير محكمة العمل لقلَّة الثمن المدفوع في اصطناعها من ١٠ الى ١٥ قرشاً (والمعدَّل ١٢ قرشاً ونصف) لكنَّها تُحفظ في حالة مرضية من الاصلاح. امَّا طريقة اصلاحها فهي عندنا مخلَّة وتعليلهُ ايضاً قلَّة ما يُدفع في حقّ العمل اعني من اربعة الى سبعة قروش للمتر المربَّع وذلك لتحصيبها ولتوثيرها بالحالة (الحدلة) وترميمها. وهذا لعمري خلل واضح لأنَّ الملتزمين باصلاح الطريق لا يمكنهم القيام بالعمل الَّا بالخسارة. فانَّ المتر المربَّع يحتاج

١) اني قد سبقت الى تخطيط الطريق بين حالات وقرطبا منذ سنتين ونصف. والطريقان حتَّى الآن لم ينفذ الامر في مباشرة عملهما ولا نعلم السبب

الى مقياس من الحصى يبلغ ٨٠٠ سنتمتر مكعَّب وتساوي الكيلة من ٥ الى ٧ قروش فكيف يمكنهُ ايضاً ان يصلح الطريق ويفرشها بالحصى ويجيز الحالة فوقها لتوثيرها بثمن يتراوح من اربعة الى سبعة قروش · فتكون النتيجة من هذا الخلل انَّ الملتزم بالاصلاح لا يمكنهُ باتمام الشروط فيعوّض عن الخسارة بارباح اخرى يكتسبها خفيةً · فترى انَّ الامر يستدعي نظر الحكومة اللبنانيَّة

والاولى عندنا ان يُدفع اصلاح طرقات كلّ ناحيـة لاشخاص معلومين يلتزمون العمـل لمدَّة خمس سنوات بثمن مقرَّر · مثالـهُ طريق البترون الذي يبلغ ١٢٠ كيلومترًا فان اردتَ اصلاحهُ لمدَّة خمس سنوات امكن الامر بان يصرف على طول كلّ متر ستة قروش تعديلًا فيكون مبلغ المصروف لخمس سنوات ١٢٠,٠٠٠ × ١٢ × ٦ = ٧٢٠,٠٠٠ قرش اعني سبعة آلاف ليرة عثمانيَّة · فانَّ المشروع على هذه الصفة وبهذه الشروط اوفق ما يكون لنوال المرغوب لا بل قد رضي بعض الملتزمين أنْ يتخلَّوا عن خمس هذا المبلغ بل عن ربعهِ الى حدّ ثلثهِ · لكنَّ البعض من اصحاب الغايات اعترضوا على ذلك فبقي الامر على خللهِ · وعندنا أنـهُ لا بُدَّ من اعادة النظر في هذا الصدد وتحويرهِ كما قلنا

اصلاح تخطيط بعض الطرق

هذه ملاحظة اخيرة في صدد الطرقات اللبنانيَّة نريد اصلاح تخطيط بعض الطرق السابقة التي لم يُحسن المهندسون رسمها او اضطرُّوا الى عملها على الصورة الحاضرة

١ اوَّل طريق يقتضي تحوير رسمها الطريق الجارية من بيروت الى بيت مري فبرمَّانا فبعبدات فصليما الخ فانَّها طريق مهمَّة في لبنان ينتفع بها كل قضاء المتن ولكن يمكن اختصارها وتقصير مجراها وذلك بان تُصنع لها شعبة من محلّ دكان ثابت فتجرى على منعطف الجبل الى روميَّة فبرمَّانا · ومن برمَّانا تنحدر الى سفيلة عند جسر صليما وهلمَّ جرًّا فهـذه الطريق توفّر على الركَّاب كيلومترين ونصف في القسم الاوَّل ثم ٣ كيلومترات في القسم الثاني مجموعها خمسـة كيلومترات ونصف تقطعها العجلات في تورييات وتعريجات لا فائدة منها · وبذلك تهمل طريق جديدة الى روميَّة التي اصطنعها اهل رومية على نفقتهم دون منفعة · فانَّ المكارين انفسهم يعدلون عن هذه الطريق كما انهم يحيدون عن الطريق بين برمانا وبعبدات التي ساء تخطيطها · وان جرى

الاصلاح الذي نشير اليهِ انتفع منهُ اهل المتن الاعلى كلهم كرأس المتن وصليما وعربانيّة وبزبدين وكنيسة الخ لانهُ يقربهم الى بيروت بمسافة لا تقلّ عن خمسة كيلومترات توازي ساعةً على العجلة

ومن فوائد هذا الاصلاح انّ اهل رأس المتن يكونون في غنًى عن طريقٍ يريدون فتحها من قريتهم الى جسر الباشا على طريق المنصوريّة وكنيسة . واني قد تعرَّضت لهذا المشروع الذي نواهُ اهل الرأس فنقموا عليَّ بسببهِ . وانَّما عارضتهُ لانهُ يكلّفهم ٦٠٠٠ ليرة يصرفونها في طريق ليس فيها احد من السكّان وهي تمرُّ بين الصخور الصمّاء وكلّ ذلك ليكسبوا ساعة من الوقت في سيرهم الى بيروت . وزد على ذلك انَّ اهل الرأس لدفع هذا المبلغ العظيم يفكّرون في ايجار غابتهم الجميلة لمدَّة خمس سنوات . فلا ريب ان المستأجرين يقطعون كلّ اشجارها (١

٢ ويوجد طريق اخرى تستدعي اصلاحاً في تخطيطها وهي الطريق بين قرنيه وقبيع وحمّانا . فانَّ مسيرها ينافي كلّ قواعد الهندسة ولهذه الطريق شأن عظيم وبها ستتّصل طريق عين موفّق وقبيع . والعجب من هذه الطريق انَّها تُصعّد وتصوّب وترتفع وتهبط في مشارف ومهابط بدلًا من ان تسير في طريق مستقيمة على خطّ سويّ . وذلك ممكنٌ باصلاح رسمها

هذا ما عنَّ لي بخصوص الطرق فاعرضه لاهل لبنان علّهم ينتفعون بـهِ . ولكن لا يغترّ البعض منهم الذين يظنُّون انَّ فتح الطرق يسدُّ كلّ حاجاتهم ويضاعف ثروتهم فانَّها على خلاف ذلك تكلّفهم التكاليف العظيمة لاصطناعها ولترميمها . اما المنافع منهـا فمحصورة في بعض التسهيـلات والتحسينات الماديّة . ومن ثمَّ ينبغي لهم ألّا ينقادوا لاصحاب هذه المشروعات التي تستفرغ اكياسهم في جانب امرٍ عرضيّ وكان الاولى بهم ان يصرفوا دراهمهم بما هو اصلح لخيرهم (لها البقيّة)

---

١) وانا اشير على اهل رأس المتن ان يصرفوا المبالغ التي يكسبونها من غابتهم لجلب المـاء الى قريتهم وهم اليهـا في غاية الحاجة . فكيف يا تُرى يذهب الى قريتهم المصطافون كما يؤمّلون وليس عندهم مـاء شروب

بصر الحيوان البحري في اعماق البحار

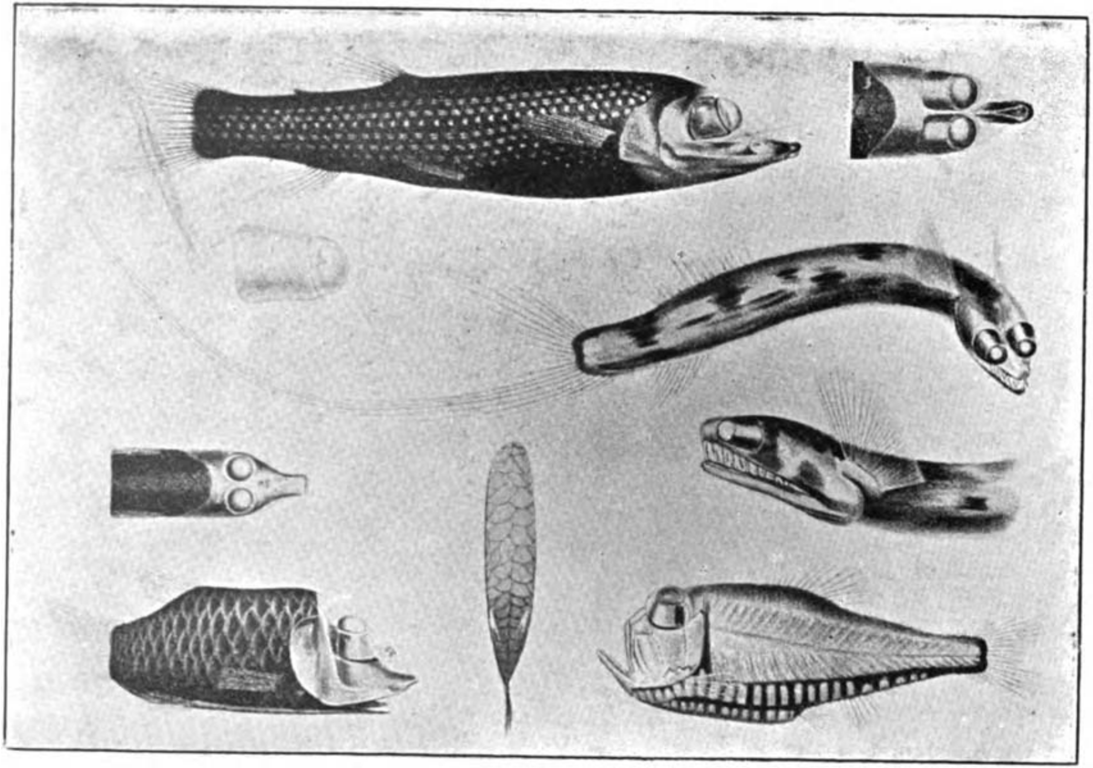
للدكتور كونيغ طبيب امراض العيون في بيروت (تتمة)

ان العيون في جسد الحيوان بمثابة بقيّة الاعضاء والجوارح اذا دأبت في العمل وواصلت الارتياض زادت قوّتها بشرط ان تكون في الاحوال الملائمة لعملها اعني أن ينفذ النور الى ابصارها. وقد سبق ان نور النهار لا يتجاوز عمق البحر ما وراء ٦٠٠ متر وقد وجد العلماء عدداً كبيراً من الحيوانات لاسيَّما الصلبة الجلد العائشة في قاع البحر فاقدة البصر تماماً ليس فيها البتَّة اثر للعيون. ومن عجيب ما وجدتهُ البعثة الالمانيَّة من هذا القبيل سمكةٌ على عمق ١٢٨٩ باعاً كانت مكفوفةً ليس لها من العيون الَّا شبه مرآتين مقعرتين

ومما لا يشكّ فيه احد ان حاسَّة البصر في حيوانات اعماق البحار على غير حالتها في الحيوانات البريَّة. وقد دلَّ على ذلك تشريح هذه الاسماك فانَّ عيونها كانت تظهر في الغالب على شكل وشيج صفيق اللحمة فيه عصب كبير ذو شُعَبٍ عديدة تمتدُّ الى كلّ جانب. وكذلك الحيوانات المطلقة الحركة التي تعيش في اقعار البحار فانَّ تركيب عيونها في الغالب ناقص مختلّ

هذا وان تقصَّتَ الى اعماق البحر حيث لا يبلغ البتَّة نور النيّرات وجدت حيوانات اخرى تعيش كما قلنا وتنمو في تلك الاعماق وتقوم بكل حاجات حياتها . نعم انَّ هذه الحيوانات قليلة العدد بالنسبة الى المواليد التي تُرى في طبقات البحر العليا الَّا انَّها ذات عيون كبيرة متَّسعة فهذه العيون دليل قاطع على انَّ اصحابها متَّصفون بالنظر وانَّ النور يبلغها وهذا النور ليس هو النور الخارجيّ الذي لا ينفذ كما سبق القول الى ما وراء ٦٠٠ متر. فلا يبقى الَّا كونهُ نور آخر مصدرهُ غير مصدر نورنا. وها نحن نورد هنا كلاماً لاحد ارباب الطبيعة اسمهُ بولشي (Boelsche) وصف فيهِ تلك الحيوانات وضياءها على طريقةٍ مؤثرة فقال :

« ها نحن قد بلغنا قعر الاوقيانوس. فانَّ عيننا لا تبصر شيئاً البتَّة لأنَّها محدقة بظلمات مدلهمَّة بينما تدحض الاقدام في مزلجة من الحمأة اشتدَّت برودتها فصارت كالثلج .



اسماك وُجدت في اعماق البحر ذات عيون غريبة الاشكال

ونحن كذلك اذ لاح لنا عن بعـد وميض نور يضرب الى الزرقة . وما لبث حتى ازدوج النور ثمَّ أثلث وأربع وصارت هذه الضياء تتحرَّك وتختلط وتتلاعب امامنا على صورة عجيبة . وكنَّا ننظر الى هذا المشهد البهيّ واذا بنـور اعظم أُشرب حمرةً وخضرةً توسَّط بين الضياء اللائحة فانطفأت كلها لدى سطوعهِ . فخطر على بالنا أنَّ هذا النور الجديد انَّما هو حيوان طالب رزقٍ جاء بفانوسهِ الى تلك الجهـات يطلب صيدًا بين الاسماك الصغرى او خلناه كمعدّنٍ يحمل بمصباحهِ في باطن الارض ليبحث عن جواهرها وبعد هنيهة توارى الحيوان عن العيـان وعدنا نتسكَّع في الظلمة . ولكن هاءنذا بانوار أخرى تسطع فما هذا ؟ هي شُجيرة من النور ذات افنان وغصون منوطة بها شبه اثمـار خضراء شفَّافة ينفذ من وسطهـا نور في بياض الحليب . . . ثم ظهرت لنا على ضوئها نجمة بحريَّة تشعّ بضيائها فترى كلَّ شُعَبها ومفاصل اعضائها في غاية الحسن والبهاء . ثم رأينا في وسط الغمر اسماكًا سوداء تتمثَّل اشباحُها في حال البحر . . . ثم تباعدنا قليلًا فخيَّم علينا الليل مرَّةً اخرى وانَّما كنَّا ننظر عن بُعد اضواء تبرق وحيوانات تسير مرسلةً اشعَّتها الذهبيَّة في كلّ طريقها وقد التأم حولها عدد من الاسماك السابحة لمرافقتها . . .

« يا لله ما هذه المناظر الفتَّانة أنحن في قاع البحر ؟ أوَلسنا في حوضٍ منيرٍ تسكنهُ الحيتان وتسرح فيهِ النينان والنور ينبعث من اجسادها . . . ؟ من يفكُّ لنا هذه الاسرار الغامضة ؟ سكّن الجأش . . صه وهدّئ روعك . فهاهوذا تفسير اللغز انك حللتَ في عالم لم تعرفهُ قبلًا . هذه حيوانات قعر البحار هذه مواليـد اعماق الاوقيانوس من اسماك وزحَّافات ونجوم بحريَّة واشجار المرجان وكلها تتلألأ وتتألَّق وترشق بانوارها وربَّما سطعت نورًا فانتشرت ضياؤها ببهاء عظيم

« وان طلبت جبابرة البحر دونك بحوتٍ كبيرٍ يسكن في عمق خمسة آلاف متر يدعونهُ مالوكوستيوس (Malocosteus) وهو ايضًا لـهُ نورهُ الخاص وذلك عبارة عن مصباحين احدهما قريب من عينهِ تحتها وهو ذو نور احمر ساطع . والآخر اصغر موقعهُ في احد اقعار جسدهِ ينبعث منهُ نور اخضر كالزمرّد . وان شئت انوارًا زرقاء فاليك باسماك اخرى تجدها هناك يدعونهـا اكيوستوما (Echiostoma) وهاءنذا بسرطان عظيم يدعونهُ غرنالين (Garnelenkrabs) على جسمهِ شبه الدرع يشعُّ كالنيران ويرشق بشبه البنادق والسهام الناريَّة بين خضراء وحمراء وبيضاء وانوارهُ

تنعكس الى الجهات السُّفلى فتنيرها . . . ولكن هاءنذا بظاهرة اجمل وابهى . قد اقتربت من السرطان فرقة من الاسماك السوداء المدادية اللون تبدو صغيرةً ثم تتمدَّد وتكبر وتبسط اجنحتها ولكلّ سمكة ٢٤ نقطة نورية ساطعة ذات الوان شتّى تزين اجسادها . ولها حول كل عين كقلادة من اللؤلؤ الازرق اللازورديّ

ذلك هو الوصف الدقيق الذي سطَّرهُ « بُلشي » لسكّان قعر البحار وليس وصفهُ خياليًا او مختلقًا فريًا بل هو عين الصواب مبنيّ على العلم الصادق . ونزيد عليه ذكر بعض اسماك غريبة او حيوانات جليلة اقتنصوها في قاع البحر منها نجمة بحرية وُجدت في عمق ٨٢٠ باعًا يدعونها بلسان العلم برزنغا (Brisinga elegans) وقد اثبتنا صورتها (الشكل ١) . ومنها ايضًا سمكة أخرى لها في مقام العيون سياقٌ من الحواس البصرية تراها على شبه السلسلة وموقعها في اسفل جسمها وكلها مضيئة . وترى على خلاف ذلك عددًا من الاسماك التي ليس فيها اثر لهذه المصابيح المنيرة



(الشكل ١)

ومما وُجد ايضًا في الاوقيانوس القطبي الجنوبيّ سمكة حالكة اللون تُدعى انوبلوتوتيس (Enoplotheutis diadema) وكل صدرها مجهَّز بادوات نورية وُجدت على عمق ١٥٠٠ متر قريبًا من جزائر بنوخ (Benoch)

والعجيب في امر هذه الحيوانات انَّ اجهزتها النوريَّة طوع ارادتهـــا توقدها ان شاءت وان شاءت تطفئها كما يفعـــل ارباب المراكب الحربيَّة بانوارهم الكهربائيَّة يرسلونها متى شاءوا ليطَّلعوا على العدوّ او يخفونها لعدم حاجتهم اليهـــا فكذلك تفعـــل هذه الاسماك بانوارها فانَّها تستضيء بهـــا لطلب صيدها او تواريها اذا لم تشاء بان عدوّها يراها . ووجود هذه الاجهزة النوريَّة يعلّـــل لنا السبب الذي لاجلهِ خصَّ الباريءُ كثيرًا من حيوانات اعماق البحار بعيون متَّسعة كبيرة مع خلوها من نور السماء في تلك الاغوار

ومن نوادر تلك الحيوانات البحريَّة التي تسرح في اقاصي اعمـــاق البحر انَّ عيون البعض منها ناتئة صارت على شكل النظَّارة او تكون عيونها منقسمةً في وسط وجههـــا وعلى جانبيها . فالعيون التي هي في وجه الحيوان تعينهُ على نظر المنظورات المتحرّكة اما العيون التي على جانبي رأسهِ فانها اصلح لنظر الاشياء الدقيقة . وقد نشرنا هنا صورة سمكة (انظر الشكل ٢) ترى فيها العينين ناتئتين كالنظَّارة يحرّكهما الحيوان تارةً حركةً افقيَّة وتارةً حركةً عموديَّة . ومثلها سمكة وجدت على عمق ١٨٠٠ باع عيناها ينتصبان كنظَّارة فلكيَّة

واعلم انَّ موقع عيون هذه الاسماك يكون عادةً قريباً من فيهـــا . امَّا الحيوانات التي تعيش عيشةً هادية ولا تحتاج الى الحركة لطلب معاشها فانَّ اجهزتهـــا البصريَّة منقسمة على كلّ جسمها . وترى لغيرها جهازًا على شبه القرنيَّة شفَّافًا موقعهُ في اعلى رأسها



(الشكل ٢)

وان سألت هل من نسبةٍ بين افواه هذه الاسماك

وعيونها . أجبنا بالانكار لانك تجد حيوانات كبيرة الفم صغيرة العين والعكس بالعكس فممَّا سبق تنظر انَّ اغوار البحار التي تأخذ زرقتها بمجامع قلبنا ليست بخالية من الحياة والحركة . وانَّ في تلك المفاوز الواسعة بلاطاً فخيماً شادهُ الرحمان لأُلوف من الحيوانات جهَّزها بادوات عجيبة من النور وخصَّ بعضها بالعيون الكبيرة وبعضها بالعيون الصغيرة وكلّ ذلك لبلوغ غاية واحدة حفظ اجناسها والدفاع عن حياتها . سبحان مكوّن الكائنات

الدم: تركيبهُ وخواصهُ

للاب بواس بوفيه لابيار اليسوعيّ مدرّس الكيميا في المكتب الطبّي

قد غلب على ظنّ البشر منذ الوف من السنين بان مبدأ حياة الحيوان في دمهِ . ولو رجعنا الى اقدم كتابٍ سطَّرهُ البشر بالهام من الله لوجدنا اثرًا لهذا المعتقد . فانَّ موسى الكليم في سفر التكوين (٣ : ١٠) اشار الى ذلك في ذكر موت هابيل اذ يجعل على لسانهِ تعالى قوله الى قايين : « ماذا صنعت ان صوت دماء اخيك صارخ اليَّ من الارض » فكأنهُ عزَّ وجلَّ نسب الحياة كلها الى الدم . واصرحُ منهُ ما ورد في سفر تثنية الاشتراع (١٢ : ٢٣) اذ نهى موسى عن أكل الدم لأنَّ فيهِ نفس الحيوان . قال: « أياك ان تأكل الدم فانهُ نفسٌ فلا تأكل النفس مع اللحم »

وكما شاع هذا في شعب الله شاع ايضاً بين الامم فربَّما ورد في اقوال حكمائها وقصائد شعرائها ما يثبت هذا الاعتقاد . فترى مثلًا في شعر اوميروس انَّ عوليس اذ انحدر الى الجحيم ليستفتي في اموره روح احد الموتى وهو الكاهن تيراسياس لم يمكنهُ ان ينعشهُ من خمودهِ الَّا بان قدّم لهُ دم الذبائح فلمَّا استنشقتها روحهُ انتعشت واجابت سؤالهُ . وكذلك شاعر الرومان ڤرجيليوس وصف في حريق مدينة طروادة ابن الملك پريام وهو يسقط جريحًا بين ذراعي والديهِ « وحياتهُ تتوارى مع عبيط دمهِ » ويعيد مثل هذا القول في ذكر وفاة الملك پريام حيث يقول ايناياس : « ورأيتُ الملك يفيض بنفسهِ مع تفجُّر دم جراحهِ »

فلعمري انَّ في هذا الاتفاق العجيب لدى امم مختلفة دون تواطوءٍ بينها لدليلًا على إمكان الامر وعلى قربهِ من الحقيقة لرسوخهِ في الاذهان. نعم انَّ بعض العلماء في القرون المتأخرة انكروا ذلك وزعموا ان الحيــاة تقوم خصوصاً بالجهاز العصبيّ وان للدم فعلًا ثانويًا. لكنَّ المتأخرين من علماء تركيب الاحياء عادوا اليوم الى اثبات معتقد العموم في مقام الدم وعظم شأنهِ في حياة الحيوان حتى اثبتوا بانهُ هو العامل الاكبر في الانسان وفي حيوانات الطبقات العليا. ومقصودنا في هذه الاسطر ان نذكر خلاصة الاكتشافات الاخيرة في هذا الصدد. ولا ينتظرنَّ القارئ منّا كلاماً مستوفياً في ذلك لانَّ درس خواصّ الدمّ في كل تفاصيلهِ يستدعي وحدهُ مجلدات ضخمة هو في غنًى عنها

*

وها نحن اوّلًا نقدّم على تعريف مركّبات الدم بعض ملحوظات تبيّن فعلــهُ في الجسم الآلي

كلّ يعرف انَّ الحيّ لا يمكنهُ ان يصون حياتهُ الّا اذا وُجد في شروط ملائمة لها في وسط عناصر خارجيَّة كالماء والاوكسيجين ينال منهــا غذاء وقوّة لانَّ قوام حياتنا بالقوَّة والقوَّة تأتيها من عمل ادواتها المتواصل لكنَّ هذا العمل اذا تمَّ اضعفها فلا بُدَّ لها من غذاء يسدّ هذا الخلل في كلّ ساعة على مثال الآلة البخاريَّة التي لا تُسخِن الماء لتحوّلهُ الى بخار الّا على شرط أن تُطعَم فحماً فان قُطع عنهــا الفحم خمدت حرارتها وبطل فعلهــا

وان بحثت عن اسباب الغذاء في الحيوان وجدتها انها تختلف على اختلاف طبقاته فلنعتبرنَّ اولًا الحيوانات الدقيقة التي لا تُرى بمجرَّد النظر وتتركب من خليَّة بسيطة او من نقيطة من المادَّة الحيويَّة فانَّ هذه الكائنات الحيَّــة تُدعى بالحيوانات الاوليَّة (protozoaires) وهي ادنى الحيوانات رتبةً وابسطها بناء. فغذاؤها تستمدُّهُ من الوسط الخارجي الذي يطيف بها فان كانت مثلًا في الماء امتصّت منــهُ توًّا ما تحتاج اليــهِ لمعاشها من اجزاء جامدة او مائعة او غازيَّة ثم تنفي عنهــا فضلات غذائها كالحامض الكربونيك المضرّ بكيانها فهي تنبذهُ دون ان يحول دونها مانع

اما الحيوانات ذات الطبقة العليا التي يتألف جسدها من مجموع لا يُحصى من الخلايا فانَّ تغذيتها اصعب من ذلك لأن قسماً واحدًا من جسمها يمسُّ الوسط الخارجي

اما معظم خلاياها فهو محجوز عن مائيّة الهواء وعن اوكسجينهِ فلا تستطيع ان تستمدَّ غذاءها من الخارج ولا ان تُفرز عنها الفضلات التي تسمّمها . ومثل الحيوانات الاوّليّة والحيوانات الاخرى كمثل رجلين احدهما يتصرَّف باموره كيف شاء فيحصّل معاشهُ في الحقل او من الاثمار ويشرب الماء في معينهِ فكذلك الحيوانات الاوّليّة ذات الخلايا البسيطة . والرجل الآخر ملقىً في الحبس لا يستطيع ان يتصرَّف بحركاتهِ لينال قوتهُ فيحتاج الى من يأتيهِ بهِ ومثلهُ الخلايا الداخليّة في الحيوانات الراقية فانَّها تفسد ان لم يتجدّد الهواء الذي يحيط بها

فترى من ثمَّ انَّ الخلايا التي موقعها في باطن جسم الانسان والحيوان ذي الرتبة العليا لا يمكنها ان تعيش لابتعادها عن الوسط المغذي لها فلا بُدَّ لها من خدم يخدمونها فيأتون اليها بالغذاء . وليس هؤلاء الخدم سوى خلايا اخرى مختصّة لهذه الغاية تتوسّط بين الخارج وبين الخلايا الباطنة وينبغي لهذه الخلايا المتوسّطة ان تكون حرَّةً متحرّكة في مائع كالسمك في الماء . ويجب للمائع المذكور مع ما يدخلهُ من الخلايا ان يدفعهُ جهاز خصوصيٌّ اعني القلب الذي يشبه المضخّة في امتصاصها وضغطها فيجري المائع ذهاباً واياباً من الخارج الى الباطن ومن الباطن الى الخارج

وللخلايا المتحلّلة في المائع مهمّات مختلفة فمنها ما يذخر الاوكسيجين ليغذي بها الخلايا الباطنة ومنها ما يبيد الخلايا الميّتة ويفرز العناصر الضارَّة من الميكروبات وغيرها التي تمكّنت من النفوذ الى الباطن فهي في الجسم بمنزلة المنظّف والحارس لدفع العدوّ وقهرهِ

ومن خواصّ المائع التي ذكرناها انهُ ينقل ما انهضم في القصبة الهاضمة . وهو ايضاً الذي يدفع في مجراهُ فضلات الغذاء كالحامض الكربونيك والبول وغير ذلك مما تفرزهُ من الجسم بعض الاعضاء الخاصّة كالكلى للبول والرئة للحامض الكربونيك . كما ترى في كبار المدن البواليع تسحب الاوساخ فتدفعها الى البعيد

فالفضل اذن لهذه الخلايا المتحرّكة وللمائع الذي تجري فيهِ ان كانت الخلايا الداخليّة تستطيع ان تحيا بعيدًا عن الهواء اذ تجد فيها وفي مائعها ما يمكنها من تجديد قواها وانماء حياتها . فطالما هذا المجرى لا ينقطع تبقى الخلايا الداخليّة في عافيتها . فان وقفت حركتها فماتت

وان سألت ما هي هذه الخلايا النقّالة للموادّ الغذائيّة والمجرى الذي تسيل فيهِ اجبنا انهُ الدم. فهو هو الوسط العظيم بين العالم الخارجيّ وبين اجهزة الحيوان الداخليّة وعليهِ مدار كلامنا في هذه المقالة

تركيب الدم

ان عمدت الى نقطة من الدم عند خروجها طريئة من شريانات الحيوان وجدتها جسماً سيالاً كثيفاً شديد الحمرة تختلف حمرتها فتكون هذه الحمرة تارةً قانئة وتارةً كمدة وحيناً نصّاعة صافيةً. ونصوعها من غلبة الاوكسيجين عليها وان خلت منهُ كمدت واسودَّت . وان لمستَ الدم شعرتَ بدسمٍ وان صببتهُ سال كسيل الزيوت بنوع من الدهنيَّة. ومن خواصّهِ انهُ اذا وقع على اي جسم كان بلّلهُ سواء كان زجاجاً او معدناً او راتينجاً او عنصراً دسماً . بخلاف الماء والزيت وغيرهما فانَّ هذه الموائع لا تبلّ كلّ ما تمسُّهُ . امّا رائحة الدم فهي خفيفة تنفهة خاصّة بهِ لا يمكن تعريفها بالمقابلة مع غيرها ان لم يشمّها الانسان. وكذلك ذوق الدم فانهُ تفه فيهِ ملوحة. وثقل الدم يكاد لا يختلف عن ثقل الماء فان معدَّل ثقله يبلغ ١,٠٥. واذا أُهمل الدم الى ذاتهِ تجمّد فصار عبيطاً رخواً كالهلام . ثمَّ يجمد فيصير عَلَقةً يطفو فوقها سيَّال لا لون لهُ او ذو لون ورديّ يدعونهُ المصل

هذه ظواهر الدم وخواصُّهُ التي تلوح للبصر لاوَّل وهلة . اما اذا تحقّقتهُ وتبيَّنتَ خاصّيّاتهِ بالمجهر فانّ الفحص يؤدّي بك الى نتائج اخرى ذات شأن . واوَّل من فحص الدم فحصاً مدقّقاً بالمجهر العلّامة الهولنديّ لوفنهوك (Leuwenhoeck) سنة ١٦٧٣ فثبت عندهُ انَّ اجزاء مركّبهِ المائع ليست كلها متجانسةً وانّهُ يحتوي ضمنهُ عدداً لا يُحصى من الدقائق المتشابهة التي تصبغ الدم بحمرتهِ وبعد ذلك بقرن سنة ١٧٧٣ عاد الانكليزي هيوسن (Hewson) الى فحص الدم فوجد فيهِ الكُرَيّات البيض . ثمَّ وجدوا في عهدنا سنة ١٨٧٧ عنصراً ثالثاً يدعونهُ هياتوبلاست (hématoblastes) وهو عبارة عن اجسام دقيقة اصغر من الكريّات البيض وهذا العنصر حتى الآن لم تُعرف فائدتهُ في الدم ولذلك نضرب عنهُ

فخلاصة القول انّك ان فحصتَ نقطةً من الدم بمجهر قويّ بان لك انَّ هذا السيَّال ليس كلّهُ مؤلفاً من اجزاء حمراء متشابهة بل يتركّب من مائع خلو من اللون

يدعى بلاسما (plasma) شبيه بالمادَّة الآحيَّة يغوص في وسطها عدد لا يفي بهِ احصاء من دقائق ناعمة مستديرة وهي الكريَّات الدمويَّة الحمراء والبيضاء . والكُريَّات الحمراء تُقسم الى قسمين قسمٌ منها وهو الاوفر يشبه دوائر صغيرة مفلطحة مضمومة غالباً الى بعضها كقطع الدراهم فتلك الكريَّات الحمراء (hématies) . وفي وسط هذه الدقائق الحمراء كُريَّات لا لون لها وهي قليلة العدد لا تكاد تظهر للعين لصغرها . فتلك الكُريَّات البيضاء (leucocytes)

قلنا انَّ الكريَّات الحمراء كثيرة العدد . وقد أدَّى البحث عنها انهم قدَّروا عددها في كلّ ملّيمتر مكعَّب من الدم البشري نحو خمسة ملايين . امَّا الكريَّات البيضاء فانها لا تتجاوز في القدر عينهِ ستَّة الاف فتكون اذن النسبة بينهما كنسبة الواحد الى الالف تقريباً . الَّا انَّ للكريَّات البيضاء مع قلَّتها عملاً مهمًّا كما سترى

وقبل ان نسترسل في الكلام عن الكُريَّات الدمويَّة الحمراء والبيضاء نبدأ بذكر المادَّة الآحيَّة المسمَّاة بلاسما . وهذه المادَّة هي قسم الدم المائع السيَّال وفي وسطها تعوم الكُريَّات الحمراء والبيضاء . اما مقدارهـا فيساوي مقدار الكريَّات الحمراء والبيضاء معاً . وهي تتركَّب من قسم من الماء بنسبة ٩٠٠ غرام في الليتر ثم من قسم زلالي من ٧٠ الى ٨٠ غراماً في الليتر ثمَّ من مادَّة آحيَّـة يدعونهـا الفيبرين او فيبرينوجان (fibrinogène) التي تلعب في تجميد الدم دورًا عظيماً واخيرًا من املاح شتَّى اخصُّها كلورور الصوديوم وهو ملح الطعام . وبالاجمال يمكن القول انَّ مادَّة البلاسما هي ماء ذو ملوحة خفيفة قد تحلَّل فيهِ شيء من الزلال مع عناصر اخرى

وهذا المحلول المملَّح هو الوَسط الطبيعيّ الذي فيـهِ تعيش كلّ وشائج المركَّب الحيواني التي تتشرَّبهُ . ومن هذا القبيـل ليس فرق بين الحيوانات البرّيَّة والحيوانات البحريَّة التي تعيش في المياه المالحة . وكذلك المصـل الاصطناعيّ الذي يُحقن بهِ العروق في بعض الامراض لتحليل سموم البدن المتولّدة بفعل الميكروبات وتقوية فعـل الكريَّات البيضاء ليس هو الَّا ماء مملَّحاً بنسبة ٦ او ٧ غرامات في الليتر مع شيء من ملح الصوديوم

وهذه العناصر المختلفة التي ذكرناها في مركَّب المادَّة الآحيَّة المعروفة باسم بلاسما تراها في تركيبها على مقادير وانساب ثابتة لكنَّها عند الهضم يدخلها موادّ اخرى غذائيَّة

من الپپتون (peptones) والدهون والغلوكوز (glucoses) فهذه الموادّ المغذية اذا انطبخت طبخاً محكماً نفذت في الغشاء المعويّ واختلطت بالدم فتنتقل بمجراه الى كل اعضاء الحيوان وعليـهِ فان آحيَّة الدم او البلاسما يشتمل وقت الهضم على مقدار من الموادّ المغذيّة اعظم من اقدارها في اوقات الشغل

وزد على ذلك انَّ الدم اذا جرى في احد اعضاء الحيوان يزوّد هذا العضو بنصيبهِ من الغذاء الذي ينقلهُ بحيث انّ البلاسما يجتاز من جزء الى آخر فاقدًا لقسم من موادهِ المغذية · ويستعيض عن ذلك بما يفرزهُ العضو من الفضلات التي لم يستطع ان يهضمها ولو بقيت فيـهِ لأضرَّتهُ وسمَّمتهُ اخصُّها المادّة البوليَّة (urée) فينبذهـا في المجرى الدموي لينقلها الى اجهزة خاصَّة كالطحال والكلى الخ فتدفعها هـذه الاجهزة الى الخارج بصفة صفراء وبول وغير ذلك

وبين هذه المفرزات التي لا يستطيع الحيوان ان يهضمها موادّ غازيَّة اخصُّهـا الحامض الكربونيك (CO^2) وهو نتيجة الاحتراق الذي يحصل في كلّ خليَّة من خلايا الحيوان · فقسم من هذا الحامض السامّ يتحلَّل في البلاسما وقسمٌ آخر يندمج بالاملاح التي في البلاسما وهو يُدفَع الى الخارج عند مرور الدم بالرئة

ومن ثمَّ ترى ان البلاسما يتركَّب من قسم ثابت لا تختلف مقاديرهُ ومن قسم آخر تختلف كمِّيَّاتهُ ابدًا · وعليهِ يتوقَّف مقـام الحياة في جسم الحيوان اذ هو وَسَطٌ بين الخارج والباطن فيأتي الاعضاء الباطنة بما تحتاج اليهِ من الماء والغذاء وينفي عنها الموادّ الضارَّة التي لا تستطيع ان تنفيها بذاتها

فبعد هذا الكلام يمكننا البحث عن الكُرَيات الحمراء والبيضاء التي في الدم

(لهُ بقيَّة)

ملاك الرحمة

بقلم الاب لويس فؤاد اليسوعي

توارت الشمس عن العيان ونشر الشفق انواره الذهبيَّة فكنت ترى حول قصر السيد فرنسيسكو جمًّا غفيرًا من اولي الفاقــة واهل الضيق . وكان اذا انفتح باب القصر تظهر الفتاة ايڤون وشارات الحسن تلوح على وجههــا وعرف الادب يفوح من كلامها فيخرّ الجمع على قدميها طالبًا من العلي المنّان ان يحفظها السنين الطوال شرفًا اثيلًا لأسرتها المصونة وعونًا للبائس المنكوب

فكانت ايڤون ابنة الاشراف تتقدَّم نحو كل من الحاضرين وتعطيهِ نصيبهُ من القوت وكان فعلها هذا مقرونًا بشيء من اللين واللطف الجميل الذي من دأبهِ ان يحلّي العطية ويعظّمها في اعين المسكين مهما كانت طفيفة زهيدة ولذا كنت ترى القوم عند انتهاء توزيع الصدقات يرفعون الاكفّ نحو السماء طالبين بصوت وقلب واحد : « اللهمَّ اسبل سترك على اسرة صاحب المنزل » وكانت ايڤون تجيب على صلاتهم : « امين اللهمَّ امين » ثم تدخل من حيث اتت والكل ينصرفون والثناء الجميل ملءُ فيهم

وكان المساء الذي نحن في غضونهِ مغيمًا والسحب تتصاعد الى عنان السماء منذرةً بمطر قريب فخافت ايڤون على اولادها الفقراء كما كانت تسميهم . فما توارت عن العيان وأُغلق باب القصر وراءها الّا واسرعت نحو غرفتها لتلقي اليهم بنظرة اخيرة وهي كذلك اذ لمحت فيما بين الجمع فقيرًا يلبس فروة وفي رجليهِ خفّان غليظان وعليهِ زيّ خشن لم ترَهُ قبل اليوم والامر الغريب انهُ لم يتخذ طريق المدينــة بل جعل يطوف حول القصر ويصعّد النظر فيــهِ ويصوّبهُ حتى آب الى نقطة ذهابهِ بإزاء الباب . فرمى هناك عصا الترحاب وتمدّد على الحضيض متوسدًا الحجر

وما زالت الفتــاة شاخصة اليهِ مهتمّة بامرهِ حتى دقّت الساعة الكبرى منبّهة اهل القصر بقرب ميعاد العشاء . وكانت قد خيّمت ظلمة الليل وبدأت الرياح تهبُّ من مكامنها والعواصف تثور من مواطنها فتتكاثف السحب اطباقًا على اطباق حتى اذا انشقَّ حجاب الجلَد هطل ماء مدرار سالت بهِ الاودية سيلًا زخرت بهِ الانهار وطافت منهُ مجاري السبل

ثم هدأت زمرة الزوبعة وخفَّ صوت وقع قطرات الماء فسمعت الفتــاة الرحومة صوت المسكين القائم على الباب وهو يناجي نفسهُ :

نام الخليُّون من هم ٍ ومن حزن ٍ وبتُّ من كثرة الاحزان لم انم ِ

فازدادت ايڤون رقةً عليــهِ واشتغل فـكرها بامرهِ فجالت في عالم التصورات علّها تعثر على واسطة تسعف بها هذا المسكين فلم يتيسَّر لها سبيل سوى استعطاف والدها بهذا الخصوص وطلب رضاه عن هذا المنكوب الحظ ولكنها لم تكن بجاهلة ما انطوى عليهِ فرنسيكو من امر ضيافة غريب ٍ كهذا . . . طال بها الفكر حتى تاه عن بالها ان دقت ساعة العشــاء وسئم ابوها من الانتظار واضطرب على حال ابنتهِ . والحق يقال انها منذ وفاة والدتها كانت ايڤون تحلّ من ابيها محلّ الروح من الجسد فعرَّج الى غرفتها ليقف على الامر . فلمَّا لمحت ايڤون والدها الحبيب داخل الغرفــة جمعت قواها ورمت بنفسها على صدرهِ وقد اجهشت بالبكاء : والدي اريد ان استمدّ منك نعمة

قال الاب : وماذا تطلبين ايتها العزيزة ؟

— أتعدني يا ابتاه الَّا تنكر عليَّ طلبي ؟

— فليكن كل ما اردتِ

— اتجاسر ابتِ رغمًا عمَّا علمتهُ فيك من الكره لمثل هذا الامر وارغب اليك ان تأذن في ان يأوى داخل القصر هذا المسكين المعرَّض للبرد القارس والمطر الهاطل

— ما انتِ وهذا الرجل ؟ أوَليس يكفينا عبرةً ما لحقنا من المكايد ؟ أوَلا تدرين كم وكم لنا في هذه البقاع من الاعداء الذين يضمرون لنا الشر ؟ امسكي ابنتي وكفي عن هذا الطلب

ولا لوم في قول الاب هذا فانهُ منذ هجر بلاد ايطاليا واستوطن البرازيل قاسى من غدر الهنود وهجماتهم ما جعلــهُ في حذر مبين وبالاخص من يوم ما توعَّدهُ فوريجان شيخ القبيلة بسفك دمهِ مع خطف ابنتهِ وسلب امواله

وكانت ايڤون على وشك ترك قضيتها لما رأت في ابيها من التكرُّه العظيم لمقصدها ولكنها تجلدت فصارت الى الحديث وقالت :

— ما اسرع ما نسيتَ وعدكَ يا ابتاه ! وأي شرّ ترهب من رجل يلبس الاسمال ويتوسَّد الحجر وقد اثقلتهُ الايام وقوَّست ظهرهُ النكبات ؟

— من يعلمنا بخفايا صدرهِ

— ما لنا والقلوب الله اعلم والدي بما انطوت عليهِ ؟

فاخذ فرنسيسكو يتمشَّى مدَّة ويتنازع قلبهُ عاملان عامل الحب لابنتهِ من جهة ومن الاخرى عامل الخوف من خيانة اذا ادخل الغريب في بيتـه . لكنهُ بعد قليل قال لايڤون : لقد غلبتِني يا بُنيتي

—أَنعم بك ابًا بل قل غلبتك محبتك للقريب ولعمل الخير. ثم اسرعت للحال الى الفقير وادخلتهُ القصر وسلَّمتهُ لڤكتور خادمها مكرّرة عليهِ الوصيَّة ان يعتني كل الاعتناء بضيفهـا

امَّا ڤيكتور فبعد ان امعن النظر في الضيف كرَّ الى سيدته واجساً فاعلمها انـهُ رأى هذا الصُعلوك يطوف حول القصر ويتفرَّس فيهِ بنظرٍ حادّ كانهُ يضمر الشر لقاطنيهِ

— طب بالًا يا ڤكتور فانني مثلك لحتهُ حين كان ينظر الى اعالي القصر ولم يكن صنيعه هذا الّا استنجادًا باحد سكَّان الدار وطلبًا للمأوى في الليل

قالت ثم رجعت الى ابيها وقد اخذت بمجامع قلبها هزَّةُ الطرب فتشاطرا الحديث معًا بعد العشاء حتى اذا ما اوشكت المسامرة على الانتهاء قامت ايڤون حسب العادة واتت بالكتاب المقدس لتقرأ على والدها فصلًا منهُ . فما كان اشدَّ فرحها عند ما فتحت الكتاب ووقع نظرها على قول اشعيا النبي هذا : « اذا ابرزتَ نفسك للجائع واشبعت النفس المعنَّاة . . . وادخلت البائسين المطرودين بيتك . . . حينئذٍ يتبلَّج كالصبح نورك وتزهو عافيتُك سريعًا حينئذٍ تدعو فيستجيب الرب وتستغيث فيقول هاءنذا . . . »

قالت ثم نظرت الى ابيها واذا الدموع تسيل من عينيه فقبَّلت يدهُ وقبَّل والدُها جبينها الوضَّاح وسار كل الى غرفته . فما كان وهنٌ من الليل الّا وأُطفئت النيران وروَّق الظلام بسوادهِ الحالك على القصر فدخل اهلهُ في السكينة والهدوّ التام

ولكنهُ لو تسنى لعين لحَاظة ان تحدق بنظرها الحادّ لَلمحتَ رجلًا وبيدهِ فانوس صغير يمرّ حثيثًا داخل القصر واذا تتبَّعتَهُ في سيرهِ لعرفت انـهُ المسكين الذي اضافتهُ ايڤـون

انكشف شعار الليل وانبثق الصباح على اهل القصر فقام كل ليتعاطى مهمَّتهُ واما ابو الفتاة فكان متربّد الوجه لا تستهشهُ المناظر البهيجة ولا يبرّد وهج اضطرابهِ نسيم

الصباح . وكان اوّل ما تفوّه بـهِ ان طلب من ايڤون ان تأتيه بالمسكين الذي قضى الليلة في القصر

— والدي لقد انتهز سكينة الرياح وصفاء اديم السماء فعرَّج الى قريته لانها على ما يزعم على بعد نيّف وخمسين ميلًا

فهتف حينئذٍ فرنسيسكو قائلًا: « اشكرك يا الله . . لقد داهمني يا بنيَّة حلم جعلني رهين البلابل بخصوص ضيفك المسكين فخلتهُ يُدخل اعداءنا الوَغدة في القصر ليسلمهم ما فيـهِ

— كن مطمئن البال سيدي لم يكن هذا الّا حلم

— اشكرك يا الله

*

مضى على ما ذكرناه ثلاثــة اشهر واهل القصر متنعمون بارغد عيشٍ واهنإهِ متمسكين بعرى التقوى والاحسان الى المسكين . وكان من عادات ايڤــون ان تخرج بصحبة ابيها فيقضيان ساعة الاصيل يدًا بيد بين حدائق القصر وغابات السلڤا (Selva) الممتدة على مدى البصر تكتنف فيها اصناف الاشجار التي يستخرج منهــا اصحاب البرازيل كل ثروتهم وخيراتهم . ولمَّا انتهيا في سيرهما الى جنوب القصر شخصت عين ابيهــا نحو بعض بيوت تستند الى سفح الجبل المشيد في اعلاه القصر فقال : قلبي يحدثني انهُ قد حان وقت الظفر بالعصبة التي تضمر لنا الشرّ في هذه القرية ولكن كيف الوصول الى اخماد نارٍ اشتعل لهيبها في قلوبِ همجٍ تسلّط عليهم شيطان الحقد والغيرة؟

— اذا تيسر لنا القبض على فوريجان زعيمهم تمَّ لنا المرغوب

— كيف نمسكهُ وهو امنعُ من العُقاب ؟

— آه ابي لو سمعت مني وقصدت « باهيا » مركز الحاكم الايطالي وتداولت هناك معهُ في امر القبض على اولئك الاشرار المتمردين لكفاكَ شرَّهم

— يعزّ عليَّ ابنتي ان اتركك في هذا القصر المبتعد عن كل عمران

— لمَ الخوف ونحن في قصر اشبه بحصن حريز لا يقوى عليهِ عدوّ ؟

— وما يعني الحصن اذا خلا من الجنود المسلَّحة ؟

— جنوده اولادي الفقراء واسلحتهم الصلوة

فلم يتمالك فرنسيسكو مع ما كان عليهِ من التقوى على اخفاء تبسمهِ وعدم ثقته بقول ابنته

— لا تستصغر قولي ولا تستخفَّ برأني أيها الوالد العزيز فان فيهِ بعونهِ تعالى رجاء عظيماً

اجاب والدها: نعم ولعلَّ المثل يصدق فيك: « انَّ الحقيقة على لسان الاحداث»

وكانت الشمس حينئذٍ تميل الى الزوال ويتناقص النهار فتركت ايڤون والدها بعد ان قبّل جبينها الوضّاح واعداً أيّاها بالعمــل طبق مشورتها ومضت الى حيث كانت تلتئم الفقراء فبعد توزيع الصدقات طلبت ايڤــون من اولادها ان تكون صلاتهم لنجاح سفر ابيهــا الحبيب وفوزهِ القريب باعدائهِ . والكل صاحوا بصوت واحد: « اللهمَّ انصر المحسن الينا »

ولما كان صباح الغد ودَّع فرنسيسكو ابنته بقلب كسير وهو يتلهَّف على مفارقتها في مثل تلك الحال ومنّاها بقرب رجوعهِ حالما يفرغ من مهمَّتهِ

— سرْ على بركة الله ابي ان الله لرؤوف بعبادهِ

اما الفقراء فانهم لم ينتظروا الصباح للعــود الى قريتهم فقفلوا راجعين في طريق منازلهم وكان اديم الجوّ صافياً ونجوم السماء تتلألأ وهم يتحدثون عن سفر فرنسيسكو والقبض على اعدائهِ

فلمَّا كشف الصباح عن وجه الظلمة وكان رأد الضحى شاع الخبر بين سكَّان القرية حتى بلغ مسامع فوريجــان واصحابه فاستشاطوا غضباً وصمَّموا العزم المتين على اهلاك سكان القصر وسلب الفتاة ايڤون لما كانوا يعرفونهُ من محبة ابيها لها

ثم انتصب بينهم واحد منهم فقال: والامر لا يعسر علينا لأَني دخلت القصر واستقصيت زواياه وخفاياه يوم تزَّييت بزيّ الصعاليك وقضيت فيــهِ الليل منذ ثلاثة اشهر اما اليوم فهو اليوم القاضي على اعدائنا والويل لسكان القصر

فاجابت طغمته وقد عُرفت بالإقدام على الكبائر وارتكاب فظائع الاعمال: « الويل لسكان قصر السيد فرنسيسكو »

— اما التلاقي فعند منتصف الليل على باب القصر (لهُ بقيَّة)

آداب اللغة الفارسيّة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

أتحفنا احد علماء انكلترّا المبرّزين وهو المستشرق ادورد برَوْن (Ed. G. Browne) بالقسمين الاوّلين من تاريخ آداب اللغة الفارسيّة فتلقينا هديتـهُ السنيّة بما تقتضيهِ من التجلّة ثمَّ زاد شكرنا لجنابـهِ لمّا تصفّحنا كتابهُ فتحقّقنا ما اودعهُ من الابحاث الجليلة وضمّنهُ من المعلومات الفريدة في آداب الأمّة العجميّة بعد ان راجع لبلوغ غايتهِ كلّ ما امكنهُ من التآليف الفارسيّة وهو اعرف بها من سواه لما تولّاهُ سابقًا من نشر آثار الفرس بغيرةٍ لا تعرف الملل حتى اصبح اليوم حجّة في كلّ ما ينوط بهذا المعنى فضلًا عن كونهِ استاذًا للفارسيّة في كليّة كمبردج الشهيرة

ونحن لا نرى احسن وصف لهذا المصنّف الجديد من ان نختصر هنا موادَّهُ فنوقف قرّاءنا على مضامينهِ الجليلة مع اضافة ما نراهُ مفيدًا لتعريف الآداب الفارسيّة ومشاهير كتبتهـا (١

*

اعلم انَّ امّة الفرس امّة قديمة تضيع اصولها كغيرها من الامم العاديّة في مجاهل التاريخ وممّا استفدنا من الاكتشافات الاخيرة في شوشن اسماء ملوك عيلاميين بسطوا سيطرتهم على بلاد فارس في الالف الثالث قبـل المسيح. ثمَّ قويت شوكة البابليين والاشوريين على بلاد عيلام وفقد شعوبها استقلالهم واخذت ايدي الضياع تواريخهم الخاصّة الى القرن السادس قبل المسيح

وظهرت اذ ذاك الدولة المعروفة بالاخمنيد (Achéménides) واوّل من اشتهر منها قورش الأوّل الذي استولى على بابل ووطّد دولة الفرس وفتح الفتوحات العديدة

١) وهذا اسم الكتاب بالانكليزيّة :
EDWARD G. BROWNE, M.A., M.B., F.B.A: **A Literary History of Persia.** I. From the earliest Times until Firdawsi. 1902, in-8, XI-521, — II. From Firdawsi to S'adi. 1906.. XIV-568, *London, T. Fisher Unwin.*

ومات سنة ٥٣٠ قبل الميلاد. وجرت على هذه الدولة التقلبات المتعدّدة وطالت مدّتها الى ان خلفتها سنة ٥٢٠ ق م دولة بني ارشك التي تصدَّت للملوك السلوقيين وردَّت غارات الرومان في حروب يطول شرحها. وكانت نهاية هذه الدولة بانتصار بني ساسان سنة ٢٢٦ للمسيح ومنهم الاكاسرة الذين عُرفوا بعظمتهم ومفاخرهم ولم يزالوا ضابطين لزمام الامر الى ظهور الاسلام وكان آخر ملوكهم ازدشير الثالث الذي قُتل سنة ٦٥١ م

امَّا آداب الفرس في اثناء ذلك فانَّها محصورة في بعض الكتابات والتآليف التي نجت من صروف الدهر فبلغت حتى عهدنا. وكانت لغة الفرس في عهد دولة الاخمنيد والدولة الارشكيَّة اللغة الايرانيَّة القديمة التي لها بعض العلاقات باللغات الاوربيَّة القديمة المدعوَّة بالهندوجرمانيَّة. وهذه اللغة الايرانيَّة العتيقة تسمَّى ايضاً باللغة الزنديَّة ومن آثارها الباقية كتابات حجريَّة عديدة وُجدت في ابنية پرسيپوليس وغيرها. وكتابتها بالقلم المسماريّ او الاشوريّ. ومنها ايضاً كتاب زرادشت حكيم الفرس الذي وضع لاهل بلادهِ في القرن السادس قبل المسيح كتاباً دينيًّا واسعاً اتَّخذهُ الفرس كدستورهم الدينيّ والسياسيّ معاً. وهذا الكتاب قد فُقد منهُ قسمٌ كبير ونجا نحو ربعهِ الذي طُبع مرارًا ونُقل الى اللغات الاوربيَّة

وفي أيام الدولة الارشكيَّة ثمَّ الساسانيَّة تغلَّبت لغة اخرى على فارس أخذت من الفارسيَّة القديمة واضافت اليها شيئاً من اللغات الآراميَّة وهي اللغة البهلويَّة وتُدعى بالفارسيَّة الوسطى واقدم ما يُعرف من آثارها يرتقي الى اوائل القرن الثالث قبل المسيح وذلك عبارة عن كتابات شتَّى على قصور ومدافن ونقود وبعض كتب دينيَّة وادبيَّة منها ترجمة كتاب زرادشت المعروف بالزنداوستا وكتب دينيَّة كبندهشت في تعاليم زرادشت وبهمان يحت. ومنها ايضاً كتب ادبيَّة في الاخلاق والتاريخ والروايات وثبتت اللغة البهلويَّة اعصارًا عديدة الى اواخر القرن السابع بعد المسيح حيث سادت اللغة العربيَّة. ومن الآثار التي بلغتنا بواسطة اللغة البهلويَّة كتاب كليلة ودمنة الذي نقلهُ ابن المقفَّع الى العربيَّة. اما كتابة هذه اللغة فكانت منقولةً عن الكلدانيَّة السريانيَّة مع بعض اصطلاحات خصوصيَّة وتكتب من اليمين الى الشمال. وقد دخل ايضاً هذه اللغة البهلويَّة مفردات سريانيَّة وعبارات ساميَّة فتعدَّدت لهجاتها

ثمّ قامت الدول الاسلاميّة ورسخت قدمها في بلاد الفرس وقلّت بذلك الآثار البهلويّة وانتسخت او أُتلفت كتب قدماء العجم بينما كانت العربيّة تنتشر وتمتدّ في انحاء فارس الى ان أُلغيت الكتابة البهلويّة وفسدت اللغة الوطنيّة او بالحري استحالت شيئاً فشيئاً الى لغة جديدة هي اللغة الفارسيّة التي ظهرت في القرن التاسع التي لم تزل تتنقّح وتحسن بهمّة كبار المصنّفين وائمّة الكتبة الى ان بلغت عصرها الذهبيّ وممّن ساعد على هذه النهضة الادبيّة ملوك بعض دول العجم من سجستان وخراسان وخوارزم وما وراء النهر كالسامانيين والطاهريين والصفّارين وبني بويه ولاسيّما الغزنويين والسلجوقيين فكانوا يدعون الى منازلهم الادباء والشعراء ويعقدون المجالس الادبيّة ويجزلون العطاء على من يبرّز في ميدان الآداب حتى ازهرت اللغة الفارسيّة المحدثة واخذ اصحابها عن العرب قواعد العروض فنسجوا على منوالها

واوّل من يذكرون لهُ شعرًا في الفارسيّة حنظلة من بادغيس (من ٨٢٠ الى ٨٧٢م) في ايّام الطاهريين · ثمّ نظم الشعر في ايّام عمرو بن ليث الصفّاري (٨٧٨—٩٠٠م) فيروزُ المشرقيّ ثمّ ابو سليك الجرجانيّ والشاهد البلخي وابو شعيب صالح الهروي وابو عبدالله محمّد بن موسى الفرالاوي لكنّ هؤلاء الشعراء وغيرهم قليلين لم يتركوا سوى قطع قليلة من شعرهم لا تتجاوز بعض الابيات · اما الشاعر الذي يُعدّ في مقدّمة شعراء الفارسيّة فهو الاستاذ ابو الحسن وقيل ابو عبدالله جعفر بن محمّد الرودكي الذي خدم الملوك السامانيّة وكان نديم مجلس نصر بن احمد (٩١٣—٩٤٢م) وكان مولد الرودكي من قرية قريباً من سمرقند فتعاطى الشعر وفاز فيهِ بالقصبة الظافرة وكان يُحسن الغناء ويضرب على آلات الطرب كالمزهر والعود وشعرهُ متين منسجم قد جمعهُ الفضلاء في ديوان · ومن اعمال الرودكي انهُ نقل الى الفارسيّة كتاب كليلة ودمنة والفرس يتّخذونهُ كحجّة في لغتهم ويستشهدون باقوالهِ · وعاصر الرودكي شعراء غيرهُ كانوا في عهدهِ او بعدهُ بزمن قليل منهم الشيخ ابو العبّاس الفضل بن العبّاس والشيخ ابو زرعة المعمّري الجرجاني وابو اسحاق ابراهيم بن محمّد البخاري · واشهر منهم ابو منصور محمّد دقيقي الطوسيّ (+ ٩٧٥) وكان على دين المجوس لهُ القصائد والرباعيّات وغيرها من ضروب النظم الفارسي كالقطع والمثنويّ · واليهِ عهد الملك السامانيّ نوح ابن منصور (٩٧٧—٩٩٧) بنقل بعض الكتب البهلويّة الى الفارسيّة لاسيما تاريخ قدماء

ملوك الفرس فانجز منها قسماً حال موتهُ دون اتمامها. ونُقل في زمانهِ الى الفارسيَّة تاريخ الطبري بهمَّة الوزير ابي علي محمد البلعميّ وكتب النرشخي بالفارسيَّة تاريخ بخارى وقمّ وغيرهما

وقد اشتهر ايضاً بهذا الزمان رئيس الاطبَّاء ابو علي بن سينا وكان مولدهُ في بخارى ولهُ ما خلا كتبهُ العربيَّة الشهيرة شعر حسن في الفارسيَّة. وممَّا لا يُنكر انهُ كان للفرس سهم فائز في العلوم العربيَّة فضلًا عن الفارسيَّة لاسيما في ايَّام بني عباس نشير هنا الى بعضهم للدلالة على فضلهم. قد سبق ذكر ابن المقفَّع ناقل كتاب كليلة ودمنة ولهُ نقول اخرى عدَّدها صاحب الفهرست كتضائي نامه وغيره. واشهر منهُ سيبويهِ شيخ النحو (+٧٩٣م) والامام الكبير ابو حنفيَّة النعمان صاحب المذهب الحنفيّ (+٧٦٧م) وحمَّاد الراوية الديلميّ (+٧٧٢—٧٧٥م) والشاعران بشَّار بن برد (+٧٨٣م) ومروان بن ابي حفصة (+٧٩٧) والاديب اللغوي علي بن حمزة الكسائي (+٨٥٠) مهذّب ابني هارون الرشيد الامين والمأمون. وكان ايضاً ابو نوَاس الشاعر فارسيّ الاصل ومثلهُ ابو فراس الحمداني (٩٦٨م) واللغويُّون الشهيرون الفرَّاء تلميذ الكسائي (٨٢٢م) وابو عبيدة معمر بن المثنى (٨٢٥م) والاخفش الاوسط النحوي (٨٣٥) والكاتب الجليل المتفنن ابن قتيبه (٨٢٨م) والمؤرخان العظيمان البلاذري (٨٩٢م) والدينوري (٨٩٥م) وابو بكر الخوارزميّ صاحب الديوان والرسائل (+٩٩٢) والجغرافيَّان الاسطخريّ وابن خرداذبه. وكان الفرس مولعين بالعلوم الفلسفيَّة فمنهم الرئيس ابن سينا السابق ذكرهُ وابو نصر الفارابيّ (٩٥٠م). واصحاب الرسائل المسمَّاة برسائل اخوان الصفا والامام الشهير محيي الدين الغزَّالي (١١١١ م) وكل هؤلاء وغيرهم كثيرون اغنوا الآداب العربيَّة بمؤلفاتهم. وكانوا يحسنون ايضاً آداب الفرس ولبعضهم آثار وتآليف في الفارسيَّة اخنى على اكثرها الزمان. على انَّ العصر الذهبيّ للآداب الفارسيَّة ابتدأ في اواخر القرن العاشر وفي اوائل القرن الحادي عشر للمسيح. وفي مقدَّمة الذين اشتهروا في ذلك الشاعر المفلق فردوسي الذي وُلد في طوس سنة ٩١٦ للمسيح فانهُ بلغ في الشهرة ما لم يبلغهُ غيرهُ بكتابهِ المسمَّى شاه نامه صنَّفهُ للسلطان محمود الغزنويّ وقضى في تأليفهِ ثلاثين سنةً وهو تاريخ ملوك العجم منذ الزمن الاوَّل الى ايَّام خسرو ابرويز ضمَّنهُ كلّ اساطير العجم ورواياتهم الخياليَّة في اصول دُوَلهم. وهو كلهُ بالشعر

في ٦٠,٠٠٠ بيت. وكانت وفاتهُ سنة ٥١٠ هـ. (١١١٦م) وفردوسى غير ذلك ايضاً منها رواية يوسف وزليخا وعدّة مقاطيع شعريّة

وممّن يعدُّهُ الفرس في الطبقة الاولى من شعرائهم ابو القاسم حسن عنصرى المتوفى في اواسط القرن الحادي عشر لهُ ديوان نفيس اكثرهُ في مدح الدولة الغزنويّة . وتتلمذ لعنصرى شاعر مستفيض الذكر وهو عبد العزيز عسجدى بخارى الذي خدم محمود بن سبكتكين ولا يُعرف من ديوانهِ الّا قطع متفرّقة وكان يسمّى في زمانهِ ملك الشعراء

وكان معاصرًا لهؤلاء المذكورين الاستاذ ابو الحسن فرّخى ونال بفصاحتهِ الحظوى لدى الملوك والاعيان ولهُ ديوان شعر وكتاب ترجمان البلاغة. ومثلهُ في العهد والشهرة الشاعر ابو نصر احمد بن منصور الطوسي المعروف باسدى طوسى لهُ شعر حسن ومناظرات وهو اوّل من وضع معجماً للغة الفارسيّة ولا تُعرَف سنة وفاتهِ وسيأتي اسم ابنهِ

وليس دون هؤلاء رقّة وذكاء وشهرة ابو الفرج سجزى من اهل سيستان وصاحب الامير ابي علي سمجور توفّي سنة ١٠٠٢م . واخذ عنهُ الشعر ابو النجم احمد الشهير بمنوچهرى الذي نشر ديوانهُ المستشرق الفرنسوي كزيمرسكي في باريس سنة ١٨٨٦ . وكذلك يفتخر الفرس بشعراء غير هؤلاء كغضائرى الرازي الذي اجازهُ السلطان محمود على قصيدة قالها في مدحهِ باربعة عشر الف درهم وكبندار الرازي (+ ١٠١٠م) الذي قرّبهُ الامير مجد الدولة رستم البويهيّ والصاحب اسماعيل بن عبّاد . وكابي الحسن الكسائي (١٠٠٢) كما انّنا لا ننسى احد مشاهير ادباء العربية نريد بديع الزمان الهمذاني (١٠٠٨م) الذي كان يُتقن الفارسيّة كالعربيّة ولهُ في كلتا اللغتين التآليف الحسنة

ثمّ ظهرت في العجم دولة بني سلجوق وكان اوّلهم طغرل بك (١٠٣٧ — ١٠٦٣م) ثمّ خلفهُ الب ارسلان (١٠٦٣م) ثمّ ملكشاه (١٠٧٢ — ١٠٩٢) وكانوا يحبّون العلم والادب ويجزلون العطاء على الشعراء وكان من وزرائهم نظام الملك مولعاً بالآداب الفارسيّة ولهُ ايضاً تأليف حسن يُدعى سياست نامه طبعهُ فقيد الآداب الفارسيّة المستشرق الفرنسويّ المسيو شرل شيفر (Schefer) ونقلهُ الى الفرنسويّة

وممّن اشتهروا في زمن السلجوقيين الحكيم ابو معين الدين ناصر خسرو المروزي

احد كبـار كتبة الفرس الذي تجشَّم الاسفار البعيدة وكتب اخبارها في كتاب رحلة دعاهُ سفَرنامه نشرهُ المسيو شيفر المومأ اليهِ مع ترجمتهِ الى الفرنسويّة وزار الشام ومصر ودوَّن فيهما عدَّة تفاصيل يستند اليها العلماء . وكان يُحسن النظم في الفارسيَّة وديوانهُ واسع طُبع في تبريز حديثًا . ولهُ تآليف أُخرى فلسفية وحكميَّة منها رووشنائى نامه اي كتاب النور بالشعر المثنوي وكتاب سعادت نامه في ثلاثين فصلًا وهو كتاب ادبٍ منظوم . ولهُ ايضاً كتاب زاد المسافرين واكسير الاعظام وغير ذلك . توفي ناصر سنة ١٠٨٨ م

واشتهر ايضاً في دولة بني سلجوق اربعـة شعراء احرزوا لهم في بلاد فارس اسماً طيبًا بنظمهم وقد عُرفوا خصوصاً بضرب من الشعر شاع في العجم وهو نوع الرباعيَّات واوَّلهم عُمر الخيَّامي وكان فلكيًا ينظم الشعر الجيّد ولهُ عدَّة تآليف اشهرها رباعيَّاتهُ التي طُبعت مرارًا ونُقلت الى الفرنساويّة والانكليزيّة . وقد نسبـهُ اهل عصرهِ الى الزندقة والالحاد ولـهُ كتاب في الجبر والمقابلة طبعهُ العلّامة ڤوپكه (Woepcke) ونقلهُ الى الفرنسويّة . والشاعر الثاني بابا طاهر الهمذاني المعروف بالمجذوب لهُ الرباعيَّات من بحر الهزج توفي سنـة ٤١٠ هـ . (١٠١٩م) والثالث ابو سعيد بن ابي الخير المتوفى سنة ١٠٦٢م . وكان على مذهب الصوفيَّة وشعرهُ كشعر ابي الفارض عند العرب . امَّا الرابع فهو الشيخ ابو اسماعيل عبدالله الانصاري الهروي وُلد في هراة سنـة ١٠٠٦م وتوفي سنـة ١٠٨٨ كان ايضاً صوفيًا لهُ في الطريقة عدَّة مؤلّفات كمنازل السائرين وانوار التحقيق والنصيحة والهى نامه وزاد العارفين وكتاب الاسرار وطبقاتى صوفيّه . ولهُ في النظم الرباعيّات والمناجيات

وممَّن يستحقُّ ذكرًا في هذا الزمانً عينهِ علي اسدى وهو ابن ابي نصر احمد اسدى المذكور سابقًا نظم كتاب تاريخ الفرس (گرشاسپ نامه) الذي طُبع في ڤينَّة سنـة ١٨٥٩ ونُقل الى الالمانيـة . ولهذا الشاعر معجم فارسي طُبع في غوطا على نسخة قديمـة في المكتبة الڤاتيكانيّة

وفي هذا القرن الحادي عشر أَلَف الامير كيكاوس لابنهِ گيلانشاه كتاب قابوس نامة في ٤٤ فصلًا في كلّ المواضيع الادبيّـة كعقد الفريد لابن عبد ربّهِ وقد نُشر مطبوعًا على الحجر في طهران سنة ١٨٧٠

وكان الفرس لا يزالون في تلك الاثناء ينكبُّون على الدروس العربيَّة اشتهر منهم

كثيرون بآدابهم نخصُّ منهم بالذكر ابا منصور الثعالبي (+ ١٠٤٨ م) الشهير بتآليفهِ المتعددة وابا الحسن الماوردي (+١٠٥٨م) صاحب ادب الدنيا والدين والآداب السلطانيّة . ومحيي الدين الغزّالي (+ ١١١١م) السابق ذكرهُ

ثم دخل القرن السادس للهجرة الموافق للثاني عشر للمسيح وبقيت الدولة في يد بني سلجوق وكان اعظمهم شأناً السلطان سنجر وملك اربعين سنة (١١١٨-١١٥٧م) وغلبت الفتن على الدولة من بعدهِ الى ان صار الامر الى تكش صاحب خوارزم سنة ٥٩٠ هـ. (١١٩٤م) واخلافهِ الخوارزميَّة الى ظهور المغـول (١٢٢٠م) . امَّا الآداب الفارسيَّة في هذا القرن فانها لم تفقد مفاخرها التي بلغتها في عهـد فردوسي ورصفائهِ فنذكر هنا بعض الذين برّزوا في الكتابة شعرًا ونثرًا

واوَّلهم الحكيم العارف سنائي ابو المجد مجدود بن آدم من اهل غزنة وقيل من بلخ لهُ عدَّة تآليف على الطريقة الصوفيَّة واشهرها حديقـة الحقيقة في الآداب اهداهُ لبهرام شاه صاحب غزنة وجعلهُ على عشرة اقسام . ولهُ ايضاً ديوان اكثرهُ من نوع المثنوي طُبع في طهران سنة ١٢٧٤هـ. (١٨٥٧م) ثم طُبعت الحديقة في بمباي سنة ١٢٧٥. توفي سنائي نحو السنة ١١٥٠م او قبلًا

واشتهر منهم الامير مُعزّي الملقَّب بملك الكلام مدح السلطـان سنجر وحظي عندهُ . وهو يُعدّ من اكبر شعراء الفرس وشعرهُ في غاية الحسن والسلاسة كانت وفاتهُ سنة ٥٤٢ هـ. (١١٤٧م) . وكذلك يثني أُدباء فارس المحدثون على شاعر آخر عمَّر طويلًا وكتب كثيرًا وهو رشيد الدين محمَّد العُمَري المعروف بالوطواط وقد تفنن في ضروب البلاغة ولهُ كتاب في صناعة علم الشعر يدرسهُ الطلبة في فارس يُدعى حدائق السحر امَّا ديوانهُ فيبلغ نحو ١٥,٠٠٠ بيت توفي في خوارزم وقيل في خوى سنـة ٥٧٨ هـ. (١١٨٢م) . وكانت بينهُ وبين شاعر آخر من شعراء زمانهِ يدعى اديب صابر مباحثات ومهاجاة وكان ينتصر لكلٍ منها قومٌ من الادباء . قُتل اديب سنـة ٥٤٢ هـ. (١١٤٧م)

وممَّن تتداول ذكرهُ الالسنة حتى اليوم لحسن نظمهِ في الفارسيَّة نجم الدين احمد ابن عمر الشهير بنظامي عروضيْ واصلهُ من سمرقند اجتمع بكثير من الادباء والشعراء وروى عنهم اخبارهم ولهُ في ذلك كتاب يُدعى بالمقالات الاربع (چهار مقاله) الذي

طُبع في طهران سنة ١٣٠٥ هـ. (١٨٨٧م) فنقلهُ الى الانكليزيّة العلّامة برون صاحب الكتاب الذي نحن بصدده . وكانت وفاتهُ نحو السنة ١١٦٠م . اما شعرهُ فقد اخذ اكثرهُ الضياع . ولنظامى هذا سمّي لهُ ايضاً تآليف متعدّدة اسمهُ نظام الدين محمد ابن يوسف وُلد في كنجة سنة ٥٣٥ هـ. (١١٤٠م) فعُرف بنظامى گنجوى وتوفّي سنة ٥٩٥ هـ. (١١٩٩) لهُ ديوان شهير يُسمّى الكنوز الخمسة (پنج گنج) ضمَّنهُ خمسة تآليف شعريّة بالشعر المثنويّ ولكلّ قسم اسمٌ اوّلهُ مخزن الاسرار ثمّ قصّة خسرو وشيرين ثمّ قصّة ليلى ومجنون ثمّ اسكندر نامه ثم هفت پيكار (اي الصور السبع) ويدعى بهرام نامه ولهُ قصائد غيرها تبلغ عشرين الف بيت .

وسبق هؤلاء شاعر آخر ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وهو اوحد الدين أَنوَرى كان من خراسان ودرس في المدرسة المنصوريّة في طوس. قيل انهُ رأى يوماً موكباً عظيماً يمشي بين يدي رجل راكب على فرس مطهّم فسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ شاعر الملك فقضى ليلهُ في تأليف قصيدةٍ مدح فيها سنجر فسُرّ بها الملك وجعل الشاعر في حلقتهِ ولم يزل يتقدّم عندهُ حتى حاز قصبة السبق على غيرهِ . توفّي نحو السنة ١١٩٠ ١١٩١ وقيل ان سبب وفاته انهُ كان يتعاطى التنجيم فلم تصدق اقوالهُ في النجوم وتغيّر عليهِ الملك فهرب الى بلخ وفيها توفّي كأبةً . ومن قصائدهِ الرنّانة مدحهُ لمودود بن زنكي وقصيدتهُ المسماة دموع خراسان

ويشبه انورى في شهرتهِ وان لم يشبههُ في رقّة شعرهِ افضل الدين ابراهيم بن علي الشرواني الشهير بخاقانى . حقائقى تنقّل في البلاد وقصد القصائد العديدة التي طُبع مجموعها في لوكنو في الهند وعدد صفحات هذا الديوان ١٥٨٢ صفحة ولهُ مع هذا كتاب وصف فيهِ رحلاتهِ دعاهُ تحفة العراقين بالشعر المثنوي . وشعر الخاقاني قليل الوضوح كثير التصنُّع . توفي خاقانى في تبريز سنة ٥٨٦ (١١٨٥م)

امّا الذين اشتهروا بآدابهم في ايّام الدولة المغوليّة في اوائل القرن الثالث عشر للمسيح فثلاثة قد ختم الاستاذ برَون كتابهُ الثاني بتراجمهم وهم فريد الدين عطّار وجلال الدين الرومي وسعدى . واسم الاوّل ابو طالب محمّد بن ابي بكر ابراهيم النيسابوري كان في اوائل القرن الثالث عشر وزهد في الدنيا ولهُ مصنّفات شتّى على مذهب الصوفيين كمظهر العجائب واشتور نامه (كتاب الجمل) ولسان الغيب وتذكرة

الاولياء المعروف بپند نامه . ومن تآليفهِ الجميلة في الشعر كتاب منطق الطير الذي طبعهُ العلّامة الفرنسوي غرسين دي تاسي (G. de Tassy) ونقلهُ الى الفرنسويَّة . وعلى طرزهِ كتب في العربيَّة ابن غانم المقدسي كتابهُ كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار الذي نقلنا منهُ قسماً صالحاً في مجاني الادب (٤ : ١١٧ — ١٥١)

والثاني جلال الدين محمد الرومي فانهُ وُلد في بلخ سنة ١٢٠٧م وتوفي سنة ١٢٧٣م . ويُعرف بشمس تبريز . وشعره كلُّهُ على طريقة الصوفيين وقد بلغ في ذلك مبلغ فريد الدين عطّار بل فاقهُ . ساح ايضاً في البلاد وسكن مدَّة دمشق وقيل انهُ صنَّف فيها معظم ديوانهِ . ولهُ خصوصاً مثنويَّتهُ الشهيرة التي تبلغ ٢٦,٦٦٠ دوراً وهي في ستَّة اقسام واهل فارس يكثرون من درسها وان كانت دون قصائد ديوانهِ بلاغةً وحسناً

واشهر من الشاعرين السابقين مشرف الدين بن مصلح الدين عبدالله المعروف بسعدى شيرازى وُلد في شيراز سنة ١١٨٤م وعمّر طويلاً حتى اربى على مئة عام ومات سنة ١٢٩١م اختصَّ بخدمة الاتابك سعدبن زنكى وهو شاعر جليل مطبوع فصيح الالفاظ بليغ المعاني اخذ عن شيوخ زمانهِ كشهاب الدين السهروردي وشمس الدين ابي الفرج بن الجوزيّ ورحل الى بلاد الاسلام فزار الهند واليمن والحجاز والحبشة والشام والمغرب ورجع الى بلادهِ بعد المحن والاتعاب العديدة فانقطع الى التأليف . وكتبهُ كلها مشهورة اودعها ضروب المحاسن الادبيَّة واللغويَّة منها كتاب البستان وكتاب كولستان الذي نقلهُ الى العربيَّة جناب الاديب جبرائيل مخلّع وكتاب الكلّيات . وديوانهُ بين ايدي كلّ الدارسين يستظهرونهُ ويتناشدونهُ

وهنا اوقف العلّامة برَوْن قلمهُ وفي نيَّتهِ أن يتحفنا قريباً بالمجلَّد الثالث لتعريف مشاهير الادباء في فارس منذ غرَّة القرن الرابع الى زماننا فلا يسعنا الّا أن نشكر لهمّتهِ القعساء . وفي كتابهِ الذي اختصرنا بعض مضامينهِ اشياء كثيرة غير التي ذكرناها ولولا ضيق المكان لنقلنا منها نبذاً كتعريف الكتبة الذين اشتهروا في بلاد فارس في غير ابواب الشعر والانشاء . فان عددهم وافر فمنهم من كتب في التاريخ والعلوم الطبيَّة والرياضيات والطبيعيَّات وقد جاروا الكتبة العرب في كلّ باب من ابواب الكتابة فانَّ القاضي حميد الدين ابو بكر البلخي مثلاً عارض الحريريّ بفنّ المقامات فصنَّف ٢٤

مقامة وكتب زين الدين الجرجانيّ دائرةً للعلوم الطبيّة ونقل ابو المعالي نصرالله كليلة ودمنة الى الفارسيّة . هذا فضلًا عمن اشتهروا بين كتبة العرب وكان اصلهم من بلاد فارس كزكريا القزويني صاحب عجائب المخلوقات وفخر الدين الرازي الطبيب والفيلسوف الشهير ونصير الدين الطوسي الفلكيّ والمطرّزي والزمخشري وغيرهم كثيرين . فالشكر كلّ الشكر لمن قرّب الينا اخبار هؤلاء الادباء ونتمنّى لتأليفهِ رواجًا كبيرًا بين كلّ محبّي الآثار الشرقيّة

فصول صحيّة لتدبير الاحداث

توطئــة

ممّا وقع الينا مؤخرًا في بعض مكاتب البلدة كتاب طبيّ يدلُّ ورقهُ انهُ كُتب منذ مئتي سنة بنيّف وهو مخطوط بقلم نسخيّ جليّ العبارة يروق العين بحسنهِ . وطول الكتاب ٢٠ سنتمترًا في عرض ١٢ س وهو مجلَّد تجليدًا شرقيًّا قديمًا منقوشًا . وقسم من ورقــهِ اصفر وقسم آخر ابيض والورق صفيق حسن الصقل . والكتاب يتألف من نحو ٢٥٠ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطرًا بحبر اسود للمتن واحمر للفصول . امّا مؤلف الكتاب فلم يُذكر لا في اوّلهِ ولا في اثناء فصولهِ . بل ليس عنوان لكتابهِ وانما يُقرأ في اوّلهِ بحرف احمر قبل البسملة

« كتاب الحداقي المترجم بالعلمي مختصر من القانون الطبيّ »

يليــهِ ما نصّهُ « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربّ العالمين وصلواتهُ على عبادهِ المؤمنين واصحابهِ الطاهرين » ثم يباشر المؤلف بتعريف الطبّ واقسامهِ وموادّهِ وكليّاتهِ وجزئيّاتهِ في نحو مئة فصل على طريقة مدارسيّة . وقد عارضناهُ بما لدينا من المخطوطات والمطبوعات الطبيّة العربيّة فلم نجدهُ موافقًا لشيء منها . وقد وجدنا فيه بعض فصول صحيّة حسنة لتدبير الاحداث ننقلها هنا لفائدتها فضلًا عن كونها اثر قديم ولعلّ احد القرّاء يقف بواسطتها على اصل الكتاب وصاحبــهِ فيفيدنا عنهُ ولهُ منّا الشكر سلفًا

ل . ش

تعديل اخلاق الولد

(قال) اذا انتقل الاحداث الى سنّ الصبا يجب ان تكون العناية مصروفة الى مراعاة اخلاق الصبي فتُعدَّل وذلك بان يُحفظ كيلا يعرض لهُ غضب وخوفٌ شديد او غمّ او سَهَر وذلك بان يتأمل كلّ وقت ما يشتهيهِ ويحنّ اليهِ فيقرَّب اليهِ وما الذي يكرههُ فينحّى عن وجههِ . وفي ذلك منفعتان احداهما في نفسهِ بأن ينشأ من الطفولية

حسن الاخلاق وتصير لهُ ملكةً لازمةً . والثاني لبدنهِ فانهُ كما انَّ الاخلاق الرديَّة تابعة لانواع سوء المزاج فكذلك اذا حدثت عن العادة استعقبت سوء المزاج المناسب لها . فانَّ الغضب يسخِّن جدًّا والغمّ يجفّف جدًّا والتبليد يزيل القوى النفسانيَّة ويميل المزاج الى البلغميَّة ففي تعديل الاخلاق حفظ الصحَّة للنفس والبدن معاً . واذا انتبه الصبي من نومهِ فالاحرى ان يستحمَّ ثمَّ يُخلَّى بينهُ وبين اللعب ساعةً ثمَّ يُطعم شيئًا يسيرًا ثمَّ يُطلق لهُ اللعب الاطول ثم يستحمّ ثم يُغذَّى . ويُجنَّبون ما امكن شرب الماء على الطعام لئلَّا ينفذ فيهم نيًّا قبل الهضم

فاذا اتى عليهِ من احوالهِ ستّ سنين فيجب ان يقدَّم الى المعلّم والمؤدّب ويدرَّج ايضاً في ذلك ولا يُحمل عليهِ فيلازم الكتَّاب طوعاً . واذا بلغوا هذا السنّ نُقص من استحمامهم وريد في لعبهم قبل الطعام وجُنّبوا النبيذ خصوصاً ان كان (الصبيّ) حارّ المزاج . . . وليُطلق لهم من الماء البارد العذب النقيّ شهوتهم . ويكون هذا هو النهج في تدبيرهم الى ان يوافوا الرابع عشر من سنّهم مع الاحاطـة بماذا ينالهم كل يوم من تنقُّص الرطوبات والتجفُّف والتصلُّب ويدرَّجون في تقليل الرياضة وهجر المتعبة منها ما بين سنّ الصبا الى سنّ الترعرع ويلزمون المعتدل منها . وبعد هذا السنّ تدبيرهم هو تدبير الإتمام وحفظ الصحَّة فلننتقل اليهِ ولنقدّم القول في الاشياء التي فيها مِلاك الامر في تدبير الاصحاء البالغين ولنبدأ بالرياضة

فصل في الرياضة

الرياضة حركة اراديَّة تضطرّ الى التنفُّس العظيم المتواتر . والموفّق لاستعمالها كما ينبغي ان تؤمَن الامراض الماديَّة وما يتبعها من الآفات اذا كان سائر تدبيرهُ صواباً وذلك لأنَّ الغذاء لا يستحيل بكليَّتهِ الى البدن بل يفضل عنهُ في كل هضمٍ فضلةٌ . واذا تكرَّرت اجتمع ما يُحدث الامراض . واستفراغها في اكثر الامر انما يتمّ ويجود اذا كان بأدوية سمِّية . ولا شكَّ انها تُنهك الغريزة . . . كما قال ابُقراط : الادوية تُنقّي وتُبلي لانهـا تُستفرَغُ من الخلط الفاضل والرطوبة الغريزيَّة والروح . والرياضة تمنع ذلك الاجتماع وتكون الحركة معينة لهُ بالازلاق وتنعش الحرارة الغريزيَّة فتكمل بهـا افعال البدن وتصلّب المفاصل والعضل فتقوّي وتوسّع المسامّ ليسهل تحلُّل ما يُحتاجُ الى تحلّلهِ منها وكثيرًا ما يقع تارك الرياضة في الدقّ

وانواعُ الرياضة مختلفة كالإحضار والركض والقفز ويجب ان يُتفنَّن في استعمالهـا ولكل عضوٍ رياضة تخصُّهُ مثلًا ان اعضاء النفَس تُراض بالصوت الثقيـل العظيم تارةً وبالحادّ أخرى وتكون تلك ايضًا رياضةً للفم واللّهاة واللسان وعلى هذا القياس يجب ان لا يُراض العضو الضعيف . مثلًا من اعتاد الدواليّ فالواجب لهُ ان لا يُحرّكَ رجليهِ كثيرًا بل يروّض اعالي بدنه بحيث يصل تأثير الرياضة الى رجليـهِ من فوق فتكون رياضةُ العضو الضعيف تابعـةً لرياضة العضو القويّ . ووقتُ الرياضة عند نقاء البدن من الفضول الخلطيَّة ومن البراز والبول وبعد انهضام الغذاء وقبل حضور وقت الغذاء الآخر ويدلُّ عليهِ نضج البول قوامًا ولونًا . وتضرُّ الرياضـةُ على الجوع وتُنهكُ القوَّة . والرياضة على الامتلاء مع انها شديدةُ الضرر خيرٌ من الرياضة على الخوى المفرط واصوبُ اوقاتها عنـد اعتدال الهواء . والاولى ان يتدلَّك قبل الرياضة بشيء خشن ثم يتمرَّخ بدُهنٍ عذبٍ بأيدٍ كثيرة مختلفة اوضاع الملاقاة ثم يرتاضُ . ومقدار الرياضة ان يُراعى فيهِ ثلثة اشياء اللون فما دام يزدادُ جودةً فهو بعدُ وقتٌ . والثاني الحركاتُ فانَّها ما دامت خفيفة فهو بعدُ وقتٌ . والثالثِ حال الاعضاء وانتفاخها فما دامت تزدادُ انتفاخًا فهو بعدُ وقتٌ . وعند قطع الرياضة يُقبل على الدهن المفرّق ويحصر حينئذٍ النفَس

فصلٌ في الدَّلك

الدلك منهُ صُلبٌ فيشدُّ ومنهُ ليّن فيُرخي ومنهُ كثير فيُهزل . ومنهُ معتدلٌ فيُخصبُ واذا رُكّب ذلك حدثت تسعُ مُزاوجاتٍ . وايضًا من الدلك ما هو خشنٌ اي بخرقٍ خشنةٍ فيجذب الدم . ومنهُ املسُ اي بالكفّ اللّينة او بخرقٍ ليّنةٍ فيحبس الدم في العضو . واذا علمتَ ما تقدَّم في هذا الفصل امكنك بالدلك تكثيفُ البدن المتخلخل وخلخلة الكثيف وتصليبُ الليّن وتليينُ الصلب وجذبُ الدم وحبسـهُ . وقد يُقدَّمُ الدلك على الرياضة ويُسمَّى ذلك الاستعداد وقد يؤخَّرُ عنها ويسمّى ذلك الاسترداد . ويراد منـهُ تحليلُ بقايا الفضول فلا يُحدث الإعياء ويكون ذلك دلكًا رفيقًا معتدلًا واحسنهُ ما كان بالدُهن

فصلٌ في الاستحمام

الانسان الكامل الصحَّة لا يحتاج الى تحليل الحمّام وانّما يستفيدُ منهُ حرارةً لطيفة وترطيبًا معتدلًا . فلذلك يجب ان لا يطيل اللبث فيهِ ويستعملُ قدر ما تحمرّ بشرَتهُ

وتربو ويرطّب الهواء بكثرة صبّ الماء. والمرتاض لا يستحمّ الّا بعد الاستراحة. ويجب ان يُتدرَّج في الدخول والخروج ويكون الاستحمام بعد الهضم وقبل افراط الخوى الّا من يريد التحليل. والصفراوي يتناول قبل الاستحمام خبزًا منقوعًا في ماء الفواكه وماء الورد وليتوقَّ تناول الشيء البارد والحارّ بالفعل في الحمَّام وعقيبهُ لئلّا يبرد جوهر الاعضاء الرئيسيَّة ولا يحدث الذوبان والمحموم يحذَّر الحمَّام الّا من نستثنيهِ فيما بعد. وكذلك صاحب تفرّق الاتصال والورم. والحمَّام مُسخِّن مبرّد مرطّب ميبّس نافعٌ ضارٌ كما عرفت. ومنافعهُ التنويم والتفتيح والجلاء والتحليل والإنضاج وجذب الغذاء الى ظاهر البدن وحبس الاسهال وازالة الاعياء. ومضارُّهُ تضعيف القلب ان أُفرط منهُ وايراث الغشي وتحريك الموادّ الساكنة وتهيئتها للعفونة وامالتها الى الأفضية والاعضاء الضعيفة

فصل في الاغتسال بالماء البارد

لا يستعملهُ الّا شابٌ قويّ المزاج جيّد السحنة في الصيف وقت الهاجرة. ولا يكوننَّ بهِ تخمة او قيءٌ او اسهال او سهَر او نزلة ولا تتقدَّمهُ جماعٌ ولا استفراغٌ آخر ولا رياضةٌ الّا القويّ جدًّا فان الماء البارد يحصرُ الحارّ الغريزي ويكثّره فيقوى على البرود اضعافًا لما كان ويقوّي البشرة

فصل في المأكول

يجب على حافظ الصحَّة ان يقتصر من الاغذية على الحنطة النقيَّة الغير المؤوفة واللحم والشيء الحلو الملائم للمزاج والشراب الطيِّب الريحاني ولا يلتفت الى غير ذلك من الاغذية الدوائيَّة كالبقول والفواكه. واشبه الفواكه بالغذاء التين والعنب والحلو النضيج والتمر في الاراضي المعتاد فيها ذلك. ولا يأكل الّا على الشهوة الصادقة ولا يدافعها اذا هاجت. وليكن الغذاء في الشتاء حارًّا بالفعل. وفي الصيف بالضدّ. وان تُنوول من الاغذية الدوائيَّة على سبيل الخطأ فليتدارك ضررهُ بحسب ما يُعلم في بابهِ. واضرّ شيء في البدن ادخال غذاء على غذاء لم ينهضم ولا بأس بالحركة الخفيفة على الطعام واما العنيفة منها فعظيمة الضرر. وكذلك الأعراض النفسانيَّة الفادحة. وليكن غذاء الشتاء اكثر واقوى. وبالضدّ في الصيف. وليمسك عن الغذاء وفي النفس بقيَّةُ شهوةٍ فانها تبطل بعد ساعة وان أفرط فيهِ أتبع جوعًا. فلا خير للبطنة من مخمصةٍ تتبعها

ويجب ان يكون نوم العشاء على اليمين اولًا زمانًا قصيرًا ثم على اليسار ثم على اليمين. والدثار ورفعُ الوسادة مُعينٌ على الهضم بالتسخين والحطّ الى قعر المعدة وفيهِ الهضم القوي. وتقدير الغذاء انما يكون بحسب العادة والقوّة. ويجب ان لا يكثَّر بحيث يثقّل ويمدّد الشراسف ويفوّق . وشرّه ما صغّر النفس لمزاحمة المعدة والحجاب . ومن يعرض لهُ عقيب الطعام حرارة فليأكل قليلًا قليلًا لئلّا يعرض لهُ من الامتلاءِ حالة كالنافض ثم تتبعهُ حرارة كالحمّى. والعاجز عن هضم الكفاية يُكثِر العدد ويقلّل المقدار. والسوداويّ يحتاج الى غذاء مُرطّب قويّ مُسخِن ضعيف. والصفراوي الى مبرّد مرطّب . والبلغميّ الى مسخّن ملطِّف. وليحذر إتباع الرقيق السريع الهضم الغذاء القوي الصلب فانهُ لا ينفذ ويُفسد. وان كان الغذاء البطيءُ الانهضام اذا تقدّم وحصل في قعر المعدة وتبعهُ الرقيق وحصل في فمها فيتقارب زمان الهضمين. فان اتّفق على هذه الوجه فانّهُ لا يضرّ ذلك الترتيب ولا يقدّم الزَّلِق على الغذاء القويّ فانّهُ يزلقهُ قبل الهضم. والاصوَب ان لا يجمع بينهما فان البطيءْ الانحدار وان قُدّم فـانهُ يمنع الليّن عن الانحدار فيفرط عمل الحارّ المعتري فيهِ فيفسد. ومن الناس من يفسد في معدتهِ الغذاء اللطيف فينهضم فيها البطيءْ الهضم وهو النّاريّ المعدة . ومنهم من هو بالضدّ وكلّ يدبّر بحسب الواجب.

وللابدان خواصّ لا تُدرك بالقياس. فلتُحفظ تلك . فقد رأينا للزيرباج مضرّةً قويّةً. ومن استمرأ الغذاء الرديّ فلا يغترنّ بذلك فانهُ متولّد منهُ على الايام اخلاط رديّة قتّالة . والمستكثر من اللحوم ينبغي ان يتعهّد الفصد وان كان مبرودًا فعليهِ بالجوارشات وما من شأنهِ ان ينقّي المعدة والامعاء . وشرّ الاشياء جمع اغذية مختلفة وبعدهُ تطويل مدّة الاكل فيختلف حالها حال ما في المعدة من الهضم . واوفق الغذاء الذّهُ اذا كان صالح الجوهر وللاعضاء الرئيسة سالمهُ . واوفق المرّات ان يأكل يومًا وجبةً مرّةً ويومًا مرّتين بكرةً وعشاء . ويجب مراعاة العادة. والعادة المذمومة يجب ان لا تُغادر الّا بالتدريج فكيف العادة الحميدة والابدان المراريّة تحتاج الى تفريق التناول والى سرعة تغذّ والى تقديمهِ قبل الاستحمام . وامّا غيرها فليستحمّوا ثم يأكلوا ولا مصلح للشهوة الفاسدة المائلة الى الحرّيفة العائفة للحلوة والدسمة من القيءْ مثل السكنجبين

ولا يشرب الماء الكثير على الطعام فانّهُ يفرّق بينهُ وبين المعدة ولا يجود اشتمالها عليهِ ويجب قصورٌ في الهضم ويتربّص حتى ينفذ من المعدة ويدلّ عليهِ خفّة الاعالي وان أُذي بالعطش فليقتصر على مصٍّ من الماء البارد. والمصابرة على العطش نافعٌ للمبرودين والرطوبين ضادٌّ للمحرورين. وكذلك الصبر على الجوع. وينصبُّ مرارٌ الى مِعَدهم فيحتاجون الى ما يحدِرهُ من الملينات الخفيفة مثل الاجاص او شيء يسير من الشيرخشت. والشراب على الطعام من اضرّ الاشياء لانهُ ينفذهُ قبل الهضم. ويُورث السدَد والعفونة. والحلاوات كثيرًا ما تسدّد لجذب الطبيعة لها وحبّها ايّاها. والسدد تُوقع في امراضٍ كثيرة منها الاستسقاء. وغلظ الهواء والماء مما يفسدُ الهضم. ولا بأس ان يُشرب عليهِ قدح ممزوج او ماءٌ حارٌّ طُبخ فيهِ عودٌ ومصطكى. ومهما اشتملت المعدة على غذاء لطيفٍ فانّها تنفر عن الغليظ ولا تقبل على هضمهِ. ولا تجُبن عن قبول اللطيف بعد الغليظ. واذا أُفرط في الاكل بودر الى القيء بشرب الماء الحارّ. وان منع من القيء مانع أُعينت الطبيعة بما يُطلق بالرفق. امّا المحرور فمثل الاطريفل والجلنجبين المُسهل. واما المبرود فبمثل الكموني الذي لم يُنعم سحق اخلاطهِ او التمري او الشهرياوانيّ. والامتلاء من الشراب خيرٌ منهُ من الطعام لانهُ الطف. وممّا يُحدّر ما في المعدة ثلث حمصاتٍ من الصبر او نصف درهم صبر ونصف درهم علك الانباط ودانق بَورق رومي وممّا هو خفيف حِمّصتان او ثلث من علك البطم. وربما جُعل فيهِ مثلهُ او اقلّ من البورق. وممّا هو محمودٌ جدًا شيء من الافتيمون مع شرابٍ. وان لم يحتمل المزاج شيئًا من ذلك نام نومًا طويلًا وهجر الغذاء يومًا واحدًا واذا اخفّ استحمّ ولطّف الغذاء. والغذاء الكثير اوان الهضم في المعدة فانّهُ قلَّ ما ينهضمُ في العروق بل يُمدّدها ويورث ثقلًا في البدن وكسلًا وتمطّيًا فليُعالج بما يستفرغ من العروق. وذلك بالمسهلات والاغذية الحارّة يتدارك ضررُها بالسكنجبين لا سيّما البزوريّ فانّهُ انفعُ انواعهِ ان كان مسكيًّا. وان كان عسليًّا فالساذج منهُ كافٍ. والباردة منها تُتبَعُ بماء العسل. والغليظة منها يُتبعها المحرور سكنجبينًا قوي البزور والمبرودُ شيئًا من الفلافلي. والغذا اللطيف احفظ للصحّة. والغليظ احفظ للقوّة والجلَد وليرصد صاحبهُ الجوع الشديد ولا يستكثرنَّ منهُ. والفواكه الرطبة تُقدَّم على الطعام. وتركها اولى فانّها تهيّيء للعفونة. ويجب المشي بعد تناول الفواكه لتزلق ومن تأذى بالحلو شرب عليهِ

الحامض · ومن تأذَّى بالحامض تناول عليهِ العسل والشراب العتيق ومن تأذَّى بالدسم تداركهُ بالعَفِص مثــل حبّ الآس والخرنوب والزعرور

والاستكثار من الاغذية اليابسة يُسقط القوّة ويُفســد اللون · والدسم يكسّل ويُذهب الشهوة · والحامض يجلبُ الهرَم · والمالح يضرّ المعدة والعين ويُغشي · والخيار بقشرهِ اسرع انحدارًا · وكذلك الخبز بنخالتهِ · قال اصحابُ التجارب من الهند وغيرهم : ينبغي ان لا يُجمع بين اللبن والحموضات ولا بين سمكٍ ولبنٍ ولا بين مائتٍ وفجلٍ (كذا) او لحم طير · ولا بين سويقٍ وارزّ بلبن · ولا يُستعمل دسمٌ كان في اناء نحاسٍ ولا يؤكل شواء شُوي على جمر الخروع · وافضل اوقات الاكل هو الوقت المعتدلُ والكباب كثير الغذاء بطيء الانحدار · · ·

مطبوعات شرقية جديدة

Proverbes Arabes de l'Algérie et du Maghreb, recueillis, traduits et commentés par **Mohammed ben Cheneb**, T. II, *Paris, Ernest Leroux*, 1906, In-8, p. 308.

الامثال العربيَّة الشائعة في الجزائر والمغرب

هذا الجزء الثاني من كتاب وصفنا قسمهُ الاوَّل سابقًا (المشرق ٨ : ٨٦٣) وبيَّنَّا فوائدهُ لا سيما لتعريف عادات اهل الجزائر وآدابهم واتّجاه افكارهم لأنَّ الامثــال العاميَّة اصدق صورة لامور قائليها تتضمَّن خلاصة احوالهم · وهذا القسم الثاني يشتمل نيِّف وتسعمائة مَثل (ع ٩٢٧—١٨٦٥ جمعها المؤلف من مصادر شتَّى منها قديمة ومنها حديثة ورتَّبها على حروف المعجم من حرف السين الى الميم كأنهُ لم يجد شيئًا على الحروف الثلثة الاخيرة · وما يقال بالاجمال في هذا المجموع انَّ صاحبهُ لم يضنّ بوقتهِ وتعبهِ ليجعلهُ غنيًّا بمضامينهِ مفيدًا لمحبّي الآداب الشرقيَّة وشروحهُ غالبًا لهذه الامثــال موافق لمعانيها الَّا البعض منها كالاعداد (١٣٦٧ ,١٧٧٢ ,١٨٠١) فانهُ لم يُصب على ما نظنّ غرضها · وكذلك كان الاولى بجناب المؤلف لو افرز الامثال الحديثة العاميَّة اللهجة عن الامثال القديمة لانَّ هذه لا تختصّ بالجزائر والمغرب فضلًا عن كونها واضحة المعاني بخلاف تلك التي تحتاج الى شروح لغويَّة وغيرها ممَّا لم يستوفهِ الشارح · وعلى كلّ فانَّنا نثني على هذا التأليف ونتمنَّى لهُ رواجًا كبيرًا

ل · ش

Eine alte Liste arabischer Werke zur Geschichte Spaniens und Nordwestafrikas, von **G. Kampffmeyer**, *Berlin*, 1906, p. 37.

جدول مخطوطات عربيّة في تاريخ الاندلس والمغرب

وقف المستشرق الفاضل كمبفاير على جدول معتبر وجدهُ في خزانـة كتب برلين يحتوي ١٥٣ كتاباً عربياً في تاريخ الاندلس والمغرب ومعظم هذه الكتب عزيزة الوجود جليلة المضامين فنشر الجدول المذكور والحقهُ بشروح وتفاصيل على كلّ كتاب لتعريف مشتملاتهِ وبيان ما يتعلّق بهِ مع ذكر نسخهِ المعروفة في حواضر البلاد . فنشكر لجنابهِ هذا الاثر الجديد الذي اضافهُ الى الخدم المتعدّدة التي خدم بها الآداب الشرقيّة

Campagnes du roi Amaury I, par **Gustave Schlumberger** de l'Institut, *Paris*, *Plon-Nourrit*, In-8, 1906, p. 349.

مآثر اموري الاوّل

انّ مؤلف هذا الكتاب منذ سنين عديدة قد خصّ نفسهُ بدرس الشرق المسيحيّ فانّ تآليفهُ في ذلك كادت لا تُعدّ كثيرة فانّهُ ابرز في ذلك كتباً مختلفة في فنون شتّى كالمسكوكات والعاديّات والتاريخ والتراجم . ومن هذه المصنّفات ما سبق لنا ذكرهُ في المشرق (٥ : ١٠٠٣ و ٦ : ٩٢) مع الثناء على صاحبها المعدود بين كبـار الكتبة الفرنسويين . وهذا الاثر الجديد اهلٌ بالآثار السابقة يشبهها في حسن موضوعها وطلاوة كتابتها وفيهِ ذكر مآثر اموري الاوّل من السنة ١١٦٢ الى سنـة وفاتهِ ١١٧٤ . وممّا اعجبنا في هذا الكتاب انّ صاحبهُ راجع في تصنيفهِ كلّ ما كتبهُ العرب والفرنج معاً فجمع بين اقوالهم ووفّق بينها على طريقـة مفيدة ولذيذة معاً بحيث انّ القارئ اذا ما باشر بالكتاب لا يتمالك من مواصلة قراءتهِ الى آخرهِ لما يجدهُ فيهِ من الروايات الشائقة والاوصاف المبهجة . فنحضّ كلّ محبّي التواريخ الشرقيّة على مطالعتهِ   ل . ش

Qu'est-ce que la Science? par **L. Baille**, *Paris*, *Bloud et Cie*, In-12, pp. 80.

ما هو العلم ؟

هذا التأليف من جملة المجموع الذي ينشرهُ بعض كاثوليك فرنسة في « العلم والدين» مؤلفـهُ احد اساتذة اليسوعيين في الكليّة التي انشأها لاون الثالث عشر في اناني . امّا مدار الكلام في هذا الكتاب فعن الموافقة بين العلم والايمان وهو موضوع كثر فيهِ البحث في ايّامنا وقد نكر البعض وجود علاقـة او توافق بين العلم والايمان كأن الله

الايمان ليس هو الــه العلم ايضاً . ومن ثمَّ قد سعى الاب « بيل » ان يبيّن في هذا الكتاب حدود الايمان وحدود العلم كلًّا في حيّزهِ ثمَّ انتقل الى تعريف العلائق بينهما موضحاً انَّهُ لا يمكن احدهما أن يستغني عن الآخر مع فضل الايمــان وعلو مرتبتهِ على العلم . وقد اثبت الكاتب الاديب قولهُ مستندًا الى الادلَّة العقليَّة والنقليَّة معاً معلناً بان فصل العلم عن الدين كفصل الجسد عن النفس الاب ف تورنبيز

في مجمع الابرشيَّة

للخوري بولس عويس . طُبع في الاسكندريَّة سنة (١٩٠٧ ص ١٥٨)

انَّ الحقّ القانونيّ احد فروع الدروس اللاهوتيَّة العمليَّــة في الكنيسة . فما اجدر اكليروس بلادنا ان يتفرَّغ لاحراز مطالبهِ وحضرة الخوري بولس عويس اخذ على نفسهِ بان يقرّب لمواطنيهِ هذا الدرس . وقد ألَّف في هذه المواضيع كتباً ذكرناها في اوقاتها وخصوصاً كتابهُ في المجمع الاقليميّ (المشرق ٨ : ١١٠٧) . واليوم اهدانا كتاباً آخر ألحقهُ بالسابق مدارهُ على « مجمع الابرشيَّة » بحث فيهِ في كل ما ينوط بهذه المجامع الخاصَّة كلزومها وشروطها والاشخاص الذين تتألف منهم وفي اعمالهــا ومراسيمها . ولكلّ قسم فصول وابواب متعدّدة تتناول كلّ موادّ هــذه المجامع مستندًا في ذلك الى مصادر قانونيَّة اخصُّها تآليف البابا بندكتس الرابع عشر في المجامع التي صنَّفهــا قبل ارتقائهِ الى السدَّة البطرسيَّة وربَّما نقل فصولًا من اعمال المجمع اللبنانيّ ومجمع الشرفة ومجمع القبط تأييدًا لها . ونحن مع اثنائنا على هــذا التأليف كنَّا وددنا لو صادق عليهِ احد اساقفة الطائفة المارونية لتزيد ثقة القرَّاء بهذه التعاليم التي بينها عدَّة امور هي جارية في ابرشيَّات اوربَّة ولم تلزم الابرشيَّات الشرقية . وزد على ذلك انَّ في لهجة المؤلف اقوالًا وانتقادات على بعض رؤساء طائفتهِ وغيرهــا كان الاولى بهِ ان يتحاشاها لاسيا في المقدّمة وفي الفصول الاولى ل . ش

شذرات

جهينة الاخبار — قرأنا في احدى جرائد الثغر فصلًا مطوَّلًا لبعض الادباء حاول فيهِ الردّ على ما اجبنا بــهِ مستفيدًا بخصوص تعريب اسفار التوراة وسبك

الحروف العربيَّة في مطبعتنا فسأَلنا ألمرحومِ الشيخ ابراهيم اليازجيّ حصَّةٌ فيها . فكان جوابنا على السؤال الاوَّل ان الشيخ لم يعرِّب هذه الاسفار وانما هذَّب تعريب احد اليسوعيين . وعلى السؤال الثاني انَّ الشيخ بين ١٦ جنساً من الحروف التي استعملتها مطبعتنا لم يشتغل الَّا بحفر جنس واحد مع مساعدة احد رهباننا . فهذا الجواب مع وضوحهِ قد وجدهُ المعترض ملتبساً وكتب في الجريدة المذكورة اربعة عواميد كاملة لم نستفد منها شيئاً الَّا انَّها تؤيّد قولنا في امر تعريب التوراة وسبك الحروف . اما ما زادهُ جنابهُ على ذلك فلا علاقة لهُ بالسؤالين المذكورين ونحن احرص على وقتنا من أن نضيعهُ للردّ على مثل هذه السفاسف التي تذكّرنا ببعض انتقادات الشيخ . امَّا انتظارهُ منَّا ان نرثي الفقيد فانَّنا نرى احسن الرثاء الصلاة لاجل نفسهِ عساها تفيده في آخرتهِ اكثر من التقاريظ الفارغة التي يتسارع اليها من ليس لهم بضاعة غيرها وهي لا تغني المرء ذرَّةً يوم الدين

تجارة حيفا قدّم المسيو كالياردو قنصل فرنسة في حيفا تقريرًا عن الحركة التجاريَّة في ذاك الثغر نلخص عنهُ ما يلي :

ان سنة ١٩٠٥ (اذار ١٩٠٥ — اذار ١٩٠٦) كانت اروج السنين تجارةً في حيفا فقد بلغت التجارة ٦,٨٥٨,٠٣٦ فرنكاً منها ٣,٩٣٣,٥٠٩ فرنكات للواردات و٢,٩٢٥,٥٢٧ فرنكاً للصادرات . وكانت في السنة الماضية ٥,٢٦٦,٥٨٦ فرنكاً فتكون الزيادة هذه السنة ١,٥٩١,٤٥٠ فرنكاً وهذه الزيادة تعزى الى اسباب مختلفة منها اقبال المواسم وكثرة الطلبيات على محاصيل هذه البلاد وكثرة المواصلات التي نتجت عن الخط الحجازي وزيادة السكان ووفرة المحلات التجاريَّة التي اخذت تتعامل مع الخارج وعليهِ فان هذه السنة تدوّن نهضة جديدة في تجارة حيفا ولا شك في انها تظل سائرة على قدم النجاح لسهولة المواصلات ان بحرًا وان برًّا .

وكانت مدينة بيروت الى الان محتكرة تقريباً تجارة حيفا لما فيها من المصارف الكبيرة . . . اما الان فان هذه الحالة قاربت الزوال فان المصرف العثماني قد فتح لنا هنا شعبة جديدة كذلك فعل مصرف دتش فلسطين واخذت البواخر تأتي حيفا في مواعيد معيَّنة فتجلب لها البضائع رأساً من اوربَّة بعد ما كانت تأتيها من بيروت . والمقام الاول في تجارة حيفا للدولة العليَّة وبعدها لفرنسة (البشير)

اكبر القلوس البحرية للتلغراف قد انجزت الولايات المتحدة وضع قلوس تلغرافيَّة بين بلادها وجزائر فيليبين . وهو اطول ما مُدَّ حتى اليوم من الحبال التلغرافيَّة في غور البحار طولهُ ١٤,١٤٠ كيلومترًا اوَّلهُ من مدينة سان فرنسسكو وينتهي الى مدينة مانيلا مارًّا بجزيرة هونولولو من جزائر هواواي ثمَّ بجزائر مِدْواي وغرام وهو يبلغ اعماقًا عجيبة كانت لا تُعرف حتى الآن فانهُ ينزل في بعض الامكنة الى عمق ٩٠٠٠ متر ويقطع الاوقيانوس الهادئ في كلّ عرضهِ وهو خطٌّ مستقلٌّ لا يتعلَّق بغيرهِ فيمكن الاميركيين ان يستخدموهُ لكل حاجاتهم دون عائق

الميكادو واليسوعيُّون ذكرنا في المشرق (٥ : ٣٨٠ و٨ : ٧٢٢) ما لمرصد زيكاواي في الصين من الشهرة . وقد ادَّى الآباء اليسوعيون فيهِ لبحريَّة الدول كلها خدمًا لا تُعدّ بأرصادهم المضبوطة لاسيَّما للاعصارات والانواء التي هي اعظم آفات بحار الشرق الأقصى فانَّهم يرصدون هذه الاعصارات بتدقيق عجيب وهم يخابرون لهذه الغاية نيفًا واربعين مرصدًا ليستفيدوا من ملحوظاتها وعلى ارصاد اليسوعيين في زيكاواي يعوّل ارباب المراكب ان لم يشاؤوا المخاطرة بنفوسهم واموالهم . وكان امبراطور المانية ارسل لهم رقيمًا بيدهِ يشكرهم على معلوماتهم المفيدة واليوم افادتنا اخبار الصين انَّ الميكادو ملك اليابان أرسل لمدير مرصد زيكاوي وسامًا من الصنف الأوَّل اقرارًا بفضلهِ وفضل رصفائهِ الذين نفعوا نقابة البحر في اليابان منافع جمّة . وعلى خلاف ذلك كان اصحاب مرصد هنغ كنغ الانكليز أبوا ان يخابروا مرصد زيكاواي فدهم مدينة هنغ كنغ إعصار شديد في ١٨ ايلول الماضي أُصيبت بهِ المدينة باضرار جسيمة . فكتب رئيس نقابة البحر الانكليزيَّة اوتربردج (Auterbridge) رسالة لمدير مرصد زيكاواي يثني على اعمالهِ ويشكو جهل المتولين مرصد هنغ كنغ ويطلب من اليسوعيين ان ينشئوا مرصدًا في هنغ كنغ كما فعلوا في زيكاواي

نابوليون في جزيرة سنت هيلانة ارسل لنا جناب الاديب حلمي افندي مصري هذا المخمَّس على لسان نابوليون لمَّا زار قبرهُ في باريس في المحلّ المعروف بالانفاليد :

ضاق صدري ايها البدرُ المنيرْ وجيش الحزن في قلبي سعيرْ
مُذ وهى نجميَ اصبحتُ اسيرْ بعدَ ان كنت على الهام ِ أَسيرْ

وبجالُ الارض عن عزمي صغيرْ

فتطلَّعْ هل ترى نسري الصغيرْ   هل درى ما حلَّ بالنسرِ الكبيرْ
أم نفوه تحت جدران القصورْ   ثمَّ قصُّوا جنحَـةُ كيلا يطير
آهِ ما علَّمتهُ طيرَ النسورْ

خابت الآمالُ يا ابني فالوداعْ   تاجُ مستقبلك انحطَّ وضاعْ
وتلقَّتـهُ الاعادي باندفاعْ   كي يذلّوا ابنًا صغيرًا في رضاعْ
يا لتاجٍ عمرهُ كان قصيرْ

قد صفا الجوُّ لهم لمَّا ابوكْ   صـار منفيًّا وأنتَ استلموكْ
كلّهم يَسعونَ حتّى يعدموكْ   طالما في فكرهم قد قتلوكْ
فاسمُ نابليونَ أبلاهم كثيرْ

فَتدرَّع أيهـا المسكين صبرًا   إنني خلَّفتُ حمـلًا لكَ وَعرا
انمـا فيكَ دمٌ يُعليكَ قدرا   فأصلِهم حربًا تجرّ النصرَ جرًّا
لا تكنْ نابوليونيًّا اخيرْ

هل نسيتِ العهدَ يا ماري لويزْ   هل قينًا قد تنسّيكِ بريزْ
لا فبعدي لن تَرَي ركنًا حريزْ   فاحفظي ابني وهوَ الشبل العزيزْ
انَّهُ يزأرُ مثلي في السريرْ

أسفـاه أين مهري العربيّ   أين جندي أين نسري العلويّ
نصرَ أسترليزَ كم انتَ بهيّ   لا تغبْ عني ايا مجدي السنيّ
فمعَ السيفِ فقط صرتُ أسيرْ

ايها النسرُ لقد ساموكَ خسفًا   هكذا شمسُ الضحى تُخسفُ خسفا
مثل نابليونَ هل يُرغمُ أنفا   مثل نابليون يا ناسُ أيُنفى
فاعجبوا مني ومن هذا المصيرْ

إقبلي مني سلامًا يا فرنسـا   بعد نابليونَ هل قد طبتِ نفسا
فهوَ في هيلانة صادف مرسى   يا لمرسى سوفَ ألفي فيهِ رَمسا
أو يهوي النسرُ الّا في الصخورْ

اسئلة واجوبة

س سألنا احد كهنة لبنان عن اصل العادة الجارية في اوّل الصوم في خروج العامَّة لاستقبال الراهب

استقبال الراهب في بدء الصوم

ج قد مرَّ الكلام في هذه العادة سابقًا (انظر المشرق ١ : ٢٣٩)

س وسألنا احد الافاضل في الثغر من المقصود بلفظة الآلهة في المزمور الحادي والثمانين حيث ورد ما جاء تعريبهُ في ترجمتنا : « الله قائمٌ في جماعة الله يقضي على بواطن الآلهة وفي وسط الآلهة بحكم » ونُقل الى الانكليزيَّة على هذه الصورة « God standeth in the Congregation of the Mighty . He judgeth among the Gods »

شرح آية من المزامير

ج انَّ اسمهُ تعالى قد ورد هنا على صورتين وهذا منطوق الآية في الاصل العبرانيّ : אלהים נצב בעדת אל בקרב אלהים ישפט وتعريبهُ اللفظي هكذا : « الوهيم قائم في مجمع ايل وفي وسط الوهيم يقضي » فألوهيم الاولى اسم الجلال بلا مراء وردت في اوّل سفر التكوين ولفظها على الجمع يراد بهِ معنى التعظيم. امَّا « ايل » فاسم آخر لله عزَّ وجل والمقصود من « مجمع » الله مقامهُ الذي يتجلَّى فيهِ وخصوصًا هيكلهُ. وقد عرَّبها البعض على لفظ الجمع فقالوا في « مجمع الآلهة » بدلًا من « مجمع الله » وتعريبهم هذا مبنيّ على الترجمة السبعينيَّة التي ورد فيها اسمهُ تعالى مجموعًا فصار المدلول مجازيًّا بمعنى « القادرين » وعليهِ الترجمة الانكليزيَّة (Mighty). امَّا المقصود باسم « الوهيم » في آخر الآية فمعنى المجاز اي القضاة الذي يشبهون الله بحكمهم على البشر. وممَّا يثبت هذا المعنى قرينة الكلام في الآيات التابعة حيث يبكّت تعالى المتولّين القضاء جورًا. ثمَّ جاء لفظ « الوهيم » بهذا المعنى في آيات أُخرى مثلًا في سفر الخروج (٢١ : ٦) وفيهِ يؤمَر سيّد العبد ان « يخرج بعبدهِ الى الآلهة » فيثقبوا اذنهُ بسمةٍ خاصَّة. وكذا فهم السيّد المسيح هذه اللفظة بمعنى القضاة وامراء الشعب والانبياء حيث استشهد بآية أُخرى من هذا المزمور التي تعريبها : « قلتُ انكم آلهة » فاتَّخذ الربّ منها برهانًا على لاهوتهِ فقال للفريسيين (يوحنَّا ١٠ : ٣٥) : « فان كان قد قال للذين صارت اليهم كلمة الله آلهةً ولا يمكن ان يُنقض الكتاب فالذي قدَّسهُ الآب وارسلهُ الى العالم اتقولون لهُ انك تجدّف لاني قلت : انا ابن الله » ل. ش

المشرق

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي وانتقاديّ للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ الآداب كصرحٍ منيف لا تزال ايدي الافاضل تفرغ المجهود في بنائهِ فكلٌّ منهم يأتيهِ بحجرهِ ليزيدهُ علوًّا وجمالًا . على انهُ يطرأ على هذا الصرح طوارئ شتّى فطورًا يبسق ويتعالى وطورًا يتخلّف بناؤهُ فيصيب بُناتهُ الخمول ولعلّ صروف الدهر تتحامل عليهِ فتقوّض اركانهُ او تسقطُ بفعل الزمان بعض حجارتهِ

وكلٌّ يعلم ما كان للآداب العربيّة في القرون السابقة من الرونق والبهاء فترقّت الى اوج عزّها وماست بمفاخرها مدَّة اجيالٍ متوالية الى أن خمدت همَّة بُناة صرحها حينًا على وفق سُنن الطبيعة التي لا تبقى على حالٍ واحدة كما قال الشاعر:

لكلّ شيء اذا ما تمَّ نقصانُ
وهذه الدنيا لا تُبقي على احدٍ ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

لكنّ هذا الخمول والحمد لله لم يدم زمنًا طويلًا بل كان سباخًا بين بقعتين طيّبتين او شتاء بين ربيعَين كما سترى فازدهرت بعد جفافها شجرة الآداب وراجت بعد كسادها اسواق العلوم حتى بلغت ما نراهُ اليوم من امرها في ظلّ الذات الشاهانيّة أيّد الله شوكتها

ولمّا تنفّس القرن التاسع عشر كانت احوال اوربّة في هرج ومرج والحروب قائمة على ساق بين دولها فلم تحطّ اوزارها الّا بعد نفي بوناپرت الى سنت هيلانة . وكان الشرق راصدًا لحركات الدول يتحفّظ ويتصوَّن من كل سوء يتهدَّدهُ فيستعدُّ للحرب ذبًّا عن حقوقهِ . فكانت هذه الحالة لا تسمح بصرف الفكر الى العلوم والآداب وقد قيل في مثلٍ « انّ الحرب والعلم على طرفي نقيض فان رجح الواحد خفّ الآخر » .

وممَّا نقض حبل الآداب في ذلك العهد قلَّة المدارس يتخرَّج فيها الاحداث فغاية ما كان يُرى منها بعض الكتاتيب الابتدائيَّة لا سيَّما قريباً من اديرة الرهبان وكان في الحواضر كدمشق وحلب والاسكندريَّة والقاهرة مدارس اعلى رتبةً لكنَّها في الغالب كانت محصورة في العلوم الدينيَّة وما يُحتاج الى اتقانها من المعارف اللسانيَّة كمبادئ الصرف والنحو

امَّا الكتب فكانت عزيزة الوجود اكثرها من المخطوطات الغالية الثمن التي لا يحصل عليها الَّا القليلون. وكذلك الطباعة العربيَّة كانت اذ ذاك قليلة الانتشار فانَّ مطبوعات اوربَّة العربيَّة لم يكن يعرفها الَّا الأفراد من اهل الشرق فضلًا عن انها كانت موضوعة لمنفعة العلماء اكثر منها لفائدة الدارسين. اما المطبوعات في الشرق فلم يكن يوجد منها الَّا في دار السلطنة العليَّة وكانت في الغالب تركيَّة (اطلب مقالتنا في الطباعة المشرق ٣: ١٧٤—١٨٠) وفي لبنان كانت مطبعة واحدة عربيَّة وهي مطبعة الشوير وكانت اكثر مطبوعاتها دينيَّة لا مدرسيَّة (المشرق ٣: ٣٥٩—٣٦٢). اما مطبعة قزحيا فكانت سريانيَّة ولم تتجدَّد الَّا بعد ثماني سنوات بهمَّة الراهب اللبناني سيرافيم حوقا (المشرق ٣: ٢٥١—٢٥٧). وكذلك مطبعة حلب التي كان انشأها البطريرك اثناسيوس دبَّاس (المشرق ٣: ٣٥٥—٣٥٧) فانَّها كانت بطلت بعد وفاة منشئها سنة ١٧٢٤. اما مصر فانَّها حصلت على اوَّل مطبعة عربية قبل القرن التاسع عشر بثلاث سنوات فقط. فانَّ اللجنة العلميَّة التي كانت في صحبة نابوليون كانت أتت بادوات طبعيَّة تولَّى ادارتها المسيو مرسال (Marcel) وممَّا طبعهُ بادئ بدء كتاب التهجئة في العربيَّة والتركيَّة والفارسية (١٧٩٨) ثم كتاب القراءة العربيَّة ثم معجم فرنسويّ وعربيّ ثم غراماطيق اللغة المصريَّة العاميَّة. وفي سنة ١٨٠٠ عاد مرسال الى باريس وجلب مطبعتهُ معهُ ولم يستأنف المصريُّون فنَّ الطباعة الَّا في ايَّام محمَّد عليّ سنة ١٨٢٢. وسنعود الى الكلام عنها

ومع قلَّة هذه الوسائل لتحصيل العلوم وُجد قومٌ من الكتبة الذين خدموا في الدواوين المصريَّة والشاميَّة وكانوا يتولَّون قلم الانشاء فيها عند عمَّال الدولة العليَّة فينالون في الكتابة بعض الشهرة منهم ابراهيم الصبَّاغ واولادهُ الذين اثبتنا ترجمتهم في المشرق (٨: ٢٤) وصار ابنهُ حبيب كاتب القلم العربيّ عند احمد باشا الجزَّار فتسلَّم

دائرتهُ ثم تغيَّر هذا عليهِ فحبسهُ ومات محبوساً . واشتهر المعلّم عبُّود البحري واخواهُ جرمانوس وحنَّا عند ابراهيم باشا اوزون القطراغاسي في حلب وفي دمشق ثم عند خلفيه عبدالله باشا العظم ويوسف آغا كنج كما ذكرنا في ترجمة والدهم ميخائيل البحري (راجع المشرق ٣ : ٢٠–٢٢) وذكرنا هناك ما كان لكل واحد منهم من الهمَّة في خدمة الدولـة العليّة واصحابها . اما ابوهم ميخائيل فكان معتزلًا عن الاشغال في بيروت منقطعاً فيها الى العبادة حتى توفي في اوائل القرن التاسع عشر سنة ١٨٠٣ . وقد روينا في ترجمتهِ شيئاً من شعرهِ فانهُ كان رُزق من القريحة والذكاء ما حبَّبهُ الى رجال الدولة وقدّمهُ في الاعمال وهو لا يزال يُفرغ كنانة الجهد في القيام بالامور وصدق الخدمة ونشأ اولادهُ على وتيرتهِ وترقَّوا في الرُّتب الديوانيَّة الى ان انتقلوا نحو السنـة ١٨٠٨ الى مصر ونالوا الحظوى لدى امرائهـا (المشرق ٣ : ٢١–٢٢) ومن آثارهم رسائل ومكاتبات واشعار قد تبدَّد اكثرها

وكان في صور ايضاً المعلّم حنا عورا من جملة الكتَّاب اخذ عن ابيهِ ميخائيل الذي كان فريدًا في الكتابة يُحسن الانشاء في العربيّة والتركية والفارسيـة فلمَّا توفّي ميخائيل في سنّ الاربعين نال ابنهُ حنَّا رتبتهُ في ديوان الجزَّار ثم عنـد سليمان باشا . واستخدم معهُ ابنهُ ابراهيم الذي توفّي بعد سنتين بالطاعون . وبقي حنا من بعدهِ زمناً طويلًا في الاعمال الديوانيّة . وممّن خدموا ايضاً في الدواوين في ذلك الوقت الاخوان ابراهيم وخليل النحَّاس ابنا عم حنَّا عورا كتب الاوَّل في عكا والثاني في صور

واشتهر ايضاً بالكتابة في ذلك الوقت غير هؤلاء كميخائيل سكروج واخيهِ بطرس وابراهيم ابي قالوش ويوسف مارون والياس بن ابراهيم اده الذي دوَّنا سيرتهُ وشعرهُ في المشرق (٢ : ٦٩٣ و٧٣٦) وكذلك فضُّول الصابونجي واخوهُ . خدموا كلهم احمـد باشا الجزَّار وذاقوا حلوهُ ومرَّهُ . وفي عهدهم اشتهر عند المير بشير الشهابي جرجس باز واخوهُ عبد الاحد كما حظي عند المير يوسف الشيخ سعد الخوري

وكان في مصر قوم غير هؤلاء يشتغلون في الدواوين في غرَّة القرن التاسع عشر . الّا انَّ شهرتهم في الكتابـة كانت دون شهرة السوريين . وممَّن امتازوا اذ ذاك المعلّمان القبطيَّان جرجس الجوهري وغالي . فكان الاوَّل رئيس الكتبة في أيام ابرهيم بك وحظي لدى محمّد باشا خسرو ثم نُكب . وقد ذكرهُ الجبرتي في تاريخهِ عجائب الآثار

وجعل وفاتهُ في شعبان السنة ١٢٢٥ هـ. (١٨١٠). وقام من بعدهِ المعلم غالي وكان زاحمهُ في حياتهِ فصار في خدمة محمَّد علي باشا وابنهِ ابراهيم متوليًا رئاسة الكتابة. وكان من جملة كتَّابه قومٌ من نصارى السوريين وغيرهم كجرجس وحنَّا الطويل والمعلّم منصور صربون وبشاره ورزق الله الصبّاغ والمعلّم فرنسيس اخي المعلّم فلتاوس. وقد تضعضع امرهم بموت المعلّم غالي الذي قُتل سنة ١٨٢٠

وممَّا ساعد اهل مصر على صيانة الآداب العربيَّة في ظهرانيهم مدرسة زاهرة كان يعلّم فيها نخبة العلماء المسلمين. نريد المدرسة الازهريَّة التي مرَّ في المشرق وصفها (٤ : ٤٩). وكان متولّي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن حجازي الشهير بالشرقاوي مولدهُ في شرقيَّة بلبيس سنة ١١٥٠ هـ. (١٧٣٧) درس في الازهر وانتقلت اليهِ مشيختهُ سنة ١٢٠٨ وبقي عليها الى سنة وفاتهِ في ٢ شوّال سنة ١٢٢٧ (١٨١٢) ولهُ عدَّة تصانيف دينيَّة في التوحيد والعقائد والتصوُّف. ومن تآليفهِ مختصر مغني اللبيب في النحو ولهُ في التاريخ كتاب طبقات فقهاء الشافعيَّة المتقدّمين والمتأخرين وكتاب تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين وقد طُبعت هذه التحفة غير مرَّة

وممَّن اصابوا لهم سمعةً في ذلك الوقت من الازهريين الشيخ محمَّد الخالدي المعروف بابن الجوهري فكان اقرأ الدروس في الازهر وطار صيتهُ ووفدت عليهِ الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام. توفّي في ١١ ذي القعدة ١٢١٥ (١٨٠١) وتركتهُ العلميَّة كثيرة وانَّما مدارها على الفقه ومتعلّقاتهِ خاصَّةً

ومن أُدباء الازهريين في ذلك العهد الشيخ مصطفى بن احمد المعروف بالصاوي لزم شيوخ الازهر وبرع في العلوم الدينيَّة واللسانيَّة وكان لطيف الذات مليح الصفات محبًّا للآداب لهُ النثر الطيّب والشعر الحسن روى منهُ الجبرتي شيئًا في عجائب الآثار (٣ : ٣١٣–٣١٥) منها قولهُ في وصف دارٍ ابتناها الجبرتي المذكور:

بناءٌ يروقُ العينَ حسنُ جمالهِ ... ورونقهُ يشفي الصدورَ صدورُهُ
سما في سماء الكون فانتهج العلا ... برفعتهِ وازداد سرًّا سرورُهُ
ومن مجد بانيهِ تزايد بهجةً ... وقُلّد من درّ المعالي نحورُهُ
فلا زال فيهِ الفضلُ تسمو شموسهُ ... وتنمو على كل البدور بدورُهُ
ودام بهِ سعدُ السعود مؤرخًا ... حمى العزّ بالمولى الجبرتيّ نورهُ (١١٩٢)

ومنهم الشيخ حسين بن عبد اللطيف العُمري الشهير بابن عبد الهادي القادري

الدمشقي الخلوتي لهُ تأليف في تراجم اسلافهِ العلويين سمَّاهُ المواهب الاحسانيَّة في ترجمة الفاروق وذرّيتهِ بني عبد الهادي. توفي سنة ١٢١٦ (١٨٠١)

وممَّن ساعدوا على النهوض الادبيّ في اوائل القرن التاسع عشر رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة الاجلاء فكان يسوس الطائفة المارونيَّة البطريرك يوسف التيان الذي كان تخرَّج في مدرسة الموارنة في رومية وبرَّز بين اقرانهِ في العلوم فلمَّا صار اليهِ تدبير امور الطائفة سعى بتنشيط المعارف بين رعيّتهِ لاسيَّا الاكليريكيين . ومما عُني بهِ توجيه نظرهِ الى مدرسة عين ورقة التي كان انشأها خلفهُ البطريرك يوسف اسطفان فصارت هذه المدرسة بهمَّتهِ منارًا استضاءت بهِ الأمة المارونيَّة في القرن التاسع عشر ومنها خرج العدد العديد من بطاركة واساقفة وكهنة وفضلاء كانوا فخرًا لوطنهم بعلومهم فضلًا عن برّهم وسوف يأتي عنهم الكلام. ولهذا البطريرك آثارٌ لا تزال تدلُّ على طول باعهِ في الآداب الكنسيَّة. توفي في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠ وكان تنزَّل قبل ذلك بعشر سنوات

وكان الروم الكاثوليك خاضعين ايضًا لبطريرك يحبُّ العلوم ويهتمُّ بترقيتها بين طائفتهِ نريد البطريرك اغابيوس مطر وهو الذي انشأ مدرسة عين تراز لتهذيب ابناء ملتهِ في العلوم الاكليريكيَّة سنة ١٨١١ وقد اثبتنا في المشرق (٨ : ٥٠٨) الرسالة التي وجَّهها الى طائفتهِ في هذا الصدد

وكان السريان الكاثوليك في بدء القرن التاسع عشر فقدوا بطريركهم ميخائيل جروه الطيّب الذكر في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ (اطلب ترجمة حياتهِ في المشرق ٣ : ٩١٣) ولهُ الفضل في وضع اساس مدرسة الشرفة وفيها جمع مكتبة حسنة هي الى اليوم من اغنى مكاتب لبنان . ثم خلفهُ اغناطيوس بطرس جروه وكان متضلّعًا بالعلم وهو الذي عرَّب مختصر كتاب اللاهوت النظري والعملي لتوما دي شرم في مجلَّدين وكتب ترجمة عمهِ ميخائيل جروه ولهُ مواعظ لا تزال مخطوطة (المشرق ٩ : ٦٩٧)

وكان يرعى الارمن الكاثوليك منذ ١٧٨٨ غريغوريوس الاوَّل وكان رجلًا عريقًا بالفضل والقداسة يعرف ما للعلوم من المنفعة لخلاص النفوس فلبلوغ هذه الغاية انشأ في لبنان لطائفتهِ مدرسة في بزمَّار كانت بمثابة المدارس التي ذكرناها للطوائف الاخرى وهي لا تزال منذ مئة سنة موردًا يستقي منهُ المرشَّحون للكهنوت من الارمن الكاثوليك

وقد ساعدهُ في هذا العمل الخطير القس اندراوس شاشاتي فنظّم معهُ مدرسة بزمّار ورتّب قوانينها (اطلب المشرق ٩ : ٣٦٦)

وفي اوائل ذلك العصر عينهِ ازداد عدد الكلدان الكاثوليك في العراق على عهد البطريرك يوحنّان هرمزد. وقد اتاح الله لتلك الطائفة رجلًا غيورًا يُدعى جبرائيل دنبو كان من تجّار ماردين المعتبرين فانشأ في الجبال المجاورة للموصل قريبًا من القوش ديرًا جعلهُ مَقامًا للعيشة النسكيّة وللعلوم معًا. وفيهِ تخرّج كثيرون من الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر بتقاهم وآثارهم العلميّة بين الكلدان

فترى مما سبق انّ الله جعل في انحاء الشرق كخميرةٍ بها اختمرت عقول أهل الاوطان فلم تزل تترقّى الى ان جرت في مضمار الآداب جري المذكيات السوابق (لهُ بقيّة)

الاسقفيّات المنوطة بكرسي صور

لحضرة الخوري كيرلّس شارون الرومي الكاثوليكيّ

قد نشرنا في المشرق (٩ : ٣٠٦، ٤٠٩، ٦٢٠) قائمة مطارنة صور الملكيين فبقي علينا ان نلحق بهِ اسماء اساقفة الكرسيّ المنوطة بهذه المطرنيّة. اما جدول هذه الكراسيّ الاسقفيّة فقد نشرهُ العلّامة گلزر الالماني في المجلّة البوزنطيّة (١ عن مخطوط يرتقي الى النصف الثاني من القرن الحادي عشر وهو ادقّ واضبط ما يُعرف لبيان الكراسيّ التي تحت حكمها. ففي هذا الجدول قد ذُكر لرئيس اساقفة صور ثلاث عشر كرسيًا اسقفيًا خاضعًا لهُ. لم يبقَ منها اليوم للروم الملكيين الكاثوليك سوى ثلاثة اسقفيّات وهي عكّا وصيداء وطرابلس فنذكرها مع اسماء الاساقفة الذين تولّوا ادارتها ونضيف اليها كرسيّي جبيل (Βίβλος) والبترون (Βοτρύς) اللّذين دبّرهما اساقفة ملكيّون مدّةً في الاعصار السالفة. اما الروم الارثذكس فانّهم قد ألحقوا كرسيّ عكّا ببطركيّة القدس وجعلوا صاحبهُ مطرانًا منذ القرون الوسطى. وكذلك جعلوا كرسيّ طرابلس مطروپوليتيًا وضمّوا كرسي عكّار الى جبيل. اما صيداء فقد ضُمّت الى مطرانيّة صور

(١ اطلب (H. Gelzer: *Byzantinische Zeitschrift*, I (1892), p. 247-251

جدول اساقفة عكّا

عكّا من مدن فينيقية القديمة ولمّا استولى عليها الخراب في ايّام السلوقيين جدّد بناءها احد ملوك البطالسة فعُرفت باسمهِ ودعيت بطلمايس (Ptolémaïs)٠ وجاء في سفر اعمال الرسل (٢١: ٧) ذكر المؤمنين فيها ونزول القديس بولس للسلام عليهم ٠ وفي ذلك دلالة على انَّ كنيسة عكّا راقية الى اوّل النصرانيّة ولا نشكّ في انَّ الرسل اقاموا لها اسقفاً يدبّرها

١ (كلاروس) اوّل من يذكرهُ التاريخ صريحاً كاسقف عكا هو كلاروس ورد اسمهُ بهذه الصفة في جملة اساقفة فلسطين وفينيقية الذين حضروا مجمعاً عقدهُ في اواخر القرن الثاني ثاوفيل رئيس اساقفة قيصريّة وفلسطين في ايّام البابا فكتور الاوّل (١٨٩—١٩٨) لتعريف عيد الفصح واليوم الذي يجب الاحتفال بهِ (١

٢ (اينياس) اسمهُ كاسقف عكّا معلّق على اعمال مجمع نيقية المسكوني(٢ سنة ٣٢٥ وهو ايضاً في جملة الموقعين على اعمال مجمع انطاكية (٣ سنة ٣٤١

٣ (نكتاريوس) ورد اسم نكتاريوس اسقف عكا في ذيل اعمال المجمع القسطنطيني الاوّل٠ وقد تصحّف اسمهُ في بعض النسخ ودُعي نكتابوس (٤

٤ (انطيوخوس) كان هذا اسقفاً على عكا في عهد القديس يوحنّا فم الذهب وكان احد خصومهِ كما ذكر پلاديوس (٥ وكان خطيباً ذا عارضةٍ وبلاغة توفي سنة ٤٠٨

٥ (هلّاديوس) حضر هذا مجمع افسوس سنة ٤٣١ ثمَّ انفصل عن الآباء مع يوحنّا بطريرك انطاكية ومن تبعهُ من الشرقيين لينحازوا الى حزب نسطور فاستحقّ بذلك ان يُفصل عن كرسيّهِ ويُحرم (٦

٦ (بولس) كان في عداد الآباء الذين جمعهم بطريرك انطاكية دومنس

---

١) اطلب التاريخ الكنسي لاوسابيوس (ك ٥ ف ٢٥)

٢) اطلب اسماء الآباء الموقعين على اعمال نيقة (H. Gelzer: *Nomina Patrum nicœna*)

٣) اطلب مجموع اعمال المجامع لمانسي (Mansi, II, 693,1307)

٤) مانسي (Mansi, III, 368)

٥) اطلب كتابهُ في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب (Migne, PP.GG., XLVII, 14)

٦) اطلب مانسي (Mansi, III, 1399)

سنة ٤٤٨ ليحكموا في دعوى ايباس الرهاوي (١ . وقد وقّع ايضاً على اعمال المجمع الخلقيدوني (٢ سنة ٤٥١م

٧ (يوحنّا) قد دوّن يوحنّا اسقف عكا اسمهُ مع اساقفة آخرين في آخر الرسالة التي كتبها ابيفانيوس رئيس اساقفة صور ضدّ ساويروس الانطاكي المبتدع. وهذه الرسالة قرئت في الجلسة الخامسة من المجمع القسطنطيني (٣ الملتئم على عهد البطريرك منّاس سنة ٥٣٦

٨ (جرجس) وقّع جرجس اسقف عكا على اعمـال المجمع المسكوني القسطنطيني (٤ المنعقد في قسطنطينيّة سنة ٥٥٠

وبعد جرجس هذا تجد في سلسلة اساقفة عكا خللًا عظيماً دام الى القرن السادس عشر. وحتى الآن لم يطلعنا التاريخ عن سبب الامر ولا غرو انّ صروف الدهر وكوارث الحدثان هي التي اضطرّت الى ذلك. وفي اثناء تلك المدّة عاد الى عكا اسمها الفينيقي بعد ان كان غلب عليها اسم بطلمايس اليوناني وأُنيطت بعد الصليبيّين بكرسي اورشليم البطريركيّ مع ترقيتها الى مطرانيّة بدلًا من قيصريّة فلسطين التي كان استولى عليها الخراب (٥ ولعلّ الآثار الكنسيّة المكنونة في بطريركيّة اورشليم والتواريخ التي سطّرتها جمعيّة القبر المقدّس توقفنا على اسماء بعض مطارنة عكّا . اما الروم الكاثوليك فانّهم لم يزالوا يعتبرون كرسيّ عكا في حيّز مطرانيّة صور

٩ (سمعان) جـاء ذكر سمعان اسقف عكا في المخطوط اليوناني الموسوم بعدد ١٢٤ في مكتبة القبر المقدّس في القدس الشريف (٦ . وتاريخ هذا الكتاب القرن السادس عشر او السابع عشر ومنهُ يظهر انّ سمعان المذكور عاش في ذلك العهد دون

---

١) مانسي (Mansi, VI, 496)

٢) مانسي (Ibid. VI, 570)

٣) مانسي (Ibid. VIII: 1081)

٤) مانسي (Ibid. IX, 179)

٥) ومع هذا نجد اسقفاً يُدعى كلينيكوس منسوباً الى كرسيّ قيصريّة فلسطين من السنة ١٦٤٥ الى ١٦٥١ (اطلب قائمة مخطوطات بطريركيّة اورشليم باليونانيّة Papadopoulos - Kérameus: *Catalogue des Mss du Patr. de Jérusalem*. II, 649 et 728)

٦) اطلب القائمة المذكورة (Ibid. II, 204)

لن تتحقّق سنة انتخابهِ او سنة وفاتهِ . ويؤخذ من المخطوط عينهِ انّ الاسقف سمعان كان اصلهُ من انطاكية بيزيدية في الاناضول وكانت تدعى حينئذٍ سبارطة (ἐκ χώρας Ἀντιοχείας τῆς Πισιδίας (ἢ) τανῦν λέγεται Σπάρτα)

١٠ (يواصاف) عاش يواصاف زمناً طويلًا في اسقفيّة عكا . واسمهُ يظهر مرّة اولى في ذيل اعمال مجمع اورشليم المنعقد سنة ١٦٧٢ لدحض البدعة الكلوينيّة على هـذه الصورة: « الحقير يواصاف مطران بطلمايس وصيداء (١ وكرسيّ قيصريّة فلسطين الأوّل (٢ » فكان اذن يواصاف متوليًا ادارة ثلاثة كراسي . وقـد تكرّر اسمهُ في مخطوط المكتبة المذكورة الموسوم بعدد ٣٠١ في تاريخ سنة ١٦٧٩ ففي آخرهِ ما تعريبهُ : « هذا البندكتاريون مع بقيّـة الكتب خاصّة الحقير يواصاف مطران بطلمايس (٣ » . وكأنّهُ عاش الى نحو السنة ١٧٠٠ لانّ بطريرك الاسكندريّة جراسيموس بلاديوس وصموئيل قباسيلا مطران لبية وضعا اذ ذاك قائمةً للكراسيّ الاسقفيّة التي كانت للروم في ذلك العهـد فذكرا كرسيّ عكا الخاضع لبطريركيّة اورشليم ودعوا صاحبهُ يواصاف (٤

١١ (نوافيطوس) ورد اسمهُ في فرمان عالٍ أُعطي لـهُ في الاستانة سنة ١٧١٣ على عهد السلطان الغازي احمـد الثالث . كما افاد پاپادوپولوس في مجموعة آثار بطريركيّة القدس التي تولّى نشرها (٥

١٢ (مكاريوس) خلف نوافيطوس في اسقفيّة عكا . لكنّهُ لم يطل زمانهُ في ادارتها لأنّ پاپادوپولوس المذكور قد نشر اثرًا تاريخهُ ٢٤ كانون الثاني ١٧٢٢ مضمونهُ حكمٌ على مكاريوس اسقف عكّا بان يُفصل عن كرسيهِ . ثمّ ذكر اثرًا ثالثًا تاريخهُ

١) وردت هذه اللفظة على صورة مصحّفة باليونانيّة (Πολεισίδωνος)

٢) الكرسيّ الأوّل (πρόεδρος) كان لهُ حقّ التقدُّم على بقية الاسقفيّات الخاضعة للكرسي المطروفوليتيّ ويقال لهُ ايضاً بروتوثرونوس (πρωτοθρόνος)

٣) اطلب قائمة مخطوطات القدس (المجلد ٣ ص ٤٢٧)

٤) وهذه القائمـة نشرتها مجلّة الجمعية التاريخية في اليونان (Bulletin (Δέλτιον) de la Société historique et ethnogr. de Grèce, IV, 489)

٥) في المجلد الرابع ص ٤٨٩ (Ἀνάλεκτα Ἱεροσολυμ. σταχυολογίας)

سنة ١٧٢٦ فيهِ حكمٌ عليهِ بان يقدّم حساباتهِ لكنهُ في تلك السنة كان على عكا اسقف آخر

١٣ (اثناسيوس) يُقرأ اسمهُ في آخر معجم عربيّ مصون في مكتبة القبر المقدّس يُقال هناك « انّ ناسخهُ اثناسيوس اسقف عكا سنة ١٧٢٣ في حاصبيًّا » (١

١٤ (ثاوفيطوس) روى لوكيان (Lequien) مؤلف كتاب الشرق المسيحيّ (Or. Chr. II,816) انهُ كان يتولّى كرسيّ عكًا في السنة التي كان يصنّف فيها كتابهُ وهي السنة ١٧٤٠. لكنّنا في ريب من امرهِ ولعلّ لوكيان لم يفرز بينهُ وبين ثاوفيطوس المذكور آنفًا او يكون فُصل عن كرسيّهِ ثمّ عاد اليهِ ثانيةً

١٥ (صوفرونيوس) ممَّا نُشر منذ عهد قريب مجموع حجج وقرارات وغير ذلك متعلّقة باحوال البطريركيّات الاسكندريّة والانطاكيّة والاورشليميّة وكرسي قبرس (٢ فمن جملتها منشور لكيرلّوس الخامس الحلبي بطريرك انطاكية وجّههُ الى اهل حلب وفيهِ انهُ ارسل اليهم صوفرونيوس اسقف عكا الشاميّ الاصل لمناقضة مكسيموس حكيم الذي كان ينشر بينهم التعاليم الكاثوليكيّة. وتاريخ المنشور سنة ١٧٥٠ فيكون انتقالهُ الى كرسي حلب تلك السنة

١٦ (*) لمّا نُقل صوفرونيوس الى كرسيّ حلب سنة ١٧٥٠ تعيَّن لهُ خلفٌ لم نقف على اسمهِ وزمن تعيينهِ. كما انّنا نجهل تاريخ اساقفة الروم الارثذكس على عكا منذ ذلك الوقت الى يومنا

١٧ (مكاريوس عجمي) كان اسمهُ ميخائيل واصلهُ من عيتا من بيت العجمي ثمّ ترهّب في دير المخلّص ونذر سنة ١٧٢٠ ورسمهُ كاهنًا المطران نعمة في بيروت سنة ١٧٢٢ ثم صار في سنة ١٧٢٤ اوّل رئيس عام لرهبانيّة دير المخلّص وقد اقامهُ البطريرك الكاثوليكيّ كيرلّس طاناس مطرانًا على قلّاية دمشق سنة ١٧٥٢ ودعاهُ مكاريوس. الّا ان اعداءهُ لم يزالوا يضطهدونهُ حتى سقّفهُ البطريرك المذكور على كرسيّ

---

١) ورد ذلك في وصف المخطوطات العربيّة المصونة في بطريركيّة اورشليم (Catalogue des Mss arabes par Kykylidès, n° 7, p. 9)

٢) اطلب (Délicanis : Pièces écclésiastiques se rapportant au Patriarchat d'Antioche (en grec). *Constantinople*, 1904, p. 195-200)

عكا ولا نعلم في ايّ سنة لكنّ ذلك جرى قبل سنة وفاة كيرلُس في ١٧٦٠ والمرجَّح انـهُ وكل اليهِ ذلك نحو السنة ١٧٥٣ او ١٧٥٤ . وترى اسم هذا الاسقف معلّقاً على تقاريرَ متعددة بخصوص انتخاب البطريرك مكسيموس حكيم سنـة ١٧٦٠ . اما وفاة مكاريوس فوقعت سنة ١٧٦٣ في دير المخلّص (١

١٨ (مكاريوس فاخوري) هو اخو اندراوس فاخوري رئيس اساقفة صور (المشرق ٩ : ٤١٣) قال الخوري كيرلُس حدّاد انّهُ درس في رومية . وكان نذر الرهبنة سنة ١٧٤٧ وارتسم كاهناً سنة ١٧٦٠ . وفي سنة ١٧٦٣ سقّفهُ اخوهُ على كرسي عكا وكان اخوهُ من حزب اثناسيوس جوهر الذي أبطلت روميـة بطريركيَّتهُ وحكمت لثاودوسيوس دهّان . فخضع اثناسيوس وحزبـهُ للبطريرك القانونيّ وكان من جملتهم مكاريوس اسقف عكا (٢ ثمَّ اعتزل الاشغال على ما روى الخوري كيرلس حدّاد وتوفي فجأةً ودُفن في دير المخلّص سنة ١٧٩٤ وقد وقَّع سنـة ١٧٩٠ على اعمال مجمع دير المخلص التي نشرناها (المشرق ٩ : ١٠٩٨) وقد كتب هناك اسمهُ « مكاريوس اسقف عكّا » ولم يزد « سابقاً » وفي ذلك اشارة الى انهُ عاد الى ادارة ابرشيَّتهِ بعـد ان نُقل جرمانوس آدم الى كرسيّ حلب سنة ١٧٧٧

١٩ (جرمانوس آدم) كان هذا من كهنـة حلب العلمانيين وكان درس في رومية . ففي كانون الأول من سنة ١٧٧٤ سامهُ البطريرك ثاودوسيوس دهّان في دير مار انطونيوس القرقفة على عكّا . ولم يبقَ في مقامهِ الّا سنتين ونصف ثمَّ نُقـل الى كرسي مطارنة حلب في ١٥ نيسان وسنعود الى الكلام عنهُ

٢٠ (مكاريوس نحاس) هو غير مكاريوس فاخوري الذي سبق ذكرهُ وقلنا انهُ أُعيد الى كرسيّهِ وتوفي سنة ١٧٩٤ . وقد ذكرهُ المطران غريغوريوس عطا في مختصر تاريخ الروم الكاثوليك (ص ١٨٩) ولم يذكر اسم اسرتهِ قال انهُ نذرَ في دير المخلص وسُقّف على عكّا سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٠٩ . وما يؤيد ذلك انهُ يوجد بين توقيعات

١) راجع مختصر تاريخ الروم الكاثوليك الملكيين للمطران عطا ص ١٨٩ وتاريخ دير المخلّص للخوري كيرلُس حدّاد (ف ٢٣)

٢) اطلب اصداء الشرق (Echos d'Orient, V (1902), p. 86)

الاساقفة على اعمال مجمع زوق ميكائيل (١ سنة ١٧٩٧ وعلى اعمال مجمع القرقفة (٢ سنة ١٨٠٦ اسم اسقف يُدعى مكاريوس اسقف عكّا. ومن الغريب انّ تاريخ الرهبانيّة الحنّاويّة الشويريّة لم تفدنا منــهُ شيئاً لا في سنة ارتقائهِ الى كرسي عكا ولا في سنة وفاتهِ وكذلك الخوري كيرلُّس حدّاد والخوري انطون بولاد لم يذكراهُ البتّة في تاريخ رهبان دير المخلص مع حرصهما على جمع كلّ الفوائد المفيدة لتاريخ الاساقفة المخلصيين وقد أطلعنا على اسمهِ واسرتهِ ابراهيم عوره في تاريخ سليمان باشا وذكر انهُ بعــد وفاتهِ حصل نزاع بين مرقس وجرجس اللذين كانا يطلبان الاسقفيّة

٢١ (ثاودوسيوس حبيب) كانَ اسمهُ مرقس واصلــهُ من شفا عمر فنذر الرهبنة سنة ١٧٨٥ ورُسم كاهناً سنة ١٧٩٥ ثمّ سقّفهُ البطريرك اغابيوس الثالث مطر على عكّا سنة ١٨٠٩ ودُعي ثاودوسيوس لكنّهُ حصل بينهُ وبين اهل عكّا اختلاف فجاء عين تراز ونزل ضيفاً على السيّد مكسيموس مظلوم قبل بطريركيتهِ وتوفي في ١٧ تموز سنة ١٨٣٤ في دير مار الياس رشميّا ودُفن فيهِ

٢٢ (اكليمنضوس بحّوث) ولد في شفا عمر سنــة ١٧٩٧ وترهّب سنة ١٨١٦ في دير المخلّص وارتسم كاهناً سنــة ١٨٢٤ ثم رقّاهُ البطريرك مكسيموس مظلوم رغماً عن إبائهِ الى اسقفيّة عكّا ودُعي اكليمنضوس وكانت رعيّتهُ تحبُّهُ ولم يدع رعايتها الّا مرغوماً لمّا رُقّي الى السدّة البطريركيّة سنة ١٨٥٦ وتوفي في ١٣ حزيران ١٨٨٢

٢٣ (غريغوريوس يوسف سيُّور) وُلد في رشيد وقيل في الاسكندريّة سنة ١٨٢٣ من أُسرة دمشقيّة الاصل. ثمّ ترهّب في دير المخلص سنة ١٨٤٠ وأُرسل الى مدرسة القديس اثناسيوس في رومية ليتلقّن فيها الدروس الكهنوتيّة سنة ١٨٤٧ وارتسم كاهناً سنة ١٨٥٢. وفي ١ تشرين الثاني سنة ١٨٥٦ سامهُ البطريرك اكليمنضوس بحّوث ليخلفهُ على كرسيّ عكا فبقي مدبّراً لهُ الى السنة ٢٩ ايلول من ١٨٥٦ حيث خلف البطريرك اكليمنضوس بعد تنزّلهِ عن البطريركيّة وحضر المجمع الواتيكاني. وكانت وفاتــهُ في ١٣ تموز سنة ١٨٩٧

٢٤ (اغابيوس دوماني) وُلد في دير القمر في غرّة كانون الثاني سنة ١٨١٢

١) اطلب اصداء الشرق (Echos d'Orient, V (1902), p. 265)

٢) طُبعت اعمال هذا المجمع في الشوير سنة ١٨١٠ وجاء الامر من رومية بالغائها

ونشأ في دمشق ثمَّ ترهَّب في دير المخلّص سنة ١٨٣٣ ثم سيم شمَّاساً سنة ١٨٣٥ وكاهناً سنة ١٨٣٧ . وكانت توليتهُ على كرسي عكا في ٤ كانون الاوَّل سنة ١٨٦٤ وكان احد الاساقفة الذين حضروا المجمع الواتيكاني سنة ١٨٧٠ توفي سنة ١٨٩٢

٢٥ (اثناسيوس صبَّاغ) وُلد في دمشق ثمَّ انتظم في الرهبانيَّة المخلّصيَّة وتقلَّد سنتين رئاستها العامَّة . وفي ٢٩ نيسان سنة ١٨٩٤ وقع عليهِ الاختيار لكرسي عكَّا فقضى في ادارتهِ خمس سنوات بغيرة وتقوى . توفّي في ٢ حزيران سنة ١٨٩٩

٢٦ (غريغوريوس حجَّار) هو الاسقف الحالي وُلد سيادتهُ في جون قريباً من صيداء في ٢٠ آذار سنة ١٨٧٥ ودُعي جبرائيل ثمَّ ترهَّب في دير المخلّص وسيم كاهناً سنة ١٨٩٨ . وفي ٢٥ آذار من السنة ١٩٠١ عهد اليهِ غبطة السيّد بطرس الجريجيري اسقفيَّة عكا ودُعي غريغوريوس . ولسيادتهِ مآثر حسنة في الرتبة التي تقلَّدها صانهُ الله زمناً طويلاً لخير رعيَّتهِ (لهُ بقيَّة)

الريباس

للدكتور حبيب افندي الدرعوني

من منَّا لم يحدث لهُ في ايام صباه ان نظر مشهدًا رائعاً او عاين امرًا غريباً فانطبع في مخيَّلتهِ او سمع كلاماً او ترنَّم بأُهزوجة فعلق ذلك في ذهنهِ ثم تجري الأيام وتمرّ السنون وتأتي الكهولة والكلام الذي سمعهُ الولد يدور على طرف لسانهِ والاهازيج التي أطربتهُ تطنُّ في آذانهِ بحيث يتغنَّى بها بلا تروٍ على سبيل العادة

قد قضت علينا هذه السنَّة الطبيعيَّة كما قضت على غيرنا فاننا اذ كنَّا ذات يومٍ من ايام الصبا في بعلبك وكان يوم مهرجان فتكوَّف الناس حلقاتٍ واخذوا يتهادون ذات اليمين وذات الشمال ويضربون الارض باقدامهم ضرباً موقعاً على انغام القصب وألحان الازجال فيرقصون الرقص المعروف « بالدبكة » فأعجبنا برشاقة الراقصين وطربنا لاغانيهم وقد علق في الذهن من ازجالهم هذه الابيات :

في ارض الحلّه يا عرق الريباسْ
تداوي العلّه من جوًّا الديماس

ومذ ذلك العهـــد قرأنا وسمعنا وحفظنا ما كان من شأنهِ ان يطمس المحفوظات الاولى ويدرسها الّا ان هذين البيتين انطبعا في الحافظة ايّ انطباع وربَّما زادا رسوخاً من تردُّدهما على اللسان بقوَّة العادة . ولمَّا كنَّا نعتقد انَّ الازجال كما الامثال والاشعار تترجم في الغالب عن حقائق مادّيَّة او معنويَّة او تشير الى وقائع تاريخيَّة كشفها العيان وأيَّدها الاختبار لعامة الناس بدا لنـــا ان ندرس الريباس درساً علميًّا ونسبر مبلغ الابيات السابقة من الصحَّة في خواص الريباس وفوائدهِ . ومما زادنا رغبة في هذا البحث خلوُّ المؤلفات العلاجية من وصفهِ وذكر منافعه . وقد دُهشنا من هـــذا التقصير فان النباتيين وصفوا كثيرًا من النبـــات والحشائش التي دون الريباس فائدةً وأسهبوا في تعريف خصائصها وتحليل اركانها . وزد على ذلك ان للريباس حقًّا علينـــا بالتعرُّف بهِ والمجاهرة بحسناتهِ من حيث وطنيَّتهِ فهو سوريّ محض وقد أبى لهُ الّا سوريَّة لهُ منبتاً

فاخذنا من ثمَّ بالتنقيب والتجارب حتى اجتمع لدينـــا من المعلومات ما مكَّننا في الرجوع اليهـــا والاستناد عليها . وقد عرضنا نتيجة ابحاثنا سنة ١٩٠١ في المؤتمر الطبي الذي عُقد في المدرسة الطبيَّة الافرنسيَّة . ثم تابعناها من ذلك العهد مدوّنين المشاهدات تباعاً الى ان توفقنا حديثاً لتحليل اركان الريباس وعزل المبدأ الفعال فيهِ كما سنذكرهُ في حينهِ

﴿ تاريخه ﴾ قلنا ان الريباس نبات وطني لان مواطنهُ التي لوحظ فيهـــا على الغالب هي الاقاليم السوريَّة . وقد سُمّي ريباساً لان طعمـــهُ يشبه طعم عنب الثعلب المعروف بالريباس . وقد جاء في لسان العرب وتاج العروس ان هذا اللفظ دخيلٌ وان أصلهُ فارسي . وعندنا ان في الامر نظرًا لانهُ يتحصَّل مما وقفنا عليـــهِ من المؤلفات التي تذكر شيئاً عن الريباس ان منطقة منابتهِ محصورة في بلادنا فتكون هـــذه الدلالة الجغرافية برهاناً على القائلين بان اللفظ دخيل . فهذا ابن البيطار يقول ان الريباس يكثر وجودهُ في سوريَّة وعلى الخصوص في الاماكن الشماليَّة منها . ويشير البصري الى وجودهِ في الجبال الباردة والمغشاة بالثلوج اكثر منهُ في غيرها وشمس الدين الدمشقي في جغرافيَّتهِ (وجه ١٩١) يلمع الى ان الريباس نبات برّي ينمو في منابت لبنان .

ذلك جلُّ ما أتى بهِ اصحاب المؤلفات العربية مما وقفنا عليهِ في المكتبة الشرقيَّة

اما المؤلفات الاوروبيّة فمنها تاريخ الصليبيين لفلكن(١ جاء فيهِ ما محصله ان في سنة ١٢٠٢ حصل زلزال هائل في نواحي لبنان باد فيهِ كثيرٌ من سكّانه كانوا يلتقطون الريباس . وفي هذه السنين الاخيرة كان المسيو پردريزه (Perdrizet) احد المدرسين في كليّة نانسي يبحث في تآليف المكتبة الوطنية في باريس عثر على رسالة للطبيب النباتي كرانجه (Granger) يصف فيها سياحته الى سوريّة سنة ١٧٣٥ فنسخ منها المسيو پردريزه المذكور فقرةً وبعث بها الى حضرة الاب رونزڤال اليسوعي مستوضحاً منهُ الخطّة التي سار عليها كرانجه في سياحتهِ . ولمّا كان حضرة الاب المذكور يعلم باشتغالنا في الريباس أطلعنا على هذه الفقرة فاذا فيها ما ترجمتهُ :

«لما لم يبقَ لي عملٌ في الجبل غادرت قرية قيتولي الواقعة في جوار جزّين قبلةً بغرب في ١٥ تشرين الاول سنة ١٧٣٥ قاصداً مدينة دمشق ولما كانت غايتي ان انظر بامّ عيني نبات الريباس يمّمت دمشق عن طريق بعلبك لهذا القصد ولعلّ كرانجه هذا هو الذي نشر سياحتهُ الى تدمر الخوري شابو في المجلّة الاسيويّة (٢

اذا غربلت كل هذه التعليمات التي جمعناها وفيها ذكر للريباس لا يتحصل منها شيء يُعوَّل عليهِ من وصفٍ لهذا النبات او كلامٍ عن فوائدهِ او اشارةٍ الى مفاعيلهِ . فادركنا من ثمَّ نداء الشاعر الزجلي في قولهِ :

في ارض الخلّة يا عرق الريباس
تداوي العلّة من جوّا الدياس

فكأنّي بهِ يتأسّف من تفريخ الريباس في ارض مقفرة مجدبة فيحسب الامر اجحافاً بحق هذا النبات المهجور وهو لا يبالي من اعراض الناس عنهُ بل يداوي عللهم باصولهِ المدفونة في دياميسها . والغريب ان هذه الصفة الشعريّة جاءت مصداقاً تماماً للنتائج التي قرّرها لنا الاختبار بل كانت صفةً جامعة شاملة في موجز الكلام

﴿ وصفهُ النباتيّ ﴾ الريباس نبات من فصيلة متعددة الزوايا (polygonées) ينبت على الغالب في الجبال التي يغشاها الثلج مدّةً من الزمن واكثر منابتها في جوار اليمّوني في ارض «خلّة» كما جاء في مطلع الزجل . وقد ذكر الاب لامنس وجود هذا

١) Wilken: *Histoire des Croisades*, VI, 6, note 6

٢) زينب ملكة تدمر: Journal Asiatique 1897, II p. 337; cf S. Ronzevalle: (p. 78 du tirage à part).

النبات في عيناتا وقد لوحظ في موآب وفي مناطق لبنان العليا. وقد اخبرني شيخ من آل خازن انهُ عثر على الريباس في صرود كسروان

الريباس جذورٌ تشجُ في الارض موازيةً لسطحها وهي حيَّة تتضخَّم بمرور السنين وتكون هشَّة ما دامت طريَّة ويسيل منهـا عصارٌ راتينجيٌّ دَبِقٌ لكنهُ ينقطع اذا جفَّت ويبست وعلى هذه الجذور ينبت ساقٌ او عدَّة سوقٍ في ثخن الابهام طولها من ١٥ الى ١٦ سنتيمترًا. وبدن هذا الساق مشحمٌ مفرطح عليهِ زئبرٌ خشن. اذا نُزعت قشورهُ وأُكل لُبـهُ استطعمت بحموضةٍ يمازجها يسير حلاوة لكنهُ لا ينفكّ في آخر مضغهِ من قبوضة ما. وعلى قاعدة هذه السوق او العساليج تفرخ اوراقٌ قائمة على رجيلاتٍ قلبية اوكلويَّة الشكل سميكة ودائرها مسنن اما قمَّة الساق فتنتهي بشبه العنقود (panicules) وثمرهُ من نوع الحبوب المعروفة باسم (akênes) وهو احمر ذو لباب. قال ابن البيطار في وصفهِ (٢ : ١٤٧) : الريباس كأضـلاع السلق لهُ خشونة. وقال اسحاق بن عمران : الريباس بقلة ذو عساليج غضَّة حمراء الى الخضرة ولها ورق كثير مدوَّر وطعم عساليجها حلو بحموضة

﴿ فعلهُ العلاجيّ ﴾ قلنـا ان اضلاع الريباس حلوة حامضة لذيذة الطعم لذلك ترى المجاورين لمنابتهِ يأكلونها مغموسة بالسكَّر او بالملح كما روى المسيو كيز (Guys) عن اهـل زحله وبعلبك. وهم يحضرون من لثا تلك العساليج شرابًا لذيذًا يتفاخرون بتقديمهِ للزائرين ولهُ شهرة بانهُ مرطِّب والامهات يعالجنَ بهِ رضعانهنّ فيما يعترنَ عنهُ بالحرِ. وقد جرَّبناهُ في اسهال الاطفال وخصوصاً الاخضر منهُ فلاح لنا ان فعلهُ يعادل فعل الحامض اللبني الموصوف لذلك المرض ولعلَّهُ يفوقهُ. وعلى ظنّنا ان نفعهُ ناتج من العفوصة الموجودة في الريباس. وبناء على هذا التعليل وصفناهُ في التهابات اللثـة فوجدناهُ اكثر فائدة من لعوق البورات المألوف استعمالهُ في مثل هذه الحالات. على ان ذلك ليس مدار بحثنا لان الشراب معروفٌ عند العامَّة وليس تحتهُ كبير امر. انما الغرض الذي نرمي اليـهِ والخاصة التي سعينا بكشفها واختبارها انما هي خاصَّةٌ كامنة في جذر الريباس نفسهِ وقد المع اليهـا الشاعر الزجلي وتلك الخاصة لها فعلٌ في الكبد بان تدرّ الصفراء وتزيل احتقان هذا العضو وتسهل لهُ القيام بوظيفتهِ. وقد لاح لنا ان العامل في ذلك عصارٌ راتينجي دَبِق موجود في ألياف الجذور والامر الذي يحملنا على الاعتقاد

بان الفعل لهذا العصار لا لغيرهِ تقصير النبات عن ادراك فعلهِ اذا كان جافًا يابسًا وبضد ذلك بلوغه منهُ اذا كان طريًا . ولما كان المقرر لدينا ان العصار ينضب بجفاف الجذور تحتم علينا الجزم بان الفعل للعصار (١

اول حادثة مرضية تبيّن لنا منهـا جليًا فعل الريباس في احد زملائنا أُصيب باحتقان كبدي سببـهُ الحصى . وقد انفق ذلك الطبيب كل العلاجات الموصوفة لتلك العلّة كالزيت والكليسرين والقلويات ومُدرَّات الصفراء بلا جدوى او كان ينال منها بعض النفع لكنهُ لم يزل متزعجًا كئيبًا فاقدًا لشهوة الطعام اما بعـد استعمال اصول الريباس فقد فُرجت كربتهُ وزالت كآبتهُ وتنبَّهت شهوتهُ فداوم التعالج بهـا حتى شفي تمامًا . وقد تعدَّدت من ثمَّ المشاهدات حتى جمعنا منهـا ما ينيف على الستين فنسَّقناها وعارضنا بينها واستنتجنا مفاعيلها واعددناها سندًا لكلامنا على الريباس . ولما كان يتعذَّر علينا سردها مفصلًا نكتفي بالالماع الى نتائجها وقد ثبت لدينا ان اعظم خواصها إدرار الصفراء وتقوية المعدة وقد يكون نفعها عظيمًا في الانحباسات الكبديَّة ايًا كان سببها فتناهض التغذية العموميَّة على عملها . وهي فوائد يسهل على كل طبيب تحقيقها ومراقبتها لذلك دُهشنا من اهمال الفرماكوبيا درس هذا النبات حتى لم نجد لهُ ذكرًا فيهـا مع انها لم تَسهُ عن وصف كثير من الحشائش الخاملة النفع او تذكرها على الاقلّ . فلسنا ندري أهذا الاهمال من ندرة الريباس او من صعوبة استغلاله واستنباته . وكيف كان الحال فقبل ختام مقالتنا في ذلك المؤتمر استنهضنا همم علماء الصيدلية والنبات لدرس الريباس وتحليل اركانهِ وفصل مادته الفعَّالة ليكون لفن العلاج منها فائدة وافادة . فكان على أثر ذلك ان حضَّر الدكتور كيك استاذ الصيدلة في المكتب الطبي الافرنسي شرابًا سمَّاهُ شراب الريباس استخصَّهُ واستأثر بهِ . على ان شراب الريباس معروف في البلاد كما نوَّهنا بالامر والمنفعة المقصودة والغاية المطلوبة في هذه الرسالة انما هي في الجذور

١) وفي مفردات ابن البيطار ما يؤيد قولنـا في منافع الريباس . قال : هو بارد يابس في الدرجة الثانية ويدلّ على ذلك حموضتهُ وقبضهُ ولذلك صار مقويًا للمعدة ودابغًا لها وقاطعًا للعطش والقيء . وربُّ الريباس صالح للخفقان والقيء والاسهـال الكائن من الصفراء . مقوٍّ للمعدة مُشهٍّ للطعام . . . وقال الرازي في المنصوري : هو مطفئ للصفراء والدم

وقد ارسلنا منها كمّيّة الى معملين كيماويين في اوربا لتحليلها وفي رسالةٍ تالية نبيّن تركيب الريباس كيماويًّا وندلُّ على العنصر العامل في النتائج التي دوّنّاها

خطبة وعظيّة

للبطريرك ايليَّا الثالث ابن الحدّيثي المعروف بابي حليم

مقدّمة

هذه مرَّة خامسة نعود الى خطَب البطريرك النسطوريّ ابي حليم الذي ازهر في القرن الثاني عشر للمسيح (اطلب مجاني الادب ٤: ٣٠٠) وخطبهُ كلّها جليلة الالفاظ بليغة المعاني طُبع منها قسمٌ في مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل. الّا انَّ منها قسمًا آخر لا يزال مخطوطًا نحلي حينًا بعد آخر ببعض لآلئهِ جيد مجلّتنا. وهذه الخطبة التي نثبتها اليوم هي موعظةٌ وجدناها موافقة لايَّام الصوم المبارك تصلح لتنبيه القلوب وحضّها على الإنابة الى الله بالتوبة الصادقة وقد نقلناها عن نسختين خطّيّتين وجدنا الواحدة في بيت الوجيه بشاره افندي يارد والاخرى من مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة ل . ش

الحمد لله الذي اطلع في آفاق القلوب شمس اليقين. ورفع اغساق الذنوب عن نفوس المتّقين. وأجزل الحكَم السوابغ على عقول المحققين. وانزل النقم الدوامغ (١ على يوافيخ المنافقين. نحمدهُ على ما ابدى من نعائم الخيرات للمُثرين. وعلى ما أولى من جسائم الحسنات للمُعسرين

ايها المؤمنون قد نُشرت اعلام ملكوت السماء وانتم جامحون. وترتّبت المراتب اليمينية في اورشليم العلياء وانتم نازحون. واستُعدَّت لكم مظالُّ النور والبهاء وانتم جانحون. وتهيّأت لكم الولائم الروحانية في عالم الضياء وانتم عن سننها راحلون. وبملابس الانفة والتيه رافلون. فما الذي فتّر الهمم وأقعدها عن مطالب الارباح. وما الذي أنام العزائم عن إعداد الدهن والمصباح (٢. وما الذي اغفلها عن زاد الطريق في المغدى والمراح. أهلْ يُنتظر بعد شروق ناموس المسيح ضياء او يُرتقب صباح. فمالي ارى اضواء الامانة في مصابيح القلوب هامدة. وجُذى (٣ العزائم المشبوبة بالنار

---

١) ويروى في نسخة: السوابغ
٢) تلميح الى العذارى الجاهلات اللواتي انطفأت مصابيحهنَّ في حفلة العرس (متَّى ٢٥)
٣) ويُروى: جزي وهو تصحيف

المسيحيَّة خامدةً . أجَنوب الذنوب نسَمت عليها فأطفأت أنوار مصابيحها . ام أرياح الآثام عصفت في أُفق النفوس فأذهلتها عن طاعة مسيحها . ام الإمهال غرَّها فألهاها . ام كواذبُ الآمال سترت عن البصائر طرقات هُداها . حتى استصغرت عظائم الذنوب . واستحقرت كبائر الجرائم والعيوب . واستقادت الغفلة رقابَ القلوب . واركبتها في طلابِ الشهوات اسوأ طريق وأوعر أُسلوب . ألا فنبّهوا بذكر الموت قلوبكم النوائم . واغسلوا بسواجم العبرات أوضار الجرائم . وأودعوا خزائن القلوب خوفَ النقائم . واذكروا ما أُعدَّ للأثمة والخاطئين من الاهوال العظائم . قبل ان تهدم معاولُ الفناء مشيدَ فنائكم . وتُخمد سمائم العفاء نورَ ضيائكم . وتُغلق ايدي المنايا ابوابَ حواسكم . وتختم انيابُ الحمام على قبوركم وارماسكم . هناك يُسمع لنيوب الخاطئين حريق . ويُرى لقلوب الاثمة حسرة وشهيق . ويُسدّ بين ابناء النور وابناء الظلام الطريق . ويَضمّ مَن ألقى عن عنقهِ ربقة الطاعات مهوًى سحيق . يومَ تستنيرُ وجوه الصالحين بنور لواء المسيح . وتشرق بصائر المفلحين بضياء الايمان الصحيح . ويحوز (١ ذو البدرات الخمس يوم عرض الاعمال بالمتجر الربيح . ويفوز في العراص الملكوتية بالنعيم الابدي اربابُ المسعى النجيح . يومَ تتلظى المجرمون بالجُذى الناريّة في اقعار الجحيم . وتملأ نأمةُ الغنيّ (٢ بالطلبة الطارقة اسماع ابرهيم . ويشّم فَلَحةُ الكرم المسمَّى ملكوت السماء وجنّات النعيم . وتُشرَع وصائد الملكوت تجاه اولي المجد الوسيم . ألا رحم الله امرءًا لفتَ همَّتهُ عن القنايا والحطام. وأضرم نار الندم في منابت الخطايا والاجرام . وقدّم لنفسهِ قبل نقلتهِ توبةً ماحية الآثام . واعدَّ في مشكاة قلبهِ مصباحًا يقطع بنورهِ مسافات الظلام . وجعلكم الله من الذين صفت منهم السرائر . وغُفرت لهم الآثام والجرائر . وحدّقوا الى الحق باحداق البصائر . واستعدُّوا بصوالح الاعمال في المبادئ والمصائر . بشفاعة الاطهار القديسين . وصلوة الاخيار والمنتخبين . آمين

---

١) ويروى : ويجوز

٢) اشارة الى قصَّة الغنيّ ولعازر

ملاك الرحمة

بقلم الاب لويس فؤاد اليسوعي (تتمة)

مثح النهار بعد سفر فرنسيسكو والفتاة ايڤون لا تنقطع عن الصلاة لاجلهِ . فلمّا غابت الشمس عاد الفقراء الى دار والدها فاكتنفوها اكتناف الهالة بالقمر والكمّ بالزهر . وكنت ترى فيما بين الصفوف صاحب الفروة والزيّ الجافّ فلما تحققتهُ ايڤون بعد اقترابها منهُ سألتهُ عن طول المدّة التي تغيَّب فيها عن الحضور فاحتجّ عن طول الغيبة بمصاب مُني بهِ وذلك ان حجرًا كان سقط على رجلهِ فحطّمها . وكان قد عصب رجله بأطمار بالية وهو يتعارج في مشيه

فقالت لهُ ايڤون وقد غلبت عليها الرحمة : وكم يلزمك من الزمن لقطع مسافة الطريق ما بين القصر ومقرّك ؟

—ساعتان ونصف سيدتي . . .

— ساعتان ونصف !

— نعم وناهيكِ سيدتي عما اشعر بهِ من الالم في قطع المسافة

لا غرو ان حديثًا كهذا لم يطرق آذان الفتاة الرحيمة دون ان يحرّك عواطفها ويستفزّ نخوتها فارادت ان تقري المسكين الجريح و . . . لكن وصيّة والدها بان تحـذر من ادخال غريب في البيت مدّة سفره اوقفت رغبتها في عمل الخير وجعلتهـا في حيرة عظيمة . . . ما العمل ؟ . . . وبينما هي تتردّد بين عاملي الطاعة والرحمة خطر على بالها قول الرب : « تعالوا يا مباركي ابي لاني جعتُ فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريبًا فآويتموني . . . »

فقالت لصاحب الفروة : « اقضِ الليلة معنا في القصر وعند الصباح تعـود الى قريتك كما سبق لك الامر »

صلّى القوم طالبين تحقيق اماني سيّد الدار والفوز بمن يضمرون لهُ الشر وقلبُ صاحب الفروة يفور غضبًا . ثم انصرفوا وسار هذا مع ايڤون داخل القصر فاوصت بـهِ خادمها ڤكتور الذي داخلهُ العجب من صنيع سيدته حيث خالفت وصية ابيها

— هدئ الجأش يا ڤكتور . لقد سبق لصاحب الفروة القيام عندنا ليلًا فاضحى منّا

وزد على ذلك ما هو عليهِ من سوء الحال وضعف القوى لقطع مسافة ساعتين ونصف تحت جنح الظلام

اجاب ڤكتور: أفاتكِ رعبُ والدكِ وما طرأ عليهِ من الهواجس ليلة اضفتِ هذا المسكين ؟

— اضغاث احلام يا ڤكتور . وهل أصابنا ضرٌ من جرَّاء ذلك ؟

فظلَّ الخادم ساكتًا ولم يرَ بدًا من مطاوعة سيّدتهِ ثمَّ عاد الى صاحب الفروة وجعل يرّحب بهِ طوعًا لامر ايڤون . ثمَّ دار بينهما الحديث والمسكين يتأوَّه من ألم جرحهِ حينًا بعد حين حتى رثا لحالهِ ڤكتور وازالت رقَّة قلبه للمسكين ما في فكرهِ من الريب بصددهِ . ثمَّ انبسط بالكلام واخبر الضيف بما كان من امر صاحب الدار وخروجهِ الى البلدة المجاورة لطلب الجند ليوقع باللص افوريجان وزمرتهِ على بغتة ويقطع دابرهم . وعرف الصعلوك في مطاوي الحديث انَّ القصر خالٍ من الحرس لم يبقَ فيـهِ غير ثلاثة من الخدَّام لخروج الباقين مع فرنسيسكو في طريقـهِ وكان صاحب الفروة يصغو وقلبهُ يرقص طربًا حتى غلب النعاس على ڤكتور فقام بعد ان هنَّأ ضيفهُ برغد النوم واطفأ القناديل . امَّا ايڤون فانَّهـا كانت صرفت ساعةً في صلاتها ثم اوت الى فراشها مطمئنَّةً

وكان سواد الليل حالكًا . وهدأت في الدار كل حركة بعد خروج ڤكتور . وكان صاحب الفروة تمدَّد على فراشٍ أُعدَّ فكنت تحسبهُ راقدًا وهو في الحقيقة يقظان مشغول البال ينتظر نصف الليل بفروغ الصبر ليفتح باب المنزل لاخوتهِ المختبئين بين اشجار الغاب

دقَّت ساعة القصر فعرف الشقيُّ من دقَّاتها ان قد دنا الوقت فكان قلبهُ يخفق جزعًا . . . آه لم يبقَ لي الَّا ساعة لشفـاء غليلي والانتصار على فرنسيسكو . . . سِر يا فرنسيسكو على بركة الله . . . اما انا فسَيري على هدى الشيطـان وستعلم اعداء افوريجان ايَّ منقلبٍ سينقلبون

دقت ساعة القصر الدقَّة الثانية عشرة وكان لكل دقَّة رنين في صدر الخائن . . فقـام يتجسَّس الحيطان ويمشي في الظلمة لكنَّ منخاس الضمير اخذ بوكزهِ فصرخ : ما هذا ؟ . . . احس بفتور في اعضائي . . . لقد انهدَّت قواي . . . خاب مسعاي . . . آه

شبح ايڤون . . . اخونها وهي قد اضافتني واعتنت بي رغماً عن وصاة ابيهــا وتصدّي ڤكتور لها . . . ولكن كيف ارعوي وقد صار عدوّي مني على قاب قوسين فارجو منهُ غنيمة باردة ؟ دع عنك هذه الوساوس . قد حانت ساعة الفوز ولات حين ندم

وبينما هو على تلك الحال اذ سمع صوتاً من جهة غرفة ڤكتور فرجع لساعتهِ الى فراشهِ وبعد هنيهة انفتح باب الغرفة وظهر ڤكتور وقد استولى عليهِ الخوف : اني اسمع يا صاح وقع اقدام حول الدار كأني بالاعداء قد احاطونا يا للداهية الدهياء !

— انظر لعلّهُ فرنسيسكو قد عاد الى قصرهِ مع فرقة الجند

— كلّا ليس هو . فاني سمعتُ ضوضاء وجلبة قوم معادين

— دعنا نبحث عن حقيقة الامر ولا ترعج اهل القصر

فسار كلاهما في الدهليز الطويل المؤدي الى باب القصر . وڤكتور قابض بيد على السكين وبالاخرى على يد رفيقه

فقال الصعلوك : اعطني السكين واتركني افتح الباب . فان رأيتُ عدوًّا غرستها في احشانــهِ

— لا لا اني انا الفاعل

— دعني يا صاح . لاهل القصر عليّ حقوق وحق الضيافة مقدَّس وهــذه فرصة استغنمها لاظهار ما انطوى عليــهِ صدري من عرفان الجميل نحوهم

قال واختطف السلاح من ايدي ڤكتور وما شعر الخادم بالامر الّا واحسَّ بطعنة في قلبهِ جندلتهُ على الارض مضرّجاً بدمائهِ فجعل يصرخ : اليَّ يا آل القصر لقد خاننا صاحب الفروة . فقام الخدم وتسارعوا الى الباب . اما الضيف الخائن فصاح الى زملائهِ : اليَّ يا آل الغاب لقد دقّت ساعة الظفر

وفُتح باب المنزل واذا بشرذمــة من الاوغاد والهمج دخلوا القصر فانقضُّوا على خدمة القصر وقد اخذ منهم الرعب مأخذه وتفرَّسوا فيهم ولا تفرُّس الذئاب بالنعاج . ثم استقر بهم الرأي ان يقبضوا على ايڤون دون ازعاجها فيبقونها معهم اسيرةً ليتوعَّدوا اباها بقتلها ان لم يُجب الى سؤلهم

اما ايڤون فانها عند سماعها بصريخ الخدَمة وصياح اصحاب افوريجان ووقوفهــا على حقيقة الامر اظهرت من ثبات القلب ما قلَّ وجودهُ في فتاة تناهز الثامنة عشرة

من العمر فجثت على ركبتيها امام صورة المصلوب المعلقة في محلّ نومها وبقيت مستمرّةً في صلاتها حتى فُتح عليها الباب فجأة ودخل عليهـا افوريجان يتبعهُ اصحابه

— كفاكِ صلاةً يا ايڤون فان الصلاة لم تُجدكِ نفعاً وهاءنذا يد صاحب الفروة قد نالت ما لم تنلهُ صلوات اولادك الفقراء وتضرعاتهم التي لم تلاق في السماء مجيباً

فاجاب احد اترابه : ليس المجال مجال خطاب او وعظ هيَّا بنا الى ما هو اهمّ والوقت قصير اين هو يا فتاة مخبأ ثروة والدك فرنسيسكو ؟

— هذا سرٌّ اوقفني عليهِ ابي ولا اضنُّ بهِ عليكم ولكن دعوني اوَّلًا أُرحّب بكم فاقدّم لكم شراباً تروون بهِ غليلكم . فاذا استرحتم قليلًا اخذت بكم الى مخبأة المال على شرط ان لا تلحقوا بي اذًى

— كلَّا لا نريد لك سوءًا

— وان سمحتم رافقتكم الى مقامكم لاعيش بينكم

— هذا جلُّ ما نشتهيهِ يا ايڤون فانتِ منَّا وفينا

— فهلمَّ بنا نشرب معاً كأساً على سرّ هذا الاتحاد

فقوبل كلامها بتهليل فصرخوا الجميع : نعمَ الرأي رأيكِ

ثم قادتهم حول مائدة متَّسعة وما كان اسرع من لمح البصر الَّا وأُعدّت الكاسات وسالت بنت العنقود . فيهـا فجعل كل يرفع الكأس ويشربها على سرّ الاتحاد وايڤون تعيد الدور كلما فرغت الكاسات الى ان قام احدهم والاحمرار قد علا وجههِ واتّقدت عيناه شرارًا فقال : حذارِ حذارِ يا اخوان فانها لَمكيدة أُعدت لنا . اين المال يا ايڤون ؟

— اتبعوني فهو لكم ان شئتم

فطفر الكل وهم يتناشدون الاناشيد ويتغنَّون بالاغاني وقد غلبت على اكثرهم سورة الخمرة ثمَّ تبعوا آثار ايڤون فانزلتهم الى قعر القصر حيث كان سربٌ عميق فيـهِ النبيذ والمؤونة فقالت لهم : ترون في هذا السرب عددًا من البراميل والاكياس البعض منها موسوم بعلامة الصليب والبعض الآخر لا علامة لهُ فما كان منهـا معلماً فهو حاوٍ على اموال فرنسيسكو

فما انتهت من كلامها الَّا وترامى اللصوص على البراميل والاكياس يفحصونهـا برميلًا برميلًا وكيساً كيساً وايڤون تساعدهم مشجعةً اياهم وهي تقول : ان صندوق

الذهب قد أُخفي في اقصى القبو . وما سمع افوريجان كلامها حتى انقضَّ كالعقاب طائرًا الى حيث اشارت ايڤون وفي يدهِ القنديل تاركًا اخوتهُ في الظلمة فقالت ايڤون: ها انا آتيكم بمصباح . قالت هذا واسرعت كلمح البصر فخرجت من السرب وكان لهُ باب من الحديد فأقفلتهُ قفلًا محكمًا

ثمَّ جعلت ايڤون تطوف في نواحي القصر آسفةً على ما حلَّ بخدَّامها الامناء وقد اصبحوا جثثًا رميمة لا حياة لهم – فاذا بدبيب مع صوت وقع اقدام طرق اذان الفتاة فاضطربت خوف ان تكون اهملت تحكيم قفل باب السرب وخرج اللصوص فجثت على ركبتيها وهي ترتجف هلعًا وصرخت: الهي كن عوني » . . . فما كان اعظم اندهاشها لمَّا رأت اباها فرنسيسكو يأخذ بيدها ضامًّا ايَّاها الى صدرهِ : ابنتي! ابنتي!

– ابتي انت هنا ؟

– نعم يا ايڤون لقد اخذ البلبال والقلق مني مأخذهما اثناء الطريق فكنت احاول الرجوع لأتحقق امركِ ورفقتي يسكّنون جأشي محرضين اياي على اتباع السير . فارسلت بهم اخيرًا الى الحاكم الايطالي وعرَّجت اليك مع ثلاثة من الحرس فقط . آه قلبي كان يحدثني انك في خطر وقلبي الابويّ لم يخدعني

– سكّن روعك ابتِ ان الاعداء في قيدنا

ثمَّ قصَّت عليهِ ما جرى

– ما اثبتكِ جأشًا واقواكِ جنانًا

– قل ما اعظم قوَّة صلوة اولادي الفقراء ان صلوة الفقير لا يخيبها الله

*

وبعد ايَّام قليلة كنتَ ترى في مدينة باهيا جمًّا غفيرًا قد اجتمع في ساحة المدينة ينظرون الى مخشَّب مرتفع فوقهُ مشانق عُلّق عليها عشرون من اللصوص وبازائهم علَمٌ قد كُتب فوقهُ : « هذا جزاء الائمة الذين دخلوا ليلًا بيت فرنسيسكو فنجت ابنتهُ من مخاليبهم وما ذاك الّا جزاء اعمالها الصالحة وتحنّنها على المساكين . هكذا يثيب الله ملاك الرحمة »

المذاكرات الجغرافيّة في الاقطار السوريّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

٢ موقع سوريّة (تابع)

من اراد ان يدرك ما اكسب سوريّة سابقًا حسن موقعها من المنافع الاقتصاديّة حيث كانت الطريق الواصلة بين الشعوب يجب عليهِ ان يجرّد فكرهُ عمّا استفدناهُ اليوم من الاحوال الحاضرة وترقّي المواصلات البحريّة التي اضحت في عهدنا الطريق اللاحبة التي تضمّ الامم العاملة الى بعضها كما صرّح بذلك آخرًا جلالة الملك ليوبلد الثاني ملك بلجكة

إن اقرب الطريق وآمنها لتجارة الهند قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح انّما كانت الطريق البرّيّة على مسير وادي الفرات . اما في وقت الحروب فكثيرًا ما كانت تنسدّ هذه الطريق المثلى بين البحر المتوسّط وخليج العجم في وجه القفول التجاريّة فتستبدلها بطريق اخرى كثيرة العقبات ذات اخطار جمّة وهي طريق بحر القلزم او جزيرة العرب لكنَّ هـذا البحر لم يتجاسر احد ان يتجشّم اخطارهُ قبل أن يتوفّق هيپالوس الى اكتشاف الرياح المنظَّمة التي تُعرف بالمواسم (١ وذلك في القرن الاوّل للمسيح ومذ ذاك الحين فقط جرت بحرًا معاملات بين الهند وسواحل اليمن ومرافئ بحر القلزم

اما الطريق البرّيّة التي كانت تقطع صحـاري العرب هي التي اكسبت اهل الجزيرة غنًى وازدهارًا لا سيّما السابئين والنبط والحميريين والقريشيين

والفضل كلّ الفضل للفينيقيين اذ سبقوا فادركوا ما للطريق البرّيّة من عظم الشأن فانَّ ثروة الهند ومرافق الشرق الاقصى ما كانت لتجد سبيلًا اوفق تجري فيهِ لتبلغ الى مركز العالم المتمدّن . وادركوا فوق ذلك انهُ اجدى اليهم ربحًا لو استلموا تلك المحصولات الجليلة في محطّاتها البعيدة ليخفّفوا بذلك عنـاء القوافل ويقتصروا بعض المراحل من طرقها الطويلة رغبةً في ضبط البضائع والتصرّف فيها قبل غيرهم . ومما فُطر عليهِ آل

---

١) هي رياح تتناوب من الغرب الى الشرق ستّة اشهر ثم تُنعكس ستّـة اشهر اخرى . والمرجّح انَّ الافرنج استعاروا لفظة « mousson » مَوْسِم من العربيّة بواسطة اللغات الايبريّة . اطلب شروحنا في كتابنا « *Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe* »

فينيقية ارتياحهم الى الدِلالة فانهم كانوا نعم السماسرة يتوسَّطون بين الباعة والمشترين ولا يريدون بينهم وبين الباعة وسيطاً فتتضاعف بذلك ارباحهم اذ يشترون رخيصاً ويبيعون غالياً فعليهم المعوَّل في كلّ المعاملات التجاريَّة لا يزاحمهم فيها احد ولا يقف المراقب على حقيقة متاجراتهم وبذلك اضحوا ارباب التجارة يدركون كنه اسرارها ولا يفوتهم شيء من وجوهها

وهذه المتاجرات عينها حدت بالفينيقيين الى تجهيز القوافل البرّيَّة وقيادتها فنالوا بذلك قصبة السبق على من سواهم. لانَّ الطرائق التجاريَّة في سالف الازمان كانت مباينة لطرائقها اليوم (١ فكانوا اذا ارادوا تصريف بضائعهم انتقلوا مع القوافل الى حيث يرومون بيعها فيدرسون كلّ بلد ويتعلّمون لغتهُ ويختلطون باهلهِ ويفقهون عجرهُ وبجرهُ وكلّ ذلك لتتيسَّر لهم المتاجرة وتزيد ارباحهم. وذلك على خلاف ما نرى اليوم بعد اكتشاف السكك الحديديَّة والبواخر فانَّ البضائع تصل الى طالبيها دون ان يحتاج البائع الى ان يرافقها

وكان تدبير القوافل الفينيقيَّة يقتضي درايةً عظيمة وحذقاً بليغًا في المعاملات. ومما كان يترتَّب على رئيسها ان يُحسن نظامها ويؤلّف قلوب اصحابها ويجمع قواهم لنجاح المشروع كما انهُ كان يسعى في طريقهِ بان يكسب ثقة الاهلين ويتقرب من امرائهم وينتهز الفُرص اللائقة لمبايعتهم ويتعرَّف ما يروج عندهم من الاسواق. وخلاصة القول كان يتَّخذ كلّ المعلومات اللازمة التي تزيد ثروتهُ وتوفّر ارباحهُ. وهكذا قد وصف لنا كتبة العرب تجَّار القريشيين في القرن السابع للميلاد (٢ وفي مقدَّمتهم ابو سفيان الشهير. قال ابن الاثير في اسد الغابة في تعريف الصحابة (٥ : ٢١٦) : « كان (ابو سفيان) تاجرًا يجهّز التجّار بمالهِ ولموال قريش الى الشـام وغيرها من ارض العجم وكان يخرج احيانًا بنفسهِ وكانت اليهِ راية الرؤساء التي تسمَّى العقاب واذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس »

والافادات السابق وصفها التي نالها الفينيقيُّون في رِحَلهم واسفارهم البرّيَّة والبحريَّة توسَّلوا بها لترقية تجارتهم وصناعتهم وتوسيع نطاقهما فانهم بصائب نظرهم وتهافتهم

١) H. Winckler: *Keilinschriften*, p. 169

٢) اطلب كتاب العلّامة مرغوليوث (Margoliouth: *Mohammed* p. 1)

على الاعمـال واحتكارهم للتجارة البرّية والبحريّة بلغوا في آخر الطور اليوناني الروماني مبلغًا راقيًا فكأني بهم جعلوا في زمانهم الطرق الجائزة في سوريّة الشماليّة وفي سوريّة الوسطى وفي بادية الشام نفسها بمثابة ترعة سويس في عهدنا . وكانت بور سعيدهم تَدْمر الّا انّ تدمر كانت وقتئذٍ ملكة الصحراء تميس في مبانيهـا الفاخرة ومحاسنها الساحرة ليست كبور سعيدنا التي هي عبارة عن مدينة مستحدثة لا يُرى فيها غير حوانيت الباعة ومكاتب الحسَبة ومقامات المتاجرين بل كانت تدمر مزدانة بالهيا كل تأخذ بالابصار اروقتها البديعة وتماثيلها المحكمة الصنع مما يخلب القلب ولا تجد لهُ اثرًا في بور سعيد

فدعنا بعد هذا نمتّع النظر بحسن وضع سوريّة وبموقعها الجغرافي الفريد ونحن نجدها في مفرق الطرق التجاريّة التي كان يسلكها العالم القديم فانّها كانت قريبة من البرزخ الذي يصل آسية بافريقية بين وادي النيل ووادي الفرات وهناك كانت اعظم امم تلك الاعصار وارقاها في التمدُّن . وسوريّة في وسطها تبعد مسافة يوم عن تخوم مصر وتكاد تتّصل بمملكة اشور عند مجرى الفرات الغربيّ حيث يلتوي فيقترب من البحر . فانَّ هذا النهر متاخم لسوريّة عند موقع قرقيش القديمة في المقـام المُعدّ لقطع سكّة بغداد حيث لا يبعد عن البحر المتوسّط في خطٍّ مستقيم اكثر من ١٥٠ الى ١٦٠ كيلومترًا . فما اسهل ما كان على الفينيقيين ان يتبطَّنوا وادي الفرات فيتبعوا بطائحهُ الى ان يبلغوا خليج العجم المتّصل بها . وكانت ضفاف الفرات في تلك القرون حافلةً بالسكان متوفّرة المدن التي لا تزال آثارها ظاهرةً الى يومنا . وقد شهد على عمران تلك الجهـات احد جغرافيي اللاتين يُدعى پمپونيوس ميـلا (Pomponius Mela, III, 12) حيث وصف غنى الامم التي تقطن شمالي سوريّة وقد نسب ثروتها « الى خصب مراكزها وكثرة انهارها التي تجري فيها السفن فتسهل بها المبادلات التجاريّة »

فترى من ثمَّ انَّ سوريّة كانت بموقعهـا العجيب اهلًا بان تصبح مركزًا لعلائق العالم القديم او قل بالحري انَّ الله جعلهـا رائدًا للتمدّن ووصلةً بين الامم العاديّة اي المصريين والكلدان والامم الوسطى من يونان ورومان اجداد عالمنا المستجدّ . ولو رقينا في سلّم الاعصار الى اوائل القرون المتوسّطة وجدنا اهل سوريّة يتأثّرون اعقاب آبائهم فيتوسّطون بين الغرب واواسط آسية فهم الذين ادخلوا التمدُّن اليوناني في مدرستي نصيبين وجنديسابور كما أنّهم جلبوا الى الغرب مرافق تلك البلاد

فمن كلّ ما سبق لا يبقى للقارئ ريب في انَّ اهــل سوريّة بتفرُّغهم للمبايعات وبتنقُّلهم في انحاء البرّ والبحر كانوا الرباط الوثيق بين سواحل البحر المتوسط والبلاد النازحة عنهُ ومزجوا مزج الماء بالراح الشرق العتيق بالغرب المترعرع . نعم انهم كانوا قبل كلّ شيء يعملون لاغراضهم ومصالحهم الخصوصيَّة الَّا انَّ عملهم هــذا كان يفيد الشعوب ايضاً فيعتمّم ما لكلّ منها من المحاصيل ويخرجها من عزلتها فينتفع كلّ شعب ممَّا اصابهُ الآخر سواء كان في المادّيات او في الامور العقليّة والادبيّة والدينيّة . وفي هذا لعمري جلُّ الفائدة لا سيَّما في تلك الازمنة التي كانت الشعوب لا تعرف بعضها الَّا في ساحات القتال . فالفينيقيون نقلوا الى الغرب تمدُّن وادِيَي النيل والفرات وعرَّفوا اهل تلك البلاد بمحصولات مصر وما بين النهرين واعمالهما الصناعيَّة بعد أن اخرجوها على هيئة جديدة توافق احوال الغربيين وتناسب حاجاتهم . ولعلَّهم اثاروا في قلوب تلك الشعوب الجديدة رغبةً في الترقّي والنجاح ومهَّدوا الطريق للفنون والآداب بين اليونان الذين ما كانوا ليبلغوا ذروة الكمال في الفنون الجميلة لولا توسّط الفينيقيين فانَّهُ من المقرَّر انَّ التمدُّن اليوناني لم ينشأ بغتةً على غير استعداد وبدون تمهيد وانَّما بُني على اساس سابق تقدَّمهُ نريد تمدُّن امم الشرق . وفضل الفينيقيين انهم كانوا حمَلةً لذلك الترقي القديم الى اليونان . فأغنوا الغرب بمحصولات الشرق وبمصنوعات الشام فانتبهت قرائح الغربيين الى مجاراتهم ومزاحمتهم في العمــل بعد ان اعملوا النظر في نحت التماثيل والدمى وفي حفر الحجارة الكريمة وفي صياغة الجواهر كما استلمها الفينيقيون من اهل مصر وبابل فزادوها تحسيناً . فهذه المصنوعات الفينيقيَّة كانت للغربيين كلقاح لاذهانهم وشحذ لافكارهم أدَّى بهم بعد قليل الى تلك العجائب الصناعيَّة التي تفرَّد بها اليونان بعد زمن . وان قيل انَّ الفينيقيين لم يطلبوا في ذلك غير الربح والمكسب فنجيب انَّ فائدتهم الخاصَّة لا تنفي الخِدَم التي ادَّوها لغيرهم . والخدمة خدمةٌ ولو طُلب منها منفعة (١ ولعلَّ الكتبة لم ينسبوها قبلًا للفينيقيين لزعمهم انَّ الفينيقيين كانوا تجارًا لا يهتمّون بالفنون كمألوف عادة التجار ولجهلهم تأثير الصناعة الشرقيَّة بالصناعة اليونانيَّة

وقد اراد الله ان يعظّم هذه الدعوة الشريفة التي خوَّلها للفينيقيين ليكونوا وسطاء ونَقَلةً للموادّ التجاريَّة وللامثلة الصناعيَّــة بان جعلهم سماسرة الافكار كما جعلهم

١) اطلبْ تاريخ التجارة (Speck : *Handelsgeschichte*, I, 414, 426)

سماسرة الاموال ليُعدّوا الشعوب الجديدة لقبول الآداب والعلوم. ومهما قلنا في إطرائهم فانّنا لن نبالغ وذلك ليس فقط لأنّهم بلغوا بقوافلهم الى البلاد النازحة فوصلوا بين اطراف الاقطار واقاصي الاصقاع لكن ايضاً لانهم زوّدوا الشعوب بآلة عجيبة كانت اعظم عامل للتمدُّن نريد صناعة الكتابة وحروف الهجاء.

والحقّ يقال انّ اختراع الابجديّة قد اجدى للبشر نفعاً قد خلّف وراءهُ الاختراعات التي تتباهى بها اعصارنا كفنّ الطباعة واكتشاف فوائد البخار والكهرباء. لانّ بهذه الصناعة الكتابيّة انفتحت للمعارف البشريّة ابواب واسعة اذ بها نستطيع تدوين كلّ لغات العالم حتى قبل فهمها. بها جرى تقلّب عظيم في احوال الشعوب لكنهُ تقلّب هادئ سلميّ غايتهُ التحابّ وتقريب الامم من بعضها

يقول الفلاسفة انّ العادة طبيعة ثانية. يريدون انّ الانسان لا يتأثّر ممّا اعتاد نظرهُ وائتلفهُ بالتكرار فانّ العجائب الطبيعيّة التي نراها كلّ يوم تسقط من اعيننا. فكذا قلْ عن اختراع الابجديّة. قال الاب ديلاتر اليسوعي: « ليت شعري ايوجد شيء اعجب من اختراع الانسان لعشرين الى ثلاثين علامة يتمكّن بها على ان يترجم عن كلّ معاني قلبهِ وعواطف نفسهِ » وهذه الطريقة العجيبة في سذاجتها يعود الفضل في اختراعها وان شئت قُلْ في نشرها الى الفينيقيين. فانّهم أبطلوا تلك الطرائق السابقة التي شاعت قبلهم بتوفير الصور الكتابيّة وتمثيل مقاطع الالفاظ ورسم اصوات الكلام التي كان يتيه فيها علماء مصر وبابل. فنابت بحروف الهجاء عن تلك المئات والالوف من العلامات حروف قليلة تؤدّي كل تهجيات اللسان في لغات معظم الشعوب القديمة والحديثة

وهنا ايضاً قد لعبت الجغرافيَّة دورًا مهمًّا. قال لونزمان في تاريخ الشرق القديم (ج ١ ص ٤٤٨): « كان ينبغي للشعب المدعوّ لتنظيم الكتابة البشريّة وتكميلها ونشرها ان يكون شعباً تجاريًّا عاملًا لا يستغني عن مسك الدفاتر وضبط الحسابات التجاريّة ويكون مع هذا متاخمًا لمصر موسوماً بسمة التمدّن المنتشر على ضفاف النيل ». ولا نعرف في العالم القديم امّة غير الأمّة الفينيقيّة كانت تقوم بهذه الشروط اذ كانوا بموقع بلادهم احقّ من سواهم بان يكونوا قوماً وسطاً متأهبين لنقل محصولات التجارة الى الاقطار البعيدة والسواحل النائية وهم مع ذلك مواصلون للاعمال مع مصر جارتهم

وقد نقل الفينيقيون الى البلاد السحيقة ليس فقط حروف الهجاء لتسهيل المعاملات بل كلّ مصنوعات بابل ومصر مع اعمال صناعتهم الوطنيَّة واضافوا الى ذلك ما نقلوه من الادوات المفيدة ومن الحيوانات الداجنة ومن احرار البقول. وقد وجد الاثريون في اقطار غربيَّة شتَّى ما كان اتى بهِ اليها الفينيقيُّون من المعادن وضروب الخشب والصمغ والانسجة والخزفيّات وغير ذلك من المصنوعات التي اعدَّت للتمدُّن القبائل الغربيَّة المستوطنة للغابات. وقد جرى السوريون على هذه الطريقة في نقل اختراعات الشرق ومحصولات التمدّن نحو الف سنة حتَّى اثَّر مثلُهم في قلوب اولئك السكان فاخذوا ينهجون منهجهم ويتعقَّبون مدارجهم

قال پمپونيوس ميلا السابق ذكرهُ (ك ١ ف ٢): «ان الفينيقيين قوم جهابذة حذّاق يحسنون آداب الحرب ويستفيدون من منافع السلم. هم الذين وضعوا حروف الهجاء فاستخدموها لاعمال شتَّى واخترعوا فنوناً عديدة وهم ايضاً الذين سبقوا الى خوض البحار وتقدَّموا الشعوب في الحروب البحريَّة»

جاء في كتاب حديث للعلّامة ڤكتور بيرار دعاهُ «الفينيقيون والاوديسَّاة» (V. Bérard: *Les Phéniciens et l'Odyssée*): انَّ جغرافيَّة منظومة اوميروس الاوديساة مبنيَّة غالباً على المعلومات التي استفادها ذلك الشاعر المفلق من الفينيقيّين». ثم استشهد لتأييد قوله بالجغرافي سترابون حيث قال: انَّ الفينيقيين ارشدوهُ الى معرفة وصف البلدان (οἱ γὰρ Φοίνικες ἐδήλουν τοῦτο). وكتاب المسيو بيرار مشحون بالتفاصيل والادلَّة المثبتة لسيطرة الفينيقيين على البحار (اطلب المشرق ٩: ٢٣٤)

ولما اراد سنَّاحريب ملك اشور ان يجهّز لدولتهِ اسطولًا بحريًّا في الخليج العجميّ لم يجد من يقوم بعملهِ غير الفينيقيين. قال في احدى كتاباتهِ: «قد اقمتُ في نينوى رجالًا من الحثّيين (وكان الحثيون من سكان سوريَّة) أسرَهم قوسي فعمَّروا لي مراكب كبيرة على مثال بلادهم فجهَّزتُها باللّاحين الصوريين والصيدونيين الذين قبضتهم يدي»

وقد حفظ اهل فينيقية السيادة على البحار حتى في عهد اليونان بعد فتوحات الاسكندر الذي جرى على مثال سنَّاحريب في تجهيز المراكب. وقلَّما تجد في تواريخ اليونان كاتباً يذكر سفينةً لا يكون ربَّانها سوريًّا او فينيقيًّا

*

هذا لاهل الشام فخرٌ آخر غير المفاخر السابقة فانَّهم ليس فقط توسَّطوا بين الدول القديمة المتمدّنة والامم التي منها اشتقَّت الشعوب المستحدثة لكنَّهم ايضاً نالوا امتيازاً آخر فدعاهم الله لتربية العالم الادبيَّة والدينيَّة فصاروا متوسّطين بين الله والانسان ومن هذا القبيل كانوا هم السابقين لم يأخذوا الامر من سواهم . نعم انَّ التمدّن البابلي والمصري كان بلغ في الصنائع والفنـــون مبلغاً عظيماً والفينيقيون استفادوا من ذلك وافادوا غيرهم لكنَّ الفراعنـــة وملوك اشور كانوا من حيث الآداب والاخلاق بعيدين عن الكمال لا يعرفون من العدل والرحمة غير اسمها فيستسلمون للجور ويعتبرون انفسهم بمثابة آلهة يتصرَّفون برعاياهم كيف شاؤوا لا يبالون بمـــا ينتظرهم لدى الديَّان من المسئوليَّة عن اعمالهم . وان كان من بعدهم قد غلب على الشعوب التالية روح الدماثة واضحى التمدّن الجديـــد مبنيًّا على العدل والمحبَّة فالفضل في ذلك الى المستشرعين الصالحين والى الرســـل القديسين والى الانبياء الابرار الذي نشأُوا في سوريَّة فلسطين وبالاخص الى ذاك الذي كان اكبر من المشترعين واشرف من الانبياء المسيح ابن الله فانَّ لاهوت الخالق وصفاتـــهِ العجيبة لم تظهر في مكان من الارض ظهورها في سوريَّة فلسطين فلاح نور التوحيد فيهـــا ومنها امتدَّ الى بقيَّة الشعوب فادخلها في طور جديد من الترقّي والفلاح . ولذلك ترى عيون الانسانيَّة متَّجهة منذ الفي سنة الى تلك البلاد مهد الاديان الموحّدة حيث جرت أحداث التوراة الخطيرة وتجلَّى الحقّ سبحانـــهُ لعبادهِ فغيَّرت انوارهُ هيئة المجتمع الانسانيّ

فقد اصاب من دعا سوريَّة فلسطين ارضاً مقدَّسة . كيف لا وفيها حدثت اعجب العجائب وبها تنوط ذكرى اشرف الاعمال واعظم الرجال بحيث يصحّ القول عنها انـــهُ ليس فيها شبرٌ الّا وقد صلّى فيها نبيّ . ولو اعتبرتَ اخبار الانجيل الطاهر وحدها وجدت اربعـــة اخماسها قد جرت في الجليل وليست بلاد الجليل الّا قسماً من سوريَّة متَّصلًا بفينيقية الجنوبيَّة وطالما دخل الجليل في حيّزها وتبعها في حكمها ونظامها . ولو بحثت عن مواطن الرسل الحواريين لوقفت عليها في سواد عكا وصور وكان لهاتين المدينتين مراكز تجاريَّة في كلّ ساحل فلسطين . وكما انَّ العهد القديم في سفر الملوك الرابع (١٧ : ١٩) قد أتسع في اعمال ايليَّا النبيّ في تخوم صور كذلك يروي العهد الجديد آثار ابن الله في

سواحل فينيقية بين اهلها الكنعانيين . وزد على ذلك انّ الكنائس المسيحيّة الاولى قد نشأت في اواسط سوريّة وشمالها وانّ اسم النصارى شاع اوّلًا في انطاكيّة وقد صارت تلك الكنائس كمثالٍ حذا حذوهُ من اتى بعدها . وعليهِ يستحقُ السوريّون هنا ايضاً وبنوع أحرى ان يُدعَوا سماسرة الآداب ودعاة الدين فتقدّموا على اليونان والرومان الذين مشوا على آثارهم في دعوة العالم الى المسيح (١ . قال مُنتَلَنبرت الخطيب الشهير في كتابهِ عن نسّاك الغرب (Moines d'Occident, I, 142) « انّ الدين كما عزّة السلاح كما فخر الآداب كلّ ذلك قد جرى على سنّة مقرّرة راهنة وناموس ثابت فانتقل من الشرق الى الغرب . بدا التمدّن وبدت القوّة من الشرق على مثال النور وكما ان النور لا يزال يزداد بهاء وحسناً على قدر ما يتقرّب من الغرب كذلك التمدّن والعزّ زادا في الغرب بعد ان ظهرا في الشرق »

فترى ما لسوريّة من النصيب العظيم في ترقّي الشعوب فانها هي السابقة والفضل كما قيل للمتقدّم فيجوز لكل رجل ان يعتبر سوريّة كوطنهِ الثاني لانّ منها نال حياتهُ الادبيّة ان لم ينل حياتهُ الزمنيّة . ولهذا السبب لم تزل اوربّة توجّه بالحاظها الى البلاد التي منها اخذت مصدر حياتها العقليّة والادبيّة وكان قدماء النصارى اذا صلّوا جعلوا الشرق قبلتهم فيوجّهون بابصارهم الى الاراضي المقدّسة والى الجلجلة وقبر المسيح . وكان ضوء السّحر يذكّرهم باسرار دينهم وكانوا يطلبون ان تُدار رؤوسهم الى الشرق في قبورهم لترتاح عظامهم الهامدة بتوجيهها الى منبع ايمانهم . هذا فضلًا عن الوف الالوف الذين لم يرغبوا في حياتهم الّا شيئاً واحداً زيارة تلك الاماكن المقدّسة التي شرّفها ابن الله بحياتهِ وموتهِ فيتجشّمون لذلك اعظم الاخطار ويقاسون اصناف الاتعاب بجلّ امانيهم وقصوى بغيتهم . قال أحد هؤلاء الزوّار في القرن الخامس عشر ابرهارد اللحياني (Eberhard le Barbu) كنت بلاد ڤرتمبرغ : « انّ ثلاثة اشياء لا يجوز الترغيب فيها ولا الردّ عنها وهي الزواج والحرب وزيارة الاراضي المقدّسة فانّها كلها ربّما ابتدأت ابتداءً حسناً فتنتهي على غير المرغوب » وفي قولهِ هذا اشارة الى الصعوبات التي

---

١) اطلب كتاب هرنك A. Harnack: *Mission und Ausbreitung des Christentums* (409-410) وقد اثبت فيهِ اسماء البلدان التي نشأت فيها كنيسة مسيحيّة منذ القرن الاوّل للنصرانيّة

كان يلقاها زوّار ذلك الزمان . على ان هذه الانصاب والمخاطر لم تقوَ على ضبط جماهير الزوّار الذين لم يزالوا منذ عهد قسطنطين الكبير يتواردون بلا انقطاع الى الاراضي المقدّسة كما تشهد على ذلك اخبار رِحلهم المتعدّدة التي دوّنها في اسفار شاعت في كل جهات المعمور وبين كل طبقات الناس

(لهُ بقيَّة)

أثران لارسطو الفيلسوف في العربيَّة

نشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ العرب أُولعوا باعمال فلاسفة اليونان فاقبلوا على تعريبها بنشاط غريب . لكنَّهم كانوا أُولع وانشط في نقل تآليف ارسطو لعلمهم بانهُ رئيسهم وشيخهم والمتقدّم بينهم في كلّ فنون الفلسفة وكثير من هذه التعريبات قد اخذتهُ ايدي الضياع او لا يزال مكنونًا في خزائن المخطوطات اللهمَّ الَّا ما استخرجهُ منها بعض أُولي الفضل من المستشرقين . ومما وقفنا عليهِ في مخطوطات رومية العظمى اثران جليلان نُسبا لسيّد الفلاسفة فنقلهما العرب الى لغتهم . وهذان الاثران وردا في كتاب وُسم بالعدد ٤٠٨ بين مخطوطات الڤاتيكان وهو مجموع فيهِ آثار ادبيَّة وفلسفيَّة نقلنا منهُ فصولًا حسنة في المشرق كوصيَّة افلاطون المعروفة بالذهبيَّة (٤ : ٦٠٤) ومقالتهِ في تأديب الاحداث (٩ : ٦٧٧) ورسالة الفارابيّ في السياسة (٤ : ٦٤٨) . وفي هذا المجموع عينهِ نسخة من كتاب الدرَّة اليتيمة لعبدالله بن المقفَّع التي نشرها صاحب السعادة الامير شكيب ارسلان . وتاريخ هذه النسخة الڤاتيكانيَّة سنة ٩٢٨ هـ (١٦٢٢ م) . امَّا الأثران المنسوبان لارسطو فاوَّلهما عنوانهُ « وصيَّة ارسطاطاليس للاسكندر » والثاني « رسالة ارسطاطاليس الى الاسكندر في التدبير » وكلا الاثرين يحتوي الحكم الطيّبة والوصايا الحسنة المصيبة وتعريبهما بقلم قدماء النَّقلة ونرجّح انهما لحنين بن اسحاق الذي لهُ في هذا المجموع تعريبات غيرها تصدَّرت باسمهِ فان قابلت بين انشائهما وانشاء تلك لا تجد فرقًا يُذكر . ومما يدلُّ على قدم تعريب هذين الاثرين انَّ صاحب الفهرست ابا الفرج المعروف بابن ابي يعقوب النديم قد ذكر (ج ١ ص ٢٤٧) اسطرًا من الاثر الثاني تجدها بحرفها في مجموعنا وفي ذلك دليل على انَّ هذا التعريب سبق السنة ٣٧٧ هـ التي فيها انجز ابن النديم تأليفهُ . اما صحَّة نسبة الاثرين الى أرسطو فاننا لا نبتُّ بها حكمًا ونحن نعلم انَّ آثارًا عديدة نُسبت زورًا لذلك الفيلسوف النطاسيّ وانما نوردهما لما يتضمَّنان من التعاليم الحكمية والاقاويل الادبيَّة التي يُسَرُّ بها طلبة الآثار القديمة ولعلَّهما من تأليف احد تلامذة ارسطو ان لم يكونا من تأليفهِ وعلى كلّ حال نفيد القرَّاء بانهما لم يوجدا في اليونانية في مجموع اعمال ارسطو الذي نشرهُ الطبَّاع الشهير فيرمان ديدو (Firmin Didot)

١ وصيَّة ارسطاطاليس للاسكندر

لمَّا اشتدَّت علَّة الملك فيليفوس وتقرَّر الامر للاسكندر ابنهِ قال : ليس الآمر

بالخير أسعدَ بهِ من المطيع لهُ ولا المعلّم اقلّ انتفاعاً بالعلم من المتعلّم ولا الناصح أولى بهِ من المَنصوح لهُ بالمديح متى قُبل . وان الله تعالى ذكرهُ لم يرضَ لنفسهِ من الناس الّا بمثل ما رضي لهم بهِ منهُ فانّهُ امرهم بالترحّم ورحمهم وامرهم بالتصادق وصَدَقهم وامرهم بالجود وجاد عليهم وامرهم بالعفو وعفا عنهم فليس قابلًا منهم الّا مثل ما اعطاهم ولا آذنًا لهم في خلاف ما آتى اليهم فأعطِ مَن وُلّيت امرَهُ من رأفتك ورحمتك وعفوك ما ترغب في مثلهِ موقناً بأنّك ان أعطيت ذلك من نفسك أُعطيتَهُ موفّرًا

واعلم انّـهُ لا شيء لك الّا ما نلتَ من جميل الذكر ورضوان الخالق وانك ان وثقتَ بـهِ وقاك شرّ مَن دونه وان وثقت بغيرهِ لم تدفع عن نفسك ولم يدفع عنك دافعٌ . واعلم انك غير مستصلحٍ رعيّتك وانت فاسـدٌ ولا مرشدهم وانت غاوٍ ولا هاديهم وانت ضالّ فكيف يقدر الأعمى على ان يهدي والفقير على ان يُغني والذليل على ان يُعزّ . واعلم انهُ ما اصلحَ المستصلح غيره الّا بصلاح نفسه ولا أفسد المفسدُ سواه الّا بفساد نفسـهِ فان رغبت في اصلاح مَن وُلّيت فابدأ باصلاح نفسك وان اردت رفع العيوب عن غيرك فطهّر نفسك منها ولا يُرينّك رأيك انك اذا احسنتَ القول دون الفعل فقد ابلغت الى السامعين منك دون ان يُصدّق قولَك فعلُك وتحقّق سريرتُك علانيتَك

واعلم انك مطبوع على أخلاق مختلفة منها حسناتٌ ومنها سيئات فأعدى عدوّك سيئاتُ اخلاقك وأولى الاشياء بك حسناتُ اخلاقك فقابل بعض اخلاقك ببعض : غضبَك بحلمك وجهلك بعلمك ونسيانَك وغفلتَك بذكرك ونظرك

واعلم انهُ ليس احدٌ اصلح للناس من أُولي الامر اذا صلحوا ولا افسد لهم منهم اذا فسدوا وان الوالي من الرعيّة مكان الروح من الجسد الذي لا حيوة لـهُ الّا بها وبموضع الراس من سائر الاعضاء فانـهُ لا بقاء لها الّا معهُ فبالوالي مع فضل منزلتهِ من الحاجة الى اصلاح الرعيّة مثلُ ما بالرعية من الحاجة الى اصلاح الوالي وقوّة بعضهم زيادةٌ في قوة بعضٍ ووهنُ بعضهم سريعٌ في وهن بعضٍ . وبُعد الوالي من القدرة على اصلاح نفسهِ مع استفساد رعيّته كبعد الراس من البقاء مع هلاك سائر البدن غير انهُ اجدر باصلاح الرعية الصالحة من الرعية باصلاح الوالي الفاسد وافساد الوالي الصالح لفضل قوّتهِ عليهـا ووهن قوّتها عن قوّتهِ . وقد قال اومير الشاعر : انّ الائمّة يُصلحون الموتيّن بفضل قوّتهم فاما الائمّة فلا يصلحهم موتىٌ

واحذرك الحرص فأمّا ما هو مصلحك ومصلحٌ على يديك فالزهــد يتمّ باليقين واليقين يحصل بالفكر فاذا فكّرت في الدنيا لم تجدها اهلًا لأن تُكرمها بهوان الآخرة لانّ الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة وقد قال اوميرِ الشاعر: كلّ ضدٍّ مخالفٌ ضدَّهُ ولا خير في شيء يزول ويذهب. اتّهم اخلاقك السيّئة فانها اذا اتّصلت بها حاجاتها من الدنيا كانت كالحطب للنار وكالماء للسمك واذا عزلتَها عنك وخلّيتَ بينهـا وبين ما تهوى انطفأت كانطفاء النار عند فقدان الحطب فهلكتْ هلاكَ السمك عند فقدان الماء

اذا طلبت الغنى فاطلبهُ بالقناعة فانّ من لم تكن لهُ قناعة فليس المال مُعينَهُ وان كثر وقال اوميروس: لا مال عند من ترك القناعة ولا خير في المرء اذا لم يكن قنعاً

واعلم انَّ من علامة شغل الدنيا وكدر عيشها انَّهُ لا يصلح منها جانب الّا بفساد آخر فلا سبيل لصاحبها الى عزٍ الّا بتذلُّل ولا الى استغناء الّا بافتقار. واعلم انَّ الدنيا ربما أُصيبت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين فان اصبتَ حاجتك منهـا وانت مخطىء وأدبرتْ عنك وانت مصيب فلا يستخفنَّك ذلك الى معاودتها ومجانبة الصواب. لا تضنَّن على الناس بما ترغب فيهِ ولا تأتِ اليهم بما تكره ان يؤتى اليك. قاتل هواك واقصر رغبتك واكفف شهوتك واحلل الحقــد من قلبك وطهِّر من الحسد نفسك واقبض اليك أملك فانَّ الامل اذا بسطتَهُ أقسى قلبَك وشغَلك عن معادك وليكن ممّا تستعين بهِ على إطفاء الغضب علمُكَ بانَّ الزلل لا يخلو منهُ احدٌ وبهِ وقع صاحبُك ولعلَّ عدوًّا لك حملهُ على ذلك، فان اطعت هواك في اخيك الذي اتى على يديهِ الذنب اليك لشمتَ عدوّك بهِ فظاهرتَهُ على اخيك ومكّنتهُ من بغيتك. فما أحقَّك يا اسكندر ان تغتاظ ممّن طاعتُك لهُ هلاكك ومعصيتُك له سلامتك وهو هواك

ولعلَّك يا اسكندر ترى ان عقوبتك تنكيلٌ بهِ عن الذنب او زيادة في الادب فان هممتَ بذلك فاصدق نفسك وفتِّش عن ضميرك وسريرتك دون ظاهرك وعلانيتك فانظر أجميلَ الذكر تريد ام شفاء الغيظ. فان كنت تريد الانتقام للغضب فان الغضب مرٌّ والمرّ لا يُجنَى ثمرُهُ حلوًا. وان كنت تريد بعقوبتك اياه اصلاحهُ لك ولنفسهِ وجميل الذكر وان تنزع ذلك الذنب فانك بالغٌ بالحرمان والوعيد والجفاء بعض ما يغنيك عن شدَّة الصولة وعظيم العقوبة. ولا ينبغي ان تستعمل سيفك فيمن تكتفي منــهُ بالحبس ولا تسرع بالحبس الى من تكتفي منهُ بالخوف والوعيد فانــهُ بحسب أخلاق المذنبين

وتفاوتهـا يجب ان تكون العقوبة وان استوت الذنوب. واعلم انك متى نلتَ مُظلمة وفرطتْ منك عقوبـة فان الذي آتيت الى نفسك من ذلك اشدُّ من الذي آتيت الى المعاقَب اذ لم تكنْ عاقبتُه بحقٍ ولا الصلاح وحدهُ قصدتَ بها. فتأنَّ في امركِ واجهدْ ان لا تبلي بسيفك وسوطك من كان بريئاً ولا يسلم منك من كان لا يصلح الّا عليهما

احذر الشهوات وليكن ما تستعين بهِ على كفّها عنك علمك بانهـا مذهلة لعقلك مهجنة لرأيك شائنة لعرضك شاغلة لك عن عظيم امركِ لانهـا لعب واذا حضر اللعب غاب الجدّ ولا يقوم الدين والدنيا الّا بالجدّ. فان نازَعتْك نفسك في الشهوات واللّذات واللهو فانها قد نزعتْ بك الى شرّ منزلةٍ وادناها واخسّها وامقطها وان ارادت منك خلاف السنّة فغالبها اشدّ المغالبة وامتنع منها اشدّ الامتناع وليكن مرجعها منك الى الحق فانك متى تترك الحق فلست تتركهُ الّا الى الباطل ومهما تترك الصواب فانمـا تتركه الى الخطإ فلا تداهن نفسك في الهوى اليسير فتطمع منك في الكثير ولا يرحبنّ ذرعك بمفارقة صغير من الخطأ فان لكل عمل ضرهُ. ومتى تعوّدتْ نفسك القليل تقُدْك الى الكثير. لا تبطـل عمرًا لك في غير حقٍ ولا تصنع لك مالًا في غير واجبٍ ولا تصرف لك قوة في غير غناء ولا تعدل رأيك في غير رشدٍ وعليك بالحفظ لما أُوتيتَ من ذلك بالجدّ فيهِ وخاصةً العُمر الذي كل شيء مستفادٌ سواه

فان كان لا بدّ لك ان تشغل نفسك بلذّة فلتكن في محادثة العلماء وكتب الحكمة والفلسفة فانّ أيسر سرورك بالشهوات ليس بالغًا مبلغًا الّا وإكبابك على ذلك ونظرك فيـهِ بالغٌ منك غير انّ ذلك يجمع لك من السرور وتمام السعادة. وخلافُهُ يجمع لك عاجل العزّ ووخامة العاقبة وان اسعد الناس بهواه ادركهم للرشد منـهُ. واياك والفخر لعلمك بالذي منهُ كنت ومعرفتك بالذي اليـهِ تصير ولا سبيل ان كنت ذا نظر مع حلمك في البطر وكونك مما كنت وتركّبك من الاشياء التي شأن كل مركّب منهـا الانحلال والانتقال من حالٍ الى حال المثوى الذي تصير اليهِ حتى تكون بعـد الوجود مفقودًا وبعد النمو منحلًا الى العثور والفخر اذا كانا عنك زائلين

واياك والكذب فان الكذب لا يكون الّا من مهانة النفس وسخافة الراي وجهالة بعواقب الامور ومضرّةٌ الكذب على صاحبهِ. واعلم ان اقلّ منزلة الكذاب والانحياز

عن قصدهِ بمنزلة من اراد الشرق فتوجَّه الى الغرب . وقد قال اوميرس : ليس شيء ادنى منزلةً من الكذب ولا خير في المرء الكذاب

واعلم ان سرعة ائتلاف قلوب الابرار حين يلتقون كسرعة اختلاط مـاء المطر بالبحار . وبُعد الفَجَرة من الائتلاف وان طالت معاشرتهم كبُعد البهائم من التعاطف وان طال اعتلافها . واعلم ان بصلاح الأعوان والوزراء يكون صلاح المال فكن بصلاح المال معتمدًا على صلاح الاعوان والوزراء . وكن ذا عناية بهم واكتفِ بقليـل منهم عن كثير ممَّن لا صلاح عندهُ فان الجوهرة خفيفـة الحمل ثقيلة الثمن والحجارة فادحة بحاملها مع قلّة غنائها وتزارة ثمنهـا . ثم اجتهد في ابتغاء صالح العمّال فانَّ العامل من الملك بمنزلة السلاح من المقاتل . فاذا قعد بالوالي عمَّال الصدق فقد نزل بهِ ما ينزل بالمقاتل اذا بقي بلا سلاح . وليكن راس ما تعمل بهِ ان تعلم الناس انَّ معروفك لا يصل اليهِ الَّا بمعونتك على الحق وتوطن اهل الباطل ومن يفسد خوفهم منك على العقوبة الفادحة فان بذالك تقوم ملكًا وتُعدّ حكيمًا

وبعد فاني لست آمن عليك الزلل في الامور بعـد الاجتهاد وليس يثبت العذر الَّا بعد الاجتهاد في درك الصواب فاذا اشتبكت بك الامور وعميت عليك فليكن مفزعك فيها الى العلماء فانَّ ادنى غايات الفعل الذي يصلح عليهِ امر الوالي ان يكون عندهُ من الراي ما يعلم بهِ فضل العالم على الجاهل وفضل خطر المُرزئة اذا وردت عليهِ . وقد قال افلاطن : من ميَّز عقول العقلاء استبان الامور مثل ما يستبان من المصابيح في ظلمة الليل . ولعلّ رأيك يؤدّيك الى ان بعض الناس يزدريك لاقتباسك منهم او يستخفّ بك عندهم فان عرض هذا بقلبك فاطَّرحهُ اشدّ اطّراحٍ فان الذي تسعد بهِ من الامور بالعلم وتفوز بهِ من مخالفة اهل الجهل افضل لك نفعًا واعظم خطرًا من ان يعادلـهُ شيء سواه . مع ان الناس فيك رجلان عالمٌ يزيدك عنده طلب العلم فضلًا وجاهلٌ لا يُرغَب في موافقتهِ . واعلم انَّهُ ليس احد يخلو من عيبٍ وفضيلة فلا يمنعنَّك عيب رجل عن الاستعانة بهِ فيما عندهُ منفعة فيهِ ولا تحملنك فضيلة رجل على الاستعانة بـهِ فيما لا معونة عندهُ عليهِ

واعلم ان وجود اعوان السوء اضرّ عليك من فقد اعوان الصدق واعلم ان العدل ميزان الله عزّ وجلّ في ارضهِ وبهِ يؤخذ للضعيف من القويّ وللمحقّ من المبطل فمن ازال

ميزان الله عزَّ وجلَّ عمَّا وضعهُ بين عبادهِ جهلَ اعظم الجهالة واعوزَّ اشدَّ الاعوزاز واغترَّ بالله اشد الاغترار. واستعنْ على امورك بخلّتين احداهما تألُّف الاهواء. والاخرى التثبت في الامور. واياك التأخير لامورك والتواني عنها فيما يحدث منها فانك ان فعلت ذلك كثرت عليك ثم لا تجد زمانًا لمباشرتها ابدًا او يفدحك ان وكلتها الى غيرك وتضيع . وانما الامور كلها امران صغير لا ينبغي ان تباشرهُ وكبير ينبغي ان تكِلهُ الى غيرك. ومتى باشرت صغار الامور شغلتك عن كبائرها وان وكلت كبارها الى غيرك اضعتَ اكثر مما حفظت وافسدت اكثر ممَّا أصلحت. وأسأل الله عزَّ وجلَّ الذي اختار العدلَ لنفسهِ وامر بالقيام عليهِ واستعماله في خلقه ان يُلهمك اياه ويجعلك من اهلهِ والقوام بهِ في عبادهِ وبلادهِ

(لهُ بقيَّة)

لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ (تابع)

للاديب اميل افندي خاشو سر مهندس لبنان سابقًا

٢ً سقي الاراضي

وعندنا انهُ لأَفضل ان يصرف اللبنانيون همَّتهم الى ما هو اجدى نفعًا من الطرق نريد سقي الاملاك وجلب المياه. ومعلوم انَّ سوريَّة فقيرةٌ بمياهها والمياه كلها تسيل من مشارفها المتوسطة اعني من لبنان. فهذا الجبل وحدهُ يسقي البلاد من انطاكية شمالًا الى غزَّة وبحيرة لوط جنوبًا اذ منهُ تخرج ينابيع العاصي الجاري الى الشمال ومياه الليطاني والاردنّ السائلَين الى الجنوب فيبقى هو محرومًا من المياه ويفتقر باغناء غيرهِ

ومن رصد احوال الجوّ في لبنان تحقَّق انَّ الامطار فيهِ غزيرة وهي تهطل في هذا الجبل على غير ناموسها في بلاد اخرى فانَّها اكثر في مشارفهِ منها في اسافلهِ وفي السواحل. ولو سار الراحل من بيروت الى صيداء لأَخذهُ الاندهاش من قلّة الماء على مدى طريق الساحل. ومن ثمَّ ترى ما يترتَّب على تنظيم الريّ وجلب المياه في جهات الجبل من الفوائد الجمَّة. والامر قريب المنال فانَّ السقي في السهول لا يتمّ في الغالب ألّا بخزن المياه ودفعها الى الجهات المرتفعة امَّا الجبل فيكفي اهلهُ ان يفتحوا للماء

منفذًا او قناة يسيل فيـهِ فيسقي المزدرعات دون ان يتكلّفوا شيئًا من المصاريف للمضخّات (الطلمبات) ولاعمال أخرى يوميّة كثيرة النفقات

وهاك مثلًا نورده مصداقًا لقولنا . ترى في جوار نهر الدامور بقعةً يدعونها ساحل الدامور او جلّ الدامور مساحتها تبلغ ٥١٠ هكتارات اعني الف فدّان . وتربة هذا الساحل كلّها من جرف النهر ألقى بها عند مصبهِ في البحر . وكان هذا الساحل قبل ٢٥ سنةً سباخًا لم يُحرث ولم يُعمر . ففكّر احد كهنة بلدة الدامور ان يُخصب تلك البقعة بجرّ مياه النهر اليها فاتّفق مع بعض اصحاب الملك بان يبنوا قناة طولها خمسة كيلومترات يجلبون بها المياه لسقي تلك الاراضي الغامرة وخصّ بهذا المشروع رأس مالهِ البالغ من الفي ليرة الى ٣٠٠٠ ليرة . فشيّد القناة تشييدًا حسنًا كلّفهُ المتر منها عشرة فرنكات . فما لبث الملّاكون أن رأوا بالعيان هذا العمل المفيد فساعدوا الكاهن بمالهم حتى انجزوا القناة وجرّوا المياه الى الأملاك فعمرت تلك البقعة بعد قليل وصار الفدّان منهـا يباع اليوم بمعدّل ١٥٠ ليرة بعد أن كان ثمنـهُ لا يتجاوز ٥٠٠ قرش . وكان جلّ الدامور لا يغلّ سوى بيضعة آلاف من القروش واليوم يربح اهلهُ من موسم القزّ ربحًا طائلًا يُقدّر بخمسين الف الى ستين الف ليرة . فهذا دليل قاطع على فائدة المياه لسقي اراضي لبنان ويا ليت غيرهم من اهـل الجبل اقتفوا بهذا المثل الصالح بدلًا من ان يتزاحموا في فتح الطرق غير النافعة كطريق عين عار الى قرنة الحمراء او الى بيت شباب (١

ولعلّ القارئ يسألني وهل يوجد في لبنان املاك غير الدامور يمكن تحسين ريعها على مثالها . الجواب حاضر فدعنا نستقري انهار الساحل نهرًا بعـد نهر مباشرةً بشمال لبنـان

١ (نهر قديشا او نهر ابي علي) طول هـذا النهر ٤٠ كيلومترًا فيمكن الانتفاع بمياهِ لري ناحيتي الكورة والزاوية على مسافة الف هيكتار او الفي فدّان . وكمّية هذا النهر في اوّل الخريف تبلغ ٣٠,٠٠٠ متر مكعّب في ٢٤ ساعة . وهـذا المشروع سهل وهو يحتاج الى قناة يكون طولها ثمانية كيلومترات

---

١) وان قابلت بين هذه بقعة الدامور واجود اراضي مصر غلّةً وجدت انّ ارباح الاولى اعظم من الثانية بكثير . فانّ غلّة الف فدان في ساحل الدامور تساوي كما قلنا على الاقل ٥٠,٠٠٠ ليرة اعني ٥٠ ليرة لكل فدّان واجود اراضي مصر لا يغل فدّانها باكثر من ٣٥ ليرة

٢ (نهر الجوز) طولهُ ٢٥ كيلومترًا يسهل على اهل البترون ان ينتفعوا بمياههِ الطيِّبة سواء كان لشربهم او لسقي املاكهم. وهذا النهر تقلُّ مياههُ وتكاد تنضب في الصيف الّا انَّهُ يمكن ان يُتَّخذ لهُ سدٌّ فتُخزن المياه في حوض ثمَّ تُسقى بها الاملاك. وينبغي لهذا السدّ ان يُبنى على علوّ ثمانية او عشرة امتار فيجمع ٢٠,٠٠٠ متر مكعَّب من المياه للريّ الصيفيّ. وهذا المشروع غاية في الافادة ندعو اصحاب الامر الى التبصُّر فيهِ ولا نشكُّ انهُ سينتج عنهُ ارباح جمَّة للبترون

٣ (نهر ابراهيم) الريّ بهذا النهر من المشروعات العظيمة الجدوى. وكانت الدولة العليَّة منحت امتيازًا لاحد اعيان بيروت المرحوم ع. خضرا وشركائهِ بان يقيم سدًّا ويضيف اليهِ غير ذلك من البنايات فيحبس مياه هذا النهر ويسقي بهِ الاملاك الواقعة بين جونية وجبيل ومساحتها تبلغ ٦٠٠ هكتار او ١٥٠٠ فدّان. لكنَّ هذا المشروع حتى اليوم لم يخرج الى عالم الوجود إمَّا لسبب وفاة بعض اصحاب الامتياز وامَّا لتردّد الباقين في العمل. ولعلَّهم يخافون من سقوط حقوقهم لأنَّ مدَّة الامتياز كانت لخمس عشرة سنة واليوم قد انتهت هذه المدَّة فبطل الامتياز الشاهاني. ونحن نرغب أن يسعى الشركاء في تجديد امتيازهم او ان يطلب غيرهم امتيازًا لهذا العمل الخطير الذي تترتَّب عليهِ اكبر الفوائد واعظم الارباح لاسيَّما انَّ تربة تلك الجهات طيِّبة كثيرة الريع لا ينقصها الَّا الماء لسقيها. ومن احبَّ ان يعرف صدق قولنا فليذهب الى حالات وينظر ما نالهُ هناك سيادة المطران يوسف اسطفان بسقي املاكهِ فانهُ اتَّخذ لهذه الغاية محرّكًا من البترول قوَّتهُ عشرة افراس بخاريَّة ليدير ناعورةً تبلغ الى عشرة امتار في عمق الارض (١

وعلى كلّ حال لا يجوز ان تُترك سدًى مياه نهر ابراهيم فتضيع في البحر دون طائل مع كونها كافية لخصب املاك واسعة وكميَّتها تبلغ في ٢٤ ساعة مقدار ١٠٠,٠٠٠ متر مكعَّب في فصل الصيف. ويكفي لرفع سطح هذه المياه الى علوّ خمسة امتار فقط لسقي الفي فدان من الاملاك وإحيائها بالمياه النميرة. والذين طلبوا امتياز هذا المشروع كانوا يقدّرون نفقاته بستين الف ليرة وسنذكر قريبًا كيف يمكن جمع هذا المال.

---

١) وفي الساحل بين بيروت وصيداء قد باشر رجال من اصحاب الهمَّة بتجهيز ادوات بخاريَّة كهذا المحرّك فنجحت مساعيهم فعسى امثال لبنان الجنوبي تؤثر في جهات الشمال ايضًا

وعندنا انَّ هذه النفقات يُستطاع خفضها الى حدّ اربعين الف ليرة بل الى ثلاثين الفًا ببعض التحويرات في المشروع الاوَّل

٤ (ينابيع نهري اللبن والعسل) يظنُّ الناس غالبًا انَّ مياه ينبوعي اللبن والعسل تصبُّ في نهر الكلب وليس الامر كذلك فانها تغيض وتنضب بعد انبجاسها بقليل. فلو عُني اهل كسروان بجلب هذه المياه من مركزها الى جهات جونية والقرى المجاورة لاستفاد الساحل منها مع قلَّة المياه فيهِ. وكميَّة هذه المياه بالغةٌ كما يُظنّ في ٢٤ ساعة الى حدّ ٢٥٠٠٠ متر مكعَّب تقريبًا. ويقتضي لجرّ هذه المياه قناة طولها ٤٠ كيلومترًا. وكان بعض المهندسين عرضوا هذا المشروع على بعض المتموّلين الذين طلبوا امتيازًا لذلك ثمَّ أهمل الطالبون مطلوبهم حتى اجتمعتُ بهم وبيَّنت لهم ما ينجم عن هذا المشروع من المنافع فأخذوا اليوم يسعون بالامر ثانيةً ولعلّهم يباشرون بهِ قريبًا

٥ (نهر الكلب) لستُ اطيل الكلام في هذا النهر فانَّ قسمًا كبيرًا من مياههِ تنتفع بهِ بيروت لشرب اهلها. وقسمٌ آخر منهُ تُسقى بهِ مزارع وطاء نهر الكلب وكفاك بهذا النهر دليلًا على منافع الريّ فانَّ مياههُ تجلب خصبًا وثروةً حيثما تحلّ. ويمكن توسيع نطاق هذا الريّ بتوسيع قنيِّهِ وتنظيم مجاريهِ

٦ (نهر انطلياس) تتركّب الاراضي الواقعة في جوار هذا النهر من تربة جرفيَّة ومن الصلصال والرمل وكلّ هذه العناصر في غاية الجود لمغارس الليمون والنارنج والشجر المعروف بيوسف افندي فان سقت مياه النهر تلك البقعة لأتت بغلّات رائعة. ومعظم هذه البقعة لا يبلغهُ السقي فترى المياه تجري من رأس النهر الذي لا يبعد من البحر الّا كيلومترين الى البحر بلا نفع مع انهُ يسهل جمعُها واحسن طريقة للانتفاع بمياه هذا النهر ان يُصنع لها حوضٌ عند مصبّها في البحر ثمَّ تُدفع بالمضخّات الى الاملاك الواقعة على علوّ ٢٠ او ٣٠ مترًا فتُسقى بذلك املاك واسعة لا تقلّ مساحتها عن ٢٠٠ الى ٣٠٠ فدان. وكان احد المتموّلين تحفّز لهذا المشروع فعارضهُ بعض اصحاب الاملاك وتصدّوا لهُ لاجتياز القساطل في ارضهم فطالبوهُ بتعويض مع أنهم كانوا اوَّل الرابحين من هذا العمل النافع وانَّ النزاع كان بسبب قطعة من الارض لا تزيد على مئة ذراع مربَّع

٧ (نهر بيروت ونهر الغدير) لهذين النهرين مياه تصلح ايضاً للسقي لو عُني بعض اصحاب الهمّة بجمعهــا وتقسيمها على المزروعات في ايّام الصيف بدلًا من ان تُهمل فتنضب وتضيع فائدتها

فهذا النظر الاجمالي في انهار لبنان دليل واضح على الفوائد التي يمكن اجتناؤها من مياهها والاعمال التي اشرنا اليها تنفع خصوصاً الاملاك الساحليّة. ولاهل لبنان في اماكن شتّى ان يتّخذوا لقراهم قنياً صغيرة يستفيدون منها لسقي املاكهم

ولنا مثال على قولنــا في قرية الباروك فانّ لها نبعاً غزيرًا عذب المياه يسمّى نبع الباروك وهو اصل نهر الأولي الذي يجري توّاً في الوادي وموقعه فوق القرية بنحو الف متر فلو ابتنى اهل القرية قناةً تأتي بالمياه من رأس هذه العين لامكنهم ان يسقوا ارضاً واسعة لا تنبت الآن شيئاً ويضاعفوا غلّة ارض أُخرى ينبت فيها شيء من التوت الضئيل لقلّــة مائهِ. ولو اردتُ لأتيت بامثال اخرى عديدة تثبت قولي في سقي اراضي لبنان. والمصاريف في كلّ هذه المشروعات قليلة بالنسبة الى ما يمكن حصولهُ من الفوائد الجمّة للزراعة. وانّما الامر موقوف على همّة بعض اصحاب الاملاك في كلّ قرية

وكأني هنا اسمع البعض يعترضون عليّ بخصوص هذه القني فأنّ كثيرًا منهــا لم تأتِ بالفائدة المطلوبة وخاب امل مصطنعيها . نجيب على هــذا انّ الذنب في الغالب ليس هو على العمل بل على العمَلة فانّ القرويين اذا ارادوا جلب المياه وكلوا المشروع الى من ليس هو لهُ كفوًا فيفقدون دراهمهم على حجّة الاقتصاد او ينفقون على العمل اضعاف ما يقتضيهِ. وقد عرفت بعض ذوي الاملاك في جنوبي لبنان دعوا رجلًا بنّاءً لا خبرة لهُ بالهندسة ليضع لهم قناةً فباشر بالعمل ورفع وحطّ وجدّ وكدّ وبعد ثلاثة ايّام طلب ٢٠٠ فرنك لشغل قضاهُ بالجهد الجهيد ولو كان مهندساً لأَمكنهُ ان يقضيهُ في ربع ساعة. فحذارِ من هؤلاء المشعوذين فانّ القوس يرمي بها باريها (لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Dr A. MUSIL: Karte von Arabia Petræa (1:300000). *Wien, Hoelder.*

خارطة بادية التيه وبلاد مؤاب وادوم

قد عرف قرّاؤنا الدكتور موسيل واجتهادهُ في خدمة بلادنا (المشرق ١ : ٦٢٥).

ومن آثارهِ الطيّبة خارطة وضعها آخرًا فافاد المستشرقين علماً عن بعض جهات سوريّة التي لم يزالوا يجهلون كثيرًا من اوضاعها اعني البلاد الواقعة بين البحر المتوسّط وبحيرة لوط والبحر الاحمر وما يلحق بها من بادية الشـام شرقيّ بحيرة لوط · وقد كان العلّامة برونوف (اطلب المشرق ٨ : ٤٥٧ و ٩ : ٣٢٨) في كتابهِ عن حدود السكّة الرومانيّة من معـان الى بصرى سبق فرسم تلك النواحي ودوّن اعلامها لكنهُ كان قد وهم في ضبط كثيرٍ منها فأصلحها الدكتور موسيل إصلاحاً تحقّقنا صحّتهُ في رحلتنا الاخيرة الى وادي موسى في ايلول ١٩٠٥ وما وجدنا الّا علَماً واحدًا لم نوافق الدكتور في ضبطهِ · وكفى بهذا بيانًا لدقّة العمل الجديد الذي يستحقّ كلّ ثنـاء · ومن خواصهِ فائدتهُ العظيمة لدرس الأسفار المقدّسة · لانّ البلاد التي رسم حضرتهُ صورتها انّما هي بـلاد التيه التي طاف بهـا بنو اسرائيل مدّة ٤٠ سنة وبلاد مواب وادوم التي تكرّر ذكرها في الكتاب الكريم ومن ثمّ يحتاج كلّ دارس للاسفار المقدّسة فضلًا عن الجغرافيّ ان يرجع الى هذه الخارطة فيسدّ بهـا ثلمة خوارط سوريّة السابقة · لا سيما ان صاحبها الفاضل افرغ في صنعها غاية المجهود بعد ان تجوّل مرارًا برحلٍ متواترة في انحاء تلك الاقطار · ولا نزيد بوصفنا السابق انّ حضرة الدكتور رأى كلّ شيء رأي العين فرسم كلّ الجبال والاودية ومجاري المياه بعد ان عاينها بنفسهِ فانّـهُ يصعب عملٌ كهذا على رجلٍ واحدٍ ولا شكّ انهُ استند في بعض رسومهِ الى ما سمعهُ من اهل البلاد ممّا يمكن تنقيحهُ وتحسينهُ وزيادة ضبطهِ بهمّة غيرهِ · لكنّ هذا لا ينقص شيئاً من فضلهِ ولا سيما في ما يختصّ بضبط الاسماء المكانيّة فانـهُ دوّنها بدقّة عجيبة ولو لم ينل غير ذلك من عملهِ واسفارهِ الشاقّة التي تجشّمها لاستحقّ شكرًا جزيلًا يؤدّيهِ لـهُ الجغرافيّون واصحاب الدروس الكتابيّة · ونحن اوّل من يُسرع الى تهنئتهِ عن هذه التحفـة الفريدة

ه · ل

LADY AMHERST OF HACKNEY. **A Sketch of Egyptian History, from the earliest times to the present day**. Illustr. a. maps, new a. cheaper issue, *London*, *Methuen*, 1906. XV-474.

خلاصة التاريخ المصري من القرون الغابرة الى عهدنا

هذا الكتاب الّفتهُ سيدة انكليزيّة تُعنى كل اسرتها بتاريخ وآثار مصر فانّ قرينها السير امهرست مشهور بطلاعتهِ في العاديّات المصريّة وعلى نفقتهِ جرت عدة حفريّات

كانت نتيجتها اكتشاف عدة آثار مخطوطة على البرديّ. وكذلك ابنتهما السيّدة ولم ساسيل فانها اليوم في الأقصر مهتمّة بنظارة حفريّات اخرى في مدافن ثيبة وهي التي اغنت متحف القاهرة بالمخطوطات الآراميّة على البرديّ المكتشفة قرب اسوان في جزيرة الظاهر والراقية الى عهد الفرس ممّا نشرهُ حديثًا العالمان ساس (Sayce) وكولاي (Cowley). امّا مؤلفة الكتاب الذي نحن بصدده فلم تقصد بوضعهِ تأليفًا علميًا وانما غايتها ان تقدّم لوطنيّاتها الانكليزيّات كتابًا شائق الموضوع سهل القراءة يحبّب اليهنّ ارض مصر ومحاسنها واخبارها. ولذلك تراها قد اتّسعت في احوال المصريين المحدثين ولغتهم العاديّة اكثر منها في تاريخ ارض الفراعنة. وممّا يزيد هذا المصنّف حسنًا جداولهُ وخوارطهُ وصورهُ التي تزينهُ فانّ كلّ ذلك يجعلهُ بمثابة دليل لمصر يمكن السيّاح الاستفادة منهُ والاستغناء بهِ عن دليل مكميلّان (Macmillan) وان لم يقم تمامًا مقام دليلَي موراي (Murray) وكوك س. ر

Mélanges Nicole, recueil de Mémoires de philologie classique et d'archéologie offerts à **Jules Nicole**, à l'occasion du 30ᵉ anniversaire de son professorat. *Genève et Bâle*, *Georg*. 1906, 8°, 672 p. avec 20 planches.

يوبيل الاستاذ نيكول

اعتاد الناس في عيد أحد الاهل والاحباب ان يقدّم لصاحب العيد طاقةُ من الزهور ينبئ بذلك عمّا في قلبهِ من عواطف الاخلاص والحبّ لشخصهِ. امّا العلماء والأدباء فقد استبدلوا هذه الزهور الفانية بطاقةٍ أخرى أبقى ذكرًا واذكى عرفًا فانّهم اذا ما ارادوا ان يكرموا احدًا اهدوهُ نبذًا علميّة او ادبيّة يصنّفونها ثمّ يجمعونها في كتاب واحد يقدّمونهُ لمن يريدون اكرامهُ. وقد سبق لنا في المشرق ذكر تآليف على هذا النمط. واليوم قد بلغنا كتاب وضعهُ قوم من تلامذة الاستاذ نيكول احد علماء كليّة جنيفا الممتاز بمعارفهِ اللغويّة وقراءتهِ للآثار العاديّة. وهو يحتوي على ستين مقالة في مواضيع جمة نظموها في سلك هذه القلادة الدرّيّة التي زانوا بها صدر شيخهم المحبوب بعد ثلاثين سنةً من تصدّرهِ للتعليم. ولا يسعنا هنا ان نعدّد كلّ هذه المقالات التي تشمل كلّ ضروب العلوم من تاريخ ولغة وآثار وصناعة وبينها مصنّفات غاية في الجودة والحسن واحسن ما فيها المقالات التي وضعها بعضهم في الكتابات الاثريّة التي أولع بدرسها المعلّم نيكول وكلها لم تُنشر بالطبع قبل الآن. نخصّ منها

بالذكر كتابةً في المستعمرة اليهوديَّة في الاسكندريَّة وكتابــة في تجهيز عدد من النوق لركوب بعثــة من الجند في الجزيرة · ومعروضًا لامرأة تطلب التعويض عمَّا اصابها من الاذى في حمَّام. وبين هذه الاعمال مقالة مفيدة جدًّا في تزويرات الحجج عند القدماء وفي الوسائل التي كان الفريقان يتَّخذانهــا فرارًا من سوء عاقبتها كوضع التوقيــع والختم وكتابة الحجَّة بيد عامل عمومي وتسجيل هذه القرارات وحفظها عند ناس امنــاء · وكان الاشوريون يكتبون هذه الحجج على لوحين احدهما مقعَّر والثاني اصغر ليدخل فيهِ فبعــد تسجيلهما كانوا يجعلون اللوح الصغير في صوانهِ ويختمون اطرافهُ بالطين ويجعلونها في التنُّور بحيث لا يمكن فتحهــا وتزويرها فكانوا اذا ارادوا مراجعتها فضُّوا الختم فعرفوا حقيقة الامر. وفي الكتاب غير ذلك انَّما هذه الاسطر القليلة لا تفي بمحاسن هذا المجموع الذي ندعو كلَّ محبّي الآثار الى اقتنائهِ ل· ج

كتاب المناهج في النحو والمعاني عند السريان

لمؤلفهِ حضرة القس جبرائيل القرداحي . القس الحلبي اللبنانيّ

طُبع ثانيةً في رومية (سنة ١٩٠٦ ص ٢٣٥)

لم يكد يمرّ علينا ثلاث سنوات (المشرق ٦ : ٤٧٧) منذ ظهر هذا الكتاب بقلم وطنينا البارع حضرة القس جبرائيل القرداحي مدرّس العربيَّة والسريانيَّة في المدرســة الاوربانيَّة الشهير بمطبوعاتهِ السريانيَّة ورسوخ قدمهِ بلغة الآراميين فعرَّفنا اذ ذاك فحوى الكتاب ووصفنا خواصَّهُ وحرَّضنا طلبــة السريانيَّة على درسهِ . وهاءنذا بطبعة جديدة استفاد فيها المؤلف ممَّا عُرض عليهِ من الملحوظات فحسَّن بعض الفصول وزاد في غيرها مضيفًا اليها متونًا وحواشي مفيدة . وكذلك راجع لتنقيح كتابهِ بعض التآليف الحديثة التي نُشرت آخرًا . وقد استحسنَّا على نوع اخص الفصول التي افردها حضرة الكاتب للحروف السريانيَّة فجمع فيهــا من التفاصيل والشروح ما يقرّب فهمها الى الدارسين ويزيل كثيرًا من مصاعبها . وكذلك اعجبنا فيــهِ دقَّة نظر صاحبهِ الفاضل في فلسفة اللغة فتراهُ يبحث عن اصولها ويعارضها باصول اللغات الشقيقة لها . ومجمل القــول انَّ هذا الكتاب من احسن ما وضعهُ الكتبة الموارنــة في نحو السريان ومعانيهم كابن عميرة وابراهيم الحاقلاني والمطوشي فضلًا عن المحدثين كالكفري والرزّي وسيادة المطران دريان يستحقُّ ان يتخذهُ طلبة اللغة السريانيَّة كدستور لدرس لغتهم الشريفة ل· ش

شذرات

نكران الحقائق ما انتهينا من تزييف قول احد مكاتبي البلدة بخصوص المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وتعريبهِ المزعوم لتوراتنا وسبكهِ لحروفنا المطبعيَّة حتى قام يناصرهُ المسمَّى ج. ن. في جريدة مصريَّة وادَّعى بأنَّنا نكرنا الحقائق فارعد وابرق ونفث السمَّ وبصق فما كانت حجَّتهُ اثبت من حجَّة زميلهِ. وعليهِ نكرّر ما قلناهُ سابقًا دون ان نغيّر منهُ حرفًا بأنَّ الشيخ الفقيد لم يعرّب مطلقًا الاسفار المقدَّسة المطبوعة في مطبعتنا وانما اقتصر على تهذيب عبارة المترجم وتصحيحها. وحسبك دليلًا على قولنا ما كتبهُ هو نفسهُ في البشير عن لسان الآباء اليسوعيين ثمَّ نقلهُ في الضياء واليهِ اشرنا في المشرق (ص ١٩٢): « ولم يألُ (اي الشيخ) في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها وضبطها وترصيفها بحيث افرغها من بلاغة قلمهِ في قوالب جاءت بها صور المعاني ممثَّلةً تمثيلًا » فأيمُ الله أيؤخذ من هذه الالفاظ غير ما قلناهُ عن تهذيب العبارة وتنقيحها؟ ألا ترى في قولهِ « تصحيح عبارة الترجمة » انَّ غيرهُ كان المعرِّب. فان لم يقنع الخصم بعد هذا افليس هو الناكر للحقائق؟ وكذا يُقال عن حروف مطبعتنا فانَّ الراهب الذي سبكها لا يزال في قيد الحياة قد سبك ولا يزال يسبك منذ ثلاثين سنة معظم اشكال حروفنا والعملة الذين يساعدونهُ احياء يُرزقون مثلهُ فكأنَّهم شهود على انَّ الفقيد لم يُعنَ الَّا بحفر جنس واحد من حروفنا ولم يتمَّهُ فاصلحهُ الاخ المذكور واكملهُ. فهذه هي الحقيقة وما سوى ذلك يناقضها. فمعاذ الله ان نسلب المرحوم شيئًا من حقوقهِ لكنْ لغيرهِ حقوقًا ايضًا أولى لا يجوز ان نهضمها. والسلام

اثر قديم ارسل الينا جناب الشيخ فريد الخازن هذه الرسالة البديعة كتبها احد الفرنسويين سنة ١٧١٣ وهو فرنسيس الصليبي (François de la Croix) (١

(١ ان كاتب هذه الاسطر هو فرنسيس پاتيس دي لاكروا (Fr. Pétis de la Croix) كان رحل الى الشرق ثمَّ عاد الى باريس وخلف اباهُ في تدريس اللغات الشرقيَّة وفي وظيفة الترجمان من السنة ١٦٩٠ الى وفاتهِ سنة ١٧١٣ ولهُ آثار منها ترجمة كتاب فارسي يُدعى الف يوم ويوم. اما ابنهُ المذكور هنا فاسمهُ اسكندر ولد سنة ١٦٩٨ وتوفي سنة ١٧٥١ وصار كابيهِ وجدهِ ترجمانًا ومدرِّسًا للغات الشرقيَّة

ترجمان دولة فرنسة يطلب منهُ ان يقبل ولدهُ في لبنان ويرعاهُ بنظرهِ ليتعلَّم اللغة العربيَّة وفقًا لمرغوب الملك لويس الرابع عشر

الى حضرة فخر الاماجد والافاضل شمس الاكارم والاماثل المكرم نوفل الخازن (١ سلمهُ الله تعالى

نسيم الصبا بلّغ سلامي صبيحةً على من لهُ في القلب اعلى المنازل

يخص ذلك السلام لمن حُرّر اسمهُ المجيد اعلاه قدر الله لنا قبل المات لقاه كما قال عز من قائل

رسائل الشوق لا يقضى لها مدد والاذن تعشق قبـل العين احيانا

فلما تنسم صبا الشوق في نفحات الاسحار. وقد اهدى البريد لنا انوار الصحة وحسن الاخبار. فتلقَّيناهُ بالتقبيل والقبول. وقلنا لهُ أنعم من رسول. فلمَّا فككنا الختام. قلنا لهُ عليك السلام. فلاح لنا كثر خفيّ. انوارهُ مضيَّة. يخبر عنهُ اخلاق الامير القونصل الرئيس في تلك القضيَّة. فاخبرتنا ألسن الخاص والعامّ. وعلى الخصوص الشمَّاس اندريا الراهب (٢ المرسول (كذا) من عند المطران يوسف (٣ سلمهُ الله ورعاه عن اوصافكم الحميدة. وخصائلكم الجيدة. فازداد فرحنا من بعيد. وجعلنا ذلك اليوم عيد (كذا). فاقول اهديك سلامًا تعجز عن حملـه اعناق الصبا وألسنة البلغاء سلامًا ارق من نسيم الاسحار وتغريد الاطيار. والذّ من نشيد الاشعار ونغمات الاوتار. الى ذلك الرحب السعيد يُجدى. والى الجاه المديد يبدى. ذو الايادي التي تزاحمت الافواه على تقبيلها. ومن مدح في باب الخير تعجيلها. فالمراد من تحرير ورقة العبودية والانقياد شكركم عن مكتوبكم السالف جزاكم الله عنا خيرًا وخرطنا في سلك احبابكم مع الاخلاص وان امرتمونا بخدمـة لائقة فايقنوا باطاعة فائقة لندخل تحت ظل مودتكم الرائقة ونتشرَّف بمحبتكم الشائقة. وقد نوى الملك المجيد حفظهُ الله ان يرسل ولدنا الذليل الى بلاد الشرق ليتعلم بالسن تلك النواحي والديار كما كان بعثنا في ايام الشبوبية واذا صار ذلك فنأمرهُ بالرواح الى جبل لبنان حتَّى يقبّـل اياديكم الشريفة من قبلنا فالمراد تقبلوا تجرُّؤنا بمكاتبتكم ومقصودنا نُعَدّ من جملة العبيد والخدَّام حرر

حرّر من محروسة باريس في ٥ شهر تموز سنة ١٧١٣ والسلام

من العبد الداعي فرنسيس الصليبي
ترجمان الملك عُفي عنهُ

عيسى المزار هو القوَّال الذي سبق لنا الكلام عنهُ في المشرق غير مرَّة (٧:١٠٩٦ و ٩:١٠٩٨–١١٠٤ و ١٠:٩٥) فبقينـا في ريب عن طائفتهِ

---

٢) الشيخ نوفل الخازن صار قنصلًا لدولة فرنسة في لبنان من السنة ١٧٠٨ الى ١٧٥٣

١) كان الاب اندراوس مرسلًا كبُوجيًّا

٢) هو يوسف ضرغام الخازن الذي صار بعدئذٍ بطريركًا على الطائفة المارونيَّة سنة ١٧٣٣ وتوفي سنة ١٧٤٢

أسرياني هو ام كلداني وهاءنذا برأي ثالث لحضرة الخوري قسطنطين باشا الذي يرتأي انهُ كان من الروم الملكيين · واخصّ براهينهِ لبيان ذلك وصف عيسى الهزار لصيدنايا وذكرهُ للبطريرك يواكيم · قال حضرتهُ: « وصيدنايا كانت للروم الملكيين لا للسريان (١ ويواكيم هــذا بطريرك رومي ملكي وهو يواكيم ضوّ الرابع من اسمهِ وكان عيسى في خدمتهِ ورافقهُ في رحلتهِ الى بلاد الروس سنة ١٥٨٤ ولــهُ قصيدة في وصف هذه السياحة » قلنا انهُ يصعب توفيق هذا الرأي مع ما اوردناهُ في المشرق عن اصل عيسى الهزار من العجم وذكرهِ للسريان وقول صاحب مخطوط رومية انــهُ كان من اليعاقبة · ولعلّ هذا المشكل يمكن حلّهُ بقولنــا انّ عيسى المذكور كان اصلهُ من السريان فلمّا جاء من العجم وزار صيدنايا والقدس الشريف انحاز الى الروم وصار منهم · امّا القصيدة التي ذكرها حضرة الخوري قسطنطين فلدينا منها نسختان وهي الى النثر اقرب من الشعر يُقرأ في اوّلها اسم كاتبها وهو يُدعى المطران عيسى ولا يقال لهُ الهزار وهذا حرفهُ:

نبتدي بعون الله تعالى نكتب قصيد للمطران عيسى تلميذ الاب البطريرك كير يواكيم المتنيّح قالها لما مضوا الى بلاد الروس والمصكو والفلاخ وغيرهم ويصف الكنائس التي جم والديورة والنواقيس والجملات والمحاسن وغيرهم

(ثم قال) نبدا باسم الاهاً واحدًا (كذا) بالذات · ربًا تعالى بملكهِ رافع السماوات . . .

اسئلة واجوبة

س سألنا احد القرّاء عن معاني بعض الفاظ وردت في الفصول الطبيّة التي اثبتناها في العدد السابق وهي « اطريفل وافتيمون وجلنجبين وزيراج وسكنجبين وشيرخشت »

شرح الفاظ طبيّة

كلّ هذه الالفاظ اعجميّة فالاطريفل من اللاتينيّة « trifolium » نوع الحندقوق والافتيمون من اليونانيّة « ἐπίθυμον » نبات شبيه بالصعتر وقيل هو هناةٌ تنبت عليهِ · والجلَنجبين من الفارسيّــة « گل وانگبين » هو الورد المربّى بالعسل · والزيراج من الفارسيّة « زيرا » طعام من اللحم وثمر شجرة الزرشك مع كمّون وخلافه · والسكنجبين من الفارسيّة « سك وانگبين » شراب من الخلّ والعسل او السكّر · والشيرخشت او الشيرخشك هو عسل الطلّ اعني المنّ الذي يتكوّن على بعض الاشجار ل · ش

---

١) في مقالة جناب الاديب حبيب افندي زيّات (المشرق ٢ : ٥٨٨) ما يدلّ على انّ هذا الدير كان مدّة في يد السريان

المشرق



جمعة الآلام في الكنائس الشرقيَّة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

ينتهي الصوم الاربعيني في الكنيسة بذكر الاسرار الرهيبة والاعمال العجيبة التي اتاها السيّد المسيح قبل ان يعود الى ابيهِ السماويّ . وقد خصَّ التقليد الرسولي لهذا التذكار الجليل جمعةً كاملة ليطبع المسيحيون في قلوبهم سر الفداء الذي لاجلهِ كان تجسُّد ابن الله وتصرُّفهُ مع البشر مدَّة ثلاث وثلاثين سنة . ذلك كان العمل العظيم الذي اشار اليهِ اشعيا في نبوَّتهِ (٦٢ : ١١) فجعلهُ الرب امامهُ ليتمَّهُ . تلك كانت الوصيَّة التي قبلها من ابيهِ (يوحنَّا ١٠ : ١٨) ليبذل نفسهُ دون الخطأة . والصبغة التي كان يتوق الى الاصطباغ بها فيتضايق حتى تكمل (لوقا ١٢ : ٥٠)

وقد عرفت الكنيسة عظم هذه الأحداث فلم يمكنها ان تتغاضى عنها لا بل عليها بنت كلّ طقوسها ورتبها الدينيَّة فلا تكاد تجد في صلواتها ومناسكها عملًا واحدًا الّا وفيهِ ذكر صريح او اشارة وتلميح الى تلك الاسرار ولا سيما في الذبيحة الطاهرة التي يُقدّمها الكهنة بلا انقطاع في كلّ اطراف المسكونة . وانما ارادت فضلًا عن ذلك ان يُخصَّص اسبوع تامّ لتجديد ذكر عمل الفداء فتكون كل افكار ابنائها منقطعةً الى ما قالهُ وفعلهُ الحمَل الرافع بموتهِ خطيئة العالم (يوحنَّا ١ : ٢٩) وقد وضعت الكنيسة لهذه الغاية عدّة صلوات ورسوم من شأنها ان تبعث في القلوب عواطف التُّقى

وشواعر الحبّ والشكر نحو من تنازل وقدّم نفسهُ ضحيّة عن الجبلة الآدميّة . وليس مقصودنا في هذه النبذة سوى ذكر بعض العادات التقويّة التي جرت في كنائس الشرق في هذه الأيام المباركة بنسبة وقوعها في التقويم في هذا الفصل من السنة

*

﴿ اسماء هذا الاسبوع ﴾ لهذه الجمعة السابقة لعيد الفصح اسماء متعدّدة تدلُّ كلّها على شرفها وسموّ مقامها في اعين المسيحيين. واوّل هذه الاسماء الجمعة العظيمة او الجمعة المقدّسة دعوها بذلك لما يُقام فيهـا من الرُّتب الحافلة ويُذكر من الاسرار القدسية ولما يمارسهُ النصارى من اعمـال الصلاح استعدادًا لاحد القيامة . وقد اوضح ذلك القديس يوحنّا فم الذهب في ميمرهِ الموسوم بخطبة الجمعة العظيمـة (Migne, PP. GG., LV, 1037) قال :

« انّ هذه الجمعة الكبيرة هي لنا بمثابة المرفأ للمسافرين بحرًا والسَّبَق لمن يسابقون في الميدان والاكليل لمن يتصارعون في الملعب. فهكذا الاسبوع الحاضر فانهُ لنا رأس كل خير نحصل بـهِ على الاكلّة الموعودة . وانّنا ندعوهُ بالاسبوع الكبير لا لطول ايّامهِ بل لعظم المآثر التي اصطنعها الربّ فان فيه بطل حكمُ ابليس وكُسر مهماز الموت وولّى مدبرًا ذاك العدوّ القويّ وبادت اسلحتهُ . فيهِ انتسخت الخطيئة وسقطت اللعنة وانفتح باب النعيم وصارت سبيلهُ ممهَّدةً وتلاشى ذاك الجدار الفاصـل بين الملائكة والبشر وأُميط الستر الحاجب للجلال الالهي فاتى الربّ بالسلام للسماء والارض »

وقد شاعت اسماء اخرى لهذا الاسبوع الكبير فدعتهُ ايضاً الكنيسة اليونانيّة اسبوع الآلام المُحيية والاسرار الخلاصيّة. وكذلك الكنائس السريانيّة تدعوه باسبوع الحاش اي الآلام. ومن اسمائهِ جمعة الغفران لأنّ الاساقفة كانوا يصلحون في هذه الأيام التائبين مع جماعة المؤمنين بعد فروغهم من التأديبات الكنسيّة المفروضة عليهم لخطاياهم . وكان قياصرة الروم والامبراطرة ينفذون في هـذا الاسبوع رسائل الى عمّالهم ليطلقوا سراح الاسرى والمسجونين اقتداء بمثـل السيد المسيح الذي بآلامهِ فكّ اسر البشر وخلّصهم من قيود الجحيم. ودُعي هذا الاسبوع بالاسبوع الفارغ (ἑβδομὰς ἄπρακτος) يريدون خلوّهُ من الاعمال الشرعيّة في المحاكم. واليهِ ايضاً اشار القديس يوحنّا فم الذهب في خطبتهِ المذكورة. قال:

« ولسنا وحدنا الذين نكرّم هذه الجمعة الكبيرة بل يعظمها ايضاً ملوكنا المسيحيّون اذ يأمرون

بابطال المحاكمات والدعاوي ليتفرَّغ الجميع للاعمال الروحيَّة ويفكّر العبيد في اصطناع المبرَّات فيشاركوا الربَّ في مساعيهِ الخطيرة »

﴿ افتتاح جمعة الآلام ﴾ يكون افتتاح جمعة الآلام بذكر دخول السيّد المسيح في اورشليم بالرونق والابّهة يوم ركب الاتان في بيت فاجي فسار الى القدس الشريف مصحوباً بقوم من بني اسرائيل كانوا تقاطروا اليهِ بسعف النخل وبسطوا ثيابهم في طريقهِ وصرخوا متهلّلين: هوشعنا بابن داود مبارك الآتي باسم الرب . فذلك احد الشعانين وعيد النخل او الزيتون قد سبق لنا في المشرق (٨ : ٣٣٧) وصف حفلاتهِ ورتبهِ فلا نرى حاجةً الى تكرار ذكرها

﴿ النصف الاوَّل من اسبوع الآلام ﴾ وهي الاثنين العظيم والثلاثاء العظيم والاربعاء العظيم تبتدئ فيها الكنيسة بذكر الامور التي جرت بين الشعانين والعشاء السري فكانت كتهيئة قريبة للآلام . وترى في طقوس كلّ الكنائس ما يُشعر بالحزن والكآبة فتُقرأ الفصول من اسفار العهد العتيق التي فيها نبوَّات عن آلام المخلّص كبعض فصول اشعيا وارميا وكقصَّة يوسف الحسن واسرهِ اذ كان رمزًا عن المسيح المبيع من شعبهِ . وكذلك تُتلى امثال الانجيل التي تُشير الى رذل الشعب اليهودي كمثل التينة التي لعنها الربّ ومثل العذارى الحكيمات والجاهلات وذكر خيانة يوداس ويتلون فصل المرأة التي دهنت رأس المسيح بالطيب ذكرًا لدفنهِ . وكلّ هذه الرسوم قديمةٌ ترتقي الى القرون النصرانيَّة الاولى قد جاء وصف كثيرٍ منها في الرحلة المنسوبة للقديسة سيلفية في القرن الرابع للمسيح في اثناء زيارتها للقدس الشريف وكانت حضرت هذه الرتب فوصفتها عن عيان

ومما رواهُ ابن سباع القبطي في القرن الثالث عشر في كتابهِ الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة (ص ١٦٠) : انَّ القبط في هذه الايام كانوا يمتنعون عن التقديس وعن رفع البخور وتجنيز الموتى وانهم كانوا يصلُّون خارجاً عن الهيكل . وقد علَّل ذلك بقولهِ انَّ بني اسرائيل على حسب امرهِ تعالى (خروج ١٢ : ٢٨—٣٠) كانوا يشترون خروفاً حوليًا في العاشر من الهلال ويذبحونهُ عند مغيب الشمس في الرابع عشر منهُ . وكذلك المؤمنون بالمسيح يبطلون القداس او الذبيحة في هذه الأيام الثلثة « لان القداس فيهِ خروف الله يسوع المسيح المذبوح عن خطايا العالم » . وكذلك علّل صلاتهم خارجًا عن

الهيكل في هذه الأيام بقولهِ : « وسبب صلاتهم خارجاً عن الهيكل في هذه الثلاثة أيام هو لأن المسيح قد تألم خارج المدينة كما قال الرسول (عبر ١٣ : ١٣) : « فلنخرج معهُ خارج المحلة حاملين عارهُ (اي صليبهُ) . فلذلك رتبت آباء الكنيسة أن يصلَّى كل هذا الاسبوع خارجاً في الخورس الاوسط »

ومن غريب عادات بعض نصارى هذه البلاد أنهم ينقعون يوم ثلاثاء اسبوع الآلام الماء بالزهور ويغتسلون بهِ في الاربعاء ويزعمون انها بركة تردُّ عنهم عدَّة امراض كالرمد وغير ذلك . ومنهم من يستحمُّ في هذا النهار في البحر . وهم يدعون هذا الاربعاء اربعاء أيوب . وقد وجدنا وصف هذه العادة في كتاب المدخل لابن الحاج في القرن الرابع عشر لكنهُ يجعلها في يوم سبت النور قال (١ : ٣٠٦) : « فمن ذلك ما يفعلونهُ في سحر ذلك اليوم وهو انهم يجمعون في امسهِ ورق الشجر على انواعها حتى الريحان وغيره فيبيتونهُ في اناء فيهِ ماء ويغتسلون بـهِ ثمَّ يأخذون ما اجتمع من غسلهم ويلقونهُ في مفرق الطريق ويزعمون انَّ ذلك يذهب عنهم الامراض والاسقـام والكسل والعين والسحر . . . » والظاهر انَّ هذه العادة قد بطلت اليوم عند الاقباط لكنهم يصطنعون الاربعاء فريكاً ويوزعونهُ على المحتاجين . ومن عادات بعض اهل الشام انهم يحجبون في هذا النهار المرايا

وفي مساء هذا يوم الاربعاء تقدّم الكنيسة الغربيَّة صلاة الليل القانونيَّة المعروفة بالظلمات دُعيت كذلك لأنهم يطفئون في اثنائها الشموع الموقدة امَّا تنويهاً بالظلمة التي امتدَّت على وجه الارض بكسوف الشمس عند موت المسيح وامَّا اشارةً الى حزن الكنيسة لموت الرب شمس البرّ ونور العالم . وقيل ايضاً انَّ هذه الانوار المطفأة تدلُّ على تبدُّد التلاميذ وخذلانهم للمسيح وقت آلامـهِ ولذلك يتركون شمعةً غير مطفأة يحجبونها وراء الهيكل يرمزون بها الى البتول مريم التي وحدها حفظت في قلبها الايمان بلاهوت ابنها رغماً عمَّا اصابها من الاكدار والاحزان . وقال آخرون انَّ الشمعة الموقدة المحجوبة يُقصد بها دفن المسيح واحتجابهُ في قبرهِ ثلاثة أيام . وهذه الرتبة كانت شائعة في القرون الاولى في كنائس الشرق فاستعارتها منها الكنيسة الغربيَّة

﴿ خميس الاسرار ﴾ نُسب هذا الخميس الى الاسرار لأنَّ فيهِ كما قال يوحنا الرسول قد احبَّ الربُّ رسلـهُ فاظهر لهم الحبَّ الى منتهى الغاية فرسم تلك الاسرار العجيبة التي اورثها كنيستهُ الى آخر الاجيال . ويسمَّى ايضاً يوم الخميس الكبير والخميس

المقدَّس وخميس الفصح قال ابو الفداء (١ : ٩٦) «لأنَّ المسيح افصح فيهِ بالخبز والخمر» ويدعوهُ السريان خميس الاسرار (ܚܡܫܐ ܕܐܪ̈ܙܐ) . ويُعرف ايضاً بخميس العهد وهكذا دعاهُ المقريزيّ في الخطط (١ : ٤٩٥) قال : «ويسمّيهِ اهل مصر العامّة خميس العدس ويعملهُ نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة ايّام ويتهادون فيهِ (١)» . امّا سبب تسميتهِ بخميس العدس في مصر فعلّلهُ ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٥) بقولهِ : «انَّ نصارى مصر كانوا يستعملون العدس المصفّى ويتحرَّونهُ في ذلك اليوم وكانوا يزعمون انَّ من لم يفعلهُ منهم تشوّش هو واهلهُ»

ومن مخصوصات هذا العيد ذكر العشاء السرّي الذي اقامهُ الرب مع تلاميذهِ وابطل فيهِ الفصح القديم ورسم فصحاً جديدًا فأعطى جسدهُ ودمهُ الطاهرين مأكلًا ومشربًا لذويهِ بدلًا من الحمَل الفصحيّ الذي كان مرموزًا بهِ عنهُ . فكل الكنائس في هذا اليوم تحتفل بهذا السرّ احتفالًا عظيماً وكان المسيحيّون في القرون السابقة ينقطعون فيهِ عن كلّ الاشغال المادّيّة كما في الاعياد الكبيرة ثمّ جعلوهُ نصف عيد لاسيما منذ جرت العادة لإكرام سرّ القربان في موسم بهيج في الخميس التالي لخميس الصعود فبقي خميس الاسرار مختصاً بذكر العشاء السرّي

ولا يُقام في هذا النهار غير قدّاس واحد لكنهُ يُتلى بكل رونق وبهاء . والكهنة الحضور يقبلون القربان الاقدس من يد الاسقف او الرئيس المتولّي الحفلة يشيرون بذلك الى العشاء السرّي حيث المسيح وحدهُ رسم القربان بصفة كاهن العهد الجديد وقبلهُ التلاميذ من يدهِ . وكانت العادة في القرن الرابع ان يُقدَّس في هذا النهار وحدهُ على الجلجلة وراء المكان الذي نُصب فيهِ الصليب كما ورد في رحلة القديسة سيلفية (Gamurrini : *S. Silviæ peregrinatio*, 93)

واعلم انَّ في صلوات الكنائس الشرقيّة في هذا النهار ادلّةً لا تُحصى وحججاً دامغة على اعتقاد المسيحيّين باستحالة الخبز والخمر الى جسد ودم السيّد المسيح مع وجود طبيعتيهِ تحت اعراض هذه الاشكال المحسوسة . ولو اردنا ذكر هذه الشواهد لطال بنا

١) وقال ايضاً : «انهُ كان من جملة رسوم الدولة الفاطميّة في خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهباً وعشرة آلاف خرّوبة وتفرقتها على جميع ارباب الرسوم»

المقال (١ وكفاك ان تعرف انَّ للكنيسة القبطيَّة موعظةً في القربان المقدَّس اثبتها ابن سباع في كتابهِ الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة (ص ١٣٢—١٣٦) تُقرأ في هذا النهار (ص ١٦١) يقول في اثنائها:

« انَّ الرب بقولهِ جسدي مأكل حقّ ودمي مشرب حقّ أباح لنا ان نأكل جسدهُ ونشرب دمهُ الحقيقيين وليس مجازيًّا ولا استعارةً ولا كناية ومن ذلك يتسبَّب لنا اتصال حياتنا الابديَّة ونثبت فيه وهو يثبت فينا فلا يلزمنا اذًا ان نتأخر عن اكل جسدهِ وشرب دمهِ »

وكذلك يشهد البطريرك النسطوريّ ايليا الثالث المعروف بابي حليم في ترجامهِ الثالث عشر (طبعة الموصل ١٠٩—١١٧) الذي لهذا اليوم. وفيهِ يقول:

« اعلموا انَّ فصحنا نحن معاشر الابناء. كما قال بولس رسول السماء (١ قور ٥: ٨) ليس هو بخمير العتق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الخلوص والحق. ليس كالفصح الاعتق الخليق. ولكن بدم السيد المسيح الذي سُفك عن كلّ الخلائق وأُريق. هو الاضحيَّة الناطقة التي تطهّرنا من دنس الآثام بدمها وتخلّصنا من آثار الذنوب والاجرام بآلامها. وذلك بانَّ مخلّصنا لمَّا اكل الفصح الفطيري واكمل ناموس القصاص. قرَّر قواعد فصحهِ السرّي مع التلاميذ الخواص. واخذ خبزًا ادرَّ عليهِ منابع البركات. ونثر عليهِ من قدسيّ فمهِ شذور الدعاء ودُرَّ الصلوات. قائلًا هذا جسدي المبذول عن قاطبة الخلائق. والاضحيَّة التي اضحت خاطبةً لغفران الخطايا من لدن الخالق. ثمَّ اخذ كأسًا من الرحيق. وقال انَّ هذا لدمي على التحقيق. فمن شرب منهُ فاز بالحياة الابديّة. وأُعدَّ لهُ سرادق العزّ والاكرام في المراص الملكوتيَّة. هذا هو الخبز النازل من سماء العزَّة. وملبّس القلوب والاذهان اسنى بزَّة. . . . »

والمسيحيُّون في الغالب لا يكتفون بحضور هذه الرتب لكنَّهم يتقرَّبون ايضًا من الاسرار وتلك عادةٌ بل سنَّة شاعت في كنائس الشرق كما في الغرب. وقد وجدنا شاهدًا على ذلك في كتب العرب قال ابو الفرج الاصبهاني في ترجمة عديّ بن زيد الشاعر العبادي (في كتاب الاغاني ٢: ٣٢) يذكر هند ابنة المنذر: « وخرجت (هند) خميس الفصح وهو بعد الشعانين بثلاثة أيام تتقرَّب في البيعة »

وفي آخر القداس يُحمل القربان الاقدس في موكب حافل وبرتبة جليلة الى مكان مزدان بالشموع وضروب الاقمشة والانسجة الثمينة والآنية الفاخرة فيُصمد الى اليوم الثاني وهناك يتوارد المسيحيون لتأدية فرائض السجود دون انقطاع

---

١) من اراد كلامًا مطوَّلًا في ايمان الكنائس الشرقيَّة بسرّ الاستحالة عليهِ بفصول مسهبة للعلّامة البطريرك مار اسطفان الدويهيّ في كتاب منارة الاقداس الذي طبعهُ في مطبعتنا الاستاذ الفاضل رشيد افندي الخوري الشرتوني (ج ٢ ص ٢٢٥—٢٩٩)

ثمَّ تُعرَّى المذابح من كسوتها برُتب معلومة في الكنيسة اليونانيَّة وتُغسل غسلاً نعمًا بالماء الحارّ ثم بالماء المطيَّب يشيرون بذلك الى تطييب جسد المسيح بعد صلبهِ

ومن الرُّتب الشائعة في هذا اليوم عينهِ رُتبة غسل الأَرجل يقوم بهــا الاسقف او احد كبار الرؤساء والكهنة فيمثّلون احسن تمثيل غسل الرب لاقدام تلامذتهِ بعد اكلهِ للفصح العتيق كما اخبر يوحنَّا في انجيله . وقد أَلف هــذه العادة الاحبار الرومانيون فيتمّمون وصيَّة الربّ بغسل الاقدام لاثني عشر شمَّاساً ولاثني عشر فقيرًا وكذلك جرى على هذه العادة ملوك النصرانيَّة في الزمن القديم ويجري عليها في يومنا امبراطور النمسا اقتداء بمثل السيد المسيح فيغسل ارجل الفقراء اتّضاعاً

ومذ هذا اليوم تضاعف الكنيسة اكتئابها وحزنها فيُحجب في كنائس الشرق الهيكل بالاستار وتُغلق ابوابهُ . ويمثلون على الاستار شعائر الآلام . ولا يتركون على المذابح سوى الصليب وحدهُ

ومن خواصّ هذا اليوم ايضاً تقديس الزيت الذي تتخذهُ الكنيسة في اسرارها وهذا الزيت على ثلاثة ضروب فمنهُ زيت المرضى للمسحة الاخيرة . ومنــهُ زيت الميرون يُستعمل في منح الاسرار الثلثة اي العماد والتثبيت والكهنوت . ومنهُ زيت الموعوظين يُتَّخذ في سرَّي العماد والكهنوت وفي مسح الملوك . ولها كلها بركة رُتب طويلة وبهيَّة يقوم بها الاسقف وعدد عديد من الكهنة والشمامسة . وكان البطريرك وحدهُ في كنيسة القسطنطينيَّة يتولَّى تقديس الزيت بأُبهة عظيمة يساعدهُ فيها المطارنة والاساقفة . ويتأَنقون بتركيب الميرون فيدخلون في مادَّتهِ نحو اربعين شكلًا من الطيوب والافاويه (١) . وكثير من هذه الرتب ترتقي الى قرون النصرانيَّة الاولى كما يظهر من شواهد مختلفة للآباء الاولين كالقديسين قبريانوس وباسيل وافرام وجلاسيوس ونصوصهم تدلُّ على ان ذلك تقليد متواتر يرتقي الى أَيام الرسل (مرقس ٦ : ١٣ ويعقوب ٥ : ١٤) . ولم يكن في اوَّل الكنيسة يوم محدود لرتبة تقديس الزيت والميرون ثم خصُّوا بهذه الرتبة سبت النور ثمَّ نقلوها الى خميس الاسرار . وكانوا اوَّلًا لا يباركون غير الميرون في هــذا اليوم . ثم اخذوا بتبريك الثلاثــة الاصناف من الزيت المقدس تيسيرًا للامر . وكذلك جعل الاساقفة الشرقيون يفوّضون الكهنة في تبريك الزيت والميرون

١) اطلب صورها في الافخولوجيون الكبير (ص ٣٩٧)

ومما كانت ايضاً تحتفل بهِ كنائس الشرق في مساء هذا النهار ذكر صلاة الرب في بستان الزيتون وتسليم المسيح لاعدائهِ على يد يوداس التلميذ الخائن وكانوا يتلون في ذلك المساء التسابيح والصلوات وينشدون الاناشيد وربما اتخذوا كاهناً يمثل لهم حسيًا تلك الأحداث. وقد اخبرت صاحبة رحلة القدس السابق ذكرها انَّ هاتين الرتبتين كانتا جاريتين في اورشليم مساء يوم الخميس وانَّ الشعب كلهُ كان يبكي ويعول اذا ما رأى يهوذا الاسخريوطي مسلماً سيدهُ للموت

﴿ الجمعة العظيمة ﴾ هذا اليوم كلهُ للحداد والحزن والتوبة وذكر الآلام التي احتملها ابن الله بمشيئتهِ لخلاص البشر. وكانت الكنيسة في سالف الاعصار تقضي الليل كلهُ في اقامة هذه الاسرار لتشارك المسيح في اوجاعهِ. وكانوا لا يستثنون من هذه الفريضة احدًا حتى الاطفال فوق السابعة من سنّهم. ولنا شاهد على ذلك في رواية القديسة سيلفية عن ليلة الآلام في القدس (ص٩٤) وفي صلوات الفنقيط في كنائس السريان وهي تستغرق الليل كلهُ. وكذا كانت تفعل بقيَّة الكنائس شرقًا وغربًا

ومن شارات هذا الحزن العظيم سجود الكهنة بخرورهم على الوجوه يمثلون بذلك كآبة المسيح في بستان الجسمانية. ومنها لبسهم الحلل السود وهو لون الحداد. قال الدويهي في منارة الاقداس (٢: ٤٤٢): «ولاجل هذا الحزن الشديد رسمت البيعة عند ما نصنع تذكارهُ ان ترتفع المراوح ويبطل دُخان البخورات وتُطفأ المنائر وتُغلق ابواب القدس ويصمت الشمامسة عن الترتيل ورأس الكهنة ينزع عنهُ تاج الكرامة وبطرشين السلطة ويترك عصا الرعاية. وكاليمامة التي فقدت قرينها ينوح في السرّ اذ يرسم بالجوهرة صلبان الآلام والموت فوق الدم المسفوك في الكأس». وكل هذه امائر الحزن رموز الى ما لحق بالمسيح من الاوجاع او ما حلّ بالطبيعة من الاكدار لموتهِ على ما ذكر الانجيليون

وفي هذا النهار تبطل الذبيحة في كلّ المسكونة فلا يقدّس غير القربان السابق تقديسهُ يوم الخميس يريدون بذلك انَّ ذبيحة الصليب الدمويَّة هي التي تقوم مقام كلّ الذبائح غير الدمويَّة التي تقدَّم على المذابح ومقام ذبائح العهد العتيق التي بطلت بموت المسيح كما ورد في نبوَّة دانيال (٩: ٢٧). وكانوا يبدلون الذبيحة بأدعية مستطيلة يرفعونها الى الله لاجل المسكونة كلها من مؤمنين وغير مؤمنين لا يستثنون من ذلك

عبَدة الاصنام واليهود . وهذه الادعية قديمة جدًّا ذكرها القديس لاون الكبير في القرن الخامس

وفيهِ ايضاً رفعُ الصليب وعرضهُ على كل الحضور ليقدّموا لهُ السجود الواجب لانهُ الراية التي بها انتصر ابن الله على قوّات الجحيم وبها فتح لنا السماء الموصد بالخطيئة الجدّيّة . وبعد السجود يُنصب الصلبوت على الهياكل ليكرَّم فتُجمع امامهُ الشماعد الموقدة ويُقدَّم لهُ البخور وتُتلى امامهُ المزامير والصلوات . والقبط يقولون كيرياليصون اربعمائة مرَّة مئة مرّة لكلّ من الجهات الاربع مع ضرب المطانيات او السجود ثمَّ يدورون حول الهيكل بالصور والصلبان ثلاث دورات . وفي بعض الطوائف يمثّلون الظلمات التي انتشرت على جميع الارض يوم موت المسيح فيطفئون كلّ الشموع عشاء فلا يُرى غير الصليب ويصوّرون الشمس مكسوفةً والقمر مخسوفاً بصناعة دقيقة تحيك في القلوب وتبعث التقوى في النفوس . وروت القديسة سيلقية في رحلتها انَّ اسقف اورشليم كان في مساء هذا النهار يعرض على اهل المدينة ذخائر الآلام ولا سيما قطعة الصليب المقدَّس فيكرمها الجميع بالتقبيل والسجود

وممّا يعمّ الكنائس الشرقيّة كافَّةً رتبة الدفن . وذلك انَّ المؤمنين يجتمعون اصيل النهار فتُتلى صلوات شتَّى تذكّر بآلام المسيح وربُما خطب الخطباء في سرّ الفداء وفي موت الرب على الصليب . ثمَّ يفكّون صورة المصلوب عن صليبهِ ويغسلونها بالماورد ويلفّونها في ستر ابيض شبه الكفن ويجعلونها على نعش مزيَّن بالزهور يحملهُ الكهنة وينقلونها بموكب عظيم يتقدَّمها الاكليروس بالمباخر ويتغنَّى الشمامسة والشعب بالالحان الشجيَّة ذات المعاني البليغة والالفاظ الرخيمة والعبارات المؤثّرة المقتطفة من اقوال الآباء والملافنة . فاذا بلغوا الى القبر وهو عبارة عن مقام داخل الهيكل مزيَّن بالزهور وضروب الحليّ في وسطهِ شبه تابوت يُضجعون المصلوب فيهِ على المخمل بين الرياحين ووجههُ الى الشرق ثم يقفلون القبر بوضع الختوم عليهِ كما فعل اليهود بقبر المسيح . فيبقى المصلوب هناك الى رتبة القيامة يتقاطر اليهِ الشعب ليكرّموهُ في قبرهِ

وقد زاد البعض منذ سنين حفلة درب الصليب اخذوها عن المرسلين اللاتينيين فاضافوها الى طقوسهم وجعلوها كمسك ختام هذا اليوم العظيم

﴿ السبت الكبير ﴾ ويُدعى ايضاً السبت المقدَّس وسبت الدفن وسبت النور .

وهو جامع بين الحزن والفرح فالحزن اشارة الى دفن السيد المسيح والى كآبة تلاميذه وامّهِ الطاهرة بعد موتهِ . والفرح بظفر الربّ من الموت وفرح نفسهِ السعيدة عند حلولها في جحيم اليَنبوس لتبشّر الآباء بالخلاص وتفكّ اغلالهم . ويدخلها شيء من فرح القيامة لأنَّ الرُّتب التي تُقام فيها كان حقَّها ان يُحتفل بها ليلًا ثمَّ قدَّمتها الكنيسة واقامتها في النهار لئلّا تثقل اعباؤها على المؤمنين

واوَّل ما يختصُّ بهذا العيد بركة النار الجديدة . فانَّ الانوار كانت تُطفأ في الليلة السابقة اشارةً الى الحزن والكآبة فاتَّخذت الكنيسة لايقادها رتبةً خاصَّة بصلوات معلومة تُتلى في خارج الكنيسة ومنها توقد بقيَّة الانوار مباشرةً بالمشعل المثلَّث الشُّعَب رمز الثالوث الاقدس ثمَّ الشمع الفصحيّ الذي هو رمز القيامة ويوقد في الحفلات الكبيرة الى عيد صعود الربّ ثمَّ قناديل الكنيسة وكلُّ ذلك بصلوات تقويَّة تشير الى السيّد المسيح الذي بقيامتهِ بدَّد الظلمات التي كان العالم متسكّعًا فيها قبل مجيئهِ ولذلك دُعي هذا النهار سبت النور . وقد روى بعض الكتبة الثقات انَّ هذه النار الجديدة ظهرت في بعض السنين السالفة بطريقة عجيبة في القدس الشريف في كنيسة القبر المقدس . امَّا ما يزعم الزاعمون انَّها لا تزال حتى اليوم تتَّقد هناك بالمعجزة فلا اصل لهُ البتَّة ولم يَعد احد يصدّقهُ غير السذَّج من العامَّة

ومن رُتب هذا العيد عماد الموعوظين الطالبين التنصُّر فانَّ الكنيسة تمنحهم هذا السرّ خصوصًا في سبت النور وهو يوم أليق من سواه لذلك لانهُ واقع بين موت المسيح وقيامتهِ فكذلك المعموديَّة تُجيز الانسان الذي ينالها من موت الخطيئة الاصليَّة الى قيامة الحياة والتبنّي لله . فيدفن الخاطئ في مياه المعموديَّة الرجلَ العتيق ليلبس الرجل الجديد كما قال الرسول في رسالتهِ الى اهل كولسّي (٢ : ١٢) : « دُفنتم مع المسيح في المعموديَّة التي فيها ايضًا أُقِمتم معهُ بايمانكم »

وهذه رتبة العماد تتمُّ بكل رونق وبهاء في الكنائس الكاتدرائيَّة فيذكّرونهم بعظم السرّ الذي يطلبونهُ ثمَّ يتلون عليهم صلوات التعزيم لينجوا من قوَّات الارواح الشرّيرة ثمَّ يدهنونهم بزيت الموعوظين . وبعد قراءة اثني عشر فصلًا من النبوَّات التي تشير الى المعموديَّة وتجدُّد الانسان بالنعمة يباركون اجران المعموديَّة ثمَّ ينصّرون الموعوظين بمنح سرّ العماد ويمسحونهم بالميرون ويلبسونهم الثياب البيض دلالةً على ثوب البرارة الذي كسا

بهِ الله نفوسهم ويتقرَّبون آخرًا من سر القربان. اما الكنائس التي لا يُمنح فيها العماد فتقتصر على طلبات القديسين

ومن الرُّتب الجليلة التي ألفتها الكنائس السريانيَّة في هذا النهار رتبة المسامحة يجتمع فيها الاكليروس مع العالميين وبعد تلاوة الصلوات والتماس الغفران عن الذنوب من مراحمهِ تعالى يخرّ الرئيس على الركب ويطلب ثلاثاً من الحضور المسامحة عن سيئاتهِ وكذلك يفعل الشعب فيستعدُّون بذلك لعيد القيامة المجيد بالمحبَّة واتّفاق القلوب

وفي جميع الطوائف الشرقيَّة يحتفلون يوم سبت النور او صباح القيامة برتبة فتح القبر والبعض يدعونها رتبة السلام فيذهبون بموكب عظيم الى القبر ويفضُّون الختوم وينزعون عن المصلوب لفائفهُ وينصبونهُ بعد تبخيره من عن يمين المذبح بين الشموع والمراوح واصناف الورد والرياحين ويعلنون بقيامة المسيح ويتلون في ذلك صلوات وتسابيح بالحان مفرحة

وقداس هذا النهار هو قداس القيامة ينزعون في اثنائهِ ثياب الحداد عن الهياكل ويقرعون الاجراس ويزينون الكنيسة بآنية الاعياد ويرتّلون ترتيل الفرح والهليلويا التي كفُّوا عنها منذ الاحد الثالث قبل الصوم

وهذا القداس الحافل يصير عند الارمن والسريان في مساء السبت. وكانت الكنيسة القسطنطينيَّة تقيم هذه الحفلة ليلًا فيقضي الشمامسة والكهنة نحو نصف الليل في تلاوة الصلوات والاسفار المقدَّسة ثمَّ يطوفون حول الكنيسة بالرايات دون الانوار فاذا وصلوا الى بابها الغربيّ قرعوهُ فينفتح امامهم وتظهر الكنيسة مشعَّةً بالانوار مزدانةً باصناف الحليّ ويباشرون برتبة القيامة ويفتتحونها بتقبيل الانجيل الشريف الذي يمسكهُ الاسقف او متولّي الرتبة بمنديل من الحرير الابيض ثمَّ يقبّلون بعضهم بعضاً بقبلة السلام ويواصلون الحفلة الى الصباح ولذلك يدعون هذه الليلة الليلة المنيرة والليلة البهيَّة والليلة المشعَّة. وكان يزيد الحفلة رونقاً اتخاذهم في تلك الليلة اصناف الادوات الموسيقيَّة ليمجدوا قيامة الرب بالقرن والقيثارة والكنَّارة والمعازف والدفوف والاوتار والارغن اذ قد قهر المسيح الموت بالغلبة وقام من بين الاموات بين تسابيح الملائكة وتماجيدهم

هذا ولنصارى الشرق في سبت النور عادات تختلف على اختلاف الامكنة فمن ذلك انهم كانوا يسقون المتعمدين جديدًا كأساً من الحليب والعسل دلالةً على حداثتهم

في الايمان وحلاوة نير الربّ . ومنهم من يصبغ فيه البيض الوانًا وهو بيض الفصح الذي مرّ ذكرهُ كاحد رموز القيامة (المشرق ٩ : ٣٤٥) . واخبر ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٦) انّ اقباط مصر «كانوا يكتحلون في صبيحة ذلك اليوم بالسذاب او الكحل الاسود او غيرهما ويزعمون انّ من اكتحل من ذلك يكتسب نورًا زائدًا في بصرهِ» . ومن عادات النصارى المحمودة انّهم اليوم اذا صادفوا بعضهم يسلّم الواحد على رفيقهِ بقولهِ : «قد قام المسيح» فيجيبهُ الآخر: «حقًّا قام» . وتدوم هذه افراح القيامة الى يوم عيد الصعود والمسيحيون في ذلك الوقت ينعشون ايمانهم بالقيامة العتيدة وبرجاء الحياة المخلّدة في السماء لعلمهم بأنّ المسيح قد قام وهو باكورة الراقدين كما قال القديس بولس وانّ موتهم ليس هو غير رقاد مثل موتهِ سوف يتمّ يومًا بقيامة اجسادهم ليلبس الفاسد عدم الفساد والمائت عدم الموت فيكسرون كفاديهم شوكة الموت كما كسروا شوكة الخطيئة بعمادهم وبرّهم . فشكرًا لله الذي منحنا الغلبة بربّنا يسوع المسيح (١ كورنتوس ١٥ : ٥٧)

السنّ او آثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة

لحضرة الاب الفاضل انستاس الكرملي

١ً مقدمة

ان ايدي الزمان التي تعبث باحوال بني آدم وبآثارهم ومآثرهم قد لعبت ايضًا ببعض ابنية بغداد حتى انهُ يكاد يستحيل اليوم على الباحثين والعلماء المولعين بالآثار الوقوف على معاهد دار السلام في سابق الايام لو لم يبقَ بعض المقابر والمشاهد الدينيّة التي حافظ اهل التقى عليها لاختلافهم اليها يومًا بعد يوم وسنةً بعد سنة وبواسطتها نستطيع ان نهتدي الى ما اندرس في بغداد من عمائرها السابقة

وممّا يستوقف أطيار الانظار ويستلفت شريد الأفكار انقاضٌ واقعة على ضفّة دجلة في الكَرْخ يعني في الجانب الغربي بازاء ما هما اليوم دارا قنصليَّتَيْ فرنسة والمانية وما بينهما الواقعتين على ضفّة دجلة في الرُصافة اي في الجانب الشرقيّ من المدينة الزّوراء وهذه البقايا تُعرف اليوم باسم «السِنّ» وسبب تسميتها ظاهر وذلك انها تتقدَّم في دجلة وتقع فيه موقع السنّ من فم الانسان . وكل من رأى السنّ من الاجانب حكم

انهُ من اطلال ابنية العبَّاسيين والسبب هو ان هذا الرسم الباقي مبنيٌّ بموادَّ لا تُعرف اليوم اجزاؤها بالتحقيق. وهذه الموادّ قد جمعت بين الآجرّ والآجرّ حتى صارت كلها كأنها حجر واحد ضخم لا بل صخرة صَلْد. واذا حاول الرجل ان يستخرج منها بحولِه طابَاقةً واحدةً لَما امكنهُ ان يستلَّها سالمة بل لا بُدَّ ان تخرج متفتّتةً لاستحكام اجزاء مطامس البناء واخذ جواهر بعضِهِ بجواهر البعض الآخر على ما قدَّمناهُ

هذا وفضلًا عن شهادة الاجانب تواتر تقاليد ابناء الوطن فانهم هم ايضًا يقولون ان هذه الرُدُوم هي من دوارس مباني العبَّاسيين لكنهم لا يستطيعون ان يقولوا بالتدقيق ما التي كانت عليهِ في سابق الزمن. ولمَّا كنتُ قد توفَّقت الى معرفة ذلك جئتُ اتحف اصحاب الآثار ومحبي مآثر العبَّاسيين هذا الكشف والله الموفِّق الى سواء السبيل

٢ اصل السِنّ

قال ابن بطوطة في الصفحة ١٠٧ من الجزء الثاني من رحلتهِ يصف الكَرخ وهو الجانب الغربيّ من بغداد ما هذا نصُّهُ بحرفهِ:

«ومن هذه المحلّات (اي محلات الكرخ) محلّة باب البصرة وبها جامع الخليفة ابي جعفر المنصور رحمهُ الله. والمارستان [العَضُديّ] فيما بين محلّة باب البصرة ومحلّة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خَرِبٌ بقيت منهُ الآثار. وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبر مَعْروف الكرخيّ رضَه وهو في محلة باب البصرة». اه المقصود من ايرادهِ

فباب البصرة يُعرف اليوم بباب السِيْف (بكسر الاول واسكان الثاني) لان قبر الشيخ معروف الكرخي مجاور للمحلّة المذكورة واماً محلّة الشارع فهي قريبة من محلة باب البصرة. وكان جامع الخليفة قريبًا من قصرهِ المشهور بالخُلد على ما هو مدوَّن في كتب التاريخ. وعلى أطلال الخلد كان قد بنى عضدُ الدولة فنَّا خسرو ابو شُجاع بن رُكن الدولة ابي الحسن عليّ بن بُويهِ (١ البيمارستان المسمَّى بالعضديّ وذلك سنة ٣٦٨ هـ. (٩٧٨م) وهو الذي كان قد أذن في تلك السنة عينها لكاتبهِ النصرانيّ نصر بن هرون في عمارة البيَع والاديرة واطلاق الاموال لفقراء المسيحيين ومحاويجهم

---

١) اصل ضبط كلمة بُوَيْه بتشديد الواو المفتوحة وابقاء الباء وضمتها والياء وسكونها. ثم خففها العرب فقالوا بُوَيه كزُبَير ومنهم من بُوَيْه بضم الباء واسكان الواو وفتح الياء. والكلمة مركّبة من «بُوًا» وهي لفظة فارسيَّة معناها جوز بوًا. و«وَيه» ومعناهُ بالفارسيَّة ايضًا رائحة فيكون معنى الاسم المنحوت «رائحة جوز بوًا» ومثل هذه الاسماء عندهم كثير منها سيبويهِ ونفطويهِ وبرزويهِ وخالويهِ

وعليهِ فيكون السنّ من بقايا قصر الخلد او البيمارستان العضديّ. قال ياقوت في معجمه في مادَّة الخلد ما هذا حرفهُ:

(الخُلْد) بضم اولهِ وتسكين ثانيهِ. قصر بناهُ المنصور امير المؤمنين ببغداد بعد فراغهِ من مدينتهِ على شاطئ دجلة في سنة ١٥٩ هـ. (٧٧٥م)

وزاد صاحب التاج زوائد ترجع الى ما قالهُ ياقوت:

« وكان موضع البيمارستان العضدي اليوم او جنوبيَّهُ. وبُنيت حواليهِ منازل فصارت محلَّة كبيرة عُرفت بالخلد. والاصل فيها القصر المذكور وكان موضع الخلد قديمًا ديرًا فيهِ راهب وانما اختار المنصور نزولهُ وبنى قصرهُ فيهِ لقلَّة البقّ (اي البعوض لا الفسافس) وكان عذبًا (١ طيب الهواء لانهُ أشرف المواضع التي ببغداد كلها (اي اعلاها كما هو الواقع الى يومنا هذا) اه.

وقال ياقوت في مادَّة بغداد:

« فاتى (المنصور) موضع بغداد وعبر موضع قصر السلام (٢ (وهو غير قصر الخلد) ثم صلّى العصر وذلك في صيف وحرّ شديد وكان في ذلك الموضع بيعة (بجوار دير لراهب هناك) فبات اطيب مبيتٍ واقام يومهُ فلم يرَ الَّا خيرًا فقال هذا موضع صالح للبناء » اه

وقال بُعَيد ذلك:

[ورُوي] عن عليّ بن يَقطين قال: كنت في عسكر ابي جعفر المنصور حين سار الى الصراة يلتمس موضعًا لبناء مدينة قال: فنزل الدَّير (وكان فيهِ كنيسة او بيعة راجعة اليهِ على ما هو مشهور عند النصارى) الذي على الصراة في العتيقة (وكان يدفع ماءهُ في دجلة والصراة من اخر دجلة المحفورة) فما زال على دابَّتهِ ذاهبًا جائيًا منفردًا عن الناس يُفكّر. قال: وكان في الدير راهب عالم (٣ فقال لي: لِمَ يذهب الملك (٤ ويجيء. قلت: انهُ يريد ان يبني مدينة »... الى آخر الرواية

---

١) هكذا موجود في النصَّين المطبوعين وكلاهما غلط والاصح « وكان عَذيًا » بياء مثناة تحتيَّة بعد الذال المعجمة والمكان العذي هو الطيّب

٢) قصر السلام هو ايضًا غير قصر السلامة. فقصر السلام من ابنية الرشيد بن المهدي بناه بالرقَّة رقَّة بغداد في الجانب الغربي من المدينة. واما قصر السلامة فكان بناهُ المهدي سنة ١٦٤ في عيساباذ الكبرى اي في الجانب الشرقيّ. واوَّل ما بناهُ في عيساباذ قصر من لَبِن الى ان اسس قصرهُ الذي بالآجرّ وكان تأسيسهُ اياه يوم الاربعاء في آخر ذي القعدة وتحوّل اليهِ المهدي سنة ١٦٦ هـ. (٧٨٢م) فلمَّا نزلهُ نزل الناس بعيساباذ حوالي القصر فعمرت وبعيساباذ ضرب المهدي الدنانير والدراهم (عن الطبري ٣: ٥٠٣ و ٥١٧)

٣) اسمهُ بغداد كما يشهد بذلك ابن الخازن وابن العميد المكين والسمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة في المجلد الثالث في القسم الاوَّل في الصفحة ٦٨

٤) وفي الاصل المطبوع: كم يذهب الملد. وهذا لا معنى لهُ وهو من التصحيف الشنيع. وكذا ايضًا ورد مصحَّفًا في طبعة معجم ياقوت المصريَّة الجديدة

٣ً دار سكنى البرامكة

واذ قد عرفنا موقع قصر الخلد . وان البيمارستان العضدي قد بُنيَ على معالمهِ وان السنّ هو الباقي من تلك المباني الملكية سهل علينا ان نعرف موقع دار سكنى البرامكة ثم موقع قصرهم وهذا هو غير دار سكناهم الأصلي . فنقول :

ذكر ابن الطقطقي في الفخري (في ص٢٨٧ من طبعة هـ . درنبورغ) ما هذا صورتهُ :

« حدث بختيشوع الطبيب قال : دخلت يوماً على الرشيد وهو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام وكان البرامكة يسكنون بحذائهِ في الجانب الآخر (الجانب الشرقي او الرصافة) وبينهم وبينهُ عرض دجلة . قال : فنظر الرشيد فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد . فقال . جزى الله يحيى خيرًا تصدَّى للامور واراحني من الكدّ ووفَّر اوقاتي على اللذَّة . ثم دخلتُ اليهِ بعد اوقات وقد شرع يتغيّر عليهم فرأى الخيول كما رآها تلك المرة . فقال : استبدَّ يحيى بالامور دوني فالخلافة على الحقيقة لهُ وليس لي منها الّا اسمُها . قال : فعلمتُ انهُ سينكبهم ثم نكبَهم عقيب ذلك » . اه حرفهُ

فهـذا نصٌّ واضح جليّ على ان دار سكنى البرامكة كان بازاء الخلد في الجانب الشرقيّ من البلدة . لا في الجانب الغربيّ . واما ما جاء في كتاب اعلام الناس للاتليدي (ص ١٣١) من طبعة محمد الزهريّ الغمراوي ففيهِ غلط من الناسخ فقد جاء هناك ما هذا منطوقهُ :

« [قال اسماعيل بن يحيى الهاشميّ : بكرتُ الى الرشيد] وجلست بين يديهِ وكان في محلّ يشرف على الدجلة من شرقيّ مدينة باب السلام (١ وبازائهِ منزل جعفر من الجانب الغربيّ . . . الى آخر الرواية

والاصح «من الجانب الشرقي» والغلط من الناسخ لا من المؤلف وذلك ان الناسخ لمَّا رأى ان المكان الذي كان يشرف على دجلة واقعاً شرقي مدينة باب السلام توهم ان ما يكون بازائهِ يكون غربيَّهُ والحال ان المؤلف في الاوَّل يتكلَّم بالنسبة الى مدينة باب السلام وفي الثاني يتكلَّم بالنسبة الى دجلة . وكما اننا رأينا ان ياقوت والفخري يقولان ان دار سكنى البرامكة كانت في الجانب الشرقي من دجلة ظهر هنا خطأ الناقل او الناسخ فاحفظهُ

٤ً قُصور البرامكة

ما عدا دار السكنى كان للبرامكة عدَّة قصور وكلها كانت بالجانب الشرقي من

١) مدينة السلام هي المدينة المسوَّرة المستديرة الشكل التي بناها الخليفة المنصور والخلد كان قائمًا في شرقي مدينة باب السلام

المدينـة اي بالرُصافة ولم يكن لهم قصر واحد في الكَرْخ اجلالًا لمقام الخلفاء . واول قصورهم كان التاج. قال ياقوت في ما ذكره في هذه المادة:

« كان اول ما وُضع من الابنيـة جهذا المكان قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وكان السبب في ذلك ان جعفر كان شديد الشغف بالشرب والغناء والتهتُّك فنهاهُ ابوهُ يحيى فلم ينتهِ. فقال: ان كنت لا تستطيع الاستتار فاتخذ لنفسك قصرًا بالجانب الشرقي واجمع فيهِ ندماءك وقيانك وقضِ فيهِ معهم زمانك وابعد عن عين مَن يكره ذلك منك. فعمد جعفر فبنى بالجانب الشرقي قصرًا موضع دار الخلافة المعظمة اليوم وانقن بناءهُ وانفق عليهِ الاموال الجمّة . . . » اه

ويُظن ان بقايا التاج تُرى الى اليوم وهي القلعة التي تُستودع فيهـا المدافع وما يرجع من الادوات الى الجنود الحربيين

ثم لما اخذ الخلفاء هذا القصر ابتنى لـهُ جعفر قصرًا آخر بالرصافة ايضاً لكن في اعلاها . اعني في جوار الشمَّاسية التي تسمَّى اليوم السُلَيخ . وهـذا ما يؤخذ من كلام الطبري . (٣: ١٧٣٠) الذي يذكر هناك قصرًا لجعفر المذكور . والى اليوم يُشاهد في السُلَيخ (والعامة تقول الصُلَيخ بالصاد) آثار لهذه الابنية القوية

وكان للفضـل بن يحيي البرمكي قصر في سُوَيقة خالد بباب الشمَّاسية اسمُهُ : « قصر الطين » وقد خرب اتمَّ الخراب فلا يُعرف لـهُ موضع . راجع ياقوت في سُوَيقة خالد . وقد تمَّ خرابهُ سنة ٢٥١ هـ . (٨٦٥م) على ما ذكرهُ الطبري (٣: ١٥٦١) حين أمر محمد بن عبدالله الصريخ بجمل الآجرّ من هذا القصر وناحيتهِ الى باب الشمَّاسيَّة وهذا القصر كان قد بناهُ يحيي لابنهِ الفضل . قالهُ ياقوت ايضاً في مادَّة « قصر الطين »

وربما كان لهم غير هذه القصور (١ . وعدم الوقوف عليها وعلى اسمائها لا يُعدّ من القصور . لان علم المرء محصور . وعلم ربّك يفوق كل ما في الصدور . والسلام

١) مثلًا انهُ كان للبرامكة محلَّة مسمَّاة باسمها وهي : « البرامكة او البرمكيَّة » فلا جرم ان البرامكة بنوا فيها اولًا قصرًا ثم بنى الناس حولهُ المباني فتألف من ذلك محلَّة كبيرة . وقيل انها كانت قرية قريبة من بغداد . راجع معجم ياقوت في هذه المادة . كما انهُ كان لهم سُوق يُعرف باسم « سوق يحيى » وقد حدث السوق بعد ان انشأ فيهِ يحيى قصرًا . وكان ايضاً بالجانب الشرقي بين الرصافة ودار المملكة التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلـة وكانت اقطاعاً لهُ من الرشيد ثم صارت بعد البرامكة لامّ جعفر ثم اقطعها المأمون طاهر بن الحسين بعد الفتنة ثم خربت عند ورود السلجوقيَّة الى بغداد . فلم يبقَ منهـا اثر البتة . وهي محلَّة ابن الحجَّاج الشاعر . وقد اكثر من ذكرها في شعرهِ . راجع ياقوت في سوق يحيى

الدم : تركيبهُ وخواصُّهُ

للاب بولس بوفيه لاهيار اليسوعيّ مدرّس الكيميا في المكتب الطبّي

الكريَّات الحمراء (تابع)

دعا العلّامة لوفنهوك (Leuwenhoeck) الدقائق الصابغة للدم (hématies) التي اكتشفها بالكريَّات الحمراء (globules rouges) وفي تسميتهِ هذه نظرٌ لانَّ هذه الدقائق ليست كرويَّة الشكل كما توهَّم لضعف ادواتهِ الرصديَّة بل هي مستديرة مفلطحة كالاقراص وقد تحقَّق العلماء ذلك برصود تاليــة أجروها بادوات محسَّنة . وفي وجهَيْ هذه الاقراص تقعير خفيف كعدسات النظَّارات التي يستعملها الحُسْر اي ذوو البصر القاصر (myopes) . (اطلب الشكلَين ١ و٢)

وان فحصت دمــاء الحيوانات ذوات الثدي اي ذوي الفِقْرات الاحياء المواليد وجدتَها كدم الانســان في صورتها المستديرة وتقعير وجهَيها اللهمَّ الّا الجمل واللاما (lama) الذي يشبهُ فانَّ دقائق دمهما على شكل دائرة اهليلجيَّة محدَّبة الوجهَين كنظَّارة الشيوخ ذوي البصر البعيد (presbytes) . وما تتَّفق فيهِ كلّ دقائق الدم في ذوات الثدي على اختلاف صورتها من تقعُّر او تحدُّب أنها بلا استثناء خلايا ناقصة لخلوّها من النواة . وعلى عكس ذلك دماء ذوات الفقار المتولّدة من البيضة كالطيور والضفادع والاسماك فانَّ دقائق دمها مستديرة مفلطحة محدَّبة كدم الجمــل واللاما لكنها ذات نواة كالخلايا التامَّة

قلنا انّ الكريَّات الحمراء هي التي تصبغ الدم بحمرتهِ القانئة . لكنك ان فحصت كل دقيقةٍ منها على انفراد مستشفًّا لها وجدتها شفَّافةً صفراء ممتزجة بخضرة خفيفة واذا كثرت هذه الدقائق ظهرت حمرتها بانعكاس النور

ومن خواصّ هذه الدقائق الحمراء أنها غاية في الدقَّة والصغر فان قطرها في دم الانسان لا يتجاوز سبعة ملّمترات المّلمتر وسمكُها ملمتران من اجزاء الملّمتر . اعني انهُ يقتضي ان يوصل بين ١٥٠ من هذه الدقائق ليحصل منها ملّمتر واحد وان يُركَّب منها ٥٠٠ أكداساً على بعضها ليبلغ طولها ملمترًا . وان رقبت دماء حيوانات شتَّى وجدت لدقائق كل حيوان اقيسةً مختلفة لكنَّها ثابتــة في دم الحيوان وليس نسبة بين هذه

وللكريات الحمراء ما عدا هذه الخواصّ الطبيعيّة خصائص أُخرى كياويّة اجدر بالاعتبار ولبيان ذلك نصف هنا تركيبها . تتركّب هذه الدقائق جوهريًّا من عنصرين الاوّل منها لزجٌ زلالي لا لون لهُ عليهِ قوام الكريات الحمراء يُدعى الغلوبولين (globuline) اي الحُبَيبة الصغيرة . وتمتزج هذه الكريّات بمادّة اخرى زلاليّة ايضًا لكنّها حمراء يدعونها هيموغلوبين (hémoglobine) اي الحَبيبات الصغيرة القانئة . وهذه المادّة من اجود عناصر الدم ولعلّها اكرمها واجلّها

وحُبيبات الهيموغلوبين في الدم الجامد تبلغ في الكميّة تسعة اعشار الكريّات الحمراء . وتركيبها الكيموي غاية في الارتباك لتعدُّد عناصرها ففيها اجزاء من عناصر الكربون والهدروجين والاكسيجين والازوت والكبريت والفسفور مع قليل من الحديد وهو الحديد الذي يصبغها بلونها الاحمر ويجديها خاصّتها الاوّليّة اعني جاذبيّتها لعنصر الاكسيجين . وهذه الخاصّة تُعلّل المفاعيل الطبيّة التي للهيموغلوبين في الجسم وبناء على هذه المفاعيل يصف الاطبّاء الادوية التي يدخل فيها شيء من معدن الحديد للمصابين بالهزال وضعف الدم

ويُمكن ان تُفرز مادّة الهيموغلوبين وتُستخرج من الدم امّا بواسطة الاثير او باستعمال الكحول فاذا افردتها ظهرت اذ ذاك على اشكال تبلورات بديعة ذات لون احمر غامق تختلف صورها على اختلاف الحيوانات التي منها استُخرج . فتكون هذه التبلورات من دم الانسان على هيئة منشورات مسدّسة الوجوه منبسطة كالالواح او مستطيلة كالإبر . ولولا الهيموغلوبين لما استطاعت الكريّات الحمر ان تقوم بوظيفتها وهي ان تزوّد كلّ عناصر الجسم الحيّ بنصيبها من الاوكسيجين

وان سألتَ كيف يتمّ ذلك ؟ اجبتُ بالتنفُّس . فانّ الانسان ومثلهُ الحيوان اذا تنفّس فتحت عضلاتهُ قفصَ الصدر فتمدّدت الرئتان وهجمت دقائق الهواء اليهما لتشغل المكان الفارغ منهما . وهناك يتلاقى الهواء الخارج مع الدم السيّال بعد دورتهِ في الجسم وخلوّهِ من الاوكسيجين ونقلهِ للحامض الكربونيك السامّ (CO^2) الذي تخلّصت منهُ خلايا البدن . وليس في تلك الملاقاة فاصل يفصل الهواء والدم الّا جُلَيدة رقيقة كالقشرة ففي خلال هذا الغشاء يحصل بينهما تبادل متضاعف . فانّ الدم ينفي عنهُ الحامض الكربونيك الذي كان متحلّلًا في مادّتهِ الآحيّة المدعوّة بالپلاسما (راجع ص ٢١٢)

فيخرج هذا الغاز ويختلط بالهواء الذي هو في قعر الرئة ثم يخرج معهُ الى الخارج ويتفلّت في الجوّ. وعلى عكس ذلك تصير مبادلة أُخرى في خلال تنفُّس الحيوان ودفع نفَسهِ فانَّ قسماً من اوكسيجين الهواء الذي دخل في الرئتين ينفذ في الغشاء بقوّة الهيموغلوبين التي تجذبهُ اليها وتمتصُّهُ برغبةٍ. وهذا الاوكسيجين اذا دخل في الدم امتزج بالهيموغلوبين واحدث معها مركَّباً جديدًا يدعونهُ لذلك اوكسيهيموغلوبين (oxyhémo-globine). وهو مركَّب احمر وانَّما حمرتهُ اشدّ واقنأ من حمرة الهيموغلوبين التي هي عادة حمراء كمدة. فاذا حصل الامتزاج المذكور تغيَّر لون الدم فيصير احمر قانئ بعد كمدتهِ وفي ذلك دليل ساطع على ما اصابهُ من التصفّي والإصلاح

وان أردت ان تعاين بالنظر ما يحصل في الرئتين من الاستحالة العجيبة والتبادل بين الدم والهواء فذلك امر قريب المنال سهل الاختبار فحلّل في الماء قليلًا من الهيموغلوبين ثم أَجِزْ في هذا المحلول مجرًى من الاوكسيجين تَرَ للحال لون الهيموغلوبين يخلص ويصفو وتختلف كمدتهُ الى احمرار قانئ فاقع دلالةً على انَّ السائل امتزج بالاوكسيجين واستحال الى اوكسيهيموغلوبين بيد انَّ هذا التركيب ليس بثابت فان اردت فكَّهُ كفاك ان تُفرغ الاناء من الهواء المحيط بهِ بالآلة المفرّغة فيتطاير الاوكسيجين وتعود الهيموغلوبين الى لونها الكمد. وهو برهان قاطع على ضعف التركيب

فلنعتبرنَّ الآن الكريات الحمراء بعد نوالها في الرئة قسماً من اوكسيجين الهواء فانَّها تسيل عائدةً الى القلب الذي يدفعها بخفقاتهِ القويَّة الى كل اعضاء الجسم لتغذيها فتجري دائرةً من الشرايين الى العروق الصغيرة ومن العروق الصغيرة الى العروق الشَّعْريَّة ذات الدقَّة البليغة. وفي دورتها هذه تمسُّ كل انسجة الجسم وتغذيها بما تحتاج اليهِ من الاوكسيجين مادَّة حياتها ولولا هذا العنصر لضعفت وماتت. اما الاوكسيهيموغلوبين فانَّها بعد توزيعها على الانسجة ما ادَّخرتهُ من الاوكسيجين تعود الى كمدتها والى حالة الهيموغلوبين وتسير من عروقها الى القلب والقلب بنَبضانهِ الشديد يدفعها ثانيةً الى الرئتين لتنال بملامسة الهواء حصَّة جديدة من الاوكسيجين المحيي فتعود الى توزيعها على الخلايا وهلمَّ جرًّا

فترى من ثمَّ ما هو فضل الهيموغلوبين في جسم الحيوان فانَّها كالمركب النقَّال لا تزال دائرةً بدقائقها المتعدّدة تحملها غاز الاوكسيجين لتنقلهُ الى الانسجة والخلايا

الثابتة البعيدة عن الهواء فتمونها بهذه الميرة المنقولة . واذا ما حصل في دوران هذه المادة خللٌ فانَّ الحياة في خطر مبين . فهب مثلًا انَّ القلب يكفُّ عن نبضانهِ او انَّ احد الشرايين ينسدّ او يتفجّر منهُ الدم الى الخارج فذلك الاختناق وموت كلّ الخلايا ان لم يَعُد الدم الى دورتهِ القانونيَّة

*

على انَّ الهيموغلوبين مع خواصّها العجيبة وخدَمها المتعدّدة مشوبة بنقص عظيم ربّما كان سببًا لطوارئ مفجعة وذلك حرصها على غاز يُدعى اوكسيد الكربون اكثر من شهوتها لغاز الاوكسيجين . اما اوكسيد الكربون (CO) فهو الغاز القتّال المتطاير من مستودعات الفحم التي لا يجري اليها الهواء الكافي . وهذا الغاز من اسوإ الغازات واضرّها فان وُجد منهُ كمّية زهيدة في الهواء كقسم اوقسمين في المئة فهو كافٍ لتسميم من يستنشقونهُ . ويزيد ضرّهُ انهُ خلوٌّ من الرائحة المنبئة بانتشارهِ واذا دخل في رئة الحيوان امتزج بالهيموغلوبين امتزاج الماء بالراح بحيث لا يمكن فصلهما فتتسارع كل الكُريات الحمراء الى الرئتين وتتسمّم باستنشاقهِ ولا تعود تصلح لنقل الاوكسيجين مورد الحياة ثم لا تلبث انسجة الجسم بعد قليل ان تتسمّم بهذا السمّ الذُعاف فتمتصّهُ من الهيموغلوبين بدلًا من الاوكسيجين فتهلك

امّا علاج المسموم باوكسيد الكربون فبأن تفصدهُ بسرعة وبذلك تنجيهِ من الكُريات الحمراء التي فسدت ثمَّ تعمد الى رجل آخر سليم الدم فيُعطى المسموم قسمًا من دمهِ . وهي عمليَّة صعبة وربما تأخّرت قليلًا فلا تجدي نفعًا

واعلم انَّ الحيوانات غير ذوات الفَقار كالديدان والحشرات والحيوانات الهلاميَّة خالية من كُريات الدم الحمراء وكلّ كُرياتها بيضاء امّا الاوكسيجين الذي تحتاج اليهِ فتنالهُ من الهيموغلوبين المتحلّة في مادَّتها الآحيَّة وهي عبارة عن سيَّال احمر تسبح فيه الكُريات البيضاء . ومثال ذلك الديدان وبعض الحيوانات الصلبة الجلد . او يقوم فيها مقام الهيموغلوبين عنصرٌ آخر شبيه بها يُدعى هيموكيانين (hémocyanine) يشتهي مثلها الاوكسيجين ويمتصّهُ لكنهُ خلوٌّ من معدن الحديد وفيهِ بدلًا منهُ شيء من النحاس . وتكون اذ ذاك المادَّة الآحيَّة صرفةً لا لون لها او يضرب لونها الى زرقة خفيفة كما ترى في السرطان

*

هذا نظرٌ عامٌ في الكريّات الحمراء وخواصها يبين ما تلعبهُ فينا هذه الدقائق من الدور المهم مع صغرها . واليها تُنسب تلك الخصائص المعتبرة التي عرفها البشر منذ خوالي الاعصار . وعددها في جسم الانسان لا يكاد يُحصى قيل انَّ معدلها في الانسان البالغ لا يقلّ عن ٢٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كرّيَة . على انَّ هذا العدد يختلف اختلافاً كثيرًا على اختلاف حالة الانسان من صحّة او ضعف . من مقام طيّب الهواء مرتفع او سافل قليل الارتفاع . ومما اختبرهُ الاطبّاء انَّ الرجل الذي يسكن في علوّ ١٥٠٠ متر مدَّةً يتزايد عدد كرَيّاة الحمراء الى ٥,٥٠٠,٠٠٠ اعني من سبع كريّات الى ثماني في كلّ ملّمتر مربَّع من جسمهِ . ومن هنا ترى سبب وصفة الاطبَّاء لبعض الناقهين او الضعيفي الدم بان يتعالجوا بسكنى الجبال العالية حيث الهواء اغنى بعنصر الاوكسيجين

وعلى خلاف ذلك يخفّ عدد هذه الكريّات الحمراء في بعض العاهات كالسلّ وداء السرطان والانيميا حتى يصير الى نصف عددهِ القانوني فتقلّ شهوة المريض الى الطعام لقلّة الاوكسيجين الذي يلزمهُ للغذاء فيزيد ضعفهُ ولا يقوى على مرضهِ فيموت . وهذا ما يدعو الاطبَّاء اذا ارادوا تشخيص مرض ان يحصوا في دم المريض عدد كريّاتهِ الحمراء بادوات معلومة يدعونها موازين الدم (hématimètres) لتُطلعهم على حقيقة حال المريض فان وجدوا زيادةً في كريّاتهِ الحمراء تفاءلوا بشفائهِ

وممَّا لم يتحقّقهُ العلماء من امر هذه الكُريّات الحمراء تولّدها وآخرتها . والشائع اليوم انَّ الكُريّات الحمراء هي في الاصل كُريّات بيضاء تفقد نواها وتصطبغ بالحمرة وتتفرَّد لنقل الاوكسيجين . وهو رأي كان ذهب اليهِ البعض اوَّلًا ثمَّ أُهمل واليوم عاد العلماء فأيَّدوهُ بادلّة جديدة . وهم يزعمون انَّ تحوّل الكُريّات البيضاء الى كريّات حمراء يتمّ خصوصاً في مكاك العظام الاحمر وفي الطحال . امَّا موت هذه الكُريّات الحمراء بعد ضُعفها فيزعمون انهُ يجري في الطحال والطحال يعمل فيها حتى يبيدها ويحوّلها الى كُريّات أُخرى جديدة بامتصاص ما فيها من الهيموغلوبين . ويفرز قسماً منها في مادَّة البلغم الملوَّنة وفي بعض مركّباتها كالبيليروبين (bilirubine) والبيليڤردين (biliver-dine) . امَّا الحديد الموجود في الكريّات الحمراء فانهُ لا يتلف بل يعود فيدخل في كريّات أُخرى ليقوّيها (لهُ بقيَّة)

أثران لارسطو الفيلسوف في العربيَّة

نشرهما الاب لويس شيخو اليسوعيّ

٢ رسالة ارسطاطاليس للاسكندر في السياسة

هو الاثر الثاني المنسوب لارسطاليس الذي نقلناهُ عن النسخة الخطيَّة الواتيكانية (راجع الصفحة ٢٧٣) وفيما كنَّا نبحث عنهُ في المخطوطات والمطبوعات التي في مكتبتنا الشرقية اذ علمنا ان احد العلماء الالمانيين قد نشرهُ دون الاثر الاوَّل في برلين سنة ١٨٩١ فتوقَّفنا عن نشرهِ ريثما نطلب منهُ نسخةً فوردتنا في الاسبوع الماضي فقابلنا عليها نسختنا زيادةً لضبطها ولاصلاح ما ورد من الاغلاط في الطبعة البرلينيَّة. وهذا عنوان الرسالة المطبوعة في برلين:

De epistula pseudaristotelica περι βασιλειας commentatio. Dissertatio inauguralis... quam publice defendit **J. Lippert.**

امَّا التعجب من مناقبك فقد نسخهُ (١ تواترها فصارت كالشيء القديم قد يُنسى بهِ (٢ لا كالبديع (٣ يُتعجَّب منهُ وامَّا السرور بما يحدث لك ولا نخلو منهُ اذ كنَّا نعتدّ (٤ بسعادة جدك واذكنت (٥ كما تقول العامَّة: «لا يكذب المثني عليك» وقد انتهى الينا انك بعد الواقعة الكائنة لك ببابل وظفَرك بدارا ومَن لحق بـهِ وما ركبتَ من أهوال تلك الحروب وكابدت من شدائدها استأنفتَ اشغالًا أُخر بامور سموتَ لها وتطلَّعتَ اليها. فقد ينبغي لك قبل ذلك ان تفرغ نفسك للنظر في مصلحة امور المدن وتقويم سُننها فان هذا امر كبير يجب عليك النظر فيهِ ويُذهب لك الصوت والذكر الجميل فقد تعلم ما نال من ذلك لوقُرْغس (٦ بتقويمهِ سُنن مدينتهِ وعلى حسب سعة ملكك وعدد مدائنك سيكون فضلك على من اصلح مدينة واحدةً وبقاء الذكر والثناء لك الَّا انَّ (٧ اقامة السنن صلاح العامَّة ودوام السلامة والهدوّ في الرعيَّة. وقد ظنَّ كثير من الناس انهُ انما يُحتاج الى المدبّر القائم بالسنَّة في الحرب فاذا انقضت الحروب واستفاض الامن والسكون استُغني عنهُ. والذي صيَّرهم الى ذلك ظنُّهم بان

١) روى صاحب الفهرست (ص ٢٤٧): فسخهُ
٢) ورواية الفهرست اضبط: أُنِس
٣) في الفهرست: كالحديث
٤) في الفهرست: نقرّ
٥) في الفهرست: وانت
٦) وفي الاصل: لوقراغس
٧) والصواب: لأنّ

الاستمتاع بالخيرات منهل ممكن لافناء الناس وان معاناة الشدائد الصعبة لا يقوى عليها كل احد

ولستُ ارى هذا صواباً بل الصواب عندي خلافهُ وذلك ان الناس اذا جرّبتهم الشدائد تحنّكوا وتيقّظوا لما فيهِ مصلحتهم فاذا اظلّتهم الاهوال تحرّكوا فيما يدفع ذلك عنهم واذا صاروا الى الأَمن مالوا الى الشرّة (١ والفساد وخلعوا عذار التحفظ وما اعسر ان تكون مع رخاء البال صيانة العقول بل قد يذهب ذلك بالعقل كثيراً ويذهلهُ فاحوج ما يكون الناس الى السنن اذا صاروا الى الخفض والدّعة فانهُ ان كانت الحروب قد تحدث فيها الأحداث فان ذلك يحدث والناس متحفّظون حَذرون فاما في حال الخفض فتَحدث أحداث كثيرة والناس قارّون مُهملون لامرهم وعند ذلك يحتاج العامّة الى الادب والسنَّة . والسنَّة انما تكون سُنَّةً اذا عُمل بها وانما يعمل الناس بالسُّنَّة اذا كان لهم مدبّرٌ يحملهم عليها وانما يقوى على ذلك من كانت رئاستهُ سنيَّة اجماعيَّة ولم تكن رئاستهُ فتنة واغتصاباً فليس الاستمتاع بالهدوء والخفض ممّا يحتملهُ كل احدٍ كما ظن هولاء ولو انهُ كان ذلك كذلك لوجب على الآباء ان يُملّكوا ابناءهم اموالهم من اوّل نشئهم . فكما انهُ لا ينبغي ان تُفوَّض الاموال الى الصبيان كذلك لا ينبغي ان تفوَّض الامور الى العامّة فان أخلاق العوام شبيهة باخلاق الصبيان وكلا الصنفين يحتاج الى الرقباء والمدبّرين

والعبرة في ذلك ايضاً قد تُرى من تصرُّف الاحوال وتنقُّل الدول فما بال الرئاسات لا تثبت وتدوم لصنف واحد وفي مدينة واحدة كالذي رأينا من نقلها في بلاد آسية وفي بلاد اور (٢ وفي غيرها من المدن فقد ملك اشور (٣ حيناً لاهل الشام وسوريَّة ثم خلف بعدهم اهلُ ماه ثم خلف بعد هؤلاء اهل فارس وكذلك تجدهُ في سائر الامم . فالقلعة (٤ في هذا كلهِ واحدة هي التي ذكرنا من ان التقلُّب في الخيرات اصعب من مقاساة الشرور وكذلك ما تجد الذين نالوا الرئاسة بنصب ومشقَّة ثم زيدوا فيها شيئاً بعد شيء . قد حنّكتهم وثقَّفتهم التجارب اكثر ذلك ما تطول مدتهم ويؤول

١) كذا في الفهرست وفي الاصل : الشره

٢) كذا في الاصل . والصواب : اوربي او اوروبا

٣) كذا اصلحناها وفي الاصل : آسية

٤) في الاصل : كالقلمة

الى السعادة وحسن العاقبة امرهم وتجد الذين نشأوا في الخفض ووافتهم الامور عفوًا فلم تُصبهم شدة ولم يمسّهم خوف يصيرون الى ضدّ ذلك . وكذلك ترى المدائن تعمر وتعظم بالمشقّة والنصَب وتصير الى الخراب والبوار بالرفاهية والخفض داعيةً الى البطالة والناس في اكثر ذلك مائلون الى البطالة مستلذّون بها . وذلك انهم يكرهون الادب والسيرة الحسنة هربًا من المشقة ويؤثرون الفراغ والبطالة طلبًا للتودُّع ويفنون اعمارهم في طلب اللعب الى الشقوة وليس يكون مع البطالة وتعطيل الادب بقاء ملكٍ ولا ذبٌّ عن حريم ولا صلاح عامةٍ

فالامر على ما وصفت اولًا من الحاجة الى سُنَّةٍ مقوّمة ومدبّر يقوم بها فيحمل العوامّ على حسن السيرة . اما اهل الدناءة ولؤم الطباع فبالحياء وكيف تكون سنّة عامّة الّا بمدبّر عامّ ومَن الذي يجمع الناس على الالفة والاستقامة وينصر السنّة ويقيمها الّا رجل له قدر كبير وقدرة ظاهرة تكون في مصرٍ عظيم فيكون ظهيرًا للسنّة ورباطًا للأُلفة فبمثل هذا الرجل يُقدَر على استدامة حسن السيرة في المدن ونَفي الفواحش عنها وليس تصلح المدن الّا بصلاح الرؤساء والمدبّرين

وينبغي ان يكون هذا الرجل جزلًا كاملًا ليس في الشجاعة والعدل واصناف الفضائل فقط ولكن في القوّة والعدّة ايضًا ليقوى على ضبط العامّة وحَملهم على السُّنَّة فان كثيرًا من العوامّ لا يُذعِن للعدل ولا ينقاد للحق فاذا لم يكن عليهم خوف مالوا الى البطالة وتعطيل السنّة فلا بد من مدبّر جامع يجمع امر العائلة كهؤلاء سيّما اليافذة (١ ومدائنها فانّها قد اتّصلت كلّها مدينة واحدة وليس يؤتى صلاح المدائن الّا من صلاح الرؤساء والمدبّرين كالذي (٢ رأينا في مدائن لقذيمونة (٣ واثيناس فانه كان في بعضها ملوك جبابرةٌ وضعوا سننًا وفي بعضها قوّامٌ عدولٌ فبُنيت لذلك هذه المدائن وبَعُد صوتها وكذلك المدائن التي دخلها الخلل والفساد والانتشار انما أُتيت من سوء اثر الرؤساء والمدبّرين فصرفوا همّتهم الى اللذّات الزمنيّة فأهملوا التدبير الباقي اثرهُ وذكرهُ على وجه الارض الى الدهر . فقد ينبغي للمدبّر ان لا يتّخذ للرعيّة ما لا

١) في الاصل: الاذة

٢) وفي الاصل: كالذين

٣) وفي الاصل: سدعوته

ولا مأكلًا ولا قنيــة ولكن اهلًا واخوانًا وان لا يرغب في الكرامة التي من العامّة كرهًا ولكن في التي يستحقّها بحسن الاثر وصواب التدبير

وقد يحتاج المدبّر الى ان يجتمع لـهُ امران هما من اعظم الامور خطرًا واكبرها قدرًا وذلك لأن يكون محبًّا الى العامّة متعجّبًا منهُ عندهم وكلّ المدبّرين يحبّون ان ينالوا ذلك ولكنّهم قلّما ينالونهُ بل قد يصيرون من العامّة الى خلاف هذين الامرين من البغضة لهم والازراء بهم. وذلك انهم يريدون ان يستأثروا بالمنافع وينفردوا بحسن الحال ويحبّون ان لا يشركهم في ذلك احد ولا ينافسهم فيهِ كبير فهذا يقع عند العامّة موقع الاساءة تنزل بهم والمكروه الذي لحقهم فيحدث لهم من الحنق عليهم وسوء الراي فيهم وما (١ يظهر خشعهم (٢ ودناءة طمعتهم وما يصيرهم الى الاستخفــاف بهم والازراء عليهم

فقد يحتاج مَن تقلّد الرئاسة الى ان يجتمع لهُ هذان الامران وبهما ينال حقيقة الرئاسة وفضيلتها حتى تنقاد لهُ العامّة وتُعطيهُ الطاعة فاذا خلا منهـا ازدراه الناس واستخفوا بـهِ وشنأوهُ ووثبوا عليهِ. وقد رجوتُ ان تجتمع لك هاتان الخلّتان ولست اقول هذا لمن يتملك امرًا لا يستحقه بل ارى من تكلّف مثل هذا القول بالمدينة اولى منهُ بالمحمدة

ولا يغضبنّك على رعيتــك ان يبلغك ان فيهم من يحاربك (٣ في مساعيك او يطمع في ان يساويك في قدرك وهمّتك ما لم تظهر معاندة لك فانــهُ ليس من الحزم منافرة العامّة وهذا انما يكون في خواص من الناس تنزع بهم اليهِ أخطارٌ وهمم شريفة وبلاء جميل قد تقدّم لهم فخير الاشياء لهم. ولك فيهم ان يظهر فضلك عليهم وعلى الناس عامّة حتى تغلبهم على الامر الذي تافوك فيـهِ ويجوز الشيء الذي تازعوك ايّاه فيذعنوا لذلك معترفين بفضلك مقرّين بسبقك. ولا ينبغي لمن تمسّك بالعدل ان يخاف احدًا فقد قيل «ان العدول لا يخافون الله» اي لا خوف عليهم منهُ اذا اتّبعوا رضاه وانتهوا الى امره. وقد اعرف ان سجيتك التشكّل باشكال مختلفة من عدلٍ وافضــال ولين

١) والصواب «ما» بحذف حرف العطف

٢) كذا في نسختنا وقد قرأ الدكتور ليبرت «خشفهم» واصلحها بخُشْنهم. ونظنّ ان الصواب «جشعهم»

٣) ولعلّها: يباريك

وغلظة وهذا مما يصيّر العامة الى التعجّب منك ولاسيما اذا تأمّلوا مخارج تدبيرك وعواقب افعالك فان الامل منهم يقوى في دوام ملكك وصلاح البلاد بك . واعرفك مع ذلك شكس القياد (١ للوشاة ولا محبّ للتقرّب بالباطل وذلك منك خير نافع للعامة ولاسيما افاضلهم واهل الحجى منهم . ثم ظنّي بك انك تحب الكرامة لاسيما من اهل القدر والمروّة وان تنال ذلك منهم من جهة الحياء لا من جهة الخوف . وذلك يستحكم لك بان تؤثّر من اكرمك بالتملّق لك والتقرب اليك . فاما النظر في كل شيء يرتفع (٢ اليك والتفتيش عن كل امر يتّصل بك حتى تعرف حقه من باطله ففيه مشغلةٌ لك عن امرك وليس فيـهِ جسمٌ للوشاة عنك ولكن تجسم (٣ ذلك ان تنكّل بمن عرفته بهذه الطمعة وتحلّ بهِ العقوبة والقسوة الثقيلة فيكون ذلك موعظة لمن سواه ومكسرة لغيره عن مثل ما دخل فيهِ

ومما اراهُ صلاحاً لامرك وسبباً لبقاء الذكر لك ان ترجع (٤ اهـل فارس عن مواضعهم فان ذلك عدلٌ فيهم ومن العدل ان تفعل بالمرء مثل ما فعـل فان استقامة العامة ورسوخ الهيبة في قلوب الخاصة حتى يجتمعوا لك (على) الطاعة امرٌ عسرٌ لا يستحكم الّا في دهر طويل وقرون متوالية وان هم وجدوا غرّةً وامكنتهم فرصة وثبوا عليها ووجدوا من يساعدهم فيها . ومن الحزم الاحتياط في دوام الاستقامة والامن من الهيج والفتنة

وقد ينبغي لك مع كثرة آثارك وتظاهر افعالك ان تجسم ذلك بحسن الاثر في مصلحة المدائن وذلك يكون باجتماع امرين هما حسن الحال وعدل السيرة واجتماع هذين يكون فيهِ صلاح المدائن واستقامتها فان افترقا كان احدهما سبباً للتلذّذ والتنعم في فساد وتهتُّك وكان الآخر سبباً للتعفف وحسن الطريقة في نصَب ومشقة . فقد ينبغي لمن اراد جزالة الملك وكبر قدرهِ ان يتأتّى لاجتماع هذين الامرين مع تحرّي العدل . وقد تخيّل لي ان في كل امرٍ فاصلٍ (٥ فعلين او عملين احدهما اكتساب ذلك الامر والآخر استعماله

١) وفي الاصل : « سلس القياد » وهو غلط قد اصلحهُ ليبرت : « لا سلس القياد »
٢) والصواب : فيرتفع
٣) كذا في الاصل ولعلّ الصواب : تحسم . وكذلك في العبارة السابقة « حسم للوشاة »
٤) وفي نسخة ليبرت « ترعج » والصواب كما في نسختنا ٥) ولعلها : فاعل

والانتفاع بهِ . واما الاول منهما فقد اتيتَ عليهِ فانك استفدتَ سوى ما افضى اليك عن ابيك حمدًا كثيرًا وحويت بلادًا واسعة وبلغت من بعد الصوت ونباهة الذكر ما لم يبلغهُ احد بعهدنا

وبقي عليك العمل الآخر من استعمال ما افدت وتدبيرهِ وانا ان (١ نبلغ ذلك بما انت عليهِ من حب الكرامة والمنافسة في السناء والزيادة على ما رسخ فيك قديمًا من ذلك

وقد اعلم ان نفسك تسمو بك الى غزواتٍ ووقائع أَحزَتهم(٢ بها وتستعد لها . وقد لعمري اسعد الله جدَّك ومكَّن لك ولكن اذكرُ الآفات التي تعرض لهذا البشر (٣ من انقلاب الجدّ ونكبات الايام . وأخطر ببالك ذلك في جهادك عن نفسك وبلادك انك قد اصبحت ملكًا على ذوي جنسك واتيت فضيلة الرئاسة عليهم . فمماَّ يشرِّف رئاستك ويزيدهـا نبلًا ان تستصلح العامة فتكون راسًا لخيارٍ محمودين لا لشرارٍ مذمومين فان رئاسة الاغتصاب وان كانت تذمّ لخصالٍ شتّى فان (٤ اولى ما فيها بالمذمة انها تحطّ قدر الرئاسة وتزري بهـا . وذلك ان الغاصب انما يتسلَّط على الناس كالعبيد لا كالاحرار فرئاسة الاحرار اشرف من رئاسة العبيد فهذا بمنزلة من يختار رعي البهائم على ملك البشر وهو يظن انـهُ قد اصاب وغنم . فهذا حال الغاصب وطرائقه يطلب مجد الملك وشرفه فيصير الى خلاف ذلك وليس شيء ابعد من الملك من الاغتصاب لان الغاصب في شكل المولى والملك في شكل الاب . وكان ملك فارس يسمّي كل احد عبدًا ويبدأ بولده وهذا مما يصغر قدر الرئاسة لان الرئاسة على الاحرار والافاضل خير من التسلط على العبيد وان كثروا

انَّ اكثر من خلا في سالف الدهر من الرؤساء اقتصر بصغر الهمّة على المنافع (٥ الرئاسة والتسلط كيف كان وكان يتكرم للخوف لا للمحبة وهذه كرامة دائرة مضمحلة وذلك انها تبطل مع انقضاء الرئاسة . فاماَّ الكرامة التي تكون من حسن الاثر فانها

---

١) والصواب : وانَّا انَّما

٢) وقد قرأ ليبرت « اخَرتهم بها » واصلح « اخَرتها »

٣) قد اصلح ليبرت « اليسر »

٤) هنا في الاصل لفظتان اعادهما الناسخ غلطًا « رئاسة الاغتصاب »

٥) اصلح « منافع » بدون التعريف

تخلد ولا تبيد . وليس يليق بك ان تتعمد عن مثــل هذه الكرامة لانهُ ليس في قديك نقص ولا في شيء من امرك تقصير بل كل امرك جليل وما انتج لك جميل جسيم . وقد يجب عليك ان كنت بهذا الحال السبق الى كل ما رسمنا والعمل بكل ما جددنا (١

احمل نفسك على خلّتين هما عقدتا الامر وذلك ان يكون عدلًا لين الجانب فان الرئاسة لا تدوم الّا بطريقتين مختلفتين لا محالة . وذلك ان كثيرًا من الناس وهم السفهاء انمــا يذعنون للسلطان بالخوف فلا بد للسلطان من الشدة عليهم فامّا الافاضل فيخضعون للسلطان بالحباء والحبة فقد يحتاج السلطان الى الفهم والرفق بهم حتى يجتمع امر الناس طوعًا من بعض وكرهًا من بعض

وليس ينبغي للسلطان ان يجري الكبار والصغار عنده مجرًى واحدًا بل يستعمل في كل واحد منهما ما يصلح عليــهِ كل الناس يحبُّ ان يكون سلطانًا لان هــذا طبع في الناس عامة ولكنهم لا يطلبونهُ بالعدل وعلى مجرى الطبيعة . والسلطان اذا لم يكن يعدل فليس سلطانًا لكنَّهُ غاصب مستكره انك حقيق ان تســل سجيّة (٢ العامة على السلطان بما تذيقهم من فضل تدبيرك وتضع عنهم من مكروه عنفك . فان العبيد اذا عُرضوا على المشتريين (٣ فليس يسألون عن يسارهم وجاههم وانمــا يسألون عن غلظتهم وفظاظتهم . والاحرار احرى ان ينفروا من ذلك اذا كان في السلطان حتى يصيروا الى خلعه بالوقوف عليهِ . واذا ظهرت على فئــةٍ فضع مع اوزار الحرب اوزار الغضب لانهم في تلك الحال اعداء وهم في هذه الحال خول (٤ فقد ينبغي لك ان تبدلهم بالغضب رحمة وبالقسوة عطفًا . ولا ينبغي للملك ان يحقد على الاشراف بل يغمرهم احسانه والناس كافة ليجرى من نسبهِ الى خلاف ذلك مما يظهر من كرمه وسعة خلقه

واعلم ان الضيم في المراتب اشدّ على الاحرار من الضيم في المــال والابدان فقد يبذلون اموالهم وابدانهم كثيرًا دون ان يضاموا في مروّاتهم واقدارهم وذلك لا ينبغي للملك ولا يشبهه ان يركب اخدانه بل هو منــهُ دناءة وصغر همّة

١) كذا في الاصل والصواب حدّدنا
٢) في الاصل « سجيمة » وهي غلط
٣) أصلح « المشترين »
٤) كذا في نسختنا وقد قرأ ليبرت « حُوَل »

قد ينبغي للملك ان يعرف مقـدار الغضب فلا يكون غضبه (١ شديدًا قاسياً ولا ضعيفاً قصيرًا فان ذلك من اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان. ولست آمن ان تؤتى بما قد جرى عليـهِ ناسٌ كثير من سوء المشورة فانَّ كثيرًا من الناس يشيرون اذا اشاروا ليس بما يشا كل المشار عليهِ ولكن بما يشاكلهم وليس هو بما يُنتفَع بـهِ في هذا الامر الحادث ولكن ما تخصّهم منفعة في انفسهم فانا احبّ لك ان تقتدي بمشورة الذي يقول انَّ فعل الخير في الجملة افضل من فعـل الشر

وقد ينبغي ان تبلغ نهايةً لمن سواك فان العدل محمودٌ مقدَّم عند الحكماء عامةً وعند الجهال ايضاً وقد يستطيع ان يغلب (٢ بالشر الاشرار وبالخير دون الشر وهي اشرف الغلبتين لان الغلبة بالشرّ جلدٌ والغلبة بالخير فضيلة. وليخطر ببالك ما يحكى عن فلانٍ حيث اشار عليهِ الآخر فقال لهُ: لو كنت انا انت لقتلت هذا الرجل. فقال لهُ: فاذ لم اكن انا انت فلستُ بقاتله

وقد ينبغي لك ان لا تلتفت الى مشورة من يشير عليك بغير الذي انت اهله ولا تعبأ بكلام اقوامٍ خسيسة اراؤهم ناقصـة هممهم ويموّهون عندك الامور ويحملونك على العامة فانهم ليس يعدلون بذلك انفسهم وجرّ المنافع اليها فهم مع ذلك يعيبونك في المعاملة لانهم من نعمتك فيما يسعهم ولست من رأيهم فيما ينفعك . وذلك انـهُ لا يشبهك تقتدي بامورهم ولا يستوي الامر بك وبهم فليس ما اصلحهم مصلحك ولا كلُّ ما كان لهم فخرًا وشرفاً فهو لك كذلك . وكل ما نالوه من حيائك (٣ وكرامتك فهو لهم غنمٌ لان من لم يكن لهُ شيء. فكل شيء عندهُ ربح . انهُ قد لمكنك ان تودع الناس من حسن اثرك ما ينتشر ذكرهُ في افاق البلاد ويبقى اثرهُ على وجه الدهر فافترض ذلك في اوانه . وان الذي يتعجّب منـهُ الناس الجزالة وكبر الهمّة والذي يُحبون عليهِ التواضع ولين الجانب فاجمعْ (٤ الامرين يجتمع لك محبة الناس لك وتعجبهم منك

---

١) روى ابن ابي اصيبعة : « الغضب » و « وغضبهُ »

٢) اصلح تستطيع ان تغلب

٣) كذا في الاصل. وقد اصلحها ليبرت « جبانك » والصواب « من حبائك »

٤) كذا في الاصل وهو الصولب وقد قرأهُ غلطاً ليبرت « فاجتمع »

واعلم ان الامور التي تكتسب بها الذكر وبعد الصوت ثلثة: احدها حسن السيرة. والثاني البلاء في الحروب والوقائع. والثالث عمران المدائن لا تمتنع ان تتكلم بما يقنع العامة فان الناس ينقادون للكلام اكثر من انقيادهم للبطش فلا تحسبنَّ ان ذلك يضع من قدرك بل مما يزيدك رفعةً ونبلًا ان تنطق بالحجّة اذ انت قادرٌ على القسر. واعلم ان التودّد من الضعيف يُعدُّ ملقًا واعلم ان التودد من القوي يُعدّ تواضعًا وكبر همّة فلا تمتنع من التودّد الى العامة لتخلص لك مودّتهم وتنال الكرامة منهم

واعلم ان الايام تأتي على كل شيء. فتخلق الافعال وتمحو الآثار وتميت الذكر الّا ما رسخ في قلوب الناس محبة تتوارثها الاعقاب فاجتهد بالظفر بالذكر الجميل الذي لا يموت. واعلم ان المدائن التي دخلها الخلل والانتشار اتى ذلك اليها من سوء رسوم الرؤساء والمدبرين. وذلك انهم آثروا جرّ المنافع الى انفسهم على تفقّد امور العامّة وتقويم سنن المدن وصرفوا هممهم في تعجيل اللذّات الزمنيَّة واهملوا التدبير الباقي اثرهُ وذكرهُ على وجه الارض والدهر. وقد رجوت ان تكون عواقب امورك الى سعادةٍ وان تجتمع لك الخصال المحمودة عند اليونانيين لانك حقيق بها. واجتهد ان تظفر بالذكر الذي لا يموت بان تودع قلوب الناس محبة تُبقي بها ذكر مناقبك وتشرّف بها مساعيك على الابد والسجود لذكرك والنجوع لفضلك. والسلام اليك وعليك

لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ (تابع)

للاديب اميل افندي خاشو سر مهندس لبنان سابقًا

٣ً الصناعة الخاصَّة

ولعلَّ القارئ يقول انَّ الطرق وسقي الاراضي في لبنان عائدة الى المنفعة العامَّة أفلا يمكن اللبناني ان يوسع نطاق الصناعة الخاصَّة ايضًا؟ بلا شكّ وذلك على انواع شتَّى. واوَّل ما اشير بهِ على اهل لبنان ان يحسّنوا الصنائع التي يرتزقون بها فان كثيرًا منها لا يزال على الطرز القديم كما انتلفهُ اجدادنا الاقدمون

(الطواحين) انظر مثلاً الطواحين فانّها عديدة في لبنان وهي كلهـا تدور على الدواليب الخشبيَّة العتيقة ولو شاء اصحابها لأمكنهم بالقوَّة المائيَّة عينها ان يُديروا طاحونين. وقد اختبر ذلك احد سكَّان انطلياس فانَّهُ استبدل ادوات طاحونهِ العتيق بادوات مستحدثة اشتراها من بعض المعامل التي كانت جهَّزت هـذه الادوات على طرز جديد واليوم ترى ثلاثة ارحاء عوضاً عن مطحنتهِ القديمة امَّا ربحهُ فزاد ثلاثة اضعاف على ربحهِ السابق قبل انتهاء السنة

وكذلك قد اقام بعض اهل لبنان مطاحن ليديروها بمحرّك غاز البترول. وعددها اربع او خمس. فنعم ما صنعوا لانهم بذلك يستغنون عن المـاء ويبنون هذه المطاحن حيث شاؤوا في الاماكن التي تكثر فيها السكَّان ويسهل على القرويين القدوم اليها

فهذه تجارة رابحة يمكن الانتفاع بها في عدَّة اماكن بشرط ان لا يصير مزاحمة بين اصحابها لأنها اذا كثرت ضاع الربح وفُقدت الفائدة المطلوبة. ويا ليت هذه المزاحمـة تجري في توفير الطواحين المتحرّكة بالبترول فتُهمل طواحين الماء وتستعمل المياه لسقي الاملاك

(الكلس) وفي الجبل صناعة أُخرى رابحة يمكن الاستفادة منها بتحسينها نريد اصطناع الكلس. وبياناً لذلك نقدّم بعض اللحوظات المبنيَّة على علم طبقات الارض. ان معظم جبال سوريَّة يتركَّب من المواد الكلسيَّة الطباشيريَّة. ويمتاز بينها لبنـان وهو يتألف من مواد كلسيّة متراصَّة ضاربة الى الرمـاد. والمرحوم المسيو بلانش احد علماء الطبيعة في بلادنا كان فحص طبقات لبنـان الجيولوجيَّة فعرَّفها بهذا التقرير مباشرةً بحضيض الجبل الى اوساطه فمشارفهِ:

١ً في اسفل لبنان تتركَّب تربة الجبـل من موادّ كلسيَّة مصفرَّة مع اجزاء ارضيَّة مختلطة بكربونات الكلس (dolomite) وحبوب الكوارتز

٢ً فوقها موادّ كلسيَّة بيضاء غاية في الصلابة والارتصاص قريبة من التبلور

٣ً ثم مواد كلسيَّة ضاربة الى الصفرة مع اقسام ارضيَّة وتبلورات. وهـذه الطبقة غنيَّة بالحيوانات المستحجرة كالحلزون والمحار

٤ً ثم صلصال رقيق ضارب الحمرة فوقـهُ مزيج اخضر من تراب الكلس والصلصال مختلط بمحار كبيرة مستحجرة

٥ً ثمَّ مواد كلسيَّة محبَّبة كبيض السمك (oolithiques)

٦ً ثمَّ مواد كلسيَّة متلاصقة ليس بينها مستحجرات

٧ً ثمَّ مواد كلسيَّة مرتصَّة بينها اصداف بحريَّة (nérinées)
٨ً ثمَّ اخيرًا مواد كلسيَّة بيضاء سريعة التفتّت بينها صوان كَمِد اللون

ومما يجدر الاستلفات اليهِ وجود طبقات جيولوجيَّة تكثر فيها الاسماك المستحجرة ومن هذه الاسماك ما يُرى حتى اليوم حيًّا في سواحل لبنان . ومنها ما هو خاصٌّ بطور الطرّان المعروف بالطباشيري (époque crétacée) . وهذه المستحجرات كثيرة في التربة الصلصاليَّة الكلسيَّة عند ساحل علما قريبًا من جونية ولا تزال آثارها باقية

وفي لبنان ما خلا ذلك طبقات من الرمل المتحجّر في خلالها سافات فحميَّة يختلف سمكها من بعض سنتمترات الى متر او متر ونصف وهـذا الفحم ممزوج بالكلس والصلصال الضاربين الى شُهبة بزرقة . ومن هذه السافات ما يُرى في بعض الامكنة على شكل الالواح الرقيقة المتراكبة على بعضها ومادَّتها سوداء خفيفة سريعة الالتهاب

واذا كانت هذه الطبقات الفحميّة أسمك يلوح في وسطها بقايا من جذور الاشجار المتحوّلة نوعًا الى فحم مع عروق من مزيج الكبريت والحديد او النحاس (pyrites) وكثيرًا مـا يتركّب هذا المزوج من مواد خشبيَّة مستحجرة ولذلك يتعسَّر ايقادهُ . وبعض اللبنانيين يعدّون هذه المناجم بين ارصون وعين حماده في المتن وفي حيطوره من قضاء جزّين . لكنَّ لبنان اجمالًا فقير بالمعادن الّا الحديد فانـهُ متوفّر في معاملات كسروان والمتن والشوف

﴿ اصطناع الكلس ﴾ فلنعودنَّ بعد هذه النبذة الجيولوجيَّة الى ذكر الكلس فنقول لنَّ اهل لبنان يجرون في اصطناعهِ جريهم في كلّ اعمالهم فانّهم يداومون على طرائقهم القديمة المخلّة دون ان يُدخلوا فيها شيئًا من الاصلاح . واوّل ما نعيبهُ في اتاتين الكلس هيئتها الشائعة في لبنان فانَّ اصطناعها على هذه الصورة موجبٌ لفقد حرارة كبيرة وكميَّة عظيمة من الوقود وكلّ ذلك يذهب سدًى دون طائل . أليس هو أنسب وأربح ان تُتَّخذ بدلًا من هذه الاتاتين التي لا يمكن الانتفاع بهـا الّا بعد تفريغها وانطفاء نارها اتاتين أُخرى مستحدثة يدعونها بالاتاتين المتواصلة التي تشتغل دون انقطاع فيُنزع الكلس المطبوخ ويُستبدل بموادّ غيرها بلا عناء وفي ذلك من الاقتصاد في احماء التنّور ما لا يُخفى

وكذلك الوَقود فان اهل الجبل يتّخذون لذلك جُرَز الحطب يجمعونها بتعب عظيم

وكان الاولى بهم ان يوقدوا الأتون بالفحم المعروف بالكوك الذي تبيع شركة الغاز القنطار منـهُ بنحو ٥٠ الى ٥٥ قرشاً . وافضل من ذلك الفحم الحجري الذي يساوي الطنّ منهُ ٣٠ الى ٣٥ فرنكاً. امّا الحطب فانّ حرارتهُ اقلّ من حرارة الفحم الحجري. ويكلّف اكثر. لانّ متراً مكعّباً من الكلس يحتاج الى طنّ من الحطب اعني انّ ستّة قناطير من الكلس يلزمها خمسة قناطير من الحطب ويكفيها قنطاران من الفحم الحجري وان قابلت بين اسعار الحطب والفحم وجدت انّ في استعمال الفحم بدلًا من الحطب ربحًا يبلغ ٣٠ قرشاً في كلّ ستّة قناطير من الكلس

هذا ونحن نعلم انّ هذه الاسعار ليست دائماً ثابتةً لاختلاف اسعار الفحم الحجري وكذلك لمصاريف نقلهِ الى الامكنة البعيدة. وعلى كلّ حالٍ ينبغي لطالبي الكلس ان ينظروا ما يصيبونهُ من الربح باتّخاذ الفحم الحجري

وكذلك الحجارة الكلسيَّة فانّ اصحاب الاتاتين يتّخذونها من جنس واحـد ليصطنعوا منها الكلس الابيض الشديد البياض. وحسناً يعملون ان كان المطلوب هذا الكلس. لكنّ البنّائين يحتاجون ايضاً الى كلس خافقي (chaux hydraulique) المعروف بالترابة الفرنجيَّة ليجعلوهُ في اساس الابنية فلو اصطنعوا منهُ لربحوا ربحًا عظيماً وذلك ان يتّخذوا حجارة صلصاليَّة يطبخونها بدلًا من الحجارة البيضاء وفي طبخ هذه الحجارة اقتصاد في الوقود ايضاً (١

وممّا نعرضهُ على اصحاب الاملاك في سواحل البحر اتّخاذ مقالع الحجارة يشحنون بها المراكب لتُنقل الى الخارج. فانّ في جبيل والبترون حجارة رمليَّة غاية في الحسن وفي المعاملتين حجارة كلسيَّة جيّدة. وفي مكلّس صنف آخر من الحجـارة الكلسيَّة المدعوَّة بالحجر الفُرني. فكل هذه الاصناف لو بيعت بمصر لاستفاد منها اصحابها مبالغ. ومصر كما هو معروف في حاجة الى حجارة البناء التي تأتيها من فرنسـة وايطالية والنمسة . وكذلك تحتاج شركة قناة سويس الى حجارة مثل هذه لاشغالها الخاصَّة

ويوجد ما خلا ما ذكرنا صناعة أُخرى مفيدة لاهل الجبـل وهم يجهلونها بيد اني

١) ولمّا كان اصطناع الكلس من اكبر الصنائع اللبنانيَّة قد نويتُ ان اضع في ذلك مقالةً مطوّلة أبحث فيهِ عن بنـاء الاتاتين المتواصلة العمل وانواعها اجعلها ان شاء الله كملحق لهذه المقالة في لبنـان

رأيتها شائعة في بلاد جبليَّة كلبنان اعني بلاد سويسرة التي ليس لها معادن تستثمرها كالبلاد السهليَّة . والصناعة المذكورة هي صناعة الساعات . ولي كلام طويل في ذلك لا يمكنني ان اوضحهُ هنا في اسطر قليلة وسأعود اليهِ ان شاء الله في مقالة خصوصيَّة . واكتفي اليوم بالاشارة اليهِ فقط فانَّ كلَّ من لهم المام بأحوال لبنان من ارباب النظر قد وافقوني في هذا الامر كلما عرضتهُ عليهم واستصوبوا كلامي . وعسى ان أُقنع بهِ اهل الجبـــل (لهُ تتمَّة)

نشرة كتابيَّة

لاساتذة المكتب الشرقي اللاحق بكليَّة القديس يوسف

نعود هذه السنة ايضاً الى وصف المطبوعات التي اتحفنا بها العلماء ونُفرد لها مقالات على حسب موادّها فتظهر بمجموعها حركة الآداب في كلّ فنّ . ونبتدئ كما فعلنا في العام المنصرم (المشرق ٩ : ٤١٦ و ٤٦٥) بنشرة كتابيَّة نذكر فيها التآليف التي مدارها على الاسفار المقدَّسة

*

١ واوَّل ما يستحقُّ الذكر القسم الثاني من كتاب سبقت هذه المجلَّة (١٩٠٥ ص ٨٦١) فاوقفت القرَّاء على صدور قسمهِ الاوَّل نريد طبعة جديدة للتوراة العبرانيَّة سعى في طبعها بعض جلَّة العلماء المستشرقين في مقدَّمتهم الدكتور ر. كيتّل (١ . ولم يضنّ كاتب تلك الاسطر بالثناء على المشروع وكثرة فوائدهِ والحق يُقال انَّ هذا القسم الثاني كشقيقهِ البكر في كلّ صفاته الحسنة فنستطيع القـــول ولا نخاف تكذيباً بان هذه الطبعة قد افادت الدروس الكتابيَّة افادةً محسوسة اذ ابرزت النصّ العبرانيّ من الاسفار الالهيَّة مضبوطاً منقَّحاً محسّناً بعد معارضتهِ باقدم النسخ واصحّ الروايات . على انَّ في الكتب المنزلة فصولاً متعدِّدة قد حارت العقول في تعريف طريقة كتابتها أهي من النثر او من الشعر كما ترى في سفر الجامعة حيث يصعب الفرق بين النظم والنثر

1) תורה נביאים וכתובים : BIBLIA HEBRAICA, adjuvantibus **Beer, Buhl, Dalman,** etc., edidit **R. Kittel.** Pars II, pp. 1320, 8°, *Lipsiæ, Hinrichs,* 1906

والبحث عن ذلك لا يزال جارياً بين العلماء لا يتفقون عليهِ حتى الآن . واصحاب هذه الطبعة الجديدة قد تحرَّوا الطريق الوسطى في الغالب فجعلوا من الشعر ما رأوا فيهِ ما خلا السجع والتجنيس بعض الايقاع الشعريّ اللهمَّ الَّا فصولًا لم نوافقهم فيها على رأيهم مثال ذلك انَّهم نظموا في سلك الشعر اقساماً من سفر اشعيا كالفصل السابع من الآية ١٨ وما يليها والفصل الثامن من الآية ٥ وما بعدها ولا نرى ما دعاهم الى ذلك مع انَّ في سفر اشعيا نفسهِ وفي سفر ارميا فقراتٍ لم يرووها في الشعر وليست هي دون السابقة في حسن ايقاعها ومعانيها الشعريَّة مثلًا لاشعيا (ف١٤ من ١ الى ٢٤ ثم ف١٩ : ١٦—٢٥ ثمَّ ٢٤ : ١—٦ ثمَّ ٣٠ : ١٨—٢٧) وكذلك ارميا (ف٣ : ٦—٨ ثم ٤٨ : ٣٤—٤٢) واماكن غيرها لا ينقصها شيء من شروط الشعر العبرانيّ . وانتقادنا هذا خفيف بالنسبة الى محاسن هذه الطبعة التي نوصي بها كلَّ محبّ الدروس الكتابيَّة

٢ ومما يسرُّنا بسط فحواهُ لقرَّائنا مجلَّدان ضخمان وضعهما احد المدرسين في مدرسة لوزان في سويسرة الاستاذ لوسيان غوتيار (١ . ودعاهما بالمقدَّمة على درس العهد العتيق . ومؤلف هذا الكتاب من علماء البروتستانت قد زيَّن تأليفهُ بمحاسن شتَّى من شأنها ان تستوقف انظار العلماء فمن ذلك حُسن الاسلوب في التقسيم وارتباط الفصول في بعضها وسلاسة الانشاء ورقَّة التعبير ومنها الايضاحات اللغويَّة المسهبة والاشارة الى تآليف كبار اساتذة المعلّمين الافرنسيين والالمان والانكليز ممَّا يدلُّ على سعة معارف المؤلف واحرازهِ لمعظم ما كُتب في هذا المعنى في زماننا . فهذه لعمري صفات لا يسعنا انكارها . بيد اننا نجد ايضاً في كتابهِ ما يستدعي الانتقاد على آرائهِ والردَّ على مزاعمهِ . فمن ذلك انهُ لم يكتفِ ببيان ما استعارهُ موسى الكليم من معلومات الذين سبقوهُ بل يدَّعي انَّ معظم ما في كتب هذا المشترع الكبير ليس هو لهُ وانَّ كتب موسى الخمسة ليست سوى مجموع غير منتظم من اقوال غيرهِ — ومثلهُ في الغرابة رأي المؤلف في الانبياء ونبوَّاتهم فانهُ يجعلهم كسياسيين ذوي نظر ثاقب سبقوا فعلموا الامور قبل وقوعها بتوقّد ذهنهم — وكذلك زعم انَّ المزامير مجموع تسابيح تقويَّة ليس فيها اشارة

---

١) اسمهُ في الاصل الفرنسويّ :

Lucien Gautier: Introduction à l'Ancien Testament, 2 vols, gr. in-8°, XVI, 671 et 642, *Lausanne, G. Bridel et Cie*. Prix 20 f^rs^ les 2 vols.

الى المسيح — ومن مزاعمهِ المردودة قولـهُ بان نشيد الاناشيد لا يتجاوز المعاني الغزليَّة وانَّ كتاب الجامعة لم يُنظم في سلك الكتب المقدَّسة الَّا لاجل ختامهِ حيث يقول : « أتقِ الله واحفظ وصاياه فان هذا هو الانسان كلهُ » . هـذه بعض الاقاويل الغريبة التي ضمَّنها المسيو غوتيار كتابهُ ويا ليتهُ دعم آراءهُ بحجج مقنعة فانَّنا لسنا ممَّن يكابر الحقَّ فان وجدنا في اقوال مناظر ادلَّةً بيّنة وبراهين ثابتـة سلَّمنا بصحَّتها . ولكن ما قولك بكاتب يخوض في تفسير الكتب المقدَّسة ويشرّحها ببضع انتقادهِ الخاصّ وهو لا يقرّ بالوحي ويعتبر كلَّ ما يفوق طور الطبيعة كخرافة فينفي المعجزات لعدم انطباقها مع عقلهِ القاصر أفلا يُفسد حقيقة تلك الكتب المنزلة ويقيس اعمال الله بقياس باطل . وزد على ذلك انـهُ يزيّف بلا دليل تقليدًا متواترًا رضخت الى حكمهِ العقول النيّرة وتسلَّمتهُ الاجيال كسلسلة متواصلة غير منفصمة لم يقوَ على قطعهـا فحول المناقضين . هـذه بعض ملحوظاتنا على كتاب الاستاذ غوتيار ولا نظنّ انَّ المشايعين للمذاهب البروتستانية يقولون غير قولنا في كتابهِ اللهمَّ اذا ارادوا ان يحفظوا شيئًا من الدين ولا يتورَّطوا في الزندقة والالحاد

٣ يُلحق بالكتاب السابق تأليف لاحد ائمَّة العلوم الشرقيَّة في المانية الدكتور الفرد جرمياس وسمهُ « بالعهد الجديد في نور الشرق القديم » (١ وضعهُ صاحبهُ كدستور لطلبة الدروس الكتابيَّة القديمة في علاقتها مع الآثار الشرقيَّة . وهذه الطبعة الثانية بعد صدور الكتاب منذ سنتين ما يدل على رواجهِ وشيوعهِ بين البروتستانت في المانية وهم قد اتخذوهُ بمثابة كتاب الاب ڤيكورو (Vigouroux) المعنون بالتوراة والاكتشافات الحديثة (La Bible et les découvertes modernes) . ومن مزايا هذه الطبعة انَّ صاحبها زاد عليها ٢٥٠ صفحة وزيَّنها بعدَّة تصاوير جديدة . وغاية المؤلف من تصنيف هذا الكتاب أن يبيّن انَّ الاكتشافات العديدة التي تكرَّرت في انحـاء الشرق في عهدنا ليس فقط لم تنقض حقيقة الاسفار المقدَّسة بل زادتها قوَّةً سواء كان في الامور التاريخيَّة او في الآداب او في الاثريَّات . ولبيان الامر قد اتخذ الدكتور جرمياس طريقة

(١ **Alfred Jeremias**: Das alte Testament im Licht des alten Orients. 2[te] *neubearb. Aufl.* 1906. *Hinrichs,* 8°, XV-624 pp. *mit* 216 *Abb. u.* 2 *Karte.*

عجيبة فانهُ يزعم انَّ التمدُّن والدين الشائعين في خوالي القرون بين البابليين خصوصاً وبين بقيَّة الشعوب عموماً كانا مبنيَّين على التنجيم ولم يستثنِ من ذلك بني اسرائيل فسعى المؤلف ان يجمع من الكتاب المقدَّس كلَّ اثر يدلُّ على علم الهيئة والتنجيم من تكوين الابوين ثم الطوفان ثم تفرُّق الامم ثم تاريخ ابراهيم وقصَّة يوسف وقضاة اسرائيل وهلمَّ جرًّا. ويزعم المؤلف انَّ في تفاصيل التوراة عن هذه الامور اشارات واضحة او خفيَّة الى النجوم وعبادتها . فمن مزاعمهِ مثلًا انَّ يوسف الحسن لم يكن شخصاً وهميًّا كما ارتأى ڤلهوسن (Wellhausen) وانَّما برز في سفر التكوين على هيئة المعبود الشمسي الاله تمُّوز . وهذا الزعم الغريب لم يسبق اليهِ الدكتور جرمياس بل اخذهُ عن كاتب الماني آخر شهير يُدعى ونكلر (Winckler) . ولعمري انَّهما لبئس الطريقة بناها كلاهما على شفيرٍ هارٍ لا سند لهُ غير التخيُّلات والوهميَّات وهي لا تبعد عن طريقة بعض الملحدين في المانية كالمسيو ستوكن (Stucken) الذي نفى كلَّ حقيقة التاريخ من الاسفار المقدَّسة وجعل كلَّ الآباء وقضاة اسرائيل وملوكهم اشخاصاً وهميَّة لها اسماء دون اجسام. ولا نشكُّ انَّ ارباب الذوق السليم والعلماء الصادقين ينبذون هذه الترهَّات نبذ النواة. ويسوءُنا ان ننظر علماء كجرمياس يُضيعون وقتهم في هذه التصوُّرات الفارغة فيهيمون في وادي تضلُّل ويضلّلون غيرهم من السذَّج . هـذا ولا ننكر انَّ صاحب الكتاب استفاد في تأليفهِ من الاكتشافات الحديثة ومن تآليف كثيرٍ من العلماء مع مراجعة الآثار الشرقيَّة التي تفيد لدرس الاسفار المقدَّسة . ومع اقرارنا بهذه الفوائد قد وجـدنا المؤلف لا يعلم العلم الكافي بالعاديَّات الشرقيَّـة وممَّا يدلُّ على ذلك انَّهُ قد ازال من طبعتهِ الاولى آثارًا مزوَّرة لا صحَّة لها. وقد ابقى منها شيئاً في طبعتهِ الثانية ولولا ضيق المقام لأَتينا بشواهد متعدّدة على قولنا. فمن ذلك انَّهُ نشر في الصفحة ١٤٣ من كتابهِ (ع ٦٠) صورة هيكل فينيقي وليس هو في الحقيقة هيكلًا وانَّما هو صورة كوخ صغيرٍ اقامهُ بعض القدماء كتذكار تقويٍّ. وترى في نافذتيه صورة امرأتين—وكذلك نشر (ص ١٩٧ عدد ٦٨) صورة اسطوانة قد اقتناها وظنَّ انَّها من اصل فينيقيٍّ ولو تروَّى لأَمكنهُ ان يقابلها باثرٍ حثّي رسمهُ في الصفحة ٥٨٥ (عدد ٢٠١) — واغرب من هذا (ص ٢٧٨—٢٧٩) انهُ قابل بين برج بابل واهرام مصر الدرجيَّة دون ان يبيّن العلاقة الموجودة بين البرج الهيكلي وبين الهرم المدفنيّ. وفي هذا دليل واضح على انَّـهُ

يجهـل خواصّ الآثار المصريّة — وقد غلط (ص ٢٩٢) اذ نسب اكتشاف بعض العاديّات للالمان وهي في الحقيقة لافرنسيين سبقوهم الى ذلك — ثم نشير الى المؤلف ان يراجع لاصلاح قوله في كدرلاعمر (ص ٣٤٧) ما كتبهُ العلّامة ساس (Sayce) في مجلّة الآثار الكتابيّة (Proceedings of the Society of Bibl. Archæology, 1906, p. 193) — ومن مزاعمهِ (ص ٤٢٣ و ٤٢٤) انّ موسى كتب بالقلم الاشوريّ وهو امرٌ مشبوه. لأنّهُ امكنهُ ان يستعير لكتاباتهِ القلم المصريّ الديني وان كانت لغة العبرانيين ساميّة مختلفة عن لغة المصريين (اطلب اعمال موتمر المستشرقين في روميـــة سنة ١٨٩٩). وكذلك قد وجد اليوم المسيو ونكلر في بوغازكوي آثارًا حثيّة مكتوبة بالقلم المساري وكانت لغتهم بعيدة عن لغة اشور وخلاصة القول انّ شعبًا لا كتابة لهُ يمكنهُ ان يستعير لكتابتهِ لغـة شعب آخر وقلمهُ او يكتفي باتّخاذ قلمهِ دون لغتهِ كما فعل الفرس باتّخاذهم الحرف العربيّ للغتهم المخالفة للغة العربيّة

٤ ويلحق بالكتاب السابق كتاب آخر لاحد انصار ونكلر المدعو إرْبت (١). فانهُ هو ايضاً يتعقّب آثار المعلّم في قولهِ ويزعم مثلهُ انّ التاريخ الشرقي كلهُ صدًى لتاريخ البابليين ودينهم وقد بنى على ذلك تاريخًا وهميًا لبني اسرائيل لا يسندهُ الى سند مقرَّر وانّما ينقل شيئًا من اقوال التوراة فيتصرَّف فيها كيف يشاء على طريقة ونكلر وان كان لم يستشهد بقولهِ الّا نادرًا. وقد اراد المسيو اربت ان يحيد عن طريقة ڤلهوْسن واتباعهِ الذين ميّزوا في التوراة اقساماً تاريخيّة متجانسة تتّفق في اساليبها واغراضها. امّا المسيو إربت فنهج طريقًا جديدة ليس لها حقيقة وضعيّة وهي كلها اوهام خياليّة ترى علماء المانية انفسهم يصوّبون اليها سهام اللام فاحتاج المسيو إربت ان يزكّي نفسهُ بمقالة نشرها آخرًا في مجلّة « فيكر » الالمانية (Wissenschaftl. Correspondentzblatt d. Philologiæ Novitates, Octobre, 1906, p. 9)

٥ وممّا كُتب آخرًا في تاريخ البابليين والعبرانيين في الانكليزيّة خُطب ألقاها

---

١) اسم كتابهِ بالالمانيّة :
W. Erbt: **Die Hebraeer,** Kanaan im Zeitalter der hebr. Wanderung u. hebr. Staatengründungen, *Hinrichs,* 1906, IV - 236 pp. 8°.

شابٌ اميركي اسمهُ ستيفن لنكدون (١ احد تلامذة حضرة الاب شيل الدومنيكي في الآثار الاشوريَّة وكان قد القى هذه الخطب في كنيسة بروتستانية تدعى كنيسة الثالوث فرغب اليهِ اصحابهُ ان ينشر تلك الخطب فنشرها في باريس واضاف اليها حواشي وملحوظات شتَّى · ثمَّ الحقها ببعض نصوص اشوريَّة لم تُطبع حتى الآن تتضمَّن رسائل تجاريَّة يرتقي بعضها الى عهد الملك حمورابي · وما يُقال بالاجمال عن هذه الخطب انَّها لا تروي غليلًا فانَّ صاحبها يذكر اشياء كثيرة مستندًا الى اقاويل غيرهِ غثَّة كانت او سمينة دون ان يميّز بينها · ومنها مزاعم مردودة نقلها الكاتب عن بعض مشاهير الكتبة المعادين للدين ممَّن يسهل تزييف ارائهم · لكنَّه في وصف العاديّات اصدق منهُ في رواية الامور التاريخيَّة لأنَّهُ خصَّ نفسهُ بدرس الآثار · ومن ثمَّ نشير الى القرَّاء ان يأخذوا حذرهم من بعض رواياتهِ غير الثابتة كوصفهِ (ص ٨–٩) لغزوات الساميين وكقولهِ (ص ٨–١١) عن سلالة الهكسس والعبرانيين جاعلًا بين الأمتين علاقةً تاريخيَّة كأنَّهُ قد ثبت لدى الجميع اصل الهكسس من بني سام — وممَّا اذهلنا في كتاب المؤلف انهُ لم يأتِ بذكر الفلسطينيين والامم التي كانت في سواحل البحر · — وكذلك قد وقعت اغلاط كثيرة في طبع هذا الكتاب كقولهِ مثلًا (ص٢٢) Disaspora والصواب Diaspora الى غير ذلك ممَّا لا فائدة في ذكرهِ

٦ انَّ دائرة المعارف البروتستانيَّة التي ذكرناها غير مرَّة (المشرق ٨: ٩١ و ٩: ٧٢٠) كادت تقرب الى نهايتها فقد أُرسل لنا منها الجزء الثامن عشر (٢ الذي امعنَّا فيهِ النظر بكل رغبة · ولا نعود الى ملحوظاتنا العموميَّة السابقة في هذا التأليف لاسيَّما انتصار اصحابهِ لمزاعم المناقضين للدين في الموادّ الكتابيَّة وفي الابحاث الكنسيَّة كأنَّهم ينسون انَّ التآليف العلميَّة الصادقة تتحاشى الاغراض الدينيَّة والتحزُّبات المليَّة ولا ترمي الى غير الحقّ · وهذا ظاهر حتى في الابحاث التي كتبها المعتدلون بينهم كمقالة الدكتور كونيغ (Ed. König) في شيت (SETH) ومقالة الدكتور كيتل (Kittel) في البركة

---

١) هذا عنوان كتابهِ :
STEPHEN LANGDON : **Lectures on Babylonia and Palestine.** Geuthner, Paris, in-16, XV-183.

٢) **Realencyclopaedie** HERZOG - HAUCK. XVIII, 1906 (Schwabacher Artikel- Stephen II), *Hinrichs.*

واللعنة (SEGEN u. FLUCH) عند بني اسرائيل فانهُ يزعم انَّ البركة واللعنة كانتا ضرباً من السحر — وان انتقلنا الى الثناء نجد في هذا القسم عدَّة مقالات تستحقُّ الذكر جمع فيها اصحابُها خلاصة آراء العلماء مع جدول ما كُتبَ في ذلك في اللغات الاوربيَّة. وممَّا استحسنَّاهُ للدكتور كونيغ مقالاته في المرآة (SPIEGEL) وفي الالعاب (SPIELE) وفي القتل بالرجم (STEINIGUNG) وللدكتور اورلّي (V. Orelli) بحث مهمّ في العبوديَّة (SKLAVEREI) وللدكتور غوته (Guthe) مقالة حسنة في طور سينا (SINAI) لولا انهُ لم يستفد ممَّا صنَّفهُ آخرًا العلَّامة پتري (Petrie) في هذا المعنى فجاءت مقالتهُ مخلَّة. واحسن من هذه مقالتهُ في الصيدونيين (SIDONIER) وان فاتهُ بعض تآليف في ذلك كتأليف إزيدور لاوي (I. Lévy) في اصل اسم فينيقية في مجلَّة الاصول اللغويَّة (Revue de Philologie, 1905, p. 309) ونثني احسن الثناء عن مقالة الدكتور بودّيسان (Baudissin) عن الشمس بصفة إلهة عند القدماء (SONNE) لكنَّنا لا نجد سندًا كافياً لرأيهِ في صورة هيكل اورشليم حيث زعم انهُ بُني على صورة هيكل صور. واغرب من ذلك زعمهُ بانَّ في توجيه هيكل سليمان دليلًا على انَّ هيكل ملقرت מלקרת كان الهاً شمسياً في عهد سليمان. وكذلك في مقالتهِ غلطة من شأنها ان توهم القرَّاء الذين لا يعرفون اسماء آلهة تدمر فكتب «ירחיבול» بدلًا من «ירחבול»

٧ فلننتقلنَّ الى ذكر شيء من التآليف الموضوعة في اسفار العهد الجديد. واوَّلها كتاب نفيس للمسيو ق. شوڤان (١ ردَّ فيها على آراء الخوري لوازي (Loisy) بخصوص انجيل القديس يوحنَّا. ومن المعلوم انَّ المسيو لوازي في كتابهِ عموماً وفي كلامهِ على انجيل يوحنَّا خصوصاً كان خرج عن تعاليم الكنيسة وجنح الى آراء بعض الاباحيين من البروتستانت. وقد قام جملة من علماء الكاثوليك لتزييف اقوالهِ لكنَّ الجدال تفاقم من الجانبين وكثر بينهما القال والقيل حتى كاد يخرج من حدود الآداب الجداليَّة المرعيَّة. وقد تلافى الخلل المسيو شوڤان فردَّ بهذا الكتاب احسن ردّ على مزاعم لوازي وبيَّن له

١) هذا اسمهُ:
Constantin Chauvin. Les Idées de M. Loisy sur le 4e Evangile. *Paris, G. Beauchesne*, 1906, in-16, VIII-292.

بألطف كلام انَّ اراءهُ شاذَّة عن الايمان لا توافق اقوال المتعقّلين من البروتستانت فضلًا عن تعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة. وقد تابع في ردّهِ اقوال مناظرهِ بابًا بابًا وأثبت ما فيها من الصحّة وما يشوبها من البطلان فيثني على الواحد وينفي الآخر جريًا على قول الرسول (١ تس ٥: ٢١): «امتحنوا كلّ شيء. وتمسكوا بما هو احسن». وهي طريقة سهلة المأخذ وان ضعفت فيها قليلًا قوّة البرهان لحاجة الكاتب الى تتبّع آثار خصمهِ المتردّد في ايضاح آرائهِ. وممَّا امكنهُ ان يستعين بهِ لنقض آراء لوازي انَّ هذا الكاتب استند في مزاعمهِ الى مبادئ كاذبة فخلط بين الحقيقة والمجاز وبين الامثال والرموز وبين الكناية والمعنى الصريح ولكلّ ذلك قوانين ثابتة لم يفرز بينها لوازي. وكذلك كنّا وددنا لو قدَّم المسيو شوفان على ردّهِ التفصيليّ ردًّا عموميًّا تسهيلًا للقارئ (١. وما يقال بالاجمال عن هذا الكتاب انهُ جاء في وقتهِ ويحسن بمحبّي الدروس الكتابيّة ان يطالعوه

٨ ومن التآليف الجامعة بين المسائل الكتابيّة واللاهوتيّة كتاب لحضرة الاب الدومنيكي رجينلد فاي (٢ او بالاحرى كرّاس لا يتجاوز ١١٣ صفحة ضمّنهُ ثلاثة ابحاث من مهمّات الابحاث اعني وحي الاناجيل المقدَّسة وترقّي العقائد الدينيَّة وقانون السرّ في اوَّل الكنيسة. وكلّ من هذه المطالب لا تفي بهِ المجلّدات فكيف الصفحات والمؤلف قد اراد اختصار ذلك حتى أدَّى بهِ الاختصار الى الابهام والالتباس فان مسائل كهذه تحتاج الى ايضاحات مطوَّلة وشروح مسهبة وادلّة لامعة وتفاصيل ساطعة ولولا ذلك يبقى القارئ في ارتباك افكارهِ بل تزيد ظلمات عقلهِ بدلًا من ان يستدلّ على الحقائق بالبيّنات الواضحة. فانَّهُ لا يكفي الكاتب ان يردّد كلام الرسول (عب ١٢: ٩): «لا تنقادوا لتعاليم متنوّعة غريبة» بل حقُّهُ ان يؤيّد أقوالهُ بالبراهين والحجج التي تنفي كلّ ريب ممَّا يحاول اثباتهُ. والسلام

---

١) قد وقع في الصفحة ٩٨ غلطة طبعيّة فطُبع קרנוקרנו بدلًا من קרבוקרבו

٢) وهو في اللاتينيَّة:

P. Reginaldus Fei O. P. — De Evangeliorum inspiratione— De Dogmatum evolutione — De Arcani disciplina. *Paris, Gabriel Beauchesne et C^{ie}*, 1906, pp. 113.

مطبوعات شرقية جديدة

H. R. Hall. Coptic and Greek Texts of the christian Period, from ostraka, stelæ, etc. in the British Museum. — One hundred plates. *London, British Museum*, 1905, in-4°, XII - 160 pp.

نصوص قبطيّة ويونانية على خزفيّات

عرف القارئ من مقالتنا عن البرديّ (المشرق ٩ : ٨٥١) كم كان وجود البردي عزيزًا حتى في مصر موطنهِ . فسدًّا لهذا الخلل كان القدماء يتّخذون بدلًا منهُ الخزفيّات (ὄστρακα) لرخصها وشيوعها فكانوا يكتبون عليها امَّا حفرًا بنقرها وامَّا خطًّا بالحبر. وقد عمَّ استعمالها جهات البلاد. واكثر ما شاعت في مصر حيث وُجد منها الالوف المؤلفة . وفي المتحف البريطانيّ منها مجموع نفيس لا يزال يزيد يومًا بعد يوم واحسن ما في هذا المجموع خزفيّات متعدّدة من عهد النصرانيّة بالقبطيّة واليونانيّة . وكان العلّامة كروم (Crum) نشر من ذلك كتابًا طبعهُ سنة ١٩٠٢ . وهاك اليوم تأليفًا جديدًا أُلحق بالكتاب السابق يحتوي مئة صورة من هذه الآثار الخزفيّة مع مخطوطات أُخرى على حجارة وخشب وشمع نشرها الاثري الانكليزي هال (H. R. Hall) ثمَّ فسَّر معانيها وذيَّلها بالملحوظات المفيدة وهذه الآثار تتراوح بين القرن الخامس والثاني عشر للمسيح وهي تُقسم الى خمسة اقسام كلها تفيد تاريخ مصر في العهد القبطي . منها الكتابات المدفنيّة بالقبطيّة واليونانيّة خُصَّت بقبور شهداء نصارى القبط وفضلائهم مع رموز اخذوا بعضها عن قدماء المصريين كالنسر والقرص المجنَّح والصليب ذي العروة الرمزيّة . ومنها نصوص شرعيّة وأحكام ورسالات وجداول أعلام وآيات كتابيّة ومنها ايضًا الواح تقادمٍ وزجاجات وقناديل مع صورة القديس منَّاس يقود النوق وعليها كلها كتابات . وانفس ما في هذه المخطوطات الخزفيّة ما اكتُشف في مدينة هبو وفي دير البحري تحتوي آثارًا كتابيّة لحبساء الصعيد ورهبان اديرتهِ ضمَّنوها الرسالات الدينيّة وغيرها التي كانوا يرسلونها من دير الى آخر او الى شركاء الاديرة والفلّاحين . امَّا كتبة هذه الرسائل فالبعض منهم معروف كابراهيم اسقف ارمنت (Hermonthis) الذي تُحفظ وصاتهُ في المتحف البريطاني . ومنهم من كان مجهولًا لم يظهر اسمهُ قبل هذه المرَّة . وممَّا

يزيد هذه الآثار أنها تفيد ايضاً اللغة القبطيّة وآدابها ومآثرها بين الخاصّة والعامّة . فما لنا اذن الّا ان نثني الثناء التام على هذا التأليف البديع ل.ج

De Sacramento Extremæ Unctionis. Tractatus dogmaticus auctore **Josepho Kern, s. j.** *Ratisbonne*, *Fr. Pustet*, 1907, in-8°, XVI-396.

كتاب سرّ المسحة الاخيرة

في هذه السنة تحتفل كليّة انسبروك التي يديرها الآباء اليسوعيون في بلاد تيرول بيوبيلها الخمسيني. وهو عيد نشاطر اخوتنا النمسويين افراحهُ ونهنّئ فيهِ كلّ اساتذة تلك المدرسة الزاهرة التي يتقاطر اليها طلبة العلوم العليا من كلّ فجّ وأوب ليتلقّوا فيها المعارف البشريّة بفروعها من فم مشاهير المعلّمين الذين اغنوا العلوم بمنشوراتهم وتآليفهم الخطيرة في كلّ فنّ ولو سردنا هنا اسماءهم وجداول مصنّفاتهم لخرجنا عن الحدود التي نتحرّاها في فصل الانتقاد. وانّما نخصّ بالذكر احدهم وهو الاب نيلس الذي توفاهُ الله سلخ كانون الثاني من السنة الجارية ولهُ مطبوعات اثيرة في الطقوس والكلندارات الكنسيّة الشرقيّة والغربيّة تكرّرت طبعاتها لفائدتها. وممّا ورد علينا آخرًا كتابٌ نفيس وُضع كتذكار لليوبيل المشار اليهِ ألّفهُ الاب يوسف كرن مدرّس اللاهوت النظريّ في الكليّة المذكورة الذي عرفناهُ مدّةً في فيِنّة وتحقّقنا طول باعهِ في ضروب العلوم الفلسفيّة واللاهوتيّة وكان اذ ذاك يدرس اللغات الشرقيّة ليتولّى تعليمها في انسبروك . ثمّ استدعت الاحوال رؤساءهُ الى ان عهدوا اليهِ تدريس اللاهوت النظريّ فبرّز فيهِ واضحى حجّةً يُرجع بها الى قولهِ. وهذا الكتاب الذي اهدانا أيّاهُ يبحث عن احد اسرار الكنيسة الذي قلّت فيهِ مصنّفات العلماء نريد المسحة الاخيرة . انتهج فيهِ حضرة المؤلف نهجاً جديدًا جمع بين الطريقة العلميّة والمدرسيّة معاً فضمّنهُ كلّ المباحث التي من شأنها تعريف حقيقة هذا السرّ ومادّته وصورته وخواصهِ وتاريخهِ منذ اوّل النصرانيّة في كنائس الشرق والغرب مع اختلاف العادات في توزيعهِ وتعريف شروطهِ المرعيّة. وقد عرض كل ذلك على اسلوب واضح وتقاسيم منظّمة وبانشاء لاتيني غاية في الطلاوة والبلاغة . وكذلك قد أُتقن طبعُ الكتاب فجاء آيةً في الحسن اهلًا بعيد يوبيليّ. وقد سرّنا انّ المؤلف لم يسهُ في ابحاثهِ عن العادات المألوفة في الشرق وعمّا كتبهُ

اللافنة الشرقيّون في سرّ مسحة المرضى . وخلاصة القول انّ هــذا التأليف هو اليوم أحسن مــا كُتب في هذا الموضوع لا يستغني عنهُ اللاهوتيون ومحبّو الآثار الكنسيّة ولا نشكّ انّهم اذا راجعوهُ يحكمون فيهِ كحكمنا ل . ش

GRAMMAIRE ÉTHIOPIENNE avec **Chrestomathie** et **Vocabulaire**, accompagnée d'un **Appendice** et d'un **double Index** par le P. M. CHAINE s. j. *In*-8°, IX-284 pp.—Paradigmes et Index à part. 35 pp. *Beyrouth, Imprimerie Catholique,* 1907.

اصول اللغة الحبشيّة

اللغة الحبشيّة احدى اللغات الساميّة التي يدرّسها اساتذة المكتب الشرقيّ في كليّة القدّيس يوسف . وقد سبق لمجلّتنا الكلام في خواصّها وشُعَبها (المشرق ٨ : ١٠٠ و٣١٤) والعلماء لم ينكبّوا على دراسة هذه اللغة الّا منذ عهد قريب لاسيّما اللغة الجعزيّة (gheez) التي هي لغة الاحباش المقدّسة فما كان نُشر في قواعدها الّا ثلاثة كتب : الاوّل منها في اللاتينيّة للرحّالة الشهير لودلف (Ludolf) في القرن السابع عشر والثــاني للعلّامة الالماني ديلمان (Dillmann) طبع سنة ١٨٥٧ . والثالث مختصر للالماني پريتوريوس (Prætorius) وكلاهما بالالمانيّة . اما بالفرنساويّة فلم ينشر حتى الآن غرامطيق فقد سدّ هذا الثغر حضرة الاب شان اليسوعيّ مدرّس اللغــة الحبشيّة في مكتبنا الشرقيّ فوضع كتاباً وافياً في اصول لغة الحبش القديمة متحرّيًا في ذلك المفيد للدارسين بحيث يستطيعون بوقت قريب ان يطالعوا الآثار الحبشيّة . ولذلك قد اكثر من الامثلة في كلّ باب من ابواب صرف الاحباش ونحوهم التي اوضحها . وقد ألحق الاصول بمنتخبات من كتاب التكوين ومن سفر راعوت ليرتاض بها الطلبة على درس اللغة . وقد ختم تأليفهُ بمعجم للمفردات . هذا فضلًا عن كرّاسة منفردة دوّن فيها تصريف الافعال مع جدولين للموادّ وللالفاظ المشروحة . ونحن لا نشكّ في رواج هذا الكتاب بين كلّ طلبة اللغة الحبشيّــة ل . ش

شذرات

قصيدة السموأل — كتب لنا حضرة الاب انستاس الكرملي من بغداد: «جاء في المشرق (٩ : ٤٨٢ و ٦٧٤) نصّ قصيدة منسوبة الى السموأل وتمنّى صاحب المجلّة المذكورة (ص ٦٧٥) ان يحصل على نسخة ثالثة ليصلح بها ما جاء من الغلط في النسختين الافرنجيّة والموصليّة. وبينما انا ابحث في كُتُبي على احد شعراء بغداد في القرن المنصرم ورد ذكرهُ في مخطوط نفيس عندي إذ عثرتُ على قصيدة السموأل المذكورة ولمّا انعمتُ النظر فيها وجدتها قليلة الضرائر الشعريّة والاغلاط النظميّة وأليفتُها تختلف الرواية عن النسختين المذكورتين فجئتُ اتحف بها قرّاء المشرق الكرام وأصف لهم المخطوط الذي وردت فيهِ مع بعض الانتقاد لهذه المنظومة. وقد وردت القصيدة في الصفحة ٢٧٤ من مخطوطنا وقد تُرجمت بهذا العنوان:

«هذه القصيدة للسموأل من بني قُرَيظة لا للسموأل من بني غسّان»

واليك الآن نصّها مع الضبط المشكول بكل تدقيق وامانةٍ:

ألا ايها الضيف الذي خاب سادتي   ألا أسمَع جوابي لستُ عنك بغافلِ
ألا أسمَع لفخرٍ يترك القلبَ مولهًا   وينشب نارًا في الضُلوع الدواخلِ
فأُحصي مزايا سادةٍ بشواهدٍ   قد اختارهم رحمانُهم للدلائلِ
قد اختارهم عُقماً عواقرَ للورى   ومن ثَمَّ ولّاهم سِنَامَ القبائلِ
من النار والقربان والمحَن التي   لها استسلموا حبَّ العُلى المتكاملِ
فهذا خليلٌ صيّرَ النارُ حولَهُ   رَياحينَ جنّاتِ الغصون الذوابلِ
وهذا ذبيحٌ قد فداهُ بكبشهِ   براهُ بديعًا لا نتاجَ التّياتلِ
وهذا رئيس مُجتبَى ثمّ صَفوُهُ   وسمّاهُ اسرائيلَ بكرَ الاوائلِ
ومن نَسلهِ الساعي ابو الفضل يوسف م   الذي أشبَعَ الاسباط قمحَ السنابلِ
وصار بمصرٍ بعد فرعونَ امرُهُ   بتعبيرِ أحلامٍ لحلّ المشاكلِ
ومن بعد احقابٍ نسوا ما أتى لهم   من الخير والنّصرِ العظيم الفواضلِ
ألَسنا بني مصر المنكّلة التي   لنا ضُربت مصرٌ بعشر مناكلِ
ألسنا بني البَحر المُفَرّق والتي   لنا غُرّق الفرعَونُ يومَ التحاملِ
واخرجهُ المبدي الى الشعب كي يرى   اعاجيبهُ مع جُودهِ المتواصلِ
وكيما يفوزوا بالغنيمة اهلها   من الذهب الابريز فوقَ الحمائلِ
ألسنا بني القدس الذي نُصبت لهم   غمامٌ تَقيهم في جميع المراحلِ

من الشمس والامطار كانت صيانةً ۞ تجيرُ نَوادِيهم تُزولَ الغوائلِ
السنا بني السلوى مع المنّ والذي ۞ لهم فُجّرَ الصوّانُ عذبِ المناهلِ
على عدد الأسباط تجري عيونها ۞ فُراتاً زُلالًا طَعمُهُ غيرَ حائلِ
وقد مكثوا في البرّ عمرًا مجدّدًا ۞ يُغذّيهم العالي بخير المآكلِ
فلم يبلَ ثوبٌ من لباسٍ عليهم ۞ ولم يُحوِجوا للنّعل كلَّ المنازلِ
وأرسلَ نوراً كالعمود امامهم ۞ يُنير الدُّجى كالصبح غيرَ مُزايلِ
السنا بني الطور المقدّس والذي ۞ تَدَخدَخ للجبّار يوم الزلازلِ
ومن هيبة الرحمان دُكَّ تذلُّلا ۞ فشرّفهُ الباري على كلّ طائلِ
وناجى عليهِ عبدَهُ وكليمَهُ ۞ فقدّسنا للرب يومَ التباهلِ اه

« فمن قابل بين هذه الرواية والروايتين الأولَيَين يحكم ان هذه اصح من تينك . وان هذه نُقلت عن اصلٍ اصدق روايةً من النسختين اللتين أُخذت عنهما الروايتان الافرنجيّة والموصليّة . . . »

ثمَّ وصف حضرتهُ المخطوط الذي اخذ عنهُ هذه القصيدة وهو مجموع حديث تاريخهُ سنة ١٢٣٢ هـ . (١٨١٦م) يبتدئ بقصائد في مديح الوزير داود باشا نظمها عدّة شعراء عراقيين وعنوانها « نيل السعود في ترجمة الوزير داود » . ويلي القصائد منتخبات من كتب الحديث والادب والاقوال جمعها صاحبها المجهول من عدّة مخطوطات ومن جملتها هذه القصيدة للسموأل . فنشكر حضرة الاب انستاس علي علوّ همّته وتقدّمها للمستشرقين عساهم يبدون فيها حكماً . ونكرّر رغبتنا الى مكاتبنا في الموصل ان يزيدنا علماً عن النسخة التي اخذ عنها روايتهُ وقد قال حضرتهُ انّها نسخة قديمة

الماس المصنوع توفّي آخرًا الاستاذ الكيموي الشهير مواسّان الفرنسوي . فبادرت الجرائد والمجلات الى ذكر مآثرهِ . وممّن اطرأهُ صاحب مجلّة المقتطف في عددهِ الاخير (١٩٠٧ ص ٢٥٩) على انهُ روى في جملة مكتشفاتهِ اصطناعهُ للماس . قال (ص ٢٦٠) « واهتمَّ (اي موسان) سنة ١٨٩٢ باكتشاف طريقة لعمل الماس فكُلِّل عملهُ بالنجاح وصنع حجارة الماس حقيقيّ ولكنّها صغيرة جداً مستخدماً الأتون الكهربائيّ » . (قلنا) هذا وهو خبر عارٍ من الصحّة سبق لنا كلام فيهِ في المشرق (٦ : ١٠٧٣ و ٧ : ١٠٤٧) حيث بيّن حضرة الاب دي ڤراجيل انَّ مدّعى المرحوم موأسّان لا اساس لهُ وانَّ ما استحضرهُ ليس هو ماساً صناعيًا بل عنصرًا آخر ليس فيهِ شيء من خواصّ الماس . فتأمل

اسئلة واجوبة

س سأل من عينانيت الاديب انطون العمّ : ١ً ماذا يصيب كلًّا من الورثة اذا توفي الاب من بنين واحفاد . ٢ً ما هي الطريقة لاستخراج عيد الفصح ولاي سبب وقع العيد هذه السنة في ٣١ اذار بعد وقوعهِ في العام الماضي في ١٥ نيسان

نصيب الورثة — طريقة استخراج عيد الفصح

ج نجيب عن (الاوَّل) انَّ الأَحفاد لا يرثون ان كان للاب بنون احياء . وعن (الثاني) انَّ المشرق قد افاض في هذه المسألة غير مرَّة راجع السنة الرابعة (ص ٤٢٢ و ٤٧٩) والسنة الخامسة (ص ٣٣٦) والسنة السادسة (ص ٦٧٢)

س وسأل حضرة القس نعمة الله الشهابيّ من دير القمر لايّ سبب الكنيسة الغربيَّة تمنح البركة بالاصابع الخمسة والكنيسة اليونانيَّة بثلاثة اصابع

الاصابع في منح البركة

ج انَّ منح البركة في قرون النصرانيَّة الاولى لم يكن على طريقة مقرَّرة ثابتة كما يظهر بالآثار القديمة حيث يُرى المسيح والرسل وغيرهم يباركون تارة باليد الممدودة او المرتفعة بفتح الاصابع كلها وتارة بفتح اصبعين وهما الابهـام والسبَّابة وقبض الاصابع الاخرى وحينًا بثلاثة اصابع وذلك على ثلاث هيئات اعني ١ً بالثلاثة الاصابع الكبرى المتتابعة الابهام والسبَّابة والوسطى . ٢ً بالاصابع الثلاثة الاخيرة . ٣ً بفتح السبَّابة والوسطى والخنصر وضمّ الابهام الى البنصر . وهذه الطريقة الاخيرة هي التي شاعت بعدئذٍ في الكنيســة اليونانيَّة امَّا اشارةً الى الثالوث الاقدس وامَّا تصويرًا للحرفين الاوَّلين من اسم السيّد المسيح باليونانية I و X وقيل ايضًا انهُ يُشار بذلك الى حرفي الابجدية اليونانية A و Ω تنويهًا بقول الربّ في كتاب الرؤيا انـهُ الاوَّل والآخر ل . ش

* اصلاح غلط * اغفل صفّاف الحروف في النبذة المنونـة بآثر قديم في العدد السابق (ص ٢٨٦ س ٢٠) اسم الشيخ نوفل الخازن الذي وجَّه اليهِ فرنسيس الصليبيّ كتابهُ فجاء المعنى مشوشًا . وكذلك يُصلَح اسم «الحيَاطلة» في الصفحة ١٢٥ س ٦ والصفحة ١٢٦ س ١٢ . وفي السطر ١٣ من هذه الصفحة كُتبت «حنطلة» بالنون والصواب «حفطلة» وقيل انَّ «الهاء والباء تتعاوران» والصواب «الفاء والباء»

المشرق

العاديّات البابليّة والاسفار القدسيّة

للاديب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعيّة الكتابيّة الاثريّة

تحقّق القرّاء من مقالاتنا السابقة ما افادت الاكتشافات الاثريّة الحديثة لتأييد الكتب المنزلة وايضاح بعض مبهماتها · وقد بلغنا انّ الشرقيين يرتاحون لمثل هذه الابحاث فجئناهم بأدلّة جديدة على ما تحرّينا بيانهُ · وهذه المرّة نبني قولنا خصوصاً على الدستور الشرعي الجليل الذي توفّق المسيو دي مرغان الى اكتشافه في شوشن اعني شريعة حمّورابي المعروف في التوراة (تك ١٤ : ١) بأمرافل · ونقسم نبذتنا قسمين نبيّن في اولهما ما يوجد من التوافق بين البابليين وبني اسرائيل بخصوص الخواطر الدينيّة وفي الثاني توافقهما في السُّنن والامور الاجتماعيّة وذلك منذ عهد حموربي اعني نحو ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح وهو دليل لامع على انّ ابراهيم الخليل جدّ الاسرائيليين شعب الله كان اصلهُ من بلاد الكلدان خرج من اور الى حرّان ثمّ الى فلسطين كما روت الاسفار المقدّسة

١ موافقة الاسفار المقدّسة للعاديّات الاشوريّة في الدينيّات

لا ننكر انّ الله ظهر لابراهيم الخليل ومن بعدهِ لاسحاق ابنـهِ وليعقوب حفيدهِ ولموسى كليمهِ واوحى اليهم بحقائق دينيّة جليلة اوضح واصدق ممّا كان شائعاً من ذلك بين الاشوريين المتعبّدين للاوثان والساجدين للطواغيت لكن اهل بابل واشور كانوا حفظوا اكثر من غيرهم بقايا الدين الاصليّ الذي كان اورثهُ نوح لاولاده فلا غرو انّ ابراهيم عند خروجهِ من بلاد الكلدان استفاد ايضاً من هذه المعلومات وافاد بها نسلهُ من بعـدهِ · ومن نظر مليّاً في الآثار البابليّة وعرضها على بعض اقوال التوراة اخذهُ العجب من التوافق بينهما

فمن ذلك اسماء متعدّدة دالّة على اللاهوت اتخذها البابليون لأعلامهم وتجد شبهها في الكتب الكريمة الّا انّها في الاسفار المقدّسة مجرّدة عن آثار الوثنيّة مخصّصة بالاله الحقّ. فمن هذه الأعلام اسم « بعلنوري » اي البعل هو نوري و « بعلدوري » اي البعل هو حصني و « بعلمور » اي البعــل الذي أعاينهُ . فمثل هذه المعاني ما يُرى في الاسفار المقدَّسة بتغيير لفظة البعل. قال في المزامير (٢٦ : ١) : « الربّ نوري ... الربُّ حصنُ حياتي ». وقال ارميا (٢٦ : ١٩) : « أيها الرب عزّي وحصني ». وقال أيوب (١٩ : ٢٦) « الله الذي اعاينهُ ». ومثلهُ تسمية الاشوريين للبعل «شادي ربو » اي «الجبل الحصين» وقد دعا الاسرائيليّون الرب « ايل شدّاي » اي الالـه الصخرة يريدون بذلك عزّهُ وجلالهُ . وورد اسم « سورئيل » واسم « صوري عدنا » بين اعلام العرب في الجاهليّة وكلاهما بالمعنى السابق اي الله صخرتي . ويظهر هذا في الاعلام المركّبة من لفظة العبد ويُضاف اليها اسم الصنم كعبد نبو وعبد ملوك وغيرهما. فهذه الاسماء في العبرانيّة تضاف الى احد اسماء الاله الحقيقي كعبديا وعبديل

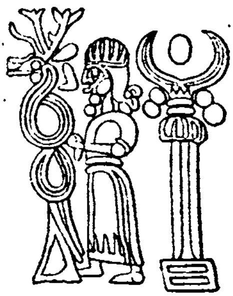
ومن اعلام البابليين ما يشير الى اعتقادهم بالاله الاعظم او باله السماء كالأعلام التي اوّلها اسم « إيلو » وهو الاسم الكريم منها « ايلو رأمني » اي الله رحمني و « إيلو نصير » اي الله نصيري واسماء بمعناهما « كايلو رب اربا » و « إيلو ارس » و « إيلو تانيد » وقد سُمّي بعضهم « ايليو » اي إلهي موجود ومثلهُ اسم بعض العبرانيين « اليهو » (١ كتاب اخبار الأيام ٢٦ : ٧) . وفي كتابة حموربي دعا الله « بعل السماء » كما دعا ابراهيم (تك ٢٤ : ٣) ربّهُ باله السماء (יהוה אלהי השמים) . وقد شاع مثــل هذه الاسماء بين الشعوب الساميّة كالفينيقيين والعرب وهي تدلُّ على صفات الاله العظيم

وقد افتتح حمّوربي كتابهُ بذكر اسم معبودهِ مع نعتهِ بالاله الاعلى فدعاهُ « ايلو سيرو ». وهذه الصفة قد وردت في الكتاب المقدّس على صورة « ايل عليون » אל עליון في سفر التكوين (١٤ : ١٨) وفي النص العبرانيّ لابن سيراخ المكتشف حديثًا (٤٧ : ٥) .

ومما يرويهِ الكتاب الكريم من تخلّف بني اسرائيل وجنوحهم الى عبادة آلهة الامم ما اخبر بهِ صاحب السفر الرابع من اسفار الملوك (١٨ : ٤) انّ بني اسرائيل كانوا يقترّون لحيّة النحاس التي كان اقامها موسى وانّهم كانوا يدعونها نُحُشتان (נחשתן) . ولا غرو انّ الاسرائيليين لم يكونوا ليقدموا على مثل هذه العبادة لو لم يجدوا في الشعوب المجاورة

لهم كالفينيقيين والحثّيين ما يحملهم على ذلك . وها قد جاءت الآثار مثبتةً لهذا الامر كاشفةً للنقاب عن عبادة الحيّات بين أولئك الشعوب

ففي سنة ١٨٩٨ نشر الدكتور ورد (Dr Hayes Ward) رسم خاتم حثّي يمثّل كاهناً او عابدًا يقدّم التقادم لحيّة (١ ملتفّة حول عصاة او جزرة من حديد غُرزت في الارض (انظر صورتها في الشكل ١) . وفي هذا الاثر عينـه ترى صورةً اخرى بقرب الحيّة اي تمثال عشتروت . وفي ذلك دليل على انّ رمز الحيّة كان منوطاً بعبادة عشتروت الإلهة الساميّة ذات الفواحش والارجاس التي تعبّـد لها العبرانيون مرارًا فاثاروا غضب الله عليهم . ومن ثمّ ترى انّ الملـك حزقيًا أحسن لمّا كسر صورة الحيّة النحاسية التي كان موسى اقامها في البرّيّة بامر الرب لا ليجعلهـا كصنم يُعبَد بل لتكون فقط كصورة رمزيّة تشير الى المسيح المصلوب الذي سحق بموتهِ رأس الحيّة الجهنميّة



الشكل ١

وفي معرض المستشرقين المنعقد في باريس سنة ١٨٩٧ شرح المسيو « برجه » العلّامة الفرنسوي كتابةً فينيقيّة وجدها على نُصب من حجر وفوق الكتابة تصاوير تُرى في وسطها حيّتان مـا يدلّ على تعبُّد الفينيقيين للحيّة (٢ . وهذا الاثر اليوم مصون في متحف اللوفر (اطلب الشكل ٢ ص ٣٤٠)

ومن المعروف ان اليونان كانوا اتّخذوا كرمز لعطارد عصاةً حولها حيّتان ويدعون هذا الرمز كادوسة (Caducée) . ولا نتعرّض هنا لبيان العلاقـة بين هذا الرمز وبين عبادة الحيّات في العهـد القديم وفي ما قلنا كفاية لتزكية الملك حزقيًا في كسرهِ للحيّة النحاسيّة ليستأصل بذلك كلّ عبادة باطلة من بني اسرائيل كما امر سبحانهُ وتعالى

١) نحن في ريب عن هويّة هذه الصورة أهي حقيقة حيّة ام لا. فانّ رأس الحيوان المصوَّر اشبه برأس ايل (المشرق)

٢) لا يُنكر تعبُّد الفينيقيين للحيّة بيد أنّ وجودها في هذه الصورة ليس بكافٍ للدلالة على ذلك لأنّ الحيّة كثيرًا ما يُراد بها علامة رمزيّة دينيّة (المشرق)

٢ الآثار الاشوريَّة وعلاقتها مع نواميس موسى



الشكل ٢

فان انتقلنا الآن الى العادات والاحكام الشرعيَّة التي اشار اليها الكتاب المقدَّس وجدنا ايضاً اموراً متعددة تدلُّ على توافق احوال ابراهيم ونسلهِ مع سنن قدماء الكلدان التي دوَّنها حموربي في دستورهِ المكتشف حديثاً وفي هذا التوافق دليل واضح على انَّ مؤلف سفر التكوين كان قريباً من عصر اولئك الآباء حيث لم تجرِ بعد بينهم سنَّة مكتوبة بل كانوا يسيرون غالباً على مقتضى سُنن الكلدان التي أَلِفوها قبل انتقالهم الى بلاد فلسطين

فمن ذلك ما اخبرهُ صاحب سفر التكوين في الفصل السادس عشر عن سارة زوجة ابراهيم الخليل انَّها لمَّا رأت انَّ الله لم يرزقها ولدًا ادخلت ابراهيم على أَمتها هاجر ليُبنى منها بيتُها فولدت اسماعيل . وكذا فعلت راحيل (تك ف ٣٠) مع يعقوب لمَّا دعتهُ الى بلهة أَمتها فولدت لهُ دانًا ونفتالي . ومثلها فعلت ليئة فأَولدت من أَمتها زلفة جادًا وأَشير . وهذه العادة لم نعد نرى لها ذكرًا في اخبار بني اسرائيل وناهيك بذلك دليلًا على انَّ ابراهيم وبنيهِ اتخذوها من شرائع الكلدان لانَّ ابراهيم كان اقترن بسارة في اور الكلدانيين . وكذا راحيل وليئة كانتا من حرَّان وهي اذ ذاك تحت حكم البابليين خاضعة لسننهم

امَّا كون هذه العادة كانت مطابقةً لاحكام الكلدان القدماء . فذلك ما استنتجهُ

الاثري الشهير بنشس (Mr Th. Pinches L. L. D.) من عدّة آثار بابليّة نشرها وفيهـا وصف العيشة الاهليّة والمعاملات البيتيّة واحوال الاحرار والعبيد في بلاد اشور فقرّر انّ فعل قرائن ابراهيم ويعقوب كان حسب العادات المرعيّة في ذلك الزمان . ثمّ ظهر بعـد ذلك اثر حمورابي فاذا الامر فيهِ قد لاح باجلى بيان . وفي ذلك بندان من دستوره هما البند ١٤٤ والبند ١٤٦

(البند ١٤٤) اذا تزوّج رجلٌ امرأةً وأعطت المرأة زوجها جاريةً اولدت لـهُ اولادًا فلا يتّخذنّ سرّيّة

(البند ١٤٦) اذا تزوّج رجلٌ امرأة وأعطت المرأة زوجها جاريةً اولدت لـهُ اولادًا ثم ارادت تلك الجارية ان تجعل نفسها في منزلة مولاتها لأنّها رُزقت اولادًا فمولاتها لا تبيعها بالفضّة بل تَسِمها بسمةٍ وتعدّها من الاماء (١

فترى من هذا النصّ معنى قول سفر التكوين (١٦ : ٣) « انّ سارة اعطت هاجر لأبرام رجلها لتكون لهُ زوجةً » وقولهِ عن هاجر (١٦ : ٤) : « فلمّا رأت انها قد حملت هانت مولاتها في عينيها » فكأنّ هاتين الآيتين منقولتان عن سُنّة حمورابي بالحرف . ويؤخذ ايضًا منها لايّ سببٍ كانت امرأة الرجل هي التي تختار احدى امائها كسرّيّة لزوجهـا حتى اذا ولدت الأمة تكون شاكرةً لسيّدتها خاضعةً لها لا تطلب ان تُنزّل بمنزلة الولاة . وكانت الزوجة لا تختار الّا امةً ليّنة الجانب خُضَعة مطواعًا لاوامرها . امّا اذا كانت الأمة بعدئذٍ تزهو وتشمخ بانفها فكانت لسيّدتها وفقًا للسنّة البابليّة وسيلةٌ لتكسر زهوها وتحفظها في جملة امائها وكذا فعلت سارة التي « اذلّت هاجر » كما روى الكتاب (تك ١٦ : ٦) ولذلك « هربت من وجه سيّدتها » لكنّ الملاك اعادها الى بيت ابراهيم وبقيت هناك بصفة أمة لسارة حتى استوجبت ثانيـةً ان تُطرد وولدها الى البرّيّة كما ذكر الكتاب (تك ٢١ : ٩) (٢

---

١) تجد ترجمة هذين البندين في السنة الثالثـة عشرة من الهلال (ص ٣٠٩) لكنّ المعرّب لم يُحسن تعريبهما والصواب كما نروي هنا

٢) في شريعة حمورابي تُقسم النساء البالغات سنّ الزواج اربعة اقسام المرأة الحرّة (حرتو) ثمّ المرأة المتبتّلة وهي المختصّة بخدمة الآلهـة كما كانت المتبتّلات الرومانيات المعروفة بالفستال وكنّ ينقطعنَ عن الزواج الى ان يتجاوزنَ السنّ اللائق بالتوليد . ثمّ الأمة او السرّيّة التي كانت تختار الزوجة لرجلها . ثمّ السرّيّة التي كان يتّخذها الرجل لنفسهِ

فمَّا سبق ترى بطلان مزاعم الملحدين الذين يرتأون بانَّ اسفار العهد العتيق جُمعت بعد موسى وهارون في زمن كانت أُمة الاسرائيليين جاريةً على سنن مُستحدثة لا تُشعر بشيء من سُنن بابل واشور القديمة. فليت شعري كيف امكن اولئك الجامعين للاسفار المقدَّسة ان يودعوا تلك الاسفار امورًا ما كانت لتخطر على بال احد بعد مئين من السنين. فلا بُدَّ اذن من ان يُقال ان كاتب هذه الاسفار انما دوَّنها لقرب وقوعها من زمانهِ وليدلَّ بذلك على انَّها مبنيَّة على شريعة غير الشريعة المعطاة لموسى اعني الشريعة البابليّة. وناهيك بهِ حجَّة على صحَّة هذه الاسفار وقدمها

وفي اثر حمورابي غير ذلك من المشابهات المؤيدة لقدم الكتب المنزلة. ففي سفر التكوين (٤٩: ١٠) نبوَّة جليلة ليعقوب يقول فيها لابنهِ يهوذا: «لا يزال صولجان من يهوذا ومُشترع من صُلبهِ حتى يأتي شيلو». فالصولجان هنا رمز عن السلطة والملك. وقد اثبت ذلك اثر حمورابي فانَّ في اعلى النُّصب الذي اكتشفهُ المسيو مورغان فوق الكتابة المتضمّنة لبنود الشريعة صورةَ اله الشمس وفي يدهِ صولجان الملك والعدل الذي يشير اليهِ صاحب المزامير (٤٤: ٦). وقد ختم حمورابي بنود شريعتهِ بخاتمة يدعو فيها نفسهُ «الراعي الذي يمنح السلام والذي صولجانهُ هو العدل الناشر الخير بدلًا من الشرّ في المدينة» ففي هذا الرمز وفي هذا القول أحسن تفسير لآية يعقوب. لا سيما ان لفظة «صولجان» هي في اللغة البابليَّة «سِبْطو» كلفظة سفر التكوين שבט (شبط)

ونستغنم هذه الفرصة لنزيد ملحوظًا جديدًا على ما سبق لنا قولهُ (المشرق ٩: ٧٥٤) في آية حبقوق عن شبكة الكلدانيين. فانَّ العلّامة بنشس قد نقل في مجلَّة الآثار الكتابيَّة (Proceedings of the Soc. of Bibl. Archæology. 1906, p. 292) نشيدًا لاكرام نيريغ اله الحرب عند الاشوريين فمَّا يقال في مديح الاله انهُ «هو المصوّب قوسهُ كسلاح حرب وناشر شبكة قتالهِ» ففي ذكر الشبكة تأييد جديد لقول النبيّ حبقوق المارّ ذكرهُ.

اول متحفة للهوام والحشرات إنشاؤها عربي

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي

كثيرًا ما يتصوَّر ابن آدم من ابنــاء هذا العصر ان المحدثين قد احدثوا امورًا لم تمرَّ على خاطر من تقدَّمهم ولم تَدُر في خلَدهم . وانما توصلوا الى ما توصلوا اليهِ بكثرة الجدّ والجهد . واغلب ملام كلامهِ هذا يوجههُ الى العرَب وابنائهم ويعنّفهم على كونهم اهملوا امورًا جمّة كانوا انتفعوا منها اجزل النفع لو اتوها . ومن ذلك دُورُ التُحَف

فقبل ان نتصدَّى لهذا البحث لا بُدَّ لنا من ان نذكر بعض كُلَمات تكون بمنزلة المقدمة فنقول :

ليس للعرب لفظة تدلُّ على ما يُراد بلفظة «موسيون او موزة» عند محدثي الافرنج الذين يَعنُون بهِ : « مجموعًا عظيمًا جامعًا لانواع النوادر والغرائب والطُرَف الراجعة الى الصنائع والعلوم والفنون والمهَن » والسبب ان هذا اللفظ بهذا المعنى حديث الوضع في بلاد الافرنج فلا غرو اذا كان مجهولًا عند العرب . والّا فاذا اخذنا لفظــة موسيون بالمعنى الذي اخذهُ قدماء اليونان فان العرب قد عرفوهُ شيئًا من المعرفــة . « فالموسيُون عندهم او الموسيوم على الطريقة الرومانية او الموسة والموزة على الطريقة الفرنسية » لايدلّ فقط على الهيكل المُرصد لآلهة الشعر والغناء المسمَّاة عندهم « مُوسة » او « موسيون» كموسيون آثيناس وتَسپياس بل يدل ايضًا على كل بناء يُعنى فيــهِ بالآداب اللغويّة والعلوم والفنون تحت انظار آلهة الشعر والغناء . مثال ذلك مُوسيُون الاسكندريّة وهو اشهر هذ النوع في العالم . وكان اول من انشأهُ بطلماوس سوطير اي المخلص فانهُ اقام مدرسةً للفلسفة والعلوم والفنون والآداب في مدينة الاسكندريّة سنة ٢٢٨ قبل المسيح وفعل مثل هذا الفعل في قصرهِ الذي كان يحتشد فيهِ اعضاء هذا المجمع العلمي فبهذا المعنى قد اقام العرب الاسواق وكان يجري فيهــا ما كان يجري في الموسيون . والاسواق عندهم كثيرة اشهر سوق عكاظ (اطلب المشرق ١ : ٨٦٥)

اما الافرنج فالفرنساويون منهم خصوا لفظة موزة (Musée) بمــا يتعلّق بالعلوم والفنون . ولفظة موزيوم (Museum) بما يتعلّق بالمخلوقات الطبيعيّة من المواليد الثلاثة

اما العرب وابناؤهم من المتأخرين لمَّا ظنُّوا ان الاقدمين منهم لم يعرفوا شيئًا ممَّا

احدثهُ الافرنج في هذه القرون المتأخرة جزموا ان الاولين منهم لم يستطيعوا ان يجعلوا الفاظاً اشيء مجهول فاصطلحوا لهذه الغاية على الفاظ تؤدي هذا المؤدَّى نفسهُ

فنهم من سمَّاهُ « مَتحفاً » بفتح الميم وهو غلط لان اسم المكان اذا بُني من الرباعي يُضمّ اولـهُ إذ لا يوجد فعل تحفَ بل أتحف . فكان يجب اذن ان يقولوا « مُتحَفاً » بضم الميم لا بفتحها . ومع ذلك فالمعنى واقف راكد لا يجري مـاء معناهُ ولا يتسلسل تسلسل اللفظة الافرنجيّة لان معنى اتحفتُهُ اطرفتهُ بطُرفة وعليـهِ فيكون المعنى « المكان الذي يُتحف لهُ او يُتحف فيهِ » وفيهِ من التكلّف والتعسّف ما فيهِ . والبعض قالوا : « دار تُحف » وهو اوفى بالمقصود وادلُّ على المعنى واصوبُ للاصطلاح من جهـة اللغة وقواعدها . الّا ان غاية الذين يقولون « متحفاً » هربهم من لفظتَين والحق بيدهم . فاذا كانت هذه هي نيتهم فالاجدر بهم ان يتخذوا لفظـة أُخرى هي « المتحَفة » لان صيغة المفعلة تدل على المكان الذي يكثر فيهِ الشيء . فيقال : المبطخة والمأسدة والمسبعة الخ . ومن ثمَّ فيقال المتحفة للمكان الذي يكثر ويجمع فيـهِ التحف والطُرَف والنوادر والغرائب . فاحفظهُ

اما ان المحدثين من العرب يتصوَّرون ان الاقدمين منهم لم يعرفوا شيئاً من هذا القبيل فهم يهيمون في وادي تضلُّل . بل من المؤكد المثبت الذي يؤيدهُ شواهد التاريخ ان اول من انشأ هذا النوع من المتاحف عربيّ قحّ . وذلك في القرن العاشر او اواخر القرن التاسع للمسيح مع ان هذا النوع من انواع المتاحف الحيوانيّة والنباتيّة والحشريّة لم يُعرف في بلاد الافرنج قبل ثلاثة قرون . فليفتخر اذن العرب لكونهم سبقوا الافرنج في هذا الميدان كما سبقوهم في امور أُخرى لا محل لذكرها هنا . وعليهِ فنقول :

اول دار تُحفٍ للحشرات والدويبات في العالم

ان اوَّل دار تحف أُنشئت للهوامّ والحشرات ونحوها في العـالم العلميّ هي التي انشأها واحد من ابناء العرب اسمهُ « ابو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الحسن بن الفرات المشهور بابن حنزابـة الوزير المحدّث البغدادي نزيل مصر » . وهو الذي وُزّر ابوهُ للمقتدر في السنة التي قُتل فيها وتقلّد ابو الفضل وزارة كافور الاخشيدي بمصر المتوفى سنة ٩٦٦ م . قـال الشريف محمّد بن اسعد الحراني المعروف بالنحوي : « كان الوزير يهوى النظر الى الحشرات من الافاعي والحيّات والعقارب

وام اربع واربعين وما شاكل ذلك . وكان في دارهِ التي تقابل دار السكّاكي قاعة لطيفة مُرخّمة فيها تلك الحيات . ولها قيّم وفرّاش وحاوٍ يستخدمونها برسم نقل تلك الحيّات وحطّها . وكان كل حاوٍ بمصر يصيد ما يقدر عليهِ من الحيّات ويتباهون في ذوات العجيب من اجناسها وفي الكبار وفي الغريب منها وكان يُثيبهم على ذلك اجلَّ الثواب ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها . وكان لهُ وقت يجلس فيهِ على دكّة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في تلك السلال ويطرحونهُ على ذلك الرخام ويحرّشون بين الهوام وهو يستعجب من ذلك ويستحسنهُ . فلمّا كان ذات يوم انفذ خلف ابن المدبّر الكاتب وكان من كتاب أيامهِ ودولتهِ وهو عزيز عندهُ ويسكن جوارهُ يقول لهُ في رقعة انهُ : « لمّا كان البارحة وعرض علينا الحيّات والحشرات الجاري بها العادات انساب منها الحيّة البتراء (١ وذات القرنين الكبرى (٢ والعقربان (٣ الكبير وابو صوفة (٤ وما حصّلناها الّا بعد عناء طويل وبعد مشقّة وجملة بذلناها للحُوّاة ونحن نأمر الشيخ وفقهُ الله تعالى بالتوقيع الى حاشيتهِ بصون ما وُجد منها الى ان ينفذ الحواة بردّها الى سلالها» . فلمّا وقف ابن المدبر عليها قلب الرقعة وكتب : « اتاني امر سيدنا الوزير ادام الله تعالى نعمتهُ وحرس مدّتهُ بما اشار اليهِ من امر الحشرات والذي أعتمد عليهِ في ذلك ان الطلاق يلزمني ثلاثة إن آتِ انا وأحد من اولادي في الدار . والسلام »

كان مولد ابي الفضل ابن حنزابة في ذي الحجّة سنة ٣٠٨ هـ — ٩٢٠م وتوفي بمصر في ١٣ صفر وقيل في ربيع الاوّل سنة ٣٩١ هـ . — ١٠٠٠ م ودُفن بالقرافة الصغرى

---

١) الحيّة البتراء او الابتر هي التي يسميها العلماء « elaps »

٢) ذات القَرنين او القَرناء هي الحيّة المعروفة عند العلماء باسم « vipera cerastes »

٣) العُقرُبان هو ذَكر العقارب والمراد بهِ هنا « scorpio occitanus »

٤) ابو صوفة نوع من الرتَيلاء يكون غالبًا في الارياف يضرب لونهُ الى الحمرة لهُ زغَبٌ ومنهُ اسمهُ عند اهل مصر ولهُ في رأسهِ اربع إبر ينهش بها ونهشتهُ تقرب من لسع العقرب وهو لا يَنسج بل يحفر بيتهُ في الارض ويخرج بالليل كسائر الهوام (عن الجاحظ والقزويني والدميري في مادة عنكبوت ورتيلاء . واللفظة لا توجد في المعاجم اللغويّة) واسمهُ بلغة العلماء (lycosa) ومعناهُ الذئب لشدَّة نهمهِ وشرَههِ . وعرّبهُ البعض فسمّوهُ : « ابو ليقة » تعريبًا للفظة الافرنجيّة مباشرةً وادَّعوا ان اسمهُ عربيّ النجار وان الافرنج اخذوهُ عن العرب لان « الليقة » : الصُوفة صُوفة الدَّواة فتوهم الافرنج انهُ من λύκος اي الذئب وتمحّلوا لهُ التفاسير والتآويل

الاسقفيَّات المنوطة بكرسي صور

لحضرة الخوري كيرلس شارون الرومي الكاثوليكي

٢ جدول اساقفة صيداء

كنيسة صيداء ترتقي كصور وعكّا الى بدء النصرانيَّة . وكان الربّ نفسهُ دخل في تخومها كما ورد في الانجيل الطاهر واصطنع فيها المعجزات . ولا غرو انَّ الرسل مرُّوا بها وبشَّروا فيها بالمسيح . وممَّا يروى في الكتاب المعروف باعمال بطرس (Acta Petri) وكذلك في الميامر المنسوبة الى القديس اقليميس تلميذ بطرس (وكلاهما من الكتب المصنوعة لكنَّهما قديمان) انَّ سمعان الصفا دعا اهل صيداء الى المسيح واقام عليهم اسقفاً من رفقتهِ لمَّا خرج منها . ولم يُذكر اسم الاسقف الذي اختارهُ بطرس . امَّا الاساقفة الذين عُرفوا باسمائهم فدونك ما علمنا من امورهم

١ (زينوبيوس) كان هذا كاهناً اصلهُ من انطاكية . وكان يتعاطى الطبّ فبرَّز فيهِ كما افاد اوسابيوس القيصري (١ . قال انهُ استشهد على عهد الامبراطور ديوقاطيانوس في صيداء من اعمال فينيقية . وقد جعلهُ المؤرخ ثاوفانوس (٢ اسقفاً على صيداء ولا نعلم الى اي سند يرجع في قولهِ هذا . وكان استشهاد زينوبيوس نحو سنة ٣١٠ للمسيح

والصحيح ان « ابا ليقة » مأخوذ من الافرنج وان كان المعنى يستقيم مع قولك « ابي صوفة »

وشكل بطن ابي صوفة بَيْضيٌّ واعينهُ منتظمة على ثلاثة خطوط مستعرضة يتألف منها شكل مربَّع الاضلاع وبَيْضُ الانثى يكون في صُلَّجةٍ (سرنقة) او جَوزة منوطة باستها وتعتني بتربية فراخها وتحملها على ظهرها . وابو صوفة سريع العَدو عظيم النِكاية بالعدوّ وطعامهُ صغار الهوام وهو يتربَّص لفريستهِ قرب مسكنهِ فاذا مرَّت بهِ او دنَت منهُ هَجَم عليها ولا هجوم النمر او البَبر وبخفة لا توصف وهو انواع عددها يتجاوز الثمانين ومنها : ابو صوفة البرّي . والعامل . والرُتَيلاء الى غير ذلك

١) راجع تاريخهُ الكنسيّ (ك ٨ ع ١٣)

٢) راجع تاريخهُ (الصفحة ٩ من الطبعة الباريسيَّة)

٢ (تاودوروس) اسمهُ مدوّن في جملة الآباء الذين سجّلوا بتوقيعهم اعمال مجمع نيقية المسكوني (١

٣ (امفيون) افاد المؤرخ نيقيتاس كونياتس (٢ ان امفيون اسقف صيداء كان من جملة اشياع اريوس المبتدع مع پولينوس مطران صور (٣ لكنَّهُ لم يعيّن زمانهُ . ولعلَّهُ سبق تاودورس المذكور

٤ (بولس) هو احد الآباء الموقّعين على اعمال المجمع القسطنطيني الاوّل سنة ٣٨١ (٤

٥ (داميان) وجّــه تاودوريطوس اسقف قورش الكاتب الشهير احدى رسالاتهِ وهي التاسعة والاربعون (٥ الى داميان اسقف صيداء وكان هذا احد الآباء الذين حضروا المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ وأيد اعمالهُ بامضــائهِ (٦ . وكان سبق وحضر مجمعاً خاصاً عقدهُ دومنس بطريرك انطاكية سنــة ٤٤٨ للحكم في دعوى ايباس الرهاوي (٧

٦ (ميغاس) التأم سنــة ٤٥٨ مجمع في صور للنظر في امر بروتيريوس البطريرك الاسكندري الذي قتلــهُ الهراطقة فاوفدوا الى الامبراطور لاون كتاباً موقعاً باسماء الحاضرين وكان ميغاس اسقف صيداء احدهم (٨

٧ (اندراوس) وقّع اندراوس اسقف صيداء الرسالة التي كتبها الاساقفة المجتمعون في صور تحت نظارة رئيس اساقفتها ايفانيوس لمناقضة ساويروس الانطاكيّ الدخيل (٩ وهذه الرسالة تُليت على مسامع الحضور في المجمع القسطنطينيّ على عهد منّاس البطريرك سنة ٥٣٦

١) اطلب جدول اسماء الموقعين على اعمال نيقية في مجموع المجاميع لمانسي (Mansi II, 693) وفي جلزر (H. Gelzer: *Nomina Patr. nicæna*)

٢) راجع كتابهُ (Nicetas Choniates: *Thesaurus*, V. 7)

٣) اطلب المشرق (٩: ٢١١)

٤) اطلب مانسي (Mansi, III 568)

٥) اطلب اعمال الآباء اليونان (PP. GG., LXXXIII, 1226)

٦) مانسي (Mansi IV, 570)   ٧) مانسي (Id. VI, 496)

٨) فيــهِ (Id. VII, 557)   ٩) فيــهِ (Id. VIII: 1081)

٨ (بولس الراهب) نشر المشرق ثماني مقالات بديعة في المواد الفلسفيَّة واللاهوتيَّة (١ وكان المذكور في اواخر القرن الثالث عشر او اوائل الرابع عشر كما يلوح من بعض ردود الشيخ تقيّ الدين احمد بن عبد الحليم بن تيميَّة المتوفى سنة ٧٢٨ (١٣٢٧م)

ويظهر من بعض الدلائل انَّ كرسيّ صيداء لم يبقَ مستقلًّا بعد بولس الراهب بزمن قريب وان كنَّا لا ندري في اي سنة جرى الامر. كما انَّنا نجهل دوام اتحاد الكرسيين وكيانهم تحت تدبير اسقف واحد

٩ (؟) نشر الكاتبان ميكلوزتش ومولر(٢ اثرًا يونانيًّا وردت فيهِ ماجريات تاريخيَّة وممَّا يروى هناك ذكر مطران لصور وصيداء دبَّر الكرسيّ بين السنتين ١٣٩٠ و ١٣٩٤ لكنَّهُ لم يصرّح باسم المطران المذكور وانَّما يدعوهُ صاحب الكرسيّ الاوَّل بين مطرانيّات انطاكية

١٠ (انستاس) وقيل اثناس. كان بعد السنة ١٥٨٨ بزمن وجيز وكان متوليًا تدبير اربعة كراسي وهي طرابلس وبيروت وصور وصيداء (٣

١١ (اغناطيوس) هو اغناطيوس عطيَّة مطران صيداء انتدبهُ الناس لمَّا حُبس البطريرك اثناسيوس دبَّاس الثالث من اسمهِ ليدبر الكرسي البطريركي وارسلوهُ الى القسطنطينيَّة وارسلوا معهُ كهنة واكابر فشرطنهُ هناك على انطاكية طيموثاوس البطريرك وعاد الى الشام سنة ١٦١٩ . ثمَّ أفرج عن اثناسيوس ورحل الى طرابلس وتوفّي هناك وخلفهُ اخوهُ كيرلّس مطران حوران بمساعدة ابن سيفا وجرى نزاع طويل بين البطركين(٤ ثمَّ قُتل كيرلّس فبقي اغناطيوس يدبّر الكرسي وحدهُ الى ان قُتل هو ايضاً على يد بعض المعتدين سنة ١٦٣٣

١٢ (مرقس) اقام اغناطيوس عطيّة مرقسَ هذا مطرانًا على صيداء ولم

١) تجدها في الكتاب الذي وسم بمقالات دينيَّة قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى من الصفحة ١ الى الصفحة ٥٠. وكذلك لهذا الكاتب رسالة أُخرى نفيسة نشرها حضرة الاب بوفا اليسوعيّ في مجلّة الشرق المسيحي (ROC, VIII (1903), p. 388 sqq)

٢) اطلب اعمال البطريركيَّة القسطنطينية ,. Miclosich-Müller: *Acta. Patr.Const* (n° 476)

٣) راجع المشرق (٨: ١٩٧) في الحاشية ٦

٤) اطلب كتاب حبيب افندي زيَّات « خزائن دمشق وضواحيها » ص ١٠١–١٠٣

تدم مدَّتهُ . قال الخوري ميخائيل بريك : وفي سنة ٧١٤١ للعالم (١٦٣٣م) : « ركبت العساكر السلطانيّة في البرّ والبحر لمحاربة ابن معن فذهب اغناطيوس الى صيداء وألبس مرقس مطرانها الاسكيم ثمَّ توفي بحضورهِ فدفنهُ هناك »

١٣ (ارميا) مرَّ ذكرهُ في سلسلة مطارنة صور (المشرق ٩ : ٤١٢) وكان يدبّر كرسي صور وصيداء . حضر سنة ١٦٥٩ المجمع الذي عقدهُ مكاريوس الثالث الحلبيّ في دمشق لمحاكمة اسقف حمص ابن عميق (١ وامضى سنة ١٦٧٣ الحكم الذي ابرزهُ الروم في رذل بدعة الكلوينيين عن وجود المسيح في القربان الاقدس (٢

١٤ (اغابيوس) قال المرحوم السيّد غريغوريوس عطا في مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص ١٨١) : « ارتسم على كرسيّ صيداء سنة ١٦٦٠ السيّد اغابيوس الذي حضر المجمع الكاثوليكي الملتئم في طرابلس سنة ١٦٨٠ وكانت وفاتهُ سنة ١٦٨٣ » . قلنا ولم نجد اسم المذكور في غير هذا المختصر . وعلى كلّ حال لا يمكننا ان نسلّم بقولهِ في سنة ارتقاء اغابيوس الى كرسيّ صيداء لانَّ ارميا السابق ذكرهُ كان يتولّاهُ الى سنة ١٦٧٣ كما مرَّ

١٥ (افتيميوس) رقّي الى كرسيّ صور وصيداء سنة ١٦٨٣ وكان اصلهُ من دمشق ولهُ اعمال جليلة سنعود الى ذكرها ان شاء الله . توفي سنة ١٧٢٣ كما سبق القول (المشرق ٩ : ٤١٣)

١٦ (اغناطيوس) كان بيروتيّ الاصل فترهّب في دير المخلص وارتسم كاهنًا على يد المطران افتيميوس معلّمهُ سنة ١٦٩٦ ثمَّ جعلهُ البطريرك اثناسيوس دبّاس مطرانًا على كرسي صيداء سنة ١٧٢٣ وقد مرَّت اخبارهُ في المشرق (٩ : ٤١٣) تنزَّل عن كرسيّهِ وتوفّي في صيداء سنة ١٧٥٨

١٧ (باسيليوس فينان) كان اسمهُ ميخائيل واصلهُ من يافا . قال القس انطون بولاد : انهُ نذر الرهبنة وارتسم كاهنًا من معلّمهِ افتيميوس صيفي سنة ١٧١٧ . وارتسم مطرانًا على بانياس سنة ١٧٢٤ ودُعي باسيليوس . وكذا قال الخوري كيرلّس حدّاد . وفي قولهما نظر وذلك انَّ البطريرك القسطنطيني كلّينيكوس الثاني في رسالتهِ الى

١) اطلب رحلة مكاريوس (The Travels of Macarius, ed. Belfour, II, 476)

٢) اطلب (Perpétuité de la Foi, ed. Migne II, 1244)

روم البطريركيّة الانطاكيّة سنة ١٧٠٠. يذكر باسيليوس فينان كاحد الاساقفة المتعلّقين بالحزب الكاثوليكي (١. ولمّا تنزّل اغناطيوس البيروتي عن اسقفيّة صيداء نُقل اليها السيّد باسيليوس فينان وبقي يدبّر الكرسي الى سنة وفاته في ١٣ شباط سنة ١٧٥٢.

١٨ (باسيليوس جلغاف) كان ايضاً من رهبان دير المخلّص يُدعى انطون نذر الرهبنة سنة ١٧٢٤ وارتسم كاهناً سنة ١٧٢٥ ثمّ عهد اليهِ البطريرك كيرلّس طاناس كرسيّ صيداء سنة ١٧٥٥ ودُعي باسيليوس ثمّ تحوّل الى كرسيّ بيروت سنة ١٧٦٣ وتنزّل عنهُ لاغناتيوس صرّوف سنة ١٧٧٩ كانت وفاته في بيروت سنة ١٧٨٧

١٩ (اثناسيوس جوهر) كان يُدعى اغناطيوس وكان ابن نسيبة البطريرك كيرلّس السادس طاناس نذر الرهبانيّة في دير المخلّص سنة ١٧٥٤. وفي سنة ١٧٥٩ تنازل لهُ البطريرك كيرلّس عن البطريركيّة فدُعي اثناسيوس لكنّ الكرسيّ الرسولي ابطل انتخابهُ سنة ١٧٦٠ فاقاموا بدلًا منهُ مكسيموس حكيم ثمّ خلفهُ في البطريركيّة السيّد ثاوضوسيوس دهّان سنة ١٧٦١. امّا اثناسيوس جوهر فبعد التبرّم والامتناع خضع للبطريرك وجُعل اسقفاً على صيداء سنة ١٧٦٣ بدلًا من باسيليوس جلغاف المنقول الى كرسيّ بيروت (٢. ثمّ توفّي البطريرك ثاوضوسيوس فوقع الاختيار قانونيًّا على اثناسيوس جوهر في ٢٤ نيسان وعُرف باثناسيوس الخامس (٣ توفّي في رشميّا سنة ١٧٩٤

٢٠ (اغابيوس مطر) لم يتعيّن اسقف على صيداء من السنة ١٧٨٨ الى ١٧٩٥ والمرجّح ان مطران صور هو الذي كان يدبّر هذا الكرسيّ. وفي السنة ١٧٩٥ رقّى البطريرك كيرلّس السابع سيّاج الخوري اغابيوس مطر الى اسقفيّة صيداء. وكان اغابيوس دمشقيًّا نذر الرهبنة في دير المخلّص سنة ١٧٦٠. ودبّر الكرسيّ الى ١٣ آب ١٧٦٩ حيث أُقيم بطريركاً وكانت وفاتهُ في ٣١ ك ٢ سنة ١٨١٢ (٤

٢١ (اثناسيوس مطر) فرغ كرسيّ صيداء اربع سنوات ثمّ دُعي الى

---

١) اطلب (Délicanis: *Pièces ecclesiastiques*... p. 169)

٢) اطلب مجلّة اصداء الشرق (Echos d'Orient, V (1902), p. 142)

٣) (Id. p. 146)

٤) (Id. p. 203)

تدبيرهِ اثناسيوس مطر اخو البطريرك وكان هذا نذر الرهبنة في رومية سنـــة ١٧٧٦ وكان يسمَّى غفريل وارتسم هناك كاهنًا ثمَّ جُعل مطرانًا على كرسي بصرى في حوران ونُقل الى صيداء سنـــة ١٨٠٠ ودُعي اثناسيوس. ثم خلف اخاهُ في البطريركيَّة في ١ آب سنة ١٨١٣ وعرف باثناسيوس السادس وتوفي في ٨ تشرين الثاني من السنة (١

٢٢ (باسيليوس خليل) كان اسمهُ الياس واصلـهُ من عيتنيت دخل في الرهبنة المخلصيَّة ونذر في ٢٩ حزيران سنـــة ١٧٨٩ في رومية وبها ارتسم كاهنًا . وكان ارتقاؤهُ الى اسقفيَّة صيداء في ٢ شباط سنة ١٨٢١ بعد فراغ الكرسي تسع سنوات سقَّفهُ البطريرك اغناطيوس قطان ودعاهُ باسيليوس وتوفي في قرية جون في ٢٠ ايلول سنة ١٨٣٦ كما روى القس انطون بولاد (وفي مختصر تاريخ الروم الملكيين انَّ وفاتـهُ كانت في ١ ايلول) ودُفن في دير المخلّص (٢

٢٣ (ثاوضوسيوس قيُّومجي) وُلد سنـــة ١٨١٠ في دمشق وسُمي رافائيل نذر الرهبنة في دير المخلّص في ١١ آذار سنة ١٨٣٠ وارتسم قسًّا في ٢٥ ك ١ سنـــة ١٨٣٤ ثمَّ شرطنهُ اسقفًا على صيداء المطران اغناطيوس قاروط في دير المخلّص في ٢٣ ك ١ سنـــة ١٨٣٦ فقضى في تدبير هذا الكرسيّ ٥١ سنة بكل همَّة وتقىً وتوفي في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٨٦

ولدينا ثلاثة مناشير للطيّب الذكر مكسيموس مظـلوم في انتخاب السيّد ثاوضوسيوس قيُّومجي ندوّنها هنا كمثال لهذه الانتخابات بين الروم الكاثوليك الملكيين

١ منشور الانتخابات لابرشيَّة صيداء

الحمد لله دائمًا (مكان الختم الكبير)

مكسيموس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

النعمة الالهيَّة والبركة السماويَّة الحالَّة على الزمرة الابوسطوليَّة القدّيسين الأطهار في الغرفة الصهيونيَّة هي تحلّ مستقرَّة على انفس واجساد ابنائنا الاعزَّاء الاكليروس الموقَّر والارخندس المبجَّل وسائر الشعب المكرَّم الروم الملكيين الكاثوليكيين المؤلفين ابرشيَّة صيدا المحبوبين لدينا بالرب بازكهم عزَّ وجلَّ بغزير بركاتهِ العلوية امين

١) اصداء الشرق (Echos d'Orient, VI, (1903), p. 17)

٢) (Id. p. 19)

اننا اذ كنَّا في اليوم الحادي والعشرين من الشهر المنتهي اصدرنا اليكم ايها الابناء الاعزاء الكرام منشورنا البطريركي الذي به عزَّينا خاطركم المكدر من قبل انتقال مطرانكم اخينا وشريكنا في الخدمة كيرباسيليوس المرحوم من هذه الحيوة في اليوم المرقوم ثم وعدناكم باننا غب ايام وجيزة مزمعون ان نصدر منشورنا الحاضر في شأن عمل الانتخاب للمطران الجديد خلفاً للمتنيح فالآن حفظاً للقوانين المقدسة وتتميماً لوعدنا المرقوم وتمهيدًا لسرعة سفرنا من هذه البلاد الى الاقليم المصري لاجل افتقاد رعايانا التي هناك اذ ان الفصل الشتوي المناهز دخولهُ لا يعطينا مهلة اكثر ولا نريد ان نترك هذه الابرشيَّة الجليلة من دون مطران خصوصي في مدة غيابنا فمن ثم بعد التجائنا لله مستمدين الهاماتهِ المقدسة بتضرعات حارَّة رغب المفاوضة مع البعض من حضرة اخوتنا مطارنة كرسينا الموقرين وغيرهم من المتقدمين الاجلاء قد قرَّ رأينا اننا نعين لجمهوركم حسب العادة الجارية في طائفتنا ثلاثة اشخاص موضوعاً لهذا الانتخاب المبارك وهم حضرة اولادنا الاعزاء الخوري انطونيوس نصر المدبر الثاني لجمع دير المخلص العام والقس كيرللس فكاك رئيس انطوش دمشق حالًا والقس رافائيل قيومجي الاكرمين

فاذًا نأذنكم جميعاً ونحتم عليكم بان تنتخبوا احد هؤلاء الثلاثة انتخاباً قانونياً بعيدًا عن كل شائبة تثلمهُ وذلك بعد تقدمتكم الابتهالات للروح الكلي قدسه لكي ينيركم تعالى ويرشدكم بالهاماتهِ المقدسة على الاعتماد على احد هؤلاء الثلاثة اشخاص بحيث ان تكونوا متجردين من كل ملاحظة ذاتية وغرض خصوصي ومتحدين بروح الحب والاتفاق واضعين بازاء اعينكم مجد الله الاعظم وخير كنيستهِ المقدسة وافادة انفسكم الروحية ونجاح هذه الابرشية ومتى قرَّ رأي الاكثرين من الاكليرس والارخندس على واحدٍ من الثلاثة الكهنة المذكورين وعُمل باسمهِ صكّ الانتخاب وقُدّم لدينا فبعد الفحص وجدناهُ قانونياً فنأخذ بالمنتخب رضا حضرة اخوتنا مطارنة كرسينا الموقرين وهكذا نرسم المنتخب ونصرفه في الابرشية حسب الرسوم البيعيَّة الطاهرة

ومنشورنا هذا قد سلمناهُ بيد حضرة ولدنا العزيز الخوري افتيموس مشاقه الرئيس العام الجزيل الاكرام لكي يشهرهُ على جميعكم حالًا وضمن ايام قليلة يباشرون هذا الانتخاب كما سبق الشرح اذ اننا ننتظر يوماً فيوماً نجاز هذا العمل المقدس بنوع انهُ اذا لا سمح الله حصل انقسام فيما بينكم ومرَّت عدة عشرة ايام فقط على الكثير ولم يصلنا صك الانتخاب المطلوب فحينئذٍ نلتزم بان نواسط سلطتنا البطريركيَّة وبمشورة حضرة اخوتنا المطارنة المحترمين وبرأي اكثرهم نختار نحن من يلهمنا الله اليهِ من هؤلاء الثلاثة ونرسمهُ مطراناً قانونياً شرعياً عليكم من دون توقف اكثر من حيث ان الضرورة الحاضرة محوجة الى ذلك ونحن نسأل الجود الالهي ان يرشدكم بانوارهِ المقدسة الى اتمام هذا الصنيع المهمّ بما يرضيه عزَّ وجلَّ وان يبارك على انفسكم واجسادكم وان يبعد عنكم كل ما يمكن ان يسبب لكم البلبلة والانقسام وان يعزينا واياكم بالنهاية الصالحة المقصودة بهذا العمل القانوني وبكل حبٍّ ابوي نمنحكم بركتنا الرسولية ثانياً وثالثاً

أُعطي من الديوان البطريركي في مدينة بيروت في اليوم الثامن من تشرين الاوَّل سنة ١٨٣٦



السيد ثاوضوسيوس قيُّومجي اسقف صيداء

(١٨١٠–١٨٨٦)

٢ انتخاب القس روفائيل قيومجي لاسقفيَّة صيداء

(المقدّمات كما في المنشور السابق)

انـهُ لقد صار معلومكم ايها الابناء الاعزاء المحبوبون منا بالرب كيف اننا غب ان اصدرنا لجمهوركم المعتبر لدينـا منشورًا بطريركيًا في اليوم الثاني من الشهر الحاضر بهِ اذنًا لكم جميعًا بعمل الانتخاب القانوني للمطران الجديد الذي يقوم خليفة لراعيكم المتوفى كيرِ باسيليوس المرحوم واذ أشهر منشورنا المرقــوم في صيدا ودير القمر وباقي خورنيات الابرشيّة وفُهم من الجميع اننا عيَّنَّا موضوعًا لهذا الانتخاب ثلاثـة اشخاص وهم حضرة اولادنا الاعزّاء الخوري انطونيوس نصر المدبر والقس كيرللس فكاك والقس روفائيل قيومجي الجزيل اكرامهم وكيف اننا اعطينا مهلة معينة وهي مدة عشرة ايام لهذا العمل المبارك موضحين انـهُ اذا مضت هذه المدّة ولم يقرّ راي الاكثرين من الابرشية قبل سفرنا على انتخاب واحد من الثلاثة الكهنة المذكورين فنستخدم سلطتنا البطريركية بانتخاب من نريدهُ منهم ونرسمهُ مطرانًا ونسلمهُ تدبير الابرشية قبل سفرنا الى البر المصري. فجميع من يخصهم التداخل بهذا الانتخاب قد سلّموا بحريتهم وارادتهم المتوقة معلنين انهم يقبلون عليهم مطرانًا ذاك الذي نختارهُ بانتخابنا الخصوصي ومن ثم نحن اخترنا وانتخبنا مطرانًا عليهم جميعًا ايها الابناء الاعزاء الكرام بحق سلطتنا البطريركية الاولية وبحق التسليم المذكور حضرة ولدنا القس روفائيل قيومجي نفسهُ احد الثلاثة الكهنة المذكورين الجزيل تقواه واعتمدنا ان نرسمهُ عليكم راعيًا خصوصيًا

ولكن من حيث انهُ من جهة أُولى قد اهملنـا السفر الى البر المصري صحبة المركب الناري الذي يسافر من ثغر بيروت بعد يومين فقط من تاريخهِ واذ لم نـسافر صحبته في هذه المرة فنلتزم بان نصبر الى خطرتهِ الثانية والتي لا تكون الّا بعد شهر كامل حيث يدخل الفصل الشتوي الذي لا نريد السفر فيهِ. ومن جهة ثانية لا يخلو الامر من ان المنتخب المذكور كما ظهر لنا حاصل في قلق ويقتضى لمداواة افكارهِ عمل رياضة روحية عدة ايام فلهذا قد وكلنا بقــوة المنشور الحاضر حضرة اخوتنا الاعزاء كير اغناطيوس ميتروبوليط صور وكير باسيليوس مطران الفرزل وزحلة والبقاع وكيلنا البطريركي في دمشق في مدة غيابنا وكير اثناسيوس مطران طرابلس الشام ومدرسة سيدة البشارة المحترمين بانهم غب سفرنا من هذه البلاد الى البر المصري اذ يكون المنتخب المذكور اهَّب ذاتهُ للارتسام يجتمعون في المكان الذي يقرّ عليهِ رأيهم ويرسمون بالنيابة عنَّا هذا المنتخب مطرانًا على صيداء وبسلطتنا البطريركيَّة يصرّفونهُ في الابرشية الى حينا يصلهُ منَّا فيا بعد منشور التصريف البطريركي القانوني بتثبيتهِ في ذلك. غير انهُ في هذه البرهة لكي لا تبقى الابرشيَّة فارغة من سلطة التدبير الرعائي قد فوّضنا بسلطتنا الرعائيَّة حضرة اخينا كير اثناسيوس المذكور لاجل قربـهِ اليكم بان يتعاطى بسلطتنا البطريركيَّة امورها مذ سفرنا الى حينا يرتسم المنتخب ويتسلَّم سياسة هذه الابرشيَّة تفويضًا مطلقًا في الحلّ والربط كشخصنا نفسه. واثباتًا لجميع مـا تقدم ايضاحه قد اصدرنا هذا المنشور مشعرًا بذلك طالبين من الجود الالهي ان يحفظكم جميعًا ايها الابناء

الكرام مفيضاً عليكم انعامه ومواهبه روحاً وجسماً وان يرينا اياكم عند عودتنا باوصاف الاعتدال ونجاح الحال ومن صميم القلب نمنحكم جميعاً بركتنا الرسوليّة ثانياً وثالثاً

أُعطي من الديوان البطريركي في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الاول في بندر دير القمر سنة ١٨٣٦

٣ رسامة القس روفائيل لكرسي صيداء وتسميته ثاوضوسيوس

(المقدّمات كما في المنشور الاوّل)

انهُ لمعلومكم ايها الابناء المحبوبون منا بالرب كيف ان حضرة اخوتنا العزيزين كير اغناطيوس ميتروبوليت مدينة صور وكير اثناسيوس مطران طرابلس ومدرسة سيدة البشارة المحترمين بموجب التفويض القانوني المعطى لهما منّا بسلطتنا البطريركيّة بقوة المنشور المصدر منّا في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الاوّل قد وضعا ايديهما على حضرة ولدنا العزيز القس رافائيل قيومجي المنتخب منـا بطريركيّاً وتفويضاً مطراناً قانونياً عليكم جميعاً ورسماه بالدرجة الاسقفية في قداسهما الحبروي المكتمل في كنيسة دير المخلص العام نهار الاحد الواقع في اليوم الثالث عشر من شهر كانون الاول الماضي وسمّيناه باسيليوس ثم صرّفناه في درجتهِ هذه المقدسـة باسمنا وبعلوّ سلطتنا العالية المفوضة لهما منا في هذا التوكل الغير الاعتيادي واعرضنا لدى ديواننا ذلك جميعه فمن ثمَّ اصدرنا منشورنا الذي بهِ نعلن:

اولًا انا بقوة سلطتنا البطريركيّة نفسهِ نثبت جميع ما صُنع من حضرة اخوتنا المذكورين المرقومين لانهُ صار عن تفويضنا اياهما فيـهِ قانونياً ونعتبره كأنهُ مصنوع من حقارتنا شخصياً بدون نقصان بتةً مجدّدين تصريفه مطرانكم المذكور ومثبتينه باسم الآب والابن والروح القدس ومانحين شخصهُ المحترم التفويض القانوني من الديوانين السري والخارج وسلطـة السياسة الرعائية وكل الحقوق الكنائسيَّة وسائر ما يتعلّق ذاتياً وقانونياً بدرجتهِ ووظيفتهِ على ابرشية صيدا جميعهـا بموجب تحديد التخشيكون نظير سلفائهِ المرحومين

ثانياً قـد دعوناه وندعوه ثاوضوسيوس بدلًا من باسيليوس وذلك لكي تتميز مناشيره وكتاباته وتدابيره الرعائية من تلك الموضوعة من سالفه المرحوم كير باسيليوس (لان العادة في الكنيسـة ان روساء الكهنة لا يستعملون في الامضاوات القاجم المخصوصية اذ ان كراسيهم هي ألقاجم) ثم لانهُ يوجد باسم باسيليوس في الوقت الحاضر بمكان آخر من اخوتنا اساقفـة كرسينا الموقرين بهذا الاسم وتوجد براءة سلطانية بهذا الاسم ايضاً لشخص غيره وبالتالي لا يوافق حسناً الترتيب ان اسماً واحدًا يكون لثلاثة اشخاص من مطارنة الطائفة في زمن واحد فهوذا ايها الابناء الاعزاء الكرام مطرانكم الشرعي القانوني اخونا وشريكنا في الخدمـة كير ثاوضوسيوس الموقر يسوسكم ويرعاكم بقوة سلطتنا البطريركيّة المفوضة لهُ باسمنا قبلًا والتي لـهُ منا الآن مصادقةً وتكرارًا فافرحوا بـهِ وتعزوا بوجوده فيما بينكم وأخلصوا لهُ الطاعة القانونية بمحبةٍ ابنيَّة وأوفوه

الحقوق الاسقفيَّة تماماً كما يليق بحسن ديانتكم البهية وكرم صفاتكم الحميدة وحسبما تستحق درجته المقدسة ووظيفته السامية وصفاته الممدوحة

ونحن نسأل الرب راعي الرعاة الحقيقي ان يجعل رئاسته عليكم وخدمته الاسقفية لجميعكم عربون النجاحات وواسطة النعم الروحية والجسدية مقرونة بالبركات المتواصلة والتوفيقات المرغوبة وحسن النظام والترتيب والراحة والهدو العام مرافقةً بالتأييدات العلوية والمعونات السماوية ومن اقصى القلب نمنحكم كافةً بركتنا الرسولية ثانياً وثالثاً

أعطي من الديوان البطريركي في اليوم العشرين من شهر كانون الثاني افتتاح سنة ١٨٣٧ في مدينة مصر

٢٤ (باسيليوس حجّار) سيادة اسقف صيداء الحالي هو ابن توما حجّار ولد في جزّين سنة ١٨٣٩ ودخل الرهبانيَّة المخلصيَّة سنة ١٨٥٥ ثمَّ أُرسل الى رومية سنة ١٨٥٨ فدرس فيها العلوم الكهنوتيَّة وسيم كاهناً سنة ١٨٦٦ . ولمَّا عاد الى الشرق تولَّى مدَّةً رئاسة مدرسة عين تراز.وفي ٢٤ تشرين الاوَّل سنة ١٨٧١ انتدبهُ غبطة الطيِّب الذكر غريغوريوس يوسف الى تدبير كرسي بصرى وحوران . وفي سنة ١٨٧٥ عهد اليهِ البابا بيوس التاسع زيارة اديرة الرهبان فزارها باهتمام . ثمَّ نُقل الى كرسي صيداء ودير القمر بعد وفاة السيد ثاوضوسيوس قيُّومجي في ٢٤ حزيران سنة ١٨٨٧

من بورت سعيد الى جوهنسبورج

لحضرة الخوري عمنويل فضل الماروني

كانت الساعة الثانية بعد الظهر في الثالث من كانون الاوَّل سنة ١٩٠٦ لمَّا خرجنا من ميناء بورت سعيد ودخلنا في الترعة على ظهر الباخرة النمساويَّة كورير المسافرة الى جنوبي افريقية وكانت غاية رحلتي جوهنسبورج اهمّ حاضرة في الترنسڤال موفداً من غبطة سيدنا البطريرك بناء على طلب نيافة الكردينال رئيس مجمع انتشار الايمان المقدَّس وسيادة مطران المحلّ لخدمة الموارنة المهاجرين الى تلك الجهات . امَّا الاسكلة التي عندها تنتهي سفرتي في البحر فهي ديلاغواباي التي تسمَّى ايضاً لورنسو مركاز اقرب اسكلة للترنسڤال . وهي تبعد عن بورت سعيد ٤٣٥٥ ميلاً بحريًّا والميل البحري

يبلغ ١٨٥٢ مترًا وان اضفت اليهـا الاميال التي تقطعها الباخرة في دخولها للمواني وخروجها منها تصير المسافة ٤٦٦١ وهذا تقسيمها مع اسماء المدن والمواني التي حللنا فيهـا · من بورت سعيد الى السويس ٨٧ ميلًا من السويس الى عدن ١٣١٠ م من عدن الى مونباسا ١٦١١م من مونباسا الى زنجبار ١٣٦م من زنجبار الى بيرا ١٠٣٤م من بيرا الى ديلاغوا باي ٤٨٣ ميلًا

ويقوم بهذه الاسفار الى جنوبي افريقية على طريق السويس شركتان بحريّتان فقط الواحدة المانية والثانية نمساويّة فالبواخر النمساويّة هي بريديّة على الاخصّ وتقطع هذه المسافــة باقرب ما يمكن من الوقت اي بمدة ١٧ او ١٨ يومًا · بينما تصرف البواخر الالمانيّة زهاء ٣٥ يومًا وتعرّج على مواني اخرى كثيرة غير التي ذُكرت · لكنَّهُ بلغنا لسوء حظّ الركّاب المتعجلين انّ الشركة النمساويّة تكفّ عن هــذه الاسفار في المستقبل لأنها ادّت بها الى خسارة مليون ونصف من الفرنكات ما لم تَرد حكومتها لها الراتب فتعدل عن عزمها هذا وتعود الى تسيير بواخرها الكبيرة ٦ او ٧ مرّات في السنة · فهذه المرة الاولى التي اسافر بها الى الترنسفال واشاهد اراضي افريقية ولذلك همّني كل ما وقع عليه نظري ودوّنت كل ما قدرت ان اعرفهُ عن هيئة هذه البلاد واحوالها وعليهِ ما كادت الباخرة تحمل مرساتها ماخرة بنا بين صفوف المراكب والسفن المالئة ذاك المرفأ حتى وقفت عند مؤخرها حيث اجتمعت كل الركاب ايضًا هذا بيده مكبّرة وذاك آلة تصوير فودَّعتُ مشاهم بورت سعيد وملأتُ نظري من ذاك المشهد البهيج في حركتهِ وكنتُ احاول ان ارى ايضًا تمثال دي ليسبس الذي نحن سائرون الآن في قناتهِ

فالمياه كانت في اجمالها صافية ونقيّــة والشمس تارة ظاهرة وتارة من خلال السحاب ترسل علينا اشعتها اما محرقة واما منعشة

ولم ازل واقفًا شاخصًا الى بورت سعيد اسرّح رائد الطرف على دورها واسواقها وبيوت تجارتها التي اصبحت ظلامًا من كثرة المداخن حتى صفر القطار عن يميننا وقــد ملأ بخارهُ الفضاء فحوّلت نظري اليــهِ وتتبّعتهُ في مسيرهِ الى الاسماعيلّية الى ان غاب عن نظري مختفيًا بين اشجار السرو وجمام النخيل

بورت سعيد احتجبت بكليتها عنّا وقد جزنا محطّتين للسكة الحديديّة وكلّ مــا

كنّا نراهُ اوانئذٍ رمل وبحر رمل عن شمالنا وبحر عن يميننا وباخرتنا في القنال كانها في نهر سائرة الهوينا حركة آلتها شبيهة بحركة دقات الساعة الكبيرة تئنُّ الأنة بعد الأنة. وهكذا كانت هيئة مسيرنا في الترعة كلها الّا اذا استثنينا ما كنا نسمعهُ في بعض المحطّات من اغاني الانكليز ونشاهدهُ من صعدات وهبطات معاول المصريين المشتغلين امامهم في بناء رصيف. وقد اثّر فينا كذلك ما رأينا من الزوارق الشراعيّة المشحونة فحماً او آجرّاً التي تنقل محمولها مع انقطاع الريح ولكل زورق اثنان يسحبانهِ بحبلين مشدودين بهِ وبهما وهما سائران على الشاطئ. وكنّا في الليل نقف مراراً لمرور البواخر العائدة من الهند وغيرها

لمّا انتهينا من الترعة كان ليلاً وهنا قبل ان ندخل في البحر الاحمر لا نقدر الّا ان نحيّي ذاك الفاتح العظيم فردينان دي لسپس الذي خدم الانسانية والتجارة خدمة لا تقدّر بمشروعهِ هذا الخطير ففتح هذه الترعة عام ١٨٦٩ بعد شغل غير منقطع مدة عشر سنوات

في الرابع من كانون الاوّل دخلنا في البحر الاحمر وكنّا نشاهد قريباً منّا قارتي افريقة وآسية عن يميننا شواطئ مصر وعن شمالنا سواحل الجزيرة العربيّة وهي متساوية الهيئة في الطرفين صخريّة سوداء او حمراء مع بعض ارتفاع وترويس كانها اسوار وابراج شُيّدت على هذه السواحل لتحفظها من صدمات الامواج. وكان الهواء معتدلاً كما في الربيع والسماء متشحة بكساء من السحاب كأنهُ الخزّ او القطن المندوف. ومن حين الى حين كنّا نرى مركباً تجاريّاً عائداً من الشرق الاقصى متجهاً نحو السويس. وعند الاصيل اصطبغت جبال العربيّة بلون وردي واتّشحت ناحية المغيب في جهة مصر بثوب اصفر والبحر في الوسط لازوردي اللون ازرق. وكان يلوح بعيداً جبل سينا يعمم رأسهُ الغمام

النهار الخامس سماء وماء جزنا ينبع من غير ان نراها. البحر رائق حسن وكان الجوّ معتدلاً لكنهُ اشتدّ في الغد وهبَّ هواء حارّ واخذ البحر يُزبد. وفيهِ تركنا وراءنا جدّة شمالاً من غير ان ننظرها

وفي اليوم السابع كان مرورنا بازاء سواكن ثمّ مصوّع حاضرة مستعمرة الاريتره. وكان الهواء تقلّب يهبُّ حيناً ويسكن آخر وعند العصر مررنا بالقرب من جزيرة صغيرة

عليها منارة صاعدة في وسط برج ابيض وهي احدى المناور المشيَّدة حديثاً (المشرق ٤ : ١٠٥١) ليستدلَّ ارباب البحر بنورها على طريقهم وبعد هذه بساعتين لقينا تسع جزر او صخور متفاوتة في الكبر والصغر وعلى احداهنَّ منارة. واخيرًا الساعة ١٠٠٧ نظرنا تحت جناح الليل ثلاث جزر اخرى من شكل الاولى لكل منها منارة وكل هذه الجزر او الصخور تُعرف باسم الاثني عشر رسولًا ثم عبرنا ليلًا بمضيق باب المندب

وفي النهار الثامن مخرنا بين جزيرة بريم وشطوط اليمن اما هيئة هاتيك السواحل فجديرة ببلاد العرب اي رمـــال وصخور. وبعد الظهر دخلنا في جون عدن وما كادت الباخرة تحلّ في ميناها حتى تواردت الينا القوارب من كل جهة يركبها عرب وصوماليون حاملين الينا بضائعهم الوطنيَّة والاجنبية من مرجان وصدف وجلود حيوانات اخصها النمورة ومراوح ريش وسجاير وكنَّا نسمعهم ينطقون بكل لسان لاسيا الانكليزي وهم كلهم عراة وخصوصاً الصوماليون لا يتستَّرون الَّا بإزار

عدن — المدينة نفسها لا تُرى من البحر وهي مبنيَّة في لحف جبل اسود بركاني اما البيوت التي على الشاطئ فهي للانكليز وهي حديثة النشأة والعجيب في عدن هو انها خالية من كل حياة نباتيَّة فلا ترى فيها شجرة نابتة او عشبة نامية ولا تحلّق في فلواتهـــا الطيور كذلك السماء لا تمطر عليها ابدًا فلا نبع فيهـــا ولا بئر. ومن مدة خمسين سنة جدَّد فيها الانكليز حوضًا قديمًا تجري اليهِ المياه من الجبال كان بناهُ القدماء. فمن هذا الحوض يبتاع العطاش ما يسكّنون بهِ ظمأهم باغلى الاثمان وعدن مع كل هذا الجدب والاكفرار وان يكن الحرّ فيها شديدًا طيّبة المناخ طريئة الهواء ملائمة للصحة وهذا حسب تسميتها عدن. اما ضواحيها فهي ارفق منها حالًا ففيهـــا اشجار وزروع ونبات. ميناء عدن ليست قليلة الحركة وقد كان فيهـــا وقت مرورنا ما ينيف على عشر بواخر وثلاث مدرّعات حربيّة اثنتان ايطاليتان وواحدة انكليزيّة. وعلى راس الجبـــل قلعة حريزة. وفي مساء النهار نفسه قمنا من عدن ولم نلبث الَّا القليل حتى خرجنا من البحر الاحمر ودخلنا في الاوقيانوس الهندي نؤمّ هذه المرة مونباسا

وكان النهار التاسع من ابهج واحسن ايّامنا ولم نرَ فيهِ اليابسة فالسماء والشمس كانا كانهما ازار واحد ازرق ابيض والبحر كان كمرآة ولا موجـــة لوّنت تلك النقاوة او قطعت تلك الوحدة. وفوق ذلك كان نسيم بليل ينفخ كانهُ روح الحياة والسعادة وكان

ذلك اليوم من ايام رواق هذا الجبّار الذي هو هائل ومرعب وقت ثورانه واقدام غضبه. لكنّهُ وديع وناعم في اويقات الصفاء. وبينما البحر كان مستكنًّا راقدًا رقاده هذا العميق لا يكاد يتحرَّك لمرور الباخرة الراسمة على صفحتهِ المتساوية بعض طيّات وتموّجات كالتي نشاهدها على بعض الاقمشة الحريريّة كانت الاسماك تقترب من الباخرة افواجًا افواجًا تارة تصعد على وجه الماء وتارة تغوص متبخترة شاعرة هي ايضًا بهذا الهناء والتنعم. وقد عمّ الانشراح والهناء كل الركاب فقاموا يلعبون فئاتٍ فئاتٍ الالعاب المتعارفة في البواخر اي لعبة الضفضع ولعبة الباء ولعبة العشرة ولعبة الحلقات والدلو. واندفع احدهم وكان ايطاليًا فاصعد من غرفتهِ فونوغرافًا على آخر طراز جميل الصوت فأسمعنا اطيب الاغاني والادوار المنقولة عن اشهر الموسيقيين من ايطاليين واجانب. وما كنّا نفرقها عن الاصوات الطبيعيّة

وعند انتصاف الليل بعد ان كنّا اوينا جميعنا الى مضاجعنا ورقدنا سكتت الباخرة على حين فجأة فنهضنا نستطلم عن السبب فوجدنا ويا لـهُ من منظر هائل باخرة تجاريّة دنيمركيّة عائدة من الهند عرضةً للنيران في وسط البحر ولحسن حظ ركابها كانت على مسافة غير بعيدة منهم باخرة انكليزيّة فاسرعت ونقلتهم اليها ولولا ذلك لذهبوا فريسة اللهيب. اما الباخرة التعيسة فيئسوا من انتاذها ولذلك تركوها وتركناها في وسط ذاك الاوقيانوس ضحيّة للماء والنار. وفي النهار العاشر نظرنا راس غوردفويّ في افريقية ثم توارت الارض عن عياننا وبعد يومين قطعنا خط الاستواء من غير ان نشعر بحرارة زائدة وكان وصولنا الى مونباسا في اليوم الرابع عشر

مونباسا هي مدينة للانكليز وقاعدة مستعمرتهم الافريقيّة الشرقيّة مبنيّة في شبه جزيرة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميلان مرفأها يسمّى كيلندين وهو من اجمل المرافئ الطبيعيّة وسيع عميق مصون من كل تقلبات البحر وامواجه ويبعد عن المدينة قدر ثلث ساعات مشيًا فحوالي هذا المرفأ وعلى جنب الطريق كما في كل هاتيك الضواحي والنواحي لا ترى الّا اشجار العنبة الباسقة واحراج الاناناس والموز والارض كلها مكسوّة بالاعشاب مفروشة بالخضرة تزهو بعجائب العالم النباتي. اما هيئة بيوت المدينة واحيائها فموافقة لذوق الشعوب التي تسكنها افريقيّة وهنديّة وعربية واوربية فالافريقيون فيها لم يزالوا على زيهم القديم يتقلبون في شوارعها عراة الابدان كما كانوا في غاباتهم

يصنعون . والحرّ فيهـا شديد والشمس تعمي البصر والعرق ينضح من كل جسم دون انقطاع . ويقصدها بعض اغنياء الانكليز الذين لهم فيها دور انيقة قائمـة بين الحدائق يأتونها لصيد السباع وضواري الحيوان التي هي كثيرة في الجهات الداخليّة . وكان اكثر من ثلاثين راكباً من الذين كانوا معنا في الباخرة قصدوا مونباسا لحطّ رحالهم وغايتهم الصيد . وفيها سمعنا صفير قطار سكة اوغاندا التي ينتهي هنا على الشاطئ احد طرفي خطها والطرف الآخر عند بورت فلورنس على بحيرة فيكتوريا نيانزا . وطول هذا الخطّ ١٠٦٠ كيلومترًا ويليهِ طريق فاشودا حيث رأس سكة حديد الخرطوم فالقاهرة يصلها المسافر بعد اربعة ايام راكباً طورًا القطار وطورًا الباخرة . وقد لزم تذليل عدّة مصاعب قبل انجاز هذا الخط اهمّها مدّ جسر عادي يبلغ طولـهُ ثلاثة اميال ثم دكّ الطود المعروف باسم اسكريمانت . واخيرًا مقاومة الذبابة السامّة المسمّاة تستسي التي تفتك بالحيوانات المستخدمة لنقل الادوات وعوارض الحدائد . وقد ابتُـدئ في مدّ هذا الخط في ٢١ ك ١ سنة ١٩٠١ وسيكون يوماً فرعاً من السكة الحديديّة التي ستوصـل مدينـة الكاب بالقاهرة . وهو تارةً بصعود وتارةً بهبوط . فاولًا يصعد الى علو ٧٨٠٠ قدم عن سطح البحر ثم ينحـدر الى ٢٠٠٠ قدم ثم يعود فيرقى ثانياً الى علو ٨٣٠٠ قدم ثم يهبط عند بحيرة فيكتوريا نيانزا الى علو ٣٨٠٠ قدم . وهذه المسافة المتّسعة التي يقطعها هذا الخطّ تصلح لكلّ المزروعات نظرًا لجود تربتها ولاختلاف اعاليهـا ومنحدراتها . وحوالي البحيرة وفي جوارها مشاهد جميلة جبليّة كالتي في جبـال الالب حيث المناخ الطيّب والهواء النقي وهناك ايضاً هي جبال روتزوري اعلى جبـال في افريقية يغطّي الثلج رؤوسها

وفي اصيل النهار تركنا مونباسا وسرنا غير بعيدين عن سواحل المستعمرة الجرمانيّة الشرقيّة حتى وصلنا صباح النهار الخامس عشر الى زنجبار . فأحببت كذلك ان انزل اليها وما كدت القي قدمي على البر حتى التأم حولي كل شاب عصري زنجباري يعرف ان يلفظ بعض كلمات من اللغات الاوربية وكل منهم يريد ان اتخذهُ دليلي فرفضت طلب الكلّ وطفتُ فيها وحدي وزرت كل احيائها وشوارعها . ومما رأيتهُ قصر اميرها المشيّد في وسط ساحة كبيرة على شاطئ البحر وهو بثلاثة طوابق من حديد وخشب ومرمر بشرفات واسعـة مسقوفة بالاجر الاحمر رشيق الاعمدة منار بالكهرباء خارجاً وداخلًا

والمدافع امامهُ وحواليه . والحرس كتماثيل نحاسيّة سوداء واقفون اثنين اثنين على الابواب

وسرت من القصر فوصلت الى حديقة صاحب زنجبار وحديقة الحيوانات معاً وهي باطراف المدينة فنظرت فيها انواع الحيوان كالأسد مع اشبالها والنمورة ثم زرت باقي الحديقة التي ليست كثيرة الاتساع فيها اشجار وزهور وفي وسطها بيت داخلهُ بركة كبيرة من الماء يقصدها عادةً الامير فيستحمّ فيها ثمَّ يستروح النسيم . وعند خروجي من الحديقة رأيت العسكر الزنجباري مصطفًا للتعليم والتمرين اما الممرّنون فضباط انكليز . وبالقرب من هناك هو مستشفى راهبات القديس يوسف للفرنساويين حيث شاهدت تفاني اولئك العذارى الكاثوليكيَّات في خدمة اعلّائهم الزنوج

ومن مشاهد زنجبار ايضاً معاصر السمسم وهي عبارة عن اجران خشبية يوضع فيها السمسم فتسحقهُ وتعصرهُ بالتوائها على خشبة قائمة في وسط الجرن تديرها ناقة او جمل . وسكان زنجبار كسكان باقي المدن الافريقية المفتوحة للاستعمار أخلاط من كل الشعوب ولغتهم هي العربية والساحليَّة والصومالية مع اللغات الاوربية بتمامها . ومحصولاتها كمحصولات مونباسا وتربتها كذلك وهي كانت قبل ان تبتدئ الاستعمارات اهمَّ ثغر تجاري وستبقى محافظة على هذه الاهميّة لفضل موقعها وغنى اراضيها ولا خوف عليها من ان تتأخر وان تكن السكة الحديديَّة التي بدأ الجرمانيون في مدّها في مستعمرتهم الشرقيَّة الى اوجيجي ستنقل جانباً عظيماً من التجارة الى يد الالمان

الساعة الرابعة من النهار نفسه بارحنا هذه المدينة وبقينا على مسافة ساعتين واكثر نشاهد اشجارها وغاباتها . وفي الساعة السابعة لمحنا ضياء منارة مدينة دار السلام التي اصبحت اليوم من احسن المرافئ التجاريَّة بهمَّة الالمانيين لكنَّ سفينتنا لم تُلق فيها المرساة . فسرنا مدة يومين آخرين منقطعين عن نظر السواحل حتى اشرفنا في اليوم السابع عشر على بلاد موزنبيك . وفي اليوم الثامن عشر اضطرب البحر وهاج واستولى الدوران على اكثر الركّاب وهو اليوم الوحيد الذي لم يصفُ لنا في رحلتنا . وفي غد وصلنا الى مدينة بيرا . ولها مرفأ تكثر فيهِ كثبان الرمال المرفأ التي يتغيَّر مركزها حيناً بعد حين فانتظرنا مدَّةً خارجاً عن الميناء حتى جاء الرئيس فدخلنا تحت قيادته ومكثنا النهار في بيرا وهي مدينة للبرتغال مبنيَّة على الشاطئ واغلب بيوتها من الخشب والحديد وبها

كما في المدن الساحليَّة الفنادق والقنصليات والمخازن من كل الانواع والاحراج الافريقيَّة كذلك كثيرة في جوانبها . عند هذه المدينـــة يختلط نهر بوزي بنهر بولنجوي فيزيدانها اهميَّة وعندها ايضاً ينتهي خط سكة « بيرا سليسبوري » الذي يقطع حقول مانيكلاند وماشونلاند الذهبيَّة والخصبة حتى يصل الى بولاوايو . وقد ظنَّ بعض العلماء موقع مدينة اوفير التي يذكرها الكتاب المقدس كان في هذه الاصقاع والذي يقرّب هـــذه الآراء من الحقيقة هو ما عثروا عليـــهِ هنا من الآثار القديمة والمدافن الفينيقيَّة ومعادن الذهب

ثم واصلنا السفر دون ان يحصل لنا ما يستحقُّ الذكر حتى جاورنا في اليوم العشرين السواحل وهي جميعها نامية بالاشجار خضراء بالنبات وفي صباح اليوم الحادي والعشرين مع الشروق وصلنا الى ديلاغواباي المدعوَّة ايضاً لورنسو مركاز . فهنـــا ودَّعت الباخرة ونزلتُ الى المدينة مع الشكر والحمد لله على وصولي بالسلامة بعد السفرة الطويلة ولبثت فيها ثمانية ايام قبل ان اطلع الى جوهنسبورج وعليهِ تمكنت من زيارتها كلها . وقد وجدتها بالحقيقة جميلة . فسيحة الاحياء نظيفة الاسواق واشجارها على صفين او اربعـــة في اغلب الشوارع وبها البنايات الانيقة والحدائق الغناء والفنادق المريحة والتراموای والمصابيح الكهربائيَّة وميناها من اجمل موانئ افريقية فتربط البواخر على الشاطئ وهكذا ترتاح الركَّاب من مؤونة عذاب الزوارق

ومدينة ديلاغواباي لم تكن بهذه الظرافة والتأنق من عهد اربع سنوات بل كانت مستجمع الحميَّات والامراض لكثرة ما كان يتكوَّم فيها من الاوحال والاقذار ويبقى فيها من المياه المستنقعة في فصل الامطار . ولعمري ان الحكومة البرتغالية هبّت هبَّة عظيمة واجرت بها تحسينات كبيرة في ظرف هـــذه الثلاث السنوات حتى اضحت هذه المدينة بالهيئة النظيفة التي رأيتهـــا عليها فوسَّعت الاسواق ورصَّفتها على الجانبين ومدَّت الاقنية لتصريف الميـــاه والاقذار ونصبت اشجار الاوكالبتوس صفين واربعة صفوف في كل الطرق وعملت الساحات والجنائن وغير ذلك ممَّا جعلهـــا مدينة اوربيَّة صرفًا عفيفة من كل مرض لا اثر فيها بعد لاقلّ حمَّى خبيثة

غير ان الحكومة مع سعيها المحمود في تحسين البلدة لا تزال لحـــدّ الآن غافلة عن استدرار اقلّ نفع من مستعمرتها الافريقيَّة وهكذا لم تُعنَ بزراعة هذه البلاد الخصبة

بل كانت ولا تنفكّ تستورد خضرها وبقولها وحبوبها من مستعمرة الكاب والترنسفال كذلك ما بحثت ولا سمحت لاحد ان يبحث فيما اذا كانت لراضيها تحتوي على معادن الذهب والماس كما هو المظنون نظرًا لمجاورتها للترنسفال . ومما يُذكر ايضاً ويندهل له العقل انها صعبة مع رعاياها الذين يريدون الاقدام على احد المشاريع او يطلبون احد الامتيازات بالوقت الذي هي سهلة جداً مع كل طالب اجنبيّ لاسيما اذا كان انكليزيًا

نهار الاحد في ٢٣ الجاري ذهبت الى كنيسة الخورنيَّة فرأيتها في كل قدّاس غاصَّة بالناس من اوربيين وسوريين وعبيد وهي الوحيدة في كل المدينة امَّا خدَمة هذه الرعيَّة فهم كهنة بورتغاليون وقد واجهت خوريها الشاب فاذا هو لطيف رقيق فسألتهُ عن السوريين أكانوا يواظبون على الصلاة وباقي الواجبات الدينيَّة فاكَّد لي ثبات البعض لا الكلّ واخبرني بانهُ عمَّد بعض اطفالهم ووزَّع غالبًا على كبارهم الاسرار . اي نعم ان السوريين اصبحوا اليوم في كل مكان ليس من محلّ الآن يخلو منهم وقد شاهدت في هذه البلدة الباعة المتجوّلين من السوريين والسوريَّات راجعين من المبيع او ذاهبين الى الاسواق يصحب كلًّا منهم امرأة كانت او رجلًا عبد يحمل لهُ صندوق بضائعه وسلعه . وعلى هذا النوع يتفرقون في الاحياء ويتجولون في المزارع ويدخلون البيوت فيجمعون ما يجمعونهُ من الدريهمات بعد الكد والجهد والعناء

في التاسع والعشرين الساعة الثامنة بعد الظهر بارحت لورنسو ماركاز بعد ان قاسيتُ من حرّها ما لا يطاق راكبًا القطار الى مدينة جوهنسبورج ولم نلبث الّا القليل حتى قطعنا حدود المستعمرة البرتغاليَّة ودخلنا في بلاد الترنسفال . فوجدتُها غنيَّة جدًّا فسيحة السهول خصبة الوديان كثيرة المراعي يرتاح النظر الى مشاهدة اراضيها المختلفة من اطواد وحزون ومروج وغابات . الساعة الثانية بعد الظهر وقف القطار في بريتوريا العاصمة الساعة ٤ من ٣٠ كانون الاوَّل وصلت الى جوهنسبورج فاستقبلني على المحطة بعض كرام السوريين وذهبت توًّا الى دار الاسقفيَّة حيث حللت على الرحب والسعة

قبل الولادة وبعد الموت

ردّ رابع على المقتطف

لحضرة الاب انطون صالحاني اليسوعيّ

كان اقترح علينا المقتطف حلّ بعض مسائل متعلّقة بالنفس فاجبناهُ بما نعلمهُ انهُ الحقّ . فأثبت اجوبتنا في صفحاته وطلب منا زيادة ايضاح وحلّ اسئلة أخرى عرضها علينا في عددهِ الاخير الصادر في اذار سنة ١٩٠٧ قال :

« فخلاصة كلام حضرة الكاتب هو ان نفس الانسان يخلقها الله من لا شيء حالما يتم تلقيح البيضة التي يتكوَّن منها جنين الانسان وفي تلك اللحظة عينها تحلّ هذه النفس في البيضة الملقحة فتصير انسانًا ذا نفس خالدة وهذه النفس لا تخرج الى حيز العمل الَّا بعد ان تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال وحالما تخرج من الجسد تمثل امام الله الديَّان لتؤدي الحساب عمَّا عملت في حال اتحادها بالجسد فيضمها اما في السماء او في جهنم او في المطهر

ولم يبيّن لنا حضرتهُ ماذا يصيب نفوس البويضات التي تتلقح ثم لا يتكوَّن منها جنين كامل او يتكوَّن الجنين ويسقط من غير ان يعمل عملًا يثاب عليهِ او يعاقب . ولا بيَّن مقدار زمن الحساب لانهُ يموت في كل دقيقة من الزمان اكثر من مئة انسان وقد يموت الوف في الدقيقة الواحدة كما اذا خربت المدن بالزلازل وغرقت السفن في البحار وحصدت النفوس في الحروب . ثم هل يستطيع الكاتب ان يورد دليلًا كتابيًّا على ان الله يحاسب هذه النفوس كلها في الدقيقة التي تخرج فيها من اجسادها وفي الكتاب نصوص على ان الحساب يكون في انقضاء العالم . وكذلك لم يبين ما يصيب الناس الذين لا يعتقدون معتقدهُ . . . هل تحشر نفوس هؤلاء كلهم في جهنم النار كما يعتقد ابناء طغمتهِ او يسمح لها بدخول السماء ولا ما هي ادلتهُ على ذلك ولا ما اذا كانت النفس تشعر بعد خروجها من الجسد وقد قال ان الجسد آلتها للشعور

وليعلم حضرتهُ اننا نسألهُ هذه المسائل عساهُ يعترف معنا بانهُ يجهل امورًا كثيرة كما نجهلها نحن لا لاننا ننكر وجود النفس كما يظن فاننا لا ننكر وجود النفس مطلقًا ولكننا لا ندَّعي اننا نعرف ما نجهلهُ ويجهلهُ كل احد

قيل ان ولدًا قال لامهِ ذات يوم انني استغرب ادعاء فلان الواعظ فقالت لهُ امهُ وما دليل ادعائهِ فقال « انهُ يتكلَّم عن الله كأنهُ ابن خالتهِ وعن السماء وجهنم كانهُ قضى عمرهُ فيهما وقاسهما بالشبر » . ولكن اين ادعاء ذلك الواعظ من ادعاء بعض الوعاظ فانا سمعناهم غير مرة يعظون ورأيناهم يصورون الناس في جهنم رجالًا ونساء وطرق العذاب التي يعذَّبون بها وقد بلغت الدعوى منهم انهم يتهمون بالكفر مَن يتكلَّم بالحق ويقول اننا نجهل هذه الامور وامثالها »

فنجيب اننا لا ندَّعي معرفة كل ما يخصّ النفس بل نقرّ بعجزنا عن علم امور عديدة

نجهلها نحن وكل العلماء والفلاسفة ولا يعلمها الّا الله وحده خالق النفوس والاجساد . لكن تقصيرنا هذا لا ينفي معرفتنا بامور كثيرة ثابتة ومقرّرة . وهذا يحدث ايضاً في العلوم الطبيعية . نعرف مثلاً اموراً شتّى عن الشمس والقمر والسيارات والنجوم والجاذبيّة والكهرباء . الّا انَّ ما نجهلهُ عنها هو اوفر . لكن جهلنا فيما لا نعرفه لا ينفي حقيقة ما نعرفه . كذلك نقول عن معرفتنا الله والنفس . فالذي نعلمه نقرّره ونبيّنه ونبرهن عليهِ . وما لا نعلمهُ نقول اننا لا نعلمه . فمن يا ترى يمكنه فهم كيفيّة اتحاد النفس الروحية بالجسد المادي . وكيف تدرك النفس الروحية بالحواس وكيف تجرّد من الادراك الحسّي الكليات اي المعاني العمومية التي هي موضوع ادراكها العقلي . هذه امور تتحقق وجودها ولا نعلم كيف تتمّ . ونعلم عن الله عزَّ وجلّ اموراً عديدة مثل وجوده وكونه روحاً ازليّاً كلّي الكمال وانّهُ الخالق لجميع الموجودات والمدبر والحافظ لها والمعتني بها بحكمة تفوق الوصف . الّا اننا نجهل عنهُ تعالى اموراً اوفر . ثم اننا اذا تكلمنا عن وجوده وعلمه ومشيئته وكمالاته لا نتكلّم الّا بالتشبيه حسب تصوراتنا وفهمنا وعقلنا القاصر

وهكذا القول في البحث عن السماء وجهنم . فاذا قلنا بوجود سماء وانها محل سعادة يحيا فيهِ الى الابد من احبَّ الله واطاعهُ في هذه الدنيا لا نرتكب شططاً بل نتكلم بما ينطق بهِ العقل . واذا قلنا بوجود جهنم وانها محلّ عذاب يُعاقب فيهِ الى الابد الهالكون المرذولون من الله لمعاصيهم لا نقول خطأً بل نثبت ما يبرهنهُ العقل فضلاً عن الايمان وما قال ويقول بهِ كل الشعوب حتى الوثنية

امَّا ما يأتيهِ بعض الوعاظ من الغلو في وصف جهنم فهذا ليس من الفلسفة والايمان بشيء . وفيما يقرّرهُ العقل والايمان عن جهنم كفاية لردع الاشرار عن المعصية لعزتهِ تعالى اذا شاؤوا

ولا يخفى ان الفصاحة تطلب من الخطيب ان يوفّق طريقة تعبيره عن معانيه مع درجة علم وفهم سامعيهِ . فيختلف نوع تعبيره باختلاف طبقة هؤلاء . فلا يخاطب العامّة كما يخاطب العلماء والفلاسفة ولا المتقدمين بالعمر كالاحداث . فالسيّد المسيح لم يكن يكلم الشعوب كما كان يكلم الفريسيين والكتبة . بل كان يكلم الجماهير بالتشابيه والامثلة ويكلم العلماء بالبراهين الكتابية . وعلى كلٍّ يلزم ان يكون الحق ركن الواعظ ومعتمده

ولكن لندع على حدةٍ الوعظ والوعّاظ ولنتكلمنّ عمّن يدّعي العلم . فكم من الكتبة في عصرنا هم في حاجة عظيمة الى الوعظ والتنبيه والتحذير لانهم يظنون ان قلمهم يسطر الحق وهم بعيدون عنه

وعليهِ وان كنّا لا نعرف الله « كانه ابن خالتنا » يمكنا مع ذلك ان نتكلم عنهُ . لاننا نعرف ما يكفي لنتكلم ونفيض . نعلم انهُ واجب الوجود وازليّ وكلي الكمال وانهُ الرب والخالق والحافظ للكائنات وانهُ يثيب الانسان على اعمالهِ بالخير او بالشرّ . فترى من ثمّ انهُ يمكنا ان نتكلم من السماء وجهنم وان « لم نقض عمرنا بهما ولم تقسهما بالشبر » لاننا نعرف ما يكفي عن سعادة من يخلص وتعاسة من يهلك لنبيّن للعقول هذه السعادة وهذه التعاسة

لنأتينّ الآن الى حلّ الاسئلة التي عرضها علينا المقتطف :

اولًا : لا وسط بين هذين الامرين تلقيح البويضات وعدم تلقيحها . فاما انهُ صار التلقيح وتمّ واما انهُ لم يصر ولم يتمّ . فان لم يتمّ لا تخلق النفس . اما اذا وُجد وتمّ تُخلق النفس حالًا وتتحد بهذا بدء الجنين . ثم اما انهُ ينمو حتى يبلغ الولادة اما انهُ لعوارض تطرأ عليهِ يموت في وقت قريب من التلقيح او في وقت ابعد . او يسقط ميتًا او حيًا ولا يلبث ان يموت . وهذا لا يمنع ان تكون النفس قد خُلقت واتحدت بهِ . كما انّ موت الولد بعد الولادة بايام لا يمنع ان تكون نفسهُ قد خُلقت . فتكون قد اتحدت بجسمه ثم انفصلت عنهُ . وهذا يحدث ايضًا في بيوض الطيور وفي الاثمار . فانهُ في بيضة الطائر توجد الحياة لان الحضانة الطبيعيَّة او الاصطناعية لا تضع فيها الحياة بل تفترضها وتعاونها على الانتشار والنمو . فاذا اوقفنا الحضانة قبل تمامها ووضعنا البيضة في الماء لا تلبث ان تفقد الحياة . واذا كسرنا قيض البيضة نشاهد ضمنها الفرخ غير كامل . ويحدث ايضًا ان بعض الاثمار تعقد ثم تجفّ وتموت قبل ان تنمو . وهذا ما يحدث للجنين احيانًا فانهُ اذ يتم تلقيح البويضة تُخلق النفس حالًا وتتحد بها ثم يحدث ان لا يكمل الجنين ويموت فتنفصل عنهُ النفس . ولا تعدم هذه النفس لانها بسيطة وروحية ولا يريد الله ملاشاتها فتبقى الى الابد . وبما انها لم تعمل عملًا تُثاب عليهِ او تُعاقب ولانها لم تنل حياة النعمة بالعماد فتُحرم السعادة الفائقة الطبيعة اي رؤية الله

والتمتع بهِ لكنها تُعطى سعادة طبيعية فقط . وسيأتي الكلام عن كيفيــة ادراكها ومعرفتها للمعقولات

ثانياً : ان ما استعظمهُ المقتطف من محاسبة الله لالوفٍ من النفوس في لحظــة عين ليس فيـــهِ ما يُستعظَم او يستغرب . بل إعظام المقتطف لهذا الامر هو موضوع استعظامنا . فان الله يعلم بلمحة بصر عدداً لا يحصى من الكائنات والاعمال . لانَّ علمه غير متناهٍ يحيط دائماً بكلّ الموجودات فيعتني بها ويحفظها . واذا انكرنا هذه الحقيقة انكرنا احدى كمالات الله تعالى . فلا يصعب اذاً على الله ان يُبيّن لالوفٍ من النفوس في الثانية من الوقت حالتها من الطاعة لوصاياه والبرارة او من المخالفة والاثم . والدينونة ليست شيئاً آخر . فتعلم كل نفس ما تستوجبهُ اعمالها ان صالحة او طالحــة وتكون خالصة او هالكة

ولا يجهل المقتطف ما كتبهُ الفلاسفة والعلماء في ايامنا عن الهيپرمنيزي (١ كيف ان الانســان في بعض ظروف تتهدد حياته بخطر عظيم مثل الاختناق في الغرق او السقوط من شاهق يتمثل في ثانية من الزمان اعمال حياته كلهــا بنوع جليّ . فالذي يحدث في بعض المخاطر يحدث في الدينونة لكل نفس فانها تعلم وتذكر كل ما عملتهُ في حياتها من خير او شرّ وتتحقق ما تستوجبه من ثواب او عقاب . فيريها الله ذلك باقلّ من لا ولا ويكون قد دانها . وكما ان الشمس في كل ثانية تنير نصف المسكونة كذلك يقدر الله ان يدين في كل ثانية مئات الوف من النفوس . او يظن المقتطف حفظهُ الله ان الرب الديَّان في انقضاء العالم يحتاج الى سنين طويلة ليدين جميع البشر في الدينونة العموميَّة . فانهُ قادر على ان يدين الجميع بلحظة عين . وكنَّا نودّ ان لا يأتينا المقتطف بهذا الاعتراض الواهي

ثالثاً : ثم قال المقتطف « هل يستطيع الكاتب ان يورد دليلاً كتابيًّا على ان الله يحاسب هذه النفوس كلها في الدقيقة التي تخرج فيها من اجسادها وفي الكتاب نصوص على ان الحساب يكون في انقضاء العالم » . فنجيب ان هذه المسألة لا علاقة لها بالمسألة

---

(١) راجع عن الهيپرمنيزي (Hypermnésie) المجلة الفلسفية Revue philosophique dirigée par M. Ribot. Janv. 1896 p. 26 et suiv. Mars 1896 p. 304 et suiv. وكتاب امراض الذاكرة للمسيو ريبو Ribot. Maladies de la mémoire p. 141 et suiv.

الجوهريّة التي كنّا خضنا فيها في مقالاتنا السابقة · لانهُ سواء تمّ الدينونة في انقضاء العالم او حالًا بعد موت كل انسان لا يغيّر ذلك شيئاً في سعادة النفس او تعاستها في خلاصها او هلاكها ولا يفيد ولا يضرّ فتيلًا في اثبات او نفي حقيقة وجود النفس وروحانيتها وبقائها الى الابد · وهذه المسألة ليست فلسفيَّة بل لاهوتية · ومع ذلك لا بأس ان نلمّح اليها

فنقول ان في الكتاب نصوصاً تبرهن الدينونة العمومية كما في (متى ٢٩:٢٤—٣٧ ومرقس ٢٤:١٣—٣٤) ومواضع اخرى شتّى · الّا انَّ هذه الدينونة العمومية لا تنافي الدينونة التي تجرى لكل انسان حالًا بعد موتهِ ونسميها الدينونة الخصوصيَّة · وقد ورد عليها نصوص في الكتاب · قال بولس الرسول (عبرانيين ٢٧:٩) « حُتم على الناس ان يموتوا مرة واحدة وبعد ذلك الدينونة » فهــذا النصّ يشير الى الدينونة الخصوصيَّة اكثر منهُ الى العموميَّة · وجاء في الفصل ١١ من سفر يشوع بن سيراخ الآية ٢٨ و ٢٩ : « هيّنٌ عند الرب ان يجازي الانسان بحسب طرقه يوم الموت شرّ ساعة ينسي اللذات وفي وفاة الانسان انكشاف اعماله · لا تغبّط احدًا قبل موته » · وفي سفر الجامعة الفصل ١١ الآية ٨—١٠ : « اذا عاش الانسان سنين كثيرة وفرح في جميعها فليتذكر ايام الظلمة انها ستكون كثيرة فانَّ المستقبل كلهُ باطل فافرح ايها الشاب في صبائك وليطب قلبك في ايام شبابك وسرْ في طرق قلبك وفي مرأى عينيك لكن اعلم ان هذه كلها سيحضرك الله لتدان عليها » · وهذا النصّ يشير خاصة الى الدينونة التي تعقب الموت حالًا · لان ايام الظلمة هي يوم الموت وحينئذٍ يحضر الله النفس ليدينها على اعمالها ويقابل الكتاب بين لذات الحياة وهول الموت والدينونة

ولدينا نصوص أُخرى يُستنتج منها ان الانسان يُدان حالًا بعد الموت · كالمثل الذي ضربهُ المسيح عن الغني ولعازر (لوقا ١٦ : ٢٢—٢٦) « مات المسكين فنقلته الملائكة الى حضن ابراهيم ومات الغني ايضاً فدُفن في جهنم فرفع عينيه وهو في العذاب · · · اني معذب في هــذا اللهيب · · · والآن هو يتعزى وانت تتعذب » فمن ثواب المسكين بالسعادة وعقاب الغني بالتعاسة حالًا بعد الموت يُستدلّ ان دينونة كل واحدٍ منهمــا تكون قد جرت وتمت · وهكذا القول عن اللص المصلوب عن يمين يسوع المسيح فانهُ سمع هذه الكلمة المعزّية « الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس »

(لوقا ٢٣ : ٤٣) وهـذا البرهان يسوقنا الى برهان عقلي يقرّب قبول ما تقولهُ · فانَّهُ في موت كل انسان ينتهي وقت استحقاق الثواب او العقاب · ومن ثم فالاقرب للعقل ان تنال النفس بعد الموت ما استحقت من الجزاء دون تأخير

وعلى كلّ فان لم يقبل المقتطف بهذه الآيات فنحن ندعن في هـذه المسألة لتعليم الكنيسة التي اعتمدت على تواتر تعليم الآباء من اوَّل النصرانيَّة في الحكم بان النفس تنال حالًا بعد الموت ما تستوجبهُ افعالها إن بارَّة او اثيمة · وفي ليتورجيـة جميع الكنائس سواء كانت شرقيَّة او غربية كاثوليكيَّة او غير كاثوليكيَّة ما يؤيّد تعليمنا فان صلوات الكنائس تصرّح بان نفوس الابرار تتمتع بمشاهدة خالقها · فلا بدَّ اذًا من ان يكون الله قد حاسبها على اعمالها في دينونةٍ خصوصية

رابعًا : امَّا قول المقتطف « لم يبيّن (مكاتب مجلَّة المشرق) مـا يصيب الناس الذين لا يعتقدون معتقدهُ هل تحشر نفوس هولاء كلهم في جهنم النار كما يعتقد ابناء طغمته او يسمح لها بدخول السماء ولا ما هي ادلتهُ على ذلك » فنجيب عليـهِ ان علماء الكاثوليك لا يعلّمون هذا التعليم ولا يحشرون كل الناس في جهنم النار لاننا لا نعلم من يخلص ولا من يهلك · ويوجد فرق عظيم بين القول بان المعتقد الفلاني فاسد وبين القول بان الذين يتبعونهُ هالكون · الله وحده يعلم ذلك لانَّ عملهُ في الضمائر والنفوس خفي لا يدركهُ البشر · ويا حبذا لو كانت النفوس كلها تخلص وتدخل السماء ولو اقتضى ذلك منَّا ان نفديها بارواحنا

فتعليمنا هو ان الله يمنح لكل البشر حتى للوثنيين النعم اللازمة والكافية للخلاص « الله مخلصنا الذي يريد ان جميع الناس يخلصون ويبلغون الى الحقّ » (١ تيموتاوس ٢ : ٤) · لكن كم من الناس لا يستفيدون من ارادة الله · وذلك بذنبهم امَّا لمعرفتهم الحق ورفضهم لـهُ امَّا لارتيابهم بمعتقدهم ولعدم سعيهم في ازالة هذا الريب وامَّا لمخالفتهم بمعرفـةٍ الشريعة الطبيعية او الوضعيَّة فيبذرون ويضيّعون النعم التي يهبهم اياها الله بل يصبُّها عليهم بغزارة · فمثل هؤلاء يلزمهم ان لا ينسبوا هلاكهم الَّا لذواتهم

ومعلوم انهُ يوجد كثير من الناس الذين وان كانوا بعيدين عن المذهب الحقيقي لا يرتابون مع ذلك في معتقدهم · فقد عرفنا في بـلاد الانكليز عددًا من البروتستانت المستقيمي السيرة مطمئني البال في معتقدهم لا يشكّون فيـهِ · ثم اعتنقوا المذهب

الكاثوليكي واقرُّوا انهم لم يرتابوا البتَّة في صحـة كنيستهم الى ان انار الله عقلهم ولارشدهم الى الكنيسة الحقيقيَّة . فهذا العلّامة الشهير المرحوم الكردينال مانينغ قد اكَّد انهُ لمَّا اقتبل درجة الارخيدياقن في الكنيسـة البروتستانية قبل ان يهتدي الى الكثلكة شعر بتعزية باطنة عظيمة وفرحٍ روحي لا يوصف . ولم يكن قبلًا خامر عقلهُ اقلّ شك في صحَّة مذهبه . ومثاله كثيرون . ويصدق قولنا هذا خاصةً اذا كان الكلام عن الذين هم اقرب من البروتستانت الى الكنيسة الكاثوليكيَّة . فاذا افترضنا مثـل هؤلاء الاشخاص الذين لا يرتابون بمعتقدهم ويحفظون كما يجب الشريعة الملتزمون بحفظها فمن تراهُ يجسر ان يحكم عليهم بالهلاك

لا بل اذا افترضنا رجلًا وثنياً حافظاً للشريعة الطبيعيَّة المطبوعة في عقل كل انسان لا يخامر ضميرهُ ريب فيما يتعلق بالمعتقد والديانة ويؤمن على الاقلّ بوجود الله وبانـهُ يثيب كل انسان على اعمالهِ كما قال الرسول (عبرانيين ١١ : ٦) « وبغير ايمان لا يستطيع احد ان يرضي الله لانَّ الذي يدنو الى الله يجب عليهِ ان يؤمن بانهُ كائن وانهُ يثيب الذين يبتغونهُ » فمثل هذا الانسان المحبّ لله يمكنهُ ان يبلغ الخلاص ونحسبهُ من نفس الكنيسة وان لم يُحسب من جسمها لاننا لا نكون اعضاء في جسم الكنيسـة ألا بالعماد

ولا يخفى ان الانسان الذي يسلّم بالوحي هو اقرب للايمـان من الوثني الذي لا يسلم بالوحي . وان عدم الارتياب في المعتقد يوجد عند البسطاء والاميين اكثر منهُ عند العلماء والمتأدبين . وانَّ حفظ الوصايا في كنيسة المسيح الحقيقية اسهل عموماً لتوفُّر النعم ووسائط الخلاص فيها اكثر ممَّا في الكنائس الغير الحقيقية . وعليهِ فمسألة الخلاص او الهلاك فيما يخصّ كل انسان هو سرٌّ غامض لا يعلمهُ الَّا الله وحده وسيعرف كل انسان حالًا بعد موته اذا كان من الخالصين او من الهالكين ولا يهلك احدٌ الَّا بذنبهِ . فبعد ما قلناهُ وصرَّحنا بهِ هل يمكن لاحدٍ ان يستنتج انهُ « بحسب تعليم الكاثوليك تُحشر في جهنم النار نفوس كل الناس الذين لا يعتقدون معتقدنا او اننا لا نسمح لها بدخول السماء » كما اتَّهمنا المقتطف اذ قال « كما يعتقد ابناء طغمتهِ » . لا لعمري

خامساً : قال المقتطف : « لم يبيّن (مكاتب المشرق) اذا كانت النفس تشعر بعد خروجها من الجسد وقد قال ان الجسد آلتها للشعور »

فنجيب ان الشعور يقسم الى شعور حسّي وشعور عقلي . فالجسد هو آلة النفس للشعور

طالما هي متحدة بهِ . لكن عندما تنفصل عنهُ فمن الواضح انها لا تشعر بالحواس بل لها طريقة أخرى تعلم بها الامور . فالنفس المنفصلة عن الجسم لا يمكنها ان تنظر ولا ان تسمع ولا ان تذوق ولا ان تشم ولا ان تلمس كما ان الله لا ينظر ولا يسمع ولا يذوق ولا يشمّ ولا يلمس لانهُ روح محض ومع ذلك يعلم كلّ هذه الامور بنوع غير حسّي . كذلك النفس في حال انفصالها تدرك الماديات والمعقولات بنوع عقلي غير مادّي لانها عقل . كما انها في حال اتحادها بالجسم تدركها بالحسّ وتجرد من المحسوسات موضوع ادراكها العقلي . فالصعوبة ليست في ان نفهم كيف تدرك النفس وتعلم بعد الموت في حال انفصالها عن الجسد لكن في ان نفهم كيف تدرك النفس الماديات وغير الماديات في حال اتحادها مع الجسد . فمن يمكنه ان يفهم كيف تدرك النفس بالبصر وبالسمع وبالذوق وهلمّ جرًّا . فانهُ لا يصعب عليّ ان ابصر الشمس اذا اشرقت باشعتها على الارض لكنَّهُ يصعب ان اراها وهي محجوبة بالغيوم . كذلك المعقولات هي للنفس في حال اتحادها بالجسم كالشمس وراء الغيم اما في حال انفصالها فكالشمس اذا انقشع عنها الضباب

ومع انهُ في هذه الحياة الدنيا يسبق او يوافق معارفنا ادراكٌ او تخيل حسّي مع ذلك غير جيدًا الادراك الحسي من الادراك العقلي فاني اعلم ما هو الله وما هي الفضيلة والرذيلة وما هي النسبة وما هي العلّة وما هو المعلول وهذه المعاني هي عقليّة محضة . ثم اذا رسمت على القرطاس خط الدائرة فان عيني تبصرها لكن عقلي يدرك ما هو محيط الدائرة بنوع اكمل مما ترسمهُ يدي او تراه عيني وعليهِ ففي حال اتحاد النفس بالجسم يدرك العقل اشياء لا تقع تحت الحواس . فلا عجب ان يدركها في حال الانفصال . لانهُ عقل حيّ عامل فلا بدّ لهُ من ان يعمل وعملهُ هو ان يعلم الامور

فمما سبق يتَّضح اننا ابعد من ان « نتّهم بالكفر من يتكلم بالحقّ » . لكن قد ترد في المجلات بعض مقالات او فقرات منافية بنوع صريح للحقائق المقرَّرة . فتفنيد مثل هذه الاقوال فرضٌ واجب

لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ

للاديب اميل افندي خاشو سر مهندس لبنان سابقاً (تابع)

٢ زراعتـــهُ

دعنا ننتقل الآن الى بحث آخر نجدهُ اخطر شأناً من بحثنـــا السابق في اشغال لبنان العموميَّة نريد الزراعة . فانَّ لبنان جبل زراعيّ يجد اهلهُ في استنبات تربتهِ ثروة واسعة لو شاؤوا . ومن ثمَّ نرى انَّ الحكومة تكسب شكر اللبنانيين لو اقامت لهم مهندساً زراعياً فانهم الى مثل هذا ناظر الزراعة احوج منهم الى مهندس للطرق والجسور. ولعمري انّي طالما تأكَّدت الامر بذاتي وعرفت مـــا يُبنى من الآمال على زرَّاع خبير يرشد اهل الجبـــل الى تحسين زراعتهم وتنظيمها على حسب الاصول المرعيَّة اليوم في البلاد المتمدّنة

والعجب كلّ العجب ان الزراعة اللبنانيَّة لا تزال في طفوليَّتها كما كانت في عهـــد قدماء المصريين والفينيقيين؟ فترى المحاريث الخشبيَّة غير محكمة الصُّنع يجرُّها البقر ولا تكاد تقلب التربة بل تخمش وجهها فقط

وقد انتبه البعض منذ زمن قريب الى هـــذا الخلل لكنَّهم لم يمكنهم سدّهُ امَّا لكونهم لم يتفرَّغوا الى درس هذه الصناعة درساً قانونيّاً امَّا لقلَّة ما وجدوا من الوسائط لتحقيق مرغوبهم . فصرفوا نظرهم الى تربيـــة دود القزّ مع انَّ الزراعة تجديهم ارباحاً اعظم من الحرير بكثير

هذا ولا نجهل انَّ لفنّ الزراعة اصولاً لا يدركها العوامّ فتحتاج الى من يقرّبها الى فهمهم ولهذا تمنَّينا ان تُعيّن الحكومة ناظرًا للزراعة يفيد اهل لبنـــان اموراً عديدة تفوتهم . فمثال ذلك انَّ الفلّاح يعلم في اي زمـــان يقتضيهِ زرع الذرة والقمح لكنَّهُ لا يدري ايَّة تربة اصلح لجنس دون آخر فلو وجد خبيرًا لأَفادهُ ما يجهلهُ . كما انَّ المريض يعلم انَّ الكينا تشفي الحمَّى لكنَّهُ يلتجئ الى الطبيب ليعرف علَّة تلك الحمَّى ويحسم سببها وليقف ايضاً على زمن التداوي بالكينا وعلى كمّيَّتها وغير ذلك ممَّا هو موكول الى

علم الطبيب . فهكذا الزراعة فانها تحتاج الى شروط متعددة هي من شأن العالم بها يهدي غيره اليها . ومما يذهلنا انَّ لحكومة لبنان عشرة اطبَّاء او اكثر تنفق عليهم وليس لها ناظر واحد للزراعة

وهذا ما يحدُو بي الى ان اقدّم هنا للقرّاء بعض ملحوظات شخصيّة لحظتُها في مدّة تجوالي في لبنان وان كان هذا الامر خارجًا عن حيّز اشغالي الهندسيّة الّا اني لا اقول شططًا لاني قضيت سنوات عديدة في القطر السوري والمصري وكلاهما من البلاد الزراعيّة وخدمتُ سنةً في شركة زراعيّة في مصر فتعاطيت الابحاث المختصّة بالزراعة

واوّل ما يُقتضى التنبيه اليه ان تُعاد الى لبنان غاباتهُ القديمة فيُكسى هذا الجبل بالاشجار التي كانت فخرهُ وزينتهُ في غابر الاعصار . وهذا بالحقيقة مشروع غاية في الاعتبار لا يستغني عنهُ الوطن سواء كان لتخفيف وطأة الحرّ او لغنى الاهلين ولمستقبلهم الاقتصادي فلا بأس أن نسترسل في هذا الموضوع

ولا اظنّ انَّ احدًا يحتاج الى أن اصف لهُ ضرورة الاحراج او يُماريني في بيان منافعها فانَّ لدينا امثالًا قريبة تزيل في ذلك كل شكّ . فالجزائر مثلًا كانت قبل خمسين سنة بلادًا قفرة تحرقها الشمس ولا تكاد امطار الشتاء تجودها فتحييها . فحاولت الحكومة المحليَّة ان تستدرك هذا الخلل فغرست على طريقة نظاميَّة غابات الاشجار فاصبحت اليوم تلك الجهات مقصودة لحسن هوائها ورطوبة جوّها واعتدال مناخها . والامطار فيهِ تسقط بنظام وتتكلّل هامة جبالها بالثلوج

وهذا المثل دفع الحكومة المصريّة منذ بضع سنوات الى ان تنشئ « شركة وردان » غايتها نصب الغابات وقد خصّت لذلك ٤٠,٠٠٠ فدّان من املاكها

اما لبنان فانهُ على عكس ذلك يفقد يومًا بعد يوم القليل ممَّا بقي من اشجارهِ . وعمّا قليل ستصبح كلّ قممهِ اجرد من الصلعة ولا يبقى من اوصافهِ الشهيرة التي اطنب فيها الكتاب الكريم غير الذكر المشكور والاثر دون العين . واوّل ضرر ينجم عن ذلك انما يصيب الفلاحة والاملاك لأن الامطار تقلّ شيئًا فشيئًا وتيبس مجاري المياه وتنضب العيون وتقحل الاراضي فلا تأتي بزرع . وليس الداء بلا دواء لكنَّ الداء يتفاقم كلّ يوم فان لم يُعالَج اصبح عُضالًا وأدّى الى مَوات الاراضي

هذا ولستُ بجاهل انَّ غرس لبنان بالغابات غنيَّة طالت نغمتها وتردّدت ادوارها

حتى أَلِفها السامعون ولم يعودوا يعيرونها بالًا . لكنّي لا اتمالك انا ايضاً عن تكريرها ولو عرَّضت نفسي للسخريَّة والهزء لعلمي بأنَّ كلامي لا يُسمع لهُ صدًى . لكني اعرف من جهة أُخرى ان العقلاء في لبنان يرتأُون رأيي ويتمنَّون مثلي ان يُكسى لبنان بثوبهِ السندسي الذي لم يبقَ منهُ غير أَسمالٍ يجرّدهُ عنها كل يوم ذوو الجهل والطيش . أفلا تنظر مثلًا تلك الغابة الغنّاء التي تزين وادي عين زحلتا يتنازعها منذ سنين قومٌ ينهبونها ويتلفونها وعمَّا قليل يتركون الوادي خرابًا يبابًا . فترى انَّ لبنان ليس فقط لا يعود الى مفاخرهِ النباتيَّة القديمة لكنَّهُ يمشي القهقرى فيا لله اليس في لبنان قوَّة حاكمة تفطن لهذه الاضرار وتصون تلك الكنوز من ايدي المعتدين

بل يترتَّب على حكومة الجبل أَن تتقدَّم الافراد وتبتدئ قبل الجميع بنصب الاشجار على جانبي الطُرق التي فتحتها . فانَّ في هذا العمل من المنافع ما لا يخفى على ناظر . ومما يصلح لذلك شجر الازدرخت (الزنزلخت) واللبخ (الاكاسيا) والاوكاليبتس فهي لو نُصبت على طول الطرق التي قلنا انَّها تبلغ نحو الف كيلومتر لزيَّنت لبنان وافادتهُ الفوائد الجمَّة . امَّا نفقة العمل فزهيدة بالنسبة الى هذه الفوائد . فان حسبنا لكل خمسة امتار شجرةً بلغ عدد الشجر ٢٠٠,٠٠٠ لألف كيلومتر ولنفترض انَّ النصب الواحد مع كلفة غرسهِ وصوانهِ يساوي خمسة غروش فانَّ مجموع النفقات يبلغ ١٠,٠٠٠ ليرة

وان قيل انَّ هذه المبالغ لا يمكن الجبل ان يقوم بها اجبت ان الامر سهلٌ لو قُسم على خمس سنوات . كما انَّ الحكومة يمكنها ان تطلب من كل مديريَّة ان تغرس الاشجار في قسم الطريق الواقع في جوارها وقد سبق جناب الامير قيصر بلَّمع مدير القاطع وادرك منافع العمل وبهمَّتهِ غُرست اشجار الاكاسيا في كلّ طرق بكفيًا ولم تتجاوز نفقات العمل على البلديَّة اكثر من اربعة قروش ونصف لكل شجرة

امَّا المنافع التي يُحصل عليها بغرس هذه الاشجار فمنها (اوَّلًا) انها تصون جانبي الطريق وتزيدهما ثباتاً وتمكيناً فضلًا عن زينتهما . (وثانياً) أنها تظلّل الطريق وتخفّف وقدات الحرّ في الصيف وهو الفصل الذي يكثر فيهِ عدد السيَّاح ولا خفاء ما ينال اللبنانيُّون من الارباح بمرورهم في مواطنهم . (وثالثاً) انَّ الاشجار اذا تأَصلت ونمت

اضحت موردًا جديدًا لثروة الجبل باوراقها واغصانها وخشبها وهذه الثروة تبتدئ منذ السنة الخامسة لنصبها ثم تزيد سنةً بعد سنة

ولا يكفي حكومة الجبل ان تقوم بهذا العمل بل ينبغي لها ايضاً ان تبعث همم الاهلين في الاقضية والمديريَّات ليصونوا الغابات الموجودة عندهم . ويغرسوا غيرهــا ويكفُّوا الاذى عنهــا بعد غرسها سواء كان من الماعز او من الحطَّابين وان لزم الامر تضرب الضرائب على الرُعاة واصحاب المواشي الذين يتجاوزون اوامرها . ولولا ذلك لذهبت كلّ الاتعاب سدًى . فانظر مثلًا نواحي كسروان فانَّ الصخور صارت غالبةً على معظم جهاتها . وانَّما الذنب على قطعان الماعز التي تعيث في انصاب الاشجار وتأكل براعيمها فتتلفها بزمن قليل

وناحية المتن تفضل على بقيَّة نواحي الجبل بغاباتها ومغارس اشجارها وسعي عمَّالها المشكور في صيانة الاحراج . لكنَّ في هذه الناحية قطعــةً كبيرة اكثرها مُهمل وهي القطعة الواقعة بين انطلياس ونهر الكلب والمزارع فان تربتها طيبة تتركَّب من الرمل المختلط باجزاء حديديَّة تصلح كلّ الصلاح لغرس الصنوبر البحريّ فانَّ هنــاك بعض اشجار منها تدلُّ على حُسن هذا المشروع لو عمَّ تلك الجهة

وكذلك في جنوبيّ بيروت على مسافة عشرة كيلومترات طولًا في معدَّل ٥٠٠ متر عرضاً اراضي متَّسعة تبلغ ١٥٠٠ فدَّان كلها رمل لا يستفاد منها شيء . فلو نُصبت فيها اغراس الصنوبر لاضحت كجنَّات غنَّاء تزيد بها المدينة حسناً وبهاء . ولنا مثال حديث يؤيّد قولنا في ذلك . فانهُ كان في فرنسة في مقاطعة اللَّند (Landes) سهول يغلب عليها الرمل وكلها اقفار لا تُسكن وكانت مساحة تلك الناحية تُربي على ٣٠,٠٠٠ فدَّان فابتاعها احد التجار من الدولة ليستثمرها ويزرعها . فغرس فيها الصنوبر البحري فما لبث أن نمت الاشجار وبسقت اغصانها حتى صار المكان بقعة نضرة افاد منها صاحبها الاموال الجزيلة وجعلها عامرةً بعد ان كانت غامرة

وان سألت ما هي الاشجار التي تصلح لتربة لبنان اكثر من سواها فهاءنذا اعدُّ بعضها لفائدة العموم . ١ً الطرفاء (tamaris) فانَّها تصلح لكلّ ارض يغلب عليهــا الرمل او تكون خفيفة التربة . ومثلها الكازوارينا (casuarina) . ومن اصلح الاشجار واوفقها لبلادنا مع كثرة جدواها ونفعهــا لتنظيف الهواء من الجراثيم المَرَضيَّة اشجار

الاوكاليبتس بكل انواعهِ وموطن الاوكاليبتس بضروبهِ بلاد اوسترالية وهو ينمو بسرعةٍ غريبة · ومنهُ صنفٌ غاية في الصلاح للاراضي الرملية يُدعى اوكاليبتوس بيلّيانا (eucalyptus Baileyana)

ومنها الصنوبر البحريّ او الراتينجيّ (pinus picea) الذي يحدق ببعض اطراف بيروت فيحوّلها الى منتزهات رائقة

ومنها الروبينيا (pseudo-acacia) وهي شجرة من جنس الطرفاء او الأثل مشوكة تسرع بنموها وتّردان بخضرة يأنس بها النظر

امّا الازدرخت او الزنزلخت فهو اشهر من ان يحتاج الى ذكر (التتمة لعدد آخر)

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٢ الآداب العربيّة في اوربّة في بدء القرن التاسع عشر

هلمَّ بنا نوجّه الآن الانظار الى احوال الاداب العربيّة بين الاوربيين في مفتتح القرن التاسع عشر ليظهر للقرّاء كيف تمّت بعد ذلك تلك النهضة العجيبة التي جعلت الدروس العربيّة في مقام ممتاز كما نراها اليوم في حواضر اوربّة واميركة

ليس درس اللغات الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً امرًا مستحدثًا بين علماء اوربّة كما يزعم البعض بل ابتدأت الافكار تتوجّه الى احراز معانيها والتقاط لآليها منذ الفتوحات الاسلامية التي قرّبت امم الشرق من تخوم البلاد الغربيّة ولو تتبّعنا الآثار المنبئة ببيان هذه القضيّة لتعدّدت لدينا الشواهد لاسيّما في جهات الاندلس وبعض جهات الروم. لكنَّ تلك الحركة زادت قوّةً وانتشارًا في القرن الثاني عشر لما جرى في ذلك العهد من الامور الجليلة والاحداث الخطيرة التي كادت تمزج طرفي الشرق والغرب مزج الماء بالراح

والكنيسة الكاثوليكيّة كانت اعظم ساعية في ادراك هذه الغاية فممّن اشتهروا اذ ذاك في الدروس الشرقيّة واعتنوا بنقل الآثار العربيّة الى اللاتينيّة او بنوا ابحاثهم على احوال الشرقيين رئيس دير كلوني بطرس المكرَّم (١٠٩٢—١١٥٦م) وكان رحل الى

الاندلس ورقب شؤون العرب فيها فأُعجب بآدابهم فلمَّا عاد الى ديرهِ عُني بانتقاد كتبهم · وفي عهدهِ عُرف جيرَرْد دي كريمونا (١١١٤—١١٨٧) وكان مولعاً بنقل تآليف العرب في فنون الحكمة وكان أتقن درس العربية فترجم الى اللاتينيَّة نحو ستين مصنَّفاً جليلًا لمشاهير الكتبة كالرازي وابن سينا في الرياضيَّات والهيئة والطبّ طُبع منها قسمٌ صالح وفُقد منها الكثير

ولمَّا أُنشئت في ذلك القرن رهبانيَّتا القديسين دومنيك وفرنسيس الاسيزي صرف منهما عددٌ يُذكَر عنايتهم الى درس العلوم الشرقية · فانَّ الدومنيكي النابغة البرتوس الكبير (١١٩٣—١٢٨٠) لمَّا كان يفسّر كتب الفيلسوف ارسطاطاليس في كليَّة باريس كان يستند في شروحهِ الى ترجمة منقولة عن العربيَّة ويستعين في تحصيل معانيها بما كتبهُ في ذلك الفارابي وابن سينا والغزَّالي · وجاراهُ في حبّهِ لآثار الشرق احد اخوتهِ في الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الاسباني ريمند لول (R. Lull) (١٢٣٥—١٣١٥) وكان من اكبر انصار اللغات الساميَّة في كليَّة اوربة · واهتمَّ رؤساء الدومنيكان منذ السنة ١٢٥٥ بانشاء مدرسة منظَّمة يعلّمون فيها العبرانيَّة والعربية والسريانيَّة في باريس وبلاد الكتَلان امَّا الرهبان الفرنسيسيُّون فلم يكونوا اقلّ غيرةً في تخصيص بعض طلبتهم بدرس العربيّة · اشتهر بينهم ميشال سكوت (M. Scot) الذي انكبَّ في طليطلة على اتقان اللغة العربيَّة سنة ١٢١٧ ونقل عدداً وافراً من تآليفها · واشهرُ منهُ الراهب الانكليزي روجار باكون (R. Bacon) (١٢١٤—١٢٩٢) فريد عصرهِ ونسيج وحدهِ في العلوم الفلسفيَّة والطبيعيَّة فانهُ سعى ما امكنهُ بنشر الدروس الشرقيَّة وعلى الاخصّ العربيَّة

امَّا الاحبار الرومانيون فسبقوا كلّ ملوك اوربة في تنشيط درس اللغات الساميَّة التي منها العربيَّة · وممَّا يُذكر فيشكر انَّ البابا هونوريوس الرابع كان تقدَّم بفتح مدرسة للغة العربيَّة في باريس في العشر الاوَّل من القرن الرابع عشر · ولمَّا عُقد في ڤينة المجمع المسكونيّ سنة ١٣١١ كان احد قوانين الآباء ان تُنشأ مدارس للغات العبرانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة في رومية على نفقة الحبر الاعظم وفي باريس على نفقة ملك فرنسة وفي بولونية واكسفورد وسلمنكة على حساب الرهبان والاكليروس · وممَّا يدلُّ على انَّ هذه اللغات كانت تُعلَّم في كليَّة باريس براءةٌ للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين تاريخها سنة ١٣٢٥ يحتم فيها على قاصدهِ هناك بان يراقب تدريس العربيَّة

ولمَّا اكتُشف فنّ الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر كان كبير الاحبار يوليوس الثاني اوَّل من سبق الى طبع كتاب عربيّ (اطلب المشرق ٣: ٨٠) ووليَهُ اسقف نابيو من اعمال كورسكا اغوسطينوس جوستنياني الذي طبع كتاب الزبور في اربع لغات منها العربيَّة سنة ١٥١٦ . وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر فتحت الرهبانيَّة اليسوعية مدرسة للعبرانية وللعربيَّة في رومية علَّم فيها الاب حنَّا اليانو الشهير وانشأ مطبعةً طبع فيها بعض الكتب الدينيَّة كان نقلها الى العربية منها التعليم المسيحي واعمال المجمع التريدنتيني . ثمَّ زاد اهتمام الكرسيّ الرسولي بتعليم العربيّة والعبرانيّة والسريانية لمَّا أنشئت المدرسة المارونيَّة ونقل الرسلون الى مكتبة الفاتيكان عددًا لا يُحصى من كنوز الشرق الادبيَّة بينها المئون من تآليف العرب اقتنوها بإيعاز البابوات كما أشرنا الى ذلك (المشرق ١٠: ٢٥) . ثمَّ اتَّسعت تلك النهضة في كلّ اقطار اوربَّة فتوفَّر عدد الدارسين للُغات الشرقيَّة وحفلت المكاتب بآثار العرب والسريان لاسيما خزائن كتب باريس ومجريط وليدن واكسفرد ولندن ونُشرت تآليف عربيَّة جليلة لأعظم أُدباء العرب واشهر كتبة الشرق

ولم يكتفِ المرسلون بذلك بل انصبُّوا على دراسة العربيَّة انصبابًا بلَّغ بهم الى أن أتقنوا اصولها وألَّفوا فيها التآليف المتعدّدة منها دينيَّة ومنها ادبيَّة ونقلوا اليها عددًا دثرًا من طُرف المصنَّفات الاوربيَّة . وهو بحثٌ نستوفيهِ يومًا ان شاء الله

لكنَّ هذه الحركة مع سعة نطاقها لم تتجاوز حدودًا معلومة بل خمدت في آخر القرن الثامن عشر بعض الخمود لما طرأ على انحاء اوربَّة من الدواهي بنشوب الحروب واستشراء الفساد وكثير من المدارس الشرقيَّة أُقفلت لسوء احوال الزمان

وما عتَّمت فرنسة ان ادركت حاجتها الى علماء يحسنون لغات الشرق وخصوصًا اللغات الحيَّة وفي مقدَّمتها العربيَّة فانشأ اربابُ امرها في باريس في ٢٩ نيسان من السنة ١٧٩٥ مدرسةً لتعليم اللغات الشرقيَّة الحيّة اعني العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة وهي المدرسة التي اضحت مثالًا لما أُنشئ بعدئذٍ على هيئتها من المدارس الشرقيّة العمليَّة في عواصم شتَّى من الممالك الاوربيَّة . وتلك المدرسة لم تزل تترقَّى في معارج التقدُّم الى يومنا هذا خرج منها عددٌ لا يُحصى من العلماء المستشرقين من فرنسويين والمان وايطاليين وسويسريين وغيرهم نذكر فيما بعد لمعةً من اخبارهم . وقد أُقيمت للمدرسة المذكورة

اعيـاد شائقة قبل ١٢ سنة بنسبة يوبيلها المئويّ وطُبعت بعدئذٍ المطبوعات المفيدة لتسطير تاريخها مع عدَّة آثار من قلم اساتذتها وتلاميذها . ومما اضافتهُ هذه المدرسة الى تعليمها لغـات الشرق الاقصى اي الصينيّة واليابانيَّة والأنامية . وكذلك ادخلت في جملة دروسها الارمنيَّة والهندستانيَّة وفيها يدرس الذين يترشَّحون للمناصب القنصليّة في الشرق

وكان اعظم السُّعاة في فتح هذه المدرسة رجلان هُمامان احدهما يُعرف بكبير المستشرقين وامامهم البارون سلوستر دي ساسي الذي سنعود الى ذكرهِ الطيّب قريباً والآخر لويس لنغلاي (L. M. Langlès) (١٧٦٣—١٨٢٤) وكان من اساتذة اللغات الهنديّة ألَّف فيها التآليف المفيدة التي نُشرت بالطبع ولهُ رحلةٌ الى بلاد الشام وفلسطين ومصر طُبعت سنة ١٧٩٩

وممَّا ساعد على نهضة الآداب الشرقيَّة في اواخر القرن التاسع عشر بعـد هبوطها الجمعيَّاتُ الاسيويَّة كان الفضل في تشكيل اوَّل جمعية منها في باتاڤيا من اعمال الهند الهولنديَّة سنة ١٧٧٨ لكنَّها كانت تقتصر على ما يختصّ بالمستعمرات الهولنديَّة . ثمَّ انشـأ احد الانكليز وهو سير وليم جونس (١٧٤٣—١٧٩٥) جمعيَّة اسيويَّة عموميّة في كلكوتة سنة ١٧٨٤ فنجحت نجاحاً عظيماً . وكان منشئها من افاضل المستشرقين له عدَّة تآليف في فنون العلوم الشرقيَّة من جملتها شرح المعلَّقات في الانكليزيَّة . وعلى مثال هذه الجمعيَّة عُقدت محافل اسيويَّة أُخرى في الهند لاسيا محفل بنغالي سنة ١٧٨٨ . وهذه النوادي العلميَّة لم تبلغ ما بلغتهُ محافل القرن التاسع عشر الوارد ذكرها لكنَّها افادت بما نشرتهُ من المنشورات الادبية والصناعيَّة والتاريخيّة والعلميَّة في مجلَّات كانت تظهر في اوقات معلومة والبعض منها لم يزل طبعهُ جارياً حتَّى الآن

امَّا المستشرقون الذين نالوا لهم بعض الشهرة في خاتمة القرن الثامن عشر فكانوا من الافرنسيين يوسف دي غيني (J. de Guignes) (١٧٢١—١٨٠٠) مدرّس اللغة السريانيَّة في مكتب باريس العلميّ ومؤلف تاريخ واسع للتتر والمغول والترك في خمسة مجلَّدات ضخمة . ثمَّ انكتيل دوپرون (Anquetil-Duperron) (١٧٣١—١٨٠٥) درس وهو شاب اللغات الشرقيَّة ثمَّ ساح في اطراف الشرق وجمع المخطوطات الهنديَّة الجليلة ونشر تآليف عديدة في اخبـار الهند وآثار الهنود والفرس والعرب وهو اوَّل من

نقل كتاب زرادَشت المعروف بزند أوِستا الى الافرنسيَّة وبعض كتب البدّ (Védas) ولهُ مقالات عديدة في مجلّة العلماء. ومنهم المستشرق هربان (A. Herbin) (١٧٨٣—١٨٠٦) كتب في اصول اللغة العربيَّة العامية وألف معجمَين عربي فرنسويّ وفرنسوي عربي وكتب في الموسيقى عند قدماء العرب وفي آداب الفرس

وكان قبل ذلك بعشر سنوات توفّي مستشرق كبير من كهنة فرنسة الخوري جان جاك برتلمي (J. J. Barthélemy) (١٧١٦—١٧٩٥) اشتغل في آثار الفينيقيين والتدمريين ولـهُ مقالات لا تُحصى في كلّ ضروب المعارف. وهو الذي كتب «رحلة اناكرسيس» الشهيرة ضمَّنها اخبار اليونان القدماء وآثارهم. وقد حذا حذوهُ المرحوم جميل مدوَّر في كتابهِ الحضارة

وممَّا زاد الفرنسويين ترقياً في الآداب الشرقية ان نابوليون لما قصد مصر سنة ١٧٩٨ اخذ في صحبتهِ بعضاً من العلماء المعدودين الذين انتهزوا الفرصة لتعلُّم العربية بين المصريين. وكان فئة السوريين اجتمعوا بهم بصفة تراجمة منهم ميخائيل صبَّاغ ونيقولا الترك وغيرهما. فاستعان اولئك العلماء بهم لدرس العربيَّة ولمَّا عادوا الى فرنسة نشروا تلك اللغة بين مواطنيهم

وكان ايضاً في اواخر القرن الثامن عشر بعض العلماء من الفرنسويين الذين كانوا انقطعوا الى درس العربيَّة وألَّفوا فيها التآليف منهم في المانية جان جاك رَيْسك (J. J. Reiske) (١٧١٦—١٧٧٤) نشر عدداً كبيراً من كتب العرب ونقلها الى اللاتينيَّة وعلَّق عليها التعاليق كمقالات الحريري وتاريخ ابي الفداء ومعلقة طرفة. ومنهم جان داود ميكائيليس (J. D. Michaelis) (١٧١٧ — ١٧٩١) علَّم اللغات الساميَّة في غوطا وصنَّف التصانيف المفيدة في العبرانيَّة والسريانية والعربية منها كتب في اصول هذه اللغات وآدابها. واشتهر تيكسين (O. G. Tychsen) (١٧٣٤—١٨١٥) لهُ تآليف شرقية من جملتها تأليف واسع في النقود الاسلاميَّة

واشتهر غير الالمان السويسريّ بوركهرت (J. L. Burckhard) (١٧٨١—١٨١٧) الذي طاف في بلاد النوبة وبادية الشام وجهات الحجاز وعُرف بالشيخ ابراهيم ولـهُ تآليف جليلة في وصف رحلاتهِ. ومن جملة كتبـهِ تأليف في الامثال العربية وتوفي في القاهرة

(ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

ابدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب

تأليف مكرَّمتلو عبد الباسط افندي الانسي

طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٣٢٤ (ص ٦٠٨)

قدَّر ارباب المدارس هذا الكتاب قدرهُ فأقبلوا عليهِ اقبالًا عظيماً حتى نفد طبعهُ بعد سنين قليلة (اطلب المشرق ٤:٩٠٧) فانهض ذلك همَّة صاحبهِ الفاضل ليعيد طبعهُ بعد تحسينهِ وتكملة فوائدهِ · وقد اضاف اليــهِ زيادات مهمَّة كبعض رسائل جديدة وصدور انيقــة وشروح دقيقة حتى بلغ مجموع هذه المكاتبات نيِّفاً و ٥٠٠ كتاب في كلّ موادّ التحارير كلها بانشــاء متأنّق مسجَّع · ومن الزيادات المفيدة باب في اصول مسك الدفاتر يحتوي خلاصة هذا الفنّ جعلــهُ المؤلف كمسك ختامهِ · فنتمنَّى لهذه الطبعة الجديدة رواجاً وانتشاراً كالطبعة الاولى ونحضّ الادباء على اقتنائها

Studie zur Syrischen Kirchenlitteratur der Damascene von **Eduard Sachau.** Mit zwei Tafeln, 27 SS.

بحث في الآداب الكنسيَّة السريانيَّة في نواحي دمشق

لم تشع اللغة السريانة بين الكلدان والسريان والموارنــة فقط بل اتَّخذها الروم الملكيُّون ايضاً لمناسكهم الدينية مدَّة قرون متعدِّدة كما يشهد على ذلك عشرات بل مئون من التآليف الباقية الى يومنا من الكتب الطقسيَّة الملكيَّة المكتوبة بالسريانيَّة بحرف اشبه بالحرف الاسطرنجليّ · وقد اشرنا في المشرق غير مرَّة الى هذه المخطوطات الملكيَّة (٢ :٥٨٨ ;٣ :٢٧١ ;٤ :١١٢٧ ;٥ :١٠٤ و٩٥٧ ;٩ :٩٩٤, ٩٩٥, ١٠٤٧) وممَّا اهدانا آخرًا احد كبار المستشرقين الدكتور ادورد ساخو الشهير نسخةً من مقالةٍ اثبتها في مجلَّة برلين العلميّة ضمَّنها وصف عشرة كتب من المخطوطات الطقسية السريانية التي كان الروم الملكيُّون يصلُّون فيها ويقيمون الفرائض الدينية فبينها الميناون والاكطويخس والمعزّي والاوديَّات وغير ذلك من كتب الرتب وقد وصف الدكتور ساخو هــذه المصنَّفات وصفاً حسناً وانتقى منها نصوصاً لتعريفها وألحق بها رسمين بالتصوير الشمسي

يُعرف بهما الخطّ الملكي الذي يخالف الخطّ النسطوريّ والخطّ اليعقوبيّ ويشبه القلم الاسطرنجليّ. وتاريخ هذه المخطوطات القرن الخامس عشر والسادس عشر للمسيح وهي وُجدت في القريتين ودير عطيّة ومعلولا حيث وجدنا نحن ايضاً من شكلها ما وصفناهُ في رحلتنا الى بادية تدمر في اعداد السنة المنصرمة ل. ش

Aus den Bibliotheken von Kairo, Damascus und Konstantinopel (Arabische Handschriften geschichtlichen Inhalts.) von **Josef Horovitz.** *Berlin,* 1907, 68 SS.

مخطوطات تاريخيّة في القاهرة ودمشق والاستانة

جاءنا منذ خمسة اشهر احد علماء الالمان اسمهُ يوسف هوروفتس موفدًا من الامير الايطالي لاون كايتاني دي تيانو لينظر لـهُ في المخطوطات التاريخيّة المصونة في خزائن كتب القاهرة ودمشق والاستانة. فكانت نتيجة سياحتهِ انـهُ فحص ٥٨ تاريخًا من التواريخ التي لم تُنشر حتى الآن بالطبع ومن هذه التواريخ مـا هو في عدّة مجلّدات كتاريخ دمشق لابن عساكر. ثم دوّن ملحوظاتهِ على كلّ تاريخ مع بيـان محتويات النُّسخ وزمن نسخها. الى غير ذلك من الافادات التي اعتادها الاوربيُّون في وصف المخطوطات القديمة وقد نشر كلّ هذه المعلومات في نبذة ظهرت في مجلّة مكتب اللغات الشرقية في برلين ثم طبعها على حدة. فنشكر جناب المؤلف الذي وصف ايضاً في تآليفهِ ثلاثة من مخطوطات مدرستنا الكليَّة ل. ش

UBERSICHT DER SCHRIFTEN THEODOR NOELDEKE'S von **Ernst Kuhn,** Gieszen, A. Toepelmaun, 1907, 48 SS.

نظر في تآليف الاستاذ العلّامة تاودور نلدكه

قلّما صنّف احد من العلماء من التآليف الواسعة والمقالات المطوَّلة ما صنّفهُ فريد عصرهِ المستشرق الشهير نلدكه استاذ اللغات الآراميّة في ستراسبورغ الذي أُقيمت لهُ في السنة المنصرمة الاعياد اليوبيلية الشائقة (اطلب المشرق ٩ : ٤٨٠). وكان كثير من اصحابهِ وتلامذتهِ قدّموا لهُ اذ ذاك كلٌّ في فنهِ اثرًا علميًّا فجُمعت هذه الآثار في مجلّدين ضخمين وكانت في صدر الكتاب ترجمة المعلِّم العلّامة مع جدول تآليفهِ. وهذا الجدول يستغرق وحده ُ ٤٨ صفحةً فيهِ عناوين ٦٢٨ كتابًا او مقالةً يبلغ مجموعها نحو ١٠٠,٠٠٠ صفحة فلو قسمناها على عمر مصنّفها لبلغ كل سنةٍ ١٥٠٠ صفحة وكل يوم

اربع صفحات بنيف. فانظر رعاك الله ثمرة الاجتهاد . امَّا مواضيع هذه التآليف فتكاد تشمل كلّ موادّ دائرة العلوم اللغويَّة ل.ش

شَذَرَاتٌ

❊ مناجم الذهب ❊ هذا جدول ما استُخرج من مناجم الذهب في العالم كله في السنتين ١٩٠٥ و ١٩٠٦ على حساب الدولار والدولار خمسة فرنكات

	دولار ١٩٠٥	دولار ١٩٠٦	دولار فرق
اوسترالية	٨٥,٤٧٠,٧٧٩	٨٢,٨٥١,٥٦١	٢,٦١٩,٢١٨ –
الهند	١١,٩٢٤,٣٠٨	١٠,٦٥٥,٦٧٤	١,٢٦٨,٦٣٤ –
الكندا	١٤,٤٨٦,٨٣٣	١٢,٠٠٠,٠٠٠	٢,٤٢٦,٨٣٣ –
المكسيك	١٤,٥٢٦,٨٥٥	١٥,٤٣٠,٠٠٠	٩٠٣,١٤٥ +
روسية	٢٢,١٩٧,١٥٥	٢١,٥٠٠,٠٠٠	٦٩٧,١٥٥ –
رودزية	٧,٢٠٣,٨٦٥	١٠,٢٠١,٣٢٧	٢,٩٩٧,٤٦٢ +
الترانسفال	١٠١,٢٢٥,٥٥٨	١١٩,٦٠٥,٩٢٢	١٨,٣٨٠,٣٦٤ +
الولايات المتحدة	٨٨,١٨٠,٧٠٠	٩٧,١٥٥,٢٠١	٨,٩٧٤,٥٠١ +
بقية البلاد	٨٤,١٥١,٨٣٣	٣٥,٢٥٠,٠٠٠	١,٠٩٨,١٨٧ +

فترى ان الترنسفال اغنى البلاد بمعادن الذهب وقد زاد موردهُ على سنة ١٩٠٥ لا اقل من ١٨,٠٠٠,٠٠٠

❊ احصاء الممالك البريطانية ❊ نشر الكتاب الازرق الاحصاء الرسميّ الذي انجزتهُ بريطانية سنة ١٩٠١ في كلّ بلادها. ومستعمراتها فاذا هو يبلغ قريباً من ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس في مسافة لا تقلّ عن ٣٠,٨٤٢,٧٠٠ كيلومتر مربَّع . بزيادة ١٤١,٠٠٠,٠٠٠ على احصاء السنة ١٨٦١ . امَّا تقسيم هذا العدد على البلاد فكما يأتي: ٤١,٩٧٢,٠٠٠ في بريطانية العظمى ومستعمرات اوربَّة ثم ٣٠٠,٥٠٠,٠٠٠ في آسية. ثم ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ في افريقية ثم ٨,٠٠٠,٠٠٠ في اميركة و ٥,٠٠٠,٠٠٠ في اوسترالية ا وان قابلت بين املاك بريطانية وبقية املاك الارض وجدت أنهـا تبلغ خمس مساحة الكرة الارضية بنيِّف كما انَّ عدد رعاياها ينيف على ربع البشر

❊ هل تقدر الحيوانات أن تعدّ وتعقل ❊ اجاب صاحب الجامعة

الاميركية على هذا السؤال بالايجاب واتى لبيان قولهِ بامثال كهذه قال « اذا لم تكن للحيوانات معرفة العدّ فما ظنّك بالسنجاب الذي يعرف كم جوزة او بندقة او نحوها يخزن لاجل الشتاء. اذا لم تكن لتعقل فلماذا اذا كان الكلب الشجاع هائجًا على رجل واحد يهرب متى تجمهر عليهِ كثيرون » ثمّ ضرب امثالًا أُخرى باردة كهذه تدلّ على ان كاتبها نسي عقلهُ ليدافع عن عقل الحيوان. ولو عقل لرأى انّ في غريزة الحيوان الطبيعية ومعرفتهِ الحسّية ما هو كافٍ لتعليل كلّ هذه الأحداث وغيرها . اما مثل « الحصان العالم » الذي استشهد بهِ فقد كذّبنا الخبر في وقتهِ (اطلب المشرق ٩ : ٢٨٥)

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد كهنة الجليل ما قولكم بشابّ ماروني ترهّب في رهبانيّة لاتينيّة دون اذن مطرانهِ لجهله بانّ ذلك محتوم على المترهّبين اتكون نذورهُ ثابتة اذا نذر في تلك الرهبانيّة نذور المترهّبين دون اذن اسقفهم

ج اعلم انّ البابا بيوس التاسع قد امر رؤساء الرهبانيّات كلها سنة ١٨٤٨ بألّا تقبل احدًا في جمعيّاتها دون « شهادة » من اسقفهِ . وليست هذه الشهادة « اذنًا » للترهّب وانّما هي فقط رسالةٌ يشهد فيها الاسقف ان الطالب من رعاياهُ وانهُ ليس بمقيَّد بموانع قانونيَّة . امّا اذا دخل طالب في رهبانيَّة دون هذا الاذن ولم يطلب الرؤساء تلك الشهادة فانهم مخطئون لكنّ نذور الطالب ثابتة لا يجوز حلّها البتَّة . وهذا يقال عن الشرقيين الذين يدخلون في الرهبانيَّات اللاتينية بموجب براءة البابا لاون الثالث عشر للكنائس الشرقية فينبغي للرؤساء ان يطلبوا منهم شهادة اسقفهم والاسقف ملزوم بان يُعطي الشهادة المطلوبة لكنَّهم ان ترهَّبوا ونذروا فلا يجوز ان تُحلّ نذورهم لهذا السبب لأنها ثابتة وان كان الرؤساء أخطأوا لعدم طلبهم الشهادة الاسقفية

س وسأل حضرة الخوري باسيليوس عيسى من معلولا ما هو السنّ المطلوب لاهوتيًّا لعمل المناولة الاولى وما هي الشروط اللازمة لذلك

ج ليس سنّ محدود لعمل المناولة الاولى ويكفي لذلك ان يكون الولد ادرك سنّ التمييز امّا الشروط اللازمة لذلك فأن يكون الولد في حالة النعمة عارفًا بشرف السرّ وما يحويهِ القربان الاقدس. والعادة الآن جارية بأن يتأهَّب الاحداث للمناولة الاولى تأهُّبًا طويلًا لاسيّما بدرس التعليم المسيحيّ والرياضات التقويَّة وذلك من باب اللياقة لا من باب الشروط الجوهريَّة ل. ش

المشرق

مدارس الزَّوْراء في عهد الخلفاء

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي

ان الأمَّة كلما زادت تقدُّماً زاد اعتناؤها بفتح المدارس وانماء عددها وتعليم الفنون والعلوم والصنائع المختلفة والمناسبة لحاجيَّاتها ونشَّطت ابناءها السائرين في نهج التقدم ولذا اصبح تعدد معاهد العالم من ادلّ العلامات على ارتقاء الامة معارج الفلاح والنجاح والعكس بالعكس (١). ومن ثمّ سمَّى البعض هذا العصر «عصر النور» لما في نفس ارباب الامر من الدأب في تحسين حالة صروح الادب وانماء عددها ورفع اعلام علومها وتعديدها وترقيتها

وعلى هذا الوجه كان ارتقاء العرب في «عصر زَهو رياض ازمنتها» فان جُلّ اعتناء الخلفاء ومن اخذ اخذهم كان مصروفاً وراء تشييد المدارس واعلاء كعبها ومنزلتها كما واعلاء امر معلّميها ومتعلّميها حتى قال السيوطي في محاضرة مصر: «اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتَّب فيها المعاليم من المَوَاجب والأَرزاق نظـام المُلك (في عهد بني العبَّاس) يعني هو اول من بنى في العراق» اه

ونظام الملك هذا وُلد نحو سنـة ١٠١٧م ومات سنة ١٠٩٢ فهو الذي بنى في بغداد المدرسة التي سمّيت باسمهِ اي المدرسة النظامية. ولما صار الامر الى المستنصر سنة ١٢٢٦م جارى نظام الملك في تعمير مباني العلم ومن جملتها المدرسة التي بناها في دار السلام وقبَّة الاسلام وعُرفت باسمهِ ايضاً اي المستنصريَّة كما سيرد ذكرها عن قريب

١) راجع في هذا البحث ما كتبهُ ابن خلدون في مقدمته. الفصل الثالث من الفصل السادس من الكتاب الاول: «في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة»

الاميركية على هذا السؤال بالايجاب واتى لبيان قولهِ بامثال كهذه قال « اذا لم تكن للحيوانات معرفة العدّ فما ظنّك بالسنجاب الذي يعرف كم جوزة او بندقة او نحوها يخزن لاجل الشتاء . اذا لم تكن لتعقل فلماذا اذا كان الكلب الشجاع هاجمًا على رجل واحد يهرب متى تجمهر عليهِ كثيرون » ثمَّ ضرب امثالًا أُخرى باردة كهذه تدلُّ على ان كاتبها نسي عقلهُ ليدافع عن عقل الحيوان . ولو عقل لرأى انَّ في غريزة الحيوان الطبيعية ومعرفتهِ الحسّية ما هو كافٍ لتعليل كلّ هذه الأَحداث وغيرها . اما مثل « الحصان العالم » الذي استشهد بهِ فقد كذَّبنا الخبر في وقتهِ (اطلب المشرق ٩ : ٢٨٥)

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد كهنة الجليل ما قولكم بشابّ ماروني ترهَّب في رهبانيَّة لاتينيَّة دون اذن مطرانهِ لجهله بانّ ذلك محتوم على المترهّبين اتكون نذورهُ ثابتة اذا نذر في تلك الرهبانيَّة نذور المترهّبين دون اذن اسقفهم

ج اعلم انَّ البابا بيوس التاسع قد امر رؤساء الرهبانيَّات كلها سنة ١٨٤٨ بأَلَّا تقبل احدًا في جمعيَّاتها دون « شهادة » من اسقفهِ . وليست هذه الشهادة « اذنًا » للترهُّب وانَّما هي فقط رسالةٌ يشهد فيها الاسقف ان الطالب من رعاياهُ وانهُ ليس بمقيَّد بموانع قانونيَّة . امَّا اذا دخل طالب في رهبانيَّة دون هذا الاذن ولم يطلب الرؤساء تلك الشهادة فانهم مخطئون لكنَّ نذور الطالب ثابتة لا يجوز حلّها البتَّة . وهذا يقال عن الشرقيين الذين يدخلون في الرهبانيَّات اللاتينية بموجب براءة البابا لاون الثالث عشر للكنائس الشرقية فينبغي للرؤساء ان يطلبوا منهم شهادة استفهم والاسقف ملزوم بان يُعطي الشهادة المطلوبة لكنَّهم ان ترهّبوا ونذروا فلا يجوز ان تُحلّ نذورهم لهذا السبب لأَنها ثابتة وان كان الرؤساء أَخطأُوا لعدم طلبهم الشهادة الاسقفية

س وسأل حضرة الخوري باسيليوس عيسى من معلولا ما هو السنّ المطلوب لاهوتيًّا لعمل المناولة الاولى وما هي الشروط اللازمة لذلك

ج ليس سنّ محدود لعمل المناولة الاولى ويكفي لذلك ان يكون الولد ادرك سنّ التمييز امَّا الشروط اللازمة لذلك فأَن يكون الولد في حالة النعمة عارفًا بشرف السرّ وما يحويهِ القربان الاقدس . والعادة الآن جارية بأن يتأَهب الاحداث للمناولة الاولى تأَهبًا طويلًا لاسيَّما بدرس التعليم المسيحيّ والرياضات التقويَّة وذلك من باب اللياقة لا من باب الشروط الجوهريَّة ل . ش

المشرق

مدارس الزَّوْراء في عهد الخلفاء

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي

ان الامّة كلما زادت تقدُّماً زاد اعتناؤها بفتح المدارس وانماء عددها وتعليم الفنون والعلوم والصنائع المختلفة والمناسبة لحاجيَّاتها ونشَّطت ابناءها السائرين في نهج التقدم ولذا اصبح تعدّد معاهد العالم من ادلّ العلامات على ارتقاء الامة معارج الفلاح والنجاح والعكس بالعكس (١. ومن ثمّ سمّى البعض هذا العصر «عصر النور» لما في نفس ارباب الامر من الدأب في تحسين حالة صروح الادب وانماء عددها ورفع اعلام علومها وتعديدها وترقيتها

وعلى هذا الوجه كان ارتقاء العرب في «عصر زَهو رياض ازمنتها» فان جُلّ اعتناء الخلفاء ومن اخذ اخذهم كان مصروفاً وراء تشييد المدارس واعلاء كعبها ومنزلتها كما واعلاء امر معلّميها ومتعلّميها حتى قال السيوطي في محاضرة مصر: «اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتّب فيها المعاليم من المواجب والأرزاق نظام المُلك (في عهد بني العبّاس) يعني هو اول من بنى في العراق» اه

ونظام الملك هذا وُلد نحو سنة ١٠١٧م ومات سنة ١٠٩٢ فهو الذي بنى في بغداد المدرسة التي سمّيت باسمهِ اي المدرسة النظامية. ولما صار الامر الى المستنصر سنة ١٢٢٦م جارى نظام الملك في تعمير مباني العلم ومن جملتها المدرسة التي بناها في دار السلام وقبّة الاسلام وعُرفت باسمهِ ايضاً اي المستنصريّة كما سيرد ذكرها عن قريب

(١) راجع في هذا البحث ما كتبهُ ابن خلدون في مقدمته. الفصل الثالث من الفصل السادس من الكتاب الاول: «في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة»

واما قبل هاتين المدرستين الشهيرتين فكان في الزوراء عدة كتاتيب ومداريس وكانت في المساجد او تجاور الجوامع يتلقَّى فيهـا الطلبة اصول الدين والعلم أو كانت الناشئة تتردَّد على الايئة في بيوتهم لالتقاط درر المعارف من بُحور صدورهم . او ان اكابر المدينة كانوا يستدعون اليهم مشاهير العلماء والاساتذة فيُقرئون اولادهم الفنون ويهذّبونهم احسن تهذيب على الطريقة المتعارفة يومئذٍ

وكان في بغداد مدارس جمة مبثوثة في جميع أحيائها ومحلاتها ولسوء الطالع لم يتعرض لذكرها بنوع خاصّ المؤرخون والاخباريُّون . وانما ذكروها استطرادًا في بعض ابحاثهم . وها نحن قد جمعنا بعضاً منها وحرصاً على حفظها ندرج اسماءها في هذه المجلَّة ريثما يتيسَّر لنا الوقوف على غيرها . ونذكرها هنا على حروف المعجم

وقبل ان نركض جواد قلمنا في ميدان هذا البحث الجليل نلاحظ ان المراد هنا بالمدرسة ما كان يريد بهِ اهل بغداد في سابق الزمان اي ما يقابلهُ اليوم المكتب الثانوي أو المكتب العالي . وليس المراد بهِ ابدًا الكتَّاب او المِدْراس يعني المكتب الابتدائي او الاوليّ او الاستعداديّ . واذ قد مهَّدنا ذلك نقول :

١ (الأزج) مدرسة أُولى في باب الازج

باب الازج محلة كبيرة من اكبر محلات بغداد سابقًا وسبب تسميتها بالباب ان اغلب احياء هذه المدينة كانت مسوَّرة وفضلًا عن ذلك كانت تُفضي الى باب وهذا الباب كان يُقفل ليلًا او عند مهاجمة العدوّ لدفعهِ عن إلحاق الضرر باهل تلك المحلّة . ولهذا فاكثر محلات بغداد كانت تبتدئ بكلمة باب فيقـال باب العامَّة وباب الشارع وباب سوق التمر الخ . وحتى في هذه السنين الاخيرة كان في مدينتنا مثل هذه المحلّات واليوم يوجد محلّة تُعرف « بباب الرواق» تُغلق ابوابها ليلًا . ومنها محلات قُلعت ابوابها . الَّا ان اسماءها باقية عليها ومنها باب المعظم . والباب الشرقيّ وباب الكاظم . الخ

وعلى هذا النحو قالوا باب الازَج للمحلّة التي نحن في صددها . ومما كان يميّزها عن سائر الحارات المضافة الى اسم « باب » ان باب الازج كان يُدخـل الى محلّتها بأزَجٍ معقـود في صَدرها . والازج بيت يبنى طولًا وبالفرنسيَّة : (portique voûté) قال ياقوت في معجمِهِ عن هذه الحارة : باب الازج محلّة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحالّ كبار في شرقيّ بغداد فيها عدة محالّ كل واحدة منها تُشبه ان تكون مدينة . ينسب اليهـا

الازجي . والمنسوب اليهـا من اهل العلم وغيرهم كثير جداً » . وهذا كلام يُشعر بأن سكان هذا الحي كانوا من اهل العلم والدراية وان مدارسهُ كثيرة جمّة . . .

فمن مدارس باب الازج مدرسة كان يُطلق عليهـا : « مدرسة باب الازج » بُنيت خاصّة للدمشقي يوسف ابن رمضان بن بندار المشهور بابي المحاسن الدمشقي الفقيـه الشافعي . قال ياقوت في معجمه (٢ : ٥٩٨) : « كان ابوهُ قُرقوبيًّا (١من اهل مَراغة . وولد يوسف بدمشق وخرج منها بعد البلوغ الى بغداد وصحب اسعد المِيهَني واعاد لهُ بعض دروسهِ ثم وَلي تدريس النظاميَّة ببغداد مدة وبُنيت لهُ مدرسة بباب الأزج وكان يذكر فيهـا الدَّرس . ومدرسة أخرى عند الطيوريين ورحبة الجامع . وانتهت اليهِ رئاسة اصحاب الشافعي ببغداد في وقتهِ . » اه المقصود من ايرادهِ

٢ مدرسة ثانية في باب الازج

بناها ثقة الدولة ابو الحسن عليّ بن محمّد الدُّوَيني القزويني ايام المقتفي لامر الله الخليفة العبَّاسي . (عن ابن الاثير)

٣ مدرسة ثالثة

منسوبة الى ابي حكيم ابرهيم بن دينـار بن احمد بن الحسين بن حامد بن ابرهيم النَهرَوَانيّ البغدادي الفقيه الحنبلي شيخ صالح . قال ياقوت (٤ : ٨٥١) : « نزل باب الأزج ولهُ هناك مدرسة منسوبة اليهِ تفقَّه على ابي الخطَّاب محفوظ بن احمد الكلواذاني . وكان حسن المعرفة بالفقه والمناظرة تخرَّج بهِ جماعة وانتفعوا بهِ لخيرهِ وصلاحهِ . » اه

٤ المدرسة البلطاسيَّة

هذه المدرسة جاء ذكرها في كتاب « كُلشنِ خلفاء » التركي العبارة لمؤلفهِ مرتضى نظمي زاده البغداديّ المتوفى سنة ١١٣٧هـ = ١٧٢٠م وعلى راي آخر انـهُ توفي سنة ١١٣٦ هـ = ١٧٢٣م . فقد قال في ص ١٢ من مخطوطنا مـا هذا معناهُ : « . . . وهذه النُقول عن مباني بغداد وتاريخها نقلتُها من التاريخ الصغير للمؤرخ الشهير بالخطيب (٢

١) القُرقُوبيّ نسبة الى قُرقوب وهي بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والاهواز وكانت تُعدُّ من اعمال كَسكَر (عن ياقوت) وابو يوسف بن رمضان كان قُرقُوبيّ المولد مَراغيّ المنشاء

٢) اسم الخطيب يقع على عـدة علماء ومؤلفين ومؤرخين الّا ان صاحب « كُلشن خلفاء » يريد هنا « الخطيب هبة الدين الديري البغدادي (كذا) كما يتضح ذلك من بقية كلامهِ ونحن لم

امّا تاريخهُ الكبير ففيهِ من تراجم الرجال الكتب واسمائها ورواة الحديث وكتبهم ممّا لم يُسمع بهِ فممّا يضيق عنهُ نطاق الحصر

من ذلك ان المدرسة البلطاسية فيها من الكتب ما يبلغ فهرسها ٣٦٠ مجلّدًا امّا عدد خُزّانها فيبلغ ٥٠ شخصاً . والمدرسة المذكورة تشتمل على اربعة آلاف حُجرَة (١ (casiers) وراتبها في اليوم عشرون الف رغيف وعشر بقرات ومائة كبش . وراتب مدرّسها وهو الشيخ قوام الدين (٢ مائــة رغيف وكبش واحد وخمسون درهمًا في اليوم » . انتهى ما ذُكر في تاريخ الخطيب البغدادي وذلك في عهد المتوكّل . (ص ١٤ من نسختنا الخطيّة)

على اننا قد بحثنا في ما عندنا من الكتب وما وصلت يدُنا اليهِ منها فلم نعثر على ذكر هذه المدرسة فلعلّ النظر في تاريخ خطيب هبــة الدين الديري البغدادي يُزيل

نعثر على هذا الاسم في ما لدينا من الكتب . والمشهور من كتبة تاريخ بغداد باسم الخطيب البغدادي هو : أبو بكر الخطيب الحافظ احمد بن علي بن ثابت بن احمــد بن مهدي بن ثابت البغدادي وهو الذي ذيل كتاب تاريخ بغداد الذي اول من كتبهُ احمد بن ابي طاهر البغدادي فذيّلهُ الخطيب فوقع تأليفهُ في اربعة عشر مجلّدًا . ولا يبعد ان يكون هذا هو المطلوب هنا فذكرهُ صاحب كُلشن بلقبهِ هبة الدين وذكرهُ غيرهُ بلقب الخطيب . واما الدّيري البغدادي فيكون نسبةً الى دير كان في بغداد او بجوار بغداد كدير اشموني كان بقطربل وكان من اجل متنزهات بغداد . ودير الثعالب وهو دير مشهور وكان للنساطرة بينه وبين بغداد ميلان او اقل في كورة نهر عيسى على طريق صرصر . وكان بجانب قبر معروف الكرخي بغربي بغداد الموجود الى يومنا هذا ديران كان الواحد منهما عند باب الحديد وباب بَقَبَرَى . والآخر الى جانب القبر ايضًا وبهِ سُميت المقبرة باسم « مقبرة باب الدّير » وهي تعرف اليــوم بمقبرة الشيخ معروف الكرخي . وكان في جوار بغداد « دير الجاثليق » وكان فيهِ مقام الجثالقة اي مُقدَّمي اساقفة النساطرة . وكان موقعهُ عند باب الحديد قرب دير الثعالب في وسط العمارة بغربيّ بغداد . والاديرة في بغداد ومــا جاورهما كانت كثيرة اغلبها للنساطرة . ولو اردنا تتبّعها لطال بنا المقال فلا جرم ان الخطيب نُسب الى ديرٍ من اديرة بغداد فصحّ عليهِ نسبةُ الى دير والى بغداد معًا

١) نظن ان المراد بالحجرة هنا « الخانة » وبالفرنساوية casier

٢) قوام الدين المذكور هنــا كان معاصرًا للخطيب البغدادي بما انهُ هو الذي يذكره . والخطيب البغدادي وُلد في جمادى الآخرة سنة ٣٩٢ هـ = ١٠٠١ م) وتوفي في ٧ ذي الحجّة سنة ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م فيكون قوام الدين من اهل المائة الخامسة هجريّة . ولم نقع على ترجمتهِ في ما عندنا من كتب التاريخ

الشبهة عمّا في هذا الكلام من المبالغة او ما يقرب منها . هذا واننا لا نعرف الى اي اسم نسبت هذه المدرسة ولا من هو هذا بلطاس . فهل من باحثٍ يُفيدنا عمّا نحن فيهِ من امر هذه المدرسة ومنشئها ؟

٥ المدرسة البهائيّة

هذه المدرسة كانت مجاورةً للمدرسة النظامية وكان يقرب منها ايضاً بيمارستان يُعرف بالبيمارستان التُتُشيّ وكان مَفتَحُهُ في سوق تُتُش . وهذه المدرسة هي غير المدرسة التُتُشيّة . هذا الذي عثرنا عليهِ في كتب التواريخ ولم نرَ أزيد من هذا القدر في هذا الصدد

٦ المدرسة التاجية

قال ياقوت (في ١ : ٨١٠) : التاجية منسوبة . اسم مدرسة ببغداد ملاصقة قبر الشيخ ابي اسحاق الفيروزاباذي . نُسبت اليها محلة هناك ومقبرة . والمدرسة منسوبة الى تاج الملك ابي الغنائم المرزبان بن خُسرُو فيروز المتولّي لتدبير دولة ملكشاه بعد الوزير نظام الملك » اه . بناها نحو سنة ٤٨٢ هـ — ١٠٨٩م وكانت بجوار باب ابرز . وفي عصر السلجوقيين اتُّخذت مقبرة باب ابرز مدفناً لعدة رجال من مشاهير العراق

وتاج الملك هذا قتلهُ المماليك النظامية سنة ٤٨٦هـ = ١٠٩٣م وكان كثير الفضائل جمَّ المناقب لهُ الاعمال المأثورة وهو الذي بنى تربة الشيخ المذكور وكان قد رتّب في المدرسة التاجية الشيخ ابا بكر الشاشي . وكان عمرهُ لمّا قُتل ٤٧ سنة وذكرهُ مشهور في التاريخ . راجع ابن الاثير ومختصرِ الدول لابن العبري

٧ المدرسة التُتُشيّة

قال ياقوت : تُتُش التاءان مضمومتان والشين معجمة وهو اسم رجل يُنسب اليهِ مواضع ببغداد . وهي : سوق قرب المدرسة النظامية يقال لـهُ : العَقَار التُتُشيّ . ومدرسة بالقرب منهُ لاصحاب ابي حنيفة يُقال لها : التُتُشيّة . وبيمارستان بباب الازج يقال لـهُ : التُتُشيّ . والجميع منسوب الى خادمٍ يُقال لهُ : « خمار تكين » كان للملك تاج الدولة تُتُش بن ألب ارسلان بن داود بن سلجوق . . . ومات في رابع صفر سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤م) . اه المقصود من الاستشهاد بهِ

٨ً مدرسة زَبرَك (١ او مدرسة سُوق العَميد

قال ياقوت في مادة لامغان. . . «وقد نُسب اليها جماعة من فقهاء الحنفية ببغداد منهم ممَّن رأيناهُ وادركناهُ: القاضي عبد السلام بن اسمعيل بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن الحسن اللامغاني ابو محمَّد القاضي الفقيه المُتقن من اهل باب الطاق ومشهد ابي حنيفة. سكن دار الخلافة بالطبق وتفقَّه على ابيهِ وعمّهِ ودرَّس بمدرسة سوق العميد المعروفة بزَبْرَك (١ . . . وسُئل عن مولدهِ فقال في سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) بمحلّة ابي حنيفة. وتوفي في مستهل رجب سنة ٦٠٥هـ (١٢٠٨م) ودُفن بمقبرة الخيزُران بظاهر مظهر ابي حنيفة» اه

٩ً مدرسة في محلّة الطبوريّين

وقد مرَّ ذكرها في مدرسة باب الأزج الاولى

١٠ً المأمونيَّة

لم يتعرَّض لذكرها ياقوت الحمويّ. وذكر ابن ابي أُصيبعة في كتاب عيون الانباء قال في الفهرس «المدرسة (٢ المأمونية ببغداد ٢٠٣» ولم نجد ذكرها في الصفحة المذكورة. ولا غرو انهُ قد وقع خطأ في الرقم (٣ . وعلى كل فمن عرف وسمع مقدرة المأمون في العلم وعرف منزلتهُ من الدراية لا يتعجَّب من بناء مدرسة جامعة أفضل المزايا واحسن الوسائط وأقربها الى تحصيل العلوم والفنون

١١ً المُستَنصريَّة

قد تعرَّض لذكرها المشرق مرارًا عديدة (منها في ٥: ١٦٤ و ٩٦١ وفي ١٠: ٨٠) حتى اصبح المشرق من اعظم الكتب التي بحثت عنها هذه المدرسة. ومن ثمَّ فلا افادة في الاعادة. الَّا اننا نذكر هنا ما لم يذكر في المواطن التي اشرنا اليها. ليكون الواقف على ما في هذه المجلة محيطاً بجميع ما كُتب عن هذه المدرسة الطائرة في الآفاق. اما موقعها

---

١) زَبرَك لفظة فارسية الاصل استعملها الترك ومعناها الحاذق الجهبذ. وهو لقب او اسم كثيرين من الفرس والترك ولا نعلم من هو المراد بهِ هنا

٢) والمامونية اسم محلَّة عظيمة كانت في بغداد تُسمَّى اليوم «بباب الشيخ وقَضوَة عرب» وهي منسوبة الى المامون امير عبدالله بن هارون الرشيد. ولعلَّ المراد هنا مدرسة في المأمونيَّة وعلى كلّ فالمأمون صاحب كلا الامرين

٣) هي مذكورة في الجزء الثاني ص٣٠٢ (المشرق)

بالنظر الى سابق العهد فمن الموكد انها كانت قد بُنيت في داخل حدود باب الغربة . ومن الممكن على ما يظهر من بناياها الحالية انها كانت في جنوبيّ هذه المحلة يعني في الموطن الذي كان فيهِ جزء من الفسحة التي كان يقوم عليها سابقاً القصر الحسني الاول وكانت دجلة تغمر احد جدرانهِ . واليوم لا يبقى ادنى رسم او اسم لتلك القصور قصور الخلفاء التي كانت تجاور المدرسة المذكورة

ومما يزيدنا اسفاً على عدم معرفة هذه المدرسة بالنسبة الى ما كان يدانيها من البنيان والعمارة ان بناءها تمّ سنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٤ م فلم يمكن لياقوت الحموي ان يتكلم عنها في كتابهِ الذي لم ينسج على منوالهِ احدٌ ممّن تقدمهُ . وكان هذا الكاتب العلامة قد فرغ من تأليف سفرهِ بزمان وجيز قبل اقامة هذا الصرح العلميّ الجليل . ومن ثمّ فلا يمكننا ان نعرف « على التحقيق » على اي رسوم قديمة شُيِّدت اركان هذه المدرسة التي تغنَّى بمديحها كل غادٍ ورائح . وفاح من عبير نشرها اطيب الروائح . فلا غرو اذا اسف على فقدها المعاصر . واهل الزمان العابر والغابر . ولا جرم ان غاية المستنصر بالله عندما رفع دعائمها كانت مُناوَأة المدرسة النظامية ان لم نقل كانت نيتهُ تعفية اثار تلك المدرسة اختها البكر التي بُنيت قبل نحو قرنَين

كانت المستنصرِيّة من اعظم المدارس واشهرها ذكرًا . واعظمها قدرًا . واعلاها كعباً . وارحبها قَعباً . وكان فيها على رواية ابن الفُرات « دار كتب » جمعت من الأسفار اندرها . ومن المواضيع اخطرها . وكان فيها المخطوطات الروائع . في جميع العلوم والآداب والفنون والصنائع . كلها حسنة التنسيق والتبويب . والنظام والترتيب . حتى ان الباحث كان يستطيع بسهولة كليّة ان يستشير ايّ كتاب ارادهُ في المواضيع العلمية والادبية . بدون ادنى عناء . وبدون ان يأخذهُ شيء من الوناء . وكذلك اذا اراد احد الطلبة . او بعض الكتبة . نسخ او استنساخ بعض مصنفات تلك الخزانة في جميع الابواب . فان قُوّامها كانوا يمدّونهُ بما يحتاج اليهِ من الحبر والورق والقلم بدون ادنى أجرة او حساب .

وذكر ايضاً ان المدرسة كانت تُنير المصابيح للطلبة ليلًا اذ كانت تدّخر عندها الكمية اللازمة لهذه الغاية على مدى السنة . كما انهُ كان هناك مُزمّلاتٌ لماء الشرب . وكان على وجهِ الايوان الاكبر « صندوق ساعات » وهي التي ورد ذكرها في المشرق مرارًا عديدةً تنبه المتخرّجين على اوقات الصلاة والدرس والقيام بما تَنتدب لهُ سُنن

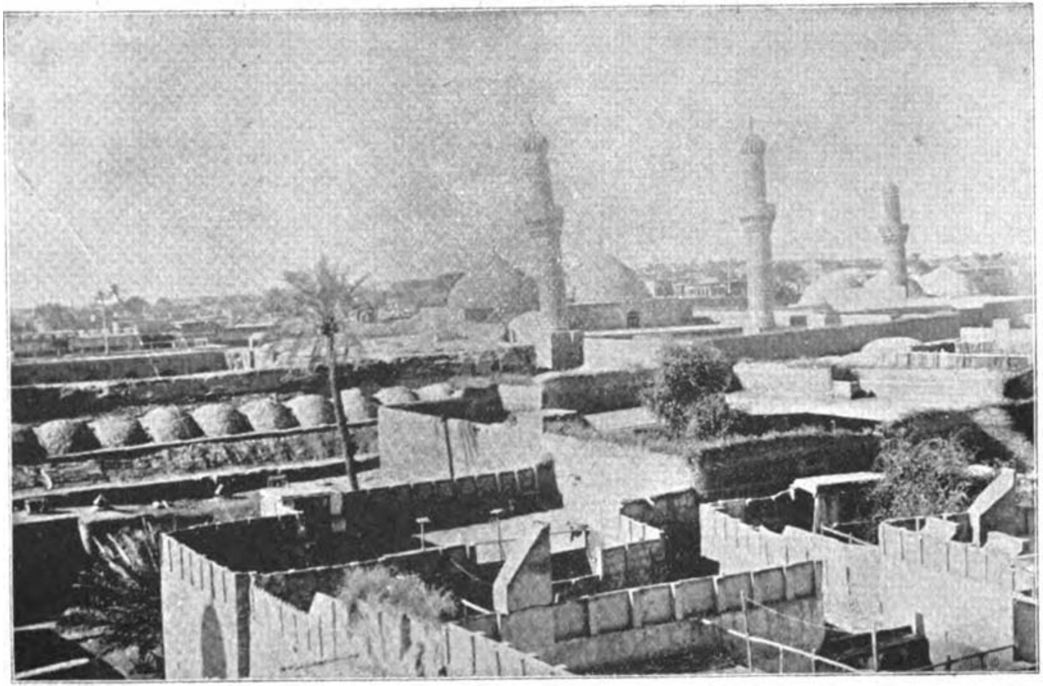
المدرسة وهي لا تبطل ليلًا ولا نهارًا . وكان الخليفة قد اخذ على نفسهِ القيام بما يُوصل هذه المدرسة الدرجة القصوى من التحسين والكمال الممكن . ولذا كان يتعهدها كل يوم بدون ان يخالف ابدًا هذه الخطة التي اختطّها لنفسهِ وكان قد اتخذ لهُ بستانًا خاصًّا بهِ وبنى فيهِ منظرةً يشرف منها على هذه المدرسة . وكان من عوائدهِ المألوفة انهُ يختلف الى تلك المنظرة ويُسرّح منها طائر بصرهِ على احدى ساحات المدرسة من وراء كوّة او طاقةٍ عليها ستر معلّق بحيث يَرى ولا يُرى وينظر ويلاحظ كل ما يجري داخل ذلك الصرح العلمي ويسمع تدريس المدرسين وقراءاتهم كما انهُ كان يقف ويطّلع على حسن استعداد الطلبة والخِرّجين لتلقي الدرس

وبعد ان مضى على تشييد هذه المدرسة مائة سنة زار ابن بطوطة بغداد سنة ٧٢٧ هـ — ١٣٢٧م فتكلم عن هذه المدرسة التي افلتت من يد المُغول بل من يد الغُول ولا افلات جرادة العيّار فقال (٢ : ١٠٨ من الطبعة الباريسية)

« وفي وسط هذا السوق (سوق الثلاثاء) المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تُضرب بحسنها . وفي آخرهِ « المدرسة المستنصريّة » ونسبتها الى امير المؤمنين الظاهر ابن امير المؤمنين الناصر وبها المذاهب الاربعة لكل مذهب ايوان فيهِ المسجد وموضع التدريس وجلوس المدرّس في قبة خشب صغيرة على كرسيّ عليهِ البُسط ويقعد المدرّس وعليهِ السكينة والوقار لابسًا ثياب السواد معتمًّا . وعلى يمينهِ ويسارهِ مُعيدان يُعيدانِ كل ما يُمليهِ . وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة . وفي داخل هذه المدرسة الحمّام للطلبة ودار الوضوء . »

وبعد ابن بطوطة باثنتي عشرة سنة كتب حمد الله الكاتب الفارسي واصفًا تلك المدرسة احسن وصف معتبرًا اياها من احسن المباني الموجودة يومئذٍ في الزوراء . وقد بقيت على تلك الحال الحسنى حتى حلّ بها ما حلّ فلم يبقَ منها الّا ما جاء وصفهُ في المشرق

وممّا يتعلّق بعض التعلق بالمستنصريّة جامع يُعرف « بجامع القصر » رمّمهُ المستنصر وهو الذي كان قد بناهُ الخليفة عليّ المكتفي . ومما زاد المستنصر على بنائهِ بعد ترسيمهِ اربع دكّات في غربي المنبر كان يجلس عليها طلبة المستنصريّة فيتناظرون ويتباحثون ويتجادلون ويتناقشون بعد صلاة الجمعة . وبقايا هذا الجامع شاخصة الى يومنا هذا وهي واقعة اليوم في وسط محلّةٍ تعرف « بمحلة سوق الغزل » . والماثل منها احسن مُثول مئذنة تعرف « بمنارة سوق الغزل » وهي المنارة الوحيدة الموجودة في بغداد من عهد الخلفاء



صورة بقايا المدرسة المستنصريّة رسمها بالشمس الاخ اوجنيان من جماعة الاخوة المريميين

العباسيين . وقد حاول الاعداء مراراً عديدة ان يصرعوها ويجندلوها على الارض فوقفت في وجههم كالجبّار العنيد او كالصنديد الساخر بالوَليد . وهذا الجامع « جامع القَصر » لا يبعد الّا سبع دقائق عن موقع بقايا واطلال المستنصريّة (انظر الصورة)

ولمّا زار بغداد الرحالة الافرنجي نيبهر سنــة ١٧٥٠ وجد مطبخ المستنصريّة بيتاً لكل ذي عينين وكان قد اتُّخذ خاناً للوزن والقبانة ونسخ عنــهُ كتابة غير الكتابة التي ورد ذكرها في المشرق (١ (٥ : ٩٦٢) وهي غير الكتب التي تُرى اليوم (٢ . وكذلك وجد كتابة مطوّلة قراها على أطلال الجامع (٣ . وتاريخ كتابتها سنة ٦٣٣هـ = ١٢٣٦ م وهي ولا شكّ في ذلك سنة تتمة ترميمه على يد هذا الخليفة حليف الآداب والعمران والالفة ولعلّ هذا الجامع كان من دوّارس « جامع الخلفاء » الذي كان قائماً قريباً من دار الخلافة في الجانب الشرقيّ على ما يشهد عليــهِ ابو الفداء والقزوينيّ وابو

١) واليك صورتها : « قد امر بانشاء هذه المدرسة الشريفة لطلّاب العلم ونسمّى المدرسة العظمى . [من مكّن] دولة العزّ واسعد الخلائق [بـ] المحجة البيضاء . [الحظيّ] عند الله وخليفتهُ في ارضهِ الخليفة ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين امتع الله المسلمين باعزاز سلطانهِ وابّد دولتهُ بطول حياتهِ وذلك سنة ستمائة وثلاثين . » والظاهر ان الذي كتب لنيبهر هــذه الكتابة كان جاهلًا ولا اظن انهُ نقل ما كان مكتوباً هناك بحرفهِ بل بمعناه وان كان نيبهر يقول انهُ قابلها على الاصل لان الاغلاط الموجودة فيها وركاكة العبارات تشهد بذلك . فما وصفناهُ بين معكفتين هو من زياداتنا لتقويم العبارة . والناقل كان قد كتب العظمى : العُظما . وستمائة : ستة مائة

٢) وهذا نقل الكتابة الموجودة اليوم على وجه جدار الكُمرك « ما شاء الله كان . — بسم الله الرحمن الرحيم . ولِيكن منكم امّةٌ يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . — قد كان أُنشى هذا البنــاء في زمن خلافة عبدالله ابي جعفر المنصور المستنصر بالله العباسيّ في سنة ثلاثين وستّمائة . وقد تجدّد تعميرهُ في زمن خلافــة ظلّ الله الاعظم الممدود ظلّ رأفتهِ على مفارق الامم مجدّد قوانين اجداده العظــام سلاطين آل عثمان مجدّد جهات العدل والاحسان السلطان ابن السلطان حضرة السلطان عبد العزيز خان ابن السلطان الغازي محمود خان لا زالت البلاد بعدالتهِ معمورة ولا برحت العباد بفيض احسانهِ مغمورة آمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آلهِ وصحبهِ اجمعين وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانين والف . كتبــهُ المذنب بكر الصدقي عُفي عنهُ . » اه

٣) وهذا نَقل ما كان مكتوباً في عهد نيبهر وهو معفّى اليوم : « امر بعملهِ سيدنا ومولانا الامام المستنصر بالله امير المؤمنين علّى الله تعالى معالم الاسلام بهمتهِ العليّة وأزهى دعائم الايمان بآيات اوليائهِ وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (١٢٣٥م)

الفرَج وابن الفرات وابن بطوطة وراجع نزهــة القلوب لحمد الله الكاتب الفارسيّ (في ص١٤٨) . هذا ولسان المدرسة ينشد اليوم :

بعد القراءة والتدريس ليس بها　غير الصَدَى وغُراب البَين ينعيها
ان تسعد الارض او تشقى فلا عجب　فَللزمان صُروفٌ في مَغانيهـا

(لهُ تتمة)

لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ

للاديب اميل افندي خاشو سر مهندس لبنان سابقًا (تتمة)

تسميد الاملاك

ومن الابحاث التي تمسّ الزراعة السَّمادُ واصنافهُ فلا يمكنّي ضرب الصفح عنهُ لكنّي لا اتجاوز الكلام العموميّ في ذلك

معلوم انَّ التربة اللبنانية من اصلها قويَّة مخصبة لكنَّ طبقات هذه التربة الزراعيَّة ليست بعميقة ولذلك تضعف بعد زمن قليل إن لم يُسرع الفلّاح الى تقويتها بالتسميد . وكان ارباب الفلاحة حتى السنين الاخيرة اذا ما عالجوا ارزاقهم وهيأوا بين الصخور والحصى شيئاً من التربة الزراعيَّة التجأوا الى السماد الطبيعيّ الذي ما كانوا يعرفون غيرهُ . الّا انَّ اهل الدامور تنبَّهوا الى قصور هذا السَّماد عن وفاء الحاجة وسبقوا اللبنانيين في استحضار السماد الصناعي او الكيموي كما سبقوهم في جلب مياه الريّ الى اراضيهم فجلبوا كمّيَّة من هذا السماد من اوربَّة وبعد تجربته مدَّة سنتين على طريقة قانونيَّة تحقَّقوا ما في استعماله من الفائدة اليوم عمَّ استعمالهُ تلك الانحاء .

ولستُ أُريد بقولي السابق انَّ السواد الطبيعيّ او السرقين لا يصلح البتَّة فينبغي نفيهُ . كلّا . لكنَّ فائدتهُ محصورة اذ يصلح فقط للاراضي التي ينقصها الفسفات . امّا التربة الزراعيَّة فانَّها في حاجة الى غير ذلك من الموادّ المغذية الحسَنة فانَّ بعضها تحتاج

الى الكلس وغيرها يحتاج الى البوتاسا وغيرها الى الفسفات فالسماد الكيموي مركّب تركيباً مختلفاً على مقتضى حاجة كلّ تربة

لمّا اكتشف الكيمويّون منافع الدمال الاصطناعي أبى الفلّاحون في اوربّة اتخاذهُ توهّماً منهم انهُ يضرّ ولا ينفع. فخصّت الدول لازالة هذه الاوهام في كلّ ايالة ومقاطعة بستاناً كانوا يقسمونهُ قسمين يزرعون قسماً منهما على الطريقة المألوفة عند الزرّاعين والقسم الآخر يعالجونهُ بالسماد الكيموي فيتحقّق ارباب الفلاحة بالعيان منافع الطريقة المستحدثة اذ كانوا يرون المزدرعات خاوية ضئيلة في القسم الاوّل ونامية زاخرة في القسم الآخر فلا يرتابون في فوائد السماد الكيموي ويتسارعون الى استحضارهِ . لأنّ الارض مستودَعة امينة للودائع تُعطي كما يُعطَى لها ان قليلًا او كثيرًا

ولا يكفي لتحسين التربة ان تُسمَّد بالسماد الكيموي بل تحتاج ايضًا الى اصلاح واصلاحُها بازالة نقائصها الطبيعيَّة والكيمويّة لتأتي بغلّات اوفر . وربّما اجتمع الامران في السبب الواحد فانّ الصلصال مُصلح للاراضي الغالب عليها الرمل كما انّ الرمل يحسّن الاراضي الصلصاليّة . واخصّ ما يُفهم باصلاح التربة ان تُكلَّس وتحوَّر وتجصَّص امّا تكليس التربة (chaulage) وتحويرها (marnage) وتجصيصها (plâtrage) فبأن يُذرّ عليها الكلس والحوّارى والجصّ لكي تعمل فيها هذه الموادّ اعمالًا كيماويّة من شأنها ان تغذيها وتقوّيها . ويلحق بهذا الباب تنظيف التربة من الفضوليّات واحراق الاعشاب الضارّة (écobuage) وفي ذلك فائدتان الاولى ازالة هذه النباتات المؤذية والثانية انّ الرماد الباقي بعد حرقها يحسّن صلصال التربة

وما قلتهُ هنا برضٌ من عدّ لا يمكنّي الآن ان اتّسع بهِ وفي نيّتي ان اعود الى هذا الامر واستوفيهُ كما يجدر بهِ . وغاية ما استطيع قولهُ الآن انّ الاراضي التي تغلّ الغلّات الوافرة من تلقاء ذاتها قليلةٌ جدًا وإن وُجد منها شيء فانها لا تأتي بمعظم غلّاتها الّا بمساعدة السماد الموافق لها . لانّ التربة بعد الزرع تفقد كثيرًا من خواصّها فلا بُدّ لها من استئناف قوّتها واسترجاع المفقود بالتسميد . وعلى عكس ذلك ربّ تربةٍ ضئيلة صلحت بالتسميد فأتت بغلّات واسعة بعد اصلاحها

التعليم الزراعي

لا يجهل احد ما صارت اليهِ حالة التعليم في بلادنا وكيف سوريَّة تحفل بالمدارس الزاهرة التي تعمّ كلّ طبقات السكّان من اعيانهم الى فقرائهم. فترى الاحداث حتى اولاد الفلّاحين يتعلّمون مع لغتهم الوطنيَّة اللغات الاجنبيَّة واصول العلوم العصريَّة. وممَّا يُستغرَب انك لا تجد بين هذه المدارس المتعدّدة مدرسةً واحدة تهتمّ بتعليم اصول الزراعة . وذلك خلل عظيم في قطرٍ مثل القطر السوريّ حيث الزراعة تُعدّ من اكبر مرافق الوطن واغنى موارد ثروتهِ . وقد آلت الامور الى ما لا تُحمد عاقبتهُ فترى اهل الجبل لا يفكّروان الّا في التغرُّب او التفرنج فيهاجرون الى البلاد البعيدة او ينزلون الى المدن ليترزّقوا بالكتابة في بعض المحلات التجاريَّة او بخدمة بعض اصحاب المخازن وذلك براتب زهيد من مئـة الى مئتي قرش في الشهر ما لا يكاد يفي بثمن طعامهم اليوميّ فضلًا عن ملبوسهم ومصروفهم واجرة بيوتهم

نعم انّي لعالم بان المهاجرة ضربت لبنان ضربةً أليمة فحرَمتهُ من عَملتهِ الذين كانوا يجدُّون في استثمار املاكهِ الّا انّ التعليم ايضًا مسئول عمَّا لحق لبنان من التقهقر اذ انّ المتعلّمين خرجوا عن طورهم ووجَّهوا افكارهم الى غير ما دعاهم الله اليه والله يدعوهم اوَّلًا الى خدمة مسقط رأسهم بما تنالهُ يدهم قريبًا دون الطمع بالثروة البعيدة. والزراعة اقرب اليهم من سواها فلو انقطعوا اليها ودرسوا خواصّها واتقنوا طُرق تحسينها لربحوا الارباح الواسعة عن كثب دون ان يتجشّموا مضض الاسفار ويكابدوا آلام الغربة لنيل الامانيّ الباطلة. وليس دواء لهذا الداء الّا بأن يقدّر اهل لبنان قدر جبلهم الذي عليهِ مدار سعادتهم الزمنيَّة فانهم يجدون فيهِ فضلًا عن حسن الموقع وطيب الهواء تربةً تقوم لهم مقام المناجم الذهبيَّة التي تغنيهم دون ان تعرّضهم لآفات التمدُّن المستحدث

٣ مستقبل لبنان الاقتصادي

بقي علينا ان نلقي النظر في مستقبل لبنان الاقتصادي . فان احوال الجبل اليوم غير احوالهِ امس وعلى احوالهِ الحاضرة مبنى استقبالهِ الاقتصاديّ . اما علّـة التغيير الطارئ اليوم على لبنان فالمهاجرة . وان احصينـا عدد المهاجرين من الجبل الى اميركة فانّهم لا يقلّون عن ستين الفًا وإن قلتَ مئة الف لن تقول شططًا

ولهذه العلّة معلولات متعدّدة انعكس فعلها في كلّ احوال الحيـاة وكلّ طبقات السكّان. وقد احسّت بيروت نفسها وضواحيها بمفعول هذه المهاجرة فانّ الصنائع خفّت والصنّاع قلّوا والعمَلة لا يرضون بضعف الاجرة التي كانت تُعطى لهم سابقاً. ان اردتَ بناء يصعب وجود البنّائين. وان طلبت خادماً يخدمك أبى الّا بشروط ثقيلة. ولا يستقرّ عندك اشهرًا حتى يطمع بارباح اعظم. وكذا قُلْ عن اسباب المعاش فانّ اللحم والبقول والخُضَر والفواكه تزيد اسعارها يوماً بعد يوم لقلّة العمَلة ولارتفاع اجرة المأجورين. والداء لا يزال يتفاقم والله اعلم ان كان هذا الفتق يقبل رتقاً واصلاحاً

وكأنّ القارئ يوقفني عند هذا الحدّ ويقول أتنسى انّ لبنان قد غني بالمهاجرة وانّ المهاجرين يرسلون كلّ سنة مبالغ من الدراهم لاهلهم او يعودون بهـا راجعين الى وطنهـم

أُجيب اني عالم بهذا الامر لكنّ هذا الغنى يبقى عقيماً دون فائدة للجبل. وبياناً لذلك نفترض انّ كلًّا من المهاجرين الاميركيين او سواهم افاد لبنـان مئة فرنك او خمس ليرات فيكون مجموع ما حصل الجبل من الدراهم على يد المهاجرين ١٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك او ٥٠٠,٠٠٠ ليرة. فهذه لعمري ثروة واسعة من شأنها ان تشفي فقر اهل لبنان. ولكن دعنا ننظر ما ينتج عنها من الفائدة

اعلم انّ قسماً كبيرًا من هذه الدراهم يصيبهُ افقر اهل لبنان اعني اهل نواحي البترون وكسروان والمتن لأنهم لا يأنفون في اميركة ان يعانوا الاشغال المتعبة فيتجوّلون في البراري حاملين مـا يدعونهُ «الكشّة» فيرتزقون بذلك ويجمعون مالًا ينقلهم من حالة الى حالة فيصير الفقير غنياً بينما ترى الأُسر الغنيّة سابقاً التي لم ترضَ ان تتجشّم مثل هذه الاسفار تتقهقر وتفتقر وناهيك تقلّب الاحوال ضررًا كبيرًا يؤثر في الطباع والاخلاق والمعاملات فيظنّ المستغنى ان مالهُ يسدّ مسدّ الشرف والنسب والتهذيب فينبذ اعمال الفلاحة ليعيش عيشة الاغنياء

ولكن هَبْ انّ هذا الفلّاح المغتني يريد ان ينتفع من دراهمهِ فماذا يفعل؟ ليس لـهُ الاختيار الّا احد هذه الامور امّا ان يشتري لهُ عقارًا وامّا ان يضع دراهمهُ في مصرف بفائدة ٣ او ٤ في المئة او يفقد مالهُ على الطريقة التي سنصفها

ويفضّل اللبناني بين الامور السابق ذكرها اقتناء الاملاك وان كان ...

يتجاوز كلّ الحدود (١ فيجعل رأس مالهِ في استملاك ارض لا ينال من استثمارها فائدة دراهمهِ اذ لا يربح خمسة او اربعة في المئة . مثال ذلك جلّ التوت الذي يبلغ ورق توتهِ حملًا اي ٦٠ كيلوغراماً فانــهُ يُباع من ٢٠٠٠ الى ٤٠٠٠ قرش ومعدَّل موسمهِ من الفيالج (الشرانق) كيلوغرامان اعني اقّة ونصف. فأقّة الشرانق تُباع اليوم ٢٠ قرشاً . فيكون الربح ٣٠ قرشاً (٢ فاذا افترضنا انَّ جلّ التــوت لم يكلِّف اكثر من ٢٠٠٠ قرش يكون الربح الصافي في السنة ١,٥ في المئة وهو ربح زهيد جدًّا

فاللبنانيّ اذن واقع بين احد امرين امّا ان يبتاع لهُ عقارًا لا يستفيد منهُ في السنة اكثر من ١,٥ وامّا ان يضع دراهمهُ في المصرف (البنك) بفائدة ٣ او ٤ في المئــة متعرِّضًا لخطر فَقد رأس مالهِ بالافلاسات التي تتواتر يومًا بعــد آخر . فكثيرون يرون اوفق من هذين الامرين ان يبتنوا لهم دارًا على الطراز الحديث يسقفونهُ بالقرميد لكنَّ هذه الدار تستغرق كلّ ما حصلوا عليهِ من المال بعد التعب والعناء الطويل ويقعون في ايدي اصحاب الربا الذين يأكلون مالهم بالمكر والخداع فيعودون الى فقرهم الاوَّل وهذا كلّهُ ثمرة الاستعلاء والترفُّع اذ اراد هؤلاء الفلّاحون ان يعيشوا عيشة الكبار ولو قنعوا لعاشوا مهنَّئين بملازمة الاشغال التي اعتادوها فالمال يعمي عيونهم ويخرجهم عن طورهم فيقعون

ما طار طيرٌ وارتفعْ الّا كما طار وقعْ

فتكون احسن طريقة لاستثمار المال وضعهُ في المصارف مع ما يحصل من الخطر لكنَّ هناك امرًا آخر مضحكًا فان المتموّل يسلّم للمصارف مالهُ البالغ مثلًا الف او الفي ليرة بفائدة ٤ في المئــة . فلا يلبث بعد أيَّام أن يأتي الى البنك ذاتهِ رجلٌ من قرية المتموّل ولعلهُ من اصحابهِ او من اهلهِ وهو في حاجة الى ٢٠٠ ليرة فيستعيرها من البنك بفائدة ٨ في المئة بل ١٠ و ١٢ في المئة. وذلك بشروط فاحشة وهو رهن بيت او عقار يساوي ضعف المبلغ المستعار واكثر

فليت شعري أما كان أولى بهما وافضل لنفع المتموّل والمستعير معًا لو كانا اتّفقا

١) قد بيع ذراع الارض المربَّع بليرة انكليزيَّة كما يباع عقار أُمَّهات المدن
٢) ولم نحسب هنا كلفة حراثة الارض

بينهما فاستثمار هذا من ذاك على شروط مرضيّـة دون توسّط البنك وتعريض نفسهما لخطر فقد المال والعقار في المصارف . وما اقولـهُ هنا اوضح من النهار وترى مع ذلك اهل الجبل يلقون انفسهم في معاملات الصرّافين ببساطة غريبـة وهم لا يدرون انّ ثمّة الطامّة الكبرى

فكيف يا تُرى النجاة من هذه الحالة ؟ انّ الامر بسيط والنجاة سهلة لمن يريدها وانّما الطريقة المثلى في ذلك الاتّفاق والتعاضد فبدلًا من أن يتراكض اهل لبنـان الى الاجانب فلينشئوا لهم في كلّ قرية او في كلّ ناحية صندوقًا ماليًّا يودعهُ كلّ من لـهُ دراهم مالهُ الزائد عن نفقتهِ . وكلّ من لـهُ مال في هذا الصندوق يكون شريكًا ، والشركاء يختارون رجالًا مقتدرين وموثوقًا بهم لاستثمار هذا المـال . وهؤلاء الوكلاء يقرضون الدراهم لاصحاب الاملاك كما يرونهُ اصلح للشركاء وانسب لحالة المستقرضين وغناهم بالعقار . وخلاصة القول انّ الشركة تقوم مقـام البنك في دائرتها المحليّة يتولّى تدبيرها اصحاب الاسهم . ويمكن الشركة المذكورة ان تتعاطى اعمالًا تجاريّة شتّى تفيد الناحية كالقروض الرهنيّة واعمال البيع والشراء واستحضار الادوات الزراعيّة واقتناء الارزاق لاستثمارها

فترى ممّا سبق انّ اهل لبنـان لو ارادوا لامكنهم أن يحسّنوا احوالهم دون ان يقامروا بمالهم ويعرّضوهُ كما يفعلون لاخطار المضاربات

وهذه الصناديق الماليّة المحليّة قد أُنشئت اليوم في اغلب بلاد اوربّـة ولاسيّما في البلاد الزراعيّة على طرائق مختلفـة وتحت شروط خاصّة . وهي قد بلغت في بلجكة اطوار كمالها . فانّ الشركات المحليّة قد ائتلفت وانضمّت الى شركة تشمل المقاطعة كلها وشركات المقاطعات تتّصـل بشركة مركزيّة عموميّة بحيث يمكن اصحابها ان يتعاطوا اعمالًا تجاريّة او صناعيّة واسعة . وممّا تتعاطاهُ هذه الشركات في بعض البلاد أنّهـا تصطنع السّماد الكيموي فتبيعهُ للشركات المحليّة وغيرها قد ابتاعت أدوات زراعيّـة للحراثة وللحصاد وللتذرية . ولهذه الشركات مهندس زراعي ولها مُختَبَر تُفحص فيـهِ البذور والحبوب على طريقة كيمويّة وهلم جرًّا

ولو تشكّلت في لبنان شركة كهذه لأمكننا ان نستحضر بزر دود القزّ فنفحصهُ بالمجهر ونبيعهُ لاهل الجبل وكذلك البذور يمكننا ان نسعى بتحسينها

ومجمل القول انَّ احوال الفلاحة والزراعة في لبنـــان متوقّفة على شركات كهذه يستعين بها كلّ الاهلين لصوالحهم فيفلتون من ايدي الذين يرصدونهم لسلب اموالهم. فعلى كلّ قرية وان شئت قُلْ قريتين او ثلاث قرى ان ينشئ اهلها لهم صناديق ماليَّة كما سبق وصفها يمكنهم ان يجعلوا فيها حتَّى المبالغ الزهيدة كخمسين قرشًا مثلًا. وكلّ من يودع شيئًا من المال في هذا الصندوق يُعطى وصلًا بما اداه من المال ليُعطى في اوان التقسيط حصّتهُ من الربح على قدر ما اودع من الدراهم

وهذه الشركات الاقتصاديَّة لا تمنع بعض المتموّلين من ذوي الرساميل البالغة ان يتّفقوا بينهم ويشتركوا في انشاء صناعة او معمل او غير ذلك ممَّا يفيد النواحي كتدوير الارحية بمحرّك البترول وفتح معمل لنشر الخشب بالادوات الميكانيكيّة او بناء اتاتين متواصلة العمل وذلك على السواحل لسهولة النقل

ومن الصناعات التي تصلح لهذه الشركات جمع الالبان وتربية المواشي والخنازير والدجاج على الطرائق العاميَّة المستحدثة

وقد سبق ايضاً اهلُ المتن غيرهم من اللبنانيين الى مثل هذه الاعمـــال. ونخصّ بالثناء قرية صليما فان اهل هـــذه القرية بحسن مساعي شيخهم الهمام حبيب شهاب محبُّون للترقي فتراهم اليوم يتسارعون الى مباشرة الامور النافعة دون أن يضنُّوا بعمالهم او دراهمهم ولا نشكّ انَّ النجاح يكلّل قريبًا مشاريعهم الطيّبة

وفي الختام نذكّر اهل لبنان بمثل افرنجيّ يقول انَّ الانهار الكبيرة تتكوَّن من الجداول الخفيفة ونحضُّهم على جمع قواهم لما فيهِ صالحهم. لكنَّ جمع القوى لا يتمّ الَّا بتجرّد المجتمعين عن منافعهم الخاصَّة ليسعوا كلٌّ في خير اخيهِ على مثـــال الاعضاء في الجسم الواحد التي لا تُصيب منفعتَها الَّا بطلب منفعـــة الكلّ. وفقنا الله الى كلّ عمل نافع فيهِ صلاح البلاد وفائدة العباد (تمت)

الاسقفيّات المنوطة بكرسي صور

لحضرة الخوري كيرلّس شارون الرومي الكاثوليكيّ (تابع)

٣ جدول اساقفة جبيل

كانت جبيل كبقيَّة مدن سواحل فينيقية عامرةً حافلة بالسكّان كثيرة الخيرات ذكرها الكتاب الكريم في نبوَّة حزقيال (٢٧: ٢) . وكانت قبل المسيح احد مراكز عبادة عشتروت كما اثبتهُ المشرق غير مرَّة . ولا غرو انَّ رسل المسيح دعوا اهلها الى التنصُّر كما فعلوا في غيرها من المدن الساحليّة وقد عرفها اليونان باسم بيبلوس . اما اساقفتها فهذا ما نعلمهُ من امرهم :

١ (يوحنَّا الملقَّب مرقس) ورد في السنكسار الروماني وكذلك في ميناون الكنيسة اليونانيَّة في اليوم ٢٧ من ايلول ما نصُّهُ : «في بيبلوس فينيقية استشهاد القديس يوحنَّا الملقَّب بمرقس اسقف هذه المدينة» ويوحنَّا مرقس المذكور هو احد تلاميذ الرسل وزعم دوروثاوس الصوري (اطلب المشرق ٩: ٣١١) انهُ كان من السبعين تلميذًا . وهو الذي تكرَّر ذكرهُ في اعمال الرسل (١٢: ١٣ و ١٣: ٥ و ١٥: ٣٩) . وقد ذهب البعض الى انهُ هو مرقس الانجيليّ (١ والله اعلم

٢ (اوثاليوس) يُعرف هذا الاسقف من اعمال استشهاد القديسة اكويلينا وهي فتاة نصرانية عذراء استشهدت في عهد ديوقلطيانوس الملك نحو السنة ٣٠٨ للمسيح في جبيل . وفي تاريخ شهادتها يُقال انها قُتلت في سبيل النصرانيَّة على عهد اوثاليوس اسقف مدينتها (٢

٣ (باسيليدس) حضر مع الآباء مجمع القسطنطينية المسكوني الاوَّل سنة ٣٨١ (٣ وامضى اعمالهُ باسمهِ

٤ (باناتوس) يُقرأ اسمهُ في جملة الآباء الذين اجتمعوا في انطاكية على عهد بطريركها دومنس سنة ٤٤٨ ليستأنفوا دعوى ايباس الرهاوي (٤

١) اطلب اعمال القدّيسين للبولنديين في ٢٧ ايلول (Acta Sanctorum, XXVII, 354)
٢) اطلب اعمال البولنديين (المجلّد ٢٣ ص ١٦٥) في ١٣ حزيران
٣) اطلب مجموع السنهودسات لمانسي (Mansi IV, 368)
٤) اطلب مجموع مانسي (Mansi VI, 496)

٥ (اكويلينوس) كان هذا من انصار القديس كيرلُس الاسكندري واحد المعادين لاوطيخا فلمَّا كانت السنة ٤٤٩ اجتمع الاوطيخيُّون في افسس وعقدوا مجمعاً غير قانونيّ دُعي بالمجمع اللصوصيّ فحرموا زوراً القديس فلافيانوس القسطنطينيّ واعداء اوطيخا كأنهم قائلون ببدعة نسطور وكان اكويلينوس اسقف جبيل احد المحرومين (١

٦ (روفينوس) ورد اسمهُ في جدول آباء المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ كاحد المدافعين عن الايمان الحقّ والموقعين على اعمال المجمع (٢

٧ (ثاودوسيوس) امضى ثاودوسيوس اسقف جبيل سنة ٥٥٣ اعمال المجمع المسكوني الخامس الملتئم ثانية في القسطنطينيَّة لرذل بعض كتب المراطقة (٣

وهنا ايضاً ثلمة واسعة في جدول اساقفة جبيل. والمرجَّح ان كرسيّ هذه المدينة أُلحق في ذلك العهد بكرسيّ بيروت كما هو اليوم. الَّا انَّ الروم الارثذكس قد عادوا الى فصلهِ منذ زمن قريب وذلك في أيام البطريرك السابق ملاطيوس دوماني في ٢٢ ك٢ سنة ١٩٠٣ . وكذلك الروم الكاثوليك فصلوهُ في اواخر القرن الثامن عشر في بعض الاوقات كما ترى في الاسقفين الوارد ذكرهما

٨ (ديمتري قيُّومجي) كان هذا من رهبان دير مار يوحنَّا الصابغ في الشوير فرسمهُ السيد البطريرك اثناسيوس السادس دهَّان على كرسيّ جبيل (٤ سنة ١٧٦٨ وتوفي بعد عشر سنوات في عام ١٧٧٩ (٥

٩ (اكليمنضوس بدرا) كان حلبيّ الاصل وعُرف بالطبيب ترهَّب في الرهبانيَّة الحنَّاويَّة ثمَّ اقامهُ البطريرك اغابيوس الثالث مطر في ٢٣ ك ٢ سنة ١٧٩٨ مطراناً على كرسيّ جبيل. وكانت وفاتهُ سنة ١٨٠٢ ثمَّ أُلحق بعدهُ كرسيّ جبيل بكرسي بيروت .(٦

---

١) راجع التاريخ الكنسيّ لايفغريوس (Evagre, H. E. I. c. 9)

٢) اطلب مجموع مانسي (Mansi, VI, 570)

٣) اطلب مانسي (Mansi, IX, 391)

٤) اطلب اصداء الشرق (ROC VII (1903), p. 332-333)

٥) مختصر تاريخ الروم الملكيين للمطران عطا (ص ٦٠ و ٦١)

٦) راجع التاريخ عينهُ (ص ١٩٠)

٤ جدول اساقفة البترون

البترون ويدعوها اليونان بُتْريس (Botrys) كانت حاضرة لملكة صغيرة ترتقي الى القرن العاشر قبل المسيح (١٠ ولا نعرف شيئاً عن دخول النصرانية بين اهلها . امّا اساقفتها الذين وردت اسماؤهم في الآثار القديمة فهذا ما وجدناهُ منها

١ (بُرفيريوس) اوَّل اسقف للبترون اشار اليــهِ التاريخ وقد ورد اسمهُ في الموقّعين على اعمال المجمع الخلقيدونيّ سنة ٤٥١ وقد امضى حيناً اعمال بعض جلسات المجمع بنفسهِ وامضاها حيناً آخر بيد مطران صور فوطيوس (٢

٢ (الياس) اسقف البترون عــدل الى حزب ساويرس بطريرك انطاكية الدخيل فحرمهُ مطران صور ابيفانيوس (اطلب المشرق ٩ : ٣١٤) كما يتَّضح من رسالتهِ التي وجَّهها اليهِ تاوفيل اسقف هرقلة حيث ندَّد بساويروس واعمالهِ (٣

٣ (اسطفان) امضى بصفة اسقف البترون اعمال المجمع المسكونيّ الخامس وهو القسطنطينيّ الثاني سنة ٥٥٣ (٤

وقد بقيت البترون بعد الفتح العربيّ كاحد مراكز الملكيَّة يتبعها عدَّة قرى حولها ويدلّ على ذلك ما يوجد في خزائن مخطوطات اوربَّة من الكتب السريانية بالخطّ الملكيّ الشبيه بالاسطرنجليّ (اطلب المشرق السابق ص ٣٨١) . وهناك ورد ذكر اسقفٍ يُدعى :

٤ (سمعان) اسقف البترون الملكيّ اسمهُ في خاتمة احد المخطوطات السريانيّة الملكيَّة المصون في مكتبة باريس العموميَّة مرقوماً بالعدد ١٣٤ ويحتوي هــذا الكتاب ميناون شهر تشرين الثاني كُتب في دير سيّدة نهر كفتون سنــة ١١٥٦ مسيحيَّة « على عهد سمعان اسقف البترون »

٥ جدول اساقفة طرابلس

١ (مارون) دخلت النصرانيَّة في طرابلس الشام منذ قرون النصرانيّة الاولى كما تنبئ بذلك الآثار . امّا اسم اوَّل اساقفتها فقد ورد في الكتابين المعروفين بالرسوم

١) راجع تسريح الابصار في ما يحتوي لبنــان من الاثار الاب هـ. لامنس (ج ١ ص ١١٧)
٢) مجموع السنهودسات لمانسي (Mansi VII, 435)
٣) المجموع نفسهُ (Id. XIII, 1073)
٤) مجموع مانسي (Id. IX : 392)

الرسوليّة والمذاكرات المنسوبة للقديس اقليميس (Recognit. Clement., l. VI, c. 45) انّ القديس بطرس رأس الحواريين جعل على طرابلس اسقفاً اسمهُ مارون (Μαροόνης) لكنّ هذين الكتابين مع قدمهما من الكتب المصنوعة نثبت قولهما بكلّ تحفُّظ

٢ (هلّانيكوس) حضر الجمع المسكونيّ الاوّل في نيقية ووقّع باسمهِ على اعمالهِ (١ وممّا اوردهُ القديس اثناسيوس الاسكندريّ في رسالتهِ الى نسّاك الصعيد (٢ انّ الاريانيين نقموا عليهِ لمدافعتهِ عن الايمان الكاثوليكيّ فنفوهُ

٣ (ثاودوسيوس) كان خلفاً لهلّانيكوس في كرسيّ طرابلس لكنّهُ لم يخلفهُ في ايمانــهِ بل انتصر لآريوس واشياعهِ كما يؤخذ من كتاب القديس اثناسيوس السابق ذكرهُ (٣

٤ (ايريناوس) افاد القديس ابيفانيوس اسقف قبرس في كتاب البدع (Hær. LXXIII, 26) انّ ايريناوس اسقف طرابلس حضر سنــة ٤٠٠ الجمع الذي عقدهُ الاريانيّون في سلوقية ووافق في قولهم انصارَ اريوس جرجيوس السلوقيّ واقاق القيصري وغيرهما

٥ (قتُودس) تبــع قتُودس اسقف طرابلس البطريرك يوحنّا الانطاكيّ فصحبهُ الى مجمع افسس ثم انفصل عن الآباء مع بعض الشرقيين فرذلهم آباء الجمع (٤

٦ (ثاودوروس) كان احد آباء الجمع الخلقيدونيّ واسمــهُ مدوّن في جملة الموقّعين على اعمالهِ سنة ٤٥١ (٥ . وبقي في كرسيّهِ الى السنة ٤٥٨ لانهُ حضر الجمع الذي امر الامبراطور لاون بعقدهِ لينظر الاساقفة قضيّة بروثاريوس بطريرك الاسكندريّة الذي كان اعداء الجمع الخلقيدوني قتلوهُ ظلماً . واسمهُ بين الموقّعين على اعمال تلك الجماعــة

٧ (اسطفان) جــاء في سيرة القديس افتيميوس الكبير (٦ اسم اسقف

١) اطلب مجموع مانسي (Mansi. II, 693)

٢) اطلب اعمال آباء اليونان (Migne, PP. GG. XXV, 699)

٣) راجع اعمال آباء اليونان (Ibid.)

٤) اطلب مجموع السنهودسات لمانسي المجلد السادس

٥) فيــهِ (Mansi VII, 431)

٦) اطلب كوتليار (Cotelier: *Monum. Eccl. Gr.* II, n° 128)

طرابلس المسمّى اسطفان وينتج من معاصرتهِ للقديس افتيميوس انهُ كان في القرن الخامس. وقد وجَّه اليهِ ساويروس الدخيل رسالة (١

٨ (لاونطيوس) كان ابن عم اسطفان السابق وخلفهُ في كرسيّ طرابلس كما شهد عليهِ صاحب ترجمة القديس افتيميوس المشار اليها (٢

٩ (ارسانيوس) في مكتبة القبر المقدَّس في القدس الشريف كتاب خطّي تاريخهُ القرن التاسع يشتمل على سلسلة تفاسير لاسفار العهد الجديد. ومن جملة مضامينهِ قطع تُنسب لارسانيوس اسقف طرابلس (٣ . ولا شيء يوجب الظنّ بان الكلام على طرابلس الغرب (٤

١٠ (ملكي) نحو سنة ١٣٦٠ اجتمع اساقفة انطاكية ووضعوا تقريرًا بخصوص انتخاب البطريرك خوميوس الاوَّل . فهذا التقرير موقع باسماء الاساقفة وفي جملتها ملكي (ὁ Μέλχης) مطران طرابلس (٥ . وقد ورد تقرير آخر تاريخهُ اذار حزيران من سنة ١٣٦٥ في ذيلهِ الاسم ذاتهُ مع غيرهِ من الاساقفة. فمن هذين التقريرين يؤخذ انَّ كرسيّ طرابلس كان اضحى مطروفوليطيًّا في ذلك العهد . امَّا ملكي فهو اسم علم او هو لقب بمعنى الملكي

١١ (دوروتاوس) بين المخطوطات التي وصفها باباذوبولوس في مكتبة القبر المقدَّس (٦ زبور عُلّق عليهِ في آخرهِ « انَّ هذا الكتاب أعطاهُ ليونيل الراهب صاحبهِ في طرابلس فينيقية مطرانها دوروتاوس سنة ١٥٧٧

١٢ (يواكيم ضو) في سنة ١٥٨٢ فُصل ميخائيل الثامن بطريرك انطاكية عن كرسيهِ في دمشق فاقاموا بدلًا منهُ يواكيم ضو اسقف طرابلس (٧ وجرت بينهُ وبين

١) فيه (Ibid., n° 129)

٢) اطلب المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني في لندن (ع ٦٩٢ ص ٩)

٣) اطلب قائمة بابادوبولوس (Papadopoulos III, p. 57)

٤) اطلب لوكيان (Lequien: *Or. Chr.* II/824)

٥) اطلب اعمال البطريركيَّة القسطنطينيَّة (Miklosich-Muller: *Acta Patr. Const.* I. 465)

٦) فيها (Id., n° 207)

٧) اطلب (Papadopoulos II, 412)

ميخائيل مطران اوخاييط مخاصمات ومنازعات فصَّلها الخوري ميخائيل بريك في تاريخهِ (١ الى أن تفرَّد يواكيم وهو الخامس من اسمهِ بالبطريركيّة ومات سنة ١٥٩٢ في ٧ تشرين الاوَّل. وقال القس يوحنَّا عجيميّ انهُ توفي سنة ١٥٨٩

١٣ (انستاس او اثناس) مرَّ في المشرق (٨: ١٩٧ مع الحاشية) انَّ المسمَّى اثناس او انستاس كان يدبّر في السنة ١٥٨٣ اربعة كراسي وهي طرابلس وصور وصيداء وبيروت

١٤ (ملاطيوس) لمَّا رجع البطريرك مكاريوس الثالث الحلبي من رحلتهِ الى روسيَّة عقد سنة ١٦٥٩ مجمعاً في دمشق لفحص دعوى ابن عميق كما روى ذلك الارشدياكن بولس ابن البطريرك مكاريوس في خبر رحلة والدهِ (٢

١٥ (مكاريوس) اخبر القس يوحنَّا عجيميّ في كتاب التواريخ الملّيَّة (تختيكون) (ص٣١٦–٣١٧ من نسخة المكتبة الشرقيَّة) «انَّ كيرلُّس الخامس كان تابعاً للايمان الكاثوليكي لكنهُ لم يتظاهر بهِ كما فعل افثيميوس (صيفي) مطران صور وصيدا وسلبسترُوس (دهَّان) اسقف بيروت وبرثانيوس اسقف بعلبك ومكاريوس اسقف طرابلس وغيرهم والجميع قدَّموا صورة ايمانهم للكرسيّ الرسوليّ وكانوا يكاتبون البابا الرومانيّ ويتخذون منهُ جواباً». وكان مكاريوس المذكور واحداً من الاساقفة الذين وقَّعوا على اعمال مجمع طرابلس سنة ١٦٨٠ كما روى الخوري كيرلُّس حدَّاد الباسيلي المخلّصي في تاريخهِ المخطوط (ج ١ ف٢). امَّا اعمال هذا المجمع فمفقودة

١٦ (يواكيم) اسقف طرابلس كان في اواخر القرن السابع عشر رواهُ جراسيم يلّاد البطريرك الاسكندريّ في تختيكون الكنائس الارثذكسيَّة الذي كتبهُ نحو سنة ١٧٠٠ فنشرتهُ مجلّة الجمعيَّة التاريخيَّة اليونانيَّة (٣

١٧ (جراسيموس) جاء في قائمة المخطوطات العربيَّة المصونة في مكتبة القبر المقدَّس (٤ وصف كتاب موسوم بالعدد ٨٢ فيهِ ليتورجيَّة القديس يوحنَّا فم الذهب

---

١) (ص ١٠٩–١١٤ من نسخة المكتبة الشرقيَّة وفي الصفحة ٥٣ من النسخة المطبوعة)

٢) اطلب الطبعة الانكليزيَّة (Belfour: *The Travels of Macarius*, II, 459)

٣) اطلب المجلد الثالث منها (Δελτιον, III (1889), p. 474)

٤) كتبها كلاوفاس كيكيلدس (Cléopas Kykylides, p. 73)

وطقس البروجيازمانات وناسخ هذا الكتاب هو « جراسيموس مطران طرابلس سنة ١٧٩٧ »

وكان عدد الكاثوليك في ابرشيَّة طرابلس قليلًا بين الروم في القرن التاسع عشر ولذلك لم يعينوا لها مطرانًا . وانَّما اقيم عليها فقط اسقفان شرقيَّان وهما :

١٨ (اثناسيوس توتونجي) كان هذا من كهنة حلب العالمين اسمهُ يوسف ففي يوم عيد العنصرة من السنة ١٨٣٦ رسمهُ البطريرك الطيِّب الذكر مكسيموس مظلوم اسقفًا شرفيًا على طرابلس واقامهُ رئيسًا على مدرسة عين تراز بدلًا من القس باسيل شاهيات الباسيلي الحلبي الذي سقَّفهُ على زحلة (١ . ثمَّ أُهملت مدرسة عين تراز في السنة ١٨٤٠ فعاد السيِّد اثناسيوس الى حلب وفيها توفّي في ٢٩ شباط سنة ١٨٧٤

١٩ (بولس مسدّيه) هو كسرى بن جبرائيل مسديه من اعيان دمشق ولد في الفيحاء في ١ ك ١ سنة ١٨٣٦ . وفي ١٤ ايلول ١٨٥٤ سيم شمَّاسًا وتسمَّى بولس ودخل في جملة الاكليروس البطريركيّ . ثمَّ رُقّي الى رتبة الكهنوت سنة ١٨٦٤ . ثمَّ دعاهُ البطريرك غريغوريوس الثاني يوسف الى معاونتهِ وسقَّفهُ على طرابلس في ٩ كانون الاوَّل سنة ١٨٧٩ وتولَّى النيابة البطريركيَّة مدةً بعد مكاريوس حدَّاد توفي في ٢٣ آب سنة ١٨٩٥ وجمجمتهُ في دير الرهبان الحلبيين في مكّين

٢٠ (يوسف الدوماني) لمَّا كثر عدد المتمين الى الايمان الكاثوليكيّ في جهات طرابلس وعكَّار انتدب البطريرك غريغوريوس الثاني يوسف احد افاضل رهبان دير المخلص السيِّد يوسف الدوماني فوكل اليهِ تدبير كرسيّ طرابلس وسقَّفهُ في ٢١ آذار ١٨٩٧ وهو راعيها الحالي وسيادتهُ قد وُلد سنة ١٨٥٠ وانتظم في الرهبانيَّة المخلصيَّة في ايلول سنة ١٨٦٩ ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير انسأ الله في اجلهِ

(انتهى كرسي صور)

---

١) راجع اعمال الرهبانيَّة الشويريَّة في تاريخ السنة ١٨٣٦

الآداب العربية في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وكانت العربيّة في خاتمة القرن الثامن عشر لا تزال معزّزة في انكلترة في كليّتي كمبردج واكسفرد. وكان في اكسفرد مطبعة عربيّة شهيرة نُشرت فيها كتب شرقيّة متعدّدة نخصّ بالذكر تآليف ادورد بوكوك (E. Pocock) (١٦٠٤—١٦٩١) وابنه توما. وكان ادورد رحل الى الشرق وسكن مدّةً في حلب ثمّ درّس في اكسفرد ونشر تاريخي ابي الفرج ابن العبري وسعيد بن بطريق. ونال الشهرة بين الانكليز في الشرقيّات في خاتمة القرن الثامن كَرْليل (J. D. Carlyle) (١٧٥٩—١٨٠٤) ساح في بلاد الشرق ثمّ تولّى تدريس العربية في كليّة كمبردج. لهُ كتاب في آداب العرب وشعرهم في الانكليزيّة ونقل الى اللاتينيّة قسماً من مورد اللطافة لجمال الدين ابن تغري بردي. وكذلك اشتهر معاصرهُ يوسف وَيت (J. White) (١٧٤٦—١٨١٤) من علماء اوكسفرد الذي نشر لاوّل مرّة كتاب عبد اللطيف البغدادي في الامور المشاهدة بمصر سنة ١٧٨٩ ثمّ نقلهُ الى اللاتينيّة سنة ١٨٠٠ ولهُ غير ذلك

امّا الهولنديّون فكانوا في ذلك العهد يمشون في درس العربيّة على آثار اسلافهم الافاضل كغوليوس (Golius) (١٥٩٦—١٦٦٧) وارپنيوس (Erpennius) (١٥٨٤—١٦٢٤) وشولتنس (A. Schulteus) (١٦٨٦—١٧٥٠) وابنه جان جاك (J. J. Schultens) (١٧١٦—١٧٧٨) وكلّهم من المبرّزين جعلوا مدينة لَيدن كمنار الآداب الشرقيّة وابرزوا في مطبعتها المؤلّفات العديدة التي اصبحت اليوم عزيزة الوجود يتزاحم العلماء في اقتنائها كتاريخ جرجس ابن المكين المعروف بابن العميد وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شدّاد وتاريخ تيمور لنك لابن عربشاه وامثال الميداني ومطبوعات اخرى جليلة . وممّن اشتهروا من الهولنديين في اواخر القرن الثامن عشر هيتسما (A. Haitsma) نشر سنة ١٧٧٣ مقصورة ابن دريد ونقلها الى اللاتينيّة وذيّلها بالحواشي. ومنهم شَيْد (J. Scheid) (١٧٤٢—١٧٩٥) نقل صحاح الجوهري الى اللاتينيّة والّف كتاباً في اصول العربيّة ونشر منتخبات ادبيّة شتّى

واشتهر من النمساويين في نهاية القرن الثامن عشر في درس الآثار الشرقية فرنسوا دي دومباي (F. de Dombay) (١٧٥٦—١٨١٠) نشر تاريخًا للعرب ثم انقطع الى درس احوال مرّاكش فابرز عدّة آثار مختصّة بتلك البلاد كتاريخ ابن ابي زرعة ونقود مرّاكش وغير ذلك . واصاب الكاهن جان ياهن (J. Jahn) (١٧٥٠—١٨١٦) شهرة في تدريس اللغات الشرقية في ڤينة ولهُ من التآليف غراماطيق عربيّ ومعجم عربي لاتيني ومجانٍ ادبيّة

وكان الدنيمركيّون ايضاً قد وجّهوا بانظارهم الى الشرق فاشتهر منهم في آخر القرن الثامن عشر نيبوهر (C. Niebhur) (١٧٣٣—١٨١٤) الذي طاف في انحاء جزيرة العرب ودوّن ملحوظاتهِ واخبار رحلتهِ في ثلاثة مجلّدات اضاف اليها مقالات حسنة في عادات الشرق واحوالهِ . ومنهم جرج زويغا (G. Zoëga) (١٧٥٣—١٨٠٩) خرج من بلاد دنيمرك وتوطّن رومية العظمى وصار كاثوليكيًا وانقطع الى درس الآثار الشرقيّة لاسيا آثار مصر

ولم ينطفئ منار العلوم الشرقية بين الاسبانيين والبرتغاليين وخصوصًا الرهبان . وممَّن عُرف منهم الراهب الفرنسيسيّ كانيس (Fr. Canes) (١٧٣٠—١٧٩٥) عاش مدّةً في فلسطين والشام ودرَّس العربية لمرسلي رهبانيّتهِ وقد صنَّف كتبًا مدرسيّة في الاسبانيّة لتعليم العربيَّة . اخصُّها غراماطيق ومعجم المفردات ومختصر التعليم المسيحيّ . وفي عهدهِ كان الراهب حنّا سوزا (J. Souza) (١٧٣٠—١٨١٢) ولد في دمشق من ابوين برتغاليين وتخرّج على يد المرسلين ثمَّ رحل الى وطنهِ ودخل الرهبانيّة الفرنسيسيّة وعلّم اللغة العربية في لشبونة . ومن مطبوعاتهِ كتاب الالفاظ البرتغالية المشتقّة من العربية . وكتاب نحو العرب ونصوص عربية لمؤرخي العرب في امور البرتغال

وكذلك الايطاليّون فانّهم لم يسهوا عن درس لغات الشرق ومآثرهِ فربح منهم شكر العموم غريغوريو روزاريو (R. Gregorio) الكاهن البالرمي (١٧٥٣—١٨٠٩) الذي تفرَّغ لدرس آثار صقلّية وتاريخها واحوالها لاسيًّا في ايّام العرب فالّف في ذلك التآليف الواسعة في عدّة مجلّدات ضخمة نخصّ منها بالذكر كتابهُ «الآثار العربية في تواريخ صقلّية» ضمّنهُ كتابات ونقوشًا واوصافًا غاية في الفائدة — وعُرف الكاهن الرحّالة ج . ماريتي (G. Mariti) (١٧٣٦—١٨٠٦) زار بلاد فلسطين والشام

ومصر ودوَّن اخبار رحلتهِ وعنها نقلنا في المشرق (٨: ١٥١ و ٤٠١) وصفةً لدير القلعة وكذلك كتب في تاريخ الصليبيين وغير ذلك

ولا يجوز لنا في هذا النظر الاجماليّ عن حالة العلوم الشرقية في ختام القرن الثامن عشر أن ننسى ما كان لمواطنينا من الفضل في نشر الآداب الشرقية في اوربة . فان ذلك القرن هو قرن السماعنة الذين أُشير اليهم بكل بنان فصار اسمهم مرادفاً للنشاط في تذليل العقبات واحياء مفاخر الشرق. اوَّلهم واماهم المونسنيور يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧–١٧٦٨) رئيس اساقفة صور صاحب المكتبة الشرقية وتآليف أُخرى لا تُحصى(١). ثمَّ اسطفان عوَّاد السمعانيّ نسيبهُ (١٧٠٩–١٧٨٢). ثمَّ يوسف لويس السمعاني (١٧١٠–١٧٨٢) ثمَّ شمعون السمعاني ١٧٥٢–١٨٢١) وكان كلّ هؤلاء تلامذة المدرسة المارونية في رومية واثمارًا طيّبةً من دوحتها الفاخرة تُعدّ تآليفهم بالمئات بين مطوَّلة وقصيرة . وكان معظم اهتمامهم في نشر الآثار السريانية لكنَّهم ايضاً اخرجوا من زوايا النسيان عدَّة تآليف عربية لاسيا في التاريخ والمآثر الدينية والادبية . وسنعود الى ذكر الاخير منهم الذي يدخل في دائرة مقالتنا اذ لم يمت الَّا في العشر الثاني من القرن التاسع عشر . ومن هؤلاء الشرقيين الذين شرَّفوا الآداب في اواخر القرن الثامن عشر القس ميخائيل الغزيريّ وهو ايضاً من تلامذة الآباء اليسوعيين في المدرسة المارونية رافق السمعاني وحضر معهُ المجمع اللبنانيّ سنة ١٧٣٦ ثمَّ درَّس اللغات الشرقيَّة وتعيَّن ترجماناً لملك اسبانيا كرلوس الثالث ومن اعمالهِ الاثيرة وصف المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال قرب مجريط وهذا التأليف مجلَّدان كبيران يدلَّان على سعة معارف صاحبهما طُبعا من سنة ١٧٦٠ الى ١٧٧٠ باللاتينيَّة والعربية — واشتهر منهم ايضاً في ڤينَّة عاصمة النمسا الخوري انطون عريضة الطرابلسي وعلَّم فيها اللغات الشرقية ولهُ من التآليف كتاب علم صرف العربيَّة ونحوها وضعهُ لتلامذتهِ في اللاتينية وطبعهُ سنة ١٨١٣ في ڤينَّة

وفي هذا النظر العموميّ كفايةٌ ليعرف القرَّاء حالة الدروس العربية في منتهى

---

١) اطلب ترجمتهُ وجدول تآليفهِ في برنامج اخويَّة القديس مارون للاديب يوسف افندي خطَّار غانم (ص ١٠٥–١١٣). اطلب ايضاً كتاب سفر الاخبار في سفَر الاحبار للخوري يوسف الدبس (٢٠٩–٢١١)

القرن الثامن عشر وانَّما يترتَّب علينا الآن ان نقتصَّ آثار الكتبة الذين زيَّنوا الآداب بحلية معارفهم واغنوها بثمرات اقلامهم ومصنَّفاتهم وانَّنا نقسم ذلك فصولًا ليسهل على المطالع تتبُّع التفاصيل التي نثبتها فيحرزها دون عناء ويعرف ما لكل كاتب من المزايا والاعمال

٣ الآداب العربيَّة في غرَّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٣٠

كان افتتاح القرن التاسع عشر في ايَّام السلطان الغازي سليم خان الثالث وكان من افضل ملوك عصرهِ دمث الاخلاق مغرمًا بالاداب محبًّا لترقية رعاياه في معارج الفلاح. ثمَّ صار الملك الى ابن اخيهِ السلطان مصطفى خان الرابع الذي لم يملك اكثر من سنة فضبط من بعدهِ سنة ١٨٠٨ زمام السلطنة اخوه محمود خان الثاني فطالت مدَّتهُ وكان كالسلطان سليم هائمًا بترقّي شعبهِ ساعيًا في اسباب نجاحهِ في فنون الآداب وللشاعر نقولا الترك قولهُ يوم جلوسهِ:

تولّى التخت سلطان البرايا وايَّدهُ الالهُ بمرتقاهُ
فصاح الكون لمَّا ارَّخوهُ نظام الملك محمودٌ جاهُ

ومن مساعي السلطانين سليم ومحمود المشكورة تعزيزهما لفنّ الطباعة في دار السعادة فطُبعت فيها عدَّة تآليف عربيَّة فضلًا عن المصنَّفات التركية. ويبلغ عدد المصنَّفات العربيَّة التي نُشرت بالطبع في هذه الثلاثين سنة نيِّفًا واربعين كتابًا كقاموس المحيط للفيروزابادي (١٨١٤) مع شرحهِ في التركيَّة وكحاشية السيلكوتي على مطوَّل التفتزاني (١٨١٢) ومراح الارواح لاحمد بن علي بن مسعود مع مجموع تآليف أُخرى نحويَّة وصرفيَّة (١٨١٨) وكافية ابن حاجب (١٨١٩) وغير ذلك ممَّا مرَّ لنا ذكرهُ في مقالتنا عن فنّ الطباعة في الاستانة (المشرق ٣: ١٧٤—١٧٩) وفي ملحق تاريخ تركيًّا للمؤرخ الالماني هامّر (J. de Hammer) جدول هذه المطبوعات كلها في ٩٧ عددًا (اطلب الجلد ١٤ ص ٤٩٢—٥٠٧). وكان الولاة يساعدون السلاطين العظام في ادراك غايتهم الشريفة في جهات المملكة كسليمان باشا في عكَّا ويوسف باشا كنج في دمشق وداود باشا في بغداد وغيرهم

وكذلك في مصر كان محمَّد علي باشا راغبًا في نشر المعارف فاستعاد الادوات الطبعيَّة التي كان الفرنسويّ مرسال اتَّخذها في ايَّام بوناپرت وانشأ مطبعة بولاق الشهيرة

سنة ١٨٢٢ وكان اوّل كتاب طُبع في تلك السنة قاموس ايطاليانيّ عربيّ وأُردف في السنة التالية بكتاب قانون صباغة الحرير. ومطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الخمسين في اللغات الثلاث العربيّة والتركيّة والفارسيّة (١ الّا انّ الكتب العربيّة المهمّة لم تُطبع الّا بعد هذه المدّة وانّما جُدّدت في الغالب المطبوعات المنشورة قبلًا في الاستانة

وما يُقال اجمالًا في هـذا القسم الاوّل من القرن التاسع عشر انّ الذين اشتهروا فيهِ كانوا ابنـاء انفسهم لم يتعلّموا في مدارس منظّمة بل نبغوا بشغلهم الخاصّ تحت نظارة بعض الافراد الذين سبقوهم في دواوين الكتابة ودوائر الانشاء

ونبتدئ هنا بذكر الكتَبة الذين خصّوا نفوسهم في تصنيف التاريخ فنقول: انحصر التاريخ بين ادباء المسلمين في بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم اصابع اليد فذكرنا منهم (ص ٢٤٤) الشيخين عبد الله الشرقاويّ وحسين ابن عبد الهادي. وممّن يضاف اليهما السيّد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشّاب المتوفى في ٢ ذي الحجّة سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) كان مولعًا بالدروس الادبيّة واخبر الجبرتي في تاريخهِ (٤: ٢٣٨) « انّ الفرنساويّة عيّنوهُ في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيهِ كلّ يوم لانّ القوم كان لهم مزيد اعتنـاء بضبط الحوادث اليوميّة في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثمّ يجمعون المتفرّق في ملخّص يُرفع في سجلّهم بعد ان يطبعوا منهُ نسخًا عديدة يوزّعونها في جميع الجيش حتّى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم. فلمّا رتّبوا ذلك الديوان كما ذُكر كان هو المتقيّد برقم كلّ ما يصدر في المجلس من امر او نهي او خطاب او جواب او خطأ أو صواب وقرّروا لهُ في كل شهر سبعة آلاف نصف فضّة فلم يزل متقيدًا في تلك الوظيفة مدّة ولاية عبدالله جاك منو (Menou) حتى ارتحلوا من الاقليم » فهذه كما ترى جريدة يوميّة وهي اوّل جريدة ظهرت في العربيّة وكان الجبرتي رأى منها عدّة كراريس. وذكر ايضًا لاسماعيل الخشّاب ديوان شعر صغير الحجم جمعهُ صديقهُ الشيخ حسن العطّار

واشهر من هؤلاء في التاريخ العلّامة عبدالله بن حسن الجبرتي وُلـد في مصر ١١٦٧ (١٧٥٣–١٧٥٤) كما ذكر في تاريخهِ (١: ٢٠٣) وروى هناك بعض ما حدث

(١) اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (Journ. As. 1843, II, 31–38)

لهُ في صباه وكان من طلبة الازهر . جعلهُ بوناپرت من كتبة الديوان فاحرز لهُ عند الجميع اسماً طيّباً . وانقطع الى الكتابة والتأليف . وفي آخر حياتهِ قُتل احد اولادهِ في حي شبرا فبكاهُ بكاء مرًّا افقدهُ البصر ولم يلبث ان تبعهُ في القبر . وقال كاتب فهرست مخطوطات المكتبة الخديويَّة (٥:٨٣) انهُ توفي مخنوقاً في رمضان سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) . وقد جعل المسيو هوارت في تاريخ الآداب العربيَّة (١ مولدهُ سنة ١٧٥٦ ووفاتهُ سنة ١٨٢٥ وفي كليهما غلط . اما تاريخهُ فيُدعى عجائب الآثار في التراجم والاخبار ضمّنهُ حوادث مصر التي جرت في اواخر القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر جارياً في ذلك على سياق السنين منذ فتوح السلطان الغازي سليم خان الاوَّل للقطر المصريّ الى غاية سنة ١٢٣٦ ذاكرًا للوقائع المعتبرة مع تراجم الاعيان المشهورين وقد ادخل فيهِ قسماً كبيرًا من تاريخ آخر وصف فيهِ وقائع بعثة بوناپرت الى مصر دعاهُ « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » كتبهُ سنة ١٢١٦ (١٨٠٢) . وتاريخ الجبرتي قد نُقل الى الفرنسيَّة منذ عهد قريب بهمّة بعض افاضل نصارى مصر وهم شفيق منصور بك وعبد العزيز كحيل بك وجبرائيل نقولا كحيل بك واسكندر بك عمون . وقد ترجم الفرنسوي كردين (A. Cardin) تأليفهُ الآخر مظهر التقديس •

وممَّن كُتبوا في التاريخ الشيخ ابو القاسم بن احمد الزيَّاني كان من عمَّال مراكش متوليًا على مدينة وجدة . ثمَّ اعتزل الاشغال في تلمسان وألَّف سنة ١٨١٣ كتاب الترجمان المعرَّب عن دُول المشرق والمغرب طبع منهُ الاستاذ هوداس (O. Houdas) الفرنسويّ قسماً منهُ يتناول تاريخ مراكش من السنة ١٦٣١ الى ١٨١٢ . والباقي لا يزال مخطوطاً . ولهُ كذلك كتاب البستان الظريف في دولة مولاي عليّ الشريف •

وللكتبة النصارى في هذه الاثناء بعض التواريخ يترتَّب علينا ذكر اصحابها . واوَّل من اشتهر في ذلك القس حنانيًا المنيّر احد رهبان الرهبانيَّة الحنَّاويَّة الشويريَّة . ولد المذكور في زوق مصبح سنة ١٧٥٧ . وترهَّب سنة ١٧٧٤ . اما بقيَّة اخبارهِ في الرهبانيَّة فلا نعلم منها شيئاً كما أنَّنا نجهل سنة وفاتهِ . وممَّا يظهر من مآثرهِ ومصنَّفاتهِ انهُ كان رجلًا اديباً كثير الاطّلاع سليم الذوق نشيطاً في جمع الآثار والاخبار عارفاً بفنون الكتابة يُحسن النثر والشعر . وكان ذلك نادرًا في زمانهِ . وقد نعت نفسهُ في كتابٍ لهُ

(١ اطلب (Ch. Huart: *Littérature arabe*, 415-416)

عن الدروز بالطبيب ما يدلّ على انهُ كان يتعاطى الطبّ . امّا اخصّ تآليفهِ فتاريخان الاوَّل مدنيّ سبق لنا وصفـهُ في المشرق (٤ : ٤٢٨ و ٩٧٢) وهو تاريخ الدرّ المرصوف في حوادث الشوف أثبتنا منـهُ مقدّمتهُ وبعض فقراتهِ . وهذا التأليف يتناول الوقائع التي جرت في لبنان من السنة ١١٠٩ هـ . (١٦١٧ م) عند ظهور الامراء الشهابيين الى السنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وهو يتّسع خصوصاً في حوادث الجبل والساحل في الاربعين السنة الاخيرة . وهذا التاريخ قد استفاد منهُ الامير حيدر الشهابيّ في تاريخهِ الشهير المعروف بالغرر الحسـان في تاريخ حوادث الزمان والشيخ طنّوس الشدياق في كتاب تاريخ الاعيان في جبل لبنان

أمّا التاريخ الثاني فهو تاريخ دينيّ قد جمع فيهِ المؤلف اخبار الرهبانيّة الحنّاويّة منذ اواسط القرن الثامن عشر الى نهاية السنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) . وليس هذا التاريخ كلـهُ دينيًّا فانَّ فيهِ ايضاً اموراً عديدة تختصّ باخبار الامراء واحوال لبنان وبلاد الشام والقطر المصريّ . والكتاب عبارة عن ٢٠٠ صفحة تقريباً وكلا التاريخين نادر قد امكنّا الحصول على نسخة منهما فاستنسخناهما لمكتبتنا الشرقيّـة . ولابن المنيّر ذلك من التآليف الشعريّة والادبيّة نذكرها في باب الأدب (لهُ بقيّة)

اثر جديد لأعمال القديس جرجس الشهيد

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كتبنا في المشرق (٦ : ٣٨٥ و ٥٢٦) مقالة عن القديس جرجس الشهيد العظيم في نسبة المئة الثالثة عشرة من استشهادهِ وقلنا هناك انَّ غاية مـا يُعرف من امر هذا القديس انهُ مات شهيدًا في عهد ديوقلطيانوس قيصر في اوائل القرن الرابع للمسيح . ثمَّ اثبتنا ملخَّص قصَّتهِ الشائعة في سورية وما بين النهرين وقتلهُ للتنين في بيروت . لكنَّ لهذا القديس قصَّة أُخرى مختلفـة جدًّا عمَّا روينا سابقًا تجدها مسطَّرةً في سنكسار الاقباط . ولهم في ذلك خطبة يتلونهـا يوم عيدهِ في ١٨ برمهات دوَّناها في المشرق (٦ : ٣٩٣) وفي هذه الخطبة اشارة الى عجائب ومعجزات كلها من الغرابة في مكان . وممَّا يجدر بنـا ذكرهُ انَّ القصَّة كما هي مزبورة في تلك الخطبة قد شاعت بين العرب فرواها احد قدمـاء مؤرخيهم المعدودين وهو ابن جرير الطبري في تاريخهِ

الرُسل والملوك (١: ٧٩٥—٨١٢) وكذلك رواها بتفاصيلها الثعلبيّ في كتاب قصص الانبياء المعروف بالعرائس (ص٣٧٧—٣٨٣) ثمَّ وقفنا على مخطوط اسلامي وقع في يدنا في هذه السنة عنوانهُ بغية السائلين في ٣٨ باباً يحتوي اخبار الرسل والانبياء لكاتب قديم لم يُذكر اسمهُ ففي الفصل ٢٥ منهُ قصَّة القديس جرجس ثثبتها هنا بحرفها الواحد ليعلم القرَّاء ما ابتدعهُ الكتبة القدماء تنويهاً بذكر ذلك الشهيد العظيم

« كان ملكٌ كافرٌ بارض الموصل وكان اسم ذلك الملك داديانة (١ وكان يدَّعي بعبادة الاصنام وكان قد صنع لهُ صنماً من الذهب الاحمر والجواهر واسم ذلك الصنم افلُون وهو من الجواهر والحبوب وقد لبَّسهُ من الحليّ والحلل وقد صنع على رأسهِ تاجاً من الذهب الاحمر . ولمَّا رقي الى سريرِ ملكهِ اخذ الصنم معهُ وجمع ذلك الملعون حطباً وأوقد ناراً فيها وجمَّع الخلق وقال : كلكم اسجدوا لافلون ومَن أبى منكم من السجود وزعم معبودًا غيرهُ أَلقيتهُ في هذه النار ليُحرق

« واما جرجيس فكان رجلًا من مدينة فلسطين وكان رجلًا تاجرًا وكان لهُ مال كثير فلمَّا وصل الى الموصل وقد عمد على هدية لاجل الملك داديانة حتى يكون لهُ عنده وجهٌ كان من قضاء الله وقدرته انَّ الملك داديانة كان قد جمَّع الخلق كما ذكرنا اوَّلًا وأوقد النيران . فقال جرجيس لواحدٍ من الخلق : مابال الخلق عاكفون عند الملك . فقصَّ عليهِ قصَّة الملك . فقال جرجيس عليهِ السلام في نفسهِ : هذا اليوم لا ينفع مال ولا بنون الَّا من أتى الله بقلبٍ سليم هذا الجهاد في طاعة الملك الجوَّاد اليوم ابذل نفسي في طاعة الله تعالى وأُخلّص الخلق من إِفك هذا الملعون الكافر وارضى بما يصنع بي هذا وأُرضي خالقي وعمد جرجيس الى امواله وفرَّقها على الفقراء والمساكين ودخل على الملك داديانة وقال : يا ملك ما هذا الذي قد صنعت وما تأمر عباد الله بهِ من الكفر وقد اخذتَ قطعة من الحجر في يدك وتقول للخلق : اسجدوا لهُ من دون الله . فان السجود لا ينبغي لاحدٍ الَّا لله عزَّ وجلَّ الذي خلق الليل والنهار والسموات والارض وما بينهما وهو خالق الخلق ورازقهم وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

« قال فلمَّا سمع الملك كلام جرجيس النبيّ اغتاظ وتغيَّر لونهُ واصفرَّ وجههُ وانعقد

---

١) داديانة امَّا دقيان او دقيوس وامَّا تصحيف دقلطيان وكلاهما من ملوك الروم لم يملكا على الموصل

لسانهُ فقال لجرجيس : مَن انتَ يا رجل ومن اين اتيت وما دينك ولمن تعبد ومَن الملك حتى تكلّمني بمثل هذا الكلام . ثمَّ امر بقبض جرجيس فقبضوهُ واحضروا العصيَّ ليضربوهُ وتركوهُ في سجن مظلم وأتوا باربعة مسامير من الحديد وسمّروا واحدًا في رجلهِ اليمنى وواحدًا في رجلهِ اليسرى وواحدًا في يدهِ اليمنى وواحدًا في يدهِ اليسرى وشدُّوهُ على لوح من خشب وضربوهُ بتلك العصي حتى هرئ جلدهُ على لحمهِ وهو لا يتغيَّر عن الحمد والثناء لربّ الآخرة والأُولى ثم قلعوا المسامير من الحديد فوضعوهُ في النار حتى ابيضَّ واحمرَّ ثم اخرجوهُ من النار وسمّروهُ في رأسهِ فذاب دماغهُ من ساعتهِ فسهَّل الله تعالى عليهِ ذلك العذاب

« فلمَّا رأى الناس ذلك من جرجيس ارتدَّ بعضهم عن عبادة الاصنام واقرُّوا بوحدانيَّة الله تعالى ثم شاع الخبر الى الملك فقال لهُ ارباب دولتهُ : ايها الملك اخرج جرجيس من هذا العذاب واحبسهُ في بعض المواضع الخِباب حيث لا يعلم احد والَّا تقع في هذا اليوم الفتنة بين الخلق والعامَّة ويقتلون بعضهم بعضًا فامر الملك بحبس جرجيس وامر السجَّان ان لا يطعمه ولا يسقيه فالقوا جرجيس في قعر جبّ واوثقوهُ وشدّوهُ والقوا عليهِ خشبةً عظيمةً وثقّلوا عليهِ حجارةً من الجبل حتى سُحق عظمه مع لحمه فلمَّا امسى عليهِ المساء ارسل الله اليهِ ملَكًا فشال الخشبة والثقل الذي عليهِ واتاهُ بشيءٍ من الطعام فاكل وأَنسهُ طول الليل فلمَّا اصبح الصباح اخذ بيدهِ واخرجهُ من السجن

« فقام جرجيس وسار نحوَ دار الملك وقال : يا ايها الملك ارفع عبادة الاصنام وادخل في طاعة الملك العلَّام . فقال الملك : يا جرجيس مَن اخرجك من السجن . قال : أخرجني خالق الليل والنهار ومُسير الفلك الدوَّار . فلمَّا سمع كلام جرجيس اغتاظ الملعون غيظًا شديدًا وأمر ان يُنحت لهُ لوحان من الخشب وسمَّروه فيهما والقوه على رأس جبل يحرّشون الكلاب عليهِ لتأكل لحمهُ وتهشّم عظامهُ وقيل قطّعوهُ اربًا اربًا في حال الحيوة والقوا لحمهُ للسباع لتأكله . فلمَّا اقبلت السباع نحوهُ بَصْبَصَت وولَّت على اعقابها مدبرةً ولم تأكل لهُ لحمًا ولم تشرب لهُ دمًا ولم تهشم لهُ عظمًا

« فلمَّا جنَّ عليهِ الليل ارسل الله اليهِ ملكًا فزال ما كان عليهِ من الثقل واتاهُ بطعام وشرابٍ وبشَّرهُ بالنبوَّة وقال أَبشر ولا تخف من هؤلاء فانَّهم يقتلونك اربع مرَّات والله عزَّ وجلَّ يحييك ويعيد الروح اليك . فلمَّا اصبح جرجيس سار الى دار الملك وقال :

ايهـا الملك اقرّ بالنبوّة الوحدانيّة لله تعالى فقال الملعون : كنتَ تدّعي بدعوةٍ وصارت اثنتين كنت عاصياً اوّل مرّة ثم صرتَ تدّعي بالولاية ثم ادّعيتَ ثانيـاً بالنبوّة ونظر نحوَ وزرائهِ وارباب دولتهِ وقال : ما يكون التدبيرِ مع قتلنا اياهُ وتسليطنا عليهِ السباع ثمّ احياه ربُّهُ وجاءنا يدّعي بالنبوّة . فنظر الوزراء بعضهم الى بعض وقالوا : بماذا نجاوب . فقام واحد من خواص الملك على قدميهِ ودعا للملك بما حضرهُ من دعائهِ وقال : مَن يسوّم بتسليم جرجيس اليّ حتى اعذبهُ واعدمهُ الحياة واخلّص الناس من مكره

ثمّ ان الملك سلّم جرجيس الى ذلك الشخص وقال : افعل معهُ ما شئت ولا تعودنّ بهِ الينا حيًّا . فقام الملعون وصنع لهُ من النحاس صورة العجل وجعل جوفهُ بطيئةٍ وحطّ في بطن ذلك العجل نفطاً وحطّ جرجيس في جوف العجـل وألقى في ذلك النّفط نارًا فخرجت روح جرجيس من جسده واحترق جسده وصار رمادًا . فلمّا امسى عليـهِ المساء ارسل الله اليهِ ملكاً واخذ تلك الصورة التي هي العجل ورفعهـا الى السماء ورماها على الارض فاهتزّت الارض وارتجفت بلاد الموصـل وتقلقلت جبالها وبُهت الناس وهلك خلق كثير وخرج جرجيس من جوف العجل حيًّا باذن الله تعالى الحيّ الذي لا يموت وقال : الله اكبر . وسار الى دار الملك فوجد قدّامهُ طعاماً يأكل فقال : يا ايّها الملك اقرّ بوحدانيّة الله تعالى وبنبوّتي فانت أضعف عباد الله . فقال الملك : يا جرجيس ان كنت صادقاً فيما تقول فادعُ ربّكَ ان يجعل اخشاب هذا الكرسي التي انا عليها وهذه الفاكهة التي آكل منهـا شجرًا اخضر كما كانت اوّل مرّة . فقال النبيّ جرجيس : انا مستحي من ربّي ولكن اسئاله ذلك لتقرّوا بوحدانيّة الله ولا تنكروا

ثمّ رمق بطرفه الى السماء ورفع بيديهِ الى الدعاء وقال : يا عالم السرّ والنجوى انت تعلم ما قد طلب مني هذا الكافر . فما فرغ جرجيس من دعائهِ الّا واخشاب الكرسي قد اخضرّت ثم ازهرت واثمرت وكلّ خشب انبتت ثمرتهـا باذن الله تعالى . فلمّا نظرت الكفّار الى ذلك تحيّرت عقولهم وانذهلت قلوبهم فاوحى الله تعالى الى جرجيس ان : أنذر القوم وأوعدهم بالجنّة والنار وان الله شديدُ العقاب وان الله غفور رحيم

فقام جرجيس من ساعته وانذر القوم بما أمر الله تعالى فقال الملك : يا جرجيس ان كنت نبيًّا صادقاً آمُركَ بشيء فان فعلت تكون صادقاً . فقال جرجيس : ومـا هو ذلك . فقال الملك : نخرج معك الى القبور فاحيِ لنـا زمرة منهم حتى يقرّوا بربّك

ويشهدون بنبوّتك · فقال: جرجيس انهُ قادر على ان يحيي الموتى من مشرق الشمس الى مغربها في طرفة عين ولم يعجزه شيء · · ثم قال: الهي يا حي يا قيّوم يا باعث الارواح بعد موتها انت تعلم بما قالوا · فما أتمّ كلامهُ ودعاءهُ خرج من التراب سبعة عشر نفرًا والتراب ينتفض عن رؤوسهم منهم عشرة رجال وخمس نسوان واثنان صبيان فخرجوا من قبورهم ونظروا نحوَ الملك وقالوا: يا ايها الملك اقرّ بوحدانيّة الله وبنبوّة جرجيس ونحن كنّا مثلك وعلى دينك ولكنّا شهدنا من العذاب والحساب ما شهدنا وما عاد الندم ينفعنا · فنظر الملك نحو جرجيس وقال: ما هذا الّا سحرٌ عظيم يا جرجيس

« وقالوا له: يا نبيّ الله انّ هؤلاء ما لهم في الدين نصيب بل يا نبيّ الله لنا اليك حاجة اقضها · قال جرجيس: وما هي حاجتكم · قالوا: ادع لنا ربّك ان يجعل لنا نصيبًا في دينك · قال لهم جرجيس: انتم خرجتم من الدّنيا بغير ايمان · قالوا: هو كذلك ولكن نريد ان نلقى معك الله يوم القيامة على الايمان · ثمّ انّ جرجيس عرض عليهم الدين فدانوا بهِ · ثم انّ جرجيس قال لاهل القبور: ادخلوا قبوركم باذن الله عزّ وجلّ · وآمن جماعة من اصحاب داديانة

« ثمّ انّ الملك نظر نحو مائة رجل وقال: ما تنظرون الى هذا الساحر كلّما جئناهُ في باب يخرج من باب آخر فما لنا الّا أن نُجوّعهُ حتى يموت من الجوع فانظروا في البلد مَن يكون فقيرًا فنحبسهُ عندهُ ونوصّيهِ ان لا يطعمه شيئًا الى ان يموت جرجيس من الجوع فنظروا في البلد فوجدوا عجوزًا فانيةً فقيرةً ولها ابن اعمى فسلّموا جرجيس اليها وحبسوه عندها ووصّوها عليهِ ان لا تطعمه شيئًا فاقام جرجيس في بيت العجوز ثلاثة ايّام · ثم قال: يا عجوز هل عندك شيء من الطعام · فقالت: منذ اتيتَ داري ما خرجتُ في طلب الطعام فمن اين لي طعام · فقال لها: ان دعوتُ ربّي ان يرزقكم شيئًا من الطعام ويفتح عينَ ولدكِ بعد العمى فهل تدخلين في ديني · قالت العجوز: نعم · وكانت الدنيا وقت الغروب وكان في بيت العجوز شجرة يابسة لها عدة سبع سنين فدعا جرجيس ربّهُ فاخضرّت · واورقت من ساعتها باذن القادر ونبت فيها من كل ثمرة خلقها الله تعالى على وجه الارض وفُتحت عين ولدها بعد ما كان اعمى فصار جرجيس والعجوز وابنها يأكلون من الفاكهة التي انبتتها تلك الشجرة · فوصل الخبر الى الملك فاغتاظ الملك غيظًا عظيمًا واتى الى دار العجوز وشدّوه بين لوحين من حديد وسمّروهُ بمسامير من حديد طوال وركّبوا

المناشير على امّ رأسهِ ونشروهُ حتى صار شقَّين وجعلوا كل شقَّة في موضع وقطعوا لحمهُ وصار لحمهُ كُبَبًا ثم رموا على لحمهِ نارًا فاحترق وصار رمادًا

« فلمَّا امسى المساء ارسل الله اليهِ ملكًا فأحياهُ باذن الله تعالى وقال: سِر نحوَ الملك. فسار جرجيس الى دار الملك والملك كان قد زيَّن البلد والسوقات وبشَّر الخلائق بخلاصهم من جرجيس فاذا جرجيس داخل من باب دار الملك فرآهُ بعض اصحاب الملك فقال: يا ملك قد جاء جرجيس. فدخل على الملك وقال: يا داديانة اترك عبادة الاصنام واعبد الواحد العلّام. فقال الملك: ما تنظرون الى هذا الساحر وقد ابتُلينا بهِ وقال: يا جرجيس قد بقي حاجة واحدة فان عملت بها عززتُك واكرمتك وارسلتك الى بلدك. قال جرجيس: ما هي. قال: غدًا نعمل ديوان ونجمع الخلق كلهم تقوم وتسجد لافلُون سجدةً فاذا سجدتَ لـهُ انا ادخل في دينك واقرّ بسعادتهِ. فقال: يا أيها الملك عليَّ بافلون حتى انظر اليهِ. فظنَّ الملك انَّ جرجيس قد صبا اليهِ فقال: هذه الليلة كن في ضيافتي. وقال جرجيس: يكون ذلك. فذهب جرجيس الى دار الملك واخرج لهُ شيئًا من الطعام فاكل ثم نام الملك فقامَ جرجيس وصلَّى ركعتين يقرأ فيهما الانجيل. فلمَّا سمعت زوجة الملك قراءة الانجيل ادركتها السعادة ورقَّ قلبها وآمنت من وقتهـا وآمن كل مَن كان حاضرًا عندها غير الملك

« فلمَّا اصبح الصباح قالت زوجـة الملك: يا ملك ادخل في دين الله وأقرَّ بنبوَّة جرجيس واترك عبادة الصنم افلُون فانَّ جرجيس على الحقّ وانا آمنتُ ودخلتُ في دينهِ. فلمَّا سمع الملك كلامَها غضب عليها غضبًا شديدًا وقال لها: يا اسكندرة لهُ عندي منذ كذا وكذا يومًا يأمرني بذلك فما استطاع ان يزيحني عن ديني فانتِ في ليلة واحدة ضللتِ ودخلتِ في دينهِ. قالت: هذا من سعادتي وذلك من شؤمك وشقاوتك. فامر الملك ان يقطّعوا زوجتهُ اربع قطع وامر بقتل مَن حضر تلك الليلة في دارهِ وآمن معها. وامر باحضار الاصنام التي هي آلهتهم واحضروا ايضًا كبيرهم افلُون وهو مصنوع من الذهب والفضَّة وأجلسَ الاصنـام عندهُ على السرير الذي لهُ ووضع على رأس افلون تاجًا من الجوهر الغالي واقام تلك الاصنام قباله وقال لهم: يا أيها الاصنام اسجدوا لربّي وربكم افلُون. وقال: يا جرجيس اسجد الآن لربّي افلون حتى ادخل في دينك. فسكت جرجيس ساعة وقام قائمًا على قدميهِ ودقَّ برجليهِ الارض فغابت الاصنام فيهـا باجمعها باذن الله

تعالى وخرج ذلك الشيطان الذي كان يدخل في جوف ذلك الصنم ويتكلّم من جوفهِ مع الملك فقبض عليهِ جرجيس ولزم جرجيس ذلك الشيطان وقال لـهُ: يا ملعون الى كم تضلّ خلق الله تعالى عزّ وجلّ. واخذ جرجيس على ذلك الشيطان العهد الى يوم القيامة ان لا يدخل في جوف صنم قط

« فغضب الملك غضباً شديداً لمّا رأى تلك الاحوال وقال: اعطوني السيف حتى اقتل جرجيس واقطّعهُ قطعاً. فلمّا ايقن جرجيس بالغضب وقد اوعدهُ جبرائيل ان الملك يقتلهُ ويخرج روحهُ من جسده اربع مرّات وكانت هذه المرّة تمام الاربع علم انـهُ ان خرجت روحهُ لن تعود الى جسدهِ مرّةً أخرى فرمق بطرفهِ الى السماء وقال: اللهمَّ ربّي قبلَ موتي ما تصنع بهؤلاء الكفّار وكيف تريد تهلكهم فما استتمَّ كلامهُ الّا واقبلت سحابة حمراء فامطرت على تلك البلدة نارًا فأحرقت الكفّار في ساعة واحدة باذن الله سبحانهُ وتعالى» . اه

فهذه القصّة مع كثرة ما ورد فيها من العجائب الغريبة التي رويناها على علّاتها لم تُشر البتّة الى التنّين وكذلك الخطبة القبطيّة التي ذكرناها سابقاً وفي هذا السكوت دليل على انّ الرواية محلّيّة لم تُعرف في غير جهات فلسطين والشام. والقبط يروون قصّة التنّين لاحد شهدائهم المسمّى القديس تادروس ويذكرون مثلها للقديس مركوريوس الشهيد (١

زنبقة أيّار

للاخ بطرس سارة الراهب اللبنانيّ

أيا زنبق الوادي عليك بذا الحمى تحيّتي اهديها اذا الريح نسّما
بحقّك مـا بالُ الرياض تبرّجت وتخفق في أعلامُ السرور تنغّما
لِمَ القبّة الزرقاء تزهر سُرجها تضيء الى الساري اذا الليل أظلما
علامَ اغاريد الطيور تناوبت ومالي ارى الارضين تضحك والسما

---

١) اطلب بحثاً للمسيو اميلينو في شهادة القديس جرجس في القبطيّة وبحثاً ثانياً للاب ثرستون اليسوعي

Etude critique sur le martyre de St. Georges d'après le texte Copte (**Les actes des Martyrs Coptes**, par Mr AMÉLINEAU, pp. 241-572) — *Voir aussi* R. P. Thurston : **St George** (Month, *April*, 1892)

ويفترُّ ثغر الكون والارض ترتدي وشاحًا من الزهر الجميل منمنما
كأني بها اقمار روض تفتّحت فهبّت من الاكمام تشبه انجما
تفاخر اقمار السماء بوردها وفي وَجنات الورد نورٌ تضرّما
وقطار الندى في أكؤسِ الزهر لؤلؤ تجود بهِ عين الغمام تكرُّما
يفيض على الغبراء كالدرِّ دمعهُ ليكسوَها ثوبَ الفاخر مُعلما
فقام مليك الربع يزهو جمالهُ على سائر الازهار في حسنهِ سما
مجيبًا على سؤلي وبالعيد معجبًا وفي وجههِ الوضاح ثغرٌ تبسّما
« هو عيدنا يا صاح ان كنت جاهلًا ألا انظر فهاك الطيرُ قام مرنّما
« هو شهر مرآة الطهارة امّنا فان لها في شهر أيار موسما
« بمنحةِ كفّيها ولثم يمينها قد ابيضَّ مني الوجه والاصل قد نما
« فهذا هو سرّ الحبور بذا الحمى » فلمَّا اتمّ الزنبقُ القول مُنعما
توارى بوسط الغاب ينشر عرفهُ تفوح بذاك العرف عفّةٌ مريما
فقمتُ اجاري الزهر في سرّ عيدهِ واحنيتُ رأسًا للبتول مسلّما
عليكِ سلامُ الله من ملك السما أيا مريم البكر المفيضة أنعما
سلامٌ بهِ جبريلُ وافاكِ قائلًا عليكِ غمام الروح حلَّ وخيّما
سلامٌ عليكِ الربّ فيكِ ولم يزل مطيعًا تناديهِ يجيب: مُري بما...
مباركةٌ بين النسا ومباركٌ الهٌ غدا ضمن الحشا متجسما
سلامٌ أيا فخر الانام ومجدَهم ويا زهرة الارضين سُرّت بها السما
سلامٌ ايا عرش الإلهِ وبكرَهُ ويا مَن ولدتِ النور لمّا تنسّما
سلامٌ ايا نجم السماء وشمسها فبدَّد اركون الظلام فدمدما
سلامٌ ايا شمس الحقيقة والهدى بنوركِ اضحى المرء يومًا معظّما
سلامٌ أيا عذرا ويا امّ ربّها ويا آيةً عنها النبيُّ تكلّما
سلامٌ أيا اعجوبة الدين والدُّنى عجائبها جرّت الى الناس مغنما
سلامٌ أيا امّاهُ يا زنبق التقى ويا من غدت للطهر في الكون معلما
عليكِ سلام الله ما ذرَّ شارقٌ وما بزغت شمس اهبُّ مسلّما
وان حلّ بي خطبٌ اتيتكِ طالبًا وفيكِ غدوت العمرَ يا بكر مغرما

المتاحف واصلها

نبذة للاب لويس جلابرت مدرّس الاثار الرومانيّة واليونانيّة في المكتب الشرقي

سُررنا بما كتبهُ حضرة الاب انستاس الكرملي في عدد سابق في « اوَّل متحفة للهوامّ والحشرات انشاؤها عربيّ » فافادنا المكاتب الفاضل عمَّا عاناهُ احد وزراء القرن الرابع للهجرة ابو الفضل جعفر بن الفضل الشهير المعروف بابن حنزابه لانشاء متحفةٍ جمع فيها عددًا من الهوامّ والحشرات لاسيَّما الافاعي والحيَّات والعقارب وما شاكلها . وهي فائدة تُذكَر فتشكَر . لكنَّ حضرة الاب بنى على هذا النصّ الذي وجدهُ عمارةً شاهقة لا يقوى على حملها الاساس الذي وضعهُ . وغاية ما امكنهُ ان يستنتج منهُ ان احد العرب كان هائمًا بحبّ الحشرات فجمع منها عددًا وافرًا كان يتلهَّى بالنظر اليها ويقضي الساعات في النظر الى حركاتها ودرس طبائعها

ولكن يا تُرى اين هـذا من المتاحف التي انشأتها الدول او الجمعيَّات او بعض الخواصّ في كل فنون العلوم وضروب المعارف . ومن شروط المتاحف أن تكون لفائدة العموم فيسوغ لكل طالب علم ان يأتيها كلَّ ما شاء فيدرس المعروضات ويقابل بينهـا ويرسم صورها ويتَّخذها كمادَّةٍ لدروسهِ واساسٍ لابحاثهِ . امَّا مجموعة ابن حنزابة فكانت مجموعةً خاصَّة لا يستفيد منها غيرهُ ولعلَّ صاحبها ما كان يبغي منها سوى ترويح الفكر في اوقات الفراغ وتسريح النظر بمشاهدة بعض غرائب الحيوان . اما العموم فما كان ليقدم عليها بل كان يأنف من رؤيتها كما ترى من جواب ابن المدبّر لابن حنزابة (ص ٣٤٥)

ثم ان هذه المتحفة التي سعى بجمعها ابن حنزابة كانت محصورة في بعض الحشرات السامَّة خاصَّةً لاسيما العجيب من اجناس الحيَّات والكبار منها ولم يُذكر انَّ جامعها اتى بغير الاجناس المصريَّة . وشتَّان بين هذا المجموع والمجموعات التي يحصّلها ارباب العلم بعد العناء الطويل لا من بلد واحد بل من كلّ البلاد لتتمّ فائدة المقابلة . فانَّ الاوربيين اليوم لم يتركوا فنًّا واحدًا او ضربًا من العلوم الطبيعيَّة وغيرها الَّا صرفوا المبالغ ليحرزوا كلّ ما وُضع في جميع الاقطار من متعلّقات ذلك الفنّ او ذلك العلم . وقد بلغ عدد هذه المتاحف ما لا يُحصى عدًا . مثالهُ متحفة الببغاوات في ڤيئَّة فانَّ هناك منها مجموعًا يحتوي على المئين منهـا في انواع والوان واصوات غريبة عجيبة . ومتحفة الفَرَاش

(papillons) للاب دي جوانيس اليسوعيّ في باريس يحتوي الألوف المؤلفة من ضروب الفراش الزاهية الالوان العجيبة الاشكال ومنها ما يساوي لندرتهِ مائة فرنك واكثر. وكذا قُلْ عن متحف البسط والطنافس والسجّادات في باريس (les Gobelins) وعن مجموع اصناف النخل التي يتكلّف عليها امبراطور النمسا نحو مليونين فرنك في السنة

وزد على ذلك انّ متحفة ابن حزابة تلفت بعد موتهِ فلم نجد لها اثرًا بعد هذا امّا المتاحف فيقوم باعمالها ولوازمها غالبًا جمعيات يزيدونها ثروةً وتحسينًا بعد منشئيها

هذا ما عنّ لنا من الملحوظات في مقالــة حضرة الاب انستاس ولا نقول ذلك بخسًا بفضل العرب ولكن قيامًا بواجبات الحقّ وتنشيطًا لحضرتهِ او لغيرهِ ايضًا ليزيدوا بحثًا في هذا الامر ويجدوا ما هو اثبت لبيان المقصود من اهتمام العرب بجمع المتاحف. وانّا نحن لا نشكّ انّ بعض الدول العربيَّة اهتمَّت بمثل هذه المجاميع الفنيّة او العلميّة او الطبيعيَّة فمنها ما كانت للعلوم ومنها ما كانت لرونق الدولة ولحاجات الملك. وناهيك ما ورد من ذلك في تآليف ابن الطوير والقزوينيّ والقلقشندي والمقريزيّ. وهم يدعون الدور الجامعة لهذه التُّحف بالخزائن منهــا خزائن الكتب الجامعة لضروب التآليف (المشرق ٨: ٩٢٦) وخزائن الجوهر والطيب والطرائف (خطط المقريزي ١: ٤١٤). وخزائن الفرش والامتعة (١: ٤١٦) وخزائن السلاح (٤١٧) وخزائن السروج والخيم (٤١٨) والبنود (٤٢٣) والاصطبلات وغير ذلك ممَّا يأخذ وصفــهُ بمجامع القلوب فلا يشكّ القارئ بان كل خزانة منها كمتحفة لا ينقصها شيء من غنى المتاحف وتوفر اجناس محتوياتها. فهاكَ مثالًا من ذلك ممَّا نقلهُ المقريزي عن كتاب الذخائر في خزائن الخيم

قال أُخرج فيما أُخرج من خزائن القصر عدَّة لم تُحصى من أعدال الخيم والمضارب والفازات والمسطَّحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديبقيّ والخمل والخسروانيّ والديباج الملكيّ والارمنيّ والبهنساويّ والكردوانيّ والجيّد من الحلبيّ ومــا اشبه ذلك من سائر الوانهِ وانواعهِ ومن السندس والطميم ايضًا منهُ المفيَّل والمسبَّع والخيَّل والمطوَّس ومن سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنهــا الساذج والمنقوش في ظاهرهِ بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الاعمدة الملبَّسة انابيب الفضّــة والثياب المذهَّبة والنير المذهّبة من سائر انواعها والواحا والصفريّات الفضّة على اقدارها والحبال الملبَّسة القطن والحرير والاوتاد وسائر ما يحتاج اليهِ من جميع آلاتها. . .

وما يقال في هذه الخزائن يصحّ ايضًا في الزهور والنباتات والاعشاب. وليت شعري

أيصدَّق انَّ الخلفاء والاعيان حُرموا من الحدائق الجامعة لاصناف الزهور الحافلة بضروب الاشجار تنمو فيهـا النباتات بأشكالها . وعلى كلّ كيف امكن ابن العوَّام ان يصنّف كتابهُ في الفلاحة ان لم يقف على ضروب المزدرعات او كيف قدر ابن البيطـار ان يصف المفردات لو لم يعرفها فلا ريب انهما وجدا متحفةً نباتية جامعـة انواع النباتات والاشجار فاستطاعا ان يصفا ماهيَّاتها وقواها ومنافعها ومضارّها . ومما يؤيد ذلك انَّ بعض الطبيعيين عُرفوا عند العرب باسم النباتيّ والعشّاب كضياء الدين ابي محمّد عبد الله بن احمد الملقي وكأبي العبَّاس الغافقيّ لاشتغـالهم بجمع شتات النبات وكذا يُقال عن الدميري لوصف لشكال الحيوان . غير أنَّنا لا نعلم من امر المتاحف التي كانت فيها هذه النباتات والحشائش وضروب الحيوان الَّا الزهيد اليسير فعسى احد الادباء يطَّلع على شيء من ذلك فيفيدنا عنهُ ما اصاب

ومع اقرارنا بفضـل العرب في هذا الباب لا يمكنَّا ان نسلّم بقول حضرة الاب انستاس بانهم سبقوا من سواهم الى ذلك . وها نحن ندوّن هنا بعض ما نعلم من امر المتاحف عند القدماء ليتحقَّق القرَّاء انَّ القدماء انفسهم لم تَفتُهم منفعة جمع الطرائف من كلّ المواليد الطبيعيَّة ومن المصنوعات البشريَّة ولعل اوَّل واعظم متحفة للحيوان ورد ذكرها في اقدم تاريخ العالم انَّما هي سفينة نوح اذ جمعت من البهائم والحشرات ما لم تحوهِ متحفةٌ في العالم . ثم امتازت بالمتاحف اممٌ جليلة كاليونان وقدمـاء المصريين والرومان . وكانت هيا كلهم من اعظم المتاحف وابدعها يجمع فيها السدنة ما يقدّمهُ عبَّادها من التقادم وكانت هذه التقادم تُعرض في باحات الهيكل وفي اروقتهِ بنظام واتقان بحيث تروق العين الى نظرها

والاثريون وجدوا من هذه الذخائر القديمة ما لا يكاد يفي بـهِ احصاء فمن ذلك اوعيـة وادوات وآنية كانوا يستعملونها في الذبائح والمناسك الدينيّة كالأكأة والمزاهر والقماقم ومجامر البخور واكثرها بالذهب الابريز او بالفضة الخالصة وهي منقورة عليهـا التصاوير والنقوش البهيَّة

ومنها الحليّ والمصوغات كالأسوار والخواتم والقلائد والخلاخل وحُقَق العـاج والمراوح واجناس الحرائر والاقمشة كانوا يحلّون بها تماثيل الآلهة في حفلات الاعياد

ومنها الاعمال النقشيَّة والحفريَّة كالحجارة الكريمة والتماثيل والدُّمى والتصاوير من

اعمـــال كبار المصوّرين والنحّاتين يتّخذون لها الرخام والحجر المحبَّب والشبَه والذهب والفضّة

ومنها ادوات الصنائع والاسلحة كالخُوَذ والتروس والاقواس والجعَب والمغازل

ومنها ضروب النقود على اختلاف انواعها وازمنتها ·

وكانت كل هذه الجاميع الثمينة تُعرض على صورة رائعــة بكل هندام · وكان سدَنة الهياكل يضبطون قوائمها لئلّا يُفقد منها شي٠ · وبعض هذه القوائم قد كُتبت على جدران الهياكل ومنها ما يستوعب صفحات كاملة ومئين من السطور مع ذكر اسم مهديها وثمن كل تحفة · امّا تاريخها فيتراوح بين القرن الخامس والقرن الثاني قبل المسيح

فترى انّ هذه المجموعات يمكنها ان تُحسب كمتاحف عموميّة الّا انّها كانت متاحف دينيّة · وكان للقدماء مـــا عداها مجموعات أُخرى تخصّ الملوك او البلديّات يعرضونها في النوادي العموميّة يرتادها الزوّار من الوطنيين والاجانب امّا لغاية عاميّة واما لترويح البال

فمن ذلك ردهةٌ كبيرة كانت في اعالي مدينة اثينــة يدعونها خزانة التصاوير (Pinacothèque) اودعوا فيهـــا عددًا وافرًا من صُور ارباب التصوير وقد وصف الجغرافي پوسانياس الردهة المذكورة مع ما فيها من الطرائف الجليلة

وكذلك في مدينة پرغامة كان الملوك المعروفون باسم أتال انشأوا ناديًا واسعًا بنوهُ على مقربة من مكتبتهم الشهيرة · وجعلوا فيهِ متحفًا للصور والتماثيل جمعوهـــا من كلّ انحاء البلاد وصرفوا عليهـــا المبالغ الطائلة قيل انّ أتال الثاني اشترى صورةً للمصوّر ارستيدس كانت تمثّــل الإله باخوس بمبلغ ١٠٠ وزنة اعني بما يساوي من نقودنا ٧٥٠,٠٠٠ فرنك · وكانوا اذا لم يمكنهم الحصول على الصور الاصليّة يرسلون مصوّرين او نقّاشين ليأخذوا صورة الرسم او التمثال الاصليّ · وقد وجدوا كتابة في دلفي يُستفاد منها انّ ملك پرغامة كان ارسل مصوّرَين لنَسخ تصاوير پوليغنوتس المصوّر

وكانت المدافن المصريّة لاسيما الملوكيّة عبارة عن متاحف يجمعون فيها كلّ اصناف الجواهر والادوات والتماثيل حتّى انّ العقـــل يبقى في حيرة واندهال من ثروة تلك الطرائف واشكالها وألوانها · وقـــد وصف حضرة الاب مالون شيئًا من تلك الخبايا المكتشفة حديثًا (اطلب المشرق ٨: ١٤٥، ٢٢٨، ٣٢١) · فليت شعري ايّ متحف يجمع اليوم كتلك الآثار التي وُجدت في الكرنك وثيبة (ص ٢٣٠—٢٣٣) · فانّهم

في مخبأٍ واحدة وجدوا ٨٠٠٠ تمثال للاله اوزيريس ما خلا ٤٥٠ تمثالاً غيرها وقس على ذلك بقيَّة الآثار الموصوفة هناك

ولمَّا صار ملك العالم في يد الرومان جروا على اعقاب اليونان في جمع الآثار القديمة لاسيما اعمال الصناعة والتصاوير والدُّمى حتى انَّ الشاعر هوراس ينسب الى صنف من الجنون حبَّ بعض مواطنيهِ للآثار والتماثيل (Insanit veteres statuas Damasip-pus emendo) ومثلهُ قول سنيكا (circa tabulas et statuas insanimus) وقد جاءت آثار بمپاي موءيدة لهذا القول لكثرة ما وجدوا في بيوت اعيانها من الملح والطرائف وكان الذوات من الرومان كيمپيوس ويوليوس قيصر لم يكتفوا بان يزينوا قصورهم باشكال التُّحف بل انشأوا متاحف عموميَّة يزورها كلّ من شاء ويتمتَّع بنظرها

وما نقولهُ عن الآثار الصناعيَّة يصدق ايضاً في مجموعات أُخرى طبيعيَّة كالنباتات والحيوانات . فانَّ دار التُّحف التي انشأها البطالسة في الاسكندريَّة لم تشمل فقط التصاوير والمصوغات بل كانت ايضاً تحتوي على حديقة غنَّاء فيها من النباتات والزهور والاشجار اعزّها وابهاها جمعوها من كل انحاء المعمور . وكان هناك قاعات رحبة فيها كلّ الادوات الجراحيَّة والآلات الطبيَّة والرسوم المُعينة على درس التشريح . وكذلك كانوا خصُّوا قسماً من تلك الابنية للحيوانات الغريبة الشكل التي كانوا يجلبونها من اقاصي البلاد . واخبر سترابون الجغرافيّ (ك ١٧ ص ٧٦٤) انَّ البطالسة كانوا جعلوا رواتب للعلماء ولبعض الدارسين لينقطعوا الى درس التاريخ الطبيعي في تلك الحدائق . ومما يروى عن الرومان انَّهم كانوا يوفدون الوفود الى البلاد البعيدة ليجمعوا ضروب الحيوانات العزيزة الوجود لاسيما السباع فيعرضونها على مرأى الجمهور او يتَّخذونها للالعاب العموميَّة

فناشدتك الله اين كلّ هذه المتاحف من مجموعة ابن حترابه ؟ ولا يظنَّ القارئ انَّ هذه مباني التُّحف أُبطلت بسقوط الدولة الرومانيَّة فان ملوك الروم حفظوا كثيراً من هذه عادات اليونان والرومان فجمعوا في قصورهم ضروباً من محاسن المصنوعات وغيرها كانت عندهم بمثابة المتاحف الحاليَّة

وكذلك الاحبار الرومانيون كانوا جمعوا في جوار مقامهم ضروباً من المآثر الدينيَّة والهبات السنيَّة كان المسيحيُّون يرسلونها اليهم من اطراف المعمور فرُصدت لها الحُجَر

الخاصّة وكانت تُعرَف هذه التحف بكنز القديس بطرس

ولمّا قامت دول الفرنج في القرون الوسطى كانت لكل دولة خزائن مختلفة كما ذكر المقريزيّ لدول الشرق وإن لم تكن هذه الخزائن في حصر القول متاحف عاميّة. الّا انّ الكتبة قد افادونا انّ الاديرة الكبيرة والكنائس العظيمة كانت تحتوي في الغالب مجاميع ثمينة من آثار ومصوغات وآنية وجواهر كريمة كانت تزداد يوماً بعد يوم من كرم المحسنين حتى صارت بمثابة خزائن الطرائف . ثمّ نُقلت هذه المجاميع بعدئذٍ الى المتاحف العموميّة وهي حتى اليوم قسمها الافضل

فهذه لمعةٌ وجيزة عن المتاحف واصلها لم يمكنّا الاتّساع فيها لضيق المكان وانّما جعلناها كملحق لمقالة حضرة الاب انستاس وكتتمّة لها

مطبوعات شرقية جديدة

Il Nasib nella Qasida Araba per **I. Guidi** (Extrait des Actes de XIV^e Congrès des Orientalistes)

النسيب في الشعر العربيّ

هي نبذة حسنة في اللغة الايطاليّة قدّمها المستشرق الايطاليّ المتفنن الاستاذ اغناطيوس غويدي لمؤتمر المستشرقين الاخير الذي عُقد في الجزائر. مدارها على مطلع القصائد العربية التي تُفتتح في الغالب بالنسب والتغزُّل . وقد بحث جناب الكاتب عن اصل النسيب وقدمهِ وشيوعهِ ليس فقط عند العرب لكن عند غيرهم ايضاً من الشعوب لاسيا قدماء اليونان. فاثاب الله الدكتور غويدي الذي لهُ اليد الطولى في كلّ الابحاث الشرقيّة مع تباين مواضيعها واختلاف مضامينها لا يفوتهُ منها شيء. ل. ش

LEIPZIGER SEMITISCHE STUDIEN II: 1. Assyrisch-Babylonische Briefe kultischen Inhalts aus der Sargonidenzeit, von **E. Behrens**; 2 Bilder u. Symbole babylonisch-assyrischerGoetter, von **K. Frank**, nebst einem Beitrag über die Goettersymbole des Nazimaruttas-Kudurru, von **H. Zimmern**. *Hinrichs,* 1906. 124+44 pp. *illustr.*

دروس ساميّة لبعض اساتذة ليبسيك (المجلّد الثاني)

في وصفٍ سابق (المشرق ٩ : ١٨٥) بيّنّا للقرّاء غاية هذه الدروس والافاضل المهتمين بنشرها . واليوم قد وافانا من مجلّدها الثاني قسمان يحتويان ابحاثاً في اديان البابليين

والاشوريين. فالقسم الاوَّل تولَّى نشرهُ الاستاذ بِهْرنس (E. Behrens) ضمَّنهُ عدَّة رسائل بابليَّة راقية الى عهد سرغون وسلالتهِ واستخلص منها الفوائد التي من شأنها ان توضح احوال الدين في عهد البابليين وهناك نصوصٌ شتَّى وردت في مكاتبات الخاصَّة ورسائل الافراد تصف الطرائق الدينيَّة بنوع حتّي بدون تصنُّع. وقد بيَّن المسيو بهرنس انَّ هذه المقاطيع الدينيَّة افضل من درس اسماء الأعلام لتعريف ديانة البابليين. لما يطرأ على الأعلام من الطوارئ المختلفة فتدلُّ في اوَّل امرها على اثرٍ دينيّ ثمَّ تشيع فتبطل دلالتها ولا يعود المعنى الاوَّل يصلح لها بتمادي الزمان — امَّا القسم الثاني فهو للمسيو فرنك (K. Frank) مدارهُ على سلسلة انساب الآلهة البابلية وتبويبها وما بينها من العلاقة وما لكل إله من الرموز والشارات الدالَّة عليهِ دون غيرهِ. وقد صنع ذلك بدقَّة عجيبة فلا نظنّ انَّ احدًا من العلماء ينبذ المعلومات التي توصَّل اليها بدرس تلك الآثار الَّا انَّنا كنَّا نودّ لو توسَّع في هذا الموضوع ودرس ايضًا الاساطين (cylindres) البابلية التي ضمَّنها القدماء معلومات غاية في الافادة عن التاريخ الديني. ولهذا القسم ملحقٌ للمسيو تسمَّرن (M. Zimmern) في وصف ميلٍ بابليّ وجدوا مرقومًا عليهِ شارات دينية مع شروح حسنة وهذا الميل قد اكتشفتهُ البعثة الفرنسويَّة في شوشن. فترى ما نستفيد كلَّ يوم من الاكتشافات البابليَّة لتعريف احوال الدين في بابل ولا شكّ انَّنا نستطيع بعد قليل أن نتحقَّق ما كان من الفرق العظيم بين ديانات الامم المشركة وديانة شعب الله المختار

س. ر

R. P. P. Dhorme, O. P. **Choix de textes religieux assyro-babyloniens** : transcription, traduction, commentaire. *Lecoffre*, 1907, *XXXVII*- 406 pp., gr. 8° (Collection « Etudes bibliques »).

نخبة نصوص اشوريَّة بابليَّة مع تمثيل لفظها وشرحها

انَّ الترقّي العجيب الذي بلغتهُ الدروس البابليَّة في عهدنا قد حدا باحد افاضل الاباء الدومنكيين حضرة الاب دورم ان يجمع في كتاب مدرسيّ نصوصًا جمَّة في دين البابليين وعباداتهم يتَّخذها طلبة المدارس الاكليريكيَّة كدستور تعليميّ. ومن يعمل النظر في هذا المجموع يتحقَّق بان صاحبهُ اصاب فيهِ المرمى ولا عجب فانهُ تلميذ العلَّامة الاب شَيْل الطائر الشهرة في معرفة الآثار البابليَّة ومدرّس اللغة الاشوريَّة في مكتب باريس العلميّ. وممَّا يُستَحسن في هذه المنتخبات انَّ حضرة جامعها سردها

سردًا حسنًا بحيث يتّضح من ترتيبها ما كان يعتقدهُ البابليُّون في امر الخليقة والطوفان والخطيئة الجدّية وانتشار الجنس البشري وغير ذلك من الحقائق التي ورد ذكرها في اسفار موسى فيستطيع الدارس ان يقابل بين معتقدات اهل بابل واشور ومعتقدات بني اسرائيل فيرى وجوه التوافق والتباين بينها . ولم يكتفِ حضرة الاب دورم ان ينسّق هذه النصوص ويضبطها بل ألحقها بصورتها اللفظيّة بالحرف الاوربيّ ثمَّ نقلهـا الى الفرنسويّة وذيَّلها بشروح وفوائد لغويّة وغير ذلك من الملحوظات التي تذلّل العقبات للطلبة وتقرّب اليهم درس لغة بابل . وخلاصة القول انَّ هذا المجموع الجديـد سوف يؤدي للدارسين الاكليريكيين خدماً متعدّدة سواء كان للابحاث الكتابيّة او لاتقان اللهجة البابليّة . وهو يفوق على كلّ ما ابرزهُ سابقًا العلماء الكاثوليك كالاب ڤكورو في كتابهِ « التوراة والاكتشافات الحديثة » . وكذلك يفضل على مجموع المستشرق ڤنكلر الذي اختصَّهُ جامعةُ بالنصوص التاريخيَّة غالبًا (١ . ونحن نتمنَّى لهذا الكتاب رواجاً وانتشارًا ليستطيع مؤلفهُ ان يزيدهُ اصلاحًا وتحسينًا ويستفيد من النصوص الجديدة التي يستخرجها الاثريون كلّ يوم من بطن الارض بعـد رقادها بالوفٍ من السنين . ولهذا الكتاب مقدَّمة طويلة حقيقـة بالثناء اودعها حضرة الاب نظرًا عموميًا في ديانة البابليين

O. Weber : **Die Literatur der Babylonier und Assyrer.** *Hinrichs,* 1907, XVI-312 pp., 8°

آداب البابليين والاشوريين

انَّ الحركة العلميَّة في المانية لا تقتصر فقط بنشر التآليف المختصَّة بجلّة العلماء ونخبة الادباء بل تتناول ايضًا عموم القرّاء . فترى فئة من الكتبة يفرغون المجهود في تقريب مناهل العلم من شفاه الجمهور وهم يخوضون اذلك في غمرات كلّ فنّ فيستخرجون من ضحضاحها دررًا ينظمونها في سلك يتحلّى بهِ جيد الاداب العموميّة . وممَّا ظهر آخرًا الى عالم الوجود من هذا القبيل تاريخ الآداب الاشوريّة والبابلية للمستشرق الالماني ڤابر . وقد عُرف الكاتب المذكور سابقًا ببعض التآليف عن عرب الجاهلية وها هوذا قد صرف فكرتهُ الى ما لم يُنتَظر منهُ فوضع هذه الكتاب في آداب البابليين وضمَّنهُ خلاصة ما

(١ واسم كتابهِ بالالمانية : Keilinschriftliches Textbuch z. alten Testament, 1903

سطَّرهُ علماء العاديّات الاشوريّة منذ اكتشاف اسرار القلم المسماريّ · وقد حذا المؤلف في عملهِ حذو كاتب آخر ايطالي يُدعى تيلوني (Teloni) عرَّف المشرق (٧ : ٣٨٨) تأليفهُ في الآداب البابلية لكنهُ زاد على سلفهِ افادات أُخرى جعلت لهذا الكتاب الجديد فضلًا على التأليف الايطالي في بعض الفصول · وفي الختام نشير الى احد ادباء اهل الوطن أن ينقل هذا الكتاب الى العربية لينتفع من فوائدهِ الشرقيّون وهم احقّ من غيرهم بمعرفة آثار الامم التي شرَّفت بلادهم س · ر

شذرات

مجلّة المباحث — مضى على مجلّة المباحث (Etudes) التي انشأها الآباء اليسوعيون في فرنسة خمسون سنة فاحتفلت ادارتها بعيد يوبيلي شائق ورد في اثنائهِ على اصحابها عدد وافر من رسائل التهانئ كتبها الاساقفة ونخبة الكاثوليك من فرنسة وغيرها · وكلهم صوت واحد في الثناء على الخدم المتعدّدة التي ادّتها هذه المجلّة للكنيسة والوطن · وممّا زاد محرّري المباحث نشاطاً رقيم وجّههُ اليهم قداسة الحبر الاعظم في ١٤ آذار المنصرم اطرأ فيهِ بسالتهم وتفانيهم في الذبّ عن حقوق الكرسيّ الرسولي وفي نشر التعاليم الدينية الصادقة على اختلاف موادّها مع حرصهم على علم الاسفار المقدَّسة وتقاليد آباء الكنيسة · ثم آزرهم ببركتهِ الرسولية · ونحن ايضاً نضمُّ صوتنا الضعيف الى اصوات المهنئين ونتمنَّى لاخوتنا كلّ فوز وثبات في سبيل الدين والعلم لمجد الله الاعظم ولخير النفوس الاعمّ

مقالة لبنان للمهندس الفاضل اميل افندي خاشو — كتب لنا من بكفيَّا جناب الدكتور امين جميّل ما حرفهُ : ان الموضوع الذي يبحث فيهِ الآن باسهاب في مجلّتكم الغرّاء حضرة المهندس خاشو لهو من اهمّ المواضيع الوطنية · وقد وجدتُ اثناء مطالعتي هذا البحث مجالًا لملحوظات كثيرة أقتصر منهــا على ما يأتي : قد سها الكاتب الاديب في بيانــه لفوائد الاشجار والغابات عن ذكر فوائدها العديدة للصحة العامة فانهُ قد قيل بحقّ : ان الارض التي لا تنبت نباتاً تنبت حمَّى الملاريا آفة بلادنا · وقد اثبت الاختبار ان الزراعة هي الطريقــة الفضلى لاصلاح المناخ كما تبيَّن في جزائر الغرب بل في كل بلاد · فالبوشريّة وتعنايل مثلًا كانتا عشًّا للملاريا فلمَّا امتدَّت فيهما

الزراعة وُصرفت الميـاه الآسنة وخُددت الارض وُفتحت القنوات والمصارف وزُرعت الاشجار فشربت رطوبة التربة بجذورها ونقّت الهواء باوراقها وقامت كستر وحجاب في وجه ما ينبعث من الميـاه الآسنة تحسّن المناخ وقلّت الامراض واشتدّت البنية وقلّت الوفيات. وبعكسه ترى قرى كثيرة كزوق الخراب التي بعـد ان كانت عامرة خربت وكاد ينقرض سكّانها لمّا قطعت احراجها وفتك بها الاهمال والماعز

وقد بينا كل ذلك بالتفصيل في مقالتنا «توفير السكان بتقليل الموتان» (المشرق ٦: ١٧٢) وفي (البشير عدد ١٨ و ٢٧ نيسان سنة ١٨٩٤) وفي كتابنا قانون الصحة

اما زرع الاشجار على جانب الطرق في بكفيا فالفضل فيهِ لبلديتها منذ خمس عشرة سنة ثم للرئيسين الفاضلين ادوار واستانيسلاس شيخو اليسوعيّين. أمّا انصاب الاكاسيا التي نوّه بها صاحب المقالة فهذه لم يعش منها الّا واحدة على ما قال لي رئيس البلديّة منذ هنيهة. وعسى يكون بذلك امثولـة للتقيد حتى في الزراعة بقواعد هذا العلم وبما يرشد اليهِ الاختبار والفطنة

هذا ما رأيتُ من الواجب تنبيه افكار القرّاء اليهِ حبًّا بصحة ابناء الوطن العزيز ومحافظةً على اشجارهِ وغاباتهِ ...

الالعاب النوريّة في الليالي العيديّة قد كثرت في بيروت وغيرها مظاهر الافراح الليليّة بايقاد المصابيح ورشق الاسهم الناريّة وتنوير المنازل. وربّما أنفق الناس على هذه الالعاب مبالغ عظيمة. وقد اكتشف اليوم احد المهندسين الاميركيين طريقة بسيطة لهذه التنويرات الليليّة فما كاد يصفها في مجلّة علمية (Literary Digest) حتى اقبل عليها العموم واستحسنوها جدًّا لانّ نفقاتها زهيدة ومشاهدها رائعة جليلة. ودونك وصف ادواتها. ان اردت تنوير مكان او ساحة او غير ذلك تجعل حيثما شئت مرجلًا تحمي فيهِ الماء الى ان يستحيل الى بُخار والبخار المتصاعد من المرجل ينفذ الى انابيب مختلفة الطول والشكل مجهّزة بأثقاب متعدّدة ليتطاير منها ذلك البخار. فاذا انتشر البخار في الهواء انعقد في الجوّ فان وجّهت اليـهِ نور آلة كهربائية ظهر ذلك البخار على هيئات شتّى غاية في الحسن لاسيما ان صبغت ذلك النور الكهربائي بالالوان بوضع زجاجات ملوّنة فتكون المناظر فتّانـة ساحرة للعين لا تستطيع الريح اطفاءها بل تزيدها حسنًا بتحريك دقائق البخار

اسئلة واجوبة

س سألنا احد السوريين في اميركة أيُستخرَج من العرعر زيتٌ وما فائدتهُ وكيف يُدعى بالفرنسويَّة والانكليزيَّة

زيت العرعر

ج نعم للعرعر (genèvrier) زيتٌ يُستخرَج منهُ ويُستعمَل لمداواة المواشي من الجرَب ويُدعى بالفرنسويَّة «huile de cade» وبالانكليزيَّة «juniperoil»

س وسأل الاديب ي . ي من كفرحيّ: ١ً اذا خُلط الطحين بالزوان (الشيلم) اينتج من اكل خبزهِ ضررٌ. ٢ً ما هي الفوائد الصحيَّة الناجمة من أكل درهم من الكبريت كلَّ يوم مضافًا اليهِ اربعة دراهم من السكَّر. وهل من أكل الكبريت بأس

الطحين المخلوط بالزوان – أكل الكبريت وفائدتهُ

ج الجواب على (الأول) انَّ للزوان فعلًا سامًّا يختلط عقل مَن يأكلهُ ممزوجًا بالطحين وقد يختلف تأثيرهُ على قدر كميَّتهِ . وعلى (الثاني) انَّ الكبريت ينفع للامراض الجلديَّة ولتصفية الدم ان أُخذ منهُ شيء قليل بوصفة الاطبَّاء ولكن لا يجوز الاكثار منهُ لئلَّا يمتزج ببعض فواضل البدن فيتركَّب بذلك اخلاط ضارَّة

س وسأل من زحلة الاديب سعيد امين: ١ً اتتمُّ وصية حضور القداس يوم الاحد من يحضرهُ في غير طائفتهِ. ٢ً أصحيح انَّ البابا حرم العلَّامة غليلاي لقولهِ بدوران الارض حول الشمس. ٣ً هل جهل المسيح بطبيعتهِ البشريَّة يوم الدينونة كما ورد في مرقس (١٣: ٣٢) . ٤ً ما هي المدَّة اللازمة للاعتراف بالخطايا لمن يتناول متواترًا

اسئلة لاهوتيَّة

ج نجيب على (الأوَّل) انَّ الكاثوليكي يتمُّ وصية حضور القداس في اي كنيسةٍ كانت من طائفتهِ او غيرها بشرط ان تكون كنيسةً عمومية . وعلى (الثاني) أنَّنا اجبنا عن مسألة غليلاي في مقالة مطوَّلة رددنا فيها على مجلَّة المنار في العام السابق (المشرق ٩: ١٧٩–١٨٥) . وكذلك اجبنا هذه السنة عن (السؤال الثالث) في علم المسيح بيوم الدينونة (المشرق ١٠: ٤٨) . امَّا الاعتراف فلا يُحتم على المتناول تناولًا متواترًا الَّا اذا كان في حال الخطإِ المميت . لكنَّ اكتساب الغفرانات يكون عادةً على شرط الاعتراف والتناول وكان هذا الاعتراف مفروضًا مرَّة في الاسبوع لكنَّ قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر فسَّح في هذه المدَّة وأجاز آخرًا بالاعتراف مرَّة في كلّ اسبوعين فقط

ل . ش

المشرق

خلود النفس

للاب لويس شرفوايو اليسوعيّ

لم يخلق الله في بدء الخليقة الانسان الاوّل على صورتهِ وشبههِ ليتلف هــذا العمل الحكم الذي سُرَّ بــهِ كأجمل واكمل مصنوعات يدهِ الالهيَّة وانَّما كان عزَّ وجلَّ يريد بقاء ذاك المركَّب العجيب فيصرف في جنَّة عدن ردحاً من الدهر في العزّ والهناء ريثما ينقلهُ الى دار الخلد والبقاء

تلك كانت غاية الخالق في تكوينهِ لآدم ونسلهِ من بعــدهِ . وكلٌّ يعرف كيف بلبــل الانسان الاوَّل ذلك النظام الالهيّ وطمع في منصب كان يفوق طورهُ فتعدَّى امر صانعهِ وصار غرضاً لسهام الموت يقضي في الارض ايَّاماً قليلة ثمَّ لا يلبث ان يودّع الحياة او قُلْ بالحري ان حياتهُ هذه ليست غير موتٍ متواترٍ ينتهي بموت نهائيّ فتكون الولادة نفسها كما يقول العرب هي رسول الموت او كما قال ابو العتاهية :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلُّكم يصير الى تَبابِ
لمن نبني ونحنُ الى ترابٍ نصيرُ كما خُلقنا من ترابِ
ألا يا موتُ لم أرَ منك بُدًّا أتيت فلا تجورُ ولا تحابي
كأنَّك قد هجمتَ على مشيبي كما هجمَ المشيبُ على شبابي

هذا صوت الطبيعة يرنُّ صداهُ في قلب كلّ مخلوق وحسبُ الانســان أن يُلقي بنظرهِ حولهُ فيتحقَّق صحَّة هــذا القول فيرى باختبارهِ اليوميّ انَّ كلّ حيّ يموت وانَّ حياة المرء على الارض على قول الكتاب « كالظلّ والخبر الزائل او كالسفينة الجارية على الماء المتموّج التي بعد مرورها لا تجد اثرها او كطائر يطير في الجوّ فلا يبقى دليل على مسيرهِ . يضرب الريح الخفيفة بقوادمهِ ويشقُّ الهواء بشدَّة سرعتهِ ورفرفة جناحيهِ يعبرُ

ثم لا تجد لمروره من علامة او كسهم يُرمى الى الهدف فيُخرَق بهِ الهواء ولوقتهِ يعود الى حالهِ حتى لا يُعرف ممرُّ السهم كذلك نحن ولدنا ثم اضمحللنا » (سفر الحكمة ٥ : ١٠-١٣)

*

نعم لا مناص من الموت فان تلك حقيقة لا تحتاج الى برهان لوضوحها. ومع هذا يشعر الانسان في قلبهِ انهُ خُلق للحياة . لا يستطيع مهما شاء ان ينفي عنهُ ذلك الصوت الذي سمعهُ في الفردوس من فم الحيَّة الخادعة للأَبوين الاوَّلين « لن تموتا » . فان ذلك الصوت يوافق ما كتبتهُ الطبيعة على صفحات ضميرهِ بانهُ لن يموت وانَّ ذلك الانحلال الجاري على جسدهِ ليس بكافٍ ليميتهُ كلهُ وانَّ قسماً منهُ وهو الاسمى والاجلّ سوف يقوى على الموت فيبقى حيًّا

وهذه الحقيقة قد نالت قوَّةً جديدة منذ حلَّ كلمة الله على الارض فشفى اسقام البشريَّة وابرأَ عاهاتها وحمل على عاتقهِ اوصابها واوجاعها ووطَّد آمالها بقولهِ : « انا الحقّ والحياة . من يؤمن بي اعطيتهُ الحياة الابديَّة »

كلَّا لست اموت كلّي . فانَّ لنفسي حياةً لم يمسّها شيء من احوال العالم وتقلُّباتهِ . للموت ان يفتك بما حولها بل لهُ ان ينقض اركان جسمي يوماً بعد يوم امَّا نفسي فتزدري بحملاتهِ . اين ايَّام حداثتي الاولى وألعابي وتبسُّمات أُمّي وكلُّ ما كان يبهج صباي ؟ . اين شبابي ونشاطي في العمل ؟ اين كهوليتي وطلبي لشريف الامور وانصبابي على الاشغال وقيامي بالمناصب العالية ؟ . مات صباي . مات شبابي . ماتت كهوليَّتي . فلم يبقَ لي من كلّ ذلك سوى الجسم الذي احسُّ اليوم بانحطاط قواهُ . لكنَّ بين هذه الخرابات كلّها اشعر بشيء لم يمت فيَّ . اشعر بالنفس التي كانت تحيي حداثتي فانَّها ليس فقط لم تمتْ بل اضافت الى قواها قوًى جديدة ربحتْها بالشغل والارتياض . اشعر بالنفس التي كانت تبهج شبابي فهي هي اليوم قائمة فوق انقاض الشباب مزدانة بمعارف وعلوم وفضائل لم تعهدها قبلًا . اشعر بالنفس التي كانت تسمق بي في كهوليَّتي الى المناصب وجليل المآثر . فهي هي اليوم تطلب ما هو ابقى واشرف وتحلّق بجناح آمالها الى ما وراء هذا الافق الضيّق الذي يحيط بها . واذا قربت من شفاهي كؤوس الموت وحسستُ بسكرات

المنون فاني مع حشرجة صدري وفي شدّة نزاعي اسمع نغمة الرجاء والحياة التي تشنف آذاني لآخر مرّة: لن تموت بل حياةً تحيا

*

ومن أغرب الامور انّ تلك النغمة المنعشة وذلك غناء الظفر يتصاعد من انحاء المعمور وتردّده اصوات كلّ الشعوب على مختلف اديانها وتباين نزعاتها وجلَبَتُهُ تُسمع اشدّ وأجهر عند فراش المنون وعلى حافة القبور . واحسنُ ما قيل موخرًا في رثاء شيخ كريم قول شاعر مُفلق تنبت ابياتهُ هذه الحقيقة :

دفنوا حجابَ النفس في جوف الثرى والنفس حلّت بالمحلّ الارفعِ
يا ذا اليقين غدًا اراك فما بني اهلُ الشكوكِ على سوى المتزعزعِ
قالوا المماتُ من الحياةِ وما دروا انّ الحياةَ من الممات المُفجعِ
ما ذا تخيّلُ شاعرٍ بل حكمةٌ نزلتْ على روحِ الحكيم الأروعِ
فالحبُّ ينبتُ بعد ما يبلى أما للحيّ بعد ذهابهِ من مرجعِ
ما ميتةُ الانسان الّا رقدةٌ فقيامةُ الموتى انتباهُ الهُجعِ
انّ الخلود حقيقةٌ ازليّةٌ نَفيُ النُّفاةِ لها هباءةُ زعزعِ
لم ينفها العلمُ الحديثُ وأُثبتت في مجمع العلم القديم المجمعِ

فنعم القول تسمعهُ لو شئتَ حيثما تحلُّ جثّة مَيتٍ في رمسها . وهذه الكنيسة المسيحيّة تحمل موتاها الى « مراقدهم » كما تدعو المقابر وتلقي في وسط القبور اصوات الرجاء الوطيد وتتلو صلوات القيامة والحياة وتوقد اسرجة النور لنفي الظلمة وتجعل على ضريح ابنائها علامة الفوز والظفر وتصدُّ المؤمنين عن البكاء المفرط كمن ليس لهم رجاء

وليست كنيسة المسيح منفردةً في اعتقادها بخلود النفس فلو استفتيت البشريّة في اربع خوافق العالم لأتّفقت اصواتها بهذا المعتقد لا يشذُّ منها الّا اصوات بعض المخرقين الذين يكذّبون شهادة ضميرهم ويودّون لو صحّ الامر ليتملّصوا من تبعة آثامهم

فناشدتك الله لو كان كلّ شيء فينا يموت ما بال الامم تتفنن في رموزها التي تُشير كلها الى البقاء والخلود ؟ ما معنى اكرامها للموتى ؟ لمَ تلك القبور الجميلة وتلك المشاهد الانيقة المقامة عند جثثهم ؟ لمَ تلك الكتابات المزخرفة التي تعظّم ذكرهم وتشيد بمآثرهم ؟ لمَ تلك الآنية الذهبيّة التي كانوا يتّخذونها ليودعوها رمادهم عند حرق اجسامهم ؟ لمَ

تلك الذبائح والقرابين التي كانوا يقدّمونها لتخميد ارواحهم لئلّا تعـود الى الارض فتؤذي سكّانها ؟ لمَ تلك الدراهم التي كان الرومان واليونان يجعلونها في افواه الموتى ليدفعوا بها حقّ عبورهم الى جنّات الخلد ؟ أليست كلّ هذه العادات بيّنات لامعـة تنبئ باعتقاد القدماء لحقيقة خلود النفس ؟ اكان يمكنهم ان يقيموا الهيا كل لقياصرتهم او حكمائهم إن كانوا لم يسلّموا ببقاء نفوسهم بعد اضمحلال اجسادهم ؟

ولم يكتفوا بهذه الرموز مع وضوحها بل ربّما اعلنوا صريحًا بايمانهم بخلود النفوس وبرجائهم في وجود حياة أخرى تعيش فيها تلك الارواح . ولو اردنا جمع هذه الشواهد المتعدّدة لدى كلّ الامم لأتسع بنا المجال فنثبت منها امثلةً قليلة

واوّل مـا يحضرنا من ذلك اعتقاد قدماء المصريين التي تنطق كلّ آثارهم من مدافن واهرام ونواويس واكفان عن بقاء النفس وخلودها (اطلب المشرق ١٠ : ١٤٢) حتى ان هيرودوت المؤرخ اليوناني (ك ٢ ف ٢٣) أنهم سبقوا الكلّ في هذه العقيدة (١

وممّا يؤيـد اعتقادهم بحياة أخرى عنايتهم بتحنيط الموتى لزعمهم بان النفس تحبُّ مجاورة جسدها وترتاح الى مساكنته ما دام محفوظًا في صورتهِ . وللمصريين كتاب يُدعى كتاب الموتى وكلهُ حافل باوصاف دار البقاء واحوال النفوس فيهـا . وكذلك كتابان آخران سبق للمشرق وصفهما يُعرفان بكتاب الابواب وكتاب مـا يوجد في الطوات اي الجنَّة . فترى نصوص هذه الكتب مرقومة على آثار الموتى ومدافنهم مؤذنةً بعقيدة الخلود في ارض النيل قبل المسيح بنيّف واربعة آلاف سنـة . ومن تصاويرهم الشائعة صورة الاله اوزيريس يدين النفس بعد انفصالها من الجسد

ولم يكن اعتقاد البابليين مخالفًا لاعتقاد اهل مصر في خلود النفس يشهـد على ذلك كتاب جليل وُجد في مخطوطات بابل المسماريّة يحتوي وصفًا موسّعًا لنزول الإلهة « اشتار » الى الجحيم ووصف حالة النفوس التي فيهِ

وكذلك قدماء الفرس فان كتابهم الدينيّ « زند اوستا » لزرادشت مشترعهم يصف مقرّ الابرار بقولهِ : « انّ الموت يفتح الطريق للسماء مقام الابرار حيث النور والسعادة .

---

١) ودونك قولهُ الاصلي :

Πρῶτοι δὲ καὶ τόνδε τὸν λόγον Αἰγύπτιοι εἰσι οἱ εἴποντες ὡς ἀνθρώπου ψυχὴ ἀθάνατός ἐστι.

ليس هناك ظلمة البتَّة ولا ريح ولا قرّ ولا حرّ ولا فساد ولا موت ولا شيطان مسيء ولا عدوّ قاهر» . امَّا الاشرار فينفيهم عن هذا المقرّ الذي يملك فيهِ الاله هرمز « لانَّ نفسهم تهبط الى الجحيم مكان الابالسة ومملكة اله الشرّ اريمان »

ومثلهم اهل الهند فانَّ ديودورس الصقلي روى عنهم انهم كانوا يجلُّون البراهمة لأنهم كانوا يعتبرونهم من نسل الآلهة لا يفوتهم شيء مما يجري في الآخرة

واشهر من ذلك اكرام الصينيين لاجدادهم الموتى يضحُّون لهم الضحايا ويقرّبون القرابين لاعتقادهم بخلود نفوسهم . ولو زرت مقابرهم وجدت فوقها كتابات تنطق بهذا المعتقد ومما قرأناهُ آخرًا في رحلة بعض السيَّاح انَّ احد اعيان الصين توفي في پاكين فنعاهُ اقاربهُ الى قناصل الفرنج بهذه الرسالة « ننعي الى سعادتكم فلانًا الذي رحل رحلتهُ الكبيرة وركب مَتن التنّين ليصير ضيف السماوات »

هذا برضٌ من عدّ وقطرة من بحر ولو استقرينا تعاليم كلّ الشعوب والقبائل لوجدنا مثل هذا الاعتقاد راسخًا في قلوب اهلها يروونهُ على طرائق شتَّى وظروف متباينة تتَّفق في جوهر الامر . لكنَّنا لا نستطيع ان نضرب الصفح عن الشعب الاسرائيليّ حامل الوحي ورافع منار التعاليم الالهيَّة بين الامم فانَّ بني اسرائيل نشروا لواء هذه الحقيقة كما فعلوا ببقيَّة الحقائق الدينيَّة التي ورثوها من آبائهم . اسمع أليعازر الكاهن الشيخ كيف يجيب مَن حرَّضهُ على تجاوز سُنن آبائهِ لينجو من العذاب (٢ مك ٦ : ٢٦) : « اني ولو نجوتُ الان من نكال البشر لا افرُّ من يدي القدير لا في الحياة ولا بعد الممات » . بل اسمع فتيةً صغارًا تلقَّنوا ذلك منذ نعومة اظفارهم نريد الاخوة المكابيين السبعة الذين صبروا على الشدائد والآلام المرَّة رجاء الفوز بافراح الآخرة . وهذا قول اصغرهم (٢ مك ٧ : ٣٠) : انّي لا أُطيع امر الملك وانَّما أُطيع امر الشريعة . . . ولقد صبر اخوتُنا على ألم ساعة ثمَّ فازوا بحياة ابديَّة وهم في عهد الله » . وكلٌّ يعرف ما صنع يهوذا المكابيّ (٢ مك ١٢ : ٤–٤٦) لمَّا ارسل الى اورشليم الف درهم ليقدّم بها ذبيحةً عن اخوتهِ اليهود القتلى « لاعتبارهِ انَّ الذين رقدوا بالتقوى قد أُدخر لهم ثوابٌ جميل وهو رأي مقدَّس تقويّ ولهذا قدَّم الكفَّارة عن الموتى ليُحَلُّوا من الخطيئة »

وليس عمل المكابيين خاصًّا بهم فان رقيت سُلّم الاجيال متعقّبًا آثار شعب الله

الى زمن الانبياء الى الملوك الى القُضاة الى موسى الى ابراهيم والآباء الاوَّلين وجدتهم جميعاً على عقيدة واحدة بأنَّ النفس مخلَّدة لا تموت مع الجسد بل تُصيب بعد انفصالها عن الجسد ثواباً او عقاباً كما استحقَّتهُ باعمالها. ليت شعري ايوجد كلام اصرح من قول سفر الجامعة الذي ادَّعى البعض بأن صاحبهُ لم يعتقد بالخلود (٣: ٢٧): «قلتُ في قلبي انَّ الصديق والمنافق كليهما يدينهما الله. هنا لكلّ غرضٍ وقتٌ لكن هناك على كلّ عملٍ حساباً» وقد ختم كتابهُ بقولهِ (١٢: ١٣-١٤): «اتَّق الله واحفظ وصاياه فانَّ هذا هو الانسان كلّهُ لأنَّ الله سيُحضر كلّ عملٍ ليدين على كلّ خفيّ خيرًا كان او شرًّا»

ومثل هذا كثير في سفر المزامير يُعلن بهِ داود النبيّ من اوَّل مزاميرهِ حيث بيَّن ما ينتظر في يوم الدين الصدّيقين والمنافقين من الثواب والعقاب

وقد شهد من قبلهِ أيوب بهذه الحقيقة بل بقيامة الاجساد ايضاً حيث قال (١٩: ٢٥-٢٧): «اني لعالم بأنَّ فاديَّ حيٌّ وسيقوم آخرًا على التراب وبعد ذلك تُلبَس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي أُعاين الله الذي انا اعاينهُ بنفسي وعيناي ترياناهِ لا غيري»

وان قيل ما بالُ موسى لم يذكر في كتبهِ خلود النفس افليس سكوتهُ دليلًا على انَّ تلك الحقيقة كانت مجهولةً عند العبرانيين. فالجواب على ذلك أنَّ موسى لم يُرد بكتابة اسفارهِ ان يعلمنا ما كان يعتقدهُ بنو اسرائيل او ما لم يعتقدوهُ. وانَّما كانت غايتهُ ان يدوّن تأريخ التكوين ثم يلخّص اخبار بني اسرائيل منذ اختار الله اجدادهم الى يوم خلَّصهم من رقّ عبوديَّة مصر ليدخلهم في ارض الميعاد ثمَّ يلقّنهم اوامر الله ووصاياهُ وسُنَنهُ. وقد اتَّسع موسى في قضيَّة التوحيد لعلمهِ بميل بني اسرائيل الى عبادة الاوثان امتثالًا بالشعوب المجاورة لهم. امَّا حقيقة خلود النفس فلم يجد موسى داعياً لبيانها اذ لم يكن احدٌ من بني اسرائيل ينكرها ولم تدعُهم اولئك الامم الى نكرانها وكلها متَّفقة في اثباتها كما سبق

وزد على ذلك انَّ في اسفار موسى اشارات عديدة الى اعتقاد بني اسرائيل بعقيدة بقاء النفوس. فقل لي رعاك الله ما معنى العبارة التي تكرَّرت في اسفار موسى عن موت الآباء حيث يقال: «انضمُّوا الى آبائهم» و «عادوا الى قومهم» و «رقدوا مع آبائهم» وان «حياتهم الحاضرة غربةٌ» وما شاكل ذلك من العبارات أليس معناها انَّ بعد هذه

الحياة الفانية حياة باقية . وان قيل ارادوا بذلك ان تُقبر اجسادهم بقرب اجساد آبائهم اجبنا انَّ هـذا لا يصحّ في عدّة آيات . مثالهُ قول يعقوب (تك ٣٧ : ٣٥) لمَّا اخبرهُ بنوهُ عن موت يوسف فظنَّ انَّ وحشاً ضارياً افترسهُ فقال: « اني انزل الى ابني نائحاً الى الجحيم » فقولهُ هذا لا يصدق عن القبر وهو يظنّ ان الوحوش افترست جسد ابنـهِ فلا يبقى الَّا نفس ولدهِ التي كان يعلم انها لم تمت فاراد ان يجتمع بها في العالم الآخر

وقـد اتَّخذ السيد المسيح في انجيلهِ الطاهر (متَّى ٢٢ : ٣١—٣٢) آية أُخرى من اسفار موسى (خر ٣ : ٦) ليقرّر الصدّوقيين بوجود غير هذه الحياة الزائلة قال عزَّ من قائل : افما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : « انا إله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب » والله ليس اله اموات وانَّما هو اله احياء

وكذلك قول الله لابراهيم (تك ١٥ : ١) انهُ « سيكون هو اجرهُ العظيم جدًّا » لا يصحُّ ان لم يُقَل بحياة أُخرى لأَنَّ سعادة ابراهيم في هذه الحياة لم تكن بكاملة وقد ابلاهُ الله ببلايا عديدة كالحرب والمجاعة كما ذكر الكتاب

هذه بعض دلائل تنفي الشكَّ عن اعتقاد الشعب الاسرائيليّ منـذ اوَّل نشأتهِ بحياة الآخرة . ولا ننكر انَّ الله في العهـد العتيق اتَّسع خصوصاً في وصف الخيرات المادّية والشرور الحاضرة لمن يحفظ وصاياه او يخالف اوامرهُ لانَّ بني اسرائيل مع اعتقادهم بخيرات الآخرة وشرورها كانوا ينقادون اكثر الى المنافع المحسوسة والاضرار القريبة . وقد صرف السيّد المسيح انظار تلاميذهِ عن كلّ ذلك ليوجّهها الى الباقيات وكل آية من آيات الانجيل الشريف شاهد لامع على هذه الحقيقة التي اتَّضحت بعـد المسيح بأجلى بيان فعمَّت كلّ اقطار المسكونة

وخلاصة القول انَّ عقيدة خلود النفس عريقة في قلب الانسان استمدَّها من اصفى الموارد وأعذبها ترتقي في سلَّم الاجيال بلا انقطاع الى اوَّل نشأة الامم ومـا كان كذلك ليس هو اختراعاً بشريًّا بل حقيقة راهنة مقرَّرة استعارها ابن آدم من الوحي الاوَّل وشهد لهُ بصدقها سداد عقلهِ . وذلك وفقاً للمثل القائل : انَّ صوت الشعوب هو صوتُ الله

(لهُ بقيَّة)

الى زمن الانبياء الى الملوك الى القُضاة الى موسى الى ابراهيم والآباء الاوَّلين وجدتَهم جميعاً على عقيدة واحدة بأنَّ النفس مخلَّدة لا تموت مع الجسد بل تُصيب بعد انفصالها عن الجسد ثواباً او عقاباً كما استحقّتهُ باعمالها. ليت شعري ايوجد كلام اصرح من قول سفر الجامعة الذي ادَّعى البعض بأن صاحبهُ لم يعتقد بالخلود (٣ : ٢٧) : «قلتُ في قلبي انَّ الصديق والمنافق كليهما يدينهما الله. هنا لكلّ غرضٍ وقتٌ لكن هناك على كلّ عملٍ حساباً» وقد ختم كتابهُ بقولهِ (١٢ : ١٣—١٤) : «اتّقِ الله واحفظ وصاياه فانَّ هذا هو الانسان كلّهُ لأنَّ الله سيُحضر كلّ عملٍ ليدين على كلّ خفيّ خيرًا كان او شرًّا»

ومثل هذا كثير في سفر المزامير يُعلن بهِ داود النبيّ من اوَّل مزاميرهِ حيث بيَّن ما ينتظر في يوم الدين الصدّيقين والمنافقين من الثواب والعقاب

وقد شهد من قبلهِ أيوب بهذه الحقيقة بل بقيامة الاجساد ايضاً حيث قال (١٩ : ٢٥—٢٧) : «انّي لعالم بأنَّ فاديَّ حيٌّ وسيقوم آخرًا على التراب وبعد ذلك تُلبَس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي أُعاين الله الذي انا اعاينهُ بنفسي وعيناي ترياني لا غيري»

وان قيل ما بالُ موسى لم يذكر في كتبهِ خلود النفس افليس سكوتهُ دليلًا على انَّ تلك الحقيقة كانت مجهولةً عند العبرانيين. فالجواب على ذلك أنَّ موسى لم يُرد بكتابة اسفارهِ ان يعلمنا ما كان يعتقدهُ بنو اسرائيل او ما لم يعتقدوهُ . وانّما كانت غايتهُ ان يدوّن تأريخ التكوين ثم يلخّص اخبار بني اسرائيل منذ اختار الله اجدادهم الى يوم خلّصهم من رقّ عبوديّة مصر ليدخلهم في ارض الميعاد ثمَّ يلقّنهم اوامر الله ووصاياهُ وسُنَنهُ. وقد اتّسع موسى في قضيّة التوحيد لعلمهِ بميل بني اسرائيل الى عبادة الاوثان امتثالًا بالشعوب المجاورة لهم. امَّا حقيقة خلود النفس فلم يجد موسى داعياً لبيانها اذ لم يكن احدٌ من بني اسرائيل ينكرها ولم تدعُهم اولئك الامم الى نكرانها وكلها متّفقة في اثباتها كما سبق

وزد على ذلك انَّ في اسفار موسى اشارات عديدة الى اعتقاد بني اسرائيل بعقيدة بقاء النفوس. فقل لي رعاك الله ما معنى العبارة التي تكرَّرت في اسفار موسى عن موت الآباء حيث يقال: «انضمّوا الى آبائهم» و «عادوا الى قومهم» و «رقدوا مع آبائهم» وان «حياتهم الحاضرة غربةٌ» وما شاكل ذلك من العبارات اليس معناها انَّ بعد هذه

الحياة الفانية حياة باقية . وان قيل ارادوا بذلك ان تُقبر اجسادهم بقرب اجساد آبائهم اجبنا انَّ هذا لا يصحّ في عدّة آيات . مثالهُ قول يعقوب (تك ٣٧ : ٣٥) لمَّا اخبرهُ بنوهُ عن موت يوسف فظنَّ انَّ وحشاً ضارياً افترسهُ فقال: «اني انزل الى ابني نائحًا الى الجحيم» فقولهُ هذا لا يصدق عن القبر وهو يظنّ ان الوحوش افترست جسد ابنهِ فلا يبقى الَّا نفس ولدهِ التي كان يعلم انها لم تمت فاراد ان يجتمع بها في العالم الآخر

وقد اتخذ السيد المسيح في انجيلهِ الطاهر (متّى ٢٢ : ٣١—٣٢) آية أُخرى من اسفار موسى (خر ٣ : ٦) ليقرّر الصدوقيين بوجود غير هذه الحياة الزائلة قال عزّ من قائل : افما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : «انا إله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب» والله ليس اله اموات وانَّما هو اله احياء

وكذلك قول الله لابراهيم (تك ١٥ : ١) انهُ «سيكون هو اجرهُ العظيم جدًّا» لا يصحُّ ان لم يُقل بحياة أُخرى لأنَّ سعادة ابراهيم في هذه الحياة لم تكن بكاملة وقد ابلاهُ الله ببلايا عديدة كالحرب والمجاعة كما ذكر الكتاب

هذه بعض دلائل تنفي الشكّ عن اعتقاد الشعب الاسرائيليّ منذ اوّل نشأتهِ بحياة الآخرة . ولا ننكر انَّ الله في العهد العتيق اتّسع خصوصاً في وصف الخيرات المادّية والشرور الحاضرة لمن يحفظ وصاياه او يخالف اوامرهُ لانَّ بني اسرائيل مع اعتقادهم بخيرات الآخرة وشرورها كانوا ينقادون اكثر الى المنافع المحسوسة والاضرار القريبة . وقد صرف السيّد المسيح انظار تلاميذهِ عن كلّ ذلك ليوجّهها الى الباقيات وكل آية من آيات الانجيل الشريف شاهد لامع على هذه الحقيقة التي اتّضحت بعد المسيح بأجلى بيان فعمّت كلّ اقطار المسكونة

وخلاصة القول انَّ عقيدة خلود النفس عريقة في قلب الانسان استمدّها من اصفى الموارد وأعذبها ترتقي في سلّم الاجيال بلا انقطاع الى اوّل نشأة الامم وما كان كذلك ليس هو اختراعاً بشريًّا بل حقيقة راهنة مقرّرة استعارها ابن آدم من الوحي الاوّل وشهد لهُ بصدقها سداد عقلهِ . وذلك وفقًا للمثل القائل : انَّ صوت الشعوب هو صوتُ الله

(لهُ بقيَّة)

مدارس الزَّوْراء في عهد الخلفاء

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي (تتمَّة)

١٢ً المدرسة النظاميَّة

سُميت النظاميَّة وهي امُّ مدارس العراق. الطائرة الشهرة في الآفاق. باسم مؤسسها نظام الملك الوزير الخطير. والعلّامة الكبير. وحليف العلماء المنقطع النظير. وهو الذي وُزّر لاثنين من السلاطين السلجوقية. اصحاب الاعمال الخيريَّة. لا بل واهل العز والجاه. وهما ألب ارسلان وملكشاه. وكان نظام الملك من اخص واخلص الاصدقاء للادباء الأعلام. ولاسيا كان صديق الشاعر الفلكي عُمر الخيام

شيَّد نظام الملك دعائم المدرسة ونظَّم رِحابها. سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٥م) ومن بعد سنتين من تأسيسها فتحت لطلبة العلم ابوابها. وكان الغرض من انشائها النفعيّ. تعليم المذهب الشافعيّ

وقد ذكر ياقوت واحمد بن ابي طاهر البغدادي والخطيب البغدادي والسمعاني والعماد الكاتب وابن الدبيثي الواسطي وابن القطيفي والذهبيّ وابن النجار البغدادي وتقي الدين محمد بن رافع وابو بكر المارستاني وابن الساعاتي البغدادي وابن الفُرات وغيرهم اسماء مشاهير مدرسيها ومعلميها شيئاً كثيرًا. وعددًا وفيرًا. ومن نُبهاء مقرّئيها الغزّالي العلّامة. والبحر الحبر الفهامة. وشهرتهُ مع حسن سمعتهِ. تُغني عن ذكر ترجمته. ومنهم ايضاً بهاء الدين بن شدّاد وهو ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الاسدي قاضي حلب الفقيه الشافعي الذي نشأ عند اخوالهِ بني شدّاد فنُسب اليهم. كان وُلد بالموصل الحدباء ثم انحدر في بغداد الزوراء واقام فيها سعيدًا في النظامية نحو ٤ سنين ثم عاد الى مسقط رأسهِ. وهو الذي كتب سيرة صلاح الدين الايوبي التي تُرجمت الى اللغات الافرنجيّة

وبجوار هذه المدرسة كانت المدرسة البهائيّة التي مرَّ ذكرها. والبيمارستان التُتُشيّ والسوق التُتُشي. وهذان الاخيران من ابناء خمارتكين تاج الدولة تُتش احد ابناء السلطان الب ارسلان السلجوقي الذي توفي سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤م)

وفي عهد ياقوت الحموي يعني بعد ان مضى على بناء هذه المدرسة مائة سنة كانت مبانيها ماثلةً في حالة حسنة . واذا انعمنا النظر في ما سطَّرهُ ياقوت من الفوائد الجزيلة المبثوثة في عدة موادَّ من تآليفهِ يظهر جليًّا انها كانت واقعةً بين باب الأَزَج وشاطئ دجلة . اي انهـا لم تكن بعيدة عن البصلية وهي محلة في طرف بغداد الجنوبيّ ومن الجانب الشرقيّ متصلة بباب كلواذى المعروف اليوم بالباب الشرقيّ . كما انها كانت واقعة على الطريق المؤدية من باب الدَرَج في السور المحيط بقصور الخلفاء الى باب البصلية

هذا وابن جُبير الشهير حضر الصلاة في النظامية في الجمعة الاولى من بعد قدومهِ الى بغداد وذلك سنة ٥٨١ ﻫ (١١٨٥م) وقد وصف المدرسة وصف بنـاء جليل يزهو ضياؤها ويفوق بكثير سائر المدارس القديمة التي تزيّن تلك المدينة الزاهرة وكان عددها ثلاثين في شرقي بغداد فقط

وفي سنة ٥٠٤ ﻫ (١١١٠م) يعني بعد بضع سنوات من وفاة نظام الملك أُصلحت هذه المدرسة بالتمام . ويذكر ابن جُبير ان في ايّامهِ كانت المداخيل الواردة من الاملاك والاوقاف الراجعة الى هذه المدرسـة تكفي كل الكفاية لجراية المعلمين والمدرسين وحفظ المباني في حالة حسنة بدون ان يخصص مبلغ خارق للعادة لإطعام فُقراء الطلبة

امَّا سوق النظامية فكان احدى الطرق العامّة التي تمرّ بتلك المحلة وقـد وصفهُ الواصفون بكونهِ واقعاً بجوار مشرعة سوق المدرسة النظامية . قال ياقوت في معجمهِ في مادة قُريَّة : « هي محلة كبيرة جداً كالمدينة من الجانب الغربي من بغداد مقابل مَشرعة سوق المدرسة النظامية » . اه . وهذا كلام يُشعر بان المدرسة كانت ماثلة قريباً من ضفَّة دجلـة

ولما زار ابن بطوطة بغداد سنة ٧٢٧ ﻫ (١٣٢٧م) كانت النظامية شاخصة احسن الشخوص وقد وصفها بانها واقعة في وسط سوق الثلاثاء في شرقي بغداد في الطرف الاعلى بالنسبة الى الطرف الذي كانت تقوم فيهِ المدرسة المستنصريّة (راجع نقل كلامهِ بحرفهِ في ما اثبتناهُ في المستنصريّة) . وهذا الشارع الطويل اي شارع سوق الثلاثاء كان يتعوَّج ويتمعَّج ويتحوَّى ويتلوَّى كانهُ الحيَّة ويحيط باسوار قصور الخلفاء ممتدًّا من باب كلواذى في الجنوب (باب الشرقي اليوم) الى باب السلطان في الشمال الغربي حيث كان يقـوم سوق الثلاثاء في اصل منشإهِ ومبدإهِ كما كان موجودًا في عهد ابن سَرَافيون

وبعد زيارة ابن بطوطة باثنتي عشرة سنة كتب حمدُ الله المؤرخ الفارسي عن النظامية وهو لا يُشير اليها الّا من طرف خفي ويلقبها « بأم المدارس في بغداد » وهذا يدلُّ على ان دوَين نصف المائة الرابعة عشرة بعد المسيح كانت المدرسة ماثلة وان كانت الآن قد عفَت آثارها واندرست كما يتَّضح ذلك منذ نصف المائة الثامنة عشرة بما ان نِيبُهر لم يجد في زمانهِ آثارًا للنظامية ليصفها كما وصف سائر الآثار الباقية في دار الخلفاء .
امَّا اليوم فالمتواتر بين البغداديين ان بقايا النظامية هو مـا يرى من البيوت المرصوصة المتراكمة في « دَرب المنارة المقطومة » (اي المقطوعة) وهو الدَرب الذي يسميهِ البعض الآخر « بدرب محمود ابو الحسّ (اي بائع الحس) في محلة باب الآغا » . وانما سُمّي بدرب المنارة المقطومة لان هناك قاعدة منارة اي مئذنة او بعض مئذنة ماثلة عند عِرقِ حائطٍ قد برز منها ما يقرب من ثلثيها اي ما يساوي مترين و ٧٩ سنتمترًا من محيطها والباقي منهـا داخل في الحائط الذي يستند اليها . والشاخص منها سمكًا اولًا تسعة سافات بارزة فوق سطح الارض وعلوّ كلّ عَرَقٍ تسعة سنتيمترات ونصف وفوق هذه الداميك الموضوعة على عرض الآجرّة سافٌ آخر على طول الآجرّة (اي ٢١ سنتيمترًا تقريباً) بارز عن موازاة الصفوف الاولى مـا يناهز ١٢ سنتيمترًا في الاصل . الّا ان ضيق الطريق هنا ومعظم عرضهِ ٣ امتـار قد اوجب الناس ان يتحككوا بهذا الافريز اذا تجمّعوا حتى ان البارز منهُ المتّجه نحو معبر الطريق قد تساوى نتوءُهُ مع بقية الصفوف السفلى . واماَّ في الجانب الواحد فقـد بقي تقريباً على اصلهِ . وهذا البروز او النتوّ هو بمنزلة نطاق بيّن يُمنطق الداميك السفلى ويشرف عليهـا . وفوقَ هذا العرق النطاقيّ ٤٥ سافًا أُخرى . يعلوها نوع من القبَّة هي لها كالكمَّة يُختم بهـا البناء . وعدَّة سافات هذه الكمة سبعـة . وبالجملة فسمك المئذنة او المنارة او العلَم الموجود اليوم والبيّنة فوق الارض خمسة امتار وثمانون سنتيمترًا (انظر الصورة)

والمئذنة مائلة عن خطّ السمت ٢٠ سنتيمترًا وهي واقعة الآن بين دار حِسْقَيل حاخام يعقوب لمن يأتي من جهـة جامع مرجان وبين دار اسحاق بن حِسْقيل عزرا من الجهة الثانية وكلتا الدارين لليهود

اما عهد هذه المنارة فحديث بدون شك وبناؤها لا يتجاوز القرنين . والاسباب التي تدعونا الى هذا القول كثيرة . منها :

١ً نوع الطاباق (وهو الطابوق بلسان اهل بغداد اي الآجرّ) فانـهُ لا يشبه ابدًا الآجرّ الذي كان يستعملهُ الاقدمون في دولـة العباسيين كما في منارة سوق الغزل والسنّ ونحوهما . ولا يشبهُ ايضاً آجرّ القرنين اللذين تلوَا العصر العباسي

٢ً وكذلك القول عن الجص الذي يجمع الطاباق بعضهُ الى بعض

٣ً راس المنارة المجموعة وقد قلنا انهُ يشبه القلنسوة او الكُمّة مبني من جنس آجر المئذنة ومن جصّها وحجم آجرها وقطعهِ ولونهِ الخ . ولا يمكن ان نتصور انها بُنيت على هذه الصورة منذ عهد الخلفاء اذ لا شكل هندسي لها ومخالف لجميع اصول البناء . والّا فان كان بناء الكمّة حديث العهـد بالنسبة الى المئذنة نفسها القديمة البناء فكيف امكن للمحدثين ان يجيئوا بآجرّ وجص وشيد ومواد لا تفترق بشيء عن مواد المئذنة في عهدها الاول . وكيف ضارع البناء الجديد البناء القديم من جهة الاعراض الخارجية ومنظر الكل حديث جديد

٤ً ليس في بناء هذه المئذنة ما يحملنا على الظن انها من عهد الاقدمين حتى ولا طرز بنائها فانهُ من ابسط ما يكون وليس فيهِ ادنى عناية . ولا نظام لهُ ولا ترتيب سائر المآذن على ما نشاهدهُ في سائر ابنية الخلفاء او ما كان منها من بعد عهدهم بقليل . فلا جرم انها حديثة الوضع هناك وقد أُقيمت بمنزلة « بناء تذكاريّ » يذكّر اهل المدينة بموضع مركز النظامية سابقاً ولقد بذل البعض مبلغاً طائلًا ليحصلوا على اذنٍ او رخصـة من الحكومة او البلدية يستطيعون بهِ انِ يُعفُوا هذا الاثر فلم تُجز لهم ذلك . ويا اسفاه اذا حصل هؤلاء مع الزمان على تحقيق امنيتهم فانهم بذلك يُزيلون اثر هذه المدرسة وذكرها . واذا تمّ ذلك لا يعود احدٌ يعرف شيئاً من محلها القديم . بما انهُ من الآن قد اضمحلّ كل اسم قديم كان معروفاً قبل قرنين او ثلاثة فكيف اذا زال آخر اثر منها فنتوسل الى الحكومة ان تتمسك بعدم تحقيق ما يتمنّى الطالبون حفظاً واكراماً لذكر الاقدمين

واما سوق الثلاثاء الذي يكثر ذكرهُ في تاريخ بغداد فهو مجهول اليوم بالكليّة مع انهُ كان لهُ ذكر مشهور في السابق وكان عظيماً جداً إذ كان يمتد من اول الباب الشمالي عند سور المدينة فينزل الى سور قصور الخلفاء فيمرّ بسوق الرّيحانيين الى ان يتصل بصدر جامع القصر الكبير . امّا اليوم فقد أُقيمت ابنية كثيرة متضامّة على هذا الدرب وسوقهِ

حتى تنكّرت صورة المدينة الاولى. ولم يبقَ امكان للاهتداء الى اصل رسم ذلك السوق ولا الى دربهِ ولا ولا ولا. والباقي منهُ يعرف بعدة اسماء بحسب موقعها او جوارها لبعض المعاهد والابنية او بموجب صاحبها وشاريها ومالكها. من ذلك « محلة ثلاثة دكاكين. ودرب المنارة المقطومة. وباب الآغا. الى غير ذلك

اما نظام الملك مؤسسها فقد قال عنهُ ابن خلكان ما ملخصهُ:

« وكان نظام الملك من نواحي طوس وكان من اولاد الدهاقين واشتغل بالحديث والفقه ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المتمد عليهِ بمدينة بلخ وكان يكتب لهُ فكان يصادرهُ في كل سنة فهرب منهُ وقصد داود بن ميخائيل السلجوقي والد السلطان ألب ارسلان فظهر لهُ منهُ النصح والمحبة فسلّمهُ الى ولده الب ارسلان وقال لهُ: اتخذهُ والدًا ولا تخالفهُ فيما يُشير بهِ. فلمّا ملك الب ارسلان دبّر امرهُ فأحسن التدبير وبقي في خدمتهِ عشر سنين فلمّا مات الب ارسلان وازدحم اولادهُ على الملك وطّد المملكة لولدهِ ملك شاه فصار الامر كلهُ لنظام الملك وليس للسلطان الّا التخت والصيد. واقام على هذا عشرين سنة... وكان مجلسهُ عامرًا بالفقهاء والصوفية... وبنى المدارس والرُبُط والمساجد في البلاد وهو اول من انشأ المدارس فاقتدى بهِ الناس وشرع في عمارة مدرستهِ [النظامية] ببغداد سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٤ م) وفي سنة ٤٥٩ جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ ابو اسحاق الشيرازي فلم يحضر فذكر الدرس ابو نصر بن الصباغ صاحب الشامل عشرين يومًا ثم جلس الشيخ ابو اسحاق بعد ذلك... ولهُ من الشعر قولهُ:

بعد الثمانين ليس قوّه قد ذهبتْ شرّة الصبوّه
كأنني والعصا بكفّي موسى ولكن بلا نبوّه » اه

وقد ذكرنا في صدر هذه المقالة سنة ولادتهِ ووفاتهِ

وممن يحق ذكرهُ هنا الشيخ ابو سعيد من شيوخ الصوفيّة وقد ذكرهُ الجامي في كتاب نفحات الانس فانهُ تولّى دراسة المدرسة النظامية بعد أن عُني ببنائها (اطلب مجاني الادب ١: ٨٧). يعتبرهُ الصوفيون كل الاعتبار ويثنون عليهِ لورعهِ وآدابهِ. توفي نحو اواخر المائة الخامسة من الهجرة

مدارس النصارى

واما النصارى فكانوا مخيّرين في ارسال اولادهم الى مدارس العرَب او الى ارسالهم الى مكاتبهم. واوّل من حظّر عليهم تعليمهم في مدارس المسلمين الخليفة المتوكل قال في اخبار فطاركة المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان (ص ٧٩)

ما هـذا نصّهُ . . . وأمر [المتوكل] بان لا تعلّم اولادهم (اي اولاد النصارى) في مكاتب العرَب » اه

وكان لهم عدة مدارس منها :

١ً مدرسة في الكَرخ

وهي التي نشأ فيها ابو محفوظ معروف بن الفَيْرزان المشهور بالمعروف الكَرخي نسبةً الى كرخ بغداد . كان اهلـهُ نصارى وأسلم . (راجع كتاب خلاصة الذهب المسبوك . مختصر من سير الملوك تأليف عبد الرحمان سنبط قنيتو الاربلي (ص ١٤٥ من طبعـة بيروت)

٢ً مدرسة أُخرى في الكَرخ

قال ماري بن سليمان (ص ٧٦) « ولمّا بنى المنصـور مدينتهُ (في الكرخ) ونزلها الناس هدم سبر يشوع (جاثليق النساطرة) تلك الابنية (أبنية مار فثيون) لاجل من تغلّب عليها ولم يتعرّض للهيكل والمذبح . وجدّد بنـاء بيت الاشهاد والاروقة ونصب اسكولًا (مدرسةً) وجمع المتعلّمين وكان عليّ وعيسى ابنـا داود يقومان بامرهم واقام الجاثليق فيـهِ ورسم ان يدفع من دخلهِ الى رهبان عُمر صَرصَر وهو المعروف بعمر صليبا وهم الناقلة من هذا الدير اربعة دنانير في كل شهر » اه كلامهُ

٣ً اسكول مَرماي

هو مدرسة خرج منها اعظم مشاهير علماء النصارى ولم يكن في نفس بغداد بل كان قريبًا منها . واكابر البغاددة كانوا يرسلون اليـهِ اولادهم . قال ابن ابي اصيبعة في متّى بن يونان (١ : ٢٣٥) « كان ابو بشر متّى بن يونان من اهل دير قُنّي ممّن نشأ في اسكول مرماري اه . وقال ياقوت : « دير قُنّى بضم اوّلهِ وتشديد ثانيـهِ مقصور (١ ويعرف بدير مرماري السليح (٢ . قال الشابُشتيّ : وهو على ١٦ فرسخًا من بغـداد منحدرًا بين النعمانيّة وهو في الجانب الشرقي معدود في اعمال النهروان . » اه

١) والنصارى من العرب يضبطونهُ بضم القاف وكسر النون وفي الآخر ياء ساكنة ومنهم من يُقحم واوًا بين القاف والنون ويقول قُوني . ويزعمون انهـا امرأة بنت هذا الدير وكنيستهُ من مالها الخاصّ واوقفتهُ للبيعة فسُمّي باسمها

٢) وفي الاصل : السليخ بخاء معجمة وهو غلط

وهناك عدة مدارس ومداريس واسكولات لا يمكن الحصول على اسمائها فقد كتب ماري بن سليمان (ص ١١٢) عن الجاثليق يوانيس انهُ «تجوَّز باخذ الرشى على الاسياميذات جهرًا واخراب البيع وتعطيل الاسكولات (التي في بغداد) اه . وهذا كلام يستشف من ورائهِ انهُ كان في بغداد عدة مدارس او اسكولات كما انهُ كان فيها عدة بيع

وقال المذكور في (ص ٨٥) عن الجاثليق يوحنا بن عيسى انـهُ «تربَّى في قطيعة النصارى ببغداد» . وقطيعة النصارى هذه كانت قريبة من درب القراطيس وكان فيها ايضًا نصارى اذ قال بُعيد ذلك: «وتعصَّب على يوحنَّا قومٌ من قطيعة النصارى ودرب القراطيس كانوا يعرفون منشأهُ وتربّي بينهم» اه . ولما كان لا بُدّ لكل محلَّة من كنيسة ومدرسة كان من الواضح وجود مثل ذلك في تلك المحلة

هذا الذي تمكَّنت يدنا الى الوصول اليهِ من اسماء المدارس مع تأكُّدنا اننا لم نذكر الَّا شيئًا زهيدًا منها ولهذا فان كان بين القرَّاء من يستطيع ان يهدينا الى غير ما ذكرناهُ فانهُ يستحق الأجر ونباهة الذكر والله المكافئ المُثيب . وكفى بهِ محسنًا

نعيم الآخرة

مقالـة لايليَّا مطران نصيبين

عُني بنشرهـا الاب لويس معلوف اليسوعي

توْطئة

في العشر الاوَّل من الشهر الحالي تحتفل الكنيسة بعيد صعود الربّ الى السماء وهي تنتهز الفرصة لتوجه افكار ابنائها الى افراح الجنَّة فتوطّد رجاءهم في الثواب الذي ينتظرهم في دار البقاء اذا ما جاهدوا مع الرسول الجهاد الطيّب فغلبوا الشهوات وفعلوا الصالحات . وقد رأينا نحن ايضًا هذا الوقت موافقًا لنشر مقالة في نعيم الآخرة وذلك اثر قديم وقفنا عليهِ في احد مخطوطات اوكسفرد العربيَّة وهو لكاتب نسطوري شهير ايليَّا مطران نصيبين نشرنا لهُ سابقًا (في المشرق ٦ : ١١١) رسالةً في وحدانيَّة الخالق وتثليث اقانيمهِ كنَّا اقتطفناها من المجموع ولا حاجة لوصف هـذا المخطوط

الذي افضنا في تعريفهِ وفي بيان محتوياتهِ في عدد المشرق المنوَّه بهِ. والمقالة التي نثبتها هنا هي الثانية عشرة من المقالات التي يشتمل عليهـا الكتاب. امَّا صاحبها فنحيل القرَّاء الى ما دونهُ المشرق عن ترجمتهِ وتآليفه في سنتهِ الخامسة (ص ٢٢٧-٢٤١) وفي ذلك الكفاية لتعريف سموّ فضلـهِ وسعـة علمهِ

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

المقالة الثالثة عشرة

من قـول ايليَّا مطران نصيبين في نعيم الآخرة

قال لمَّا سألوهُ عن نعيم دار الآخرة الدائم (أهو اكل وشرب) فاجاب قائلًا:

ليس ذلك النعيم اكلًا ولا شربًا بل سرورًا ومجدًا لا يُنطق بـهِ ولذَّة لا توصف تتَّحد بالنفس والعقل وتوصّلها الى نظر مجد الله والعيشة الملائكيَّة بلا تعب ولا ألم ولا تغيير ولا عرض ولا استحالة في نوع بالجملة من كل الانواع كما قال الانجيل المقدَّس في القيامة: تصير الابرار كمثل ملائكة الله الذين في السماء لانهم بنو الله وبنو القيامة

فان قال قائل: ان نعيم الآخرة اكلٌ وشربٌ. قلنا لـهُ: ليست هذه اللذَّة اصليَّة في ذاتها ولا خيرًا محضًا في طبعها بل انما هي دَفع عرَض من عوارض الدنيا مثـل لذَّة الأَمن عند الخوف ولذَّة الراحة عند التعب ولذة الهدوّ والسكون عند القلق والانزعاج فتكون تهدّي ما قبلها وتسكنهُ الى وقت ما. هكذا يكون وجود لذة الطعـام عند الجوع فانَّ الانسان اذا اخذ كفوءهُ من الطعام هدأ عنهُ الجوع الى وقت وليس هو خيرًا في طبعهِ اعني الطعام بل انما صار خيرًا عند ألم الجوع فان زاد عن الحدّ أتخم وضرّ لأَنهُ لو كان خيرًا في طبعهِ لم يكن يضرّ عند الاكثار منهُ بل كان يزداد نفعًا فاضلًا. كذلك لذَّة الشرب عند ألم العطش فاذا روي الانسان انقطع عنـهُ ألم العطش ووجد راحة الى وقت ما وليس هذا الآخر خيرًا في طبعهِ بل انما هو صار خيرًا عند ألم العطش لا غير ذلك كما قال القديس غريغوريوس اخو الكبير باسيليوس فاذا زاد منهُ أفسد معدتهُ وأحرف مزاجهُ وان اختنق في ميـاهٍ كان ذلك سبب موتهِ فلو كان ذلك خيرًا محضًا لم يكن يهلك بها ولا يتضرَّر منها عند كثرتها فمقدار اللذة في هؤلاء الانواع كمقدار مـا تحدثهُ عوارض الزمان من الالم فيسكن ذلك الالم الحادث لا غير

فان قال قائل: ان نعيم الآخرة اكلٌ وشربٌ أجبناهُ فأيُ فضل لهـا على عوارض هذا الدهر الكثيرة الأتعاب والاعراض ولا خير في لذة يوجبها الم ضروري حتى يوجب سلوبها كمثل مرض تريد مداواته حتى يهدأ ألمهُ

فان مارى احد في ذلك وقال: ان الله قادر ان يوصل هذه اللذة بغير ألم قلنا لـهُ: ان الانسان لا يحس بلذة الطعام من غير جوع ولا لذَّة الأَمن الَّا من بعد جزع وخوف ولا لذة اللباس والتدثُّر الّا عند ألم البرد ولا لذة الراحة الّا عند التعب ولا لذة الهدوء الّا عند القلق كما قلنا اوَّلاً بل لله الاقتدار بالحق والأَفضل ان يبطل ألمها من الجسم بعد القيامة لانها عرضيَّة ولذة خسيسة مناسبة للبهائم الغير عقليَّة كما يبطل شهوة التناسل لكي تبقى حياته مع الله ابدية مناسبة الملائكة الروحانية العقلية العلوية بلذة تنـال الروح لا يُنطَق بها ويبارك الله دائمًا ويقدسه شبيهًا بالملائكة وكافة الطغمات النورانية وينسى كل الملاذّ الجسديَّة الكثيرة الاوصاب والآلام

فاخبرْنا ايها الانسان ايما الأَفضل العين الصحيحة النظر بالدوام التي لا ينالها ألم او العين التي تتَّجع كل حين وتحتاج الى الاكحال والشيافات (الادوية) لكي يهدي الضربات الحادثة لها عرضيًا. وأيُّما اهنأ عيش الذي جسمهُ سالمٌ معافًى من سائر الأَوصاب او من يعرض لهُ امراض مسقمة او اورام صعبة موءْلمة ويحتاج للادوية والى المراهم على الاعصاب ليسكّن مادَّة المهِ لعلَّهُ يصح كما كان اوَّلاً ويحسد المعافى المستريح من الآلام الذي هو مكابدها. فمن البيان ان الذي كفاهُ الله هذه الآلام بأسرها وما يشابههـا وحملها عنهُ هو الممتدح اكثر من الذي تعرض لهُ ويتألم منها ويحتاج يستعمل ما يهدئها وهكذا الذين بعد القيامة كفاهم الله تبارك اسمهُ الم هذه الاعراض وحمل عنهم ثقل الجسم بامرهِ وجعلهم يشهدون في حياة فاضلة ولذة اشرف واعلى وابلغ التي هي خير في طبعها فكلما تزايدت عظمت كراماتهم على قدر رتب اعمالهم الفاضلة لا كمثل تلك اللذة الجسديَّة المستحيلة الزمنية التي كلما اكثرتَ منها ضرَّتك وربما قتلتك فامَّا هذه الذي قد استحق ان تتفاضل عليهِ من الله سبحانهُ وتعالى كصفو اعمالهِ كلما ازدادت ازداد مجدًا وكرامةً وبهاء وفرحًا ومسرة لا ينالها حزن ولا كآبة غريبة من الاعراض والآفات

فان ظن احد ان اللذة المستأنفة هي الاكل والشرب وقد جعل اللذات الجسديَّة اشرف من لذة العقول الروحانية فهـذا لا يعرف مقدار مواعيد الله بالجملة الكليَّة ولم

يصل عقلهُ الّا لاشياء جسمانية كما يلائم افكار قلبهِ الدنيّة والدنيويّة وهذا غاية الغلط لا محالة ان يكون شبه البهائم الغير عقلية افضل من شبه الملائكة السماويّة وفي هذا الذي ذكرناهُ كفاية بالغة لمن لـهُ عقل زاهد لطيف وتأمُّل حاذق شريف ان لا يميل للباطل ولا يصغي لقول معيب جاهل . ولربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح المجد والقدرة الى الابد والى ابد الابدين امين والشكر لله دائماً ابداً سرمديًا

سلامة النيّة

لـلاب لويس فؤاد اليسوعيّ

قرأنا في مجلّة انكليزيّة خبرًا عجيباً روتهُ السيدة هربرت عن احد الآباء اليسوعيين المرسلين اسمهُ دوبوي (Dupuy) جرى لهُ سنة ١٨٧٠ في تريشينوبولي احدى عواصم الهند من اعمال مدراس . وكان المرسل المذكور قد خصَّ نفسهُ بدعوة اهل تلك البلاد الى الدين المسيحيّ ومـا لبث ان اكتسب ثقتهم واسر قلوبهم بمحبّتهِ وهدى منهم كثيرين الى الدين الحقّ

ومن مبرّاتهِ انـهُ كان يزور مرّة في الاسبوع سجن المدينة حيث حُبس بعض الكاثوليك الارلنديين لجنايات اتوها فكان يتولّى تعليمهم ويهتمّ بشؤونهم الروحيّة ويوزّع عليهم الأسرار المحيية ولا يدعهم حتى يُنهض هممهم ويطيّب نفوسهم فيخرج من بينهم وألسنتهم طافحة بشكرهِ

ففي بعض الايام المعهودة قصد الاب دوبوي أولئك البائسين وجعل كمألوف عادتهِ يقضي بينهم الساعات ليُنير بها عقولهم بالارشادات التقويّة ويثبت في قلوبهم المقاصد الصالحة لتحسين سلوكهم وكان الاب نال من حرس السجن ان يفردوا لهُ للقيام بمهنتهِ قاعة فسيحة يجمع فيها اهل ملّتهِ فيعتزلون عن بقيّة السجناء ما دام المرسل معهم . فبينما كان يستقري يوماً صفوفهم ويسأل كلًّا منهم عن احوالهِ اذ وجد بينهم سجيناً لم يعرفهُ فتحفّى في سؤالهِ فاذا هو وثنيّ من بعض قبائل الهنود كان أُلقي عليهِ القبض لجريمة ارتكبها فزُجّ في السجن ريثما يصدر الحكم في حقّـهِ . وكان المذكور يعرف شيئاً من

الانكليزيّة فلمّا رأى الاب دوبوي يدعو الكاثوليك اندسَّ بينهم وتبعهم الى حيث مضوا ليصغي الى تعاليم مرشدهم فتأثر من اقوالهِ . امّا المرسل فاخذهُ الانذهال من امرهِ كيف اختلط بالكاثوليك وهو ليس منهم فصرفهُ الى السجن العموميّ بلطف لكنَّ الهنديَّ طلب اليهِ بالحاح ان يدعهُ يحضر تلك الارشادات فينتفع منها فغضَّ الاب النظر عنهُ

ثم داوم موتوسومي فعلهُ في الاجتماعات التالية وتسرَّب في جملة المسترشدين من الكاثوليك الى أن انتهز الفرصة يوماً فانفرد بالمرسل والتمس منهُ ان يصبَّ عليهِ الماء الماحي للخطايا يريد بذلك ماء العماد فردَّهُ الاب خائباً غير مرَّة خوفاً منهُ بان تكون طلبتهُ عن غاية بشريَّة . فعاد الهنديّ الى ملتمسهِ والدمع يترقرق في مآقيهِ . فاراد الاب ان يقف على حُسن طويَّتهِ فقال لهُ : وكيف أنصّرك وعلى صدرك سمة الوثنيَّة

وكان موتوسومي حاملًا صورة خطَّاف وهي شارة المتعبّدين لصنم الهنود كريشنا . فعند سمعهِ هذا الكلام نزع الصنم عن صدرهِ ووطئهُ برجلهِ قائلًا : « لن أدين مذ الآن بغير دين المسيح ابن الله » ثمَّ خرَّ على قدمي المرسل وهو يستحلفهُ أن يصبغهُ بالماء الماحي للخطايا

فتعجَّب الاب من فعلهِ لكنهُ لم يشأ ان يلبّي دعوتهُ قبل ان يتحقَّق خلوص نيَّتهِ وثباتهُ على عزمهِ فوعدهُ انهُ لن يتأخر عن الإجابة الى ملتمسهِ إن هو أتقن معرفة اصول الدين المسيحيّ وتعلّم الصلوات عن ظاهر قلبهِ . فكان الهنديّ في وقت الفراغ يسرع الى احد رفقتهِ السجناء الكاثوليك فيأخذ عنهُ الصلوات ويتلقّن ما يجهلهُ من امور النصرانيَّة حتى اصبح بعد اسابيع قليلة لا يفوتهُ شيء من مبادئ الدين الكاثوليكي . ولمَّا فحصهُ الاب دوبوي وجدهُ اهلًا بنعمة المعموديَّة مستعدًّا لها الاستعداد التام لا يبغي شيئاً كبغيتهِ لسرّ الخلاص

وكانت الحكومة في اثناء ذلك عقدت جلسةً خصوصيّة لتقضي في امر موتوسومي وتحكم عليهِ حكماً نهائيًا وكانت وقعت عليهِ شبهة القتل لبعض مواطنيهِ فسيق الى القضاة وسُئل أيقرُّ بذنبهِ فكان جوابهُ انهُ « هو القاتل ويرضى بما يُحكم عليهِ من العقاب تكفيرًا عن اثمهِ »

فاخذ العجب قضاتهُ من سرعة اقرارهِ وظنُّوا انهُ يقول ذلك امَّا لاختلاطٍ حدث لهُ في عقلهِ وامَّا خداعاً ليخفف عن نفسهِ تبعة الجريمة . فكرَّروا عليهِ السؤال مرارًا

وكان هو لا يجيب بغير قولهِ السابق وانهُ يريد تقدمة الكفَّارة عن ذنبهِ للآلهة. فاتّفق القضاة على ان يحكموا عليهِ بالسجن المؤبد وأُعيد الى حبسهِ

امَّا الاب دوبوي فوقع في حيرةٍ عظيمة لا يدري ما يصنع مع الهنديّ وكان وعد متولّي ادارة السجن بانهُ يقصر عنايتهُ بالكاثوليك فقط ولا يتعدّى طورهُ الى غيرهم ليهديهم الى دينهِ. فخاف اذا عمّد موتوسومي ان يوغر صدر المدير فيمتعض من فعلهِ ويصدّهُ عن زيارة السجناء الكاثوليك. لكنَّهُ كان يرى ايضاً في ثبات الهندي والحاحهِ بطلب العماد فرضاً لازباً لا يمكنهُ ان يتغاضى عن اتمامهِ دون ان يقصر عن واجباتهِ

فالتجأَ الى الصلاة لعلَّهُ يهتدي الى سواء السبيل فالهمهُ الله ان يذهب الى دار مدير السجن فيعرض عليهِ الامر ويطلب منهُ الرخصة ليعمّد ذلك المسكين. فلمَّا طرق سَمع المدير حديث الاب دوبوي استشاط غيظاً وظنَّ انها مكيدة من المرسل الذي تجاوز اوامرهُ وجعل يدعو الى دينهِ السجناء الوثنيين. فأبى ان يمنحهُ الرخصة المطلوبة وردَّهُ خائباً بقولهِ :

« يا حضرة الاب ايَّاك ان تنخدع بكلام ذلك الهندي فانهُ من شرّ العباد وقد ثبتت عليهِ جريمة القتل وعندي انهُ لم يطلب التنصُّر الَّا ليُفلت من العقاب الذي نالهُ بكل عدل وصواب »

قال هذا واطلق الاب واقفل بابهُ دونهُ ثمَّ كتب الى حرَس السجن بان يشدّدوا على موتوسومي ويوثقوهُ بالقيود ولا يدعوا الاب دوبوي يقترب منهُ. فاسرع الحرس الى الامتثال لامر المدير وكبّلوهُ بالحديد ثم افرزوهُ عن بقيَّة السجناء وجعلوهُ في غرفة مظلمة واوسعوهُ ضرباً وشتماً. امَّا الهندي فكان يحتمل كلّ ذلك بصبر عجيب لا يفوه ببنت شفة

ثمَّ عاد المرسل بعد ايَّام الى زيارة السجن فاعلمهُ بعض الكاثوليك بما حصل لموتوسومي من المصادرة فاشمأزَّ الاب من تلك المعاملة التي كان هو سببها على غير علمهِ فلم يبقَ لهُ الَّا ان يلقي بمقاليد امرهِ عليهِ تعالى ويتوسَّل الى الله بان ينجي تلك النفس من ضيقها ويفرج كربتها

وكان بين حرَّاس السجن رجلٌ ارلندي ذو دين اسمهُ پتريك فدعاهُ الاب دوبوي سرًّا واوصاهُ بالهنديّ كي يشدّد عزيمتهُ ويقوي قلبهُ في محنتهِ ريثما يسهّل الله امورهُ

وخوّلهُ السلطة ليمنحهُ العماد ان رآه ثابتاً في نيّتهِ مصمّماً على طلب ذلك السرّ . فوعدهُ الحارس بأنّهُ ينجز اوامرهُ ويقوم بخدمة موتوسومي ما امكنهُ

امّا السجين المسكين فلمّا رأى نفسهُ منزوياً في سربٍ مظلم لا انيس لهُ ولا جليس دهمتهُ الهواجس وساورتهُ الهموم فانحطّت قواهُ وبرى الحزن عظمهُ حتى بانت عليهِ نهكة المرض وصار طريح الفراش . فاتاهُ الحارس پتريك واستنفد وسعهُ في تثبيت جنانهِ الّا انهُ لم يستطع ان يخمد جزعهُ ويسند عزيمتهُ . وكان الهندي لا يزال يلحّ عليهِ بان يدعو لهُ الاب دوپوي ليقوم بوعدهِ ويتصرهُ بالماء الماحي للخطايا . فأخبرهُ پتريك بأنّ المرسل فوّض اليهِ السلطة بتنصيرهِ . فلم يرضَ الّا بأن يستدعوا لهُ الاب دوپوي

وكان المرض يتفاقم يوماً بعد يوم على الهندي والعلّة تدققهُ حتى أشعر طبيب السجن بأنّ موتهُ قريب وامر بنقلهِ الى مستشفى السجن . فخاف پتريك ان يقضي ذلك المسكين نحبهُ دون ان يحظى بمطلوبهِ فكتب الى الاب دوپوي رسالة يعلمهُ بحالة العليل وبتصميمهِ على استدعائهِ اليهِ دون آخر

فقام المرسل من ساعتهِ وتوجّه الى بيت مدير السجن متوكّلاً على الله وملتمساً شفاعة البتول معزّية الحزانى . فطرق الباب ودخل الديوان وكان المدير جالساً يطالع تقريرات حرّاس السجن وفي جملتها شهادة الطبيب في حالة الهنديّ الخطرة . فقال الاب :

— أبلغك سيّدي أنّ الهندي موتوسومي على آخر رمَق ؟

— قد بلغني الامر

— هي التشديدات التي جرت في حقّهِ قد نهكت قواه وانقلت مرضهُ حتى اشرف على الموت

— وماذا يمكننا ان نفعل ان أيس الاطبّاء من شفائهِ ؟

— سيّدي لا يزال هذا المسكين يلحّ على الحرّاس بأن يستدعوني لأعودهُ وامنحهُ سرّ العماد. الّا ان الحرّاس قياماً بأمرك لم يجيبوا الى دعوتهِ . وهاهوذا يموت ويطالبك الله بنفس هذا المسكين كما انّ الحكومة البريطانيّة تجعل على عاتقك تبعة حرمانهِ من التنصّر وجنابك تعلم انّ الحكومة تترك الحرّية التامّة لكل رجلٍ من رعاياها ان يدين بايّ دين شاء

فوجم المدير مطرقاً عند سماعهِ هذا الكلام وخشي من ضررٍ يلحق بهِ إن بلغ

الاب دوپوي الامر الى رؤسائهِ ثمَّ رفع رأسهُ بعد ساعة وقال:

دونك القرطاس والقلم فاكتب لي ما قدَّمتهُ من الادلَّة في رسالةٍ انفذها اليوم الى حاكم مدراس فعساك تبلغ بذلك ما تحبّ ويصيب السجين حاجتهُ

فبرقت اسرَّة الاب دوپوي وشكر المدير ثمَّ تناول الورق وسطَّر عليهِ رسالتهُ ودفعها الى العامل فاصحبها هذا بامرٍ منهُ وارسلها الى العاصمة طالباً الجواب السريع

*

كتب الله للمرسل الفاضل النجاح . فلمَّا كان اليوم الثالث وردتهُ رسالة برقيَّة من مدراس يسمح لهُ فيها الحاكم بعماد الهنديّ . فاقبل الاب دوپوي مسرعاً الى السجن يهنئ موتوسومي بنيل مرغوبهِ

وكان المسكين يتململ على فراشهِ ويخاف ان يموت قبل ان يفوز بالماء الماحي للخطايا . فلمَّا بلغهُ ذلك الخبر البهيج سكن جأشهُ وانكشف غمُّهُ . وكانت البشرى انتشرت بين السجناء فما كان الَّا كلمح البصر حتى التأموا في مستشفى السجن حول الاخشاب الغليظة التي كان الهندي مضَّجعاً عليها يقاسي مُضض الاوجاع . وكانوا كلهم عيوناً وآذاناً ليروا ذلك البئيس ويصغوا الى حركاتهِ وسكناتهِ بعد ان كانوا عهدوا منهُ مدّة اقامتهِ بينهم رجلًا هادئاً ورعاً لطيفاً

فقال لهُ الاب دوپوي: لقد اتيناك ولدي تلبيةً لدعوتك بالسرّ الذي طالما تاقت اليهِ نفسك فتأهَّب لقبولهِ واشكر الله على هذه النعمة السابغة

اجاب العليل : انَّ قلبي لمستعدّ يا ابتي . . . فانّي منذ سمعتُك لأوَّل مرَّة لم ازل امنّي نفسي بقدوم هذا اليوم السعيد وقبول هذا السرّ العجيب

—أوَلم تحدّثك نفسك بان تعدل عن عزمك لِما قاسيتهُ من طول الانتظار وما نالك من الجفاء والنكال

— اني كنتُ اتبرّم من طول المدّة لكنّي لم اعرض قط عن مقصدي وكنتُ اعلم بأني ادرك حاجتي بلا مراء كما وعدتني بذلك السيّدة العذراء

فلمَّا سمع الحضور هذا الكلام قضى منهم العجب وعلم المرسل انَّ في قول الهنديّ لسرًّا فقال لهُ : وايّ وعدٍ وعدتك بهِ العذراء . أوَ هي التي دعتك الى النصرانيَّة ؟

— انَّ قصتي لطويلة غريبة . . . ما اعظم الربّ وما اشدّ مراحمهُ اليَّ

قال هذا واجهش بالبكاء . فهدأ الاب روعهُ وطيَّب خاطرهُ ثمَّ طلب اليهِ ان يقصّ على الحضور حديثهُ بوجيز الكلام

فانقاد موتوسومي مطاوعاً وقال : ان مهنتي كانت الحطابة فكنت اقضي نهاري بين الغابات اقطع فروع الاشجار وجذوعها ثم احزمها حُزماً واحملها الى بيت احد السادة فيجازيني عن اتعابي رزقاً كافياً . ولما كنت اميناً لهُ مواظباً في خدمتهِ مُحباً لدياناتي ذا وقار للآلهة زارني سيّدي يوماً واهداني مكافأةً على اتعابي عدداً من افراخ الحمام فربَّيتها في بيتي وكنت مولعاً بمثل هذه الملاهي . لكنّي غبتُ ذات يوم فانقضّ عقاب على برج الحمام (والعقاب طيرٌ نحسبهُ نحن الهنود في عداد الآلهة) واختطف حمامةً ثم جعل يأتيني بمثل هذه الزيارات المشؤومة حتى لم يبقَ في الوكر الّا حمامة واحدة فكنت اذا خرجتُ من البيت اخذتها معي خوفاً عليها من الإله . فبينما كنت في احد الأيام اجول في الغاب قصد الصيد لحت الطائر المشؤوم يرفرف حولي كانهُ يرغب في الطير الباقي فخفت ان يصيب الحمامة ما اصاب اخواتها فخالج اذ ذاك فكري ما لحقني بسببهِ البؤس واستعرتْ من جرائهِ حرقة فؤادي فتناولت قوسي واوترتها وجذبتُ اليَّ النبل بعنف حتى وصل الوتر الى اذني ثم صوَّبتهُ الى العقاب فطار السهم ورشق الطائر فأصماهُ . فسمعت دويّاً عظيماً ورأيتُ العقاب ساقطاً على الحضيض

فشعرت اذ ذاك بما جنيت وأفلت القوس من يدي المرتجفتين وجعل فؤادي يخفق على غير العادة وساورتني الوساوس الغريبة فعفّرتُ وجهي بالتراب وضربت الارض بجبيني والعبرات تنهلّ من مآقيّ كالوابل الهاطل . فكان يخال لي ان ذنبي لا يغتفر اذ قتلت ذلك الإله . . . وايّ ذنب يعادل ذنب قاتل الإله ؟ . . . ابتعدتُ عن جثة الطير ألا ان الوسواس لم يزايلني ولم يسكن اضطراب جأشي فكنتُ حيثما اسير ارى العقاب نصب عيني . . . امّا الليل فكنت استلقي على سريري متفطر الفؤاد مضغوطهُ ارعى النجوم طول الليل متسهّداً أرِقاً وكان شبح الطير وخيالهُ المرعب ينتصب امامي فأبادر لمصادمتهِ وهو يكرّ عليَّ فترتعد منهُ فرائصي واغيب عن رشدي برهةً ثم اصحو . . . وهكذا كنت اقضي لياليَّ في عراك وصدام . ثم ولجت الغاب واحتفرت حفرة واريتُ فيها جثة الطير لكنَّ صورتهُ لم تزل مطبوعةً في ذهني فكنت اراها في يقظتي . اراها في منامي . اراها في كل مكانٍ . . . ومهماز الضمير يتعقَّبني ويردّد على مسامعي : تبّاً لك .

سحقًا لك كيف قتلت الاله .. وكنتُ اراني ملطَّخًا بدم الاله اثارهُ في يدي وعلى ثيابي ..

ثم شرعتُ اهيم في وجهي طاويًا الصحاري والجبل في القرّ والحرّ منتقلًا من غابة الى أُخرى عسى هذه الصورة الهائلة تتوارى ولو برهة زمان عن اعيني فيهنأ لي فيها الرقاد ويستريح قلبي . ولمّا كنت في بعض الطريق داهمني الليل وكان قد اضناني التعب فوقعت بالقرب من شجرة متوسدًا لصمّ الجندل

غفلت عينيّ واكتحلت بشيء من السهاد فنسيت خطبي لحظة زمان ولكن شاء الرب ان لا يُذيقني لذّة الراحة الّا ليعدّ نفسي لأشد بلوى وعذاب فانهُ ما استقرّ لي النعاس حتى شعرت بيد من حديد قد قبضت على عنقي وشرذمة من الفرسان احاطوني وكبّلوني بالحديد فوعيتُ اذ ذاك لنفسي فرأيتُني قد وقعت في البلاء وسمعت تبَعة الشرط يقولون : « هذا المجرم . هو هو القاتل » . ولمّا لم أرَ سبيلًا الى الانكار وعليّ الشهود البيّنة بؤتُ بذنبي . فحملني الشرط الى السجن ولست ادري من اين شاع امري وقد اخفيت جثّة الطير ولم تكن عين تراقبني ساعة نفذ فيهِ سهمي فاذعنت لامر الآلهة موقنًا بغضبهم عليّ وانهم هم الذين قضوا عليّ بالهلاك

وعند صباح الغد ساقني الشرط الى المجلس فمثلت امام القضاة فاقبلوا يسألونني عن اسمي ونسبي وسائر احوالي فاجبتهم عمّا سألوا ثم استنطقوني عمّا اذا كنت انا القاتل . فاقررت بالذنب علانيةً وأجبتُ : اني انا القاتل ...

فاستغرب القضاة جوابي وظنّوها مني خدعة فقال احدهم : وهل عندك من الاسباب ما يوجب تخفيف العقوبة ومعاملتك باقلّ صرامة

— اني استسلم في ايديكم فافعلوا بي ما شئتم

فاجاب القاضي وكان قد أثّر فيهِ قولي فاستفزتهُ الرحمة : وايُّ ذنب جناه نحوك الشاب المسكين الذي قتلتهُ فثكلتَ أمهُ وحرمت اخوتهُ الصغار عنهُ

(قال موتوسومي) فاطرقتُ برأسي الى الارض وامعنت الفكر في كلام القاضي فانجلت لي حقيقة الامر وفهمتُ اني قد وقعتُ في حبائل نُصبت لي على غير علمي فان الهنود سكان الغاب كانوا قتلوا احد الشبّان ولمّا اتى الشرط ليستفحصوا عن القاتل وجدوني ملقى على الحضيض واتهموني بتلك الجريمة وانا بريء من دم هذا الشاب وكان في وسعي ان اهتك ستر سكّان الغاب والقي عليهم الشبهة

فأبيت وآثرت ان الزم السكوت تكفيرًا عن ذنبي الذي اتيتهُ بحق الإله الغراب ولما حُكم عليَّ بالسجن المؤبد حنيتُ الرأس مُذعنًا للقضاء ورجعتُ الى سجني صامتًا لكنّي ما كدتُ ادخل الكوخ المعدّ لحبسي وصرتُ في عزلتي بعيدًا عن عين المراقب حتى تراكمت عليَّ الهموم وتنازعتني هواجس الضمير ففكّرت في الانتحـار لعلّي اتخلّص بالموت الاختياريّ من اعباء الحياة ثمَّ خطر على بالي فكر التكفير عمّا جنتهُ يدي بقتل الإله فقضّلتُ التعويض عن اثمي ومراضاة الآلهة بصبري. فجثوت على الرُّكب داعيًا: ارحموني أيها الآلهة ... اني لقد اسأت في معاملتي لاحدكم وتكفيرًا عن سوء صنعي ها انذا راضٍ بالسجن المؤبد مع قدرتي على النجاة منهُ فأقبل الذلّ والعار وفاءً عن ذنبي وحظوةً برضاتكم فارحموني... وأقيلوا عثرتي» وكنتُ اتلو هذه الصلاة صباحَ مساء عسى أن انال بها الصفح عن خطيئتي. ولمّا كنتُ ذات ليلة منطرحًا على الحضيض أناجي الآلهة واطلب رضاها اذ...

وهنا انقطع موتوسومي عن الكلام وترقرقت عينـهُ بالدمع ... فسألهُ الاب دوبوي أيشعر بألم او ضنك لطـول الحديث. فاجاب الهنديّ: «كلّا ابتِ انَّ رواية هذا الواقع تملأ قلبي عذوبةً وكلّما تذكّرتهُ هطل الدمع مدرارًا من عيوني... آه ما اعظم مراحمك نحوي أيها الربّ يسوع» . قال هذا ثمَّ عاد الى سرد حديثهِ

وأنا في صلاتي واذا بنور زهيّ سطع على طرف كوخي الحقير ولم يزل النـور في ازدياد حتى جلّل كل جهات منزلي وتراءت لي في وسطه صورة سيّدة... او ملكة.. او.. آه لذاك الجمال ما كان افتنهُ للقلوب.. ثمَّ نظرت السيّدة اليَّ فكاد الجنان يذوب بذلك النظر نعمةً ويتطاير فرحًا. فلم أُعد ادري أأنا في الارض او في نعيم السماء. ثمَّ قالت لي بكلام احلى من الشهـد والطف من النسيم: بُنيَّ لقد اعجبتني سلامة نيّتك وصدق طويّتك. اعلمْ انَّ العقاب الذي رشقتهُ بسهمك ليس باله وانّمـا هو من بعض خلائق الإله وقد تعبّد لهُ قومك جهلًا كما اكرموا اصنامًا باطلة لا خير في عبادتها. وانّما الاله الصمد هو ابني الربّ يسوع فايّاهُ اعبد وبدينهِ اعتصم تنلْ حياةً ابديّة

فصرختُ اليها: ومن يهديني الى هذا الاله

اذهب الى المرسل الذي يزور المسجونين واطلب منـهُ ان يغسلك بالماء الماحي للخطايا

فاردتُ ان اسألها عن هذا الماء واذا الصورة قد اختفت عن العيان واخذ النور يزوى ويتوارى فرميت بنفسي على الحائط لاقبض عليهِ لكنهُ افلت من يدي المرتجفة وزال عن عياني

قال الاب دوبوي: أوَ تذكر هيئة تلك السيّدة التي رأيتها؟

كانت عذراء ولكنّي لم اميّز لونها وهيئتها. وغاية ما يمكنني القول فيها انها كانت ملتحفة بالنور بل كلها نور . . . آه ما كان ابهاها ففي مجرَّد ذكري لها يطفح قلبي عذوبة وتحلو لي مرارة سجني . . . فارجوك كلّ الرجاء ان تسرع فتصبّ على رأسي الماء الماحي للخطايا فأدرك مُنيتي واتمم ارادة السيّدة

فلمّا فرغ موتوسومي من حديثهِ سكت حيناً وحدَّق بنظرهِ الى السماء مبتسماً كأنهُ يحاول النظر الى الرؤيا التي ظهرت لهُ

لمّا الاب دوبوي فلحظ أن قوى السجين زادت خوَرًا فباشر برتبة العماد والحضور يجيبونهُ على صلواتهِ ويشكرون الله على ما خوَّل ذاك المسكين من سوابغ النعم. ولمّا انتهى الكاهن الى الفاظ السرّ صبَّ الماء الماحي للخطايا على رأس موتوسومي معمّدًا لهُ باسم الله الآب والابن والروح القدس. ودعاهُ باسم رسول الامم بولس

فآمنَ الهندي وشعر كأنَّ افراح السماء حلّت في قلبهِ. وكنت ترى محيّاهُ يتلألأ بأنوار النعمة ولسانهُ يترطّب باقوال الشكر لهُ تعالى الذي اصطفاهُ بين عبادهِ وغمرهُ بسجال مواهبهِ وفيض نوالهِ

وبقي مدَّة غائصاً في بحر التعزية اشبه بملائكة الله. ثمَّ تقدَّم اليهِ الاب دوبوي وطلب منهُ أيصفح من صميم الفؤاد عن كلّ من آسى اليهِ وكانوا سبباً لما قاساهُ في السجن من النكال دون ذنب منهُ

وكأن بولس خجل من هذا الكلام فقال للمرسل: «أنّما الاحرى بي انا أن استغفر عمّا أسأتُ بهِ اليك أيها المحبّ والى كلّ رفقتي اذ رأيتني مقصِّرًا في اداء حقوقهم . . . امّا الذين آذوني في شيء فاني اسامحهم بهِ تماماً بل اشكر الربّ عنهُ لما اتاحني بذلك من نعمة التشبُّه بالهِ الصليب . . . والآن لم يبقَ لي الّا ان اطلب من الله أن يطلقني بسلام ويجمعني بفرقة الابرار فأُعاين الله وجهاً بوجه واحظى برؤيا امّ النور . . . » ثمَّ سكت ثانيةً

وكان الحضور في دهشة واندهال من كلّ ما يرون ويسمعون وهم يحبسون انفاسهم لئلّا يفوتهم شيء من هذا المشهد البهيج · ولبث بولس لا يبدي حراكًا وانَّما كانت شفتاه تختلجان بعد بالصلاة فألصقهما الكاهن على الصليب الذي قرَّبهُ من فيهِ · وكانت امارات الهدو والسكينة بادية على وجههِ الساطع بانوار النعمة . . . وبعد هنيهةٍ فتح عينيهِ ثمَّ مدَّ ذراعيهِ كأنهُ يلبّي دعوة داعٍ الى ان صرخ: يسوع . . . مريم . . . هاءنذا · واسلم روحهُ البارَّة الى خالقهِ

فجثا الاب دوپوي عند رأسهِ وصلّى عندهُ مليًا . . . وتحقّق الجميع بأنَّ نفسهُ انتظمت في مصفّ الابرار

*

ولم يزل كلّ من شاهد هذا الحادث يذكرهُ ثمَّ شاع تنصّر موتوسومي بين قبائل الهنود وأثَّر مثلهُ في نفوسهم حتى انَّ أُلوفًا منهم طلبوا نعمة التنصّر قدوةً بهِ واذاعوا مراحم العذراء التي عطفت على احد ابناء وطنهم وكافأته بما طُبع عليهِ من سلامة النيَّة

المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

٢ موقع سوريَّة (تتمَّة)

وقبل ختامنا لهذا الفصل الذي كتبناهُ في موقع سوريَّة وجعلناهُ كتوطئة لابحاثنا في جغرافيَّة الشام ينبغي لنا ان نضيف اليهِ بعض ملحوظات عموميَّة

من خواصّ الشام كما سبق القول ان لها حدودًا ظاهرة وتخومًا مقرَّرة · وفي ذلك فائدة كبيرة لأنَّ تخوم البلاد بمثابة حدود الاملاك وحواجزها التي تصونها من كلّ تعدٍّ ومخاصمة · وفي الواقع ترى جهات الشام مفروزة عمَّا سواها فلا تستطيع ان تخلط بينها وبين البلاد المجاورة لها كآسية الصغرى مثلًا لانَّ بين الشام والاناضول طودًا شاهقًا يفوق بارتفاعهِ جبال الپيرانائي الذي يفصّل فرنسة عن اسبانية وهو اعظم مهابةً منهُ · كذلك من جهة الشمال الشرقيّ نهرٌ وهو الفرات معدَّل عرضهِ ٥٠٠ متر يفصل الشام عن بلاد

ما بين النهرين . امّا الفاصل بين الشام ومصر وانحاء العرب فبحرٌ بلا ماء اي البوادي القفرة الواسعة التي يسهل دونها قطعُ البحار وقد بيّنّا قبلًا ان البحار صارت اليوم من اسباب الوصال وهيهات ان يصدق ذلك في الصحاري والقفار

وخلاصة الكلام انّ بلاد الشام مجموعٌ منفردٌ قائمٌ بذاتهِ لا يمتزج بتخومهِ غيرهُ ليست كأنكلترّة معتزلة عمّا سواها مفتوحة الثغور لمن يطلبها . لكنّ هذه العزلة لم تعرّض بلاد الشام للفتور والخبَل كما جرى لبلاد الصين وراء حائطها الكبير بل قاسمت البلاد المتمدّنة في حركتها وناهيك بالحركة بركةً وخصبًا وترقّيًا . وقد اثبتنا في مـا سبق انّ الشام رأت من تقلّبات الدول وفتوحاتها ما قلّ لبلد آخر ان يختبر مثلهُ . فانّ الامم القديمة تجاوزت تلك التخوم وخرقت تلك الحواجز وعدّت الشـام كطعمة تتنازعها مطامع « ذُباب مصر ونَحل اشور » كما قال اشعيا النبيّ (٧ : ١٨) . وكانت الامم البائدة تعتبر فتح الشام وفلسطين كاعظم فوز تفوز بهِ لأنّها كانت تجد في هذه البلاد معبرًا اكيدًا لتصريف تجارة الهند في مواني بحر الشام وبابًا واسعًا لفتح افريقية وآسية المتقدّمة . وهذا الحكم قد خطر منذ نحو ٥٠٠٠ سنة على بال سرغون احد ملوك بابل فأثبتهُ في بعض مآثرهِ

وقد سبق لنا القول في سبب انتقال الحركة التجاريّة العموميّة في عهدنا . فعلّة ذلك انّ القطب الذي عليهِ كان مدار الحركة التجاريّة لم يَعُد في مكانهِ مارًا في وسط بلاد الشام بل تحوّل عن ممرّهِ فصـار يمتدّ في طريقين أُخريين امّا في شرقي الشام وامّا في غربيها . وليس هذا الخلل الوحيـد الذي تدلّنا عليهِ القوانين الجغرافيّة فانّنا نرى خللًا آخر يضعِف هذه البلاد تشير اليهِ الجغرافيّة ايضًا

*

تشبه سوريّة في هيئتها الطبيعيّة مربّعًا كبيرًا يقيس طولهُ ثماني مرّات عرضَهُ لأنّ طولهُ من جبل طورس الى جبل سينا لا يقلّ عن ١١٠٠ كيلومتر بخلاف عرضهِ الذي لا يتجاوز معدّلهُ ١٥٠ كيلومترًا . وكلّ يعلم انّ مثل هذا التباين في الاقيـة يضرّ بالموازنة ويمنع الارتباط والوحدة بين جهـات البلاد . لأنّ الجسم السياسيّ اذا امتدّت اطرافهُ فبعُدت عن مركز الحكم خفّ فعلـهُ فيها ومن ثمّ ترى الانحاء تطلب التفرُّد فتضعف القوّة العموميّة . وهذا ممّا يظهر اليوم فى بعض البلاد رغمًا عن الروابط العظيـمة

وكان الحضور في دهشة واندهال من كلّ ما يرون ويسمعون وهم يحبسون انفاسهم لئلَّا يفوتهم شيء من هذا المشهد البهيج . ولبث بولس لا يبدي حراكًا وانَّما كانت شفتاه تختلجان بعد بالصلاة فألصقهما الكاهن على الصليب الذي قرَّبهُ من فيهِ . وكانت امارات الهدو والسكينة بادية على وجههِ الساطع بانوار النعمة . . . وبعد هنيهةٍ فتح عينيهِ ثمَّ مدَّ ذراعيهِ كأنهُ يلبّي دعوة داعٍ الى ان صرخ : يسوع . . . مريم . . . هاءنذا . واسلم روحهُ البارَّة الى خالقهِ

فجثا الاب دوپوي عند رأسهِ وصلَّى عندهُ مليًا . . . وتحقَّق الجميع بأنَّ نفسهُ انتظمت في مصفّ الابرار

*

ولم يزل كلّ من شاهد هذا الحادث يذكرهُ ثمَّ شاع تنصّر موتوسومي بين قبائل الهنود وأثَّر مثلهُ في نفوسهم حتى انَّ أُلوفًا منهم طلبوا نعمة التنصّر قدوةً بهِ واذاعوا مراحم العذراء التي عطفت على احد ابناء وطنهم وكافأته بما طُبع عليهِ من سلامة النيَّة

المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس مدرّس التاريخ والجغرافية في المكتب الشرقي

٢ موقع سوريَّة (تتمَّة)

وقبل ختامنا لهذا الفصل الذي كتبناهُ في موقع سوريَّة وجعلناهُ كتوطئة لابحاثنا في جغرافيَّة الشام ينبغي لنا ان نضيف اليهِ بعض ملحوظات عموميَّة

من خواصّ الشام كما سبق القول ان لها حدودًا ظاهرة وتخومًا مقرَّرة . وفي ذلك فائدة كبيرة لأنَّ تخوم البلاد بمثابة حدودَ الاملاك وحواجزها التي تصونها من كلّ تعدٍ ومخاصمة . وفي الواقع ترى جهات الشام مفروزة عمَّا سواها فلا تستطيع ان تخلط بينها وبين البلاد المجاورة لها كآسية الصغرى مثلًا لانَّ بين الشام والاناضول طودًا شاهقًا يفوق بارتفاعهِ جبال الپيراناي الذي يفصّل فرنسة عن اسبانية وهو اعظم مهابةً منهُ . كذلك من جهة الشمال الشرقيّ نهرٌ وهو الفرات معدَّل عرضهِ ٥٠٠ متر يفصل الشام عن بلاد

ما بين النهرين. امّا الفاصل بين الشام ومصر وانحاء العرب فبحرٌ بلا ماء اي البوادي القفرة الواسعة التي يسهل دونها قطعُ البحار وقد بيّنّا قبلًا ان البحار صارت اليوم من اسباب الوصال وهيهات ان يصدق ذلك في الصحاري والقفار

وخلاصة الكلام انّ بلاد الشام مجموعٌ منفردٌ قائمٌ بذاتهِ لا يمتزج بتخومهِ غيره ُليست كأنكلترَّة معتزلة عمّا سواها مفتوحة الثغور لمن يطلبها. لكنَّ هذه العزلة لم تعرّض بلاد الشام للفتور والخبَل كما جرى لبلاد الصين وراء حائطها الكبير بل قاسمت البلاد المتمدّنة في حركتها وناهيك بالحركة بركةً وخصبًا وترقّيًا. وقد اثبتنا في ما سبق انّ الشام رأت من تقلّبات الدول وفتوحاتها ما قلّ لبلد آخر ان يختبر مثلهُ. فانّ الامم القديمة تجاوزت تلك التخوم وخرقت تلك الحواجز وعدّت الشام كطعمة تتنازعها مطامع «ذُباب مصر ونَحل اشور» كما قال اشعيا النبيّ (٧ : ١٨). وكانت الامم البائدة تعتبر فتح الشام وفلسطين كاعظم فوز تفوز بهِ لأنّها كانت تجد في هذه البلاد معبرًا اكيدًا لتصريف تجارة الهند في مواني بحر الشام وبابًا واسعًا لفتح افريقية وآسية المتقدّمة. وهذا الحكم قد خطر منذ نحو ٥٠٠٠ سنة على بال سرغون احد ملوك بابل فأثبتهُ في بعض مآثرهِ

وقد سبق لنا القول في سبب انتقال الحركة التجاريّة العموميّة في عهدنا. فعلّة ذلك انّ القطب الذي عليهِ كان مدار الحركة التجاريّة لم يَعُد في مكانهِ مارًّا في وسط بلاد الشام بل تحوّل عن ممرّهِ فصار يمتدُّ في طريقين أُخريين امّا في شرقي الشام وامّا في غربيها . وليس هذا الخلل الوحيد الذي تدلّنا عليهِ القوانين الجغرافيّة فانّنا نرى خللًا آخر يضعِف هذه البلاد تشير اليهِ الجغرافيّة ايضًا

*

تشبه سوريّة في هيئتها الطبيعيّة مربّعًا كبيرًا يقيس طولهُ ثماني مرّات عرضَهُ لأنّ طولهُ من جبل طورس الى جبل سينا لا يقلّ عن ١١٠٠ كيلومتر بخلاف عرضهِ الذي لا يتجاوز معدّلهُ ١٥٠ كيلومترًا. وكلٌّ يعلم انّ مثل هذا التباين في الاقيسة يضرُّ بالموازنة ويمنع الارتباط والوحدة بين جهات البلاد . لأنّ الجسم السياسيّ اذا امتدّت اطرافهُ فبعُدت عن مركز الحكم خفّ فعلهُ فيها ومن ثمّ ترى الانحاء تطلب التفرُّد فتضعف القوّة العموميّة. وهذا ممّا يظهر اليوم في بعض البلاد رغمًا عن الروابط العظيمة

التي تستعين بها الدول في عهدنا لضمّ اطرافها وتوحيد عناصرها كاحتكار القوّة وتعميم التعليم والجنديّة الالزاميّة وغير ذلك ممَّا تفرَّدت بهِ الدول الحاليَّة . مثال ذلك ما تجده في ايطالية فانَّ الحكومة الواحدة تحكم على بلاد مختلفة طبائع واغراضاً كبلاد بيامنتي في الشمال وبلاد صقلّية في الجنوب وحتَّى الآن لم تقوَ الحكومة على مزج هذه العناصر المتَباينة وتوحيدها

ويضاف الى هذا الخلَل في تركيب سوريَّة الجغرافيَّة خلل آخر ليس باقلّ ضرراً منهُ بوحدة ادارتها نريد سلاسل جبالها التي تخترق البلاد فتمنع اختلاطُ طوائفها وتوحيد عناصرها . كما ترى في سويسرة وجهات الاناضول حيث ارتفعت ايضاً الجبال الشاهقة فاضرَّت بامتزاج اقسامها . والتاريخ يعلمنا انَّ الدول الكبرى كانت تجعل مراكزها في السهول . اما سهول سوريَّة فتراها بعيدة عن مركز حركتها معتزلةً في طرفها الشماليّ الشرقيّ وتلك الجهة اشبه ببادية مقفرة وهي منزوية معتزلة فلا تستطيع ان تنشأ فيها مدينة عامرة تحيي الاطراف بنفوذها

وما هو اخطر من ذلك انَّ هذه الجبال السوريَّة التي يبلغ معدَّل علوّها ٢٠٠٠ متر تقوم في وسط البلاد كحاجز متواصل يفرد كلّ طائفة في مكانها ويؤثّر في حياتها فاصلاً كلّ قسمٍ عن اخيهِ بحيث لا يمكنهُ ان ينال منهُ فائدةً لترقيهِ وتمدُّنهِ . لاسيما انَّ هذه السلسلة تمتدّ من الشمال الى الجنوب وهي وجهة اقلّ نسبةً لامتزاج الشعوب من وجهة الغرب الى الشرق لان السكّان اذا انتقلوا تابعين لدرجات العرض امكنهم ان يعتادوا تغيير الاحوال الجوّيّة بخلاف الذين يتبعون درجات الطول فانهم يُبلَون بمقاساة المظاهر الجوّية التي لم يعتادوها

وزد عليهِ انَّ جبال الشام تنفصل في سوريَّة الوسطى الى سلسلتين متوازيتين لا تكاد الثانية تختلف في علوّها عن الاولى . وهذه السلسلة الجديدة تُدعى بالجبل الشرقيّ تمدّ شُعَبها على نواحي دمشق وبادية تدمر وحوران وما وراء الاردن . والجبلان اشبه بحائطين هائلين بينهما البقاع والغور كوادٍ غريب يبلغ منهبطهُ عند طرفهِ الجنوبيّ اي بحر لوط عمقاً لا يقلّ عن ٤٠٠ متر تحت سطح البحر المتوسّط

والحقّ يقال انَّ الطبيعة احسنت الى سوريَّة في شيء اذ حصَّنتها بسور من الجبال لكنَّها افرطت في توفير هذه الجبال في قلب البلاد . فانَّ السائر الذي يتوغّل من سواحل

الشـــام الى الجهات الداخليَّة يلقى في مسيرهِ خمسة انحاء جغرافيَّة تختلف احوالها كلَّ الاختلاف في حرارتها وهوائها ونباتها مع قلَّة لسباب المواصلات بينها لأنَّ السلسلة الكبيرة التي تمتدّ طولًا في وسط سوريَّة لا تنقطع انقطاعًا محسوسًا ألَّا عند علوّ طرابلس حيث توصل جبل النُّصيريَّة باوَّل منعطف لبنان آكامٌ قليلة الارتفاع

ولو قطعتَ سوريَّة تبعًا لخطّ الهاجرة اي من الشمال الى الجنوب لوجدت فرقًا كهذا. فان الطبيعة قد قسَّمت سوريَّة الى خمس او ستّ كُوَر مختلفة السعة تعزلها عن بعضها الانهار او الجبال بحيث تستطيع كل كورة ان تكون منفردة عن اختهـا (١ فتجد في الشمال البلاد المرتفعة الواقعة بين الفرات ومصب العاصي. وفي الوسط بلاد البقاع بين سلسلتي لبنان غير المتساويتين. ثمَّ دمشق وغوطتها من جهة وفينيقية من جهة أُخرى. واخيرًا في الجنوب مجموع بلاد متباينة كأنها طبقات درجيَّة ترتفع فوق بعضها على جانبي وادي الاردن شمالًا ويمينًا

وممَّن لحظوا هذه الاختلافات الغريبة التي خُصَّت بها انحاء الشام جغرافيٌّ عربيّ من مشاهير كتبة القرن العاشر نريد شمس الدين ابا عبدالله محمَّد بن احمـــد المعروف بالمقدسيّ وكان اصلهُ من الشام فانهُ دوَّن في كتابهِ الموسوم « باحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » ملحوظًا جغرافيًا يدلّ على توقُّد ذهنهِ ودقَّة فكرهِ قال في وصف اقليم الشام (في الصفحة ١٨٦) :

«وَضْع هذا الاقليم ظريف. هو اربعة صفوف: الاوَّل يلي بحر الروم وهو السهل رمالٌ متعقدة ممترجة يقع فيهِ من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل. والصفّ الثاني الجبل مشجَّر ذو قرى وعيون ومزارع يقع فيهِ من البلدان بيت جبريل وايليا ونابلس واللجُّون وكابل وقدَس والبقاع وانطاكية. والصفّ الثالث الاغوار ذات قرى وانهار ونخيل ومزارع ونَيْل يقع فيهِ من البلدان ويلة وتبوك وصغر واريحا وبيسان وطبريَّة وبانياس. والصفّ الرابع سيف البادية وهي جبـال عالية باردة معتدلة مع البادية ذات قرى وعيون واشجار يقع فيها من البلدان مآب وعمَّان واذرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب. وتقع الجبال الفاصلة مثل جبل زيتا وصدّيقا ولبنان واللكام وسرَّة الارض المقدَّسة في الجبال المطلَّة على الساحل »

وكلّ هذه الفروق في الوضع الطبيعي قد علَّلت بتتابع الأيام اطوارًا تاريخيَّة مختلفة وكثيرًا ما عاش اهل تلك الانحاء يجهل بعضهم بعضًا. فالجبليُّون يتحصَّنون في مشارفهم

---

١) اطلب تاريخ الامم الشرقيَّة للعلَّامة مسپرو (ج ٢ ص ١٤)

الطبيعيَّة كما في قلاع حريزة وكذلك اهل المنعطف الشرقي كانوا مبتعدين عن سكّان السواحل . وهؤلاء لا يفكرون الّا في سفنهم وبحريّتهم لا يكترثون لمن توطّن السهول الداخليَّة . وقد أدَّت بالفينيقيين عزلتهم وحبّهم للتفرّد انَّ كلّ فئة كانت تقصر نظرها الى قطعــة من الارض ورثتها من اجدادها فتكتفي امّا برأس ساحليّ وامّا بخليج او جزيرة كما ترى في ارواد وجُبيل وصيداء وصــور لكلّ منها استقلالها النوعيّ . ولهذا السبب نرى السوريين منذ اقدم الاجيال « منقسمين الى عدَّة طوائف متخاصمة تسعى كلّ واحدة منها حتى اصغرها في حفظ منافعها الخاصَّة ولا تزال تدافع بالحرب العوان عن قطعة من الارض او بعض فدادين من المزارع او بعض الاحراج الجبليَّة . فترى القتال قائماً على ساق بين هذه المقاطعات فيستولي عليهــا الخراب والدّمار كأن عدوًّا مغواراً دخل فيها واعمل فيها السيف والنار » (١

وان اعتبرت تاريخ سوريَّة وجدت بهذا الاقليم متقسّماً الى ايالات منفردة تسكنها العشائر المنفصلة . ففي سوريَّة تعدَّدت روساء القبائل وشيوخ الطوائف وروساء الرُّبع فيجد محبُّ المسكوكات والمكاتبات مادَّةً واسعة لدرس آثارهم لكنَّ المؤرخ يتيه في بيداء اقسامهم السياسيَّة

وكانت نتيجة هــذه الانقسامات الشعبيّة والتفرُّقات في الأَغراض والاملاك انَّ البعض وجدوا فيها ما يوافق مطامعهم ويعظّم اشخاصهم لكنَّها اضعفت القوى وقسمت الكلمة . وهذا ما نراهُ في تاريخ سوريَّة في اقدم الآثار تشهد عليــهِ مراسلات تلّ العمارنة التي ترتقي الى المئة الخامسة عشرة قبل المسيح (اطلب المشرق ٣ : ٧٨٥— ٧٩٤) فتؤخذ من هذه المكاتبات انَّ دُوَلًا عديدة كانت تتزاحم مذ ذاك في سوريَّة منها في السهول ومنها في الجبال بل كانت كلّ مدينة عبارة عن دولةٍ يتحصَّن فيها اهلها ويردّون غارات الدولة المجاورة . ولو شاء المسافر لقطع في اليوم الواحد تخوم عدَّة املاك مستقلَّة . هذا ما ورثهُ تاريخ الشام بكثرة التقاسيم الجغرافية والحواجز الطبيعيَّة

---

١) راجع تاريخ مسپرو في تاريخهِ المذكور

الدم : تركيبهُ وخواصّهُ

للاب بولس بوفيه لاپيار اليسوعيّ مدرّس الكيميا في المكتب الطبّي (تتمّة)

الكريّات البيضاء

في الدم ما خلا الكرّيات الحمراء كُريّات بيضاء (leucocytes) كان العلماء سابقًا لا يعبأون لها كثيرًا لجهلهم بمنافعها ووظائفها . وامّا اليوم فقد صارت مادّة لأبحاث متعدّدة واكتشافات خطيرة . فانهُ قد ثبت حديثًا انّ هذه الكريّات تلعب في جسم الحيّ دورًا كبيرًا لدفع الامراض العفنيّة عنهُ . ومن فوائدها ايضًا انّها تتكيّف بكيفيّات شتّى في عدّة ادواء فيستدلّ بها الطبيب على تشخيص المرض . وممّا يُقال اجمالًا انّ صحّة الجسم مرتبطة ارتباطًا تامًّا بحسن حال هذه الكريّات البيضاء . فترى من ثمّ انّنا لا نستطيع السكوت عنها في كلامنا عن الدم وتركيبهِ

اذا ما فحصتَ بالنظّارة دمًا عبيطًا يتفوّر من الشرايين دون اتّخاذ احتياطات خصوصيّة لاحت لك الكريّات البيضاء كاجسام مستديرة كرويّة متشابهة يزيد كبرها في الغالب على كبر الكرّيات الدم التي اتّسعنا في وصفها . وتكون هذه الكريّات زاهية اللون فضيّة البياض لكنّ بياضها لا يؤثّر في لون الدم لقلّة عددها بالنسبة الى الكريّات الحمراء وهي اقلّ منهُ بنحو الف ضعف

اما من حيث الجوهر فان هذه الكُريّات خلايا تامّة حيّة ولكل خليّة غشاء غاية في الدقة وربّما خلت من هذا الغشاء . ولها شأنَ الخلايا التامّة نواةٌ يصعب نظرها دون استحضار خاصّ واذا استُحضرت بتلوين موافق ظهرت تلك النواة بنوع جليّ

وتكون النواة على ثلاث صور خصوصًا منها اتخذوا تقسيم الكريّات البيضاء في حالتها العاديّة الى ثلاثة اقسام

فالقسم الاوّل منها يُدعى بالكريّات البيضاء الكبيرة النواة (lymphocytes) تكون على قدر الكرّيات الحمراء لها نواة كرويّة تمتدّ على طول امتداد الكُريّة وانّما لها على دائرتها غلاف صغير من مائع المادّة الاصليّة المسمّى پروتوپلسما (protoplasma) والمائع المذكور خالٍ من كل تحبُّب . امّا نسبة عدد هذه الكريّات الى بقيّة الكريّات البيضاء فنحو ٢٥ في المئة اي ربعها (اطلب الشكل ١)

والقسم الثاني من هذه الكرَيات البيضاء يُدعى بالكريَات المنفردة النواة (leuco-cytes mononucléaires) وهذا الجنس تكون كُرَيَاتهُ اكبر من القسم الاوَّل. لكنَّ عددهُ قليل بالنسبة الى القسمين الآخرين اذ لا يتجاوز ٧ او ٨ في المئة. ولهذه الكُرَيات نواة تكون امَّا على شكل بيضويّ (انظر الشكل ١ ب) واما على شكل كلويّ وهو الاغلب او ايضاً على شكل هلالي (انظر الشكل ١ ج). ومائع المادَّة الاصليَّة هو في هذا القسم اوفر منهُ في القسم الثاني وهو خالٍ ايضاً من كلّ تحبُّب

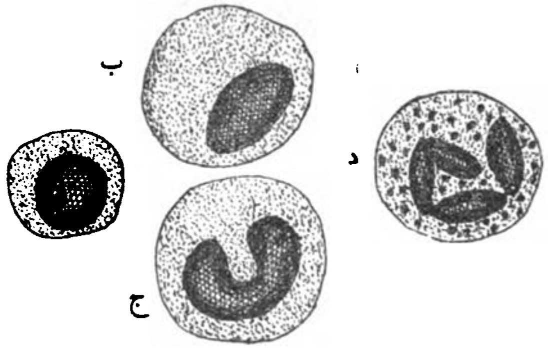
اما القسم الثالث من هذه الكرَيات البيضاء وهو اوفرهُ عددًا فهو الجنس المدعوّ بالمتعدّد النواة (leucocytes polynucléaires) وهو الذي يمكن اعتبارهُ كخلايا الدم الحقيقيَّة. وعددهُ يكون عادةً بالنسبة الى القسمين الآخرين ٦٥ او ٦٦ في المئة. وهذا الصنف يُدعى بالمتعدّد النواة لأنَّ بعض العلماء ارتأَوا مدَّةً انَّهُ يحتوي عدَّة نوًى منفردة مستقلَّة. لكنَّ هذا الاسم لا يوافقهُ في الحقيقة وقد تبيَّن اليوم انَّ نواهُ ليست بمتعدّدة وانَّما يكون للنوات الواحدة ثلاثة او اربعة افلاق غير متساوية مرتبطة بالياف غاية في الدقَّة كانَّها حبَّات السبحة او قِطَع النقانق. ومن خواصّ هذه الكرَيات انَّ مائع مادَّتها الاصليَّة مشحون بحبَيبات دقيقــة تظهر للعيان اذا صُبغت بالالوان (الشكل ١ د) وتختلف احوالها على حسب الموادّ الملوّنة لها ولذلك قسموها ايضاً الى اقسام لا نرى هنا داعياً لشرحها

هذا وقــد اتَّسعنا قليلًا في الكريَات البيضاء لأنَّ في تفصيلها وتعريف اقسامها فوائــد يكتشفها العلماء كلّ يوم بابحاثهم وعليها الآن يبني الاطبَّاء تشخيصهم لبعض الامراض وذلك انهم يلحظون عدد هذه الكرَيات فيستدلُّون بتوفّر عددها او بندرتهِ على صنف المرض واحوال المريض

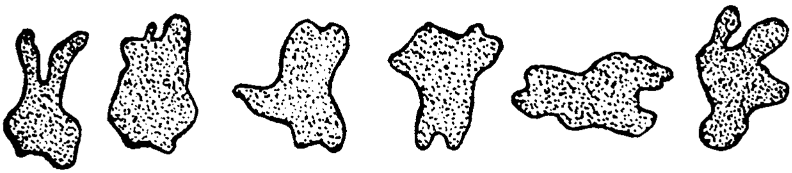
قلنا انَّ هذه الكريَات تظهر على شكل مستدير كرويّ لكنَّ هذه الهيئة ليست هيئتها النظاميَّة وانَّما هي توازنها بعد موتها. وقد توصَّل العلماء الى ان يشخِصوها كما هي في الجسم فيتخذون لذلك نظَّارة مجهَّزة بصفيحة محماة تحفظ للدم حرارتهُ الطبيعيَّة فتلوح حينئذٍ تلك الدقائق الدمويَّة على اشكال مخالفة للشكل الكروي في الغالب

ومما يزيد شأن هذه الكُرَيات البيضاء كونها خلايا تامَّة ذات نواة وهذا ما يجعل رتبتها فوق رتبة الكُرَيات الحمراء فانَّ الكريَات الحمراء كوائن جامدة لا حياة لها ولا

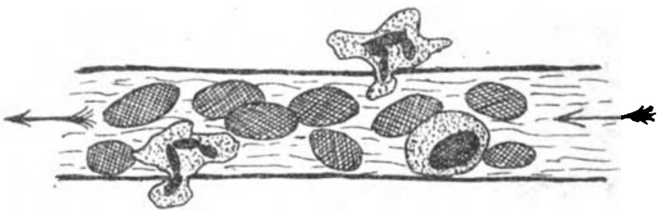
١



٢



٣



٤



١ صورة الكريات البيضاء في حالة سكونها وفي وسطها نواها مصبوغة بالالوان: ا الكريات البيضاء الكبيرة النواة ب ج الكُرَيات البيضاء الوحيدة النواة د الكُرَيات البيضاء المتعدّدة النواة

٢ صورة الحركات التقاعيّة في الكُرَيات البيضاء

٣ صورة الكُرَيات البيضاء عند بروزها من الشرايين

٤ صورة الكُرَيات البيضاء عند التهامها لميكروبات

ثبات الّا بمرونتها الطبيعيّة تتناقلها حركة الدم وتدور بها كما تشاء . اما الكريات البيضاء فعلى خلاف ذلك فانّها كائنات قائمة بذاتها حيّة عاملة لها حركتها الخاصّة تستعين بها لاعمالها كيفما تشاء

ولا شيء اغرب من رصد حركات الكريات بيضاء . فانك ان لحظتها وجدتها على صورة جسم دقيق مُفلطَح له دائرة غير سويّة تختلف ابدًا على نظر المراقب . فان مائع المادّة الاصليّة اي البروتوبلسما لخلوّهِ من الغشاء الضاغط له يمكنهُ ان يضغط جوهرهُ او يبسطهُ كما يشاء . فتراهُ تارةً يستطيل وتارةً ينبسط وحينًا ينعطف على نفسهِ وطورًا يمدّ حولهُ شبه القوائم (pseudopodes) ثمَّ يقبضها ويواريها في خليّتهِ ويركّب غيرها بدلًا منها . وهذه القوائم الاصطناعيّة تُعين الكريات البيضاء على الحركة فتسير في جوانب العروق كسير الحلزون على الارض (انظر الشكل ٢) وقد دعا العلماء هذه حركات الكُريات البيضاء بالحركة النقاعيّة لأنها شبيهة بحركات النقاعيات اي الحشرات الدقيقة التي تُرى في المستنقعات والتي تتركّب مثل الكريات البيضاء من خليّة مفردة . واكثر ظهور هذه الحركات في الصنفين الاخيرين من الكُريات البيضاء التي وصفناها لأن الصنف الأوّل لا يظهر مطلقًا الّا على صورة مستديرة كرويّة

وأغرب من ذلك انّ الكريات البيضاء لا تستطيع فقط ان تمدّد قوائمها وتضغطها بل يمكنها ايضًا ان تفصلها ثمّ تلتحم بها وتضمّ الى ذاتها الدقائق التي تلقاها في طريقها كبقايا الخلايا والميكروبات والموادّ الغذائيّة اللطيفة (اطلب الشكل ٤) وهي تهضم كلّ هذه الدقائق كما تفعل الحشرات النقاعيّة . وان سألت كيف يمكنها ان تقوم بهذه الاعمال العجيبة . أجبنا انّ الله خوّلها لذلك قوّة تمكّنها من العمل فانّها تصطنع لنفسها مختمرات لتحلّل بها تلك الاجسام الغريبة وتحوّلها الى ذاتها . وهذه لعمري خاصّيّة غريبة تجعل للكُريات البيضاء شأنًا عظيمًا . ولذلك قد دعوها بالخلايا المفترسة او فاغوسيت (phagocytes) لانها تلتهم كما قلنا للدقائق الغريبة وتحوّلها الى غذائها

ولهذه الكُريات عينها خواصّ اخرى ليست اقلّ غرابةً فانّها بجهاز قوائمها الاختياريّة يمكنها ان تنفذ في الانسجة الشديدة الاحتباك وتتسرّب في وسط خلايا الجسم وتخرج من العروق والشرايين بثقب جدرانها ثمّ تعود اليها بعد خروجها وهكذا تراها جائلةً في كل اطراف الجسم حيثما يحتاج اليها الحيوان لعافيتهِ . وقد دعوا تنقّلها في اقسام الجسم

بالسير النافذ (diapédèse) . اما الكرَيات التي تتجشَّم هذه الاسفار في انحاء الجسد فانَّما هي ذوات الصنف الثالث منها اي المتعدّدة النوى الشبيهة بحبّات السبحة . فانَّ تركيبها هذا الطبيعيّ يجعلها اقدر على العمل من سواها لمرونتها ودقَّة اقسامها (اطلب الشكل ٣)

وهذه القوَّة التي منحها الخالق للكرَيات البيضاء بان تتنقَّل في كلّ اطراف الجسم لم يزل العلماء حتى اليوم يجهلون سرّها ولا يعلمون ما يدعوها الى ان تجري تارةً الى ناحية وتارة الى أُخرى وغاية ما وجدوا انَّ لها حسًّا دقيقًا (chimiotactisme) يجذبها الى بعض العناصر لكنَّهم لم يقفوا تمامًا على حقيقة هذه الظواهر

*

فمن هذه الخواصّ الثلاثة التي وجدناها في الكُرَيات البيضاء اعني حركاتها النقاعيَّة (amiboïsme) ثم جريها الاختياريّ في اطراف الجسم (diapédèse) واخيرًا اغتذاءها بالاجسام الغريبة (phagocytose) يمكننا ان ندرك الدور العجيب الذي تلعبهُ هذه الكرَيات في جهاز الحيوان سواء كان في حالة صحّتهِ او في حالة مرضهِ عندما تتسلَّط عليهِ الجراثيم الميكروبيَّة

فلنعتبرنَّ اوَّلًا وظيفة هذه الكرَيات في الدم عند حصول الحيوان على صحّتهِ . فبينما ترى مادَّة الدم الآحيَّة التي تُدعى بلاسما (راجع ص ٢١٢) ناقلةً للموادّ المتحلّلة كالماء والاملاح والسكَّر تتولَّى الكُرَيات البيضاء نَقل الدهون والموادّ غير المتحلّلة في البلاسما وهي تطلبها حتى في اعماق الامعاء وتسلّط عليها قوَّة خمائرها فتحلّلها الى ان يتمكَّن الجسم من هضمها

وفي هذه السنين الاخيرة قد اجرى علماء الطبيعة اختبارات متعدّدة اوقفتهم على فعل الكُرَيات البيضاء في ابتلاع وتحويل ونقل ادوية شتّى كالحديد والزرنيخ واليود وسليسيلات الصودا والزئبق الحلو وغير ذلك . فالكُريات البيضاء تنقل هذه الادوية بتوافق عجيب الى نواحي الجسم التي تحتاج اليها فانَّها تنقل الاملاح الكلسيَّة الى العظام والحديد الى الطحال والى نخاع العظم الاحمر حيث تتكوَّن الكرَيات الحمراء كما انها تصمد الدهون في مخازن خاصَّة . واذا حدث للجسم جرحٌ او قرح فترى الكرَيات تتراكض الى مكان الحادث وتنقل اليهِ الموادّ اللازمة لشفائهِ ولحم انسجتهِ

واكثر ما يظهر نشاط الكرَيات البيضاء في انحاء الجسد التي تتراكم فيها الاوساخ والعفونيَّات كما يحصــل في القروح وقت التحامها فانَّ الكرُيات البيضاء تتواثب الى المكان المُصاب وتشتغل بالتنظيف والتعزيل فلا تزال تلهم وتبلع كلّ مــا تجدهُ حتى القطع الكبيرة من الاجسام الغريبة ولذلك قد دعوها باسم الكرُيات الملتقمة (ma-crophages) اي البالعة للُقم الكبيرة اما الكريات البيضاء المتعدّدة النوى فانَّهــا تتَّبع دقائق الجراثيم فتلتهمها فدُعيت لذلك بالكرُيات المتقرّمــة (microphages)

ولا تكتفي هذه الكرُيات البيضاء بان توزّع على كل قسمٍ من اقسام الجسم غذاءَهُ فانهــا هي ايضاً التي ترحضه وتنظّفه من اوساخهِ وفضلاتهِ فانَّ للجسم كما للمدينة فضَلاتٍ تافلة او ضارّة لا بُدَّ من ازالتها وملاشاتها . وهذه الفضلات يُلقيها الجسم في الدم فتتسارع اليها الكرُيات البيضاء فتلتهمها وتفنيها

وهذه المهنة لتطهير الجسد وتنظيفهِ قد خُصَّت بهــا كرُيات الصنف الثاني اي المنفردة النواة والدليل على فعلها ما يرى فيهــا المراقب من الآثار كبقايا الكرُيات الحمراء الميّتة وقطَع الخلايا ودقائق الغبرة واشيــاء غيرها غريبة عن الجسم فانَّ الكرُيات البيضاء تزدرد كلّ شيء ويمتدُّ فعلهــا الى شقائقها نفسها النوى المتعدّدة اذا فسدت وتغيَّرت فانَّها تلاشيها وتبتلعها

وهذه الاخيرة هي التي تشهر الحرب العــوان على الميكروبات والجراثيم المعدية فيقوم بين الفريقين قتال عظام لا يحسُّ بهِ الانسان لكنَّ نارهُ لا تزال تتسعَّر الى ان يفوز احد الفريقين بعدوّهِ . ودونك وصف ذلك العراك الذي يجري في ميدان الجسم كلّ يوم

هَبْ أَنَّهُ حصل في بَشَرة الانسان سحجٌ او تقشير او جرحٌ فالميكروبات التي في الخارج هي على الباب منتظرة فتحةً لتهجم على المدينة فتستوطن المكان ثمَّ تتناسل وتكثر مع ما تجدهُ هناك من الأكل المريْ ونعومة العيش لكنَّ للميكروبات سمَّاً ذعافاً تنفثهُ بعد قليل في الجسم ولولا سهر الكريات البيضاء لسمَّمت الجسم لا محالة . فانظر رعاكَ الله ما جعل الخالق في حرس الجسم من الهمّة والنشاط . فانَّ الكرُيات البيضاء المتعدّدة النوى اذا لحظت آثار السمّ حملت بخيلها ورجالها زاحفةً الى الثغر المفتوح فمنها ما يجري تابعاً لدورة الدم ومنها ما ينفذ في انسجة الجسم كما يفعل اهل المدينة اذا سمعوا بعدوّ دخل مدينتهم فيتواثبون هذا يقطع الطرقات وذاك يقفز على السطوح وكلُّهم يتهافتون

الى محلّ الخطر لردّ غارة العدوّ. فعلى هـذه الصورة تتراكم الكُريّات البيضاء المتعدّدة النوى لتصون الجسم وتفتك بالمادين لانَّ تلك وظيفتها الخاصّة دون شقائقها الاخرى من الصنفين الآخرين التي لا تنزل في ميدان العراك

واذا وصلت بعد قليل الجنود الدافعة الى محلّ العدوّ تنشب الحرب بين الكُريات والميكروب فان كان هذا قليل العدد غلبتهُ الكريّات لا محالة واستأصلت شأفتهُ بسرعة (اطلب الشكل ٤) . اما اذا كان جيش العدوّ وافرًا فتكون الوقيعـة شديدةً لانَّ الكريّات البيضاء اذا التهمت من الميكروبات حاجتهـا ضعفت قوّتها الهضميَّة وفي اثناء ذلك لا تزال الميكروبات تشبُّ القتال وتدافع عن نفوسها على قدر طاقتها وهي تتوالد وتنمو بسرعة عجيبة حتى انَّ الميكروب الواحد في بعض الاحيان ان وُجد في مواطن موافقة لنموّهِ يمكنهُ ان يتناسل ويتعدّد الى ان يبلغ عددهُ بعد ثلاثة ايّام ٤٧٧,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ وهو عدد لا يكاد يحصيهِ الّا الخالق

نعم انَّ هذا العدد الوافر لا يُنال في الواقع لأَنَّ الميكروبات لا تحلُّ في موطنها الخاصّ ليخلو لها الجوّ وقد عرفتَ انَّ الكريّات البيضاء هي عدوّها الأَلد تلتهم منهـا الالوف المؤلفة فضلًا عن سمّ او قلْ بالحري ترياقًا تنتجهُ لا لقتل صاحبها بل لتسميم عدوّها الازرق اي الميكروب وهـذا السمّ يخدّر الميكروب ويكسر قوّتهُ. فترى انَّ للجيشين اسلحةً قويّةً لكنَّ في الحروب لا شيء يقوى على العدد فمهمـا كانت مدافعة الكريّات البيضاء شديدة واسلحتها حسنة ونشاطها عظيمًا اذا اربى عـدد المعادين على الالوف وأُلوف الالوف وبقي عدد المدافعين محصورًا فلا بُدَّ ان تكون الدورة على المدافعين والفوز لجيش الميكروب فيدخل في اجهزة الحياة كما يدخل العدوّ الظافر في ساحات المدينة التي فتحها عنوةً ولا يلبث جسم الانسان ان يصير ضحيَّة الفاتح ويسطو عليهِ الموت

امَّا اذا كانت الغلبة للكريات البيضاء فترى ساحة الوغى مشحونةً بالصرْعى من قتلى وجرحى وآثار متعدّدة فيحتاج المكان الى رَحض وتنظيف وتعزيـل وتطهير وهو عملٌ كما سبق القول مختصّ بالكريات البيضـاء من الصنف الثاني اي ذات النواة الوحيدة فتُقدم الى ميدان القتـال بعد نهاية الحرب وتجد لشهوتها للطعام مأ كلًا طيّبًا غزيرًا فتقشُّ ذلك الخوان قشًّا وتبلع كلّ مـا لا يصلح لصحّة الجسم حتى شقائقها السقيمة ولا تكفّ عن العمل الى أَن يحصل كلّ شيء على حسن حالهِ فيعود الدم الى

دورانهِ فيغذي كلّ انحاء الجسد ويهنأ الانسان بالعافية التامّة · والفضل في ذلك للكُريات البيضاء

فيا لله كم في جسم الانسان من عجائب يجهلها وكلّ ما قدَّمناهُ في هذا الفصل انَّما هو زبدة الابحاث التي اجراها العلماء منذ سنين قليلة ففتحت لنا عالمًا جديدًا ما كنَّا لنتوهَّم غرائبهُ ومحاسنهُ

وللّه في كلّ تحريكةٍ   وتسكينةٍ في الورى شاهدُ

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

واشتهر ايضاً في التاريخ من نصارى الملكيين الكاثوليك رجلان من بيت الصبَّاغ كانا حفيدين لابراهيم الصبَّاغ طبيب ظاهر العمر (اطلب المشرق ٨: ٢٦) اسم احدهما عبود والآخر ميخائيل بن نيقولا بن ابراهيم · وكان اهلهما بعد وفاة جدّهما ابراهيم سنة ١٧٧٦ هربوا الى مصر حيث نشأ الولدان وتخرَّجا بالآداب على اساتذة القطر المصري(١ ثمَّ لمَّا كان قدوم نابوليون الى مصر ومعهُ عدد من مشاهير العلماء اتَّصل عبود وميخائيل بهؤلاء الكرام وصارا في خدمتهم الى ان انتقلا معهم الى فرنسة · وقد اتَّسعنا في المشرق (٨: ٣١–٣٣) عمَّا خلَّفهُ ميخائيل من التركة العلميَّة الثمينة اجلُّها بعض التآليف التاريخيَّة التي لا تزال مخطوطةً في مكتبتي باريس ومونيخ منها تاريخ اهلهِ بيت الصبَّاغ وبيان احوال طائفتهِ الملكيَّة الكاثوليكيَّة · ولـهُ ايضاً متفرّقات ضمَّنها تاريخ قبائل البادية في ايَّامهِ وتاريخ الشـام ومصر · هذا فضلًا عن كتبهِ اللغويَّة والادبيَّة كالرسالة التامَّة في كلام العامَّة ومسابقة البرق والغمام في سُعاة الحمام وكلاهما قد طُبع في اوربَّة · ولهُ مآثر من النظم نذكرها في الادبيَّات · امَّا عبُّود فانَّ لـهُ في مخطوطات باريس تاريخًا (Fonds arabe, *Paris*, 4610) جمع فيهِ اخبار ظاهر العمر دعاهُ «الروض الزاهر في تاريخ ضاهر (كذا)» وطريقة عبُّود وميخائيل في تدوين التاريخ سهلة الالفاظ واضحة المعاني حسنة السبك تدلُّ على ضلاعتهما في الكتابة هذا مع ضعف في التعبير لاسيَّما في تاريخ عبُّود الذي يشبه كلامهُ بركاكتهِ كلام العامَّة · وتوفّي ميخائيل سنة ١٨١٦

---

١) اطلب ترجمة ميخائيل الصبَّاغ التي اثبتناها في المشرق (٨: ٢٩–٣٣)

ولهُ بعض المآثر الشعريَّة نصفها في القسم الادبيّ · اما عبُّود فلا نعلم سنة ومكان وفاته

وقد عُرف في عهد الصبَّاغين المذكورين كاهن من اسرتهما كما نظنّ نضيفهُ اليهما وهو انطون صبَّاغ من تلامذة رومية يستحقّ الذكر بما عرَّبهُ من التآليف المتعدّدة البالغة نحو ٥٠ مجلَّدًا منها كتاب تاريخ الكردينال اورسي في ٢٤ جلدًا كبيرًا انتهى من تعريبهِ نحو السنة ١٧٩٢ وكانت وفاتهُ في العشر الأوَّل من القرن التاسع عشر (المشرق ٩ : ٦٩٥)

ومن ادباء الروم الملكيين الذين احرزوا لهم فخرًا في التاريخ نيقولا بن يوسف الترك كان اصل والدهِ من الاستانة العليَّة ثم سكن دير القمر حيث ولد ابنهُ نيقولا سنة ١٧٦٣ وفي وطنهِ سنة ١٨٢٨ · كان نيقولا محبًّا للآداب منذ حداثتهِ فلم يزل يتعاطى النظم والنثر الى ان نال فيهما نصيبًا صالحًا · وقد خدم المير بشير الشهابيّ زمنًا طويلًا وقصائدهُ فيهِ شهيرة نعود الى ذكرها عند وصف ديوانهِ · اما التاريخ فلهُ فيهِ مصنَّفان احدهما تاريخ الامبراطور نابوليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر الى موت نابوليون ١٨٢١ في نحو ٤٥٠ صفحة كتبهُ بانصاف وحُسن ذوق مع تعريف اسباب الحوادث وعواقبها والحكم في جيّدها وسيّئها · وهذا الكتاب قد طُبع نصفهُ الأوَّل في باريس سنة ١٨٣٩ بهمَّة المسيو ديغرانج (M. Desgranges) الذي نقلهُ الى الفرنساويَّة وألحقهُ بعدَّة حواشٍ وهو يحتوي تاريخ نابوليون الى آخر بعثة مصر سنة ١٨٠١ · امَّا النصف الثاني فلا يزال مخطوطًا · ولنيقولا الترك تاريخٌ آخر ضمَّنهُ اخبار احمد باشا الجزَّار في مكتبتنا الشرقية منهُ نسخة في ١٢٦ صفحة وهو غاية في الافادة لتعريف احوال الشام من السنة ١١٨٥ هـ الى السنة ١٢٢٥ (١٧٧١—١٨١٠) وانشاء الكاتب بسيط مطبوع خالٍ من التعقيد والتقعير كما يليق بالتاريخ

والغالب على ظنّنا انَّ المعلّم نيقولا الترك هو مؤلف تاريخين آخرين لم يُذكَر اسم كاتبهما فالأوَّل هو « مجموع حوادث الحرب الواقع بين الفرنسويَّة والنمساويَّة في اواخر سنة ١٨٠٥ مسيحيَّة الموافقة لها سنة ١٢٢٠ لتاريخ الهجرة » وهو تاريخ واسع في ٣٠٦ صفحة من قطع الربع طُبع في باريس سنة ١٨٠٧ وُصفت فيهِ وقائع تلك الحرب التي انتهت بانتصار نابوليون في أُسترلتس · والتاريخ الثاني من مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة (Fonds arabe, n° 1684) اسمهُ « نزهة الزمان في حوادث لبنان » في ١٤٨ صفحة يحتوي تاريخ الامراء الشهابيين منذ اوَّل قدومهم من الحجاز الى حوران ثم

الى لبنـان مع تفصيل اخبارهم الى ايّام الامير بشير الشهابيّ ونهايتهُ بالحوادث التي جرت سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠)

ويلحق بهذا التاريخ تاريخٌ آخر لاحد الموارنة كتبهُ مؤلفهُ « انطونيوس ابن الشيخ ابي خطّار الشدياق من بيت الحاج عبد النـور من قرية عين طورين في جبّة بشرّاي باعمال طرابلس » سنة ١٨١٩ دعاهُ «مختصر تاريخ لبنان» وهو كتاب في ١٥٠ صفحة ضمّنهُ المؤلف عدَّة امور تاريخيَّة دينيَّة ومدنيَّة على غير ترتيب كما حضرتهُ او كما اقتطفها من تواريخ أُخرى او سمعها من اهل زمانهِ منها فصلٌ واسع نقلناهُ عنـهُ في المشرق (٤ : ٧٦٩;٨٣٠) عن اصل الامراء والشيوخ في لبنان

وممّا كُتب في هذا العهد من الأسفار رحلةٌ لاحد الحلبيين « فتح الله ولد انطون بن الصائغ اللاتينيّ » الذي رحل في خدمة احد الاجانب اسمهُ تيودور لسكاريس في اواخر سنة ١٨١٠ من حلب الى انحاء الشام الى جهات العرب وقد وصف مـا جرى لهما من الاخبار وضمَّن رحلتـهُ اشياء كثيرة عن احوال المدن التي زاراها وعن قبائل العرب وبلاد الوهابيين. وقد كتب ذلك بعبارة رائقة الَّا انَّها قليلة التهذيب لا تكاد تخالف لغة العامَّة والكتاب يُصان في خزانة باريس (تحت الرقم ٢٢٩٨) . وقد وقف الشاعر الفرنسويّ لامرتين على هذه الرحلة فاستعان ببعض المستشرقين ونشرها مترجمة الى الافرنسيَّة في كتابهِ الشهير « سفرٌ الى الشرق » (Voyage en Orient) في القسم الرابع من طبعـة باريس ١٨٣٥ (ص ٥٥—٢٨٥). اما المؤلف فعاش بعد ذلك زمناً طويلًا وسيعود اسمهُ في مطاوي مقالتنا ثانيةً

ونختم هذا النظر في مؤرخي الثلث الاوَّل من القرن التاسع عشر بذكر احد مسلمي طرابلس الغرب وهو الشيخ محمد بن عبد الكريم ولد في طرابلس الغرب وتلقَّى العلوم عن اعلام عصرهِ وفحول مصرهِ وكان واسع العلم كثير الحفظ تولَّى النيابة في وطنـهِ بعـد والدهِ وحسنت سيرتهُ وألَّف كتاباً سمَّاهُ « الارشاد بمعرفة الاجداد » ضمَّنهُ ذكر اسلافهِ الكرام وكان اصل اجدادهِ من الاندلس ثمَّ انتقلوا الى طرابلس وعُرفوا بآل النائب وكان ابوهُ فقيهاً شاعرًا توفي سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥م) اما ابنهُ محمَّد فكانت وفاتهُ سنة ١٢٣٢هـ (١٨١٧م)

الشعر والادب

انّ الشعر والادب كما التاريخ كانت سوقهما كاسدةً في اوائل القرن التاسع عشر لم يشتهر فيهما الّا بعض الافراد في متقدّمتهم بين المسلمين الاديب السيّد احمد بن عبد اللطيف بن احمد البربير الحسنيّ البيروتيّ وُلد سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) في ثغر دمياط وتوفّي في دمشق في ١٨ ذي الحجّة ١٢٢٦ (١٨١١) لهُ تآليف ادبيّة ومنظومات اخصّها مقاماتهُ التي منها نسخة خطّيّة في المكتبة الخديويّة (انظر قائمتها ٤: ٣٢٨) يبتدئ اوّلها بقولهِ «حكى بليغ هذا الزمان والعصر من حديث الذّ من سلافة العصر». وقد طُبع من هذه المقامات مقامة «المفاخرة بين الماء والهواء» في دمشق سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣). ولهُ بديعيَّة علّق عليهـا شروحاً مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحي تُصان بين مخطوطات برلين (ع ٧٣٨٨) ولـهُ كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصليّ وهو تأليف واسع طُبع في بيروت سنة ١٣٠٢ (١٨٨٥) اودعهُ صاحبهُ فنوناً من الآداب وفصولًا في كلّ علم من العلوم. والموصليّ المذكور هو عبد الرحمان بن ابراهيم الصوفي الموصلي من ادباء القرن الثامن عشر. امّا البيتان اللذان شرح البربير رمزهما فهذان:

ان مرَّ والمرآة يومـاً في يدي   من خلفهِ ذو اللطف اسما مَنْ سما
دارت تماثيلُ الزجاجِ .ولم تزلْ   تقفوهُ عدوًا حيثُ سار ويمّا

اما منظومات السيّد احمد البربير فكثيرة لكنّها متفرّقة. وكنّا قد نشرنا منها شيئاً في المشرق (٣: ١٤-١٨) مما دار بينهُ وبين مخائيل البحريّ من المراسلات الادبيّة. ثمّ اتحفنا جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف بنُخبـة أُخرى من اقوالهِ الشعريّة تجدها في مجلّتنا (٤: ٣٩٦) ولعلَّ السيّد احمد البربير نظم ديواناً كاملًا لكنّنا لم نقف لهُ على اثر ومما قرأنا من لطائفهِ قولهُ في طبيب:

رأيتُ طبيباً لـهُ نفارُ   يتيهُ في مشيهِ دلالا
فقلتُ من انت يا حبيبي   هل راحمي انتَ قال لا لا

ولهُ في التوحيد:

لقد آمنتُ باللهِ   واصبحتُ بهِ آمنْ
هو الاوّل والآخر   م والظاهرُ والباطنْ

وقال: خرجتُ من سجن نفسي ومن حظوظي والجاه
وفي جميع اموري اسلمتُ وجهي لله

وقال في كبح الشهوات:

انَّ الذين يجاهدو نَ النفسَ شبَّانًا وشيبا
منَّ الالهُ بنصرهم وأثابهم فتحًا قريبا

وقال في تاجر سها عن الآخرة:

يا تاجرًا لا يزالُ يرجو ربحًا ويخشى من الخساره
عبادَةُ الله كلَّ حينٍ خيرٌ من اللهو والتجاره

وقال يصف دار اسعد باشا وكان حلّها ابو السعود محمّد بن علي فقال يصفها:

يا دارَ اسعد باشا لكِ النعيمُ المخلَّدْ بطلعة ابن عليٍّ ابي السعود محمَّدْ
بدرٌ يزيد كمالًا من النجوم تولَّد ذو همَّةٍ غار منها حدُّ الحسام المجرَّدْ
أما ترى السيف منها في جفنهِ بات مُغمدْ ولطفهُ في البرايا ممَّا فشا وتأكدْ
حتَّى غدا كلُّ شخصٍ بـهِ يقرُّ ويشهدْ كأنهُ من نسيم الـمَقبُول بات مجسَّدْ
أما ترى ورد خدّ الـرياض منهُ تورَّدْ والبحر لمَّا رآهُ يجودُ ارغى وازبدْ
والدهر بات غلامًا لمن عليـهِ تردَّدْ فتًى بهِ ابيضَّ حظّي من بعد ما كان اسودْ
يا سيّدي عش سعيدًا فانَّ جدَّك اسعـدْ وسوف ترقى لأوجٍ من الكواكب ابعدْ
فاحفظ بشارة عدلٍ بها الفراسةُ تشهـدْ واسلمْ ودم في سرورٍ ما طائر الصبح غرَّدْ

(لهُ بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

THE DESERT AND THE SOWN by **Gertrude Lowthian Bell,** *London, W. Heinemann*, 1907, XVI-347

البادية والحضر

كاتبة هـذه الرحلة سيّدة انكليزيَّة المِيس بال سافرت من القدس الشريف في ربيع سنة ١٩٠٥ كما نرجح (لانهُ فاتها ان تذكر سنة السفر) فقطعت الاردن وساحت في عبرهِ الى حوران الى الصفا الى دمشق ومنها الى جهات حمص وحماة وانحاء جبل بارا حتى بلغت حلب ثم كرَّت راجعةً الى انطاكية مارَّةً بجبل سمعان وانتهت اخيرًا الى الاسكندرونة هذه هي السياحة التي قرأنا برغبةٍ تفاصيلها الشاملة لأشرف بلاد الشام واغناها بالآثار التي تجعلها كمتاحف عظيمة للعاديَّات القديمة. وليس هذا الكتاب خبر رحلةٍ فقط

لكنّهُ ايضاً يحتوي اوصافاً اثريّة تدلُّ على انَّ الكاتبة تُحكم معرفة الآثار وان كانت في مقدّمتها ترعم انَّها لا تريد الخوض في الابحاث الاثريّة. ولحضرتها في مطاوي الكلام عدّة ملحوظات دقيقة تشهد على تضلُّعها من هذه المعارف . وكذلك تجد في تصاويرها دليلًا محسوساً على براعتها وحسن اختيارها وسلامة ذوقها . وكثير من هذه الصور لم يُنشر بالرسم حتى اليوم لكنَّها سهت في تسمية هيكل باخوس في بعلبك فدعتهُ مرّتين هيكل جوبتير (ص ١٧٣ و ١٧٧). ومما اعان السيّدة بال على تدوين احوال البلاد ووصف عادات اهلها انَّها كانت تعرف العربيّة فأمكنها حيثما حلّت ان تخالط الوطنيين وتروي ما سمعتهُ منهم . وافضل قسمٍ من هذه الرحلة القسم المختصّ بشماليّ سوريّة وآثارها. فانَّ الميس بال تقضي العجب من تلك البقايا الجليلة التي تحاول تعريفها وعلى رأيها انَّ السوريين لولا حوادث القرن السابع لبلغوا الى طريقة من الهندسة البنائيّة خاصّة بهم مستقلّة عن غيرهم وان امتزج فيها شيء من هندسة امم أُخرى . ومما لا نوافق فيهِ حضرتها ما قالتهُ في اطراء دمشق القديمة (ص ١٣٦) وعندنا انَّ هذه المدينة لم تُمسِ عاصمةً كبيرة الّا في عهد بني اميّة وبهمّتهم. وقد أَلحقت حضرة السيّدة كتابها بخارطة للبلاد التي طافت فيها مع الدلالة على مسيرها بخطٍّ احمر . وبالختام نشكر الميس بال على هذا الاثر الجديد الذي اضافتهُ الى كتاباتها السابقة حيث اوضحت عن اقتدارها في البحث عن اصعب المسائل الشرقيّة ه. ل

Daremberg, Saglio et Pottier : Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, 39ᵉ Fasc. (PISTOR-PRINCIPATUS). *Paris, Hachette,* 1906.

معجم العاديّات اليونانيّة والرومانيّة

هو القسم التاسع والثلاثون من هذا التأليف الذي أفضنا في الثناء عليهِ مرارًا عديدة يحتوي شرحاً مستوفياً على عدّة موادّ داخلة في الحرف P منها ما يستحقُّ ذكرًا طيّباً كمادّة الجزاء (PŒNA) للكاتبين غلوتز ولوكريفان (G. Glotz et Ch. Lécrivain) ومادّة الموازين (PONDERARIUM) للمسيو ميشون (E. Michon) ومادّة الجسورة (PONS) للمسيو بينيه (M. Besnier) والاحبار (PONTIFICES) للمسيو بوشه لوكلار (A. Bouché-Leclercq) والدواوين الجمركيّة (PORTORIUM) للمسيو كانيا (R. Cagnat) والمرافئ (PORTUS)

لبينيه. والامارة (PRINCIPATUS) لكانيا وغير ذلك. ولا يمكنّنا ان نصف وصفاً انسب لهذا المعجم من تلخيص بعض موادهِ فلنأخذنَّ مادَّة « المرافئ » فانَّ كاتب هذه المقالــة يبحث عن مواقع المرافئ وصورتها وتجهيزها وصيانتها من الانواء ومن غارات الاعداء. فيبيّن انَّ القدماء كانوا يختارون لمرابط سفنهم اخوارًا بمعزل عن الانواء والرياح يسهل النفوذ اليها في كلّ فصول السنة قريبة من عيون المياه ومن الغابات لترميم ما تلف من السفن. وكانوا اذا وجدوا حوضاً طبيعياً تحيط بجهتهِ الصخور اتّخذوا ذلك الحوض كمرفإٍ وبنوا على قرنيهِ ابراجاً لصيانتهِ. اما اذا احتاج الى اشغــال لتحسينهِ وتحصينهِ وتوسيعهِ فانهم كانوا لا يخيمون عن العمــل ولا يضنُّون بالنفقات. ثمَّ كانوا يقسّمون المرفأ اقساماً وربَّما اتخذوا مرفأين في الشمال والجنوب او مرافئ متعدّدة وكان لا يفصل هذه المرافئ الَّا حاجز من الصخور فيجعلون في كلّ قسم ما يلائمهُ فيخصُّون مثلًا قسماً للمراكب الحربيــة وقسماً للسُّفن المقدَّسة المختصَّة بالمظاهر الدينيَّة وكانوا يفرزون مقاماً للدوارين وغيرها. ثمَّ يستقري الكاتب المرافئ الفينيقيَّة الشهيرة التي كانت في بحر الروم ويصف خواصها كصور وصيداء وبيروت وطرابلس وارواد. ثمَّ ينتقل الى مرافئ اليونان كمرفإ اثينا الذي كان منقسماً الى ثلاثة اقســام وكان من اجلّ المصنوعات البشريَّة يرتقي الى القرن الرابع قبــل المسيح وكمرفإ سيراقوسة ومرفإ الاسكندريَّة وكلاهما يجاري بعظمهِ مرفأ اثينة. ثمَّ ينتهي بوصف المرافئ الرومانيَّة في ايطالية ويثبت ما كان للمهندسين الرومانيين من البراعة في العمــل لانَّ سواحل ايطالية كانت اقلّ استعدادًا لمثل هذه المرافئ لكثرة الصخور وتراكم الارمال فلم تثبّط هــذه الموانع همَّة الرومان حتى اصطنعوا مرافئ تامَّــة المحاسن لا ينقصها شيء من اسباب الترقّي والكمال وفتحوا مرافئ على ضفاف الانهار في المدن الداخلة كما فعلوا في رومة ونربونة. وقد تشهد بقايا تلك المرافئ على حسن عملها ومنها يستدلّ انهُ كانت شركات من البحارين مقامةً في كلّ مرفإٍ تقوم بكل ما تحتاج اليهِ عمارة السفن وتسويقها وتفريغها الاب رينهموترد

رواية المرأة ملاك وشيطان

بقلم الاديب امين ظــاهر خيرالله

طُبعت في نيويرك بمطبعة جريدة مرآة الغرب سنة ١٩٠٧

لا يسمح لنا شغلنا المتواصل بقراءة الرويات الخيالية التي قال فيهــا احد كبار

الاساقفة انّ احسنها لا فائدة منهُ . ولعلَّ هذه الرواية تخرج عن حكم الروايات الشائعة لما نعرف في صاحبها من حُسن الذوق وتحاشي الاوصاف العشقية والسعي بنشر التعاليم الادبية . واننا نوافقهُ في قولهِ عن المرأة أنها ملاك وشيطان فينبغي على ارباب الامر وعلى المتولّين لتربية الاحداث لاسيما الابوين ان لا يدّخروا وسعهم في غرس المبادئ القويمة وروح الدين في قلب الفتاة لتكون ملاكاً ويسعد بها اهلها ثمَّ زوجها ثمَّ اولادها ولا تكون شيطاناً فتهلك وتُهلك معها كلّ من يقربها ل . ش

ثاوطوكيون نظريّة لاهوتيّة

نظم حضرة الخوري اندراوس صوايا الرومي الكاثوليكي (١٩٠٧ ص ٩١)

للشعراء اليونان الكنسيين منذ القرن السادس للمسيح الى القرن الثالث عشر منظومات طقسيّة لا تُحصى عدداً كلها رائقة الشعر بليغة المعاني يتغنّى بها المؤمنون في محافلهم واعيادهم. وقد كثر في هذه المصنّفات نوع من التسابيح وهي المدعوّة « ثاوطوكيون » خصّوها بذكر البتول ام الله الطاهرة والتماس شفاعتها المشفّعة منها صنفٌ يدمجون فيهِ مدح البتول بخلاصة الحقائق اللاهوتيّة . وقد احبَّ حضرة الاب الفاضل الخوري اندراوس صوايا ان ينظم في العربيّة على هذا المنوال فصولاً يستفيد منها القرّاء ولاسيما من بني طائفتهِ الجليلة روح التعبّد لسيّدة الخلائق يستقونهُ من هذه المدائح اللطيفة التي يزيدها حسناً نظم مؤلفها . وقد تفنّن حضرتهُ بالمعاني واستعارها في الغالب من الاسفار المقدّسة واقوال الآباء واضاف اليها شيئاً من العقائد على طريقة « الثاوطوكيون الذغماتيكون » . امّا بحر هذه القصائد فالرمل ابداً كما انَّ قافيتها اللام مطلقاً . ولعلَّ البعض يجدون في وحدة الوزن والروي شيئاً من الملل فضلاً عما يوجب ذلك من استعمال الالفاظ الغريبة . ومن المحتمل انَّ غيرهم يرون في الامر دليلاً واضحاً على طول باع حضرة المؤلف بالشعر مع كونهِ لم يترك الغريب دون شرح وافٍ بالمرام. وها نحن نقتطف من قسمهِ الثالث ابياتاً كمثال لطريقتهِ :

مَن هَذيذي في مَعاني مريَمٍ قرَّ بالي وَجَناني هلَّ هلْ
كلّما غنّيتُ طابَ العيشُ لي واذا أمسكتُ ألفيني خَمَلْ

ومنها: إسألِ الأجدادَ سَلْ كلَّ الورى م الخافقَين والجنوبِ والشَمَلْ
هل دَعا العذراءَ عبدٌ وَخزي هل لجا قلبٌ اليها وَانخذلْ
من فُتاتِ مائداتِ بيتِها قد أكلنا وشَبِعنا وفَضَلْ

كلُّ ما سألناهُ نلناهُ جا | بل مِراراً نالَنا ما لم نَسَل
أحمدُ اللهَ مُشيداً لاسمهِ | عن عظيمٍ ما الى الشعبِ أزَل
قد علمنا بل أضانا نورهُ | والرجيم غُمَّ والشعبُ اجتذل
إنَّ ما بينَ الإلهِ والورى | سُلَّماً للراقين والقفل
سُلَّمٌ حيٌّ عجيبٌ ناطقٌ | من ضروبِ الشرّ للشعبِ مُبِل
مريمٌ حيثُ بها الابنُ أتى | وعليها الروحُ بالمجدِ أظلّ
وعليهِ إن وجلتَ يا تقي | قُل سريعاً مريمٌ بَعضِ الوجَل

شذرات

موشح في مدح العذراء ارسل لنا جناب الشيخ يوسف الي سليمان موشحاً دعاهُ « سيدة لبنان امّ الرحمان » في نسبة الشهر المريمي فلم يمكنّا ان نثبت منهُ غير الادوار الآتية لتأخر ورودهِ :

قامت العذراء في أوجِ السما | بوشاحٍ من رقيق السُندسِ
حولها الحراس تحكي الأنجما | انها مَلكة تلك الأنفسِ

دورٌ

اسمعوا قولَ سليمان الحكيمْ | حازني الربُّ ببادي طرقهِ
ومُسحت قبلَ كلِّ من قديمْ | ذا كلامٌ لا ريبَ في نُطقهِ
وجُعلتُ في حمى ربٍّ عظيمْ | وكساني حلةً من حقّهِ
حينما للبحرِ حدَّ الأرسَما | وبنى للأرض رسمَ الأُسُسِ
كنتُ معهُ بمكانٍ قد سما | وهو لي أحلى وأشهى مؤنسِ

الى ان قال :

أرزةٌ لبنانَ زانتْ من قِدَمْ | اصلُها من بيت داود الأصيلْ
هيكلٌ ضمَّت افانينَ الحكَمْ | فسليمانٌ لها الفرعُ النبيلْ
جنّةٌ فاضت بأزهار النعَمْ | ما لها بين البرايا من مثيلْ
توّجت لبنان تاجاً افخما | وشّحتهُ بوشاح الأطلسِ
فيها الأبكارُ ماست هُيَّما | زاهياتٍ بالقدودِ المُيَّسِ

(زهرةٌ صغيرة)

ضاءت العذراء في أوج السما | برداءٍ من نضير السُندُسِ
حولها الأطهارُ تحكي الانجما | انها مَلكة تلك الانفسِ

وقال في الختام :

يا بني الايمان انتم في امـان أُمكم امُ الإلهِ الصَّمَدِ
امكم مالكةٌ وسطَ الجنانْ رَوحُها راحٌ لدفعِ الكَمَدِ
امكم مَن أمّها يُدعى مُصانْ وبها يحيا حياةَ الأبدِ
فتعالـوا طالبينَ النِّعَما من سحابٍ عارضٍ منبجسٍ
فتنالوا من نداها الدِّيَما انها تضحي على الملتمسِ

(زهرةٌ صغيرة)

طابت العـذراءُ قلبًا وفمًا وهي نـورُ السعدِ للمقتبسِ
فهلموا نحوَها تُرووا الظما وتحلّوا برياضِ المَقدِسِ

⁂ حال الكتابة العربيّة في الاسلام ⁂ من الفصول المفيدة التي اطَّلعنا عليها في احد الكتب المخطوطة العزيزة الوجود التي لقيناها في مدينة ستراسبورغ فصلٌ نقلناهُ من الجزء الثاني من كتاب « الخبر عن البشر » تأليف الشيخ الامام المقريزيّ جمع فيهِ الكاتب الجليل فوائد عن حالة الكتابة عند العرب في اوَّل الاسلام فنوردهُ هنا تتمّة لفصول الكتابة التي نشرناهـا سابقًا عن القلقشندي: « انَّ كنانة كانت ايام الجاهليَّة بمكَّة كما تقدَّم فلمَّا هاجر رسول الله من مكَّة الى المدينة كان اوَّل من علَّم بها الكتابة من المسلمين عبدالله بن سعيد بن العاصي بن اميَّـة امرهُ رسول الله ان يعلّم الكتاب بالمدينة وكان كاتبًا محسنًا ولم يكن احد من الانصار يحسن الكتابة (١. ثمَّ كان ممَّن أُسر ببدر ولا مال لهُ فقبل منهُ ان يعلّم عشرة من غلمان الانصار الكتابة ويخلّي لسبيلهِ فيومئذٍ تعلَّم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الانصار وكانت الشفاء ام سليمان بن ابي حثمة تكتب ففي سنن ابي داود انَّ النبي صلعم دخل على حفصة والشفاء عندها فقال: ألَا تعلّمين حفصة رقيـة النملة كما علَّمتها الكتابة . وكان اوَّل الخطوط العربيَّـة الخطّ المكي وبعدهُ الخط المدني ثمَّ الخطّ البصري ثمَّ الخط الكوفي فامَّا الخط المكي فكان في أَلِفاتهِ تعويج الى يمنة اليد واعلى الاصابع وفي شكلهِ انضجاع يسير واوَّل من كتب المصاحف في الصدر الاوَّل ووُصف بحسن الخطّ خالـد بن ابي الهياج وكان حصنه (؟) يكتب المصاحف والشعر والاخبار للوليد بن عبد الملك بن مروان وكان مالك بن دينار ابو يحيى مولى اسـامة بن لؤي يكتب المصاحف باجرة ومات سنة ١٣٠ وكان حشنام البصري ومهديّ الكوفي (؟) في أيام الرشيد لم يُرَ مثلهما فانَّ حشنام

١) لا يوافق ابن سعد هذا القول في طبقاتهِ ج ٣ ص ٩١ ; ١٣٦ ; ١٤٣ الخ

كانت ألفاتهُ ذراعاً شقاً بالقلم وكان ابو حري (؟) يكتب المصاحف في ايام المعتصم وهو من كبار الكوفيين وحذّاقهم وقيل اوّل من كتب في ايام بني اميّة قطبة وهو الذي استخرج الاقلام الاربعة واشتقّ بعضها من بعض وكان اكتب الناس بالعربيّة ثمّ كان بعدهُ الضحّاك بن عجلان الكاتب في اوّل خلافة بني العباس فزاد على قطبة وكان اكتب الخلق وانتهت اليهِ جودة الخطّ الجليل ثمّ كان بعدهُ اسحاق بن حمّاد الكاتب في خلافة ابي جعفر المنصور وابنهُ محمّد المهدي فزاد على الضحّاك وكان لـهُ عدّة تلامذة من الكتّاب يوسف الكاتب الملقب لقوة الشاعر كان اكتب الناس ومنهم ابرهيم بن المجشر زاد على يوسف لقوة وكان قد اخذ عن اسحاق بن حمّاد قلم الجليل واخترع منهُ اخف حركات واحسن مزاوجات وسمّاهُ قلم الثلثين ثمّ اخترع من قلم الثلثين مـا هو اخفّ منهُ وسمّاهُ قلم الثلث. . . والاقلام الموزونة قلم الجليل وهو ابو الاقلام كلها لا يقوى عليهِ احد الّا بالتعليم الشديد. . . ويُكتب عن الخلفاء الى ملوك الارض في الطوامير الصحاح ويخرج من قلم الجليـل قلمان هما قلم السجلّات وقلم الديباج. . . وكانت العرب تكتب في اكتاف الإبل والحجارة الرقيقة البيض وفي عسيب النخل. ثمّ حدث في أيام بني اميّة ورق عُمل من الكتان عرف بالورق الخراسان بعد ما كانت الكتابة في الادم والرقوق وقيل بل عُمل الورق في أيام بني العبّاس وقيل بل هو قديم واقـام الناس ببغداد سنتين لا يكتبون الّا في الطروس لانّ الدواوين نُهبت في أيام الامين وكانت في جلود فكانت تُمحص ويُكتب فيها. . . واعلم انّ معنى قول الكتابة قلم النصف والثلث والثُلثين انّما هو راجع الى الاصل. وذلك لانّ الخطّ جنسين من الاربع عشرة طريقة التي للاصول احدهما قلم الطومار وهو قلم مبسوط كلهُ ليس فيـهِ شيء مستدير وكثير ما كتب فيهِ المصاحف المدنيّة في القدم. وقلم آخر يسمّى عبار الحلية وهو قلم مستدير كلهُ ليس فيهِ مستقيم فالاقلام كلُّها تؤخذ من المستقيم والمستدير فما كان فيهِ من الخطوط المستقيمة ما يوازي ما فيهِ من الخطوط المستديرة سُمّي قلم النصف. فان كان الذي فيهِ من الخطوط المستقيمة الثلث سُمّي قلم الثلث وان كان من الخطوط الثُلثان سُمي قلم الثلثين وعلى هذا تتركّب هذه الاقلام

اسئلة واجوبة

س سأل من حيفا حضرة الخوري يوسف المارونيّ أصحيحٌ ما جاء في مجلّة صديق الاكليروس (L'Ami du Clergé, 21 *Mars*, 1907, p. 207) ان الخمر المطبوخ لا يصلح كمادَّة التقديس على المرجَّح « (le vin cuit étant très probablement matière invalide) وهل النبيذ الذي يُصنع في لبنان ويغلى قليلًا على النار يصلح للتقديس

الخمر المطبوخ كمادَّة التقديس

ج انَّ الخمر المتَّخذة عادةً للتقديس هي عصير العنب بعد اختماره وروَقهِ · وفي بعض البلاد يغلون العصير قليلًا على النــار قبل اختمارهِ ليمنعوا بذلك تخلُّلهُ ويزيدوهُ حلاوةً فيتبخَّر شيء من مائيَّتهِ · وليس من قائل بأنَّ هــذه الخمر لا تصلح كمادَّة التقديس واكثر خمر لبنــان على هذه الصفة · وجواب المجلّة الافرنسيَّة بهذا المعنى ليس بصواب كما يتَّضح بحكم المجمع المقدَّس في جوابــهِ على سؤال اسقف طرًّاكونة في ٥ آب ١٨٩٦ (Analecta ecclesiastica, 1896, p. 483-4) · وانَّما المبالغة في طبخ الخمر تفقدها بعض خواصّها فتنعقد وتصير كالدبس ومثــل هذه الخمرة لا يجوز استعمالها في التقديس · وفيها يصحُّ جواب المجلّة

س سألنا من مالطة حضرة الخوري جرجس السبلاني ان نعرّفهُ بكتب تواريخ امراء المغرب والاندلس ومصر من العرب سواء كان من المؤرخين الذين كتبوا بالعربيَّة او بلغة اوربيَّة

تواريخ المغرب والاندلس ومصر

ج الجواب على هذا يقتضي مئات من الصفحات · والاجدر بنا ان نحيل حضرتهُ الى مراجعة الفهارس المتعدّدة التي نُشرت ولا تزال تُنشر كلَّ سنة في مكاتب ليبسيك وغيرها · ومن الكتب التي توقفهُ على مطلوبهِ الكتاب الآتي:

Bibliographie des ouvrages relatifs à l'Afrique et à l'Arabie par **Jean Gay**, *Paris, Maisonneuve*, 1875

وكذلك يجد حضرتهُ في قوائم المخطوطــات العربية المصونة في عواصم اوربَّة عددًا عديدًا من التآليف في تاريخ البلاد المنوَّه بهــا · وفي احد اعداد المشرق السابقة (ص ٢٣٥) ذكرنا كرَّاسًا يحتوي جدول ١٥٣ كتابًا في تاريخ الاندلس والمغرب فليُراجع

ل · ش

المشرق

نخل العراق وتمره

نظر زراعي واقتصادي

للاديب يوسف افندي غنيمة البغدادي (١

هذا بحثٌ جليل الفائدة اقترحهُ علينا بعض الادباء الاماجد فلبيّنا دعوتهم نظرًا لما يتوقف عليهِ من المنافع الزراعيَّة الاقتصاديَّة التي تعود على البلاد بالنفع العميم والخير الجزيل. لأنَّ احدى دعائم عمران الاوطان هي الزراعة

النخل شجر عظيم يدعى باللسان العلمي (phoenix dactylifera) وينبت في الارجاء الواقعة بالمنطقة الحارَّة اليابسة الممتدَّة من جزائر كناري حتى خليج فارس وضفاف النهرين الشهيرين الدجلة والفرات. وان ذكرهُ متوغل بالقدم وربَّما تجاوز الأعصر التاريخيَّة. وقد ذكرهُ السيَّاح القدماء الذين لفظتهم الايام الى مواطن زراعتهِ وسندًا لقولنا هذا ندوّن نصًّا مهمًّا في هذا الصدد ورد في تاريخ هيرودوتس الطائر الشهرة (١ ع ١٩٣) قال: وترى عندهم (أي عند البابليين) السهول مكسوَّة بشجر النخل اكثرها مثمرة فيأكلون بعضها ويستقطرون من بعضها الآخر خمرًا وعسلًا وغرسهُ مثل غرس شجر التين في بلادنا ويلقحون الانثى من تمر النخل الذكر فيدخل البعوض بالبلحة وتنضج ولا تعود تسقط على مثال التين البرّي. اه. والرَّحالة نفسهُ يروي عن وجود النخل في بلاد مصر في مدينة طميس في معرض كلامهِ عن هيكل هذه المدينة. ولم

١) لكاتب هذه المقالة وناقش بردها محلٌ تجاري في بغداد ومن جملة الاصناف التي يتعاطاها البلح

يبقَ هيرودوتس فريدًا في ذكر هذه المسئلة بل شاركهُ فيها الجغرافي الطائر الصيت استرابون اذ يحكي عن وجود النخل في بلاد الحجاز ولابة · امَّا نبتهُ في جزائر كناري فقد اخبرنا عنهُ بلينوس ومع هذا لم تحرم منهُ غير بقاعٍ بل يُغرس في مدينة الخ(Elche) من أعمال اسبانيا وفي بلاد اليونان وغيرها فغيرها وقد نُقلت مؤخرًا هذه الفصيلة من خليج فارس والبصرة الى البلاد الاميركية · إلَّا ان في هاتيك الرابع لا يُجنى من النخل غلة ذات أهمية تقتضي درسًا خصوصيًا · ولهذا حصرت بحثي في نخل العراق وحدهُ · ومن زار البلاد العراقية يشاهد من بعدٍ شاسع اراضي واسعة الاطراف بعيدة الاكناف ينتصب فيها عددٌ لا يحصى من النخل كأنها ربات الدلال وملكات الحسن والجمال قد تعالين على جميع النباتات والاشجار والمزدرعات وبالحقيقة ان منظر النخل على ضفاف الدجلة منظر فتَّان من اجمل مناظر الطبيعة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر الألباب بسحر الحلال

١ً النخل وكيفية زراعته

لزرع النخل طريقتان الواحدة زرع النواة غير ان هذه الطريقة ليست مستحسنة اذ لا تنبت إلَّا نخل الفحل الذي لا يُجنى منهُ سوى اللقاح او تنبت فقط نخل الدكل الذي يثمر ثمرًا من شكل دني قليل الحلاوة عسر الهضم لكثافة اجزائهِ وخشونتها · اما الطريقة الثانية فبأن تُقلَع الفراخ التي تنبت حول أمها وتغرَس في التربة فهي التي يعمل بها اليوم في بغداد والبصرة وضواحيها · والثالة الواحدة تباع بغرشين او ثلاثة غروش حسب شكلها وكبرها · وأشهر موسم زرع النخل الربيع · قلتُ « اشهره » لأن منهم من يزرعهُ في الخريف وغير فصولٍ وذلك نادرٌ لا يُحفل بهِ · ولإتقان زرع النخل شروط اذكر أهمها نقلًا عن مقالة مطبوعة في آخر كتاب مطالع السعود في تاريخ الوزير داود وطبَّقتها على كيفية العمل عندنا اليوم فرأيتها لا تختلف في شيءٍ ابدًا :

الشرط الاول · انهم يحفرون حفرة مقدار مترٍ في مترٍ وتسمَّى في اصطلاح اهل الحجاز الفقرة ثم يردمون ثلثيها بترابها ويتركون الثلث الباقي حفرة وهناك يغرسون الصنو ثم يسقونهُ كل يوم بماءٍ قليل بشرط ان السقي لا يغرق قلبهُ مدَّة ستين يومًا الى ان يتراءى لهم ان الصنو قد نبت ونبت لهُ عروق جديدة في الطينة ورمى بسُعيفات صغيرة جديدة فحينئذٍ يزيدون الردم عليهِ مقدار عشرة سنتمترات ولا يزالون هكذا كلما أنبت

وزاد سعفاً جديداً ونما الى العلو يردمون حوله تراباً جديداً الى ان يتحقق لديهم انهُ قوي وثبت وكثر سعفهُ فحينئذٍ لا بأس من ان يسقى الماء بقوةٍ حيث يؤمن عليهِ من ضرر الغرق

الشرط الثاني. انك تجعل ما بين كل نخلةٍ والأخرى اقلهُ عشرة أمتار وقد جرَّبنا ان النخل المتقارب لا يطرح إلّا شيئاً زهيداً . اه . (قلتُ) ان هذه المسافة هي ضعف المسافة التي يجعلونها في بغداد بين نخلٍ ونخلٍ . وبين النخل في الارض الخالية تُزرع الاشجار المثمرة كالليمون والبرتقان والنارنج والبقول وغيرها . وكيفية سقي النخل في بغداد كان اوَّلاً بواسطة الكرود فقط (ولمعرفة هذه الطريقة عليك بمراجعة مقالة جناب الدكتور نابوليون المارديني التي مرَّت في احدى سنوات المشرق ٤ : ١٠٢١) . امَّا اليوم فقد تحسنت نوعاً وشرع الزارعون يستعملون النواعير الخشبيَّة والحديديَّة والطامبات التي تتحرَّك بالبخار والغاز البترولي . وفي البصرة يسقون الاراضي بواسطة المدّ والجزر . فاذا صعد الماء في وقت المدِّ يتدفق في غيطان النخل بدون نصَبٍ ولا تعبٍ . والنخل في بدء غرسهِ يلزمهُ كمّيات وافرة من الماء لريّهِ اما إذا اشتدَّ ازرهُ وكبر صبر على العطش اكثر من جميع نباتات العراق ومزدرعاتهِ . وصنو البصرة اسرع بنشوءه من تال بغداد وربَّما اعطى تمرًا بعد سنتين او ثلاث سنين من غرسهِ ومن وطئ تلك المدينة يتضح لهُ صحَّة مقالي واذكر ان في اثناء رحلتي اليها سنة ١٨٩٣ شاهدت نخلاً يمكن الانسان قطف تمرهِ وهو جالس على الارض . اما سائر التال فيعطي غلتهُ في السنة السابعة أو الثامنة من غرسهِ . والنخل ينبت في الارض ويمدُّ عروقه في بطنها الى مسافة بعيدة كسائر الاشجار الباسقة المتينة الجذع ويعلو مرتفعاً كل سنة نحو ٣٠ سنتيمترًا ويبلغ علوه من السبعة الى العشرة امتار ويعمّر نحو سبعين او ثمانين سنة . ولمَّا يحين شهر شباط يُزَر سعفهُ البالغ ويقص منهُ بعض الكرب من اعلاه . وجذع النخل ليس سويًّا مصقول بل هو على هيئةٍ سلمٍ ناتئة منهُ بقايا الكرب وما الكرب إلّا مؤخر السعفة . ثم انَّ في قمة النخل عددًا من السعف ثلاثة طبقات منهُ أو اكثر تتدلّى افقيًا وخصلة من أحدث السعف تنتصب عموديًا في أعلى قسمٍ . ويبلغ طول السعفةِ مترين وفيها الخوص وهو بمثابة الاوراق في سائر الاشجار وكل خوصةٍ تنتهي برأسٍ رفيعٍ مشوك ومن حيث هيئتها تشبه كثيرًا ريشة الطائر

في منتصف آذار او في اواخرهِ يظهر في اعلى قسمٍ من جذع النخل الطلع وبعد

نحو عشرين يوماً ينفتح الغلاف ويخرج العنقود فحينئذٍ يحين زمن التلقيح ويصعد الملقح على النخل بواسطة الكَر وهو التبلية بلهجة العراقيين . ومعهُ من لقاح الفحول فيجرد الغلاف تماماً اي الطلع وينثر عن كل عذقٍ قليلاً من اللقاح . وكل نخلةٍ تحمل من العذق الى ١٣ او الى ١٤ عذقاً إلّا انّ اصحاب الاملاك اذا رأوا كمّيّة الحمل تتجاوز ثمانية او عشرة اعذاق قصّوا البقية طلباً في تحسين نوع التمر وخشيةً من انهاك النخل . يتألف العذق من خشبةٍ طويلة بقدر نصف المتر تقريباً وبجانبها الشراميخ حتى نصفها وباطراف الشراميخ ينبت التمر . وعندما يظهر يكون ابيض اللون ثم بعد التلقيح بايام قلائل يشرع بالاخضرار (ويدعى بلسان اهل العراق الطوش) ثم يحمرّ او يصفرّ حسب شكل التمر فيكون خلالاً وهذا الطور يحدث في منتصف حزيران او اوائل تموز وفي اواخر هذا الشهر حتى آب يتمّ نضجه فيباع بالسوق بكميّات وافرة واثمان زهيدة بخسة

٢ً جدول لاشهر اسماء التمر

اشرسي	جعفري	چايان	جوزي
بدراية	بصراوي	اسماعيل قادري	اصبع العروس
زهري	بدنجاني	كرين مرماغي	عمامة القاضي
مكتوم	برين اوبريم	قره اشرسي	سكري
خستاوي	برين	ريحاوي	سائر
تبرزل وقديماً الطبرزد	كندكاوي	دكل زهدى	ميرحاج
خضراوي	بادمي	دكل مكتوم	كرسي
حلاوي	قرنفلي	طباشي	الخ الخ الخ
برم	عرب سبكي	سلطاني	
كاكاواني	نباتي	بنفسجي	

ملاحظات

اجود اجناس التمر المتداولة على افواه البغاددة الخستاوي وهو أرغبها وأحسنها ثم المكتوم والتبرزل وبعدهُ الزهري إلّا ان هذا الجنس الاخير ينفق اكثر من الجميع يأكلهُ الفعلة لرخصهِ وكثرة موادّهِ ولهذا يدعونهُ مسمار الركب ويشحن الى سوريّا ومصر اما البدارية والاشرسي فيُقتطفان في اوان نضجها ويحفظان مؤونة للشتاء واشهر مواطنها مندلي (وهي البندنيجين التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان) والبرين او البريم منبته

في البصرة ومنهُ يعمل الخلال المطبوخ . أمّا الخضراوي والحلاوي والسائر فأنواعها من أشهر تمر البصرة وتوسق الى اوربا واميركا وسوريّا والهند وسواحل خليج فارس مثل بوشهر والكويت ومسقط والبحرين وطنجه في صناديق وزن الصندوق بين الـ ٦٥ والـ ٧٠ باون (الباون وزن انكليزي عبارة عن غرام ٤٥٣٦) ومنها ما يكدس في خصاصيف (والخصافة كيس من الخوص) . ويقدّر التمر الذي يوضع في الصناديق في البصرة من ٣,٠٠٠,٠٠٠ الى ٣,٥٠٠,٠٠٠ فتأمّل يا صاح اي ثروة تدخل البصرة سنويًا من هذه الفاكهة (١

٣ً منافع النخل

ان اهالي العراق لا يتركون قسماً من هذه الشجرة يذهب سدى بدون ان

---

١) هذه بعض فوائد زادها حضرة الاب انستاس الكرملي في تجارة تمر العراق ارسلها الى ادارة جريدة البشير قال :

وأشهر مدن العراق التي يرسل اليها التمر مَنْدَلي (البندنيجين) وبغداد والبصرة . امّا تمر مندلي وبغداد فلا يحتمل البقاء على البحر والسفر يؤذيهِ ولعلهُ يفسد بعضهُ بخلاف تمر البصرة فان نقلهُ على ظهور البحار لا يضرُّهُ ضرر من الأضرار ولهذا فانهُ يُنقل الى نفس البلاد التي فيها تمر كالجزائر وتونس ومصر لان دخولهُ بلادهم يزيدهُ تحسّنًا في الطريق فيبتاعهُ الناس باثمان بخسة ويبيعون تمرهم باثمان عالية

واليك الآن بيان التمر الذي صدر في سنة ١٩٠٦ فانهُ أُرسل منهُ ٢٠٠,٠٠٠ صندوق وزن كل واحد منها ٣٠ كيلوغراماً فيكون الصادر عبارة عن ٦,٠٠٠ طنّ التهمتهُ ثغور اميركا فقط . والذي صدر الى ثغور البحر الاحمر وديار الغرب من اوربا والجزائر وتونس ومراكش يبلغ نحو ٢,٢٠٠,٠٠٠ صندوق وهي عبارة عن ٧٠,٠٠٠ طنّ

فهذه الارقام تخيف خوف الارقام وهي لا تزال مع ذلك الّا ازديادًا ومن ثمّ زاد الاعتناء بزراعتهِ وارتفعت اسعار الارضين التي تغرس اشجاره فيها . هذا والملّاكون لا يدركون شأو الطلب اذ تخيلهُم لا يكفي وقبل سنتين او ثلاث ما كانت تسمع إلّا باسمهِ

وامّا الثغور التي تحمل اليها التمور فهي اليوم : لندن ومرسيليا وهمبورغ ووهران وتريسته ويافا وبيروت والاستانة العلية ونيويرك وجدّة والبحرين وبمبيّ وعدن وغيرها . إلّا ان لندرة لها المقام الاول ولذا قدّمناها على غيرها . لانها تستنقل في السنة ١,٠٠٠,٠٠٠ صندوق في السنة تقريباً لان سائر المدن تستبضع من اسواقها . ومن بعد لندن تأتي في الاهمية مرسيليا وقد تضاعف الصادر اليها في هذه السنة باربع مرّات على ما كانت عليهِ قبل اربع سنوات والسبب لان سوق هذا الثغر الفرنساوي من أحسن الثغور للاستبضاع وللشراء ولان ما يحمل الى تونس والجزائر يؤخذ اغلبهُ من مرسيليا لا من البصرة توًّا

يستخدمونهُ لمنافعهم العيشيَّة ويجنون منهُ الفوائد المتضاربة الاشكال . فمن الياف الخوص تُحاك الحصران والحبال وتُعمل الخصاصيف وجميع المكانس المستعملة في بغداد والبصرة والموصل . وكذلك السلال والطباق لا بل القفف التي تسير على دجلة كقوارب اهل بغداد تُتَّخذ من النخل وهي التي تقلّهم من مكان الى آخر ويتنزهون بها بالنهر فهم يعملونها من الخوص قبل ان تطلى بالقار . والسعف علامة الانتصار والظفر يزيّنون بهِ في اُبان افراحهم كنائسهم ومحلَّاتهم الرسميَّة وبيوتهم . واليابس منهُ يشعل في الموقد كما يشعل ايضاً الكرب . والكرب يدخل في فنّ السباحة بمثابة طوّافةٍ وفي بغداد لا يعرف غيره لتعليم السباحة فيشدّ على ظهر وبطن المتعلم ثلاثة او اربعة اكراب وعندما يتمرّن يلقيها عنهُ تدريجاً . ويستعمل جذع النخل لتسقيف البيوت الحقيرة ويتخذ منهُ معابر للجداول الصغيرة وقوائم لبناء الكرود . وفي اغلب الاحايين يُفسق شقفاً صغيرة ويُجعل في المواقد . وبالياف النخلِ تحشى برادع الحمير التي تصنع في بغداد . ولا تقف هبات النخل عند هذا الحد ويقطع عن العراقيين جداول سخائهِ بل يفيدهم فائدة أخرى ألا وهي استقطار ماء الطلع وكيفيَّة عمل ذلك لا تختلف ابدًا عن استقطار ماء الورد . وهذا الماء يستخدم لإنعاش التنفُّس وتسهيل الهضم وتبديد الارياح

٦ً فوائد التمر

يختلف طول التمرة من سنتيمترين الى ٦س تراها رفيعة الطرفين غليظة الوسط وهي من الاثمار ذوات النواة ونواتها تختلف عن نواة بقيَّة الاثمار فهي متألفة من طبقات متصلبة (cellulose) وعلى طولها يُشاهَد حزٌ ينتهي بنقطة صغيرة مستديرة ويحيط بها طبقات زلاليَّة (albumine) وفي زمن التوليد يهضم هذا الزلال وتنبت الاصول من تلك النقطة المستديرة . قد سبق القول بان اول فائدة تُجنى من التمر اكلهُ المغذي وذوق حلاوته العذبة . فهو إدام الفقراء وفاكهة الاغنياء ومؤونة البيوت . وكل العائلات في بغداد والبصرة تحفظهُ للشتاء اما في الخصافات واما في الكيش جمع كيشة (راجع المشرق ٨ : ٢٤٥) واما في صناديق من خشب أو متوًى (كرتون) وعلى هذا النمط يوسق الى البلاد الاوربيَّة ويُتاجر بهِ . والتمر يؤكل مع الخبز وهو غذاء العملة عموماً من بنَّائين ونحَّاتين ونجَّارين وغيرهم ويأكلونهُ ايضاً مع اللبن ويطبخ ايضاً ويعمل منها الحلوى وهي لذيذة طيبة

ويُستخرج منهُ السقر وهو عصيره . وصورة اتخاذهِ تختلف كاختلاف البلاد . ففي بغداد مثلًا إذا حان منتصف ايلول رأيت ربّات العائلات مرتبكات في هذا الشغل الشاغل لا بل يتخذنَ عمل السيلان محورًا تدور عليهِ رحى حديثهنّ في مجالسهنّ وهذه الحالة تدوم حتى غرّة تشرين الثاني فالسيدات يردنَ الرطب مردًا قويًا ثم يُوضع في القدر ويغلى مع الماء غليًا شديدًا حتى يطفو على وجههِ رغوة فيصفّى حينئذٍ ومن ثمّ ينشر فوق السطح باوعيةٍ وغب مرور ثلاثة او اربعة أيام ينتهي عملهُ . اما سيلان البصرة فاستخراجهُ اسهل فيكدس الرطب اكداسًا ويجري منهُ عصيره . والسيلان يؤكل إمّا صرفًا مع الخبز او يطبخ بالبيض والسمن . وبعد ان يستخرج الصقر من التمر يُستقطر منهُ عصيرٌ آخر يعمل منهُ الخل ومعظم كميّات الخل التي تستعمل في بغداد والبصرة هي من التمر . والثفل الذي يفضل يدعونهُ جبرة ينشّف ويُستعمل كوقود

ان المسكر الوطني في بغداد والبصرة هو العرق الذي يُستخرج من التمر لا غير واذا كان الامر كذلك يجدر بنا ان نفرد لصورة عملهِ بعض الاسطر . يوضع التمر (الزهدي) في براميل زهاء ثمانية أيام ثم يرد ويعاد الى محلهِ فيبقى هناك ثمانية أيام أخر فيُستقطَر ويدعى وقتئذٍ بكپاره ثم يستقطر ثانيةً ويضاف إليهِ كميّة من المصطكى والرزيناج وقليل من سكّر الطبرزد والهيل وكل خمسين اقة استانه تمر تعطي ٢٦ ليترًا (يدعى برج) وفيهِ من الالكحول من ٢٥/١٠٠ الى ٢٧/١٠٠ ويباع الليتر الواحد بخمسة غروش وفي بغداد يوجد نحو خمسة عشر خمّارة لاستقطار العرق وجميعها تخص اليهود وتستخرج في السنة ٥٠٠,٠٠٠ ليتر من العرق

٥° قطف التمر أو التمزة في البصرة

ان موسم قطف التمر يظهر تمامًا في مدينة البصرة فاذا قرب منتصف آب رأيت للعملة والكتبة الذين لا يعرفون شغلًا في آناء السنة كلها يسرعون ويتقاطرون افواجًا وزرافات من بغداد إلى البصرة واهالي البصرة يتركون اشغالهم ويقفلون محلّاتهم ويخرجون إلى ضواحي المدينة إلى الخورة ومهيجران و يوسفان وحمدان الخ مع عائلاتهم ويضربون السرائف (جميع سريفة بيت يصنع من القصب والحصران) ويقضون مدّة ٥٠ يومًا او شهرين في نظارة تنضيد التمر وكدسهِ . وجميع العملة الذين يكدسون التمر هم من سكان البصرة ومجاوريها من العرب والعربان . وفي هذا الاوان يرى في البصرة

حركة تجارية لا يشاهد مثلها اثناء السنة كلها . غير ان اصحاب الامـــلاك يكونون غالباً مسبوقين بماليتهم ويستقرضون الدراهم برباً فاحش اي عشرين في المئة إلى زمن حلول اوان قطف التمر فيفون ديونهم . ويا حبّذا لو فُتح هناك مصرف زراعي يُستفيد منهُ اصحاب الاملاك فائدة تذكر . هذا آخر ما اردت تعليقه في هذا المقام والسلام

دير الزَّوْر

اسماؤها ومعانيهـــا حديثاً وقديماً

لحضرة الاب انستاس الكرملي

كتب حضرة الفاضل الاديب عبد الكريم افندي نوري مقالة حسنة في المشرق في دير الزَّور (١٠ : ٣٨) وذكر عنهـــا انها « عريقة في القدم » فاثباتاً لكلامهِ الراهن الذي لا يشوبهُ ادنى ريب اذكر بعض اسمائها القديمـــة ومعانيها . مقدّماً على ذلك معاني الالفاظ الحديثة اتماماً للفائدة فاقول :

١ً معنى دير الزَّور دير الغابة او الحرَجة . والزور بهـــذا المعنى مشهور على لسان اهل العراق والجزيرة وما جاورهما من الديار العربية . واللفظة فصيحة قديمة وان لم توجد في كتب اللغة . فقد جاء في لسان العرب ما هذا حرفهُ في مادة « زأر » قال : زأرة الاسد : اجمتهُ . قال ابن جنّي : « وذلك لاعتيادهِ اياها و « زَورهِ » لها . والزارة : الاجمة ذات الماء والحلفاء والقصب . والزأرة (مهموزة) : الاجمة . اه . وعليهِ فتسمية الاجمة بالزَّور فصيح بما انهُ من هذا المعنى اشتقوا لفظة زارة او زأرة ايضاً

٢ً ولهذا السبب عينهِ سموها ايضاً « دير الشعَار » بتخفيف العين لا بتشديدها كما جاء في المشرق والشعَار في العربيـــة : الشجر الملتفّ . وما كان من الشجر في لينٍ من الارض يحلّهُ الناس يستدفئون بهِ شتاءً ويستظلُّون بهِ صيفاً » وهذا كلـــهُ يصدق على ارض الدير

٣ً ولمثل هـــذه العلة سموهُ ايضاً « دير العصافير » لان العصافير لا تكثر الّا في المواطن التي يكثر فيها الشجر . واذ قد شرحنا ذلك ننتقل الى ذكر اسمائها القديمة وشرحها

واول ما ورد ذكرها مكتوباً على ما اتّصل الينا الى الآن كان في التنزيل العزيز في سفر الملوك الثالث (٤ : ٢٤) اذ يقول: « لانهُ (اي سليمان الحكيم والملك الكريم) كان متسلطاً على جميع عبر الاردن من تِفساح الى غزّة على جميع ملوك عبر النهر » اه. فالمراد بتفساح هنا دير الزور بدون ريب . ويضبطها العبريون بكسر الاول اما العرب فيضبطون مثل هذا المصدر بفتح الاوّل الّا كلمتين فانهم يكسرون اولهما وهما التِلقاء والتبيان. ومعنى تفساح العبر والمعبر ومثلهُ في العربيَّة « فَسُحَ المكان يَفسُحُ فساحة: وَسُع ». وكل ما تفرَّع على هذا الاصل فمأخوذ من هذا المعنى. وكذلك فَصُحَ ومعانيها فتقول: فصُح اللبن: اذا أُخذت عنهُ الرغوة. » وانما فَصُح لنقص حدث فيهِ او لزوال ما كان قد تجمَّع على سطحهِ وهـــذا لا يكون الّا بالانفساح . ومادتا « ف س ح » و « ف ص ح » هما بهذين المعنيين ايضاً في سائر اللغات الساميَّة. فاذ انفسح مَوْطنٌ من النهر هان على الناس عبورُهُ منهُ

ورواية تَفساح بفتح الاول لغة قديمة فصيحة ومن ذلك اسمها عنـــد اليونان Θάψακος وعند الرومان (Thapsacus) فقد ذكر مؤرّخو هاتين الامتين الاقدمون منهم هذه المدينة بهذا اللفظ. ومنهم: (Xénoph.: *Anab*. I. 4; Arrian.: *Exp*. *Alex*. 2, 13, 3, 7; Curt. 10, 11, 19; Strabo XVI, p. 1082) وغيرهم كبلينيوس ومن اخذ عنهُ. ويتحصل من كلامهم انها كانت مدينة كبيرة غنية واقعة على ضفة الفرات الغربيَّة عند موطن منهُ يمكن للمرء ان يعبرهُ خوضاً. وكان الذين يذهبون من الجزيرة والعراق الى بادية العرب او الى الديار الشامية يعبرون الفرات عند موقع تفساح ولم تكن يومئذٍ بعيدة عن مصب الخابور كما انها اليوم قريبة منهُ ايضاً . وقد اكثر الواصفون من ذكرها في كتبهم القديمة ويرتئي اغلب العلماء ان ملوك أشور كانوا يمرُّون بهذه الطريق عند ذهابهم الى ديار الشام. وهكذا فعل الاسكندر الكبير

وقد اختلف الافرنج والاعاجم في كتابة اللفظة لخلو لسانهم من الحاء الحلقيـــة ومنهم من حذفها بالمرة كما فعلوا بغيرها كلفظة حواء وغيرها

امّا بنو أرم فانهم ابدلو هذا الاسم باسم آخر يناسبهُ معنًى ويخالفـــهُ مبنًى فانهم نقلوا الى لغتهم كلمة تفساح بلفظة « صندودياء » وبموجب اللغة المشهورة « صندوداء » من مادة (ܨܕܐ) ومعناهُ: خلا واقفر. ومنهُ في العربية صديَ الرجل: اذا عطش.

وسبب تسمية ذلك الموضع من الفرات بهذا الاسم ظاهر مما بيّنّاهُ من انفساح الماء هناك حتى كأنهُ يخلو ويفرغ منهُ عقيق النهر او كأنهُ يعطش هنالك (١

وقد تأثر سائر العرب من تقدّمهم مَن القرون والاجيال بعبورهم صندوداء عند ذهابهم الى الديار الشاميّة او الديار العربيّة وقد اكثر المؤرخون من ذكر هذه المدينة واهلها عند ذكرهم الفتوح. قال في كتاب الخراج لابي يوسف (ص ٨٦) : «ثم بعث [خالد بن الوليد] سعد بن عمرو الانصاري في جمع من المسلمين حتى انتهى الى صندوداء وفيها قوم من كندة ومن إياد نصارى فحاصرهم اشدّ الحصار ثم صالحهم على جزية يؤدّونها اليهِ. واسلم من اسلم منهم. واقام سعد بن عمرو بموضعهِ (صندوداء) في خلافة ابي بكر وعُمر وعثمان رضه حتى مات. فوُلدهُ هناك الى اليوم.» اه

وقال البلاذري (ص ١١٠) «فسار خالد من عين التمر فأتى صندوداء وبها قوم من كندة واياد والعجم فقاتلهُ اهلها فظفر وخلّف بها سعد بن عمرو بن حرام الانصاري فولدهُ اليوم بها.» اه

ثم يذكر البلاذري سائر المدن التي افتتحها خالد حتى يأتي الى ذكر تدمر. وهو في كل ذلك يتبع الطريق القديمة التي سار فيها من تقدّمهُ بدون ادنى تغيير

وقال ياقوت : «قال ابن الكلبي: سميت صندوداء باسم امرأة (كذا) وهي صندوداء ابنة لَخم بن عدي بن الحارث بن مُرّة بن أُدّ. (؟!!!) قال: سار خالد بن الوليد من العراق يريد الشام فأتى صندوداء وبها قومٌ من كندة واياد والعجم... الخ» هذا الذي وقفنا عليهِ في هذا الصدد. والقول ان تفساح هي دير الزور مشهور

---

١) قولنا ان صندوديا او صدودياء من مادة «ص د ا» لا ينفي القول انها من مادة «ص د د» ايضاً فقد تقرَّر اليوم ان اصل الناقص مضاعف. اما النون ففحمة زائدة. راجع تاج العروس مادة صندد. ومما يؤيد ان صندودياء هي من صدد ايضاً والمعنى في الاصل واحد من جهة وضع اللفظة لهذه المدينة. ان الصدّ في اللغة ناحية الوادي وفي فريتاك «مجرى الوادي» Alvei (vallisque tractus. والصد ايضاً شعب صغير يسيل فيهِ الماء قالهُ الضبيّ ونقلهُ التاج. ومنهُ: الصديد: ماء الجرح الرقيق. والصديد الحميم اذا أُغلي حتى خثر وصدّاء كمدّاء وصَدْاء كحمراء اسم بئر او ركية عذبة الماء. اه من التاج. والخلاصة ان المادة تؤيد صحة الاشتقاق لهذه اللفظة ولاطلاقها على المدينة المذكورة لِما في هذا التركيب من الارتباط بمعنى الماء الرقيق او القليل رقيقاً كان او غليظاً

عند المحققين من المفسّرين وغيرهم فلستُ انا اول قائل بهذا القول. راجع معجم بوِيّه التاريخي مادة تفساح *Bouillet - Dict. d'His. et de Géog.* art. *Thapsacus.*

تفساح ودير الزور

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقيّ

انّ المقالة السابقة لكاتبنا البغداديّ الفاضل حضرة الاب انستاس الكرمليّ تسند رأياً شاع مدّةً في عالم العلم فذهب البعض إلى ان مدينة دير الزور الحاليّة هي إحدى الحواضر التي تكرَّر اسمها في الآثار القديمة اعني تفساح. وغاية ما افادنا الكتبة القدماء عن موقع تفساح انها على ضفة الفرات الغربيّة وأنّها كانت داخلة في حيِّز سوريّة ليست بعيدًا من حلب والمنبج والبيرة (برجيك) وانّ موقعها بالنسبة الى الفرات حيث تبلغ بلاد ما بين النهرين معظم اتساعها وان القادمين الى بلاد الشام كانوا يقطعون النهر عندها. وكلّ هذه الدلائل لا توافق تماماً موقع دير الزور الحاليّة. على إنّ قوماً من الكتبة ارتأوا بوحدة دير الزور وتفساح. وكان الذي حدا بهؤلاء إلى هذا القول فقرةٍ لبطليموس الكلوذي ظنّوها توافق موقع دير الزور اكثر من سواها. فبقي العلماء حيناً متردّدين في آرائهم قبل عهدنا بربع جيل. فمنهم كالعلّامة ليم سميث (Smith: *Dict.* greek and rom. Geography. *s. v.* Thapsacus) جعلوا دير الزور في موقع تفساح وقد روي غيرهم كپولي (Pauly: *Realencyclopedie. s. v.*) هذا الرأي دون ان يسلّموا بهِ وكانوا يفضلّون وضع تفساح في موضع أعلى حيث يعرّج الفرات ملتويًا في سيرهِ (فتلك كانت حالة العلماء في آرائهم قبل خمس وعشرين سنة واكثر) وفي تلك الاثناء اثبت الكاتب الفرنسوي بوليه (Bouillet) في معجمهِ الجغرافيّ احد هذه الآراء دون ان يمعن النظر في صحّتهِ فزعم انّ دير الزور هي تفساح

لكنّ العلماء الأثبات قد عادوا إلى هذا البحث وتروّوا في اقوال قدماء الكتّاب واخذوا يتفقّدون آثار وادي الفرات غربي دير الزور على مسافة بعيدة عنها فقرّ رأيهم بعد طول النظر انّ تفساح على معرّج الفُرات جنوبيّ بالس ومَسْكَنة حيث يكفّ النهر

عن السير الجنوبيّ فيميل إلى الجنوب الشرقيّ. وهناك قرية تدعى دِبسه وقريباً منها اخربة واسعة فوجدوا إنَّ اسم القرية وآثارها تلائم تفساح وتصاقبها بالتمام . وهذا الاكتشاف قد توفّق اليهِ في وقت واحد سائحان عالمان وهما الانكليزي بترس (L. B. Peters) والالماني ب. مورتس (١ ولو امكن العلماء ان يجروا هناك حفريّات نظاميّة لوجدوا من الآثار ما يفوق الآمال

ومذ ذاك الحين قد حصل الاتفاق التامّ بين العلماء في موقع تفساح القديمة ولا تكاد ترى كتاباً علمياً يقول بقول بوليه. وكذلك الخوارط والاطلسات. فانّها تجعل كلّها تفساح قريباً من دبسه. وها نحن نذكر بعضها منها مجموع خرائط الجغرافيّة المقدّسة للسيّد غراماتيكا (٢ (اطلب المشرق ٨: ٥٢٦) واطليس الكتاب المقدّس للعلّامة ريس (٣ (المشرق ٩: ٨٦٣) والجغرافيّ ه كيبرت (٤ في اطلسهِ القديم وقد نقل عنهُ ابنهُ ر. كيبرت في خارطتهِ الاخيرة لسوريّة وهي افضل ما وُضع في ذلك الى اليوم. أمّا التآليف التي دوّنت هذا الرأي الصحيح فمنها التاريخ القديم لأمم الشرق لمسپرو (٥ وكذلك يوافقهُ مفسّرو الكتاب المقدّس ومعجم هَستِنغس (٦ والعلّامة شين في دائرة العلوم الكتابيّة (٧ وفيها تجد مقالة موسّعة ذُكرت فيها آراء الكتبة والحجج التي ترجّح دبسة على دير الزور ولهؤلاء العلماء من الفضل وسعة العلم ما يغنينا عن الاطالة في اثبات رأيهم ومن أراد الاطّلاع على ادلّتهم فعليهِ بمصنّفاتهم

---

١) اطلب كتابهُ B. Moritz: *Zur antiken Topographie der Palmyrene*, p. 31

٢) هذا اسمهُ بالايطاليّة Mgr Grammatica: *Testo atlante di Geographia sacra.*

٣) في اللاتينيّة De Riess: *Atlas Scripturæ sacræ.*

٤) في اللاتينية H. Kiepert: *Atlas antiquus.*

٥) بالفرنسويّة Maspéro: *Histoire ancienne des peuples de l'Orient.*

٦) بالانكليزية Hastings: *Dict. of the Bible s. v.* Tipsah.

٧) Cheyne: *Encyclopaedia Biblica.*

نشرة انتقاديّة

لتآليف جديدة في التاريخ الكنسي

بقلم بعض اساتذة المكتب الشرقيّ في كليّة القديس يوسف

تسير العلوم التاريخيّة في عهدنا سيرًا حثيثًا حتّى لا يكاد يضمّ اطرافها عقلُ الادباء ولا يستثنى التاريخ الكنسيّ من هذا الحكم فانّ قوماً من ارباب البحث ينشرون كلّ يوم تآليف واسعة في اخبار الكنيسة إمّا عموماً وإمّا خصوصاً فتارةً يشملون بدروسهم كلّ احوال النصرانيّة منذ نشأتها إلى يومنا وتارةً يدرسون تاريخ الكنيسة في بلد معلوم او يميطون القناع عن تاريخ احد رجال الكنيسة او يتحفّون في درس وقيعة مفردة من الوقائع الشهيرة. وها نحن نذكر ما وردنا من التآليف في هذا الباب كما فعلنا في المصنّفات الكتابيّة (٣٢٣)

*

١ نفتتح الكلام بذكر تاريخ الكنيسة للسيّد بروك اسقف ماينس من اعمال المانية (١ وهذا الكتاب قد اصاب في المانية شهرة عظيمة حتى بلغ في حياة مؤلفهِ ثماني طبعات مختلفة ونُقل إلى لغات شتّى كالفرنسويّة والانكليزيّة والايطاليّة وصار في المدارس الاكليريكيّة كدستور للتعليم المداسيّ. وقد تولّى الدكتور ج شميد النائب الاسقفي في ابرشيّة ماينس بعد وفاة المؤلف مراجعة الكتاب وتحسينهُ فضلًا عن تطبيقهِ على الاكتشافات التاريخيّة المستحدثة وطبعهُ طبعتهُ التاسعة التي أُرسلت إلى ادارة المشرق. وهذا التاريخ يُقسم إلى ثلاثة اقسام: من ظهور النصرانيّة الى المجمع السادس (سنة ٦٨٠ م) ثمّ الى الاصلاح الموهوم في القرن السادس عشر ثمّ الى حوادث زماننا ولكلّ قسمٍ فصول متعدّدة كانتشار النصرانيّة وحياتها الباطنيّة وترقّي تعاليمها ومعاملاتها مع السلطة المدنيّة إلى غير ذلك من الاقسام الثانويّة. وما يقال بالاجمال عن

---

١) وهذا عنوانهُ:
Heinrich Brueck (D^r): LEHRBUCH DER KIRCHENGESCHICHTE. 9^te teilweise umgearbeitete Auflage, heraus. von **D^r Jakob Schmidt,** *Münster i. W.*, 1906, in-8.

هذا التأليف انهُ كثير الوضوح قريب الاسلوب واسع المادّة حسن الفهارس ولهذا قد توفَّر عليهِ اقبال المدارس. على اننا نجد ايضاً فيهِ بعض النقائص التي نرغب في اصلاحها في طبعة جديدة فمن ذلك انّ المؤلف لم يُحسِن في جعلهِ المجمع السادس كآخر القسم الاوّل. فان هذا التاريخ ليس فيهِ من الخطر وعظم الشأن ما يوجب الوقوف عندهُ. فانّ أُمورًا أُخرى اعمّ نفعًا وأعلى مقاماً أحقّ بذلك. ومما يزيد هذا النقص خرقاً ان المؤلف يحتاج في القسم الثاني إلى ان يعود إلى عدَّة حوادث كان الاولى بها ان تُقدَّم. ويظهر مثل هذا التشويش في اماكن غيرها فيؤخر الكاتب ما كان ينبغي تقديمهُ او يقدّم ما حقُّهُ ان يؤخر مثال ذلك وصف رسالات الآباء اليسوعيين والكبوشيين قبل ذكر انشاء الرهبانيّتين. وكذلك نأخذ على المؤلف تقصيرهُ في بعض الحوادث المهمّة او سكوتهُ عنها. فانهُ مثلًا لم يكد يذكر شيئاً من اعمال القديس لويس ملك فرنسا اللهمّ إلّا سنة وفاتهِ. وقد فاتهُ ان يشير الى تأليف الاب لاپوتر اليسوعي عن البابا يوحنّا الثامن فان ما كتبهُ هذا الكاتب عين الصواب اخذهُ عن مصادر موثوق بها فلا يجوز ضرب الصفح عنهُ. وقد سها ايضاً عن تدوين بعض التآليف الفرنسويّة لتعريف الدولة الكرلوڤنجيّة. هذا إلى اغلاط أُخرى طفيفة لا تخفى على المطالع اللبيب

٢ نثني أطيب الثناء على الطبعة السادسة التي وردتنا من جداول التاريخ الكنسيّ للدكتور ڤنغرتنر (١ فانها على سياق جميل وترتيب دقيق تشمل تاريخ الكنيسة من اولها الى سنة ١٩٠٥. وليست هذه الجداول مجموع أعلام واعداد فقط بل تحتوي ايضاً نصوصاً عديدة قد اختصر فيها المؤلف على طريقة سهلة اعمال الكنيسة واحوالها في كل طور من اطوارها. ومن فوائد هذا التأليف ان الدارس يمكنهُ ان يدرك بنظر واحد ما أجرتهُ النصرانيّة في امكنة شتّى من المآثر الجليلة والاعمال الاثيرة. ومما يزيد هذا الكتاب فضلًا انّ صاحبهُ اضاف إليهِ شواهد من كبار الرجال تؤيد اقوالهُ في كلّ باب وتجمع في ألفاظ وجيزة معاني كثيرة. وكذلك قد اثبت في ذيل كل صفحة اسماء التآليف التي استند اليها لتتيسّر مراجعتها اذا احتاج إلى تفاصيل موسّعة. ومن محاسن

(1 **Weingartners** Zeittafeln und Uberblicke zur Kirchengeschichte. 6[te] Aufl. vollstandig umgearbeitet und bis auf die Gegenwart fortgeführt von D[r] **Carl Franklin Arnold**, 1905-1906, *Leipzig, Hinrichs,* in-8, pp. 257.

هذا الكتاب ايضاً جداول لبعض الأُسَر الدوليَّة التي لها علاقة مع الكنيسة ثم نظرٌ تاريخي في الفنون الجميلة الدينيَّة والغناء الكنسي. وخلاصة القول ان هذا الكتاب من أجود الكتب التي يُستعان بها لدرس تاريخ الكنيسة. ولعلَّهُ بالغ في بعض الفصول بتدوين تآليف اعداء الدين فانَّ منها ما لا يستحقُّ ذكرًا لتطرُّف اصحابها وتعصُّبهم على الكنيسة الرومانيَّة

٣ ومن اشرف ما وُضع في هذه السنين الاخيرة من التواريخ الدينيَّة كتاب صنَّفهُ احد مشاهير عصرنا وهو الاب غريزار اليسوعي عن رومية والباباوات في القرون المتوسطة (١) ضمَّنهُ من المعلومات والاوصاف ما لم يتصل اليهِ احد قبلهُ. والاب المذكور قد اطَّلع على دفائن الآثار والسجلات الخفيَّة التي كانت تُصان سابقًا في خزائن الواتيكان السريَّة لا يكاد يعرفها احد وهي اضابير من الرقّ كانوا اودعوها منذ الف سنة بنيِّف اخبار الاحبار الرومانيين واعمالهم فالاب غريزار اطَّلع على كلّ هذه المكنونات واستخرج منها لبابها في تاريخ كبير قسمهُ الى اربعة كتب في مجلَّدين مباشرًا باخبار المدينة المخلَّدة منذ اوائل القرن الخامس الى السابع. وهذا التاريخ لا يحتوي فقط اخبار رومية واعمال الاحبار الرومانيين الظاهرة في تلك المدَّة بل يشتمل ايضاً على كلّ ما يمسّ حياة الكنيسة الباطنة من دين وعبادة وترهُّب ومشاريع خيريَّة وفنون جميلة وترقّي الآداب بحيث يتحقَّق القارئ ما كان للبابويَّة من المقام العظيم والنفوذ الكبير في كلّ الاعمال التي جرت في انحاء العالم بذلك العهد. وهذا التأليف العجيب مع فوائدهِ الجليلة كان حتَّى الآن باقياً على اصلهِ الالماني الى ان حرَّكت الحميَّة احد ذوي الهمَّة الموسيو لودوس فنقلهُ آخرًا الى الفرنسويَّة. وقد راجع المؤلّف هذه الترجمة واضاف اليها اصلاحات جمَّة تتمَّة للافادة. كما ان المترجم علَّق على الكتاب بعض الملحوظات مع بيان الكتب الفرنسويَّة التي بحثت عن هذه المواد. وقد ارادت ابنة المترجم ان تتولَّى عمل الفهارس تسهيلًا لطلب المواضيع فتخدم بذلك العموم جازاها الله واباها خيرًا

٤ وممَّن خصَّ قلمهُ بتاريخ بعض الاحبار الرومانيين الموسيو ديلاندر الذي

---

(1) **Hartmann Grisar** s. j. HISTOIRE DE ROME ET DES PAPES AU MOYEN-AGE. Trad. de l'allumand par **Eug.-Gab. Ledos**. T. I. pp. 466; T. II, pp. 456, *Lille*, *Desclée* et C^ie^ 1906.

سطَّر تاريخ اينوقنت (او زكيا) الرابع (١ ونعم ما فعل فانك قلَّما تجد بين كبار الاحبار رجلًا حدثت في عهدهِ الامور الجليلة والاعمال الشريفة كما حدث في ايامهِ . منها ذهاب البابا الى جنوة ثمَّ تنزيل فردريك في مجمع ليون ثمَّ حرب القديس لويس الاوَّل في الشرق . وقد جرى المؤلف في كلّ ذلك على طريقة العلماء مستندًا في اقوالهِ الى اثبت المصادر واصدق الكتبة فيعرض الحوادث على محكّ الانتقاد ولا يحكم في أمرٍ إلَّا بعد تأييده بالحجج الراهنة مبتعدًا عن كلّ غرض من شأنهِ ان يسلب الحقيقة شيئًا من حرمتها وأجلُّ ما في هذا الكتاب تاريخ الخصام الذي وقع بين البابا والقيصر قد اوضحهُ الكاتب بعلم وسداد نظر ونزاهة فنحرّض محبّي التاريخ على تسريح النظر في رياضهِ

٥ ومن كبار الاحبار في القرن السادس عشر سكتس الخامس (١٥٨٥—١٥٩٠) الذي لم يجلس على كرسي بطرس الرسول اكثر من خمس سنوات فترك من الآثار العظيمة ما لا يزال يشهد لهُ حتى اليوم بالمدارك السامية والهمَّة القعساء . فهو الذي زيَّن رومية العظمى بالابنية الشاهقة والمآثر الشائقة ثم أَصلح الدوائر التي تساعد الحبر الاعظم في رعاية العالم الكاثوليكي وانشأ جمعيات أُخَرَى لتدبير الكنيسة وكان سياسيًّا محنَّكًا فاحسن التصرُّف مع الدول وعزَّز لديها السلطة الدينيَّة . ومن أعمالهِ توجيه نظره للخزينة الرسوليَّة فعمَّرها بحكمتهِ وتدابيره الاقتصادية . هذه المشروعات وغيرها ايضًا قد قام بها سكستوس الخامس كما بيَّنهُ كاتب حديث من اصحاب التدقيق والتنقير يدعى بول غراسياني (٢ وقد زيَّف هذا المؤلف كلَّ الاكاذيب التي كان دسَّها غريغوريو ليتي (G. Leti) في ترجمة سكستوس الخامس وعنهُ اخذ بعض اعداء الكنيسة اقاصيصهُ الفريَّة فمن يطلب التاريخ الصحيح عليهِ بمراجعة هذا الكتاب الجديد الذي يؤيد ما كان اكتشفهُ قبلهُ كتَبة ثقات كالاب تمبستي والمؤرخ البروتستاني رنك (Ranke) والبارون دي هوبنر (de Hübner) وكلُّهم يقدّرون سكستوس قدرهُ ويقيمون الحجَّة على افتراء ليتي ومن نقل عنهُ

(١ **P. Deslandres.** INNOCENT IV ET LA CHUTE DES HOHENSTAUFEN *Paris, Bloud,* in-12 (Science et Religion, n° 429.)

(٢ **Paul Graziani** : SIXTE-QUINT ET LA RÉORGANISATION MODERNE DU SAINT-SIÈGE. *Paris, Bloud* 1906, in-12 (Science et Religion, n° 430.)

٦ امَّا الذين اتخذوا لدروسهم أعمال احد الآباء القدماء كالاستاذ غبريالسون (١
فانهُ قد اعمل النظر في تآليف احد كتبة الكنيسة الاسكندريَّة · اقليميس الاسكندري استاذ اوريجانوس المعلّم · وكلٌّ يعلم ان لذلك الكاتب الشهير مصنَّفات عديدة يجد فيها ارباب التفتيش مادّة غزيرة لابحاثهم منها جدلية كمثل كتابهِ الذي وجَّههُ الى عَبَدة الاصنام (Προτρεπτικός) ومنها أدبيَّة ككتابهِ المُعنوَن بالاستاذ (Παιδαγωγός) ومنها فلسفيَّة كتأليفهِ المسمَّى بالوشاء (Στρώματα) وكتب أُخرى غيرها في فنون شتى اكسبت صاحبها فخراً عظيماً · وكثير من الكتبة كانوا قد تعمَّقوا في درس هذه الآثار لاحراز فوائدها الدينيَّة والفلسفيَّة · وقلَّما اتَّسعوا في البحث عن لغة صاحبها واصطلاحاتهِ ليقابلوها مع لغة زمانهِ واصطلاحات معاصريه · وفي هذه الابحاث ما يكشف الستار عن مشاكل متعدّدة لا يدركها مَنْ يعرضها على اصطلاحات شاعت في ازمنة أُخرى · وهذا ما توخَّاهُ صاحب هذا الكتاب فانَّهُ اراد ان يدرس ألفاظ ومعاني اقليميس الاسكندري ويكشف معناها ويبيّن حقيقتها · ثم قصد بتأليفهِ ما هو انفع من ذلك اعني الموارد التي استقى منها الاسكندريُّ ونقل عنها · ومن ينظر في أعمال ذلك المعلّم البارع يجد فيهِ شواهد منقولة عن نيف و٣٠٠ كاتب · وناهيك بذلك دليلًا على سعة علمهِ وكثرة مطالعاتهِ · وقد سعى صاحب هذا الكتاب أن يميّز بين التآليف التي عرفها اقليميس بنفسهِ وراجعها في اصلها والتآليف التي وجد فيها تلك النصوص · وبين هؤلاء الكتبة قوم من مشاهير الوثنيين والنصارى الذين لا نكاد نعرف غير اسمائهم وفُقدت اكثر مؤلفاتهم كبوليمون وابولودورس واسكندر وديديموس وديوت المعروف بفم الذهب وهرميبوس البيروتيّ وكل هؤلاء سبقوا القرن الثاني للمسيح وكذلك استشهد بافلاطون وكاسيان اللاادري وايزيدور وطاطيانوس وبغيرهم كثيرين · والمؤلف يفرز بين هؤلاء الكتبة ويشير الى الذين اطّلع الاسكندري على تآليفهم · وعلى رأيهِ انَّ اقليميس لم يطلع على كتبهم وانَّما نقل نصوصهم كما وجدها مجموعة في كتاب واسع يحوي اصناف العلوم وكان على شبه دائرة معارف ذلك الوقت · ويظنُّ الكاتب انَّ هذا الكتاب ليس هو الَّا كتاب الفلاسفة

(١ **Gabrielsson Johannes:** UEBER DIE QUELLEN DES CLEMENS ALEXANDRINUS, I Th. *Upsala, Akadem. Buchhand., Leipzig, Harrassowitz*, 1906, in-8 XI-258.

الغالين يُدعى فاڤورينوس كان وضع تاريخًا وسمهُ بالتـاريخ العمومي (παντοδαπή ἱστορία) ضمَّنهُ اخبار كل الامم مع وصف احوالها في دينها ودنياها . وهذا التاريخ قد اخذتهُ يد الضياع لم يبقَ منهُ الّا مقاطيع متفرّقة وفقرات شاردة تبلغ الستين عدًا ولو ثبت قول الكاتب بان اقليميس استعـار من ذلك المجموع عددًا عديدًا من نصوصهِ القديمة لَنِلنا من هذا الاكتشاف فائدة عظيمة واعتبارًا جديدًا لاعمال اقليميس الاسكندري الذي بتدوينهِ تلك الشذرات نجّاها من الضياع وزادنا معرفةً باحد مشاهير الكتبة الاقدمين . فنشكر همة صاحب هذا الكتاب ونتمنّى ان يواصل ابحاثه في هذه الامور المجهولة التي تحيي ذكر الماضين وتنشر فضلهم على رؤوس الاشهاد

٧ وكما درس الاستاذ غبريالسون اعمـال اقليميس كذلك انقطع حضرة الاب برا اليسوعي لدرس اعمال اوريجانوس تلميذ اقليميس وكان اوريجانوس نابغةً اصاب في القرن الثالث للمسيح من الصيت والشهرة ما لا يزال صداه يتردَّد جيلًا بعد جيـل . والحقُّ يقال انَّك في تاريخ البشريّة لا تكاد تجد الّا بعض الافراد الذين بلغوا مقام ذلك العلّامة الفريد بسمو مداركهم وسعة علومهم ووفرة مآثرهم . فانَّ اوريجانوس قد برَّز في كل فنون الكتابة حتى انَّ القديس ايرونيموس الشهير قد دعاهُ باضوإ نور الكنيسة بعد الرسل . وكفاك دليلًا على ذلك ان التآليف المنسوبة الى اوريجانوس تبلغ ستة آلاف وهو لعمري عدد يتحيَّر العقل من عُشرهِ فكيف بهِ تامًا . وغـاية حضرة الاب برا في هذا ليست هي ان يعدّد اعمال اوريجانوس او يلخّصها او يدرسها درسًا وافيًا وانّما اراد فقط ان يحصر نظرهُ في اوريجانوس كلاهوتيّ ومفسّر للكتب المنزلة فجمع بسياقٍ ونظام كلّ تعاليم ذلك الرجل العظيم وبيَّن ما فيها من الغثّ والسمين والسقيم والقويم ثم بحث عن اسبابها وعلاقاتها ومفاعيلها وما نجم عنها من التأثير في معاصريهِ والـذين اتوا من بعدهِ فكان لهم كإمام بنوا على اساسهِ واستضاءوا بنورهِ وربّما ضلّوا بضـلالهِ . وكلُّ ذلك يدعمهُ حضرة الاب برا بالبراهين اللامعة والحجج القاطعة ناقلًا من كتب اوريجانوس الفقرات الكاشفة عن مكنونات صدرهِ وخفايا قلبهِ بحيث يستطيع القـارئ ان يبرز الحكم بنفسهِ في تعاليم اوريجانوس الصادقة ومذاهبهِ الباطلة . فنثني الثناء الطيّب على

(1 **F. Prat**, s. j. ORIGÈNE. Le théologien et l'exégète, *Paris*., *Bloud*, gr. in-16.

هذا التأليف الذي يشهد لصاحبه باصالة الرأي والبحث العميق ورجوح الفكر كما اعتاده في تآليفهِ السابقة

٨ ومن الكتب التي وُضعت في مسألة خاصّة من اخبار الكنيسة كتاب صنَّفهُ الموسيو كافاليرا في امر انشقاق انطاكية (١ وهو نزاع حدث في كرسيّ انطاكية بين رجلين فاضلين ملاطيوس وپولينوس. وقد صار لهذا النزاع رنّة سيئة في كل الجهات حتى كادت بسببهِ الكنيسة الكاثوليكيّة جمعاء تفقد سلامها ووحدتها. وفي ذلك دليل على ما كان لكرسيّ انطاكية من المقام الرفيع والرتبة الممتازة. اما تفاصيل هذا الخصام فطويلة كثيرة الارتباك واصلها ان القديس اوستاتيوس نُفي من كرسيهِ في سنة ٣٣٠ فاجتمع انصار اريوس واقاموا لهُ خلفاً من حزبهم لم يرضَ بهِ الكاثوليك لسوء معتقدهِ ثمّ خلف هذا الاريوسيّ اساقفة من بدعتهِ وكان سابعهم ملاطيوس المذكور. وكان هذا رجلًا صالحًا يشهد لقداستهِ معظم اهل عصرهِ لكنّ انتخابهُ بعد لساقفة اريوسيين ونفيهُ بحكم الملك قنسطنس دفعا لوسيفار كالباري الى ان يختار لانطاكية اسقفاً آخر وهو پولينوس الكاثوليكي فلمّا عاد ملاطيوس المذكور من النفي بعد موت قنسطنس حصل بينهُ وبين پولينوس خصام عظيم اقسمت فيهِ الكنيسة قسمين يدّعي كلّ منهما بقانونيّة صاحبهِ ودام هذا الانشقاق زمناً طويلًا حتّى بعد وفاة ملاطيوس وپولينوس لانّ كلّ حزبٍ كان يستقف اسقفاً يطيعهُ وينبذ حكم الآخر. وكان الشرقيّون غالباً مع ملاطيوس واساقفة والغرب مع پولينوس. وفي الحزبين قدّيسون وملافنة عظماء كيوحنّا فم الذهب وغريغوريوس اللاهوتي وباسيليوس من جهة وكاثناسيوس وايرونيموس واحبار رومية من جهة أخرى وقلّما تجد كاتباً من ذلك العهد الّا يتّسع في هذا الامر ويرجّح دعوى ملاطيوس او پولينوس. ومع كثرة ما ورد في ذلك لا تجد كتاباً مستوفياً يوضح تاريخ ذلك الانقسام فاحبّ الموسيو كافاليرا ان يسدّ هذا الخلل فصنّف كتابهُ واودعهُ كلّ المعلومات التي امكنهُ جمعها من تواريخ القدماء ففحص ذلك الواقع من كلّ وجوههِ وعارض الشواهد بعضهما وقاسها على قوانين المجامع واصول الحقّ القانوني ثم زكّى الكرسي الرسولي والغربيين من تهم عديدة اتّهمهم بها اعداء الكنيسة وتناقلوها زورًا. وما يزيد هذا

(١ **Ferdinand Cavallera:** LE SCHISME D'ANTIOCHE (IVe-Ve Siècle), *Paris, A. Picard et fils*, 1906, in-8, XIX-342.

الكتاب شأنًا انَّ صاحبهُ يعرض بنزاهة تامَّة كلَّ اعتراضات الخصوم ويفنّدها باصدق البيّنات لاسيما أقوال الاقدمين الذين لم يفتْهُ شيء من مصنّفاتهم في هذا الباب . ومما نأخذهُ عليهِ مدافعتهُ عن ارثوذكسيَّة ملاطيوس في كلّ أطوار حياتهِ اذ هو ثابت انَّ هذا الاسقف كان في أوّل انتخابهِ مائلًا الى شيعة آريوس ولم يقبل كلّ تعاليم نيقية في مساواة الابن للآب في الجوهر لكنهُ ارعوى بعد ذلك وقال بقول الكاثوليك . وكذلك لا يصحّ قولهُ في انطاكية (ص ٣٤٤) بانها كانت اوّل كراسي الشرق المسيحيّ ومن المعلوم ان السبقيَّة في ذلك كانت للاسكندريَّة . ومما لم نستحسنهُ في هذا التأليف كتابة الاسماء الاعجميَّة فانَّ المؤلف لم يمشِ على خطَّة واحدة فتراهُ يكتب بعض الاعلام كما هي في اصلها اللاتيني واليونانيّ ويكتب البعض الآخر على صورة مستحدثة والاولى في ذلك تصوير هذه الاسماء على صورتها المأنوسة بين العلماء — وكذلك سها عن مراجعة بعض تآليف حديثة كان يمكنهُ ان يستفيد منها مثل كتاب پولار في القديسين الاقدمين وكرسيّ رومية (M. Pullar: *The Primitive Saints and the See of Rome*) وكتاب كرومباخر في الآداب البوزنطيَّة (Krumbacher: *Byzantinische Litteratur*) والطبعة الجديدة من تاريخ هرغنروتر (Hergenröther) وكتاب كاتنبوش في تاريخ الكنيسة الشرقية (Kattenbusch: *Confessionskunde I Die orthodoxe anatolische Kirche*) وهذه الكتب قد خصَّت قسمًا كبيرًا من صفحاتها لمسألة ملاطيوس و بولينوس . وعلى كلّ حال قد اصبح اليوم تأليف الموسيو كاڤاليرا من أجمع وأضبط ما كُتب في هذا الشأن

٩ نختم هذا النظر في منشورات التاريخ الكنائسيّ بذكر الطبعة الرابعة التي نشرها المونسنيور باتيفول في تاريخ الادب النصرانيَّة اليونانيَّة (١ . وهذا الكتاب كدليل لدارسي التآليف النصرانيَّة منذ القرن الاوَّل الى القرن السادس . وهي المدَّة التي فيها تعدَّدت التآليف المسيحيَّة في اليونانيَّة حتى بلغت اوج عزّها واشتهر في تلك الاثناء رجال لا تزال تآليفهم كمصابيح لامعة يُستضاء بها وكأعلام خافقة ترنو اليها الابصار .

(١ **Pierre Batiffol:** LA LITTÉRATURE GRECQUE, 4[e] éd. *Paris, Lecoffre* (Bibl. de l'enseignement de l'histoire ecclésiastique) 1901, pp. XVI-351.

فمن يا تُرى يجهل كتبةً كيوستينوس وايريناوس واقليميس واوسابيوس و يوحنا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وكيرلُّوس ومئين غيرهم شرَّفوا الكنيسة بل العالم كلَّهُ بمصنَّفاتهم . فتاريخ هؤلاء الكتبة واعمالهم لمَّا سعى فيهِ كثيرون . منهم في عهدنا بَرْدِنهَوَر (Bardenhewer) وشميت (Schmitt) ورَوشن (Rauschen) وكانت طريقتهم في ذلك أنْ يتتبَّعوا الاجيال جيلًا فجيلًا فيذكروا سياق المؤلفين مع مختصر أعمالهم وجدول تآليفهم ملحقًا ببعض الملحوظات . اما المونسنيور باتيفول فقد آثر طريقة أخرى أشهى وألذَّ للقرَّاء نالت الحظوى لدى العموم في تآليفهِ السابقة فبدلًا من ان يجعل كتابهُ كقائمة كتابيَّة ناشفة قسم كتابه الى فصول عموميَّة جمع فيها ما كتبهُ الآباء اليونان في الموضوع الواحد وقد راعى تاريخ الازمنة بتقسيم تأليفهِ الى ثلاثة اطوار اي الآباء الاولين الى هيبوليتوس ثمَّ من هيبوليتوس الى لوسيان الانطاكي وآخرًا من لوسيان الى عهد الملك يوستنيان . وما يقال بالاجمال عن هذا التأليف انهُ يجمع بين التاريخ والانتقاد فضلًا عن انشائه الرائق وتعبيرهِ الانيق وكلُّ ذلك ممَّا زاده رواجًا فتكرَّرت طبعـاتهُ . ونحن مع ثنائنا على صاحبهِ والاقرار بفضلهِ نورد لهُ بعض ملحوظاتنا فعساهُ يعيرها بالاً لتحسين عملهِ . فمن ذلك اولًا انهُ في فصلهِ الاوَّل « عن الرسائل » لم يفرز بين الرسائل التي كتبها الرسل والرسائل التي لغيرهم . فكتب عنها جميعًا دون الاشارة الى الفرق العظيم الذي بين الصنفين . لأنَّ الاولى داخلة في حيّز الوحي دون الثانية — وقد اساء كذلك اذ خلط بين كتاب رؤيا يوحنَّا وتآليف أُخرى غير قانونيَّة منسوبة زورًا للرسل . وقد وجدنا في هذا الكتاب عدَّة تعابير تُوقع القرَّاء في الريب والشكّ وربَّما ذكر اقوال المخالفين لتعاليم الكنيسة دون ان يزّيفها وكأنهُ يصادق عليها مثال ذلك قولهُ في انجيل مار يوحنَّا (ص ١٣) وفي رسالة القديس بولس الى العبرانيين . وفي كلّ مطاوي هذا الكتاب ترى المنسنيور باتيفول يعظّم بعض نكرة الوحي من الالمان حتى يكاد يتأثّر اعقابهم وقـد أقرَّ في مقدمتهِ (ص١٣) انهُ نقل قسمًا كبيرًا من البرهانيّ هرنك (Harnack) وقد دعاهُ في بعض كتبهِ بلفظة غريبة فقال عنهُ « انهُ دليل صادق للنفوس » . هذا ولا ننكر نحن ايضًا ان لِهرنك مزايا محمودة وفضلًا كبيرًا في كتابهِ المسمَّى تاريخ الآداب النصرانيَّة القديمة (Geschichte der altchristlichen) لكنَّ روح هذا الكتاب مخالف لمذهب الكاثوليك فلا يجوز لكاتب كاثوليكي ان يمدحهُ دون استثناء . وترى

المونسنيور باتيفول على خلاف الامر يضرب صفحاً عن كتبة كاثوليكيين اجمع الكل حتى البروتستانت على حُسن اعمالهم وربَّما ذكرهم باستخفاف كبردنهور وفنك (Funk) واهرارد (Ehrhard) وفي ذلك ما يوجب العجب والانذهال من قبل كاهن كاثوليكي فعلى القرَّاء إذن ان يطالعوا هذا الكتاب بتحفُّظ. ومما استغربناهُ فيه انَّهُ ختم تاريخ الآداب القديمة على عهد يستنيان دون داعٍ كافٍ وكان الاولى بهِ ان يواصلهُ الى عهد القديس يوحنَّا الدمشقي ولهُ من عظم الشأن في الكنيسة اليونانية ما لا يجهلهُ احد

الابرشيَّة الارمنيَّة في ماردين

لسيادة المونسنيور الكسندريان رئيس مدرسة بزمَّار

ماردين سنجق من سناجق ولاية ديار بكر موقعهُ جنوبيّ شرقيّ الولاية تحدُّهُ شمالاً ولاية بتليس وشرقاً ولاية وان وجنوباً ولاية الموصل ومتصرفيــة دير الزور. وهو يحتوي خمسة اقضية ماردين ثمَّ نصيبين وكانت سابقاً من أُمهات المدن وهي اليوم بلدة صغيرة ثمَّ الجزيرة ثمَّ مديات ثمَّ اوينة. واخصُّ هذه الاقضية ماردين وهي مركز قضاء يقيم فيها المتصرّف. وكانت هذه الجهة تدعى سابقاً ميقدونيا (Mygdonia) باسم نهر ميقدونيوس وهو المعروف بنهر هرماس. وحدود ابرشيتهــا للارمن الكاثوليك تتجاوز تخوم الناحية كما سترى

امَّا سكَّان سنجق ماردين فيبلغ عــددهم نحو ٢٠٠,٠٠٠ منهم المسلمون نحو ٤٠,٠٠٠ ثمَّ الاكراد نحو ٧٠,٠٠٠ وهم يقسمون الى عشائر متعدّدة يسكنون إمَّا في مدينة ماردين وهم اربع عشائر المشكيويون والداشيُّون والمندلكانيُّون والحلَّميُّون وامَّا في خارج البلد فترى منهم في الشمال والشرق عشيرتي الاوريان والدارفجيَّة. وبعضهم يسكن جبل ماضي وهم علوج جبابرة وغيرهم يحلُّون في ديريك وهم من عشــائر المحموديَّة والعبَّاسيَّة والمصطفيَّة والروميَّة. ويغلب المليون منهم على جنوبيّ غربيّ ماردين الى الرها ومثلهم الكيكيون ُخلجان والكيكيون چريكيان والداقوريون يمتدُّون في جنوبي غربيّ ماردين وفي جنوبهــا. والرونيَّة منهم يسكنون بجوار نصيبين. امَّا

الداشقوريُّون والحرفياريُّون فسكناهم في جهات مديات. ولغة هؤلاء الأكراد الكرديَّة من فروع الفارسيَّة

وفي نواحي ماردين ايضاً قبائل عربيَّة في جنوبها وجنوبها الغربيّ اكثرهم عرب شمَّر وهم يقسمون الى فردازي وصابة وشمالات. وفي جهات نصيبين عرب ينتسبون الى طيّ

ويضاف إلى هذه القبائل نحو ١٠,٠٠٠ من التركمان والشركس يسكنون في سنجق ماردين

أمَّا النصارى فاكثرهم السريان يُربون على ٦٠,٠٠٠ القسم الاكبر منهم يعاقبة يسكنون في ماردين والقرى المجاورة لها واغلبهم في اطراف مديات وخاصَّة جبل الطور حيث يتكلَّمون بالسريانيَّة المعروفة بالطورانيَّة. وللبعاقبة في سنجق ماردين ثلاث مطرانيَّات. ولهم كرسيّ بطريركيّ على مسافة ساعة من ماردين شرقيّها في دير قديم يُدعى دير الزعفران وهناك يقيم بطاركة اليعاقبة منذ اجيال متواصلة. امَّا السريان الكاثوليك فنحو ١٠,٠٠٠ بنيِّف في سنجق ماردين وكرسيُّهم البطريركيّ في ماردين نفسها وكان بطاركتهم سكنوا مدَّةً في لبنان في دير سيّدة النجاة المعروف بالشرفة ثمَّ سكن السيّد البطريرك الطيّب الذكر انطون السمحيري في ماردين إذ اصدر المجمع المقدَّس حكمهُ في ٢٨ آذار سنة ١٨٥٢ في تحويل الكرسيّ البطريركيّ اليها وقد تثبَّت هذا الحكم في مجمع الشرفة

ومن سكَّان سنجق ماردين الارمن وعددهم ٣٠,٠٠٠ قسم منهم غريغوريُّون يسكنون غالباً شمالي ماردين وشرقها الشماليّ لاسيَّما ويران شهر ورأس العين وديريك وجهات نصيبين. امَّا مدينة ماردين وقرية تلّ ارمن فليس فيهما غير الكاثوليك وعددهم نحو ١٢,٠٠٠ واصلهم من اطراف ساسون استوطنوا ماردين منذ زمن طويل كما تدلُّ عليهِ كنيستهم التي يزيد عهد بنائها على الف سنة. ثمَّ اتَّحدوا بعد ذلك مع الكنيسة الرومانيَّة

وكانت ابرشية ماردين سابقاً كرسيًّا اسقفيًّا تحت حكم رئيس اساقفة آمد اي ديار بكر ثمَّ اضحت وهي لا تزال الى يومنا كرسيًّا لمطران. ويُذكر لماردين اساقفة ارمن منذ عدَّة قرون. ففي القرن السابع عشر سقَّف عليها بطريرك سيس يوحنَّا الثاني السيدَ

كالوسد (١٦٠١ — ١٦٢٠) ثمَّ سقَّف عليها البطريرك ميناس السيّد سركيس (١٦٢٧ — ١٦٣٢) . وفي مطاوي ذلك الجيل أتى ماردين بعض الرهبان الكرمليين فنادوا بالاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة . ثمَّ جاءها من بعدهم سنة ١٦٤١ الرهبان الكبوشيُّون اشتهر بينهم الاب يوحنا من سان مَنس وهو الذي اختار شابًّا تقيًّا يُدعى ملكون طازباز كان مولدهُ سنة ١٦٥٤ فأرسلهُ الى رومية ليتلقَّى العلوم في المدرسة الاوربانيَّة فما لبث ان امتاز بين أقرانهِ ونال قصبة السباق في العلوم الكهنوتيَّة . ولمَّا عاد الى وطنهِ جعل يرشد ويعلّم ويدعو الى طاعة الكرسي الرسولي وكان معاصروهُ يقصدونهُ ليأخذوا عنهُ ويقتبسوا من أنوارهِ منهم الشاب الاديب ابراهام ارزيقيان الذي رقّي بعد ذلك الى مقام البطريركيَّة على الارمن الكاثوليك . ومن اعمالهِ المبرورة انهُ تملَّك كنيسة كان الارمن يدعونها باسم القديس غريغوريوس المنوّر (Սուրբ Գրիգոր Լուսաւորիչ) وجعلها على اسم القديس جرجس الشهيد ولعلَّهُ فعل لكتابة ارمنيَّة مسطَّرة باحرف سريانيَّة يقال فيها « قد شُيّد هذا المكان بيتًا للربّ على اسم القديس كوركيس القائد سنة ٤٥٠ مسيحيَّة » وذلك أثر جليل نُقل سنة ١٨٩١ على الرقّ وهو دليل واضح على قدم عبادة القديس جرجس في انحاء الشرق

أ (السيّد ملكون طازباز) لا نعلم كم بقي كرسيّ ماردين خاليًا بعد وفاة اسقفهِ الاخير سركيس . وما لا ريب فيهِ انَّ الكرسيّ الرسوليّ عيَّن ملكون طازباز لرعاية الارمن الكاثوليك في ماردين وقد تمَّ ذلك على ما نرجّحهُ في سنة ١٧٠٨ بوضع ايدي بطرس بيساك الحلبيّ الكاثوليكيّ الذي أُقيم بطريركًا على سيس من السنة ١٧٠١ الى ١٧١٢ ولدينا رسالة تشير الى ذلك وجّهها السيّد طازباز الى المجمع المقدَّس سنة ١٨٠٩ . ولعلَّهُ قد وقع سهو في تاريخ هذه الرسالة . وكان السيّد طازباز آثر اقتبال الاسقفيَّة من ايدي بطريرك سيس على غيرهِ امتثالًا بسلفيهِ كالوسد وسركيس . ولمَّا عاد الى كرسيّهِ ضاعف جدَّهُ وجهدهُ في تقدُّم رعيتهِ وقد ساعدهُ الله على ردّ كل ارمن ماردين وتلّ ارمن الى حجر الكنيسة الرومانيَّة . وبعد ان اقام ستّ سنوات في ابرشيَّتهِ قضاها في كلّ الاعمال الصالحة والمشروعات الرسوليَّة دسَّ لهُ اعداؤهُ الغريغوريُّون الدسائس فاذاقوهُ أنواع المحن حتى توفي مستشهدًا سنة ١٧١٦ أو ١٧١٧ وكانت وفاتهُ في دار السعادة

٢ (مرديروس ماركار طوخمانيان) وُلد في ديار بكر سنة ١٦٥٣ وسيم عليها مطراناً سنة ١٦٨٤ بيد السيّد يغيازار بطرك اشميازين ثمَّ اقتبل الايمان الكاثوليكي سنة ١٦٨٥ بارشاد المطران ملكون طازباز ولمَّا توفي هذا السيّد نُقل مرديروس الى كرسي ماردين وثبَّتهُ الحبر الروماني في ٢ آب سنة ١٧٢٢ ومات سنة ١٧٢٧ في ماردين ودُفن في كنيسة القديس جرجس الكاتدرائيَّة

٣ (ملكون ماركار طوخمانيان) هو شقيق الاسقف السابق وُلد سنة ١٦٧٥ وتتلمذ في صغره لملكون طازباز. وبعد وفاة اخيهِ مرديروس عيَّنهُ الكرسيّ الرسولي ليخلفهُ في رتبتهِ (١٧٣٨—١٧٣٩). وفي سجلَّات ماردين انَّ المذكور سيم مطراناً في ديار بكر بوضع يد السيّد يوسف بطريرك الكلدان الكاثوليك برخصة السدَّة الرسوليَّة. وفي الامر نظرٌ لانَّ الورتبيد مانوئيل المؤرّخ افاد في تاريخهِ بان سيامة ملكون تمت في حلب عن يد السيّد ابراهام رئيس اساقفتها الارمني بمساعدة الاسقفين يعقوب وساهاك قال: « وبعد ان اخذ أُولئك الاساقفة أعني ابراهام ويعقوب وساهاك كنيسة حلب بأيَّام قليلة سقَّفوا على ماميود (أي ماردين) الاب ماركار الديار بكري ». ويشهد على الامر البطريرك ابراهام ارزيڤان نفسهُ في قرار بخط يدهِ اثبتهُ في سجلّ القدَّاسات. والمطران ملكون ماركار احد آباء المجمع الذي عُقد في سنة تسقيفهِ لاقامة بطريرك على قيليقية فوقع الانتخاب على السيّد ابراهام وعاد ملكون الى ماردين. ثمَّ وقع خلاف بينهُ وبين السيّد البطريرك المذكور لبعض مسائل قانونيَّة فرُفع الامر الى الكرسيّ الرسوليّ الذي حلّ ذلك المشكل. وكانت وفاة السيّد ماركار في ماردين في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٦٧ وعمرهُ ٧٢ سنة بعد ان دبَّر الكرسيّ ٢٧ سنة ودُفن كشقيقهِ في كنيسة مار جرجس

٤ (اوهانيس طازباز) كان مولدهُ بماردين سنة ١٧١٧ وقد تخرَّج في رومية بالمدرسة الاوربانيَّة ثمَّ أقامهُ الكرسيّ الرسوليّ مطراناً على ماردين في ٣٠ نيسان سنة ١٧٦٨ فخلف السيّد ملكون ماركار وكانت سيامتهُ في دير سيدة بزمار بوضع يد السيّد ميخائيل بطرس الثالث بطريرك قيليقية. لكنَّهُ بعد ان ساس ابرشيَّتهُ سنة واحدة استعفى وقصد رومية العظمى حيث عاش عيشة صالحة وتوفي برائحة القداسة في ٣ نيسان سنة ١٧٧٣ ودُفن في كنيسة القديسة مريم المصريَّة

٥ (يوسف بليط) ولد في حلب سنة ١٧٢٥ ودرس في المدرسة الاوربانيَّة. ثمَّ اختارهُ الكرسيّ الرسولي لتدبير ابرشيَّة ماردين قبل وفاة سلفهِ في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٧٧٢ وسامهُ السيّد ميخائيل الثالث في بزمار في السنة عينها. وبعد ان تولَّى تدبير رعيَّتهِ زمنًا قليلا امرهُ المجمع المقدَّس بان يذهب الى بغداد لفحص قضيَّة يوحنَّا هرمس وكان وقع خلاف بينهُ وبين الكلدان في تلك الناحية. وعند عودتهِ من بغداد أُصيب في طريقهِ بداء عضال اودى بحياتهِ في الموصل او في كركوك في اوائل شهر آب من السنة ١٧٧٣ وفي تاريخ الورتبيد مانوئيل يجعل اسقفيتهُ اربع سنوات

٦ (بطرس يغيازاريان) هو ابن حجي بوغوص من انقره كان مولدهُ سنة ١٧٢٩ ثمَّ تلقَّى العلوم في رومية في مدرسة انتشار الايمان وكان منتظمًا في سلك الرهبانيَّة الانطونيانيَّة وقد تعيَّن لكرسيّ ماردين في ١٥ حزيران سنة ١٧٧٥ وسامهُ مطرانًا في ٢٦ تشرين الثاني من السنة في دير سيّدة بزمار غبطة البطريرك ميخائيل بطرس الثالث وادار شؤون رعيَّتهِ لاربع عشرة سنة الى وفاتهِ في ١١ تموز سنة ١٧٨٧ وقُبر في مدفن المطارنة

٧ (يواكيم طازباز) وُلد في ماردين في ٨ ايلول سنة ١٧٥٣ وتخرَّج في آداب الكهنوت في المدرسة الاوربانيَّة. وعُرف بهمَّتهِ فاختارهُ الكرسيّ الرسولي كخلف لبطرس على كرسيّ ماردين في ٢٣ ايلول ١٧٨٨ لكنَّ سيامتهُ تأخَّرت الى ١٦ آب وقيل الى ١٤ ايلول ١٧٨٩ حيث سامهُ بطريرك قيليقية السيّد غريغوريوس الخامس. وكان يواكيم رجلًا مقدامًا ذا نشاط ونفوذ لكنَّهُ كان منفردًا برأيهِ يتصرَّف في ابرشيَّتهِ كما شاء غير مكترث لسلطة رؤسائهِ حتَّى اضطرَّ الكرسيّ الرسولي بان يجعل حدودًا لاستبدادهِ فعهد الى السيّد البطريرك بان يلحظهُ بعين ساهرة. توفّي يواكيم في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٨٣٦ بعد ٤٨ سنة قضاها في منصبهِ ودُفن في مدفن سلفائهِ في كنيسة ماردين

٨ (ابراهام قنديليان) ابراهام ويقال براغام وُلد في بلدة آلاشكرد سنة ١٧٦٧ وهو ايضًا من تلامذة المدرسة الاوربانيَّة في رومية. ثمَّ اختارهُ المطران يواكيم سلفهُ بصفة معاون لهُ ورقَّاهُ الى درجة الاسقفيَّة على دوليقة وهي دفريك والاصحّ ديريك. وكان يواكيم سقَّف ابراهام دون رخصة السيّد البطريرك فحصل بسبب ذلك بينهما نفور اوجب رفع الدعوى الى مرجع أَعلى فحكم البابا غريغوريوس السادس عشر بان يُجعَل

ابراهام اسقفاً شرقياً على اورفا. وبقي معاوناً ليواكيم الى مماتهِ فلمَّا توفي يواكيم أُقيم ابراهام خلفاً له سنة ١٨٣٦ وعاش بعد ذلك سنتين وكانت وفاتهُ في ٢٨ كانون الاوَّل سنة ١٨٣٨ ودُفن مع اسلافهِ

٩ (يوسف فرّا) هو حلبي الاصل وُلد سنة ١٧٨٦ درس في دير سيدة بزمَّار وكان من كهنة اخويَّة هذا الدير. ثمَّ عيَّنهُ الكرسيّ الرسوليّ ليكون معاوناً للمطران ابراهام قنديليان وفوَّض الامر الى السيّد البطريرك غريغوريوس بطرس السادس. وفي اثناء ذلك مات السيّد ابراهام وتعيَّن ليخلفهُ في رتبتهِ فسيم في ١٥ تموز ١٨٣٨ فتولَّى تدبير ابرشيَّتهِ مدَّةً ثمَّ استعفى ولزم وطنهُ حلب وفيها توفّي في ٧ ايلول ١٨٥٤. وكان الكرسيّ الرسولي في مدَّة استعفائهِ يعهد تدبير الابرشيَّة الى نوَّاب يعيّنهم .

١٠ (جبرائيل شاشاتي) كان من حلب كسلفهِ وُلد سنة ١٨١١ وتخرَّج في مدرسة بزمَّار وفيها سيم كاهناً. ولمَّا مات السيّد يوسف وقع عليهِ الانتخاب لتدبير ابرشيَّة ماردين في ١٢ ايَّار ١٨٥٥ وفي ثاني يوم انتخابهِ رقَّاهُ البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن الى درجة المطرَنيَّة بحفلةٍ شائقة. ثمَّ دبَّر أُمور كرسيّهِ بنشاط وادخل في ابرشيَّتهِ عدَّة اصلاحات ماديَّة وادبيَّة برضا ومساعدة السيّد البطريرك. وكانت وفاتهُ في غرَّة سنة ١٨٦٣ ولُحد في مدفن اسلافهِ

١١ (ملكون نازريان) وُلد في ماردين في ٨ كانون الاوَّل ١٨٣٠ وبعد ان درس مدَّة في دير سيدة بزمَّار أُرسل الى المدرسة الاوربانيَّة. وفي شهر وفاة سلفهِ لختارهُ السيّد البطريرك غريغوريوس الثامن لكرسيّ ماردين في ٣٠ كانون الاول ١٨٦٣ اما سيامتهُ فكانت في ٥ ايار سنة ١٨٦٤. وكان من أرباب الفضل والمدارك البعيدة دبَّر ابرشيَّتهُ بكل غيرة وتقىً مدَّة ٣٦ سنة ومن أعمالهِ انهُ شيَّد في ماردين كنيسة ثانية لطائفتهِ على اسم القديس يوسف البتول. ولمَّا خلا الكرسيّ البطريركي بوفاة السيّد غريغوريوس الثامن وكَّلهُ الكرسي الرسولي بالنيابة البطريركيَّة. توفّي السيد ملكون في ١١ تشرين الاوَّل سنة ١٩٠٠.

١٢ (هوسيك كوليان) هو سيادة المطران الحالي. وُلد في ماردين في ٢ آذار سنة ١٨٤٤ وأخذ العلوم الكهنوتيَّة في دير سيدة بزمَّار. وكان انتخابهُ لكرسيّ مطرانيَّة ماردين في الاستانة اختارهُ البطريرك بولس بطرس عمانوئيليان في مجمع رؤساء الاساقفة

واساقفة الطائفة مع تثبيت الكرسي الرسولي وكانت سيامتهُ في ٦ تموز ١٩٠٢ وسيادتهُ لا يزال يبذل العناية في اتمام واجبات منصبهِ وتحسين شؤون مرؤوسيهِ. حفظهُ الله لابنائهِ الكرام بالسعد والاقبال

فترى ممّا سبق ان رؤساء اساقفة ماردين ابتداء من ملكون طازباز كان يجري انتخابهم وتثبيتهم رأساً من الكرسي الرسولي امّا رسامتهم فكانت تتمّ حسب الطقس الارمني بوضع يد احد الاساقفة الكاثوليك وبقي الامر كذلك الى ان أُقيم السيّد ابراهام ارزيقيان بطريركاً على الارمن الكاثوليك فخوّلهُ الكرسي الرسولي السلطة على ثلثة مطارنة كان احدهم ملكون ماركار رئيس اساقفة ماردين فحدث بسبب ذلك بعض مناقشات حكم فيها الكرسي الرسولي فجعل حق الانتخاب والتثبيت والرسامة للسيّد البطريرك مع السلطة على كرسي ماردين. وعلى هذا المنوال صار انتخاب المطرانين جبرائيل شاشاتي وملكون نازاريان. امّا الآن فبمقتضى النظامات والترتيبات الحاليّة التي تعمّ كلّ ابرشيّات الطائفة الارمنيّة صار الانتخاب من خواصّ مجمع السيد البطريرك ورؤساء الاساقفة واساقفة البطريركيّة والتثبيت محفوظ للسدّة الرسوليّة ومن حقوق البطريرك تعيين الاشخاص الذي يمكن انتخابهم ورسامة المنتخبين. ومن العادات المرعيّة انّ الاكليروس والشعب يقدّمون ايضاً اسماء من يرشّحونهُ للاسقفيّة. وهذه العادة بمثابة شهادة حسنة للمترشّحين تسبق الانتخاب

وكانت ابرشيّة الارمن الكاثوليك في ماردين في بدء الامر صغيرةً لا تخرج عن دائرة سنجاقها الّا قليلًا ثمّ اتّسع نطاقها شيئاً فشيئاً حتى اصبحت اليوم تشمل ما خلا سنجق ماردين كلّ قضاوات سنجق دير الزور شرقيّ نهر الفرات ثمّ ولاية الموصل. امّا ولايتا بغداد والبصرة فالارمن الكاثوليك فيهما كانوا تحت حكم السيّد البطريرك يدبّرهم باسمهِ رئيس موكّل بذلك. لكنّ النظام الجديد قد ادخلهم ايضاً في طاعة رئيس اساقفة ماردين

وليس لابرشيّة ماردين مدرسة اكليريكيّة يتلقّى فيها المترشّحون للكهنوت العلوم الكهنوتيّة وهم في الغالب يتخرّجون في مدرسة دير سيّدة بزمار اللهمّ إلّا البعض من الكهنة الذين درسوا في الابرشيّة منفردين

ولكرسيّ ماردين كنيستان الواحدة قديمة العهد سبق القول في انّها على اسم

القديس جرجس الشهيد وانها عُرفت باسم القديس غريغوريوس المنوّر. والثانية حديثة على اسم القديس يوسف

ومن أهمّ الرسالات المنوطة بابرشيَّة ماردين رسالة تلّ ارمن وهي قرية تبعد عن ماردين نحو اربع ساعات جنوبًا وكلّ اهلها ارمن كاثوليك ذوو ايمان حيّ وعيشة صالحة قشفة متفرّغون لاشغالهم ومنقطعون لخدمة خالقهم ولهم كنيسة على اسم القديس جرجس يقصدها الزوّار من كلّ صوب

وعلى مقربة من ماردين دير على اسم القديسة بربارة وعن شمالها دير آخر على اسم القديس يوحنّا موقعهُ على مشارف قرية مسكة في مكان يُدعى وادي الربّ (ذريان دره) والديران كلاهما يخصّان الارمن الكاثوليك قد استولى عليهما الخراب لكنّ الذبيحة الالهيَّة تُقام فيهما كلّ سنة في يومَي عيديهما باحتفال شائق تحضرهُ الجموع الغفيرة من الزوّار

وشرقيّ جنوبي ماردين مدينة دارة الشهيرة بآثارها القديمة وهي اليوم قرية صغيرة فيها نحو مائة بيت من الارمن الكاثوليك وهم اعتنقوا الايمان سنة ١٨٥٦ ويسوسها مطران ماردين الذي يرسل لهم كهنة من وقت الى آخر. وكذلك في نصيبين قوم من الارمن الكاثوليك يخدمهم احد الكهنة ويوزّع عليهم الاسرار حينًا بعد آخر

وفي شرقيّ ماردين على ضفَّة نهر الدجلة الغربيَّة قصبة الجزيرة وهي التي كانت تدعى زبدا او بزبدا يفصلها عن ماردين سلسلة جبال طور عبدين. وهناك قليل من الارمن واكثر سكّان تلك النواحي اليعاقبة كما سبق. وكذلك عدد الارمن قليل شرقيّ شمالي ماردين في قصبة الصور وفيها قرى متعدّدة يسكنها الأكراد وبينهم بعض بيوت للارمن وهم متفرّقون

وغربي شرقي ماردين ناحية ديريك واهلها اكراد ونصارى منهم بضع مئين من الارمن الكاثوليك ولهم كنيسة على اسم السيدة يخدمها كاهن ارمني يعيّنهُ مطران ماردين في كلّ ثلاث سنوات

ومن الغريب بلدة ويران شهر المدعوَّة سابقًا بقسطنطينية ومدينة رأس العين وهما على ضفَّة نهر خابور فيهما جانب من الارمن الكاثوليك ولهم ايضًا كاهن من ماردين يتبدّل كل ثلث سنين

وعلى منحدر الخابور جنوبًا تل كوران موقعها يشرف على النهر كان يسكنها سابقًا قومٌ من الارمن وفي سنة ١١٣٦ كان يحكم على اهلها اريوتر المسيحي . ومنها كان ايضًا احد بطاركة سيس السيّد يوحنّا العاشر الملقَّب بالتلكوراني (١٤٨٩–١٥٢٤)

وقلنا ان ارمن ولاية الموصل يتبعون ابرشيّة ماردين وهم يبلغون نحو مئتي بيت ولهم كنيسة حديثة البناء

ونضرب صفحًا عن بغداد والبصرة وما في هاتين الولايتين من الارمن الكاثوليك اذ لم يجرِ فيها النظام الجديد الذي يلحقها بابرشيّة ماردين . وترى مما قلنا انّ لابرشيّة ماردين الارمنيّة شأنًا عظيمًا وانّها من اوفر الابرشيّات الكاثوليكيّة فضلًا عمّا لاجدادهم من الآثر القديمة

(المشرق) في مقالة المونسنيور اكسندريان بعض فوائد تاريخيّة عن اصل ماردين واخبارها نؤخرها لنستفيد منها في مقالة منفردة عن هذه المدينة

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

ومن مراثي السيد احمد البربير قولهُ في الامير منصور الشهابي لمَّا توفي سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) :

سقا هذا الضريحَ سحابُ فضلٍ وعمَّم بالرضى مَنْ في ثراه
اميرًا كان في الدنيا شهابًا ومنصورًا على قومٍ عصاه
فان يكُ من عيوني قد توارى فحسبي ان قلبي قد حواهُ
فلمَّا سار للفردوس فورًا وقرَّبهُ المهيمن واصطفاهُ
أتى تاريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البدرُ أن يُعطى سناهُ
فهملهُ ومعجمهُ وكلٌّ من الشطرين تاريخًا تراهُ
شهابُ الرحمة المولى عليهِ هوى للترب بدرٌ من رُباهُ

وكان لاحمد البربير تلامذة أخذوا عنهُ اخصّهم السيد عبد اللطيف بن علي المكنّى بفتح الله المفتي البيروتي الحنفي وكان شاعرًا إلَّا انَّ شعرهُ مفقود ومما يروى عنهُ قولهُ يمدح ميخائيل البحري لمَّا جاء بيروت في ايام الجزّار :

ولمّا أتى البحريُّ بيروت زائرًا الينا فكم أهدى عقودًا من الشعرِ
فلا بدع أنْ أهدي لهُ الدرَّ ناظمًا فناهيكَ انَّ الدرَّ يبدو من البحرِ

فأجابهُ البحري بابيات رويناها في المشرق (٣ :١٧: ١٨٠) · ومن الشعراء المسلمين الذين نظموا الشعر الجيّد في اوائل القرن التاسع عشر الشيخ الوفاء قطب الدين عمر ابن محمّد البكري الدمياطي الاصل واليافيّ المولد ولد سنة ١١٧٣ هـ (١٧٦٨ م) في يافا ودرس على مشاهير شيوخ زمانهِ في وطنهِ ورحل إلى مصر وأخذ عن شيوخها · ثمَّ عاد الى غزّة وتجوَّل في انحاء الشام والحجاز وتوفي في دمشق في غرّة ذي الحجّة سنة ١٢٣٣ (١٨١٨ م) وقد رثاهُ شاعر زمانهِ الذي تترجمهُ في اوانهِ الشيخ امين الجندي بقصيدة رثائية اولها :

قدتْ المنايا ما لأسهمها ردُّ فما حيلتي والصبرُ قد دكّهُ البُعدُ
دُهيتُ برُزءٍ لا يُطاق مناوُهُ وكربٍ وحزنٍ ما لغايتهِ حدُّ

وهي طويلة · ومن لطيف ما قالهُ فيهِ الشاعر نقولا الترك وقد ضمَّن فيهِ اسمهُ عُمر :

شمس العلوم تبدَّى نورًا الى كلّ راءِ
مقرُّها ضمن ميمٍ ما بين عين وراء

اما تآليف السيد عُمر اليافي فاخصُّها ديوانهُ وبعض مخاطبات أُلحقت بديوانهِ (ص٢٤١—٢٨٤) وقد عُني بطبع هذه الآثار حفيدهُ السيد عبد الكريم بن محمّد ابي نصر في المطبعة العلميّة سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) وهو مجموع واسع فيهِ قصائد متعددة دينيّة على منهج المتصوّفين وكان السيد عُمر على الطريقة الخلوتية ولهُ في هذه الطرائق عدة رسائل منها رسالة في الطريقة النقشبنديّة ورسالة في معنى التصوُّف والصوفيّ وغير ذلك · ومن ادبيّاتهِ رسالة لهُ في الحضّ على برّ الوالدين · اما شعرهُ فهو رقيق اللفظ رشيق المعنى كثير التفنن فيهِ قسمٌ للموشّحات والأدوار الغنائيّة والخمريّات وها نحن نورد منهُ طُرَفًا تنويهاً بفضلهِ · قال في الاعتصام والثقة بالله :

انا بالله اعتصامي لا ارى في ذاك شكّا موقنًا ان لا سواه كاشفٌ ضرًّا وضنكا
راجيًا فيهِ نوالا ورشادًا ليس يُحكى لم ازل لله عبدًا وبهذا اتزكّى
ربِّ وفّقني لرشدٍ ثمّ هبْ لي منك ملكا واحمني من كلِّ سوءٍ وقِني شرًّا وشركا
واصرف الاعداء عني واسمهُم هتكًا وفتكا واغفر الذنب بلطفٍ وافكك الاكدار فكّا
وأنلني كلَّ فضلٍ من ضياء الشمس اذكى وأذقني يا الهي لذّةَ القربِ المزكّى

في رياض الأمن معاً اختشي فعلًا وتركا ان ألطاف إلهي لي قالت خلِّ عنكا
لا تدبّرْ لك امرًا نحن أولى بك منكا فاتركِ التدبير تنجو فأولو التدبير هلكى (١

ولهُ مستغيثًا مبتهلًا من قصيدةٍ :

الهي الهي ليس الّاك يُرتجى وحقّكَ ما وافيتُ غيرك راجيا
ومن ذا الذي اشكو لهُ سوء فاقتي ويعلمُ قبل المشتكى سوء حاليا
لقد دكَّ دهري طودَ قصري فأصبحتْ منازلُ قصري بالخطوب خواليا
وفوّقَ لي الخطبُ المبرّح اسهماً من الوجدِ والتبريح فيها رمانيا
وشنَّ ليَ الغارات تعدو وقد غدتْ عليَّ بعادي الجور تعدو العواديا
فيا ربِّ ما للعبدِ في الدهر ملتجًى سواكَ فاني بالتضرّع لاجيا
تدارك بألطافٍ وأسعفهُ بالمنى وحقّقْ لهُ فضلًا لديك الامانيا

ومن جيّد قولهِ ما كتبهُ في برّ الوالدين :

كم جرَّ برُّ الوالدَيـــن فوائدًا للمرء جمَّه
منها رضى الله الذي يكفي الفتى ما قد أهمَّه
واخو العقوق كميّتٍ قد صار في الأحياء رُمَّهْ
والكلبُ احسنُ حالةً منهُ وأحفظ منهُ ذمَّه

ومثلهُ ما قال :

فاز بالدارَيْن حاوي الحسنيَيْن طاعة الله وبرّ الوالدين
فاغتنم برَّهما واصبرْ لهُ فهما في الدهر ليسا خالدَيْنْ
طالما جادا باحسانها لك والاحسانُ عند الحرّ دَين

وقال من قصيدة يمدح فيها سليمان باشا لمَّا وُلّي دمشق :

هي دولةُ المولى سليمان الزما نِ ومن حوى في عزّهِ تقديما
فكأنَّ جلقَ اصبحت ذاتَ العما دِ الى العبادِ وجنّةً ونعيما
لاحت كواكب سعدها من دولةٍ قد خيّمت بسعودها تخييما
بدرٌ بدولتنا العليّة لاح من فلكِ السعود متمّماً تتميما
ولهُ السعادةُ في منازلِ جلقٍ ولهُ الامارة سُلّمت تسليما
ساس الورى بسياسةٍ وفراسةٍ وحماسةٍ وغدا بذاكَ حكيما
الله اكبرُ جلَّ ناصرهُ الذي اعطاهُ عزًّا في الانام جسيما
بشراهُ سوف يرى مقاماً فوق ذا وينالُ سعدًا في الوجود عظيما

ولهُ تاريخ في جلوس السلطان محمود الثاني سنة ١٧٩٣

(١) مرجع هذا قولهم في المثل السائر: المرء في التفكير والله في التدبير

جلوس سلطـانتا المسعودُ طالعهُ عيدٌ كبيرٌ لهُ في الملك تأييـدُ
أبشر وبشّر اذا ما أرّخوهُ وطِبْ فالدهرُ اشرقَ والسلطـان محمودُ

ومن محاسنهِ قولهُ في نوفرة على رأسها ليمونة :

ونوفرةٍ تبـدي من الماء قامةً زهت بكمال الصفو حسناً ومنظرا
عمودٌ من البلّور من فوقِ رأسهِ زُمرُّدةٌ خضراء تنثر جوهرا

ومن أوصافهِ قولهُ يذكر دير عطيَّة من قرى الشام بين النبك والقريتين :

حاديَ الركب سر وحثَّ المطيَّه لديار العطا بدير العطيَّه
فبتلكَ الربوعِ تلقي ربيع الـأُنس فاحت ازهارهـا العبهريَّهْ
جنَّةٌ قد تزخرفت في رباها بثمارٍ من البهـاء جنيَّه
تجري من تحتها المياهُ بأنهـا ر التهـاني للواردين مريَّه
وجواري الميـاه ترقصُ لمَّا شبَّبَ الريحُ يشجي منها الشجيَّه
وغصون الرياض تهـتزُّ تيهاً حيثُ غنَّت نسائم سَحَريَّه
حبَّذا حبَّذا معـاني الاغاني لتهاني المعـالم الانسيَّهْ
وبها للبهـا لوامعُ نورٍ بضياء من الجمال جليَّـهْ

وقد اشتهر بين المسلمين غير هؤلاء في الشعر والادب لكنَّ قصائدهم وتآليفهم لا تزال في خزائن الخاصَّة او اخذتها ايدي الضياع نذكر منهم من اتصل بهِ علمنا بمطالعة مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة (ستأتي البقية)

خلود النفس

للاب لويس شرفواليو اليسوعي (تتمَّة)

وربَّ قائل يقول : وَهبْ انَّ اصوات الامم تتَّفق في تعليم حقيقـة خلود النفس أفلم يَقُمْ ايضاً بين الفلاسفة واصحاب العقول النيّرة رجال انكروا هذه القضيَّة وما ادرانا انهم لم يصدقوا في قولهم

نجيب انهُ ليس من حقيقة ايًّا كانت لم يتصدَّ لها بعض اهـل السفسطة . ولكن هيهات ان يقوى قولهم على اقوال ذوي المدارك السامية والعقول الراجحة . نعم لا نجهل انَّ افرادًا من البشر وهم الملحدون والزنادقة حاولوا نقض حقيقة الخلود لكنَّ اصواتهم ضاعت في بيداء فلم يرنَّ لها صدًى في القلوب السليمة والافهام الزكيَّة . وكثيرًا ما

دُهش هؤلاء من انفرادهم فارعووا ولاسيّما في ساعة البلاء أو بازاء الموت فزيّفوا أقوالهم السابقة ونسبوها الى الجهل وبطر الشباب وغلبة الاهواء التي أعمت عقولهم واسكتت صراخ ضميرهم. وكفاك لتقويض آراء هؤلاء المخدوعين قول اكبر فلاسفة الوثنيَّة افلاطون الذي كرَّر غير مرَّة في تآليفهِ ما نثبت هنا لبابهُ:

« قد خُلق الانسان للحكمة فاذا لم يجدها طاش سهمهُ وفُقدت غايتهُ. والموت هو الذي يجرّدهُ عمَّا يصدُّهُ عن اكتساب الحكمة أعني النقائص والرذائل التي تشوّه النفس فاذا مات وانفصل ونجا عن قسمهِ الهيوليّ ادركت نفسهُ الحكمة.. وكذلك العلم فانَّ النفس لا تنالهُ الَّا بهدوء. الحواسّ لانَّ الحواسّ اكبر عائق يعوقها عن الفوز بالمعلومات. وهي ستصيبهُ تماماً دون انقطاع اذا ما خرجت من حبس جسدها الفاني... وكذلك لا بدَّ للابرار الصالحين مِن جزاء وثواب وللطالحين من عقاب وكلا الامرين لا يحصل في هذا العالم الَّا يسيرًا فلا بُدَّ اذن من مكان تُنتقل اليهِ النفس بعد انفكاك جسدها لتلقى فيهِ عدلاً تامًّا »

هذا ما قالهُ افلاطون في كتابهِ المسمَّى « فيدون » وقولهُ عين الحقيقة لارشدهُ اليهِ عقلهُ الصائب وكأَنَّما يقول من بعدهِ: رعاك الله من فيلسوف صادق نطق لسانهُ بما يوافقهُ على صحَّتهِ كل امرئ نافذ البصيرة ثاقب الرأي

*

وما لنا نستفتي الشعوب ونقرع ابواب الفلاسفة أليس في مقدس نفوسنا وفي سويداء قلوبنا مجيبٌ صادقٌ لا يخدعنا فيتكرَّر صوتهُ على مسامعنا ليلًا مع نهار: « كلَّا لن تموت بل تحيا »

اذا اعتبرنا بعين الحكم والعقل ما يتركَّب منهُ شخصنا لوجدنا فينا قسماً قابلًا للتغيير تتلاعب فيهِ الأيام وصروف الدهر ولا ندعهُ يوماً في حالة ثابتة. ذلك جسدي المركَّب من عناصر ماديَّة متعدِّدة منقسمة متناقضة تثور فيها انواء الحياة فلا تزال تدكّ اركانها وتساور مخاصنها الى ان تفرّق مجموعها وتبدّد شتاتها. لكنَّ وراء هذا القسم المادّي نفساً بسيطة لا تقبل الانقسام روحيَّة مجرَّدة عن المشاعر والمحسوسات تراها اذا قابلتها مع الجسم اكرم جوهرًا وافضل طباعاً فيها من الخواصّ الشريفة ما هو أسمى وأجلّ من خواصّ الاجسام كيف لا وهي تدرك المعقولات وتفهم الكليَّات فبمجرَّد

نظرها الى انسان فرد تحكم في كلّ انسان · تقابل بين امرين وتبرز الحكم في توافقها او منافاتها · وان كانت تأخذ مبادئ العلوم عن الحواسّ فانّ لها من ذاتها مبادئ أُخرى وافعالًا لا تستعيرها عن الحواسّ البتَّة وهي المبادئ العالية الاوَّليَّة التي تبني عليها القياسات الصحيحة · وتدرك ما خلا ذلك معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم وليست تحتاج في ادراك ذاتها الى شيء آخر غير ذاتها · وان اخذتْ شيئاً من الحواسّ ربَّما كذَّبتهُ او اصلحت خطأَهُ كما تفعل في حكمها عن المنظورات البعيدة فتقضي بأَن حجمها وصورتها ولونها ليس كما يظهر لها بالحواسّ

وما يقال في العقل يصدق في الارادة فانّنا نشعر بان الله خصَّ نفسنا بحرّيّة العمل بحيث لا يمكن القوّة ان تقهرها وان وقع الاغتصاب على الجسد فانَّ للنفس قوَّة تفوق كلّ القوى المادّية

فان كانت النفس كذلك تزينها القوى العالية الشريفة ولا تقبل انقساماً وان خُصَّت بحياة روحيَّة لا تحتاج فيها لجسم ولا لغذاء فليتَ شعري كيف يمكنها ان تتلاشى او تموت ولا شيء من المخلوقات قادر على ان يعمل في جوهرها البسيط الروحيّ · فلا يبقى الّا ان يُقال بانَّ الخالق الذي خلقها هو هو الذي يفنيها ويعيدها الى العدم كما خلقها من العدم

ولكن على رسلك ياصاح كيف رعاك الله تستطيع ان تثبت كون الخالق يُعيد النفس الى العدم أَيمكنك بيان الامر نقلًا او تبيتهُ عقلًا · وكلا الامرين باطل فان النصوص المنقولة والاسفار المقدَّسة تؤيد الامر فضلًا عن كونها لا تنكرهُ البتَّة · وكذلك اتفاق المشترعين في سُنَنهم والامم في تقاليدها يدلُّ على ان هذه الحقيقة راقية الى الوحي الاوَّل في بدء الخليقة

وزد على ذلك ان العقل ليس بقادر على تعليل هذا القول وبيان سببٍ يوجب الخالق على إعدام النفوس وملاشاتها · لا بل يوضح العقل بانَّ الله يريد خلود النفس ويخلّدها

فان امعنت النظر في النظام الطبيعيّ الذي وضعهُ الخالق تجد ان العالم الهيوليّ لا يزال في تقلُّب متواصل واستحالات متوالية ومع كلّ ذلك لا ترى ذرَّةً واحدة من المادَّة تتلاشى وتعود الى العدم وانما يجري عليها فقط تحويلها من حالة الى حالة · وهذا مبدأ راهن من مبادئ علم الكيمياء يثبتهُ العلماء كلّ يوم بالاختبارات العديدة فليت

شعري كيف يمكن الخالق الذي يصون المادة ولا يعيد دقائقها الى العدم أن يُعدم ما هو اشرف واعظم وابقى من المادة نريد نفس الانسان الجوهرية المصنوعة على شبه الخالق في نطقها وادراكها

ومن المبادئ المقرَّرة ايضاً في الفلسفة انَّ الله سبحانهُ وتعالى لا يطبع في قلب الانسان ميلاً غريزيًّا الَّا ويحقق ميلهُ وامنيَّتهُ فعلاً. وفي قلب المرء الناطق ميلٌ غريزيٌّ الى معرفة كلّ حقيقة والى اجراء العدل التام والى نوال السعادة الكاملة. وكلّ هذه الاميال لا ينال منها المرء في حياتهِ الَّا النزر الزهيد فلا بدَّ اذن ان تلقى النفس شبعها منها في حياة أُخرى

قلنا انَّ في النفس ميلاً غريزيًّا الى معرفة كلّ حقيقة. خُلق الانسان ناطقاً فهيماً فتراهُ يبحث ما امكنهُ على ادراك المعارف واحراز العلوم يتصفَّح الكتب ويتأثر اعقاب الطبيعة في كلّ مظاهرها فيرصد الافلاك ويهبط الى اغوار البحار ويقطع المفاوز ومجاهل البلاد لعلَّهُ يجد شيئاً جديداً يضيفهُ الى معارفهِ. لكنَّ نطاق العلوم لا يزال كلّ يوم يتَّسع فمهما نال منها لا يكون الَّا كنقطة في بحر فتمرُّ الأيام وهو يدنو من الموت ويرى عقلهُ لم يُصب من الحقائق الَّا ما لا يُعبأ بهِ فلا يكاد يدري الَّا انهُ لا يدري. أفيكون الخالق جعل فيهِ هذا الميل غير المتناهي الى معرفة الحقائق ليزيد بهِ عذابهُ؟ أفيليق بعزَّتهِ تعالى ان يفتح في قلبهِ هوَّةً كهذه دون ان يملأَها ويسدَّ عوزها. كلّا ثمَّ كلّاً

وكذلك شوق النفس الى العدل. فانها غريزة في اعماق قلبنا الذي لا يسكن ولا يهمد الَّا اذا اصاب كلٌّ حقَّهُ. فانَّ كلَّ ما يخلُّ بالعدل ويتجاوز الحقوق يؤثّر فينا ويقلق افكارنا فلا نرضى حتى نرى الحقوق مرعيَّة فيثاب البارّ ويُعاقب الاثيم وتُكسر نخوة المتعجرف ويرتفع الوضيع ويُقهر الظالم ويزكّى المظلوم. ولكن هيهات ان يتمَّ ذلك في عالمنا الحاضر اذ يشبع الاشرار خيرًا فيعيشون متنعمين مهنَّأين مكرَّمين لا يردعهم رادع ولا يكفهم زاجر والابرار على خلاف ذلك تراهم يحملون اعباء الحياة ويعيشون خاملين مهملين مكروبين يرشفون كأس الاوجاع والآلام لا يشعر احد بما يقاسونهُ من الشدائد الَّا الله خالقهم. فاذا رأى الانسان هذا الفساد بقي مرتاباً من عدلهِ تعالى لا يقرُّ لهُ قرار الى ان يشخص بنظرهِ الى العالم الآتي حيث تصيب كلُّ نفسٍ ما تستحقُّهُ من الثواب او العذاب ولولا ذلك بقي عدل الله مغلوبًا لا يظهر

صلاحهُ وبغضهُ للخطيئة وحبُّهُ للفضيلة وبرُّهُ لو قصر الانسان نظرهُ الى هذه الحياة الفانية

ومثلهُ ميل الانسان الغريزيّ الى السعادة. سِرْ حيثما تشاء. اسأل من تُريد. تعقَّب حركات كلّ فرد من افراد الجنس البشريّ ترَ انَّ المرء لا يفكِّر ولا ينطق ولا يعمل الّا لغايةٍ واحدة هي سعادتهُ فيلتمس الخير لنفسهِ من كلّ وجوههِ وربَّما تُخدع بالخيرات المحسوسة واللذَّات الباطلة فطلبها وهو يشعر انَّ السمَّ في الدسم. وعلى كلّ حال تجد المرء في كلّ أعمالهِ يطلب السعادة وان غشَّتهُ ظواهرها. لكنَّ السعادة الحاضرة سواء كانت في الخيرات الزائلة من غنًى ولذَّات وجاه عالمي او في الخيرات الصحيحة من فضيلة وقيام بالواجبات وتضحية النفس لخدمة الوطن والقريب وعدول عن السيئات لا تفي بطلوب المرء ولا تسكِّن ما في قلبهِ من الشوق الى النعيم والسعادة ما لم يتحقَّق انَّ بعد هذه الحياة حياةً أخرى يحظى فيها بما لم يجدهُ في عالمهِ الحاضر فينال تلك السعادة التي طبع الله في قلبهِ الميل اليها. فان كان ذلك الميل اسماً بلا مسمًّى لا يثق الانسان بحياةٍ أخرى وامكنهُ ان ينسب الى الله خالق الطبيعة الخلف في مواعيدهِ. فايُّ سعادة يا تُرى للانسان في هذه دار الفناء؟ اسمع ما كتب أيوب (ف ١٤): « الانسان مولود المرأة قليل الأيام كثير الشقاء كزهر ينبت ثمَّ يُقطع وكظلّ يبرح ولا يقف . . . الشجرة لها رجاء. فانَّها اذا قُطعت تخلف ايضاً وفراخها لا تزول واذا تعتَّق في الارض اصلها ومات في التراب جذرُها فمن استرواح الماء تفرّخ وتنبت فروعاً كالغريسة. امَّا الرجل فاذا مات لبث هناك والبشر متى فاضت روحهُ فأين يوجد ». وهذا صوت الوجع والكدر لا يخرج فقط من افواه الموجوعين الذين لا يذوقون في حياتهم غير المرارة والشقاء بل هو ايضاً صوت الذين ارخوا العنان لكل شهوات قلوبهم واشتاروا عسل الافراح واللذات فتراهم يقرُّون مع سليمان الحكيم انهم قد خابوا في امانيهم وحبطوا في مساعيهم لانهم لم يجدوا في كلّ الامور الدنيويَّة من مجد وشرف وسلطة وغنى ولذَّات الّا الغمَّة والكدر فباطل الاباطيل وكلّ شيء باطل. فيالله ألم يفتح في قلب الانسان هذه الهاوية الواسعة الّا ليلقيهُ في اليأس والقنوط. فمعاذ الله أن يكون الخالق بنى آمالنا على جرفٍ هارٍ وحاشا جلالهُ أن يلقي الانسان في شقاء أمرَّ من الموت

ولعلَّ البعض يعلّلون نفسهم بادراك السعادة مع تقدُّم العلوم وترقّي الاكتشافات

ألا ترى كل يوم ما يأتينا بهِ العلم من الوسائل لسرعة المواصلات ولتعميم الخيرات ونشر اسباب الرفاهيَّة. أين كانت الكهربائية قبل عصرنا ؟ أين كان البخار ؟ فها انَّ الانسان يطير بلا اجنحة يُسمع صوتهُ الى اقاصي المعمور يعرف في لمحة عين ما يجري في اربع خوافق العالم يتقلَّب بين عجائب الاختراعات. فليس من علم او فنّ او صنعة الّا نالت من التقدُّم ما لم يكن في الحسبان أفليس ذلك ضامناً مؤكدًا لاكتشافات جديدة يفوق بها الانسان على كلّ مشقَّات الحياة فيفوز باقصى درجة من السعادة

هذا ما يقولهُ ويكتبهُ بعض الجهلة الأغرار وهم لا يعلمون ما يقولون. فهَبْ أن الاختراعات تتضاعف والاكتشافات تتزايد واسباب المعاش تتحسَّن والعاهات تخفّ فأين كلّ ذلك من السعادة. ولو سرَّحنا النظر في العالم لوجدنا البلايا والمصائب تتفاقم في عهدنا فضلًا عن كونها لم تخفّ. وقد نجمت من حالة الشعوب وترقيها في سلَّم الحضارة أنصاب ورزايا جديدة تبعد الانسان عمَّا يأملهُ من الرفاهيَّة. وكفى بالموت وحدهُ شاغلًا يشغلهُ عن افراح العالم كلّها ولو صفتْ من بقيَّة الاكدار. فهيهات هيهات ان تسدّ هذه الاكتشافات مسدّ حاجات المرء ان لم نَقُلْ أنها زادت في عنائهِ وشقائهِ

هذه بعض ادلَّة تبيّن ان النفس مخلَّدة لا تموت وان اردت بعض الحجج التي يلوذ بها الفلاسفة لاثبات هذه القضيَّة أوردناها باختصار تأييدًا لما سبق

يقولون اوَّلًا أنهُ لمقرَّر انَّ النفس ليست بجسم ولا عَرَض وانَّها جوهر بسيط وما كان كذلك لا يقبل الانحلال فالنفس اذًا لا تنحلّ

يقولون ثانياً: وهو قول افلاطون يشبهُ القول السابق: انَّ كلَّ فاسد أنَّما يفسد من قبل رداءة فيهِ والهيولى هو معدن الرداءة فلمَّا كانت النفس مجرَّدة من الهيولى فلا بُدَّ ان يُقال ان النفس غير قابلة الفساد وما لا يقبل الفساد لا يقبل العدم. وان قيل ان الخطيئة تفسد النفس كان الجواب ان هذا الفساد عرضٌ يمكن النفس ان تجاوزهُ عنها برجوعها الى الخير

يقولون ثالثًا وهو ايضاً من اقوال افلاطون: انَّ النفس تعطي ابدًا كلَّ ما تُوجَدُ فيهِ حياةً وكلُّ ما يُعطي الحياة ابدًا لما يوجَد فيهِ فالحياة جوهريَّة لهُ. وما كانت الحياة جوهريَّة لهُ لا يمكن ان يقبل ضدَّها وضد الحياة الموت

ولا يقولنَّ قائل انَّ النفس اذا انفصلت عن الجسم لا يمكنها العمل لانَّ الجسد آلتها

وبه تتمُّ كلّ اعمالها وهذه الاعمال مصدر سعادتها . فانَّ هذا القول باطل قال ابن مسكويه في كتاب الفوز الاصغر (ص ٨٠) :

« نعتقد جميع ما يعدُّهُ معاشر البشر سعادةً ونحن في هذه الابدان ملابسين الطبيعة ونحسبهُ لذّة في جميع الحواس ومن كلّ الجهات فهي كلها كالظل والشبح ممَّا هو اعلى منَّا لأنهُ فيض من هناك وهو كامل تام محض وان كنَّا لا نتصوَّرهُ حقّ تصوره . وكما اذا نظرنا الآن ونحن اناس مخلصون في احوالنا التي كانت لنا في الطفوليَّة والرضاع في حال ما كنا اجنَّة في بطون الامهات واطباق الارحام وما كنا نعدُّهُ سعادة ونكره مفارقتهُ حقرنا تلك الامور وتجاوزنا ذكرها انفة منها وترفُّعاً عنها كذلك تكون حالنا بعد مفارقة الابدان فحينئذٍ نستهين بهذه الاشياء التي هي الان سعاداتنا ونأنف منها . وكذلك النفس اذا حصلت منفردة بذاتها خالصة من كدر الطبيعة ودرنها صار لها وجود آخر اشرف من الوجود الانساني ومرتبة اعلى من المرتبة البشريَّة وتكون سعادتنا مناسبة لاحوالنا . ومثل النفس في ذلك مثل الفرُّوج الذي يكون اولاً في البيضة فاذا استكملت صورته ألقى عنهُ قشوره وتصوَّر بصورة أُخرى اشرف من الصورة الاولى الَّا ان النفس يحصل لها بمفارقة البدن صورة تلذّ منها بحسب ما اقتنتهُ وكسبتهُ وتحصل بهذه الاشياء على هيئة تصورها امَّا سعيدة وامَّا شقية وقد كنَّا بيَّنَّا ان للنفس العاقلة فعلاً يخصها في ذاتها وانهُ هو الذي يكملها ويسوقها الى سعادتها وذكرنا ما هو وكيف هو فمتى عاقها عن سعادتها وفي موقعها اياها حطَّها عن مرتبتها وبحسب ذلك الحط يكون شقاؤها »

فلا يبقى للانسان الَّا ان ينزّه نفسهُ عن الحواسّ ويصرفها الى ما يزيدها صلاحاً وجودةً فيحظى يوماً بذلك النعيم الذي لم تنظرهُ عين انسان ولم يخطر على قلب بشر

نصرانيَّة غسَّان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لسنا ممَّن يخاصم في الدفاع عن الحقيقة . فانَّ للحقّ نورًا ساطعاً ربَّما حجبتهُ سُحُب الاهواء البشريَّة زمناً الى ان يكشف بقوَّة اشعَّتهِ تلك الغيوم فيبدّدها ويعود الى رونقهِ وبهائهِ

على انَّهُ في بعض الامور لا يمكن الانسان ان يصيب الحق بتمامهِ وانَّما يستدلّ عليهِ بدلائل تختلف قوَّة وعددًا فيبرز في ذلك حكمهُ مرجحاً لرأيهِ على رأي غيرهِ ربما يأتي بعدهُ آخر فيزيد القضيَّة وضوحاً بما اكتشفهُ من الآثار . وهذا الامر في التاريخ اصدق منهُ في غيرهِ

كنّا في العام الماضي أوردنا قصيدةً مجهولةً للسموءل الشاعر الشهير اثبتنـاها على علّاتها كما وجدها الانكليزي هرشفلد بالحرف العبرانيّ واثبتها العلّامة مرغوليوث بالحرف العربيّ في المجلّة الاسيويّة الانكليزيّة (المشرق ٩ : ٤٨٢) ولمّا سألنا افاضل القرّاء ان يساعدونا في البحث عن نسخة ثانية لهذه القصيدة لنصلح روايتها السقيمة كان اول من اجاب الى ملتمسنا جناب الموصليّ داود ارميا مقدسيلو السريانيّ الكاثوليكيّ (المشرق ٩ : ٦٧٢) فاتانا برواية اضبط واصحّ ازالت عددًا كبيرًا من اغلاط الرواية الاولى. وكان آخر هذه القصيدة بيت يدلُّ على نصرانيّة الشاعر وهو :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامل

فختمنا هذه الرواية بقولنا « وان كان البيت الاخير صحيحًا صدق ظنُّنا السابق بان السموءل نصرانيّ لا يهوديّ لاسيّما ان اصلهُ من بني غسّان وبنو غسّان نصارى » وكنّا ابدينا الرجاء لجناب المراسل بان يزيدنا علمًا في تعريف نسختهِ وقد تأخر الجواب الى هذه الأيام الاخيرة حيث كتب لنا جنابهُ في تاريخ ٢٧ نيسان بما حرفـهُ « انَّ المجموع الذي اخذتُ قصيدة السموءل عنهُ يرتقي عهدهُ الى ما فوق المائتي سنة » وزاد ايضاحات أخرى لا حاجة الى ذكرها

وفي نيسان من السنة الجارية ارشدنا حضرة مكاتبنا الهمام الاب انستاس الكرمليّ المعروف بتفنُّن ابحاثهِ الى نسخة ثانية من قصيدة السموءل اصحّ من الروايتين اثبتناها كما وجدناها في خطّ حضرتهِ الذي نقلها عن نسخة كتبت في مجموع قصائد يرتقي تاريخهُ الى ٩٠ سنة. والقصيدة هناك تُروى لسموءل آخر احد بني قريظة اليهود غير السموءل الغسّاني والبيت الاخير ليس مثبتًا فيها. فروينا كلّ ذلك دون ان نبتّ فيهِ رأيًا قاطعًا تاركين الحكم لمن هو اعلم منّا بالآثار القديمة

على ان احد البغاددة حمل قولنا هذا مع بساطتهِ الباهرة على التعصُّب فكتب في مجلّة مصريّة فصلًا مطوّلًا ادّعى فيهِ « أننا نحلّ قيد من تقيَّد بدين ونجبرهُ على النصرانيّة قبل أم أبى » فهذه كما ترى تهمة كبيرة لا يجوز لنا السكوت عنها. ولمّا كان في الفصل المذكور شكاوى متعدّدة لا يمكنّا الخوض فيها كلها لا في مقالة ولا في مقالتين. بل لا في كتاب واسع ولا في كتابين نجتزئ في هذه العجالة بالبحث عن المسألتين السابقتين اعني تنصيرنا للسموءل اليهوديّ شاء ام أبى. والثانية حكمنا الباطل في تديّن غسّان كلّها

بالنصرانيَّة . وغاية ما نتمنَّى ان يمنحنا الله ايَّاماً قليلة نتفرَّغ فيها لتنقيح ما جمعناهُ في هذا الصدد من عدد لا يُحصى من الآثار والمخطوطات والمطبوعات السريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة فضلًا عن التآليف العربية التي امكنَّا الوقوف عليها في خزائن الكتب الاوربيَّة وغيرها

ولنباشرنَّ بالمسألة الاولى التي لا نطيل فيها الكلام لسهولة الجواب على شطط الكاتب . قال جنابهُ انَّنا نصَّرنا السموأل مع اجماع الكتبة على يهوديَّتهِ . فعلى رسلك يا صاح غاية ما قلناهُ في نصرانيَّة هذا الشاعر مبنيَّة على حجَّتين الاولى « ظنيَّة » قلنا انَّنا « ظننَّا سابقًا بانهُ نصرانيٌّ لكونهِ من غسَّان وغسَّان نصارى » أَفي هذا القول تنصير للسموأل شاء أم أبى . وكلٌّ يعرف انَّ « الظنَّ » يدلُّ على الشكّ والريب لا على اثبات الامور والقطع بها وليس ظنُّنا هذا محمولاً على الوهم بل سندناهُ الى دليل اوسع نطاقًا اعني نصرانيَّة غسَّان وسيأتي الكلام عنها في جوابنا على الشكوى الثانية

ثمَّ اتينا بحجَّة ثانية لبيان نصرانيَّة السموأل وهي البيت الذي ورد في النسخة الموصلية عن مجيء المسيح حيث قال :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فأهدى بني الدنيا سلامَ التكامُل

فقسنا منهُ قياساً شرطيًّا فقلنا « ان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظنُّنا السابق بان السموأل نصرانيّ » فأيُّ شطط في هذا القياس وكلُّ منطقيّ يعلم ان الاقيسة الشرطية لا تصحُّ فيها النتيجة الَّا بصحَّة وقوع الشرط . ألا ترى اني لم انسب النصرانيَّة الى السموأل الَّا على شرط صحَّة هذا البيت فان قال المناظرِ انَّ البيت مصنوع واثبت قولهُ بحجج راهنة سلَّمنا بقولهِ دون ان نُصاب بسهم ملامتهِ او ملامة غيرهِ . ولكن كيف يثبت جناب الكاتب التزوير لصاحب النسخة الموصليَّة وهذه النسخة اقدم من النسخة البغداديَّة بمائة سنة فما ادرانا انَّ صاحب النسخة البغداديَّة لم يحذف البيت الاخير الذي يمكنهُ ان يُعَدّ احسن ختام لقصيدة تُذكر فيها آلاء الله مع شعبهِ اذ انجز مواعيدهُ على لسان الانبياء فجاء المسيح بسنَّة الكمال والفضل بعد سُنَّة العدل . نقول كلّ ذلك على فرض صحَّة النسخة الموصلية

فيرى القارئ انَّنا لم نتجاوز حقوقنا في شيء ولم نتعدَّ طورنا في كلامنا عن السموأل ولم ننصّرهُ شاء أم أبى

بقي علينا أن نفحص المسألة الثانية اعني نصرانيَّة غسَّان فانَّ الكاتب البغدادي يزعم انّنا بنسبتنا النصرانيَّة لغسَّان قد ركبنا شططاً . وقبل اثبات قولنا بالبرهان لا نرى بدًّا من انكار ما رواهُ عن لساننا ممَّا لم نقل بهِ وهو انّنا بقولنا انَّ غسَّان كانوا نصارى اردنا « كلَّ » غسَّان وكذلك قولنا عن تميم وكندة وربيعة وغيرهم فانَّ الكاتب يدَّعي بأنّنا نسبنا النصرانيَّة اليهم « كلّهم » فما لهُ رعاهُ الله لم يدلّ على الصفحة من تآليفنا حيث عمّمنا هذا التعميم لكلّ غسَّان او لكلّ تميم او لكلّ كندة . فانهُ لو كان اورد كلامنا بنصّهِ لامكنهُ ان يزيّفهُ فيشهد القرَّاء على صدق قوله في مبالغتنا . ولا بأس ان قلنا ان غسّان او بكر او ربيعة كانوا نصارى فهذا القول هو نفس قول كتبة العرب بالحرف يمكن تغليبهُ على القبيلة وان كان قوم منها لم يتبعوها في دينها وذلك على مثـال قولنا عن الفرنسيس انّهم كاثوليك وان كان منهم قسم صغير لا يتبع الكثلكة . او كقولنا : فلان أكل الدجاجة كلّها وان لم يأكل عظامها

فهلمَّ الآن بنا نثبت نصرانيَّة غسَّان . وان شئت قُلْ غسَّان كلّها . وان امكن وجود بعض افراد منها او عشائر منها لم يكونوا نصارى فانَّ الكلام عن الاغلبيـة كما قلنا . ولاثبات زعمنا لا نركن فقط الى اقوال مؤرخي العرب ونحن نعلم انَّ كتبة العرب لم يدوّنوا تاريخاً صحيحاً قبل القرن الثامن وانّما ننقل اقوال من يُوثق بهم من كتبة اليونان والرومان اذ كانوا معاصرين للحوادث التي فصَّلوا اخبارها وامكنهم الوقوف على صحّتها إمَّا بالمعاينة وإمَّا بصوت العموم

غسَّان قبيلة يمنيَّة قدمت جهات الشام بعد انفجار سدّ مأرب وسيل العرم فاستوطنتها ثمَّ تغلَّبت على اهلها فصار اليها الامر وعلى قول كتبة العرب كان الامر قبل غسّان لبني سليح وقبل بني سليح لتنوخ وهم يجعلون تنوخ وبني سليح نصارى . قال اليعقوبيّ في تاريخهِ (١ : ٢٣٤) عن تنوخ : « كانت قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملّكوهم فكان اوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم . . . . . فدخلوا في دين النصرانية فملّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام مَن العرب » . ثمَّ قال المسعودي في مروج الذهب عن بني سليح (٣ : ٢١٦) : « وردت سليح الشـام فتغلّبت على تنوخ وتنصَّرت فملّكها الروم على العرب الذين بالشام »

هذا ما قالهُ العرب عمَّن تقدَّم الغسّانيين في الشام رويناهُ على علّاتهِ وان تتبَّعنا

آثار النصرانية في كتبهم وجدناهم يذكرون لملوك غسّان الاوّلين ابنية تدلّ على نصرانيّتهم فانّ المسعوديّ وأبا الفداء وحمزة الاصفهانيّ والنويري وغيرهم يؤكدون عن ملكهم الثاني عمرو بن جبلة انهُ « بنى بالشام عدّة ديورة منها دير هند ودير حالى ودير أيوب » ثمّ ذكروا للايهم بن الحارث بن جبلة اخو المنذر الاكبر انهُ « بنى دير ضخم ودير البنوة ». وممّن اشار الى نصرانية غسّان النابغة في بيتهِ الشهير حيث ذكر عيد الشعانين فقال :

رقاق النعال طيّب حجزاتهم يحيّونَ بالريحان يوم السباسبِ

ومن الشواهد عن نصرانيّة غسّان قول اليعقوبيّ من كتبة القرن العاشر للمسيح حيث قال (ص ٢٩٨) : « واما من تنصّر من احياء العرب فقومٌ من قريش . . . . . ومن اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم » . نعم انهُ قال قبل ذلك : « وتهوّد قومٌ من بني الحارث بن كعب وقوم من غسّان » . فاستثنى من غسّان « قوماً » اي فئة وافرادًا وسنعود الى ذلك قريبًا

وقال السيوطيّ في المزهر نقلًا عن كتاب الألفاظ والحروف بانّ اللغة العربيّة لم تؤخذ من قبائل شتّى الى ان قال أنها لم تؤخذ « ولا من قضاعة وغسّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيّة » يريد بالعبرانيّة السريانيّة الفلسطينيّة

هذا بعض ما علِق في ذهن العرب عن نصرانيّة غسّان لمّا اخذوا بتدوين التاريخ اعني بعض الهجرة بنيّف ومئة سنة ولعلّهُ كافٍ ليقنع بشيوع النصرانية بين الغسّانيين . فلنسمعنّ الآن بعض اقوال مؤرخي اليونان واللاتين الذين كتبوا منذ القرن الرابع الى القرن السابع اعني قبل العرب بثلثمائة سنة فانّ اقوالهم جديرة بالاعتبار وهم معاصرون للامور التي كتبوا عنها

١ اوّل شاهد عن نصرانيّة غسّان نأخذهُ من التاريخ الرومانيّ . اتّفق اليوم المؤرخون على انّ غسّان كانت مالكةً على بلاد الشام لمّا غلبت النصرانيّة على اديان الامم بتنصُّر قسطنطين الكبير . فان كانت القبائل التي سبقت هذا العهد من تنوخ وسليح في أيّام اضطهادات القياصرة على قول العرب قد تنصّرت فما قولك بغسّان التي كانت في أيّام انتصار النصرانيّة وفي عهد قياصرة نصارى

٢ لنا شاهد ثانٍ في تواريخ المجامع النصرانيّة الاولى كنيقية وقسطنطينيّة

بقي علينا أن نفحص المسألة الثانية اعني نصرانيَّة غسَّان فانَّ الكاتب البغدادي يزعم أنَّنا بنسبتنا النصرانيَّة لغسَّان قد ركبنا شططاً. وقبل اثبات قولنا بالبرهان لا نرى بدًّا من انكار ما رواهُ عن لساننا ممَّا لم نقل بهِ وهو أنَّنا بقولنا انَّ غسَّان كانوا نصارى اردنا «كلَّ» غسَّان وكذلك قولنا عن تميم وكندة وربيعة وغيرهم فانَّ الكاتب يدَّعي بأنَّنا نسبنا النصرانيَّة اليهم «كلّهم» فما لهُ رعاهُ الله لم يدلّ على الصفحة من تآليفنا حيث عمَّمنا هذا التعميم لكلّ غسَّان او لكلّ تميم او لكلّ كندة. فانهُ لو كان اورد كلامنا بنصّهِ لامكنهُ ان يزيّفهُ فيشهد القرَّاء على صدق قوله في مبالغتنا. ولا بأس ان قلنا ان غسّان او بكر او ربيعة كانوا نصارى فهذا القول هو نفس قول كتبة العرب بالحرف يمكن تغليبهُ على القبيلة وان كان قوم منها لم يتبعوها في دينها وذلك على مثال قولنا عن الفرنسيس أنهم كاثوليك وان كان منهم قسم صغير لا يتبع الكثلكة. او كقولنا: فلان أكل الدجاجة كلّها وان لم يأكل عظامها

فهلمَّ الآن بنا نثبت نصرانيَّة غسَّان. وان شئت قُلْ غسَّان كلّها. وان امكن وجود بعض افراد منها او عشائر منها لم يكونوا نصارى فانَّ الكلام عن الاغلبيــة كما قلنا. ولاثبات زعمنا لا نركن فقط الى اقوال مؤرخي العرب ونحن نعلم انَّ كتبة العرب لم يدوّنوا تاريخاً صحيحاً قبل القرن الثامن وانَّما ننقل اقوال من يُوثق بهم من كتبة اليونان والرومان. اذ كانوا معاصرين للحوادث التي فصَّلوا اخبارها وامكنهم الوقوف على صحَّتها إمَّا بالمعاينة وإمَّا بصوت العموم

غسَّان قبيلة يمنيَّة قدمت جهات الشام بعد انفجار سدّ مأرب وسيل العرم فاستوطنتها ثمَّ تغلَّبت على اهلها فصار اليها الامر وعلى قول كتبة العرب كان الامر قبل غسّان لبني سليح وقبل بني سليح لتنوخ وهم يجعلون تنوخ وبني سليح نصارى. قال اليعقوبيّ في تاريخهِ (١: ٢٣٤) عن تنوخ: «كانت قضاعة اوّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملَّكوهم فكان اوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم . . . . . فدخلوا في دين النصرانية فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب». ثمَّ قال المسعودي في مروج الذهب عن بني سليح (٣: ٢١٦): «وردت سليح الشـام فتغلَّبت على تنوخ وتنصَّرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام»

هذا ما قالهُ العرب عمَّن تقدَّم الغسّانيين في الشام رويناهُ على علاَّتهِ وان تتبَّعنا

آثار النصرانية في كتبهم وجدناهم يذكرون لملوك غسان الأولين ابنية تدلّ على نصرانيّتهم فانّ المسعوديّ وأبا الفداء وحمزة الاصفهانيّ والنويري وغيرهم يؤكدون عن ملكهم الثاني عمرو بن جبلة انهُ « بنى بالشام عدّة ديورة منها دير هنـد ودير حالى ودير أيوب » ثمّ ذكروا للايهم بن الحارث بن جبلة اخو المنذر الاكبر انهُ « بنى دير ضخم ودير النبوة » . وممَّن اشار الى نصرانية غسان النابغة في بيتهِ الشهير حيث ذكر عيد الشعانين فقال :

رقاق النعال طيّب حجزاتهم يحيّونَ بالريحان يوم السباسب

ومن الشواهد عن نصرانيّة غسّان قول اليعقوبيّ من كتبة القرن العاشر للمسيح حيث قال (ص ٢٩٨) : « واما من تنصّر من احيـاء العرب فقومٌ من قريش . . . . . ومن اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » . نعم انهُ قال قبل ذلك : « وتهوّد قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسـان » . فاستثنى من غسـان « قوماً » اي فئة وافرادًا وسنعود الى ذلك قريبًا

وقال السيوطيّ في المزهر نقلًا عن كتاب الأَلفاظ والحروف بانّ اللغة العربيّـة لم تؤخذ من قبائل شتّى الى ان قال انها لم تؤخذ « ولا من قضاعة وغسّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيّة » يريد بالعبرانيّة السريانيّة الفلسطينيّة

هذا بعض ما علِق في ذهن العرب عن نصرانيّة غسّان لمّا اخذوا بتدوين التار[illegible] اعني بعض الهجرة بنيّف ومئة سنة ولعلّهُ كافٍ ليقنع بشيوع النصرانية بين الغسانيين

فلنسمعنّ الآن بعض اقوال مؤرخي اليونان واللاتين الذين كتبوا منذ القرن الرابع [illegible] القرن السابع اعني قبل العرب بثلثمائة سنة فانّ اقوالهم جديرة بالاعتبار وهم معاصرو[illegible] للامور التي كتبوا عنها

١ اوّل شاهد عن نصرانيّة غسان نأخذهُ من التاريخ الرومـانيّ . اتّفق [illegible] المؤرخون على انّ غسّان كانت مالكةً على بلاد الشـام لمّا غلبت النصرانيّة على [illegible] الامم بتنصّر قسطنطين الكبير . فان كانت القبائل التي سبقت هذا العهـد من [illegible] وسليح في أيام اضطهادات القياصرة على قول العرب قد تنصّرت فما قولك بغسّان [illegible] كانت في أيام انتصار النصرانيّة وفي عهد قياصرة نصارى

٢ لنا شاهد ثانٍ في تواريخ المجامع النصرانيّة الاولى كنيقية وقسطنطـ[illegible]

وأفسوس وخلقيدونية فانّنا نجد نحو عشرة اساقفة من بلاد غسّان حضروا تلكَ المجامع وأمضوا اعمالها بتوقيعهم فلولا امتداد النصرانيّة في تلك الجهات لَما توفّرت الكراسي الاسقفية ثمّة الى هذا الحدّ وقد تضاعف هذا العدد بعد ذلـك في القرن السادس واوائل السابع . ولا غروَ لأنَّ بلاد غسّان كانت مجـاورة اكثر من سواها من اقطار العرب لمراكز نصرانيّة مهمّة لاسيا دمشق وفلسطين

٣ والشاهد الثالث نجدهُ في تواريخ سوزومان (ك ٦ ف ٣٨) وسوقراط (ك ٤ ف ٣٠) وروفينوس (ك ١١ ف ٦) وثاودوريطس (ك ٤٠ ف ٢١) وغيرهم كثيرين فانّهم يروون تنصّر عَرَب الشام على يد السيّاح الذين كانوا في تلك الجهات في اواسط القرن الرابع في عهد الامبراطور والنس . وكان رجوع كثيرين منهم الى الايمان في عهد ملكهم المدعو « زوقوم » (Ζώγομος) وهو « ضجعم » كما يُظنّ وهو الذي ينسب اليهِ مؤرخو العرب دير داود (١ . فيروي هؤلاء الكتبة انَّ الله رزقهُ بدعاء أُولئك النسّاك ولدًا ذكرًا فتنصّر ونصّر معهُ قسماً كبيرًا من شعبهِ

ثمّ صار الامر من بعدهِ الى ماريّة أو ماوية فهذه حاربت الرومان في عهد القيصر والنس السابق ذكرهُ فغلبت جيوشهم غير مرّة ولم يخمد لظى الحرب إلى ان رضي القيصر بما اشترطتهُ عليهِ . وكان من أول شروطها ان يُسقَّف على قبائلها سائح يُدعى موسى كان متعبِّدًا لله في بادية الشام . فأجاب إلى طلبها وكان موسى كاثوليكيًّا محضاً مبغضاً لشيعة آريوس فلمّا سُقّف واصل اعمال النصرانيّة وعمّد ما بقي من تلك القبائل دون عماد

٤ ومذ ذاك الحين إذا ورد اسم احد ملوك غسّـان امّا في تواريخ السريان وامّا في تواريخ اليونان واللاتين تجد الكتبة لسانًا واحدًا في وصفهم كنصارى يخصّهم الكتبة بالالقاب الشرَفية الممنوحة لهم من القياصرة فيُدعَون بطارقة وامراء وذوي العزّ والدولة . وربّما زادوا على هذه الأَلقاب ما دلَّ على دينهم فيدعونهم مؤمنين (ܡܗܝܡܢܐ ܘܡܫܡܫܢܐ ܡܫܝܚܝܐ) ومحبّ للمسيح (ܡܗܝܡܢܐ ܘܪܚܡ ܠܡܫܝܚܐ ܡܫܝܚܝܐ) وكذلك ورد في احد مخطوطات لندن اسم كاهن يُدعى « كاهن ذي العزّة والمحب للمسيح البطريق المنذر بن الحارث »

(١ اطلب كتاب نلدكه من غسّان (Die Gassanischen Fürsten, p. 8)

٥ وقد تأيد ذلك بما وُجد من الآثار في حوران واللجا والصفا من كنائس وهيا كل ونقوش تشهد بانتشار النصرانية في تلك الجهات منذ القرن الرابع. هذا فضلًا عن كتابات حجريّة في اليونانية بينها كتابة عربية للملك المنذر يشهد باقامة معبد للقديس يوحنّا المعمدان (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

Lucien Choupin : Valeur des Décisions doctrinales et disciplinaires du St. Siège (SYLLABUS; INDEX; SAINT-OFFICE; GALILÉE. *Paris, G. Beauchesne et Cie*, 1907, pp. VII-388.

احكام الكرسيّ الرسوليّ وما يُقتضى لها من الخضوع

للاحبار الرومانيين في احكامهم وتقريراتهم طرائق شتّى يبلّغون فيها الكاثوليك اوامرهم فتارةً يحكمون حكماً قاطعاً بصفـــة كونهم نوّاب المسيح يملكون السلطة التامّة للحلّ والربط كما نالها القديس بطرس هامة الرسل. وتارةً يوجّهون للكنيسة رسائل ومناشير للتهذيب والتأديب. وحيناً يصادقون على الاحكام التي تبرزها الجمعيّات الرومانيّة التي تساعد الحبر الرومانيّ في رعاية الكنيسة وسياستها وتكون هذه المصادقة اما خصوصيّة واماً عموميّة وتلك الاوامر ليست كلّها في رتبة واحدة فانّ منها ما يوجب الايمان كتعليم السيّد المسيح والرسل ومنها ما يقتضي خضوع العقل وطاعة الارادة كما يستدعي المقامُ كلّ حكم. وهاءنذا بكتاب غايتهُ بيان هذه الاحكام وما ينبغي لكلّ صنفٍ منها من الاذعان لئلّا يشطّ المؤمن عن واجبات ايمانهِ. وقد شرح المؤلف ذلك مستندًا الى مبادئ لاهوتيّة ثابتة تزيل كلّ شبهة والتباس. وزيادةً للوضوح اتّخذ بعض قرارات الكرسيّ الرسولي ليبيّن ما كان يتحتّم بها على رعايا الكنيسة وايّ خطيئة كان يرتكبها من يأبى الخضوع لها. وهذه الابحاث من اصعب المطالب اللاهوتيّة الّا ان المؤلف قد اصاب في تعريف وجوهها وحسن تقسيمها وكشف معمّياتها د. ر

الكلام العذب المستجاد في سيادة المطران يوحنّا مراد

جمع الخوري الفاضل لويس جبر شهوان الغزيري (طُبع سنة ١٩٠٦ ص ١١١)

يحقّ بالبنين ان يفرحوا عند عودة ابيهم العزيز من سفر طويل فيبثّوا ما تكنّهُ قلوبهم

من العواطف نحو سيّدهم وسندهم وعلّة وجودهم ٠ وهذا في الآباء الروحيين احقّ واولى لعلوّ مقام الروح فوق الاجساد ٠ فنعمَ ما فعل حضرة الخوري لويس جبر شهوان بجمعهِ في كتاب منفرد ما جادت بهِ قرائح الشعراء والخطباء والادباء تهنئةً لرئيس اساقفتهم الجزيل الاحترام والفائق الشرف برجوعهِ الميمون إلى كرسيّ ابرشيَّتهِ بعد رحلتهِ بمعية غبطة البطريرك المبجّل الى رومية وباريس والاستانة العلية في جملة ذلك الوفد الماروني الجليل الذي نال من مبرَّات الكرسيّ الرسولي ومن ألطاف العرش الحميدي تلك النعم والامتيازات التي قدَّرتها الطائفة كلُّها حقّ قدرها ٠ فنهنىء الأب بابنائهِ ونهنىء الأَبناء بابيهم ونطلب إلى الله ان يزيد الجميع عزًّا وتوفيقًا

السنَد

رسالة لملحم افندي ابرهيم خلَف

مطبعة الارز « جونية » (١٩٠٧ ص ١٠٦)

السَّنَد احد فروع المعاملات التجاريَّة المهمَّة يقتضي درسهُ نظرًا دقيقًا ومعرفة تامَّة بالحقوق وقوانينها ٠ والتآليف العربيَّة في ذلك قليلة لاسيما ما كان منها قريب المنال سهل المقتبس ٠ فأحسن الأديب ملحم ابرهيم خلَف الكاتب الاوَّل في وكالة المدعي العمومي الاستئنافيّ في متصرفية جبل لبنان بوضع هذا الكتاب سدًّا للحاجة وضمَّنهُ « أهمّ الملاحظات في احكام السند والسفتجة والحوالة مع صوَر كثيرة منها ومن الصكوك والاستدعاءات ومعاملات دائرة الاجراء وتعليمات محرّري المقاولات وقانون الافلاس الخ » ومن ملحقاتهِ المفيدة جدولٌ طبعهُ في مطبعتنا وضمَّنهُ اسماء قرى لبنان مرتبة على حروف الهجاء مع بيان مديريَّاتها واقضيتها ٠ ومنها ارجوزة الامام ابن التفنة في الفرائض وهذه المنظومة هي المعروفة بالرحبية ٠ فنثني على همَّة المؤلف ونتمنَّى لكتابهِ رواجًا

تاريخ عائلة الحلو

تأليف الدكتور رشيد شكرالله الحلو

طُبع في المطبعة اللبنانيَّة في بعبدا (١٩٠٦ ص ٤٨)

لا يزال تاريخ لبنان من لسقم التواريخ وذلك لقلَّة ما لدينا من المعلومات في الأُسر

القديمة والعائلات الكريمة . فاحسن مؤلف هذا الكرّاس إذ جمع فيهِ ما امكنهُ الحصول عليهِ من تاريخ عائلة الحلو اصلًا وفروعًا . فيا ليتَ أصحاب البيوت الشريفة يقتدون بهذا المثل ويدوّنون ما تصيبهُ همّتهم من اخبار أسرهم قبل ان تستولي عليها ايدي الضياع . ولا يخفى ما في جمع هذه الانساب من الفوائد لتاريخ لبنـان واهلهِ في القرون التي سبقت زماننا

ديوان التلمساني

طبعة جديدة بعناية ونفقة المكتبة الاهلية

بيروت (١٣٢٥ ص ٨٨)

لشمس الدين التلمساني ديوان رشيق الألفاظ منسجم النظم تعلّق بحفاظهِ خواطر الأدباء وقـد طُبع غير مرّة في مصر وبيروت وهذه طبعة جديدة تولّى نشرها صاحب المكتبة الاهلية وزادها حسناً بما اضاف اليها من تفسير الألفاظ اللغويّة . ولولا ما غلب على هذا الديوان من الغزل لأوصينا بهِ ارباب المدارس ل . ش

شذرات

﴿ الماس الصناعي ﴾ قرأنا في المقتطف (مايو ١٩٠٧ ص ٣٥٣) فصلًا في الماس الطبيعي والماس الصناعي يردُّ فيهِ على شذرة اثبتناها في المشرق (١٠ : ٣٣٥) في صحّة اكتشاف الكيموي الفرنسوي مواسان لطريقة عمل الماس . فاتى جناب الكاتب ببعض شواهد اقتطفها من مجلّات اوربيّة تثبت حقيقة الاكتشاف لكنّهُ لم يتعرّض للمقالـة المطوّلة التي كتبها الاب ده ڤراجيل (المشرق ٦ : ١٠٧٣) حيث بيّن ما قام من الخلاف بين العلماء في هذا الامر ثمّ اقرار موسان نفسه بعجزهِ عن ذلك (المشرق ٧ : ٤٧) . ولمّا توفّي موسان منذ عهد قريب عادت المجلّات إلى اكتشافهِ لطريقة استحضار الماس فمنها من انكر ومنها من اثبت ومنها من ارتاب . وقد كتبنا للاب ده ڤراجيل وهو في انكلترة ليوقفنا على الخبر الصحيح

﴿ سلاسل القراءة ﴾ انّ نفوس الاحداث ذات فطرة ساذجة شديدة اللين اذ

انطبع فيها شيء لا يكاد يمحوهُ الدهر . ولذلك يجب ان تكون الكتب المدارسيَّة التي توضع في ايدي الصغار خالية من كلّ خرافة سليمة الآداب صحيحة المذهب . وقبل ايَّام قليلة إذ رأينا ولدًا صغيرًا وفي يده كتابه المدرسيّ يتعلّم فيهِ التهجئة أردنا ان نفحصهُ امام والديهِ ففتحنا الكتاب واذا هو السلسلة الاولى من سلاسل القراءة المزّينة بالصوَر لتعليم الصغار وكان اوَّل صفحة وقع عليها بصرنا الصفحة السادسة عشر حيث تُرى صورة قرد قبيح المنظر فتهجّى الولد من تحتها من الاسطر واذا فيها ما يلي :

هذا قردٌ في غاب عند نمرٍ ان هذا قردٌ لعب في جبّ
لهُ ذنب لهُ شعر مثلهُ جرو دار في بلد لهُ فهم مثل فهم ولد

فأخذنا العجب من هذه الالفاظ التي فضلًا عن ركاكة تعبيرها تنتهي باسوإ تعليم . فيا لله أيليق بصاحب هذه الكرّاسة ان يلقّن طفلًا صغيرًا تعليماً كهذا فيجعل فهم القرد كفهم الولد . وما زادنا عجباً انَّ الولد يدرس في مدرسة كاثوليكية كأنَّ أصحابها لم يجدوا كتاباً غير هذا ليجعلوهُ في ايدي الاحداث ولعلّهم فعلوا ذلك جهلًا بما يحتوي الكتاب فتأمَّل :

اسئلة واجوبة

س سألنا احد الرهبان ما الفرق بين رتبة قصّ الشعر للرهبان وبينها للاكليريكيين . وهل تقوم الواحدة بدلًا من الاخرى

رتبة قصّ الشعر

ج كان قصّ الشعر في قرون النصرانيَّة الاولى كدليل على الزهد . واكثر ما شاع بين الرهبان والداخلين في الحالة الاكليريكيَّة . ثمَّ جعلت الكنيسة لذلك رتبةً مع صلوات خصوصيَّة دلالة على غاية طالبها واعتزالهِ عن العالم . وتخصيص ذاتهِ لخدمة الله . امَّا في العيشة الرهبانيَّة واما في مصاف الاكليروس . والفرق بين الرتبتين عرضيّ . اذ ليست هذه الرتبة من الدرجات الاكليريكيَّة وانَّما هي كمقدّمتها . ونظنُّ ان الرتبة الرهبانيَّة تقوم بدلًا من الرتبة الاكليريكيّة والدليل عليهِ ان الكرسيّ الرسوليّ يرخّص لرؤساء الرهبانيّات بان يمنحوها لرهبانهم ل . ش

المشرق

كتبة العرب وجغرافيَّة سوريَّة

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقيّ

ذكرنا في مقالتنا السابقة بطيّب الثناء احد جغرافيي الاسلام شمس الدين المقدسي. وليس هو الكاتب الوحيد من العرب الذي ضمَّن تآليفهُ الفوائد المتعدّدة في وصف سوريَّة. وفي نيَّتنا ان نعود مرارًا الى ذكر هؤلاء الكتبة في اثناء مقالاتنا الآتية عن هذه البلاد. وعليهِ أردنا أنْ نفرد لهم فصلًا كاملًا ليكون القرّاء على بصيرة من شهاداتهم ويقدّروا كتاباتهم قدرها

١

الجغرافيُّون العرب الاقدمون

كان اوَّل فتح سوريَّة على يد القائد الكبير خالد بن الوليد الذي دخل دمشق بعد اواسط السنة ٦٣٦ للميلاد ثمَّ أتمَّ فتح بقيَّة بلاد الشام في السنين التالية. فلمَّا انتشرت العلوم بين العرب في القرن التاسع اخذ كَتَبتهم في ذكر الشام ووصف محاسنها وواصلوا هذه المصنَّفات الى اواخر القرن الخامس عشر فمنهم من اتَّسع في وصفهِ ومنهم من اقتصر على بعض الفوائد فلو جُمعت كلّ هذه المآثر المدوَّنة في زمن لا يقلُّ عن ستة قرون لاندهل الأُدباء من وفرتها. والحقُّ يُقال ان كتبة العرب في الابحاث الجغرافيَّة كما في غيرها من الفنون قد خلَّفوا لنا من الآثار ما لا يجاريهم في كثرتهِ غيرهم من الشعوب. فيتحتم علينا ان نبيّن شأن هذه التآليف ونعرّف قدرَها وما يُمكن العلماء ان يستخلصوا من فوائدها

لو تتبَّعنا تاريخ العرب في الازمنة العريقة في القدم لوجدناهم مزدانين بخلال فريدة للضرب في البوادي وللسياحة في البلدان · تصفَّحْ سفر التكوين لموسى كليم الله فانهُ قد ذكر غير مرَّة عرب البادية في ايَّام الآباء بعد الطوفان منـذ ابرهيم الخليل الى يوسف الحسن وغاية ما يُستنتج من اوصافهِ انَّ العرب كانوا في ذلك الوقت ما عهِدَهم التاريخ في الاجيال التابعة · فانَّهم يظهرون لنا كقوم رُحَّل يقودون القوافل ويتجشَّمون الاسفار للمتاجرة وقد جعل الله في يدهم زمام حيوان صبور يزيد نفعهُ على منافع الخيل المطهَّمة نريد الابل المعروفة بسُفُن البرّ · وهذا الوصف لا يختلف ذرَّةً عن احوال العرب في كرور الدهور حتَّى القرن السابع بعد الميلاد حيث ترى قريش تتولَّى قيادة الاقفـال وتمتار المير وتنقل السلع الى اسواق العراق والشام واليمن والحبشة ومصر

وليس بين التاجر الرحَّالة والجغرافيّ المخطِّط للبلدان مدًى واسع فانَّ المسفار يحتاج كالجغرافيّ الى التنقيب عن أحوال الأُمم والامكنة التي يتردَّد اليها فيتبَّصر في مرافقها ويدرس طبـاعها ويبحث عن ثروة تربتها وغلَّاتها وطُرُقها وطوارئ هوائها من حرّ وقرّ وكلّ ذلك يباشرهُ الرحَّالة لمنفعتهِ الخاصَّة كما يتولَّاهُ الجغرافيّ لنفع العموم · ومن هنـا تعرف ان درس الجغرافية من انجع الوسائل واكفلها بالربح في التجارة الواسعة

وممَّا زاد العرب نشاطاً في درس البلدان واعانهم على الرصود الجغرافيَّة التي خُصَّت بمراقبتها طباعهم ما اتاحهم الله من الفتوحات العظيمة في القرنين السابع والثامن · فانَّ سلطتهم بلغت ما وراء البـلاد التي اتصلت اليها يد الاسكندر ذي القرنين · فلا غروَ انهم حـاولوا معرفة الاقطار التي جعلها الله في حوزتهم فاسرعوا الى تقويمها وتحديد ثغورها واستطلاع خواصها · وقد ساعدهم على ذلك ما وقفوا عليـهِ من المصنَّفات الجغرافيَّة السابقة لعهدهم من اوضاع الهنود والفُرس واليونان والرومان ممَّا نُقل الكثير منهُ الى العربيَّة · وكان العرب من أجدر الناس بان يبنوا لعلم الجغرافيـة صرحاً شاهقاً منيفاً بما توفَّر لديهم من الوسائل الضامنة لبلوغ هذه الغاية الشريفة وذلك بان يضيفوا معلوماتهم الى معلومات اسلافهم · وسوف نذكر سبب قصورهم عن هذه البغية الجلَّى وان نال البعض منهم من ذوي المدارك العالية اسهماً رابحة من المجد فكادوا يفوزون بقصبة السبق في هذا الميدان الجليل

وممَّا يجب الاقرار بهِ فضل كتبة العرب في وصف البلدان وتعريف خواصّها · وذلك



خريطة للشريف الادريسي

مدخل العلوم الجغرافيَّة ومقدَّمتها يكفي للقيام بهِ ان يكون الكاتب باصرًا متروّيًا يُحسن مراقبة المرئيَّات دون ان يحتاج الى شيء من الآلات الرصديَّة او من العلوم الاعداديَّة. فمن ذلك أنَّهم احكموا معرفة اواسط آسية فاصلحوا أُمورًا عديدة مما رواهُ قبلهم اليونان والرومان رامين كلامهم على عواهنهِ. مثال ذلك ما افادنا الرومان عن الصين حدسًا وسمعًا أمَّا العرب فانَّهم تفقَّدوا مملكة ابن السماء بل بلغوا بلاد كورية ولعلَّهم ادركوا حدود اليابان. وقس على ذلك قارة افريقية فان الرومان جعلوا الصحراء حدودها فلم يعرفوا ما وراء تلك المفاوز المجهولة. اما العرب فانَّهم تجاوزوا تلك الحدود وطافوا في مجاهل افريقية الى قلب تلك البلاد. وهم اوَّل من ابحر الى جزيرة مدغسكار فعرَّفوا موقعها

اما الجغرافيَّة العلميَّة فانَّ معلومات العرب فيها محصورة ضيّقة النطاق. فانَّ معرفتهم مثلًا لأعراض البلاد قد تعقَّبوا فيها آثار القدماء فاصابوا أو اخطأُوا كما اصاب أو اخطأ اسلافهم. امَّا خوارطهم ورسومهم لهيئة البلدان فانَّها غريبة الاشكال بعيدة عن مظانّ الحقّ (١ وقد اثبت منها المشرق مثالًا ملونًا فراجعهُ (المشرق ٣ : ١١٢٨) وها نحن ندوّن هنا مثالًا آخر ننقلهُ ببعض الوانهِ عن كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي كما يُرى في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة. ولعلَّهُ احكمُ وأتقنُ ما وضعهُ العرب من الخرائط فانَّ البحر فيها مرسوم باللون الازرق ومجاري الانهار بالاخضر (٢. واغرب ما في هذا الأثر انَّ صاحبهُ سعى بتصوير سلسلة الجبال بتخطيطات مقطَّعة كما يشير اليها الجغرافيُّون المحدثون بعد أن حسَّنوا هذه الطريقة وزادوها دقَّةً

هذا وان في رواياتهم واوصافهم نفسها مبالغات هي من الغرابة بمكان ينبغي على العاقل أن لا يقبلها الَّا بعد الروّية والانتقاد وهذه النقيصة تعمُّ زمانهم حيث كانت العلوم الطبيعيَّة في مهدها

وممَّا يؤخذ على كثيرين منهم آفة النقل والسرقة فانَّهم يروون ما سبق اليهِ غيرهم

١) اطلب تاريخ الجغرافية لسان مرتين وفول (Vivien de St Martin: *Histoire de la Géographie*, 265; K. Weule: *Geschichte der Erdkenntnis und der geogr. Forschung*, 129-152)

٢) راجع Bulletin de l'Académie d'Hippone, 1896-1898, p. 12-13

بحرفهِ دون الاشارة الى التآليف التي نقلوا عنها. وربّما خُدع القارئ بكثرة الشواهد في بعض الامور ولو تروّى لوجد انّها كلّها راجعة الى مصدر واحد وانّ الخلف نسخوا عن السلف دون فرقٍ يُذكر في اللفظ والمعنى. ودونك ما كتبهُ في هذا الصدد شمس الدين المقدسيّ وغايتهُ ان يبيّن بقولهِ فضل تأليفهِ على تآليف من تقدّمهُ. وكلامهُ مع طولهِ جديرٌ بالاعتبار يوقفنا على طريقة بعض كتبة العرب في مصنّفاتهم الى زمن المؤلف في القرن العاشر قال :

اعلم اني اسّستُ هذا الكتاب على قواعد محكمة واسندتهُ بدعائم قوية وتحرّيت جهدي الصواب. واستعنت بفهم اولي الالباب. . . فما وقع عليهِ اتفاقهم اثبتهُ. وما اختلفوا فيهِ نبذتهُ. وما لم يكن لي بدٌّ من الوصول اليهِ والوقوف عليهِ قصدتهُ وما لم يقرّ في قلبي ولم يقبلهُ عقلي اسندتهُ الى الذي ذكرهُ او قلتُ زعموا. ووشّحتهُ بفصول وجدتها في خزائن الملوك

وكل من سبقنا الى هذا العلم لم يسلك الطريق التي قصدتها ولا طلب الفوائد التي اردتها . امّا ابو عبدالله الجَيْهانيّ فانهُ كان وزير امير خراسان وكان صاحب فلسفة ونجوم وهيئة فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودَخْلها وكيف المسالك اليها وارتفاع الخنّس منها وقيام الظل فيها ليتوصّل بذلك الى فتوح البلدان ويعرف دخلها ويستقيم لهُ علم النجوم ودوران الفلك ألا ترى كيف جعل العالم سبعة اقاليم وجعل لكل اقليم كوكبًا مرّة يذكر النجوم والهندسة وكرّة يورد ما ليس للعوام فيهِ فائدة وتارةً ينعت اصنام الهند وطورًا يصف عجائب الهند وحينًا يفصل الخراج والردّ ورأيتهُ ذكر منازل مجهولة ومراحل مهجورة ولم يفصّل الكُوَر ولا رتّب الاجناد ولا وصف المدن ولا استوعب ذكرها بل ذكر الطرق شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا مع شرح ما فيها من السهول والجبال والاودية والتلال والمشاجر والانهار وبذاك طال كتابهُ وغفل عن اكثر طرق الاجناد ووصف المدائن الجياد.

واما ابو زيد البلخي فانهُ قصد بكتابهِ الامثلة وصورة الارض بعد ما قسمها على عشرين جزءًا ثم شرح كل مثال واختصر ولم يذكر الاسباب المفيدة ولا اوضح الامور النافعة في التفصيل والترتيب وترك كثيرًا من امهات المدن فلم يذكرها وما دوّخ البلدان ولا وطئ الاعمال. ألا ترى ان صاحب خراسان استدعاه الى حضرتهِ ليستعين بهِ فلمّا بلغ جيحون كتب اليهِ « ان كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فان رأيي يمنعني من عبور هذا النهر » فلمّا قرأ كتابهُ امرهُ بالرجوع الى بلخ. وامّا ابن الفقيه الهمذاني فانهُ سلك طريقة أُخرى ولم يذكر الّا المدائن العظمى ولم يرتب الكُوَر والاجناد وادخل في كتابه ما لا يليق بهِ من العلوم مرة يزهد في الدنيا وتارةً يرغب فيها ودفعةً يُبكي وحينًا يُضحك ويلهي. وامّا الجاحظ وابن خرداذبه فان كتابيهما مختصران جدًّا لا يحصل منهما كثير فائدة

ثمّ عاد المؤلف بعد هذا باسطر الى تبرئة نفسهِ من جناية السرقة فقال (ص ٦) :

لا نذكر شيئًا قد سطّروه ولا نشرح امرًا قد أوردوهُ الّا عند الضرورة لئلّا نبخس حقوقهم ولا نسرق من تصانيفهم

ومع هذا ترى المقدسي نفسهُ بعد قولهِ عن ابن خرداذبه انهُ « مختصر جدًّا لا يُحصلَ منهُ كثير فائدة » ينقل عنهُ كل أقيسة مراحلهِ وتفاصيل أُخرى عديدة دون ان يذكر اسمهُ وهو يفعل بابن الفقيه فعلهُ بابن خرداذبه فيأخذ عنهُ نصوصاً كثيرة ولا يذكر اسمهُ اكثر من ثلاث مرَّات مع انهُ يلومهُ لادراجهِ اشياء عديدة في كتابهِ لا طائل تحتها

ومما نأخذهُ على جغرافيي العرب انَّهم لم يكتفوا بوصف بلاد مخصوصة بل وسَّعوا نطاق عملهم الى جغرافيَّة الارض كلّها باقاليمها وقد جروا في ذلك جَرْيَ المؤرخين الذين ارادوا تدوين اخبار العالم كلّهِ والممالك جمعاء فكانت نتيجة هذا العمل انَّهم لم يُعطوا البلاد حقَّها من الوصف . وكذا يُقال عن بلاد الشام التي لا تشغل في تآليفهم الَّا مكانًا ضيّقًا ولو قصروا النظر اليها وحدها لأدَّوا حقوقها واستوفوا معانيها ولعلَّهم فعلوا ذلك لعلمهم بندرة الكتب لتكون تآليفهم جامعة لشتات التاريخ ولوصف البلدان ونحن مع إقرارنا بهذه المنفعة نتأسف على قلَّة من تعمَّقوا في تعريف بلادنا . ألا ترى مثلًا ابا الفداء وموطنهُ بلاد الشام لو اجتزأ بوصف بلاده بدلًا من وصف كلّ البلاد لكان كتابهُ تقويم البلدان اجزل نفعاً واكمل وصفاً يحتوي من التفاصيل ما لا يُرى في غيرهِ كما فعل الهمدانيّ في « صفة جزيرة العرب »

وقد بقي علينا ان نورد هنا اخصّ المطبوعات الجغرافيَّة لأننا في المقالات التالية سوف نشير اليها مرَّات عديدة . فها نحن نذكرها مع بيان خواصها وفضل اصحابها . وقد اكتسب المستشرقون شكر العلماء اذ وجَّهوا الانظار الى اخصّ النصوص التاريخيَّة والجغرافيَّة فنشروها وقرَّبوا بنشرها منافعها وادنوا مواردها بحيث امكن المنتقد ان يتبيّن ما تتضمَّنهُ من الفوائد والفرائد

وكان الشرق حقيقاً بان يؤازر المستشرقين بالعمل لكنَّ اهل الشرق قد شُغلوا عن ذلك بما صرفهم في نشر التآليف الجغرافيَّة القديمة اللهمَّ الَّا القليل منها . وهذه المطبوعات نفسها خالية من النظر الانتقادي لا ترى فيها شيئاً مما يدلّ على البحث والتنقير كالروايات المختلفة والمقابلة مع النصوص المتشابهة والفهارس الواسعة . ولا نستثني من هذا النقد طبعة صبح الاعشى للقلقشندي التي ابرزتها آخرًا المطبعة الخديويَّة وان كانت تفضل غيرها من الطبعات الشرقيَّة في هذا الباب . لكنَّ همَّة المستشرقين قد سدَّت هذا الخلل في ما نشروهُ في المانية وفرنسة من النصوص الجغرافيَّة

وبين البلاد التي اصابت السهم الافوز في نشر التآليف الجغرافيَّة بلاد هولندة. فانَّ هناك طُبع ذلك المجموع الفريد في ثمانية مجلَّدات المعروف بمجموع جغرافيي العرب (Bibliotheca geographorum arabicorum) وقد قام بهذا العمل رجلٌ همام من كبار المستشرقين احرز له بذلك مجدًا اثيلًا ألا وهو العلّامة دي غوي (de Goeje) احد اساتذة كليَّة ليدن. وقد اودع هذا المجموع اجلّ المصنَّفات كالمسالك والممالك للاصطخري ولابن حوقل والمسالك والممالك لابن خرداذبه ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني وكتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته والتنبيه والاشراف للمسعودي وكتاب البلدان لابن الواضح اليعقوبيّ. وممَّا سعى بطبعهِ داود مولّر من اساتذة ڤينَّة كتاب صفة جزيرة العرب. ولكلّ هذه التآليف حواشٍ وتذييلات معتبرة وفهارس واسعة فضلًا عن جداول لغويَّة للالفاظ الغريبة والمفردات العويصة التي تفرَّد بها بعض الكتبة دون البعض. وفي هذه الجداول من الفوائد ما لا يُنكَر ومن شأنها ان تساعد على تأليف معجم مطوَّل للغة العربيَّة يكون مبنيًا على النصوص القديمة لا يكتفي فيهِ صاحبهُ بنقل القواميس السابقة

ومن افضل ما عُني المسيو دي غوي بنشرهِ كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للامام شمس الدين المقدسي فانَّ في هذا الكتاب من المحاسن ما لا تراهُ في غيره لاسيما في احوال الشام على عهدهِ اي في القرن العاشر ولذلك قد احببنا ان نكتب فيهِ فصلًا منفردًا في مقالة آتية (لهُ بقيَّة)

اثر جديد

لغبريال الثامن بطريرك الاقباط

نشره بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيه الاب انطون رباط اليسوعي

توْطئة

نشرنا على صفحات المشرق (٧ : ٨٥٣ و٨٨١ و٩٥٥) سبعة نصوص عربية لم تعرف حتى الان ولم يسبق طبعها. كنَّا نقلناها بالتصوير عن اصلها المحفوظ في المكتبة الفاتيكانية برومية العظمى. موضوعها رجوع الطائفة القبطية الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة في السنوات الاخيرة من القرن

السادس عشر . منها صورة ايمان البطريرك غبريال او جبرائيل قدّمها للحبر الروماني اقليمنتوس الثامن مع رسلهِ القمص غبريال رئيس دير المحرق والقس غبريال راهب دير الطير وبرسوم ارشيدياقون كنيسة الاسكندرية المرقسية . وقد عثرنا في هذه المدة الاخيرة على المذكرة التي اعطاها البطريرك الى مرسليه وهي محفوظة في رومية فآثرنا نشرها تتمة لما سبق معلقين عليها بعض الحواشي . اما المذكرة فهي هذه بحروفها

بسم الله الرؤوف الرحيم

المجد لله دايمًا ابدًا

الخلاص للرب يا الله الخلاص (١

ϧⲉⲛ ⲫⲣⲁⲛ ⲙ̀ⲫⲓⲱⲧ ⲛⲉⲙ ⲡϣⲏⲣⲓ
ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲡ̄ⲛ̄ⲁ̄ ⲉⲑⲩ ⲟⲩⲛⲟⲩϯ ⲛ̀ⲟⲩⲱⲧ

انا غبريال (٢ بطريرك مدينة الاسكندريّة وما معها أُعطي البركة للقمص غبريال

---

١) قد صدَّر البطريرك غبريال رسائلهُ بهذا العنوان على صورة مشتبكة اراد بها الكاتب التمثيل بالخط الكوفي او بالطغريات (المشرق ٦:٤ ٥٠ و ٧: ٨٥٥ و٨٥٧) اطلب ايضًا رسالته للبابا اقليمنتوس المؤرخة في ٣٠ برموده ١٣١٧ قبطية الموافقة لسنة ١٦٠١ ميلادية اي لاربع سنوات بعد تاريخ رسالتنا هذه نشرها بالطبع صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا في (Bulletin de l'Institut Egyptien, 26 Décembre 1904, 6ᵉ fasc. p. 205) وقد قرأ سعادته: «الحمد لله كالّا ابدًا الخلاص من الرب» ونظن انّ قراءتنا هي الصواب

٢) هو البطريرك غبريال الثامن خلف في حزيران سنة ١٥٨٥ البطريرك يوحنا المتوفى في ٥ ايلول ١٥٨٤ وكان قد سمع من الاب يوحنا باطيشتا اليانو اليسوعي حجج الدين الكاثوليكي فمال اليهِ . ولمَّا استتب اليهِ الامر اصلح كثيرًا من العوائد والاضاليل المنتشرة بين ذويه وسعى بارجاعهم الى الكنيسة الجامعة كما تشهد على ذلك رسائله التي نحن بصددها . وقد ذكرنا في كتابنا (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, T. 1, p. 207) انهُ هو ذات غبريال النائب البطريركي الساعي في اخفاق مساعي المرسلين سنة ١٥٦٢ و١٥٨٣ والراغب في التسلط على الكرسي البطريركي . لكننا عثرنا اخيرًا على رسائل تثبت ان الكاهن غبريال لم ينل مبتناه فنودي بالقمص شنوده بطريركًا

قال الاب ساكسو (Saxo) رفيق الاب اليانو في مقالة خطية ذكر فيها احوال الاقباط سنة ١٥٨٤ وموت البطريرك: Verum quoniam vita et mors in Dei unius potestate sita sunt, contigit ut, revertente illo [Patriarcha] diem suum obiret, Nonis Septembris, idque in quodam oppidulo unius vel alterius diei itinere a Cairi civitate.

الذي تعريبهُ: «ولمَّا كانت الحياة والموت في يد الله عزَّ وجلَّ وحده حدث ان البطريرك لقي

راهب دير المحرق (وكذلك القس غبريال راهب جبل الطير) (١ وكذلك للارشيدياقن برسوم كنيسة مار مرقس الانجيلي بارك الله عليهم · نعلمهم ان تكون هذه الورقة تفكرة

يومهُ الاخير في الخامس من ايلول (١٥٨٤) وهو عائد. وكان ذلك في قرية تبعد يوماً او يومين عن مدينة القاهرة »

وقال ماريانو مارياني التاجر في رسالة بعث بها من القاهرة في ٢٩ حزيران ١٥٨٥ الى الاب اليانو: Già tre giorni è stato nominato, per quanto si dice, nuovo Patriarca il *Comos Sunude*, ermita, ma per ancora non eletto . . .

الذي تعريبهُ: « منذ ثلاثة ايام قد سمي - على ما قيل - القمص شنوده الراهب بطريركاً جديدًا لكنهُ لم يُنتخب بعد. . . »

وقال باولو مارياني قنصل دولة فرنسة سابقًا ثم قنصل انكلترة وصقلية وفلورنسة وجينوا في رسالة من الاسكندرية (٦ كانون الثاني ١٥٨٦) بعث بها الى الاب اليانو: Il Patriarca nuovo dovrà venire quì nella quaresima per fare le ceremonie loro e pigliar possesso del Patriarcato,il che non si puo fare senon quì, in Alexandria ... e volendo haver informazione di questo nuovo Patriarca Gabriel, aliàs *abuna Sonude*, di V. R. benissime conosciuto e praticato nel deserto di S. Macario, *Gomos Iuanna*, (arciprete della chiese di S. Marco, e vicario quì del Rmo Patriarca), mi dice esser persona idiota, ma di buona mente, e che ha levato molti abusi che già eran tanto in uso fra loro che non facevan secondo il rito christiano, ma alla moresca, il che dice esser causato per mezzo di V. R. mentre che era nel deserto patricolarmente trattendone con questo eletto Patriarca et molti alii . . .

الذي تعريبهُ: ان البطريرك الجديد سيأتي الى هنا في زمن الصوم الاربعيني ليقيم الحفلات ويتبوأ الكرسي البطريركي وهذا الامر لا يمكن ان يتم الَّا في الاسكندرية. ولمَّا كنت اريد ان استطلع طلع اخبار البطريرك الجديد غبريال—الذي كان اسمهُ بونا شنوده - المعروف حق المعرفة من ابوتكم لمعاشرتكم لهُ في برية مار مكاريوس اخبرني القمص يوحنَّا (خوري كنيسة مار مرقس ونائب البطريرك في الاسكندرية) انهُ رجل بسيط لكنهُ ذو نيَّة سليمة وانهُ قد ابطل كثيرًا من العوائد السيئة التي تعلق بها الاقباط حتى انهم لم يكونوا يعيشون حسب الطقوس المسيحية. . . ويقول القمص ان هذا الاصلاح مرجعه لابوتكم عندما كان في البرية لانكم اكتسبتم هذا البطريرك المنتخب وغيره كثيرين. . » وذكر الكاتب بُعَيد ذلك عددًا من العوائد المتعلقة بعقد الزواج والطلاق الخ. وسننشر هذه التفاصيل في الاجزاء اللاحقة من مجموعنا ان شاء الله

١) قد زيد هذا الاسم على الهامش كما في الرسائل التي سبق نشرهـا (المشرق ٧: ٨٥٦) لكن النص لم يبدل فيه شيء فبقي في بعض الفِقَر على صيغة المثنى كما سترى

يديهما لاجل ما نحتاجهُ من المصالح في مدينة رومية والوصية لهم بما يعملوه . اول كلّ شيء بان يكونوا ادباء حكماء عفوفين ماشين بخوف الله حافظين وصاياه طاهرين النفس والجسد ويكونوا كلمة واحدة ومحبّة واحدة ورأي واحد بالصلح والسلامة حتى ان جميع من يراكم على هذه الصفة يشكر الله اولًا ويمدحكم على حسن صنيعكم . ولا تدعوا احدًا يشك من قبلكم . واذا اكلتم هذه الوصايا صار لنا بياض الوجه من قبلكم . وتكونوا وكلاء عني في تقبيل اجساد ماري بطرس وبولس وجميع القديسين الذين بمدينة رومية المقدسة وتدوروا على جميع اخوتي الكردنالات وتقبلوا لنا اياديهم . وقد نوصيكم الوصيَّة التامّة بأن لا تخرجوا عن طاعة وكلائي ووكلاء شعبي وهما كردينال دكوموا وكردينال سان جرجس (١ وما تفعلوهُ يكون بدستورهم وارادتهم . ولا تدعوا احدًا يخدمكم من التراجين الّا من تراجين كتّاب (٢ جبل ليبَنوا (٣ الذين هم المارونيين فانهم من اقاربنا وعارفين بلساننا واصحابنا (٤ ولا يكون لكم عشرة باحد من ما يصلح . وتكونوا حافظين ناموسكم وحرمتكم فان مقامكم من مقامي . وانكم تقبلوا لنا ايادي السيد البابا وتسألوا من تفضلاتهِ واحسانهِ بان ينعم علينا ويتصدق في كلّ سنة بترتيب جامكية (٥ فاننا في غاية الضيق والشدَّة وما تحتاجه كنائسنا واديرتنا والفقراء والمساكين والارامل والايتام والذين بالسجون والحديد بسبب الجوالي (٦ وغيرهم . واذا فعل ذلك يكون وسيطاً وسبباً في فكهم من اليسر [الإسر] وخلاصهم بدين المسيح . وبالا كثر ما يحصل على الكنائس والديورة من

١) هما الكردينالان de Saint - Georges و de Côme

٢) كتَّاب ج كتاتيب وهو موضع التعليم او المدرسة

٣) يريد المدرسة المارونية الرومانية التي انشئت قبل تاريخ هذه الرسالة بسنين قليلة وقد عجبنا لكتابته « جبل ليبَنوا » بدلًا من لبنان مع ما يظهر الكاتب من المعرفة في اللغة العربية على خلاف عادة الكتَّاب النصارى في تلك الازمنة فكأنّنا بهِ قد سمع فاكياني وغيره ينطقون بالكلمة نطقًا افرنجيًّا فنقلها كما سمعها

٤) لا ندري ما يكون وجه القرابة والصداقة بين الاقباط والموارنة في تلك العصور ولم نعرف حتَّى الان علاقة بين الامتين خلا الاصل الشرقي والتكلم باللغة العربية ولعلَّهُ يريد فقط قرب مصر من جبل لبنان

٥) كلمة فارسية ج جوامك معناها عطية وجعالة ومعاش ترادفها لفظة علائف في كتب القرون المتوسطة

٦) مفردها جالية يراد بها الجزية والضرائب والغرامات

المغارم في كلّ حين. وانتم يا اولادي تعرفوا ذلك اكثر مني ومن فكم تعرّفوا السيد البابا عن ذلـك . فان السيد المسيح اعطاهُ السلطة على سائر المسيحيين وابوهم وابونا نحن ايضاً وحيث ما هو ابونا فيساعدنا في ضيقنا الذي نحن فيهِ لأنّا نحن عتقنا بذم المسيح مثل اخوتنا المسيحيين الذين برومية وغيرها. وقدس الأب يعدّنا واحد من جملة الذين عندهُ لكون ان صدقاتهِ كثيرَ (كذا). واذا كان عنده الف او اكثر نصير واحد من جملتهم. وتعرفوا السيّد البابا بان يعمل معنا هذه الرحمة اكراماً للاتحاد المقدّس الذي صار بيننا. ونحن بقوّة الله تعالى اذا صار انعامه علينا وتفضلاته واصلة الينا في كلّ سنة نفتح كتّاب وندع (كذا: نضع) فيهِ معلمين يعلّموا الشعب ويعظوهم بالتعـاليم المسيحيّة ليزداد الايمان الكاثوليكي وينتشر في سائر ارضنا وبلادنا (١ ثمّ تسألوا لنا من قدس الاب ان قد بلغنا ان سائر الطوائف المسيحيّة لهم كتّاب وكنائس بمدينة رومية (٢ فيفتح لنا كنيسة لطائفة الاسكندرانين والمصريين ليصير لنا تذكار في زمانهِ المبارك (٣ وبعد ذلك يقدّرنا الله سبحانه وتعالى على تجهيز بعض قسوس وشمامسة وخدّام يخدموا تلك الكنيسة ويصلّوا فيها ويطلبوا من الله لنا ولشعبنا لكون حتى لا نصير ناقصين عن الطوائف الذي هناك. وتطلبوا لنا منهُ كتب اناجيل وكتب القديسين وكتاب اصل المجامع المقدّسة

١) يريد مدرسة. وقد وعد البطريرك هذا الوعد لمعرفته عظيم رغبة الكرسي الرسولي في تعليم الاحداث الشرقيين على مبادئ الدين المسيحي. وقد الحّ الاحبار اشدّ الالحاح على سلفاء غبريال الثامن برغبوهم في تهذيب الناشئة ويسهلون عليهم السبل لذلك (اطلب ما نقلناه في كتابنا Documents inédits T. I,) صفحة ٢١٥ و٢٥٤ و٢٥٨ و٢٦١ و٢٦٤ و ٣١٤ و٥٢١ و٥٢٥ وقد ذكرنا في مواضع اخر نصوصاً كثيرة تتعلق بتهذيب الاولاد من سائر الطوائف المسيحية

٢) من اعمال البابا غريغوريوس الثالث عشر الجليلة انشاؤه مدارس لكثير من الامم والطوائف وسعيه في نشر العلوم الدينية بين الشرقيين والغربيين. وقد حذا حذوه البابا لاون الثالث عشر فجدد ما اندثر من آثار هذه المرابع العلمية وزاد عديدها فاصبحت رومية العظمى واسطة عقد العلم كما هي قاعدة الدين

٣) جاء في رسالة للاب خريستوفور رودريكس كتبها من القاهرة بتاريخ ٧ نيسان ١٥٦٢ ان البطريرك غبريال السابع عازم على ارسال اثنين من رهبانهِ ليقيما في الكنيسة التي انعم جا عليهم قداسة الحبر الاعظم (اطلب مجموعنا Documents inédits, T. I, صفحة ٢٨٤) ولم نجـد تفاصيل عن هذا الشأن. ونرتأي ان الامر لم يخرج الى حيز العمل لان الاقباط رفضوا الايمان الكاثوليكي. وقد حظي الاقباط برغوبهم في الربع الاوّل من القرن الثامن عشر

وبالاكثر المجمع الخلقيدوني يكون ذلك بالعربي (١ ويختم لنا كتب العتيقة والحديثة بلسان المصريين لاجل ما تفعل بهم القدّاس (٢ واذا كتب لنا مكاتبات فيقول فيها بطريرك مدينة الاسكندريّة لا غير لانّ الرسول بولس كتب للقرنتانيين يقول من هو كافا ومن هو افلو بل نحن للمسيح ويكفانا ان نعرف بالمسيحيين المصريين (٣ وقد اعلمكم يا اولادي لان تكونوا محبين طائعين الولد المبارك جرينموا وتكونوا معهُ كالاخوان فانهُ تعب معنا في هذه المصلحة التعب الزائد (٤ السيد المسيح يعوضهُ في الملكوت عوض ذلك. ونعلمكم ايضاً يا اولادي المباركين ان تكونوا عوضنا وعوض شعبنا تتكلّموا من فكم كأنهُ من فمنا بان تسألوا قدس البابا بان ينعم ويتفضل بكتابة مكتوب لسلطان الفرانسة وكراندوكا دي فرنسا (٥وجميع البلاد الذين يجي منها التجار لارض مصر (٦ بان يخلو سيمون (٧ قنصل في ارض مصر كون فيه الرحمة والصدقة على طائفتنا وقاضي مصالحنا وبالاكثر انهُ في خدمة البابا ومصالحهِ بما يجب وليس عندهُ

١) لا نعرف من هذه الكتب العربية مطبوعاً في ذلك العهد سوى كتاب الاناجيل المقدسة (المشرق ٣ : ٨١) اما المجمع الخلقيدوني فقد طبع باللغة العربية برومية سنة ١٦٩٤ لفائدة « طائفة القبط المكرّمين وطوائف للحبش الموقرين وغيرهم من الطوائف الشرقيين المنورين » . نقلهُ الى العربية عن نسخة المجمع الاصلية المحفوظة في خزائن كتب مار بطرس الأب فرنسيس ماريّا الفرنسيسي من مدينة سالم وقدمه الى انبا يوحنا بطريرك الأسكندرية والى الاكليروس والشعب القبطي والحبشي. وقد فحصهُ القس داود دي سان شارل الكرمليتاني (اطلب Documents inédits, T. I, ١١٩ و١٣٠ و٤٥٨) والقس بطرس مبارك الراهب الماروني وكيل بطريرك الموارنة وذلك سنة ١٦٩٢

٢) على مثال كتاب القدّاس الذي طبع برومية لفائدة الموارنة واحضر الاب دنديني اربعة صناديق مملوءة منهُ وذلك في السنة السابقة لتاريخ هذه الرسالة

٣) لعلهُ يريد ان يختص بهِ اسم بطريرك الاسكندرية بمعزل عن الملكيين فلا يزاد « من طائفة الاقباط » كما جاء في رسائل الاحبار الرومانيين Patriarchæ Alexandrino, nationis Cophtorum (اطلب مجموعنا Documents inédits, T. I صفحة ٢٢٤)

٤) جيرونيمو او جيرولامو فاكياتي Girolamo Vecchietti (اطلب المشرق ٧ : ٨٥٧ و٩٠٠) ولا تخلط بينهُ وبين اخيهِ يوحنا باطيشتا الذي جاء ذكرهُ في صورة الايمان (المشرق ٧ : ٩٠١) وكلاهما سننشر لهما آثاراً مفيدة

٥) Grand Duc de Florence او فيورنسه

٦) اخصها فرنسة وانكلترة وصقلية وجينوا وفلورنسة وهولندة وراغوسا

٧) ربما كان يُنازَع على القنصلية كما نوزع باولو مارياني بسعي فانتو Vento فكان خلافهما سبباً لشرّ الويلات على المرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين سنة ١٥٨٥

غفلة. وقد رسمت وامرت الولد المبارك الكاهن المؤتمن الراهب الناسك القمص غبريال (والقس غبريال) (١ وكذلك الارشي‌دياقن برسوم بان يتقدموا ويخدموا السراير المقدّسة الجسد الطاهر والدم الذكي بخوف ورعدة وخشية من الله على جاري عادتنا الجارية بالكنيسة الاسكندرانيّة من غير زيادة ولا نقص ويكون ذلك فوق اجساد القديسين ماري بطرس وبولس باسمي انا الحقير غبريال الخادم بنعمة الله تعالى كرسي مار مرقص الانجيلي. فالاولاد المباركين المشار اليهم اعلاه يعتمـدوا ذلك ويحفظوهُ في قلوبهم ولا يخالفوه ولا يحيدوا عنهُ لا يمين ولا ايسار. وقد نسأل السيّد المسيح صاحب كنوز الرحمة والنعمة الذي ارسل ملاكهُ رفائيل عاضدد طوبيت في طريقهِ يكون معكما ويدبّر أُموركما في المضي والعودة وانتم سالمين طاهرين النفس والجسد وتكونوا مباركين من فم الثالوث القدس الآب والابن والروح القدس الواحد في الذاتيَّة ومن فم آبائنا الرسل القديسين الاطهار الحواريين الابرار ومن فم خلفائهم السادة البطاركة والاساقفة والكهنة ومن فمي انا الحقير غبريال السابع والتسعين في عدد البطاركة الخادم بنعمة الله الشعب المسيحي بمدينة الله الاسكندريَّة ومصر والحبشة وما معهم من المدن والضيع والقرى بطلبات وشفاعات معدن الطهر والبركات الست السيدة العذرى الطاهرة مرتمريم (٢ وسائر طقوس الملائكة والآباء والانبياء وآبائنا الرسل والشهداء والقديسين والسوّاح والمجاهدين وسائر من أرضى الرب ويرضيهِ باعمالهِ الصالحة الآن وكلّ اوان والى دهر الداهرين. وسلام الرب يحلّ عليكما والنعمة والبركة والتحليل والغفران يكونا لكما. آمين والشكر لله دائمًا ابدًا
كتب يوم الثلاث المبارك تاسع شهر.. (٣

١) على الهامش

٢) السيدة مريم وهو تركيب سرياني محض لكنهُ جرى على السنة سائر الطوائف كالاقباط والروم الملكيين (المشرق ٧: ٨٥٧) وشهادة بطريرك الاقباط متاووس في ٥ مسري سنة ١٣٨٨ قبطية (١٦٧١ ميلادية) وفي ١٨ هاتور ١٣٨٨ (المشرق ٦: ٥٠٦ و٥٠٩) ورسالة البطريرك الملكي مكاريوس الى ملك فرنسة في ١٥ شباط ١٦٦٣ (المشرق ٦: ٥٠١)

٣) قد مُزّق طرف الرسالة لكن الموضوع والمقابلة بين هـذه المذكرة وبين الرسائل التي نشرناها يسهل تتميم التاريخ كما جاء في المشرق (٧: ٨٥٧) اي: «.. شهر طوبة سنة الف وثلثماية وثلاث عشرة للشهداء الاطهار رزقنا الله تعالى بركتهم وذلك كان بالوجه القبلي بمدينة ابنوب. ولله الشكر امين

انطوان وكليوباطرة (١

نظر للاب ر. موترد اليسوعي

ولّى الرومان عليهم في اواسط القرن الاوَّل قبل المسيح ثلاثة حكَّام وبعد عشر سنوات اذعنوا الى كلمة حاكم واحد دُعي عاهلًا او بالأحرى مقدماً وبقي الامر على هذا المنوال منذ عهد اغوسطوس. فدبَّ روح الطمع في صدر اثنين من أولئك الولاة وهما أكتافيوس الذي تبنَّاهُ يوليوس قيصر وانطوان القائد ذاك الذي اباح لهُ قيصر بغوامض اسرارهِ. فنشأت بين الاثنين مغايرة سالت لها الدماء كالانهار. وقد وضع في ايامنا هذه العالم ج. فيرّيرو في المجلّد الرابع من مؤلّفهِ «في عظمة وانحطاط رومة» بحثاً ضمّنهُ اخبار تلك المشاحنة ودعاهُ «بتاريخ انطوان وكليوباطرة». فمن عنوانهِ يُستدلّ ما كان للشرق عموماً ولمصر وملكتها خاصَّةً من اليد في الامور التي جرت من عام ٤١ الى عام ٣١ قبل المسيح. واما العالم فيرّيرو فانهُ درس التاريخ درس رجل عالم بالابحاث الاقتصاديَّة ومطّلع على ما ينتاب الانسان والامم من الاهواء والتقلّبات. ولهذا أتى بحثهُ جامعاً لشتات الفوائد مناقضاً في بعض فصولهِ لما كنَّا نظنهُ الى الآن عين الحق. فرأينا والحالة هذه ان نتحف القرَّاء بخلاصة ابحاثهِ في هذا الصدد

قال في الصفحة السادسة من كتابهِ: كانت مصر في مقدّمة العالم اقتصادًا وعلماً زاهرةً بالزراعة حافلةً بالصنائع كثيرة الاتجار. شُيّدت فيها المدارس الشهيرة وأُتقنت فيها الفنون ولقد خصَّها الله بالخصب وعُرف سكَّانها بالجدّ فاعملوا فيها ايدي العمارة. فمنها كان يؤْخذ كتَّان أشرعة جميع السفن الماخرة عباب البحار وكانت غلّاتها تقوم بعوز اهلها وبحاجات الامم المجاورة لها. وما من شعب على شواطئ البحر المتوسط جارى المصريين في الصناعة فاشتهر الاسكندريُّون بحياكة الانسجة الثمينة وبتركيب الطيوب وصبّ

١) G. FERRERO: **Grandeur et décadence de Rome. — IV.** ANTOINE ET CLÉOPATRE. Traduit de l'italien par M. U. Mengin. — *Paris, Plon-Nourrit et* C[ie]. 3[e] édition, 1906.

الزجاج وصقل البردي. واننا لنضرب صفحاً عن اشياء كثيرة كان التجار يذهبون بها الى كلّ صوبٍ ويبيعونها فتدرّ عليهم بالارباح. وجمعت مدارسها انواع العلوم فأمّها الطلبة من كلّ فجٍ حتى من البلاد اليونانيّة للاطّلاع على اسرار الطب والفلك والبيان وكانت تلك المعاهد العلميَّة اوانئذٍ على نفقة الحكومة. ولم تكتفِ مصر ببيع ما يخرج من معاملها الصناعيَّة وباستجلاب الذهب والفضة والنحاس وغيره من المعادن بل انها استأثرت بمعظم تجارة الهند والشرق الاقصى

ولكنّ لكلّ امرٍ آفة وآفة مصر إذ ذاك كانت حالتها السياسيَّة والاجتماعيَّة فانَّ الانانيَّة تسرَّبت بين طبقات الشعب وضربت على كل عاطفة شريفة فاصبح اهل البلاد لا نزاهة عندهم ولا كلمة تجمعهم الى ما فيهِ الخير العام ولم يكن ارباب الامور باعظم دراية واشدّ انفة من غيرهم فما كانوا يثبتون على رأيٍ ولا يهيمون إلّا بالدينار وكلّ ما سواهُ ينبذونهُ ظهريًّا فاضحوا ولا جيش يحميهم من سورة الاجانب ويكون لهم نصيرًا اذا ما شُنَّت عليهم الغارات. كثرت اذ ذاك رجال العلوم والعقول في مصر ولكنَّهم لم يعقدوا الخناصر على القيام بوجه رومة بل حاولوا ردَّها على الاعقاب بالدسائس والمكائد الخفيَّة حينما كانت المناضلة عن حقوقهم فرضاً لهم لازبًا لان مصر في تلك الايام كانت المملكة الوحيدة التي لم تكن امتدَّت اليها ايدي الرومانيين انَّما غناها وفراغ خزينتهم استلفتا اليها انظار العداة فلا غروَ انَّها تصبح عن قربٍ فريسة طمعهم

ولم تفت هذه الامور ادراك الملكة كليوباطرة فعزمت على ابرام محالفة مع رومة وذلك باقترانها بيوليوس قيصر انما مساعيها ذهبت ادراج الرياح فانحازت الى القائد انطوان ورغبت بان تكون زوجةً لهُ ظنًّا منها انهُ اذا ما قام معها انطوان بعبء المُلك قامت جيوش رومة بالدفاع عن مصر وبقيت البلاد على استقلالها وصارت على أمن من غوائل الدهر. فأجاب القائد الى رغبة الملكة. ألّا انهُ لم يتمّ الامر على ما عهدناهُ الى الآن تبعاً لرواية المؤرخين. فقد اثبت ج. فيرّيرو ان انطوان تردَّد حيناً قبل الاقدام على هذا العمل الخطير لعلمهِ ان أُمتهُ وجيوشهُ سينظرون الى هذا الزواج بعين الاستياء ويعدّونهُ خيانةً وحماقةً. غير ان الحاجة الجأتهُ ألّا يحفل بهذه الوساوس لانهُ كان صفر اليدين من الدراهم ولم يبقَ لهُ ولا لمن شاطرهُ السلطة ادنى

مهـابة لدى القاصي والداني ولهذا عزم الولاة الثلاثة على فتح بلاد الفرس استرجاعاً لسطوتهم واستدراراً للاموال. وكان يوليوس قيصر سبق فأشار الى هذه الوسيلة ووضع خطّةً للحرب ذكر فيها مفصّلاً عدد كتائب الجيش والطرق التي تمرّ عليها جحافل رومة. فلا جرم ان خطّة كهذه رسمها اعظم قائد تلك العصور كانت ضامناً وثيقاً للنجاح. انما القيام بها يستغرق مبالغ طائلة لاعداد الميرة وتهيئة عُدَد الحرب ووظائف الجند وكلّ ذلك تكفّلت بهِ الملكة كليوباطرة على شرط ان يتخذها انطوان زوجةً لهُ

ولم يمكث انطوان في مصر إلّا الزمن اليسير ثمّ رحل عنها متغيباً ثلاث سنوات وذلك لردّ غارات الفرس لانهم زحفوا من مدينة كتيزيفون ابّان فصل ربيع عام ٤٠ قبل المسيح واستولوا على سوريّة وفلسطين وقيليقية وفينيقية ما عدا صور. وفي تلك الأيّام اجتمع مرّتين مع قوّاد جيوش رومة واتفق معهم على القيام ببعض مهامّ حربيّة. وعند منتهى السنة عينها تقاسم واكتاڤيوس العالم الرومانيّ فاشارت عليهِ كليوباطرة ان يؤثر اقطار الشرق الغنيَّة ويترك لقرنهِ ايطاليا وما يجاورها من الامصار الاوربيّـة. وبعدما استولى على أُورشليم وسلّمها لهيرودوس سنة ٣٧ قبل المسيح تـأهّب للزحف على الاعداء. ولكنّهُ سافر فجأةً الى جزيرة كورفو وما كاد يطأُ ارضها حتى ارسل زوجتهُ اكتاڤية اخت اكتاڤيوس واولادها الى رومة واوعز الى احد اصدقائهِ ان يذهب الى كليوباطرة ويدعوها للاقاتهِ الى سوريّة فتمّ الامر على رغبتهِ. وفي غرّة عام ٣٦ أُقيمت الافراح في مدينة انطاكية وعُقد للقائد الروماني على ملكة مصر. فأهدى انطوان لزوجتهِ جزيرة قبرس وبعض سواحل فينيقية ومغارس نخل اريحا واقطعها عدّة غابات في جزيرة كريت وبلاد قيليقية. واما كليوباطرة فانّها فتحت امامهُ خزائن مصر ليأخذ منها ما يقوم بنفقات الحرب. وجرت حفلة الزواج على مقتضى عادات ملوك مصر غير ان انطوان حافظ ابدًا على لقبهِ فعُرف دائماً بالوالي الروماني. ولم يتظاهر امام شعبهِ حتى في تلـك الأيام انّهُ طلّق اكتاڤية واقترن بامرأة اجنبية. وخلاصة القول ان انطوان وكليوباطرة عقـدا هـذا الزواج لغايات شخصيَّة واضمر كلٌّ منهما ان يستخدم الآخر لبلوغ اربهِ دون ان يقابلهُ بنفعٍ يُذكر

زحف انطوان في مائة الف جنديّ وذلك في شهر حزيران سنة ٣٦ قبل المسيح وعسكر على مقربة من مدينة ارزروم ثمّ دارت رحى الحرب بينهُ وبين قاطني البـلاد

احلاف الفرس فخامت فرسان الاعداء عن الايقاع بهِ لوعورة الطرق وكثرة الجبال . فلمَّا هبط الجيش الى السهول وحاصر القائد مدينة فراسيه قامت العقبات بوجههِ واستولى العدوّ على ما كان عندهُ من آلات الحرب واما هو فانهُ عجز عن اخذ المدينة عنوةً لكنَّهُ حفظ جنوده سالمين ورجع بهم القهقرى مسافة ٥٠٠ كيلومتر

فبذلت كليوباطرة جهدها لتجني ثمرة حبوط زوجها لانها علمت حقّ العلم انهُ لو كان فاز بالغلبة على الفرس ودوَّخ بلادهم لأعرض عن محالفة مصر . فرأت اذن ان لا بدَّ من اعمال الفكرة لابعاد خطر كهذا في المستقبل ولصدّ القائد عن الرجوع الى محاربة الاعداء ولصرف همَّتهِ الى اقامة مملكة مصريَّة عظيمة الشأن رفيعة الكلمة معزَّزة لا تنالها يد ولا تتناولها الغوائل . فاخذت تزيّن لهُ فتح بلاد ارمينية وتحضُّهُ عليهِ لما يكون وراءهُ من الفوائد فاذعن لمشورتها وخرج بجيشهِ في ربيع سنة ٣٥ فكان النصر اليفهُ . ولدى رجوعهِ الى الاسكندريَّة أُقيمت الاعياد احتفاءً بهِ واجلالًا لهُ وخُتمت بحفلةٍ انست كلَّ ما تقدَّمها . فنُصبت لانطوان ولكليوباطرة واولادهما اريكة من الفضة على مرأى من الشعب فلمَّا ارتقاها نادى بكليوباطرة وقيصريون ابنها وابن يوليوس قيصر ملكَي الملوك ثمَّ قسم بينهما وبين اولاده الثلاثة الذين رُزقهم من كليوباطرة بمملكة الاسكندر وبعض الاقاليم الرومانيَّة . فأتى الامر مجحفاً بحقوق رومة ومناقضاً لعظمة سلطانها ومع ذلك لم يزل القائد مثابرًا على خطَّتهِ القديمة فكان يكتب الى مجلس أُمتهِ ويتظاهر انهُ احد ولاة الرومانيين . ولم يجاهر بطلاقهِ لاكتافية بل كان يُوهم انهُ يشاطر كليوباطرة السلطة العامَّة لا غير وهو يثق بمصادقة بني جلدتهِ على ما اقطع لكليوباطرة واولادها عادًّا كلَّ ذلك كنظام جديد لاقاليم الشرق

فلا عجب اذا كانت هذه الحوادث اقلقت خواطر شعب ايطالية . ولهذا نهض حينئذٍ اكتافيوس وصمَّم العزم على مناجزة قرنهِ لانهُ اذا ما استولى انطوان على مملكة الفرس واضاف تحفها واموالها الى ما جمعهُ من الذهب والفضَّة في مصر وارمينية اصبح استقلال رومة في خطر مبين . وكان اكتافيوس فيما سبق منهمكاً باللَّذات غير ان هول المقام انهضهُ من رقدتهِ وخوَّلهُ حزماً لم يكن يعهدهُ من نفسهِ فانتصب مدافعاً عن حقوق البلاد وصوَّب سهم الملامة على اعمال خصمهِ وآلى ألَّا يدع حرمة الشرائع تُنتهَك ويلحق مجد الشعب الروماني شائبة ما وسأل اخيرًا مجلس الشيوخ ان يعطيهُ قسماً من مصر لانهُ على زعمهِ

اصبحت اقليماً رومانياً . فعضده الرأي العام عازياً الى كليوباطرة النيّة بالاستيلاء على ايطالية وروما

فحاولت ملكة مصر جهدَ الاستطاعة في سبيل الدفاع عن بلادها ولذا امرت بجمع الاقوات والثياب وباحضار عدّة الحرب ثمّ اخذت من الخزينة عشرين الف مثقال وهو مبلغ يوازي في ايامنا نحو مئة مليون من الفرنكات وركبت متن البحر وذهبت باسطول ضمّ مئتي سفينة ولحقت بزوجها المقيم اوانئذٍ في مدينة افسوس وكان ذلك في اواخر سنة ٣٣ قبل المسيح

وكان عامل السلم وعامل الحرب يتنازعان القائد انطوان لان كثيرين من اصحابه خرجوا من رومة واسرعوا للملاقاته وكلهم رغبة بالصلح وسكينة البلاد انما خافت كليوباطرة ان يتحوّل الوئام بين الخصمين الى وفرٍ ثقيل عليها فصرفت جلّ العناية لتحمل زوجها على ان يجاهر بطلاقه لاكتافية فافلحت . وكان انطوان إذ ذاك يفكر في امر المدافعة عن اقاليمه ففرّق جنوده في عدد عديد من الامصار ولم يجمعها جيشاً عرمرماً يسير به لمصادمة كتائب قرنه ولدى مفاجأة اكتافيوس له تحصّن في معكسره بأكسيوم وفي تلك الاثناء علمت كليوباطرة انّهُ اذا ما نال زوجها اكليل الظفر فسيؤمّ مدينة رومة لاصلاح الخلل وارجاع الامن بين الشعب وتوطيد دعائم السلم في المملكة وبذلك يكون خراب مصر فاقنعته بالاياب معها الى الاسكندريّة دون ان يناجز خصمهُ القتال إلّا في البحر فتكون المعركة بين الاسطولين كستر يحجب هربهما . غير ان بعض اماثل الرومانيين من اصحاب انطوان اطّلعوا على هذا القصد فقاوموهُ وادّى بهم الامر الى مخاصمات عنيفة مع كليوباطرة حتى انّ القائد خاف ان الملكة تغضب عليه فتسمّهُ . ولمّا اشتبكت المعركة بين الاسطولين هبّت ريح شمائلية وللحال اقلعت كليوباطرة بسفنها ومرّت بجرأةٍ بين مراكب المتقاتلين وتوجّهت نحو بلاد البيليبونز وعندئذٍ ركب انطوان مركباً ذا خمسة صفوف من المجاذيف ولحق بها

وتردّد اكتافيوس في شأن مطاردته وبذلك خوّلهُ وقتاً ثميناً ليتأهّب به للدفاع لكنّ انطوان لم يثبت على خطّة واحدة بل كان يُبطل اليوم ما امر به الامس . ولما اقترب اكتافيوس بجيشه من الاسكندريّة اخذت كليوباطرة تعلّل النفس بحفظ مصر تحت سلطتها اذا ما خانت زوجها واسلمته الى عدوّه اما هو فانهُ يئس الحياة وانتحر . وبعد

أيّام قلائل تحققت الملكة ان اكتافيوس سيأخذها اسيرةً ويعرّضها يوم ولوجهِ رومة لهزء الشعب وسخريّتهِ فآثرت الموت على الذلّ. فوجدها اعوانها يوماً مضَّجعةً على سرير ثمين وقد تزيّنت بحلاها ولبست أفخر ثيابهـــا وهي جثَّة بلا حراك وعن يمينها غلام قد قضى نحبهُ وعن يسارها غلام ثانٍ في آخر رمق من الحياة

وضمَّ اكتافيوس مصر الى اقاليم رومة ولكنَّهُ تحاشى كلَّما يذّلل كبر المصريين فتظاهر انهُ الملك الجديد على البلاد والخلَف الشرعيّ لسلالةٍ قد انقرضت . واقام نائباً عنهُ ليحكم بين الشعب وامرهُ ان يتخلّق ما استطاع باخلاق من يدير شؤونهم. لكنّما نزلت بثروة مصر نازلة كادت تودي بها فغُرِّم كلّ فرد من السكّان سُدس مالهِ وأُكرِهَ الاغنياء على دفع مبالغ عظيمة وأُخذت آنية الذهب والفضَّة المحفوظــة في المتاحف وضُربت نقوداً وقبض اكتافيوس على خزائن ملوك مصر واقتسمها مع اصحابهِ واعوانهِ ثمَّ أقفل راجعاً الى رومة وسكتت الارض امامهُ. فسبحان من يدوم ملكهُ لا إله سواهُ

المَرْيَمانيَّة أو البَرْبرانيَّة

لحضرة الاب انستاس الكرمليّ

١ تمهيد

اذا نكَّب المرء عن جوادّ الحق الرَّحبات. اخذ للحال في وادي جَدَبات. او رَقي من فورهِ نَقباً كُلُّهُ عَقَبات. وهيهات يصل الى ما يقصدهُ من الغاية المطلوبة والف مرّة هَيهات. ولاسيَّما اذا كان يصل السَيْر بالسُرَى في مثل هذه المهايع الكاذبة. بعيداً عن الطُرُق اللاحِبَة

فلقد نشأ في حجر النصرانية بدع مختلفة متباعدة بعضها عن بعض او متدانية بعضها من بعض. في انحاء شتى من اقطار الارض. فتضاربت وتحاربت في ما بينهـــا. فضعُفَ شَيْنُها فقوَى ذلك زَيْنَها. ومات منها ما مات. وبقي منها الصحيح او ما اشبهـهُ ببعض الصفات. امَّا ما كان منهُ بعيداً عن الحقّ. بُعدَ الرتق عن الفَتْق. فقد زال وانقرض . ولم يبقَ منهُ أثر جوهر او عَرَض. ومما يدخل هذا الباب بدعةٌ عبدت مريم العذراء عبادة

تقرب من عبادة ربّ الارباب . كأنهـــا تذكرت كلاماً منسوباً الى القديس ديونيس الاريوفاجي القائل : « ان العذراء حسناء ايّ حسن حتى انهُ يبهر العيون. ولولا علمي ان الله واحد لعبدت العذراء عبادة إله السماء » فاصلحت هذا الكلام بان ادّت للعذراء عبادة حقيقيّة وقرّبت القرابين لها . سامحهم الله على هذه الجريرة الكبيرة الصادرة عن جهل اكثر من ان تكون صادرة عن فكر او بصيرة. ولاسيّما اذا علمنا ان القائلين بهذه المقـــالة هم من اعراب البادية لا غير

٢ اسمهم ومعتقدهم

قد اختلفت الرواية في تسميتهم ومهما اختلفت فلا تبعـــد عن الصحة ابدًا. فمنهم من سمّاهم المَرْيَمونية نسبة الى مَرْيَمون تصغير تحبيب او تعظيم لاسم مريم على الطريقة الإرَميَّة . وممّن ذكرهم بهذه اللفظـــة صليبا بن يوحنّا القسيس الموصلي في كتابهِ « رسالة البرهان والارشاد. الى المحبة ثمرة الدين والاعتقاد » أو كتاب إسفار الأسرار (راجع المشرق ٧ : ٥٨٦ و٩٨٥) في ص ١٨٣ من نسختنا وهذا نصُّ كلامهِ :

« المريمونية (١ هؤلاء كانوا قوماً يعتقدون في مريم انها إله ولدت المسيح الذي هو إلهٌ حقٌ من إلهٍ حقّ ابن جوهر ابيهِ وابن جوهر أُمهِ الذي كان ظهورهُ للعالم بالولادة منها بجملة كليتهِ

« واحتجوا على ذلك وقالوا : انما كان ابن الإله إلهًا لانهُ من جوهر والدهِ. واذا كان ذلك كذلك فغيرُ إلهٍ لا يَلدُ الهًا لو كنتم تفهمون. واهل هـــذا الرأي كان لهم في كل سنة يوم معروف يجتمعون فيهِ ويقيمون الصلاة ويتخذون قُرْصَةً واحدةً من خبز السميذ الفائق البياض ويقدمونها قرباناً على اسم السيّدة مريم. اه »

وقد سمّاهم البعض « المَرْيَمانيَّة » نسبة الى مَرْيَم على الطريقة الإرَمية. وهي لغة مقبولة. وقد ذكرها بهـــذه الصورة ابن تيمية في ردّهِ على النصارى المسمّى « بالجواب الصحيح » ٣ : ٤٠ إذ يقول : « ... فمنهم من يقول المسيح وامهُ الهان من دون الله وهم المريمانيّون ويسمّون المريمانية »

---

١) وفي حاشية كتابنا: ويروى في أغلب النسخ: المربونية او المريونيـــة . قلت: والاصح الرواية الاولى لان هاتين الروايتين بَيِّنَتَا التحريف القبيح المرغوب عنهُ

وسمّاهم آخرون « المريميّة » نسبة عربية الى مريم منهم سعيد بن بطريق (في ص ١٢٦ من تاريخهِ المطبوع حديثًا)

وسمّاهم آخرون « بَرْبَرَانية » وهي لفظة اطلقها عليهم الارميون. ومعنى اللفظة « أبناء البرّ » كأنَّ هذه البدعة خاصة باعراب البادية فهو مثل قولك: « بدعة الأعراب» وقد سمّاهم كذلك ابن بطريق في تاريخهِ المذكور ص ١٢٦ إذ يقول : « فمنهم كان يقول: ان المسيح وأُمهُ الهان من دون الله وهم البَرْبرانيّة ويُسمّون المريميين » وكذلك سماهم ابن تيميّة ايضًا في عدّة مواطن من كتابهِ (راجع ٢ : ٣١١ مثلًا). وقد اعجم هذا الحرف بعضهم فذكروهُ بصورة « بَرْبَزانيّة وبَزْبَزانيّة وبَزْبَرانيّة. وكلها تصحيفات قبيحة » والاصحّ براءين مهملتين

واما علماء الافرنج فسمّوهم (Collyridiens) (١ والكلمة مأخوذة من (collyrium) اللاتينية المنقولة عن اليونانيّة κολλύριον من κολλύρα اي عجين او قُرْصَة (ومنهُ عند العرب اسم القِلّار او القِلّاريّ لضرب من التين قِوام داخلهِ قوامُ العجين ويبقى كذلك اذا رُبّي برُبّ عقيد العنب. راجع التاج في ق ل ر)

وقد وصفهم الاب يوسف ليان بقولهِ: « انتحلت بعض قبائل العرب الديانة النصرانيّة فاكرمت مريم اعظم الاكرام. ومذ عهد القديس ابيفانس كانوا يقدّمون لها قرابين هي قُرَص من سميذٍ وعسلٍ. إلّا ان الاسقف القديس أفهمهم ان القرابين والذبائح لا تقدَّم إلّا لله وحدهُ

« هذا وكان القصّاصون من الأعراب يجلسون في فَيْءِ النخل فيقصّون على سامعيهم أشهر حوادث سيرة العذراء القديسة صابغين تلك الوقائع بلون هذا الصِّبغ

(١ وقد سمّاهم بهذا الاسم الاعجمي اي قلوريّين ثاودوروس برخوني في كتابهِ المنون « بالاسكوليون » قال: القلوريّون - هؤلاء يقربون في يوم واحد من كل سنة قَلورة (قُرْصة) باسم مريم ومن اجل هذه السنّة سمّوا قلوريين. وسمّاهم ثاودوريطوس دادوئيين (Δαδόης) وسبايين (Σάββας) وادلفيين او متآخين (ἀδελφιος) وعرميين Ἑρμᾶς (كلمة Ἑρμα,ατος توافق العربيّة عَرمةً بجميع معانيها تقريبًا. ولا جرم ان العربيّة مأخوذة من اليونانيّة لان ليس في الاصل العربي معنى يتركب عليهِ هذا المعنى الفرعيّ. بخلاف اليونانيّة فان « عرم » معناه : سَنَد وقوّى واثبت الخ) وسيميونيين (Συμεώνης). راجع تاريخهُ الكنسي الكتاب الرابع الفصل العاشر

صِبغ العجيب الذي يعجب ابناء اسماعيل كل العجب » . اه

اما تتمة اخبار هذه الفرقة: فانها نشأت في بلاد العرب في المائة الرابعة للميلاد وكانت النساء كواهن لهذه النحلة. وكان لهنَّ عَجَلَة فيها كرسيٌّ مربَّع عليه كِسْفَة ثوب وبعد ان يُقَدِّمنَ القربان كانت النساء الحاضرات تتقاسمنهُ بينهنَّ. وقد ازال هذه البدعة القديس ابيفانس المنوَّه عنهُ سابقًا. بعد ان اثبت لهم ان القرابين لا تُقرَّب الَّا لله وحده ُ وان الكهنة لا يكونون الَّا رجالًا. فعفا بذلك اثرها. وانقطع عنَّا خبرها . وربُّك الباقي انهُ الازلي الابدي

٣ً المعادون لمريم

ومما يجدر اثباتهُ هنا « والضدّ بالضدّ يذكر » فرقة تُهين العذراء كل الاهانة وتنزع منها عُنوان فخرها . ومميّز فضلها وقدرها. وهي فرقة تقول بان مريم وَلَدَت اولادًا آخرين غير يسوع. ورأس هذه الشيعة الممقوتة الملعونة « هَلفيذيوس » وقد سند ضلالهُ على الانجيل الشريف الذي يذكر اخوة ليسوع الذين ما هم على الحقيقة إلَّا اولاد خالتهِ على اصطلاح الشرقيين الذين يجيزون هذا التعبير. كيف لا وهم يطلقون الاخ على كل مشارك لغيرهِ في القبيلة او في النسب او في الدين او في الصنعة او في معاملة او في مودة او في غير ذلك من المناسبات. فيقال: للشرّ اخو الخير وللفقير اخو عيلة وللنوم اخو الموت وللكثير السفر اخو سفار وللذليل اخو الخنَع من الخُنُوع وهو الذلّة. الخ. الخ

وقد كتب هذا الخبيث سفرًا قائمًا برأيه يثبت فيهِ كفرهُ اي ان مريم غير عذراء ولهذا سُمّي من شايعهُ الهَلفيذيون او المُعادون لمريم او المخالفون (١ لبتولية مريم وبالفرنسية (antidicomarianites, adversaires de l'honneur de Marie, anti-Mariens *ou* Helvidiens)

وهذه البدعة لم تَغنَ زمانًا طويلًا بل ماتت وهي طفل في مهدها الــذي اصبح لحدًا لها بجاه تلك الام الوالدة البتول والدائمة البتوليَّة

١) وسمَّاهم ثاودروس المذكور في كتابهِ باسمهم الاعجمي اذ قال: « الأنطيذِيقُومرْيَميطا » ومعنى اسمهم المعادون لمريم يزعمون ان مريم بعد ولادة مخلصنا لم تبقَ عذراء بل عاشت مع يوسف وولدت منهُ بنين وبنات ويزعمون ايضًا ان يعقوب وبولس وهما الابنان اللذان رُزقهما يوسف من زوجتهِ الاولى (على زعم البعض. اطلب المشرق ٣: ٣٨٠، ٤١٣) كانا ابني مريم . اه

مثال البرّ

للاب لويس فوءاد اليسوعي

— ابتِ اخاف ان يؤول الامر الى ما لا تُحمد عقباه

— اركن الى قولي بني وسكّن روعك فاني اختبرت المصل

— قد يختلف المفعول احياناً مع اختلاف الدماء المؤثر فيها المصل · تدبر في الامر اصلحك الله والدي

هذا ما كنت تسمعهُ من عربة تسير الهوينا على طريق فرسالي يركبها شيخ جليل يقال لهُ الدكتور شميت من اساتذة المكتب الطبي بباريس وعلى يسارهِ وحيده يوسف شابٌ تقيّ الثوب يستشفّ من خلال قشرته الرقيقة دم زكي يغلي حبًّا لله ولابيهِ العزيز

وكان الدكتور يحبّ ولدهُ حبًّا عظيماً ويعطف عليهِ لان أم يوسف توفيت وهو في نعومة اظفارهِ · فاحسن ابوهُ تربيته ولم يكفّ عن تكرار النصيحة عليهِ ويحرّضهُ على اقتباس المعارف والتشبُّث بمحامد الاخلاق حتى نشأ يوسف وشبّ وهو يتشرّب من تعاليم والدهِ ويقتبس من أمثالهِ الصالحة · ولمّا أتمّ دروسه الابتدائية وكان لهُ من العمر ثماني عشرة سنة انتظم في سلك طلبة مدرسة الحقوق ولم يمضِ القليل حتى اصبح زينة اقرانهِ ومحلّ اعجاب كل من سمعهُ واختبر عقله وآدابه

غير ان الدكتور شميت والدهُ لم يكن ممّن يرضون بحالهم مع ما انعم الله عليهم من جزيل خيراتهِ فكان لا يزال يطلب المزيد في الرفعة والشهرة · وكان قد خصّص أوقات فراغهِ لتجهيز مصل لم يُذكر من ذي قبل لعلّهُ ينال بهِ صيتاً يرفعهُ في عيون سائر الاطباء · ثمّ اختبر المصل في الحيوان وايقن نجاح فعلهِ فعزم على ان يعالج بهِ المرضى · لكنّ ولده يوسف قام يمانعهُ في مشروعهِ ويحثُّهُ على التروي في الامر قبل مباشرتهِ خشية من سوء العاقبة فساور الدكتور البلبال وهو لا يدري ما العمل فكان طوراً يذعن لمشورة ابنهِ لئلّا تأتي الرياح بما لا تشتهيهِ السفن وتارةً ينبذ النصح وراء ظهرهِ مستبشراً بحسن العاقبة · واتفق اذ ذاك ان تغيّب يوسف عن باريس لأنّ الدروس كانت انهكت قواهُ فالزمهُ ابوهُ بالانصراف الى شامخات جبال السويسرة قصد الارتياض بعيدًا عن

ضوضاء المدينة الباريزيّة. واستغنم الدكتور هذه الفرصة ليتمّم مرغوبه فاستتبَّ لديهِ الرأي ان يعالج بالمصل الجديد جاك احد مرضى المستشفى

ولا تثريب على الدكتور شميت في ان يستعمل المصل المذكور حيث جرّبهُ في الحيوان وأثبت لهُ الفحص نجاح المفعول. على انّك كنت تراهُ مرتجفاً منتقع اللون ساعة قبض على المبضع ولقّح المريض بالمصل. ومن ثمَّ جعل يتردد على جاك لعيادتهِ واستنطاقه عن حالتهِ وكان هذا يجيب يومياً الجواب نفسه « اني أشدّ ضعفاً ممّا كنت عليهِ امس ». فتكدَّر صفو الدنيا في وجه شميت وكان قد طار الخبر في اطراف العاصمة وتجسَّم من تناقل الافواه بهِ. وما لبث ان أدرجت قضيَّة شميت امام أُولي الشرع وجازت في قليل من الايام المحاكم على اختلاف طبقاتها من ادناها الى التي تليها حتى انتهت الى المجلس الأعلى فحُكم على الدكتور طبقاً للبند التاسع والثلاثين من لائحة الجنايات بالسجن الاحتياطيّ ريثما يتضح أمر جاك المريض

ولمّا تناقلت الجرائد الحكم القاضي على شميت بالسجن بلغ الامر ابنهُ يوسف وكان إذ ذاك في احدى حدائق برن يقصد النزهة فوقع على وجههِ كمن أُصيب بشلل عامّ لا يعي أين هوَ ولا ما حلَّ بهِ. فاتى الشرط واحتملوهُ الى المستشفى وجلس الطبيب يجرّعهُ الادوية المنعشة حتى افاق من سباتهِ ففتح عينين واسعتين وحملق ثمَّ صاح بصوتٍ أليم « اه يا والدي... والدي.... » ثم غاب عن الرشد وهو يئنُّ انيناً موجعاً وبينما الطبيب يتفرَّس بنظره في الشاب لعلَّهُ يقع على ما يهديه الى اسمه رأى يده مطبقة على رقعة فاخذها فاذا هي صحيفة الجريدة المنطوية على تفاصيل قضيَّة الدكتور شميت؟ فاتضح لهُ بالمقابلة بين ما قرأهُ وما سمعهُ من يوسف عند اياب حواسّهِ ان الاب الذي تألَّم لهُ الشاب هو نفس شميت المنكود الحظ. فتحرَّكت ليوسف من قلب الدكتور لور رحمة وخاف ان تهدّ هذه النكبة قواه وهو ضعيف البنية ولربَّما اثَّرت فيهِ الهموم فقصفت غصن شبابه النضر. فاخذ يلاطفهُ و يوطد رجاءهُ في خلاص ابيهِ حتى رجع الى رشدهِ. وكان يوسف عارفاً بطول باع السيّد لور النطاسي البارع وما هو عليهِ من السؤدد واليسار فلم يتمالك ان انحنى امامه شاكراً اياه عمّا أظهرهُ نحوه من جزيل المعروف. ولحسن الطالع كان لور من أعزّ أصحاب شميت حيث تلقيا العلوم الطبيَّة تحت سماء واحدة فشقَّ عليهِ ما ألمَّ برصيفهِ واصبح شريكاً ليوسف فيما عالهُ فقال لهُ: ان صدق

الاخاء يحثهُ كلّ الحثّ على الاخذ بيده ومساعدته فينتشلا معاً الدكتور من موقفهِ الخطر

*

صفر القطار وطار حاملًا على جناحيهِ السيّد لور والشاب يوسف فخرق الجوّ وقطع القفار والبراري بسرعة البرق مدبرًا من برن قاعدة بلاد السويسرة ثمّ بيزنسون ثم ديجون الى ان حطّ في باريس بعد ما ينيف عن عشر ساعات مضت على يوسف كأنها اشهرٌ وسار الدكتور لور من وقتهِ الى المستشفى ليعود جاك المريض ويبحث في علّتهِ وطريقة شفائها

هذا ما كان من أمر الشاب يوسف ومُعينه . اما الدكتور شميت فانهُ لما حُكم عليهِ بالسجن الاحتياطي حتى الرأس مذعناً للامر القاضي عليهِ وانصرف الى السجن وهو يعثر باذيال الخيبة . فلمّا اقبل يضرب ببصرهِ في اطراف محبسهِ امتلأ قلبهُ مرارة على مرارتهِ وانهلّت العبرات من مآقيه كالوابل الهاطل وهو يقول: « ما اطمع قلبك يا ابن الانسان : لو كنتُ اكتفيتُ بنصيبي من العيش واذعنت لنصح ولدي لما بتّ الليلة بين جدراني هذه الغرفة المظلمة »

وبينا كانت تساورهُ اقبح صوَر القنوط واليأس جاءهُ السجّان ودفع اليهِ صحيفة عرف الدكتور من خط عنوانها ان مسطّرها هو ولده يوسف فقرأ: «تجرّع والدي كأس الضيم بقلب صبور وشهامة نفس عسى فرجاً قريباً يأتيك من لدنهِ تعالى» . واما الداعي الى هذه الرسالة فهو ان السيد لور بعد ان تبيّن علّة جاك تراآى لهُ ان نجاته من الموت ليست ضرباً من المحال لانّ فعل المصل كان بقي محصورًا في الشقّ الأيمن فجعل الدكتور لور يبحث عن وسيلة لايقاف العلّة في طريق امتدادها حتّى تقرّر لديهِ انهُ يستطاع ان يحصر الفساد الجاري في الشقّ الأيمن على شريطة ان يلقّح العليل بدم بشرٍ . فارتاب لور في امرهِ وتعرقلت لديهِ الأسباب . وكان قد رأى فيهِ الشاب يوسف علامات الارتباك رغماً عمّا كان يتظاهر بهِ من الهدوّ والسكينة . فجهد في الاستطلاع منهُ عما انجلى في حال جاك حتى صرّح لهُ الدكتور بالامر . فنهض يوسف منتصباً وقد أحسّ من نفسهِ قوّة في التفاني فكشف عن صدرهِ وقدّمهُ للسيّد لور قائلًا: وهل دمي يحسن لتلقيح المريض ؟

أجاب لور : أسفي على شبابك يا يوسف وكيف تعرّض جسدك البالي لامراض ربّما افضت بكَ الى الموت ؟

— ما أشهى الموت على قلبي لو ادركت بهِ خلاص أبي وخلعت العار عنهُ

— وماذا يجديك خلاص الدكتور ان متَّ انت عقيب خروجهِ من السجن ؟

— وايُّ لذّة تجديني الحياة لو أهان الناس أبي وقالوا فينا ما يبقى علينا عارهُ الى الدهر ؟

وبالغ الدكتور في نصح يوسف حتى يرجعهُ عن مراده الّا ان ذلك لم يكن ليثني الولد الودود عن عزمهِ فهتف قائلًا : هيهات ان ابخل بدمي وبهِ اغسل الحوبة عن ابٍ محبّ بذل الروح لي دومًا ؟ لعمري ان دمي حلال في من ربيت في فيض نعمتهِ : افديك ابتِ بالروح والجسد ولا فضل لي في ذاك بل الفضل لك اذ لولاك بعد ربّي لما سرى في عروقي دم ولا تصعّد من صدري نفس . . . ناشدتك الله سيدي الدكتور ألّا تحرمني نعمة طالما تاقت اليها روحي

فاثّر هذا الكلام في السيّد لور تأثيرًا شديدًا فما تمالك حتى هتف: « كنتُ اظنّ المحبة الى هذا المقدار من الشهامة أمرًا خياليًا وقد جاء مثلك مصداقًا على ما كنت لم احفل بهِ وعلمتُ انّ الكرم حيٌّ لم يمتْ حتى الان . فليكن بنيَّ ما اردت »

*

أتى على الشاب يوسف اسبوع بعد ان استخرجت الاطباء من دمهِ ما لقّحوا بهِ اعضاء جاك البالية فتقوّى على جراثيم الفساد الجارية فيهِ واخذت تسري في عروقه العافية . اما قوى يوسف فكانت في حالة من الضعف يُرثى لها فإن ما سال من دم جسدهِ النحيل انهك قواه وتأكلت الحمّى لحمه فاصبحت حياته في خطر منذر . وكان الدكتور لور ملازمًا لهُ ليلًا ونهارًا يعالجهُ بما أُوتي من المهارة في صناعتهِ غير انهُ ما عتم ان ظهرت على مثال البرّ وسمة الموت فطلب الشاب التقي ان يزوّد الأسرار المقدّسة فقبلها بوقار مردّدًا اسمي يسوع ومريم ومن ثمَّ وجّه افكاره الى دار الخلد فكان لهُ عبارات يصف بها السماء ونعيمها تسبي عقول السامعين وتحيك في قلوبهم

وكان إذ ذاك قد قدَّم السيّد لور قرارًا للمجلس وقّع عليهِ اطبّاء المستشفى يطلب فيهِ اطلاق الدكتور شميت من السجن اذ تعافى جاك ورجعت اليهِ الصحّة فاطلقت المحكمة سراح السجين على انها حكمت عليهِ بغرامة قدرها الف فرنك تعويضًا لجاك عن المدّة التي قضاها في المستشفى من يوم لقحهُ الدكتور شميت بالمصل

ولما أُطلق سراح السجين اقبل السيد لور واصحابهُ معهُ يستقبلونهُ على باب المجلس

ويهنئونهُ فما كان أشدَّ اندهالهُ لما لم يلمح ابنه يوسف بين من حضر وهو في اشتياق حارّ الى ان يضمّهُ الى صدرهِ فسأل أين يوسف ؟ ولما نكّس الجمع رؤوسهم ولم ينطقوا ببنت شفة صاح الاب المحبّ بصوتٍ أليم كأنهُ ادرك ما حلّ بفلذة كبدهِ : ناشدتكم الله اخبروني أين يوسف . فاستدعاهُ السيد لور واخذهُ على حدةٍ واوقفهُ على حقيقة الحال والدكتور يردّد بصوت يقطعهُ الحزن : ولدي ولدي ... ومن لنا بوصف حالة ذلك الوالد المسكين لما دخل على ولده ومنتهى آمالهِ ووجدهُ على آخر رمقٍ من الحياة فاستطار فؤادهُ التياعاً واكبَّ على وحيده يوسف يقبّلهُ ويغسل جراحهُ بماء جفنيهِ وكان قد تفطّر فؤاد الحاضرين لذلك المشهد الفاجع فتقاطرت عبراتهم جميعاً وهتف شميت : اغفر ذنبي ولدي انا السبب في موتك واسمعني الكلمة الاخيرة من فيك اترى قد صفحتَ عني ... قال ثمَّ اجهش بالبكاء فانقطع عن الكلام ..... امَّا يوسف فحرَّك شفتيهِ كمن يحاول النطق فلم يقدر لكنهُ انحنى على والدهِ وقبَّلهُ قبلة افادت ما طلب ... ثمَّ سقط رأسه على صدرهِ واذا هو فارق الدنيا

وبعد بضعة أيام استقال الدكتور شميت من خدمتهِ وقد ادَّبتهُ حكمة ابنهِ واحكمتهُ التجارب فاعتزل في إحدى القرى المنقطعة واقام فيها ليقضي باقي حياتهِ في الصلاة والعبادة وهو يعيد في ذاكرتهِ ما حدث لهُ فترتعد فرائصهُ من مجرَّد ذكر يوسف وما قاساهُ بسبب ابنهِ الودود . وكان يتردَّد الى ضريحهِ حيث كتب هاتين الكلمتين « مثال البرّ »

نصرانيَّة غسَّان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمَّة)

وهذه الكتابة العربيَّة المسيحيَّة اوَّل كتابة وُجدت من عهد الجاهليَّة بالحرف العربي كتبها في أيَّام الملك المنذر الغسَّاني (١ شرحبيل بن ظالم احد امراء غسَّان سنة ٤٦٣ لبصرى الموافقة لسنة ٥٦٨ للمسيح (٢ . وقد وُجدت سنة ١٨٧٩ في زيد كتابة

---

١) قد وقع غلط في العدد الاخير (ص ٥٣٥) س ٣) حيث قيل ان هذه الكتابة « هي للملك المنذر »

٢) اطلب Waddington: *Inscript. gr. et lat. de la Syrie*, n° 2464

أقدم منها بالعربيّة والسريانيّة واليونانيّة. تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح وهي الاثر الثاني بالحرف العربي قبل تاريخ الهجرة لا يُعرَف الى الآن غيرهما ومن العجب ان الاثرين لكتبة نصارى . وناهيك بذلك شاهدًا على امتداد النصرانيّة بين العرب. أمّا الآثار اليونانيّة في بلاد غسّان فلا تكاد تُحصى وقسمُها الكبير بل الاكبر نصرانيّ محض وهي عبارة عن كتابات دينيّة كبيع ومشاهد ومدافن وغير ذلك ممّا يُرى في كلّ قرية او خربة وليس بين تلك الآثار كتابة تدلّ على اليهودية بين الغسّانيين

٦ ومن هذه الآثار القديمة اعلام الامكنة التي بقيت حتى اليوم كدليل ناطق على اتّساع النصرانيّة في منازل غسّان لاسيما الصفا وحوران. فان عددًا دثرًا من اسماء الامكنة يُدعى في زماننا بالدير كدير الكهف ودير علي ودير قنّ عدّدها الاثريون دي فوكوي ووادنغتون ودوسُّو وغيرهم

٧ ويضاف الى هذه الشواهد جداول المراكز الدينيّة التي تدلّ على تعدُّد الاسقفيّات في تلك الانحاء. فان مطران البصرى وحده كان يحكم على ٢٠ اسقفًا (١ وكان بعض هؤلاء الاساقفة يتنقّلون مع القبائل الراعية فيسكنون الخيم ولذلك يدعونهم اساقفة الخيم (ἐπίσκοποι τῶν παρεμβολῶν) وقد امضوا غير مرّة اعمال المجامع بهذا التوقيع « فلان اسقف اهل الوبر » او « فلان اسقف القبائل الشرقيّة المتحالفة » او « فلان اسقف العرب البادية » (٢. أفترى بيّنة أعظم من ذلك على انتشار النصرانيّة بين الغسّانيين

٨ ولمّا انتشبت الحرب في اوائل الاسلام بين الروم وخالد بن الوليد كان مع الروم عدد من عرب النصارى يبلغهُ الكتبة الى مئة الف مقاتل (٣ كان قسم كبير منهم من بني غسان. وان قيل ان هذا العدد مُبالغ فيهِ فيبقى دائمًا ان العرب المتنصّرين كانوا قومًا يبلغون الالوف المؤلفة

أفتكفي هذه الحجج مناظرنا ليقرّ بصحّة قولنا عن غسّان انّها كانت تدين بالنصرانيّة

---

١) وجاء في بعثة دوسو الى بادية الشام (René Dussaud: *Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne*, p. 77) انّ عددها كان ٣٣

٢) اطلب مجموع اعمال المجامع (Labbe : IV, 83, 91, 268)

٣) راجع ما كتبهُ الياس النصيبيني المؤرخ (Elias Nisib. *ap. Baethgen*, Fragm. 109)

ولو شئنا لعزّزنا هذه الادلّة بشواهد أُخرى من كتبة السريان كميخائيل الكبير وابن العبري ويوحنّا اسقف افسس ويوشع العمودي ونصوصهم توافق ما ذكرناهُ آنفاً. فكيف يستطيع الكاتب البغدادي ان ينسب كلامنا الى الغرض او التعصُّب. وان كان لا يقنع بما أوردنا فندعهُ وشأنهُ لعلَّهُ يجد غيرنا يرشدهُ الى الصواب

هذا ولا نزيد بقولنا السابق عن نصرانيَّة غسان أَنهم كانوا مستقيمي الرأي بعيدين عن البدع التي انتشرت في القرون السابقة للهجرة. كلّا بل نعرف انَّ البدعة اليعقوبيَّة تمكنت فيهم ونكبت بكثيرين منهم عن جادَّة الحق. كما روى الامر كتبة ذلك العهد من يونان وسريان. وعليهِ لا صحَّة لقول الكاتب البغدادي في حقّنا في المجلَّة المصريَّة « ان حضرته (يريد ضعفنا) اذا اراد ان يزكّي نصرانيَّة شاعر برَّأ ساحتهُ من كلّ ما يمكن ان يقع على ثياب دينهِ ادنى غبار الّا ان ذلك كلَّهُ اذا فات على عقول بعض القرّا فلا يفوت على عقول الادباء لانهُ لا يشفي فيهم علَّة كما لا يروي منهم غلَّة »

لله درّ الكاتب في تسطيرهِ هذه العبارات متهكماً أَفيظنّ انَّ التهكُّم يقوم مقام الحجَّة. فهيهات ان ننظم كل النصارى في سلك القديسين ولكن لا يجوز ايضاً ان نخرج قوماً من حيّز النصارى مع ما لدينا من البيّنات في نصرانيّتهم وان وُجد في سيرتهم أُمور ملومة لا توافق تعاليم النصرانيَّة كالنسطوريَّة واليعقوبيَّة والاريوسيَّة

*

قد بقي ان ننقد ما اتى بهِ مناظرنا لينفي النصرانيَّة عن غسّان وهذا قولهُ بالحرف:

« امَّا ان فريقاً منهم كان يدين بالوثنية فهو اشهر من ان يذكر فهذا الحارث الاكبر ابن ابي شمّر الغسَّاني الملقب بالاعرج وهو الذي اشتهر ملكهُ في ايَّام القياصرة فانهُ كان وثنياً قحاً ويتضح ذلك من انهُ اهدى سيفيهِ المعروف احدهما باسم رسوب والآخر باسم مخذم لبيت الصنم (عن الطبري ١ : ١٧٠٦) وبيت الصنم المذكور هو بيت مناة لأن غسَّان كانت تبعد هذا الصنم (عن معجم ياقوت في مادَّة مناة)

« وزد على ذلك انَّ تلبية غسَّان عند وقوفها عند صنمها كانت هذه : «لبيك ربّ غسَّان راجلها والفرسان » (من تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧) . وهذا سطيح الكاهن المشهور فانهُ كان غسَّانياً الّا انهُ لم يكن نصرانياً وان كان خال نصرانيّ من اهل الحيرة . فهل بعد كلام هؤلاء الأئمة الافاضل مندوحة للابهام والايهام »

فنجيب على الشاهد الاوَّل اي وثنيَّة الحارث ابن ابي شمّر الذي اهدى سيفيهِ لبيت الصنم انَّ نصرانيَّة الحارث ثابتة بشواهد متعددة أَقدم وأَصحّ وأَوضح من قول

الطبري لأنَّ المؤرّخين المعاصرين له او القريبين من عهده من يونان ولاتين وسريان لا يدعون ريباً في نصرانيّته. وحسبك دليلًا على قولنا انهُ هو المنعوت بالكتابات القديمة بالمحب للمسيح (اطلب الصفحة ٥٢٣). لكنَّ هؤلاء الكتبة يجعلونهُ يعقوبيًّا. اما شهادة الطبري فليس من شأنها ان تبطل أقوال من سبقهُ ولعلَّهُ روى روايةً ضعيفة على علّاتها او يكون وَهِمَ باحد معابد النصارى فجعلهُ بيت صنم. وفي معجم ياقوت (٤: ٤٥٣) رواية مخالفة تجعل السيفين في بيت صنم لطيء. وان امكن الكاتب ان يثبت صحّة هذه الرواية اجبنا انَّ الحارث النصرانيّ أتى بذلك فعلًا ذميماً فنسي شرائع النصرانيّة او تجاهل بها وذلك ليس بكافٍ ليقال انهُ كان وثنيًّا مع صراحة القائلين بنصرانيّته

ثم زاد الباحث «انَّ غسان كانت تعبد مناة» واستند في قولهِ الى معجم ياقوت. فجوابنا على هذا الاعتراض سهل فنقول انَّ غسان في ايّام وثنيتها عبدت مناة لكنَّها لما تنصَّرت نبذت عبادته. وقد بيَّنَّا انَّ تنصُّرها قد تمَّ منذ القرن الرابع للمسيح

اما الحجّة الثالثة على وثنية غسان اي وقوفها عند صنمها قائلةً: «لبيك ربَّ غسان راجلها والفرسان» فيمكن دحضُها كما دحضنا الحجّة الثانية اعني بنسبة هذا القول الى عهد وثنيتها قبل تنصُّرها. ولكن يجوز القول ايضاً انَّ هذا النصّ ليس فيهِ أثر للتوثُّن اذ لا يذكر هنا اليعقوبي صنماً لغسان وانَّما يقول فقط «وكانت تلبية غسّان لبيك ربَّ غسان راجلها والفرسان» وهو كلام صحيح ودعاء صالح الى إله الحقّ. فقول الكاتب «عند وقوفها عند صنمها» زيادةٌ منهُ

بقي ذكر مناظرنا لسطيح الكاهن الذي قال عنهُ انهُ كان غسانيًّا ولم يكن نصرانيًّا ونحن لا نشاحنهُ بذلك وكلّ عاقل يعلم ما ورد من الخرافات في قصّة سطيح في كتب العرب. فكان الاولى بصاحب الجدال ألّا يحتجّ بحجج ضعيفة كهذه سامحهُ الله

ثمَّ انتقل مناظرنا الى بيان امر آخر فقال عن يهوديّة غسّان:

«امَّا انَّ اليهودية كانت في غسّان فهذا بيّن من دين السموأل فانهُ ليس من كاتب او مؤرّخ او لغويّ ذكر دين السموأل الّا وقال عنهُ انهُ يهودي المذهب. . . لا بل ان حضرة الأب نفسهُ يقول بذلك في مجاني الأدب (٣: ٢١٢) في الحاشية فكيف انثنى اليوم عن رأيه — هذا وان اليعقوبي يقول بصريح العبارة (ص ٢٩٨): وتهوَّد قومٌ من غسّان»

هذه حجج جناب المناظر في اثبات اليهوديّة في غسان فنقول اننا لم ننكر ان كتبة

العرب جعلوا السموأل يهوديًّا بدليل ما اثبتناه نحن ايضاً في مجـاني الادب وفي شعراء النصرانيَّة فان كنَّا اثنينا عن رأينا فذلك لأسباب اوضحناها في القسم الاوَّل من مقالتنا والعاقل اذا وجد داعياً لتغيير رأيهِ غيَّرهُ وليس في ذلك ما يشينهُ. ولا حاجة لتكرار ما قلناهُ سابقًا فليراجع

بقيت الشهادة التي نقلها مناظرنا من تاريخ اليعقوبيّ (ص ٢٩٩) ان قوماً من غسّان تهوَّدوا

نجيب أوَّلًا انَّ اليعقوبيّ وحدهُ نسب اليهوديَّة الى قوم من بني غسان امَّا بقيَّـة الكتبة فانهم يحصرون اليهوديَّة في قبائل معروفة كقريظة ونضير واهل خيبر وبعض كنانة وبعض كندة والحرث بن كعب

وان اعترض المعترض بالسموأل فقال: أليس السموأل من غسان والكتبة يجعلونهُ يهوديًّا. أجبنا ان نسبة السموأل الى غسَّان من الامور المشبوه بها ودونك قول كاتب يُعَدُّ قولهُ حجَّة في هذا الباب ألاَ وهو ابو الفرَج الاصبهانيّ صاحب الاغاني قال في نسب السموأل (١٩ : ٩٨) :

هو السموأل بن غريض بن حياء. ذكر ذلك ابو خليفة عن محمَّد بن سلام والسكري عن الطوسي وابن حبيب انَّ الناس يدرجون غريضاً من النسب وينسبونهُ الى عاديا جدّه. وقال عمرو بن شبَّة هو السموأل بن عاديا ولم يذكر غريضاً. وحكى عبدالله ابن ابي اسعد عن دارم بن عقال وهو من ولد السموأل انَّ عاديا (هو) بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيـا بن عامر ماء السماء. وهذا عندي محال لأنَّ الأعشى ادرك شريح بن السموأل وادرك الاسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز ان يكون بينهُ وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة الَّا اكثر والله اعلم. وقد قيل انَّ أُمَّهُ كانت من غسَّان... وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران (اعني من قريظة ونضير. راجع ايضاً تاريخ ابن خلدون)

فترى ما في هذه الاقوال من التضارب والتبـايُن. وكأني بالمعترض يردف قولهُ بقولهِ: «فمالك اذن لا تسلّم بيهودية السموأل» نجيب أنَّنا لا نسلّم بيهوديتهِ ان كان من غسان امَّا اذا قيل كما ورد في نص كتاب الاغاني انهُ كان من غير قبائل كقريظة والنضير فانَّنا لا نأبى ان نسلّم بذلك. وان قال المعترض: فكيف يصحّ اذن قول السموأل عن المسيح :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

ان كان السموأل يهوديًّا؟ أجبنا انهُ لمحتمل ان يكون وجد رجلان شـاعران باسم

السموأل احدهما من غسان وكان نصرانيًّا فيصح نسبة البيت له . والآخر يهودي من بني قريظة او يهود غيرهم (١ ان نسبت اليهِ القصيدة كان بيتها الاخير مصنوعًا

نجيب ثانيًا انَّ الكتبة العرب (الَّا اليعقوبيّ) ليس فقط لم يذكروا تهوُّد غسان بل ذكروا عنهم أنَّهم رفضوا اليهودية . قال صاحب الفضل شكري افندي الالوسي البغداديّ في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب (٢ : ٢٦٢) انَّ تبع الاصغر الحميري لمَّا تهوَّد دعا الى اليهودية غسّان فأبوا معتذرين بدخولهم الى النصرانيَّة قال : « وسار (تبَّع) الى الشام وملوكها غسَّان فاعطتهُ القادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانيَّة »

نجيب ثالثًا انهُ لحتمل ايضًا انَّ اليعقوبيّ نسب اليهودية الى قوم من غسَّان لانتشار بعض الشيع النصرانيَّة بينهم . وهذه الشيع كالابيونيين (ébionites) والنزاريين (nazaréens) وغيرها كانت من بقايا اليهود الاولين الذين تنصَّروا وحفظوا شيئًا من نواميس موسى وهم الذين خرجوا من أورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا الاردنّ وانتشروا في بلاد العرب وعُرفوا باليهود المتنصرين (judéo-chrétiens)

ومجمل الكلام أنَّنا لا نسلّم بيهودية غسَّان بحصر المعنى وكذلك نقول عن السموأل انهُ ان صحَّت يهوديتهُ لم يكن من غسَّان فيكون البيت الذي رُوي لهُ عن المسيح مصنوع . ما لم يُقَلْ انهُ كان من الشيع التي ذكرناها في جوابنا الاخير فقيل لهُ يهوديّ بالمعنى المزبور وحينئذٍ يمكن نسبة البيت اليهِ مع القول بانهُ من غسان

هذا ما سطَّرنا على جناح السرعة بعد تغيُّبنا أيامًا من بيروت . وكان بودّنا ان نتابع البحث فننتقد بقيَّة ما كتبهُ الناظر البغداديّ في المجلّة المصريَّة ولعلَّنا نعود الى تمحيص أقوالهِ وبيان ما ورد فيها من الآراء الضعيفة . وكفى اليوم بهذه المقالة الوجيزة شاهدًا على شططهِ

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

كلٌّ يعلم ما اظهرهُ الروم الملكيُّون الكاثوليك من الشهامة في اواسط القرن الثامن عشرة للدفاع عن ايمانهم بازاء البطريرك سلفسترس القبرصي . ولمَّا عاين هذا ثباتهم في الدين الكاثوليكي

---

١) ويؤيّد ذلك ما ورد في نسخة حضرة الأب انستاس بأن القصيدة للسموأل من بني قريظة

ارسل اليهم اسقفاً يُدعى فيليمون اتّسع الكتبة في وصف اخلاقهِ السيّئة. فلمّا جاء الى حلب سنة ١٧٥٣ ابى اهلها الخضوع لهُ بدلًا من اسقفهم القانوني مكسيموس الحكيم فاضطهد فيليمون الكاثوليك حتى اضطرَّ كثيرين منهم ان يخرجوا من وطنهم. ومن جملتهم ابراهيم الحكيم احد اقارب الاسقف مكسيموس فهرب هذا الى مصر ولمّا بلغها كتب هذه الرسالة الى احد اصحابهِ في حلب وهي طويلة اقتصرنا على ذكر معظمها. وقد وجدنا الاصل في بيت احد وجوه البلدة بشاره افندي يارد فنمحض لهُ الشكر لترخيصهِ لنا بنشر هذا الاثر. اما ابراهيم الحكيم فلا نعلم شيئاً من امرهِ الّا ما يُستخلَص من اخبارهِ في هذه الرسالة التي تدلّ على اقتدارهِ في الانشاء وبراعتهِ في الكتابة نظماً ونثرًا

ان ارقّ وألطف ما انشأت ووشّت ألسنُ اليراع من تحيّة . وسلام وآداب واحترام من فرائد غُرَر البيان من نحور الاذهان الذكيّة . وأبهى وأعجب ما تُرقَمّ بهِ وجنات الطروس من ابكار خرائد الاذهان بعقود جمان الافكار من عبارة معنويّة . وازهى واغرب ما تُعلَم بهِ زكيّات النفوس من اسرار ضمائر الجنان من برود معاني النثار من صناعات عقليّة . وأحلى وأعذب ما تعتّقت وصفت العقار والصّهباء ودارت الكؤوس على الندمان سرًّا وجهرًا . واشجى واطرب ما تغرّدت وشدَتْ اطيار الربى وطارت على رؤوس ذرى الاغصان كرًّا وفرًّا . . . . :

سلامٌ يعمُّ الكَونَ من عرفهِ الاعطرْ وقد ضوَّع الأحيا شذا مسكهِ الاذفرْ
وزاد على الندّ الذكيّ عبيرُهُ وفاق على البخور والطيب والعَنبرْ

ذو المجد والجلال . والعزّ والسعد والاقبال . فخر الحذاق الافاضل المحققين . بحر آفاق الفضائل المدققين . شمس الملاحة الساطعة الاشراق في الليل الحافل . قسّ الفصاحة الذي فاق على سحبان وائل . وقد تقدّم بالبراعة والبلاغة على الاواخر والاوائل . البَحر المتدفّق الزاخر. الذي ما لهُ اوّل ولا آخر :

فرد الانام وواحد الاوقاتِ خير الانام وامجد الساداتِ
السيد النّدب الذي فاق الورى علماً وحزماً مع كمالِ الذاتِ
لله درُّك ما جمعتَ مناقباً حسباً وذاتاً مع سموّ صفاتِ
فكأنما جُبلت طباعك كلها من هذه الاوصاف والحسناتِ
قد حزتَ من مولاك خير كرامةٍ فاسمُ بها مستغنم الفرحاتِ
واسلمْ ودمْ متمتعاً بمسرّةٍ تنجو من الاخطار والآفاتِ

أعني بهِ اكمل الخلّان وأجمل الاخوان . انسان عين الزمان . الذي نال من مولاه أسنى المواهب واتّبع بالله أشرف المذاهب . وارتفع فيهِ على كلّ خلٍ وصاحب . فوفي

لي عهده دون سائر الرفاق والاخوان. وصفى لي ودّه مع كدر الزمان وشفى قلبي من وحشة الهجران. وازال كربي بالاحسان دون امتنان. ولهذا سكنتُ الى وفائهِ فالقيت عنده عصا التسيار. وعقدت على اخائهِ خنصر الاختيار بعد الاختبار. وصرفتُ الى ولائهِ ازمّة الانقياد بعد الانتقاد. وجعلتهُ بعد الله العماد وعليهِ الاعتماد

جعلتكَ نصرتي في كلّ شدّه ... وبعد الله في الضيقات عُمدَه
ورُمتُكَ لي مدى الأيام حسبي ... وقلت كفاني هذا الخلّ وحده
وكنتُ اظنّ ان تبقى زماناً ... وان تعطي لنا الايامُ مُدّه
وما خلتُ الفراق يكفّ عني ... لقاكَ وارضى فيما لن أودّه
ويرميني غريباً في بلادٍ ... أرى فيها بيومي الف شدّه

فكم اقتطفتُ من أثمار مجاني ادابكم ما هو أشهى من العطر وأزهى من النجوم الزهر. وكم اغترفتُ من تيّار لماني خطابكم ما يصلح فساد الفكر ويعلي الذكر. وطالما اعتلقتُ بشوارد جواهر من جياد تلك القصائد. والتقطتُ من فرائد نوادر اجياد تلك الفرائد. حتى وردت هذه الموارد وتفوهت بنظم هذه النشائد. التي هي من ابهى العقود والقلائد

يا فريدًا علا على كلّ ندّ ... وشيهٍ قد فاقَ فوق السحابِ
قد ملكتَ الكمال جسماً وطبعاً ... واتخذت الجمال خير نقابِ
فاسمُ واسلمْ ودم وكن في امانٍ ... من خطوب الزمان والاحقابِ
ما تغنّت بلابل الدوح حبًّا ... في زهي الروض من صفاء السحابِ

الّا اني كنت اظنّ ان الأيام تدوم. وطير الفراق على رؤوس الانام قلّما يحوم. حتى ضربتنا ايدي سبا وشربنا كأس الفراق المرّ المذاق واصعب من السمّ الذعاق. وتشتتنا في الآفاق وحُرِمنا طيب ذاك التلاق المحكَم الوثاق... ولكن بينما انا مشغول بالوساوس الفكريّة. ومَنحول بالدسائس الوهميّة. متبلبل الاحوال. مقطوع الآمال. لا ادري اليمين من الشمال. اذ بزغت مطالع الجمال من شموس المودّة السنية. وأشرقت لوامع الوصال من طروس المحبّة الشهيّة. فرمقتُها رمقة ملهوف. ولثمتها لثمة مشغوف. وفضضت ختام بكارتها. وتحليت بتمام بهجتها ونضارتها. والتقطت من ساحة رياضها أزهار الدرّ المصون. واقتطفت من دوحة غياضها اثمار سرّ الفنون. واجتنيت من مجاني اسرارها ما انا بهِ أحرى. واستجليت معاني ابتكارها حين وجدتها بكرًا

رعاكَ الله ما هذي المعاني م اللواتي تضمّنت غرر البيانِ

لقد احكمتها نظماً ونثراً كنظم الدرّ بين البهرمانِ
سبائك عسجدٍ ام سلكُ درّ أُنيط على الصدور من الجمانِ
فكم لكمُ عليَّ بذاكَ فضلٌ وكم فيهِ رفعتم خفض شاني
لقد اكثرتمُ الافضال حتى غدا من شكرها يعيا لساني
وقد جُدتم بلا شحٍ علينا بما لم يحظَ ادناه بناني
وقد اوقرتمُ ظهري بحملٍ غدا عن حملهِ الريبال عاني
فاشكر فضلكم عنهُ وأُثني جزيل عناكمُ في ذي المعاني
لقد حزتم خلالاً لم يحزها ولا من قد حوى قصب الرهان
وقد فزتم بمجدٍ واعتلاءٍ وفضلٍ فاقَ متن النيّرانِ
فدمْ واسلم بعون الله وابقى مدى الايّام مع طول الزمانِ

وقد ارتشفتُ من معاني رموزها ما يروي القلوب ويزكّي الحواس . واغترفت من تيار كنوزها ما يغني عن ملء الجيوب والاكياس . ولمّا كشفت ما بها استتر من الاسرار والمعاني الابكار والنظم والنثار . فاذا هي التيّار والبحر الذي ليس لهُ قرار والفيض المدرار الكثير الانهار . وقلت شعراً :

أشذورُ تبرٍ مع طروس عاجِ ام نظم درّ في قبا ديباجِ
ام ذي عقود جواهر نيطت على بيض النحور ومائل الاوداجِ
او روضةٍ قد اينعت ازهارها فحكت نجوماً في ظلام داجي
ام ذي معانٍ نظّمت وتلطفت حتى غدت كجواهر في تاجِ
يا ايها الحبر الذي تدجت لنا بطروسه الآداب خير نتاجِ
امنن ولا تقطع دواعي نفعكم عني لاني لم ازل بكَ راجي
واكثر علينا ذا السخاء لأنهُ يكسو العقول بنورهِ الوهّاجِ
لا زلتَ موضوع السماحة والسخا تأتيكَ افواجاً على افواجِ
بل لا برحت على المدى متراقياً فوق الثريّا في ذرى الابراجِ
فأسلم ودم متمتعاً بسلامةٍ ومسرةٍ من كلّ خيرٍ ناجي

وقد اذكرني طيب انفاسها . وعذوبة جناسها . بانفاس أُولئك القوم الأُدباء . ورقّة طباع اهالي الشهباء . وحسن مناخها وقراها . ولطف نسيمها وهواها . وجمال تلك البلدة التي هي رونق الانام . والشامة التي في وجنة بلاد الشام . جنّة البلاد ووجبة ارض الميعاد . بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي . وميطت عني كمائمي . وناهيك من حب الوطن . ومقرّ الاهل والسكن :

قلبي يذوب الى المنازل والحما ولريّ ذاك الحي اضناني الظما

ولقد حنت لهُ حنين الالف مذ عنهُ نأى إلفٌ وصدَّ عن الما
اسفي على الزمن الذى فيهِ بدا تلَقي بهِ كيف انقضى وتصرَّما
يا حبذا ذاك الزمان وحبذا الاوطان والسكان كم لي فيها
من كل ندبٍ لوذعيٍّ اروعيّ م ألمعيّ بالبلاغة قد سما
قومٌ يكل اللسن عن اوصافهم وغدا جم من الفصاحة ابكما
فارقتهم غصباً عليَّ ولم ازل لفراقهم متندماً متألما
ياساكنين الحي هل لا ترحموا فترجّموني للديار تكرُّما
وافوز في لقياكم متمتعاً بنعيم ارض بحرُ نعاها طمى
دارٌ غدت اعجوبة الدنيا وقد أبت أن تحاكي بلدةٌ تحت السما
سقياكِ يا حلب الفريدة انّكِ حزتِ مقاماً في البلاد مكرَّما
حتى غدوتِ شامة في وجنة الدنيا تريني ثغرها والمبسما
فلذاكَ لا اختار غيرك لو غدت ارضوها تبرًا وماؤها بلسما
خذ يانسيم الصبح عرفًا طيباً مني اليها قاصدًا ومسلّما
نادي بها دار المحبة انعمي وعمي صباحاً ثمَّ زيدي انعما

وها انا من شوق الديار. اتقلَّب على جمر النــار. ومن ذاكَ القضا. يتقل قلبي لنار الغضا. وتنسفح مني الدموع رحضاً . وعندي من الوجد والغرام. ما يكلُّ عن تدوينهِ بيان الاقلام. ومن الصعداء والزفير ما لو مرَّ بريح لعاد سموماً. ولو صــافح الروض الوسيم لصار هشيماً . غير اني لم ازل استشفي بكل نسيم هبَّ من ذلك الجنــاب. واستسقي لسكناهُ وطفُ المزن والسحاب لا برحت اهاليها دائمة العزّ والمجد والجلال. وملازمة الحظ والسعد والإقبال. ما غرَّدت الطيور والحمام على قدود منابر الاغصان. وما افترَّت ثغور الكمائم عن ورود وازهار الوديان

أمَّا بعد فابدي لجنابكم جزيل الشكر الوافر لجودكم والاحسان . ما لم يقدر يحويهِ الجنان. واهدي اليكم جزيل الحمد المتكاثر على فضلكم والامتنان.. ما ليس يقدر يُحصيه الانسان. لاني ما كنت اؤمل بعد ما فرط مني من ذاك العتاب . ان تتفضلوا عليَّ بعدهُ بالجواب. او مكاتبة وخطاب. إلّا ان لطف أخلاقكم ما عاملتني بالترك والهجران . بل أبدت لي صفو الجنان واغضضتم الطرف والعيــان عن الذنب والنقصان . شرَّفتموني بمشرفة رابعة . لاولئك الثلثة تابعة . وهي كالحديقة اليانعة التي لانواع الأزهار جامعة . وكالقلادة اللامعة الحاوية الورد والجواهر الساطعــة . او كالسماء السابعة المزيَّنة بالكواكب اللامعة . فرمقتها بعينٍ دامعة ومهجــة من الوجد

هامه. وذلك لفرط ما عراني من الخوف والوجل والخزي والخجل . لما فرط مني بطريق العجل . فلذلك قلت قول مرتجل . شعر :

لقد وافت الينا من حماكم | جليل الوكة دون انفضاض
فقمتُ لها على الاقدام شوقًا | لما تبديه من حسن التراضي
ولمَّا افترَّ مبسمها وفاهت | باهداء السلام بلا انقباض
فرحت مقبّل الارضين شكرًا | لحسن سماحكم عن كل ماضي
فثلكم يحقُّ ان يسمَّى | مسيحيًّا وذاكَ بلا اعتراض
وممدوحًا ومحمود الثنا من | جميع الناس في كلّ الاراضي

(لهُ تابع)

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

فمن هوُلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جمان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات شتَّى كتبها بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاتهِ ١٢٥٠ (١٨١٢—١٨٣٥)

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك:

أتت بسحر بيانٍ | ابانَ فضلًا جزيلا
عن فضل ذي الفضل ينبي | عقدًا بديعًا جميلا
صحيح معناهُ يروي | عن الصحاح نقولا
ما درّ درّ قوافٍ | ترتّلت ترتيلا
قسّ الفصاحة فيهِ | سحبانُ اضحى ذهولا
لم يترك الاوَّلون | الى الاواخر قيلا
عنهُ التواريخُ تُروى | براعةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا | بين الانام جليلا
فيهِ يومٌ اتانا | منهُ الثنا مستطيلا
وطال ما كان سمعي | سماعها مستنيلا
حتَّى تشنَّف منها | وهام فيها غولا

وجاء في الديوان عينهِ ذكر شاعر آخر وهو الشيخ صالح نائب طرشيحا روي لهُ قصائد منها قولهُ يمدح آل شهاب والشيخ بشير جنبلاط ويذكر قرية المختارة قال :

واصبو الى لبنان وهي مواطنٌ   عرفتُ بها ظلًّا هناك ظليلا
بآل شهابٍ كمَّل الله عزَّها   وشرَّف منها اربُعًا وطلولا
وبالجنبلاطيِّ البشير تشامخت   جبالٌ بها تعلو المجرَّة طولا
فتًى ما لهُ في الدهر ثانٍ وانهُ   ابو قاسمٍ حاز الكمال جميلا
همام اذا ما الحرب شدَّت وثاقها   ترى اسدًا للمرهفاتِ سَلولا
يصولُ بقلبٍ كالجبال ثباتهُ   فيوقع في قلب العدوِّ خمولا
يجودُ وفيضُ الجود يحسُد جودهُ   اذا جرَّ من بحر المكارم نيلا
بهِ شرُفت مختارة العزّ في الورى   وباروكها للفضل جاء دخيلا
تُذكّرنا جنَّاتِ عدنٍ قصورُها   واخارها شيئًا تراهُ جليلا
فلا مثلها مِني رأت ذات بهجةٍ   تكلّلها من صيّب السما اكليلا
وبابن عليّ عظّم الله قدرها   واحيا لها اسمًا في البلاد فضيلا

وقال يمدح نقولا الترك :

هاتِ زدني من ذكر وصف نقولا   ثمَّ أورد ادلَّةً ونُقولا
حيثُ جئنا لنشهر الفضلَ منهُ   وبما نال ينبغي ان نقولا
عيسويٌّ حوى اللطافة حقًّا   صار للطف حجَّةً ودليلا
شاعر العصر اوحد الدهر حقًّا   ما وجدنا لمثل ذاك مثيلا
هو يُدعى بالترك فاترك سواهُ   من بني العرب واتخذهُ خليلا

واشتهر في الجزائر محمَّد أبو راس الناصري من معسكرة وُلد سنة ١٧٥١ ونبغ في الفقه ورحل الى تونس ومصر والحجاز وتوفي سنة ١٨٢٣ ولهُ قصيدة في فتح وهران على يد الباي محمَّد بن عثمان سنة ١٧٩٢ وقد شرحها في كتاب دعاهُ عجائب الاسفار. ولهُ وصف لجزيرة جربة طُبع في تونس سنة ١٨٨٤

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ شعراء المسلمين في الثلث الاوَّل من القرن التاسع عشر. ونُلحق بهؤلاء بعض الذين اشتهروا باللغة والادب فنهم الشيخ الشرقاوي الذي سبق لنا ذكرهُ (ص ٢٤٤) والشيخ القلماوي مصطفى بن محمَّد الشافعي لهُ كتاب مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى. والشيخ محمَّد ولهُ منظومة في آداب البحث ومنظومة في المنطق وديوان شعر دينيّ سمَّاهُ اتحاف الناظرين في

١) اطلب تاريخ الجبرتي (٤ : ٣٢٧)

مدح سيّد المرسلين (١ .وُلد سنة ١١٥٨ وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٧٤٥ — ١٨١٥)

ومنهم الشيخ محمّد الحفني المعروف بالمهدي وُلد من والدين قبطيين في مصر سنة ١٧٣٧ وكان اسمهُ هبة الله ثمّ أسلم وهو صغير دون البلوغ وتقدّم في المناصب وألقى الدروس في الأزهر ورافق طوسون باشا في حرب الوهابيين وصارت اليهِ رتبة شيخ الاسلام سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢) وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م). لهُ كتاب روايات على شكل الف ليلة وليلة دعاهُ تحفة المستيقظ والآنس في نزهة المستنيم الناعس. وخدم البعثة الفرنسويّة العلميّة لمّا قدمت مصر مع نابوليون وذكرهُ بالثناء المستشرق مرسال (١

ومنهم الشيخ محمّد الدسوقيّ وُلد في دسوق من قرى مصر ودرس علوم اللغة والحكمة والهيئة والهندسة وفنّ التوقيت. قال الجبرتي (٤: ٢٣١) « لهُ تأليفات واضحة العبارة سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل » وعدّد تآليفهُ التي معظمها في العلوم البيانيّة والفقهيّة. توفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م)

واشتهر في الموصل من الأُدباء الشيخ ياسين ابن خير الله الخطيب العُمَريّ لهُ تواريخ مخطوطة في خزائن كتب لندن وبرلين كالدرّ المكنون في مآثر الماضية من القرون وهو تاريخ واسع للاسلام بلغهُ الى السنة ١٢٣٦ (١٨٢١ م) وافاض خصوصاً في أُمور الموصل (Brit. Museum, n° 1263) ولهُ منية الادباء في تاريخ الحدباء (Ibid. n° 1265) وكتاب عنوان الاعيان في ملوك الزمان (Berlin, n° 9484) وجرى ابنهُ عليّ بن ياسين على آثارهِ فكتب نحو السنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) روضة الاحبار في ذكر افراد الاخيار وهو مختصر تاريخ العالم والدول الاسلامية. وذكر في المقالة الثامنة ولاة بغداد من حسن باشا سنة ١٠٠٦ الى سليمان باشا ١٢٢٣ ولهُ كذلك فصل في ادباء الموصل وشعرائها (Brit., Mus. n° 1266)

وعُرف ايضاً الشيخ ابو الفوز محمّد امين السويدي صاحب كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب اختصرهُ عن القلقشندي نحو السنة ١٢٢٩ (١٨١٤) والكتاب قد طُبع على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٤

---

١) اطلب الجبرتي (٤: ٢٢٣) وكتاب الآداب العربيّة لهوارت (Cl. Huart: *Littérature arabe*, 417)

*

وان انتقلنا الآن الى ذكر النصارى الذين ابقوا لنا من قرائحهم الوقّادة ثمارًا جنيّة بالنظم والنثر لوجدنا قومًا منهم زانوا بآثارهم جيد الآداب واستحقوا شكر السلف مع قلّة ما كان لديهم في ذلك الوقت من الوسائل للترقّي في العلوم البيانيّة

واوّل من نذكر منهم رجل عصره الذي ترجمناهُ سابقًا في المشرق (٣: ٩—٢٢) وهو ميخائيل البحريّ الشاعر الروميّ الملكيّ الحمصي الأصل. كان متفننًا بالآداب العربيّة وينظم الشعر الرائق كما ترى في الامثلة التي اثبتناها عنهُ في سيرتهِ. وقد شهد لهُ ادباء عصرهِ بجود القريحة. قال الشيخ احمد البربير يمدحهُ:

رعى الله حمصًا اذ صبت نحوَ مَنْ لهُ ... بيانُ معانٍ في البديع من الشعرِ
بليغٌ غدا كالبحر والنظمُ درُّهُ ... وهل يُستفادُ الدرُّ الَّا من البحرِ

ازهر ميخائيل البحريّ في اواخر القرن الثامن عشر وكنّا روينا في المشرق (٣: ١٢) عن بعض الرواة انهُ ادرك القرن التاسع عشر ثمَّ وجدنا في ديوان الشاعر المجيد بطرس كرامة (ص ١٠٤) تاريخًا لوفاة المذكور في سنة ١٧٩٩ قالهُ نظمًا:

لكَ الرحمات يا لحدًا ثواهُ ... بديعٌ فضلهُ سامي الارائكْ
ويا لهفي على من فيكَ امسى ... ويا اسفي لدرٍ في ثرائكْ
حويتَ الكوكبَ البحريَّ علمًا ... فيا عجبي لبحرٍ في خبائكْ
ولمَّا ان ثوى نودي اليهِ ... هلمَّ الى سرورٍ في علائكْ
وفي الملكوت أرّخ ناطَ فوزًا ... بميخائيل تبتهج الملائكْ (١٧٩٩)

ولميخائيل البحريّ ذرّية كريمة جرت على آثارهِ نخصُّ منهم بالذكر ابنهُ عبّودًا او عبدالله البحري الذي ذكرنا بعض تفاصيل حياتهِ وتقلّبهُ في المناصب العالية عند ولاة الشام ولدى امراء مصر وكان رئيس قلم الانشاء عندهم لدينا من آثارهِ عدّة رسائل دوليّة واهليّة وكان بلغ النهاية في حسن الخط. وفي عبّود البحريّ قال الترك في موشّحهِ الذي كتبهُ سنة ١٨٠٩ يمدح بعض اصحابهِ في دمشق:

كم تباهت دُرَرُ البحري على ... كل ذي نظمٍ بديعٍ ونثارْ
وبدتْ من فوق أعلى الصُّحف لا ... يُنبت الدرَّ الصفي الَّا البحارْ
زُمَرُ الكتّاب طرًّا والملا ... من أولي الألبابِ توليهِ الوقارْ
كم تراهُ جاذبًا ان رَقما ... معدنَ الارواحِ كالمَغنَيطس
بل وكم يسبي عقولًا حين ما ... يُظهرُ الآيات فوقُ الطرسِ

وممَّن مدحوا عبُّود من الشُّعراء سليمان صوله قال فيهِ :

مولًى أبي الفضلُ الَّا ان يلازمَهُ   فلم يقمْ بمكانٍ فيهِ لم يَقُمِ
لله منهُ ملاكٌ يرتقي فرساً   وكوكبٌ ناطقٌ يسعى على قدمِ
لهُ يدٌ تخجل الابحار بالكرم الـ   ـزخار والذابل الخطَّار بالقلمِ
اضحى لدائرة المعروف والكرم المـ   ـوفور قُطبَ علًا لولاهُ لم تَدُمِ
اهديكَ ياخلَف البحريَّ عاتقةً   لعاتقِ المجدِ تهدي جوهر الحِكَمِ
اذا قبلتَ بها كان القبولُ لها   اعلى واغلى من الياقوت في القيمِ

وكانت وفاة عبُّود سنة ١٨٤٣ فرثاهُ المعلّم بطرس كرامه بقصيدةٍ طويلة قال فيها :

يا للمنيَّة قد جازت وقد غدرتْ   ببدر فضلٍ لهُ الاداب هالاتُ
مولى البراعة عبدالله مَن فُقدت   لفقدهِ وانقضت تلكَ البراعاتُ
يا طالما سبكتْ اقلامهُ دررًا   تقلَّدت بلآليها الرسالاتُ
وكم على وجنة القرطاس في يدهِ   تفاخرت ببديع الخط لاماتُ
ما لاعبتْ قلماً يوماً اناملهُ   الَّا كَبَتْ مشرفيَّات صقيلاتُ
لمَّا اتى الناسَ ناعيهِ بكت اسفاً   من البراعة دالاتٌ وميماتُ

وكذلك اشتهر اخوهُ حنا البحريّ فمدحهُ الشاعر المذكور غير مرَّةٍ (ص ٢٨٧ و٣٠٢,٢٨٩) كما مدح اخاهما جرمانوس فمن قولهِ في هذه الاسرة وكان ميخائيل البحريّ خالًا لبطرس كرامة (ص ٢٨٨)

بنو البحر الَّا انَّهم دررُ العُلَى   واهلُ الوفا لكنَّ دأبهم البرُّ
وما منهمُ الَّا نبيهٌ مهذَّب   تراهُ بديوان اليراع هوَ الصدرُ
بجرمانس ساد الحسابُ واصبحتْ   دفاترهُ الزهراء يعشقها الزهرُ
يريك اذا هزَّت يراعاً بنانهُ   عقودَ جماناتٍ معادنها الحبرُ
وفاخرَ يوحنَّا بانشائهِ الصبا   فرقَّت لالفاظٍ بها انعقدَ الدرُّ
تودُّ ذوءاباتُ الحسان اذا انتضى   ليكتب سطرًا انَّما ذلك السطرُ
هما فرقدا اوج البراعة والنُّهى   وابناء بيتٍ مهدُهُ النظمُ والنثرُ

وللمعلّم بطرس مدائح أُخرى في بني البحري منها تاريخهُ لوفاة اندراوس البحري سنة ١٨١٦ (ص ٢٦١) ختمهُ بهذا البيت :

تلقَّاهُ الاله يقولُ أرِّخْ   رِثِ المُلكَ المعدَّ لذي اليمينِ

ومنها تاريخهُ لوفاة عبدالله البحريّ ابن اخي ميخائيل سنة ١٨١٩ (ص ٢٦١) قال في ختامهِ :

برٌّ بغفران الاله مؤرِّخٌ   ومُنعمٌ في روضة الاملاك

وتاريخ وفاة ابرهيم البحريّ (سنة ١٨٢٢) المختوم بهذا البيت (ص ٢٦٢) :

وفي الملكوت حـازَ لدي الهِ　　مع الأبرار أرِخْ خيرَ روضهْ

وكان ميخائيل الصبّاغ الذي ذكرناهُ في جملة مؤرّخي زمانهِ شاعرًا وسطًا استحبَّ الاوربيُّون شعرهُ العربيّ فنقلوهُ الى الفرنسيّة فمن ذلك ما مدح بهِ البابا بيُوس السـابع لمّا قدم فرنسة لتتويج نابوليون قال :

دهِشتْ لرؤية وجهكَ الابصارُ　　وأضتْ لرؤيةِ مجدكَ الامصارُ
هذي العروسـةُ ياسليمان انجلت　　في حسنها ولها الفخارُ عظـامُ

ومنها في المدح :

اليوم تحسدنا الملائـكُ في السما　　لمّا نرى ممّا العقولُ تُحارُ
سامحْ نواظرنا اذ بكَ كرّرت　　نظَراتها او زادها التكرارُ

ولهُ موشّح قالهُ في ميلاد ابن نابوليون الاوّل سنة ١٨١١ اوّلهُ :

هلّلوا في الارض يا كلَّ الامم　　واهتفوا فيها بألحان النغمْ

ومنها :

ايها القيصرُ بُلغتَ المنى　　كلُّنا بالبكرِ نهديكَ الهنا
انتَ منّا مستحقٌّ للثنـا　　قد حبانا ربُّنا هذه النعمْ

ولهُ غير ذلك ممّا لا نتعرّض لذكرهِ والركاكة ظاهرة في معظم هذه القصائد والموشّحات ما يدلُّ على انَّ صاحبها لم يُحسن علم العروض وانّما تعاطى النظم استعطافًا لبعض الذوات وحظوةً برضى العلماء المستشرقين　　(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LOUIS BREHIER: **L'Eglise et l'Orient au Moyen-Age** : Les Croisades. In-12, XIII-377, *Paris*, *Lecoffre*, *G. Gabalda et Cie*, 1907 (Bibl. de l'enseignement de l'histoire ecclésiastique).

الكنيسة والشرق في القرون الوسطى

هو أثر جديد من همة أصحاب الشركة المتوليـة نشر تآليف شتّى لتعليم التاريخ الكنسيّ. مدارهُ على ما ابدتهُ الكنيسة الرومانيّة من شارات الحبّ والانعطاف الى الشرقيين وهو موضوع لم يكتب فيه احد قبل يومنا كتابًا مستوفيًا . ومؤلف هذا التاريخ من كبار الاثريين تُغني شهرته بين العلماء عن تعريفه ومن يتصفّح تأليفهُ يقضي العجب

من وفرة ما جمعهُ لبيان قصدهِ فاتى بشواهد عديدة تنطق بهمّة الاحبار الرومانيين نحو الشرق فتارةً كانوا يوفدون الوفود الى ملوكهِ وتارةً كانوا يعقـدون المجامع لصلاحهِ ويكتبون الكتابات والمناشير لترويج شؤونهِ. وكذلك بيَّن الولاء الذي كان يربط الشرق والغرب بتعدُّد الزوَّار الى الاماكن المقدسة. ثم ذكر الحوادث التي اشتهرت في القرن الثاني عشر لخير الشرق ثمَّ ما أُرسل اليهِ من المرسلين الغيورين لانقاذه من البدع ولتوطيد الدين بين اهلهِ. ومجمل القول انَّ هذا التأليف من افضل واصدق ما كُتب الى اليوم في العلاقات والاواخي التي كانت تجمع الشرق والغرب المسيحيَّين في الاجيال المتوسطة. وقد لحظنا في الكتاب بعض اغلاط طبعيَّة خفيفة لا حاجة الى ذكرها. وكذلك تاريخ ١٣ آب ١٣١٠ (ص ٢٦) لفتح رودس ليس هو اكيدًا من حيث السنة اما اليوم فهو ١٥ آب كما ورد في تاريخ الاسبتاريين (Les Hospitaliers en Terre-Sainte et à Chypre par Delaville-Leroul, p. 278)

ر. م

SYRISCHE RECHTSBUECHER herausgegeben und übersetzt von **Eduard Sachau.** I Bd, *Berlin*, *Reimer*, 1907, XXIV-224.

التآليف السريانيّة في الحقوق الشرعيّة

للسريان تآليف متعدّدة تحتوي القوانين الشرعيَّة التي كانوا يرجعون اليها في دعاويهم. والقسم الاكبر من هذه المصنَّفات يشتمل على قوانين الرسل والمجامع والآباء قد نُشر اكثرها بالطبع في هذه السنين الاخيرة بالكلدانيَّة او بالسريانيَّة. على ان لهذه الدساتير الدينيَّة قسماً آخر يُلحق بها وهو يتضمَّن قوانين رومانيَّة تُنسب الى قياصرة الروم كقسطنطين الكبير وثاودوسيوس ولاون وباسيل. وهذا القسم الثاني كان أشار اليهِ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة ثم اقتطف منهُ شيئاً العلَّامة لَند في طُرَفهِ السريانيَّة (Land: *Anecdota Syriaca*, I, 30-64) ثمَّ اكملهُ المستشرقان الالمانيَّان ساخَوْ (E.Sachau) وبرُنس (K. G. Bruns) فنشرا سنة ١٨٨٠ كتاباً غاية في الافادة عنوانهُ: «القوانين الدنيويَّة منقولة عن اللاتينيَّة الى الارميَّة» لكنَّ المكتبة الواتيكانيَّة قد حصلت منذ سنين قليلة على مخطوطات سريانيَّة جديدة كان أهدى قسماً منها الى مكتبة مجمع انتشار الايمان الطيّب الذكر السيّد اقليميس داود السرياني ثمَّ نُقلت هـذه المخطوطات الى متحف برجيا ومنهُ الى الخزانة الواتيكانيَّة. فالمخطوط الموسوم بينهـا

بالعدد ٨١ يحتوي على ما هو أوسع وأصحّ ممَّا نُشر سابقًا . فاحبَّ العلَّامة ساخو ان يفيد المستشرقين بهذه الآثار الجليلة التي هي على ثلاثة اقسام القسم الاوَّل يتضمَّن احكام الملكين قسطنطين ولاون (ص ١ — ٤٠) فيهِ ٧٥ بندًا والثاني يتضمَّن مجموعًا آخر لأَحكام الملوك قسطنطين وثاودورسيوس ولاون (٤١—١٤١) وبنوده ُ ١٥٨ والثالث هو مجموع للملوك انفسهم جمعهُ بامر القيصر والنتنيان القديس امبروسيوس اسقف ميلان (١٤٣—١٨٣) وبنوده ُ ١٢٨ . وبين هذه الجاميع الثلاثة موافقات عديدة بيَّنها الموسيو ساخو وقد نقلها كلَّها الى اللغة الالمانيَّة وألحقها بعدَّة ملحوظات مفيدة . وقد وصفنا نحن ايضًا سابقًا في المشرق٧ : ٢٧٩) مثل هذه التآليف القانونيَّة التي في جملتها قوانين مدنيَّة تنسب الى قسطنطين والى ثاودورسيوس ولاون . وفي نصوصها اختلافات مع السريانيَّة ولعلَّنا ننشرها يومًا تتمَّةً للفائدة

PATROLOGIA ORIENTALIS T. I, fasc. 5: LE SYNAXAIRE ÉTHIOPIEN. Le mois de Sané, texte et traduction par **I. Guidi** avec le concours de **L. Desnoyers**, *Paris*, *Firmin-Didot*, pp. 551-705.

السنكسار الحبشي : شهر سنا

السنكسار كما هو معلوم مجموع اخبار الشهداء والقديسين مرتبًا على مدار السنة الكنسيَّة ولهُ في كلّ الطوائف المسيحيَّة شأن عظيم فيُعَدّ من جملة كتبها الطقسيَّة تقرأ فصولهُ في الحفلات الدينيَّة ليكون المؤمنون على بصيرة من معاني العيد وسيرة صاحبهِ . على ان السنكسارات الشرقيَّة حتى اليوم لا تزال في الغالب مخطوطة قليلة الانتشار لما يقتضيه نسخها من النفقات . وعليهِ قد أحسن الذين تولَّوا نشر اعمال الآباء في الكنيسة الشرقيَّة اذ قصدوا نشر هذه السنكسارات في لغاتها الاصليَّة كما فعلوا بسنكسار الاقباط (المشرق ٨ : ٩١٢) . وهذا مثال آخر من نشاطهم نريد السنكسار الحبشي الذي اخذ بنشرهِ العلَّامة الايطالي الذائع الشهرة اغناطيوس غويدي . وقد وردنا منهُ قسمٌ يحتوي تراجم القديسين في شهر سنا الموافق لآخر شهر أيار الى ٢٤ حزيران . وهذا السنكسار الحبشي عزيز الوجود توفَّق الاستاذ غويدي الى مراجعة ثلاث نسخ منهُ ترتقي احداها الى القرن الخامس عشر واثبت ما في هذه النسخ من الروايات والاختلافات والزيادات . والاصل الحبشي قد ضبطهُ الاستاذ ضبطًا تامًّا على مألوف عادتهِ في ما تولَّى نشره ُ الى

اليوم. وقد ساعدهُ الموسيو دي نوّيه احد الفرنسويين في نقلـهِ الى الفرنسويّة فجاء الكتاب وافياً بالمرام فنحض كلّ محبي آثار الشرق الدينية على اقتنائهِ ل. ش

Dr P. THOMSEN. **Loca Sancta**. Verzeichnis der im 1. bis 6. Jahrhundert n. Chr. erwaehnten Ortschaften Palaestinas. I, mit einer Karte. 8°, XVI-143. *Rudolf Haupt*, *Halle,* 1906.

الاماكن المقدسة في الستّة القرون الاولى

أحرز لهُ العالم م. طومسن شهرةً بمقالتهِ في «كتاب الاعلام» للمؤرّخ أسابيوس وبابحاثهِ عن الآداب الفلسطينيَّة (cf. ZDPV. t.XXVI et XXIX) وها انهُ الآن اتحفنا بكتاب جديد في «الاماكن المقدسة». غير ان بعض الكتبة سبقوهُ في هـذا الموضوع. منهم الكاهن ريس (Riess) الكاثوليكي فانهُ وضع سنـة ١٨٧٢ معجماً دعاهُ «بجغرافية الكتاب المقدَّس» ولم يقتصر فيهِ على ما يتعلّق بالعهدين القديم والجديد لكنهُ استطرد الى امور خارجة عنها. ثمَّ عقبهُ سنة ١٨٩٤ احد خدَمة البروتستانت ا. فون ستارك فراجع النظر في مؤلف سلفهِ (Palästina u. Syrien von Anfang der Geschichte bis zum Siege des Islam) وزاد عليـهِ ايضاحات وملحقات تختصّ بالعصور المسيحية لولا انهُ لم يرِد في عملهِ هذا اعذب المناهل واصفاها فاتى كتابهُ غير وافٍ بالمرام. فنهض في هذه الاثناء العالم طومسن وتوخّى ألَّا يوسّع نطاق تلك المباحث بل كلّف نفسه ان يتقصَّاها وينقّب عنها بموجب اسلوب علميّ. وقد استهلّ كتابهُ بلائحة التآليف التي اخذ عنها. فمن طالعها لا يتمالك من الاقرار انهُ رجل خبير في اختيار الموادّ يتتبَّع موضوعهُ ولا يحيد عنهُ البتَّة. وفي المجلد الاول من هذا المؤلف يجد القارئ معجماً مرتباً حسب حروف الهجاء جُمع فيهِ ما يختصّ بايّ محلّ كان من فلسطين فيكتفي المطالع بوقتٍ وجيز لاسيا اذا كانت بين يديه مكتبة حافلة بالتصانيف ليعلم على اي منهـاج يسلـك في درس باشرهُ وحقيقة يريد اثباتها. وقد امعن النظر ملياً فيا يتعلّق في الاماكن التي يُرتاب بموقعها. لكنّنا نأخذ عليهِ وقوع بعض الخلل في رسم الخارطة واملنا وطيد باصلاحهِ في طبعة ثانية. وليس هـذا ممَّا يصدُّنا عن ان نمحض المؤلف عواطف الشكر لما اودع كتابهِ من الفوائد ولما ألحق بهِ من الفهارس. واما المجلد الثاني فانهُ سيخبرنا عن أحوال اورشليم وأديرة فلسطين في الستة القرون الاولى المسيحيَّة ومنذ الان نعلل النفس بمطالعتهِ عن قرب وبتقريظهِ بدون تردّدٍ ولاستثناء س. ر

كتاب ذخائر لبنان

تأليف عزتلو ابرهيم بك الاسود

طُبع في المطبعة العثمانيَّة في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٦ (ص ٣٢٠)

نقلت جريدة لبنان الغرَّاء كلامنا في تاريخ عائلة الحلو مثنيةً عليه وكأنها خافت ان يكون فاتنا مراجعة كتابٍ جليل في اخبار لبنان صنَّفهُ صاحب السعادة الوجيه الفاضل ابرهيم بك الاسود ودعاهُ ذخائر لبنان فاستلفتت اليهِ انظارنا وفيهِ ما تتمنَّاهُ من ازالة السقم عن تاريخ جبل لبنان. فنشكر لراقم هذه الاسطر افادته. ثم نقول اننا عرفنا هذا التأليف منذ صدورهِ واستشهدنا بهِ غير مرَّة وفي ذلك دليل على اقرارنا بفضل صاحبهِ. وها نحن نكرّر الثناء عليهِ وعلى مضموناتهِ المتعدّدة. لكنَّ في تاريخ لبنان ثلمةً واسعة لا تسدّها مساعي بعض الافراد فلا بُدَّ لذلك من جمع القوى والتفتيش الطويل في القرى والاديرة وخزائن الخواصّ لأنَّ ما نعلمهُ عن لبنانَ بالنسبة الى ما نجهلهُ بمثابة نقطة من بحر. وقد سُررنا بما بشَّرتنا بهِ الجريدة بصدور الجزء الثاني من كتاب ذخائر لبنان فعسانا نجد فيهِ كثيرًا من المعلومات التي لم نجدها في المطبوعات السابقة. متَّعنا الله زمنًا طويلًا بهمة مؤلفهِ الاديب

الدرر السنيَّة في واجبات ذوي الدرجات الكهنوتيَّة

للاب هارل الكاهن الفرنسوي. ترجمها الى اللغة العربيَّة الخوري يوسف ديب

الجزء الثاني. طبع في المطبعة اللبنانيَّة في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٧ (ص ٣٦٢)

انَّ الكاهن ملح الارض ونور العالم فاذا فسد ذلك الملح اضحى بفسادهِ الطعام تفهًا واذا انطفأ ذلك النور استولى الظلام على المستضيئين بهِ. وغاية مؤلف هذا الكتاب الاب هارل نائب احدى رعايا باريس ان يزيد ذلك الملح قوَّةً وذلك النور توقدًا. وقد سبق (المشرق ٦ : ٤٤) وعرَّف الجزء الاوَّل من هذا التأليف. وهذا الجزء الثاني كشقيقهِ في حسن انتقاء الموادّ وايضاح المعاني وقوة البراهين العقليَّة والنقليَّة مع ضبط الترجمة وسلاستها. فنحضّ الكهنة اجمعين على قراءة هذا الكتاب بل على تأمل محتوياتهِ فانَّهم يجدون فيهِ كلامًا مؤثرًا يوقفهم على فرائضهم وواجباتهم المقدَّسة حتى

اليوم. وقد ساعدهُ الموسيو دي نويّه احد الفرنسويين في نقلـهِ الى الفرنسوية فجاء الكتاب وافياً بالمرام فنحض كلّ محبي آثار الشرق الدينية على اقتنائهِ ل. ش

Dr P. THOMSEN. **Loca Sancta.** Verzeichnis der im 1. bis 6. Jahrhundert n. Chr. erwaehnten Ortschaften Palaestinas. I, mit einer Karte. 8°, XVI-143. *Rudolf Haupt, Halle,* 1906.

الاماكن المقدسة في الستّة القرون الاولى

أحرز لهُ العالم م. طومسن شهرةً بمقالتهِ في « كتاب الاعلام » للمؤرخ أسابيوس وبابحاثهِ عن الآداب الفلسطينيّة (cf. ZDPV. t.XXVI et XXIX) وها انهُ الآن اتحفنا بكتاب جديد في « الاماكن المقدسة » . غير ان بعض الكتبة سبقوهُ في هـذا الموضوع. منهم الكاهن ريس (Riess) الكاثوليكي فانهُ وضع سنـة ١٨٧٢ معجماً دعاهُ « بجغرافية الكتاب المقدَّس » ولم يقتصر فيهِ على ما يتعلّق بالعهدين القديم والجديد لكنهُ استطرد الى امور خارجة عنهما. ثمَّ عقبهُ سنة ١٨٩٤ احد خدَمة البروتستانت ا. فون ستارك فراجع النظر في مؤلف سلفهِ (Palästina u. Syrien von Anfang der Geschichte bis zum Siege des Islam) وزاد عليـهِ ايضاحات وملحقات تختصّ بالعصور المسيحية لولا انَّهُ لم يرِد في عملهِ هذا اعذب المناهل واصفاها فاتى كتابهُ غير وافٍ بالمرام. فنهض في هذه الاثناء العالم طومسن وتوخّى ألّا يوسّع نطاق تلك المباحث بل كلّف نفسه ان يتقصّاها وينقّب عنها بموجب اسلوب علميّ. وقد استهلّ كتابهُ بلائحة التآليف التي اخذ عنها. فمن طالعها لا يتمالك من الاقرار انهُ رجل خبير في اختيار الموادّ يتتبَّع موضوعهُ ولا يحيد عنهُ البتَّة. وفي الجلد الاول من هذا المؤلف يجد القارئ معجماً مرتباً حسب حروف الهجاء جُمع فيهِ ما يختصّ بايّ محلّ كان من فلسطين فيكتفي المطالع بوقتٍ وجيز لاسيما اذا كانت بين يديه مكتبة حافلة بالتصانيف ليعلم على اي منهـاج يسلـك في درس باشرهُ وحقيقة يريد اثباتها . وقد امعن النظر ملياً فيما يتعلّق في الاماكن التي يُرتاب بموقعها. لكنّنا نأخذ عليهِ وقوع بعض الخلل في رسم الخارطة واملنا وطيد باصلاحهِ في طبعة ثانية. وليس هـذا ممّا يصدّنا عن ان نمحض المؤلف عواطف الشكر لما اودع كتابهِ من الفوائد ولما ألحق بهِ من الفهارس . واما الجلد الثاني فانهُ سيخبرنا عن أحوال اورشليم وأديرة فلسطين في الستة القرون الاولى المسيحيَّة ومنذ الان نعلل النفس بمطالعتهِ عن قرب وبتقريظهِ بدون تردّدٍ ولستثناء س. ر

كتاب ذخائر لبنان

تأليف عزتلو ابرهيم بك الاسود

طُبع في المطبعة العثمانيَّة في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٦ (ص ٢٣٠)

نقلت جريدة لبنان الغرَّاء كلامنا في تاريخ عائلة الحلو مثنيةً عليه وكأنها خافت ان يكون فاتنا مراجعة كتابٍ جليل في اخبار لبنان صنَّفهُ صاحب السعادة الوجيه الفاضل ابرهيم بك الاسود ودعاهُ ذخائر لبنان فاستلفتت اليهِ انظارنا وفيهِ ما تتمَّناهُ من ازالة السقم عن تاريخ جبل لبنان. فنشكر لراقم هذه الاسطر افادته. ثم نقول اننا عرفنا هذا التأليف منذ صدورهِ واستشهدنا بهِ غير مرَّةٍ وفي ذلك دليل على اقرارنا بفضل صاحبهِ. وها نحن نكرّر الثناء عليهِ وعلى مضموناتهِ المتعدّدة. لكنَّ في تاريخ لبنان ثلمةً واسعة لا تسدّها مساعي بعض الافراد فلا بُدَّ لذلك من جمع القوى والتفتيش الطويل في القرى والاديرة وخزائن الخواصّ لأنَّ ما نعلمهُ عن لبنان بالنسبة الى ما نجهلهُ بمثابة نقطة من بحر. وقد سُررنا بما بشَّرتنا بهِ الجريدة بصدور الجزء الثاني من كتاب ذخائر لبنان فعسانا نجد فيهِ كثيرًا من المعلومات التي لم نجدها في المطبوعات السابقة. متَّعنا الله زمنًا طويلًا بهمة مؤلفهِ الاديب

الدرر السنيَّة في واجبات ذوي الدرجات الكهنوتيَّة

للاب هارل الكاهن الفرنسوي. ترجمها الى اللغة العربيَّة الخوري يوسف ديب

الجزء الثاني. طبع في المطبعة اللبنانيَّة في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٧ (ص ٢٦٣)

انَّ الكاهن ملح الارض ونور العالم فاذا فسد ذلك الملح اضحى بفسادهِ الطعام تفهًا واذا انطفأ ذلك النور استولى الظلام على المستضيئين بهِ. وغاية مؤلف هذا الكتاب الاب هارل نائب احدى رعايا باريس ان يزيد ذلك الملح قوَّةً وذلك النور توقدًا. وقد سبق (المشرق ٦: ٤٤) وعرَّف الجزء الاوَّل من هذا التأليف. وهذا الجزء الثاني كشقيقهِ في حسن انتقاء الموادّ وايضاح المعاني وقوة البراهين العقليَّة والنقليَّة مع ضبط الترجمة وسلاستها. فنحضّ الكهنة اجمعين على قراءة هذا الكتاب بل على تأمل محتوياتهِ فانَّهم يجدون فيهِ كلامًا مؤثرًا يُوقفهم على فرائضهم وواجباتهم المقدَّسة حتى

اذا ادركوها وساروا بموجبها ربحوا نفوسهم ونفوس المسيحيين الذين نيط بهم تدبيرهم . ولنا في رواج الجزء الاوَّل من هذا الكتاب ضامن أكيد على انتشار جزئهِ الثاني لاسيما ان نيافة الكردينال غوتي وغبطة بطريرك الطائفة المارونيَّة اثنيا على هـذا المشروع الصالح وباركا مترجمهُ ل . ش

شذرات

محطَّات التلغراف الاثيري — لا يزال التلغراف الاثيريّ الخالي من الاسلاك في ترقٍّ متواصل والدليل على ذلك ما أُنشي لهُ من المحطَّات المتعدّدة في بلادٍ شتى . وللولايات المتحدة السبق في ذلك فان محطَّات تلغرافها اللاسلكي تبلغ ٨٨ يليها الممالك البريطانيَّة ٤٣ ثمَّ ايطالية ١٨ ثمَّ المانية ١٣ ثمَّ هولندة ٨ ثمَّ روسية ٧ ثمَّ فرنسة ٦ وكذلك ٦ في الممالك المحروسة . وفي الارجنتين ٥ ومثلها في البرازيل والصين وجزائر انتيل . وفي اسبانية ٤ وكذلك الدنيمرك وفي اسوج ٣ وفي النمسا ٢ وكذلك رومانية ومراكش ومصر واليابان وجبل طارق . وقد أُقيمت محطَّة واحدة منهُ في بلجكة والبرتغال وطرابلس الغرب ونروج وبلاد اخرى . وناهيك بهذا الجدول دليلًا على ما يجدون في التلغراف الاثيري من الفوائد للمخابرات . مثال ذلك محطّة برج أيفل فانهـا تخابر كل سواحل البحر المتوسط . وفي عدَّة مراكب تجهيزات للتلغراف الاثيري تخابر البرّ في مدَّة سيرها ثمَّ تطبع جرائد يومية توزعها على الركَّاب لتوقفهم على اخبار البلاد

خبز الذُّرة — انَّ مزارع الذُّرة متَّسعة في بـلاد اميركة . وقد اخذ قوم من ارباب الاملاك يستحضرون منها خبزًا يجدون فيهِ خواصّ خبز البُرّ ولهم في تنظيفهِ وزيادة بياضهِ طرائق حسنة تجعلهُ في النظر كطحين القمح . فصار كثيرون يقبلون عليهِ ويأكلونهُ بدلًا من خبز البرّ ليس فقط في اميركة لكن ايضًا في بلجكة وشمالي فرنسة وهذا الخبز كثير التغذية طيّب الذوق فضلًا عن هوادة اسعارهِ . نقلنا ذلك لافادة اهل بلادنا لاسيَّما الفقراء منهم لكثرة الذرة عندنا . لكنَّ في الذرة ضررًا اذا بولغ في اكلها فانهُ تسبّب في الجلد بثورات وخراجات يتأذى منها أصحابها

جُعَل دود القزّ — ظهر هذه السنة في سواحل الشام صنف من الجعلان او الصراصير فتك بدود القزّ فتكًا ذريعًا حتَّى اتلف منهـا قسمًا وافرًا .

فأُصيب بسببهِ الاهلون بخسائر باهظة وما زادهم اسفاً انَّ المواسمَ كانت في هذه السنة على صلاح واقبال يتفاءلون بارباحها الغزيرة . وهذا الجُعَل صغير الجسم لطيفهُ ذو اربعة أجنحة منها جناحان غلافيَّان (coléoptères) يدعونهُ بكالوسوما (calosoma) اي اللطيف الجسم من احد الاصناف الضارَّة المعروفة بالنبَّاش (inquisitor) . والصرصور المذكور اسود اللون الَّا انَّ هذا السواد ضاربٌ الى الخضرة تلوح في ظهرهِ لمن يرقبهُ بالمجهر نُكَت خضراء بديعة اللون ذات سياق ونظام بهيٍّ . ومن خاصَّتهِ انهُ يتسلَّط على دود القز فيقطعهُ بمخاليبهِ ويلتهمهُ بوقت قليل او يتلفهُ تماماً . واذ انتبه الاهلون الى اضرارهِ الجسيمة فعليهم ان يتعقَّبوا بزرهُ فيلاشوهُ ثمَّ يفكِّروا في انجع الوسائل لدفع اذاه في العام المقبل وذلك امَّا بان تجعل الخصاص في بيوت نظيفة مقفلة وامَّا ان تُحاط بشبَّكات من الاسلاك الدقيقة . ولعلَّ الاختبار يرشدهم الى استدراك اضرار هذه الدويبة بطريقة أُخرى كتسميمها او قتلها

❊ آثار نصرانيَّة في بلاد تونس ❊ بلغت النصرانية في شمالي افريقية في القرون الخمسة الاولى للميلاد مبلغاً عظيماً لا يكاد يتخيَّلهُ العقل . وكنَّا نعرف بذلك قبلاً مما ورد في التواريخ القديمة واعمال الآباء . الَّا انَّ الآثار النصرانيَّة التي اكتشفها ارباب العاديَّات في بلاد الجزائر وتونس ومراكش قد جاءت مصداقاً على نصوص القدماء . ولا يكاد يأتينا عدد من المجلَّات الاثريَّة الَّا يفيدنا عن بروز مآثر جديدة من دفائنها . ومما وُجد آخرًا قرب تابسًا آثار كنيسة ملكيَّة مع كتابة فيها اسماء خمسة من الشهداء . وقد اكتشف الملازم بينه (Benet) مدفناً مسيحيًّا في طبرقة . وبقربهِ كنيسة كبيرة ذات ثلاثة اسواق والمدافن منقورة في الصخر على طبقتين يحتوي كل مدفن عددًا من هياكل الموتى . وفي هذه القبور نقوش عديدة رمزيَّة اعتادها النصارى كالحَمَل والحمامة والسمكة والسفينة والطاووس وشعار اسم السيِّد المسيح باليونانية . وكذلك اكتشف قريباً في البلد عينه آثار دير للرواهب . وتوفَّق القومندان هانزو (Hannezo) الى اكتشاف بركة عماد قريباً من زغوان يُنزل اليها بثلاث درجات . ومما اكتُشف في سوسة صورة بديعة تمثل الراعي الصالح حاملًا على منكبيهِ النعجة الضالَّة وكذلك وجدوا قبورًا نصرانيَّة عليها كتابات راقية الى القرن الثالث . وألفوا ايضاً قالباً كانوا يضربون فيهِ ايقونات تقويَّة من المعدن . ومن الآثار الجليلة التي عثروا عليها في انفيدة

معادن دينية ونواويس مع اسماء شهدا واساقفة ثم وقفوا على أعمال دقيقة من الفسيفساء البديعة الصنع البهيئة النقوش. واكتشف الاب ديلاتر من الآباء البيض مقبرة عظيمة في قرطجنة وجد فيها ١١٠٠ كتابة نصرانية مدفنيَّة مع عدد وافر من الآثار والنقوش والمصابيح وغير ذلك مما اوجب لهُ شكر العلماء عموماً والأثريين خصوصاً

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب الأديب عيسى افندي معلوف: ١ً اي موقع كفرعاقب المذكورة في بيت المتنبي:

اتاني وعيد الادعياء وانَّهم اعدُّوا لي السودانَ في كفرعاقب

وهل كفرعاقب هذه هي تحريف كفرعقاب من اعمال لبنان. ٢ً من هم الادعياء المذكورون في هذا البيت. ٣ً هل كفرعقاب المذكورة في اعمال الصليبيين (المشرق ٤ : ٨٣٧) هي القرية اللبنانيَّة. ٤ً ما المقصود بعقاب لبنان في هذا البيت الآخر للمتنبي:

وعقابُ لبنانٍ وكيف بقَطْعها وهو الشتاء وصيفهنَّ شتاء

كفرعاقب وكفرعقاب

ج كنَّا وددنا لو ذكر المتنبي اسم قرية لبنانيَّة فاننا لا نكاد نعلم شيئاً عن قرى لبنان من عهدهِ. وكفرعاقب التي ذكرها المتنبي قد نال فيها الواحدي والعكبريّ انَّها من قرى الشام. وزاد الامر ايضاحاً ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٢٦٠) انها قرية على بُحيرة طبريَّة من أعمال الاردنّ. وفي معجم ما استعجم للبكري ما هو أدقّ واضبط فقال (ص ٤٧٩) أنها « تلقاء طبريَّة » وهو الصواب فان موقعها على عبر البحيرة من جهة جولان شرقيّ شماليّ طبريَّة تدعى اليوم دكَّة (وقيل دوقة) كفرعاقب. ومن ثمَّ ظهر الفرق بينها وبين كفرعقاب اللبنانيَّة. اما كفرعقاب المذكورة في اعمال الصليبيين فانَّها من القرى المجاورة للقدس. ويوجد في السامرة قرية أُخرى تدعى كفر عقَب ذكر العلَّامة جورين (V. Guérin: *Samarie*, I, 204). اما الادعياء الذين ذكرهم المتنبي في بيتهِ فقد اتفق الشرَّاح على انَّهم « قوم يدَّعون نسب عليّ » ولعلَّهم المعروفون اليوم بالمتاولة. اما عقاب لبنان المذكورة في البيت الثاني فهي ثنيَّة تدعى بوادي عُقاب موقعها « في الجبل الذي يطلّ على غوطة دمشق في ناحية حمص » (ياقوت) سُميت بذلك «براية لخالد بن الوليد مسمَّى العُقاب » (البكري). وقد ذكرها الاخطل (ص١٩) ل. ش

المشرق

عجائب بلاد موآب

وفقاً لما كتبهُ آخراً الاب الدكتور موسيل (١

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقيّ

بشَّرنا قرَّاءنا منذ عهد قريب (ص ٢٨٢) بخارطة بديعة رسم فيها الدكتور لويس موسيل البلاد الواقعة بين الاردن وبحيرة لوط وبحر القلزم ومصر. وما كان هذا الاثر الّا توطئة لكتاب موسّع سرّنا صدور القسم الاوّل منهُ اليوم وقد ضمَّنهُ المؤلف البارع رحلتهُ الى موآب مع وصف الامكنة التي تجوّل فيها قبل سنين قليلة فعرَّف حزونها وبطونها وجبالها واوديتها وعيونها ومجاري مياهها ومعادنها وخصب تربتها وطرق مواصلاتها. فجمع في ٢٥ صفحة ادقّ المعلومات عن تلك الجهات التي تكرَّر ذكرها في الاسفار المقدَّسة بحيث يستطيع العلماء بعد مراجعة هذا النظر الاجمالي ان يقفوا على حقيقة الواقع ويقدّروا الامور قدرها

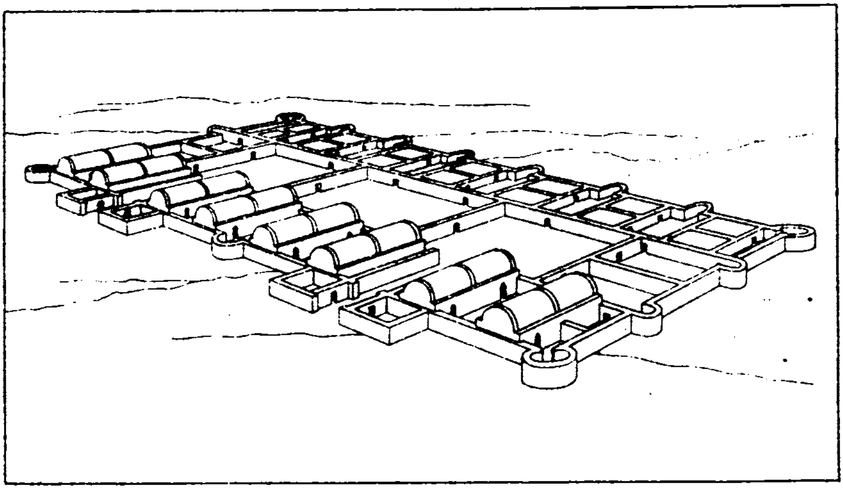
وبعد هذه المقدّمة تخطّى المؤلف الى ذكر السياحات المتعدّدة التي تولّاها بنفسهِ منذ السنة ١٨٩٦ الى السنة ١٩٠٢ تباعاً عاماً بعد عام لم ينقطع عن رحلهِ الّا السنة ١٨٩٩ وقد طاف مدّة اسفارهِ في تلك الاقطار فقطعها من كلّ وجوهها حتى اننا لو اردنا أن نتعقّب آثارهُ بالتفصيل لعجزنا عن ذلك. فانّ الكاتب الفاضل يذكر رحلةً متواصلةً بكلام وجيز مدقّق غاية في الضبط كلهُ معانٍ واوصاف مجرَّدة عن كل حشو ولغط. ومع هذا لا تكاد تجد شيئاً من المعلومات قد فاتهُ من تعريف الاراضي وبيان الآثار القديمة ووصف اخلاق السكّان وغير ذلك ممّا يحيي في اعين القرّاء احوال تلك الاصقاع

(١ Moab : topographischer Reisebericht ; XXIII — 443 pp.

في كل اطوارها من مآثر كتابيَّة في عهد بني اسرائيل او آثار نصرانيَّة في القرون الاولى للميلاد او ابنية رومانيَّة وبوزنطيَّة وعربيَّة

ومما ابقاهُ الطور العربي قصور عجيبة تراها منتصبةً في قلب البادية توفَّق المؤلف الى اكتشافها (اطلب المشرق ١ : ٦٣٢) كقصر الطوبة (انظر الصورة) والحرَّاني وبالاخص قُصَير عمرا الغريب البناء المزدان بتلك النقوش الزهيَّة والتصاوير العجيبة التي افاض الكتبة في بيان اصلها وغايتها فكثر بينهم القال والقيل دون أن يقرُّوا حتى الآن على رأي ثابت كما لم يتَّفقوا على تعريف قصر المشتَّى واصلهِ وبُناتهِ . وموقع قُصَير عمرا على خطّ قصر المشتى يبعد عنهُ ٧٠ كيلو مترًا من جهة الشرق وهو في اواسط بادية قفرة

ومن يوجه نظرهُ الى هذين القصرين اي المشتَّى وقُصَير عمرا يخطر على خلدهِ اصل فنّ البناء عند العرب . فان هذه الآثار قد عزاها البعض الى بني اميَّة لكنَّ غيرهم لا يوافقونهم في رأيهم ويرتأون انَّ قصر المشتَّى ليس هو لهم . والاجدر بهؤلاء ان يراجعوا



قصر طوبة ومجمل نظر ابنيتهِ سابقًا (عن احد رسوم الدكتور موسيل)

في كتاب الدكتور موسيل ما كتبهُ ليعارض بين ابنية المشتى وابنية قصر الطوبة وهو قصر طوبة ينسبونهُ غالباً الى الوليد الثاني. فانَّ بين الاثرين تشابهاً عظيماً في رسمهما وخواصّ بنائهما (اطلب كتابهُ ص ٢٠٠ الى ٢٠٤). وهذه المقايسة على ما نظنّ تزيد رجحان مذهب القائلين بانَّ المشتى من بناء الامويين

وما قيل عن قصر المشتى نقولهُ عن قصير عمرا الذي احسن الدكتور موسيل وصفهُ في هذا الكتاب فان بُناة هذا الازج عربٌ بلا مراء. ونزتاي فوق ذلك انَّهُ لبني اميَّة ويسوقنا الى هذا القول انَّ الخلفاء الامويين اعتادوا ان يقضوا قسماً من سنتهم لاسيما الربيع في البادية (١ (الاغاني ٢ : ١٠٨) فكان يزيد بن معاوية يتبدَّى في بادية تدمر (٢ وعبد الملك بن مروان في جابية الجولان. وكذلك ذكر الكتبة «بادية» الوليد وسليمان اخيهِ (اغاني ٤ : ٦١ و٨ : ١٨٣). ويظهر من نصوص هؤلاء الكتبة انَّها كانت عادةً ألفها بنو اميَّة فينتقلون الى البرّيَّة كما يفعل اهل بيروت في فصل القيظ فيصطافون في الجبل. قال الطبريّ في تاريخهِ (٢ : ١٧٨٣ أ مع مراجعة ص ١٧٩٣) ومثلهُ ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني ٦ : ١١٣): «خرج يزيد بن عبد الملك الى القرين مبتدئاً (والصواب متبديًا) بهِ وكان هناك قصر لسعيد بن الخالد» وسعيد بن الخالد احد بني اميَّة فكان ابتنى لهُ قصرًا في البادية على مثال الامراء الامويين

وفي بعض نصوص كتاب الاغاني (٤ : ٦١) انَّ سليمان كان اذا نزل البادية لا يسكن تحت الخيام بل في منزل مشيَّد. وكذلك وجد الدكتور موسيل آثار قصر بائر الذي كان يسكنهُ الوليد الثاني ابن يزيد وقد دعم حضرتهُ قولهُ باسانيد شتى لا تُبقي في صحَّتهِ ريباً. وورد في الاغاني (٦ : ١٣٦) انَّ الوليد بن يزيد كان مقيماً في البادية «على بناء كان ابتناهُ في معسكرهِ يُشرف عليهِ». فترى من هذه النصوص وغيرها انَّ بلاد موآب كانت مشحونةً بقصور يحلُّها بنو اميَّة في ايَّام الربيع (الاغاني ٦ : ١١٣)

فكل هذه الشواهد تحدو بنا الى القول بان قصير عمرا كان ايضاً من منازل بني اميَّة في ايَّام الربيع ولعلَّ مشيّدهُ هو الوليد الاوَّل ابن عبد الملك ويؤيد ظنَّنا انَّ الوليد

١) راجع الاغاني (٦ : ١١٣) في اسفل الصفحة

٢) اطلب في المشرق ذكر قصرهِ في حوّارين (٩ : ٩٥٦)

كان مولعًا بالبناء محبًا للفنون الجميلة . وكذلك وُجد في هـذا القصر كتابات ونقوش تشير الى فتح الاندلس ومعلوم انَّ هذا الحادث من اعظم مفاخر الوليد قد اورثهُ مجدًا اثيلًا . ولو لم يُفدنا الدكتور موسيل من رحلتهِ غير هذه الافادة لنال بها شكرًا حميمًا

وليس هذا فضلهُ الوحيـد . فانهُ قد دوَّن جدولًا مطوَّلًا لعدَّة أعلام امكنة ورد ذكرها في الاسفار المنزلة ويرمز الى مواقعها اليوم . وان كان العلماء لا يوافقونهُ في كل المطابقات التي يشير اليها لا ريب انَّهم يعيرونهـا بالًا ويستندون اليها لترقّي الجغرافيَّة الكتابيَّة . وهذا القول في الاعلام اليونانيَّة اخصُّ منـهُ في غيرها من الاسماء فمفسّرو الكتاب المقدَّس ومخطّطو الامكنة القديمة لا يمكنهم منذ الآن ان يضربوا الصفح عن النتائج التي احاط بها علم الدكتور موسيل

وقبل الختام ها نحن نعرض على المؤلف بعض ملحوظـات تبادرت الى ذهننا في اثناء مطالعة كتابهِ . قد ضبط حضرتهُ اسم مدينة أذرُح بضم الهمزة والصواب فتحها . وممَّا عرضهُ على العلماء (ص ٥٦—٥٧) ان مآب القديمـة هي محلّة اللجُّون والمرَّجح عندي احد القولين امَّا ان تجعَل مآب في مقام الرَّبة وهو رأي ابي الفداء وامَّا في موقع الكرك وهو قول خليل الظاهريّ . وخلاصة الكلام انَّ موقع مآب القديمـة لم يزل مجهولًا — وقد اصلح الدكتور موسيل رواية مغلوطـة لاسم « ابابن » فاجاد بقولهِ انَّ النون وضعت غلطًا بدلًا من الراء لكنَّهُ وَهِمَ بحذف الهمزة فكتب « بابر » والصواب « ابابر » كما ترى في بيت ابن ميَّادة (اغاني ٣ : ١٠٨)

لعمرك اني نازل بابابن (بابابرِ) لصَوْأَرَ مشتاقٌ وان كنت مكرما

وهنا للدكتور موسيل شاهد آخر عن الاغاني (١ : ١٤٣) لكنّي لم اجد النصّ في مكانهِ . هذا ما عنَّ لي في خلال مراجعتي لهذا الكتاب النفيس الذي نخصُّ المستشرقين وطلبة الكتاب المقدَّس على درسهِ . ويجدون ما خلا هذه الفوائد ما يزيدهم رغبةً فيهِ كحسن طبعهِ واحكام صنعهِ مع ما يزيّنهُ من التصاوير البالغ عددها المئتين بينهـا مناظر الامكنة وصور الآثار ورسوم هندسيَّة وكذلك قد أُلحق بجداول متقنة مستوفية

وخلاصة الكلام انَّنا كنَّا عهدنا بالدكتور موسيل رحَّالةً نشيطًا مقدامًا ورسَّامًا بارعًا وصاحب نظر ومراقبة . والكتاب الذي اتحفنا بهِ زادنا اعتبارًا لشخصهِ الكريم اذ تحقّقنا انهُ يُحسن تنظيم ما جمعهُ من الموادّ وما رصدهُ من الامكنة النازحة فاتانا بتأليف



صورة الاب الدكتور لويس موسيل في زيّ سياحتهِ الى بادية مؤاب

من شأنهِ ان يقدّم الابحاث الفلسطينيّة تقدُّماً يُذكر فيُشكر. فانهُ هو الذي اطلعنا على عجائب موآب وما كان فيها من القصور والابنية الغريبة. وقد استحقَّ بذلك ان يُنظَم في سلك بعض المسافرين الشهيرين كالرحَّالة سِتْسن (Seetzen). وسنعود ان شاء الله الى ذكر قصير عمرا الذي خصَّ بهِ الدكتور موسيل مجلدًا منفردًا شحنهُ بالملحوظات الجديرة بالاعتبار. لكنَّنا هذه المرَّة اكتفينا باستلفات انظار القرَّاء الى امرٍ خطير اعني القصور التي ابتناها الاميُّون في البادية. فانَّ ذكرها يفسّر نصوصاً متعدّدة وردت في كتاب الاغاني ويعرّف احوال العرب في قرنهم الاوَّل للهجرة. فنكرّر تهانينا لحضرة المؤلف ونشكر مكتب ڤينة العلميّ الذي اخذ عليهِ نشر هذه الآثار الجليلة

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

وقد غدت رسالتكم لاسقام قلبي شافية. ولاغتمام كربي نافية. ولاضطرام لبّي طافية. ولدوام الحب والوداد كافية. فاستنشقتُ من عبير عطرها ما اربى على الطيوب عرفاً. وارتشفت من غدير نشرها ما روَّى ظمأَ القلوب رشفاً. واغتنمت من اكسير تبرها ما يملأ الجيوب والأكُفّا. وامتدحت منشئ عبير نشرها على هذا الاسلوب وصفا:

بحر الفصاحة والمقال الفلسفي	بدر الملاحة والجمال اليوسفي
رب الظرافة واللطافة والبها	أُطروفة الدهر التليد الطارفِ
يا ايها المولى الجليل القدر وال	عالي المقام وذا الحياة الاشرفِ
يا احسن الخَلق الرضيِّ الخُلق وال	حسن السجايا بالقضاء المنصفِ
قد كنت اجهل ما ملكت من الرضى	ومكارم الاخلاق والقلب الصفي
حتى بدا لي منكَ فعلٌ لم أرَا	هُ قط الَّا في العزيز اليوسفي
فلذاك اشكر فضلكم وجليل تلك	م النعمةِ الحسنى التي لم تختفِ
بلك لا برحتَ مواظب الصفح الذي	عنهُ تنال الصفح يوم الموقفِ

وقد حمدناه تعالى على صحة سلامتكم التي هي غاية المراد والمطلوب. وبغية القصد والمرغوب. وقد فرحنا الفرح الشديد. والسرور الزائد الاكيد. الذي ما عليهِ من مزيد. الأهنأ من ليالي العيد. لاسيما عند ما شاهدت رقة خطابكم وعذوبة عتابكم الذي

ارقّ واشهى من الرُضاب· والذّ واحلى من الجلّاب· وقد اندهلت من حسن شيمكم وطباعكم· وانشغفت من فرط سلمكم ورضي اخلاقكم· · · فلذلك اترجى فضل المولى ان يقبل اعتذار عبدهِ· ويصفح عمَّا تجاوز من طور حدّهِ· وان يبقى على العهد الذي يعهده· متمسكاً بزمام الودّ كما عوَّده· لاني بعد ما فرط مني ما فرط· من ذلك الغلط وارتكاب الشطط والوقوع في اشأم الورط· انتبهت من السكرة· ووقعت في الندامة والفكرة· ووعيت ما اقتحمت بهِ على جنابكم· وما تجرأت بتدوينه في كتابكم· واندفعت الى الاسف والسدم· وندمت حيث لا ينفع الندم· وقد اشتغل البال واشتعل البلبال· وحصلتُ في امرّ حالٍ وشرّ اهوال · غير اني شمرت عن ساعد العزم· وانتضيت حسام الحزم والفهم· وقد كنَّا يومئذٍ في مكان يسمَّى الجيزة· ونظمت هذه الارجوزة الوجيزة· وارسلتها عاجلًا في اثر ذاك الكتاب· لتعتذر عنهُ وترد الجواب· وقد اجتهدت ان تصل الى البلد· في يوم عيد الجسد:

عيدٌ سعيدٌ عمَّكم بالخيرِ ... فيهِ خصّكم بدفع الضيرِ
وكلَّ عام تبلغون بهِ المنى ... وانتم في كلّ حظٍّ وهنا
الى جناب عاليَ الجنابِ ... ذي المجد والاجلال والآدابِ
اعني بهِ الشمَّاس عبد اللهِ (١ ... من قد رقي العليا بلا تناهي
السيد الندب البديع اللوذعي ... والالمعي المفضال ثمّ الاروعي
من بعد تبليغ السلام السامي ... بالعزّ والتبجيل والاكرامِ
اهديكمُ تحيَّتي المتعاطرة ... ألذ من عرف الرياض الزاهره
مع بث اشواق القلوب الوافره ... تلك التي عن الصميم صادره
يحملها ريح الصحارى والصبا ... الى حما تلك الرياض والرُّبى
اخصها بمن رقي فوق السها ... قدرًا وفاق الشمس حسنًا وبها
اعني بهِ الفرد العزيز الدهرِ ... والسيد الندب الجليل القدرِ
فخر الورى وسيد الاقرانِ ... انسان عين الدهر والزمانِ
من قد رماني الدهر عن ديارهِ ... لسوء حظي نُؤتُ عن جوارهِ
ولم أعد أخطرْ لهُ في بالِ ... وشحَّ في الاخبار والتسآلِ
وما درى انهُ في ذا المطلِ ... اوقعني في اختلاطِ العقلِ

١) لا نعلم من هو الشماس عبد الله هذا ولعلَّهُ الشماس عبد الله زاخر الشهير بتآليفهِ ودفاعهِ عن الايمان الكاثوليكي لكنَّ هذا الكاتب توفي سنة ١٧٤٨ (اطلب تاريخ الروم الملكيين ص ٤٧) وفي هذه الرسالة ما يشير الى امور جرت سنة ١٧٥٣ . والله اعلم

وزجّني في وهدة الاياسِ وكثرة الافكار والوسواسِ
وطالما رحت بملٍّ وعسى اقلّب القلب على نار الاسى
حتى فني من كثرة انتظاري الى الجواب معظم اصطباري
وقد تورّطت جاتيك الورطْ وزجني جهلي لذياك الغلط
وفهت في تسطير ذا العتابِ وما بهِ من سفه الخطابِ
وقد حصلت بعد هذا في سدَمْ حتى ندمت حيث لا ينفع ندمْ
وانما القول الذي مني صدرْ ما كان الّا من تضايق الفكرْ
لذاك ارجو ان تسامح المسي واقبلن عذري بدون تعجسِ
بل غض طرف الطرف عمّا قد فرطْ مني وعدَّهُ كسهو وغلطْ
لا تتركوا جحجركم ذا العاني يذوب شوقًا لاجتنا المعاني
هلّا دريتم انكم في القلبِ ولو نأيت داركم عن غصبِ
فلم يزل مرآكمُ في العينِ في كلّ وقتٍ حاضرٍ مع حينِ
لا زلتمُ اهل السماح السامي والعفو والافضال والاكرامِ
بل دمتمُ طول المدى والدهرِ ناجين من حمل الضنا والضيرِ
بحرمة العيدِ السعيد الاقدسِ عيد الغذا الروحي وقوت الانفسِ
داعيكم المحب ابراهيمُ الحلبي سبتهُ الحكيمُ

فنسأله تعالى بان تكون وصلتكم مثلما قصدنا . وتمّ فيها غرضنا . وتكون حصلت في حيز القبول . وتمّ بها القصد والمأمول . بجاه مريم البتول . ومار بطرس الرسول

*

ثم حضرتكم قد كنتم سألتموني في بعض كتبكم بان اعرفكم عن حالنا . وكيفية احوالنا وارتحالنا وكيف مجالنا . فاني ابدي لجنابكم بوجه الاختصار . ما عانيناه بهذه الاسفار . من المشقــة والاندعار في السهول والاوعار والنجد والاغوار والبوادي والقفار . لاسيا الخوض في الابحار وما فيهِ من الاخطار والمخاوف والاضرار . وذلك لننجو من القوم الاشرار . لأننا لمّا تحقّقنا ان ايدي الأوغاد قد استولت على الطريف والتِلاد . علمنا ان ما عاد لنا اليها معاد . ولا بها زاد ولا مراد . فعزمنا على ترك الاهل والاولاد . والاوطان والبلاد . وقلنا هيهات المعاد الى يوم المعاد . فبعد تقلّب الافكار ليلًا ونهار وكثرة الاوطار وظهور الاسرار . وقع الاختيــار على نزول الابحار والمضيّ الى القاهرة وتلك الديار . فنزلنا اليهِ يوم خميس الاسرار . وكان نهــار يُعَدُّ من الاعمار للنجاة من

اضرار فيليمون الغدّار (١. لانهُ لم يعطِ القرار في طلبي ليلًا ونهار. وقد اخفاني في دار احرج من اوكار الفار. وهربت سحرًا ونزلت الى القايق. من غير عائق. وكان يوماً فائقاً ونسيمهُ شائقاً. وغمامه رائقاً وصحوهُ صادقاً ورعيهُ موافقاً. وقد سرنا ذلك اليوم بمل سرور وهناء. من غير مشقّة وعناء حتى قلت فيهِ من غير وناء:

يقولون ان البحر ساءت مصائبهْ ... وقد كثرت آفاتهُ ومعاطبهْ
واني رأيت البرَّ اقوى شدائدًا ... واعظم اهوالًا وتضني متاعبهْ
حزونٌ واوعارٌ تزولٌ ثم ارتقا ... وسيلٌ وحطٌّ ثم قومٌ تناهبهْ
وفي البحر راحاتٌ كأنَّ الفتى جا ... ينام على مهدٍ تساوت مناكبهْ
تسير بهِ الركبان من فوق سُفْنهِ ... كأنَّ على سطحٍ تعالت جوانبهْ
تهبُّ عليهِ الريح في طيب سيرها ... ويا حبذا سيرًا تطيب مذاهبهْ
ترى سفنه من فوق صهوات ظهره ... كأن قصورًا زيَّنتها حبائبهْ
وتحكي قلاعًا طائرات مع الهوا ... يلاعبها ريح الصبا وتلاعبهْ
تمرُّ كمرِّ الطير من غير عثرةٍ ... وتجري كسهم جاد بالجزم ضاربه
فكم سائرٍ فيهِ ينام بساحلٍ ... ويصحو على الشط الذي هو طالبهْ
يبيتُ ويجري سائرًا غير عالمٍ ... ولم يدرِ الَّا طالبتهُ قواربهْ
وكم تاجرٍ فيهِ رأى بعد فاقةٍ ... جزيل الغنى لمَّا اتتهُ مكاسبهْ
وكم سائرٍ فيهِ يلاقي مع المدى ... عجيب امورٍ حين تبدو غرائبهْ
عليك بهِ يا صاح من دون خشيةٍ ... ترى ما أُحيلاه واهنى مشاربهْ
ولا تعطِ اذنًا للمعيب بلومهِ ... فجلَّ الذي لم يبدُ منهُ معايبهْ

وقد كنت آليت على نفسي بالَّا اسلكه كل ايَّام حياتي فندمت في ظني. على ما فرط مني. لمَّا رأيت منهُ حسن السير. وعدم المشقة والضير. وبقينا على هذا المرسى الى ان امسى المساء. واقبلت الليلة الدمساء. واذا بالجوّ قد تعكّر وبرد. وابرق وارعد. والبحر ارغد وازبد وتمطّى وتمدّد. واضطرب وهاج. وتزاحمت فيهِ الامواج. وعجَّ ولكن ايَّ عجاج. وتهاطلت الامطار كالمدرار. وتزوبع الريح وثار من سائر الاقطار. حتى عدمنا القرار وتقاربت منَّا الاعمار وتحيَّرت الافكار. وتزايدت الاحزان والاكدار وتقطعت العزائم والاوتار. وعاد كلٌّ كالمحتار لكثرة الخوف والانذعار. فقضيناها ليلةً نابغية باحزان يعقوبيَّة. واحتمالات ايوبيَّة. الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح. ليعرفنا اي ارض شارفنا من البطاح. فأُخبرنا بما ينفي الافراح ويزيد الاتراح. حتى عدنا

١) راجع ما قلنا في مقدّمة هذه الرسالة

كالاشباح العادمة الارواح. لاننا بعد ما كنّا قطعنا طرطوس. رجعنا الى ما هو فوق ترسوس. وبعد ان كنا شارفنا جبال لبنان. رجعنا الى مقابل جبال قرمان. ولو لم يلقِ النوتي القلاع وينزل الشراع. لشردنا الى غير بقاع وضعنا شرّ الضياع. وبقينا على هذه الحال يومين وثلث ليال. معدومين الجال مقطوعين الرجاء والآمال. لا نفرق اليمين من الشمال من شدّة الاهوال. وكثرة الاضطراب والتقلقل والانتقال وفرط الادبار والاقبال. الى ان قام الرب المجيد. ضحية يوم العيد. وانتهر البحر فسكّت امواجه. وهدأ انزعاجه. وسرنا في ريح موآتية. الى ان رجعنا الى اللاذقيّة. بعد خمسة ايّام نهاريّة وليليّة. وقد صرنا بعد ذلك في هدوٍ وثبوت. الى ان وصلنا بيروت

وقد استقمنا بها ثمانية ايّام منتظرين الريح المناسب. بالمسير الواجب. وقد انتهزنا بها فرصة الزيارة. لتلك الكنائس والديارة. وعملنا عيد القديس جاورجيوس. في دير الجديد مع المطران مكسيموس (١ . والاب الخوري اغناتيوس. مع زمرة من الآباء الكرام. ذوي الفضل والاحترام. وقد تملأنا من حسن تلك الاماكن. وزخرفة المساكن وفضل من فيهم ساكن. ورأيناها بقعة. لم يوجد مثلها وقعة. على وجه الارض. في طولها والعرض. لانها مشتملة على جبال ووديان. وطلال ووهدان ودغول وقيعان. ومروج وغدران ومراتع المها والغزلان. وحدائق. وجواسق. وغياض ومناهل وحياض. ومياه تجري على الرضراض. ومداغل واشجار. وفواكه واثمار. وخمائل وازهار وجداول وانهار. ومجاري ومنابع وسواقي ومصانع. ومسارح ومراتع ومعابد وصوامع. ومساجد ومدارس وقلالي ومجالس. واديرة وكنائس وقلانس وبرانس. وراهب وعابد وناسك وزاهد. وسائح وراكد وجاثٍ وساجد. ومجدّ ومجاهد. وفاضل وماجد. وشاكر وحامد ومرتل وناشد. وضارب ناقوس. وحافظ رتب وطقوس. ومكمل فرض وناموس. وشمامس وقسوس. ورئيس ومرؤوس. كأنهم ملائكة القدوس. وقد ادهشوا منا الابصار. وحيّروا الافكار. بما هم عليهِ من الاصوام والاسهار. وصلوات الليل والنهار. في تلك القفار والسهول والاوعار:

ما بين هاتيك البلاقع بيَعٌ واديرة موانعْ

---

١) لعلَّهُ يريد نسيبهُ مكسيموس حكيم مطران حلب وهو يومئذٍ في بيروت مبتعدًا عن كرسيهِ لاضطهاد فيلمون

ومساجدٌ ومعابدٌ ومناسكٌ فيها صوامع
فاقت على بيَع البلادِ وكلّ صومعةٍ وجامع
حتى على رُوما التي غلا مدائحها المسامع
بملاحةٍ وظرافةٍ وبحسن وضع مع صنائع
وكذاك اهلوها سموا بالفضل في كل المواضع
بطهارةٍ وبرارةٍ وجليل اتقان الشرائع
كم علّموا كم حكّموا سوء العقول مع الطبائع
كم هذّبوا كم ادّبوا من كان مهذارًا منازع
كم من عذوبة وعظهم يرتدُّ عاصٍ وهو طائع
كم خلّصوا من بحر اثمٍ غارقًا فانكفّ راجع
لله درُّ مشايخ فيهم وكهلٍ ثم يافع
ما فيهم الّا تقيٌّ القلب للشهوات قاطع
ما فيهم الّا وضيع الروح للرحمان خاضع
فهمُ همُ اهل الكمال وفضلهم في الكون شايع
وهم القطوب بلا عيوب م او مصابيح لوامع
وهم الكواكب والشموس ونورهم في الكون ساطع (لها بقية)

الصرصر في لبنان

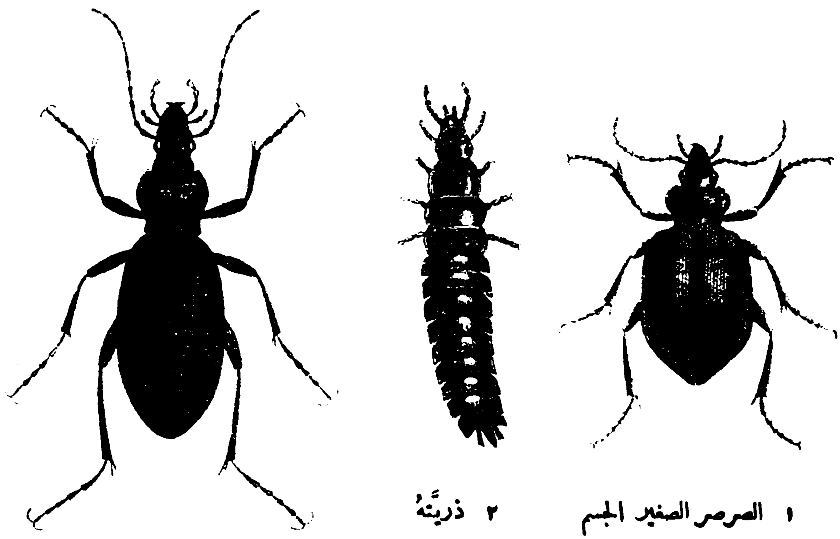
لحضرة القس مبارك صقر الدوار الراهب اللبناني

زارنا في هذه السنة صرصر اسود مثل الخنفساء ذو رائحة كريهة جدًّا فحلّ في اغلب الاماكن ضيفًا ثقيلًا يفتك بدود القزّ فتكًا ذريعًا اذ يتلف منها بيرهة وجيزة مبلغًا وفيرًا. وقد شكا الكثيرون الذين ما كانوا سمعوا بخبره من انهُ اهلك مواسمهم عن آخرها. والذين لم يفطنوا بادئ بدء لاتلافه من انهُ ألحق بها اضرارًا جسيمة حتى ان شرّه لم يكن اقلّ ضررًا في بعض المواسم التي شمّر اصحابها عن ساعد الجدّ في ابادته. فقامت قيامة القزّازين وغدا خبره احدوثةً لدى العموم فتكاثر القائلون بالوسائل المفيدة لاتلافه وكثيرًا ما نجحت اختباراتهم

١ً وصفهُ

هذا الصرصر يدخل في جنس الدوّيبات التي تعدّدت انواعها وكثرت تقاسيمها

يعرف باسم المغلف الاجنحة (coléoptère) لانهُ خُصّ باربعة اجنحة منهــا جناحان اعليان صَلِبــان على شبه الغلاف كما ترى في الخنافس وتحت هذين الجناحين جناحان آخران ليّنان يسترهما الغلافان الاعليان. والصرصر الحديث احد انواعهِ يُعرف باللطيف الجسم (calosoma) لما يزيّن ظهرهُ من الخطوط المستقيمة وهي لا تظهر للعين لكن من فحصها في المجهر بانت لهُ بلون اخضر ناصع وهي بديعة في لونها وترتيبها. والشكل الذي ضرب اطنابهُ بيننا يُعرَف بالنبَّاش (inquisitor) لكثرة حركتــهِ في طلب قوته وهو صغير لهُ جسم مستطيل مستدير اسود صلب الجلد ذو ست قوائم يدور بها كيف شاء ويمكنهُ ان يمدَّها يميناً وشمالاً على شكل صليب وطرفا رجليه منشاران وراسهُ مخروط اكثر وخطمهُ خطم خنفساء يعلوه مخلبان. وهو متين لا يؤذيه الضغط المعتدل. وهــذا شرّه اخفّ من الصنف الآخر تكون ذرّيتهُ كالدودة



١ الصرصر الصغير الجسم ٢ ذرّيتهُ

٣ الصرصر الكبير

ومنهُ كبير (carabus) وجنسهُ كالاول لا يفرق عنهُ في تركيبهِ الّا قليلًا واظن ان اسمهُ عند العرب القَرْنبى وهي دوَيبة مثل الخنفساء ذات رائحة منتنة جدًّا. وفي المثل: « القرنبى في عين امها حسنة ». وجلده اقل صلابة من الاول ولونهُ اسود. وخطمه كالاول يعلوه مُديتان كانهما سنّة الابرة محددتا الطرفين. وعيناه بارزتان كثيرًا. وهذا شرّه جسيم

ومساجدٌ ومعابدٌ ومناسكٌ فيها صوامعْ
فاقت على بيَع البلادِ وكلّ صومعةٍ وجامعْ
حتى على رُوما التي غلا مدائحها المسامعْ
بملاحةٍ وظرافةٍ وبحسن وضع مع صنائعْ
وكذاك اهلوها سموا بالفضل في كل المواضعْ
بطهارةٍ وبرارةٍ وجليل اتقان الشرائعْ
كم علَّموا كم حكَّموا سوء العقول مع الطبائعْ
كم هذَّبوا كم ادَّبوا من كان مهذارًا منازعْ
كم من عذوبة وعظهم يرتدُّ عاصٍ وهو طائعْ
كم خلّصوا من بحر اثمٍ غارقًا فانكفَّ راجعْ
لله درُّ مشايخٍ فيهم وكهلٍ ثم يافعْ
ما فيهم الَّا تقيُّ القلب للشهوات قاطعْ
ما فيهم الَّا وضيع الروح للرحمان خاضعْ
فهمُ همُ اهل الكمال وفضلهم في الكون شايعْ
وهم القطوب بلا عيوب م او مصابيح لوامعْ
وهم الكواكب والشموس ونورهم في الكون ساطعْ (لها بقية)

الصرصر في لبنان

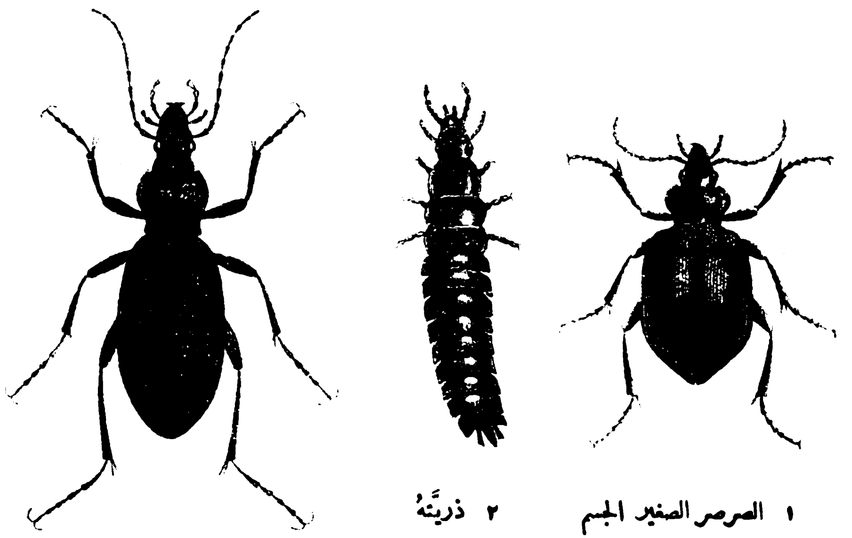
لحضرة القس مبارك صقر الدوار الراهب اللبناني

زارنا في هذه السنة صرصر اسود مثل الخنفساء ذو رائحة كريهة جدًّا فحلّ في اغلب الاماكن ضيفًا ثقيلًا يفتك بدود القزّ فتكًا ذريعًا اذ يتلف منها بيرهة وجيزة مبلغًا وفيرًا. وقد شكا الكثيرون الذين ما كانوا سمعوا بخبره من انهُ اهلك مواسمهم عن آخرها. والذين لم يفطنوا بادئ بدء لاتلافه من انهُ ألحق بها اضرارًا جسيمة حتى ان شرَّه لم يكن اقلّ ضررًا في بعض المواسم التي شمّر اصحابها عن ساعد الجدّ في ابادته. فقامت قيامة القزَّازين وغدا خبره احدوثةً لدى العموم فتكاثر القائلون بالوسائل المفيدة لاتلافه وكثيرًا ما نجحت اختباراتهم

١ً وصفهُ

هذا الصرصر يدخل في جنس الدوّيبات التي تعدَّدت انواعها وكثرت تقاسيمها

يعرف باسم المغلّف الاجنحة (coléoptère) لانهُ خُصّ باربعة اجنحة منهـا جناحان اعليان صَلِبـان على شبه الغلاف كما ترى في الخنافس وتحت هذين الجناحين جناحان آخران ليّنان يسترهما الغلافان الاعليان. والصرصر الحديث احد انواعهِ يُعرف باللطيف الجسم (calosoma) لما يزّين ظهرهُ من الخطوط المستقيمة وهي لا تظهر للعين لكن من فحصها في المجهر بانت لهُ بلون اخضر ناصع وهي بديعة في لونها وترتيبها. والشكل الذي ضرب اطنابهُ بيننا يُعرَف بالنبّاش (inquisitor) لكثرة حركتـهِ في طلب قوته وهو صغير لهُ جسم مستطيل مستدير اسود صلب الجلد ذو ست قوائم يدور بها كيف شاء ويمكنهُ ان يمدّها يميناً وشمالاً على شكل صليب وطرفا رجليه منشاران وراسهُ مخروط اكثر وخطمهُ خطم خنفساء يعلوه مخلبان. وهو متين لا يؤذيه الضغط المعتدل. وهـذا شرّه اخفّ من الصنف الآخر تكون ذرّيتهُ كالدودة



١ الصرصر الصغير الجسم ٢ ذرّيتهُ

٣ الصرصر الكبير

ومنهُ كبير (carabus) وجنسهُ كالاول لا يفرق عنهُ في تركيبهِ الّا قليلاً واظن ان اسمهُ عند العرب القَرْنبى وهي دوَيبة مثل الخنفساء ذات رائحة منتنة جدًّا. وفي المثل: «القرنبى في عين امها حسنة». وجلده اقل صلابة من الاول ولونهُ اسود. وخطمه كالاول يعلوه مُديتان كانهما سنّة الابرة محددتا الطرفين. وعيناه بارزتان كثيرًا. وهذا شرّه جسيم

وشرٌّ منهما نوع ثالث مستطيل كفرخ الحنكليز مخروط الجسم يتركب من عدة خوزات . وهذا وجوده قليل

٢ً طباعه ومضراته

اكثرما يوجد هذا الصرصر (في الخصاص وبيوت القز وحواليها) في المحلات الرطبة فتتوطنها هذه الهامّة تحت خباء من التراب او من الورق الاخضر او من نفايات النبات لانها تجد فيها ما يلائم طباعها وترتاح اليهِ . ولذلك يكثر فيها عددها

واعظم مضرات هذا الصرصر في الليل اذ يسيح على اطباق الدود بعد الافطارة الرابعة اذ تكون الدودة اخذت بالحرير فيقطع الواحدة شطرين فيمتصّها ويُلقيها جانباً اكل او لم ياكل منها . وقد شاهدنا الاطباق التي عاث فيها كأن دودها مخروزة بالابر . وهو نهم للغاية يفني كميّة وافرة في مدة قليلة . وبينما كنّا نفتش عليهِ لنقتلهُ قدّمنا لواحدٍ منهُ دودةً فانقضّ عليها كعدوٍّ ألدّ

ولأَن هذه الآفة لم تجحف في غير هذه السنة فلم نعرف كم تعيش من السنين وجلُّ ما عرفناه عنها ان اوان ازدواجها في احد شهري نيسان او ايار . والانثى ترزّ (تغرز) ذنبها في الارض كالجرادة فتسرّئ بيضها في جرابٍ واحد بكمية وافرة لاصقاً بعضها ببعض وكبر البيضة كحبة الخردل . ولا يمضي على تسرئتها الّا القليل حتى تفقس صغارها ولا تلبث بعد ايّام ان تصير على شبه ولون الكبار بما تلتهمهُ من الطعام

٣ً ظهوره

زعم بعض ان هذا الصرصر معروف في بلادنا لكنهُ لم يظهر قط الى الآن بهذه الكثرة فلم يكن يحصل عنهُ ضرر يُذكر . وآخرون بانهُ لم يكن ابدًا في بلادنا . وهذه اول مرّة ظهر فيها . وانهُ غريبٌ دخلها من بضع سنوات وفي هذا الحول تفاقم شرّه اذ كثر دون الانتباه اليهِ

ومن المعقول ان الرأي الثاني هو الاصح لان انثى هذا الصرصر أسرأ من الجرادة فتبيض كما تقدّم كميّة ليست بقليلة . والجراد لا يمرّ عليهِ سنة حتى يملأ الفضاء ولا يمضي على بيضه سوى القليل حتى يفقس ثم يزحف . فلو كان هذا الصرصر معروفاً في بلادنا فلمَ لم يكثر الّا هذا العام مع ان الجراد في حولٍ واحدٍ يحجب نور الشمس وهذا الصرصر كما قلنا يسرّئ مثل الجراد اذا لم نقل اكثر

وقد روى لنا واحد (والعهدة عليهِ) ان قوماً من الصيداويين أتوا بهِ من اصقاع الهند السحيقة لاتلاف الدود الذي يضر بالليمون ولدن نقف بزر القزّ ترك هـذا الصرصر دود الليمون ولحق بدود القز لوجود مادّة الحرير فيهِ التي يمتصّها بنهم

والنوع الذي يزعم البعض انهُ كان معروفاً في بلادنا فلا يزال ايضاً وهو غير النوع المضرّ الذي ظهر هذه السنة وشكله صغير وليس في خطمهِ مخالب

٤ الوسائل لاتلافه

افادت الجرائد المحلية عن بعض الوسائل التي يجب التذرع بها لاتلاف هذا الصرصر. فقالت جريدة البشير في تاريخ ٣ حزيران: «ان انجع وسيلة لاتلافه هي قتلـه والسعي في ابادة بزره ودوده ما امكن واقامة الخصاص في السنة القادمة في محل نظيف يُبعد عنها الخشب لان هذا الصرصر يبزّر فيهِ. وربّما كان الانفع ان يجعل على النوافذ مشبك من الشريط الرفيع يدفع عن الدود شرّ هذا الصرصر وغيره من الحشرات المضرّة». وقالت غيرها ان البعض اماتوه برش ماء الكولونيا على اطباق الدود

والوسائل التي صحّت باختبارنا اياها وثبتت بالتجربة ورأيناها الانفع والاسهـل تقدّمها للقزّازين للسعي في اهلاك هذا الصرصر وتدارك مضارّه في العام المقبل

الوسيلة الاولى — ان يحفَر او يُفلح حيث بيضُ الصرصر قبـل ان ينقف فيعرَّض للهواء والشمس فيفسد فيُتملّص من شره في الموسم القادم

الثانية — اذا فقص بيضه وكبر واخذ يعيث في الدود على القزّازين ان ينزعوا كل الجزاز (الجزّه) وينقلوه الى محل بعيد ويعتنوا بالتفتيش على تلك الهامّة فيقتلوها

الثالثة — افادنا بها جناب الدكتور يوسف افندي منضور ان يلفّوا كعب الركائز بخرق مبلّلة بالكاز او التربنتين حوالي المحل لان رائحة احدهما كافية لان تبعد الصرصر وقد نال البعض بذلك مرغوبهم ووقوا مواسمهم

وكذلك يحسن اتخاذ قطع من الميازيب المصنوعة من التوتيا او التنك فيهـا من الكاز او التربنتين فتجد في اليوم الثـاني شيئاً كثيرًا من الصرصر مائتاً خنقاً. لان كثرة احدهما تميته فيتصلّب حالًا (١

١) (تنبيه) يجب ان لا توقد نارٌ حيث يوضع الكاز او التربنتين خوفاً من الالتهـاب وبالاخص الاخير فانهُ سريع الالتهاب فتكون الثانية شرّ من الاولى

الرابعة — ان تُتخذ التربة حوالي الخص او البيت بعمق وعرض ثلاثين سنتيمترًا ويوضع فيها مقدار خمس سنتمترات من الكلس غير المروَّى ويترك غير مغطى فصغار الصرصر لا تتمكَّن بذلك من تعـدّي الكلس

الخامسة — ان توضع على الارض تحت موائد الدود حصرٌ او اطباق مُبلَّلة ثم بعد ساعة او اكثر تُكشف فيرى كثير من الصرصر تستَّر تحتها حبًا بطراءتها فليُقتل

ثم لا يُغفل عن المثابرة على اتلافهِ قتلًا اوقات الفراغ · فبهذه الوسائل ولا مراء يمكن استئصال هذه الآفة المجحفة رأف الله بعبادهِ · واذا وقفنا على زيادة ايضاح لا نتأخر عن نشرها اذا وفَّق الله

التنّين او الاعصار

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انسطاس الكرملي

١ً وصفهُ على ما رأيناهُ

للآباء الدعاة الكرمليين في دار السلام بستان على بعد سبعة كيلومترات من المدينة وانت منحدر الى البصرة على الضفَّة اليمنى من دجلة عند مصبّ نهر المسعودي (نهر عيسى سابقًا) · ولما كنتُ موكَّلًا على اشغال هذه الضَيْعة (germe) لوجود ايتام يتعلَّمون فيها الزراعة فمن عادتي ان اذهب اليها لاشارف ما يقع او يجري فيها · وآخر مرَّة انطلقت لهذه الغـاية كان صباح نهار الجمعة ١٠ أيَّار من هذه السنة · وكانت حالة الجوّ يومئذٍ متعبـة اذ كان الجميع يشعرون بحرارة غير مألوفة يعني بحرارةٍ خانقةٍ وبسكون زائد في الفضا وبضيقٍ في التنفُّس

ولما كانت الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر كنت على سُدٍّ يبعد ما يزيد على كيلومتر بنيِّف من المـنزل المبني على حافة دجلة · وقد اتخذنا السدّ المذكور صدًّا لهجمات ماء الفرات المتدفق في سهول بغداد عن الدخول الى اراضينا وزروعنا وحروثنا

وبينما كنت واقفًا أُمعن النظر في اضرار الماء رأيت مشهدًا لم أرَ مثلهُ في حياتي كلها

كما اني لا اظنّ اني أرى مثلهُ ابدًا. وذلك لان الغيوم كانت قد حَجبت وجهَ الشمس كل حجاب. ووجود السحاب في مثل هذه الأيام من ايار نادر جدًا في هذه الديار. وما كان الّا هنيهة واذا بشيء اسود هائل المنظر كأنهُ نهض من الافق فتلقاهُ آخر يُشبهُ كأنهُ انحدر اليهِ من علوّ السماء. فاتحدا فامتزجا فلم يكونا الّا واحدًا لا غير ثم اخذت اعضاؤه العظيمة تتصوّر امامي وتبرز الى الكون والوجود باسرع من النطق بها. واول ما بدا لي رأسهُ الهائل فانهُ كان عظيمًا اسود حالكًا وليست من حُلكَةٍ تقاربهُ او تدانيه عليهِ شعرٌ منتفش صوفي القوام. ثمّ برزت رقبتهُ ولا أرى شيئًا يجاريها متانةً. ثم كَسَت تلك الرقبة زُبرَة كانت تطول طولًا عجيبًا كلما نظر اليها الانسان. ثم امتدَّ متنهُ الطويل وتدلّى بطنهُ العريض وتكونت يداهُ ونبتت رجلاه ثم تخطّى فتمطّى فانباع ولم اعد ارى فيهِ الّا هامةً عظيمة وذنبًا طويلًا دقيق الطرف بعين بدَت لي جثتهُ بصورة قمع عظيم هائل العظم يملا حجمهُ الفضاء. فجاءني من أقصى قلب الافق يعدو اليَّ عدوًا حثيثًا كأنهُ يسير سير البرق. ومن غريب امرهِ انهُ كان يسير على ذنبه وهو يدوّم في مشيــهِ تدويمًا كأنهُ المرصاع او الخذروف فبقيتُ واقفًا وقفة الحائر السادر لا ادري ما افعل والى أين اتجه. ثم قلت في نفسي لا مناصَ لي منهُ فاني انْ افلتُّ من وجهه ادركني بخطوة واحدة من خطواتهِ ولو شابهت الريح سرعةً. واذا ما ابديتُ جَلَدًا وثباتًا وقوة جنان عاملني معاملة جبّار لجبّارٍ ولو كنتُ صغير القامة بالنسبة اليهِ او قابلني مقابلة جليات لداود

وما كانت هذه الخواطر تجول في خَلَدي الّا وبهذا المسخ اراني عيونًا لامعة بارقة تقذف شرارًا مستطيلًا وتخرج من كل صدرهِ او كل رأسهِ اذ لا اعلم ما اسمّي هذا الجزء الاعلى من خلقتــهِ اذ ليس فيهِ سوى جزئين: أعلى وأسفل فالأعلى بصورة اعلى القمع والادنى بصورة أسفل القمع او بصورة الذنب المستطيل الدقيق الطرف. ومن بعد ان حلق عُيونهُ اسمعني صفــيرًا دوت لهُ البساتين كلها واخذ يتكرّر تكرارًا عجيبًا اذ كان الصَدَى يتقاذفهُ ويتراماهُ فيُسمع تارةً ذات اليمين وطورًا ذات الشمال. ومرّةً من فوق وأُخرى من تحت. وآونةً من امام وحينًا من خلف او من وراء. اسمعني صفيرًا اسكت جَلَبــة القوم وضوضاء اهل الحصَاد ونباح الكلاب الذي كان قد عَلا وارتفع من كل جهة ولا اعلم السبب المحرّك لذلك. اسمعني صفيرًا احدث جمودًا وسكونًا في تلك البقعة كلها على طولها وعرضها. اسمعني صفيرًا وايَّ صفير حتّى لو كان امكنني ان

انحدر تحت الارض لفعلت. اسمعني صفيرًا ارتعدت لهُ فرائصي واقشعرَّ لهُ جسمي واكفهرَّ لهُ وجهي وانتقع لهُ لوني وارتعشت لهُ اعضاءي وتقطعت لهُ مفاصلي وسلبَ مني كل قوَّة وجمد لهُ دمي في عروقي وعرق لهُ بدني من فوق الى اسفل. اسمعني صفيرًا لا يشابهُ صفير شيءٍ في هـذه الارض فانهُ كان مرعبًا مزعجًا مُخرسًا مسكِتًا مُبهتًا مُوقفًا مرجفًا يملأ الصدر حشرجة ولا حشرَجة الموت ويحبِّب الى النفوس قبول هـذا الموت عن طيبة خاطر تفاديًا من سماعهِ. اسمعني صفيرًا اوقف كل حركة فيَّ. وكنت اريد السير الى امام فما كنت استطيعهُ اذ كنت اراني في حلمٍ من الاحلام وقد هجم عليَّ كابوس من اوبق الكوابيس فامسكني عن كل حركة حتى عن الحركة الفكريَّة

فسألت اعرابيًا وكان بجانبيّ (وكان هذا السؤَال قبل ان يعتريني هذا الاضطراب) ناشدتك الله يا أخا العرب قُلْ لي بحياتك ما هذا؟ — قال: هذا التنين . وسوف يأتينا فيفنينا: الَّا اذا رحمنا الله برحمتهِ الواسعة وانجانا بقدرتهِ فلا خوف علينا حينئذٍ. وكان قد اخذ الضحك ان يستحوذ عليَّ لسماعي كلمة التنين وما شعرت الَّا بسحابة سوداء قد احاطت بي من كل جانب وساورتني مساورة الحية لقاتلها واخذت تنفث في وجهي رملًا دقيقًا أَزْبد او اسود ثم ثار اعصار هائل كان يرفعني عن الارض ويلقيني مرَّة الى امام ومرَّة الى الوراء وتارةً الى اليمين وتارةً الى اليسار على بعد ٧٥ سنتيمترًا من مركزي. ثم عقبهُ مطر غزير كبير القَطر كثيف الوقع معهُ حصى دقيق كنتُ أُحذَف بهِ حذفًا. وكانت بيدي شمسيَّة فاخذت ادافع بها عن نفسي فتخزَّقت وتمزَّقت وتكسَّرت مساندها الحديديَّة ووقعت اكثر من ثماني مرَّاتٍ على الارض ورُفعت عنها خمس او ست مرَّات ولمَّا وصلتُ الى القصر كادت الروح تفارقني وبعد المعالجة ثابت اليَّ روحي. وكنت اتصوَّر اني في موقف يوم الدين

فهذا هو التنين الذي عرفهُ العرب سابقًا وهذا هو الذي يهاجم اهـل البادية من دهر الى دهر. وهو الذي يقتل بشدَّتهِ الناس ويُخرج منهم الانفاس ويدفعهم بل يدفنهم في الارماس ويفترس بنارهِ الآكلة الحيوان والاشجار ويفترش بانفاسهِ المحرقـة مسايل الانهار فيشرب ما فيها ويقذفها الى انأى الديار. هذا التنين الـذي يقلع الاشجار من جذورها وعروقها. ويتصرَّف بها كما يتصرَّف الوُليد بدويبات الارض او صغار طيورها هذا التنين الذي يخرب الدور . ويهدم القصور. ويجعلها لاهلها بمنزلة القبور

نزل التنين في بلدتنا في اليوم المذكور فجرَّ بذيلهِ على بلدتنا الويل والثُبور استأصل الاشجار وأتلف الزروع وامات اناساً في لحظة عين فزادت بلايا هذه المدينة على ما وقع فيها وتوالى عليها من النكبات والويلات. انَّ الله رحيم غفور يطلب من اهل الدنيا التكفير عن الخطايا والكبائر قبل ان تُلقى عليهم كبائر الصخور

٢ التنين على رأي العرب الأقدمين

جاء في لسان العرب :

« التنين ضرب من الحيَّات من اعظمها كأكبر ما يكون منها . وربَّما بعث الله عزَّ وجلَّ سحابةً فاحتملتهُ وذلك فيما يقال . والله اعلم . ان دوابَّ البحر يشكونهُ الى الله تعالى فيرفعهُ عنها . قال ابو منصور : واخبرني شيخ من ثقات الغزاة انهُ كان نازلاً على سِيف بحر الشام فنظر هو وجماعة اهل العسكر الى سحابة انقسمت في البحر ثم ارتفعت ونظرنا الى ذَنب التنين يضطرب في هيدب السحابة وهبَّت بها الريح ونحن ننظر اليها الى ان غابت السحابة عن ابصارنا . وجاء في بعض الاخبار : ان السحابة تحمل التنين الى بلاد ياجوج وماجوج فتطرحهُ فيها وانهم يجتمعون على لحمهِ فيأكلونهُ » . اه نقلهُ بحرفهِ

وقال في خريدة العجائب (ص ٧١) :

« ذكروا انهُ يرتفع من هذا البحر (بحر الخزر) تنين عظيم يشبه السحاب الاسود وينظر اليهِ الناس . وزعموا انها دابة عظيمة في البحر تؤذي دوابَّهُ فيبعث الله عليها سحاباً من سُحب قدرتهِ فيحملها ويخرجها من البحر وهي صفة حيَّة سوداء لا يمرّ ذنبها على شيء من الابنية العظام الَّا سحقتهُ وهدمتهُ ولا من الاشجار الَّا هدمتها . وربما تنفست فاحرقت الاشجار والنباتات . قال : فيلقيها السحاب في الجزائر التي بها ياجوج وماجوج فتكون لهم غذاء . ورُوي عن ابن عباس رضه هذا القول » اه

قلتُ : الذي يأكلهُ اهل ياجوج وماجوج هو السمك الذي يحملهُ هذا التنين لا غير فليُحفظ :

وقال المسعودي في مروج الذهب :

« وقد اختلف الناس في التنين : فنهم من رأى انهُ ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الجو فتلحق السحب كالزوبعة . فاذا ثارت من الارض واستدارت واثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء تُوهم الناس انها حيَّات سود . ومنهم من رأى انها دوابّ تتكوَّن في قعر البحر فتعظم وتؤذي دوابَّ البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وانها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمرّ بمدينة الَّا اتت على ما لا يُقدر عليهِ من بناء عظيم او شجر او جبل . وربما تتنفَّس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها في سدّ ياجوج وماجوج ويطر السحاب عليهم فيقتل ذلك التنين ومنهُ يتغذى ياجوج وماجوج » اه

قلتُ: واذا كان التنين ثارَ أُطلق عليهِ اسم الاعصار عند العرب

وذكر ياقوت في مادَّة كِلِز من معجم البلدان ما هذا اعادة نصهِ:

جرى في هذه الناحية (كلز) في ايامنا هذه شيء عجيب كنت قد ذكرت مثلهُ في سدّ ياجوج وماجوج وكنت مرتاباً فيهِ ومقلّداً لمن حكاه فيهِ حتّى اذا كان في اواخر ربيع الآخر سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) شاع في حلب وانا كنتُ بها يومئذٍ ثم ورد بصحتهِ كتاب والي هذه الناحية انهم رأوا هناك تِنّيناً عظيماً في طول المنارة وغلظها. اسود اللون وهو ينسابُ على الارض والنار تخرج من فيهِ ودُبرهِ. فما مرَّ على شيء الّا واحرقهُ حتى انهُ أتلفَ عدة مزارع واحرق اشجاراً كثيرة من الزيتون وغيره. وصادف في طريقهِ عدة بيوت وخركاهات للتركان فاحرقها بما فيها من الماشية والرجال والنساء والاطفال. ومرَّ كذلك نحو عشرة فراسخ والناس يشاهدونهُ من بعد حتى اغاث الله اهل تلك النواحي بسحابة اقبلت من قبَل البحر وتدلّت حتى اشتملت عليهِ ورفعتهُ وجعلت تعلو قبل السماء والناس يشاهدون النار تخرُجُ من قُبُلهِ ودبرهِ وهو يُحرّك ذنبهُ ويرتفع حتى غاب عن اعيُن الناس. قالوا: ولقد شاهدناهُ والسحابة ترفعهُ وقد لفَّ بذنبهِ كلباً فجعل الكلب ينبح وهو يرتفع وكان قد احرق في مَمَرّهِ نحو اربعمائة شجرة لوز وزيتون». اهـ

وذكر الكاتب في مادَّة سُدّ ياجوج قال:

«واما ذكر التِنّين فرأينا منهُ بنواحي حلب ما ذكرتهُ في ترجمة كلز وجعلتهُ حُجَّةً على ما أُوردهُ ههنا من خبرهِ وشجّعني على كتابتهِ فانَّ الانسان شديد التكذيب بخبر ما لم يرَ مثلهُ. رُوي عن شدَّاد بن افلح المقريّ انهُ قال: عُدتُ عُمر البكاليّ فذكرنا لون التنّين فقال عمر البكاليّ: اتدرون كيف يكون التنين؟ قلنا: لا. قال: يكون في البرّ حيَّة متمرّدة فتأكل كل حيّات البرّ فلا تزال تأكلها وتأكل غيرها من الهوامّ وهي تعظم وتكبر ثم يزيد امرها. فتأكل جميع ما تراه من الحيوان فاذا عظم امرُها ضجّت دوابّ البرّ منها فيرسل الله تعالى اليها مَلَكاً فيحتملها حتّى يُلقيها في البحر فتفعل بدواب البحر مثل فعلها بدواب البرّ فتعظم ويزداد جسمها فتضجّ دواب البحر منها ايضاً فيبعث الله اليها ملكاً حتى يخرج راسها من البحر فيتدلّى اليها سحاب فيحتملها فيُلقيها الى ياجوج وماجوج»

قلتُ انا: وهذا رأيٌ كان يراهُ الاقدمون وليس حقيقةً بل وليس فيهِ ذرَّة من الحقيقة. فاحفظهُ

وحدَّث المُعلّى بن هلال الكوفي قال: كنتُ بالمصّيصة فسمعتهم يتحدَّثون ان البحر ربَّما مكث اياماً وليالي تصطفق امواجهُ ويُسمع لهُ دويٌّ شديدٌ فيقولون: ما هذا الّا بشيء آذى دوابَّ البحر فهي تضجُّ الى الله تعالى. قال: فتُقبل سحابة حتى تغيب في البحر ثم تُقبل اخرى حتى عدَّ سبع سحابات. ثم ترتفع جميعاً في السماء وقد حمَلْنَ شيئاً يرون انهُ التنّين حتى يغيب عنّا ونحن ننظر اليهِ يضطرب فيها فربَّما وقع في البحر فتعود السحابة الى البحر بالرعد الشديد الهائل والبرق العظيم حتى تغوص في البحر وتستخرجهُ ثانيةً فتحملهُ فربَّما اجتاز وهو في السحاب وذنبهُ خارج

عنها بالشجر العادي والبناء الشامخ فيضربهُ بذنبهِ فيهـدم البناء من اصلهِ ويقلَع الشجر بعروقهِ. ولقد احتملهُ السحاب من بحر انطاكية فضرب بذنبهِ بضعة عشر برجاً من ابراج سورها فرمى بها. ويقال ان السحاب الموكَّل بهِ يختطفهُ حيث ما رآهُ كما يختطف حجرُ المغناطيس الحديد فهو لا يُطلع راسهُ من الماء خوفاً من السحاب ولا يخرج الَّا في الفرط اذا صَحَت الدنيا (وفي الاصل المطبوع: صَحَّت الدنيا بتشديد الحاء وهو غلط ظاهر)

« وذكر بقراط الحكيم اليوناني في كتاب الثراء. انهُ كان في بعض السواحل فبلغهُ ان هناك قُرى كثيرة قد فشا فيها الموت. فقصدها ليعرف السبب في ذلك. فلمَّا فحص عن الامر إذا هو بتنّين قد احتملهُ السحاب من البحر فوقع على نحو عشرين فرسخاً من هـذه القرى. فنتن ففشا الموتُ فيها من نتنهِ فعمد ذلك الفيلسوف فجبا من اهل تلك القُرى مالًا عظيماً واشترى بهِ ملحاً. ثم امر اهل تلك القُرى ان يحملوهُ ويُلقوهُ عليهِ ففعلوا ذلك حتَّى بطلت رائحتُهُ وكفَّ الموتان عنهم. (قلتُ: قد يكون هذا الجسم جسم سمكة عظيمة احتملها التنّين)

« ورُوي عن بعضهم: انهُ قصد موضعاً سقط فيهِ فوجد طولهُ نحو الفرسخين وعرضهُ فرسخ ولونهُ مثل لون النمر مفلس كفلوس السمك. ولهُ جناحان عظيمان كهيئة اجنحة السمك وراسهُ مثل التلّ العظيم شبه راس الانسان. ولهُ اذنان مُفرطتا الطول وعينان مدوَّرتان كبيرتان جدًّا ويتشعَّب من عنقهِ ستة اعناق طول كل عنقٍ منها عشرون ذراعاً في كل عنق راسٌ كراس الحيَّة. قلتُ (يعني ياقوت): هذه صفة فاسدة لانهُ قال اولًا: لهُ راس كراس انسان. ثم قال: رؤوس كرؤوس الحيَّة. وقد نقلتهُ كما وجدتهُ ولكن تركهُ اولى ». اه نقلهُ عن ياقوت

قلت انا: ولا حاجة الى ما في هذا الكلام من الاختلاق البيّن والكذب الحنبريت

ولو اردنا ان نورد هنا كل ما ورد في كتب العرب عن التنّين لتقوَّم منهُ كتابٌ قائم براسهِ. فقد اجتزأنا بما ذكرنا تاركين كلام سائر المؤلفين لمن يريد يُقابل بين اختلاف الروايات واختلاقها ويجمع منهـا ما خالف الحقيقة فيضرب بهِ عرض الحائط ويؤلف ما جاء منها مطابقاً للحقيقة فيسند بهِ حقائق العلم الراهنة

وجملة القول في ذلك: ان الحقيقة بيّنة من مطاوي الكلام والزيادة فيها لا تخفى على ذوي الاحلام والأفهام إذ انَّ عمل الأوهام يظهر في كل عبارةٍ اذ كل امرئ ينطق على موجب تصورهِ على حدّ ما تخيَّلنا نحن ما رأيناهُ رأي العين. واما الحقيقة العلميَّة في ذلك فستُذكر بُعيد ذلك

٣ تنّين الاقدمين عند الكَتَبة الاجانب

حكاية التنّين متوشّجة العروق في ارض التاريخ القديم. ولم يكن العرب وحدهم عرفوهُ بل عرفهُ غيرهم من سائر الامم المختلفة فالرومان عرفوهُ باسم draco واليونان

باسم δράκων وعنهم تلقّى الرومان الاسم المعروف عندهم . واللفظـة مأخوذة من δέρκομαι اي نظر شزرًا وحَملَقَ لِما يُنسب اليهِ من النظر الهائل. على ان اللفظـة العربيَّة تُقابل لفظتين اعجميَّتين وهما: dragon و typhon. وقد نقـل العرب تحت عنوانٍ واحدٍ مادة ترجمتين فخلطوا وخبطوا. والّا فان ما جاء بمعنى « تيفون » فقـد وصفهُ كذلك ابناء الغرب. وما جاء بمعنى الثعبان فقد ذكرهُ ايضاً كُتّاب اولئك الناس على حدّ ما ذكرهُ ابناء العرب. وقد رأيت في كلام ياقوت عدة صفات لهُ لعدَّة رُواة قد جمعت بين الوصفين وبذلك كفاية بل غنًى عن كل تفصيل آخر

قال پلينيوس وفيلسترغيوس ما محصَّلهُ: « ان طول تنانين الحبشة تبلغ نحوًا من ٢٠ ذراعاً. وقال أيليانوس موكِّدًا انهُ وجد ما طولهُ ٣٠ قدماً. وذكر تنّيناً في الهنـد واسع العينين كانهما تُرسان مقدونيَّان. ثم ذكر ان هـذا التنين كان في عهد اسكندر ذي القرنين وان الناس عبدوهُ وكان يسكن مغارة يخرج منها راسهُ فقط. وممَّا رواهُ العرب في التنين الذي كان في أيام الاسكندر ما نقلـهُ الوردي في الصفحة ٦١ من كتابهِ فراجعهُ هناك خوفاً من تكرارهِ على ما لا طائل تحتهُ

وذكر ديودورس الصقليّ تنّيناً طولهُ ٣٠ ذراعاً اخذ في عهد بطليموس اڤرجيتوس

وذكر نيقيفور الكاتب تنّيناً آخر ثقيل الجثـة جدًّا لا يجرُّهُ الّا ستَّة عشر ثورًا وان سكان ذلك القُطر احرقوهُ لئلاَّ يفسد الهواء بنتانتهِ لكثرة ما يتولَّد من فسـادهِ من العفونات في البـلاد. وقال ايليانوس: للتنين الذكر عُرفٌ او زُبرة ولحية . والتنين واسع الفم على ما نقلهُ الكلُّ بنوعٍ مطرد. ولهُ اسنان قوية حادَّة. وذكر ابن سينا: ان انيابهُ تشبه انياب الناخر او الخنزير البريّ بيد ان سولينوس يخالف من تقدَّمـهُ في هذا الراي اذ يقول: ليس للتنين لم تكن لهوات انبوبيَّة لا يتخذها للعضّ بل للتنفُّس ولاخراج لسانهِ. وقد اتفق الجميع على ان نظرهُ حادٌّ كلَّ الحدَّة. وكذلك اتفقوا على انَّ جسدهُ مفلَّس كفلوس السمك وعلى رقبتهِ زُبرة كزبرة اللَّيث. وقال قومٌ: ان من التنانين ما يكون مجنَّحاً. وبالاجمـال ليس للتنين ارجل او قوائم على راي الاقدمين لكنهُ يُطيق على السباحة. قال پلينيوس: ان تنانين الحبشة تعبر البحر اسراباً وطوائف من اربعة الى خمسة وتذهب الى جزيرة العرب رافعة رؤوسها عن الماء

ولم يجمع الجمهور على لونهِ مع انهم قد أجمعوا على ان صفيرهُ حادٌّ وعلى انهُ يأوي

الى الجِراج والزَآرات الظليلة والمغاور الغائرة البعيدة القعر والانهر الفسيحة . واما قوَّتهُ فقالوا عنها انها تفوق قوة كل حيوان فانهُ يقتل الفيل بسهولة كليَّة . واينما لاقاهُ صرعهُ وجندلهُ . واما طعامهُ فذوات الخفّ والظلف ولا يستنكف من اكل الطير اذا وقع بيدهِ او وقع عليهِ نفَسهُ لانهُ يستجلبهُ اليهِ بمجرَّد اطلاق نفَسِهِ عليهِ . لا بل ويأكل بعض النباتات . وقال لوقانُس : ان تنانين افريقية سامَّة واذا عضَّت واحدًا من اهلها عمد اصحابهُ الى اتخاذ الوسائط اللازمة لشفائهِ . وقالوا : ان خفة حركة التنين وحدَّة بصرهِ ونشاطهِ مما جعلهُ الحارس الاعظم للكنوز وانهُ يلتذ كثيرًا بسماع الغناء والانغام المطربة وقد اكثر المؤرخون من اهل الثقة ذكر التنين ووصفهُ . واما پلينيوس فقد اقرَّ واضحًا انهُ لم يرَهُ احدٌ قط . وقد شوهدت صورة التنين مصوَّرة ومنقوشة على كثير من الآثار القديمة بهيئة حية ماردة هائلة العظم

ويرمز اليونان والرومان بالتنين الى ميترڤة إشارةً الى الحكمة التي لا تعرف النوم والى باخوس رمزًا الى شدَّة عربدة السكران

والخلاصة في هذا الباب ان التنين حيوان خرافيّ تخيَّلهُ الاقدمون بقامة هائلة العظم وعينين متقدتين مهدّدتين مخيفتين وفمٍ يقذف نارًا وشرارًا وراسٍ كراس الاسد وذنب كذنب الثعبان يكون مجنَّحًا وغير مجنح ومُفلَّسًا من فوق الى اسفل . وعلى هذه الصفة كان الاوَّلون يصفون تنين الجزَّة الذهبيَّة وتنين بستان الهسپريدة . وعلى هذه الصورة والهيئة كانت ايضًا الخيمَرَة (chimère)

٤ً التنين في الكتاب المبين

وقد ورد ذكر التنين مرارًا عديدة في الكتاب المُبين بمعانٍ مختلفة في البيان والتبيين . فمنها بمعنى الدابَّة البحريَّة العظيمة او السمكة الهائلة العظم . ومنهُ في سفر الخلق (١ : ٢١) حيث يقول : « وخلق الله التنانين وكل دابة من كل ذي نفس حيَّةٍ فاضت بهِ المياه بحسب اصنافهِ » . وقال ايوب (في ٧ : ١٢) : « أبحرٌ انا او تنين حتى تجعل حولي سدًّا » . وقال صاحب الزبور (في ١٤٨ : ٧) : « سبحي الرب من الارض ايتها التنانين وجميع الغمار »

وجاء حرف التنين في التنزيل العزيز بمعنى الحيَّة العظيمة . فقد ورد في سفر الخروج (٧ : ٩) : « خذ عصاك وألقها بين يديْ فرعون تصِرْ تنّيناً » وتكرر هذا اللفظ في

ذلك الفصل. وجاء في تثنيـة الاشتراع (٣٢: ٣٣): «حمة التنانين خمرهم وسم الافاعي القاتل». ووردت بهذا المعنى ايضاً في المزمور (٩١: ١٣) وفي ارميا (٥١: ٣٤)

وورد التنين في الكتاب الكريم بمعنى ثالث اي بمعنى التمساح. راجع وصفـه في سفر ايوب (٤٠: ٢٥) وما يلي هـذه الآية تره لا ينطبق الّا على التمساح كما شرحه المفسّرون والعلماء المتبحرون. وراجع ايضاً سفر اشعيـا (٢٧: ١) و (٥١: ٩) وسفر حزقيال (٢٩: ٣ و ٣٢: ٢) وسفر المزامير (٧٤: ١٣) الى آخر ما تكرّر مجيئـه في ذلك. وعلى كلّ حالٍ فلا يُراد بهِ ابدًا الحيوان الخرافيّ اذ القرائن ظـاهرة بوجودهِ كسائر الحيوانات والدوابّ. ولعلّ ذكرهُ في مخلوقات البحـار دفع الغير الى ان يتوهموهُ بالصورة التي اخرجوها عن الحقيقة الراهنة. والله اعلم

٥ التنين في كُتب النصارى الأقدمين والمحدثين

يكثر ذكر التنين في تراجم القديسين وفي كتب الصلحاء وغيرهم ويريدون بذلك اما رؤى تمثّلت لهم باذن الله واماً رمزًا الى الشيطان ذلك الروح اللعين الذي تشكل بشكل حية منذ القديم لأبوينـا الاوّلين ليطغيهما. وكذلك رمزوا بهِ الى الشرّ او الشرّير او الظُلمات او اهل الظلمات وعليهِ تصوير رئيس الملائكة ميخائيل يصرع التنين الجهنمي. والعذراء مريم تسحق برجليهـا عدوّ بني آدم. وهكذا صوّر النصارى صورة القديس جرجس يضرب التنين برمحهِ (راجع المشرق ٦: ٣٨٨)

٦ التنين في عبادة الاقدمين

قد بيّنا ان الاقدمين قد رمزوا بالتنين الى الروح النجس الخبيث والى قوى الطبيعة المادية وقد عبدهُ الاقدمون كما عبدوا الارواح الخبيثة بعد ان ألّهوها كما انهم عبـدوا الرذائل بعد ان مثّلوها في بعض رجالهم او نسبوها لآلهتهم وصور هـذا الاله الغريب وُجدت منقوشة او مصوّرة في عدّة هياكل على اشكال مختلفة من ثعبان او دابّة ذات اربع قوائم او غير ذلك وقد اتخذ اهل الشرق رايات عليها صورة تنين لاسيما المصريون من اهل هذه الديار الشرقية. وكذلك فعل اهل الغرب ولاسيما ابناء القبائل القلطية. ولعلّ الكل يرجع الى اصل يوناني اذ تذكر خرافات هؤلاء الاقوام ان ابلّون قتـل بيثون واستأصل عبادة الحية بحكمةٍ سامية فائقة

٧ التنين عند العلماء المحققين

عرَّف العلماء التنين قالوا: هو عمود بخار قليـل الاعوجاج والميل او كثيره ُ ينتقل من سحابة الى الارض او الى البحر وتكون حركتُهُ رَحويّةً متنقلةً سريعةً كل السرعة. والهواء يُدَوَّم حول العمود الى مسافة محدودة تنقطع وراءها كل حركة فلا يكون ثَمَّ الّا ركون وسكون مُطلق. ويخرج احياناً من صدره برقٌ بهزيم يقصف قصفاً

واكثر ما يكون اطلاق لفظة التنين على إعصار البحر خاصةً وان جاءت احياناً بمعنى اعصـار الارض ايضاً الّا انَّ هذه تعرف باسم الزوبعة للفرق بينهمـا. وتكون تنانين البحر صاعدة او نازلة حسبما يبتدئ مخروطها مرتفعاً من البحر صُعُدًا او ينحدر من السُحُب هُويًا. وهي على كل حال من اعظم الطوامّ للمراكب والسفن وجواري البحر التي تصادفها في ممرّها فانها تساورها اشدَّ المساورة وتحلق بها في الجوّ ثم تقذف بها من حالقٍ وتغرقها في اغلب الاحايين اللهمَّ الّا اذا كان البحريون يُصلونها نار حرب حامية بان يطلقوا عليها المدافع فحينئذٍ ينقسم العمود فينقطع بذلك الاتصال الموجود بين السحاب والعباب وهذا ما يزيل القضاء وعلى الاقلّ موقتاً

والظاهر ان تنانين البحر خاصة بالديار المداريّة يعني انهـا تقع في البلاد الواقعة بين دائرتيّ السرطان والجدي

اما الزوابع فقد عرَّفها العَرَب تعريفاً يقرب او يبعد عن الحقيقة قليلًا او كثيرًا. قال صاحب اللسان:

الزوبع والزوبعة: ريح تدور في الارض لا تقصد وجهاً واحدًا تحمل الغبار وترتفع الى السماء كأنهُ عمودٌ. أُخذت من التزبُّع (وهو سوء الخلق والتنغُّط) وصبيان الاعراب يكنون الإعصار: «ابا زَوْبعَة». يقال فيهِ شيطان مارد. وزَوْبعة اسم شيطان مارد او رئيس من رؤساء الجنّ ومنهُ سُمّي الاعصار زَوْبعَة. ويقال ام زوبعة

وقال ابن الاثير في تحفة العجائب وطرفة الغرائب:

ومن الرياح: الزوبعَة وهي التي تدور على نفسها واكثر ثوارهـا من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف رياحاً تدوّرها الرياح المختلفـة فيُحدث دورانُ السحاب تدوير الريح فيترل على تلك الهيئة. وقيل: ان سببها التقاء ريحَين مختلفي الهبوب فيحدث بسبب ذلك ريح مستديرة اه

وقال القزويني في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:

من الرياح العجيبة الزوبعة: وهي الريح التي تدور على نفسها شبه منارة واكثر تولّدها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف سحاباً تذروهُ الرياح المختلفة فيحدث من دوران الغيم تدوير في الريح فيتنزل على تلك الهيئة. وربّما يكون مسلك صعودها مدوَّرًا فيبقى هبوطها كذلك مدوَّرًا كما يشاهد في الشَّعر الجَعد فان سبب جعودهِ قد يكون لاعوجاج المسامّ. وربّما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحَين مختلفي الهبوب فانهما اذا تلاقيا تمنع احداهما الاخرى عن الهبوب فتحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة. وربّما صادفت الزوبعة السفينة فترفعها وتدوّرها وتُغرقها. وربّما وقعت قطعة من الغيم في وسط الزوبعة فتدوّرها في الهواء فترى شبه تِنّين يدور في الجوّ. اه

واما العلماء المحدثون فقد قالوا انهُ يسبق الزوابع وَغرةٌ ووَمَدةٌ وحرٌّ خانق فيهِ ركود وجمود ولاسيما يتميَّز بهبوط عظيم وسريع في مقياس الجوّ. وتعريفها عندهم كتعريف التنانين وهي لا تقلّ خطرًا عن هذه والخراب الذي تنزلهُ في المواطن التي تمرّ بها يشهد على هولها وفتكها واجتياحها. واما تعليلها فسيأتي الكلام عنهُ في محلّهِ مع ذكر من اشتهر بالبحث عنها

هذا وقد ذكر التاريخ شيئًا كثيرًا من هذه التنانين والزوابع من ذلك ان قمبيز ملك الفرس بعث بخمسين الف مقاتل على واحة سيوة او واحة أُمون فهلك جيشهُ بزوبعة هبَّت عليهم في مسيرها فهلكوا عن بكرة ابيهم ولم ينجُ منهم واحدٌ

ولما كان العمود الذي يحدث في الزوبعة شديد القوَّة فكثيرًا ما يجمع في أحشائهِ في دورانهِ كل ما يمرّ بهِ من تراب او رمل او حصى واذا مرَّت بغديرٍ او بحيرة نشَّفت ماءَهُ ونقلت سمكهُ وضفادعهُ او محتوياتهِ الى بُعد شاسع فيتخيَّل للناس ان السماء تمطر سمكًا او ضفادع او اثمارًا مختلفة. فقد شوهد احيانًا تساقط حيوانات ودويبات مختلفة ومطر حبوب وثمار شتى. وروى المسيو بَلتيَه (Peltier) الفرنسيّ ان ضفادع كثيرة هَوَت من الفضاء على قبّعتهِ ويديهِ وغطَّت أديم الارض حولهُ. وشوهد ايضًا تساقط سمك صغير من السماء في فرنسة والهند وايطالية والمانية وبلاد الصين. وطرأت زوبعة في نابلي سنة ١٨٣٣ فمرَّت ببستان برتقال فحملت منهُ ثمرًا كثيرًا وبعد بضع دقائق امطرت السماء برتقالًا على سطح بيتٍ بعيد عن البستان. وكان ايضًا في فرنسة غدير كثير السمك فرَّ بهِ اعصار سنة ١٨٣٥ فاغترفهُ وانتثر مطرًا على مسافة غير بعيدة عنهُ

ووصف بعضهم هولها بعد مرّها قال: هبَّت زوبعة في غابة فضربت فيها مسافة

ثلثة اميال وهي تقطع اشجارها وتحطِم كل ما قام في وجهها. ثم هجمت على الحروث فاجتاحتها. وهدمت بيوتاً كثيرة فدكّتها حتى غدت هباء منثوراً. ثم جاءت وعراً يانع الشجر رائع الثمر متين الاغصان طويل الافنــان متوشج العروق مشتبك الاصول والفروع اكثرهُ من السنديان الصلب فلم تُبقِ فيهِ ولم تذر. وكان في الغابة سنديانة عاديَّة كبيرة قطر ساقها ثلاثة اقدام تلوح للناظر كأنها طود راسخ بين اخوانها فثارت بها الزوبعة فحطَّمتها تحطيماً. فحسبتُ سرعتها من مسيرها فالفيتُها ١٧٣ ميلاً في الساعة او ٢٥٣/٢^١ قدمٍ في الثانية اي ربع سرعة قنبرة المدفع ...

ويكثر حدوث الزوابع في البوادي والصحارى الواسعة الحواشي فتعلو منها اعمدة رمال عظيمة فتجفّ الريح ويشتــدّ الحرّ ويعسر التنفُّس ويضيق الصدر. والباين ان الحيوانات ولاسيما الاباعر تشعر بها عن بعدٍ وقبل حدوثها فيأخذها الانزعاج والاضطراب واذا كانت اباعر تنفر في عرض البادية حتى اذا اصابت ما تستذري بهِ لجأت اليــهِ وجعلت رؤوسها بين يديهــا مضطجعة على الارض . والظاعنون المحنّكون يخرّون بوجوههم ملتفَّةً على الارض حتى تمرّ فاذا قصر زمان مرورهــا ولم تطمرهم الرمال نجوا والّا هلكوا

٨ً آراء مشاهير العلماء المدقّقين في حقيقة امر التّنين

اشهر العلماء الذين بحثوا عن حقيقة التنين فرنكلين (Franklin) ومُسشَنبرُوك (Musschenbroek) ومُنج (Monge) وغيرهم. فانهم اعتبروهُ بمنزلة دُرْدُورٍ هوائيّ تولدهُ مُصــادَفة مجرَيين متعادَيين. وبريسون (Brisson) هو اول من رأى في ذلك اثرًا كهربائيًا الّا ان بلتيه في كتابهِ «بحثٌ في التنانين» هو اول من توفّق الى هتك ستر سرّ هذا الحادث الجويّ أتمّ هتكٍ. فعلى رأيهِ ان السحــابة المتكهربة اذا مرّت بالارض على بُعدٍ معلوم تنجذب اليهــا وتهوي هُويًا . وحينئذٍ اذا كانت هذه الغيمة كثيفة مندمجة الدقائق ومتلززتها يَنتأ هيدَبُها نُتُوءًا غريباً ثم يمتدّ ويَتنُّ شيئاً فشيئاً. واذا كان الحادث يطرأُ فوق البحر فينهض الماء نهوضاً ويذهب صُعُداً نحو طرف هذا النُتُوء فيتقوّم من ذلك عمود يَنتصب بين العباب والسحاب. هــذا واذا كان المخروط يَنشأُ بعكس ذلك من فوق اديم الارض ينجذب الغبــار وصغار الاجسام وخفافها ثم تذهب صعداً نحو راس المخروط ثم تتدافع ثم تعود فتتجاذب ثانيةً. وعلى هذه الصورة

ينشأُ الاتصال بين السحاب والارض وحينئذٍ تنجذب اعظم الاجسام واضخمها فتحدث التنانين والزوابع اعمالًا آلية قويّة عجيبة غريبة وكلها لا تخلو ابدًا من مصدر كهربائي فترفع وتقلع وتقطع وتقلب وتسلب وتنشِف وتكثِف وتحرق وتغرق وتقرّب وتبعد وتذيب وتفعل غير ذلك من الاعمال كانها من الاعمال السحرية ترجع جميعها الى فعل الكهربائية الخفيّة ولهذا نسبها العرب الى اعمال متمرّدي الشياطين

٩ً اصل لفظة التنين في اصطلاح اللُغويين

التنين على ما جاء في محيط المحيط « ماخوذ من تنَّ بمعنى امتد » وهو مع ذلك لم يذكر تنَّ في اول المادة بهذا المعنى. كما اننا لم نعثر في كتاب من الكتب على هذا الفعل ولا على الاشتقاق. وعلى كل فان ثبت « تنَّ » بمعنى امتدَّ صحَّ اشتقــاق التنين منــهُ. وقد ذكر صاحب محيط المحيط بمعنى « تنَّ »: « أتنَّ ». وهو غير موجود في ديوانٍ من دواوين اللغة. ولعلَّ ما في يدنا لا يفي بالمطلوب

وعلى كل فان مادة « ت ن » او « ت ن ن » تدلّ على الامتداد والكبر والعظم في سائر اللغات وكلها كانها ماخوذة من « ت ن ن » بمعنى استطال وامتدَّ كالدخان. ففي العبرانية תנן معناه: دخن او امتدّ كالدخان. ومثلهُ في الحبشيّة ጢነ بمعنــاه. وكذلك بالسريانية ܬܢܢ والعربيّة فقدت هذه اللفظة مع ان فرعهــا المتولد منها بزيادة حرف في اولهِ موجودًا اي « عثن » يقال عثنت النار: دخنت. وباليونانية ἀτμίς البخار وهذه المادة موجودة ايضاً بهذا المعنى والمبنى في المندائية والسامرة

وباليونانية ταινία سمكة طويلة ومن ذلك اللاتينية taenia والفعل τείνω يعني امتدّ وطال وفي العربيّة التنّ سمكة عظيمة ومثلها في اللاتينية thunnus piscis وباليونانية θύννος وبالاسبانية atun وبالايطالية tonno وبالفرنسية thon وبالانكليزية tunny وبالالمانية thunfisch كلها تشهد على صحة هذا التركيب

ولما زادوا على هذه المادة حروفا جاء منها « الاتون » لما يتصاعد منهُ عن الدخان. ومنها ايضاً التنُّور الى غير ذلك من المشتقــات والفروع التي اذا تتبعناها يتغلغل بنا الكلام الى ما يخرجنا من موضوعنا

فيتحصل من كل ذلك ان لفظة التنين عربيَّة النجار ومعناها: هذا العمود الذي

يأخذ بالامتداد والاتساع على حدّ ما قررناه في مطاوي هـذه النبذة مع ذكر الاسانيد والبراهين. ثم انتقلوا منها بالتشبيه الى حيوانات كبيرة الجسم ثم ابتنوا عليها حكايات غريبة لفّقها الربانيّون كما لفقوا خرافات لا تقدّر ولا تحصى اساسها شيء زهيد فبنوا عليها ابنية اخترعتها مخيّلتهم الفيّاضة والله اعلم بالحقيقة

في وحدة عشتروت او عشترت والسيّارة الزهرة

للاديب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعيّة الكتابيّة الأثريّة

ورد في احدى الآجرّ المسماريّة المحفوظة في متحف عاديات لندن انهُ كان لمردوخ إله البابليين اربعة كلاب يلازمونهُ ابدًا ثمَّ ذُكرت اسماؤهم. ومعلوم انَّ مردوخ البابليّ يوافق عند قدماء الكلدان السيّارة المشتري او جوبتير. فظنَّ بعض العلماء انَّ الكلاب المذكورة هي اربعة من الاقمار التي تدور حول المشتري وهي الأكبر بينها حجماً فانـهُ ثبت الآن بالبراهين الراهنة انّهُ يتيسّر لمن خصَّهُ الله ببصر مديد ان يرى هذه الاقمار الاربعة بمجرَّد البصر. فاذا كان والحالة هذه بوسع سكّان الجزيرة الاقدمين ان يروا اقمار المشتري فلا غروَ انهم كانوا يعاينون ايضاً تقلُّبات الزُهرة لدى نموّها. وهذا ممَّا يكشف القناع عن بعض غوامض تاريخ اديان الساميين الاقدمين

وطالما اخبرتنا كتابات الاشوريين والبابليين ان عشترت او الزُهرة كانت ابنة «سين» اعني الإله القمر فلعلَّ هذه القُربى نجمت عن ظهور الاب والابنة على هيئة هلال ولذلك أُحصيا بين الآلهة ذات القرون. ويُخال ان قدماء العرب او الميناويين جعلوا علاقة وثيقة العرى بين السيـارة الزُهرة وبين القمر وظنّوا ان هذه السيّارة إلهٌ ذكر غير انهم حفظوا لسمها البابليّ ودعوها عشتر. ويظهر ان البابليين الاكاديين تردَّدوا في جنسيَّـة عشتر او الزهرة لأنَّ كتاباتهم تسميها « ديلبة » او « ديلفة » وتقُول انها إلهةٌ عند مغيب الشمس وإلهٌ عند طلوعها

ولقد جاء في احد النصوص ان عشتر الأكّاديين هي الزهرة عند طلوع الشمس ولكنّها تتحوَّل الى عشتر « إرك » عند غروبها (١). واما الكتابة الموابيّة فأنها تتكلّم

(١) اطلب Sayce : *Hibbert Lectures*, p. 254

عن عشــتر « كموش » كأنهُ إلهٌ واحد ذكر وانثى . ومن عجيب الاتفاق هو ان الكتابة الفينيقيّة التي وجدت في مدينة صور تجمع بين بعل ذي القرون وبين عشتروت كأنهما ذات واحدة ضمّت اليها الوهيّتين . فاننا نقرأ فيهــا ما يلي « بعليَتّن بن عبد هور كاهن ملك عشتروت » . وكان قدماء العرب سعوا بحفظ جنسي الذكر والأنثى كأنهما مجتمعان في السيارة الزهرة كما كان يعبدها اترابهم في بابل

وكانت السيارة المذكورة حسبما أشرنا اليهِ آنفًا مشــابهةً ومشاركةً للإلهة العظمي عشتر اي عشتروت او عشترت البابليّة والفينيقيّة والسوريّة (١ وهذه المناسبة قد اظهرها حديثًا العالم توادوروس ج . پنشس فانهُ وجد ان كلمة عشتر أتت على صورة عشترا في الكتابات المسماريّة التي ترتقي الى الفي سنة قبل المسيح . وزد على ذلك ان عشتروت او عشترت ما هي الّا صفة اراميَّة وسوريّة للاسم عشتر كما ايّدتهُ في هذه الاثناء كتابة أُكتشفت في ممفيس حُفرت في القدم اكرامًا لعشترت السوريّة وقد دُعيت فيها الإلهة باسم عشتر . ولا جرم ان هــذه الكتابة كانت خاصّة هيكل عشترت في ممفيس الذي ذكرهُ هيرودوتوس واليهِ أشارت كتابة مصريّة تجدها في الجلد الاوّل من كتاب لپسيوس (Denkmaeler)

ومن خصائص عشتروت او عشترت ان تكون مزيّنة الرأس بقرنين . والحقُّ يُقال ان هذه الإلهة لُقّبت في العهد العتيق وفي الكتابات الفينيقية والقرطاجنيّة بعشتروت ذات القرنين وهي التي ورد ذكرها في سفر التكوين (١٤ : ٥) والقرنان عبارة عن قمّتي جبل يتوسّطهما هيكل كما كان هيكل بعل ذي القرنين الذي وقف على اثرهِ المسيو فونتين (Fontain) بالقرب من قرطاجنّة . وقل مثــل ذلك في امر قرني أترجتيس المذكور في سفر المكابيين الثاني (١٢ : ٢٦) فكانا قرني عشتروت او ارقيس اعني بهِ هيكلًا شُيّدَ في فسحة بين رأسي جبل في فلسطين

وبسبب اختصاص عشترت بقرنين وغلط بعض المؤلفين مثــل لوسيان وهيروديان دعا كثير من الكتبة عشتروت إلهةً قمريّة ولكنّهم طاشوا سهمًا لان اليونان عرفوهــا

(١ اطلب Comptes-Rendus: Acad. des Inscript. 1902, p. 468 = وجاء في اعمــال فيلون الجُبَيْلي انَّ اهل فينيقية يتبرون عشتروت وافروديت كإلهة واحدة « τὴν Ἀστάρτην Φοίνικες τὴν Ἀφροδίτην εἶναι λέγουσι »

دائماً بانها نفس الزهرة . وقد عُبدت في افقا على صفة نجم . واما عشتر الاشوريين فلم تكن إلهةً قمريّة ولكن نجمة الصبح ثم ان اسم « ديلبة » الذي أُعطي لها موقتاً ومعناه « المبشِّرة » يدلُّ جلياً على نجمة الصبح . ومما يُؤيد ايضاً انها كانت الهةً ذات قرنين هو ان الاب شيل لمَّا قرأ احدى الكتابات البابليَّة المحفورة على قطعة عمود وجد رسم عشتروت على هيئة بقرة ذات قرنين . ولهذا الامر علاقة عظيمة مع صورة التقادم النذريَّة التي أُلقيت في هياكل عشتروت الفينيقيَّة وفي جزائر الباليار فكلها تمثل رأس بقرة كبيرة القرنين ولهذا كان يظنّ اليونان ان عشترت تسيح في البلاد وانها على مثال الإلهة اوروبّة التي يصوّرونها ممتطيةً في سياحتها ثوراً . وهذا الثور هو الحيوان البابليّ المذكور في قصص « انو » احد اقارب الالهة عشتر كما ورد في حكاية كشدبار

ويعلم القرّاء ما كان من الاتحاد بين عبادة عشتر او عشترت وأفروديت وما كان يجري فيها من المنكرات والقبائح . وقد اجتمع في عشترت وأفروديت امران متباينان وهما الجمال والحرارة ولربما وُجدا ايضاً في الزُهرة نجمة الصبح لأنهـا الهة الطلّ والرطوبة والخصب والحرارة . والحرارة هذه تبعث بها اشعَّة الشمس لاسيما في الهاجرة . واما الزهرة فانها كانت خادمةً للشمس لا تفارقها ابداً

فلا مشاحّة اذن ان عشتروت هي نفس السيَّارة الزهرة وما اوردناهُ من البراهين ينفي كل رأيٍ يناقض رأينا . اما هيئة الهلال فانها اتُّخذت من صورة النجم عند طلوعهِ فانهُ حينئذٍ يحاكي الهلال فلمَّا عاينهُ اذ ذاك عبدة الالهـة اطلقوا عليهِ اسم الهلال وقد ادَّى جهل هذه الحقيقة الكتبة الذين اشرنا اليهم آنفاً الى تعداد عشتروت بين الآلهة القمريّة . ولا غروَ انهُ بسبب نقاوة هواء بلاد الكلدان كانت تقلُّبـات الزهرة تظهر للعيان وعليهِ كانت عشتر اي الزهرة الملقَّبـة بعشتروت ذات القرنين كعدد عديد من متصوّرات البشر عبارةً عن رمز ما واما القرنان فانهما يشيران الى ما يوجد من العلاقة بين نجمة الصبح واسم الالهة المذكورة

اثر ضائع للامام الغزّالي

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

لا حاجة الى الاطالة في تعريف الامام ابي حامد الغزّالي المتوفى سنة ٥٠٥ ﻫ (١١١١م) الملقّب بحجّة الاسلام. والعلماء يقبلون على مصنّفاتهِ اقبالًا عظيمًا لاسيَّما كتبهُ الفلسفيَّة. وللامام الغزّالي شعر قليل واكثره ضائع فممّا وقع في يدنا منهُ آخرًا في مجموع طرائف ادبيَّة مخطوطة قصيدة جعلها على لسانهِ ميتًا كانهُ يناجي من العالم الآخر اصحابهُ فيذكر لهم ما صار اليهِ من افراح الجنَّة بعد دار الشقاء

قُلْ لاخوانٍ رأوني ميتًا فبكَوْني ورَثَوْني حُزَنا
أَعلى الفائتِ مني حزنكم او على الحاضر معكم هاهنا
اتظنون بأني بينكم ليس ذاكَ المَيْت والله انا
انا في الضوء وهذا جسدي كان بيتي وقميصي زمنا
انا درٌّ قد حواهُ صدفٌ كان سجني فطرحت السجنا
انا كنز وحجابي طلسمٌ من تراب قد تخلّى للفنا
انا عصفور وهذا قفصي طرتُ منهُ وبقي مرتهنا
احمد الله الذي خلصني وبنى لي في المعالي سكنا
كنت قبل اليوم ميتًا بينكم فحييتُ وخلعت الكفنا
وانا اليوم أناجي ملأً وارى الله جهارًا علنا
عاكفًا في اللوح اقرا وارى كل ما كان ويأتي او دنا
وطعامي وشرابي واحد هو امنٌ فافهموه حسنا
ليس خمرًا سائغًا او عسلًا لا ولا ماء ولكن لبنا (١
فافهموا السرّ ففيهِ نبأٌ ايّ معنى تحت لفظي كمنا
واهدموا بيتي ورضُّوا قفصي ودَعوا الطلسم في دار الفنا
وقميصي مزقوهُ ربمّا وذَرُوا الكل دفينًا بيننا
قد ترحلت وخلفتكمُ لست ارضى داركم لي سكنا

١) كنى باللبن عمّا يتمتّع بهِ من الافراح السماويَّة

لا تظنوا الموت موتاً انهُ   لَحياة وهو غايات المنى
حيٌّ ذا العيش بعيشٍ نكدٍ   فاذا مات سُلبنا الوسنا
لا تَرُعكم هجمة الموت فما   هو الَّا نقلٌ من هاهنا
فاخلعوا الاجسام عن انفسكم   تجدوا الحق جهاراً علنا
أحسنوا الظن برب راحم   تشكروا السعي وتأتوا أُمنا
وخذوا في الزاد جهداً لا تنوا   ليس بالعاقل منَّا مَنْ وني
ما ارى نفسيَ الَّا انتمُ   واعتقادي انكم انتم انا
عنصر الانفس منا واحد   وكذا الاجسام جسمًا عمَّنا
فمتى ما كان خيرًا فلنا   ومتى ما كان شرًا فبنا
فارحموني ترحموا انفسكم   واعلموا انكمُ في إثْرنا
اسأل الله لنفسي رحمةً   رحم الله صديقًا أمَّنا
وعليكم من سلامي طيبٌ   وسلام الله يبدو وثنى

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وممَّن اشتهروا ايضاً بالآداب والنظم بين النصارى في مفتتح القرن التاسع عشر القس حنانيًا منيِّر الزوقيّ (١ الذي ذكرناه في باب التاريخ (ص ٤١٣). فانهُ برع

---

١) افادنا حضرة القس الفاضل جرجس منش الماروني انَّ اسرة القسّ حنانيًا منيِّر (بكسر الياء المشدَّدة كما هو المتداول بين الحلبيين او بفتحها كما هو الغالب في لبنان اشارة الى صنعة النير او من بيع النسيج المنيَّر) اصلها من حلب ثمَّ هاجرت الى لبنان فاستوطنت الزوق في تضاعيف القرن الثامن عشر في جملة الاسر التي خرجت من الشهباء في ذلك العهد وفي اوائل القرن التاسع عشر فرارًا من شر الاضطهادات التي اثارها المنفصلون على ما ذكره روفائيل مخلوطا المعروف بالغالي وغيرهُ من كتبة ذلك الزمان. ثمَّ انقرضت اسرة المنيَّر من حلب فلم يبقَ منها احد بعد ان كانت نامية متعدِّدة الافراد. ويؤخذ من سجلّ مواليد الملكيين الكاثوليك في حلب انَّ هذه الاسرة انقسمت الى ثلاثة بطون عُرِف الأول منها بالمنيَّر على الاطلاق والثاني غلب عليهِ لقب الحكيم من جدّها ابراهيم

ايضاً في الفنون الادبيَّة فمن ذلك مجموع امثال لبنان وبلاد الشام يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل وكتاب مقامات بديعة جامعة بين فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني (المشرق ٤ :٩٧٣) هذا فضلًا عن كتاب في شرح عقائد الدروز طبعهُ المسيو غويس (Guys) في باريس ونقلهُ الى الفرنسويَّة . أمَّا شعرهُ فلم نحصل منهُ ألَّا على بعض مقاطيع روينا بعضها سابقاً (المشرق ٤ : ٩٧٠ — ٩٧٢) منها قصيدتهُ الرنَّانة التي قالها في تهنئة سليمان باشا لما اتى عكَّا ليتولَّاها بعد وفاة الجزَّار . اوَّلها :

لِهوى الاحبَّـة في الفؤاد مخيَّمُ   نيرانـهُ بين الجوانح تُضرَمُ

ومنها: صيدا ابشري عكَّا افرحي حيفا الطربي   والقـاطنون جنٌ فليـترنَّموا
كن يا سليمان الوزير مؤازرًا   للخاضعـين وجارماً من يجرموا
واعظم وسدْ وارحم وعُدْ وانعم وجُدْ   واسلمْ ودمْ بسعـادةٍ لك تخـدم

وختمها بهذا التاريخ :

واذا انتهى شعري بمدحك مرَّةً   ارَّختُ يبدأُ مدحك لا يُختمْ

وممَّا قالهُ في الزهد والدعاء قولهُ في مقدَّمة تاريخهِ الرهبانيّ

اني لفي عظم الوجـلْ   من قُرْبِ ايـام الأجـلْ
من بعـدهِ لا بُدَّ مـا   يمروني في الدين المجـلْ
اذ انني قضيتُ عمري   بالملاهي والبَجَـلْ
والحكم لم يُقبَـل بـهِ   عـذرٌ ولم ينفع وجـلْ
ألجا لعونـك مريمًا   فأعطفي نحوي النجَـلْ
وتشفَّعي لي يا بتو   لُ وأدركيني بالعجـلْ

المنيِّر الحكيم ويظنّ حضرة مكاتبنا انَّ القس حنانيا تلقَّب بالطبيب اشارةً الى لقب هذا الفرع بالحكيم ليس كما ذكرنا (المشرق ٤١٤) لمزاولتهِ فنَّ الطبّ . والثالث غلب عليهِ لقب ارميا من جدهم عبد الله بن ارميا من بيت المنيِّر . وممَّا ذُكر من مواليد هذه الاسرة جرجس بن توما ويوسف بن الياس (بن المنيِّر) وزينب بنت ابراهيم (المنيِّر الحكيم) وعبد الله بن ارميا (من بيت المنيِّر) في سنة ١٧٣٥ وجبرائيل بن منصور (١٧٣٦) وكاسيا بنت نعمة (١٧٣٧) وجرجس بن ارميا (١٧٣٨) وسارة بنت يعقوب (١٧٣٩) ويعقوب بن جبرائيل وجرجس الآخر بن ارميا (١٧٤٠) وترزيا بنت توما (١٧٤٢) وسيدة بنت جبرائيل ونعمة الله بن توما (١٧٤٣) ويوسف بن منصور (١٧٥٧) . وليس غير ذلك في السجل الملكي . وكذلك عُرف من افراد هذه الاسرة القسّ بولس (ولد عيسى المنير) الذي خدم ابرشيَّة حلب الملكيَّة الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها في آخر القرن الثامن عشر

ولمّا توفى الجزّار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م) وكان بالغ في الظلم وجنح الى العصيان وضع كلّ شعراء ذلك العصر من مسلمين ونصارى قصائد هجوه فيها وارّخوا وفاته (اطلب المشرق ٢: ٧٣٨) فقال القس حنانيا ابياتاً اثبتها في آخر تاريخه للشوف ورواها الامير حيدر الشهابي في تاريخه (المشرق ٤: ٩٧٠)

ومن رثائهِ قصيدة قالها في البطريرك اغناطيوس صرّوف لمّا قتلهُ اليـاس عماد سنة ١٨١٢ اوّلها:

علامَ دمعي من عيوني يُذرفُ   وإلامَ لا يَرْقا ولا يتكفكفُ
هل كابدت كبدي لظىً لا ينطفي   ام في الحشا جذوةٌ نارٍ تنطفُ

ومنها في مدح الفقيد:

يا شمس افق الشرق ذاع ضياؤهُ   في الغرب أنّى شمس فخرك تكسَفُ
يا راس كَهنة بيعة الله التقي   ثِقْ انت ايضاً في الاعالي اسقفُ
اوّاهُ وا اسفي ولوعاتي على   مَنْ كلُّ من يدري بهِ يتأسّفُ
قسماً فلو يُفدى لكنتُ فديتهُ   بالروح مرتاحاً ولا اتوقّفُ

وكان القس حنانيا يتفنن بالنظم ولهُ قصائد بالشعر العامّي غاية في اللطف منها قصيدة في الخمّارة والعرق لم نحصل عليها. وهو الناظم للقصّة الشهيرة المعروفة بالبرغوث كنّا اثبتناها اوّلاً في كتابنا علم الادب سنة ١٨٨٦ ثمّ وجدناها كما كتبها القسّ حنانيا وهي اوسع واظرف ممّا نشرناهُ وهذه هي القصيدة كما وقفنا عليها في كتاب مخطوط من ايّام المؤلف وفي اخرها اسمهُ:

١ اعدّ بيوت مع قصدانْ   واخبركم بما قد كانْ   طول الليل وانا قلقانْ
واصبح جلدي كالجربانْ

٢ جا البرغوت وانا نائم   وصار على صدري حائم   وقال لي من شهرين صائم
في حسابي خلص رمضانْ

٣ قلتلو لا تجادبني   علامك انت تكاربني   بالله عليك لا تتعبني
كل النهار وانا تعبانْ

٤ قال لي ليس انا جمّك   ان كان مرّك او غمّك   عشاي الليلي من دمّك
وبكرا يفرجها الرحمانْ

٥ قلت يابرغوت انا بداريك   وبين الناس انشد فيك   روح لنيري يمشيك
واتركني الليلي نعسانْ

٦ قال لي ما هو عا كيفك   وطلبلي انا ضيفك   عيب عليك يا حيفك
اكون عندك وابات جيعان

٧ لا تحسب اني جابك   يجي وبدخل في عبابك   بدور حول جنابك
ان كنت نائم او سهران

٨ قلت يا برغوت اسمع مني   وهلّيلي ارجع عني   ودَعني راقد متهني
يبقى لك عندي احسان

٩ قال لي شوارك مرذولة   وعندي ما هي مقبولة   ومواعيدك هي مجهولة
وعمري ما بصدّق انسانْ

١٠ قلتلّو وياك يا عقوق   لا يا اسود يا ممحوق   بتخدعني وما عندك ذوق
وعجزك من قريب يبانْ

١١ قال انا بالعين صغير   ولي في الليل فعل كبير   انا ما بفزع من وزير
ولا من حاكم ولا سلطان

١٢ بتعيرني بسوادي   وانا اليوم لك معادي   لأجيك انا واولادي
وبعلمك فعل السودان

١٣ قلتلو ما انا بهمّك   ولا اولادك ولا اولاد عمك   لاحرق ابوك مع امك
وبناتكم مع الصبيانْ

١٤ قال بخليك حتّى تنام   اجيك انا واولادي قوام   لمّا تلبس ثوب المنام
وعن مسكي تبقى عجزان

١٥ وحالا بتصير تتقلّب   وانا في جلدك مكلّب   وانت تبقى متغلب
بصبغ جلدك والقمصان

١٦ قلت يا برغوت ان كنت عائق   امتحنّي وانا فائق   وضوء الشمس يكون شارق
لتنظر من هو الغلبان

١٧ قال انا بالنهار بصوم   بقضيها ارتياح ونوم   عند غياب الشمس بقوم
وادور حول السيقان

١٨ وان صار لي بالنهار فرصة   لا بدّ ما اقرص لي قرصة   ولولا خوفي من جرصة
ما كنت بسيّب انسان

١٩ قلت الرهبان لا تقرّبهم   والشرير محاربهم   روح عنهم لا تعذبهم
يكفاهم شر الشيطان

٢٠ قال الراهب هو ملزوم   بالسهر والصلا والصوم   لئلا يتمادى بالنوم
ما هو مليح يكون كسلان

٢١ وانا من بومي بجبّه   يجي وبدخل في عبّه   كي يقوم يعبد ربّه
ويطلب للعالم غفران

٢٢ وانت ما فيك تربطني   وانا ربي مسلطني   ولمّا بدّك بتلقطني
بصير بفز كالغزلان

١٣ وبعرف لمّا بتمسكني ما بتصور تتركني حالًا بتصير تفركني
وفي قتلي بتبقى شمتانْ

١٤ وانا في اول الليل بتصيّد بقوة مع حيل وبصير بركض متل الخيل
وعا صدرك بعمل ميدانْ

١٥ قلت يا برغوت يا محقور حقًّا من جنسك مقهور لا بد ما اعلّك تنّور
واحميه بالشوك والبلانْ

١٦ قال لي كلامك كله فشار قرائبي واولادي كتار وتربّوا عند الجزّار
ونسأطوا على البلدانْ

١٧ وعلى ايش حقّي تحرقني حيث ربّي خالقني وانا الدم يوافقني
وطالب من دمك فنجانْ

١٨ قلت يابرغوت بالك فاضي وعليك ما انا راضي لا بد اشكيك للقاضي
واخرج في قتلك فرمانْ

١٩ قال حكم القاضي انا عاصيه ومن يومي انا معاديه وفرمانه لا يمحل في
وعليّ ما له سلطانْ

٢٠ قلت يا برغوت قلي كارك واهديني لباب دارك قصدي اقطع جدارك
واحرق نسلك بالنيرانْ

٢١ قال لي امشيه بقلك وعلى باب داري بدلّك حتّى ادخل في ظلك
وارقّصك رقص السمدانْ

٢٢ قلت يابرغوت صدقة عنك عرّفني طريق فنك وكيف بقدر خلص منك
صرت في امري حيرانْ

٢٣ قال ان كان تعرف فني طاوعني واسمع مني انا نصيحك أمّني
قصدي خيرك يا انسانْ

٢٤ كلّس بيتك في طيون ورشه بزوم الزيتون وخليه انضف من ماعون
وطيّنهُ بتراب ولفّانْ

٢٥ وثيابك قبال ان تلبسها برغتها او شمّسها وارض الدار كنّسها
كذلك اعمال بالدكّانْ

٢٦ لمّا يضيمك شوبك عند النوم غير توبك ما احد يجي صوبك
وعلى التخت افرش ونام

٢٧ هذا ما قد صار فيّي عند السهرا من عشيّ وكان في بدء الصيفي
في آخر يوم من نيسانْ

(تمّت القصّة من القس حنانيا منيّر)

*

وكذلك اشتهر بين شعراء ذلك الدهر المعلم الياس اده وكان مولدهُ في قرية اده من اعمال جبيل سنة ١٧٤١ وتوفي في بعبدا سنة ١٨٢٨ وهناك ضريحهُ وقد صحب الامراء الشهابيين ومدحهم لاسيما الامير يوسف والامير بشير وكذلك خدم مدة احمد باشا الجزار في عكا حتى هرب منهُ خوفًا على نفسهِ. وقد اتسعنا في المشرق (٢: ٦٩٣ و٧٣٦) في ترجمة الياس اده واعمالهِ وشعرهِ فلا حاجة الى الاطالة. ومما وقفنا لهُ بعد ذلك من الآثار الادبية مجموعة ذات ٢٣٥ صفحة ضمَّنها نخبةً من اقوال الادباء والعلماء واللغويين جمعها وهو في حلب الشهباء سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢ م) وسمَّاها «الدرّ الملتقط من كل بحر وسفط» وجدنا منها نسخة تاريخها ١٢٤٧ (١٨٣١م) وهي عند احد ادباء عينطورة الخواجا جاماتي. وللمؤلف في وصف هذه المجموعة قولهُ:

اذا نظر الرائي اليها يخالُها رياضًا بها زَهْرٌ وزُهْرٌ زواهرُ
عرائس يجلوها عليك خدورها ولكنَّما تلك الخدورُ دفاترُ

ومما لم نذكرهُ من شعرهِ قولهُ في وفاة الشيخ سعد الخوري سنة ١٧٨٥:

لا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ وقد قُرّحت بالدمع منَّا المحاجرُ
لقد غبت يا شمس الكمال فأرعدتْ فرائصنا والحزنُ للقلب فاطرُ
وفاضت مياهُ الدمع منَّا فما لنا وحقّك قلبٌ بعد فقدك صابرُ
وليل الشقا فينا اكفهرَّ ظلامهُ وضاقت علينا بالفراق السرائرُ
لتبكِ المعالي بعد بُعدك حسرةً كما لبستْ ثوب الحداد المفاخرُ
أيا لوذعيًّا كان للدهر سيدًا ومن كفّهِ للجود هامٍ وهامرُ
عليك من الرحمان اضعافُ رحمةٍ ورضوانهُ ما ناح في الروض طائر
وما قال بالاحزان فيك مؤرّخٌ فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ

ولهُ كذلك قولهُ يصف انواء وزوابع حدثت في ٢٥ كانون الثاني من السنة ١٢٢٨ و(١٨١٣):

هاجت رياحٌ بالشمال تجولُ فتمدّدت ريحُ الجنوب تصولُ
وتكافحا حتَّى كأنَّ هبوبها فرسانُ حربٍ اقبلت وخيولُ
ونما الضبابُ على الهضابِ معمّمًا قمم ٠ الجبال كانهُ الاكليلُ
نحرت سيوفُ البرق اعناق الغما م فسال منهُ دمعهُ المطلولُ
وتزاحمت فرق السحاب وقد بدا للرعد في وسط الغيوم مهيلُ
ما زالت الانواء يخبط جيشها حتَّى علا نور الضياء افولُ

والشمس قد كُسفت بسلخ محرَّمٍ   وعقيب هذه الكسف جاء سيولُ
وتعاظم النوء الشديد وقد اتى   صفرٌ بغرَّتهِ الرياحُ تدورُ
وبثالث منهُ اتى في جمعةٍ   ثلجٌ يعمُّ على البطاح مهولُ
متكبكبٌ متطفف يومان مع   ليلٍ تواصل هطلهُ الموصولُ
عمَّ الجرود وكذا الوسوط سويةً   وتعمَّمت منهُ الرُّبى وسهول
فه كم من انفس هلكت وكم   غصنٍ رطيبٍ قد علاهُ ذبولُ
ولفرط عظمتهِ وشدَّة بردهِ   دُهشت بهِ ابصارنا وعقولُ
ولازم الناسُ البيوت مخافةً   يومين كلٌّ بالتقى مشغولُ
وتصايحت تلك الخلائق بالدعا   لله فهو الحافظُ المسئولُ (لهُ بقيَّة)

اقاصيص قبائل الطاط

للاديب ر. يليون

في القفقاز قبائل متفرّقة من المسلمين منها ايرانيَّة ومنها ترتريَّة ومنها منغوليَّة او تركمانيَّة. ولكل هذه القبائل لغات شتَّى يسعى في يومنا علماء الروس في درسها وتعريف خواصها. فممَّا درسوهُ اخرًا لغة قبيلة تُدعى الطاط يسكن ذووها في جهات باقو. ولغتهم من فروع اللغات الايرانية. ومن مميزاتها انَّها حافظة كثيرًا من خواصّ الفارسيَّة القديمة. والدكتور ميلّر (١ قد ألَّف في هذه اللغة كتابًا جمع فيهِ نصوصًا متعدّدة نقلها عن لسان اصحابها ورتَّب مفرداتها على شكل معجم ونشرها في جملة مطبوعات مكتب لازاريف في القسم ٢٤ منها. وليس في فكرنا ان نشرح هنا خواصّ تلك اللغة الطاطيَّة وانَّما ننقل عن كتاب الدكتور ميلّر بعض الاقاصيص التي رواها ليرى القرَّاء العلاقة بينها وبين الحكايات الدارجة في هذه البلاد

﴿ الحكاية الاولى ﴾ كان بهلول رجلًا حكيمًا يقصدهُ العلماء لحكمتهِ وعلمهِ. وكان يسكن في بيت شاهقٍ ذي اربع طبقات فكان لا يصعد الى سطحهِ

١) وهذا اسم كتابهِ
TATSKIE ETOUDI: Teksti i Tatsko-russkin slovar. **Vs. Millera**, *Moskva*, 1905, pp. 79.

الأَعلى الّا بعد شقّ النفس. فيوماً ما نزل المطر وتوكّف السطح فعلاهُ بهلول ليصلحهُ بالحالة (الحدلة) واذا بفقير في اسفل الدار يصرخ الى بهلول: هلمَّ انزل فان لي اليك كلاماً. فظن بهلول انَّ لمستدعيهِ سرًّا يطلعهُ عليهِ فنزل كاسف البال وتقدَّم الى الفقير فلمَّا رآه هذا قال: ارجوك حبًّا بالله ان تكرم عليَّ بدانق لابتاع لي خبزًا فاني جائع وليس في يدي ما احصل بهِ على قوت ليلة. فسكت بهلول ثمَّ كرَّ راجعاً على عقبهِ وصعد الى السطح فلمَّا بلغهُ ادخل يدهُ في جيبهِ كأنهُ يطلب ما يتصدَّق بهِ على الفقير ثمَّ دعاهُ قائلًا: هلمَّ ارتقِ الى السطح. فصعد الفقير متثاقلًا حتى اذا قرب من بهلول قال لهُ: ما الامر. فاجاب بهلول: لا شيء والله يعطيك. فلما سمع الفقير هذا القول غضب ثمَّ التفت الى بهلول قائلًا: ويلك أما كان يمكنك ان تقول لي من السطح: «الله يعطيك» ولا تحوجني الى هذه الطلعة المتعبة. اجاب بهلول: وأنت أما كنت تستطيع ان تطلب حاجتك من اسفل الدار دون ان تضطرَّني الى النزول. فاذكر المثل «ما يزرعهُ المرء يحصدهُ» فخجل الفقير وذهب الى سبيلهِ

﴿ بهلول ويحيي البرمكيّ ﴾ خرج الوزير يحيي البرمكي يوماً الى ارباض البلد لترويح البال فسار حتّى بلغ مكانًا قفرًا فرأى واذا بهلولٌ جالس وحدهُ على الرمل وامامهُ ثلاثُ جُثىً من التراب فسألهُ يحيي: ما هذا وما معنى هذه الاكوام. قال بهلول: هذه كُوَم من الرمل عبَّأتها — ولايّ سبب؟ — لي فيها حاجة — وما حاجتك؟ — هذا سرّ لا اقولهُ — ناشدتك الله الّا قلتهُ — كل كومة حكمة لا ابوحُ بها الّا بمئة دينار فان شئت أدّني حقَّها. وكان الوزير يحيي يعلم بانَّ حِكَم بهلول نافعة قد اختبر مفعولها غير مرَّة فقال لهُ: دونك مئة دينار واذكر الحكمة الاولى. فخرب بهلول احدى الكوم وقال: لا تكشفنَّ سرَّك الى امرأة — ثمَّ دفع لهُ الوزير مئة دينار اخرى وقال لهُ: خذ هذه ايضاً وأفدني الحكمة الثانية. فاخذ بهلول الدراهم وقال: لا تثقْ بمالك البتَّة. ثمَّ اعطاهُ الوزير ثالثةً مئة دينار وطلب الحكمة الثالثة. فقال بهلول: ايَّاك ايَّاك ان تركن الى خدمة الملوك. قال هذا ثمَّ اخذ الدراهم والقاها في الماء. امَّا الوزير فانَّهُ عاد الى بيتهِ وبقي مدَّةً حتّى اذا كان احد الأيام وهو في حديقة الملك رأى بين ماشيتهِ تيساً كبيرًا فاخذهُ واتى بهِ بيتهُ واخبر امرأتهُ بما فعل. ثمَّ ذهب سرًّا وابتاع لهُ جديًا ولم يخبر امرأتهُ بهِ. فبعد ايَّام عمد الوزير الى الجدي فذبحهُ وألقى براسهِ وأطرافهِ في النهر

وأتى بلحمهِ الى البيت واوهم امرأتهُ انهُ التيس فطلب منها ان تُصلحهُ وتشويهُ لانهُ قرم الى لحم التيس. ففعلت المرأة واكلا اللحم وشبعا. وفي اثر ذلك بايَّام حصل بين الوزير وامرأتهِ نفورٌ فتخاصما فصرخت المرأة: بئس الرجل انت وقد سرقت تيس الملك. فسمع الجيران كلامها واخبروا الشرط الذين كان الملك امرهم بطلب تيسهِ. واعلم الشرط الملك بسارق التيس. فاستدعى الملك وزيرهُ وبكّتهُ على فعلهِ وأمر الجلاد بقطع رأسهِ. فجعل يحيي يبكي ويستغفر الملك الى أن قال لهُ: أبقني ابقاك الله وهـا اني اترك لك كل مالي وثروتي بدلًا من التيس. لكنَّ الملك لم يرضَ بذلك وصمَّم على نيّتهِ بقتلهِ ان لم يُرجع ما سرقهُ. فقال الوزير: ايها الملك ان كان قلبك تغيَّر عليَّ فاطردني من خدمتك ولكن لا تقتلني في حقّ تيسٍ واحد. فقال الملك: كلَّا إمَّا التيس وإمّـا رأسك لا مناصَ من احد الامرين. فقام الوزير حينئذٍ وقـال: ابقى الله رأس الملك انَّ التيس لا يزال حيًّا فأرسل من يأخذهُ وانا اشكر الله الذي اثبت لي صحّة ما قالهُ لي بهلول الحكيم: ايَّاك ان تسلّم بسرّك الى امرأة ولا تثقنَّ بمال ولا تركن الى خدمة ملك

﴿ بهلول والتاجران ﴾ قدم يومًا احد التجّار على بهلول فقال لهُ: أيُّها الحكيم هَبْني مشورة صالحة انتفع بها فقال لهُ بهلول: اذهب وابتع لك ملحًا تنلْ بهِ ربحًا. فجرى التاجر على مشورتهِ وما لبث ثمن الملح ان تصاعد حتّى انَّ التاجر باع ملحهُ باربعة اضعاف ثمنهِ واغتنى بهِ. فعرف الامر تاجر آخر فجاء الى بهلول وهو يعدُّهُ كمجنون فقال لهُ: يا بهلول الاحمق اعطني انا ايضًا مشورةً صالحة تجديني نفعًا. فاجابهُ بهلول: اذهب وابتعْ لك بصلًا واحفظهُ الى الربيع فتبيعهُ. ففعل الرجل واودع البصل في دهليز واقفل بابهُ الى ان جاء الربيع فنزل الدهليز واذا ببصلهِ قد انبت ولم يعد يصلح لشيءٍ. فذهب من ساعتهِ الى بهلول وشكا اليهِ حالهُ قائلًا: ما لك اشرت على رفيقي بمشورة صالحـة نال منها ربحًا طائلًا وانا بئس النصيحة أعطيتنيها خسرتُ بسببها مالي. فقـال لهُ: استجهلتني وعيَّرتني حمقي فوزنت لك بوزنك. اعلم بذلك انَّ المرءَ بالكيـل الذي يكيل لغيرهِ يُكال لهُ

﴿ بهلول والسارق ﴾ تعدّى يومًا احد الاشقياء على بهلول فاخذ منهُ قبعتـهُ وهرب منحدرًا الى جهة النهر فسكت بهلول وسار في وجههِ الى اعلى التلّ حيث كانت المقبرة فجلس على بابها. وفيما هو هناك رآهُ قومٌ فقالوا لهُ: ويحك انَّ الذي سلب قبعتك

هرب الى اقصى البلد منحدرًا وانت صعدتَ الى هنا فاذهب في اثره واستردّ مالك. فقال بهلول: كلّا بل انتظرهُ في باب المقبرة اذ لا بدّ له عاجلًا او آجلًا يُنقل اليها فأسترجع منهُ مالي

﴿ لصّ الليل ﴾ جاء لصٌّ الى بيت بهلول ليلًا وكان بيتهُ خاويًا خاليًا لا شيء فيهِ. فلمّا دخل البيت وهو يؤمل غنيمةً واسعة مدّ بساطًا كان معهُ ليضمّ فيهِ ما يَنهبهُ. فسمعهُ بهلول وهو راقد على الحضيض فتناوم. ثم اندسّ رويدًا رويدًا الى البساط فاتّخذهُ لهُ فراشًا. امّا اللصّ فكان يفتّش في البيت ما يسرقهُ ولم يجد شيئًا حتى اسرج سراجًا فرأى انّ البيت اتقى من راحة واجرد من صخرة ونظر الى البساط واذا صاحب البيت نائم عليهِ فخاف من أن يوقظهُ فيعلم الناس بامرهِ وهمّ ان يخرج. فالتفت اليهِ بهلول قائلًا: ما لك لا تحمل حملك. قال اللصّ: ويلك وما اصنع بك وانت افقر من العريان. قال بهلول: ارجوك اذن إن اتيت بيتي مرّةً اخرى ان تكرم عليّ بغطاء كما وهبتني هذه المرّة بساطًا فيكمل بذلك معروفك

﴿ قلنسوة نصر الدين ﴾ تقلنس نصر الدين بقلنسوة جديدة ابتاعها بثلاثين درهمًا وخرج الى شغلهِ فرآهُ رجل واستظرفَ قلنسوتهُ وقال: بالله عليك يا مولاي كم اشتريت هذه القلنسوة. فاجابهُ على سؤالهِ ثم سار بضع خطوات واذا بثانٍ ثم ثالث ثم رابع وكلّ يسألهُ عن ثمن القلنسوة فاستثقل الامر واخذ قلنسوتهُ بيدهِ ثم سار الى السوق وجعل يصرخ باعلى صوتهِ: يا قوم هلمّوا الى ساحة المدينة فانّ لنائب الملك كلامًا يريد تبليغهُ الى مسامعكم. فتقاطر الناس وتزاحموا في الساحة فجاء نصر الدين وصعد على صقالة ثم كشف قلنسوتهُ عن رأسهِ وقال: يا ناس اعلموا وتحقّقوا انّ القلنسوة التي ترونها في يدي يساوي ثمنها ثلاثين درهمًا. فاستغرق السامعون من الضحك وعادوا الى شغلهم وتخلّص نصر الدين من لجاج السائلين

﴿ نصر الدين والقِدْر الميّتة ﴾ دخل نصر الدين على احد جيرانهِ فاستقرض منهُ قدرًا يطبخ فيها طعامهُ. فاعطاهُ الجار بعد العنت قدرًا وسطًا. فلما انتهى نصر الدين من عملهِ اخذ قدرًا صغيرة وجعلها في بطن القدر المستعار فاعادها الى صاحبها. فقال هذا: ويلك أقرضتُك قدرًا واحدة فما هذه القدر الصغرى. قال نصر الدين: اعلم يا صاح ان قدرك قد خلّفتْ فاتيتك بها وبصغيرها. ففرح الرجل واخذ القدرين. وبعدها

أيام جاء نصر الدين الى جاره وطلب منهُ قدرًا كبيرة. فاسرع الى قضاء حاجته بكل فرح وهو يؤمل ان يكون مولودها اكبر. ثم بقي ينتظر يوماً ويومين فلم يَعُد اليه نصر الدين. فذهب الى بيته يطلب قدره. فقال نصر الدين: وأأسفاه على قدرك فانها ماتت. قال الرجل: ويلك أتموت القدر. قال نصر الدين: وما لها لا تموت؟ ألم تصدّق بولادتها لمّا خلّفت فكيف لا تصدّق بموتها؟

﴿ حمق الذئب ﴾ اصاب الجوع ذئباً فسار في غابة يطلب قوتهُ واذا هناك حمار يرعى. فقال لهُ الذئب: ابشر أيها الحمار فاني الى لحمك قرم. قال الحمار: نعماً ولكن كيف تجهل انّ لحم الحمار يضرّ آكلهُ الّا اذا أُكل عند الصباح بعد النوم والحمية. فهذا قول الاطباء قد أيده الاختبار مرارًا. قال الذئب: صدقتَ فاذهب وانتني بفراش حتّى انام الى الصباح ثمّ آكلك فيهنأ لي طعامي. قال الحمار: لبيك سيّدي ثمّ فرّ من بين يديه شاكرًا ربّهُ على خلاصهِ من ذلك الوحش الضاري. أمّا الذئب فانتظر ساعات عود الحمار الى ان تحقّقَ بأنّهُ خدعهُ وافلت من يدهِ. فامتعض من صنعهِ وسار في طريقهِ يطلبُ رزقهُ من وجه آخر وكاد الجوع يقتلهُ. فرأى في طريقهِ جدياً فصرخ بهِ عن بُعد: هلمّ ايها الجدي فاني في حاجة الى لحمك — قال الجدي: انك تشرّفني باكلك لي. ولكن تذكّر انّ لحم الجدي أطيب ما يكون ان يؤكل ببقول ومخلّلات فدعني آتيك بشيءٍ منها فيصبح طعامك مريئاً. قال الذئب: نعم هذا صحيح وقد سمعتُ بهِ غير مرّة فاذهب وانتني بشيءٍ من الخضر فتكون كأُدم انتدم بهِ مع لحمك. ولكن اياك أن تتأخر عن المعاد والّا دعوتُ عليكَ كل دعوة سوء. قال الجدي: هيهات سيدي ان يطول انتظارك وأُفرغ صبرك.. قال هذا ثمّ عـاد مسرعاً الى حظيرة الغنم تحت رعية الرُّعاة وفي حراسة الكلاب فبقي الذئب ينتظر وهو يبصر تارة الى اليمين وتارة الى الشمال حتّى عيل صبره وعرف بخدعة الجدي فقال في نفسهِ: ما اسوأ حظّي وها اني قد خُدعت مرّتين. أفلت الحمار من يدي وهاءنذا بالجدي قد ضحك مني ومكر بي فماذا يقول عني رفقتي. واللهِ لا ادع مرّة اخرى وحشاً يخـاتلني ويغشّني. ثمّ جرى في طريقهِ وهو ساغب غرثان يضمر السوء لمن يلقاه من انس او جنّ حتى وصل الى شطّ البحر واذا هنـاك جاموس في مقصبة غائص في الحمأة. فصرخ الذئب صرخةً ارتعدت منهـا فرائص الجاموس فعلم انّهُ ميّت لا محالة إن لم يجد حيلةً للخلاص. فقـال لهُ الذئب: انتني مسرعاً

فآكلك والّا هجمتُ عليك فقطّعتك شذر مذر. قال الجاموس: انّ عبدك بين يديك فها انذا مطاوع لامرك. ولكن تبصّر سيّدي بثوبي كيف هو متّسخ بالحمأة والاقذار افتأكلني هكذا وتضرّ نفسك بوخامة المأكل. فان كنت عاقلًا تركتني ادخل البحر فاغسل بدني ثم اعود اليك نظيفًا فتأكلني هنيئًا مريئًا — نعم الرأي رأيك فاغتسل واخرج سريعًا. فطفر الجاموس في البحر وجعل الذئب ينتظرهُ فبعد ساعة صرخ اليهِ: ويلك متى تنتهي من الاستحمام. قال الجاموس: انّ اغتسالي طويل فتمهّل. فبعد ساعة أُخرى صاح وضجّ بالصياح لكنّ الجاموس لم يُبدِ حراكًا. فاراد الذئب ان ينزل اليهِ في الماء فقلبتهُ موجةٌ على وجههِ فخاف من الغرق ونكص على اعقابهِ ثم لعن الجاموس وارتحل متمرّرًا من الغيظ متضوّرًا كاد الجوع يصرعهُ. فانتهى الى مرجٍ وانطرح عليهِ ليأخذ نصيبًا من الراحة واذا بفرس قدم الى ذلك المكان فاستبشر بهِ الذئب واعتدّهُ الطعام المرسل لهُ من الله لسدّ جوعهِ. فقال للفرس: وحقّ السماء لن تنجو من يدي ثم همّ بالوثوب على غنيمتهِ لكنّ الفرس سبقهُ وخرّ على قدميهِ قائلًا: انا طعامك ولن ارضى بغير بطنك لي قبرًا ولكن ارجوك قبل ان تتهنأ بأكلي ان تقرأ لي ما كتبهُ ابواي على حافريّ فانهما جعلا وصيّتهما لي عليهما يوم وفاتهما وانت تعلم حرمة وصيّة الوالدين. قال الذئب: امّا هذا فصواب فأرني حافريك. فدار الذئب خلف الفرس ليطّلع على ما كُتب تحت حافريهِ. فرفع الفرس قائمتيهِ وبكلّ قوّتهِ ضربهما في وجه الذئب فسقط صريعًا ميّتًا. وسار الفرس الى صاحبهِ سالمًا

مطبوعات شرقية جديدة

URKUNDENLEHRE von **W. Erben, L. Schmitz-Kallenberg** u. **O. Redlich,** Erster Teil (HANDBUCH DER MITTELALT. U. NEUEREN GESCHICHTE, herausg. von **G. von Below** u. **F. Meinecke,** Abt. IV). *München u. Berlin, Oldenbourg.* 1907. In-8°, X-370 S.

مصادر تاريخ القرون المتوسطة

لا بُدَّ للتاريخ من مصادر ثقة يأخذ عنها فيما يثبتهُ وينفيهِ حتى يقف المطالع على حقيقة الحوادث الغابرة. واذا ما اقتصرنا الآن على تواريخ القرون الوسطى والمتأخرة

وبحثنا عن موادّها ومصادرها فاننا نجدها في سجلاّت وتقارير وصكوك وبراءات وكتابات شتّى عموميّة كانت ام خاصة حُفظت جميعها في خزانات الدول والمكاتب الكبرى. ويتصفحها العالم إما لاثبات هيئة كتابتها وتاريخ وضعها وغير ذلك من الامور الخارجة وإما لامعان النظر في فحواها ومعناها وأهميّتها وفوائدها للتاريخ. وقد جرى العلماء في ابحاثهم هذه بعين يقظى وبصيرة منتبهة ووضعوا لها مبادىء ثابتة وكتبًا منقحة. وهم مع ذلك لم يألوا جهدًا في اصلاح ما وقع من الخلل في الاساليب التي عيّنوها للبحث في مصادر التاريخ ولهذا باشر أسولد ردليخ (Oswald Redlich) وف. إربن (W. Erben) بنشر القسم الاول من تأليف جديد في هذا الفن ادرجوهُ في كتاب منهاج تاريخ القرون الوسطى والمتأخرة للعالمين ج. ڤون بيلوف (G. v. Below) وف. مينكه (F. Meinecke) وسيؤدّي هذا المشروع خدمات تذكر لكل من يرغب في وضع التواريخ ودرس اصولها. واليك بخلاصة ما جمعت من الفوائد

يُصَدَّر الكتاب بذكر تاريخ فن الآثار الدوليّة منذ نشأتهِ حتى ايّامنا وقد اعطى المؤلف كلًّا حقّهُ من الثناء وشكر خاصّةً ابناء القديس مبارك القاطنين في دير القديس مور لاعمالهم المأثورة في هذا العلم. ثم ذكر الذين برعوا في هذا الفن. غير اننا نأخذ عليهِ إضرابهُ عن المؤرخين الافرنسيين واقتصارهُ على الالمان دون غيرهم (1). ويعقب هذه الفاتحة بحثٌ مطوَّلٌ في التقارير والصكوك وفي وضعها وترتيبها وتحريرها وقد خُصِّصَ معظم الكتاب بصكوك عواهل وملوك القرون الوسطى في المانية وفرنسة وايطالية وذلك في خمسة فصول انتقد فيها المؤلفان كل ما يتعلق بهذه الكتابات من حيث وضعها وفائدتها ولغتها. فمن ثم يرى القارئ الكريم ان الكتاب العالمين ريدلخ وإربن اتى فمهّد الطريق امام المؤرخين ولهذا نتمنى له رواجًا عند الجميع س. ر

Sésostris Sidarouss : DES PATRIARCATS. LES PATRIARCATS DANS L'EMPIRE OTTOMAN ET SPÉCIALEMENT EN EGYPTE. *Paris, A. Rousseau,* 1907, XVI-535 p., gr. in-8°.

البطريركيّات لاسيّا في الممالك المحروسة ومصر

في هذا الكتاب الغث والسمين. فانّ صاحبهُ اودعهُ عدّة افادات في البطريركيّات

(1) Cf. Ch. Langlois, *Manuel de Bibliographie historique, Hachette* 1901-1904.

وامتيازاتها واقسامها مع نظر وجيز في اصلهـا وتاريخها · وكلُّ ذلك مما يستحبُّهُ العلماء وطلبة التاريخ الكنسي فنثني على همة المؤلف ونشاطهِ في جمع هذه المعلومـات· ومع اقرارنا بفضلهِ نأخذ عليهِ اشياء كثيرة نذكر بعضها ليستفيد منها في طبعة ثانية· واوَّل نقص وجدناهُ في الكتاب ان صاحبهُ لم يجعل تجاه عينيهِ غايةً محدَّدة محصورة بل تراهُ ادخل في تاليفهِ امورًا عديدة لا علاقة لها مع البطريركيَّات او بالاحرى ان يقال انَّهُ جعل كتابهُ كدائرة معارف ضمَّنها من كلّ مبحث نُتفاً فلم يكد يتعمَّق في بحث من الابحاث ولم يكتفِ بالبطريركيَّات الشرقيَّة كما في عنوان كتـابهِ بل تخطَّى ايضاً الى البطريركيَّات الغربيَّة الثانويَّة واتَّسع في بعض المسائل الخارجيَّة عن موضوعهِ كنظـام الشيع البروتستانيَّة وجماعات اليهود· امَّا ابحاثهُ التاريخيَّة والنظريَّة والطقسيَّة فانَّها ايضاً لا تروي غليلًا ولا تشفي عليلًا وربَّما وقع فيهـا السهو والغلط · مثالهُ ما كتبهُ في اصل اسم البطريرك فتوهَّم انَّ بين هذا الاسم واسم الآباء الاولين علاقـةً· ومن المعلوم انَّهُ ليس بينهما غير علاقة الشبه والمجاز لأنَّ هذا الاسم لم يُعرَف في الكنيسة بالمعنى الخاص الذي يُتَّخذ اليوم لهُ الَّا في القرن الخامس وكذلك لم يُحسن المؤلف وصف خواصّ الرتبة البطريركيَّة الرومانيَّة وبيان تقدُّمهـا على الكراسي البطريركيَّة فانَّ بحثاً كهذا يستدعي عدَّة شروح· وهو بدلًا من ذلك يذكر البطريركيَّات الشرفيَّـة التي لا تهمُّ كثيرًا القراء وذلك استنادًا الى دائرة علوم اڤينو التي كسد سوقها اليوم · وألحق ذكر هذه البطريركيَّات بذكر النيابات الرسوليَّة في الشرق وكنَّا في غنى عنها في كتابهِ· ومن اغلاطهِ قوله (في الصفحة ٨) انَّ المجمع النيقويّ سنة ٣٢٥ عيَّن حدود البطريركيَّات الاربع حتَّى القسطنطينيَّة وكلٌّ يعرف ان البطريركيَّة القسطنطينيَّة لم تظهر قبل السنة ٣٨٥ وكان ظهورها خفيًّا متسترًا· امَّا السنة ٣٢٥ فكانت بوزنطيَّة من اصغر الاسقفيَّات خاضعة لهرقلة — ومما فات المؤلف ذكر اسقفيَّة الهرشك الارثدكسيَّة المستقلة منذ سنة ١٨٥٠— وقد وهم ايضاً بقولهِ انَّ ليتورجيَّة مار يعقوب تُتلى في يوم عيد هذا الرسول في ٢٣ تشرين الاوَّل والصحيح انَّها تُتلى في ٣١ ك ١ — وكذلك كان ينبغي لهُ (في الصفحة ١٥٥) ان يذكر اتحاد الكنيسة البوزنطيَّة مع رومية في المجمع اللاترانيّ سنة ١٢٧٤ ولا يكتفي بذكر المجمع الفلورنتي — ثمَّ انهُ لم يُصب بقولهِ انَّ بطريرك الاسكندريَّة الارثدكسيّ لا سينودس لهُ فانَّ لهذا البطريرك سينودساً يتركب من اربعة

رؤساء اساقفة وهم مطارنة الحبشة ومصر ودمياط ورشيد وكلّهم يسكنون الاسكندريّة — هذه بعض ملحوظات ولو شئنا لأطلنا فيها كثيرًا . وممّا لا يسعنا السكوت عنهُ اسم « الكنيسة اليونانيّة » الذي يطلقهُ الكاتب على كل الكنائس التابعة للطقوس البوزنطيّة وهو اسمٌ لا يطابق المسمّى البتّة. لانّ لغة تسعين في المئة من هذه الكنائس ليست هي اللغة اليونانيّة بل لغات أُخرى كالروسيّة والصقلبيّة والرومانيّة والسريانيّة والعربيّة . وان قيل انّ طقوس هذه الامم منقولة عن اليونانيّة اجبنا انّ هذا يعمّ اغلب الشعوب الغربيّة حتّى الكنيسة الرومانيّة التي في اوّل عهدها كانت تُقيم رتبها باليونانيّة افيجوز أنْ تدعى الكنيسة الرومانيّة والكنائس الغربيّة لاجل ذلك بكنائس يونانيّة. وعندنا انّ الاوفق أنْ تُدعى تلك الكنائس باسم آخر اوفق لها امّا باسم الكنائس البوزنطيّة او الكنائس الفوطية نسبة الى فوطيوس وان شئت قُل ارثذكسيّة مع اصحابها لأنّ اسم الكنيسة اليونانيّة لا يجوز اطلاقهُ الّا على كنائس اليونان الواقعة في جزائرهم او على الكنائس التي لغتها الطقسيّة هي اليونانيّة — وفي الختام نقول لمؤلف هذا الكتاب انّهُ في مقدمتهِ ذكر عدّة كُتب راجعها ممّا لا فائدة في ذكرهِ ونسي ذكر تآليف أُخرى مهمّة كانت افادتهُ كثيرًا لو عرفها كتآليف كاتنبوش (Kattenbusch) وجديون (Gedeon) وهاكت (Hackett) ا. فرتسكيو

Die altarabischen Frauennamen. Von Dr Emil Gratzl. *Leipzig, W. Drugulin*, 1906, pp. 84.

أعلام النساء عند قدماء العرب

في درس الأعلام القديمة فوائد جمّة سواء كان لتاريخ الامم او للوقوف على العادات السالفة ذلك فضلًا عن تركيب هذه الاسماء لغويًا. ومن التآليف الحديثة في ذلك سفر بديع وضعهُ احد علماء مونيخ حاضرة بافارية الدكتور غراتسل في اعلام النساء عند قدماء العرب فجمع منها نحو ٧٠٠ عَلَم وجدها في كتب التاريخ والادب والآثار الحجريّة وغيرها. وقد رتّبها ترتيبًا جميلًا على حسب اوزانها كفَعْلة مثل عَبْلة وسَلْمة وفَعيلة كجديلة وجليلة وفاعلة كفاطمة وفارعة وفَعْلا كخنساء وحوّاء الى غير ذلك من الاوزان التي بعضها مأنوسة شهيرة وبعضها غريبة نادرة كتُفاعِل مثل تُماضر وفُعالِلة كقُرافصة. ومنها ايضًا اعجميّة كدَخْتَنوس. وللمؤلف في كل ذلك ملحوظات دقيقة

لغويّة ونظريّة وربّما عارض بين هذه الاسماء وما شاكلها في اللغات الساميّة كالحبشيّة والعبرانيّة والسريانيّة . وقد ختم الكتاب بفهرس هذه الأعلام والاشارة الى صفحات الكتب التي وردت فيها . فناهيك بهذا الوصف الوجيز لتعرف ما لذلك الكتاب من الخطر وعظم الشان فنحضّ كل محبّ الابحاث الشرقيّة على اقتنائه ل . ش .

Carte de la Province du Liban, par le major **R. Huber** ex-ingénieur en chef du Liban.

خارطة جبل لبنان

تمتاز هذه الخارطة عن الخوارط السابقة اوّلًا بكبرها فانّها اكبر ممّا تقدمها ومقياسها ١/١٠٠,٠٠٠ ثمّ فيها ايضاً دلائل الى تقسيمات الجبل الاداريّة والى طرق العربات والسكك الحديدية . وكذلك قد دُوّنت فيها اعداد تدلّ على ارتفاع عدّة امكنة لكنّها أُخذت بمقياس البارومتر فدلالتها على التقريب فقط . وجاء في حاشية الحقها المؤلف بخارطته انّ حدود متصرفيّة لبنان شمالًا لم تُحدَّد وعلى كل حال ليست قرية «منية» في حكم الجبل كما ترى في هذه الخارطة . ومن متميزات هذا العمل ايضاً انّ المسيو هوبر كتب أعلام الامكنة بالفرنسويّة والعربيّة لكنّهُ سها في ضبط بعضها كبستان الغصا يريد « الغصّا » ومفوق يريد « ميفوق » والحصون يريد « الحصن » وباربار يريد « البارباره » وبغدران يريد « بعذران » وراس قسطا يريد « راس اسطا » . لكن هذا الخلل يسهل اصلاحهُ في طبعة ثانية نتمنّى صدورها قريباً لتكون في ايدي العموم خارطةً تامّة لا ينقصها شيءٌ من اسباب الكمال ه . ل

شذرات

﴿ فعل الخمر في الميكروبات ﴾ اختبر بعض العلماء مفعول الخمر في الميكروبات فكان المسيو الويس پيك (Aloïs Pick) امتحن ذلك في ميكروبات التيفوس فتحقّق ان الخمر الجيّدة تقتل هذا الميكروب الوبيّ بنصف ساعة ثم عاد العالمان سبرازيس (Sabrazès) ومركنديه (Marcandier) وجدّدا هذه الاختبارات في كل انواع الخمر من احمر او ابيض عتيق او حديث سواء كان في الشتاء او الصيف فكانت نتيجة ابحاثهم ان الخمور كلّها وخصوصاً الخمر البيضاء قاتلة للميكروبات التيفوسيّة وقد

اتّخذوا جدولًا لكل ضروب الخمر مع بيان قوّة مفعولها وزمن فعلها . واذا كانت الخمر في درجة راقية من الحرارة زاد مفعولها . امَّا الفاعل في هذه الخمور فهو على ما يظهر الحوامض التي تتضمَّنها كالحامض الكبريتيك والحامض الكلوريدريك والحامض الازوتيك والحامض الخلّي وكلها قتَّالة للميكروب . ومن ثمّ يحسن بالذين ينتقلون من بلدة الى بلدة اذا جهلوا مياههـا ان لا يشربوا الَّا خمرًا او يمزجوا الماء بالخمر بضع ساعات الى ان يُتلف ما في الماء من الميكروبات . وهذه الخمور لا تفعل فعلها الّا بشرط ان تكون خالصة من التزويرات

⸎ تاريخ تمثال ابي الهول ⸎ ابو الهول من اعظم آثار مصر يقضي منهُ العجب كلّ السيَّاح كما يستعظمون الاهرام . لكنّ العلماء لم يتَّفقوا حتَّى اليوم على تاريخ هذا التمثال العجيب فمنهم من كان يجعلهُ من اقدم الآثار المصريَّة وانهُ سبق عهـد الاهرام .ولا يبعد انـهُ من زمن السلالة الثالثة . وقد ناصب غيرهم هذا الرأي فجعلوا الاهرام من اعمال السلالة الثامنة عشرة وقال غيرهم غير ذلك وكان كلّ فريق يأتي بادلَّة لاثبات رأيهِ . وقد كتب موخَّرًا العلّامة دارسي (G. Daressy) في نشرة المكتب المصري فصلًا في ذلك رجَّح فيهِ ابتناء هذا التمثال في عهد السلالة السادسة والملوك الرعاة وقد أيد رأيه بشرح الكتابات التي على التمثال وكان درس اكثرها بفعل الزمان فصعب على الاثريين تفسيرها . امَّا بانيهِ فهو يظنهُ اوسورتسن الثالث او بالحري امنمحات الثالث

⸎ دواة الامام الغزّالي ⸎ قد حصل المتحف العربيّ المصري آخرًا على أثر نفيس وهو دواة الامام الغزّالي . ومن خواصّها أنها مزيَّنة بكتابة من عمل الجوهر الراقية الى عهـد صاحبها في القرن الثاني عشر وهي اقدم أثر يُعرف من هذا الجنس وهذه صورة الكتابة :

لخزانة مولانا الربَّاني الاعظم مفتي الفرق لسان الحقّ علَّامة العالم سلطان العلماء عمدة الانام كنز الحقائق افضل المتأخرين محيي الدين . . . حجَّة الاسلام محمَّد الغزّالي

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد ما المقصود بالانوار التي توقد في لبنان مساء بيرامون عيد القديس يوحنَّا المعمدان الانوار الموقدة في بيرامون عيد القديس يوحنَّا المعمدان

ج هذه عادة قديمة ألفها المسيحيُّون منذ القرون النصرانيَّة الاولى ليس فقط في

لبنان لكن في انحاء الشرق والغرب. ويقال انَّ اصل هذه الانوار يرتقي الى عادة جرى عليها الوثنيون سابقًا في ذلك اليوم لوقوع انقلاب الشمس الصيفيّ فيهِ . فلمّا انتشرت النصرانيَّة ابدل احبارها تلك النيران بنيران أُخرى لاكرام القديس يوحنـا المعمدان الموافق عيدهُ لتلك الظاهرة السنويَّة . وقد وجدت الكنيسـة داعيًا آخر تقويًا لتسمح بهذه الانوار وذلك في اقوال الانجيل الطاهر عن يوحنّا المعمدان . منها قول زكريا فيهِ في تسبحتهِ (لوقا ١ : ٧٢ — ٨٠) انهُ سيسبق امام وجه الرب . . . ليضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت. وكذلك قول السيد المسيح عن السابق (يوحنا ٥ : ٣٥) انهُ كان «السراج الموقد المنير» فنيران القديس يوحنّا تشير الى هذه الآيات. وهي ايضًا رمز الى الافراح التي ذكرها الملك جبرائيل حيث قال (لوقا ١ : ١٤) : « ويفرح كثيرون بمولدهِ »

س وسال حضرت القس انطون صابر الرشماوي : ١ً لماذا لم يذكر الكتاب المقدَّس في سفر التكوين خلقة الملائكة وسقوط الشياطين الى جهنم . ٢ً من دوَّن اوَّل الجميع خلقتهم وسقوطهم

خلقة الملائكة وهبوط الشياطين الى الجحيم

ج نجيب على (الاول والثاني) انَّ موسى في سفر التكوين لم يذكر خلقـة الملائكة وسقوطهم لانَّ غايتهُ انَّما كانت ان يصف تكوين العـالم المنظور فاشار فقط بكلمة واحدة الى بقيَّة المخلوقات بقولهِ انَّ الله في البدء خلق « السماوات » فيجوز انهُ اراد بالسماوات الارواح السماويَّة او سكان السماء. ثم صرَّح مرارًا بخلقتهم في اثناء الكتاب لمَّا روى شيئًا من اعمالهم في اخبار ابراهيم الخليـل ويعقوب. كما تعدَّد ذكرهم بعد ذلك في كل الاسفار المقدَّسة. امَّا سقوط بعض الملائكة من السماء الى الجحيم لاجل خطيئتهم فآيات العهد القديم في ذلك مبهمة غير مقنعة وهي في العهد الجديد صريحة كقول الرب (يوحنا ٨ : ٤٤) : « انَّ ابليس . . . لم يثبت في الحق » وكقولهِ في لوقا (١٠ : ١٨) : « رأيت الشيطان ساقطًا من السماء كالبرق » وكذلك في رسالة بطرس الثانية (٢ : ٤) : « انَّ الله لم يُشفق على الملائكة الذين خطئوا بل أُهبطوا الى اسافل الجحيم » وفي رسالة يهوذا (ع ٦) « والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا منزلتهم ابقاهم لقضاء اليوم العظيم في قيود ابديَّة تحت الظلمة » . وفي رؤيا مار يوحنّا (ف ١٢ : ٧ — ٧ — ١٠) رواية الحرب التي انتشبت بين ميكائيـل وملايكتهِ وبين الابالسة فانتهت بهبوطهم الى دركات الجحيم ل . ش .

المشرق

سيرة الحبر الطيّب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

مؤسّس الرهبانيَّة اللبنانيَّة المارونية ومطران بيروت (١

كتبها تلميذه وخلفه في الرئاسة العامَّة الاب توما البودي

ونشرها بالطبع لاوَّل مرَّة وعلَّق حواشيها الاب انطون ربَّاط اليسوعي

توْطئة

اورثنا الاب المذكور بالفضل والغيرة لويس كسفاريوس ابوجي اليسوعي اوراقًا ونصوصًا كان استنسخها في رومية منذ نصف قرن منها هذه النبذة المفيدة في سيرة احد مشاهير الموارنة وهو الحبر المفضال عبدالله قراعلي المؤسس الاوَّل للرهبانية المارونية اللبنانيَّة ورئيسها العام مدة ست عشرة سنة متوالية وقد سُقف على مدينة بيروت فرعاها اربعًا وعشرين سنة بغيرة رسولية كما قام باعباء الرئاسة على الرهبان بتقوى وزهد وحكمة جعلته مثالًا حيًّا لمعاصريه الزاهدين ولمن حذا حذوهم. والنسخة التي بيدنا منقولة عن كتيِّب من مكتبة المدرسة المارونية في رومية وهي تتعلق بسيرة هذا الاب الجليل وفضائله الرهبانية الى ان جُعل اسقفًا. وقد جاء في آخر نسختنا ما يلي: «هذا الجزء أُخِذ في مكتبة مار انطونيوس الموارنة في رومية. وان اردت الباقي اسأل عنهُ في مكتبة لويزه. والله اعلم». فيا حبذا لو اطلعنا بعض العارفين على تتمَّتها لتنشرها حفظًا للآثار التاريخية من

١) اطلب تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي (٢٥٦ و ٢٦٣–٢٧٧) وتاريخ دير مار انطونيوس قزحيا للاب نعمة الله الكفري (المشرق ٤: ٣٦١) وسيرة المطران جرمانوس فرحات للقس جرجس منش (المشرق ٧: ٤٩ و١٠٥ و٢١٠) وبرنامج اخوية القديس مارون لجناب يوسف افندي خطار غانم (١١٤–١٣٢) وكراسة المطران عبدالله قراعلي في تاريخ الرهبانية (نشر قسمًا منها الاديب رشيد افندي الشرتوني في سلسلة بطاركة الطائفة المارونيَّة ١٨٣–١٩٥) الخ

الضياع . امَّا كاتبها او مملّها فهو القس توما البودي (والمحدثون يسمونه اللبودي) الحلبي تلميذ الاب عبدالله وصديقه وموضع سره وثقته ترهب في ١٠ آب سنة ١٧٠٦ كما جاء في النص وجُعل سنين طويلة وكيلًا عامًا وتقلب في كثير من الوظائف وانتُخب رئيسًا عامًا سنة ١٧٣٥ – وهو الخامس في العدد – وجدد لهُ الرهبان الرئاسة سنة ١٧٣٨ وكان وتنذ في رومية يسعى باثبات المجمع اللبناني . وكانت وفاته عام ١٧٤٢ (١ وهي السنة التي فيها فاضت روح معلمه المطران عبدالله (٢ . قال الاب نعمة الله الكفري نقلًا عن المطران جرمانوس فرحات : « كان [القس توما] واسع العقل حسن الفطنة والمعاشرة فصيح اللسان » وقد خدم رهبانيته اجل الخدم واقتنى لها ارزاقًا تسهل على اخوانه الزهد بحاجات المعيشة لينكبوا على اعمال القداسة والبرّ (٣

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

نبتدي بعونه تعالى نكتب سيرة المثلث الرحمة الحبر النبيل سيدنا المطران عبد الله قراعلي (٤ الحلبي المؤسس الرهبنة اللبنانيَّة حسبما ارخها المرحوم القس توما البودي تلميذه الذي كان معاصرًا لهُ (٥

فسيدنا وابونا عبدالله ولد في حلب من والدين مشهورين بالتقوى والسيرة الصالحة سنة ١٦٧٤ (٦ وكان اسم ابيه (٧ ميخائيل واسم والدته (٨ والمذكوران كانا موسرين بالمال والثروة الدنياوية (٩ ومشهورين بعمل الاحسان والعبادة فسمَّياه عبد الاحد وحين

---

١) كذا في مختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية الذي الحقهُ رشيد افندي الشرتوني بتاريخ الدويهي (٣٧٢) . وفي بعض ما اطَّلعنا عليهِ منقولًا عن سجلَّات الرهبانية انهُ توفي في دير روميَّة في ٨ شباط ١٧٦٨ ولهُ من العمر ٨٤ سنة وفي سجل دير مار اليشع ان الاب جبرائيل فرحات رئيس الدير البسهُ الاسكيم سنة ١٧٠٧ ولهُ من العمر عشرون سنة فيكون عمره عند موته نحوًا من ٨١ او ٨٢ سنة

٢) في سجلات دير اللويزه عن سنة ١٧٤٢ ما يلي : « انتقل الى رحمة الله قدس سيدنا وابينا ومؤسس رهبنتنا اللبنانية المطران عبدالله قراعلي الحلبي المثلث بالرحمة في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢ ولهُ من العمر سبعون سنة . وكانت وفاته في زوق مصبح ودُفن في دير اللويزه »

٣) اطلب تاريخ الدويهي (٣٧٢) والمشرق (٤ : ٢٦٤ و ٣٦٧) وسلسلة البطاركة (١٨٩)

٤) كذا في الاصل وفي رسائل المعاصرين . وقد اعتاد المحدثون كتابته بالهمز قراألي وهي لفظة تركية معناها اليد السوداء (برنامج ١٢٢) وعندنا انهُ لقب علق بعائلة المترجَم المارونية كما علق غيره من الالقاب التركية بكثير من العائلات الحلبية

٥) هذان السطران للناسخ لا للمؤلف

٦) وفي البرنامج انهُ ولد في ٨ ايلول ١٦٧٢ فيكون عمره عند موته سبعون سنة كما سبق

٧) في الاصل « اباه » على انَّنا اصلحنا بعض الاغلاط النحوية تاركين الكلام على ما هو

٨) بياض في الاصل

٩) كتب المترجَم عن ذاته انهُ عندما اتى لبنان للترهب لم يكن يملك شيئًا من المال

انتشا وضماه عند احد المعلمين الثقاة ليتعلم اللغة العربية والسريانية فاستدام على ذلك الى ان بلغ السنة الثانية عشرة من عمره · عنـد ذلك ابتدا ان يقرأ في كتب الآباء القديسين الزهاد من انطونيوس وجايه الى ان بلغ الاربعة عشرة سنة من عمره · فظهرت فيه حينئذٍ علائم الزهد والعبادة · فعينه ابوه ليتعلم الاعراب كالنحو والصرف (١ ورغب ابوه ان يعلمه ايضاً اللغـة الايتاليانية رغبة في صناعة التجارة ومعاطاة البندر · لان والده كان يلحظ في هذا الفتى عقلاً ثاقباً وحشمة زائدة وله قبول عند العال والدون ·

واما عبد الاحد اي ابونا المشار اليه (٢ لما انتشا الى السنة السادسـة عشرة من عمره فكان يتزايد فيه الشوق الى الطريقة الرهبانية وكان يفتكر سراً كيف يكون العمـل لبلوغ قصده لان في مدينة حلب وبرّها لم يكن ديارة للرهبـان انما الخبر الشائع ان في جبل لبنان موجود رهبان وديارة باسم ابينا انطونيوس · وعبد الاحد المشار اليه لم يرَ له سبيلاً للتوجه الى تلك النواحي لان المسافة بعيدة أنوَف من عشرة ايام ومع هـذا لم يكن له جراءة ان يكلم اباه وامه ويظهر لهم رغبته مع انهم كانوا ذوي صـلاح · لان والده ما كان يمكن ان يطلقه الى بلاد مجهولة عندهم وهو بهذا السن · فاستدام عبد الاحد في رغبته هذه الّا انهُ تارةً كان يرتخي وتارةً يشتـد في عزمه ويرغب · وكان له عِشرَة من نسبته وخاصةً ثلاثة انفار منهم · الذين فيما بعـد ترهبوا جملةً كما يأتي ذكر ذلك في محله

فدلم هذا الفتى على هذه الحال الى ان بلغ من العمر ثمانية عشر سنـة فباحكام المهية مرض مرضة ثقيلة وبعونهِ شفي منهـا وحين كان في الفراش وليس لهُ قوة على الخروج كان يقرأ كتباً روحية للتسلية كما سبق القولَ · وانتهى الى قراءة كتاب بستان الرهبان واكليمكوس (٣ وكان يتأمل سيرة الآباء مثل ابينا انطونيوس ومكاريوس وارسانيوس ومن ماثلهم فتحركَ قلبه بحركة فاقت ما قبلهـا من الحركات وعزم العزم

١) واحصاه الاب لويس شيخو (المشرق ٦ : ٩٩) والقس جرجس منش (المشرق ٦ : ٧٧٤) في عداد من قرأ على الشيخ سليمان النحوي والخوري بطرس التولوي الماروني

٢) عبد الاحد اسمه في العماد وفي الخارج عبدالله فاذا رأيت الاسمين لا تعجب وانما المعروف عند العال والدون وفي الجبال وغيرها باسم عبد الله (للمؤلف)

٣) هو مار يوحنا السلمي صاحب سلّم الفضائل

الاكيد في ترك العالم والتجند الى حمل نير المسيح. فبعد شفائه من المرض رجع الى الاجتماع بعشرته وهم جبرائيل ابن توما حوًا ويوسف ابن البتن وجبرائيل ابن فرحات (١ والمذكورون جميعهم كانت مذاكرتهم على الدوام في امور روحية وقراءة كتب القديسين ورغبة الزهد في العالم. مع انهُ ولا واحد منهم كان اطلع رفيقــه على سريرته الروحيَّة الحقيقية

فحدث ان يوماً ما اضطرمت في قلب عبد الاحد نار حب الله واضناه الشوق الى الزهد في العالم وحمل نير الرب واتّباع سيده ومع ذلك كان حائرًا كيف يكون العمل ليبلغ اربه لان بلادنا جميع حكامها غير مؤمنين بامانتنــا كما تفهمون ذلك فالتزم انهُ افشى بسرّه الى جبرائيل ابن توما حوا واخبره عن نيتــه وعزمه فرد لهُ الجواب اعني جبرائيل حوا بقوله لهُ هكذا: ان هذه هي نيتي ايضاً وان اردت نكون جملة. فتعاهدا بالقول. واما يوسف ابن البتن فعرف بالرمز نيتهما وعهدهما . وصار الرضا بينهما اعني جبرائيل وعبد الاحد بان كل واحد منهما يستأذن والده

فجبرائيل حوا اذن لهُ والده توما برغبته ومطلوبه واشار اليهِ بان يأخذ معه بضاعة ويمضي بها الى طرابلوس لانها مينة جبة بشراي الموجود بها الكرسي البطريركي. ويومئذٍ كان البطرك اسطفانوس الدويهي من قرية اهدن وكان بالاصل نسيباً لبيت حوا. وكان كلام والده هكذا: انك تتوجه بعلة التجارة وتزور وتكشف تلك النواحي فان امكنك المكث واختبرت ذاتك بالثبــات فلك ان تمكث لانك مطلوق الارادة. واوعده والده بانه يعينه مدى حياته . فاتى جبرائيل الى عبد الله واخبره بالذي صــار وانهُ صار يتوجه كما ذكر اعلاه. فتشجع عبد الله اي عبد الاحد بالمشورة الى والده واظهر لهُ نيته وعزمه وان مراده يتوجه مع جبرائيل فمانعــه والده لانهُ كان يراه رقيق الجسم. واولى بنا ان نقول ان الطبع كان متغلباً عليهِ في فرقة ولده . واذ رأى ذلك عبد الله ارتمى على اقدام والده باكياً. واقتصارنا يكفي لفهمكم. اخيرًا بعــد اللجاجة الزائدة وعدهُ والده انهُ يرسلهُ يزور القدس الشريف على درب الشام وبعــد زيارته يرجع على درب البحر ومن يافا ينتهي الى طرابلوس ويزور الكرسي البطريركي وغيره من الديورة ويختبر ذاته هل لهُ قوّة على سكنى البراري وما شاكلها

١) اطلب ما ذكرناه من الكتب في الحاشية (ص ٦٢٥)

فتوجه جبرائيــل حوا ومعهُ تجارته الى طرابلوس من غير ان احد يعرف سره الّا والديه وكان خروجه سنة ١٦٩٣ في اول تشرين الاول. وثاني سنة اي سنة الف وستمائة واربع وتسعين خرج عبد الله من مدينة حلب برضى والديه الى زيارة القدس الشريف ومعهُ يوسف البتن ومن هناك جاء الى جبل لبنان مع يوسف المذكور وتواجهــا مع جبرائيل حوا (١ وتوجهوا جملةً الى دير قنوبين واخبروا السيد البطريرك بنيتهم فابتدا يهزأ بهم بقوله لهم: انكم انتم اناس ذوو تنعم ومعاش الجبــال قشب والحروب في البلاد وسفك الدمــاء متصل هل يمكنكم احتمال هذا واكمال مطلوبكم والحال انكم عاجزون عن شغل الفلاحة والزراعة وانتم ناظرون معاش الرهبان وسيرتهم في هذه البلاد (٢. فاجابوه ان مرادهم ان يجمعوا قانونًا من رسوم الآباء انطونيوس وباسيلوس وغيرهم وينشئوا طريقة لهم ولغيرهم. فصفق البطريرك بيديه ضاحكًا ومستهزئًا بهم بقوله هكذا: الآن تحقَّقت جنونكم. فثبت المشار اليهم على عزمهم وابتدأوا يترجون البطريرك بكل تواضع ومع هذا كانوا يعطون اشارات رغبتهم وجعلوا ان جبرائيل حوا الذي هو على القول انهُ نسيب البطريرك منــذ القديم ان يخاطب البطريرك وحده عسى يعطف خاطره الى الميل لمساعدتهم على اكمال مقصودهم لان بغير يد البطريرك لا يقدرون ان يبتدوا في الاعتناء بما هم راغبون. اخيرًا استمدوا خاطر البطريرك بواسطــة البعض من مطارينه فانعطف الى مطلوبهم بشرط ان يبتدوا بعمل ما يرغبون بحيث ان سكنتهم تكون مُرت مورا وهو مكان باسم دير خربان (٣ ورغبة البطريرك ان اذا صار

---

١) التقيا بجبرائيل حوا في زغرتا يوم خميس الجسد سنة ١٦٩٤

٢) كأني بالبطريرك الدويهي سبق فانبأ بما سيحدث من الخــلاف بين الحلبيين واللبنانيين الذي انتهى بانقسام الرهبانية الى شطرين. قال احد مؤرخي الرهبانية اللبنانية في كراسة خطية: « ان اخص اسباب هذه الاختلافات والقسمة هو اختلاف الطباع والعوائد من حيث ان الحلبيين كانوا غير معتادين على الاشغال المتعبة والعيشة القشفة بل لهم التدبير. والبلديين بخلاف ذلك »

٣) كان الدير خرابًا يأوي اليهِ كاهن طاعن في السن يُسمَّى انطونيوس — وجاء في تاريخ الدويهي (٣٥٦): « في سنة ١٦٩٥ في العاشر من تشرين الثاني لبس اسكيم الرهبانيَّة الثلاثة الذين قدموا من حلب وهم القس جبرائيــل حوا والشماس عبد الله بن عبد الاحد ويوسف بن البتن فامرناهم ان يقيموا بدير مُرت مورا في اهدن » وجاء في البرنامج (١١٩): « وفي صيف سنة ١٦٩٥ قصد ابوا جبرائيل حوا دير قنوبين بعد ان زارا القدس والتمسا من السيد البطريرك

خير روحي واقلّ ما جسدي من مداخيل اهلهم من حلب يكون في قرية اهدن لانها مولد البطريرك (كما ترون شرحه في تواريخ الرهبنة ٤) (١ لان الان غايتنا سيرة ابينا بوجه العموم

فنقول من بعد نشوءهم مُرت مورا ومار اليشع (٢ وتلك الخاصمات التي حدثت (٣ فاستمر عبد الله باقياً في دير مار اليشع وانشا الطريقة بمسرة الله. وهذا المضبوط ابتدا بالعمل قبل ان يعمل (والصواب : يعلّم) والانفار التي كانت عنده اولًا القس يوسف البتن المذكور انفاً. ثانياً الاخ موسى بلوزاني هذا ربي اكثر أيامه في حلب (٤ وباقي انفار قليلة عدلنا عن ذكرهم لئلا نطيل الشرح (٥ فابتدا في سيرة قشفة في جميع حركاته

اولًا كان عمل عرزال (٦ من عيدان حطب وقش وكان ينام عليهِ من غير فراش وكان يعقره ويوجعه كثيرًا واستدام على هذا الحال سنتين. وغطاه كان بنوع انهُ يدفى

نسيبهما ان يسيم ولدهما قسيساً بحضرتهما ليفرحا بهِ قبل افتراقهما عنهُ فاجاب ملتمسهما ». امَّا تسمية البطريرك الدويهي لقراعلي عبد الله بن عبد الاحد فنظنهُ خطأً لان كلا الاسمين لمسمًّى واحد

١) لا نعرف شيئاً عن هذا التاريخ ولعلهُ لا يزال محفوظاً في بعض الاديرة

٢) دير مار اليشع النبي في سفح الوادي المقدَّس حذاء قرية بشرَّاي وفي ١٤ ايلول سيم عبد الله كاهناً وأُقيم رئيساً على هذا الدير . وقد انتخبوا جبرائيل حوا رئيساً عاماً عليهم في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٩٥

٣) قد المح اليها صاحب النبذة وغيره من المؤرخين فعُزل جبرائيل حوا من الرئاسة العامة وخلفه المترجَم الذي صار المؤسس الاخص للرهبانية وسعى باثبات قانونها من الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي (١٨ حزيران ١٧٠٠)

٤) عند نسيبه المطران جبرائيل البلوزاني الذي اسس الرهبانيـة الانطونيانية سنة ١٧٠٠ وانتخب بطريركاً خلفاً للبطريرك اسطفان الدويهي. وقد ذكر المؤرخون هذين الراهبين في عداد الافاضل الذين تعطرت البلاد بعرف تقواهم

٥) هذه اسماء الرهبـان الاولين نقلًا عن السجلّات : في ١ تموز ١٦٩٦ ألبس القس جبرائيل حوَّاء الاسكيم اثنين من الشبان : اليـاس من حلب ويعقوب من غزير. وفي ١ حزيران ١٦٩٨ ألبسهُ حنا الباني ويعقوب الحلبي وعبـدالله البشراني وموسى البلوزاني وجبرائيل فرحات الحلبي. وذلك في دير مرت مورا اهدن

٦) العرزال مقعد من عيدان مرتبطة بعضها ببعض يعلق بين اغصان دوحة ويفرش بالقش فيُنام عليهِ ايَّام الصيف

لا غير. فلحقه اولئك السعداء ارفاقه كل منهم على قدر قوته حسب ما كان يرشدهم. ثانياً من حيث صلواته العقليَّة في اول مبتداه كان يصلي على بكرة ساعة وبعد صلوة السواعي نصف ساعة والمسا ساعة. واما هذيذه فكان متصلاً وامتثل بهِ جملة من رهبانه وفي كل ليلة كان تلاميذه يمضون ويكشفون لهُ افكارهم وما يعرض لهم من صالح وطالح وبعد ذلك كان يعطي لجسمه راحة في الرقاد وهو جالس الى نصف الليل. في البدء كان يسند ظهره الى الحيط قليلاً وفيما بعد امتنع عن السند على الحيط ومتى قرع الناقوس كان يسبق الجميع الى الكنيسة وقد اجتهد البعض من الرهبان ان يسبقوه الى الكنيسة فما امكنهم. وكان يبتدي الصلوة الفرضية بهدوٍ مرتلاً بنوع خشوعي والذي يحضر ويسمع الصلوات يتحرَّك قلبه الى العبادة طبعاً. وبعد خلوص صلوة الليل كان الرهبان تمضي الى مراقدها واماَّ هو فكان ينتصب في الصلوة في الكنيسة امام المذبح الى وقت صلاة الصبح وقتاً جاثياً ووقتاً واقفاً. بل قبل وقت صلوة الصبح ببرهة قليلة كان يخرج من الكنيسة لعمل واجبات الطبيعة وبعد ذلك يدخل الى قلايته التي كان لها بابان الواحد سري ومنهُ كان تدخل الرهبان لعنده لكشف افكارهم. وحين كان يقرع الناقوس لصلوة بكرة كان يخرج من باب قلايته الثاني المشاع لئلا احد يعرف عمله. واستمر على هذا العمل أنوف من سنتين من غير ان يعرف احد بهِ. ومن حيث نسكه فكل شيء يعرف انهُ يستلذ بهِ اذا اكله كان يمتنع عنهُ بافراز هذا مقداره حتى ان ما كان يقدر يكتمه وكان ياكل كل اربع وعشرين ساعة مرة في العشا وحين يكون في المائدة كان يبتدي الاكل قبل الكل وينتهي بعد الكل وكان حدّ اكله نصف الذي كان يوضع امام الرهبان من الاطعمة والخبز كان ياكل رغيفاً واحداً وزن نصف اوقية واحياناً يكسر من الثاني قليلاً والذي كان ينظر اليهِ يظن انهُ ياكل اكثر من الرهبان نظراً الى ابتداه وانتهاه. ومن حيث ضنك جسمه يكفاكم هذا القول وهو ان ركبه كانت تكلكلت من ركوع المطانيات التي كان يستعملها في الكنيسة في الليالي. يشهد بذلك اصابعه التي كان يسند عليها في السجود والقيام التي تكلكلت ايضاً وربما البعض منكم لحظ ذلك فيه. وكان مجتهداً على قمع جسمه وضبط حواسه بنوع الذي مثلي عاجز عن توضيحه لكم. وانما اقول واحدة وهي غيرته على حفظ الطهارة بنوع يفوق عقلي شرحه لكن يكفاكم واحدة

وهي الى اي حدّ وصل في الطهارة فاذا لحظتم في تفسير القـانون الذي فسره (١ في درجات الطهارة فلحظكم قادر على ان يفهم من القليل كثيرًا لان ذلي عاجز عن برهان ذلك

فهذا المغبوط كان مفعماً من الله حكمةً وافرازًا ونسكاً ذا عقـل ثاقب وعلم راسخ فصيح اللسان بليغ المعاني محبوبًا من كل من يراه مهيباً لان كل من كان يواجهه كان يعتبره اعتبارًا عظيماً وكان يستهابه وكان يحس في ذاته خشوعاً وميلًا الى العبادة. والحال ان خلقته بالذات ما كانت جميلة لانه كان اسمر اللون رقيق الجسم بلحية خفيفة سوداء بوجه طويل انكش. بزيادة طويل القامة ممشوق يداه طوال رقيقتان طويل الانامل راسه كبير عيناه ناتئتان ذو جبهة عريضة معبس عبس فرح احتشامي دليـل العبادة والخشوع ومع هذا لمّا كان يواجه احد حكام تلك البـلاد المشهورين ابناء حماده... بما ان دير مار اليشع الذي هو مبدا الديورة كان في بلادهم فكانوا يغارون عليـهِ وعلى الرهبان وعلى قيام القانون الذي انشاه عبد الله بزعمهم ان عبد الله الرئيس من اتقياء الله ورهبانه مثله ومهما كان يتكلم مع المشار اليهم يصدقونه ويعتبرونه بزعمهم ان هؤلاء الرهبان من زود تقاوتهم لم يتكلموا كذبًا ولا كلاماً واهياً

فجميع ما ذكرنا الان قد تحققته من الرهبان الذين كانوا مترددين معهُ ومنهُ شيء قد تحققته بالنظر لما حصلتُ في الرهبنة ومنهُ نتجت ان الذي ذكروه لي هو قليل من كثير. فانا توما البودي المسكين بسيرتي الواهية دخلت الى الرهبنة في دير مار اليشع لاصير راهباً فكان ابو الدير المذكور جبرائيـل فرحات الحلبي المولد وفي الاصـل بشراني (٢ وكان دخولي في الدير في عشرة ايام من شهر آب سنة ١٧٠٦ وابتديت في ١٤ من الشهر المذكور فابونا عبد الله ما كان حاضرًا بل كان في دير مار يوحنا رشميا الذي افتتحوه في تلك السنة جديدًا وبعـد نحو شهرين توجه ابونا المشار اليهِ الى دير مار اليشع وحين وصوله وملاقاة الرهبان لهُ ومن جملتهم كنت انا فحقًّا اقول يا ايهـا

١) يشير الى الكتاب المعنون « المصباح اللبناني » شرح فيهِ عبدالله قراعلي القانون
٢) وفي البرنامج انهُ حصروني الاصل

القارئ الحبيب اني من حين نظرته وقدمت في وقتي لاجثو امامه تحققت في سريرتي ان الله عاطيه موهبة في معرفة الاشياء المغيبة عن غيره لانهُ حين نظر اليَّ سأل الاخوة: من يكون هذا. فسموني لهُ. فقال لي دون غيري من المبتدئين الموجودين: اصحَ يا اخي توما واعرف الى اين جابك الله. فقد عرضت للقارئ بهاتين الكلمتين ليتحقَّق ويصدّق ما انا عتيد ان اكتبه من الآن فصاعداً. وعلى كل حال مذموم الراهب الذي يفتخر بفضائل ابيه ومرشده ورئيسه واعمالهُ في الخلاف لكن الحق الصريح يجب ان يكتب لئلا تعدم معرفة الصالحين ويعدم الخير الذي يحصل عليهِ العباد من امثال سيرتهم الصالحة

وحال وصول ابينا المشار اليهِ الى الدير كان مريضاً مرضاً ثقيلاً حتى ان الرهبان سندوه في دخوله الى الدير. فأُمرت انا من ابي الدير ان اعمل لهُ عشا لان الرهبان كانوا تعشوا فكان عشاه من الرز بسمن ومع كل مرضه ما اراد ان يأكل كل الرز المذكور والحال كان الرز صحن من الصحون التي يوضع فيها اللون الواحد على المائدة وعدم اكله لانهُ رآه دسماً وادامه وافراً. ولكي يخفي ذلك عن الناظرين اشار ان ادامه كثير وقال: بالكم من هذا المبدإ لئلا يخرب الدير. وفي اليوم الثاني رجع الى عادته في الصيام انما على مقدار كم يوم كان يتغدى مع الرهبان. وحقًّا اقول انهُ كان يتغدى بالاسم. وبعده ابتدا بالصوم وارتدت لهُ عافيته بهذه الطريقة. وبما ان القس يوسف البتن هو الذي كان يخبرني عن سيرة ابينا المشار اليهِ فحين وجوده عندنا ابتدا يدلني عن افعاله الروحية السريَّة وعلى جهاده نفساً وجسماً وابتديت ان اشاهد بعيني ما كنت قد أُخبرت عنهُ. وبعد نحو ستة اشهر توجه من دير مار اليشع الى دير رشميا. وفي تلك السنة افتتح دير اللويزة. والزمان الذي مكثه في دير مار اليشع كنت اتحايل جهدي لانظر عمله في الكنيسة في الليالي. فمن حيث انتصابه في الصلوة فكان يبان للناظر اليهِ كأنهُ صنم لا يتحرّك وقتاً كان منكبًّا على وجهه وحيناً كان يرش التراب والرماد على راسه. فهذه الاشياء وامثالها كان يستعملها بعد صلوة الليل في الكنيسة الى الصبح وما كان مطّلع على هذه الافعال الّا القس يوسف البتن وانا لله عبد بواسطته لان ابا الدير كان وضعني في وظيفة الكلارجية تحت يد القس يوسف المشار اليهِ والمذكور من محبته لي كان يطلعني على هذه الامور رغبةً في ان يرشد جهلي. وبعد كمال السنة

من تجربتي قبلت في الرهبنــة ونذرت النذر الاحتفالي

ورجع ابونا المشار اليهِ الى دير مار اليشع وقطن فيهِ نحو سنة ونصف وكان يرشد لي ولغيري وانا لم ازل ارقب سيره من غير ان احد يعرف وعلى ما كنت اراه انهُ كان يزيد عمَّا ذكرت آنفًا . بل ابتدا يصوم يومين يومين وبما ان صيامه لم يمكن ان يخفى عن الناس فتغايرت الرهبان والكهنة على الصيام . فحين رأى غيرتهم امر البعض ان يصوموا الى التاسعة ويستعملوا في التاسعة اكلًا قليلًا بنوع فطور لكسر الصفرة ويتعشوا مع اخوتهم . والبعض كان يمنعهم عن الصيام وكل صباح يعطي موضوعًا روحيًا عمليًا لكل من الرهبــان حسب مقدرته وموهبته والبعض كان يجمع اثنين اثنين بموضوع واحد ليذكروا بعضهم في نهارهم وعند المساء كانوا يعطون الحساب لهُ حسب الموضوع الذي كانوا اخذوه قبــلًا بالتدقيق . وان احدًا منهم ما اظهر كما يجب بسبب سهو ام نسيان كان هو يوضح لهُ الاشياء التي لم يوضحها . وفي ذلك الزمان كان موجودًا جملة مبتدئين والاكثر حلبيون (١ونوع رشده كان لكل ذي قدر على موجب قدره بنوع يعجز ادراكي عن تفسيره . بل يكفي للقارئ واحدة على موجب فهمي وهي كما ان الرسل القديسين بعد حلول الروح القدس عليهم كانوا يعظون الناس بالعبراني والسامعين كل ذي لغة كان يفهم لغته منهم هكذا عبدالله كان يجلس ويجتمع عليهِ الرهبان في الاوقات المعيَّنة

١) امامنا لائحة طويلة تتضمَّن اسماء المبتدئين من الرهبــان قبل القسمة وتاريخ قبولهم الأسكيم واعمارهم واصلهم ووطنهم في كثير من الاديرة كدير مار اليشع ودير مار يوحنــا رشميا ودير مار بطرس بكفيا (الملقب بكريم التين) ودير مار الياس شويا الخ نبدي فيها نظرًا لهُ اهمية تاريخية . وهو ان كثيرًا من السريان والارمن والروم قد لبسوا الاسكيم في الرهبانيــة اللبنانية المارونيــة وهاك بعض الاسماء تثبت ما سبق : من الحلبيين الارمن لبس الاسكيم : بطرس الساعاتي . اسطفان . نتانائيــل . فيانوس . يواكيم . يوسف دولاب . حنا كرابيد . كيرللس . المقدسي توما . جبرائيل بن اذناور . بولس بن صاهون . فيلبوس كركور . مبــارك عجيمي . يوسف الصائغ . فرنسيس . الخ – من السريان الحلبيين : ميخائيل . عمانوئيل . ارسانيوس . اكليمنضوس . توما العاقل . مبارك اشتما الذي ترأس على دير مار الياس شويا (وهو من العائلات السريانية القديمة ويعرف الحلبيون حارة اشتما الى ايامنا) وغيرهم وكلهم ذكر اصلهم السرياني اوالارمني بعــد اسمهم . ومن دمشق الشام ذكر نقولا الشامي ودانيال الشامي روم الاصــل . ومن بيت لحم متى روم الاصل الخ . فتامل

فكانت مخاطبتهُ لهم فيما يختص الطريقة الرهبـانية والسير في الطريق الرياضي لبلوغ الكمال عمّا يخصّ كل واحد. ولمّا كان احدهم يسألهُ سؤالًا عن شرح ما ذُكر. فاقول حقًّا من غير ارتياب ان من قبـل شرحه وجوابه كان كل راهب يفهم من فمه ما يخصه حسب درجته ومعرفته واحتياجه. وسلوكه مع الرهبان كان بكل وداعة مع انهُ من ذات طبعه كان مسودنًا شرسًا عنيدًا برايه. لكن متى اكتشف على الحقّ كان يرجع ويقرّ معترفًا بكل تواضع لبّ. فجمع المدبرين امرارًا عديدة حكموا عليهِ بأشياء ضد سلطانه بالذات بزعمهم لخير الرهبنـة وتدبيرهم في ذلك الوقت ومن جملة ما ذكر ثلث مرات في مجامع مختلفة كان يحكم المجمع ان الاب العام ولا غيره من الرؤساء يقبل مبتدئًا. وسببه لان الديورة امتلت بل يسمحوا للاب العام ان يقبـل مبتدئين حلبيين ام غيرهم الى حد خمسة انفـار بشرط ان كل واحد منهم في الروحاني ام الجسداني يكون لهُ نفع بليغ للرهبنـة. ومع ذلك كان يطأطئ لقولهم خاضعًا بكل سريرته مع انهم جميعهم تلاميذه وهو الذي نصب مجمع المدبرين فاستدام على هذه الطريقة الى ان خرج من دير مار اليشع الى زيارة الديورة (لها بقيّة)

نقائض جرير والفرزدق (*)

للاب انطون صالحاني اليسوعي

اذا تصفحنا في كتاب الاغاني اخبار الشعراء الثلاثة المقدمين في صـدر الاسلام الاخطل وجرير والفرزدق رأينا في ترجمة كل منهم الحكم لصاحبهـا بالسبق على معاصريه. مع انهُ لم يقع إجماع على احدهم انهُ افضـل. ولكلّ واحدٍ منهم طبقة تفضِلهُ على الجماعة. قال ابو الفرج الاصبهاني في ترجمة جرير: هو والفرزدق والاخطـل

(*) The Nakâi'ḍ of Jarîr and al-Farazdak, edited by Anthony Ashley Bevan M. A. Vol. 1 Part. 1 et 2, Leiden, Brill 1905.

المقدَّمون على شعراء الاسلام ومختلف في ايهم المتقدّم ولم يبقَ احد من شعراء عصرهم الّا تعرّض لهم فانفضح وسقط وبقوا يتصاولون. على ان الاخطل انما دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد اسنَّ ونفد أكثر عمرهِ . وهو وإن كان لهُ فضل وتقدُّم فليس نجره من نجار هذين في شيء.. الّا انَّ صاحب الاغاني اورد في ترجمة الاخطل حكم يونس إذ سئل عن جرير والفرزدق والاخطل ايهم اشعر فاجاب: اجمعت العلماء على الاخطل. وهذا هو ايضاً حكم عمرو بن العلاء وابي عبيدة وسلمة بن عياش وغيرهم ممَّن ينصحون

فان طالعت اخبار جرير وجدتَ الحكم لهُ بانهُ اشعر الثلاثة. ومن يفضِلهُ يحتج بانهُ كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظاً واقلّهم تكلّفاً وارقّهم نسيباً وانهُ غلب في الفخر والمديح والهجاء والنسيب

امّا الفرزدق فقد قال عنهُ صاحب الاغاني ما نصُّهُ : هو وجرير والاخطل اشعر طبقات الاسلاميين والمقدَّم في الطبقة الاولى منهم. فترى انهُ فضلهُ على الجميع

وهذا يذكّرنا بخبرٍ يبيّن ما نجدهُ من الاختلاف وتناقض الاحكام في تفضيل هذا او ذاك من الشعراء.. « انشد مروان بن ابي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال: زهير والله اشعر الناس. ثم انشد للاعشى فقال: الاعشى اشعر الناس . ثم انشد شعرًا لامرئ القيس فقال: امرؤ القيس من اشعر الناس. ثم قال: والناس اشعر الناس ، اي ان اشعر الناس من انشدتَ لهُ فوجدته قد اجاد حتى ينتقل الى شعر غيره » (الاغاني)

وعندي ان الذي حدا بالبعض الى تفضيل وتقديم جرير والفرزدق هو ان الاخطل كان نصرانيًا. ولاختلاف الاديان تأثير حقيقي في الاحكام . لكن لو طالعت قصائد الاخطل لتحققت ان لهُ نفَساً عالياً وشرف منطق مع فخامة في المديح وجزالة وعظمة ترفع من يمدح بل تسكر كالخمر المعتقة التي يجيد نعتها. ولهُ نظر في الوصف مع قوة في التعبير تجعلهُ يصوّر بوجيز الكلام المناظر الطبيعية كما هي فيتخيَّل لك انك تشاهدها كما في البيت الذي يرينا فيهِ الأُتن الوحشية تشرب من مجرى المياه العذبة والحاظها الى الغيضة حيث تخشى الصياد متواريًا يترصدها:

يشربنَ من باردٍ عذبٍ وأعينُها من حيث تخشى ووارَى الراميَ النبلُ

وللاخطـــل تفنّن في الهجاء مع سطوة وإقدام وطعن مؤلم خالٍ من الفحش الدني الذي اعتاده جرير والفرزدق. فيسقي عدوَّه سمًا زعافًا مدوفًا بماء الذهب. وناهيك عن رقة نسيبه الفتان فان مصدره القلب لا كنسيب جرير الصادر عن اللسان

ومهما كان الامر فلا خلاف في ان الثلاثة لهم الفضل على سائر الشعراء الذين نبغوا بعد الجاهليَّة . فمطالعة قصائدهم تفيـــد جدًا لمعرفة الشعر القديم وللتبحر في العربيَّة

هذا وانَّ آمن واحسن طريقة لنعلم ايهم فاز بقصب السبق هي مطالعة ومعارضة اشعارهم فان القدماء ممن حكموا بالفضـــل لهذا او لذاك لم تكن لديهم مجموعة دواوينهم لان مثـــل هذه النسخ كانت نادرة الوجود . فكانوا يحفظون قصائدهم وينشدونها وكانوا عند سماعهم بعض ابيات مستجادة يحكمون لصاحبها بالسبق. فاذا سمعوا ابياتًا حسنة لشاعر آخر حكموا لهُ بالفضل

امَّا الآن وقد اصبحت اشعارهم مطبوعة تتداولها ايدي الجميع فاضحى الانصاف في الحـــكم اسهل لانهُ يمكننا ان ندعمه بالبينات والشواهد من مجموع القصائد لا من بيت او بيتين

فهذا ديوان الاخطل طُبع منذ ١٦ سنة بمطبعتنا الكاثوليكيَّة بحرف جميل نظيف مضبوطاً بالشكل الكامل مع شرح وافٍ. وقد طُبع ايضاً ديوان جرير منذ ١٢ سنة بمصر لكن طبعاً سقيماً بأحرف غير جلية وبدون شرح ولا شكل. مع انهُ يوجـــد في المكتبة الخديويَّة نسخة خطية من ديوان جرير ونسخة خطية حديثة من نقائض جرير والفرزدق ضافيتا الشروح. فما كان اسهل على طابع اشعار جرير ان يعتمـــد على هاتين النسختين في تعليق الحواشي وضبط الابيـــات بالشكل. وطُبع ايضاً ديوان الفرزدق في اوربَّة لكن معظمه طُبـع بتصوير النور على طريقة تتعب نواظر القرَّاء فتحـــار العيون بين هذه الاسطر الدقيقة المتقاربة والحركات المشتبكة فلا يلبث القـــارئ ان يطرح الكتاب جانباً لما يلاقي من النصب في مطالعته

وعليهِ فقد تلقينا بالبهجة والثناء الهدية التي اتحفنا بهـــا المسيو بريل الطبَّاع الشهير الذي نشر بالطبع كتباً عربيَّة اكثر ممَّا نشرت كلّ مطـــابع اوربَّة . وقد طبع مؤخرًا نقائض جرير والفرزدق بقطع كبير (٣١ س × ٢٤ س) وهامش عريض مع سعة بين

السطر والسطر وبين الكلمة والكلمة فيرتاح القارئ في المطالعة وتنصرف عنايته الى درس وتفهّم المعاني. وقد تولّى نشر هذا الاثر الجليل العلّامة بيڤن من لساتذة كلية كمبريدج في انكلترة فضبط بالشكل الكامل الابيات واختار لها حرفاً كبيرًا ممتازًا. واتبع كل بيت بالشروح وانتقى لهـا حرفًا اصغر. واثبت في آخر كل وجه الروايات المختلفة مع تعيين مصادرها. وقد نجز الى الآن جزءان من النقائض يحتويان معاً ٣٤٢ صفحة ما عدا مقدمة ذات ٢١ صفحـة كُتبت بالانكليزيّة. فننتظر بفروغ صبر تكملة الكتاب

لا احد يجهل ان النقائض تحتوي اشهر بل عيون قصـائد جرير والفرزدق لان حياتهما انما فنيت في المنافسة والمعاداة والمناقضة. فالنقائض تمثّل لنـا قسماً كبيرًا من ديواني هذين الشاعرين. وهكذا استعضنا عن طبعة ديوان جرير السقيمة وعن طبعـة ديوان الفرزدق العقيمة

اعتمد العلامة بيڤن المدقق على ثلاث نسخ من النقائض محفوظة الاولى منها في مكتبة البودلية بكلية أكسفورد. والثانية في خزانة كتب المتحف البريطاني. والثالثة في كتبخانة كلية استراسبورغ. والحق يقال أننا قلّما رأينـا ديوان شعر محلّى بشروح وافية كشرح نقائض جرير والفرزدق. فان الشارح لا يقتصر على تفسير المفردات بل كثيرًا ما يؤدي مجمل معنى البيت. وهـذا امر لا يقدم عليه الّا الشارح المتضلع. ومّما يجدر ذكره هو ان الشارح اتى بقصص بعض الحوادث وايام العرب التي ورد ذكرها في النقائض فوجدناها وافرة وافية

والنقائض هي رواية ابي عبد الله محمد بن العبـاس اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة عن الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ ﻫ عن ابي جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ ﻫ عن ابي عبيدة مَعمَر بن المُثنّى التيمي المتوفى سنـة ٢٠٧ ﻫ (راجع اللسان ١٧ : ٢١٥)

وقد استعان ايضاً العلامة بيڤن بكتب عديدة ذكر اساميهـا في المقدمة واقتبس منها افادات وروايات مختلفة. وكنّا نودّ لو اثبت بتصوير النور وجهاً من كل من النسخ الثلاث التي اعتمد عليها لنعلم حالتها من حيث الخط والحركات والقدم لان في مثـل

هذه الامور لمحة بصر الى النسخة الاصلية تفي اكثر بالمرغوب وتغني عن تفاصيل طويلة

هــذا وان النقائض تساعد على ايضاح بعض المشاكل التي تعترض في دواوين الاخطل وجرير والفرزدق. نبيّن ذلك ببعض الامثلة:

قال الاخطل في السطر ٨ من الصفحة ٢٢٤ من ديوانه :

بمُعرِضٍ او مُعيدٍ او بني الخَطَفَى ترجو جريرُ مساماتي واخطاري

فمن هذا البيت لا يعرف اذا كان المعرض والمعيد اسمي علم. وفي نسخة بغداد للاخطل (السطر ١٢ من الصفحة ١٣٧) ما يشير الى ان هذين الاسمين همـا اسما علم. قال الشارح: « هؤلاء بنو كليب وأحدهم كان ضعيف العقــل » وفي النسخة اليمنية (٢٩ السطر ٣) يروى: « بمعرضٍ او عُبَيْدٍ او بني الخطفى ». اما نسخة النقائض فانّها توضح وتحقّق ان المعرض والمعيد هما شخصان بعينهما من بني الخطفى. قال غسّان ابن ذُهَيل السَّليطي (الصفحة ٧ السطر ٣) يعيّر جريرًا بضعف قومه في الحرب:

سَتَعلَمُ ما يغني مُعَيْدٌ ومُعرِضٌ اذا ما سَلِيطٌ غرَّقتك بُحورُها

وفي الشرح: « مُعَيد جدّ جرير ابو امّهِ وامّهُ امّ قيس بنت معيد بن عُثيم بن حارثة ابن عوف بن كليب ومعرض من اخواله وكان يُحمَّق »

المثل الثاني : قال الاخطل (١٩٣ السطر ٦) :

ازبّ الحاجبين بعَوفِ سَوْءٍ من الحيّ الذين على قَنانِ

فنسخة بطرسبرج لم تفسّر ما هو قنان. وفي النسخة البغدادية (ص ١٥٠ س ١٣) انّه « جبل معروف ». اماّ نسخة النقائض فتصرّح (ص ٣٩ س ١١) بان « القنان جبل لبني قَفْعَس من بني اسد ». وروت الساعدين عوض الحاجبين

وتفيدنا النقائض اصلاح بعض اغلاط في دواوين الاخطــل وجرير والفرزدق كما ان دواوينهم تعين على اصلاح بعض اغلاط في النقائض. مثلًا في هذا البيت (النسخة البغدادية ص ١٧٠ س ١٣ والنقائض ١٤٢ س ١١)

يومٌ قضاعةَ مجدوعٌ معاطِسُها وهو اشمّ ترى في راسِهِ صيَدا

روت النقائض « يرمي » عوض « يوم » وهــذه الرواية هي الصحيحة. واكتفت

النسخة البغدادية بان قالت ان « هذا يوم المنافرة » . امّا نسخة النقائض فانها اتت بقصّة هذا اليوم في اربع صفحات . وهو يوم المنافرة بين جرير بن عبد الله البجليّ وخالد ابن ارطاة

وقد افادتنا ايضاً النقائض تحقيق واثبات مسألة حررناها في القسم الخامس من ديوان الاخطل المهيّأ للطبع . وهي ان القطعتين المثبتتين في الصفحة ٢٧٥ و ٢٨٤ من ديوان الاخطل كانتا في الاصل قصيدة واحدة فقدت نسيبها ثم انشطرت قسمين بخطأ او جهل النساخ كما هي الآن . اراد الاخطل في هذه القصيدة هجاء جرير وتفضيل الفرزدق وقومه بني دارم على بني يربوع قوم جرير ولذلك رفع اولًا شأن الثعلبيين الذين كانوا اغاروا على بني يربوع يوم ذي بَيض او يوم الهضيبات (او الصهيبات كما في نسخة بغداد ص ٨١ س٢) ثم مدح الدارميين لانهم انقذوا بني يربوع . وعليهِ يلزم تصحيح كلمتي التغلبيين والتغلبي (ص ٢٧٦ س ٢ و ٢٨٤ س ٦ و ٢٨٥ س ١) بكلمتي « الثعلبيين والثعلبي » لان الذين اغاروا على بني يربوع هم من بني شيبان بن ثعلبة . ولا يبعد ان يكون الاخطل عنى بالحية (ص ٢٨٥ س ٢) الحوفزانَ الحرث بن شريك رئيس القوم الذين كانوا اغاروا على بني يربوع واسرهُ حنظلة بن بشر احد الدارميين

وكانت النسخة البغدادية أيدت هذا التفسير اذ قالت (ص ٨١ س ٣) : « هذا يوم ذي بيض واغار الحوفزان الشيباني على بني يربوع فقطع منهم طرفًا فاتى الصريخ بني دارم فلحقوا الحوفزان واستنقذوا ما في يديه »

وقد حقّقت النقائض (ص ٢٨٥ س ٧ وص ٢٨٦ س ١٠ و١٥) هذا الشرح بابيات قالها الفرزدق في نقيضة يهجو بها جريرًا :

لو تعلمونَ غداةَ يُطردُ سبيُكُمْ ... بالسفح بين مُلَيحةٍ وطِحالِ
والحوفزانُ مسوّمٌ افراسَهُ ... والمُحصَنات يجُلنَ كلَّ مجالِ
حتى تداركها فوارسُ مالكٍ ... ركضًا بكلّ طُوالةٍ وطُوالِ

وقال ابو عبيدة شارح النقائض « اغار الحوفزان بن شريك على بني يربوع بذي بَيض فسبي واخذ الاموال . . . قال واسر حنظلةُ بن بشر . . . بن دارم الحوفزانَ بن شريك ثم منَّ عليهِ بلا فداء وردّ ما كان في يديه من المال على بني يربوع » . فهذا قول الاخطل :

هم انقذوا يوم المُضيبات سبيكم وابناء رهط الكلب قُرعُ المباركِ
فررتم حذارَ الثعلبيين اذ سموا بأرعنَ طودٍ مشمخرِ الحواركِ

وهذا النزر يكفي

وقبل ان ننهي الكلام نرغب الى المسيو بريل ان يصلح او يبدل بعض الحروف التي يستعملها للطبع فان نقطها لا تكاد تظهر ولو استعنا بالمجهر وذلك لدقتها واصوقها بالحرف مثل نقطة الباء والجيم والضاد والغين · وهذا في كل صفحات الكتاب ولذلك تصعب القراءة وتفقد لذة المطالعة · ولنا الامل ان المسيو بريل يعير ملاحظتنا هذه اذنًا صاغية

فنمحض العلامة بيڤن والمسيو بريل خالص شكرنا ونتمنَّى لهما اتمام العمل في الاجل القريب خدمة للعلماء والعلم

الاعتراف في اوائل النصرانيَّة

للاب يوسف خليل اليسوعي

اجتمعنا يومًا برهطٍ من الفضلاء فتجاذبنا اطراف الحديث في امور شتَّى حتى افضى بنا الكلام الى بعض عقائد الدين المسيحي فابدى لنا احد الحاضرين ما يخالجهُ من الشكّ ويعترضهُ من المرية في امر الاعتراف فقال : بلغني مِمَّن يُوثَق برأيهم ويُسكَن الى علمهم انَّ لا أثر لهذا السرّ في اوائل النصرانيَّة وان الكنيسة لم تعلّمهُ ولم تعرفهُ في خلال القرون الاولى · انَّما اختلقهُ في الجيل الخامس او السادس اهل المآرب والغايات وتضافروا على نشرهِ بين السذَّج · وبعبارة اخرى : كل من حاول إثبات وجود هذا السرّ عند النصارى الاقدمين ورام الاستناد بذلك على نصوص آباء الكنيسة ومعلميها وآرائهم في العصور الاولى يتحرَّى المحال فيُردُّ بالخيبة · ففي بادئ بدء لم نعجب من هذه المزاعم ولم نحفل بها لانها محض اكاذيب وترهات وقفنا عليها مرارًا في كتب الملحدين ودحضها عدد عديد من العلماء الاثبات انَّما :

لقد اسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

فاجبنا في الحال بما رأيناهُ صوابًا وما انفرط عقد المجلس حتى لَبَّينا اقتراح لفيف

المتحادثين بوضع مقالة نضمّنها شهادات راهنة تؤيّد معتقدنا وتردّ بكيد كل مناقض مكابر . فتصفحنا التآليف العريقة بالقدم وكان اعتمادنا على اعمال الآباء القديسين تلك التي اجمع العلماء على صدقها وزلال موردها فتتبعناهـا في الستة الاجيال الاولى للنصرانيّة واقتطفنا منها ما وجدناهُ وافياً بالمرام وقد اثبتناهُ بحرفهِ واشرنا الى صفحتهِ في المجلّدات ليرجع اليـهِ القارئ ويطالعهُ اذا رغب في مظنّتهِ . ويجدر بنا قبل المباشرة بإيراد هذه الشهادات ان نبيّن باختصار حقيقة رسم سرّ التوبة من لدنه تعالى فعليهِ بنى الآباء حججهم ولولاها لأضربوا عن هذا الموضوع

طالما جادت رحمة السيّد المسيح مدة حيـاتهِ على الارض بمغفرة الخطايا لمن تاب اليهِ فيها وكفّر عنها ولكنهُ لم يرتضِ بذلك بل انهُ وعد بطرس (متى ١٦ : ١٩) وجميع الرسل (متى ١٨ : ١٨) بسلطة الحلّ والربط ثم بعد انتصـارهِ على الموت وخروجهِ من ظلام القبر تراءى لتلامذتهِ وقال : « السلام لكم . كما ارسلني الآب كذلك انا ارسلكم . . . خذوا الروح القدس . من غفرتم خطـاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم » . (يو ٢٠ : ٢١—٢٣) فخوّلهم بهذه الكلمات قدرةً ليكسروا نير الخطيئة ويردّوا الخراف الضالّة الى حظيرة الربّ ويستمطروا نِعَم الله على ابنـاء عقّـوا اباهم ثم ندموا على ما اقترفوه من الذنوب . ولم يستثنِ المخلّص الالهي خاطئاً او خطيئةً لان هذه العبارة : « من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم » وفي اصلهـا اليوناني « ἀφίεναι τὰς ἀμαρτίας » تدفع كل حصر وتقييد فهي عامّة ومطلقة . فيتحتم القول اذًا بموجب معناها البديهي واصطلاح الكتاب المقدس بان الخاطئ اذا ما تأهّب لهذا السرّ وقبلهُ على شروطهِ حُلَّ من وثاقهِ ونال عفوًا من الله ابيه . أجل ان طبيعتنـا لا تسمو الى هذه السلطة ولهـذا اذ لم يؤمن الفريسيون بالوهيّة السيد المسيح انكروا عليهِ كلامهُ للمخلّع : « يا رجل مغفورة لك خطاياك » قائلين : « من هذا الذي يتكلّم بالتجديف . من يقدر ان يغفر الخطايا الّا الله وحدهُ (لوقا ٥ : ٢٠—٢١) . ولكن من لهُ ان يضع حدًّا لمواهب الرب وعطاياه . فانهُ يمنح ما يشاء لمن يشاء وما لجبلتهِ الحقيرة الّا الاقرار بحكمتهِ وعدلهِ

واعلم ان سلطة الحلّ والربط دامت وستدوم في الكنيسة الى منتهى الاجيـال لانّ الله لم يعطها فقط للرسل بل لخلفائهم الشرعيّين في اي زمان ومكان وُجدوا وإن

لم يصرح الانجيل بذلك. نال الحواريون من سيّدهم هـذه السلطة كما نالوا سلطة تعليم البشر وغسلهم بمياه المعمودية واقامة سرّ الافخارستية وهذا كلهُ بقي وسيبقى في الكنيسة مع ان الكتاب المقدس لم ينبئنا شيئاً عن دوامهِ وانتقالهِ من الرسـل الى من قام مقامهم. فيجوز لنا والحالة هذه لا بل يجب علينا القول بأنَّهُ لم يُحرَم اخلاف تلامذة ابن الله من هذه السلطة لاسيما وان الداعي الى وجودهـا ما زال ولن يزال منبثًا على الارض تتقاذفهُ القلوب والعقول والالسنة. فكم من الآثام والذنوب يرتكبها البشر كلَّ يومٍ فكرًا وقولًا وفعلًا. فلكل داء اذًا دواءٌ ودواء الخطيئة سرّ التوبة

حسبنا الآن ما اشرنا اليهِ من رسم سرّ الاعتراف واعطاء سلطة الحلّ والربط الى الرسل وخلفائهم فبقي علينا ان نقوم بعبء ما تحرَّينا ايضاحهُ ونُثبت استعمال التوبة في الاجيال الاولى من النصرانية ولذلك عُنينـا بإيراد بعض شهادات الآباء والمؤرخين وبذكرها تتابعًا ليكون القارئ على بيّنةٍ بان هذا السرّ كان اوانئذٍ منتشرًا في العـالم المسيحي لكنَّنا نستلفت لبّهُ الى امرٍ وهو انَّهُ ندرت التآليف التي اتَّصلت الينـا من الجيل الاول بعد السيد المسيح فاذا ما استثنيتَ العهد الجديد فتكاد لا تجـد كتابًا وُضع في الجيـل الاول تفسيرًا للدين المسيحي واثباتًا لعقائدهِ لكنها على توالي العصور توالت المصنَّفات وكثرت الشهـادات المؤيدة لما نحن في صددهِ. فكفى بذلك تنبيهاً لكل مطالع لبيب

١ (الكنيسة السوريَّة): نستهلّ كلامنا عن هذه الكنيسة الاثيلة والعريقة في القِدَم بذكر القديس العظيم اغناطيوس الانطاكي ذاك الذي هرق دمهُ شهادةً للحقّ وبرهانًا للدين في غرة القرن الثاني (١٠٧م) واليك ما كتبهُ في رسالتهِ الى اهـل فيلادلفية: «يغفر الله للتائبين اذا ما لجأوا اليهِ ونالوا رضى الاسقف». فبرضى الاسقف او بمشورته كما قرأناهُ في نسخة ثانية اشارة واضحة لاسيما في ايّام الاضطهاد الى حكم الاسقف وفتواه في الخطيئة ومن اقترفها (١— وقد اشتهر امر رسـالة بُعثت الى يعقوب الاورشليمي وعُزيت الى اكليمنضوس الروماني لكنهُ ثبت الآن عند العلماء ان واضعها كان سوري الاصـل والمنشإ وعاش في الجيل الثاني. فوجدنا فيها ما يلي: «قال القديس بطرس: اني اعطي اكليمنضوس سلطة الحلّ والربط التي خوَّلنيها السيد المسيح. فما

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٥ ص٨٣٣)

يَحكم بهِ على الارض يُحكم بهِ في السماء لانهُ يربط ما يجب ربطهُ ويحلّ ما يجب حلّهُ». ثم يعتّم الكلام عن الاساقفة بقولهِ: «لهم السلطة بغلق ابواب السماء وبفتحها لانهم اصبحوا مفاتيح السماء» (١. وهوذا شهادة باهرة وبيّنة ساطعة نقتطفها من كتاب للقديس يوحنا فم الذهب في الكهنوت وشرفهِ. قال: «الكهنة هم أُناس يعيشون على وجه البسيطة... لكنّهم كُلّفوا بتدبير الامور السماويّة وقد قلّدهم الله سلطةً لم يعطها الى الملائكة ورؤساء الملائكة لانهُ لم يقل لهم مثلما قال للكهنة: من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم. اجل انّ لحكام الدنيا سلطةً ليقيّدوا الاجساد ويكبّلوها بالحديد انّما تلك السلطة التي يتكلّم عنها الانجيل تقع على النفس فتربطها. فمصدرها السماء وعلاقتها مع السماء ولهذا كل ما يحكم بهِ الكهنة يصادق عليهِ الله في السماء لان السيد يؤيّد حكم عبدهِ فلا حدّ اذًا لسلطة الكهنة حتى في السماء بما ان الله قد قال: من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم... اعطى الآب الازلي ابنهُ الحبيب كلّ حكم وها اني ارى الابن يعطي الكهنة ما نالهُ من ابيهِ» (٢. ولم تضنّ علينا اعمال الآباء السوريين الموضوعة في اللغة السريانية بشهادات تُشير الى المعتقد الذي نبحث فيهِ. فقد اكتُشفت حديثًا تآليف القديس افراهاط الملقّب بالحكيم الفارسي واليك ما وجدناهُ في عظة لهُ القاها سنة ٣٣٧ م في التوبة وقد عبّر عمّا يقصدهُ بتشبيهٍ لطيف. قال: «لكلّ ألم دواء اذا اطّلع الطبيب النطاسي على حالة الداء. فلا يخجل اذًا من صرعهُ الشيطان من الاقرار بذنبهِ ومن العدول عنهُ واتخاذ الاعتراف دواء لهُ». وقال ايضاً: «الخاطئ هو من ضرّجهُ جراحًا الضعفُ والتغافلُ في حربٍ قامت بها الاهواء عليهِ. فاذا رغب بالشفاء وباندمال جراحهِ فليعرضها على الطبيب الروحي وليتخذ ما يصفهُ لهُ من الادوية» (٣. وهذا ايضاً ما ذهب اليهِ القديس افرام العظيم في كتابهِ ضد المراطقة وآرائهم الفاسدة (٤

١) اعمال الاباء اليونانيين (ج ١ ص ٤٦٤ و ٤٧٨)

٢) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٥٧ ص ٦٤٣)

٣) اطلب اعمال القديس افراهاط طبعة غرافين في باريس سنة ١٨٩٤ (المجلد الاول صفحة ٣١٣ و٣١٥ و٣١٨ و ٣٦٠)

٤) اطلب اعمالهُ المطبوعة في رومة سنة ١٧٤٠ (ج ٢ ص ٤٤٠)

وكان بودّنا ان نذكر شيئاً من كتب العلماء المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكيّة كعبد يشوع والبطريرك ميخائيل الكبير وغيرهما فانها توّيد ما نحن في صدده لكنّنا آلينا ألّا نتجاوز الجيل السادس منذ ابتداء النصرانيّة

٢ (كنيسة الاسكندريّة): توفي اكليمنضوس الاسكندري سنة ٢١٧ بعد ما قام بمهامّ كثيرة عُهدت اليهِ لانهُ كان ذا علم واسع وشهرة طائرة ورأي سديد. قال في بعض مؤلفاتهِ: «من يقبل ملاك التوبة لا يأسف ابدًا من عملهِ لاسيما عند ساعة الرحيل من هذه الدنيا ولا يخجل حينما يرى المخلص آتياً بجلالهِ وعظمتهِ» (١. اراد بملاك التوبة الاسقف او الكاهن المقام للنظر في امر الخطأة كما يظهر من قرينة كلامهِ. وكثيرًا ما يدعو اكليمنضوس هذا السرّ «بالتوبة الثانية» (٢

وفي نحو سنة ٢٣٠ صنّف أوريجانوس الشهير كتاباً شرح فيهِ الصلاة الربيّة ولمّا وصل منها الى هذه الكلمات: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن اساء الينا» ذكر نصّ الكتاب المقدس في شأن الاعتراف ثم قال «ان الجحود بالدين وعبادة الاصنام والزنا خطايا جسيمة». وابتدأ يقبّح عمل: «الكهنة الذين» على زعمهِ «يتخذون سلطةً تعلو مقامهم ويمنحون المغفرة لمن اقترف هذه الذنوب الثلاثة» (٣. فيتّضح من هذا القول ان الكهنة كانوا يقومون في أيامهِ بوظيفة الاعتراف ويحلّون من جميع الآثام حتى من الخطايا التي يرغب باستثنائها تبعاً لرأي المبتدعين. وقال ايضاً في عظتهِ ١٧: «اذا اقررنا بخطايانا ليس فقط لله تعالى لكن للذين لهم ان يداووا جراحنا وذنوبنا فان هذه الخطايا ستُغفر عند من قال: «سأزيل الخطايا كالغمام» (٤—. وقد اخنى الزمان على كتب نفيسة فلم يبقَ من بعضها الّا اسماً ومن بعضها قسماً وبين هذه كتاب للقديس اثناسيوس (٣٧٥) دحض فيهِ هرطقة نوڤاسيان تثبت منهُ فقرةٌ: «من يعترف بذنبهِ في التوبة ينل المغفرة من لدن الكاهن بقوة نعمة المسيح» (٥. وكتب القديس كيرلّوس

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٩ ص ٦٤٩ و ٦٥٣)
٢) اطلب ايضاً (ج ٨ ص ٩٩٦)
٣) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ١١ ص ٥٢٨ و ٥٢٩)
٤) اطلب (ج ١٣ ص ١٨٤٦)
٥) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٢٦ : ص ١٣١٦)

في اوائل الجيل الرابع: « لاي سبب اعطى المخلّص تلامذتهُ سلطةً يخال انها حُفظت لله دون غيره؟ لانهُ اراد ان يحلّوا ويربطوا الخطايا بعد قبولهم الروح القدس... ولماً حلّهم للخطايا فانهُ يكون على طريقتين العماد والتوبة »(١

٣ (كنيسة القسطنطينيَّة): اطلعنا المؤرخان سقراط وسوزومين عمّا كانت تجريهِ هذه الكنيسة في شأن سرّ التوبة. قال سقراط: «أُنيطت مهمّة الاعتراف بكاهن عُرف بالتُقى والعلم واصابة الرأي وذلك على اثر بدعة نوڤا سيان » امّا سوزومين فانهُ يؤكّد إقامة الكهنة لمنح سرّ التوبة قبل ذلك العهد وارتقاءها الى الاجيال الاولى للنصرانيَّة. قال: « وبما ان الاقرار بالخطايا جهارًا اضحى وقرًا ثقيلًا على عاتق المسيحيين عيّن الاسقفُ كهنة فضلاء لاستماع الخطايا ولارشاد المذنبين والحكم عليهم وحلّهم من قيود الآثام بعد الحتم عليهم بأداء فرض التوبة ومزاولة الاعمال التكفيريَّة (٢

ولقد نهض عداة القديس يوحنا فم الذهب (٤٠٣) وزمّوهُ لانهُ قال في عظة: « اذا ارتكبتم الخطيئة فاندموا عليها وارجعوا اليَّ وانا اشفيكم ».(٣ وبذلك بيّنة لما الفهُ لفيف المؤمنين في تلك العصور

٤ (كنائس اسية الصغرى): ليست شهادات معلمي هذه الكنائس باقلّ وضوحًا مّما تقدّم لنا ايرادهُ. فلنثبت بعضها ليظهر جليًا اتّحاد آباء الكنيسة في تعاليمهم في ايّ مكان وزمان وُجدوا. كتب فيرميليان اسقف قيصريَّة قبّادوقية المتوفّى سنة ٢٥٢ رسالة الى القديس قبريانوس جاء فيها: « أُعطيت سلطة حلّ الخطايا الى الرسل والى الكنائس التي أسسها الرسل ثم الى الذين خلفوا الرسل ».(٤ وعُرف القديس باسيليوس بهمّتهِ القصاء فيما يختص باسرار الكنيسة واقتبالها وحفظهِ على الدين بدون شائبة. ومما قال في سر الاعتراف: « على الخاطئ ان يقرّ بذنوبهِ لمن كُلّف بتوزيع الاسرار ».(٥ وللقديس غريغوريوس النزينزي عظة بليغة دحض فيها مزاعم الذين ينكرون على

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٢٦ ص ٧٢١)
٢) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٦٧ ص ٦١٣ – ٦١٧ و ١٤٥٧ – ١٤٦٠)
٣) اطلب الجامع طبعة هردوين (ج ١ ص ١٠٤٣)
٤) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣ ص ١١٦٨)
٥) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٣١ ص ١٢٨٤)

الكنيسة سلطة غفران الخطايا .(١ وذكر القديس غريغوريوس النصيصي في رسالةٍ لهُ انهُ أُقيم في كل كنيسة كاهن لاستماع الاعتراف وللاقتصـاص من الخطأة بمقتضى آثامهم »(٢ وعاش هؤلاء الآباء في الجيل الرابع للمسيح

٥ (الكنيسة الايطاليّة): تلقَّينا بيّنة قديمة في سر التوبة من كتاب دُعي: «بالراعي هرماس» ووُضع في منتصف الجيل الثاني فهاكها: «قال لي الموكّل على سرّ التوبة ان الرب الرحيم تحنن على خليقتهِ فرسم سرّ التوبة واقامني على توزيعهِ ولهذا.. اذا انقاد احد الى هواجس الشيطان وسقط في الخطيئة فليقتبل التوبة »(٣ . لكن مؤلف الكتاب المذكور اخطأ في ما زعمهُ بعد هذا ان من اقترف ذنباً وتاب عنهُ ونال المغفرة في الاعتراف ثم تورَّط ثانيةً في وهدة المعاصي فلا تُغفر خطاياهُ ولا تُقبَل ندامتهُ . واننا نقرأ في قوانين هيبوليطوس وهي ترتقي الى اواخر الجيل الثاني او الى اوائل الجيل الثالث صلاةً تُتلى يوم سيامة الاسقف واليك بعضهـا: « امنحهُ يا رب درجة الاسقفيَّة واعطهِ روح الرحمة والساطة لحلّ الخطايا » (٤ . وروي في كتاب « رسوم الرسل » ما نصُّهُ: « امنحهُ ايها الرب القدير روحك القدوس لكي ينال سلطة حلّ الخطايا حسبما رسمت وامرت . خوِّلهُ القدرة ليفكّ ايّ رباطٍ كان كما اعطيت الرسل » . (٥ وقد نهض البابا كاليست في ابتداء الجيل الثالث وقاوم بدعة ماني وصرَّح بان كل الخطايا تُحلّ وتُغفر اللهمَّ اذا كان المذنب يندم عليها ويكفّر عنها (٦ وفي خلال سنة ٤٥٢ كتب البابا لاون الى توادوروس اسقف فريجوس الاسطر التاليـة: « ان الرحمة الالهية ترأف بنا وتساعدنا في التكفير عن الذنوب حتى لا نيأس من الحياة الدائمة وذلك ليس فقط بواسطة العماد لكن ايضاً بقوة دواء التوبة . فإنْ دنَّس احدٌ نقاء عمادهِ فيمكنهُ ان ينال مغفرة خطاياه على شرط ان يحكم على نفسهِ ويقرّ بما فعل لانَّ الرب يعين البشر بواسطة تضرعات الكهنة لا غير . ان المسيح الوسيط بين الله والبشر اعطى روساء الكنيسة سلطة لمعاقبة الذنوب

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٣٦ ص ٣٥٦ وما يتبعها)

٢) اطلب (ج ٤٥ ص ٢٢١ — ٢٢٣)

٣) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٢ ص ٩١٤ — ٩١٩)

٤) أطلب كتاب الكاهن دوشان في مبادئ الرُتب (الطبعة ٢ ص ٥٠٦)

٥) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ١ ص ١٠٧٣)

٦) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٢ ص ٩٧٩)

ولادخال من يعترف بباب السلام وللاشتراك معهُ بالاسرار بعد ما يطهّر نفسهُ باعمال التكفير .... ويجب على الكاهن ان يضع وقر الخطايا عن منكبي الخاطئ ويردّ الابن الى ابيه قبل ان يداهمهُ الحِمام.» (١ وقال القديس هيرونيموس في رسالتهِ الشهيرة الى هِليُودوروس: « بكلمة الاساقفة خلفاء الرسل يتكوّن جسد المسيح . فهم الذين صبغونا بماء العماد وجعلونا مسيحيين وبايديهم مفاتيح ملكوت السماوات فلهم ان يدينونا قبل يوم الدينونة العظيم.» (٢ واثبت القديس امبروسيوس: « ان الله وحدهُ يغفر الخطايا لكنهُ يغفرها بواسطة الذين اعطاهم القدرة لحلّها وغفرانها ... ان الله اعطى الرسل سلطة مغفرة الذنوب ومن الرسل انتقلت هذه السلطة الى الكهنة دون سواهم . فبحقّ اذاً يطلبون الاستقلال بها وهي خاصتهم ليحلّوا الخطايا » (٣

٦ (الكنيسة الافريقيّة) : يعلم كل مُطّلع على تاريخ الكنيسة وكل خبير بالحوادث الغابرة ضلال ترتليانوس في بعض عقائد الايمان منها انهُ لم يسلّم بمغفرة الخطايا الجسيمة فمن اقترفها كان لا محالة على زعمهِ من الهالكين ندم او اصرّ على ذنبهِ اعترف او لم يعترف . ولهذا قسمَ الخطايا الى ثلاثة اقسام خفيفة ومتوسطة وجسيمة فزعم انّ لا سلطة للكنيسة لتحلّ من جحد الايمان وارتكب ذنب الدعارة وهرق دماً زكيّاً لكنّها تستطيع ان تغفر باقي الخطايا» (٤ . فممّا تقدّم يظهر ان ترتليانوس يقرّ بوجود سرّ التوبة ومغفرة الخطايا لكنّهُ يستثني بعض آثام فظيعة لا تشملها على رأيهِ تلك السلطة التي اعطاها السيد المسيح للرسل ولخلفائهم . فناهضهُ لفيف الاباء ودحضوا مزاعمهُ . وفي اثناء سنة ٢٥٨ استشهد القديس قبريانوس وكان نور عصرهِ قداسةً وعلماً وقد عُرف بجزمهِ وعلوّ كلمتهِ فكثر عدد المؤمنين في زمانه في البلاد الافريقيّة . واليك بعض اقوالهِ في موضوعنا: «على كلّ ان يعترف بخطيئتهِ ما دام في قيد الحياة حيث تُقبَل توبتهُ واعمالهُ التكفيرية وتُمنح لهُ المغفرة بواسطة الكهنة. . . » (٥ واما القديس اغوسطينوس

---

١) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٥٤ ص ١٠١١ — ١٠١٣)

٢) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٢٢ ص ٣٥٣-٣٥٢)

٣) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ١٥ ص ١٦٣٩ ج . ١٦ ص ٤٦٨ و٤٧٧ و٤٩٩)

٤) اطلب الاباء اللاتينيين (ج ٢ ص ٩٧٩ و١٠١٧ و١٠٣٤)

٥) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٤ ص ٤٨٩)

فانهُ اثبت سرّ الاعتراف في مواضع شتَّى من تاليفهِ النفيسة نقتصر على ايراد النزر اليسير منها دفعاً للملل. قال في عظتهِ ٣٥١: « فليذهب الى الاساقفة كل من اخطأ فانهم استلموا في الكنيسة سلطة المفاتيح » (١. فعبّر بسلطة المفاتيح عن سلطة الحلّ والربط وقبول الخاطئ او ابعادهِ من الكنيسة . ولمّا زحف جيش القندال قصدَ الاستيلاء على اقاليم افريقية الشماليَّة وكان شعب القندال معروفاً اوانئذٍ بشدة وطأتهِ فيسلب وينهب ولا يصون عرضاً. فهال الامر اهل البلاد ولاذوا بالفرار وكان بين من خاف فهرب بعض الكهنة فوبّخهم القديس اغوسطينوس على جبنهم وكتب بذلك رسالة بيَّن فيها الخطر الذي يقع فيهِ اولئك « الذين يطلبون العماد او يتوبون الى الله ويرغبون بالتكفير عن خطاياهم ويسألون ان توزَّع عليهم الاسرار . فاذا كان الكهنة لا يهبّون الى تحقيق امنيَّة هؤلاء الخطأة فيفرُّون هاربين فما اعظم شقاء الذين يخرجون من هذه الحياة بدون عماد وحلّ » (٢ وهو كلام صريح في سلطة الكهنة بمغفرة الخطايا

٧ (الكنيسة الاسبانيَّة): منذ عُقد مجمع « البيرة » سنة ٣٠٠ للمسيح وقرّر امورًا شتَّى تتعلَّق بمنح سرّ التوبة تواترت الشهادات المثبتة لهذا السرّ وذلك دفعاً لبدعة نوفاسيان التي تسرَّبت بين طبقات الشعب . فلمَّا تفاقم الامر نهض القديس پاسيان اسقف مدينة برشلونة المتوفَّى سنة ٣٩١ وبعث برسالة الى احد المتمسكين باهداب هذه البدعة فقال فيها: « تدَّعي بان الله وحدهُ يقدر ان يحلّ الخطايا ويغفرها فهذا عين الصواب غير انَّ الله هو مصدر سلطة الكهنة فما يأتي بهِ هؤلاء في سرّ التوبة يُعزى اليهِ تعالى. وان كان الامر بخلاف ذلك فلايّ سبب قال الرب لرسلهِ: كل ما حللتموهُ على الارض يكون محلولًا في السماء. لماذا تلفَّظ بهذه الكلمات اذا كان لا يسمح للبشر بالحلّ والربط ؟ أتزعم ان هذه السلطة لم تُمنح الَّا للرسل ؟ فاذا كنت اصبتَ بقولك فالرسل فقط يقدرون دون غيرهم ايًّا كان ان يعمّدوا ويمنحوا الروح القدس ويؤنّبوا الخطأة لان سلطة العماد ومنح الروح القدس وهلمّ جرًّا أُعطيت للرسل كما اعطيت لهم سلطة الحلّ والربط » . وهذا ضلال مبين (٣

١) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣٩ ص ١٥٤٧)

٢) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣٣ ص ١٠١٦ ج ٣٨ ص ٨٠٢)

٣) اطلب اعمال الآباء اللاتينيين (ج ١٣ ص ١٠٥٧)

٨ (الكنيسة الافرنسيّة): يخبرنا القديس ايريناوس الذي سُقّف على مدينة ليون ومتعلّقاتها في اواخر الجيل الثاني « ان بعض النساء انقدنَ الى آراء الهراطقة ومشينَ على خطّتهم وسلَّمنَ بتعاليمهم ثم رجعنَ الى الصراط المستقيم وسألنَ التوبة عن خطيئتهنَّ واقررنَ بذنبهنَّ جهارًا فأُدرجنَ في عدد التائبين ونلنَ المغفرة ». ولكن مِمَّن قبلنَ الحلّة ؟ فلم يبح لنا بهِ القديس المذكور. وقال القديس هيلاريوس في شرحهِ لانجيل القديس متى: « ان السيد المسيح قلّد الرسل سلطةً لهم بها ان يربطوا البشر على الارض اعني بهِ ان يتركوهم في قيد الخطايا او يحلوهم اعني بهِ ان يفتحوا لهم باب الخلاص او يمنحوهم المغفرة ». (١ وقال جناديوس احد كهنة مدينة مرسيلية في الجيل الخامس: « من ارتكب خطيئة جسيمة بعد العماد فاني استحلفهُ ان يكفّر عنها جهارًا بالتوبة وبعد ما يقبل الحلّة من الكاهن عليهِ ان يدخل في تعداد الذين يتناولون جسد الرب » (٢

نمسك اليراع عند هذا الحدّ هربًا من الإطالة ودفعًا للسآمة مع اننا لم نذكر الّا يسيرًا من كثير لكن فيما اتينا بهِ كفافًا للمطالع وعبرةً للمستبصر فيتّضح لديه ان في تلك العصور القديمة عرفت الكنيسة سرّ التوبة وحتمت على الخطأة من بنيها بالخضوع الى قوانينهِ وشروطهِ وان الآباء قد اجمعوا الكلمة على دحض اهل البدع كماني ونوڤاسيان ومن حذا حذوهم لانهم رغبوا بوضع حدٍّ للسلطة التي اعطاها السيد المسيح لرسلهِ وخلفائهم. اجل اننا لا ننكر ان طريقة منح هذا السرّ في تلك الأيام تختلف بعض الاختلاف عمّا يعهدهُ الآن الشعب المسيحي انّما ذلك لا يتجاوز العوارض الخارجيّة. فاذا كان الامر على هذه الحال اذا كان التاريخ شرقًا وغربًا يثبتهُ ويُفحم كل مقاوم وناكر فكيف يجسر البعض ويرمون الكلام على عواهنهِ ويرشقون بسهام الشكوى اساقفة وكهنة الجيل الخامس والسادس عازين اليهم الافتراء والتمويه والاختلاق ؟ فاين بيّناتهم الساطعة وبراهينهم السديدة لتقابلها مع شهادات الآباء والمؤرخين منذ ابتداء الجيل الثاني وقد اقتبسناها واوردناها من مظانّها. فليوضحوا لنا ايضًا كيف اتفق ان النساطرة واليعاقبة وقد انفصلوا عن الكنيسة قبل الجيل السادس

١) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٩ ص ١٠٣١)

٢) اطلب (ج ٥٨ ص ٩٩٤)

اقرّوا بسرّ التوبة وحفظوهُ الى عهدنا هذا وجعلوهُ لهم حتماً لازباً. ولسنا بهذا القول نقرّع من وقع في خلدهِ ريب في هذا المعتقد لكنهُ يجب على كل ذي عقل ألّا يدع الشك ينتابهُ بدون ان ينقّب ويطالع ويسأل حتى يبني علمهُ على ركن متين لاسيما في امر ذي علاقة وثيقة العرى مع الحياة الآتية. نتوسّل اليهِ تعالى ان يهدي عبادهُ الى الصراط المستقيم انهُ سميع وعليم

غَرق بغداد

لحضرة الاب انستاس الكرمليّ

إذا جُلتَ في العراق او ما جاورهُ من الآفاق واصغيت الى اقوال الناس لا تسمع منهم سوى حديث واحد هو حديث الغرق غرق بغداد. وقد اخذ الهلع من قلوبهم كل مأخذ إذ لا يعلمون اذا كانوا يموتون في هذه الساعة او بعد ساعات. او يكون ذلك نهارًا او ليلًا. وعلى كل فلا ترى احدًا قد طاب خاطرهُ او قرَّ ناظرهُ في هذه الايام لمشاهدتهِ طغيان مياه دجلة وخروجها عن حدودها وسدودها وانفجارها الى السهول والزروع والبساتين المحيطة بالفراتين من الجانبين

وكل من رأى هذا المشهد البديع والرائع معاً يُحب ان يقف على مثل هذا الحادث في سابق تاريخ بغداد ليقابل الحال بالحال وقد طلب مني بعض الاخوان ان ارصد مقالة في هذا البحث وان ادرجها في المشرق الاغر فلبّيت طلبهُ وكتبتُ هذه السطور

كان دجلة في سابق الزمان نهر يجري فيهِ كل خير وتنبع من مياههِ كل ثروة وكانت اراضيهِ مخزن الاطعمة لديار العراق وما جاورها من الاصقاع احتلَّ سقيهُ الاقدمون من مشهوري الذكر وخامليهِ ومن معروفين ومجهولين من كلدان وبابليين واثوريين وفرس وپرثيين وساسانيين ويونان وغيرهم. وكان هذا النهر او كما يقول اهل العراق هذا الشط يفيض عليهم بكل بركة ونعمة. وما كان يضرُّهم الّا نادرًا والنادر لا يدخل تحت حصر الحاصر. والسبب هو انهم كانوا قد شقّوا منهُ عدّة انهر تتفرع

منهُ فيدفع فيها دجلة مياههُ الزائدة فتفيد اراضي تلك الترع مما يفيض عليها من ذاك الماء المخلوط بالتراب الاحمر المخصب الذي يقوم للزرع مقام ماء وسماد فتَربع تلك الارضون وتاتي بالمثل مائة مثل. وكان الاقدمون يَكرُون تلك القنوات يعني يحفرونها كل سنة عند نضوب مياهها لكي لا تدفن من الرمال المسحولة عقيق تلك الانهر والسواعد لانها تاتي بالويلات والمضرّات عوضاً من النعم والخيرات. وكل أمّة قامت في هذه الديار او تغلبت عليها اتخذت هذه الوسائل المذكورة متسلّمة اياها الواحدة عن الاخرى. وهكذا فعل الخلفاء العباسيون في اول عهدهم بالخلافة فكانوا من المهتمين كل الاهتمام بمثل هذه الامور العظام. ولما اخذ ظلّ سطوتهم بالتقلّص مائلًا الى الزوال بدًا اثر ذلك في جميع اعمالهم ومشاريعهم. ومن الجملة العدول عن اتخاذ الوسائط اللازمة لكرْي الانهر الفرعيّة وتنظيفها من الرمال التي تجرُّها المياه لاسيما مياه الفيض في فصل الربيع من السنة

واول ما جاء ذكر فيضان دجلة بعد بناء بغداد وتدفُّق مياهِهِ الى خارج حُدودهِ وعيثهِ بسهول بغداد ومنع المارّة من السفر في ارجائهِ كان في سنة ٢٢٠ هـ = ٨٣٦ م وذلك في شهر نيسان حينما كان المعتصم يُريد القاطول ويريد البناء في سامرّا فقد صرفهُ حينئذٍ عن قصدهِ كثرة زيادة دجلة فامتنع عن الحركة وانصرف الى بغداد الى الشمّاسيَّة حتّى نزلت المياة الى مجاريها فعاد هو الى قضاء اعمالهِ. وعليهِ فلم يلحق دجلة ضررًا بالمدينة الزوراء (راجع تاريخ الطبري ٣: ١١٨٤)

وفي سنة ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م تغـيَّر ماء دجلة تغيرًا على خلاف المألوف وهو يكون عند اقبال الفيضان أو إقبال الامراض الوافدة كالوباء والطاعون والهيضة وكان لون مائهِ الى الصفرة ففزع الناس لذلك وتطيَّروا من هذا اللون المخيف ثم صار في لون ماء المدود وذلك في ذي الحجَّة لكن العاقبة كانت محمودة وسكن جأش دجلة بدون ان يضرّ باحد (راجع الطبري ٣: ١٤٠٣)

وفي سنة ٣٦٨ هـ = ٩٧٨ م زاد دجلة زيادة مفرطة فغرق كثير من الجانب الشرقي والجانب الغربي واشرف الناس على الهلاك.» اه عن دائرة المعارف في مادة بغداد:

وفي سنة ٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م كان الغرق لزيادة دجلة زيادة مفرطة فغرق الجانب

الشرقي وبعض الغربي وكان السيل قد جاء في الليل وطفح للماء من البرية مع ريح شديدة ودخل من المنازل ونبع من البلاليع والآبار فهلك خلق كثير تحت الردم ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي . (عن دائرة المعارف)

وفي سنة ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م زاد زيادة مفرطة فاغرق الطرقات والغلّات الشتويّة والصيفيّة وغلت الاسعار . (عن الدائرة)

وفي سنة ٥٥٤ =١١٥٩ «كثرت الزيادة في دجلة وخرج التُورَج (مجرى الماء) فوق بغداد فامتلأت الصحارى وخندق البلد ووقع بعض السور فغرق بعض القطيعة وباب الازج والمامونيّة . ودبّ الماء تحت الارض الى اماكن فوقعت واخذ النـاس يعبرون الى الجانب الغربي فبلغت المعبرة عدة دنانير ولم يكن يُقدَر عليها . ثم نقص الماء فكثر الخراب وبقيت المحالّ لا تعرف . وانما هي تلول فاخذ الناس حدودهم بالتخمين (عن ابي الفرج ص ٣٦٣)

وذكر هذه الزيادة صاحب الدائرة بقولهِ : وسنة ٥٥٤ هـ (وفي الاصل المطبوع ٤٥٧ وهو خطأ طبعي) كثرت الزيادة في دجلة فخرق السدود فوق بغداد واقبـل المد الى المدينة فامتلأت الصحـاري وخندق البلد وافسد الماء السور وخرقهُ وغرّق اكثر من ١٥ محلّة ودخل الماء تحت الارض فهدم بيوتاً كثيرة . ثم تهدّم السور وخربت المنازل وجُهلت المحال فكان الناس ياخذون حدودهم بالتخمين واما الجانب الغربي فغرقت فيهِ المقابر وانخسفت القبور المبنيّة وطفا الموتى على وجه الماء فغرق المشهد والحربيّة فكان من ذلك بلاء عظيم . اه

وفي سنة ٦١٤ هـ = ١٢١٧ م زاد زيادة مفرطة لم يسبق لها نظير فقلق الناس اشدّ القلق واجتمع الخليفة والوزراء والعامّـة على سدّ الثغور فغلبهم الماء ونبع من البلاليع والابار وغرق مشهد ابي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان . واما الجانب الغربي فتهدم فيهِ اكثر القرية ونهر عيسى والشطيّات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى واكثر محلّة قطفتـا . وقد جرى اكثر من ذلك سنة ٧٢٥ هـ كما سيأتي في محلهِ (عن الدائرة)

وفي سنة ٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م حدث مدّ دجلة مدًّا عظيماً هائلًا وغرق دورٌ كثيرة

وغرق سفينتان فهلك فيهما نحو خمسين نسمة . (عن ابن العبري ص ٤٣٩)

وفي سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م « زاد الدجلة زيادة مهولة فغرق خلق كثير من اهل بغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس في المراكب واستغاثوا بالله وعاينوا التلف ودخل الماء من اسوار البلد وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمانون دارًا وانهدم مخزن الخليفة وهلك شيءٌ كثيرٌ من خزانة السلاح (انتهى بحرفهِ عن طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥ : ١١٢)

ووصف رشيد الدين هذا الغرق وصفاً هذا بعض كلامهِ قال : « في اخر صيف سنة ٦٥٤ حدثت زيادة غير مالوفة فغرقت مدينة بغداد حتى ان الماء غطّى طبقة المنازل العليا . ودام الغرق في ذلك الصقع مدّة ٥٠ يوماً ثم اخذ الماء بالتضوب وبقي نصف ارض العراق غامرًا وحتى اليوم (اي الى يوم الكاتب المذكور) يضرب اهل بغداد المثل بغرق خلافة المستعصم . وفي اشتداد هول هذه الطّامة الكبرى كان الاجاحِرة وهم من اراذل الناس واشقاهم يهجمون على اهل المدينة ويظلمونهم وياخذون اموالهم » . (انتهى معربًا عن الفارسيّة)

وفي سنة ٧٢٥ هـ = ١٣٢٤ م «غرق ماء دجلة ارض بغداد حتى صارت المدينة كالجزيرة وانحصرت الناس بها وخرب كثير من المحالّ في الجانبين . (عن الدائرة) . وفاق بكثير غرق سنة ٦١٤ و٦٥٤

وفي سنة ٧٥٧ طغى طغياناً فاحشاً فاخرب جانباً عظيماً من المدينة . وقد أرّخ هذا الحادث سلمان الساوجي ببيتين من الشعر الفارسيّ وهذا نصُّهما :

بسال هفصد وپنجاه وهفت گشت خراب بآب شهر معظّم كه خاك بر سرآب
دريغ روضهٔ بغداد ان جشت آباد كه كرده است خرابش سپهر خانه خراب

ومعناهما في سنة ٧٥٧ هـ = ١٣٥٦ م خرّب الماء المدينة المعظمة اتمّ خراب محق الله ذلك الماء . فوا أسفاه عليك يا بغداد يا روضة البلاد التي هدمت سماؤك ما هدمت وخربت ما خربت » . (عن كتاب گلشن خلفاء لمولفهِ مرتضى نظمي زاده ص ٩٤ و٩٥ من نسختنا الخطيّة)

وفي سنة ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٦ م امطرت السماء أمطارًا وابلة بل امطارًا طوفانيّة زادت مياه الفراتين بين دجلة والفرات واجتمعت مياهها في سهول العراق

فغطت الارضين والزروع المجاورة لولاية بغداد كلها فاحدثت من الاضرار والتلف ما لا يصفهُ وصف كاتب مُجيد. وكان ما يحيط بالقلعة يُشبه بحرًا غطمطماً في وسطهِ جزيرة محصّنة لا يقربها جندي باسل ولا يخرج منها احدٌ ولو كان من الصناديد الجبابرة وتدفق سيل الماء في خندق بغداد وكان يومئذٍ عميقاً على خلاف ما هو عليهِ اليوم وغدا « برج الفتح » (واسمهُ بالتركية فتح قُلّه سي) وكان قريباً من الباب الابيض نسياً منسيًّا او كأنهُ لم يكن شيئاً مبنيًّا. وفي عدة مواطن تهدّمت الابراج وخربت الفصلان حول المدينة وانسلع السور في مواضع مختلفة. فبذل الوزير محمّد باشا الخاصكيّ الاصفر الرنّان والابيض الفتّان بسماحةٍ لا تضاهى لا بل وبذل من التعب والنصب ما حبّبهُ للناس كلهم اجمعين. وبعد الغرق اعاد بناء « برج الفتح » وسائر المواطن التي عبث بها الماء او اضرّها النزّ او أخربها عن اخرها. وقد أصلح او بنى كل ذلك على أُسس متينة وأركان حصينة حتى ان جميع الرازة (جميع رازٍ وهو رئيس البنّائين) شهدوا لهُ بفضلهِ وحسن اعتنائهِ بالمباني وقد أرّخ اكبر شعراء بغداد يومئذ بناء ذلك البرج الضخم بقولهِ : « دوزدي بوقلهٔ ممتازي محمّد باشا » . ومعناهُ : « أعاد بناء هذا البرج الممتاز محمّد باشا » ومجموع حروفهِ التركيّة تساوي ١٠٦٨ وهي سنة ترميم البرج المذكور وهي السنة الموافقة لسنة ١٦٥٧ او ١٦٥٨ م

وفي ذلك الاوان تضيّق الوزير نفسهُ من طغيان الرافدين والغرق الذي شمل انحاء المدينة فبرح المحلة المعروفة « بالمنطقة » وذهب فسكن قصرًا عامرًا كان واقعاً في غربيّ بغداد. وقبل ان يأخذ الفرات بالرجوع الى عقيقهِ بعد شرودهِ عنهُ وجد في تجوالهِ في عدة محلات من احياء المدينة مُندفقاً يدفع فيهِ مياههُ قريباً من المنطقة. وللحال نشأت انهر سريعة الجري حالت دون تجوُّل الناس في حوالي دار السلام ولهذا انحصروا في دائرة ضيقة النطاق لا يستطيعون ان يخرجوا منها ولا ان يرجعوا اليها ممن خرج منها قبل ازدياد المياه. فامر الحاكم ان تُلقى عدة جسور على تلك الانهار لتجمع بين المواضع والبيوت والمحلات القريبة. وفي بعض المواطن التزم الاهلون ان يتخذوا أكلاكًا (أطوافًا) وزوارق وقففاً وسفناً ليعبروا من مكان الى مكان آخر

هذا وان الباشا افضت بهِ الحال الى ان يضرب خيمهُ في نفس ذلك الموضع وحشد هناك جمًا غفيرًا وسخرهم ليقيموا سدودًا محكمة عظيمة هائلة الكبر تمكّن

الناس من المسير والتجوال في اهمّ المواضع من المدينة . وكان الوزير نفسهُ قد دبَّر رسم هذه السدّة كما انهُ قوّى سائر السدود والمسنَّيات الموجودة في عدة مواضع واحكم بناءها . ولذا بقيت تلك الآثار مدة سنين طويلة تشهد على ما كان لذلك الوزير الهمام والسيّد المقدام من الايادي البيضاء على مدينتنا الزوراء

زراعة قصب السكر

للشاب الاديب ميشال افندي الياس سماحة

مما لا يختلف في شأنهِ اثنان ان على الزراعة تتوقف حياة البلاد وعلى نموها تترتَّب سعادة الاهلين وازدياد الثروة والتقدم والعمران . واي ارض حلَّها الخصب خفقت فوقها أعلام الرفاه واليسر والهناء والبشر . قال ابن حزم الاندلسي: « اعلموا ان الراحة واللذة والسلامة والعز والاجر في اصحاب فلاحة الاراضي وفلاحة الاراضى اهنأ المكاسب جملةً » . ويُروى انه قيل لابي هريرة: ما المروَّة . فقال: تقوى الله واصلاح الضيعة . ولا يخفى ما في هذه الاقوال من المعاني الجليلة والتعابير البليغة . ومن اقوال الدكتور فيجري بك الكيماوي الشهير في كتابهِ علم الزراعة ما يأتي: « ان الزراعة متى جعل لها نجاح وتقدُّم اتسع بها نطاق التجارة فتتمتع جميع الناس بذلك وتتقوى الصناعات الاخرى فلا يحصل تقدُّم في التجارة كما ينبغي الّا اذا اتقن فنّ الزراعة» . وهو قول يشير الى ان الزراعة هي المصدر الباعث للعمران والترقي فعلى المحصولات الزراعية تقوم في كل واد دولاب الاعمال في المعامل والدور الصناعية . ولذا قد شبَّه الاقدمون تربة الاراضي الزراعية الخصبة بالتبر وعنوا عن طينها بالذهب الابريز وعن سمائها بالباعثة للخيرات والجائدة بالنعيم والبركات الى غير ذلك من الاسماء والنعوت الحسان

هذا ولمَّا كان على الزراعة قيام الحياة والمعيشة لكل انسان . وبدونها ضياع وهلاك كل حيوان فلذلك لا تزال كما كانت منذ القدم موضوع اهتمام الشعوب والامم ومحور الاختبار والعمل والدرس لكثيرين من العلماء المبرزين الذين قد اتقنوا فنونها واضافوا الى دروسها جملة من العلوم كعلم الفيسيولوجيا والنباتية وعلم الحيوان وعلم الميخانيكا

وتحريك الاثقال وعلم الكيمياء الى غير ذلك مما يُدرس الان في المدارس المختصة بفن الزراعة

١ً كلمة في الزراعة

اعتاد مزارعو بلادنا على استغلال الحرير والحنطة والخمر وبعض محاصيل أخرى قد ألفوا زراعتها واستنباتها . غير ان لزراعة التوت النصيب الاوفر في اعمالهم لان التوت يشغل الجزء الاكبر من اراضينا الزراعيَّة سواء كان في السواحل والاساكل البحريَّة او في السهول الداخليَّة كما في اعالي الجبال . وللبلاد من زراعة هذا الصنف محصول عظيم تقوم على موسمهِ حركة التجارة والاشغال ويدور على فوائدهِ دولاب الصناعة والاعمال . ويرى البعض ان لشططاً في انقطاع المزارعين عندنا على زراعة هذا الصنف بتخصيص الجزء الاكبر من الاراضي الزراعية في استنباتهِ لانهُ كثيرًا ما تفاجئ مواسمهُ الطوارئ السيئة والآفات الرديئة فتقضي عليها بالتلف والعدم فالواجب على اهل الاملاك أن لا يقصروا نظرهم على صنف واحد بل يخصُّوا قسماً من الاراضي لاجل درسها واختبار الاصناف المناسبة مع جلب البزور الحسنة وانتخاب الانواع الجيدة . ولست اشير بذلك الى ابطال زراعة التوت من البلاد او الى تفضيل سواها عليها من المحاصيل الاخرى والتي يجهل مزارعو بلادنا امرها تماماً . بل جلُّ ما ارمي اليه هو الاشارة الى بذل شيءٍ في نفع العموم وصالح الكل ووجوب عمل التجربة والامتحان في الاراضي رغبةً في ادراك الافضل والاحسن . واستجلاب المفيد والانفع سيما واننا نرى ان في سواحل سوريَّة وفي داخليَّة البلاد سهولًا واسعة واراضي جيدة مخصبة يحسن زراعتها باصناف عديدة ويسهل اعادة اختبارها لاخراج احسن المحاصيل . حدثني في المدَّة الاخيرة شخصٌ عالم بالاصول الزراعيَّة لاسيما باصول بلادنا الاقتصاديَّة قال : يوجد في سوريَّة اراض كثيرة تناسب وتصلح لزراعة محاصيل جمة مجهولة لدينا . وخصَّ بقولهِ السكر زاعماً ان زراعة هذا النبات تجود عندنا كثيرًا خصوصاً في السواحل وعلى الشطوط البحرية حيث تشاهد لهذا النبات عند البعض زراعة حسنة نامية . فاذا غرس عندنا هذا الصنف في الاراضي الجيدة وعلى حسب الاصول الزراعيَّة وقُدمت لهُ الخدمة اللازمة مع وجود الادوات النافعة لتكرير عصارتهِ لا بُدَّ ان يعود على البلاد بمحصول وافر ودخل عظيم

٣ً منشأ قصب السكر

هو من الفصيلة المعروفة في علم الطبيعة بالنجيليَّــة (graminées) من صنف النباتات السكرية وقد سمي بقصب السكر للدلالة على شكلهِ ومعناه . فهو يماثل بطول ساقهِ وعقده القصب والخيزران (jonc) والخيزران الهندي (bambou) وغيرَ ذلك مما هو على صورتهِ من علم النبــات . وقد أُضيف الى السكَّر لما يحتوي من المادة السكرية التي تُستقطَر منهُ . وجذور قصب السكَّر ليفيَّة تنقسم الى عُقد ويبلغ ارتفاع القصبة من ثلاثة الى اربعة امتار واوراقهُ مغمدة على شكل الحراب تتقارب او تتبــاعد على اختلاف وضع العقد في قربها وبعدها ولهذا القصب ازهار كالسنبلة ليّنة الملمس بيضــاء اللون . ومما رواه ابن بيطــار في مفرداتهِ (٢ : ٢٢) عن انواعهِ قال : « قصب السكَّر انواع فمنهُ ابيض ومنهُ اصفر ومنهُ اسود والاسود لا يُعصر وهو يغلظ ويعبل حتى لا تحيط بهِ الكفَّان وانما يُعتصر الابيض والاصفر ويقال لعصارتهِ عسل القصب واجوده ما يُجاء به من ارض الزنج اصفر مثل الاترج والقند ما يجمد من عصر قصب السكر ثم يتخذ منهُ السكر ويقال لما جُعل فيه القند من السويق وغيره مقنود ومقند كما يقــال معسول ومعسَّل » . وقال دواد الانطاكي في التذكرة (١ : ٣٦٣) : « قصب السكَّر اجودهُ المصري فالهندي الغليظ الغض الكثير الماء الصادق الحلاوة الطويل العقد » . ويذهب المؤرخون ان منشأ زراعة هذا الصنف كان قديمًا في افريقية وفي بلاد الهند . وفي الجيل الثالث من التاريخ المسيحي نقلهُ العرب الى بلادهم وقد ذكرهُ نصري خسرو في رحلتهِ الى الشام في القرن الحادي عشر (ص ١٢) قال انهُ وجد مزارعهُ في طرابلس . ولم تدخل زراعة قصب السكر الى اوروبة حتى اوائل القرن العاشر وقد كان ذلك بفضل العرب الذين نقلوا ايضًا اذ ذاك الى عالم الافرنج شيئًا من علومهم ومعارفهم الصناعيَّة والزراعيَّة . وروى بعضهم ان زراعة قصب السكر قد دخلت اوربَّة في الجيل الثاني عشر بواسطة الصليبيين

فمن جزيرة قبرص نقلت فسائل هذا النبات الى جزيرة صقليَّة ثم الى اسبانيــة وفي عام ١٥٢٠ سعى الاسبان بنقل زراعة قصب السكر الى جزيرة ماديرة (Madère) ثم الى مستعمراتهم الافريقيَّة في جزائر كاناري فنما هنالك نموًّا حسنًا وتوفَّرت محصولاتهُ

ثم سعى الاسبان والبرتغاليون بعد افتتاح اميركا فادخلوا زراعة هذا الصنف الى مستعمراتهم ونشروها في اكثر البلاد التي فتحوها . فعمّت اذ ذاك هذه الزراعة جميع الجزائر والنواحي ولاسيا جزائر الارخبيل الانتيليّ وتقدّمت في تلك البلاد تقدماً عجيباً خصوصاً في جزيرة سان دمنجو التابعة للدومنيك ولهذه الجزيرة شهرة واسعة بحسن زراعتها ووفرة محصولها من قصب السكر . ويزرع هذا النبات ايضاً في بلاد المكسيك والبرازيل وفي شمالي اميركا وكذلك في شمالي الهند وفي جزائرها الغربيَّة وفي الصين واليابان وفي جزيرة مدغسكر وجزائر صندويتش وفي جزائر فيجي الانكليزية وفي جزائر سولقان الافرنسيَّة وفي جزيرة جاوة الهولندية وفي سهول افغانستان وفي بلاد العرب وبلاد مصر لاسيا الصعيد ويزرع ايضاً قصب السكر في جهات مختلفة في سواحل بلاد اليونان ومقدونية وبر الاناضول وبر الشام الى غير ذلك

٣ اصول زراعتهِ

تنمو زراعة قصب السكر في البلاد الحارَّة اكثر ممَّا في خلافها غير انَّ اكثر نموهِ في تلك المناطق قد يكون برّيًا وعلى حالتهِ الفطرية . والمألوف في زراعة هذا النبات انهُ ينمو على الشواطي البحرية خصوصاً في الجزر . واحسن الاجناس ما كان اصل فسائلهِ من جزيرة سان دمنجو او من بلاد الفلمنك ويقال ان المصريين استجلبوا من تلك البلاد اصناف التقاوي التي تزرع الان في مصر . واذا وافى زمن النضج ظهر في اعلى ساق هذا النبات زهر وبزر صغير ويندر ظهور مثل ذلك في زراعة القصب البستاني ومع هذا قلمَّا يعتني المزارعون في توليد السكر من بذره بل من الفسائل والعقل . ويذهب البعض الى ان اهمال توليد هذا النبات من بزره وتكرار زراعتهِ من الفسائل والعقل قد اضعف بزرهُ جدًا حتى لم يعد يتولد منهُ . غير انهُ يؤخذ من الاخبار الاخيرة ان بعض العلماء من الباحثين في تحسين زراعة هذا النبات قد توفَّقوا الى وجود نوع جديد من قصب السكر استنبتوه من بزرهِ وهم يزعمون ان محصول زراعة الصنف الجديد يزيد ٢٥ في المائة على محصول الزراعة المعتادة

وتبتدئ زراعة قصب السكر في اوائل الفصل الربيع وهو يجود الَّا في الاراضي الجيدة المخصبة القريبة من المياه فتحرث اولًا الاراضي على شكل مربعات او على هيئة

خطوط تكون المسافة بين كل خط وآخر نصف متر على الاقل ثم تُقطع الميدان قِطَعاً متوازية . وهم ياخذون من كل عود ثلاث او اربع فسائل تعرف عند المزارعين بالعقل ويضعونها في الارض وضعاً افقيًا على احد جانبي الخطوط . ثم يغطونها بنحو اربعة قراريط من الطين ويجعلون مسافة البعد بين كل عقلةٍ واخرى نصف متر على الاقـل لسهولة سير الميـاه وسرعة جريانهِ فيما بعد عند السقي وخصوصاً مجرى الهواء ونفوذ الضوء والحرارة ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد ويجب على المزارعين ان يعطوا هذا الامر حق الملاحظة والانتباه . وعند نموّ الزريعة وحصولها على ما يقارب قدماً الى قدمين من الارتفاع يُحفر حولها ثم يُفصل عنها جميع الفروع الضئيلة بحيث لا يُترك في حفرة الفسيلة الواحدة اكثر من ثلاثة ازرار جيدة صالحة ويعاد حفر الارض بعد ذلك بشهر واحـد تقريباً ويُفرز عنها جميع النباتات والحشائش الغريبة ثم يوزعون على الحفر المقدار المنـاسب من السماد

ويتمّ نضج قصب السكر في اول فصل الشتاء وقد يكون قبل ذلك بشهر واحد ويكون النبـات قد بلغ اذ ذاك من متر ونصف الى مترين ارتفاعاً ويزيد على ذلك في في الاراضي الجيدة الخصبة فيحصل ارتفاعهُ ثلاثة امتار ويبلغ عدد عقدهِ الى ١٨ عقدة ويكون سكرهُ اشدّ حلاوة . واذا أُهمـل قطعهُ في وقت نضجهِ فقدَ قسماً من سكرهِ ومثلهُ اذا تُرك زمناً طويلاً قبل العصير . وهم يتركون جذورهُ في ارضهـا فتبقى حتى اذا وافى زمن الزراعة نبتت فتعاد اليها الخدمة اللازمة ويستثمر المزارعون جذور قصبه على مدة ثلاث سنين في الاراضي الجيدة الخصبـة غير ان محصولهُ في السنة الاخيرة يكون اقل فائدة مما تقدَّمها :

ويفاجئ زراعة هذا النبات في بعض الديار آفة الدودة وهي المعروفة عند العامـة بالسوس . قال الدكتور فيجري بك بهذا الصدد في كتابهِ علم البراعة في حسن الزراعة ما يأتي بحرفهِ :

ويُعرف نضجهُ (قصب السكر) باوراقهِ التي تصير صفراء وبنموّ دودة تكون في باطنهِ وهذه الدودة تنسب الى فراش ليلي يُسمى نوكتوا (noctua) فتكوّن هـذه الدودة ناصورًا في طول العود من اعلى الى اسفل فيتلف محلهُ ويتلوّن باللون الاحمر الدموي واحياناً ينتشر هذا النـاصور في جميع طول العود فيصير ذا طعم حامض ورائحة كريهة . ومن فضل الله سبحانهُ وتعـالى ان هذه

الدودة لا تصيب قصب السكر الا زمن نضجهِ ولا تنتشر على نباتات عديدة منهُ وحينئذٍ ينبغي الاسراع بقطع القصب من الارض لئلا يصاب جميعهُ بهذا المرض

٤ً استحضار السكر وزمن استعمالهِ

يُقال ان استحضار السكَّر قد نشأ اولًا في الهند غير ان المادة السكرية كانت معروفة لدى الصينيين قبل زهاء الف سنة قبل التاريخ المسيحي . وقد ظلَّ السكر اجيالًا عديدة مجهولًا من عالم اوربَّة وما كانوا يستعملونهُ لغير العلاج وكان نادرًا جدًا عندهم يُروى انهُ كان يباع في فرنسة في زمن حكم هنريكوس الرابع بالاوقية . وما كان يستجلبهُ اذ ذاك سوى بائعي العقاقير والادوية الطبيَّة . وكان يدعى عندهم بالملح الهندي (sel indien) : وفي عام ١٦٠٥ استدلَّ الفرنساوي اوليفيه دي سير (Olivier de Serres) على وجود المادة السكرية في البنجر (betterave) ثم تبعهُ بعد ذلك في هذا البحث الكيماوي العلامة ماركراف (Margraff) الالماني وفي عام ١٧٩٩ عرض الكيماوي اشارد (Achard) على انظار ملك بروسية في برلين مبتكرات مصنوعاتهِ من السكر . وقد اهتمَّ ايضاً بعد ذلك كثيرون من ارباب العلم بصناعة استخراج السكر من البنجر

وفي عام ١٨١٠ منع بونابرت دخول سكر القصب الى اوربَّة فضعف بذلك شأن هذه الزراعة النافعة لكنَّ سقوط نابوليون اعاد لهذه السوق رواجها بعد كسادهِ

ويتحصل من القصب كميَّة كبيرة من السكر تزيد كثيرًا على ما يستخرج من البنجر فهم يعدلون من ٧٥ الى ٨٠ قيمة المتحصَّل من قصب السكر من المادة السكرية وقد لا يتحصل ٧ بالمائة من البنجر . اما تحضير السكر وعصره وكيفيَّة تكريره الى غير ذلك فلهُ عمل خاص ووصف يستغرق مقالة مطولة تخرجنا عن جادة الموضوع الذي نحن في صددهِ . فندعه لفرصة أُخرى

٥ً فوائد قصب السكر

ان الفوائد العائدة من زراعة قصب السكر كثيرة ومنافعهُ جليلة اهمها السكر المستخرج من عصارتهِ فيُبنى على هذه المادة السكرية عمل خطير يقوم بجهاز اكثر الاطعمة ومنهُ غذاء مفيد للصحة والاجسام . ويستخرج من قصب السكر مشروب روحي يسمونهُ الروم (rhum) ويستعملونهُ في الصنائع والفنون ونحوها . ويتحصل من بقايا

عيدان قصب السكر نوع من الاسبرتو وهو من احسن الاجناس . ويصنع اهل صعيد مصر عسلًا يستخرجونهُ من عصارة القصب يشابه عسل النحل بحلاوتهِ وشكلهِ ويصدرون منهُ كثيرًا ضمن زلع الفخار ويباع منهُ في عموم القرى والجهات ويسمونهُ بعسل القصب . اما فوائد السكَّر فمتعدّدة يخرجنا ايضاحها عمَّا تحرَّينا وصفهُ . وكذلك انواعهُ كثيرة منها سكر النبات وهو النقي المتبلور ويُلوَّن باللون الازرق احيانًا بمنقوع زهر البنفسج ثم السكر المحرق وهو الذي قد اثر فيهِ فعل الحرارة والسكر المكرَّر وهو الخام الذي قد جُرّد من المواد الغريبة . وجميع هذه الانواع تستعمل ملطفة صدرية ومصلحة لطعم الادوية وغير ذلك ممَّا لا حاجة الى الاتساع فيهِ وفي ما قلنا كفاية لبيان اهميَّة زراعة قصب السكَّر وما يترتب عليهِ من الارباح الطائلة لاسيما في سواحل بحر الشام التي توافق تربتها هذا الصنف وتجود فيها على غاية ما يُرام

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وقد خلَّف لنا آثارًا ادبيَّة اوسع من السابقين رجلٌ سبقت لنا ترجمتهُ واطراء فضلهِ في باب التاريخ (ص ٤٧٠) نيقولا الترك فانَّ طول باعهِ في الاداب ليس دونهُ في التاريخ ولدينا من نظمهِ الرائق ونثره المسجع الفائق ما يشهد لهُ بالتقدُّم بين آل عصره . وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من ديوانهِ تنيف النسخة على ٤٠٠ صفحة ترى فيها كل مضامين الكتابة في الرثاء والمدح والوصف والمزح . وقد عارض اصحاب المقامات فوضع منها احدى عشرة مقامة نسبها الى راوٍ دعاهُ الحازم ومسفار فكه سمَّاهُ ابا النوادر . وفي كتابنا علم الادب (١ : ٢٧٨) مقامة منها وهي الاولى المدعوَّة بالديريَّة نسبةً الى دير القمر قدَّمها المؤلف للامير بشير واودعها من حسن التعبير وبديع اللفظ وبليغ المعاني ما يدلُّ على براعتهِ في فنون الانشاء . اما شعرهُ فمنسجم سهل المأخذ مطابق لمقتضى الحال مع كثرة التفنُّن في النعوت والاوصاف وفيهِ مع ذلك بعض الضعف اذ نبغ في الشعر بجودة قريحتهِ دون الدرس على استاذ يلقنهُ ومعلّم يرشدهُ . وها نحن نثبت هنا شيئًا من

شعرهِ لافادة القرّاء وتنويهاً بحسن صفاتهِ فمن ذلك قولهُ في مدح الامير بشير وهي اول قصيدة قالها فيهِ :

دنا البشرُ الجيد المستصابُ واشرق في معاليهِ الشهابُ
وتمَّ لنا المنا بمزيد أمن بهِ زال العنا والاضطرابُ

الى ان قال :

عزيمتهُ الوفية في الوغا كم بافئدة العدا منها ارتعاب
وكم رنَّت مسامعها ارتعاشاً اذا ما رنَّ في يدهِ القضابُ
تهاب متين همتهِ البلايا ويخشى صوت صولتهِ المصابُ
وترتعد الحوادث منهُ خوفاً ويعلو الهول منهُ الارتعابُ
لهُ في المشكلات حميد رأيٍ وحزمٍ لم يزغ عنهُ الصوابُ
بلي الهيجاء في عزمٍ شديدٍ لديهِ لانت الصمّ الصلابُ
كماةُ الحرب عند لقاهُ فرَّت كما فرَّت من الليث الذبابُ
وان خفقت بنور سطاه صاحت غشا الضرغام وانقضَّ العقابُ
يُبدِّد شملها منهُ ويفني كما يفنى من الشمس الضبابُ
ملاذٌ مقصدٌ حصنٌ منيعٌ رجاهُ لا يُرَدُّ ولا يخابُ
اذلَّ الله اعداهُ لديهِ وقد خضعت لعزتهِ الرقابُ

ولهُ ايضاً فيهِ من قصيدة قالها بعد واقعة حربٍ :

سواك الى المعالي ليس يدعى لانَّ الله احسن فيك بِدْعا
وزانك بالمزايا يا حميداً بهِ الدهر ارتضى واختار قطعا
اميرٌ لا امير سواه يرجى مليك كامل خلقاً وطبعا
بشير خوَّل الدنياه بشراً بهِ طاب الورى قلباً وسمعا
شهاب اوعب الافاق نوراً على نور الثريَّا فاق سطعا
اذا اعددتهُ يوماً بفردٍ من الافراد كنت تراه سبعا
ندى كفَّيه حلَّ عن انكفافٍ كانَّ الله اجرى فيهِ نبعا
فما الفضل ابن يحيى وابن طيٍّ وهل معنًى لمن بعدُ يدعى
بصارم عدلهِ كم بتَّ جوراً واحيا لانتصار الحقّ شرعا

وقال مهنئاً قدس السيد اغناطيوس قطَّان بارتقائهِ الى السدَّة البطريركيَّة سنة ١٨١٦ وكان اسمهُ اولاً القس موسى :

خوَّلتَ يا فخر البطاركة المنا للشعب ثمَّ حسمتَ كلَّ تراعِ
لمَّا ارتقيتَ لسدَّةٍ بك شرَّفتْ يا كامل الاوصاف والاوضاعِ

وأنرتَ يا قطَّانُ قُطان الديا ر وفيك باهت سائرَ الاصقاعِ
يا حبر احبار البلاد وسيّدًا ابدًا لهُ عينُ الاله تراعي
وبك استضا الكرسيُّ لمَّا ان وفى حسن الدعا فه والاضراعِ
لبَّاه بالافصاح ارّختُ الهدى موسى لشعب اللّه افضل راعِ

ومن رثائهِ ما قالهُ في الشهيد بطرس مرّاش سنة ١٨١٨ لمَّا قُتل في حلب بسعي جراسيموس الدخيل مع غيره من الكاثوليك:

كم يشتكي قلبي الموجَّع كلَّما قد مضَّهُ الهمُّ الذي قد كلَّما
بل كما تراني عند ما يشتدُّ بي حرُّ الجوى اهمي الدامعِ عَندما
ما حسرة الثكلاء ما الخنساء مذ كانت تئنُّ توجعاً وتألُّما
تبكي نعم لكن على صخر الفلا وانا على صخر العُلى ابكي دما
وافجعتاهُ بهِ ويا اسفي على ذاك الشباب النضّ كيف تهشَّما
شُلَّت يدُ الباغي الذي قد اهرقتْ دمهُ الزكي وحلَّلت ما حُرّما
حيَّاهُ من شهم شجاعٍ باسل بطل الى القتل المريع تقدَّما
بدل الحياةَ الدنيويَّة بالبقا واختار مجدًا سرمديًا دوَّما
لله فجعة بطرس كم فتَّتت كبدي وألقت في فؤادي اسهما
لله فرقةُ بطرسٍ كم اوحشت تلك الربوع واظلمت ذاك الحما
لله لوعة بطرسٍ كم أجَّجت في مهجتي الحرَّاء جمرًا مضرما
ما حيلتي ما طاقتي فنيَتْ وها جَلَدي وهاك الصبر مني مُعدما
طوباه اذ من بعد اصلح سيرةٍ ومناقبٍ منذ الصبا فيها نما
وافى الى سفك الدما بشهامةٍ وغشي المنايا مسرعاً متقحما
وانضمَّ منحازًا مع الشهداء في جنَّات خلدٍ بالسماء منعَّما
يا طيب مثوًى ضمَّ طاهر جسمهِ يا فوز من وافى اليهِ ميمّما
فلذاك قلتُ صلوهُ تمجيدًا بتا ريخ ففي دمهِ الزكي ورث السما

وهي طويلة. ومن نظمهِ ما قال يهجو بعض القوالين الذين يسرقون ابياتًا وقصائد قديمة وينسبوها لهم:

اصبح الشعر كالشعير مقاماً لا بل الشعر منهُ ارخص قيمه
غرُّ من قد غدا بذا الدهر ينفي حقَّ ما فيهِ من لآل نظيمه
حيثما قد غدت بنو الخلط تنشا فيهِ بئس المؤلفات الذميمه
ويحهم كيف جوَّزوا واباحوا هتك ما فيهِ من عروضٍ سليمه
يا لهم من فواجرٍ بغباهم والخطا غوَّروا البحور العظيمه
نقضوا كل كاملٍ موزونٍ ذي احتكام وعوَّجوا مستقيمه

افسدوا جوهر البسيط وفيهِ ركّبوا اقبح الصفات الذميمه
قلّ ان يُنقذ الخفيفَ فرارٌ منهمُ او تقي السريعَ هزيمه
ضعضعوا الوافر المديد وامست بينهم حالة الطويل مشومه
كلهم كالذئاب قوم لصوص يستحلّون سرقة محرومه
قاتل الله مثلهم من يسطو باقتراه على البيوت القديمه
كم جهم ابكمٌ يقلّد قسًّا فيهِ قد كانت الفصاحة شيمه
بل وكم بينهم ترى مهذارًا فاتحًا شدقهُ كشدق جهيمه
حرفة الشعر يا عبادُ توفّت فاسكبوا فوقها الدموع الحميمه
رحمة الله والسلامُ عليها حيث راحت من البنين عقيمه
يدّعون التقول فيها التبني وهي فيما ادّعوا بهِ متهومه
عظمها في التراب ما زال يشدو يعلم الله انّي مظلومه

ومن موشحاتهِ ما قالهُ في مدينة طرابلس ومدح اهلها:

بأبي عهدُ التهاني والصفا زمنٌ مرَّ بطرَبْلُسِ
يا هنا عيش رغيدٍ سلفا لي بذاك المعلم المؤتنَسِ

دور

حبّذا الفيحاء اهنا كل نادْ والحمى المعمور والركن الحصينْ
كتب السعدُ عليها يا عبادْ ادخلوها بسلام آمنينْ
بلدةٌ طيبةٌ خير البلادْ والمقام المشتهى للناظرين
اهلها قوم لطاف ظرفا نعم امجادٍ كرام الانفسِ
ما لهم عيبٌ سوى حسن الوفا والخلوص المتنأى عن دنسِ

دور

حيِّ يا ريحَ الصبا ذاك الكثيبْ بضواحيهِ وذيّاك المقامْ
وعلى كلّ محبٍّ وحبيبْ اتلي عني يا صبا الف سلام
واذا جزتِ بواديه الخصيبْ بلغي شوقي لساداتي الكرام
خبّرِهم انّ جفني قد جفا بعدهم لذّات طيب النعسِ
وفؤادي راح يشكو الكلفا من هموم حقّ قبضِ النفسِ

وهو موشّح طويل. وممّا امتاز بهِ الترك مداعباتهُ واقوالهُ الفكاهيّة. فمن ذلك ما رويناهُ لهُ في كتابنا علم الادب (١: ٢٤٩) مناظرة بين الزيت واللحم. ومنها قولهُ يطلب من الامير بشير شروالًا وعمامة:

وشروالٍ شكا عتقًا واسى يراودني التناق فما عتقتُ
وكم قد قال لي بالله قِلني وهَبني كنت عبدًا وانطلقتُ

اما تدري باني صرتُ هرماً | وزاد عليَّ اني قد فتقتُ
فدَعْني حيث قلَّ النفع مني | وعاد من الحال ولو رُتقتُ
ولا تعبأ بتقليبي لانّي | بعمر ابيك نوح قد لحقتُ
ولم يبرح يجدّد كل يوم | عليَّ النبي حتَّى قد قلقتُ
وقلت لهُ عُتقت اليوم مني | لاني في سواك قد اعتلقتُ
فأشعرتِ العامةُ في مقالي | لهُ فاستحسنت ما قد نطقتُ
فراحت وهي تشدو فوق رأسي | لي البشرى إذن وانا عُتِقتُ

وممَّا نُقش من شعره في معاهد بيت الدين التي ابتناها الامير بشير قولهُ وهو مرقوم فوق باب احدى القاعات :

دارُ المعالي التي فاقت مفاخرها | والعزُّ قد زادها حسناً وجمَّلها
تزينت في معاني الظرفِ واكتملت | بقاعةٍ ارّخوها لا نظير لها

وكتب على دائرها هذه الابيات استغاثة الى العزّة الالهيَّة على لسان الامير :

الله الله انت الواحدُ الاحدُ | والسرمدُ الازليُّ الدائمُ الصمدُ
حيٌّ عزيزٌ قدير خالقٌ ولهُ | من في السماء ومن في ارضنا سُجُدُ
لا ربَّ غيرك يا مولايَ نعبدهُ | ولا سواك الهًا فيهِ نعتقدُ
انت القنا والمُنا والفوزُ اجمعهُ | والعونُ والغوثُ والانجاد والمددُ
ما لي سواك غياثٌ لي اطالبهُ | كلَّا وغيرك ما لي في الورى سندُ
خوّلتني يا الهي خير تسمية | فكنت فيك بشيرًا انت لي عضدُ
فاللبُّ والروح كلٌّ فيك مشهدهُ | والفكرُ والقلبُ والاحشاء والكبدُ
بل كل جارحةٍ مني وعاطفةٍ | تصبو اليك ونار الحبّ تتَّقدُ
اذ انت علَّة نفسي انت مركزها | يا رب كلٍ ومنهُ الخلق قد وُجدوا
يا ربّ امننْ بعفوٍ منك لي كرمًا | واغفر جنايات عبد منك يرتمد
وجُد بخاتمةٍ يا رب يعقبها | ذاك النعيم السعيد الثابت الوطدُ

هذا ولو شئنا لاتسعنا في ذكر منظومات نيقولا الترك وانما نجتزئ بهذا القليل وفيه كفاية لتعريف طريقة ذلك الشاعر الذي كان من اعظم السُّعاة في النهضة الادبيَّة في مبادئ القرن التاسع عشر وديوانهُ يستحقُ الطبع لان صاحبهُ الاديب نظمهُ في وقت كسدت فيهِ تجارة الاداب فيشفع في ضعف بعض اقسامهِ الكثير من محاسنهِ

وممن نلحقهم بهولاء الشعراء بعض من معاصريهم النصارى ابقوا لنا آثارًا من فضلهم وهي تآليف ومصنفات ادبيَّة غير الشعر واولهم جرمانوس آدم الحلبي الذي لعب دورًا مهمًّا في تاريخ زمانهِ . ولد في حلب في اواسط القرن الثامن عشر ونشأ فيها

ثم تخرج في الاداب الكنسيَّة والعلوم الدينيَّة والمعارف الدنيويَّة في رومية العظمى حتى اصاب منها قسماً صالحاً. وقد عُهدت اليهِ لمقدرتهِ عدَّة مهمَّات قام بها قياماً حسناً وتولى القضاء مدَّة في لبنان ولهُ تآليف متعددة تشهد لهُ بقوة الفهم واتساع المعارف واكثرها دينيّة منها كتاب ايضاح اعتقاد الآباء القديسين في الحاد المشاقين وهو سفرٌ كبير وايضاح البراهين اليقينيَّة على حقيقة الامانة الارثدكسيَّة وكتاب الجامع اكباسوطيوس (Cabassut) ولهُ تآليف اخرى شطٌ فيها عن تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة لكنَّهُ رذلها قبل وفاتهِ. وتوفي في زوق ميكائيل في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٠٩

وفي عهدهِ عُرف راهب من ملَّتهِ الروم الكاثوليك وعاش بعدهُ ردحاً من الدهر اعني بهِ سابا بن نقولا الكاتب الشهير بالخوري سابا. كان مولدهُ في حمص وكان ابوهُ من الروم الارثدكس وأُمه كاثوليكيّة فنشأ على دين والدهِ مدَّةً ثم اهمل نفسهُ للاذّ الدنيا حتى ارعوى وارتدَّ الى الله بعد ان رأى عيشة الرهبان الكاثوليك في دير المخلّص فتبعهم في دينهم ثم في طريقتهم النسكيَّة واخذ العلوم العربيَّة عن الشيخين يوسف الحرّ من علماء جباع واحمد البزري. وبعد كهنوتهِ سافر الى رومية حيث اتقن العلوم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وتعلَّم اللغات الاوربيَّة ثم رجع الى الشرق وانكبَّ على الاعمال الخيريَّة الَّا انَّ الامراض دهمتهُ فاحوجتهُ الى لزوم ديرهِ فانقطع الى التأليف وصنَّف كتباً عديدة في اخصّ المعتقدات المسيحية اكثرها لا يزال مخطوطاً طبع منها شيئاً الاديب شاكر افندي البتلوني. ولهُ مصنَّفات اخرى في معظم الابحاث الفلسفيَّة منها رسائل في النفس وجوهرها وخواصّها. ومنها كتاب في المنطق نُشر بالطبع وغير ذلك ممَّا عدَّدهُ صاحب تاريخ الروم الملكيين (ص ٧٨-٧٩) ورُقّي الى رئاسة رهبانيَّتهِ العامَّة نحو تسع سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول من السنة ١٨٢٧ (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

William Ewing, M. A.: Arab and Druze at home,—A record of travel and intercourse with the peoples east of the Jordan. *London*: *Jack*, 1907, pp. 180.

رحلةٌ الى بلاد الدروز واهل الوبر القاطنين شرقي الاردن

هذا عنوان كتاب وضعهُ السير وليام ايوين وضمَّنهُ اخبار رحلتهِ من دمشق الى

حوران فالبادية فنواحي الاردن وقد وصف فيهِ بعض ما عاينهُ من الحوادث والمشاهد واطلع عليهِ من عادات سكان تلك الاصقاع في معيشتهم وقراهم للاجانب وزيّنهُ بخارطة للامصار التي اجتاز فيها وباحد وثلاثين رسماً اتخذ معظمها بآلة التصوير. وكان بوسع السير وليام ان يتقصَّى المواد التي كتب عنها ويدقق بهـا النظر ليكون تأليفهُ مرجعاً للعلماء يقبلون عليهِ فيقتبسون من فوائدهِ لانهُ حطَّ رحالـهُ خمس سنوات في طبرية لكنَّهُ آثر ان يتحفنا بكتاب اقرب للفكاهة منه للعلم الصادق. ومهما كان الامر فاننا نقدّر هديتهُ حقَّ قدرها ونسدي الى حضرتهِ الشكر الحميم ي. خ.

P. Girolamo Golubovich O. F. M.: Biblioteca Bio-bibliografica della Terra Santa e dell'Oriente Francescano: T. I. 1215-1300. *Leipzig*, . *Harrassowitz*. Gr. 8°, VIII-480 p., 1906.

المكتبة الفرنسيسية لرهبان الاراضي المقدسة

ليس لرهبانيَّة غربيَّة علاقات مع المشرق كالرهبانيَّة الفرنسيسيَّة فانَّ منشئها سكن الشرق مدَّةً. ثم عهد الكرسي الرسولي لابنائهِ حفظ الاراضي المقدَّسة. ومذ ذلك الحين قد مرَّ في هذه البلاد الوف من الفرنسيسيين وهم يصطنعون الخير. وكان العلماء يودُّون ان يجمع احد آثار اولئك الافاضل فيروي من اخبارهم جيلاً بعد جيل ما يُعرف منها مع الدلالة على المصادر المأخوذة عنها وفقاً للمبادئ العلميَّة. وهذا العمل الجليل قد اراد القيام بهِ احد علماء الرهبانيَّة المنوَّه بها وهو حضرة الاب غولوبوفتش الذي اشتهر سابقاً بمصنَّفاتهِ الاثيرة. وها هوذا قد اهدانا الجزء الاوَّل من تأليفهِ الجديد الذي يشمل اعمال الفرنسيسيين في الشرق منـذ السنة ١٢١٥ الى السنة ١٣٠٠ مباشرةً بمآثر القديس فرنسيس يليها ذكر الديورة الاولى التي انشئت من بعدهِ في سوريَّة كالقدس الشريف وعكة وصور وصيداء وبيروت وطرابلس وحلب. وكانت هـذه الديورة داخلة في حيّز اقليم يُعرف باقليم الاراضي المقدَّسة او اقليم ما وراء البحر. وفي السنة ١٢٤٦ قدم على الموارنة اوَّل قاصد رسولي من الرهبانيَّة ذاتها (ص ٢١٥) ثم تبعـهُ في منصبهِ غيرهُ كثيرون الى عهد الراهب فرا غريفون الذي سطَّرنا في المشرق ترجمتـهُ. هذا ولا يسعنا هنا ان نعدّد كل الرجال العظـام الذين نوَّه بذكرهم حضرة المؤلف في اثناء القرن الثالث عشر فنحيل القرَّاء الى مراجعـة كتابهِ حيث يجدون عدداً دثرًا من

المعلومات الخطيرة التي جمعها من موارد شتى وانتقد صحّتها وكلها تفيد عن الشرق الفوائد الجمّة. وقد اعجبتنا طريقتهُ في ترتيب هذه الآثار وانتقادها وبيان غثّها من سمينها. وممَّا لحظناهُ من الاغلاط الطفيفة كتابتهُ للشوبك (Sobal) (ص ١٨٣ حاشية ١) وكتابتهُ للسويديَّة عند مصبّ العاصي (Portus Sudi) والصواب (Sudin) (ص ١٨٣ حاشية٢) هذا وانَّنا نستصوب قول الكاتب جاك دي ڤتري (ص ٦٦ حاشية ٣) في اشتقاق اسم الجبل الاسود (امانوس) المجاور لانطاكية. وكان يجدر بالمؤلف ان يضيف دفعًا للالتباس الى اسم القديس سمعان العموديّ لقب «الصغير» وهو القديس الذي بسببهِ عُرف هذا الجبل بالعجيب. امَّا القديس سمعان العموديّ الكبير فانَّ مقامهُ كان بين انطاكية وحلب — وكذلك نظنّ ان المقصود في الصفحة ٣٦٨ باسم (Mom-minas) هم الموارنة وقد تصحّف الاسم بسوء رواية النسَّاخ ه. ل

الانسان ابن التربية

بقلم الاديب جرجي افندي نقولا باز (١٩٠٧ ص ١٠٠)

انَّ من يطالع هذا الكتاب لا يلبث ان يتحقَّق سلامة نيّة كاتبهِ ورغبتهُ في تنشيط النشءْ الحسن وسعيهُ في بيان مضارّ التربية الرديئة. نعم انَّنا نسلّم لهُ بكل طيب قلب بانَّ الانسان ابن التربية كما عنون تأليفهُ. الَّا انَّ المنتقد يتبيَّن ايضاً في مطالعة الكتاب انَّ صاحبهُ في الانشاء وبسط الكلام اقدر منهُ في المبادئ الفلسفيَّة الراهنة فتراهُ يطرئ التربية الحسنة ويتَّسع في ذكر الحاجة اليها ويعدّد منافعها الَّا انهُ يخلط في كل هذه الاقوال ما ينقض شيئاً من مزاعمهِ او يضعفها بما لا علاقة لهُ مع التربية. ولو تتبَّعنا فصلًا فصلًا هذا الكتاب لوجدنا شواهد على حكمنا هذا. واوَّل ما ينتظر القارئ ايضاحهُ تعريف المؤلف للتربية الحسنة وماذا يريد بها ليبني كلامهُ على اساس متين ولئلَّا يذهب كلامهُ سدًى كضاربٍ في هواء او حاطبٍ في ليل يصيب مرَّةً ويخطئ اخرى. وقد آثر على تعريف التربية ان يفتتح كلامهُ بفصلٍ عموميٍ في الانسان خلطهُ بامور صحيحة وآراء واهنة فمن ذلك قولهُ (ص ٨) «انَّ الانسان ميَّال بالطبع الى الفضيلة» وهو قول يحتاج الى بيّنة فانَّ مثل العرب يقول انَّ «النفس امَّارة بالسوء» وتزيّف الاسفار المقدَّسة هذا الزعم بنصوص عديدة اوَّلها ما جاء في سفر التكوين

(٨ : ٢١) حيث قال الله بعد الطوفان: « لا أُعيد لعن الارض بسبب الانسان بما انَّ تصوُّر قلب الانسان شرّير منذ حداثته » ومثل هذا كثير في الكتاب المقدَّس يؤيّده الاختبار اليومي وليس فعل التربية الصالحة الَّا ان تقوّم في الانسان هذه الاميال المنحرفة. ثم ألحق هذا بفصل آخر « في محاسن العصر » فخرج عن موضوعهِ اذ رفع الى الثريّا الاكتشافات الحديثة وعدَّد بعض المشاهير الذين على زعمهِ توصّلوا الى هذه الاكتشافات بحسن تربيتهم. ونظم في جملتهم « روسو » الذي انتحر واهمل اولادهُ مع اللقطاء. فنعم المثل لحسن التربية! وكما انَّ الكاتب لم يحسن تعريف التربية كذلك تراهُ متحيّرًا متردّدًا في بيان الوسائل التي يجب الالتجاء اليها لنوال التربية الحسنة سواء كان في بيت والديه او في المدرسة وبعد خروجهِ منها. وقد جعل العلم من اركان التربية دون افراز بين علم وعلم. وكذلك اهمل اكبر عوامل التربية الحسنة وهو روح الدين الذي لا يكاد يأتي بذكرهِ. ولنا ملحوظات اخرى متعدّدة على هذا الكتاب لا يمكننا ايضاحها الَّا بمقالات مطوَّلة نرصدها لهذه الغاية ان شاء الله ل. ش

شذرات

استدراك — اثبتنا في العدد السابق (٦٠٦) قصيدة جميلة وجدناها في مخطوط قديم مرويّةً للامام الغزّالي. ثم افادنا من طرابلس الشام جناب الكاتب البارع حكمت افندي شريف بان هذا الاثر قد ورد في الطبعة الحجريّة من كتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار للسيّد الامام محيي الدين العربي. فراجعنا هذا الكتاب (١ : ١٣٩) الذي منهُ في خزانة كتبنا نسخة خطيّة واذا بالقصيدة هناك تروى لشيخ يُدعى ابا الحسن عليّ المسفر لهُ مصنَّفات كمنهاج العابدين وكتاب النفخ والتسوية وكلاهما يُنسب للغزّالي كما لا يخفى. ثم روى القصيدة التي نشرناها للشيخ المسفر وبين الروايتين بعض اختلافات لكنَّ روايتنا اوسع واضبط في الاجمال تزيد على رواية ابن الاعرابيّ ثلاثة ابيات. وها نحن نثبت الابيات الزائدة او المختلفة في رواية ابن الاعرابيّ تابعين لسياق روايتنا مع ابداء الشكر لجناب المراسل الذي ارشدنا الى هذه الرواية:

اتظنُّون باني مَيْتكم لستُ ذاك الميت والله انا
انا في الصور وهذا جسدي كان جسمي اذ الفتُ السجنا

انا عصفور وهذا قفصي كان سجني وقميصي زمنا
اشكر الله الذي خلّصني وبنى لي في المعالي رُكنا
وطعامي وشرابي واحدٌ وهو رمزٌ فافهموه حسنا
هو مشروب رسول الله اذ كان يسري فطرهُ مع فطرنا
فاهدموا البيت وزضّوا قفصي وذروا الكل دفيناً بيننا
وقميصي مزّقوهُ رمماً وذروا الطلسم بعدي وثنا
فحياتي وسنٌ في مقلتي خيبة الموت تطير الوسنا
لا تَرُعكم هجمة الموت فما هو الّا نقلةٌ من ها هنا
عنصرُ الانفس شيء واحدٌ وكذا الجسم جميعاً عمّنا
وعليكم من سلامي صيّب وسلام الله بدأ وثُنا

عود على بدء — كنّا كتبنا لحضرة الاب دي ڤراجيل ليفيدنا عن رأيهِ في صحّة اكتشاف العلامة الكيموي مواسان للماس الاصطناعي فاجابنا من انكلترة « اني في المقالة التي اثبتها في المشرق (٦ : ١٠٧٣) عن استحضار الماس الصناعي لخّصت ما جرى من الجدال في هذا الصدد بين مواسّان واصحاب مجلّة البشير العلمي (Moniteur scientifique) دون ان ابدي في ذلك رأياً ثم بقي الامر مبهماً الى ان عادت اليهِ المجلّة المذكورة ونشرت ما ينفي صحّة الاكتشاف (المشرق ٨ : ٨٢٠) ولمّا توفّي مواسّان في السنة الجارية عاد العلماء الى ذكر هذا الاكتشاف واكثرهم يقرّرهُ بالفعل وينسبون كتبة المجلة السابق ذكرها الى الاغراض ومعاكسة مواسان. ونحن لا نأبى ان تنسب الى هذا الكيموي اكتشافهُ ان تحقّق بالاختبار وممّا قرأناهُ في مجلة العلوم العامّة (Rev. Gen. des Sciences, 30 Avril, 1907) ما تعريبهُ وهو لاستاذ كليّة نانسي العلامة گنتز (A. Guntz) قال (ص ٣٠٢) : « ان كان مواسّان قد نال باختباراتهِ تبلورات تظهر للناظر كماسات فالحق يقال انّ هذه الاجسام ليست سوى بلّورات غاية في الدقّة » فترى انّ الامر لا يزال مشبوهاً وان شاء الله عمّا قليل تأتينا الاختبارات الجديدة فلا تبقي في الاكتشاف ريباً

اسئلة واجوبة

س سألنا سيادة المطران الجليل يوسف الدبس الجزيل الاحترام ماذا نعلم من امر القديس

اوتيليوس او اوتل الذي تعيد الطائفة المارونيـة عيده في ٣ حزيران وعلى اسمهِ كنيسة في قرية كفر سغاب

القديس اوتيليوس او اوتل

ج بحثنا كثيرًا عن ترجمة هذا القديس في السنكسارات الشرقيَّة وسألنـا غبطة السيد البطريرك افرام الثاني الرحماني والاب العلامة پترس من جمعيَّة الاباء البولنديين الذين من ٣٠٠ سنة يدرسون اعمال القديسين وينشرونها فكان محصَّل ما جمعنـا من المعلومات من كل هذه المصادر: ١ً ان اسم هذا القديس أوتل. امَّا اوتليوس او هوتليوس فرواية الاسم عينهِ على الطريقة اليونانيَّة او اللاتينيَّة — ٢ً ويُنسب الى مجدل ويُقال لهُ مجدليّ (المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ٢: ٢٦٥) اما مجدل فلم يُعرف موقعها. وقد جاء في سنكسار اليعاقبة انهُ كان من مدينة لوقيا (ولوقيا او ليقية بلاد في آسية الصغرى ليست مدينة) — ٣ً يُعيَّد لهُ في ٣ حزيران ويذكر ايضاً في سنكسار اليعاقبة في ٩ تشرين الاوَّل. ويظن حضرة الاب پترس انَّ السنكسـار البوزنطي صحَّف اسمهُ على صورة «اتاروس» (ἅγιος Ἄτταρος) في احـد ايَّام حزيران الاتية ٢ و٥ و٦ و٧ — ٤ً لا نعلم شيئاً عن زمن القديس غير انهُ كان قبل القرن السادس او السابع. لورود اسمهِ في الكلندارات القديمة. — ٥ً امَّا اخبارهُ فهذا ملخَّصها عن السنكسـارين المارونيّ واليعقوبيّ. كان ابوا اوتل وثنيين وتنصَّر هو صغيرًا ثم لمَّا اراد والداهُ تزويجهُ هرب الى مدينة مومسطا (كذا) ثم الى القسطنطينيَّة بحرًا ولمَّا اراد النوتيَّة ان يستعبدوهُ ويتَّخذوهُ اسيرًا هاج البحر فكاد الركَّاب يغرقون لولا شفاعــة اوتل الذي نصَّرهم وعمَّدهم. ثم جاء في السنكسار اليعقوبي انهُ «بقي عشرين سنة في القسطنطينيَّة الى موت والديهِ فعاد الى وطنهِ وجاء الى سلوقيــة ثم اتى الى انطاكية ثم بلغ لوقيا وطنهُ فاراد ان يخرج الى البرّيَّة ليعيش ناسكاً فقصد مار آبا (ولا نعرف من آبا المذكور) لانَّ ديرهُ كان قريباً من لوقيا وترهَّب عندهُ ثم اشتهر بالمعجزات ومن جملة عجائبهِ انهُ ابرأ رجلًا وثنياً مصاباً بآكلة فكان شفاؤهُ سبباً لتنصر عشرة آلاف من الوثنيين. ثم اراد رئيس الدير ان يقيم اوتل رئيساً فهرب اوتل فرارًا من الرئاسة واعتزل في البرّيَّة وسكن صومعةً الى سنة وفاتهِ وكان معهُ رجلٌ يخدمهُ كان شفاهُ من لدغ الحية». هذا ما امكنَّنا الحصول عليهِ ولعلَّ احد القرَّاء يزيدنا علماً في ذلك ل. ش

المشرق

اكتشاف مدارج برديّة اراميّة في مصر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

ذكر المشرق مرارًا ما اكتُشف من الكتابات البُرديّة في مصر (٩: ٨٥١ و١٠: ١٤٥) وممّا استلفت اليهِ موءخرًا ابصار العلماء عدة مدارج برزت الى عالم الوجود في مدينة اسوان سنة ١٩٠٤ فبادر المثري روبرت موند (Mond) ونشرها على نفقتهِ وعُني بقراءتها وضبطها وتنقيحها وشرحها الاستاذان كُولي وسايس (Cowley et Sayce) اللذان وضعا فيها كتابًا اقبل عليهِ الاثريّون ليقتبسوا من فوائدهِ العديدة. ولكي نُطلع قرّاءنا الكرام على الآداب الآرامية في مصر ها نحن نورد لهم ما كتبهُ العلامة كلرمون غانو في هذا الموضوع على صحائف مجلّة الانتقاد (Revue critique, 1906, p. 341) فيرى القارئ اللبيب ما لذلك المستشرق الشهير من صائب الرأي ودقّة النظر في هذه الابحاث. قال:

« جادت علينا حتى الآن ارض الفراعنة بكثير من مدارج البردي المصريّة واليونانيّة واللاتينيّة والقبطيّة والعربيّة غير انّها ضنّت علينا بالآثار المكتوبة باللغات الساميّة القديمة لأنّ مجموع البابير المرقوم باحرف آراميّة كان لا يتجاوز منذ ثلاثين سنة عدد الاصابع وهو من الاندثار على جانب عظيم ومع ذلك تهافت عليهِ العلماء واجهدوا فيهِ النفس واعملوا بصيرتهم في الاطلاع على فحواه. لكنّ آراءهم تباينت في قراءتهِ ومعناهُ مع كونهم اجمعوا على نسبتهِ الى عهد البطالسة كما انهم نسبوا الى ذلك العهد كتابات أُخرى وجدت ايضًا في مصر تشبه الكتابات البرديّة لغةً وخطًّا لكنّها نُقشت على الحجارة

اوتيليوس او اوتل الذي تعيد الطائفة المارونيـة عيده في ٣ حزيران وعلى اسمهِ كنيسة في قرية كفر سغاب

القديس اوتيليوس او اوتل

ج بحثنا كثيرًا عن ترجمة هذا القديس في السنكسارات الشرقيَّة وسألنـا غبطة السيد البطريرك افرام الثاني الرحماني والاب العلامة پترس من جمعيَّة الاباء البولنديين الذين من ٣٠٠ سنة يدرسون اعمال القديسين وينشرونها فكان محصّل ما جمعنـا من المعلومات من كل هذه المصادر: ١ً ان اسم هذا القديس أوتل. امَّا اوتليوس او هوتليوس فرواية الاسم عينهِ على الطريقة اليونانيَّة او اللاتينيَّة — ٢ً ويُنسب الى مجدل ويُقال لهُ مجدليّ (المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ٢ : ٢٦٥) اما مجدل فلم يُعرف موقعها. وقد جاء في سنكسار اليعاقبة انهُ كان من مدينة لوقيا (ولوقيا او ليقية بلاد في آسية الصغرى ليست مدينة) — ٣ً يُعيَّد لهُ في ٣ حزيران ويذكر ايضًا في سنكسار اليعاقبة في ٩ تشرين الاوّل. ويظن حضرة الاب پترس انَّ السنكسـار البوزنطي صحَّف اسمهُ على صورة « اتاروس » (ἅγιος Ἄτταρος) في احـد ايَّام حزيران الاتية ٢ و٥ و٦ و٧ — ٤ً لا نعلم شيئًا عن زمن القديس غير انهُ كان قبل القرن السادس او السابع. لورود اسمهِ في الكلندارات القديمة. — ٥ً امَّا اخبارهُ فهذا ملخَّصها عن السنكسـارين المارونيّ واليعقوبيّ. كان ابوا اوتل وثنيين وتنصَّر هو صغيرًا ثم لمَّا اراد والداهُ تزويجهُ هرب الى مدينة موسطا (كذا) ثم الى القسطنطينيَّة بحرًا ولمَّا اراد النوتيَّة ان يستعبدوهُ ويتَّخذوهُ اسيرًا هاج البحر فكاد الركَّاب يغرقون لولا شفاعـة اوتل الذي نصَّرهم وعمَّدهم. ثم جاء في السنكسار اليعقوبي انهُ « بقي عشرين سنة في القسطنطينيَّة الى موت والديهِ فعاد الى وطنهِ وجاء الى سلوقيـة ثم اتى الى انطاكية ثم بلغ لوقيا وطنهُ فاراد ان يخرج الى البريَّة ليعيش ناسكًا فقصد مار آبا (ولا نعرف من آبا المذكور) لانَّ ديرهُ كان قريبًا من لوقيا وترهَّب عندهُ ثم اشتهر بالمعجزات. ومن جملة عجائبهِ انهُ ابرأ رجلًا وثنيًّا مصابًا بآكلة فكان شفاؤهُ سببًا لتنصر عشرة آلاف من الوثنيين. ثم اراد رئيس الدير ان يقيم اوتل رئيسًا فهرب اوتل فرارًا من الرئاسة واعتزل في البريَّة وسكن صومعةً الى سنة وفاتهِ وكان معهُ رجل يخدمهُ كان شفاهُ من لدغ الحية » . هذا ما امكنَّا الحصول عليهِ ولعلَّ احد القرَّاء يزيدنا علمًا في ذلك ل . ش

المشرق

اكتشاف مدارج برديّة اراميّة في مصر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي

ذكر المشرق مرارًا ما اكتُشف من الكتابات البُرديّة في مصر (٩: ٨٥١ و١٠: ١٤٥) وممّا استلفت اليهِ موخّرًا ابصار العلماء عدة مدارج برزت الى عالم الوجود في مدينة اسوان سنة ١٩٠٤ فبادر المثري روبرت موند (Mond) ونشرها على نفقتهِ وعُني بقراءتها وضبطها وتنقيحها وشرحها الاستاذان كُولي وسايس (Cowley et Sayce) اللذان وضعا فيها كتابًا اقبل عليهِ الاثريون ليقتبسوا من فوائدهِ العديدة. ولكي نُطلع قرّاءنا الكرام على الآداب الآرامية في مصر ها نحن نورد لهم ما كتبهُ العلامة كلرمون غانو في هذا الموضوع على صحائف مجلّة الانتقاد (Revue critique, 1906, p. 341) فيرى القارئ اللبيب ما لذلك المستشرق الشهير من صائب الرأي ودقّة النظر في هذه الابحاث. قال:

« جادت علينا حتى الآن ارض الفراعنة بكثير من مدارج البردي المصريّة واليونانيّة واللاتينيّة والقبطيّة والعربيّة غير أنها ضنّت علينا بالآثار المكتوبة باللغات الساميّة القديمة لانّ مجموع البابير المرقوم باحرف آراميّة كان لا يتجاوز منذ ثلاثين سنة عدد الاصابع وهو من الاندثار على جانب عظيم ومع ذلك تهافت عليهِ العلماء واجهدوا فيهِ النفس واعملوا بصيرتهم في الاطلاع على فحواه. لكنّ آراءهم تباينت في قراءتهِ ومعناهُ مع كونهم اجمعوا على نسبتهِ الى عهد البطالسة كما انهم نسبوا الى ذلك العهد كتابات أُخرى وجدت ايضًا في مصر تشبه الكتابات البرديّة لغةً وخطًّا لكنّها نُقشت على الحجارة

« وفي اثناء سنتي ١٨٧٦ و١٨٧٧ أمعنتُ النظر في هذه المسائل فأدّى بي البحث الى القول بان الكتابات المشار اليها ترتقي الى العهد الفرس الخمانيين (Achéménides) فهي اذاً جزيلة الفوائد لعلم التاريخ لانهـا اقدم عهداً من الدولة البطالسة وتشير الى انقلاب عظيم في عالم السياسة فعدُّ رأيي ضرباً من الجسارة خالياً من التروّي والتبصّر وكان حملني عليه وعلى التمسك بهِ تفسير القطعة الملقّبة ببردي تورينو (C. I. S. II, n°, 144) فقلتُ ان ثمَّ مقدَّمة معروض رسمي رفعَهُ رجل يدعى « فخيم » الى احد المرازبة او الى من كان ينوب عنهم في مصر وهو من الاجانب وان اسمهُ « ميتراڤهيشت » يدل على عجميتهِ . واوضحت ايضاً ان صورة هذه الكتابة تحاكي صورة المعروض الذي قدّمـهُ قاطنو السامريّة الى الملك ارتحششتا ليمنع اليهود عن ابتنـاء الهيكل وقد روى لنا عزرا نصّ هذا المعروض في سفرهِ الاول (٤ : ١١—١٧) . وتأييداً لرأيي بيّنتُ ان كل الحوادث التاريخيّة والاثريّة والمسكوكات القديمة تُثبت ان اللغـة الآراميّة كانت لغة ديوان الدولة الخمانيّة لاسيا في الاقاليم الغربيّة وفي مصر . وآل بي هذا المبدأ الى الجزم بان كتابات ذلك العهد برديّة كانت او صخريّة وُضعت باللغة الآراميّة

« وما عتّم الزمان ان اتانا ببيّنةٍ اولى وذلك باكتشاف كتابة ارامية على ضريح في سقّاره (١ واضحة التاريخ ترتقي الى السنة الرابعة لزركسيس . فاحتجّ المعارضون لنا قائلين : ان ما يُطلق على الكتابات الحجريّة لا يصحّ اطـلاقهُ وتعميمهُ على جميع الكتابات وان كانت بينهنَّ علاقة لغةً وخطّاً فالصحائف البرديّة تقوم بذاتهـا ولا من داعٍ يوجب نسبتها الى غير عهد البطالسة خلافاً لما رآهُ العلماء . ولكنهُ بعد سنين طوال انبلج نور الحقّ وانجلت غياهب الشك واتت البراهين تـتابعاً وكان اوّلها بردي الاستاذ اوتنغ (Euting) وفيهِ ذكر السنة الرابعة عشرة للملك داريوس . فسررتُ وايّ سرور لهذا الاكتشاف الخطير لأنهُ أيّدَ رأيي واثبتهُ واظهر اني اصبتُ في مقـالي وما خانتني البتّة فكرتي فيما قدّرتُ . ولم أُلبث ان عثرتُ على قطع برديّ ارامي وُجدت حديثاً في

١) راجع (C. I. S. II, n°, 122) ويجدر بنا الآن ان نذكر الكتابة الارامية التي وجدت منقوشة على صخر في اسوان وهي عبارة عن تقدمـة دينيَّة وقد اتى بها اسم القائد الاعظم للحامية الفارسية . واما تاريخها فانهُ غاية في الدقّة واليك بهِ : « في شهر سيوان الارامي المقابل لشهر مكهير المصري السنة السابعة لارتحششتا . . . »

سفّاره فتوفّقتُ الى قراءتها واذا فيها تاريخ السنة التاسعة عشرة للملك ارتحششتا

« ولم يوقفنا فقط البردي المذكور بتاريخهِ على تلك الحقيقة المبهمة وانّما دلّ ايضاً نص كتابتهِ على مصدرهِ الفارسيّ لانهُ يذكر اسم المرزبان او الحاكم المدعو « ارخم » مع القاب وصفات كثير من الموظفين حسب عادة الفرس وفي آخرهِ بعض كلمات واسماء فارسيّة كُتبت باللغة الارامية. فكل ذلك حمل لفيف العلماء على الاقرار بدون تردّد ان البردي الموما اليهِ يرتقي الى عهد المملكة الحخمانيّة غير ان بعض اقسامهِ بقيت في طيّ الابهام رغماً عمّا بذلهُ من الهمّة من تولّى امر طبعهِ لاوّل مرّة. واذ ذاك دقّقتُ النظر فيهِ (١ فاصلحتُ قراءتهُ وبيّنتُ انهُ يُستدلّ من متنهِ على مصدرهِ والغاية منهُ. وارتأيت ان عدداً من الاجانب القائمين في مصر ولعلّهم من اليهود — كما ثبت الامر بعد ذلك — رفعوا هذه الشكوى الى مرزبان البلاد ليقيموا الحجّة على الكهنة المصريين سدنة هيكل الإله « خنوم » في جزيرة اليفانتين التي يدعوها في الكتابة باسم « يب ». فلا جرم والحالة هذه ان كاتبي العريضة كانوا من سكّان الجزيرة المشار اليها او مدينة سيان — وهي اسوان — على ضفة النيل الشرقيّة

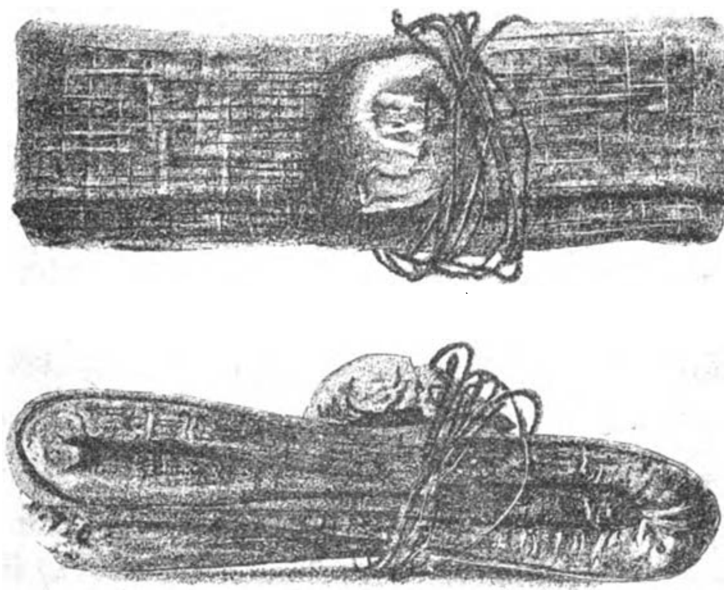
« فيظهر ممّا تقدم ان اليفانتين وسيان كانتا مركزاً خطيراً للاراميين في عهد الدولة الحخمانيّة ولهذا وطدتُ الامل باكتشاف كتابات شبيهة بالبردي السابق الذكر. فقدّر الله تحقيق رجائي وبانَ قوام ظني باكتشاف عجيب واليك بخبره:

« كان السير روبرت موند في ربيع سنة ١٩٠٤ يتفقّد اطلال مدينة ثيبة وينقّب عن عادياتها اذ بلغهُ انّ فلاحاً وجد على مقربة من اسوان عدداً من اوراق البردي التي زعموا انها مكتوبة باللغة العبريّة فاسرع الى المدينة المذكورة وتوفّق الى ابتياع معظم صحائف البابير وما بقي منها اشترتهُ قرينة السيد وليام سسيل. لكنّهما اتّفقا على جمع ما وصلت اليهِ ايديهما وتقدمتهِ هديةً الى متحف القاهرة وكانت تلك المدارج تسعة (٢ مُحكمة اللفّ وعلى اثنين منها حتى الآن اثر الختم وقد كُتبت جميعها بالخط الارامي المُتقن.

١) اطلب مجموعي المعنون بالآثار الشرقية (Rec. d'arch. Orient. VI, 221-246)

٢) ويضاف الى هذه المدارج التسعة مدرج عاشر اختُلِس من المكان الذي وجدت فيهِ فتلاعبت بهِ الايدي الى ان ابتاعهُ مكتبة البودلية في اكسفرد من احد المتاجرين بالعاديات

واماً عن فوائدها فحدّث ولا حرج. فعزم السير موند ان يبذل الدراهم بسخاء في سبيل نشر هذه الآثار الجليلة والحقّ يُقال انها ستخلّد لهُ اسماً يصبر على الاجيال. وُعني العالم م. ا. ي. كولي (M. A. E. Cowley) بقراءة هذه النصوص وتفسيرها وشرحها فأتى كتابهُ برهاناً ساطعاً على مهارتهِ وتوقد فهمهِ وحسن اطلاعهِ على دقائق الامور. ومماً زاد فضلهُ فضلاً هو انهُ فتح في وجه العلماء باباً جديداً ومهّد امامهم طريقاً كانت فيما مضى وعرة المسلك وقد توغّل في المباحث والمسائل فحلّ معظمها على غاية ما يُرام. اجل ان عدداً عديداً منها بقي غامضاً والسير كولي يقرّ بذلك لكن جلّ العمل قد قام بهِ العالم المذكور فعلينا ان نحذو حذوه وننتهج طريقهُ ونصلح ما غلط فيهِ



صورة المدارج الارامية المكتشفة حديثاً في مصر ملفوفة

« ويُقسم الكتاب الموما اليهِ الى جزءين متباينين يحتوي الاول منهما على ٢٧ رسماً كبيراً للنصوص الاصليّة وفي الثاني شرحٌ مطوّل يصدَّر ا بمقدمة وجيزة وضعها السير

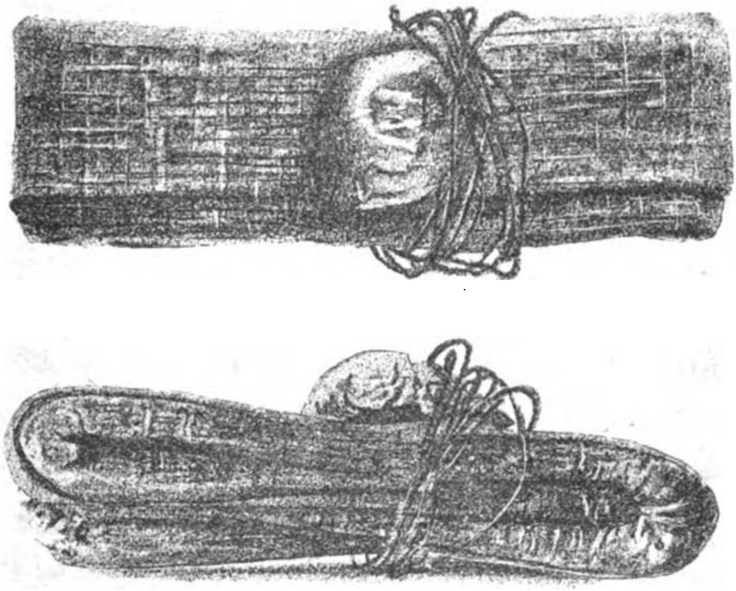
سايس طابع الكتاب. يليها ٢ً تنبيه للقارئ اوضح فيهِ السير موند ما قصده من خدمة العلم في نشرهِ لهذه الآثار . ثم ٣ً مقالة اختصر فيها السير سايس فحوى النصوص المذكورة وبيَّن ما ينجم عنها من الفوائد العلميَّة . ثم ٤ً بحث مدقَّق للسير كولي في كتابة ولغة واملاء ولفظ كلمات هذه النصوص وصرفها ونحوها مع ما فيها من تواريخ السنين والاشارة الى النقود المتداولة اوانئذٍ. ثم ٥ً شرح للاسماء العلميَّـة المصريَّة الواردة فيها. وقد وضع هذا الشرح العالم سبيجلبرغ لما لهُ في هذه الموادّ من المعرفة ودقَّة النظر. ثم ٦ً قائمة ذكر فيها السير سيمور دي ركشي كل الآثار الآراميَّة التي اكتُشفت حتى الآن في مصر من بابير وكتابات صخريَّة وغيرها. ثم ٧ً واخيرًا ترجمة المدارج مع شروح لهـا علميَّة وفهرست للاسماء ومعجم مسهب مع الاشارة الى الصحائف التي استُعملت فيها الكلمات ونقل الصحائف الى العبريّ ذي الحروف المستديرة »

هذا بعض ما كتبهُ العلامة كلرمون غانو في شأن المدارج الاراميَّة وسنرجع الى ما باشرهُ هو في البلاد المصريَّة من البحث ليستدلّ على المحلّ الذي وُجدت فيهِ تلك الآثار الثمينة وها نحن نضيف الى المعلومات السابقة ما نراه مفيدًا لقرَّائنا فنقول:

اعلم ان مجموع المدارج الآرامية المكتشفة حتى الآن عشرة وهي تختصُّ بعائلة واحدة فتشرح احوالها وما طرأ عليها مدة ستين سنة وجميعها من عهد ملوك الفرس زركسيس وارتحششتا وداريوس الثاني وقد ذُكر فيها يوم الشهر بموجب الحسابين المصري والسامي فنجمت عن هذه المطابقة فوائد تاريخيَّة لا تحصى. وترتقي اقدم هذه الكتابات الى الثامن عشر من ايلول المقابل للثامن والعشرين من شهر باحونس من السنة الخامسة عشرة لزركسيس اعني بهِ عام ٤٧١ قبل المسيح واماَّ احدثها فهي من السنة الرابعة عشرة لداريوس الثاني عام ٤١١ قبل الميلاد. وقد ذكرت احدى هذه الكتابات — وهي التي اثبتنا رسمها — تاريخًا مهمًّا نُريد بهِ سنة وفاة زركسيس وانتقال المُلك الى خلفهِ فيستدلّ من ثم ان زركسيس قبض على زمام السلطنة ٢١ سنة

علينا الآن ان نورد تتابعًا ملخص هـذه الكتابات وما هي الَّا مجموع صكوك تُشير الى هبات بين اقارب ومعاهـدات زواج وتقاسيم مواريث ووصولات وكل ذلك يوقفنا على ما كانت عليهِ المعيشة في تلك العصور مدنيَّةً كانت او دينيَّـةً في مستعمرة يهوديَّة توطَّنت جزيرة اليفانتين وحصن اسوان:

وامّا عن فوائدها فحدّث ولا حرج. فعزم السير موند ان يبذل الدراهم بسخاء في سبيل نشر هذه الآثار الجليلة والحقّ يُقال انها ستخلّد لهُ اسماً يصبر على الاجيال. وعُني العالم م. ا. ي. كولي (M. A. E. Cowley) بقراءة هذه النصوص وتفسيرها وشرحها فأتى كتابهُ برهاناً ساطعاً على مهارتهِ وتوقّد فهمهِ وحسن اطلاعهِ على دقائق الامور. وممّا زاد فضلهُ فضلًا هو انهُ فتح في وجه العلماء باباً جديداً ومهّد امامهم طريقاً كانت فيما مضى وعرة المسلك وقد توغّل في المباحث والمسائل فحلّ معظمها على غاية ما يُرام. اجل ان عدداً عديداً منها بقي غامضاً والسير كولي يقرّ بذلك لكن جلّ العمل قد قام بهِ العالم المذكور فعلينا ان نحذو حذوه وننتهج طريقهُ ونصلح ما غلط فيهِ



صورة المدارج الارامية المكتشفة حديثاً في مصر ملفوفةً

« ويُقسم الكتاب الموما اليهِ الى جزءين متباينين يحتوي الاول منهما على ٢٧ رسماً كبيرًا للنصوص الاصليّة وفي الثاني شرحٌ مطوّل يصدّر ا بمقدمة وجيزة وضعها السيد

سايس طابع الكتاب . يليها ٢ً تنبيه للقارئ اوضح فيهِ السير موند ما قصده من خدمة العلم في نشرهِ لهذه الآثار . ثم ٣ً مقالة اختصر فيها السير سايس فحوى النصوص المذكورة وبيَّن ما ينجم عنها من الفوائد العلميَّة . ثم ٤ً بحث مدقَّق للسير كولي في كتابة ولغة واملاء ولفظ كلمات هذه النصوص وصرفها ونحوها مع ما فيها من تواريخ السنين والاشارة الى النقود المتداولة اوانئذٍ . ثم ٥ً شرح للاسماء العلميَّة المصريَّة الواردة فيها . وقد وضع هذا الشرح العالم سبيجلبرغ لما لهُ في هذه الموادّ من المعرفة ودقَّة النظر . ثم ٦ً قائمة ذكر فيها السير سيمور دي ركشي كل الآثار الآراميَّة التي اكتُشفت حتى الآن في مصر من بابير وكتابات صخريَّة وغيرها . ثم ٧ً واخيرًا ترجمة المدارج مع شروح لها علميَّة وفهرست للاسماء ومعجم مسهب مع الاشارة الى الصحائف التي استُعملت فيها الكلمات ونقل الصحائف الى العبريّ ذي الحروف المستديرة »

هذا بعض ما كتبهُ العلامة كلرمون غانو في شأن المدارج الاراميَّة وسنرجع الى ما باشرهُ هو في البلاد المصريَّة من البحث ليستدلّ على المحلّ الذي وُجدت فيهِ تلك الآثار الثمينة وها نحن نضيف الى المعلومات السابقة ما نراه مفيدًا لقرَّائنا فنقول:

اعلم ان مجموع المدارج الآرامية المكتشفة حتى الآن عشرة وهي تختصُّ بعائلة واحدة فتشرح احوالها وما طرأ عليها مدة ستين سنة وجميعها من عهد ملوك الفرس زركسيس وارتحششتا وداريوس الثاني وقد ذُكر فيها يوم الشهر بموجب الحسابين المصري والسامي فنجمت عن هذه المطابقة فوائد تاريخيَّة لا تحصى . وترتقي اقدم هذه الكتابات الى الثامن عشر من ايلول المقابل للثامن والعشرين من شهر باحونس من السنة الخامسة عشرة لزركسيس اعني بهِ عام ٤٧١ قبل المسيح واماَّ احدثها فهي من السنة الرابعة عشرة لداريوس الثاني عام ٤١١ قبل الميلاد . وقد ذكرت احدى هذه الكتابات — وهي التي اثبتنا رسمها — تاريخًا مهمًّا نُزيد بهِ سنة وفاة زركسيس وانتقال المُلك الى خلفهِ فيستدلّ من ثم ان زركسيس قبض على زمام السلطنة ٢١ سنة

علينا الآن ان نورد تتابعًا ملخص هـذه الكتابات وما هي الّا مجموع صكوك تُشير الى هبات بين اقارب ومعاهـدات زواج وتقاسيم مواريث ووصولات وكل ذلك يوقفنا على ما كانت عليهِ المعيشة في تلك العصور مدنيَّةً كانت او دينيَّـةً في مستعمرة يهوديَّة توطَّنت جزيرة اليفانتين وحصن اسوان:

١ سنة ٤٧١ قونيه (קוניה) بن صدق (צדק) نال من جاره محسيه (מחסיה) ابن يدنيه (ידניה) الرخصة ببناء حائط مشترك بينهما

٢ هذه الكتابة الثانية تاريخها سنة ٤٦٥ قد اثبتنا صورتها في الآرامية والعبرانية ثم عربّناها وعلّقنا عليها بعض حواش في هذه المقالة فلتراجع

٣ سنة ٤٥٩ مصادقة محسيه المذكور على هبتهِ لختنهِ يزنيه (יזניה) بن اوريه (אוריה) بقطعة ارض وبيت ابتناهُ لابنتهِ مبطحيه (מבטחיה) امرأة يزنيه

٤ في ذات السنة وعين النهار اعطى محسيه لابنتـهِ حقّ التملُّك على القطعة المذكورة وسلّمها الصكّ المُثبت لذلك كما ورد في العدد الثاني

٥ سنة ٤٦٦ اعطى محسيه الموما اليـهِ لابنتهِ بيتاً ثانياً تعويضاً لما أدّت لهُ من الاعانات لمّا كان في الحصن ويجاور هذا البيت « اجورا يهو » (אגורא יהו)

تدلّ كلمة « اجور » في لغة الترجوم على المذبح. ولعلّها اُتخذت هنا اشارةً لهيكل إله اسرائيل « يَهُو »

٦ سنة ٤٤٠ اعطى فيا (פיא) المصري وصلاً لمبطحيه بعض اشياء من فضّة وبُرّ وثياب ونحاس وحديد وغيرهـا بعد ان حلفت بالإلهة ساتي ان كل ذلك خاصتها

٧ في السنة ذاتها بعد ان ترمّلت مبطحيه او طلّقها بعلها اقترنت برجل مصري يُدعى اسحور (אסחור) وقد تسمّى فيما بعد باسمٍ يهوديّ وعُرف بناتان

٨ سنة ٤٢١ توفيت مبطحيه ومات ايضاً زوجها الثاني فاعطى ولداهمـا يزنيه ومحسيه صكّاً بدفع دين كان على ابيهما

٩ سنة ٤١٧ طلب يزنيه ومحسيه من ابن يزنيه زوج والدتهما الاول ونالا منهُ ان يتخلّى لهما عن حقوقهِ على بيت عمهِ

١٠ سنة ٤١١ تقاسم يزنيه ومحسيه بالتراضي عبيدَ والدتهما

فيظهر لك ممّا تقدم ان مدار الكلام على عيال يهوديّة متوسطـة الاحوال كان اعضاؤها يزاولون حِرَفاً يصعب الوقوف عليها لِما في الجمل المعبّرة عنها من الابهام. وان هذه العيال تشهد تارةً بانها يهوديّة وتارةً ارامية وكان الامر على سواء لدى الفرس. ولم يكن اليهود يخافون من ذكر إلههم فيدعونهُ « يهو » ويقسمون باسمهِ ويجتمعون في مكان

خاصّ للصلاة وهو « الاجور » الذي مرّ ذكرهُ لكنّهم لا يأنفون من الحلف بإلهة الوثنيين « ساتي » فاصاب والحالة هذه ارميا النبي في توبيخهِ للشعب وزجره لهُ لشركهِ وآثامهِ المتعدّدة (اطلب نبوة ارميا الفصل ٤٤)

نكتفي الآن بهذا التلخيص ونُضرب عمّا بدا لنا من الملاحظات الانتقاديّة ولكي نُطلع القارئ على صورة هذه النصوص رأينا ان نرسم لهُ مدرجاً بالنور الشمسي ونترجمهُ وقد آثرنا المدرج الثاني لان يد الدهر لم تعبث بهِ وتاريخهُ سنة ٤٦٥ وهو مخطوط بخطّ جليّ . فاخذناه عن اصلهِ وصوّرناهُ بالحرف العبري واصلحنا ما وجدنا فيهِ من الخلل ثم انّنا نتّبع العادة المألوفة ونبدأ بنسخ المدرج سطرًا سطرًا . ولا خفاء ان لغة هذه الكتابات لا تختلف إلّا يسيرًا عن لغة التوراة وليس بوسعنا الآن ان نسهب الكلام في هذا الامر لئلّا نخرج عن موضوعنا

السطر الاول : في الثامن عشر من كسلو (כסלו) وهو اليوم السابع من تحوت (תחות) السنة الواحدة والعشرين (لزركسيس) بدء الملك لمّا

« الثاني : ارتحششتا الملك جلس على العرش قال درجمن بن حرشين الخورازمي من اترا (אתרא) (القاطن)

« الثالث : في حصن يب (יב) العامل (؟) في فرقة (عساكر) ارتبان لمحسيه بن يدونيه اليهودي الساكن في حصن يب

« الرابع : من فرقة وريزت (ורזית) : انك حلفتَ لي بيهو الاله في حصن يب انت وامرأتك

« الخامس : وابنك انتم الثلاثة فيما يتعلّق بارضي (التي) بسببها رفعتُ الشكوى عليك الى

« السادس : دميدت (דמידת) والقضاة زملائهِ فحكموا عليك ان تقسم بيهو بخصوص بقعة الارض

« السابع : هذه اعني انها ليست لدرجمن بل لك . وهذه هي حدود القطعة المذكورة

« الثامن : التي بسببها حلفت لي . بيتي انا درجمن واقع على الجهة الشرقيّة ثم بيت قونيه بن صدق

السطر التاسع: اليهودي من فرقة اتروفدون (אתרופדון) على الجهـة الغربيّة وبيت يزنيه بن اوريه

العاشر: اليهودي من فرقة وريزت في اسفلها وبيت اسفمت (אספמת) بن فطعونيت

الحادي عشر: احد البحريين في مياه الجندل في اعلاها . فحلفتَ لي بيهو وارضيتَ

الثاني عشر: خاطري فيما يتعلّق بهذه الارض فلا نستطيع ان نقيم عليك دعوى او نحاكمك لا انا ولا ابني ولا ابنتي

الثالث عشر: ولا اخي ولا اختي ولا قريب ولا اجنبي في امر هذه الارض (ولا نخاصمك) لا انت ولا ولدك ولا ابنتك ولا اخاً لك ولا اختاً ولا قريباً ولا اجنبياً

الرابع عشر: فعلى من يحاكمك باسمي على هـذه البقعة ان يدفع لك عشرين كبشاً (כבש) اعني بهِ عشرين من النقود

الخامس عشر: الملكيَّة بفائدة ضعف د (٦) في العشرة . فهذه الارض هي ملكك الدائم وانت

السادس عشر: لا تُقام عليك دعوى بسببها . كتبَ ايتن (איתן) بن ابه (אבה) السند

السابع عشر: هذا في حصن سون (סון) واملاهُ عليهِ درجمن . شاهد: هوشع (הושע) بن فطيخنوم (פטחנום) . شاهد:

الثامن عشر: جدول (גדול) بن يجدل (יגדל) . شاهد: جريه (גמריה) بن اخيو (אחיו) مشلّم (משלם) بن هوشع .

التاسع عشر: سينكسيد (סינכשר) بن نبوسمسكن . شاهد : هدنوري البابلي .

العشرون شاهد: جدليه بن عنيه . شاهد: اريشا بن اروستمن »

هذا نص الكتابة ولا بد لنا ان نعلق عليهِ بعض حواشٍ اتماماً للفائدة وايضاحاً لما جاء فيهِ غامضاً

(السطران الاولان) يرتقي تاريخ البردي الذي ترجمناهُ الى سنة ٤٦٥ قبل المسيح وهي عين السنة التي تبوَّأ فيهـا ارتحششتا سدَّة المُلك . وهو يُدعى في هذه الكتابة « ارتحشسُو » على خلاف صيغة اسمِ المألوفة في التوراة (ארתחששתא) وفي الفارسيَّة ارتحشترا . فهي صيغة بابليَّة قد وُجدت ايضاً بمصر في كتابات شتَّى ودرجمن المذكور احد الاجانب ويقال لهُ الخوارزمي . وما يتبع في النصّ مبهم وصعب المنال . ولربما ان كلمة (אתרח) تعني المكان والمقام فتكون الجملة على ما يأتي : درجمن بن خرسين الخوارزمي وموطنهُ الآن في يب . واماَّ يب كما قلنا فهي الاسم القديم لجزيرة اليفانتين

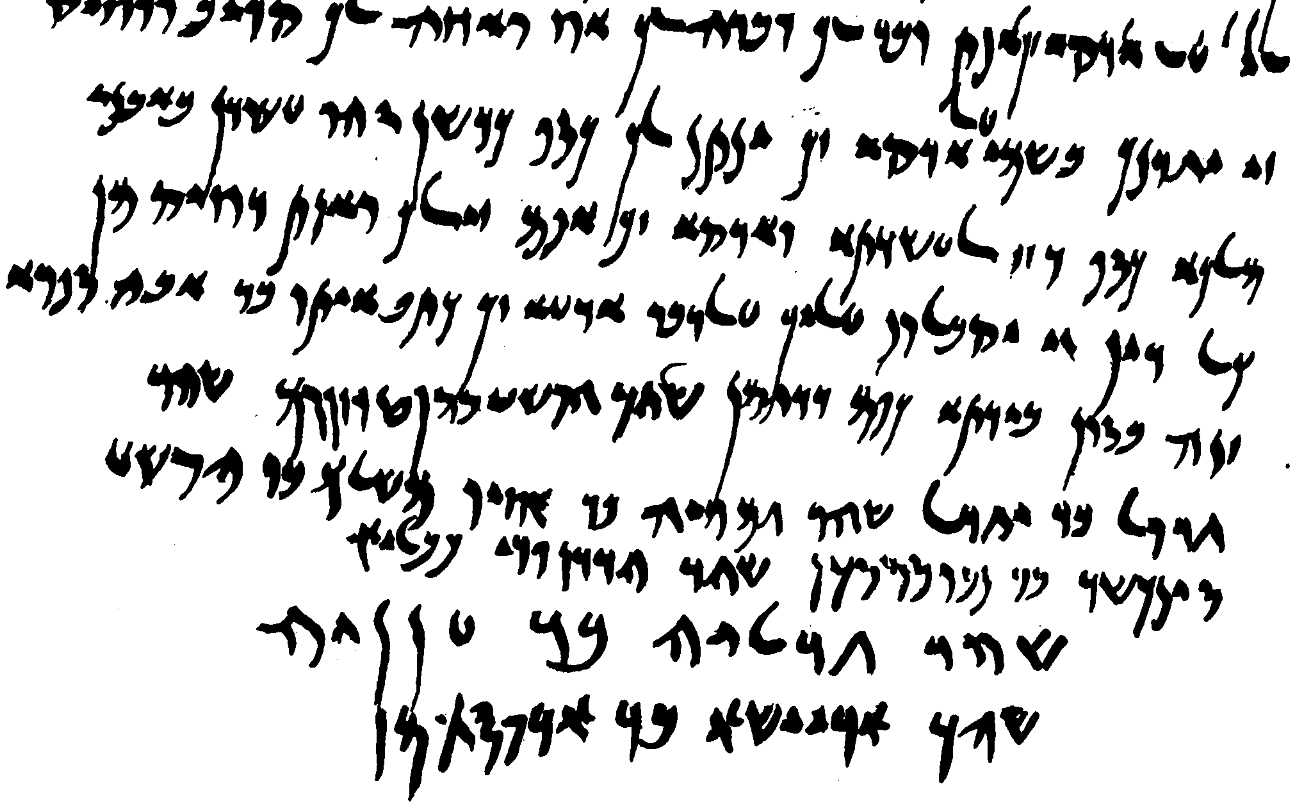
(السطر الثالث) ان الفرق بين الدال والراء في هذه الكتابة يسير ولهذا من المحتمل ان يقرأ (דגל) عوضاً عن (רגל) فيكون معناها حينئذٍ « لواء » العسكر . واعلم انهُ كان في حصني يب واسوان عدد عديد من الفرَق وكان اليهود على ما يظهر يتجنَّدون في جيوش الفرس واماَّ القوَّاد والقضـاة فكانوا من الاجانب الذين قدموا من بلاد ما بين النهرين وفارس واسماؤهم ارتبان واتروفدن وور يزت تدلّ على عجميتهم

وقد طمعت نفس درجمن بارض ادَّعى احد يهود اليفانتين واسمهُ محسيه انها لهُ . فتقدَّم محسيه وابنهُ وامرأتهُ الى محكمة الفرس وكان يرأسها دميدت وطلب ألَّا تُهضم حقوقهُ على البقعة المذكورة ورفع الشكوى عليهِ . فصـدر امر دميدت الى محسيه بان يُثبت بالقسم ان هذه الارض لهُ لا لدرجمن . ثم ذكرت الكتابة حدود الارض وقرَّرت انها ملك محسيه ومن يرثهُ لا يستطيع احد ان ينازعهُ بها دون ان يُغرم بعض الكبوش (١ . ويعقب ذلك اسم كاتب الصك وتواقيـع الشهود

(السطران العاشر والحادي عشر) لا مشاحة ان اسفمت بن فطعونيت كان مصري الاصل والدليل على ذلك اسمهُ واسم ابيهِ فانهُ يُدعى (מלח זי מיא קשיא) وبالسريانية ܡܠܚ ܕܡܝܐ ܩܫܝܐ اعني بهِ « ملَّاح المياه الصعبة » فكان اذًا يقوم بمساعدة من يرغب بعبور الشلالات وقد ذكر سنحريب وبختنصَّر في كتاباتهما المحلّ ذاتهُ بنفس العبارات

ان احد الشهود المذكورين في السطر السـابع عشر يُدعى هوشع وهو ابن

١) كان الكبش نوعاً من النقود المشار اليها بالحرف « د » وهو عبارة عن الدرهم . لكن الجملة بقيت الى الان في طيّ الابهام



صورة الكتابة الاراميّة عدد ٢ (Papyrus B) المكتشفة في اسوان

(السطران الاولان) يرتقي تاريخ البردي الذي ترجمناهُ الى سنة ٤٦٥ قبل المسيح وهي عين السنة التي تبوَّأ فيها ارتحششتا سدَّة المُلك. وهو يُدعى في هذه الكتابة « ارتحشسُو » على خلاف صيغة اسمهِ المألوفة في التوراة (ארתחששתא) وفي الفارسيَّة ارتحشترا. فهي صيغة بابليَّة قد وُجدت ايضاً بمصر في كتابات شتَّى ودرجمن المذكور احد الاجانب ويقال لهُ الخوارزمي. وما يتبع في النصّ مبهم وصعب المنال. ولربما ان كلمة (אתרה) تعني المكان والمقام فتكون الجملة على ما يأتي: درجمن بن خرسين الخوارزمي وموطنهُ الآن في يب. وامَّا يب كما قلنا فهي الاسم القديم لجزيرة اليفانتين

(السطر الثالث) ان الفرق بين الدال والراء في هذه الكتابة يسير ولهذا من المحتمل ان يقرأ (דגל) عوضاً عن (רגל) فيكون معناها حينئذٍ « لواء » العسكر. واعلم انهُ كان في حصني يب واسوان عدد عديد من الفِرَق وكان اليهود على ما يظهر يتجنَّدون في جيوش الفرس وامَّا القوَّاد والقضاة فكانوا من الاجانب الذين قدموا من بلاد ما بين النهرين وفارس واسماؤهم ارتبان واتروفدن ووريزت تدلّ على عجميتهم

وقد طمعت نفس درجمن بارض ادَّعى احد يهود اليفانتين واسمهُ محسيه انها لهُ. فتقدَّم محسيه وابنهُ وامرأتهُ الى محكمة الفرس وكان يرأسها دميدت وطلب ألَّا تُهضم حقوقهُ على البقعة المذكورة ورفع الشكوى عليهِ. فصدر امر دميدت الى محسيه بان يُثبت بالقسم ان هذه الارض لهُ لا لدرجمن. ثم ذكرت الكتابة حدود الارض وقرَّرت انها ملك محسيه ومن يرثهُ لا يستطيع احد ان ينازعهُ بها دون ان يُغرم بعض الكبوش (١. ويعقب ذلك اسم كاتب الصك وتواقيع الشهود

(السطران العاشر والحادي عشر) لا مشاحة ان اسفمت بن فطعونيت كان مصري الاصل والدليل على ذلك اسمهُ واسم ابيهِ فانهُ يُدعى (מלח זי מיא קשיא) وبالسريانية ܡܠܚܐ ܕܝ ܡܝܐ ܩܫܝܐ اعني بهِ « ملّاح المياه الصعبة » فكان اذًا يقوم بمساعدة من يرغب بعبور الشلالات وقد ذكر سنحريب وبختنصَّر في كتاباتهما المحلّ ذاتهُ بنفس العبارات

ان احد الشهود المذكورين في السطر السابع عشر يُدعى هوشع وهو ابن

---

١) كان الكبش نوعاً من النقود المشار اليها بالحرف « د » وهو عبارة عن الدرهم. لكن الجملة بقيت الى الان في طيّ الابهام

فطيخنوم ومن الممكن انهُ كان من عدد المترشحين الى دين اليهود كما كان اسحور الذي تهوَّد فدُعي ناتان

(سطر ١٧–٢١) وقَّع الشهود وكلٌّ بيدهِ الصكَّ الموما اليهِ وقد ثبت ذلك من تباين الخطوط . لكنَّهم جميعاً كانوا يحكمون كتابة الارامية ولو اختلفوا ارومةً وعنصرًا فبعضهم يهود وبعضهم مصريون او بابليون مثل هددنوري وسينكسيد بن نبوسمسكن او من الفرس كما يدل على ذلك اسم الشاهد الاخير. فمن ثمَّ يتضح ان اللغة الارامية كانت مألوفة الاستعمال اوانئذٍ . ويعلم القرَّاء ان ملوك الفرس عوَّلوا رسمياً على هذه اللغة وعلى كتابتها تسهيلًا لتدبير الاقاليم ولم يكن بوسعهم ان يتخذوا طريقةً غير هذه لان لغتهم لم تكن كثيرة الشيوع وزد على ذلك انها اشتُقّت من الكتابة المسماريَّة فكانت اذًا صعبة المنال لاسيَّما في السجلات والصكوك والمخابرات التجاريَّة

لا تخلو النصوص المكتشفة حديثًا من بعض كلمات وعبارات غامضة لا يمكن فهمها وشرحها الّا بكتابات جديدة نسأل الله ان يحظي المسيو كلرمون غانو بالاكتشاف عليها وقد سبق لنا القول آنفًا ان المستشرق الشهير عندما اطلع على المدارج البرديَّة التي نشرها علماء الانكليز وعلى اهميتها وعددها عقد النيَّة ان يباشر بحفريات في اسوان وجزيرة اليفانتين علَّهُ يجد المكان الذي عثر فيهِ الفلاحون على مجموع البابير المتقدم الذكر. وكان ايضاً يعلّل النفس بالوقوف على نسخة من التوراة . لانهُ كان ثمَّ هيكل ليهو في وسط المستعمرة اليهوديَّة فلا جرم والحالة هذه ان اليهود كانوا يتداولون كتبهم المقدسة والحق يُقال ان العثور على التوراة او على قسمٍ منها مكتوب على صحائف البردي او رقّ الغزال ممَّا يرتقي عهدهُ الى زركسيس او ارتحششتا او داريوس الثاني سوف يكون من اعظم اكتشافات هذا العصر . وذلك لان اقدم النسخ العبريَّة التي نُقل عنها كتابنا المقدَّس الحالي لا تتجاوز قدمًا الجيل السابع بعد المسيح

فقدمت جمعية علماء الكتابات الى المسيو كلرمون غانو مبلغ خمسة آلاف فرنك في فصل الشتاء الماضي ليذهب الى اسوان ويباشر بالحفريات في جزيرة اليفانتين فوجد اكثر من مائة كتابة حجريَّة سينشرها قريباً امَّا نسخة التوراة فلم يكتشف لها على اثر (١

١) ان المسيو روبنسوهن (Rubenshon) الالماني نال ايضاً في الوقت ذاتهِ امتيازًا للبحث عن العاديات في اسوان واليفانتين . لكننا نجهل ما نجم عن حفرياتهِ

وقد وعد الرجاء العالم المذكور بالرجوع السنة القادمة لاستئناف الحفريات وسنُطلع القرّاء على ما يتوصل اليهِ

المقدسيّ وجغرافيَّة سوريَّة

في القرن العاشر للميلاد

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقيّ

المقدسي من افضل كتبة الجغرافيَّة بين قدماء العرب فنتَّخذهُ كمثال يوقفنا على ما بلغهُ اولئك الائمَّة من الكمال في هذا الفنّ واخصّ ما نطلبهُ منهُ المعلومات التي اثبتها في كتابهِ عن سوريَّة وطنهِ كما عرفها في زمانهِ اعني في القرن العاشر للمسيح. وهذا ما حدا بنا الى ارصاد مقالةٍ خاصَّة للنظر في تأليفهِ

١ المقدسي وتأليفهُ

ليس المقدسي اوَّل من تولَّى وصف الشام لكنَّهُ يفوق على من تقدَّمهُ بوفرة معلوماتهِ وبحسن اسلوبهِ . والحقّ يقال انهُ تحرَّى في عملهِ طريقةً نظاميَّة تجعل تأليفهُ في مقام رفيع

ولد شمس الدين ابو عبدالله محمَّد بن احمد بن ابي بكر البنَّاء نحو السنة ٣٣٦ ﮪ (٩٤٧ م) في القدس الشريف فدُعي لذلك بالمقدسي وهو الاسم الذي ندعوهُ بهِ اختصارًا في ما يأتي. وكان جدُّهُ مهندساً بارعاً في الشام وهو الذي ابتنى ميناء عكا كما افادنا حفيدهُ اذ قال فيهِ (ص ١٦٢ و١٦٣):

« لم تكن (عكا) على هذه الحصانة حتى زارها ابن طيلون (طولون) وقد كان رأى صور ومَنَعتها واستدارة الحائط على ميناها فاحبَّ ان يتَّخذ لعكا مثل ذلك الميناء فجمع صنَّاع الكورة وعرض عليهم ذلك فقالوا: لا يهتدي احد الى البناء في الماء في هذا الزمان. ثم ذُكر لهُ جدُّنا ابو بكر البنَّاء وقيل: ان كان عند احد علمُ هذا فعندهُ. فكتب الى صاحبهِ على بيت المقدس ان ينهضهُ اليهِ. فلمَّا صار اليهِ وذكر لهُ ذلك قال: هذا امرٌ هيّن عليَّ بفِلَق الجُمَّيز الغليظة. فصفَّها على وجه الماء بقدر الحصن البرّي وخيَّط بعضها ببعض وجعل لها بابًا من الغرب عظيماً ثم بنى عليها

بالحجارة والشيد وجعل كلّما بنى خمس دوامس ربطها باعمدة غلاظ ليشتدّ البناء. وجُعلت القلَق كلّما ثقلت نزلت حتّى اذا علم انّها قد جلست على الرمل تركها حولًا كاملًا حتّى اخذت قرارها ثم عاد فبنى من حيث ترك كلّما بلغ البناء الى الحائط القديم داخلهُ فيهِ وخيّطهُ بهِ. ثم جعل على الباب قنطرة فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء وتجرّ السلسلة مثل صور »

تعاطى المقدسيّ في اوّل امرهِ التجارة وتجشّم لذلك اسفارًا اعدّتهُ للدروس الجغرافيّة. وكان يشعر في قلبهِ ميلًا عظيمًا الى معرفة البلدان ولم يزل يقوى فيهِ ميلهُ الى أن انقطع الى ذلك الفنّ بتمامهِ فطاف كل بلاد الاسلام اللهمّ الّا السند والاندلس. ثم باشر نحو السنة ٩٨٥ تصنيف كتابهِ فبلّغهُ كمالهُ بعد ثلاث سنوات. امّا سنة وفاتهِ فلا تزال مجهولة وكذلك تفاصيل ترجمتهِ لا نعلم منها الّا القليل مما اثبتهُ عن نفسهِ في مطاوي كتابهِ الذي دعاهُ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم

ومن البديهيّ انّ الكاتب أحكم القسم المختصّ ببلاد الشام مسقط رأسهِ فتوسّع فيهِ. لكنّ تأليفهُ كلهُ يستحقّ الثناء قال المستشرق غلدميستر (Gildmeister) « انّ المقدسيّ قد امتاز بين بقيّة ارباب اوصاف البلدان بكثرة ملحوظاتهِ وسعة نظرهِ (١ ». وقال سپرنغر (Sprenger): « ليس من سائح تجوّل في البلاد كما تجوّل المقدسيّ ولا احد لحظ ما لحظهُ او روى معلوماتهِ مثلهُ بنظام وترتيب ». وكذلك العلامة بربيه دي مينار (B. de Meynard) يعدّ تأليفهُ ذا قيمة لا تُقدَّر (٢. وكل هذه الاقوال عين الصواب. امّا حُسن الاسلوب فلهُ المقام الاوّل فيهِ بين رصفائهِ السابقين والذين اتوا بعدهُ لم يبلغوا شأوهُ بل زادوا تقهقرًا. ومن تصفّح كتاب المقدسيّ استحسن طريقتهُ في الكتابة فانك لا تراهُ يضيف الى عملهِ الاضافات النافلة والاستطرادات الزائدة كما يفعل ابن رُسْته وابن الفقيه وكذلك لم يدخل في اوصافهِ تعداد المراحل او مبالغ الخراج على طريقة مملّة شأن ابن خرداذبه في تأليفهِ. هذا فضلًا عن حسن نظر واصالة رأي مع ما يُبدي لوطنهِ من الحبّ الواجب دون ان يبخس حقوق بقيّة البلاد

١) في المجلّة الفلسطينيّة الالمانية (ZDPV, VII, p. 143)

٢) اطلب المجلّة الاسيويّة (JA, 1879 ², 271) وكتاب بروكلمان في آداب العرب (Brockelmann: *Gesch. d. arab. Litter.*, I, 230) ولاسيّما مقدّمة الدكتور دي غوي على القسم الرابع من مجموع جغرافيي العرب

ومِمَّا يستحبُّهُ القارئ فوق ذلك في مطالعة تأليف المقدسي حرصهُ على سياق الاخبار وتنسيق الاوصاف فترى الابواب متواصلة على احسن طريقة واضبط اسلوب على خلاف ما ترى في كُتب من تقدَّمهُ . مثال ذلك انهُ في كلامهِ عن كورة قنَّسرين جعل قصبتها حلب . وقد احسَّ بان القارئ يعترض عليهِ في ذلك فسبق بالردّ على اعتراضهِ بما حرفهُ (ص ١٥٦) :

« فان قال قائل . لِمَ جعلتَ قصبة الكورة حلب وههنا مدينة على اسمها . قيل لهُ : قد قلنا انَّ مَثَل القصبات كالقوّاد والمدن كالجند ولا يجوز ان تُجعل حلب على جلالتها وحلول السلطان بها وجميع الدواوين اليها وانطاكية ونفاستها وبالس وعمارتها اجنادًا لمدينة خربة صغيرة . فان قال : هلَّا استعملتَ هذا القياس في شيزر فاضفتَ اليها اصطخر ومدنها . قيل : لمَّا وجدنا باصطخر مدنًا احدقت بها وتباعدت منها استحسنَّا ما فعلناهُ ثمَّ والاستحسان في علمنا هذا ربَّما غلب القياس

امَّا طبعة هذا الكتاب فحسبُنا القول بان الذي تولَّى امرها انَّما هو احد افاضل المستشرقين العلَّامة دي غوي . وكان طبعها اوَّلًا سنة ١٨٧٧ ثم نفدت هذه الطبعة بعد مدَّة فاضطرَّ جناب ناشرها الى اعادة طبعها فانجز العمل في السنة المنصرمة . وفي ذلك دليل واضح على اقبال العلماء على هذا الكتاب وقلَّما تجد كتابًا علميًا عربيًا يحتاج الى طبعتين . ومن محاسن هذه الطبعة المستحدثة انَّ صاحبها اثبت فيها عدَّة فوائد جديدة استفادها من درسهِ الخاصّ ومن ملحوظات العلماء فجاءت هذه الطبعة الثانية غاية في الحسن سواء كان لضبط المتن (١ او لدقَّة الحواشي التي علَّقها في ذيل كل صفحة من الكتاب فيا ليت ادباء الشرق يحذون في طبعهم للتآليف القديمة حذو المستشرقين في طبعاتهم فيخدموا العلم كما فعل ناشر جغرافيَّة المقدسي

ولكن دعنا الآن نواصل بحثنا في التأليف الذي نحن بصددهِ

٢ بلاد الشام على عهد المقدسي

اوَّل ما افتتح بهِ المقدسي كتابهُ نظرٌ عموميّ في احوال الشام وهذه المقدَّمة حسنة اجمالًا لولا انَّ المؤلف افقدها شيئًا من فوائدها بزخرف سجعها والاولى بمثل هذه المقدّمات أن تُكتَب بسذاجة وكلام بعيد عن كلّ تصنُّع لئلا يحيد الفكر عن الجوهر

١) قد ضبط جناب الدكتور اسم سَلَميَّة بلدة شرقيّ حمص بتشديد الياء المثنَّاة وعندنا انَّ الصواب كتابتها بتخفيف الياء كما هو شائع في تلك الجهة

فينصرف الى الاعراض لاسيما اذا اتّسع الكتبة في السجع وتجاوزوا الحدود كما فعل ابن جُبَير. فدونك ما كتب المقدسي في وصف الشام (ص ١٥١):

(اقليم الشام) جليل الشأن دار النبيّين. ومركز الصالحين. ومعدن البدلاء. ومطلب الفضلاء. بهِ القبلة الاولى. وموضع الحشر والمسرى. والارض المقدّسة والرباطات الفاضلة والثغور الجليلة والجبال الشريفة ومهاجر ابراهيم وقبره وديار ايُّوب وبئره ومحراب داؤد وبابهُ وعجائب سليمان ومدنهُ وتربة اسحاق وامّه ومولد المسيح ومهدهُ وقرية طالوت ونهرهُ ومقتل جالوت وحصنهُ وجبّ ارميا وحبسهُ ومسجد اوريّا وبيتهُ وقبّة محمَّد وبابهُ وصخرة موسى وربوة عيسى ومحراب زكريّا ومعرك يحيى ومشاهد الانبياء وقرى ايُّوب ومنازل يعقوب والمسجد الاقصى وجبل زيتا ومدينة عكا ومشهد صدّيقا وقبر موسى ومضجع ابراهيم ومقبرتهُ ومدينة عسقلان وعين سلوان. وموضع لقمان ووادي كنعان. ومدائن لوط وموضع الجنان. . . ثم بهِ دمشق جنّة الدنيا. وصُغَر البصرة الصغرى. والرملة البهيّة وخبزها الحوّارى وايليّا الفاضلة بلا لأوى وحمص المعروفة بالرخص وطيب الهواء: وجبل بصرى وكرومهُ فلا تُنسى وطبريّة الجليلة بالدخل والقرى ثم البحر يمدُّ على طرفيه فالحمولات فيهِ اليهِ ابدًا وبحر الصين متّصل بطرفهِ الاقصى لهُ سهل وجبل واغوار واشياء والبادية على تخومهِ كالرقاق منهُ الى تيماء. وبهِ معادن الرخام وعقاقير كلّ دواء. ويسّار وتجّار ولباقة وفقهاء وكتّاب وصنّاع واطبّاء »

فترى من هذا الوصف انَّ بلاد الشام كانت وقتئذٍ غنيَّةً بمحصولاتها مُثريةً بتجارتها تزينها المدن العامرة والدساكر الخصبة لم تزل بحسن موقعها وعظم شأنها على ما كانت عليهِ سابقًا (اطلب المشرق ص ١٠٩) فتحفظ مقامها الخطير بين الاقطار. وكانت الشام مشحونة بالديار الواسعة والمنازل العامرة حتى يكاد الناظر يسهو عنها لكثرتها. قال المقدسي (ص ١٥٥ راجع ايضًا ١٧٦):

« وفي هذا الاقليم قرًى اجلّ واكبر من اكثر مدن الجزيرة (١ مثل داريّا وبيت لِهْيا وكفرسلّام وكفرسابا غير انّا على رسوم القرى معدودة فيها وقد قلنا انَّ عملنا موضوع على التعارُف »

وكان صاحب هذه الاسطر قد ألحق بوصفهِ للشام خارطةً كما فعل بسائر الاقاليم الّا انَّ هذه الخارطة لم تُنشر بالطبع فلا يسعنا الحكم عنها لتوجّه اليهِ الثناء او اللوم كفعلنا بالخوارط التي رسمها كتبة العرب

وبعد هذه المقدّمات ترى المقدسيّ يستقري كُوَر الشام واحدةً واحدة مباشرة من

١) يريد جزيرة العرب كما ارتأى بصواب المسيو دي غوي

جهة الشمال وهو يحصيهــا ستّة: قنسرين ثم حمص ثم دمشق ثم الاردن ثم فلسطين ثم الشراة. وهذه الكور توافق الخمسة الأجناد التي قُسمت اليهــا بلاد الشام منذ اوّل الفتح الاسلامي. والكورة الاولى اي قنّسرين تنطبق مع ولاية حلب الحاليّة تقريباً. لكنّنا لا نفهم كيف استطاع المقدسيّ (ص ١٥٤) أن يُدخل فيها جوسيّة الواقعة على مسافة ستّ ساعات جنوبيّ شرقيّ حمص. ولعلّ النسّاخ تصرّفوا بتقديم بعض الاسطر او تأخيرها فشوّشوا الترتيب. امّا كورة الاردن فكانت تشمل في جملة مدنهــا طبريّة وقدس وصور وعكا واللجّون وكابل وبيسان واذرعات وذلك ما يوافق من انحائنا الحاليّة كل متصرفيّة عكّا وقسماً من متصرفيّة نابلس وقائمقاميّة صور وبعض متصرفيّة حوران. امّا كورة الشراة فانّ المقدسيّ (ص ١٥٥) قد جعل «قصبتها صُغَر ومدنها مآب ومعان وتبوك وأذرُح ووَيلة ومَديَن». وصُغَر هذه هي المذكورة في التوراة كان موقعها جنوبيّ بحيرة لوط وقد استولى عليها الخراب منذ زمن طويل وسنعود الى ذكرها. هــذا محصّل تقسيم كوَر الشام كما كانت في القرن العاشر

وها نحن نستقري كلّ كورة لنرى ما يقول المقدسيّ فيهــا. قال عن حلب (ص ١٥٥):

« وامّا حلب فبلد نفيس خفيف حصين وفي اهلهــا ظرف ولهم يسار وعقول مبنيّ بالحجارة عامر. في وسط البلد قلعة حصينة واسعة فيها ماء وخزائن السلطان. والجامع في البلد. شربهم من نهر قُوَيق يدخل الى البلد الى دار سيف الدولة في شباك حديد والقصبــة ليست بكبيرة الّا انّ بها مستقرّ السلطان لها سبعة ابواب باب حمص باب الرقّــة باب قنّسرين باب اليهود باب العراق باب دار البطّيخ باب انطاكية وباب الاربعين مسدود »

وكانت انطاكية في ايّام المقدسيّ قد انحطّت عن رتبتهــا السابقة بعد تقدّمها على كل مدن الشام. ولذلك يكتفي الكاتب بذكرها دون وصفهــا. وعلى خلاف ذلك حمص فانها كانت نالت نصيباً وافياً من الفخر قال المقدسيّ في تعريفها (ص ١٥٦):

« حمص ليس بالشام بلد اكبر منها وفيها قلعة متعالية عن البلد تُرى من خارج اكثر شربهم من ماء المطر ولهم ايضاً نهر ولما فتحها المسلمون عمدوا الى الكنيسة فجعلوا نصفهــا جامعاً. عنده بالسوق قبّة على راسها شبه رجل من نحاس واقف على سمكة تديرها الارياح الاربع وفيه اقاويل لا تصحّ والبلد شديد الاختلال متداعٍ الى الخراب »

ويلوح من قول المقدسيّ (ص ١٥٦) ان تدمر كانت بعد في عهده على حالةٍ من العمران « قرية من البادية رحبة طيّبة ». وهاك وصف دمشق قال (ص ١٥٦ و١٥٧):

« دمشق هي مصر (١ الشام ودار الملك ايام بني امية وثَمَّ قصورهم وآثارهم بناؤهم خشب وطين وعليها حصن أُحدث وانا بهِ من طين اكثر اسواقها مغطّاة. ولهم سوق على طول البلد مكشوف حسن وهو بلد قد خرقتهُ الانهار. واحدقت بهِ الاشجار. وكثرت بهِ الثمار. مع رخص اسعار. وثلج واضداد لا ترى احسن من حماماتها ولا اعجب من فوّاراتها ولا احزم من اهلها. الذي عرفتهُ من دروجها باب الجابية باب الصغير باب الكبير باب الشرقي باب توما باب النهر باب الحامليين وهي طيّبة جدًّا. غير انَّ في هوائها يبوسة واهلها غاغة وثمارها تفهة ولحومها عاسية ومنازلها ضيّقة وازقّتها غامّة واخبارها رديّة والمعايش بها ضيّقة تكون نحو نصف فرسخ في مثلهِ في مستوى »

ثم يُردف المقدسيّ كلامهُ بوصف الجامع الاموي الشهير المعدود كاحدى عجائب دمشق. ووصفهُ اقدم ما ورد الينا في ذلك البناء العظيم ولولا طولهُ لاثبتناهُ هنا وهو يعرّفنا بمحاسن ذلك العمل الجليل ورونقهِ البهيّ قبل أن يُصاب ثلاثاً بمصاب الحريق ونحن نكتفي بذكر رواية نقلها المؤلف عن نفسهِ حيث قال (ص ١٥٩):

« قلتُ يوماً لعمّي: يا عمّ لم يحسن الوليد حيث انفق اموال المسلمين على جامع دمشق ولو اصرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورمّ الحصون لكان أصوب وافضل. قال: لا تغفل بنيّ انَّ الوليد وُفّق وكُشف لهُ عن امر جليل وذلك انهُ رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة وبيعة لُدّ والرها فاتّخذ للمسلمين مسجداً اشغلهم بهِ عنهنَّ وجعلهُ احد عجائب الدنيا ألا ترى انَّ عبد الملك لما رأى عظم قبّة القمامة وهيئتها خشي ان تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبّة على ما ترى »

وهو قول جليل يدلُّ على ما بلغهُ فنّ البناء والهندسة في بلاد الشام بين اهل الذمة

اما المدن الساحليّة فانها على ما يظهر كانت قليلة الشان بالنسبة الى حمص ودمشق فانَّ المقدسيّ لا يكاد يزيد على ذكر اسمائها حيث قال (ص ١٦٠): « صيداء وبيروت مدينتان على الساحل حصينتان وكذلك طرابلس الّا انها اجلّ ». بخلاف بانياس فانها

١) يريد بالمصر هنا المدينة الكبيرة والحاضرة. كما يقال من الكوفة والبصرة انهما مصرا العراق او (العراقان)

كانت في ذلك العهد مدينــة عامرة واسعة الثروة بما يأتيها من غلال كورة الحولة التي يدعوها المؤلف معدن الاقطان. قال (ص ١٦٠) :

« ومدينة بانياس على طرف الحولة وحدّ الجبــل ارخى وارفق من دمشق واليها انتقل اكثر اهل الثغور لمّا أُخذت طرسوس وزادوا فيها وهي كل يوم في زيادة لهم نهر شديد البرودة يخرج من تحت جبل الثلج وينبع وسط المدينة وهي خزانة دمشق رفقة باهلها بين رساتيق جليلة غير انّ ماءها رديّ »

ومن المدن التي افاض المؤلف في وصفها طبريّة وكانت اذ ذاك اعظم خطرًا منها اليوم مع انطباق وصفها اجمالًا مع وضعها الحاليّ. قال (ص ١٦١) :

« طبريّة قصبة الاردن وبلد وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة وهي ضيّقة كربة في الصيف مؤذية طولها نحو من فرسخ بلا عرض وسوقها من الدرب الى الدرب والمقابر على الجبل. بها ثماني حمّامات بلا وقيد ومياض عدّة حارّة الماء والجامع في السوق كبير حسن قد فُرش ارضهُ بالحصى على اساطين حجارة موصولة. ويقال « اهل طبريّة شهرين يرقصون وشهرين يقمقمون وشهرين يثاقفون وشهرين عُراة وشهرين يزمّرون وشهرين يخوضون » . يعني يرقصون من كثرة البراغيث ويلوكون النبق ويطردون الزنابير عن اللحم والفواكه بالمذابّ وعراة من شدّة الحرّ ويمصّون قصب السكّر ويخوضون الوحل . واسفل البحيرة جسر عظيم عليهِ طريق دمشق وشربهم منها عليها بما يدور قرى نخيل والسفن فيها تذهب وتجيء وماء الحمامات والدواميس اليها لا يستطيبها الغرباء كثيرة الاسماك خفيفة الماء والجبل مُطلّ على البلد شاهق »

والجسر الذي يذكرهُ الكاتب ليس هو على ما نظن جسر الجــامع الذي يُرى اليوم جنوبًا بل يريد جسرًا آخر خربًا تُرى بقاياهُ عند مخرج الاردن من بحيرة طبريّة. وكان اكبر من جسر المجامع واقرب من طبريّة . ويتّضح من وصفهِ ايضًا ان الطريق من دمشق الى طبريّة كانت تقطع ذلك الجسر مارّة بأفيق سواء وبينهما بريد واحد (ص١٩٠) وهكذا كانت تسهل المواصلات مع طبريّة دون عطفة جسر المجامع. وهذا ما يحملنا على مخالفة رأي المسيو دي غوي الذي ارتأى انّ الجسر المذكور هو جسر المجامع (ص ١٦١ في الحاشيــة h). ويؤخذ ايضًا من كلام المقدسيّ انّ ملاحة بحيرة طبريّة كانت ذات بال وانّ الكورة كانت في نموّ وعمران. امّا اليوم فلا تكاد ترى على بحيرة طبريّة سوى قوارب قليلة. والامل معقود بان سكّة الحديد الحميــديّة سوف تعيد قريبًا الى هذه المحالّ حركتها السابقة وتقدّمها

ثم اتبع المؤلف وصفهُ بذكر بلاد فلسطين وقد قدَّم عليهِ تعريف عكّا وميناها الخطير المشابه بحسنهِ مينا صور الذي وصفهُ بما يلي (ص ١٦٣):

« وصور مدينة حصينة على البحر بل فيهِ يُدخَل اليها من باب واحد على جسر واحد قد احاط البحر بها ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا ارض تدخل فيهِ المراكب كل ليلة ثم تجرّ السلسلة التي ذكرها محمَّد بن الحسن في كتاب الاكراه ولهم ماء يدخل في قناة معلَّقة وهي مدينة جليلة نفيسة بها صنائع ولهم خصائص وبين عكا وصور شبه خليج ولذلك يقال « عكا حذاء صور الَّا انك تدور » يعني حول الماء »

ولم يكن المؤلف لينسى وطنهُ بيت المقدس فافرد لهُ وصفاً مطوَّلا يستشفُّ من ورائهِ حبّ الكاتب لمسقط رأسهِ. واورشليم كانت اذ ذاك كما هي اليوم مدينة معتبرة ولذلك احببنا ان ننقل قسماً من كلامهِ. وليس شاهد ادلّ على فضل المقدسيّ من هذه المنقولات التي نثبتها في كلامنا مع حُسن بيانها لاحوال الشام في عصره. قال بعد ذكره للرملة قصبة بلاد فلسطين (١٦٥—١٦٧):

« بيت المقدس ليس في مدائن الكُوَر اكبر منها وقصبات كثيرة اصغر منها كاصطخر وقاين والفرما لا شديدة البرد وليس بها حرّ وقلَّ ما يقع بها ثلج . وسألني القاضي ابو القسم ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلتُ: سجسجٌ لا حرّ ولا برد شديد. قال: هذا صفة الجنَّة. بنياضم حجر لا ترى احسن منهُ ولا اتقن من بنائها ولا اعفّ من اهلها ولا اطيب من العيش بها ولا انظف من اسواقها ولا اكبر من مسجدها ولا اكثر من مشاهدها. عنبها خطير. وليس لمتقتها نظير. وفيها كلّ حاذق وطبيب. واليها قلبُ كل لبيب. ولا تخلو كل يوم من غريب . وكنت يوماً في مجلس القاضي المختار ابي يحيى ابن جرام بالبصرة فجرى ذكر مصر الى ان سئلتُ: اي بلدٍ اجلّ قلت: بلدنا. قيل: فايُّها اطيب. قلت: بلدنا. قيل: فايُّها افضل. قلت: بلدنا. قيل: فايُّها احسن. قلت: بلدنا. قيل: فايُّها اكثر خيرات. قلت: بلدنا. قيل. فايُّها اكبر. قلت بلدنا. فتعجب اهل المجلس من ذلك وقيل: انت رجل محصّل وقد ادّعيت ما لا يُقبَل منك وما مثلك الَّا كصاحب الناقة مع الحجّاج. قلتُ: امَّا قولي « اجلّ » فلانها بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من ابناء الدنيا واراد الآخرة وجد سوقها. ومن كان من ابناء الآخرة فدعتهُ نفسهُ الى نعمة الدنيا وجدها. وامَّا طيب الهواء فانهُ لا سمّ لبردها ولا اذى لحرّها. وامَّا الحُسْن فلا ترى احسن من بنيانها ولا انظف منها ولا انزه من مسجدها. اما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال والاشياء المتضادَّة كالاترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز. وامَّا الفضل فلانَّها عرَصة القيامة ومنها المحشر واليها المنشر. . . فتحوي الفضل كلهُ. واما الكبر فالخلائق كلّهم يُحشَرون اليها فايّ ارضٍ اوسع منها. فاستحسنوا ذلك واقرُّوا بهِ »

ويلي فلسطين ذكر الكورة السادسة وهي كورة الشراة دُعيت بذلك باسم جبل الشراة الذي يمرُّ بها . وقد سبق لنـــا في احد اعداد المشرق الاخيرة (ص ٥٧٧) ما اكتشفهُ في تلك الجهات الدكتور لويس موسيـــل . وها نحن نثبت هنا نتفًا ممّا جاء في تأليف المقدسيّ عن بعض بلدانها . قال في وصف صُغَر التي اشرنا آنفًا الى موقعهـــا جنوبي بحيرة لوط في موقع تنيف حرارتهُ على لظى كل البلاد (ص ١٧٨) :

« صُغَر اهل الكورتين يسمُّونها صقَر . وكتب مقدسي الى اهلـــهِ : من صقَر السفلى الى الفردوس الاعلى . وذلك انهُ بلد قاتل الغرباء رديءُ الماء ومن ابطأ عليهِ ملك الموت فليرحل اليها . ولا اعرف في الاسلام لها نظيرًا في هذا الباب ولقد رأينا بلدانًا وبيَّة ولكن ليس كهذه اهلهـــا سودان غلاظ وماؤهـــا حميم وكانها جحيم الَّا البصرة الصغرى والمتجر المُربح وهي على البحيرة المقلوبة وبقيَّة مدائن لوط وانّما نجت لانَّ اهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة والجبال منها قريبة »

ودونك ما كتب عن مآب (ص ١٧٧) :

« مآب في الجبل كثيرة القرى واللوز والاعناب قريبة من البادية ومؤْتة من قراها وثَمَّ قبر جعفر الطيَّار »

ومؤْتة المذكورة هنا موقعها معروف على بُعد نحو اربع ساعات جنوبيّ الكرك . وهذا دليل على موقع مآب لكنهُ غير كافٍ للحكم البات في ذلك كما سبق لنا القول في المشرق (ص ٥٨٠) . امَّا الكرك فانَّ المقدسيّ لم يروِ اسمها ولا دفعـــة واحدة بخلاف مآب التي يكرّر اسمها ويعدّها كمكان ذي شأن . وما ادرانا انَّ الكرك نفسها كانت تسمَّى مآب كما يُشعر بذلك اسمها اليوناني القديم فان البوزنطيين كانوا يسمُّونها كركموبا (Χαράχμωβα)

وليست مآب وحدها التي باد اثرها في تلك الناحية التي كانت بعدُ عامرةً في أيام المقدسيّ . وممَّا ذكرهُ أذرُح الشهيرة بمعسكرها الرومانيّ وفيهـــا جرت حكومة الحكَمَين من اعظم حوادث الدولة الامويَّة (١ . وبقيت أذرح في مقامهـــا الصالح الى القرن الثاني عشر وهي اليوم خراب وقد زرنا بقاياها في شهر آب من السنة ١٩٠٥ عند رجوعنا من عيون موسى ومدينة پترا التي كان الخراب استولى عليها قبل عهد المؤلف بزمن طويل فلم يتعرَّض لذكرها

١) راجع مقالاتنا في اخبار الخليفة معاوية (Etudes sur le Calife Moa'wia)

*

قد تبعنا المقدسيّ في تعريفهِ لاعظم مدن الشام الباقية في زمنهِ طبقاً لاوصافها الطبيعيَّة وتقاسيمها النظاميَّة. ولا نشكّ انَّ القارئ قدَّر الكاتب قدره بما نقلنا من نصوصهِ المتعدّدة. وهي كما ترى كافية لتجعل لهُ مقاماً ممتازاً بين ارباب رسوم البلدان. الّا انَّ للمقدسيّ فضلاً آخر بما الحقهُ بهذا القسم وهو فصلٌ علميّ دعاهُ « بجمل شؤون هذا الاقليم » واودعهُ عدَّة ملحوظات لتعريف جغرافيَّة الشام الطبيعيَّة والاقتصاديَّة والنسبيَّة وفي هذا الفصل ايضاً معلومات اخرى في العادات والنقود والاوزان والمكاييل ومال الخراج على مقتضى عادة كل كورة. وعندنا انَّ المؤلف يظهر في هذا الفصل من المزايا الفنيَّة وحسن النظر الجغرافيّ الذي يرقّي مقامهُ بين الكتبة ولهُ من الملحوظات ما لو كُتب في زماننا لنال بسببهِ الكاتب ثناء . وهو القسم الذي لاجلهِ يطرئ المستشرقون عمل المقدسيّ ويعظمونهُ (١ . فمن ذلك ما روينا عنهُ في تقاسيم بلاد الشام ما يشهد لهُ بثقوب العقل ودقَّة النظر (٢

والكاتب يفتتح كلامهُ بوصف احوال الجوّ في بلاد الشام كما كان حقيقاً بهِ قال (ص ١٧٩) :

« هو اقليم متوسّط الهواء الّا وسطهُ من الشراة الى الحولة فانهُ بلد الحرّ والنيل والموز والنخيل وقال لي يوماً غسَّان الحكيم ونحن باريحاء : ترى هذا الوادي . قلتُ : بلى . قال : هو يمتدُّ الى الحجاز ثم يخرج الى اليمامة ثم الى عُمان وهجَر ثم الى البصرة ثم الى بغداد ثم يصعد الى ميسرة الموصل الى الرقَّة وهو وادي الحرّ والنخيل واشدّ هذا الاقليم برداً بعلبكّ وما حولها . ومن امثالهم قيل للبرد : اين نطلبك . قال : بالبلقاء . قال : فان لم نجدك . قال : بعلبكّ بيتي : وهو اقليم مبارك بلد الرخص والفواكه والصالحين . وكلَّما علا منهُ نحو الروم كان اكثر انهاراً وثماراً وابرد هواءً وما سفل منهُ فانهُ افضل واطيب والذّ ثماراً واكثر نخيلاً ليس فيهِ نهرٌ يسافَر فيهِ »

وهذا القول الاخير غاية في الصواب فان المقدسيّ لم يكن ليصادق على مذهب

---

١) اطلب تاريخ الاداب الشرقية لفون كريمر (Von Kremer: *Culturgeschichte* II, 429-433)

٢) وقد نقل مع هذا روايات ضعيفة ومزاعم غريبة تجدها في غيره من الكتبة كابن الفقيه ومعظم عدد الجغرافيين من ذلك قولهُ (ص ١٣٤) : سُئل ابن العبَّاس عن الجزر والمدّ قال : ملاك موكَّل بقاموس البحر اذا وضع رجلهُ فاض فاذا رفع رجلهُ غاض الماء

اسطرابون ومن ارتأى رأيهُ بانَّ العاصي يمكن ركوبهُ على الاقل من انطاكية. وهو زعم لا صحَّة لهُ حتى مع حصر الكلام وتخصيصهِ بهذا القسم الصغير فانَّنا قد تحقَّقنا بنفسنا الامر اذ سرنا في وادي العاصي من انطاكية فوجدناهُ لا يصلح لمرور القوارب

ومن الظواهر الجويَّة التي ذكرها المقدسيّ الندى في انحاء الشام وخصوصاً في بعض جهات فلسطين فقال (ص١٨٦): «يترل على فلسطين في كلّ ليلة الندى في الصيف اذا هبَّت الجنوب حتى يجري منهُ مزاريب المسجد الاقصى». وممَّا رأيناه بالعيان انَّنا بتنا في دنبان بين الكرك ومادبا في شهر آب سنة ١٩٠٥ تحت ظل السماء. فلمَّا قمنا صباحاً شعرنا بالندى قد بلَّل اغطيتنا حتى امكنَّا عصرها لو شئنا. ومثل هذا الندى يسقط في الناصرة من عمــل الجليل وفي بزيزا في ناحية الكورة (لبنان). ووفرة الندى كما هو معلوم من البركات التي يستدرُّها الناس من السماء ويعد بها الكتاب الكريم كالغيث والمطر

وقد اعقب المقدسيّ ذكر الظواهر الجويَّة بوصف التجارات اي الغلات الصــادرة من الشام. وفي تعدادهِ دليل واضح على تقــدُّم التجارة والصناعة في ذلك العهد كما يشهد على كثرة تلك الصادرات وغنها (١). وها نحن نورد كلامهُ لفائدتهِ (ص ١٨٠— ١٨١):

«والتجارات بهِ (اي الشام) مفيدة يرتفع من الفلسطين الزيت والقطين والزبيب والخرنوب والملاحم والصابون والفوط. ومن بيت المقــدس الجبن والقطن وزبيب العينوني والدوريّ غاية والتفَّاح وقضم قريش الذي لا نظير لهُ والمرايا وقدور القناديل والإبَر. ومن اريحا نيل غاية. ومن صُغَر وبيسان النيل والتُمور. ومن عمَّان الحبوب والحرفان والعسل. ومن طبريَّة شقاق المطــارح والكاغد وبزّ. ومن قدس الثياب المنيَّرة والبلعسيَّة والحبال. ومن صور السكَّر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات. ومن مآب قلوب اللوز. ومن بيسان الرزّ. ومن دمشق المصور والبلعيسيّ وديباج ودهن بنفسج دون والصفريَّات والكاغد والجوز والقطين والزبيب. ومن حلب القطن والثياب والاشنان والمغرة. ومن بعلبك الملابن. ولا نظير لقطين وزيت الانفاق وحوَّارى ومبازر الرملة ولا لمنَّقة وقضم قريش وعينونيّ ودوريّ وترياق وترذوغ وسُبَح بيت المقــدس. واعلم انهُ قد اجتمع بكورة فلسطين اربعــة وثلاثون شيئاً لا يجتمع في غيرها. فالسبع الاولى لا توجد الّا جا والسبع الثانية غريبة في غيرها والاثنان والعشرون لا تجتمع الّا جا وقد يجتمع اكثرها في غيرهـــا مثل: قضم قريش والمنَّقة والعينونيّ والدوريّ وانجاص الكافوريّ وتين السباعيّ والدمشقيّ والقلقاس والجمَّيز والخرنوب والمكّوب والعنّاب وقصب السكَّر والتفــاح الشاميّ

(١) راجع في المشرق (٩: ٩١٩) مقالتنا في تجارة سواحل سوريَّة

*

قد تبعنا المقدسيّ في تعريفهِ لاعظم مدن الشام الباقية في زمنهِ طبقاً لاوصافها الطبيعيّة وتقاسيمها النظاميّة. ولا نشكّ انّ القارئ قدّر الكاتب قدرهُ بما نقلنا من نصوصهِ المتعدّدة. وهي كما ترى كافية لتجعل لهُ مقاماً ممتازًا بين ارباب رسوم البلدان. الّا انّ للمقدسيّ فضلًا آخر بما الحقهُ بهذا القسم وهو فصلٌ علميّ دعاهُ «بجمل شؤون هذا الاقليم» واودعهُ عدّة ملحوظات لتعريف جغرافيّة الشام الطبيعيّة والاقتصاديّة والنسبيَّة وفي هذا الفصل ايضاً معلومات اخرى في العادات والنقود والاوزان والمكاييل ومال الخراج على مقتضى عادة كل كورة. وعندنا انّ المؤلف يظهر في هذا الفصل من المزايا الفنيَّة وحسن النظر الجغرافيّ الذي يرقّي مقامهُ بين الكتبة ولهُ من الملحوظات ما لو كُتب في زماننا لنال بسببهِ الكاتب ثناء. وهو القسم الذي لاجلهِ يطرئ المستشرقون عمل المقدسيّ ويعظمونهُ (١. فمن ذلك ما روينا عنهُ في تقاسيم بلاد الشام ما يشهد لهُ بثقوب العقل ودقّة النظر (٢

والكاتب يفتتح كلامهُ بوصف احوال الجوّ في بلاد الشام كما كان حقيقاً بهِ قال (ص ١٧٩):

«هو اقليم متوسّط الهواء الّا وسطهُ من الشراة الى الحولة فانهُ بلد الحرّ والنيل والموز والنخيل وقال لي يوماً غسَّان الحكيم ونحن باريحاء: ترى هذا الوادي. قلتُ: بلى. قال: هو يمتدّ الى الحجاز ثم يخرج الى اليمامة ثم الى عُمان وهجَر ثم الى البصرة ثم الى بغداد ثم يصعد الى ميسرة الموصل الى الرقّة وهو وادي الحرّ والنخيل واشدّ هذا الاقليم بردًا بعلبكّ وما حولها. ومن امثالهم قيل للبرد: اين نطلبك. قال: بالبلقاء. قال: فان لم نجدك. قال: بعلبكّ بيتي: وهو اقليم مبارك بلد الرخص والفواكه والصالحين. وكلّما علا منهُ نحو الروم كان اكثر انهارًا وثمارًا وابرد هواء وما سفل منهُ فانهُ افضل واطيب والذّ ثمارًا واكثر نخيلًا ليس فيهِ نهرٌ يسافَر فيهِ»

وهذا القول الاخير غاية في الصواب فان المقدسيّ لم يكن ليصادق على مذهب

١) اطلب تاريخ الاداب الشرقية لفون كريمر (Von Kremer: *Culturgeschichte* II, 429-433)

٢) وقد نقل مع هذا روايات ضعيفة ومزاعم غريبة تجدها في غيره من الكتبة كابن الفقيه ومعظم عدد الجغرافيين من ذلك قولهُ (ص ١٢٤): سُئل ابن العبَّاس عن الجزر والمدّ قال: ملاك موكَّل بقاموس البحر اذا وضع رجلهُ فاض فاذا رفع رجلهُ غاص الماء

اسطرابون ومن ارتأى رأيهُ بانَّ العاصي يمكن ركوبهُ على الاقل من انطاكية. وهو زعم لا صحَّة لهُ حتى مع حصر الكلام وتخصيصهِ بهذا القسم الصغير فانّنا قد تحقَّقنا بنفسنا الامر اذ سرنا في وادي العاصي من انطاكية فوجدناه لا يصلح لمرور القوارب

ومن الظواهر الجويَّة التي ذكرها المقدسيّ الندى في انحاء الشام وخصوصاً في بعض جهات فلسطين فقال (ص١٨٦): «يتزل على فلسطين في كلّ ليلة الندى في الصيف اذا هبَّت الجنوب حتى يجري منهُ مزاريب المسجد الاقصى». وممَّا رأيناه بالعيان انّنا بتنا في دنبان بين الكرك ومادبا في شهر آب سنة ١٩٠٥ تحت ظل السماء فلمَّا قمنا صباحاً شعرنا بالندى قد بلّل اغطيتنا حتى امكنًا عصرها لو شئنا. ومثل هذا الندى يسقط في الناصرة من عمل الجليل وفي بزيزا في ناحية الكورة (لبنان). ووفرة الندى كما هو معلوم من البركات التي يستدرُّها الناس من السماء ويعد بها الكتاب الكريم كالغيث والمطر

وقد اعقب المقدسيّ ذكر الظواهر الجويَّة بوصف التجارات اي الغلات الصادرة من الشام. وفي تعدادهِ دليل واضح على تقدُّم التجارة والصناعة في ذلك العهد كما يشهد على كثرة تلك الصادرات وثمنها (١). وها نحن نورد كلامهُ لفائدتهِ (ص ١٨٠—١٨١):

«والتجارات بهِ (اي الشام) مفيدة يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب والخرنوب والملاحم والصابون والفوط. ومن بيت المقدس الجبن والقطن وزبيب العينوني والدوريّ غاية والتفاح وقضم قريش الذي لا نظير لهُ والمرايا وقدور القناديل والإبر. ومن اريحا نيل غاية. ومن صُغَر وبيسان النيل والتُمور. ومن عمَّان الحبوب والخرفان والعسل. ومن طبريَّة شقاق المطارح والكاغد وبزّ. ومن قدس الثياب المنيّرة والبلعسيَّة والحبال. ومن صور السكَّر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات. ومن مآب قلوب اللوز. ومن بيسان الرزّ. ومن دمشق المصور والبلعيسيّ وديباج ودهن بنفسج دون والصفريّات والكاغد والجوز والقطين والزبيب. ومن حلب القطن والثياب والاشنان والمغرة. ومن بعلبك الملابن. ولا نظير لقطين وزيت الانفاق وحوّارى وميازر الرملة ولا لمنَّقة وقضم قريش وعينونيّ ودوريّ وترياق وترذوغ وسُبَح بيت المقدس. واعلم انهُ قد اجتمع بكورة فلسطين اربعة وثلاثون شيئاً لا يجتمع في غيرها. فالسبع الاولى لا توجد الّا جا والسبع الثانية غريبة في غيرها والاثنان والعشرون لا تجتمع الّا جا وقد يجتمع اكثرها في غيرها مثل: قضم قريش والمنَّقة والعينونيّ والدوريّ والنجاص الكافوريّ وتين السباعيّ والدمشقيّ والقلقاس والجمَّيز والخرنوب والكَّوب والعنَّاب وقصب السكَّر والتفاح الشاميّ

١) راجع في المشرق (٩: ٩١٩) مقالتنا في تجارة سواحل سوريَّة

والرُّطَب والزيتون والاترجّ والنبل والراسن والنارنج واللُّفّاح والنبق والجوز واللوز والمليون والموز والسماق والكرنب والكماة والترمس والطريّ والثلج ولبن الجواميس والشهد وعنب العاصمي والتين التمريّ »

وكذلك عدَّد المعادن الشاميَّة وتعداده مهمٌّ لشؤون الصناعة في زمانهِ . قال (ص ١٨٤):

« بهِ (اي اقليم الشام) معادن حديد في جبال بيروت وبحلب مغرة جيّدة وبعمّان دوخا وبهِ جبال حُمَر يسمّى تراجا الصمغة وهو تراب رخو وجبال بيض تسمّى الحوّارة فيهِ ادنى صلابة يبيّض بهِ السقوف ويطيّن بهِ السطوح وبفلسطين مقاطع حجارة بيض ومعدن للرخام ببيت جبريل وبالاغوار معادن كبريت وغيره . ويرتفع من البحيرة المقلوبة ملح مثور وخير العسل ما رعى السعتر بايليا وجبل عاملة واجود المُري ما عُمل باريحاء »

وهذا التعداد يدلُّ كما ترى على فقر بلاد الشام بالمعادن كما اشرنا اليهِ غير مرَّة (١

وللمقدسيّ اسطر قليلة كتبها في مجاري المياه في بلاد الشام تفيد معرفتها محبّي الاسفار قال (ص ١٨٤):

« ومياه هذا الاقليم جيّدة الّا ماء بانياس فانهُ يُطلق وماء صور يحصر وماء بيسان ثقيل وماء الرملة مريّ وماء نابلس خشن وفي ماء دمشق وايليا ادنى خشونة وفي الهواء ادنى يبوسة »

ولم يسهُ المؤلف عن ذكر حمَّامات طبريَّة المعدنيَّة وحمَّامات الحمَّة قال (ص ١٨٥):

« وبطبريّة عين تغلي تعمُّ اكثر حمَّامات البلد وقد شُقَّ الى كل حمَّام منها نهر فبخارهُ يحمّي البيوت فلا يحتاج الى وقيد وفي البيت الاول ماء بارد يمزج مقدار ما يتطهّرون بهِ ومطاهرهم من ذلك الماء وفي هذه الكورة ماء مسخّن يسمّى الحمَّة حارّ من اغتسل فيهِ ثلاثة ايّام ثم اغتسل في ماء آخر بارد وبهِ جرَب او قروح او ناسور او اي علَّة تكون برأ باذن الله »

ومن غريب ما رواهُ (ص ١٨٤) في مجاري الانهار قولهُ عن بردَى عند خروجهِ من دمشق فزعم « انهُ ينقسم قسمين بعض يتبخّر نحو البادية وبعض ينحدر فيلقى نهر الاردن » وبديهيّ انَّ نهر بردى ليس هو مطلقاً من سواعد الاردنّ . ومن مزاعمهِ ايضاً (ص ١٨٤) انَّ في بحيرة لوط جبالًا . وهو رأي تفرَّد بهِ المقدسيّ ولا اصل لهُ وكذلك يسمّي بحر القلزم « بحر الصين » ويطلق الاسم عينهُ على خليج العجم . وفي قولهِ دليل على اتساع تجارة الصين في زمانهِ وشيوعها في مدن بحر القلزم الساحليَّة . امَّا الجبال فقد

١) اطلب في كتابنا سريح الابصار (٢ : ٢٠٧) مقالتنا في معادن لبنان

وصفها المقدسي وصفاً خفيفاً غير وافٍ بالمرام. ومما قال في لبنان (ص ١٨٨) انهُ كثير الاشجار والثمار المباحة ثم ذكر عبّاده. ويلوح من قولهِ فيهِ انَّ جنوب هذا الجبل لم يكن مأهولاً على عهدهِ

فيرى القرّاء من هذه التفاصيل سبب اعجاب المستشرقين بتأليف المقدسي فيا ليتهُ كان وجد لهُ اخلافاً مثلهُ ذوي عقل ثاقب يفقهون الابحاث الجغرافيّة فكان هذا العلم اصاب ترقياً عظيماً الّا انَّ اغلب الكتبة الذين جاؤوا بعدهُ كانوا دونهُ اللهمَّ الّا الشريف الادريسي

ومما استفادهُ القارئ ايضاً من هذا البحث كما نظنّ انهُ يرى ما طرأ على بلاد الشام من التقلّبات واختلاف الاحوال في اطوار التاريخ فمنها ما يزيد وينمو ومنها ما ينقص ويتقهقر على حسب كوارث الدهر. وهذا يلوح من درس كل الكتبة الجغرافيين من العرب فانهم وان لم يبلغوا شأو المقدسي الّا انهم تركوا لنا معلومات ثمينة تؤدي بنا الى معرفة بلادنا في قرون شتى مع ما جرى فيها من الماجريات في نظامها وتجارتها وبقيّة امورها مما يستفيد منهُ المؤرخ لاستطلاع احوال البلاد وادراك الحوادث الجارية فيها جيلاً بعد آخر

سيرة الحبر الطيّب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

للقس توما البودي نشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها الاب انطون ربّاط اليسوعي (تابع)

ولنرجع الى سيرته لئلا اعيد الماضي فاقول: ان صلاته ونسكه وسهره ورشده للغير وطول اناته وتواضع اللبّ مع هذيذه كان دائماً يزيد ولا ينقص ومن حيث قمع الجسم بلغ الى هذا الحدّ من الضعف حتى انهُ اراد ان ينهض بين يديه الاثنتين مقدار ثلاثة ارطال فما كان يقدر

ووقتئذٍ كان البطريرك يعقوب عواد وكان محبًّا للرهبنة ولعبدالله بالأكثر (١.

١) لهذه الشهادة اهمية تاريخية لانها تخالف ما اعتاد المؤرخون تكرارهُ (اطلب سلسلة البطاركة ص ٤٦ و١٨٨ ومختصر تاريخ لبنان المخطوط لانطونيوس المينطوريني وغيرهما)

فحدث ان واحد من الابهات والظاهر انَّ غيرتهُ على عبدالله حملتهُ على ذلك لئلا تعدمهُ الرهبنة من زود ضعفه فتكلم مع البعض واظهر الغيرة فاستصوبها الكثيرون وكتبوا عرضحال للسيد البطريرك ليلزم عبدالله ان لا يصوم يومين. وكذلك صار ومن يريد كيف ظهرت اخيراً النوايا فعليهِ بقراءة التواريخ. فاطاع عبدالله امر البطريرك وابتدأ بتقشف صارم جداً بغير نوع بحيث لو يصوم لكان اخير فندم الذين قدموا العرضحال

امَّا اعتباره عند الغُرب فكان عظيماً لانهم وجدوهُ هكذا رجل صالح محب الحق مبغض الكذب وكانوا يكنونه بالمصري لان جوابه كان سريع (١ وكان مصدَّقاً عند الجميع ومهاباً منهم وما لي اقول مهاب عند البشر بل عند الشياطين ايضاً كما يبان من هذا الحادث الذي اصفه:

اتفق مرة وهو بدير قزحيا ان جاؤوا بمجنون دخلهُ روح سوء الى الدير المذكور (٢ والمجنون كان نصرانياً من بلاد الدروز وكانوا يقيدونه من نحو خمسة عشر رجلًا لانهُ كان ذا قوَّة وجهاد عظيم فوضعهُ الرهبان في الجنزير في مغارة المجانين فدخل يوماً ما الاخ سليمان شننعيري (٣ الى المغارة ليرى المجنون وكنت انا معهُ واذ شاهد المجنون الاخ سليمان وشاهدني بدأ يتمرمر ويتحرَّق باسنانه نحونا ولاسيما نحو الاخ سليمان الذي كان بعد حدثاً في العمر ويقول لهُ: « اه منك يا حنك الرخو اخرج براً هذه الغيضة حتى اعلمك ». وكان قصده بالغيضة الرهبنة. اجابه الاخ المذكور انا بنعمة سيدي يسوع المسيح لا اخاف منك يا ملعون لانهُ هو يقويني عليك. اجابه المجنون المتشيطن وهو ممزَّق بالغيظ وتنفرقط الاسنان: « ادعُ للذي عمال يتمشَّى على السطح فان راح عنكم » افرجكم. وكان وقتها عبدالله يتمشى على السطح فكأنَّ اللعين ما كان يجسر على الدنو منهم هيبةً من عبدالله الذي كان بينهم

اما اموره السرّية المعروفة عند اعيان الرهبنة فقد انعرفت من قبل المواهب التي

---

١) يوصف المصري بسرعة الجواب ومنهُ المثل عند العامة: « المصري جوابه في فمه »

٢) ان هذا الدير مشهور بشفاء المجانين المتشيطنين وبغير اشياء كما يأتي بيان ذلك في تواريخ الرهبنة (حاشية للمؤلف)

٣) لبس الاسكيم في ١٥ اب ١٧٠١ من يد القس عبد الله قراعلي في دير مار اليشع وتوفاه الله في ٢٧ نيسان ١٧٠٧ (نقلًا عن سجلات الرهبنة)

كانت لهُ . يقول القديس افرام : «ان الانسان الذي اتقن الصوم والصلوة والهذيذ الروحي فانهُ يُعطى من الله موهبة معرفة المزمعات» . والحال ان هذا المغبوط كان قد حصل على هذه الثلثة : اولًا الصلوة كان متى انتصب فيها وحده حالًا كان يشخص ما قصدهُ من غير تعب . ثانيًا الصوم كان سهلًا لديه جدًّا . ثالثًا السهر كان اكثر لياليه ساهرًا وذاك الرقاد القليل الذي كان يرقدهُ وهو قاعد من غير ان يستنـد الى شيء واستقام يرقد وهو جالس مدة اربعة عشرة سنة الى ان ارتسم مطرانًا . فان اردت ايهـا القارئ الحبيب ان تصدق ان ابانا حصل على هـذه الثلاث فضائل هانذا اريد ان اظهر لك الاشياء التي أطلعنا هو عليها :

اولًا ليلة الواحدة وهو منتصب في صلاته في الكنيسة في آخر الصلوة رأى ذاته حزينًا فاذ تأمل ذلك زاد حزنه فتوجه الى قلايته ليرقد قليـلًا كالمعتاد ولما كان بين الوعي والرقاد نظر شهب نارٍ في القلاية وشيئًا يقول لهُ : انظر يا عبدالله . وحين فاق رجع الى الكنيسة وجثا امام الهيكل وهو يهتف نحو يسوع بقوله : عرفني آثامي يا الهي . وثاني يوم عرض ذلك على احد اخوته الرهبان المعتاد ان يعطيـه سره غير اوقات وقال له هكذا : « يا فلان تجربة شيطانيَّة صارت في الرهبنة وانا لم اقدر ان اتسلى لكن في هذه الليلة يأتيني خبرها » وهكذا صار لأن بعد يومين اتاه الخبر عن دير ما ان لولا عناية الله وصلاته لصار سقطة عظيمة في احد الرهبان والغريم بالذات اي صـاحب التجربة جاء هو بذاته الى عنده واعطى المجد لله الذي ما سمح في كمال التجربة

ثانيًا مرة واحدة كان موجودًا ابونا المشار اليـهِ في دير مار انطونيوس قزحيا فارسل طلبني لاني كنت غائبًا عنهُ في اشغال الرهبنـة . ولما وصلت الى عنده امر ان ياخذوا تلك الليلة فرشتي الى قلايته وبعد صلاة الستار اخبروني ان رقادي يكون في قلاية ابينا فعجبت انا من ذلك وما خليتُ من آثار الوهم وصرت كأني مذهول ونبَّه عليَّ ان لا احد يجي لعنده وانتصب يصلي زمانًا وبعد ان خلص صلاتهُ طلبني لاكون قاعدًا جنبه وقال لي هكذا : « عليَّهمّ لا يُقدَّر ولم ارَ لي مسلّي يسليني » . واما انا بما اني عارف انهُ يتكلم بالغيب كما سبق لهُ مرارًا عدَّة وبما كان لي عليهِ دالة ونحن وحدنا قلت لهُ هذه الالفاظ : بديت تبشرنا بالعكس . فتبسم وكان جوابهُ لي : بدك مرزّبة حتى تصـير راهب . فرديت له الجواب : قول حتى نقشع . فقال : يا توما الرهبنة قادمة على تجربة عظيمة

بخساير بليغة ولكن انا مستصعب واحدة ان في هذه التجربة موت رهبـان قتلًا وانا فكرتي لئلا تكون انت واحدًا منهم — فقلت له : اخبرني كيف يكون موت رهبـان قتلًا بسلاح او بغيره . اجاب : يا ولدي هذا شيءٌ مخبًا عني وكان مرادي ما تفارقني لاني اخاف عليك . وسبب خوفهِ علي لانهُ كان واقع مخاصمات ما بين الرهبنة واهل البطريرك يعقوب بعد رجوعهِ الى الكرسي البطريركي (١ وكانت اهل الجبـال منقسمة اغراضًا جميعها من اكليروس وعوام وحكّام وبما اني كنت انا اباشر الاشغال نيابة عن الرهبنة فهذه علة خوفه . ومن بعد ان اخبرني هـذا الخبر فكلما كنت افارقهُ فحين ارجع كان السعيد الراهب الذى يبشره ان القس توما اتى

وفي احدى السنين حدث غلاء عظيم في طرابلوس وجبـة بشراي وفي كل البلاد وبلغ ثمن كيل القمح الى سبعة غروش (٢ وليس كان لهُ وجود وكان عدد الرهبـان في دير قزحيا ينوف عن الاربعين راهبًا واجراء ومكارية ثمانية ورعيـان المعزى والبقر اثني عشر وبطوش (٣ وذوي عاهات يعيشون من حسنة الدير ثلاثة عشر واحدًا وكل واحد من هؤلا البطوش كان ياكل في وقعته قصعة طعام وأنوف من عشرة ارغفة خبز . ومع هذا العدد جميعه فالضيوف والزوار الذين كانوا يتواردون كل يوم الى الدير واغلبهم من شدة الجوع ليا كلوا وكان عددهم غير مقدر . ومفهوم عندكم ورود الضيوف والزوار لقزحيا غير ايّام الغلاء فكم يكن في ايّامه اوفر . ومع هذا جميعه لم يكن موجودًا في الدير قمح سوى مائة وخمسين كيلًا لا غير موضوعة في بئر في كنيسة مار افرام خلف المذبح . وكان قزحيا يقطع كل يوم كيلين ونصف طحين على العدد المذكور من رهبان ورعيان واجراء وضيوف فيكون في الشهر خمسة وسبعين كيل طحين . وكان باقي لطلوع القمح الجديد في السواحل سبعة اشهر . فتشاور البعض من الرهبـان فيما بينهم ان يكلموا عبدالله

---

١) اطلب المشرق (٤ : ٣٦٣) وسلسلة بطاركة الطائفة المارونية (١٧٤ و١٨٩) وتاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية للخوري ميخائيل غبريل (٢ : ٥٥٠) والجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل للسيد يوسف دبس (ص ٤٣٠)

٢) كان الغرش يعادل الريال في ذلك الوقت اطلب كتابنا (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, T. I., p. 571.)

٣) البطوش لفظة عامية بمعنى الضَّيفن والمتطفّل والتنبل مفردها بَطّش

ليصرف هؤلاء البطوش من الدير الذين كل واحد منهم ياكل في وقعته هذا القدر بزعمهم ان القمح قليل وليس بمعلوم انهُ يكفي الرهبان والاجراء اللازمين علاوةً عن الضيوف وفي البلاد مالهُ وجود والانسان في وقت الضيق يلتزم بالأضرّ والالزم لهُ . وحين عرضوا آراءهم عليهِ استصعبها جدًّا واجابهم قائلًا : اذا طردنا هؤلاء البطوش المساكين من الدير من اين يعيشون لان البشر ما احد منهم عمال يطعم احدًا ودير قنوبين الكرسي خراب ما احد يلفي عليهِ وهل ترون صوابًا انهم يموتون من الجوع والاله الذي يقيتنا على المذابح اما هو قادر ان يقيتهم ؟ اما يوجد في احدكم ايمان الاله الذي يتقدم كل يوم مرات عديدة حيث هو موجود القمح انهُ قادر ان يقيتنا ويقيتهم والشيء الذي تقولونه انا لا اعمله بل القمح الذي عندنا ناكله نحن وهم . فاجابه الرهبان : مثل ما تريد يا ابانا ولم يكتفِ عبدالله بهذا فقط بل ارسل الى وكيل الرهبنة ليشتري لهُ لكل واحد من البطوش المذكورين كسوة كاملة اي لكل واحد عباء ومقطعاً وعرقية وشالة ومداس وكساهم كسوة جديدة واستمر يقدم لهم الاكل كما كانوا ياكلون اولًا من غير نقص . فيا لهُ من ايمان حيّ فاعل لانهُ صادق هو القائل : مهما تسألون بالصلوة آمنوا انكم تنالونهُ فيكون لكم الخ . لان القمح المذكور كفى لعدد الجمهور ولكافة الضيوف الواردة الى الدير الى ان طلع الشعير الجديد في الساحل فاشتروا واكلوا الى ان طلع القمح الجديد في السواحل ايضاً فابتدوا ان يشتروا وياكلوا حتى طلع قمح الدير الجديد

ويوماً من ذات الأيام كنّا قاعدين في دير مار انطونيوس قزحيا على السطح بعد العشاء كالمعتاد وكنا أنوف من خمسة واربعين راهباً وكان يتكلم ابونا بامور روحية حسب عادته . ومن عادته في آخر التنزيه لا بد ما يرمي كلمة ما تضحك الرهبان وتبسطهم وكانت هذه دليلًا ليبدأوا يتكلمون مع بعضهم . فحين صار ما ذُكر التفت اليّ والى اثنين من المدبرين وقال هكذا : « انظروا الى هذا الثمر المنقّى في خدمة يسوع وهذا الجمهور المبارك الذي لا بد ما لعدوّ الخير ذاك الاركون يضرب البعض منهم » ومع قوله هذا اهطل الدموع

ويوم آخر كنت انا والمذكور في طرابلس فجاء واحد من المسيحيين اسمهُ ابو نصّار حاتم من كفرزينا لهُ ولد وهو ابنهُ البكر وعمره نحو ست سنين فترامى ابو الصبي عليّ

حتى اقدم ابنهُ الى ابينا ليصلي عليهِ لان الولد كان لهُ نحو ثلاث سنين في مرض عجز عن شفائهِ الاطباء وكل من كان ينظره كان يحسبه من الموتى. فانا ما تجرأت ان اقدم الصبي الى ابينا بل ارشدت والدهُ اليهِ كأنهُ جاء الى عنده في شغلة وبهذه الواسطة ابونا يصلي عليهِ وهكذا صار. فدخل ابو الصبي الى عنده وبدأ يكلمه وبعد برهة قليلة اخذت انا الصبي وادخلتهُ عندهم وكان قولي: «الصبي يريد اباهُ» وبعد قليل شرت على ابي الصبي حتى يطلب الصلوة لابنه من الرئيس فصلى عليهِ وبعد صلاته بزمان قليل جداً برئ الصبي وانا اكلت التوبيخة بقوله لي: امش مستقيماً ولا تبربك عليَّ ولا على غيري (لها بقيَّة)

زلَّة الشبيبة

للاب لويس فؤاد اليسوعي

على بضع ساعات من سان فرنسيسكو قرية صغيرة فيها ابنية معدودة يقطنها نفر يسير من اغنياء كاليفورنية وفي جملة سكان هذه القرية سيد يبلغ الستين من العمر يقال لهُ المركيز دي مُرتاغ كانت زوجتهُ قد توفيت من مدة وتركت لهُ ثروةً واسعة من الاموال والعقار ولمَّا لم يرزقهُ الله وريثاً ينتقل اليهِ مالهُ بعد وفاته جعل الفقراء موضوع عنايته واهتمامه. فكان اولو الفاقة يفدون الى قصره مستعصمين بجوده فيفيض عليهم سجال احسانهِ

وفي ذات يوم نزل عنده فتى غريب فدنا منهُ ورفع قبعتـهُ مسلماً. وكان الفتى في عنفوان الشباب مشرق الجبين تنبئ عيناهُ السوداويَّتان عن نباهة وذكاء غير ان صاحب البيت استغرب صورتهُ فسألهُ ان يعرّفهُ بشخصهِ. قال: اسمي هنري لانور. ثم قدّم للمركيز رسالة بعنوانهِ ففضَّها واذا هي من اعزّ اصدقائهِ السيد جاك اروست احد اعيان سان فرنسيسكو يُوصيه فيها بالشاب هنري وكان هنري وُلد من والدين رقيقي الحال لم يقسم الله لهما ان يتمتَّعا بمشاهدة ابنهما طويلاً فتوفي كلاهمـا وتركاه لطيماً لا سند لهُ غير احد معارف عائلتهِ المسكينة السيد جاك المذكور الذي تكفَّل بتثقيفهِ. فلمَّا اتمّ الولد دروسهُ ولم يتيسَّر لهُ الحصول على مصلحةٍ يرتزق منها فكَّر قيّمهُ السيّد جاك بصديقهِ المركيز دي مرتاغ ليمدَّ اليهِ يد المساعدة ويرشدهُ الى عمل يعيش منهُ فأتخذهُ

هذا معيناً لهُ في شؤونه ونظمهُ في سلك عمّاله فشكر لهُ الفتى فضلهُ بارق العبارات وكان المركيز يأويهِ في غرفةٍ من قصرهِ ويحسبهُ كأحد ابنائهِ

غير ان معاشرة المركيز واهلهِ لم تكن لتلذّ الشاب هنري لأن نفسهُ الامّارة كانت تدفع بهِ الى الملاهي فاطلق لها العنان وجعل ينزع الى ارتشاف كأس الملاذ والمقامرة فما لبث ان تقرّب من بعض الشبان ممّن عدلوا عن سنن الآداب فكان يقضي معهم الليالي في فُندق بإزاء القصر يعاقرون الخمرة ويتجاذبون الاحاديث البذيئة والاغاني الخلاعية . ولم يمض يسير على هنري حتى صرف ما كان قد خصّصهُ لهُ المركيز لمعاشه فسمع صوت ضميرهِ ينكّب بهِ عن اولئك الرفقاء الاشرار وقد تبيّن السمّ الناقع في صدورهم لكنّهم لم يزالوا يدالسونهُ ويبعثونهُ الى المصاريف الباهظة وهو يستحي بان يقرّ بقلّة ذات يدهِ . فاخذ يستدين من هذا وذاك حتى تثاقلت على عاتقه الدُيون وما عادت تأتمنهُ الصيارفة فتقرضهُ شيئاً من الدراهم ولا بابلغ ربا

وفي احدى الليالي اذ كان هنري صفر اليدين لا يملك فلساً وهو قد وعد رفقتهُ ان يقوم بنفقات ليلة ساهرة استفزّهُ شيطان المال فانساب الى صندوق المركيز وتناول منهُ ما سدّ بهِ حاجتهُ ثم استمرّ يختلف اليهِ يوماً بعد آخر وفي ظنهِ ان صاحب المال لم يدرِ بالخديعة لكنّ ربّ البيت كان داهيةً فضلًا عن تحنّكهِ بالامور لا يخفى عنهُ شيء من احوال عاملهِ . فسكت أيّاماً عنهُ الى ان اتّضح لهُ امر خيانتهِ كوضوح الشمس فاعتزل في احدى مقاصير دارهِ واستدنى الخائن وقال لهُ انّ لديه سرّاً يرغب بان يبوح بهِ اليهِ . وكأني بهنري قد تبيّن مقصود المركيز وشعر بوقوفهِ على دفائن صدرهِ فارتعدت فرائصهُ وامتقع لونهُ . فقبض اذ ذاك دي مرتاغ على يد الشاب المرتجفة وحدّق اليهِ بنظره اللحّاظ ولبث هكذا برهةً ثم قال : انصت اليَّ يا هنري واياك ان تقاطعني حتى افرغ من الكلام . . . لقد تحقّقت من مدّة ان يدًا اثيمة اختلست جانباً عظيماً من الدراهم في صندوق مالي . ولعلّ اللص ظنّ اني لم اعرفهُ لكنهُ خدع بظنّهِ

فصرخ هنري متلجلجاً : وهل تزعم اني . . .

— لا تقاطعني حتى انهي حديثي . نعم عرفتُ السارق وما هو غيرك وقد وقفتُ على سندات زوّرتها ولكني آثرتُ ان اكتم امرك حيناً واسبل الستر عنك لعلّك تنقاد الى صوت ضميرك فترعوي عن اثمك وتنيب الى ربّك فكأني بك حسبت طول اناتي تنشيطاً

لمواصلة السرقة فلم يبقَ الّا ان أُلقي القبض عليك فاودعك السجن ريثما يحكم القضاة في امرك . فلا بد من تسليمك لولاة الامر . امَّا هنري فلمَّا طرق هـذا الكلام اذنيه اظلمت الدنيا في عينيهِ وكاد يسقط مغشيًّا عليهِ . وبقي واجمًا كأنَّ صاعقةً صعقتهُ . فلم يجد لنفسهِ منجاة من بلائهِ الّا ان يقرّ بذنبهِ ويطلب الصفح من سيّـدهِ فانطرح على اقدام المركيز يقبلهما وصرخ بصوت تخنقهُ العبرات : ارحمني سيدي ارحمني انا السارق . . لقد اوقعني اصحاب السوء في حبائلهم وبلغوا مني امالهم فجرى ما جرى

قال لهُ المركيز وقد احسَّ في نفسهِ رحمة للشقي : اتعاهـدني يا هنري بان تنبذ عادتك السيئة ولم تعد الى السرقة ما دمت حيًّا ؟ . فاخذ هنري على نفسه العهـد الاكيد انهُ لا يعود فيمدّ يدهُ لاختلاس فلسٍ ولو قضت بهِ الضرورة الى مقاساة الموت

فاكتفى المركيز بقولهِ ورضي بان يطلق سراحهُ بل وعدهُ بانهُ يكتم جريمتـهُ ما سار في طريق الاستقامة وتقوى الله لكنَّهُ لم يشأ ان يبقيهُ في خدمتهِ . ثم اخذ ينصحهُ بكلام مفعم انسًا ورقَّة ويزوّدهُ بالمشورة الطيّبة . وممَّا اشار اليـهِ بهِ خصوصًا ان ينكّب عن رفقة السوء الذين ألقوا بهِ في هوَّة الاثم . وختم المركيز كلامهُ بهبة من المال تبرَّع بها على هنري ليفي ديونهُ ويعود الى سان فرنسيسكو حيث يجد لهُ بحسن سجاياهُ عملًا يرتزق منهُ

فشكر هنري المركيز وقسم لهُ بأوكد الأيمان بانهُ سيقوم بوصاتهِ ويسير على مشورتهِ ثم ودَّع المركيز وانصرف تحت الظلام الى حيث نوى

*

مضى على ما روينا سبع سنوات ترقّى في مطاويها الشاب هنري لاتور الى مراقي العزّ وذروة المجـد على ما لم يكن يخطر على بال وهاك خلاصة امرهِ :

لمَّا وافى هنري حاضرة سان فرنسيكو بقي ايَّامًا متحيّرًا في امرهِ لا يدري الى من يلتجئ حتى صرف آخر دولار كان اعطاهُ اياهُ المركيز دي مرتاغ فانطلق حينئـذٍ الى احد مديري معامل العاصمة يدعى مارتيناس فعرض عليهِ حالتهُ وطلب منهُ ان يستأجرهُ بقوته اليومي الى ان يستدلّ على مقدرتهِ وكفاءتهِ . فرضي مارتيناس ونظمهُ ضمن عمَّالهِ ليجرّبهُ فما عتَّم ان وجد الشاب فهيمًا نشيطًا ذا حصافة عقـل وثقوب ذهن فعيَّن لهُ

راتباً حسناً تمكّن بهِ هنري ان يصلح حالهُ ويتّخذ لهُ غرفةً في احد فنادق المدينة

ثم انكبَّ هنري على الشغل متفانياً في خدمة صاحب المحلّ وهو يظهر لهُ من خلوص النيَّة والحنكة في التدبير ما حبَّبهُ اليهِ فجعل مارتيناس يقدّمهُ بين عمالهِ يوماً بعد يوم حتى رسخت قدمهُ وزاد نفوذهُ وربح مالًا واسعاً قرَّبهُ من وجوه سان فرنسيسكو

وكان في معمل السيد مارتيناس رجلٌ اسمهُ اندرو حديد الفؤاد مرهف الذهن اتّخذهُ صاحب المحلّ كناظر لعمّالهِ لما عرف من فهمهِ على انَّ المذكور كان معجباً بنفسهِ شديد الغطرسة جافي الطبع وكان مع ذلك قليل الدين لا يحتشي من المجاهرة بمعاكسة اربابهِ وكان المظنون انهُ احد المتوظفين في الشيع السرّيّة. فلما رأى اندرو ما كان عليهِ هنري من توقّد الفهم وذكاء القلب همَّ باستغوائهِ وجذبهِ الى آرائهِ . فكان الشاب يتحايد عنهُ اوَّلًا على قدر طاقتهِ وهو يتذكَّر وصايا المركيز دي مرتاغ اذ حذَّرهُ من الرفقة الاشرار . لكنَّ اندرو لم يزل يتأثَّر اعقابهُ ويتقرَّب اليهِ بالمواعيد ويخدعهُ بالامانيّ الطيّبة والتقدُّم في المصالح والارباح الطائلة حتى اضعف عزيمتهُ واستمال قلبهُ .
ثم عرض عليهِ ابنتهُ ليقترن بها ففعل وكان هذا الزواج كقيد جعل هنري طوع ارادة اندرو فنظمهُ بعد مدَّة في سلك جمعيَّتهِ السرّيّة فصار بعد قليل من اعضائها العاملين يكتب ويخطب في بثّ المبادئ الكفريّة ويسعى في مقاومة الدين وتنكيس اعلامهِ

وكان المركيز دي مرتاغ سمع بما آل اليهِ هنري لانور وكيف نسي وعدهُ وحنث بأيمانهِ فامتعض لذلك ايَّ امتعاض. فكتب اليهِ رسالةً ودادّيّة يذكّرهُ بقسمهِ انهُ يحسن السلوك ويجتنب ذوي الالحاد ورفقة السوء. فاثّر الكتاب في هنري بعض التأثير لكنّهُ أنف من الرجوع الى الوراء فصمّم سمعهُ دون وصيّة سيّدهِ ومزّق الكتاب لئلا تكون معاينتهُ لهُ كنخاز لضميرهِ وواصل ما الفهُ من الاعمال السيّئة

ثم رزق الله هنري في تلك الاثناء ولدًا ذكرًا دعاهُ شرل فنما الصبيّ وترعرع حتى كاد يبلغ الخمس من عمرهِ . وهو متوقد الذهن تلوح على وجههِ ملامح النجابة والذكاء فكان يجري كلُّ شيء على غاية ما يبتغيهِ هنري الحظ أليفهُ والسعد حليفهُ

وكانت تلك السنة السنة الخامسة والعشرين لانشاء الكنيسة الكاثوليكيّة في سان فرنسيسكو وجلوس اوَّل اسقف كاثوليكيّ على كرسيّها فيها فعزم الكاثوليك ان

يقيموا بهذه النسبة اعيادًا شائقة في تلك الحاضرة فاعدُّوا مؤتمرًا دعوا اليه اعيان الكاثوليك من انحاء اميركة واشاروا الى مشاهير الخطباء ان يُلقوا في اثناء تلك الحفلات الخطب البليغة يبعثون فيها الهمم الى المشروعات الخيريَّة وتعزيز المساعي الدينيَّة. وكان المركيز دي مرتاغ مشهورًا بعارضته وطلاقة لسانهِ وسموّ مداركهِ فوكلوا اليهِ ان يخطب في احد أيَّام المؤتمر الحافلة فلبَّى الدعوة شاكرًا

فلمَّا كانت اوَّل أيَّام ايلول من السنة ١٨٨٢ اجتمع عدد وافر من نخبة كاثوليك اميركة في سان فرنسيسكو وافتتحوا المؤتمر برونق لا نظير لهُ وكان اهل المدينة يتقاطرون الى تلك الحفلات ويشنفون آذانهم ببلاغة خطبائها وكانت كلّ الجرائد على اختلاف نزعاتها تثني على هذا المؤتمر وتطرئ اعمالهُ لم يُستثنَ منها الَّا جريدة او جريدتان عُرفتا بروحهما العدائيّ للكنيسة. لكنَّ الجميع كانوا ينتظرون بفروغ الصبر الحفلة الكبرى التي يخطب فيها المركيز دي مرتاغ

وكان اعداء الدين يعاينون تلك الحفلات وفي قلوبهم تغلي مراجل الحقد والشحناء. على انهم كانوا يتوقعون شرًّا اعظم من الحفلة الكبرى التي يتسنَّم فيها منبر الخطابة ذلك المقوال المفوَّه المركيز دي مرتاغ فتفاوضوا بينهم ليجدوا وسيلةً لاستدراك الامر فلم يجدوا لمعاكسة الحفلة الكاثوليكيَّة الَّا اقامة مأدبة في ذلك اليوم يدعون اليها اعيان البلد ويختمونها بخطاب في خذلان الدين وارباره. فصادقوا على ذلك وعهدوا الى هنري لاتور بالقاء الخطاب بين الحضور فرضي شاكرًا واختار كموضوع كلامهِ «مساوئ الكنيسة الكاثوليكيَّة» وفي اليوم التالي اعلنوا الامر في اعمدة الجرائد المحليَّة مع ذكر اسم الخطيب وموضوع خطابهِ. فاثر هذا الخبر في اهل المؤتمر ورأوا فيهِ نيَّة سيئة من اعداء الدين ليلقوا الشكوك في البلد ويثيروا الفتن على اهل الدين

امَّا المركيز دي مرتاغ فلمَّا قرأ اسم هنري لاتور اخذهُ الدهش من امرهِ وكان منذ بضع سنين قد انقطعت بينهما المراسلات فلم يعلم ما جرى لعاملهِ القديم. فاماط الاعلان المنشور في الجرائد الستر عن مكنون احوالهِ وفهم المركيز انهُ وقع في اشراك الملحدين ورفقة السوء الذين حذَّرهُ منهم. ففكَّر في امرهِ مليًّا حتَّى الهمهُ الله طريقةً لرد كيدهِ في نحرهِ فانهُ ارسل من ساعتهِ نبأ برقيًّا الى عاملهِ في نيويرك ليأتي اليهِ سريعاً باوراق سرّيَّة كان يحفظها في احدى مصارف تلك المدينة وبقي رابط الجاش مداوماً

على اعمال المؤتمر كأنهُ لم يدرِ بما يعدهُ الزنادقة من المعارضة لهُ يجيب من ياحثهُ في ذلك انَّ الله على كل شيءٍ قدير فيقوى على خذلان اعداء الدين مهما هاجوا وماجوا وطغوا وبغوا

وكان عامل المركيز دي مرتاغ رجلًا هماماً اطوع لسيدهِ من بنانهِ فمن ساعتهِ احتقب اضابير الاوراق المطلوبة وركب قطار السكة الحديدية فحضر سان فرنسيسكو في ضحى اليوم السابق لاجتماع المؤتمر الحافل

وكان حزب المعادين في تلك الاثناء اعدُّوا كل لوازم الدعوة واستأجروا لهذه الغاية اكبر نوادي العاصمة. امَّا هنري فاستفرغ كنانة جهدهِ لتأليف خطبة رنَّانة أشربها من روحهِ سمًّا على اهل الدين ينفثهُ في قلوب السامعين ثمَّ ينشره في الجرائد الاميركيَّة. وكان كل اهل المدينة في انتظار لما سيجري في غدٍ بين الحزبين فمنهم من يبشر الكاثوليك بالنصر ومنهم من ينسب الفوز لاعدائهم

فلمَّا خيَّم الليل على سان فرنسيسكو ركب السيد دي مرتاغ عجلة وسار مستخفياً الى بيت هنري لانور فطلب مواجهتهُ دون ان يبوح باسمهِ. فأُدخل الديوان واذا بصاحب البيت قد تقدَّم لاستقبالهِ. فلما عاينهُ هنري اضطرب لدى رؤياه لكنَّهُ تجلَّد واشار اليهِ بالجلوس فاندفع المركيز قائلًا:

اخالك نسيتني يا هنري انا المركيز دي مرتاغ الذي اويتك مدَّة في قصري

— نعم وانا لا ازال شاكرًا لك فضلك وهل يمكنني ان اقدم لجنابك خدمةً

قال المركيز: كنت وعدتني يا هنري عند مفارقتي بانك لا تعود تعاشر اهل السوء

— ومن هم الذين تعيّرهم بهذا الاسم

— هم جماعتك الذين ستقوم فيهم خطيباً يوم غدٍ و .....

فلما سمع هنري هذا الكلام قاطع المركيز وقام كانهُ يريد الباب وقال: لا احبُّ انَّ احدًا يتداخل في اموري ويدخل بيتي ليشتمني ولولا كرامة الضيف لفعلت بك كيت وكيت

اجاب المركيز: على رسلك يا هنري ولا بُدَّ لك قبل أن اخرج من دارك ان تعدني الوعد الوكيد بأنك يوم غدٍ تكفّ عن خطابك

— اني إفعل ما اشاء وليس لاحد ان يتعرَّض لي في شؤوني

ففتح المركيز قمطراً كان معهُ واخرج منهُ سندات مزوَّرة نشرها امام هنري وقال: اتعرف هذا التوقيع ؟ ......

فسكت هنري وتبدلت سحنتهُ كأنَّ مديةً نفذت في قلبهِ فلم يُحِرْ جواباً

فاردف المركيز: اعلم يا هنري انك ان امتنعت عن خطابك فيهِ والّا الجأتني الى ان انشر خبرك على رؤوس الملأ فيعرف كل اهل سان فرنسيسكو انك الخائن السارق وتُلقى في السجن بقيَّة حياتك

— ولكن كيف التخلّف عن وعدي بالخطاب وشرف اسمي يقتضي مني ذلك

— يطلب منك الشرف ان لا تجاهر بالغدارة الدين وذويهِ وانت تعلم انَّ كلامك محض اختلاق ليس فيه ذرَّة من الحق

— لا يمكنني ان أنكث بوعدي

— الامر امرك فلا تَلُم غير نفسك ان حلَّ بك سوءٌ . ثم توَّجه المركيز الى الباب فامسكهُ هنري قائلاً: ارحمني سيدي وارحم قرينتي وابني وليس لهما عضد غيري

— بل ارحم نفسك وارعو تائباً الى ربك

— او صمَّمتَ على نشر هذه الاوراق ؟

— بلا شكّ

— فاولى بي إذن ان انتحر فاخلص من احد شرَّين لا مناص منهما . قال هذا ثم اسرع فاخذ غدَّارة وقال للمركيز: « الوداع يا مركيز واعلم انك انت قاتلي »

ثمَّ صوَّب الغدارة الى رأسهِ فوثب المركيز عليهِ وانتشل من يدهِ الغدَّارة صارخاً « بل عش مهنَّئاً وابقَ لابنك ولقرينتك واعلم انَّ الكاثوليكي اكرم منك نفساً » واستخرج الاوراق المزوَّرة ثمَّ احرقها في لهيب قنديل كان هناك وخرج قائلاً: « استودعك الله يا هنري ولست ارضى بحكَم بيننا غيرهُ تعالى فهو ينصفنا »

ثمَّ توارى عنهُ . وكان هنري رأى ما فعل المركيز وسمع كلامهُ الاخير وهو لا يعي من دهشتهِ . وبقي هنيهةً بعد خروجهِ لا يعلم اهو حيٌّ او ميت . فلمَّا عاد الى نفسهِ وادرك شرف نفس المركيز ومروءتهُ هطلت بوادر دمعهِ وبقي ساعةً تخنقهُ العبرات . فلمَّا سكن جأشهُ قام الى غرفتهِ فكان اوَّل ما وقعت عليهِ عينهُ نسخة خطابهِ الذي اعدَّهُ لغدٍ فثار ثائرهُ واخذ الخطاب ومزَّقهُ واحرقهُ كما فعل المركيز بالسندات المزوَّرة وقال:

لا أكون اقلّ مروءة من المركيز وها هوذا قد انقذني مرّتين من الذل والهوان . ثمَّ ايقظ امرأتهُ وامرها بان تهيّئ حالها للسفر وفي ساعتهِ جلس هو وكتب الى المركيز رسالةً يشكرهُ فيها على صنيعهِ ويطلب منهُ الصفح عن سوء سيرتهِ ويعدهُ انهُ مذ اليوم سوف يضحي مثالًا للاستقامة وقدوةً للجميع وانهُ يسبق المركيز الى قصرهِ حيث يتخذهُ هناك كدليلهِ في سبل الخير وكرشدهِ في كل عمل مبرور

*

بزغت شمس اليوم الرابع عشر من ايلول في بهائها ورونقها . وكان اصحاب المؤتمر الكاثوليكي قد اجتمعوا صباحًا فاجروا في الكنيسة الكاتدرائيَّة رتبًا فخيمة تولّاها رئيس الاساقفة ثمَّ خرج القوم الى ردهة الخطابة فغصّت بعد قليل بالحضور: ورقي المنبر السيد دي مرتاغ فخطب في الدين ومشروعاتهِ خطبةً انست الخطب السابقة بلاغةً فكاد السامعون يطيرون لرشاقة معانيها وقابلوها بتصدية الايدي الف مرّة

امَّا نادي الجمعيات السرية فكان اهلهُ زيّنوهُ باصناف الزينة والرموز وهم يؤملون نجاحًا لا مثيل لهُ . فلمَّا حانت الساعة وحضر المدعوُّون طلب المقدَّمُ هنري لانور لاستقبال الناس فلم يجدهُ: فارسل رجلًا يستقدمهُ ويستنهض همتهُ فوجد الدار مقفلةً ليس فيها ديار . فسال الجيرة عن امرهِ فلم يعلموا ما يجيبونهُ بهِ غير انهم وجدوا عند بابهِ رسالةً باسم رئيس المحفل فاخذها الرجل وعاد الى مجلس المدعوين وكانوا في اثناء ذلك جلسوا على المائدة يأكلون هنيئًا ويشربون مريئًا . فسلَّم الالوكة الى الرئيس فما كاد هذا يقرأ اسطرها الاولى حتَّى تنمّر غيظًا وقام في وسط المدعوين قائلًا: «ايُّها الاخوة قد خاننا الخطيب وولّى من المدينة هاربًا ولست اعلم ما جرى لهُ »

وقع هذا الكلام على قلوب الحضور وقع سيول الماء على لهيب النار فهدأت الاصوات وخمدت جلبة القوم فخرجوا بعد قليل مخذولين نواكس الرؤوس يودُّون لو لم يُدعَوا الى تلك الحفلة المشؤومة التي البستهم ثوب العار

وبعد يومين عاد المركيز دي مرتاغ الى وطنهِ فارسل واستدعى هنري لانور وسلمهُ ادارة معملهِ كما كان في معمل السيد مرتيناس فادّى لهُ هنري الشكر على فضلهِ وانقطع الى خدمتهِ بنشاط لا يعرف الملل ولم يلبث أن نبذ تعاليم الكفر وعاد الى اتمام واجبات الدين فذاق من راحة القلب ما كان فقدهُ منذ ابتعادهِ عن ربهِ . وما زال هو وعائلتهِ

يودّعون يوم فرح ويستقبلون مثلهُ وكان هنري يكرّر مرارًا على ولدهِ « اياك بنيّ وزلّات الشبيبة فانّها تعمي العقل وتضرب على البصيرة وتؤدي بالمرء الى افظع المآثم . فلولا نعمة الله ورحمتهُ بي لكنتُ الان في هوّة البؤس والتعاسة »

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

ثم انهُ في ثاني الأيام . بعد ما عملوا لنا كل اكرام . اخذونا الى مكان المنــدام . قد راق ماؤهُ . وزاد صفاؤهُ . واعتلّ هواؤهُ . وتعطّرت ارجاؤهُ . وتلامعت حصباؤهُ . وفيهِ من لطف النسيم . مــا يشفي السقيم . ويداوي جرح الكليم ويغني عن الحكيم . ويحيي الميت الرميم حتى حسبناهُ من فردوس النعيم . وفيهِ ما يدهش الابصار . ويحير الافكار . من اشجار واثمار وازهار وانهار . وتغريد الاطيــار ليلًا ونهار . حتى خلع كل منا العذار دون شرب العُقار . لانهُ ما ناح الحمام . الّا وزاد الغرام . وما غنت القماري . الّا وازاحت اكداري . وما صدحت البلابل . الّا وهاجت البلابل . وما صوّت الشحرور . الّا وجلا همّ الصــدور . وما سجع الهزار . الّا واثار الافكار . وحرّك التذكار للديار ونظم الاشعار :

لقد زاد الجوى صوتُ القماري وذكرني الاحبّــة والسحاري
وتغريد الحمام اذا تبدّى بدا فينا الهيامُ الى الديارِ
وقلت لرفقتي يا قوم هاتوا لنغتنم المنى في ذي الصحاري
فدارت بيننا كاسات راحٍ وريحــانٍ وورد مع عُمــار
وقد ضرب الغمام لنا خيامًا سرادقها كست تلك البراري
ومرّ بنا نسيم البان لمّا ابان لنا صبــابة ذا النهار
وقد ذرفت عيون السحب درًّا كما زهر الربى حلل الفخار
وكلّلها بياقوتٍ ثمينٍ وتيجان اللجين مع النضارِ
فنمّ اريجهــا في القطر طرًّا وعطّر نشر هاتيك القفارِ
وذكرني شذا الشهباء لمّا يضوع عبيرهُ وقت السحارِ
فحيّا الله تربتها وماها وطيب نسيمهــا كل النهارِ
وحيّا اهلها اهلًا كرامًا ذوات الفضل عنوان الفخارِ

ثم اننا بعد ان قضينا الاوطار . من هـــذه الاقطار . ارتحلنا من بيروت في اليوم التاسع . ورفعنا الشُرُع وسرنا عن تلك البلاقع . الى ان توسطنا بين بيروت وصيداء . فطلع علينا قرصان الانكليز فابتدأوا يرموننا بالاطواب والمدافع . حتى كلٌّ منا هلع . وعلى وجهه وقع . واحتسبناها اشدّ المواقع . وما بقي لنا منها مانع ولا دافع . وبعد ما أيس القبطان . من الحرب العوان طلب الامان . وابتاع السفينة . ووضع ابنهُ عندهم رهينة . وذلك لاجل الحروب التي بينهم واقمة . صارت بينهم المبايعة من غير منازعة . فلمَّا خلصنا منهم . وابتعدنا عنهم . عاد كل منا لله ساجد . ولفضله شاكرًا وحامد . وانَّما طلع علينا ريح شارد واوردنا شرّ الموارد . وساقنـــا الى ظهر البحر . وابعدنا عن كل فجٍ وبرّ . فاستقمنا عشرة أيَّام ونحنُ تائهون . لا نعلم الى اين متوجهون . وذلك مع كثرة اختلاف هبوب الارياح . وفرط الاضطراب والاكداح . وقلة النوم وعدم الارتياح . حتى عدنا كالاشباح العادمة الارواح . وقد ارانا البحر كثرة اهواله وسوء احواله . وسرعة انتقاله وشدة نكاله وعظم وباله . وتقلب احواله وفرط هجره ومطاله . ولمَّا لم يبقَ لي مجـــال لاحتمال هذه الاثقال . ناشدتهُ بهذا المقال:

لحاك الله في بلوى فعالك	فما ازرى نـكالك في عمالكْ
تغشُّ برقَّةٍ وصفاءِ قلبٍ	فتصرعنا بكيدك واحتيالكْ
تذيق لبعض قومٍ عذب كاسٍ	وتسقي الاكثرين طلا نكالك
فكم غرَّبت في ريحٍ اناســًا	وقد خسروا الحياة مع المالك
وكم غلَّلت من بطلٍ همامٍ	بدون الحرب اضحى في حبالك
وكم غرقت في ذا اللج قومًا	فباتوا منغمرين بسو وبالك
ألا يا غادرًا يا شر باغٍ	إلامَ المَكْرُ دوبًا في اغتيالك
فلا كانت بك التجار تسعى	ولو اغنيتَهم بجُنى نوالك
لقد اسقيتنا غصص المنايا	وشمنا منك انواع المهالك
فكم آليتُ في عمري بألَّا	احلَّ الغمر حيثما انت سالك
ولكنَّ الضرورة الزمتني	برمي النفس في هذه التهالك
فانجوَ من مكايدة الاعادي	رواة الكفر معوجّي المسالك
رعاة كالذئاب الغُبْر تسعى	على زجّ الرعايا في المهالك
وقد صرنا بهذا اليوم طوعًا	أسارى في يمينك مع شمالك
ألا افعل ما تشا فينا ونحن	لما فوَّقت فينا من نبالك
ولكن قد رجونا البكر مريم	أمَّ الربّ سيدة الممالك

لتُنجيَنا بهذا اليوم ممَّا أُصِبْنا بِهِ ومن سوْ المسالك
لنسدّيها السلام على التوالي ونشكر فضلها السامي لذلك

ثم انهُ من بعد ذلك منَّ علينا العزيز المالك . وانقذنا من تلك المهالك . واهدانا الى خير المسالك . فوصلنا الى المينا . وعاد كل منَّا امينا . فالقينا المراسي . وارتحنا من هول ما كنا نقاسي . ولم يبقَ علينا سوى قطع العقبة . فقطعناها بكل غلبة لانها عسرة وصعبة . اذ هي ملتقى البحرين . وموضع المنيَّة والحَيْن . وطلعنا الى دمياط . بهمة ونشاط وسرور واغتباط . فرايناها بلدة لا تُمدح ولا تُذم . الَّا انها المناص من اليم . والخلاص من الغم بل من سفك الدم . والنجاة من التيَّار . وما فيهِ من الاخطار . فما اقمنا بها الَّا زماناً قليل . حتى سرنا بلا تمهيل في بحر النيل . بكل سرور وتهليل وسير وتنقيل ميلًا بعد ميل . بدون اضطراب واخفاق . حتى طلعنا الى بولاق . ونحن في غاية الاشواق الى وصولها والتلاق . ومن هناك وصلنا القاهرة في ليلة زاهرة . فوجدناها مدينة عامرة وخيراتها وافرة . وارزاقها متكاثرة واموالها متياسرة ومكاسبها متبادرة . ومتاجرها ظاهرة وامورها نادرة ولغيرها من البلاد مغايرة . وفيها العمارات الشاهقة والبنايات الفائقة والقصور المتناسقة . والجدران الباسقة والعقول الحاذقة . والافكار الرائقة والالسن التي بالفصاحة ناطقة . وهي مدينة زاهية الجمال زائدة الكمال . غزيرة الاموال وافرة الاغلال جامعة الاشكال متغيرة الاحوال . فلما رايت ما هي عليهِ من الحال عراني الانذهال واشتغل العقل والبال بوصفها على هذا المنوال :

يا سائلي عن حال مصر انها اعجوبة بين البلاد العامرهْ
ترهو على الدنيا بحسن صفاتها وبحسن ما فيها مباني فاخرهْ
قد زُيّنت وتزخرفت ببهائها حتى حلتْ في كل عين باصرهْ
وكانها وقصورها وربوعها فلك البروج بها النجوم السائرهْ
والنيل مع خلجانه فيها حكى جبل المجرَّة حاقها كالدائرهْ
سادت على كل الورى بمناقبٍ خُصَّت بها فلذاك صارت نادرهْ
قهرت ملوك الارض طرًّا وازدرت بولاتها فلذاك تدعى قاهرهْ
جمعت غنى الاقطار ثم محاسن ال الاعصار ثم غدت بها متفاخرهْ
وتعطَّفت نحو الغريب ولم تزل تبدي لهُ ودًّا وحسن معاشرهْ
وكانَّها شُغفت بحب نزيلها بل لم تزل طبعاً اليهِ ناظرهْ
ما زارها يوماً كسيرٌ قلبهُ الَّا وهامت فيهِ تجبر خاطرهْ
ما أمَّها ذو فاقةٍ بوداعةٍ الَّا وعاد بثروةٍ متوافرهْ

يا حبذا اوطانها يا حبذا سكانها تلك الاسود الكاسره
لاسيما التجار مع ارزاقهم من سائر الدنيا اتتها زائره
تحمي النزيل بارضها وتجيره من كل غائلة عليه جائره

ثم ان لهذه البلدة ثلثة مواسم كبار. ذوات اعتبار. اولهم يوم قصر النيل. فهو يوم مشهود عليهِ التعويل. والثاني يوم طلوع الحج والمحمل. وهو اشهر واجمل. والثالث يوم دخول الوزير. فهو يوم خطير ومفترج شهير. تجتمع فيهِ الوجاقات وتترتب بهِ البُلكات. وتصطف الآلايات وترتفع الرايات وتُشهر السلاحات. كالخوذ العاديَّة والدروع الداودية. والرماح الخطيَّة والسيوف الهندية والخيول العربيَّة المعكيَّة. بنظام عجيب وترتيب غريب

ثم ان لها اربعة مقاصف حسنة ظريفة. اولها مصر القديمة فهي بلدة ذميمة الا انها عظيمة. ذات قدر وقيمة لكثرة اموالها العميمة واهويتها السليمة. وثانيها الجيزة وهي بلدة وجيزة. لكنها عزيزة لمبانيها الحريزة. وربوعها البيّنة وارياحها الطيبة الليّنة. وقد احاط بها البحر. اكثر من البر. وهي تشعُ كالنبراس. بجد المقياس. وثالثها المنيل (؟) وهو مكان ازهى واعدل وابهى واجمل واسمى وافضل. لان فيهِ مائة جميزة على حافة النيل مغروزة وكل واحدة اكبر من موزة واعظم من شجرة جوزة. وله ظل ظليل ما له من مثيل. ونسيم عليل غير قليل. يهبُّ من بحر النيل بغير تبديل. وهو يشفي العليل ويطفي الغليل. ولذلك قلت فيه هذا القول الجليل :

رعاك الله من دوحٍ ظليلٍ يبيد البُرء للمضنى العليلِ
يمرُّ بهِ النسيم بلا انقطاعٍ ومرَّ الشمس مقطوع السبيلِ
ونضرته وخضرته بواقٍ مدى الايام في كل الفصولِ
ومخضل الفيافي ليس نلقى سوى غيض على روض خضيلِ
أحاط بهِ الغدير فعاد يحكي رياض زمرد في سلسبيلِ

ورابعها الروضة وهي مشتملة على غياض ورياض. ومناهل وحياض. واشجار واثمار وكرم وازهار. وبحار وانهار وتيار وابحار. وهي تدهش الابصار وتحير النظّار. وقد قضينا فيها كل نهار يعد من الاعمار. حتى اخرجنا ابكار الاشعار من تيار الافكار:

يا لها روضةً تحاكي الفرادسْ كم بها مائل الغصون ومائسْ
كم بها من قضيب بانٍ واسٍ ينجلي في الرياض مثل العرائسْ
كم بها دوحة وروض وحوضٌ وانهمال الما حيث ما كنت جالسْ

كم بها من خمائلٍ مزهراتٍ ومروج كانها من سنادسْ
وكأنَّ السحاب قد دبَّجتهـا بل وشتها ايدي الحسان الموانسْ
بلجينٍ وعسجـدٍ وجمـانٍ ولآلٍ من فوق خضر الملابسْ
تاه عقلي من حسن ما شمتُ فيها زُينت مع نوادرٍ ونفـائسْ
قلتُ هذه جنات عدن وفيها كوثر النيل يسقي هذه الغرائسْ

وقد قضينا في هذه الامكنة الحسنة ثلاثة ايام. تساوي ثلاثة اعوام . وقد كنا مع بعض الاصدقاء في وليمة عظيمة. لها قدر وقيمة . ليلنا في الجيزة. ونهارنا في الروضة تحت الجميزة . وهذه الاماكن كجزيرة في وسط النيل. تضيْ كالقنديل. ثم ان النيل في ايام ازدياده تيار . ما لهُ قرار ولا عليهِ عيـار . تمرُّ به القوارب والمراكب ليلًا ونهار . بعضها للاسفار وبعضها للبسط وبلوغ الاوطار. والنشوة والسكر والعقـار وخلع العذار . وناهيـك من سماع الآلات وحسن الاصوات . من الرجال والقينات. وضرب الاوتار والجنك والطار والعود والمزمار . وغناء الموالي مع نشيد الاشعار . وكلما وصلوا الى جماعة استقاموا عندهم مثل ساعة واحسنوا الصناعة. وقد كنت مع هذه النشـائق وطيب الاوقات لم اكفّ عن تذكار الاوطان. وما بها من حسن منزل ومكان وقصر وايوان. وغيض وبستان. وروض وغدران وحوض وميدان وحسن المساكن والسكان. ومنادمة الخلان وموافقة الاخدان ومصادقة الاخوان وطيب ذلك الزمان. حتى تحرك الجنـان لنظم هذه الابيات الحسان:

ريح الصبا ان جزتَ بالاحياءِ حيّي الربا ومعالم الشهباءِ
بلّغ الى الاوطـان منا انعماً محفوفةً بسواطع اللألاءِ
وقل السلام عليكِ من صبٍ الى لقياكِ عاد ممزق الاحشاءِ
يصبو اليـك من صباه لما بكِ من حسن خلان وصدق اخاءِ
فعمي صباحاً يا ديارَ احبتي واخضلّي بالرند وبالانداءِ
دار السلامة والكرامة والهنا دار الرضى والسلم والارعاءِ
دار تـكلُّ اللسنُ عن اوصافها ويعود افصحها كما الفافاءِ
ماذا اقول اذا وصفت صفاتها وباي موضوع اجيد ثناءي
هل ابدا من حسن المناخ وارضها وقراها مع لطف الهوا والماءِ
او يكفي وصفي في جمال رياضها وغياضها وحياضها الحسناءِ
او عن فواكهها وحسن ثمارها ولذيذ مطعمها وطيب حساءِ
او حسن زخرفة القصور وما بها من منزلٍ سامٍ وزهو بناءِ
او عن جليل صنائعٍ وبضائعٍ تأتي وتمضي من مدى الدنياءِ

او عن عزيز مكاسبٍ ومواهبٍ ومتاجرٍ باهت بفرط غناء
او عن محاسن اهلها وجمالهم وكمال منظرهم بعين الراءي
كم ذا اعدّد في محاسنها التي فاقت محاسن سائر الانحاء
وغدت فريدة عصرها وزمانها ممدوحة القرباء والبعداء
لكنْ وا أسفاه لم تبقَ على ذاك الهنا والعزّ والارخاء
وتشتّتت ابناؤها وترددت في كل ناحيةٍ وقطرٍ ناء
وغدًا يسود بها العدو المعتدي ويكيد ابناها بكل اذاء
أترى يعود الله يجمع شملنا بالاهل والخلّان والابناء
وتقرُّ عيني باللقا ويطيب قلبي بالوصال وترتوي اعضاءي
واقول هذه منيتي فبلغتُها واجيد شكرًا للعلي مولاءي
يا ربِّ وفق لي الرجوع لارضها يا رب سهّل اوبة المتناءي
لنعود عن قرب الى اوطاننا بشفاعة البكر أمك العذراء

اما ما في هذه البلدة من حسن منازل ودور . وعلالي وقصور . وقاعات وخدور فهو شيْ مشهور . وزايد الزينة والحبور وشي مستظرف ووافر الشرف . ومحتوي على تحف وطرف مما لا يوصف ولا يكيَّف ومن جملة ما راينا في هذه المدينة ما حظينا بهِ بدخول بيت احد السناجق . في وقت موافق . للفرجة عليه لحسن مبانيه . ولكثرة عجب واضعيه . فلما نظرنا ما هو عليهِ من حسن النظام . وزخرف والهندام . فصدقنا فيه الكلام بان لا يوجد مثله بحلب ولا بالشام . وقد دخلناه في الساعة الرابعة وخرجنا منهُ في الساعة السابعة ولا زلنا طالعين من درج الى درج . ومن ضيقة الى فرج . حتى عرانا الزعج وعدلنا عن الفُرج وطلبنا المفر والمخرج . وقد ابقينا مواضع كثيرة . كانت يدنا عنها قصيرة . ورأينا فيها قاعةً . زاهية الصناعة . لم يكن لي على وصفها استطاعة . فكل حيطانها التي داخلها من المرمر . الابيض والاصفر والاسود والاحمر . وهي مفروشة بالديباج . المنسوج بالفضة والذهب الوهّاج . وقد يوجد مثل هذا السرايا سرايات ونظير هذه العمارة عمارات

فهذا شرح حالنا وكيفيّة ارتحالنا . وما عايناه في البر والبحر . وما شهدناه في الغربة وديار مصر . وقصدنا فيهِ الاخبار بوجه الاختصار . فالمرجوا اذًا من الفضل العميم ان تذكروا العهد القديم . والعود السليم . وتنتقدوا هذه الرسالة خير انتقاد وتصليح ما يوجد فيها من الفساد . من لفظ شارد وغلط زائد . ونثر بارد . لتنتفي منها العيوب ولتحسن

الاسلوب وتخفّ على القلوب . ويكثر المرغوب ويحصل منها المطلوب . وعلى الله تعالى غفران الذنوب بما انهُ الملك المرهوب . وعليهِ الاتكال

ابن الامس ورجل الغد

خواطر بقلم « ابن عشرين »

الاديب ا . م . احد المتخرجين في كليتنا

في الخامس عشر من شهر تموز الفائت عند الساعة السادسة مساء بينما الموسيقى تعزفُ بالحانها المطربة واصوات التهليل تخرقُ كبد السماء تحت اقواس النصر الخضراء وسعوف النخل الباسقة خطوتُ اول خطوةٍ خارجَ جُدران المدرسة التي تخرَّجت فيها وعلى جبيني اكليل الظفر وفي يدي الشهادة النهائيَّة غنيمتي المكتسبة بعد قراع وكفاح ثماني سنوات . . . .

خرجتُ على عربة فاخرة يقلّها جوادان فخرقتُ الجمعَ المحتشـدَ وسارت تطوف مدينة بيروت . . . فحسبتُني احد قوّاد الرومان المظفرين صاعدًا الى هيكل الكابيتول ليقدّم للآلهة المحرقات وهو مكلَّل بالغار على مركبة النصر يجرّهـا اربعة من الخيول المطهَّمة والشعب يهلّل والجنود تحيط بهِ بين لمع الصوارم و بريق الخوَذ وصرير الاسلحة وصهيل الخيل وجلبة القوم . . . .

تلك زهوة مضت وصورةٌ امحت وخيـالٌ قد زال فكأنهُ برقٌ خُلَّب . . . زيَّنتهُ المخيلة ولعبت باشباحهِ كما راق لها . . . مرَّت تلك الساعة ولم يبقَ منها سوى ذكرها . .

صعدتُ الى الكابيتول المسيحي اي جبل الرب فجثوت في كنيستهِ وجثا معي كل من يحبني واحبهُ فرفعتُ محرقةً روحية على مذبح إلهِ الجنود ورب النصر . . . ورفعت اليهِ عقلي وارادتي وقلبي وسألتهُ ان يجعلَ في نفسي ما يليقُ بمسيحيٍّ ابن عشرين . . .

*

والآن انا في الغرفة وحدي امام كتبي واوراقي والسكون حولي سائد . تتكسَّرُ عند عَتَبَتي آخرُ ضوضاء الازقة ويضمحلُّ عند الباب صدى الجلبة وضجيج الاسواق . . عدتُ الى نفسي وقلتُ لنكتب . . .

لنكتب . . . ولكن ليس من بضاعة المخيّلة او تزويق الكلام . بل من حقيقة الحال وزبدة الافكار . . هي افكاري أُبديها . افكار ابن عشرين كان بالامس على مقاعد المدرسة يستفزّهُ نظم الشعراء ويصفّق للخطباء ويناجي الفلاسفة ويتصفّح التاريخ فيجوب الدنيا مع الفاتحين والمكتشفين ويقلّب الكرة الارضية مع علماء الجيولوجية و يرصد الفلك الدوّار ويختلس اسرار الطبيعة مع الطبيعيين . . . ها هوذا يُلفي نفسهُ منفردًا وسط هذا العالم بعد ان جابهُ بالفكر وقلبهُ ظهرًا لبطن وهو لم يَبرح من مكانهِ

ربّتهُ المدرسة اعواماً . لقّنتهُ ما جرى في قديم الزمان . علّمتهُ كيف تسيرُ الحوادث وكيف يحرك الامور وتحركهُ وكيف يذلّلها بحزمهِ وشهامتهِ . ارتهُ الفضيلة في رجال الفضل فحبّبتها اليهِ . والرذيلة في اهل السوء فبغّضتها لديه . وما نفوره من الرذيلة ومحبّتهُ للفضيلة الّا بسلامة الطبع وجودة العقل . انما هناك ارادة ان لم تُقوَّم اعوجّت . وان لم تُدرأ في سواء السبيل شرَدَت في مهامهِ الغواية . . . . فسمع في باطن ضميرهِ صوتًا يقول لهُ : شدّد ارادتك بالحزم وكن رجلًا

والقلب . . . آه من القلب . . . ما ارقّهُ وما اقساه . . . ما اصلحهُ وما افسده هو نبعٌ ان لم يطفح منهُ الماء الزلال تبجّس بالماء الاجاج وطفح بالعكر . . . وان لم يدرّ عسلًا درّ علقماً . لكن ان تربّى وتهذّب كان معدن الشهامة ومصدر الافكار السامية

قضيت ثماني سنوات أُذخّرُ ما يُدخّر واصلح ما يُصطلح استرشد الاماثل واقتفي معالم الافاضل وها انا خارجٌ الى معترك الايّام اعرضُ عزيمتي على محك صعابها واجلي فكرتي بدرسِ طباعها المتقلّبة وأُجرّب قلبي بمخالطة ابنائها لارى هل انا من رباطة الجأش وثبات العزيمة على شيء

كنت انظر الى الحياة كما ينظر اليها كل تلميذ فاراها باسمة وضّاحة الجبين . . . سلّمٌ يصعدُ عليهِ كلٌّ من شاء وفي اعلاه الغنى والشرف والنصر والسرور . . .

هكذا كانت المخيّلة تزوّقها لي فاصدّقُها لانني كنتُ اذ ذاك ابن المخيّلة . واما الآن فانا اعلم الحقيقة الوضعيّة . لم اعد ابنَ الامس انما انا رجل الغد

تعلمت بالفكر خوض الحوادث وعمّا قليل اخوضها بالعمل . . .

احبُّ هذا العراك عراك الحياة واشتاق اليهِ بكل قواي وقد قيل : « الرجل رجل العمل لا رجل الامل » قد خاض غباره اجدادي ولم يكونوا جبناء واننى لاشعر في عروقي

بدمٍ يغلي هو دم الذين صادمتهم الأيام فصدموها . وغالبتهم الحوادث فغلبوها ولكن كم أُصيبوا بجراح وبلغت قلوبهم الحناجر قبل ان يدركوا الستين من عمرهم ولست انا سوى ابن العشرين . . .

لذةٌ شعرت بها يوم قيل لي: لم تعد تلميذًا انما انت رجل . . . بهذا اليوم تدرَّعت بالصبر وتنكبت قوسَ الدربةِ واعتقلت رمحَ الاقدام وسللت صارم العزيمة وامتطيت صهوة جوادٍ ضامر . . جواد الشبيبة قد استروحَ للقتال عن بعد وصاح: ها . . فدفعت بهِ الى الامام فقال : هيًّا الى الحلَبَة . . . وما في الحلبَة ؟ . . .

أقدامٌ تزدحم وراء اصفر رنَّان . عزائم تتصادم طمعًا بعقامٍ خطيرٍ وشرفٍ باذخ . عقول تبرز افكارهـا فتشتبك الافكارُ بالافكار . اقلامٌ مشحوذة ارهف من سيفٍ ذي حدَّين تطاعن دون الاقوال . . فاي معمعةٍ اخوضها واي حرب اصطلي بنارها ؟ . .

انا ابن عشرين بخلَ الدهر عليَّ بالمال ورفعة الشان . سليل عائلة لم تعرف الَّا الجدَّ والتعب لكسْب المعيشة . حَسَبُها مخافة الله ونَسَبُها ثباتُها في الدين . لم تملك من حطام الدنيا الَّا ما يسدُّ رَمقها فما انا بمغيِّر خطتها . . . أدعُ المالَ لمن يتهافتُ اليهِ . ورفعةَ الشأن لمن يتطلَّبها . . . في رأسي عقلٌ وفي يُمناي قلم . فسأكتبُ . . .

الآمال واسعة . والمواضيع اوسع . واللغة بحرٌ خضم لا تبخل عليَّ بالكلام . واولو الادب والعلم والحمد لله في عصرنا كثيرون . فماذا اكتب ؟ . . . ساكتب للمحاماة عن الدين ولنُصرَةِ الحقّ . اكتب للدِّفاع عن المظلوم . لرفع شان الادب . لخدمة الوطن . لمنفعة اهل جلدتي . . . بحول الله

امَّا ما يُخبِّئهُ لي الدهر فلا اعبأ بهِ . . . انصرٌ ام قهر ؟ . . . إقبالٌ ام ادبار ؟ . . . أحياة ام موت ؟ . . . هذا سرّ الله وغاية ما اعرف ان من اتكل عليهِ لا يخيب

مطبوعات شرقية جديدة

H. Vincent. O.P.: CANAAN D'APRÈS L'EXPLORATION RÉCENTE. (Collection « Etudes bibliques »). XII —495 pp., gr. 8°; 11 planches hors texte et 310 fig., *Lecoffre-Gabalda*, 1907.

بلاد كنعان وفقًا للاكتشافات الحديثة

قد توفَّرت المنشورات الحديثة التي تفيدنا عمَّا يكتشفهُ الاثريُّون كل يوم في انحاء

فلسطين من الآثار الجليلة والعاديّات الخطيرة · فاضحت كثرتهـا آفةً على الدارسين يحتاجون لمراجعتها الى المكاتب الواسعة والمجلات المتعدّدة · فاراد حضرة الاب ڤنسان من اساتذة مدرسة الاباء الدومنيكيين الافاضل في القدس الشريف ان يسدّ هذه الثلمة فيجمع في كتاب واحد خلاصة تلك الاكتشافات مع بيان نتائجها الحاضرة دون القطع بامور تحتاج بعد الى نظر ادق والى مزيد ايضاح بعد وجود آثار جديدة · وقد افتتح حضرة المؤلف كتابهُ بمقدّمة اعلن فيها غايتهُ ان يجمع في هذا الكتاب محصل الفوائد المستفادة من حفريّات تل حسي وتل زكريا وتل الصافي وتل جديدة وتل سند حنّه وتل جزر وتل تعنك وتل المتسلم وذلك منذ نحو ١٥ سنــة · وقد ضرب الصفح عن حفريات اورشليم ولعلهُ يريد ان يفرد لها قسماً كاملاً · اما تقسيم الكتـاب فهو بسيط جدًا فانّ فيهِ ثمانية فصول وصف في اوَّلها المدن الكنعانيّة ثم معابد الكنعانيين ومقاماتهم الدينيّة ثم اصنامهم ومناسكهم ثمّ مدافنهم ورتب جنازاتهم ثم آثارهم الحرَفيَّة · وكلّ هذه الفصول تزينها التصاوير البديعة وهي تشمل احوال الكنعانيين منذ اوائل التاريخ الصحيح الى القرن الخامس قبل المسيح · ويلي هذه الابواب بابان آخران احدهما في الآثار الكنعانيَّة السابقة للطور التاريخي في عهد الطور المعروف بالظرّاني وعندنا انّ هذا الفصل لو قُدم على الكتاب لكان انسب وانفع · والباب الثاني اي الاخير في الكتاب مداره عن مقام الكنعانيين ورتبتهم في تاريخ الشعوب القديمة ولولا ضيق المكان لابدينـا للمؤلف عدّة ملحوظات في كتابهِ لاسيما الفصلين الاخيرين وفيهما من الشروح ما لا يفي بالمقصود ولا يسدّ الخلل . وكذلك استغربنا انشاء الكاتب فانّ فيهِ كثيرًا من الكلام الدخيل والعبارات المستحدثة والغلوّ في التأنق الزائد واستعمال الغريب ما يجعل قراءتهُ صعبة · ولو شاء لجعل كلامهُ منسجماً سلساً كما يظهر من بعض فصولهِ التي تشهد لهُ بحسن الكتابة : لكنّ هذه النقائص اعراضٌ لا تمسّ جوهر الكتاب ومن ثمّ نحض كل محبي الدروس الكتابيَّة على اقتنائهِ ولا نستكثر ثمنهُ (١٥ فرنكًا) في جانب فوائدهِ س · ر

Geschichte der japanischen Litteratur von **Dr K. Florenz**, *Leipzig*, *Amelangs Verlags*, II, 1906, 255-643 SS.

تاريخ الآداب اليابانيَّة

قد توجَّهت انظار الامم الى اليابان منذ اخذت تلك البلاد تجاري اوربة في تمدُّنها من تنظيم عسكري وتجارة وزراعة وصناعة · ومما يستحبُّهُ الناس معرفة آداب اللغة اليابانيَّة

ومن نبغ فيها من الكتبة منذ اصولها الاولى الى زمننا . وهي الغاية التي يرمي اليها هذا التاليف الذي وصفهُ احد اساتذة الالمان المدعو كرل فلورنس وصف فيهِ احوال اللغة اليابانيّة وتقلباتها منذ اوّل نشأتها وفي اطوارها المختلفة قرنًا بعد آخر . وقد سبق للمشرق وصف القسم الاول من هذا الكتاب البديع . والقسم الثاني هذا يشبه الأوّل بحسن اسلوبهِ وتقسيم موادهِ وتعريف فنون الكتابة بين اليابانيين منذ القرن الثاني الى ايّامنا . ومؤلف الكاتب احد اساتذة كليّة طوكيو فرتبتهُ هناك ضامنةٌ لتدقيقهِ في التاريخ والوصف . وقد اعجبنا خاصة ما كتبهُ في فنّ التمثيل بين اهل اليابان وما صنّفوه من الروايات المتعدّدة . وكذلك احسن في وصف الشعراء اليابانيين واكتفى من اقوالهم عدة قصائد نقلها الى اللغة الالمانيّة . وكنا وددنا لو تحاشى بعض اقوالٍ في حقّ النصرانيّة حيث قابل بين بعض تعاليمها وتعاليم البوديين . وكل يعلم انّ الفرق بين الديانتين كبعد الثريا عن الثرى الاب ل . شرفاليو

شذرات

❊ اصناف الحيات ❊ كان حضرة الاب انستاس في مقالة سبقت في المشرق (٧ : ٩٨٣ — ٩٩١) عن الحيوانات السامّة ذكر عددًا من الحيّات العراقيّة . ثمّ اتحفنا بنبذة اخرى في متحفةٍ للهوام (ص ٢٤٣) ورد فيها ذكر حيّات غيرها . وها نحن نضيف اليهما فصلًا استنسخناهُ عن كتاب مخطوط في خزانة كتب لندن (Or. 3690) زيد «كتاب جامع الغرض في حفظ الصحّة ودفع المرض» لابي الفرج بن يعقوب المعروف بابن قفّ المسيحي . (+١٢٨٦) وهي النسخة الوحيدة منهُ . والفصل المذكور (ص١٣٩—١٤٠) عنوانهُ « اصناف الحيات » نرويهِ دون القطع بصحّة مضمونهِ

(قال) فنها المكللة وهي مكللة الراس كثيرة ببلاد الترك طولها من شبرين الى ثلاثة اشبار ولونها يميل الى السوّاد (وهي) حمراء العين حادّة الراس تحرقُ كل ما يقرب من (نفسها) ولا يثبتُ حولهُ نبات ولا يقربهُ طائر ولا يمرّ بهِ واي طائر مرّ به سَقط ميتًا واذا لدغت انسانًا ذاب من ساعتهِ وصار صديدًا وكل من قرب من ذلك الميت مات واذا لدغت الفرس ماتت هي والفارس ان كان عليها فارس . ومنها (بنات طبَق) وصفاتها قريبة من صفات المكللة لكنّها تُفارقُها في الطول . ومنها الفاضه ويعرض لمن لدغتهُ بطلان الحس والحركة حتّى انّ من لَدَغَتْهُ يَبقى كانهُ مسبوت وتلتوي رقبتهُ ويحصل من لدغتها كزاز وغشي وعند ما تلدغ تشيل راسها الى فوق وتبصق

السم ويسيل من مكان لدغها دم اسود ثم يعرض للملدوغ ان تتغمض عيناه ولا يعيش اكثر من ثلث النهار. ومنها المقرَّنة وطولها من ذراع الى ذراعين وعلى راسها سواد كالقرنين ولونها كلون الرمل وعلى بطنها قشور كالفلوس تكشّ على الارض. ومنها اللحائيّة وهي كثيرة. ومنها حيّة عريضة العُنُق ويعرض من لدغها ما ذكرناهُ مع وَجع شديد واخضرار المكان ولهب وتأكّل ويهلك الملدوغون منها والاكثر في ثلاث ساعات وهذه الانواع جميعها يقال لها الأُلّ ومن شدة عناية الله تعالى بنوع الانسان جعل خروجها من أجحرها نادرًا جدًّا وفي اوقات معروفة وقد عُرفت تلك الاوقات فعند مجيئها يُحترز منها. واما الافاعي فمنها الرامه (؟) وهي حيّة رديئة صلبة البطن عليها نقط سود وبيض وطولها قريب من طول المقرَّنة دقيقة الراس والذنب ثقيلة الحركة مستوية الاسنان. ومنها المعطّش وطولها شبر وعلى ذنبها وبدنها اثار صفرة صغيرة الراس غليظة العُنُق دقيقة الذنب نسيلة عند المشي يعترض للسوعها التهاب شديد وعطش ويشرب دائمًا من غير ان يخرج منهُ شيء بل ينتفخ جوفهُ. ومنها القفّازة وهي حيّة دقيقة تقفز على من تراه وتكمن في الشجر وترمي نفسها على من تراهُ وتثب متوجهة اليهِ ويعرض لمن لدغتهُ وجع شديد وورم في الاعضاء. ومنها البلّوطيَّة وهي التي تاوي عند شجر البلوط ويعرض لمن لدغتهُ ان ينسلخ جلدهُ ويعرض لمن يطاها ان تنسلخ جلدة قدميهِ ويعرض (لمن يمسها) ان تنسلخ جلدة يده. ومنها افعى ذات راسين تمشي على وجهين. ومنها الغبراء وهي غبراء اللون تقتل بعد شهرين ان لم يداوَ الملدوغ. ومنها البرشاء وتقتل بعد اربعين يومًا ان لم يداوَ ايضًا. ومنها الخرساء وتقتل بعد خمسين يومًا ان لم يداوَ الملدوغ. ومنها حيّات البيوت والتي تاوي الى الجدران وسم هذه قليل المضرَّة. ومنها حيات الماء وسم هذه اضعف من سم حيات البيوت. ومنها اسود سالخ واذا لدغ في حزيران وتموز قتل لانهُ يهيج فيهما

مِزْوَلة نبطيّة المزولة هي الساعة الشمسيّة سبق لنا ذكرها غير مرّة في المشرق (اطلب مقالة بني موسى في المكحلة ص ٧٥). ومما توفّق الى اكتشافهِ آخرًا الابوان الدومنيكيّان جوسّن وسافنياك مزولة قديمة يرتقي عهدها الى ايّام النبطيين وجداها على مقربة من سكّة حديد الحجاز. وهي اوّل اثر من هذا الجنس اكتُشف الى يومنا. وعلى هذه المزولة اسم العامل او الفلكيّ الذي اصطنعها فكتب في كتبها «منسّى برناثان شلوم»

كتابتان عربيتان في ديار بكر مرّ في بيروت منذ زمن قريب الجنرال دي بيليه (de Beylié) الفرنسويّ راجعًا من بلاد ما بين النهرين وقد وجد في سفرته هذه عدّة آثار منها كتابتان عربيّتان في آمد وهي مدينة ديار بكر يُذكر فيهما ان امير حصن كيفا محمود الارتقي ابتنى في سور ديار بكر برجًا لتمكينهِ في سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م). ومن خواص هاتين الكتابتين انَّ فوقهما صورة نسر ذي رأسين وهو شعار بني ارتق كما يُرى على نقودهم وتحت الكتابتين اسدان يناوي احدهما

الآخر كانهُ يريد محاربتهُ . لمَّا مصطنع الكتابتين فنصرانيٌّ يُدعى حنَّا بن ابراهيم وهو من اسرة المتولّين دار ضرب النقود

اسئلة واجوبة

س سأل احد افاضل كهنة الموارنة المستخدمين في دير الكرمل: ١ً هل كان لعكَّار اسقف ماروني على طائفتهِ هناك فيما مضى . ٢ً هل موارنة عكَّار اصلهم من لبنان او من جهات حمص وحماة ونواحيهما . ٣ً من اين يستقي من اراد ان يبحث عن سائر علماء الموارنة واعمالهم وتآليفهم وزمانهم . ٤ً ما سبب تسمية المغارة التي ينصبُّ منها العاصي بمغارة مار مارون

اسقف وموارنة عكَّار . علماء الموارنة . مغارة مار مارون

ج نجيب على (الاوَّل) أنّنا لا نعرف اسقفًا مارونيًّا اقيم على عكار ولم نجد ذكرًا لذلك في التاريخ . والامر محتمل . وجوابنا على (الثاني) انَّ المرجَّح لدينا بان موارنة عكار اصلهم من جهات حمص وحماة لوقوع عكار في جوار تلك النواحي التي كثر فيها الموارنة سابقًا . ولعلَّ بعض العيال اللبنانيَّة انتقلت ايضًا الى عكَّار فاستوطنتها واختلطت باهلها . نجيب على (الثالث) بانَّ الكتب التي يُرجَع اليها لمعرفة علماء الموارنة واعمالهم وتآليفهم وزمانهم منها منشورة بالطبع كتاريخ الموارنة للدويهي وتآليف سيادة المطران الجليل يوسف الدبس وبعض آثار متفرّقة في اعمال السماعنة . ومنها ما لا يزال مخطوطًا في خزائن كتب العامَّة والخاصَّة كرومية وباريس وبكركي وبعض اديرة الرهبان والامل وطيد بنشرها قريبًا على يد الافاضل كما فعل حضرة الاب انطون ربَّاط في كتابهِ الآثار الخطيَّة لتاريخ الكنائس الشرقيَّة . ونجيب على (الرابع) انَّ المغارة المذكورة دعاها الناس باسم القديس مارون لزعمهم ان ابا الطائفة المارونية تنسَّك فيها مدَّة . ولا اثر لذلك في التاريخ القديم لانَّ القديس مارون الناسك عاش في بلاد قورش . ولحضرة الاب ه . لامنس في ذلك مقالة مطوَّلة مرَّت في المشرق (راجع كتابهُ تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار (١ : ١٠٧ و٢ : ٧٢ وما يليهِ)

ل . ش

المشرق

المناهج في وصف المباهج

لحضرة القس الفاضل جرجس منش الماروني الحلبي

هو كتاب خطير الشان . باهر البيان . أطنب فيهِ مؤلفهُ واسهب . واعجب واغرب . واطلق اعنَّة الاقلام . وجرَّ اذيال الكلام . واستطرد من فنون الى فنون . فلم يدع في كثيرٍ من الحقائق مجالًا للظنون . بسط فيهِ من الالهيات ما يتعلّق بعالم السموات . ومن الطبيعيَّات ما يلحق بعالم الارض والحيوان والنباتات . ومن الادبيات ما يتَّصل بالاشعار والامثال والفكاهات . وضمَّ اليهِ ما ورى زناد فكرهِ من الوجوه المعقولة . والتصرفات المقبولة . فجلا رَيْن الشك عن السريرة . وزاد في المعارف بسطةً وبصيرة

ولكونهِ متبحرًا جال في ميدان فرسان الكلام . فاظهر مهارةً في المعارف حسبما يليق بالمقام . وكشف القناع تارةً عن وجوه محاسن الاشارة . وملح الاستعارة . وهتك الاستار اخرى عن اسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها . وترجمان القوى الناطقة وميزانها . فحلَّ ما اشكل على الانام . وذلّل لهم صعب المرام . واورد في المباحث الدقيقة ما يُؤمن بهِ الشبه والضلّة . واوضح لهُ مناهج الادلّة . فكان كتابهُ « مباهج الفكر . ومناهج العبر » . وقف عليهِ صاحب المشرق الاغرّ فراقهُ ما فيهِ . فاوعز اليَّ ان اعرّف العلماء بمحاويهِ . فلبَّيتُ اشارته . وقضيت لبانته . واتسعت في الوصف على قصر الباع . ما شاء الاتساع . مجاريًا فيهِ مشاهير الكتّاب . في مثل هذا الباب . تنويهاً بقدر الكتاب وحسناتهِ . وتعريفاً بفضل واضعهِ وحسناتهِ

١ً في اسم الكتاب

لا عجب ان اضطرب الباحث في حقيقة عنوان الكتاب فان مؤلفهُ لا يذكر لهُ

اسماً يميزهُ بهِ عمّا سواهُ من الكتب في احدى مقدّماتهِ الاربع عليهِ فكأني بهِ شاء ان يجعلهُ غفلًا لا يُعرف ونكرة لا تتعرّف وهو خليق بالتعريف جدير باحسن الاسماء واسماها

ويزداد الباحث حيرةً حين يرى المطران بولس حكيم احد قرّاء الكتاب يسمّيهِ بالنزهة حيث خطَّ على اولهِ: « نزهة العيون في اربعة فنون » ومحشيه المجهول الزمان والمكان يدعوه « بالمباهج » حيث روى في آخر حاشية ص ٣٦٤: « ونرجع من هاهنا الى تتمة المباهج » وفي حاشية ص٣٦٦: « انتهى كلام النويري هاهنا ولنرجع الى كلام صاحب المباهج » وفي هذا كلهِ منتهى الاضطراب والاشكال كما هو ظاهر

على ان صاحب كشف الظنون الذي عليهِ المعوَّل في حلّ مثل هذا الاشكال يذكر من الاسم الاول (في جزء ٢ ص ٥٩٥ طبعة بولاق): « نزهة عيون المشتاقين في النسب لابي الغنائم عبدالله بن حسن الزيدي . ونزهة العيون في معرفة الطوائف والقرون للملك الافضل عباس ابن الملك المجاهد صاحب اليمن . ونزهة العيون النواظر وتحفة القلوب والخواطر لعبدالله بن اسعد اليافعي اليمني اختصرهُ من روض الرياحين في حكايات الصالحين » . ولكن هذه الكتب ليست في شيء من غرض الكتاب وموضوعهِ وكنت اعول على مدافعة البعض عن المطران بدعوى ان صاحب الكشف سها عن الكتاب او لم يقف عليهِ لولا انها دعوى سلبية لا يؤيدها شيء من الاسناد الايجابيَّة القديمة

واما الاسم الثاني فلا يذكر منهُ اي صاحب الكشف في جزء ٢ ص ٣٧٢ سوى: « مباهج الفكر ومناهج العبر » وفي ص ٥٣٤: « مناهج الفكر ومباهج العبر » لمحمد ابن ابراهيم المصري في اربعة مجلدات وهو الاسم الحقيقي في غالب الظن . امَّا اولًا فلانهُ اسم وافق مسماهُ ولفظ طابق معناهُ . وامَّا ثانياً فلاتفاق صاحب الكشف والمحشي والناسخ عليهِ . ولماَّ ثالثاً فلان صاحب الكشف يذكر اجزاءهُ التي جزَّأ المؤلف كتابهُ اليها مماَّ يدل على انهُ رآهُ وطالعهُ وكل هذا ليس من الامور العرضية التي يسهل وقوعها (١

ومع ذلك فالاسم الذي اطلقهُ المطران على الكتاب ليس بمختلق وربما كان الاسم المتعارف بين العامّة وهذا قريب من التصديق وامثلتهُ كثيرة وربما رأى ناسخهُ يصفهُ

١) وقد علمت ان الاقسام المحفوظة من هذا الكتاب في مكاتب اوربّة موسومة بهذا الاسم (ل . ش)

بنزهة العيون على عادة النسّاخ فظنهُ اسمهُ الحقيقي فاطلقهُ هو عليهِ وهذا اقرب الى حقيقة الواقع

٢ في مؤلف الكتاب

هو جمال الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محي بن عليّ الكتبي على رواية المطران السابق الذكر وهو جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيي الانصاري المصري الكتبي الورّاق المعروف بالوطواط على رواية الحاج خليفة (١ في كشف الظنون (٢ : ٧٢ و ٥٣٤) ولا ريب ان كلًّا منهما اعتمد في ايراد النسب على النسخة التي وقعت اليهِ من الكتاب لان المؤلف لا يذكر نسبهُ في احدى مقدماتهِ والظاهر ان المطران تصحّف عليهِ اسم يحيي بمحي وهو سهو الناسخ او من عدم وضوح الاسم

وقد خلط ادوار فانديك في كتابهِ اكتفاء القنوع (ص ٣٤٦ و ٣٥٦) بين صاحب الترجمة وبين رشيد الدين ابي اسحق ابراهيم الكتبي المعروف بالوطواط ايضاً المتوفى سنة ٥٧٣ على رواية كشف الظنون (٢ وذلك لبعض المشابهة في النسب وهذا من غريب الخلط بل من غرائب شوائب هذا الكتاب العديدة التي كدّرت مشرعهُ وذهبت بكثيرٍ من محاسنهِ

وهو مغربي المولد (٣مصري الوطن والدار على ما يؤخذ من لفظهِ في آخر الباب الـ ٧ من الفن الثاني (ص ٣٥١) حيث روى : « قال المؤلف وانما اطنبت في ذكر هذين الصقعين مصر والاندلس دون ما عداهما من الاصقاع واثبت من وصفيهما مما (ما) يشترك في قبولهِ القلوب والاسماع لان في احدهما نمى (كذا) فرعي وفي الآخر ذكا اصلي وتفرق في مجموعهما اسوتي (اسرتي) واهلي » اه . قال احد محشي كتابهِ : « يستنبط منهُ ان المؤلف لهذا الكتاب الجليل مغربي المولد مصري المسكن فرحمهُ الله رحمةً واسعة »

---

١) وفي جزء ١ : ٤٨٨ يلقبهُ « رشيد الدين » وهو لقب الوطواط الآخر ولعلهُ سهو من صاحب الكشف

٢) وورد سنة ٥٧٨ في الاكتفاء وسنة ٥٥٣ في محل آخر من الكشف طبعة الاستانة وهي اردأ طبعاتهِ واكثرها نقصاً واغلاطاً

٣) كانت ولادتهُ سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) كما ورد في قائمة مطبوعات لندن (Suppl. p.508)

وذكر في الباب الـ ٦ من الفنّ الثاني وقعة ثغر دمياط ونصرة المسلمين على الافرنج واسر القديس لويس ملك فرنسة الى ان يقول في هذا الثغر: « ثم ان السلطان رأى المصلحة في هدمهِ فهدمهُ سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) وهو الان قرية فيها مساكن محكمة البناء لان سكانها مستوفزون يترقبون نزول الافرنج صباحاً ومساء لان ما لها صور (سور) يمنعهم » مما يؤخذ منهُ ان الكتاب الموصوف وضعهُ في عهد الزحفة الصليبيَّة التاسعة (سنة ١٢٧٠ م)

وكان شاعرًا مجيدًا وكاتبًا بارعاً واديباً فاضلًا وحكيماً ماهرًا وراويةً محققاً لا يجارى في عصرهِ ولا اعرف من تآليفهِ سوى مباهج الفكر ومناهج العبر المبحوث عنهُ (١. ومجموعة حواشيهِ على الكامل في التاريخ لابن الاثير الجزري. والدرر الغرر في شعراء الاندلس كأنهُ جعلهُ ذيلًا على كتاب شعراء الاندلس لابن العربي. وغرر الخصائص الواضحة والنقائص الفاضحة لخصهُ بعنوان « محاسن الغرر » وطبعت الاصل مطبعة بولاق سنة ١٢٨٤ و١٢٩٦ (١ عن جزء ٢ ص ١٥٤ و٢٥٧ و٣٧٢ و٣٨٨ و٥٣٤ من كشف الظنون وص ٣٤٦ من اكتفاء القنوع (٢

وكانت وفاتهُ سنة ٧١٨ هـ (٣ اي سنة ١٣١٥ م. وآسف شديد الاسف لاني لم اقف لهُ على غير ذلك من ترجمتهِ فيما لديَّ من الكتب الموضوعة في السير والطبقات والتواريخ

٣ في نسخة الكتاب

هذه النسخة مجلدة مجلد عليهِ اثر البلى من كثرة الاستعمال وهي تقع في نحو ٥٨٥ صفحة وكل صفحة ٣٠ سطرًا طولها ٢٧ سنتيمترًا في عرض ١٧ س بنيِّف والصفحة

١) وطبعتهُ المطبعة الشرفية بمصر طبعة اخرى سنة ١٢٩٩ (اذا لم تكن طبعة سنة ١٢٩٦ التي يذكرها صاحب الاكتفاء) وطابعها حماد الفيومي يروي نسب مؤلفهِ المترجم ويكنيهِ فيهِ «ابا اسحق» ويلقّبهُ «برهان الدين» ولا ادري الى اي الاسناد يستند في روايتهِ

٢) ومما يُنسب ايضاً الى جمال الدين الوطواط كتاب ابكار الافكار ذكرهُ الحاج خليفة (١ : ٤٦١ من طبعة اكسفرد). وذكر ايضاً لهُ (٤ : ٣٨٧) كتاب فتى الفتوَّة ومرآة المروَّة (ل. ش)

٣) لا سنة ٨١٧ كما ورد في جزء ١ ص ٤٨٨ من كشف الظنون ولا سنة ٧٢٨ كما ورد في طبعة اكسفرد (١ : ٤٦١)

الاولى مزيّنة بنقوش والوان زاهية وموشاة بالذهب . ومن ص ٥٦ الى ٧٧ ومن ١١٨ الى ١٣٥ ساقط عدة صفحات أُضيفت اليها بخط حديث يختلف عن بقيّة الكتاب ومن ص ٥٨١ الى آخرهِ سقط ايضاً ثلاث او اربع صفحات ذهبت بشيء من الكتاب وبتعليقة الناسخ فلا يُعرف لسمهُ وزمانهُ ومكانهُ والغالب على الظنّ انهُ مصري من اهل القرن التاسع للهجرة لذكرهِ ابن رقاعة الآتي ذكرهُ

وهي مخطوطة بحبرين اسود واحمر على ورق صفيق مغبرّ اللون مسّتهُ الرطوبة ولا يعزُ عليهِ كثير من الايام حتى تودي بهِ . والخط في سائر الكتاب حسن سهل القراءة في الغالب ولكنهُ كثير الاغلاط النسخية ولا شك انها واردة من جهل الناسخ وسوء سمعهِ كما يظهر من اعتبار كيفية رسمهِ للحروف كما تقرأ لا كما تكتب كرسمهِ التنوين نونًا ساكنة مثل ماءن (ماء) ومدّهِ الالف المنقلبة عن ياء مثل رما (رمى) ورسمهِ الالف المقصورة ممدودة (١ مثل القهقرا (القهقرى) وتنقيطهِ الالف المقصورة كالياء مثل علي ويري (على ويرى) والحاقهِ واو العلّة بالف الاطلاق ابدًا مثل يغدوا وارسطوا (يغدو وارسطوا) وهو غريب

والالفاظ كلها مضبوطة بالشكل على انهُ كثير الاغلاط الصرفيّة والنحويّة ومن غريبهِ رسمهُ المدَّ على الف الجمع في مثل عوآئد وموآئد وضبطهُ الاندُلس بضم الدال وكسر اللام والمشهور فيها فتح الدال وضم اللام . والظاهر ان في ضبطها لغتين اتبع الاولى منها الازديّ في عنوان كتابهِ جذوة المقتبس في علماء الاندُلس واتبع الثانية ابن القات في كتابهِ ريحانة الانفس في علماء الاندَلُس وهي التي عليها صاحب القاموس واللسان فتدبّر

وفي صدر النسخة كراس حديث في الصفحة الاولى منهُ تعليق المطران بولس حكيم السابق ذكرها . وفي الصفحة الثانية وما بعدها فهرس ما في هذا الكتاب من الابواب لمقتنيهِ العلامة الشهير السيد جرمانوس فرحات وفي الصفحة الـ١٧ « تقويم الفصول وطلوع الشمس والقمر وساعات الليل والنهار ومهاب الرياح على مقتضى الفصول الاربعة » بخط كاتب غفل

---

١) هذا مطروق عند خطاطي القدماء خوف التباس الالف بالياء

وفي الصفحة الاولى من اصل الكتاب هذه الفقرة: « باسمهِ سبحانهُ . ويكفيك قول الناس فيما حويتهُ . لقد كان هذا مرَّةً لفلانٍ . الفقير الحقير م » ويليها: « سنة ٣٠٣ [منذ] زمن وضع الكتاب في ٢٥٥ ورقة منهُ » اي من عهد الكاتب في مستهل القرن الحادي عشر للهجرة ويليها ما حرفهُ: « جرمانوس برحمة الله اسقف حلب (مكان الختم) اوقف هذا الكتاب وقفاً مؤبدًا على كنيسة ماري الياس كنيسة الموارنة في حلب ومن يغيّرهُ عن الوقفيَّة باي حال كان يكن محروماً مقطوعاً من شركة المسيحيين والويل لهُ ان رضي لنفسهِ ذلك سنة ١٧٢٨ » وهي سنة ضمّهِ هذه النسخة الجليلة الى مكتبة حلب المارونيَّة . وقد كانت ذهبت في جملة متروكات المطران يوسف مطر المتوفى سنة ١٨٨٢ فاعلن حضرة صاحب المشرق الاغر فقدها في رحلتهِ الاخيرة الى حلب (المشرق ٨ : ٩٢٨) فجرَّد سيادة راعينا الجليل المفضال المطران يوسف دياب عزيمتهُ الناهضة للبحث عنها وما زال ينشدها حتى عثر عليها واعادها الى المكتبة في السنة المنقضية فلسيادتهِ باسم الآداب جزيل الحمد والثناء (١

٤ً في موضوع الكتاب

حان لي ان اعرِّف القرَّاء الادباء بموضوع الكتاب بل بمواضيعهِ التي يجعلها مدار ابحاثهِ العديدة وهي اربعة فنونٍ: الفن الأول في السماء وما أُودعت كواكبها الثابتة والسائرة من اسرار حكمةٍ تظل الافهام في مجاهل العرفان بها حائرة . (قال): ولم اعرج على شيء مما ذكرهُ المنجمون من المواليد والاختبارات اذ هي عند ممتحنها ان تُصب تارات فتخطئ تارات املهم ان تكن نكتة ظلت لمنتقدٍ لها ضالَّة ينشدها او شذرة ندَّت عن اخواتها فالحرص على الحاقها بهنَّ يرشدها . اه . عن مقدمتهِ على الفنّ الاول

والفنّ الثاني قد قصرهُ على ذكر الارض وما اشتمل عليهِ معمورها من الجبال والمعادن والبحار والانهار . (قال): واعرضت عن مساكن في طرفي المعمور يسكنها طوائف

١) ونُسَخ هذا الكتاب عزيزة جدًّا يوجد منها اقسام غير كاملة في بعض المكاتب كلندن وبرلين وغوطا ومصر . ومنهُ نسخة كاملة في احدى مكاتب الاستانة العليّة . وكان المرحوم اربك فتو (E. Vitto) حصل منهُ على نسخة مخطوطة قديمة سقط من اوَّلها صفحة او صفحات وقد ذهبت مع تركتهِ الى ايطالية (ل . ش)

من اولاد يافث واولاد حام. لان زائد (رائد) العقل بُهِمَت عليهِ اسماؤها فما عرج عليها ولا حام. اه. عن مقدمتهِ على الفن الثاني

والفن الثالث من الفنون التي دعت نفس المؤلف الى جمعها احاديث امانيها ولجأت الى الانقياد لوضعها من وساوس اغراضٍ تعانيها. قصرهُ على ذكر الحيوان بجملة انواعهِ وما اشتمل عليهِ كل ذي روح من اخلاقهِ وطباعهِ. (قال): ولم التفت الى ما يحدث عن استعمال شيء منها من النفع والضرر ولا الى ما ذكرتهُ الاطباء من تشريح اعضاء الصور اذ ذلك موضوع لهم في كتب مدوّنة غدت باختلاف الاسماء والنعوت معنونة. اه. عن مقدمتهِ على هذا الفن الثالث

والفن الرابع من الفنون التي رافع عقل المؤلف الى تدوينها هوى النفس وشايع بياض الطرس بوضعها فيهِ سواد النفس هو مقصور على ذكر النبات والى كم نوع ينقسم جنسهُ. مضافاً الى كل شخص منهُ وصف يرجع بهِ الى المستوحش انسهُ. (قال): غير اني لم اقتفِ اثر من دوّن مضارّهُ ومنافعهُ. وذكر كيفيته وقواهُ وطبائعهُ. وانما ذكرتُ طرَفاً مما جرّبتهُ الأكَرَة في افلاحهِ وطرُقاً عانوها في تدبير صحتهِ واصلاحهِ. لتشوّق النفوس الى الوقوف على ما فيهِ وتيقُّنها ان ذلك فرض عليها قد وجب. اه. عن مقدمتهِ على هذا الفن الرابع ولا حاجة الى التنبيه على ان كل فن من هذه الفنون مفصّل الى ابواب واقوال وفصول شديدة الارتباط بعضها ببعض سهلة المتناول تقرب فوائدهُ من طلّابهِ

فترى من هذه المقدمات ان المؤلف النحرير يتناول في ابحاث كتابهِ معظم العلوم البشرية المعروفة في عصرهِ فيتناول من فروع العلم الادبي على مقتضى تقسيم العرب علم الانساب وعلم الاوائل وعلم ايام العرب وعلم التاريخ. ومن فروع العلم الطبيعي علم النبات وعلم الحيوان وعلم الفلاحة وعلم المعادن وعلم الجواهر وعلم الكون والفساد وعلم قوس قزح وعلم احكام النجوم. ومن فروع علم الهندسة علم المساحة وعلم الملاحة وعلم السياحة. ومن فروع علم الهيئة علم الارصاد وعلم المواقيت وعلم التقاويم وعلم الاكر وعلم الأكَر المتحركة وعلم الكواكب وعلم منازل القمر وعلم الجغرافية وعلم مسالك البلدان وعلم خواص الاقاليم وعلم المواسم. ويلمّ بشيء من علم النفس وعلم طبقات الارض وكفى بهذا كلهِ منبئاً عن معارف المؤلف الواسعة

• طريقة الكتاب

اما طريقة المؤلف في ابحاث كتابهِ الموصوف فهي ان يصدرها بالقول النقلي كآي القرآن وفقر الحديث ومذاهب ائمة المفسرين . ويعقبها بالقول النقلي من اراء واوجهٍ علميَّة او فنيّة يعقبها في الغالب بما ينجلي معهُ وجه الصواب او الخطاء وهذا ما يجري عليهِ في اكثر ابواب كتابهِ ويستند فيها الى ارسطو وافلاطون وهرمس وابن سينا ونصير الدين الطوسي من كبار الفلاسفة . والمرزباني وابي الريحان البيروني وابي معشر البلخي وابي حسن الصوفي وفخر الدين الرازي وغيرهِ من علماء الهيئة والارصاد . والجاحظ وابن الجوزي وابن ابي الاشعث وعبد اللطيف البغدادي من الرياضيين وعلماء الحيوان . وبليناس وديسقوريدس وجالينوس وابن البيطار ومسلمة المجريطي وسواهُ من الاطباء والطبيعيين . وديمقراطيس وابي بكر ابن وحشية وابن بقال الاندلسي وابي الخير العشَّاب الاندلسي وابي حنيفة الدينوري من علماء النبات والفلاحة . وبطليموس وابن خرداذبه وقدامة بن جعفر وابن حوقل وابي عبيد البكري من اهل الجغرافية ومسالك البلدان . والبلاذري والمسعودي والطبري والمسيحي والازرقي وصاعد الاندلسي وابن الاثير وابن العديم من اهل التاريخ . والسهيلي والنوبختي وابن اسحاق وابن باطيس والحسن الهمذاني وابن السائب الكلبي وابن قتيبة الدينوري واشباهه من اصحاب السير والطبقات والنسابين . وكعب الاحبار ووهب بن منبّه والنووى والنويري والترمذي وابن العباس والبخاري ومن شاكلهُ من كبار رواة الحديث

وللمؤلف طريقة اخرى في ابحاثهِ وهي ان يقدم بين يديها ايضاً الوجه اللغوي والمترادفات ويورد بعدها مذاهب علميَّة او فنيَّة يعقب عليها آراءهُ الخصوصيَّة في تمييز صحيحها من فاسدها ويختتمها بالآداب والنوادر اللطيفة والامثال السائرة ومكارم الاخلاق فيستند الى ابي عبيدة وابن فارس وابن دريد والخليل والجوهري والثعالبي وابن التلميذ وابي منصور الازهري وابي الفرج ابن الجوزي وغيرهِ من ائمة اللغة . والابيّ والزمخشري وابن رشيق وابن منقذ الكتاني والجذامي القيرواني وابي السعادات ابن الاثير الجزري وغيرهُ من اصحاب المحاضرات والآداب المنثورة . ويتمثل بلبيد والنميري وذي الرمَّة واميَّة بن ابي الصلت والحسن بن مطير والحسن بن وكيع والشريف ابن طباطبا وابن حمديس وابن المعتز وابن هاني وابن الزبير وابن شبل البغدادي وابن دقاق

الاندلسي وابي عبادة البحتري وابي العلاء المعري وابي اسحق الصابي وابي الفرج الوأواء وابي بكر الخالدي وابي طالب الرقي وابي الفتح كُشاجم (١ وابي طالب المأموني وابي هلال العسكري وابي الفضل الميكالي وابي الفرج الببغاء وابي بكر الصنوبري والشريف العقيلي والقاضي التنوخي والشريف الرضي والامير ناصر الفقعسي وهبة الله ابن صاعد بن التلميذ المسيحي من فحول الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولّدين

وهو يستشهد بكثير من الكتب النادرة التي لا يذكر اكثرها صاحب كشف الظنون مثل ابكار الافكار للقيرواني والاحجار لارسطو واخبار مكة للازرقي والاذكار للنويري والآراء والديانات للنوبختي وازهار الانهار لابن منقذ واسرار الحروف للبونيّ واسرار القمر لابن وحشية واعلام النبوة للماوردي والامصار للجاحظ والاكليل للهمذاني واما الي ابن دريد والانواء للمرزباني والاوائل لابن باطيس وتاريخ العتبي وتاريخ الطبري وتاريخ البخاري وتاريخ ابن الاثير والتشبيهات للاصفهاني والتنبيه والاشراف للمسعودي والتهذيب للازهري وجامع الاصول لابن الاثير وجامع الصحيح للترمذي والجمهرة لابن دريد والحيوان لارسطو والجاحظ وعبد اللطيف البغدادي والخراج لقدامة وربيع الابرار للزمخشري والروض الانق للسهيلي وسرّ الطبيعة لجالينوس والسرّ المكتوم للرازي وصحاح الجوهري وصحيح البخاري وصناعة الكتّاب للنحاس وطبقات الامم لصاعد الاندلسي والعظمة لابن حاتم والعمدة لابن رشيق وعيون الاخبار لابن قتيبة والغريب لابي عبيدة والفلاحة لديمقراطيس وابن وحشية وابن البصّال الاندلسي والمثلث للبطليوسي ومجدول الصوفي والمجمل لابن فارس ومجهول الاصول لكوشباز والمرشد للتميمي والمسالك والممالك لخرداذبه والبكري والمصايد والمطارد لكشاجم ومفردات ابن البيطار والنبات لارسطو والدينوري وابي الخير الاندلسي ونثر الدر للابي ونشوان المحاضرة للقاضي التنوخي وهذا اكبر دليل على سعة رواية المؤلف حيث قرن الى العلميات الادبيات متناسقةً متلاحقة آخذة بعضها برقاب بعض حتى جاء كتابهُ جامعاً بين اللذة والفائدة (لها بقيّة)

١) كذا رواهُ وضبطهُ حيثما تمثّل بهِ والصواب كُشاجم وهو لقب لهُ قيل انهُ ركّب من اوائل كلمات كان يوصف بها فأُخذت الكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من اديب والجيم من جمال والميم من مغنّ اه

سيرة الحبر الطيّب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

للقس توما البودي نشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها الاب انطون ربّاط اليسوعي (تابع)

وحين كان يتردّد لدير مار يوحنا رشميا كان يعظ احياناً في الكنيسة القريبة الى الدير المذكور في قرية رشميا ومن قِبل وعظه ونظر اهـل القرية الى سيرته كانوا يعتبرونه بمنزلـة قديس من غير ريب. فاتفق يوماً لرجل منهم لهُ ولد ابن ثلث سنين انهُ ركّبهُ على حمار وفات بهِ قريباً من الدير وكان عبدالله موجودًا بوقتهـا في الدير. فابتدا الحمار ان يعنطز ويركض والصبي راكب فوقهُ وحده . فخاف ابوه عليهِ وابتدا يستغيث بالقديسين. اخيرًا رمى الحمار للصبي على رجمة حجار فصاح ابوه باعلى صوته : يا صـلاة الرئيس عبدالله . وركض نحو الصبي وفي ظنه انهُ تحطّم على الحجار . واذ دنا منهُ وكلمه اجابهُ الصبي وهو ضاحك من غير ان يتأذى فيهِ شي. اصلًا كانهُ وقع على فراش ريش. فحملهُ ابوه من ساعته وادخله الى الدير ليزوّره الكنيسة ووضعه امام عبدالله وطلب منهُ يصلي عليهِ واخبرهُ بالحادث فاجابهُ عبدالله: ان القديس يوحنـا صاحب الكنيسة هو الذي حرسه . وبعد ان صلى على الصبي صرفه . وكان ابو الصبي يذيع هذا الخبر عند كل من يراه

ولنرجع الى قوله السابق عن التجربة وموت الرهبان قتلًا الذي خبرنا عنهُ سابقاً. فبعد مدّة قليلة صار زمان المجمع لقيام رئيس عام فدعا الرهبـان الى المجمع (١ ولمّا التأم المجمع ترامى على جمهور الرهبان المجموعين للقرعة ان يقيموا رئيساً عاماً غيره لمن يريدون لان مراده ان يروح الى الحبسة التي كان هو انشأها قبال دير قزحيا في عربتا (٢ بزعمه

١) التأم هذا المجمع في تشرين الثاني سنة ١٧١٤

٢) قال الاب عبدالله قراعلي: « وفي هذه السنـة (١٧١٦) تحرك قلب البعض من الاخوة الكهنة لطلب السكوت والانفراد وهذه كانت شهوة المرحوم القس يوسف البتن فطاوعتهم الى ذلك وافردتهم الى مكان في وادي قزحيا يُعرف بعربتا . وكان عددهم اثنين واسمهمـا الواحد انطونيوس وهو شيخ يُعرف بابن مبارك والاخر شاب يعرف بابن شوشان وضعت عليهما القانون

انهُ يريد ان يقام رئيس عام على الرهبنة غيره في زمانه لينظر التدبير وبهـذا النوع كان يتوسل الى الرهبان ويعدهم انهُ ولو كان في الحبسة ما يتخلَّى عن رشدهم ورشد رؤساهم في القانون. وايضاً كان يقول: هكذا الله طالب مني. فمن زود لحاجته على الرهبان بما ذكر اخفوا راياتهم وكان جواب اكثرهم: فلتكن مشيئة الله ومجده الذي هو غاية المراد. وفي حين القرعة وكشفها ما ظهر ولا ورقة بغير اسم عبدالله. فاهطل الدموع مستغيثاً بالله لاجل التجارب المزمعة ان تظهر وهي في عقله. اما الرهبان فصرخوا بصوتٍ واحد نحوه: انك ما دمت في الحياة ما يكون رئيس غيرك والذي دبرك الى الان يدبر اولادك بعدك. وبعد انتهاء المجمع كان جميع الرهبـان فرحين برئيسهم. اما الفرح الروحي الذي كان بينهم فانا عاجز عن وصفه

وبعد ذلك اجتمع مع مدبريه وكان حزيناً جداً. فالبعض كانوا يظنون ان حزنه لانهُ أُقيم رئيساً وما سلك كلامه في قبول الحبسة فقط ولكن قد اطلع للذي اطلعه سابقاً على تجربة الرهبنة والقتل بقوله لهُ هكذا: يا فلان في تجربة أُخرى مزمعة ان تصير وهي امرّ من الاولى التي اخبرتك بها وهي سيف ذو حدين اي اما عصاوة الله وبيعته او خراب الرهبنة وتبديد الرهبان. اما في هذه الثانيـة أموت حالًا. واما الاولى فليس منها مهرب (١

وبعد انتهاء كافة الاشغال التي تخص المجمع وغيره نزلت انا الى طرابلس لكي اذهب (اوصّب ؟) الرؤساء الذين تعينوا الى ديورة كسروان وغيرهم الذين انعزلوا وكانوا ماضين

اكثر مما هو في الدير وسلمتهما الكرم الذي هو امام محابسهما ليحملا ويقاتلا الضجر ومبّرا لهما قلاية جعلاها كنيسة على اسم ماري بولا اول المنفردين فكان معاشهما من دير الاخوة عوض تعبهما » وقد اسعدنا الحظ فزرنا دير قزحيا منذ اشهر قليلة فتأكدنا بالخُبر بعد الخَبر ما ذكرهُ صاحب النبذة عن عدد الضيوف والزوار القادمين زرافات طالبين شفاعة ابي الرهبـان ولقينا من حضرة الرئيس ومن رهبانه اكرم الضيافة واطيب الخصال وزرنا محبسة مار بولا تجاه الدير فرأينا فيها راهبين منفردين يعيشان عيشة الابرار قدوة لكل من رآهما. وقد ذكر المؤرخون محبسـة مار بيشاي بالقرب من الدير وهي الان مهجورة وكان قد سكنها جبرائيـل فرحات في بعض سنة ١٧١٢ (المشرق ٧:٧ ١٠) وغير بعيدة عن الدير محبسة مار ميخائيل القديمة وهي مهجورة ايضاً (المشرق ٤: ٢٦٣-٢٦٥)

١) اطلب سلسلة بطاركة الطائفة المارونية (ص ١٩١) ومن تصفح ديوان فخر زمانه السيد

لكي يسلموا لاولئك. وبما اني كنت مباشراً عمارة الطاحون التي في الزاوية(١ التزمت اتعوّق هناك يومين. وفي صباح احد الايام اتاني مرسال من قبل الاب العام لاتوجه حالًا الى عنده ويخبرني انهُ سقط صخر عظيم من الجبل على دير قزحيا وقتل البعض من الرهبان تحت الردم من غير ان يشرح لي مَن هم وكيف صار الامر لان المرسال توجه الى عندي حال ما صار الخراب من غير انهم يعرفوا من هو الطيب ومن هو المائت (٢ وبما ان الرهبان المتوجهين الى كسروان كانوا في المدينة ناطرين حضوري لكي اذهبهم(٣ كما ذُكر فحالًا توجّهت الى المدينة وعزّلت الانطوش حذراً من حاكم البلد لئلا يصير لنا عطب وامرت الرهبان بالخروج من المدينة وتوجهنا جملة الى الدير المذكور. وثاني يوم صباحاً كنّا مقبلين على دير مار انطونيوس قزحيا وقبل ان نصل الى الدير بنحو ميلين وقع صخورة كثيرة علينا ونحن فائتين الى ان قربنا الى الدير جدًّا وبعون الله وصلاة ابينا ما حكمنا شي منها. وسبب وقوع هذه الصخور هو ان في تلك السنة خريفها كان اكثره امطار وزلازل فالمياه حلحلت الاراضي والزلازل حركت الصخور التي ما هي لازقة ببعضها. وحين وصلنا توجّهنا لنأدّي الطاعة الى ابينا كالمعتاد فرأيته بشوشاً ما هو مضطرب اصلًا. فاستدمنا نعاون الاخوة في تعزيل التراب والصخور لنشيل الرهبان من تحت الردم الى المساء

جرمانوس فرحات وجد قصائد جمّة تتضمّن فوائد تاريخية المح اليها الشاعر قد تظهر معانيها جليّة اذا ما قوبلت بالنصوص. راجع ان شئت (صفحة ١١) القصيدة التي مطلعها:

وقبيلةٍ جهلاؤها عقلاؤها في بلدة سفهاؤها فقهاؤها

التي ياخذ فيها الشاعر بناصر المطران عبدالله صديقه ويقرع الحساد بشعر آلم من السوط:

يا ايها المطران عبد الله بل يا من بهِ الارواح زاد رجاؤها
لا تخشَ من اعداء فضلك اذ عَوَوا لم يخفَ من شمس السماء ضياؤها

تزداد لك الحقائق التاريخية جلاء. وامثال هذه الفائدة التاريخية كثيرة في ديوان المطران

١) على نهر ابي علي في ارض قرية كفرحورا بجانب الجسر الذي تحت دير كفرتين قال فيها جرمانوس فرحات شعراً نُقر على عتبتها (المشرق ٤: ٣٦٤):

لله طاحونٌ بزاوية بدت نجماً يدور السعد بين فراشها
لقد اعتنى ببنائها وعمارها رهبان لبنان لدور معاشها

٢) جاء في سجلات الرهبانية ان يوسف البتن والاخ رافائيل من عائلة الحواقلة من زوق مصبح قُتلا تحت الردم

٣) لعلّها « اوضّبهم »

فامر سراً الكلارجي ان يأخذ فرشتي الى قلايته وبعد ساعة من الليل هجعنا (١ من الاشغال فارسل طلبني ونبّه ان لا احد يجي لناحية القلاية وبعد جلوسي التفت اليَّ بهذا القول: كيف رأيت يا ولدي. فقلت لهُ : هذه تجربة ما لها تسلية. اجابني هو هكذا: انت ولد بعدك طفل الى متى اتعب معك انسيت يا توما حين قلت لك عن تجربة مزمعة أما قلت لك اني قاشع تجربة بخراب وخسارة عظيمة وقتل. فقلت لهُ: نعم بالصحى هذه هي. قال: انصت لكي اخبرك. اعلم ان منذ فارقتني كان كل يوم عن يوم يزداد الوهم والحزن عليَّ وبعض الاحيان كنت اظن اني اعدم حيـاتي من زود الضيق الذي كان يستولي عليَّ وخاصةً في الليلة التي وقع الصخر واستدام هذا الى صلاة الليل وكنت في تلك الليلة وبعد الصلوة توجهت الى قلايتي هرباً من المياه الباردة التي في الكنيسة (٢ فاتى يوسف البتن وكشف لي افكاره كمعتاده وكأن الله ارسلهُ ليودعني فاخذني سبات النوم بعد خروجه من عندي وانا في حد الحزن وبعد برهة من الزمان حسيت كأن الدير هبط فينا كلنـا. فحين انتبهت حسيت في عقلي كأن واحداً يقول لي: قم انتهت وانقضا الحكم. وحال انتباهي رأيت ذاتي فرحان كأني ما عرفت الحزن ابداً وهـذه كانت التجربة التي اخبرتك عنها يا توميم. فقلت انا لهُ: بعد عندك غيرها تبشرنا بهـا. اجابني: هيّ ضهرك للسياط والمكافحة عن اخوتك

وبعد هذا ابتدا يبالغ في السيرة باضعاف ما ذكرت لكم سابقاً. اخيراً حين اتى فصل الصيف توجه الى زيارة الديارة وكان رئيس قزحيـا في ذلك الوقت القس مخايل اسكندر الهدناني (٣ وفي تلك الايام وصل ليدي مكتوب مرسل من مجمع انتشار الايمان باسم ابينا العام ففتحته لاني كنت متصرفاً بعمـل ذلك بامره لكي اذا انوجد مكتوب وكان فيهِ قضاء اشغال اقضيها من دون مكاتيب الرهبان السرّية. ورأيت في هـذا المكتوب شيئاً يحزن القلب مضمونه: قد بلغ الى مسامع الكرسي الرسولي

---

١) كذا في نسختنا ونظن الصواب رجعنا

٢) اعلم ان دير مار انطونيوس قزحيا صخره دلف في تلك السنة اكثر من كل السنين (حاشية للمؤلف)

٣) جعل رئيساً عاماً سنة ١٧٢٣

والى هذا المجمع المقدس انكم عاصون على البطريرك ورؤساء الطائفة. المراد قد امر هذا المجمع المقدس ان القوانين المجموعة من سير الاباء الغربيين اي مثل اليسوعيين(١ والكرمل مراده ان تبطل القوانين المذكورة (٢ وتكونوا في طاعة السيد البطريرك الخ. فحالًا ترجمت المكتوب وارسلته لهُ. وحال وصول المكتوب ليده توجه لعند البطريرك لدير مار شليطا لان البطريرك كان هاربًا من جبة بشراي وبعد مواجهته ترافعا بالكلام لان خراب الرهبنة كان يزعج فؤاد عبدالله. فبعد الخطاب آخر كلام عبدالله للبطريرك كان هكذا: « ان كان هذا الامر يجري ويتبدَّدوا كزعمكم فالكهنة منهم يصيرون خوارنة في الضيع وتلتزمون في معاشهم والرهبان الذين بلا رسامة يقلعون الثوب ويمضون الى بيوتهم يتزوجون لان نذرهم على موجب هذا القانون المثبَّت من سلفائك فاسخ. فاذا ابطله الكرسي الرسولي ما بقي الرهبان يلتزمون بالنذر». وحين سمع البطريرك هذا الكلام تأنس مع الرئيس بقوله: انا احامي عنكم في رومية وكانت هذه حيلة منهُ للترقيد. وفي اثناء ذلك امره بامر قاطع انهُ لا يبرح من دير لويزه الى ان يخبره وقال لهُ ايضاً: اني اريد ارسمك مطرانًا وتكون عندي لتدبير الطائفة. فنزل عبدالله الى لويزه. وفي تلك الايام مشايخ عجلتون كانوا طالبين مطرانًا لان مطرانهم كان فُقد

وبعد ان توجه عبدالله الى لويزه في ذلك النهار ذاته ارسل البطريرك الى مشايخ عجلتون واخبرهم ان مراده يرسم عليهم مطرانًا الرئيس عبدالله قراعلي الحلبي وان المذكور نزل الى لويزه ارسلوا من قبلكم اناساً ليحرسوه لئلا يهرب. وهكذا صار لان

١) من طالع قوانين الرهبانية اللبنانية وجد فيها فِقَرًا وفصولًا منقولة بالحرف الواحد عن قوانين الرهبانية اليسوعية

٢) قال الاب الرئيس في كراسته (سلسلة ١٩٢): وبعد ايام اخذت اتذاكر مع السيد البطريرك [يعقوب] في امور الرهبنة فرأيت نيته ان يفسخ الرهبنة ويبطل الرئاسة العامة ويجعل كل دير يقوم بذاته بزعمه ان هذه هي رهبنة الموارنة وهذا الاوفق لتدبير الرهبان والكنيسة. فلمّا سمعت كلامه مانعت. . .» وكأن الحبر الروماني اكليمنضوس الثاني عشر قد الح الى هذا في براءة تثبيت القوانين تاريخها ٣١ اذار ١٧٣٢ (اطلب كتاب القوانين المطبوع في رومية سنة ١٧٣٥ باللاتينية والعربيّة صفحة X و XI ورسالة الحبر الاعظم الى البطريرك يعقوب والاساقفة الصفحة ١٤١–١٤٣)

في تلك الليلة نزل احد المشايخ ومعهُ رجال قعد في الدير المذكور. ولمَّا استحسَّ عبدالله ان ما بقي فيهِ مهرب ورأى رهبنته مضروبة ضربة قاتلة وعرف ضمير البطريرك ونيته وما بقي لهُ مناص ولا مهرب التجأ الى الصلوة في الكنيسة ودام على ذلك ثلاثة ايام صائماً مصلياً ولئلا نطيل الخطاب اخيرًا اعتمد على عمل طرائق الاباء عند اضطرابهم كانوا يلتجئون الى درع التواضع بطلب المشورة من غيرهم. والحال ان ما كان عنده في ذلك الوقت احد من اعيان رهبنته حاضرًا في ذلك الدير لان الدير كان بعده في ابتدائهِ بمنزلة منزل فارسل طلب المرسلين القريبين اليهِ مثل الرهبان اليسوعية (١ وغيرهم من المرسلين واعرض القضية بين يديهم وطلب منهم المشورة الواجب عملها. وسبب طلبهِ للمرسلين بالعجل لان البطريرك ارسل لهُ امرًا ثانياً في التوجه الى عنده والذين جابوا الامر كانوا مشايخ ومعهم رجالٍ خلاف الذين كانوا في الدير. فلما رأى كثرة المشايخ والرجال في الدير طلب منهم مهلة للمشورة وارسل دعا المرسلين كما ذكر اعلاه. فالمرسلون بعد ان فهموا كلَّ شي حكموا عليهِ بانهُ ملزوم يطيع وبطاعته يرضي الله وينفع رهبنته لان حين شاورهم اجتمعوا مع بعضهم وبعد المفاوضة اكثر راياتهم كانت ان هذه الطائفة محتاجة الى رئيس كهنة مثل هذا. واما الرهبنة ففيها اناس كفوٌ لتدبيرها وحمايتها وخاصةً بسيرتهم الصالحة حاشا ان الله يتخلَّى عنهم وهذا كان يتكلمه المرسلون علانيةً امام الغير وكانوا يوصّون المشايخ ليأخذوه ويرسموه بالعجل وناهيك من فرحة عند اولئك اي المشايخ. والمرسلون والعوام كانوا فرحين متهلّلين. واما عبدالله والرهبان القلال الذين في لويزه كانوا في البكاء والنواح والصراخ بهذا المقدار حتى ان كثيرين من الحاضرين من مشايخ ومرسلين وغيرهم ابتدأوا ان يهطلوا الدموع من نظرهم الى بكاء اولئك. وعبدالله كلف احد المرسلين اليسوعيَّة ليستقيم في لويزه ذاك النهار ليسلي الرهبان بان يسلموا لمشيئة الله. والابلغ من ذلك لما وصل الخبر الى بقية الديورة فذاك ابقيه الى القارئ لان المناحة التي صارت مدة انوَف من خمسة عشر يوماً انا عاجز عن ايضاحها. واما من بعد رسامته التي صارت سنة ١٧١٦ في ١٧ من شهر

١) لا شك انهُ دعا اليسوعيين القاطنين في مدرسة عينطورة وكان رئيسهم الاب تيوفيل بونامور. اما الاب انطون ناخي الماروني اليسوعي فكان رئيساً على دير طرابلس

ايلول الى ان صار المجمع العام فالذي حدث عليك قراءته في تواريخ الرهبنة لان هذا المختصر القصد فيهِ سيرة عبدالله لا غير

هذا ما اخبرت بهِ بالمختصر عن سيرة ابينا وسيره . واذا اردت اوضح كل شيء بالتدقيق فذلك يطول شرحه لكن ابقيت النتائج مما ذكر الى القارئ . ولكن رأيت الانسب اني ابرهن عن فضائله التي اقتناها بنعمة الله وجهاده وذلك لاتمم شور ونصح من هو ذو فطنة وعقل وتمييز ابلغ مني لان اذا كان الهنا معنا لا محالة ان بالتواضع والاقرار بضعف الحيلة ننال الفطنة بالهامهِ تعالى لنخبر عن سيرة محبي الله الحقيقيين وبما اني عاجز عن معرفة فضائله الداخلة وسبب عجزي هذا اني اقر ولا اكذب بعدم امتثالي بسيرته والابلغ في سيري المعوج عن رشده لي في كل تلك المدة التي كنت معه

فاقول اولًا الفطنة التي اوهبها الله الى ابينا عبدالله كانت تفوق عقول كثيرين والاولى ان اقول انهُ بذلك كان فريد عصره واريد ان ابرهن لك عن ذلك بقليل من الخطاب يا ايها القارئ . اولًا رشده للمبتدئين في الرهبنة كان يفوق عقول السامعين وللرهبان الذين تقدموا في الفضيلة والزمان عن غيرهم كان يرشدهم بنوعٍ آخر لم يتميَّز عن رشد الاباء الاقدمين . وفي زمانه اقام محبسة مقابل دير مار انطونيوس قزحيا ووضع بها ثلثة انفار احدهم يسمى انطونيوس من دلبتا فهذا السعيد جاهد في هذه المحبسة جهادًا هذا مقداره حتى من سيرته تيقَّنت الرهبان وآمنت فيما خبروا بهِ في بستان الرهبان عن جهاد الاباء الاقدمين وعن الحبساء الاولين وجهاداتهم . ومرشد هذا السعيد انطونيوس الذي فيما بعد انتقل الى الرب بسيرة مقدسة كان ابانا المشار اليهِ . (واما سيرة هذا السعيد القس انطونيوس فهي موجودة في تواريخ الرهبنة من اراد يعرفها فليقرأ التواريخ) لان كان معه موهبة في الرشد لكل ذي قدرٍ وقياس . في رشده للديورة المشترك معاشها كان شبيه مار انطونيوس الّا قليلًا . وفي رشده للحبساء اقدر اقول انهُ كان شبيه بالقديس اسحق . واما رشده للعوام وغيرهم فذلك سوف يظهر بيانه وهو مطران . وان ظنيت ايها القارئ اني ابالغ في قولي لا تظن اني كتبت شيئًا الذي ما نظرته بعيني من اثار رشده لان حين دخلت انا للرهبنة كان موجود آباء الذين كانوا متقدمين في الفضيلة واقدر اقول في سيرة القداسة

اولًا القس يوسف البتن هذا كان بلغ الى تواضع عميق وهذيذه الروحي لم كان



السيد عبد الله قراعلي مطران بيروت (١٦٧٢-١٧٤٢)

نقلًا عن صورة قديمة اخذها بالرسم الشمسي الاديب يوسف افندي خطار غانم
واثبتها في برنامج اخويَّة القديس مارون (ص ١٣١)

يبطل وكان أُعطي حسًا في ذكر الموت بهـذا المقدار حتى امرارًا عديدة حين يكون على المائدة كان يحس فيهِ بهذا المقدار حتى انهُ لم يعد يقدر يأكل. وهذا ما نظرتهُ انا مرارًا شتى. واما خارجًا عن المائدة اذا اتاه ذكر الموت كان حالًا يتغيَّر وجههُ وامرارًا شتى كان يغشى عليهِ من غير ان جسمه يتحرَّك بشيء. وصلاته العقلية كانت اربع ساعات في الليل والنهار ما عدا الهذيذ المتصل. وكان في كل ليلة يمضي يكشف افكاره الى ابيه عبدالله ويأخذ صلاته. والابلغ من هذا ان كل رئيس كان يتولى على الدير الذي هو فيـهِ كان يسلك معهُ كمثل سلوكه مع ابيهِ عبدالله. وكنت ترى اكثر الاوقات هذا السعيد جاثيًا في المائدة الى خلوص العشاء وهذا الحادث كان الرؤساء يستعملونهُ معهُ اولًا لتمكينه في التواضع والثاني لاجل المثل الصالح امام الاحداث وغيرهم. ومع هذا كان مدارك تعب الجسم في خدم الدير الدنية. وحبه للرهبان كان فريدًا لانهُ كان يدور قلاليهم في غيابهم وينظفها. وملاحظته للرهبان جملةً وافرادًا ورشده ووعظه لهم بكل تواضع لب وهربه من الكرامات والوظائف العالية باي نوع كان يعسر توضيحـه على الذي مثلي. وطاعته للرؤساء الذين اتوا بعده الى الرهبنة كانت فريدة. واما طهارته فيعسر لساني عن وصفها يكفيك هذا ايهـا القارئ انني لم اقدر ان اقول الّا هذا وهو نفس طاهرة في جسم ميت

(التتمة في العدد القادم)

غَرَق بغداد

حضرة الاب انستاس الكرمليّ (تتمَّة)

ولما شاع خبر انهدام أسوار المدينة التي كانت تُحصِّن دار السلام وانتشر في انحاء الدولة طولًا وعرضًا شمالًا وجنوبًا الزمت الدولة العلية والي آمد (وهي ديار بكر) وكان يومئذٍ مرتضى باشا. ووالي كركوك والموصل ان يساعدوا والي بغداد بعساكرهم حمـاية للمدينة ودفاعًا عن اسوارها ريثما تُبنى البروج والقلاع على ما كانت عليهِ سابقًا. فجاءت الجنود واقامت في السهول العالية من سهول البلدة وبعد ان احتلُّوهـا مدة قصيرةً امر السلطان الوالي مرتضى باشا بالذهاب الى الانضول لامور مهمَّة تستلزم حضورهُ هناك.

وفي تلك المطاوي تمّت الترميات والابنية ورجعت الامور الى مجاريها الاولى. (محصل عن گلشن خلفاء ص ١٧٥ من مخطوطنا)

وفي اواخر نيسان من سنة ١٧٠١ م (١١١٢ هـ) فاض نهر دياب فيضاناً فاحشاً فألحق بالناس ضررًا عظيماً وهذا النهر يبعد اربع ساعات عن الرماحيّة الراكبة على الفرات وهو يمرّ في القطر المتوسط بين الرافدَين ويدفع مياههُ في دجلة. وسبب اضرارهِ هو ان السدود التي تكمّ فم هذا النهر كانت قد ضعفت على تراخي ستور ثلاثين سنة عليها ولم تُصلح ابدًا في تلك المدة فلمّا طغى وبغى فتق السدود واخذ بالشرود مغرّقاً كل ما وجدهُ في طريقهِ من الزرع والابنية ثم رجع الى مجراهُ مارًّا بالسماوة

وهذه البلية اتلفت الزراعة واوقفت حركة التجارة وقطعت الطرق في وجه المارّة والمسافرين والحجّاج والقوافل فتضرّر الخلائق كلهم وعجز الاهالي عن دفع الضرائب والخراج فغادروا القرى والضيع ولجأوا الى الجزر التي لم تنلها المياه في وسط ذلك البحر العَطَمْطَم. فانتهز الفرصة بعض العُصاة والمفسدين وعاثوا في هذه الديار ولا عيث الذئب الاملط مِمّا لا نتعرّض لذكرهِ لكي لا نخرج عن الخطّة التي اختططناها لنفسنا في هذه المقالة (ملخص عن گلشن خلفاء ص ٢٣٢)

وفي سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢١ و ١٨٢٢ م) تراكمت البلايا والرزايا على بغداد. فمن الجهة الواحدة تقدّم العدو ليأخذ المدينة من يد داود باشا فقامت الحرب على قدم وساق حتى عمّت اهالي العراق. ومن الجهة الثانية فشا الطاعون في هذه الآفاق حتى لم يبقَ للقائمين بدفن الموتى وقتٌ ليؤدّوا لاعزتهم واجبات الفراق اذ قد ينتهي بهم الامر الى ما كانوا نُدِبوا اليهِ اي انهم كانوا يُطعَنون فيموتون للحال ويُدفَنون حيثما يسقطون حتى في داخل المدينة او في بطن الدار او السرداب. وممّا زاد الطين بلّة ازدياد دجلة ازديادًا خارق العادة فانهُ اتلف في تلك السنة المزروعات الصيفية والشتويّة ودخلت المياه في البساتين وركدت فيها اياماً عديدة حتى أَسِنَتْ واماتت الاشجار والنخيل وسائر النباتات التي تكره كثرة الماء. ثم ان السيول تفجّرت من كل جانب وتدفّقت في داخل المدينة لخلوّها من العدد الكافي من السكان للقيام باتخاذ الوسائل اللازمة لمنع المياه من الهجوم وخرق السدود. ولهذا سقطت المنازل والبيوت على من نجا من غائلة الوباء. فعمّ الخراب سائر ديار العراق وبلغ الفقر من الناس القليلين الاحياء كل مبلغ

والحق يقال لن هذه الطامـة الكبرى كانت من اعظم الطوامّ التي حدثت في تاريخ بغداد منذ نشأتها لانهنّ كنّ ثلاثًا الواحدة أشأم من اختها وكل منهـا شديدة الفتك بالخلائق وقد جئنَ متتابعاتٍ متتالياتٍ لتتلف الواحدة ما ابقت الأُخرى ولذلك ابقت تلك السنة ذكرًا لا يُمحى ولا يمكن ان يُمحى. (عن تاريخ رسـالة الكرمليين في بغداد وعن السجلات الخطيَّة المحفوظة في ديرهم البغدادي)

ومع ذلك فلم تكن السنة وحيدة المثال في تاريخ بغداد فقد حدث ما يُشبهها كل الشبه بعد عشر سنوات يعني في سنة ١٨٣١ م وذلك انهُ في ٢٠ من شهر اذار بدأ طاعون جارف. وفي شهر نيسـان بلغ عدد المطعونين المتوفين في اليوم الواحد ما يُناهز الالفين. وفي بعض الأيام كان يبلغ هـذا العدد ما يتعدى الالفين. كما انهُ كان يقلّ في بعض الأيام. بيدَ انهُ من الموكد الذي لا يشوبهُ شائبة ريب ان عدد المتوفين بهذه الوافدة المشؤومة كان اكثر من مائتي الف نفس في مـدة تنقص عن شهرين. وليس هنا محلّ وصف هـذا الداء الهائل. فربَّما عدنا اليهِ في مقالة خصوصيَّة يكون عنوانها طواعين بغداد فنذكر اشهرها في التاريخ

وفي هذه السنة زاد الرافدان (وطغيان دجلة والفرات في وقتٍ واحد من الامور القليلة الحدوث) زيادة مفرطة في ربيع تلك السنة. ومن بعد ان غطَّت المياه السهول المحيطة ببغداد وعلت عدة اذرع تفتَّقت السدود ودخلت المدينـة وهدمت عددًا لا يُحصى من المنازل فسقطت على اصحابها وسكَنَتِها فكانت لهم قبورًا بعد ان كانت لهم دورًا وقصورًا. وكأنَّ هتين البليَّتين (الطاعون وطغيان الفراتين) غير كافيتين قام في المدينة لصوص ونهَّابون فكانوا يدخلون البيوت ويسرقون ما يجدون فيهـا من الحُلي والجوهرات والعروض الثمينة. وكانوا اذا وجدوهـا على الموتى غير المدفونين كسروا الاعضاء التي عليها تلك الحلي واخذوها غنيمة باردة واذا وجدوا مَن يعارضهم في هذا العمل الفظيع طعنوهُ بالخنجر او بالسكين وفتكوا بهِ شرَّ فتكٍ وحملوا بعـد ذلك ما طاب لهم من المال

ثم جاءت الحربُ اثر الغرق واخربت كل ما كان قائمًا فيها من حيٍّ وجمـادٍ. وبذلك عمَّ الخراب بغداد وما جاورها من القرى والبلاد ولا زال بعض الشيوخ يذكر

اهوال هذه السنة بتفاصيل يقشعرّ لها السامع . ونحن ذكرنا ما ذكرنا نقلاً عن سجلات الدير المخطوطة

وفي سنة (١٨٨٤ م) طما دجلة فطمّ بمياههِ سهول العراق الفسيحة والزم الحاكم جميع الناس ان يخرجوا الى ضاحية بغداد ليحكموا الاسداد ذلك على كل ذكر بالغ عامل ومن لم يرد ان يشتغل بنفسهِ كان يدفع أُجرة لعامل يعمل بدلاً منهُ فدفع النصارى واليهود مبالغ كثيرة قياماً بالواجب الوطنيّ . وكان السكّان يخرجون محلّةً محلّةً على صوت الطبول والدمّام (١ تنبيهاً للناس على الذهاب الى هذه المهمّة العظيمة . وممن بذل اقصى الهمّة في هذا العمل محمّد كبير بيت جميل وعلى هـذه الصورة نجت بغداد من الغرق . امـا المسافرون والحجاج وغيرهم من المتجولين في ديار العراق فكانوا يركبون مراكب البحر (كالسفن والقفف والقيّاريّات والطرّادات) تاركين مراكب البرّ (الجمال وما ضاهاها) ومع ذلك فكانت الخسائر عديدة خارج المدينـة فان الزروع تلفت والبقول لم يبقَ لها اثر ومات كثير من الاشجار لان المياه لركودها في البساتين والغيطان أسنَت ونتنت فقتلت ما قتلت . وفي تلك السنة كان الشاعر السيد شهاب الدين العلوي الموصلي في بغداد فوصف هذا الغرق بقولهِ :

طغيانُ دجلة خطبٌ من الخطوب المُخلَّهْ
وغاية القول فيهِ لم تطغَ من قبلُ مثلهْ
طغت وزادت وكادت تستغرق الكونَ كلَّهْ
بغت ونالت منالاً لم يبلغ النيل نيلَهْ

---

١) الدمّام بوزن جبّار طبل متوسط الكبر طويل الشكل شائع الاستعمال في العراق يُقرع في اعراس المسلمين الحافلة وفي البلايا والمحن العظيمة تنبيهاً للناس على الاجتماع لهُ وجهـان من جلد . وقد سمّى بعضهم بالدمّام طبلاً آخر يُتّخذ وجههُ من معدن رقيق وشكل حجمهِ يقارب من شكل حُبٍّ صغير او راقود وربُما جُعل الجلدُ الرقيق بدلاً من المعدن . وربّما سمّاهُ البعض تمتام بحكاية صوتهِ . امّا الدمّام فحكاية صوتهِ تُشبه قولك : « دُمْ . دُمْدُمْ . دُمْدُمْدُمْدُمْ » قال احد الشعراء :

يقول لك الطبل المجوَّف : يا فتى على المَهْدِ دُمْ دُمْ دُمْ لا تريغُ فتُعتَبِ

ويُسمّيه كثيرون من البغداديين : « طبل باز » وهو الذي عرفهُ الاقدمون باسم « طبـل الصوفيّة » (راجع كتاب الفيض الوارد ص ٧٠)

بالجانبين احاطت محلّة فحلّه
وساءت الناس حالاً في حلّه بعد حلّه
واشغلت واطالت لكل من كان شغله
شغل بغير فراغ لملّة بعد ملّه
وما كفى مدّ غمرٍ يدعى ديالة ذيلَه
والفضل لابن جميل في جملة بعد جمله
محمد مَن اياديهِ م بالندى مستهلّه
لولاهُ بغداد كادت ان تغتدي مضمحلّه
للمدح فيهِ مجالٌ ومنهُ هذي الجملّه
دار السلام ونالت بهِ السلامَ وسبله
واهلها اليومَ عمّا اداهُ تشكرُ فضلَه
نجت بهِ من غريقٍ عنها لقد سدَّ سَيلَه
بامرهِ الامرُ ماضٍ لا يسبق القول فعلَه
لهُ احترام الاهالي من حيث اصبح اهله
وسورة الحشر تُتلى تُذكرُ الناسَ هولَه
لكل سدٍ وردمٍ اسكندر الملك حَولَه
وذاك اكرم والٍ وبالمعالي مُولَه
ندبٌ تقيٌ نقيٌ تَدَيُّنا وجبلّه
محافظٌ في نهارٍ وليس يَهجعُ ليلَه
قد جدَّ واشتدَّ حزماً والدهر يحذر هزلَه
ان رمت تصحيح ما قد أعلنت من غير علّه
ارّخ ببغدادَ عَدّا احاط طوفان دجلَه (١٣٠١ ه)

ولم يكن دجلة وحدهُ قد طغا فكان الديالى قد شابههُ بعمله هذا الضارّ فاتلف بعقوبا وبُهرُز وهُوَيدر ونواحيها

وفي ١٦ نيسان سنة (١٨٩٤م) طغت مياه الفرات فكسرت الاسداد التي تحصرها وجاءت فاتحدت بمياه دجلة واخربت جانب الكرخ وللحال امرت الحكومة بقرع الطبل والدَّمام فاجتمع ساعتئذٍ أُلوفٌ من اهل البلد واتخذوا الاحباس والاسكار والاسداد فخفَّت وطأة الغَرَق. واما الجانب الشرقي فاغلبهُ غرق وتلفت الزروع واصبحت بغداد جزيرة محاطة بالمياه من كل جانب. ولم تأخذ بالتناقص الّا منذ ٢٢ نيسان. وسبب غرق الرصافة كان من انبثاق سدَّة الاعظميَّة فجاءت المياه سراعاً

الى مقبرة الكاثوليك فاغرقتهـا وأمّا مقبرة الانكليز فلم تُصَب بضررٍ عظيمٍ ولم تقع حيطانها المحيطة بها كما جرى في المقبرة الكاثوليكيّة مع انها لا تبعد عنهـا الّا بضعة امتار والسبب في ذلك علوّ ارض المقبرة الانكليزيّة وانخفاض ارض المقبرة الكاثوليكيّة

وفي اواخر شهر كانون الاوّل من سنة ١٨٩٥ الى اواخر شهر كانون الثاني من بدء سنة ١٨٩٦ وقعت امطار وابلة طوفانيّة فزادت بهـا مياه دجلة زيادة فاحشة على غير مألوف عادتهِ في مثل هذا الاوان من السنين الماضية لان طغيانهُ اعتياديًا لا يكون الّا في اوائل نيسان واماً في هذه السنة فتساقط الامطـار الغزيرة سبَّب طوفانًا هائلًا قبل ميقانهِ . ولمّا كان الناس غافلون عن مثل هذا الحادث في هذا الاوان لم يتخذوا الوسائط المانعة من هجوم السيل ولهذا كانت الاسداد ضعيفة لانها تحتاج في كل سنة الى تجديد تامّ . ولذلك لم يقم في وجه السيل قائم فكسر الاسداد وطمّ السهول المجاورة لبغداد . فامرت الحكومة ان يخرج كل رجل بالغ الى ضاحية المدينة لمنع الغرق ومن لا يخرج بنفسـهِ يدفع عنهُ اجيرًا فاسرع جميع اهل الوطن من جميع الملل الى العمل بامر الحكومة وادت اليهود والنصارى مبالغ طائلة للمستأجرين المشتغلين عوضهم

ولمّا كانت البلية عامّة أغلقت الدكاكين والمخازن ودور القهوة وسُدَّت الاسواق ومحلّات الاجتماع للدفاع عن المياه المتهدّدة للمدينة لان طرقها وشوارعها امتلأت ماء واخذت الآبار والبلاليع والسراديب تنبع مـاء غزيرًا وتفيض في الدور فتهدمت بيوت ودور تزيد على الفٍ . بل وتخلّلت اغلب الابنيـة واحكمها وضعًا . وغرق خلق لا يحصى من اهل البادية والحاضرة حتى قدّروهم باربعة آلاف نسمةٍ . واماً الحيوانات من سائمة وبريّة واهليّة فلا تُعدّ ولا تحصى ولا تستقصى

ووجب على كثيرين ان يتخذوا معبرًا في دارهم لكي ينتقلوا من محل الى آخر . وحدث بعد ذلك غلاء فاحش لموت الحيوانات والمزروعات والحاصلات . اماً النخل فلم يمت منهُ كما مات من سائر الاشجار وكان الفلاحون ينتقلون من نخلة الى نخلة ليُلقّحوها بواسطة قفّة او بقوة السباحة او بواسطة اخرى لان كثرة المياه كانت تحول دون السير في البساتين والغيطان

اما دخول المياه الى المدينة فكان من انبثاق سدّة « أبودَالي » في غربي الاعظميّة وطولها ٢٥٠ مترًا ثم انكسرت سائر الاسداد بالتتابع وانقطعت جميع الطرق ولاسيا

طريق بعقوبا وخانقين ومندلي والموصل وكركوك وبهرز. ومن الاسداد التي تفتّقت سدة بستان «الايوازيّة». اما المسعودي من الانهر الواقعة في الكرخ فانهُ طما بنوع فاحش فعطّل القدّاد (الترامويِ) الواصل بغداد بالكاظميّة واقتطع طريق هيت وعانات والصقلاويّة وكربلاء والحلّة والكوفة والمشهد. وتفاقم البلاء عند انكسار سدة «الأرزقليّة» فاخذ الماء «قهوة سعيد» وهجم على المدينة فاسرعت الحكومة ببذل ما في الامكان لردع تيّار الماء بسدّ باب الشرقي من ابواب بغداد وتحكيمهِ ووجّهت اربعة طوابير نظاميّة الى حفظ الاسداد فبقيت العساكر محافظة على الولاية مدة ثلاثة أيّام بلياليها ومعها الوف والوف من الاهالي على اختلاف مللهم ونحلهم وعقائدهم

واما الخسائر التي لحقت الناس من جرّاء هذه البلية الكبرى فقد قُدّرت بثلاثين مليون فرنك على الأقل. ولم يكن لهذا الغرق شبيهٌ الّا سنة ١١٥٩ م وسنة ١٢١٧ يعني انهُ لم يحدث مثلهُ منذ ستّمائة او سبعمائة سنة فتأمل .

وبعد ان نزلت المياه الى حالتها الاولى عاد دجلة ففاض ثانيــة في السنة المذكورة (اي سنة ١٨٩٦) الّا ان الناس كانوا على استعداد ممّا يحدث في اوان فيضانهِ اي في شهر نيسان فلم يُضرّوا كما وقع لهم في شهر كانون الثاني. ومع ذلك فان دجلة حاول كسر الاسداد الّا انّ غضبهُ لم يدُم طويلًا فانكسرت حدّتهُ بعد ضرر قليـــل لحق بالاهالي. هذا الكلام نقولهُ عن فيضـــان ٤ نيسان واما في ١٥ نيسان من تلك السنة فزاد الماء اكثر من سابق وعلا سطحهُ فوق سطح ارض المدينـــة فنزّت الارضون والسراديب وفاضت مياه الآبار واندفقت سوائل البلاليع واخرب دجلتنا ما كان قد زعزعهُ قليلًا في فيضانهِ في شهري كانون الاول والثاني. فتمّت الخسارة ومات خلق لا يُحصى تحت الردم في الجانبين الشرقي والغربي

وفي ١٨ نيسان من سنة ١٨٩٨ فاض الفرات واغرقت مياههُ سهول بغداد وزروعها واخربت شيئًا كثيرًا من الدور الاعرابيّة

بقي علينا ان نذكر هنا فيضان دجلة في هذه السنة. فقد كتبنا في البشير ما هذا نصّهُ: «نهار الخميس ٢٨ آذار شعر البغادِدة بحرّ فجائي غير مألوف وخارق للعـــادة في مثل ذلك اليوم من الشهر المذكور لان درجة الحرارة بلغت ٢٥ من القيـــاس المئوي فتطيّر منهُ الناس وخافوا انقلابًا عظيمًا في الجوّ. وفي تلك الليلة وقع من المطر كميّـــة

عظيمة اثر رعود قصفت ولا قصف المـدافع وبروق مزَّقت كل ممزَّقٍ اديم السحب الركام فنزل المطر حتى تصوَّرنا ان البحور علتنا وان نظـام الكون قد تشوَّش ودامت الامطار تنحدر مدة خمسة أيام حتى فاض دجلة فيضـانًا كسَّر بهِ السدود وفاض على ضواحي المدينة فاغرقها واتلف الزروع كلها من حنطة وشعير وقد بلغ سنبلها الصدر. والباقلّى وغيرها من البقول التي قد أحصدت

واما الدور فسقط كثير منها على اهاليها فقتلتهم. ومنها ما نبَّهت اهاليها على الفرار ففرُّوا من هجوم الميـاه تاركين كل ما عندهم من اثاث البيت والخُرثيّ حتى عدَّت النجاة من انفس النفائس. وقد دخل الماء عدة محلات وأحياء فاتلفها عن آخرها. امَّا الموتى من انسان وحيوان فلا تحصى اذ ترى الجثث تطفو على وجه الميـاه وليس من يلتفت اليها. واغلب الهلكى من اهل البـادية اذ فاجأهم الماء وعلاهم بدون سابق علامة او خبر. وكنت تسمع الجلبة والصياح في الليل كأنَّ يوم القيامة قد جاء بهولهِ ولا يُعلم الى اين المفرّ. فلا ترى الَّا ضوءًا هنا وامرأة مولولة هناك. وفي تلك الناحية حائط يدفن عشيرة باسرها وفي ذلك البستان يُسمع النُواح والعويل. والخلاصـة ذكر مثل هذا التفصيل وسماعهِ مِمَّا يفتِّت الاكباد ويسحق الصمّ الاصلاد

ومن غريب هجمات الماء انهُ علا مسنَّاة دار القنصـل الانكليزي سابقًا وهي من المسنَّيات العالية ثم دخل الدار كلها فملأَها هي وصحنهـا ومرافقها. ثم خرج الى الطريق فمنع المارّين من العبور حتى جاؤوا بقُفَف وقوارب لكي يسيروا عليها. لا بل وطفح في الطريق ودخل البيوت من الجهة المقابلة للقنصليَّة

ودخل الماء قنصلية فرنسة فوصل الى السراديب واتلف شيئًا كثيرًا من الاثاث والاوراق والدفاتر والكتب التي كانت موضوعة هناك. ودخل خانًا من خانات التجار فاتلف ما كان فيهِ من طحين وحنطة. وهكذا فعل بدورٍ كانت كالبدور فتحولت الى قبور ومجموع صخور وهكذا القول ايضًا في القصور المجاورة لدجلة فانهُ اخرب فيها شيئًا كثيرًا وحبس اهاليها فيها فلم يعد يمكنهم الورود ولا الصدور ولا المسير ولا العبور. وها نحن لا نعلم كيف تقضي هذه الايام ولا نعلم ان نكون من الغرقى او من الناجين رفق الله بعبادهِ المساكين. انهُ ارحم الراحمين واحسن معين ومستعين

وبعـد زيادة دجلة فاض ديالى ايضًا وهو النهر الذي يسقي اراضي بُهرُز وبَعقوبا

والهوَيدِر فقد فاض فيضاناً لم يحدث لهُ مثيل الّا منذ نيّف وخمسين سنة . وقد غرقت بعقوبا والحُدَيث ونحوهما من القرى والضيع المجاورة لهما . ولمّا كان السيل قد فاجأ الناس على حين غرّةٍ منهم فقد اغرق من اهل البادية عددًا لا يُحصى وكذلك قل عن الحيوانات التي هي من توابع معيشة البدو دُون الحضر

وممّا كان من قبيل ضغث على أبالةٍ ان الفرات ايضاً ثار ثائرهُ غيرةً وحسدًا فاتلف شيئاً لا يُقدَّر من زروع الحلة والديوانيّة ودغّارة والسماوة وغيرها . فكانت البلية اعظم البلايا . واجتماع الانهر الثلاثة وتحالفها وتعاقدها على اهلاك كل ما كان حيًّا في سقيها من الامور التي لم تحدث بعد في تاريخ هذه النواحي . فلم تبقَ سدَّة الّا وانكسرت او انفتقت واخذ الفرات يُلقي مياهــهُ على دجلة واراضيهِ لانهُ اعلى منهُ ارضاً . وكذلك فاضت الترعة المعروفة بالرُستُميّة فجاءت مياهها واغرقت بستان النقيب العظيمة مع الوزيريّة والمشيريّة وغيرها من الارضين الواسعة الاطراف . ثم جاءت المياه الى العلويّة ومنها الى الاعظميّة ثم الى مياه دجلة فاختلطت بعضهــا ببعض فجلّ الخطب وعظم الرُزْء والناس تطلب الرحمة من الله والعَون من جودهِ وكرمهِ

واليوم ٦ أيار اخذت مياه دجلة بالتناقص . واما ميــاه ديالة والفرات والرستميّة فواقفة كأنها تنتظر اتمام الخراب وجرَّ ذيل الويل على كل ما فيهِ بَعــدُ ادنى بناء او عمارة . فنطلب من المولى ان يشفق بعبادهِ ويبعد عنهم غضبهُ انهُ الرحيم الكريم

الى هنا نوقف جري طرف القلم . زائدين على ما تقدَّم : اننــا لم نذكر من الغرق الّا ما عثرنا عليهِ ونحن على يقين بانَّ دجلة قد اغرق هذه البلاد اكثر ممَّا ذكرناهُ . الّا اننا لم نحصل على نصٍّ تاريخي يصرّح بذلك وكثيرًا ما يسهو المؤرخون عن تدوين مثــل هذه الامور كأنها غير مهمّة في نظرهم . او لغاياتٍ اخرى نجهلها ولا يعلمها الّا الله

الآثار الخطّيّة لتاريخ الكنائس الشرقيّة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

هو الكتاب بل المعدن الثمين الذي استخرجهُ من دفائن المكاتب والسجلّات الدوليّة حضرة الاب انطون ربّاط اليسوعيّ وها هوذا قد انجز مجلّدهُ الاوَّل في ثلاثة اقسامٍ لا تقلُّ صفحاته عن ٦٦٨ من قطع الثُمن

ومن قلَّب باخفّ نظر صفحات هذا السفر الجليـل يأخذهُ الاندهاش ممَّا اودعهُ جامعهُ الفاضل من الآثار التي كان يتوق الى معرفتها أولو التفتيش وارباب البحث. فانهُ والحقّ يقال لم يدَّخر وسعاً في الحصول على هذه الاوراق الخطيرة المصونة بكل احتراس في ضمن القماطير السريَّة التي لا يتَّصل الى مطالعتها غير خواصّ الافراد فنهـا ما تمكَّن من استنساخهِ وناهيك بما يقتضي ذلك من التعب الشاقّ والسأم المملّ. ومنها ما حصل على رسومهِ الفوتغرافيَّة فلقي من مراجعتـهِ عرق القربة. ومعظم هذه الآثار مكتوبة بخطوط دقيقة قليلة الايضاح كثيرة الاغلاط في لغات غربيَّة وشرقيَّة مختلفة وفيهـا من اللهجات القديمة ما لا يحلّ رموزهُ الّا من عرف اصطلاحات وعوائد تلك الازمنـة الخالية. هذا فضلًا عمَّا قاساهُ من العناء في الاسفار وتحمَّلهُ من النفقـات الطائلة لبلوغ اربهِ. جازاهُ الله خيرًا

امَّا محتويات هذه الآثار فانَّها عبارة عن مجموع ثلاثمائة كتابة بنيِّف تشتمل على كلّ اصناف المكاتبات منها رسالات من وإلى الاحبـار الرومانيين والملوك العظماء ورؤساء الرهبانيَّات. ومنها عرائض وسندات وصكوك وتقارير شتى. ومنها اخبار رحلٍ وتدوين اعمال سُفراء. ومنهـا وصف حوادث جليلة وبيان امور اثيرة كمجامع وبراءات سلطانيَّة وغير ذلك ممَّا لا تخفى فائدتهُ على احدٍ. وهـذه الآثار تمتدُّ من اواسط القرن السادس عشر الى اواسط القرن المنصرم اي نحو ثلثمائة سنة كتبها بطاركة الطوائف الشرقيَّة واحبارها الاجلَّاء وقناصل الدول ورؤسـاء الرهبانيَّات والمرسلون وغيرهم كثيرون فيرى القارئ نفسه في حديقة غنَّاء واسعـة الخيرات وافرة الغلَّات لا يجني ثمرًا حتى يصيب ما هو اطيبُ منهُ وألذّ طعماً. يتحوَّل مع الكتَّاب من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر فلا يعاني السأم ولا يذوق الملل وهو ينالُ من كلّ حسن طرفةً على وفق القول:

لن يصلح النفسَ ان كانت مدبَّرة الَّا التنقُّل من حال الى حالِ

ولم يكتفِ حضرة متولي نشر هـذا الكتاب بادراج تلك المآثر بل احبَّ ايضاً زيادةً في الفائدة ان يذيّلها بعدَّة ملحوظات تهـدي القارئ الى فكّ مشاكل عديدة ودفع الشبهات عن امور مبهمة. كما انهُ احرز لهُ شكرًا آخر بما اضاف اليهِ من الفهارس الحسنة التي تقرّب المطلوب لطالبهِ وتجعل الثمر طوع راغبهِ

وها نحن نبيّن في الاسطر التاليــة بعض ما يُستفاد من هذا التأليف وليس لدينا منهُ كما سبق القول الّا المجلّد الاوّل ويليهِ عدّة مجلّدات ليست دونهُ فائدة تستوفي كثيرًا من الابحاث التي اكتفى الآن حضرة الجامع بفتح ابوابهــا فمن الله نطلب ان يوفقهُ على انجازها قريبًا

انَّ الفوائد التي يمكن اجتناؤها من هــذا المجموع النفيس على صنفين منها دينيَّة ومنها علميَّة نفرد لكل قسم منهما بابًا

١

الغاية الاولى من نشر هذه الآثار خدمة الدين كما يظهر من عنوان الكتاب ويلوح من كل صفحة من صفحاتهِ . ولو شئنا لامكنًا ان ندعو هــذا التأليف بتاريخ الكثيسة الكاثوليكيَّة في الشرق مدَّة القرون الاخيرة فترى ما للاحبار الرومانيين من الهمَّــة البعيدة في دعوة الطوائف الشرقيَّة الى الوحدة ومساعيهم الطيّبة في مساعدة البائسين وهداية الضالّين وارشاد الجهَّال لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يثبِط عنايتهم شيء من المشاقّ او النفقات فيوفدون الوفود الى الموارنة (ص ١٤٠—١٧٤) والى السريان (٩٤—١٢٥) والى الروم الملكيين (١٨٣ و ٥٤٥) والى الاقبــاط (١٩٤—٣١٥) ويكاتبون بطاركتهم وزعماءهم . وفي كثيرٍ من هذه الآثار ما يبيّن صريحًا انَّ آمالهم لم تذهب سدًى فانَّ في هذا المجموع عدَّة رسالات تشهــد باكرام الكرسيّ الرسولي واعتراف الشرقيين برئاسة عظيم الاحبار كما ترى في رسالة البطريرك ميخائيــل الرزي الى البابا غريغوريوس الثالث عشر (ص ١٢٠) وفي كتاب روم طرابلس اليهِ (١٨٣) وهناك ايضًا بالتفصيل اخبار النهضة الدينيَّة التي جرت في سوريَّة وخصوصًا في حلب في القرنين السابع عشر والثامن عشر فكانت نتيجتها نهضة اربع طوائف كاثوليكيَّة محضة خاضعة الخضوع التامّ لرأس الكنيسة المنظور اعني الكلدان ثم السريان ثم الارمن ثم الروم الكاثوليك الملكيين فصار لكل طائفة نظامهــا الديني وسلسلة بطاركتها واساقفتها مع حفظ طقوسهــا القديمة . ولم يتمّ ذلك الّا بعد المعاكسات والاضطهادات وصنوف العذابات التي انتهت اخيرًا بفوز تلك الطوائف بالسلام الوفيّ في ظلّ الاريكة السلطانيَّة المعظمّة . وما يزيد في شأن هذه الاخبار أنها سُطِرت في يوم حدوثهــا بيد كتبة عيانيين مختلفين تتدفّق الحقيقــة من سطورهم مجرَّدةً عن كلّ زخرف الكلام

وترويق التعبير فتظهر تلك الطوائف الجليلة نامية شبه حبّة الخردل تبدو اوّلًا ضئيلة زهيدة ثم تضحي كالشجرة الباسقة الافنان الوارقة الاغصان وقد جرى ذلك للسريان الكاثوليك باقامة البطريرك اندراوس اخيجان (١٦٦٧—١٦٧٨) وخلفه اغناطيوس بطرس (١٦٧٨—١٧٠١) ثم للروم الكاثوليك بتنصيب البطريرك كيرلُس تاناس . ثم للارمن بتوجيه الرتبة البطريركيّة لابراهيم ارزيڤيان (١٧٤٢)

وان انتقلنا الى كل طائفة بمفردها وجدنا في هذه الآثار تفاصيل عديدة تفيد تاريخها وشؤونها المليّة مرويّة بقلم المعاصرين كاخبار الوفد اليسوعي الى الموارنة اوّلًا سنة (١٥٧٨—١٥٨٠) وثانياً سنة (١٥٩٥) وتقارير مجمع قنّوبين المعقود سنة (١٥٨٠) ووصف رسالات متواترة بين الموارنة في لبنان وسواحل الشام وحلب وقبرس وجزائر اليونان وجبل اثوس في قرن السابع عشر والثامن عشر . ومثلها سفارة اليسوعيين الى بطريرك الاقباط من السنة ١٥٦١ الى ١٥٦٣ وكتابات متعدّدة في احوال الروم والارمن والسريان والكلدان والحبشة ونصارى مليبار تجدها متفرّقة في هذا المجموع تصف احسن وصف امور هذه الطوائف واحوالها الدينيّة والمدنيّة

ويلحق بذكر الطوائف الشرقيّة اخبار اعمال المرسلين في انحاء الشرق . فانّ قسماً كبيرًا من هذا الكتاب يتضمّن وصف مآثرهم من تبشير وانذار وتعليم وتشكيل جمعيّات تقويّة وانشاء اخويّات وتصنيف تآليف دينيّة وعلميّة وخدمة المرضى والسجناء وتهذيب الاحداث الى غير ذلك ممّا يشهد ما للجماعات الرهبانيّة من الايادي البيضاء في جهات الشرق . وليست هذه الكتابات للمرسلين وحدهم بحيث يمكن ان تُنسب لهم الاغراض او المبالغة في اقوالهم بل منها ما هو لرؤساء الطوائف وارباب الدين ولسفراء وقناصل ورحّالين يروون بالنزاهة ما يرون ويسمعون فيطنبون في اعمال المرسلين الفرنسيسين والكبوشيين والكرملتان واليسوعيين وان وجدوا في سيرتهم مغمزًا اشاروا اليه بلا تقيّة ولا خوف لظنّهم غالباً انّ هذه الكتابات تبقى سريّة لا يطّلع عليها سوى اصحاب الامر

وهنا كنّا وددنا لو سمح لنا المكان بتلخيص بعض هذه المآثر الجليلة التي انعشت في قلوب الشرقيين روح الايمان بل افاضت فيهم حياةً جديدةً بعد خمود الهمم وارتخاء العزائم وانتشار الاضاليل والبدع والجهل المركّب حتى اضحت النصارى في حال يُرثى لها

منذ مئين من السنين . فلمَّا جاء هؤلاء الدعاة والفَعَلة النشطاء في كرم ربّ البيت لم يلبث الزرع أن أتى بالثلثين والستين والمئـة وليس ذلك في مكان او قطر واحد بل في انحاء الشام ومصر والجزيرة والعراق والعجم وبرّ الاناضول والاستانة العليَّة وقبرس . وكذلك يطول بنا الكلام لو عدَّدنا مناقب بعض المرسلين فنحيل القرّاء الى مراجعـة تراجم بعضهم في هذا التأليف كالاب برونو الكرملتاني (٤٣٥) والاب سلوستروس الكبوجي والآباء اليسوعيين حبيب شـازو (٨٧) وجان اميو (٤٢٢) وهيرونيم كوارو (٦٦) والاب يوحنا اليانو (١٩٥) وغيرهم . وهناك ايضاً تراجم أخرى مهمَّة كترجمة رجل الله ناوفيطوس نصري اسقف صيدنايا (٥٩٧) وسِيَر بعض افاضل العلمانيين (٧٣—٧٧)

وأولى من هذه التراجم وصف شهامة بعض الشهداء وثباتهم في الدين حتى الممات كخبر استشهاد احد الاقباط في جرجه (١٧) واستشهاد الاب ابرهيم جرجي المارونيّ اليسوعيّ في مصوَّع (١٧٤) ودير غرميداس الارمني في القسطنطينيَّة (١٢٦) وبعض الاعجام في اصفهان (٤٤٨) وداود الرومي الملكي في حلب (٤٥٧) وكلّ هذه الاخبار لا تـكاد تجد لها ذكرًا في اوسع التواريخ المسيحيَّة

٢

أجل أنَّ هذا المجموع لفريدٌ في محتوياتهِ وآثارهِ الدينيَّة الجليلة التي من شأنها ان توقف القارئ على نفوذ الكنيسة الكاثوليكيَّة في بلاد الشرق وانتشارهـا في جميع البلاد الخاضعة لسيطرة سلاطين آل عثمان أيد الله شوكتهم . لكنَّ هـذه الكتابات ليست محصورة في الدين بل يجتنى منها فوائد جمَّة يحتاج اليها كلّ من يحبُّ الاطلاع على احوال هذه البلاد في القرون الاخيرة . وها نحن نلخّص بعض هـذه الفوائد بياناً لخطرها

١ (التاريخ) يستفيد المؤرخ من هذه الآثار معلوماتٍ لا يجدها في الكتب الموسَّعة ليس فقط من حيث التاريخ الدينيّ لكن من حيث المدنيّ ايضاً فمن ذلك انشاء السفارات الدوليَّة في الاستانة العليَّة والقنصليَّات في حواضر البلاد العثمانيَّة كدمشق وحلب وصيداء وقبرس والقدس الشريف خاصَّةً مع بيان عدَّة امور منوطة بهذه القنصليات وتعريف اصحابها . وكان التقدُّم في ذلك لفرنسة خصوصاً ثم للبنادقة ثم للانكليز ثم

للهولنديين ثم للالمان فيسعى الموظفون في تنفيذ صوالح دولهم والتقرّب الى السلاطين العظام بحسن سياستهم. وفي رسائلهم ما يُشعر بالوسائل التي يتوسّلون بها للفوز بالمرام وربّما تنازعتهم العوامل المتباينة من خوف ورجاء وشدّة ورخاء مع التفاني في خدمة مرؤوسيهم. وكذلك يتكرّر في هذه المراسلات ذكر بعض الولاة والامراء وكبار الرجال ممّن لعبوا في حوادث تلك الاعصار ادوارًا مهمّة كفخر الدين المعنيّ واحمد باشا الجزّار وابي ذهب وظاهر عُمَر وغيرهم من المشاهير الذين شاع اسمهم في التاريخ

٢ (الجغرافية) في هذه التقارير والمكاتبات افادات لا تُحصى عن البلاد الشرقيّة. والمرسلون في تسطيرها يجارون غيرهم من الكتبة وارباب الرحل لحرصهم على تعريف الاقطار ووصفها بدقّة فتارةً يعرّفون حدود البلاد وتارةً يعدّدون ملحقاتها وحينًا يصفون عجائبها من قصور وابنية وبيع ومناظر طبيعيّة واعمال صناعيّة او يتّسعون في ذكر زراعتها وغلاتها ومداخيلها. ولم يكتفوا بتعريف البلاد عمومًا بل لم يكادوا يضربون الصفح عن مدينة من مدن الدولة العليّة كدمشق (ص ٦٤) وحلب (٤١ و٣٨٣) وبيروت وطرابلس (٤٣) وصيداء (٤٤) وكذلك مصر ومدنها (٩—٢٩ الخ) وقبرس (٣٩٣) وجبل اتوس (٤١٣) وجهات العراق والحبش وارخبيل اليونان والمغول وانحاء العجم بحيث يمكن اعتبار هذا المجموع كسياحة عظيمة في اقطار الشرق مع بيان احوالها ووصف خواصّها

٣ (الآداب والعلوم) انّ المرسلين لم يفصلوا قط العلم عن الدين لانّهُ ثبت لديهم انّ العلم اذا كان مبنيًّا على المبادئ الصادقة يؤيد الدين فضلًا عن انهُ لا يضرُّ بهِ البتّة. ويظهر من مجموع هذه الكتابات انّ دُعاة الدين حيثما حلّوا انشأوا المدارس للاحداث وكثيرًا ما ورد في رسائلهم ذكر المدارس التي أداروها في حلب (ص٣٧٩) ودمشق (٥١) وصيداء (٤٠٥) وبغداد (٥١٣) ومصر (٥١٩). ومنهم من كان يخصُّ نفسهُ لهذا الشغل الشاغل فيهذّبون الاولاد طول ايّامهم كالاب كوارو والاب شيزو. وكانوا يسعون ايضًا بارسال البعض من نجباء التلامذة الى رومية وباريس ليعلّموهم اللغات ويتقنوا تربيتهم حتى اذا عادوا الى بلادهم خدموا وطنهم خدمةً صادقة (٥٧١) وفي هذا المجموع فصلٌ واسع في ذكر هؤلاء الاحداث

وممّا يدلُّ ايضًا على همّة المرسلين وسعيهم في تعزيز العلوم ما ورد ذكرهُ في عدّة

رسائل مدوَّنة في هذا الكتاب اعني التآليف المتعدّدة التي صنَّفوها في العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة منها دينيَّة ومنها علميَّة لم يُطبع منها ألَّا النزر القليل

٤ (علم الاخلاق والعادات) هو علم مستحدث يطرنهُ اليوم الكتبة العصريون ولم يَسْهُ عنهُ المرسلون. ففي الآثار التي نشرها حضرة الاب ربَّاط اوصاف عديدة دوَّنها أُولئك الكتبة في تعريف اخلاق الشعوب الشرقيَّة وما أَلفوهُ من العادات في اكلهم وشربهم ولبسهم وحياتهم الاهليَّة وخرافاتهم وتصرُّفهم مع مواطنيهم ومع الاجانب وكلُّ ذلك على طريقة شائقة تجمع بين اللذَّة والفائدة

وفيها ايضاً عادات ومعتقدات بدع شائعة في الشام والجزيرة كاليزيديَّة (٥١٢) والشمسيَّة والبانيان (٥٦—٥٧) واليهود (٦١ و ٤٩٥) وبعض الجمعيَّات السريَّة (١٣٤). ولا يخفى ما في هذه الاوصاف من الفوائد لمعرفة الاقاليم وللاستدلال على سكَّانها ومللهم ونِحَلهم

٥ (التجارة والصناعة) وممَّا يُجتنى ايضاً من هذه الكتابات معلومات شتى في تجارة الشرق وصنائع اهلها وفنونهم. وكان المرسلون لا يأبون من تدوين ملحوظاتهم في ذلك ليس طمعاً بالمال لانفسهم وقد زهدوا بالدنيا بل لافادة مواطنيهم في اوربَّة ترويجاً للتجارة الدوليَّة نخصُّ بالذكر رسالةً وجَّهها الكبوشيُّون (٥٠٦—٥١٦) الى وزير فرنسا كولبار سنة ١٦٧٠ يصفون فيها التجارة الشرقيَّة وصادرات الشرق الى الغرب والواردات من الغرب الى الشرق

هذا نظر خفيف في بعض ما يُستفاد من هذه الآثار القديمة التي كان بودّنا ان ننقل عنها نتفاً مستطرفة ليقف القرَّاء على شي من مضامين ذلك السفرَ الجليل لكنْ ضيق المقام يقضي بالاجتزاء بالقليل . وفي الختام نكرّر آيات الشكر لحضرة الساعي بنشر هذه الدفائن متمنّين لصدور الاجزاء التالية باقرب وقت

الذكرى فوق ربى لبنان

بقلم « الشقيق »
احد المتخرجين في كليتنا

. . . وكانت الشمس تُرسلُ سهاماً من النورِ مرهفة الحدّين فتتكسر على الصخور الناتئة وتطير شعاعاً فتقع شظاياها المحرقة على العشب الاخضر فيذبل ويذوي . .

على هذا العشب كنتُ اسير الهوينا مستنداً على ذراع صديقٍ لي رقيق الحاشية عند اصيل نهارٍ في غرَّة آب الحالي . . . امامنا البحر صافٍ كالمرآة ينعكس بهِ خيال بعض قوارب الصيد وقلوعها البيضاء الناصعة وعلى اديمهِ بعض الطيور الغوّاصة جاثمة بهدوء تكاد لا تتحرَّك . وفوقنا سماء لا غيم يعكّر صفاءها زرقاء نقيَّة . وعلى اليمين المركز البطريركي تكتنفهُ غابة من الصنوبر جميلة خضراء وهو في وسطها ابيض يشعُّ زجاج نوافذهِ تحت الاشعة الشمسيَّة فكأنهُ لؤلؤة في وسط حلقة من الزبرجد . . . وعلى الشمال سلسلة متتابعة من القلل جرداء قحطاء ترى عليها من مسافة الى أُخرى بعض شجيرات خرّوبٍ او بلّوط منفردة يأوي اليها الطير اذا ما عبَّس الافق وهجمت جحافل الظلام

وقفتُ ووقف رفيقي يسرّح البصرَ في هـذا المشهد وكان نسيمٌ عليل نسيم آخر النهار يتلاعب باعطافنا فانصتنا لنسمع حديثه اذ للنسيم حديث رقيق لا يعيهِ الَّا ذوو القلوب المقرّحة . . .

وكنت انا اسمعهُ ! . . .

وقفةٌ ذكّرتني بايامٍ مضت « ما كان احلاها واشهاها » . . .

منذ اربع سنوات كنت اقف مثلها والى جانبي شقيق لي في ريعان الشباب طيّب النفس رقيق القلب يلحظني باعينهِ النُّجل ويبسم لي بفمٍ ظريف فتنجلي لي الدنيا بمرأى جبينهِ الوضّاح وشعرهِ الكستنائي المصقول البرّاق . . .

خُلقَ شاعراً فظلَّ مدّة حياتهِ القصيرة مشغوفاً بالشعر والشعراء . . تغنّى بهِ كما يتغنّى الطائر لطلوع الفجر حتى اذا بلغَ ضحى عمرهِ انقطع صوته . . . ناجى زهور الحقل فسامرته ولمَّا كان آخر النهار ذبلت فلم يشأ ان يخالفها فعاش ما يعيش الورد فصلَ الربيع

كم قضينا ساعات وانا متكئ على صدره وهو يطلعني على اسرار الطبيعة المكنونة اسرار لا يعلمها إلّا القليلون فينفتح صدري وتنتعش نفسي وتهتزّ عظامي طرباً . . . في تلك الوقفات كان يُلقّنني لغة الطيور اذ تتصايح عند الغروب وهي ترفرف فوق رؤوسنا او تمرّ كالسهام فتمزّق اديم السماء الزرقاء وتخدّده تخديداً . . . هناك كان يترجم لي ما كان النسيم يوحي بهِ اليهِ من الاسرار اللطيفة اذ يهبّ اصيلًا فيتلاعب بشعرهِ الناعم ويُغازل جبينه الابلج . ويعلّمني ما يقولهُ البحر عند صفانهِ وما يتهدد بهِ الصخور عند هياجهِ اذا تعالت امواجه فهدر وزمجر . . .

الى جانبه وعلى قلبهِ الحنون تعلّمت كيف ارقّ للضعيف واشفق على ذوي البأساء محاورات بيننا جرت ومحادثات انطوت . اخذتُ عنهُ كل ما يأخذه الاخ المسيحي عن اخيهِ البكر من الافكار الشريفة والمعاني الرائقة الشعريّة والاقوال الادبيّة اللطيفة فاستَنَرتُ بها واتّعظت وكان لي خيرَ منيرٍ وواعظ

ألا وهو اليوم اوعظ منهُ في حياتهِ . . . ضجيع الثرى . ذبلت زهرة شبابهِ النضر وذوى غصن حياتهِ الغضّ كما ذوى هذا العشب الذي اطأه . . . فرحمة الله على الشقيق الذي ثوى وطوته الارض . . . كان وكأنهُ لم يَكُن . . .

*

مرّت هذه السنوات الاربع في مخيّلتي فكأني اراها بكل ظروفها . انّما مرّت كالبرق الخاطف فظللت اتبعها بفكري وقد شُغفت بها وهي تهرب مسرعة وانا اجهد النفس بالتشبث ببقاياها لعلّي اجد سلوةً وعزاء في تذكار حوادثها . فاشرأبَّ عُنُقي وتقطّب جبيني وحبستُ نَفَسي وانا لا اعي لئلّا يعوقني زفيرهُ وشهيقهُ عن اللّحاق بالتذكار . . . انّما صور الماضي تمرُّ سراعاً

فما عدت الى ذاتي الّا وصديقي تنحّى عني تأدّبًا واحترامًا لعواطفي واشجاني . فانقبضتْ نفسي وذبلت عيناي وحسستُ بان نارًا يتأجج سعيرها في كبدي وان روحي قد بلغت التراقي . فصرختُ : يا لله ما هذه الحالة . . . ان قلبي كاد ينفطر لدى هذه الذكرى . . . فدعنا نفرغ على القرطاس ما يكنّهُ الفؤاد فيخفّ عبئهُ

قلت . وجلست على صخرة مطرقًا واجمًا . ثم كتبت :

طوّق الحزنُ فؤادي بلهيبٍ ومَجامر
مثلما طوّقَ ازنا دَ الفتَيات اساور
ورماهُ الدهرُ من أسهمهِ رميةَ غادر
ليسَ بين الاوليـن نظيري والاواخر
من فؤادٍ حرّهُ الشوقُ بنيرانِ الهواجر
وجنانٍ قد اصابتهُ الملمّاتُ النوادر
كيفما ملتُ ارتْ فو قي البلايا كالكواسر
من يقي المسكين اني صرتُ مثل الضبِّ حائر
اي وربِّ العرشِ مَن يعرفُ ما ضمن السرائر
لم اعد اعرف ما بي لست ادري اين سائر
أ إلى عيشٍ رغيدٍ . ام الى جوف المقابر
بعجيج النير وجفني لا يزال الليلَ ساهر
ولذيذُ العيش عندي يومهُ اصبحَ نادر
ما حياةُ المرء في الدنـيا سوى عبرةِ عابر
ايها العابرُ في ار ضِ الشقا والحزنِ . . حاذر

وكان صديقي يرعاني عن بعدٍ فهلعَ لما رآهُ من تغيّر سحنتي وانقلاب هيئتي فاقترب مني ووقف . . . فرفعت اليهِ اعيناً كاد ماء الحياة ان يجمد فيها وتلاحظنا هنيهة فرأيت عينيه مملوءتين حناناً واشفاقاً كانهما يسألاني ما اكتب . فمددت لهُ الصحيفة وقلت وقد خانني الجلد : شعرٌ . . . شعرٌ

فعرف الموضوع وحوّلَ عني نظرهُ فرأيت على ضياء آخر اشعّة الشمس الصفراء دمعةً ترقرقت في مقلتيهِ وسالت على خدّيه الورديَن . . . ثم ساد السكوت كانَّ على رؤوسنا الطير

وكانت الشمس قد لامست البحر فصبغت مياههُ بلونٍ ارجوانيّ قانئٍ وانطفأ نورها فاصبحت كقرصٍ من الدم مريعٍ تحيط بهِ هالة كامدة اللّوْن . وهي بقايا انوار ملك النهار تتطاير من كبدهِ وتنتثر حولهُ فتُخبرُ عن مجدهِ السالف في مملكة الفضاء وتقول : « الوداع ايها القرحون بنوري فان نوري زائل . الوداع ايها المحزونون لذهابي ان البقاء لمن لا اوّل لهُ . الوداع يا ابن البشر انت اليوم هنا وغداً في دار البقاء . . . . كما انطفأتْ انواري وسأتوارى في البحر . هكذا سينطفئُ نور حياتك وتخمد نار الشباب والصبا بين جوارحك ويغيّبكَ الثرى . . . فانظر الى الابديّة . . . »

ثم غابت... واذا بصورة شقيقي العزيز وهو منتصبٌ بازاء عيني فسمعتهُ يقول: قد غبتُ انا ايضاً عن العيان فلا تبكني... انتظرك في دار الخلد فايّاك ان تحيد عن طريق الفضيلة فنجتمع في مصافّ الابرار دون فراق... هناك »

واذ ذاك قُرع بالقرب منا ناقوس ديرٍ للراهبات قرعاً خفيفاً ايذاناً بالتبشير الملائكي. فلم اعِ على نفسي الّا وانا جاثٍ على الحضيض بين ذراعي صديقي ورأسي بين يديَّ اردّدُ هذه العبارات بكل هدوءٍ وسكينة: « اللّهمَّ انت وحدك الباقي فاجمعني مع الاحباب... هناك »

(المشرق) لمّا كان المثل بالمثل يُذكر احببنا ان ننقل هنا مخمّساً للاديب اسعد افندي رستم ورد في جريدة المهاجر الامركيّة وصف فيهِ الشاعر جنازتي غنيّ ففقير ثم ختمهُ احسن ختام:

تملّصتُ من غوغا المدينة مرةً وقد اصبحتْ فيها المعيشة مرّةً
فجئت حقولًا غضّةً مسيطرةً تعيش بها النفسُ التعيسة حرّةً
وتأمن من شرّ النفوس شراكا

صعدتُ الى تلٍ رفيعٍ مقابلِ وقد ظهرتْ في البعد ابراج بابلِ
اشارت تباهي ربّها بانامل فقالت غيومٌ من دخان المعاملِ
ويا ربّ ما هذه السماء سماكا

وحوّلت عيني نحو حقل مزيّنِ فابصرت فيهِ مدفناً اثر مدفنِ
رخاميّةٌ اجداثهُ لقد اعتُني بها وبها لا يدفنون سوى الغني
مقدّسة تقضي بخلع حذاكا

هنالك ما بين المدينة والردى وقفت أُجيل الطرف في كل ما بدا
فمن جهة ساد السكون مؤبداً ومن جهة اخرى القنوط والاعتدا
يزيدان بين العاملين عراكا

وفيما انا مستسلمٌ للتأملِ بدا ليَ جمع سائر بتمهّلِ
جنازةُ انسان غنيٍ مبجّلِ يُقلّ بنعشٍ بالزهور مكلّلِ
يقول لهُ الجمع: النفوس فداكا

وما وصلوا حتى انبرى الشعراء بمنتقيات القول والخطباء
فكان مديحٌ منهم ودعاء وكان عويلٌ بينهم وبكاء
وفيهم من يبكي ومن يتباكى

فعادوا وكلٌّ يمسح الدمع مسحةً ولِلميت في الفردوس يطلب فسحةً
يقولون أولاك المهيمن رحمةً وبعدك اعطانا من الصبر نسمةً
وبلّل بالرضوان منهُ ثراكا

ولم يحتفوا حتى رأيت ثلاثةً يقلّون نعشًا مطرقـين كآبةً
وأمًّا وطفـلًا يبكيان مرارةً وكلبًا الى التابوت ينظر تارةً
وطورًا اليهم يستميتُ حراكا

وما لبثوا ان اودعوا الميت حفرةً بعيدًا ومنهم من يُصعد الحزن زفرةً
وعادوا فلا راثٍ يردّد شهرةً ولا ذارفٌ غير الثلاثة عبرةً
ولا قال الأُمّ: نودُّ بقاكا

*

فقلت: لقد عاش الغنيُّ مكرما ومات فواروهُ الضريح المفخما
أما لفقير جائعٍ وطنٌ أما سألتُ الحي والتفتُّ الى السما
فجاوبني صوتٌ يقول: هناكا . . .

نشرة علميَّة

لـلاب لويس شيخو اليسوعي

ان ترقّي العلوم في أيامنا متواصلٌ لا تكاد تجد علمًا واحدًا الّا تتناصر الاخبار في تعداد اكتشافاتهِ ولو شئنا ان ندوّنها في كل اعداد المشرق لضاقت عن حصرها. وها نحن نذكر بعض ما تهمُّ قرّاءنا معرفتهُ ممَّا اكتُشف في السنة الجارية مقسّمين ذلك الى ابواب عموميَّة

١ً العلوم الطبيعية

❁ المراكب الجويَّة ❁ انَّ الاختبارات الجديدة التي اجراها قومٌ من الفرنسويين والالمان في هذه السنة قد حلّت نهائيًا ذلك المشكل العظيم الذي حاول العلماء ازالتهُ منذ الوف من السنين ولاسيا في اثناء القرن المنصرم اعني مجاراة الطير في ركوب الهواء وتسيير المراكب الجويَّة في فضاء السماء على طوع مشيئة راكبها. وكان السابق في هذا الميدان احد الفرنسويين الذي منذ خمس سنوات لا يزال يذلّل الصعاب ويمهّد كلّ العقبات حتى اصاب المرمى نريد المسيو ليبودي (المشرق ٧: ١٣٦): فانَّ المناطيد التي جهَّزهـا

قد ارتفعت مرارًا الى الجوّ وقطعت مسافات بعيدة بمعدَّل ٤٣ كيلومترًا في الساعة ودارت كما شاء صاحبها ثم حطَّت جاثمةً الى الحضيض بكلّ هدوء بحيث لم يبقَ ريبٌ لاحد في فوزهِ بالمرام وكان المركب الذي ركبهُ المرَّة الاخيرة كسفينة بحريَّة طولهُ ٦٠ مترًا في عرض عشرة امتار . امَّا حجمهُ فبلغ ٣١٥٠ مترًا مكعَّبًا وهو المدعوّ باسم الوطن (لاباتري) . وقد اسرعت الوزارة الحربيَّة في فرنسة الى انشاء مناطيد مثلهُ خصَّتها بادواتها الحربيَّة ونظَّمت لها رجالًا يركبونها جعلتهم قسمًا من جيشها

وممَّن يشاطر ليبودي فخرهُ في ركوب الهواء عالمان فرنسويَّان آخران وهما الكنت دي لاڤو (de la Vaux) الذي جهَّز منطادًا دعاهُ باسمهِ اجرى فيهِ امتحانات عجيبة على مثال ليبودي . وكذلك دوتش دي لامُرث (Deutsch de la Meurthe) اصطنع بالونًا دعاهُ باسم « مدينة باريس » استافت اليهِ انظار العلماء فاثنوا على مشروعهِ

فكان لهذه الانباء وقع سيّئ في الدول الراصدة لتقدُّم فرنسة لاسيما المانية فنشَّطت احد علمائها على مجاراة الفرنسويين في ذلك وهو الكنت زبلين (Zeppelin) فلم يزل يكدّ ويجدّ حتى توفَّق الى بلوغ اربهِ فاصطنع بعد الفرنسويين ببضعة اسابيع مركبة هوائية طولها ١٢٨ مترًا وعرضها ١١ مترًا و٧٠ سنتيمترًا وسعتها ١١,٢٣٠ مترًا مكعَّبًا وقد جعل هيكلهُ من الالومينيوم وقسمهُ الى ١٦ قسمًا في كل قسم منطاد ينفخهُ الهدروجين وجعل لهُ في مؤخرهِ اجنحةً تسندهُ في طيرانهِ . وفي باطنهِ آلتان محرّكتان قوَّتهما ٨٥ فرسًا بخاريًا . امَّا الركَّاب فيجلسون في مركبتين معلَّقتين في راس المنطاد وفي ذنبهِ يركب الاولى اربعة رجال والثانية خمسة . وهذا البالون الجديد دُعي باسم مكتشفهِ وامتُحن في حزيران وتموز مرارًا فوق بحيرة كُنستانس في سويسرة . فكانت النتائج كلها حسنةً جدًّا فانَّ مركبة زبلين امكنها ان تقطع مسافة ١٥ مترًا في الثانية اعني ٧٣ كيلومترًا في الساعة . فتكون سرعتها اعظم من سرعة مركبة ليبودي . امَّا علوّها فبقي في طبقة واحدة على ارتفاع ٨٥٠ مترًا فوق سطح البحر . وكذلك امكن صاحبها ان يقاوم هجمات الريح فكل هذه النتائج تضمن لالمانية مجاراة فرنسة في ملك الهواء . والله اعلم بما يحدث من جرَّاء هذه الاكتشافات من الماجريَّات والحوادث الخطيرة فنسأل الله ان لا يستعملها اصحابها الَّا لفائدة البشر وترقية المدنيَّة الصحيحة

﴿ التصوير الشمسي الملوَّن ﴾ يذكر القرَّاء ان حضرة الاب دي انسلم في آخر

مقالتهِ عن فنّ التصوير افرد فصلًا لفنّ التصوير الملوَّن المعروف بالكروموفوتوغراف (المشرق ٥ : ١٠٢٩–١٠٣١) فذكر هناك ترقّي هذا الفنّ واصوله وطرائقهُ المكتشفة الى اواسط السنة ١٩٠٦ وكان الكاتب يعقد الامل على قرب اطلاع العلماء على طريقة سهلة المنال لرسم المصوَّرات الطبيعيَّة بالوانها . وقد حقق الله هذه الآمال على يد احد افاضل مدينة ليون في فرنسة سبق لنا ذكرهُ (٥ : ١٠٢٩) بين محسني رسم الصور المتحركة اعني بهِ الموسيو لوميار (Lumière) فقد توصَّل الى اصطناع صفائح حسَّاسة يمكنها ان ترسم الصورة بكل الوانها الطبيعيَّة ليس بتعدُّد الحواجز الملوَّنة كما فعل ليبان (Lippmann) او باصطناع ثلاث صور ملوَّنة الواناً مختلفة تُضاف الى بعضها كما فعل كروس (Cros) ودوكوس دي هورون (Ducos de Hauron) ولكن بمزيج خاصّ وذلك انهُ يتخذ لُباب البطاطا فيفرز منها دقائقها التي يبلغ قطرها من ١٥ الى ٢٠ ملمتر الملمتر فيقسمها ثلاثة اقسام ويصبغها بثلاثة الوان معلومة برتقالي فاخضر وبنفسجي ثمَّ يمزجها مزجاً تامًّا بحيث تظهر للعين بعد مزجها قريبة للون الابيض فيمدّ هذا الذرور المنعَّم على صفيحةٍ من الزجاج مطليَّة بطلاء غرويّ ثمَّ تُعرض الصفيحة على النور ثانيةً من الوقت او ثانيتين ثمَّ تُجعل في المغطس كبقيَّة الصور الفوتوغرافيَّة لاظهار الصورة بالوانها واثباتها على الصفيحة فيراها الناظر بالوانها الناصعة كما هي في الطبيعة تماماً . ولا يعمل فيها النور الخارجيّ الَّا بعد زمن طويل فتبور. لكنَّ هذه الصورة لا تكون الَّا مفردةً وحيدة لا يمكن تكثير نسخها وان شاء الله سيجد المكتشف طريقة لسد هذا الخلل

﴿ التلغراف بلا سلك ﴾ سبق لنا وصف اتساع نطاق هذا الاكتشاف وتعدُّد محطَّاتهِ (ص ٥٧٤) . ومن فوائدهِ التي استفادوها منهُ آخرًا توحيد الساعات في امكنة متباعدة عن بعضها فانَّ المحطة الباعثة تُعلم بالساعة المضبوطة لانحاء البلدة فتدار الساعات كلها على نظام واحد. ولا يخفى ما في ذلك من المنفعة للاشغال التجارية وغيرها لا بل اخذت حكومة كندا ان تُرسل الى السُّفن التى في البحر اعلاماً بالساعة الاولى التي تُرصَد في مرصد حاضرتها

٢ً الكيميا

رزئت العلوم الكيمويَّة باحد كبار ائمتها مَرْسلين برتلو الذي تُوفي في ١٨ آذار الماضي

في ذات اليوم الذي قضت فيهِ زوجته كأَنهُ مات اسفاً عليها . وكان برتلو منذ نصف قرن ممثلًا لعلم الكيمياء في كل اقسامها حتى تاريخها القديم بين اليونان والسريان والعرب لهُ في ذلك مصنفات غاية في الشأن وقد ابرز من ذلك آثارًا فعرّف ما وقف عليهِ القدماء من اسرار الكيمياء وافرز بين غثها وسمينها . اما هو فلهُ عدَّة اكتشافات مهمة توصَّل اليها بشغل متواصل وثبات عجيب . ومرجع اكتشافاتهِ الى امرين: الاوَّل تركيب اجسام آليَّة كالحامض الخلّي والكحول والبنزين من عناصر اوَّليَّة فاغنى الكيمياء بمركبات جديدة كثيرة الفوائد وسهّل طرق تركيبها . والثاني وضعهُ لاركان علم جديد يُعدُّ كفرع فنّ الكيمياء وهو علم الترمو كيميا (Thermochimie) اي فعل الحرارة في تركيب الاجسام وتحليلها . واشتغل ايضاً في الكيمياء النباتيَّة ووسَّع بذلك نطاق الفلاحة والعلوم الزراعيَّة . ولم ينقص هذا الرجل الهمام سوى معرفة خالقهِ فانهُ ترَّبى خارجاً عن الدين فجهل ما كان حقُّهُ ان يقدّمهُ على كل علم

﴿ استحضار النشا ﴾ النشا احد الاجسام التي تدخل في استحضار عدَّة مركبات صناعيَّة وكان العلماء يستخرجونهُ سابقاً من النباتات واثمارها لاسيما الحبوب والبطاطا . وقد تمكَّن احد الالمان اسمهُ بُرْنر (A. Borner) من استخراجهِ من نشارة الخشب ورذالة العيدان ومن الاعشاب وغيرها . فانهُ يعمد الى ما تحتويهِ هذه الاجسام من المادَّة الخلويَّة (cellulose) الداخلة في تركيبها فيُعمل فيها الصودا او البورق او بعض الحوامض المعدنيَّة المنقوعة بالماء فيحصل بذلك على صفوة فيها النشأ واجسام غريبة كالراتينج وغيرها ثم يجعل فيها ملح الطعام فتتلاشى تلك الاجسام النافلة ويرسب النشأ

﴿ صابون البترول ﴾ وجد الكيموي ديهاي (Deshayes) طريقة اقتصادية لاستحضار الصابون . فانهُ يجعل في حلة كبيرة ٢٠ كيلوغراماً من زيت الشحم او الدهن فيساط مدَّة ثمَّ يُصبّ فيهِ ٢٠ كيلوغراماً من البترول بعد مزجهِ مع صفوة من الصودا تبلغ ٢٤ كيلوغراماً فاذا اختلطت هذه الموادّ اختلاطاً حسناً صُبَّت في قوالب خاصَّة فتلوَّن بالالوان او تُعطَّر بانواع العطر . ولهذا الصابون خواصّ عديدة لتنظيف الجلد وتليين البشرة

﴿ الاستدلال على المعادن ﴾ يقتضي وجود المعادن في كلّ بلد ابحاثاً متوالية وربَّما خُدعَ الباحثون عنها بظواهر لا طائل تحتها فحفروا الحفريَّات المتعدّدة دون ان

يظفروا بالمأمول . واليوم وجد الامركيّون واسطـة حسنة للاستدلال على المعادن في بطن الارض باستعمال فنّ الفوتغرافيَّة . وقد بنوا اختباراتهم على هذا المبدإ الذي شاع في زماننا وهو انَّ للمعادن قوَّة إشعاعٍ تنفذ في الجماد وتؤثر في الصفائح الفوتغرافيَّة . ومن ثم عمدوا الى صفائح طلوها بطلاء حسَّاس مُشعّ وجعلوها في اوعيةٍ مقفلة لا يمسُّها النور ووضعوا الاوعية في الامكنة التي يريدون الوقوف على معادنها . فتحقَّقوا انَّ لكلّ معدن اثرًا خاصًّا في الصفائح وانَّ هذا الاثر يزيد جلاء على قدر كميَّة المعدن وشكلهِ وسرعة نقلهِ للكهرباء . ولا بدَّ ان هـذه الاختبارات ستتحسَّن وتفتح للانسان بابًا واسعًا لتعدين المعادن لاسيما الثمينة منها او الكثيرة الفوائد

٣ً الطب

﴿ فائدة بعض العناصر السامَّة ﴾ لا يجهل احد فعل السموم في جسم الحيوان فانها تفتك بهِ وتودي بحياتهِ بعد قليـل . على انَّ الكيمويين قد درسوا خواصَّ بعض هذه السموم وامتحنوا فعلها في خنازير الهند والدجاج وغيرهـا فخلطوا بطعامها كميَّات زهيدة من الزرنيخ والفسفات وكلاهمـا من السموم القتَّالة فليس فقط لم تَمُت بل وجدوها بعد مدَّة قليلة اقوى منها واكبر حجمًا من ذي قبل . حتى بلغت ضعف وزنها السابق بعد خمسة او ستَّة اشهر . امَّا قَدْر هذه السموم فما كان يتجاوز ملغرامًا واحدًا في النهار وقد اختبروا ذلك في الانسان الضعيف المزاج والمهزول الكسيح فاشتـدَّت بنيتهُ . وكذلك لحظ الاطبَّاء انَّ بعض الامراض تعصى على كل الادوية وربَّما شفيت بقليل من العقاقير السامَّة . فسبحان الذي جعل الشفاء في ما يسبّب الموت غالبًا

﴿ الكحول والجنون ﴾ للكحول والمشروبات الروحيَّة فعـلٌ سيّئٌ في جهاز الانسان فانَّها ليس فقط تؤثر في عقل شاربها بالسكر والثمـل الوقتيّ لكنَّها ايضًا تضعف قواه العقليَّة وتؤدي بهِ عاجلًا آجلًا الى فقد الشعور . وممَّا تبيَّنهُ بالاحصاء المدقّق مدير مستشفيات فرنسة المسيو ميرمان (M. Mirman) لا يبقي ريبًا في الامر . فانهُ في آخر السنة المنصرمة احصى عدد المجانين الذين في المستشفيات العموميَّة فكان عددهم ٧١,٥٤٧ فقدوا عقولهم لعلل شتى لكنَّ معظمهم قد اصيبوا بهـذا الداء العُضال لادمانهم على المسكرات وهم يبلغون ٩,٩٣٢ بين ذكور واناث فيكون عـددهم

بالنسبة الى المجموع نحو ١٤ في المئة. وناهيك بهذا العدد دليلًا لامعاً على سوء مفعول المشروبات الروحيَّة في اشرف قوى الانسان المميّزة لهُ عن العجماوات

﴿ الكروبات ودواجن البيوت ﴾ في اكثر بيوت الخاصة حيوانات داجنة كالقطط والكلاب وبعض الطيور المطربة الاصوات. وهذه الحيوانات تعيش في صحبة الانسان تألفهُ ويألفها ويحنُّ عليها ولا حنان الامّ على ولدها . ومما تقرَّر اليوم لدى الاطبَّاء وعلماء الطبيعة انَّ هذه الحيوانات تنقل للانسان عدَّة امراض وبيئة من حيث لا يدري . وسبب ذلك انها تتجوَّل في البيوت وخارجاً عنها وتدخل في امكنة تكثر فيها الميكروبات وتألف حيوانات أُخرى موبوءة فتعود الى بيوت اصحابها وفيها جراثيم امراض عديدة فيمسُّها اصحابها ويحملونها في حجورهم ويقبّلونها فينالهم بذلك شيء من جراثيمها. وقد عدَّد آخرًا الدكتور بلانشار (R. Blanchard) ستين حادثًا من داء الدودة الوحيدة كان اصلها ملامسة كلاب او قطط داجنة. وكذلك الخناق فانَّ الدكتور المذكور بيَّن بشواهد عديدة انَّ هذا الداء اصاب اطفالًا صغارًا بواسطة الحيوانات البيتيَّة. فعلى اصحاب البيوت اذن ان يراقبوا حيوانات البيت ويحسنوا غسلها ولا يدعوا اولادهم يبالغون بالفتها

﴿ الاوتوموبيل وصحَّة راكبيه ﴾ قد شاع استعمال الاوتوموبيل شيوعاً غريباً حتى كادت هذه العجلات تغلب على سواها في انحاء اوربَّة وحواضرها . ففي لندن وحدها بلغ عدد ركاب الاوتوموبيل ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠ في السنة الماضية. وكان الاطباء يتسآلون عن تأثيرها في صحَّة راكبيها الذين يقطعون فيها مسافات بعيدة مدَّة بضعة أيَّام. فكان البعض لا يرون موافقتها لصحَّة الضعفاء الدم والمصابين بالهزال العصبيّ وغيرهم يستحسنونها فعمد العلامة مونيرات (Mouneyrat) الى فحص الامر بالتدقيق فوجد انَّ دم المسافرين على الاوتوموبيل يغنى بالكرَيّات الحمراء والهيموغلوبين الدالَّة على صحَّة الاشخاص. فعدَّد الكريَّات الحمراء واذا هي قد زادت الى مقدار مليون ونصف بعد سبعة او ثمانية أيَّام على ما كانت في اوَّل السفر وكذلك الهيموغلوبين كانت تتوفَّر بنوع محسوس. وفي الوقت ذاته كانت شهوة الطعام تتزايد والنوم يصبح قانونيًّا منظَّماً . فهذا دليل على انَّ ركوب الاوتوموبيل مفيد جدًّا للصحة ويقوم مقام الصعود الى مشارف الجبال لنظافة هوائها

الجغرافية

﴿ الطواف حول الارض ﴾ لمَّا صنَّف الراوية جول ڤرن سنة ١٨٧٣ كتابهُ المعنون الطواف حول الارض في ٨٠ يوماً حسب القرَّاء روايتهُ الخياليَّة صنفاً من الاقاصيص المستظرفة التي لا تتحقَّق في الواقع الَّا بعد الزمن الطويل. واليوم قد نسي القوم تلك القصَّة واذا ما طالعوها عدُّوا صاحبهـا مقصرًا اي تقصير. وفي أيار الماضي طاف احد ضبَّاط الانكليز حول الارض بنصف هذه المدة والضابط المذكور يُدعى برنلي كمبيل (Burnley Campbell) ابحر من ليڤربول في ٣ أيار راكباً اسرع المراكب الانكليزيَّة الى كندا فبلغ كيباك في ١٠ منهُ وفي يومه ركب قطـار السكة الحديديَّة التي تقطع بلاد كندا على طولها فحلَّ مدينة ڤان كوڤار في ١٤ منهُ ثم نقلته باخرة يابانيَّة الى يوكوهاما فنزلها في ٢٠ أيار وفي غدٍ اقلَّهُ القطار الى تسارتغا فوصلها في ٢٨ منهُ وابحر المساء الى فلاديوستوك فارست السفينة عندها في ٣٠ بعد ان اصابت هناك صخورًا كادت تحطمها وتؤخر الرحَّالة عن سفرهِ. وفي مساء ذلك النهار ركب القطار الذي يمرُّ بخزبين ثم قطع صحاري سيبارية فكان وصول القطار الى اركوتسك في ٤ حزيران والى موسكو في ١٠ منهُ والى ڤرسوڤيـا في ١١ والى برلين في ١٢ وقطع في ١٣ مضيق المَنْش من اوستند فحط عصا التسيار في دوڤر وكان طوافهُ حول الارض دام ٣٩ يوماً و ١٩ ساعة ونصف

﴿ البعثات الجغرافيَّة ﴾ كانت البعثات العلميَّة الجغرافيَّة في هذه السنة اكثر منها في السنين الماضية. فمَّن ساحوا في افريقية المسيو شوڤاليه طاف ساحلهـا الغربي المعروف بساحل العاج وقد تجوَّل في غابات تلك البلاد التي لا تقلُّ مسافتهـا عن ٦٠,٠٠٠ كيلومتر وفيها من الاشجار العاديَّة الغريبة ما يمكنهُ ان يُغني بلادًا واسعـة ومن هذه الاشجـار ما هو عزيز الوجود في بلاد أُخرى تصلح للآنية الثمينة ومنهـا اشجار مثمرة لا توجد في غيرها

ومن بعثات افريقية بعثة الدكتور غوستاف مرتين للبحث عن مرض النُّوام الفاشي في اواسط افريقية في عدَّة بلاد منها. فتعرَّف اسباب المرض واحوال البلاد ومستنقعاتها وهوامّهـا لاسيا الذبابة الناقلة للمرض المعروفة بتساتسي. وجرَّب الادوية في المصابين

بالنوام ووجد انَّ لدواء الاتوكسيل فعلًا شافيًا لذلك الداء وعمَّا قليل سيضع كتابًا موسَّعًا في رحلتهِ ونتيجة ابحاثهِ

وكذلك عاد من اواسط افريقية المسيو فولبورن (Fülleborn) بعد ان ساح مدَّة ثلاث سنوات في جهات نهري نياسًا وروفوما وما بينهما من المستعمرات الالمانية فوصفها احسن وصف وبيَّن طباع اهلها واحوالها الزراعيَّة وغلاَّتها وجبالها وبراكينها ومعادنها وخصوصاً الحديد الذي يكثر في تلك البلاد . وقد وجد فيها حمَّامات طبيعيَّة معدنيَّة تصلح لامراض شتى

وفي هذه السنة انجزت بعثة أُخرى انكليزيَّة ابحاثها في البلاد التي يجري فيها نهر النيجر وتوغَّلت في جهات بحيرة تشاد فدرستها درساً مدقَّقًا من كل وجوهها وقد مُنيت تلك البعثة بدواهي مختلفة وفقدت كثيرين من اصحابها لكنَّها رجعت فائزةً الى انكلترة بعد سنتين

ومن الرحل الموجَّهة الى جهات آسية رحلة الدكتور وركمان (Workman) الذي اراد ان يصعد الى جبال حملايا . وكلٌّ يعرف ان تلك الجبال من اعلى جبال المعمور موقعها في بلاد الهند . وكان اتَّخذ الرحَّالة المذكور قفلًا صغيرًا يتركَّب من دليل وطنيّ وستة حمَّالين ايطاليين وبعض الخدم فرحلوا من بومباي على السكَّة الحديديَّة ثم قطعوا ٣٠٠ كيلومتر على عجلة ثم صعدوا الجبل مدَّة ١٩ يومًا فبلغوا علوّ ١٩,٠٠٠ قدم فلقوا امامهم جبالًا تراكمت عليها الثلوج وغطَّاها الجليد الصلب . ثم واصلوا مسيرهم رغمًا عمَّا وجدوهُ من المشقَّات مستعينين بالآلات والمقاطع والمجارف . وقد وجدوا على علوّ الف قدم الى ١٢٠٠ قدم قبائل من التتر ترعى المواشي وتزرع الزروع وتسكن في سراديب مع قطعانها . وفي علوّ ١٤٠٠ قدم انقطعت عنهم آثار الحيوان الّا بعض الغربان وصنفًا من الحجل البرّي ذي منقار ومخالب حمراء ثم بلغوا الى انجاد متَّسعة كان علوّها ٢١,٣٠٠ واعتلوا الى قمَّة جبل يُدعى « شوغو لُنغما » كان مرتفعهُ ٢٣,٣٩٠ قدمًا وهي اعلى نقطة بلغوها وكان هناك الهواء متخلّلًا لا يكاد الانسان يتنفَّس من سببهِ . ولذلك اضطرُّوا الى النزول بعد ان دوَّنوا كل تفاصيل رحلتهم

٦ً الاثار القديمة

لا نتَّسع كثيرًا في هذا الباب وقد افدنا قرَّاء المشرق حيناً بعد آخر عمَّا يكتشفهُ

ارباب العاديّات · واول ما ينبغي ذكرهُ الآثار الحثيّة التي توفّق الى اكتشافها العلّامة ڤنكلر كما سبق لنا وصفها (٩ : ١١٢٦) · وكذلك اشرنا الى حفريّات تونس النصرانيّة (ص ٥٧٥) · مع ما وجدهُ حضرة الاب ديلاتر من المدافن في قرطجنّة · ثم تناصرت بعد ذلك الاخبار وعلمنا بالمسرَّة انّ الأثريّ المذكور حظي بما هو اجلّ واعظم من ذلك فانهُ وقف على آثار كنيسة ملكيّة ترتقي الى عهد قسطنطين الكبير وفي هذه الكنيسة كان الناووس الذي جُعلت فيهِ ذخائر القديستين برباتوا (خالدة) وفليسيتاس (سعيدة) الشهيدتين اللتين عُرضتا على السباع في السنة ٢٠٣ للمسيح فماتتا في سبيل ايمانهما ميتة مجيدة وكانت خالدة سيدة شريفة وسعيدة أَمتها · وقد قُتل معهما عدد من الشهداء · والاب ديلاتر قد وجد قطع الناووس المذكور مع الكتابة المنبئة باسماء الشهيدتين ورفقتهما · فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع لدى محبّي الآثار النصرانيّة

وقد المحنا ايضاً في العدد السابق الى اكتشافات المسيو كلرمون غانو للآثار الآراميّة في اسوان عند جزيرة أَليفنتين · وقد لقي ما عدا العاديّات الارامية آثارًا اخرى مصريّة غاية في الخطر منها تمثالان كبيران عليهما كتابات مهمّة من عهد تحوتمس الثالث · وكذلك اكتشف معبدًا مزيّنًا بالمسلأت ومحتويًا لموميا عدد وافر من الكبوش المحنّطة والمكفّنة باكفان ذات تصاوير وكتابات غريبة · وكان هناك ايضاً آثار خزفية عليها كتابات ترتقي الى الدول القديمة ومنها ما كان من عهد اليونان ثم الرومان ثم العرب · والمسيو كلرمو غانو سوف يعود الى هذه الدفائن المكنونة ليستخرج ما لم يسمح لهُ الوقت من ابرازهِ — راجع ايضاً ما ذكرنا عن آثار اخرى مصريّة (ص١٤٣)

مطبوعات شرقية جديدة

P. Renaudin O. S. B.: L'ASSOMPTION DE LA S[te] VIERGE (Collection « Science et Religion »). *Bloud et C[ie]*, 1907, pp. 63.

انتقال العذراء مريم

انّ انتقال العذراء الى السماء في نفسها وجسمها لمن الحقائق التي يتّفق فيها النصارى شرقاً وغربًا ولم يشكّ فيها قطّ احد المبتدعين · ولذلك لم ترَ الكنيسة حاجةً

الى اثباتها بسلطتها السامية في جملة العقائد التي لا ينكرها الجاحد الَّا تحت عقاب الخطإ المميت والانقطاع عن شركة المسيحيين . نعم انَّ هذه الحقيقة لا اثر لها في الانجيل الطاهر وفي كتابات الرسل الَّا انَّها مبنيَّة على دعائم متينة واركان ثابتة كالتقليد المتواتر الراقي الى قرون النصرانيَّة الاولى وكشيوع هذا الامر بين فرق النصارى المتباينة هذا فضلًا عن الآثار القديمة والادلَّة العقليَّة التي تزيل ريب كل مرتاب . فنعم ما فعل حضرة الاب البندكتي رِنودان اذ جمع في كتاب صغير الحجم كثير الموادّ ما يختصّ بهذه الحقيقة فنشكرهُ الشكر الحميم ونحضُّ القرَّاء على مطالعة كتابهِ فانهُ يغنيهم عمَّا سواهُ في هذا المعنى ل . ش

Ed. Schuré: SANCTUAIRES D'ORIENT: *Egypte, Grèce, Palestine.* 3ᵉ édit., Paris, Perrin in-12°, VII-436 p.

اقداس الشرق

ان من يطالع هذا الكتاب ينبهر من حسن قالبهِ وبديع انشائهِ وجودة تعبيرهِ فيتأكد ان مسطّرهُ من ارباب القلم المعدودين . الَّا انَّ وراء هذا الثوب القشيب جسمًا سقيمًا وتحت رونق الالفاظ معاني سخيفة . كيف لا وترى للمؤلف مزاعم غريبة واقوالًا مستهجنة تنقض اصدق الحقائق الدينيَّة وتبخس اثبت الحقوق الادبيَّة . فانَّ كاتبهُ تجوَّل في انحاء مصر واليونان وفلسطين لا ليتَّعظ بما يشاهدهُ فيها او ليبحث عن آثارها السالفة بل ليبني على ما صوَّرتهُ لهُ مخيَّلتهُ بناء خياليًّا كلُّهُ وهمٌ وضلال فجاء كتابهُ اقرب الى اساطير الاوَّلين منهُ الى تأليف رجل عاقل ارشدهُ الله الى سواء السبيل ل . ج

A. S. G. Jayakar: Ad-Damîrî's Ḥayât al-Ḥaywân (a Zoological Lexicon) translated from the Arabic, Vol. I, *London, Luzac and C°*, 1906 pp. 876.

ترجمة انكليزيَّة لحياة الحيوان للدميري

ليس في وصف الحيوان عند العرب كتاب اوسع وادقّ من حياة الحيوان للدميري فأكثروا من نسخهِ واختصروهُ وزادوا عليهِ الحواشي . وقد طُبع غير مرَّة في بولاق مصر وفي العجم الَّا انَّ طبعهُ سقيم كثير الاغلاط . ومنهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخةٌ

مخطوطة حسنة. وقد شُغف بهذا التأليف الكولونل جايكار احد اساتذة كليّة بمباي بالهند فنقلهُ الى الانكليزيّة ليقرّب فوائده من الاوربيّين وهذه الترجمة في الغالب مدقّقة الّا بعض الحالّ وجدنا صاحبها شرد فيها قليلًا عن المعنى. ومن المعلوم انّ في تأليف الدميري اشياء كثيرة تُعَدّ اليوم من الخرافات فاهمل المترجم معظمها لئلّا يزيد في حجم الكتاب دون نفع وقد عوّض عن ذلك بفوائد اخرى اعمّ واجلّ فمن ذلك انهُ كتب بحرف عربيّ اسماء الحيوان لئلّا يبقى في رسمها ريب وكذا فعل في الاسماء الغريبة كما انّهُ دوّن المصطلحات العاميّة التي اتّفق عليها العلماء في اللاتينيّة لتعريف اجناس الحيوان. فنحضّ محبّي العلوم العربيّة وآثارهم القديمة ان يقتنوا هذا الكتاب ويقتبسوا من فوائده

ل. ش

Th. G. Pinches: THE RELIGION OF BABYLONIA AND ASSYRIA. («Religions ancient and modern»), *Foolocap*, 8°, 126 pp., 1906, *London*, *A Constable and* C°.

ادبان بابل واشور

انّ التآليف التي يصنّفها كبار العلما لا تصلح في الغالب لعموم القرّاء لتوفّر ابحاثها العويصة التي لا يدركها غير الافراد. ولذلك قد تشكّلت في الغرب عدّة جمعيّات لنشر خلاصة ابحاث العلماء في كل فنّ فمن ذلك شركة انقطعت لتأليف مصنّفات في الديانات التي غلبت على البشر (Great Religions). وهذه التآليف يقوم بها رجال مبرّزون يُحسنون معرفة ما يسطّرونهُ. ومثال ذلك كتاب وضعهُ العلامة بنشس احد علماء الآثار الاشوريّة في اديان بابل واشور جمع فيهِ ما جاء في التاريخ وفي الاكتشافات البابليّة عن دين البابليين وقسّم ذلك الى عدّة فصول بحث فيها عن اصل الدين في تلك البلاد وعن آلهة الاشوريين وخواصّهم وعن الرتب الدينيّة التي اعتادوها. ثم اتّسع ايضاً في تعريف الآثار الدينيّة المتشابهة التي ورد ذكرها في اخربة بابل وفي الاسفار المقدّسة كوحدة الاله وتكوين العالم والحياة الاخرى بعد الموت. وممّا نأخذهُ على الكاتب انهُ يرجّح قول مواطنيهِ دليتش (F. Delitzsch) في انّ ابراهيم الخليل اخذ التوحيد من البابليين وهو قول بلا سند تردّهُ الادلّة العقليّة والنقليّة معاً

س. ر

شذرات

اعلى دار في المسكونة — عمّا قليل تنجز مدينة نيويرك اعلى دار للسكنى تُعرف في العالم يكون علوّها ١٨٦ مترًا وطبقاتها ٤١ يُصعد اليها بست عشرة آلة مُصعدة امّا صورتها فعلى صورة برج مربّع تكسير جوانبهِ ٦٥ قدماً مربعاً. ويكون ثقل الموادّ المستعملة لهذا البناء العظيم ٢٣,٠٠٠ طنّ اعني ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام. وقد جُعلت لهذه الدار دعائم واسناد تقيها من هبوب الرياح وحركات الزلازل وبُنيت حولها ابنية زيادةً في حسنها منها قبّة عالية كمثل قبّة مار بطرس في رومية وكتمثال للحرّية يوفي على البحر علوّهُ ٩٢ مترًا وفي يد التمثال مصباح فخيم يوقد كالمنارة ليلاً

نقل المأكولات المجمَّدة — اصبح نقل المأكولات المجمَّدة شيئًا مألوفًا في كل انحاء اوربّة واميركة. فلو زرتَ كلّ صباح اسواق لندن امكنك ان تبتاع اصناف اللحوم المرسلة من اميركة وبيض روسيّة وزبدة كندا وطيور استرالية وفواكه البلاد الحارّة. وكل ذلك يُرسل في ادوات كبيرة مجمَّدة فتصل الى غاياتها سليمة طيّبة دون ان يؤذيها الحرّ. وفي لندن محطّة كبيرة تُجعل فيهِ هذه المجمَّدات تدعى « ڤكتوريا دوكس » (Victoria Docks) فيها عادة نحو ٤٠٠,٠٠٠ هيكل حيوانيّ من اجناس الحيوانات المأكولة

فلكي شهير — فقدت العلوم الفلكيّة في اوائل تموز احد علمائها المعدودين الاب كرل برون (C. Braun) اليسوعيّ . درس المذكور على الاب سكي الفلكيّ الشهير في رومية ثم وُلي ادارة مرصد كالوتشا (Kalocsa) في المجر فبلّغهُ مبلغ اكبر مراصد اوربّة. ولهُ من التآليف والاكتشافات والرصود المتعدّدة ما نظمهُ في عداد العلماء المبرّزين في عهدنا

الكاوتشوك — قد حسبت احدى المجلات العلميّة جملة ما يُباع في العالم من الكاوتشوك فبلغ في السنة ١٩٠٦ . . . ٦٨,٠ طنّ يستخرج اكثرهُ الاميركيون الذين باعوا منهُ ٤٢,٠٠٠ طنّ. واغنى البلاد بالكاوتشوك البرازيل التي تبلغ غلّتها ٤١,٠٠٠ طنّ يليها بلاد الكنغو وغينية الفرنسويّة وكلتاهما تغلّ ٤,٥٠٠ طنّ ثم انغولا ١,٢٥٠ ثم بوليڤية ١,١٠٠ ثم ساحل الذهب ١٠٠٠ الخ

اسئلة واجوبة

س سأل من مصر حضرة القس الفاضل يوحنا حمصي: ١ً أمقبول هو المجمع التريدنتيني في سوريّة بخصوص قانون الزواج السرّي. ٢ً ان كان مقبولًا عند اللاتين وتزوّج شرقي بابنة لاتينيَّة سرًّا هل يكون الزواج صحيحًا ام لا. ٣ً ايجوز لرجل كاثوليكي عقد زواجهُ لدى الحاكم المدنيّ ان يفسخ الزواج لايّ سبب كان

مسائل قانونيَّة في الزواج

ج لا يخفى ان المجمع التريدنتيني ابرز حكمًا في بطلان الزواج وفسادهِ اصلًا ان عُقد سرًّا دون حضور خوري الرعيَّة وشاهدين لكنَّهُ قضى ايضًا بانَّ هـذا القانون لا ينال سوى الامكنة التي يُعلن فيها هذا الحكم شرعيًّا. والحكم المذكور قد أُعلن في سوريَّة للّاتين وقبلهُ ايضًا الموارنة في المجمع اللبنانيّ. ومن هـذا يتَّضح الجواب على السؤال (الاوَّل). ثم نجيب على (الثاني) انَّ الزواج السرّي اذا وقع بين لاتينيّ يلزمهُ قانون المجمع التريدنتينيّ وشرقيَّة لم يلزمها ذلك القانون والعكس بالعكس لا يبطل زواجهما الذي يُعدُّ صحيحًا لأنَّ صاحب الانعام يشرك زوجهُ الآخر بانعامهِ. نجيب على (الثالث) انَّ زواج الكاثوليكيّ فاسد من اصلهِ فيقتضي فسخهُ ان كان الكاثوليكي مقيَّدًا بحكم المجمع التريدنتينيّ امَّا اذا كان غير مقيد بذلك الحكم فانَّ الزواج المدنيّ كالزواج السرّي ثابت وان خطئ الذي عقدهُ على هذا النمط

س وسأل من غلبون جناب المعلّم يوسف افندي غلبون هل يهلك ابن والدين مسيحيين سهوًا عن عماد ولدهما او اهملاهُ عمدًا فمات دون عماد

هلاك الولد غير المعمَّد

ج نجيب على هذا انَّ الولد ان مات قبل البلوغ لم يحظَ بسعادتهِ الجوهريَّة ورؤيا خالقهِ عزَّ وجلَّ وان لم يُقضَ عليهِ بالعذاب الحسيّ في اليمبوس. امَّا اذا كان بالغًا وعاش عيشة صالحة على مقتضى وصايا الله ووصايا كنيستهِ وهو لا يعلم بعدم عمادهِ فانَّهُ يخلص لأنَّ عيشتهُ تُعَدُّ لهُ بمثابة معموديَّة الرغبة التي تقوم مقام معموديَّة الماء لانهُ مستعدٌّ ان يتمم كلَّ ما يطلبهُ منهُ الضمير لنوال الخلاص (اطلب الصفحة ٣٦٩–٣٧٠)

ل. ش

المشرق

دبرا ليبانوس

او دير قديم في الحبشة العليا

للصيدلي القانوني عبدالله افنـدي ميخائيل رعد

استأذنتُ الحكومة الحبشيَّة فاذنت لي بعـد اللتيا والتي (وبعد استلطاف احد العمَّال !...) بالذهاب لزيارة دير دبرا ليبانوس وهو منسك شهير في الحبشة ومن اقدم الاديرة في الشرق يبعـد عن اديس ابابا مسافة ثلاث مراحل منها الى جهة الشمال الشرقي وندر مَن زار هذا المكان من الافرنج فضـلًا عن السوريين فلذلك خطر لي وانا في تلك الارض ان أُطلع قرّاء المشرق الادباء على احوال هـذا الدير التاريخي وهأنذا اليوم اكتب اليهم هذه العجالة وهي نسخة ما علّقتـهُ على دفتر مجموعتي من الملحوظات التي عاينتها ضنًّا بها فلست اشاء ان تبقى مدفونة حبرًا على ورق في مجموعتي هذه فاقول :

*

دير دَبرا ليبانوس — وبالعربيَّة دير جبل لبنان — منسك قديم في الحبشة العليـا يبعد كما اشرتُ ثلاث مراحل شمالًا شرقًا من عاصمة منليـك وقد استصحبت في رحلتي هذه خريطة الحبشة وبارومترًا وقبلة نامه وما يلزم من الادوات لمدّ الخطوط على الورق ضبطًا لنقطة المحل جغرافيًّا فوجدت — ما لم يكن هناك غلط في عمليَّات حسابي او شطط في المقاييس المذكورة — ان هذا المكان يعلو البحر ٢٧٠٠ متر وموقعـهُ في

٩ْ٢٥' من العرض الشمالي و ٣٧ْ١١' من الطول الشرقي عن هاجرة باريس مع ضرب الصفح عن الثواني في الخطين لعدم اهميتهما . اما الباعث الذي حدا بالاحباش في سالف الزمان ان يدعوا هذا المكان باسم جبل لبنان فهو اولًا تيمُّنًا باسم ذلك الجبل الذي جاء ذكره في نصوص الكتاب الكريم ثم لوجه الشبه بينه وبين جبل الشام من حيث التكوين الطبيعي والهيئة وبرودة الماء والغابة التي تمتدُّ في تلك الجهة اذ معظم اشجارها من نوع يدعى « ذِگبا » من الفصيلة الراتيجيَّة يشبه كثيرًا شجر الارز المشهور فدعوا المكان باسم جبل لبنان لشهرة الارز في هذا الاخير

لا اطيل الكلام في وصف الطريق بين العاصمة وهذا المنسك بل اكتفي بالتنويه الى انَّ المكان قائم على حدود مملكة الشوا وامارة سلالِه فالمرحلتان الأُوليان يجتازهما المسافر في طريق شديدة الوعورة ما خلا بعض السهل ويمرّ في الاولى منهما على مدينة انطوطو العاصمة الحبشية سابقًا وهي على مقربة من اديس ابابا العاصمة الحالية . وفي الثانية يجتاز نهرًا كبيرًا يدعى نهر « دو بر » تجري مياهه في وادٍ عميق فتجتاز مقاطعة الشوا ثم امارة سلالِه ثم مقاطعة گودجام ثم بلاد ولگا وبني شنكول ذات المعادن الذهبية حتى يصبَّ اخيرًا في النيل الازرق . ولا حاجة بي الى القول ان هذا النهر يبدأ صغيرًا ثم تغزر مياههُ رويدًا رويدًا لِما يصبُّ فيهِ على طول مجراه من السواعد كصغار الانهار والاعين والسواقي والسيول حتى يصل الى مصبّهِ في النيل الازرق من جهة بحيرة عباي وقد اصبح نهرًا عظيماً . وهو يحتوي على طول مجراه على انواع التماسيح وافراس الماء . ثم بعد اجتياز هذا النهر يبدأ سهل لا يُرى لهُ اول ولا آخر فيهِ مزارع وحقول ومراعٍ خصبة ومجاري مياه كثيرة العدد وكثيرٌ من القرى المبنية على القمم والروابي حتى ينتهي الطريق الى الدير في آخر هذا السهل

دبرا ليبانوس معقل منيع كان يلجأ اليهِ الاحباش في الاعصر السالفة عند هجوم الامم عليهم فيكونون في مأمن على حياتهم في عهدٍ لم يكن بعد اختُرع السلاح الناري ولم يعرف الاحباش سوى الرماح والعصيّ والحجارة سلاحاً في حروبهم فكان لهم في ذلك المحل ملاذ لا يستطيع دخولهُ العدو ومعتصم حصين ذو مناظر فريدة في العالم كما سأذكر . واول ما جُعل هناك مقام دينيّ في الجيل الثالث عشر على عهد الاسقف الصالح تقلاهيمانوت (ومعناه غرسة الايمان) الذي كان كاثوليكيًا (راجع المشرق ٦ :

٩١٩) مبشرًا رسولًا غيورًا وهو الذي رمَّم الاديرة التي هدمت في الحروب السالفة عند هجوم البرابرة. فهذا الاسقف الشهير اضطرتهُ يومًا نكبات الحروب الداخلية في الحبشة ان يلجأ الى هذا المعقل وتبعهُ جمٌ غفير من الاكليروس فبنوا هناك كنيسة. ولمَّا توفي هذا الاسقف في بلاد تكَره بعد هدوْ الاضطرابات وعودته الى كرسي رعايته نقل الكهنة رفاته الى دبرا ليبانوس واودعوها الكنيسة التي كان قد بناها هناك بكل عناء ومزيد اهتمام في ايام المحن والاضطرابات والخوف والجوع والعري وهناك جرت عجيبة على يده فانهُ اذ كان الشعب الكثير ملتجئًا الى ذلك المعقل هربًا من القبائل المعادية نضب ما كان متجمعًا من ماء المطر في ثقوب الصخور وظمئ القوم حتى كاد يموت عطشًا. فجثا الاسقف تقلاهيمانوت وصلَّى الى الله وصام وتضرَّع فانفجرت في ذلك المحلّ من قلب الصخر بنوع عجيب عين ماء رائق بارد وشرب الشعب وارتوى من ظمإهِ وسبحوا الله

ثم اضحى المكان منذ ذاك العهد مقدسًا يحج اليهِ الى يومنا هذا عموم الحبش من كل فجّ وصوب واكرموا هذا الاسقف بعد موته اكرامًا حتى انهم عدُّوه في مصافّ القديسين وهم يعيدون لهُ يومًا في كل سنة وهو الثالث عشر من شهر «طِرْه» — وهو شهر طوبه القبطي — ويوافق العشرين (او ٢١ في بعض السنين) من كانون الثاني على الحساب الغريغوري ولعلهُ تذكار يوم وفاته او يوم نقل جثمانه الى ذلك المحل. فيتقاطر الاحباش في هذا العيد آتين الى الدير من كل انحاء بلادهم حتى من الجهات البعيدة مسافة شهرين بل ثلاثة اشهر ويعملون في دبرا ليبانوس مهرجانًا عظيمًا. وقد يذهب ايضًا الملك والامراء في بعض السنين لحضور هذا العيد فيكون المهرجان احفل واعظم. وكذلك اصبح الماء مقدسًا يأخذون منهُ الى يومنا هذا حتى الى اقصى الجهات تبركًا وتيمُّنًا وامانةً فيوزعون منهُ في كنائسهم ويسقون منهُ المرضى ويمسحونهم بهِ وكثير منهم يأتون بمرضاهم الى ذلك المكان ليستقوا من الماء ويغتسلوا بهِ طلبًا للشفاء من عاهاتهم وعدد منهم يشفون

وقد زاد بعضهم خرافة على ذلك شأن خرافات الشعوب الجهلاء فشوَّهوا وجه الامانة بهذه الرواية الغريبة. يقولون ان الله تعالى اذ سمع تضرع الاسقف تقلاهيمانوت ارسل اليهِ ماء هو جزءٌ من نهر الاردن وهذا الجزء يجري بنوع فائق العجب في بطن

الارض وصخور الجبال ومياه البحار حتى يصل الى دبرا ليبانوس فينفجر من قلب الصخر وهي خرافة لا يعيرها عِلْية الاحباش اذنًا صاغية بل هم يقولون انهُ ماء مقدس اذ ان انفجاره جرى بعجيبة على يد رجل قديس اكسبتهُ قوَّة الشفاء وهو لعمري قول حق لا يجلب عليهم هزء العارفين كقول الخرافة المذكورة

والمقتدرون من الاحباش ينقلون عظام آبائهم ورؤسائهم وامرائهم وذويهم الى تلك الارض لاعتبارهم اياها مقدسةً · وبعضهم اذا شاخ او طالت مدة مرضه ذهب وقضى بقية حياته على مقربة من ذلك الدير حتى اذا مات دُفنت عظامه في بطن ارض مقدسة · فمن ذلك ان عمة جلالة النجاشي الحالي ولها من العمر ما يقارب المائة من السنين قد هجرت البلاط وذهبت الى هناك حيث تعيش في بيت حقير الهيئة قائم على قمة عالية تطلّ على الدير المذكور مسرورةً تقضي بقية حياتها في ارض مقدسة وتُدفن فيها بعد مماتها وقد اعدت لنفسها قبرًا داخل الدير بجانب قبر اخيها الراس دارگه المدفون هناك · امَّا اطلاق اسم دبرا ليبانوس على هذا المكان فاظنهُ اقرب عهدًا من تأسيس الدير الموما اليهِ ولعلهُ لا يتجاوز مائة سنة

ينتهي بالزائر طريق المرحلة الثالثة الممتدَّة في سهل فسيح كما اشرنا فيرى عن بُعد طودًا شامخًا ينطح بقمته القبَّة الزرقاء منتصبًا امامه كالسور المنيع او كالقلعة الحصينة حتى اذا ما قاربت الطريق النهاية ترجَّل عن دابته ودخل حالوصًا (اي سردابًا مكشوفًا) منقورًا وسط الصخور متحدّرًا حتى يكاد يهوي الداخل فيهِ لقوة تحدّره وتزلق رجله لملاسة ارضه · ثم يعبر من هناك الى مكان آخر منبسط الارض كثير الصخور والاشجار بهِ عددٌ من البيوت المعرّشة والمضارب هي مساكن الزوَّار فيضرب هو ايضًا في ذلك المحل سرادقه وبعد ان يكون اخذ قسمًا من الراحة واكل شيئًا من الزاد ينهض لزيارة الدير

لا يقطع الزائر عن مضربه خطواتٍ قليلة حتى يقف مندهشًا مذهولًا لِما يتجلَّى امامه من هول ذلك المنظر المخيف · يقوم على حافة صخرة ضخمة فيكشف الوادي الذي تحته حيث المنسك والكنيسة وقبور ذات ابنية عالية هي مدافن الملوك والامراء الاحباش · يرى عن يمينه النهر يسقط باجمعه الى ذلك الوادي شلَّالًا يتجاوز علو انحداره ثلاثمائة متر فيهبط في بركة تكوَّنت هناك بفعل شدة هبوط الشلال مع مرور

الزمان فتزبد مياههُ وترغي ثم تسير سيرًا سريعًا على عرض الوادي حتى تهبط ايضاً من جهته الأُخرى شلالًا ثانيًا على وادٍ آخر اكثر عمقًا من الاول حيث يجري نهر كبير يحدّ المنسك من تلك الناحية وبعد الوادي ينتصب ذلك الطود الشامخ الذي شاهدناه عن بعيد قبل وصولنا الى الدير. فيا لهُ من منظر مخيف ويا لهُ من معقل طبيعي حصين ندر وجود معقل آخر يماثلهُ بالمناعة. يقف الزائر هنيهة متأملًا في تلك البقعة العجيبة مُطرقًا بنظره الى اسفل الوادي فتصغر الارض في عينيه وتتراءى لهُ اشعة الشمس كانها دخان متصاعد. يرى الجبال تحدق بالمنسك إحداق الهالة بالقمر او السوار بالمعصم مستقيمة الصخور كانها قُدّت بالمقطع بل كانها نُشرت بالمنشار فيتساءل كيف السبيل الى ولوج هذا الحصن وباية طريق يستطيع الانحدار

قادني رفقتي الى جهة الشرق وانحدر نصفهم امامي في سلّم ضيق نحته مرور الارجل في كرور السنين وهو ينطلق من صخرة الى صخرة فوقفتُ متسائلًا مستشيرًا نفسي في هل اتجرأ على اتباعهم خوفًا من ان تزلق بي القدم فاهبط في تلك الهاوية العميقة. وكان من تقدمني من رجالي ينزلون بعض السرعة كانهم الطراند ثم يلتفتون الخطوة بعد الخطوة اليَّ ويصرخون ان «هلمَّ ولا تجزع» وكذلك فعل من تخلّف منهم معي واشاروا عليَّ ان اقلع احذيتي من رجلي خوفًا عليَّ ان تزلق بي القدم ففعلت كما قالوا لكني ابقيت الجوارب زيادةً في الحرص ولعدم استطاعتي ان اسير نظيرهم حافي الرجلين ثم تبعت من تقدَّمني وتبعني الذين تخلفوا معي فكنت تارةً اتشبث بجذوع الاشجار الممتدة بين الصخور واخرى بروءوس تلك الصفا وطورًا اجلس واتقدَّم زاحفًا وجماعتي تنشّطني وتمسك بيدي حتى انتهينا بالسلامة الى قعر الوادي حيث المنسك

(ستأتي البقية)

المناهج في وصف المباهج

لحضرة القس الفاضل جرجس منش الماروني الحلبي (تتمة)

٦ في ابواب الكتاب

افضل الامام العظيم والمحسن الكريم السيد جرمانوس فرحات في جعلهِ هذا الكتاب الفريد في جملة كتب المكتبة المارونية واضاف الى فضلهِ فضلًا آخر في تصديرهِ لهُ بفهرس مطوّل يقرّب منالهُ من مريدي فوائدهِ فالخِصهُ عنهُ اتساعاً في وصف محتوياتهِ وتمهيدًا لما يأتي من معارضتهِ بغيرهِ من اشباههِ. واعلم ان ما يتخلّل الفصول من الارقام انما هي ارقام صفحات النسخة السابق وصفها

(معناهُ تأَخُّر رجب الى شعبان ومحرم الى صفر في سني الكبس (١ وفي رأي المؤلف ان العرب تعلمهُ من اليهود) والسنين المشهورة (١٨٢). الباب ٨ في فصول السنة وازمنتها (١٨٨) ما ذهب اليهِ العرب في ترتيب فصول السنة (١٩٠). البـاب الـ ٩ في ذكر مواسم الامم واعيادهم

الفن الثاني في الارض وما يتعلق بها (٢٠٢). الباب الاول في مبدأ خلق الارض وهيئتها (٢٠٩) الاقاليم (٢١٢). الباب الـ ٢ في ذكر الجبال والمعادن (٢٣٢). الباب الـ ٣ في البحار والجزائر (٢٣٣) تقسيم البحار. انواع الجزائر (٢٤٥). الباب الـ ٤ في ذكر العيون والانهار (٢٥٧). الباب الـ ٥ في ذكر اسباب من سكن المعمور (٢٥٩) الكلدان واليونان والروم والافرنج والقبط والعرب والترك والهنـود والاكراد والفرس والبربر والسودان والصقالبة (٢٩٠). الباب الـ ٦ في ذكر البلاد ونواحيهـا وما ملك المسلمون منها (٣٤٢). الباب الـ ٧ في طبائع البلاد واخلاق من سكنهـا من العباد (٣٤٧). الباب الـ ٨ في المباني التي بقي اثرها ووعظ خبرها (٣٦٨). الباب الـ ٩ فيما وُصفت بهِ المعاقل والمنازل

الفن الثالث في الحيوان وطبـاعهِ (٣٧١). الباب الـ ١ في ذكر خصائص نوع الانسان (٣٧١) شرف نوع الانسان. مبدأ خلقهِ. ما امتاز بهِ وتغاير اخلاقهِ. امكان استبدالهِ الخلق الدني بالخلق السني. (٣٩٩). الباب الـ ٢ في ذكر طبائع ذي الناب والظفر (٣٩٢) كالاسد والببر والنمس (٤٠٤). الباب الـ ٣ في طبائع الحيوان الوحشي (٤٠٥). كالفيل والكركند والزرافة والابل (٤١٣). الباب الـ ٤ في طبـائع الحيوان الاهلي (٤١٤) كالفرس والبغل والحمار والابل (٤٢٢). البـاب الـ ٥ في طبائع الحشرات والهوام (٤٢٤) كالحيات والوَرَل والضب والحرباء (٤٣٣). البـاب الـ ٦ في طبائع سباع الطير وكلابها (٤٣٤) كالعقاب والبازي والباشق والبيدقة (٤٤٣). الباب الـ ٧ في طبائع بغاث الطير (٤٤٤) كالحمام والنمام والببغاء والقبج (٤٥٧). الباب الـ ٨ في طبائع الطير الليلي والهبج (٤٥٧) كالكروان والصدى والبوم ودود القز (٤٦٩).

١) انظر ما ورد عن النسيء (في ٢: ٣٤٦) من بلوغ الارب للسيد آلوسي

الباب الا ٩ في طبـائع حيوان البحر والمشترك (٤٦٥) السمك والرعَّادة والسلحفاة والضفدع وبنات الماء (سيرنيس) وهي من خرافات القدماء

الفن الرابع في النبات وفلاحته (٤٧١) . البـاب الاول في كيفيَّة كون النبات وكميَّته (٤٧٣) قوى النبات ومضارعته الحيوان (٤٨١) . الباب الا ٢ في ذكر ما يوافق النبات من الارضين والسرجين مزدرع مصر (٤٨٢) . منفعة الامطار (٤٨٦) . الباب الا ٣ في فلاحة الحبوب والقطاني (٤٩١) الحنطة والشعير والارز والكتان والقطن الخ (٤٩٩) . الباب الا ٤ في فلاحة البقول (٥٠٠) البطيخ والقثَّا والخيـار والعجور والباذنجان الخ (٥١٤) . الباب الا ٥ في فلاحة النبات الذي لثمره قشر (٥١٤) اللوز والجوز والجاوز والفستق والصنوبر الخ (٥٢٥) . الباب الا ٦ في فلاحة النبات ذي النوى (٥٢٥) النخل والنارجيـل والزيتون والمشمش والخوخ والزعرور والخروب (٥٤٠) . البـاب الا ٧ في فلاحة النبات الذي لا قشر لثمره ولا نوى (٥٤٠) الكرم والتين والتوت والتفاح والكمثرى واللفَّاح (٥٥١) . الباب الا ٨ في فلاحة اصناف الرياحين (٥٥٦) الورد والنرجس والحبق والمنثور (٥٧٤) . الباب الا ٩ في ذكر الاشجار ذوات الصموغ والامنان . . .

هـذا ما امكن اثباته وقد اضربت عن كثير من الفصول خوف ملل القرَّاء الكرام . وفي ذيل الفهرس ما نصُّهُ : « تمَّ هذا الفهرس بيد الحقير في رؤسـاء الكهنة جرمانوس اسقف حلب وذلك في دير سيدة لويزة من جبل كسروان من اعمال بيروت في كانون الاول سنة ١٧٢٨ » اه رحمهُ الله ونفعنا بآثاره

٧ً في حواشي الكتاب

عُني فريق من الكتَّاب بهذا الكتاب النفيس فعلَّقوا عليهِ الحواشي والتعاليق التي لا تخلو من الفوائد العلمية والادبية واللغوية والفلكية والتاريخية والانتقادية على ان الكثير منها يغلب عليهِ الخرافة والباطل اذ تعرَّض كتبتها للزجر والفـال والتنجيم وما شاكل هذه الاباطيل ممَّا يتعلق بعالم الغيب ودون الغيب أقفال لا يفكّها الزجر والفال

ومن هذه الحواشي ثلاث او اربع حواشٍ ادبية ادمجهـا المؤلف او غيرهُ بأثناء الكتاب وميزها عن غيرها بقولهِ (حاشية للمؤلف) ومنها ست او سبع تعليقـات

انتقادية وادبيّة علّقها كاتبها الغفل على هامش الكتاب ويغلب عليها الافادة والخطورة. ومنها حواشٍ عديدة شعرية علمية مصـدَّرة (بحاشية لبعضهم) وقد انبأ الناسخ عن صاحبها حيث قال في (ص٥٣٢) ما حكايتهُ: « هذه الحاشية نظم الشيخ الامام الفاضل العارف بالله تعالى ابي اسحق ابراهيم الغزي الشهير بابن رقاعة نفع الله بعلومهِ وما فيـهِ (اي في الكتاب) من الحواشي على قافية التاء فمن نظمهِ من القصيدة المذكورة (يريد تائيَّتهُ في النبات والاشجار) وغيرها من الابيات التي مكتوب عليهـا حاشية لبعضهم له » اه

ومنها نحو اربعين او خمسين حاشية مطولة مندرجة في خلال الكتاب يشغـل بعضها ثلاث صفحات من الكتاب او اكثر شرح بها معلقها الغفل كثيرًا من اغراض الكتاب العلمية والتاريخة وفي الظن الراجح انها لناسخ الكتاب وهو غفـل ايضاً اخذها عن النووي والنويري وكعب الاحبار وابي اسامـة الباهلي والشريف الادريسي ونصير الدين الطوسي وفخر الدين الرازي وغيرهِ من العلماء المشاهير ومعظمها العظيم من اذكار النووي وتاريخ النويري والسرّ المكتوم في مخاطبة النجوم المنسوب للرازي وهي مميزة عن متن الكتاب بهذا الحرف (حاشية) فقط. ولعل النسخة الموصوفة تنفرد بهذه الحواشي عما سواها

ولا بدَّ من ان اعرض على القراء مثالًا او مثالين من هذه الحواشي:

« حاشية للمؤلف رحمهُ الله قال: ان النفوس يصلحها التنقـل من حال الى حال والتوقُّل على شرفات الشد والترحال للاطلاع على الغرائب والاستطلاع للعجائب وقد قال الله تعالى: او لم يسيروا في الارض فينظروا. وقال سبحانهُ: هو الذي جعل لكم الارض ذلولًا فامشوا في مناكبهـا. وقال تعالى: افلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت والى السماء كيف رُفعت والى الارض كيف سُطِحت... وذكر النبي (صلعم) خطبة قس بن ساعدة بعكاظ وفيها قولهُ: « ان في السماء لخبرًا وان في الارض لعبرًا » فتعيَّن على اللبيب المتبر تتبُّع امر كل مملكة وما هي عليـهِ من المغلّات والهيآت والاصطلاحات وما اشتملت عليهِ من الغرائب والاعجوبات ليعرف اهل كل قُطر ما عليهِ الآخر كانهم يشاهدونهُ عيانًا ويدركونهُ بيانًا ع آخر الحاشية والله تعالى اعلم »

ولا ادري المراد من حرف العين المفرد المثبت هنا ولعلهُ مقتطع من عنوان كتاب او علَم من الاعلام

ومن الحواشي المعزوة للناسخ وهي غريبة في بابها قولهُ:

حاشية ذكر النويري في تاريخهِ في الجزء ١٢ في قصة عيسى (عم) انهُ رُفع اول مرة ثم هبط الى الارض واوصى الحواريين ثم رُفع ثانية قال رفع الله تعالى عيسى لثلث ساعات مضت من النهار فلبث في السماء اياماً قيل سبعة ايام وقيل اربعين يوماً والله اعلم . ثم قال الله : ان اعداءك اليهود اعجلوك عن الوصية والعهد الى اصحابك فانزل اليهم واعهد لهم وأوصهم وانزل على مريم الجدلانية فانها في غار في جبل الخليل وكانت مريم الجدلانية من قرية من قرا (؟) انطاكية يقال لها مجدلا (١ وكانت من اوسط بني اسرائيل حسباً وكانت اجمل نسائهم واكثرهم مالاً وكانت تستحاض فلا تطهر ابدًا . . . فلما ظهر عيسى صلوات الله وسلامهُ عليهِ وشاع ذكرهُ اتتهُ في جملة المرضى ليشفيها فخجلت ان تسألهُ لكثرة الناس حولهُ فجاءت من ورائهِ فستهُ بيدها فزال عنها ما كانت تشكوهُ وظهرت (وطهرت) وتنفقت مالها فيما امرها بهِ من وجوه البر وصارت فقيرة وتبتّلت وتخلت للعبادة وكانت تُعدّ من اصحاب عيسى . قال وامر الله تعالى عيسى ان يامرها ان تجمع لهُ الحواريين وان يستخلف عليهم شمعون وان يفرقهم دعاة الى الله عزَّ وجلَّ في البلاد وان يخبرهم بالعلامة التي تاتيهم من الله . ثم اهبطهُ الله تعالى فاشتعل الجبل نورًا واتتهُ بالحواريين فبلّغهم رسالة ربهم وقال ذلك ان تأتيكم الملئكة في ليلتكم بمنارف فيها نور من نور الله فكل من تناول مغرفة منها فليلحس النور الذي فيها فانهُ يصبح وقد تكلم بلغة القوم الذي بُعث اليهم ويصبح وهو على باب مدينتهم . قال والليلة التي هبط عيسى فيها هي الليلة تدخن النصارى فيها باللبان . قال فلما فرغ عيسى من وصيتهِ للحواريين رفع بعد سبعة ايام وتوفاهُ الله تعالى لثلث ساعات من النهار ثم كساهُ الريش وألبسهُ النور وقطع عنهُ المطعم والمشرب وصار ملكيًّا انسيًّا آخر الحاشية . اه

وهذه خاتمة كل حاشية من الحواشي المدرجة في الكتاب

٨ في اشباه الكتاب

لا تحدّثني النفس ان اتبسّط في ما نضا العرب اليهِ من الركاب في التحصيل وما عانوهُ في التدوين والتأليف وما تركوهُ من كتب موسوعات العلوم مثل ابن احمد الخوارزمي وابي يعقوب السكاكي وابن عروة الحنبلي وغيرهِ من الائمة المشاهير الذين تُعقد على فضلهم الخناصر فان هذا البحث خطير لا يسعهُ صدر مثل هذه المقالة وقد سبقني اليهِ جناب الاديب اللوذعي الامير شكيب ارسلان في مقالته الممتّعة (اتساع التأليف في الاسلام) التي نشرها على صفحات المشرق الاغرّ (٢ : ١٩٣—١٩٧) فليراجعها من شاء

انما اقتصر هنا على ذكر التآليف التي تشبهُ الكتاب الموصوف بمحتوياتهِ وهي عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد الكوفي القزويني المتوفى سنة

١) بل من قرى الجليل من اعمال فلسطين

٦٨٢ هـ ألَّفهُ في زمن مفارقتهِ الوطن . المقالة الاولى في العلويات وفيها ثلاثة عشر نظراً . والمقالة الثانية في السفليات وفيها انظار وفصول . اولهُ : « العظمة لك والكبرياء لجلالك اللهمَّ يا قائم الذات . . » طبعهُ ووستنفلد في غوتنغن سنة ١٨٤٩ والبابي بهامش حياة الحيوان للدميري في القاهرة ١٣٠٥ هـ وترجمهُ بعضهم الى الفارسيـة وطبعهُ في طهران سنة ١٢٦٤ هـ . قال الحاج خليفة : « واختصرهُ بعضهم وسماهُ الدرر المنتقات (؟) من عجائب المخلوقات » . والمعرب عن بعض عجائب المغرب لابي حامد محمد بن عبد الرحمن الاندلسي . اولهُ : « الحمد لله الذي ابدع العالم علماً على توحيدهِ . . » ذكر فيهِ انهُ قد سألهُ بعضهم ان يذكر نسبهُ وبلادهُ وما شاهدهُ من عجائب البلدان فاجاب قال : رأيت ان استمي هذا المجموع المغرب على رواية الكاتب الآنف الذكر . وتحفة العجائب وطرفة الغرائب لعزّ الـدين ابي الحسن عليّ بن ابي الكرم المعروف بابن الاثير الجزري المؤرخ المشهور صاحب الكامل المتوفى سنة ٦٣٠ جمعها من كتب عديدة اولها : « الحمد لله رب الارباب ومنشئ السحاب . . » ورتبهـا على اربع مقالات . وعجائب المخلوقات للشيخ شهاب الدين احمد الحموي . اولهُ : « الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأَرضين . . » ذكر فيهِ انهُ ألَّف كتاباً مشتملًا على الآثار العلويّة والسفلية . قال حاجي خليفة ما حرفهُ : « ثم اورد بعجائب المخلوقات ورتبهُ على فصول وابواب واختصرهُ بعضهم وسماهُ الدرر المنتقاة من عجـائب المخلوقات » . وعجائب المخلوقات موجز عن كتاب القزويني لان مؤلفهُ كان ينقلهُ منهُ اولهُ : « الحمد لله رب الارباب . . » فيهِ بين جد وهزل وملح غريبة ورقيق وجزل والأَولى ان يُعدَّ في جملة الادبيات المنثورة (اه عن ٢ : ١٠٨ وما يليها من كشف الظنون طبعة الاستانة بتصرف وزيادة عليهِ)

ونخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر مجلد للشيخ شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ حطين وبشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٧ اولهُ : « الحمد لله الذي خلق السموات والارض . . » . وهو على سبعة ابواب ككتاب عجائب المخلوقات . طبعهُ مهرن وفارين في بطرسبرج سنة ١٨٦٦ . وكتاب العجائب والغرائب مؤلفهُ مغربي كما قالهُ مترجمه السروري وهو على عشر مقالات : الاولى في العلويات ونظائرها . الثانية في الافلاك . الثالثة في الزمان . الرابعة في السفليـات ونظائرها . الخامسة في العناصر . السادسة في المعادن . السابعـة في النبات . الثامنة في

الحيوانات. التاسعة في القوى. العاشرة في الجنّ (عن ٢ : ٢٨٧ و ٥٩٠ من الكشف بزيادة عليهِ)

ونهاية الارب في فنون الادب في ثلاثين مجلّدًا لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري الكندي المتوفى سنة ٧٣٢ قال: «وما اوردت فيهِ الاغلب على الظنّ ان النفوس تميل اليهِ ورتّبتهُ على خمسة فنون. الاول في السماء والآثار العلويّة والارض والعالم السفلي ويشتمل على خمسة اقسام. الثاني في الانسان وما يتعلق بهِ ويشتمل على خمسة اقسام. الثالث في الحيوان الصامت ويشتمل على خمسة اقسام. الرابع في النبات ويشتمل على اربعة اقسام (وذيّلهُ بقسم خامس من انواع الطب). الخامس في التاريخ ويشتمل على خمسة اقسام. والكتاب يعدُّهُ حاجي خليفة من الكتب التاريخيّة (الكشف ٢ : ٦١٩) والأحق ان يعدّ في جملة موسوعات الفنون

وبقي كتب اخرى اقل مادّة واحط شأنًا من الكتاب الموصوف مثل بلوغ المراد من الحيوان والنبات والجماد للشيخ أبي بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ وخريدة العجائب وفريدة الغرائب لزين الدين محمد بن المظفر المعروف بابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ في البلدان والمعادن والنبات والحيوان وقد عرّض صاحب الكشف باوهامهِ واباطيلهِ الواهية (١ : ٤٦٠) واقف عند هذا الحد خوف الملل ومن شاء التوسع فعليهِ بكشف الظنون وغيرهِ من فهارس الكتب العربيّة

٩ً في معارضة الكتاب

انت خبير ان غالب الكتب السابقة الوصف هي مخاطيط ان لم تكن ملقاة في زوايا الاهمال فهي في حيز العدم ولم ينشر منها في عالم المطبوعات سوى ثلاثة كتب اكثرها تداولًا كتاب عجائب المخلوقات للقزويني فأقتصر على معارضة الكتاب الموصوف بهِ لما بينهُ وبينها من شدة المشابهة تتمة للفائدة وتكملة للبحث المقصود

فالقزويني يكسر كتابهُ العجائب الى مقالتين. الاولى في العلويات ينظر فيها الى الافلاك والكواكب والملئكة وما يلحق بها. والاخرى الى كُرة النار فكرة الهواء فكُرة الارض وما فيها من الاحجار والنبات والحيوان الى غيرهِ من اشباههِ. والكتبي يكسر كتابهُ المباهج الى كتب اربعة: الاولى في السماء ويبحث فيهِ عن الملئكة

والافلاك والكواكب وما يتصل بها . والثلاثة الباقية في الارض ويحصر بحثهُ فيها في الجبال والبحار والمعادن والبلاد والحيوان والنبات الى غيره من نظائره

والقزويني يبدأ بالبحث في الافلاك فالملئكة مثلًا . واما الكتبي فيبدأ بالكلام على الملئكة فالافلاك اعتبار ان البحث عمّا في السماء مقدم طبعًا على ما تحتها فالمباهج في هذا احسن ترتيبًا من العجائب . والقزويني يبحث في القمر والشمس والكتبي يبحث في هذه قبل ذاك علمًا منهُ بان القمر مستمدٌّ من الشمس وهذه اعلى من ذاك وهو ادنى منها فلكًا . فالمباهج افضل وصفًا من العجائب من جهة الفلكيات ايضًا

والقزويني يبحث في النبات فالحيوان اعتقاد ان البحث بالقوة النامية فالحساسة فالعاقلة اولى والكتبي يبحث في الحيوان فالنبات اعتقاد ان الحيوان العاقل فالحساس افضل من النامي فالقزويني ينتقل من قوة كاملة الى اخرى اكمل منها الى ان ينتهي الى الانسان لباب الكمال في المخلوقات والكتبي يبدأ بمجمل القوى ويأخذ بعده في تفصيل كل قوة منها بمفردها فالاول يتدرج من الاخص الى الاعم والآخر عكسهُ وكلا الاسلوبين حسن بيد ان الاول اعرق باساليب الفلسفة . والقزويني يعدُّ البرق والرعد والسحاب والرياح من السفليات والكتبي يعدها (من الآثار العلوية) ويلحقها بعالم الافلاك والكواكب فالمباهج ادقّ حكمًا في المظاهر الجوية وغيرها من الموضوعات كما هو ظاهر

والقزويني يذكر من الاحجار مئة واربعة وعشرين حجرًا واما الكتبي فيقتصر على اثنين وعشرين فقط ويضرب عن حجر القيءْ وحجر الكلب وحجر المطر وحجر الناقة وحجر طارد النوم وحجر مسهل الولادة وما لحق بهذه الترهات التي هي بالاوهام اولى منها بالحقائق . وهو يضرب ايضًا عن منافع امثال هذه الاحجار التي تشفي من لسعة العقرب وتسكِّن الورم وتبرّىءْ القروح وتشفي الصدع وتنفع العيون وتحبب النساء الى ازواجهنَّ الى غير ذلك ممَّا هو معدود من الخرافات ولا حظَّ لهُ من المعارف في شيء فالكتبي اكثر حكمة من القزويني في هذا الباب

والقزويني يذكر من الملئكة هاروت وماروت ومنكر ونكير والحفظة والمعقبات وحملة العرش والسبّاحين . . . ولا شيء من هذا في المباهج . والقزويني ينظر في تشريح اعضاء الانسان من اعصاب واوردة وشرايين وعظام وغيرها ولا ذكر لها في المباهج .

والقزويني ينظر الى القوى النفسانية الظاهرة والباطنة على اختلاف اصنافها وصاحب المباهج يلمّ ببعضها الماماً خفيفاً فهو مقصر من هذه الجهة كما لا يخفى

والكتبي يتطرق في مباهجه الى البحث في طبيعة الارض والمعروف من طبقاتها في عصره ولا شيء من هذا في العجائب. ويذكر شهور العرب والروم والفرس والفرنج والسريان وفي العجائب لا يذكر الّا شهور الامم الثلث الاولى عازياً شهور السريان الى الروم. ويسلسل كلّاً من اولاد نوح سام ويافث وحام ولا شيء من ذلك في العجائب. ويذكر الشعوب الكلدان والفرس واليونان والروم والفرنج والقبط والعرب والبربر والحبش والسودان والترك والاكراد ولا اثر لهم في العجائب. ويذكر البلاد المعروفة بعصره ولاسيما بلاد المسلمين على مقتضى التخطيط الجغرافي ولا شيء من هذا في العجائب. ويصف عجائب المباني كالبرج والخورنق والسدير وايوان كسرى والاهرام وغيرها ولا اثر لذلك في العجائب وعليه فالمباهج اكثر ابواباً من العجائب

والقزويني يحكي كثيراً من الامور عن عجائب البر والبحر والاحجار والطلسمات مما يضرب عنهُ الكتبي في كتابه من حيث هو من باب الحكايات بل الخرافات واذا جاء فيهِ ببعض الشيء منها فمورد من قائلهِ ومذكور على عهدة صاحبهِ وهو في الغالب يعدّهُ من باب « اكاذيب العرب ومزاعم القوم وخرافات القوم » الى غير هذه مما يدل على دقّة نظرهِ وسعة عقلهِ وترفعهِ عن تصديق مثل تلك الترهات فتأمل

وبالجملة ان المباهج اغزر مادة واحسن تبويباً وابعد مرمى عن السخائف والتخاليط من العجائب بل ان كلّ مادة من مواد المباهج اكثر تبسطاً واكثر استيعاباً وادقّ تعريفاً وشرحاً من العجائب وهذا اقصر فصل في حجر اليشب اعارض فيهِ بين قول الكتابين ليظهر لك صحة الدعوى وان يكن قصرهُ لا يفي بالغرض المقصود

قال الكتبي: « اليشب واليشم هما حجران يقرب بعضهما من بعض يتكونان في معدن الفضة من البخرة مقصّرة عن كيان الفضة اما بالزيادة واما بالنقصان في الرطوبة ولا يُدرى ايهما كان [اولًا] واجود اليشم ما كان لونهُ اصفر كلون العاج العتيق يميل الى الزرقة يسيراً هذا هو المعدني ومنهُ المصنوع ما لونهُ ابيض لهُ بريق وصفاء جوهر واشراق يؤتى بهِ من الصين. ومن المصنوع ما لونهُ ازرق في غاية الحسن والصفاء وليس المعدني في شيء من هذه الاوصاف البتة. واما اليشب فمنهُ الابيض والازرق وازرقهُ

مصنوع كما يصنع اليشم » (اه عن باب ٢ من الفن الثاني)

وقال القزويني: « حجر اليشب ابيض مشهور يقال لهُ حجر الغلبة من استصحبهُ لا يغلبهُ في الحرب ولا يحجُّهُ احد ولهذا يجعلهُ الملوك في مناطقهم المرصعة واذا وضعهُ العطشان في فمهِ سكن عطشهُ » (اه عن جزء ٢ ص ٨ من طبعة مصر). وبعد هذا كله لا اخالك من العجب لاهمال المباهج في زوايا النسيان واصابة المجانب كل ذلك الاشتهار والشيوع

١٠ً في انتقاد الكتاب

لا بدَّ من انتقاد الكتاب تتمة لوصفهِ وتفرقةً بين حقهِ وباطلهِ ومعرفة صوابهِ من خطائهِ وصحيحهِ من فاسدهِ فاقدمتُ على وعورة هــذا المسلك وانا لست من طبقة المؤلف الذي فاق وسار ذكرهُ في الافاق وابدع كما شاء في ما تحرَّاهُ من الفنون الشاملة بسيط الارض واديم السماء خشية ان اقصِر في توفية البحث حقَّهُ فارمي بالغرض في الاقتصار على الثناء على الكتاب وعلى واضعهِ فالدينــار تظهر فضيلتهُ من حكّهِ لا من ملاحة نقوشهِ الظاهرة

واول ما يؤخذ على المؤلف متابعتهُ بعض اهل السير والرواة في عزو الرائيَّــة المفتتحة (بربك ايها الفلك المدارُ) الى ابن سينا البخــاري والصواب انها لابن شبل البغدادي ومنشأُ خلطهِ وخاط سواه وحدة الكنية والاسم فان كليهما يكنى بابي عليّ ويسمى بالحسن وحسبك الان من الادلة ان ابا اصيبعة يثبتها للثاني في كتابهِ طبقات الاطباء

ومن هذا وهمهُ في ان جلق هي دمشق. قال في اثناء كلامهِ على تملك جفنــة الغسانيّ: « فلمَّا استوثق الملك بنى جلق وهي دمشق وتنصَّر (١ هو وقومهُ » والصواب ان جلق غير دمشق (٢ وهذه لم يَبنِها احد الغساسنة وقد ابان هذا الامر حضرة العلامة الاب هنري لامنس اليسوعي بما لا مردَّ عليهِ (المشرق ٣ : ٤٣٨ و ٥٧٢ و ٦٥٨)

---

١) اثبت صاحب المشرق نصرانيَّة غسان بما لا مردَّ عليهِ خلافاً لما زعمهُ المكاتب البغدادي في مجلة المقتبس (انظر المشرق ١٠ : ٥١٩ و ٥٥٤)

٢) ليس كل لغويي العرب على ان جلق هي دمشق كما زعمهُ البعض فان مثل ابن سيده في بيت المتنبي «وبركزها بين الفرات وجلّقِ» يقول (جلّق في الشام بقرب دمشق). وكفى بقولهِ حجة لا تدفع

ومنهُ زعمهُ في لون الفلك حيث قال: « ان الفلك في نفسهِ جسم ليس بضياء. وان الشمس والنهار يشرقان عليهِ كما يشرقان على الارض فاذا اشرقا عليهِ وهو مظلم رُأي (رُؤيَ) لونهُ لازورديًّا». وقد استدركهُ عليهِ بعض محشي الكتاب فقال: « لو صحّ هذا القياس لما رُؤي لون الفلك اشد زرقة بالليل ولا شمس ولا نهار» قلت: وفي كلا القولين نظر من جهة جسميَّة الفلك ومن جهة زرقتهِ وفي كل منها آراء ليس هنا محلّ ايرادها. واما علة زرقة الجو فيرتجح اليوم كثيرون انها ناشئة من انعكاس اشعة الشمس الزرقاء على الغبار الجوّي فتأمل

ومنهُ تعقبهُ ابا الريحان البيروني حيث قال: « انهُ يخرج من خليج القلزم خليج آخر يسمى بحر بربرا منسوب الى طائفة من الزنج» قال الكتبي: « وهذا منهُ وهم». على ان الشريف الادريسي وياقوت الرومي وابا الفداء وسواه من جغرافيي العرب يسندون قول البيروني في هذا الخليج والمحدثون على ان المراد بهِ خليج عدن او خليج اجان

ومنهُ زعمهُ بالجن وتصحيحهُ هذر القدماء في وحدة الجن والملئكة « بان الجنّ غير الملئكة مخلوقون من سنخ غير سنخهم وهو النار» الى ان قال: « فان انكر قوم خلق الجن قهرتهم براهين المعقول وحجج القياس من ان الله تعالى انشأ خلق العالم من اربعة اجزاء جعلها اصولًا لمن خلق من العالم الحي الارض والماء والهواء والنار. والعالم نوعان علوي وسفلي والسفلي نوعان خلقهما من جزؤين من الارض وهو ما عليها من الحيوان والثاني من الماء وهو ما فيهِ من السموك وهما هابطان لهبوط الارض والماء وظاهران لظهور اصليهما فاستمرّ القياس فيهما وبقي العالم العلوي جزآن الهواء والنار وقد استقرّ خلق الملئكة من الهواء فاقتُصر معقول القياس ان يكون خُلق الجن من النار لتكون الاجرام الاربعة اصولًا لخلق اجناس اربعة» وفي هذه الفقرة عدة مآخذ وحيث ان المقدمة من القياس فاسدة لزم بحكم الضرورة ان تكون النتيجة فاسدة كما يظهر بادنى تأمل

ومنهُ انكارهُ البرهان الثابت على كروية الارض من « ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع نواحي الارض في وقت واحد بل يُرى طلوعها على النواحي المشرقية من الارض قبل طلوعها على النواحي الغربيَّة وغيبوبتها عن النواحي المشرقية قبل غيبوبتها عن الغربيَّة» وهو برهان لا يختلف فيهِ اثنان وامتراء المؤلف فيهِ في حين انهُ يقرّ بكرويَّة الارض وسيرها من الغرابة بمكان

ومنهُ اعتقادهُ بما يجري مجرى الطلسمات كقولهِ « ان مدينة خبيص من مدن كرمان لا يمطر المطر فيها ابدًا الَّا خارج المدينة » وكقولهِ :« لا يوجد بمدينة حمص عقرب واذا أُخذ من ترابها وُنثر على العقرب ماتت » ومثلهُ « لا يدخل مدينة اعزاز من اعمال حلب حية واذا أُخذ وُنثر من ترابها ماتت لوقتها » الى غيرها من صنفها وهي من اوهام العوام

ومنهُ قولهُ في حظوظ الكواكب وهو بحرفهِ :« زحل حظهُ في الـ ٤ والـ ٨ لانهُ يدل على الارضين والعقارات ... والحزن والموت . والمشتري حظهُ في الـ ٢ والـ ١١ لانهُ يدل على الاموال والنعم ... واصناف السعادات . والمريخ حظـهُ في الـ ٦ والـ ١٢ لانهُ يدل على العلل والمرض ... والسجون . والشمس حظها في الـ ١٠ لانها تدل على العز والقوة والملك ... والزهرة حظها في الـ ٥ والـ ٧ لانها تدل على احوال الاولاد والنساء ... » . وقولهُ في افراح هذه الكواكب وهو بلفظـهِ :« زحل يفرح في الـ ١٢ وآفتهُ في الـ ٦ . المشتري يفرح في الـ ١١ وآفتهُ في الـ ٥ . المريخ يفرح في الـ ٦ وآفتـهُ في الـ ١٢ . الشمس تفرح في الـ ٩ وآفتها في الـ ٣ . الزهرة تفرح في الـ ٥ وآفتها في الـ ١١ ... » . الى غير ذلك من القول بالخير والشرّ والاقبال والادبار المنوطة بالكواكب والاجرام وهي من الاباطيل التي ليس تحتها طائل وصدورهـا غريب عن قلم المؤلف الذي يهزأ بأكاذيب العرب وترّهات العوام ومخرقات اهل الفأل والتنجيم

على ان كل هـذا طفيف والخطب فيهِ يسير بالنسبة الى ضخامة الكتاب وعذر المؤلف اظهر من بيانهِ في عصرهِ وحاشا ان يغض هذا من جانبهِ او يحطّ من رفعـة مقامهِ فان لهُ في جنب كل سيئـة حسنات وقبالة كل زلة بدائع وآيات فلا عجب ان يُغتفر لهُ مثل هذه السيئات بشفاعة الحسنات وما هي بقليلة

١١ في فوائد الكتاب

بقي ان ابسط لدى المطالع ما اتى بهِ المؤلف البارع في كتابهِ الرائع من جليـل الفوائد وجزيل العوائد حتى جاء طبق اسمهِ مباهج الفكر ومناهج العبر . ولا عجب ان حاد عن طرق الصواب في بعض محتويات الكتاب فالجواد قد يكبو والفتى قد يصبو . ولا تُعدُّ الَّا هفوات العارف وتدخل الزيوف على اعلى الصيارف . وانت خبير ان التعقب على الكتب المطولة سهل بالنسبة الى تأليفها ووضعها وترصيفهـا بل ان التعقب على الكتب القديمة بغض النظر عن زمانها الذي كسدت فيهِ بضاعة الادب وقلَّ من ينضي

الى اكتساب المعارف ركاب الطلب ليس هو بالشيء الحسن عند نقّاد هذا الزمن كما لا يخفى على ذوي الاذهان

فالكتاب علمي ادبي. فالقسم العلمي يبسط المؤلف فيهِ كل ما عُرف في عصرهِ من اراء ومعارف العرب واليونان والسريان القدماء في ما له اقل علاقة في بسيط الارض واديم السماء. والقسم الادبيّ يورد فيــهِ كل مستعذب مستملح من نثر وشعر فائق نقي الديباجة متين التركيب عليّ الانشاء لا يخلو من نكتة رائعة او حكمة بالغة الى فِقر اخرى ادبية نادرة في نيران العرب والليالي والايام المشهورة والسنين التي تُضرب بهــا الامثال وغيرها من اشباهها. وبين كلا القسمين لحمة ظاهرة متينة الاواخي لا غبار عليها. وكل هذا قلما اجتمع في كتاب من فنهِ من كتب العرب التي تتداولهــا ايدي القوم في هذه الايام

وتحت ذلك فوائد اخرى عديدة اجدرها واخلقها بالتعريف الفوائد اللغويّة حيث يذكر طائفة كبيرة من الالفاظ اللغويّة والاوضاع العربيّة البحتة في اسماء عالم الكواكب وعالم الارض وعالم الحيوان وعالم الحجار وعالم النبــات. والفوائد الفلكية حيث يبسط معارف العرب في الافلاك والكواكب المتحيرة والثابتة ومن الغريب الماعهُ الى كروية الارض وسيرها قبل غليلاي بسنين عديدة. والفوائد الجيولوجية اذ يروي ما عرفوه من طبقات الارض وبحارها وجزرها وجبالهــا واقاليمها وان غلب عليها القدم فلا تخلو من طلاوة الجديد للباحث العصري. والفوائد الزراعية فيثبت آثار زراعــة الحبوب والبقول والرياحين والاشجار عند العرب والرومان واليونان والسريان. والفوائد النسبية مثــل سلائل سام وحام ويافث طبق ما ورد في الكتاب العزيز وفي اثنائها يثبت اولية الخلق لآدم ويفنّد اصحاب المذهب المخالف. والفوائد التاريخيّة ولاسيما اخبــار العرب والترك والاكراد والصابئة فانهُ لا يشذّ فيها عن مهَرة اصحاب الاخبار والرواة. والفوائد الجغرافيّة بالخصوص جغرافيّة بلاد المسلمين وعلى الاخص جغرافيّة مصر واعمالهــا والاندلس وخططها فانها لا نظير لها في كتب الرحل واصحاب آثار البلاد. وفوائد اخرى مثل اكتشافات العرب في التبّت والصين والهند واليونان واوقيانية والقطبين الجنوبي والشمالي وكل هذا بسطهُ بالطف اشارة دون ان يعتوره ُادنى لبس او اشكال. واقف عند هذا المدى خشية ملل القراء وكفى بهِ تعريفاً بكتاب

بلاد سوريّة في القرن الثاني عشر

وفقاً لرواية ابن جبير

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقيّ

١ تعريف رحلة ابن جبير

في السنة الهجريّة ٥٧٨ الموافقة لسنة الميلاد ١١٨٤ اعني سنتين قبل فتح السلطان صلاح الدين للقدس الشريف حضر من الاندلس رحّالة مسلم ليزور بلاد الشام. وكان السائح المومأ اليهِ يُدعى بابي الحسين محمّد بن احمد بن جبير الكنانيّ (١. كان تقلّد في بلاد المغرب والاندلس المناصب الشريفة وتقلّب في الاعمال المنيفة. فلمّا عاد الى وطنهِ دوّن اخبار سفرهِ الى الشرق (٢. وهذه خلاصة رحلتهِ: ركب ابن جبير البحر في سبتة مقلعاً الى الاسكندريّة على مركب للجنويين فمرّ على جزيرة سردانية فصقلّية فجزيرة اقريطش وبلغ الاسكندريّة بعد ٣٠ يوماً ثمَّ طاف الصعيد ومال الى عيذاب فقطع بحر القلزم الى جدَّة وسار منها الى مكّة فاتمّ فريضة الحجّ ثم زار المدينة ورحل منها الى العراق برّاً فوصل الى الكوفة ومنها الى بغداد. ثم كرَّ راجعاً الى المغرب فمرَّ بالموصل وبلاد الجزيرة الى ان بلغ منبج فدخل سوريّة وزار اولًا حلب ثم وادي العاصي ثم دمشق وصور وعكّة ومنها ابحر الى الاندلس على احدى المراكب الجنويّة

ولا نتعقّب آثار المؤلف في كل رحلتهِ بل نكتفي بما كتبهُ عن سوريّة التي عليها مدار كلامنا. ووصفهُ لها يشغل في الكتاب نحو ٧٠ صفحة ونحن نقصر درسنا على هذا

---

١) من احبَّ مطالعة ترجمة ابن جبير بالتفصيل عليهِ بمقدّمة العلّامة رَيت (W. Wright) الذي تولّى طبع اسفارهِ ومقدّمة المستشرق الفاضل دي غوي الذي جدَّد آخراً طبع هذه الرحلة والى اعداد صفحاتها نشير. وليراجع خصوصاً ما كتبهُ عنهُ العلّامة سكياباريلّي (C. Schiaparelli) الذي نقل رحلتهُ الى الايطالية وسنعود الى ذكر ترجمتهِ. واطلب ايضاً ما كتبهُ المقري عنهُ في نفح الطيب

٢) ثم عاد ابن جبير الى انحاء الشرق فزارها ثلاثاً لكنّهُ لم يروِ في كتابهِ غير اخبار رحلتهِ الاولى

القسم فقط فبيّن خواصهُ وفوائدهُ . وقد صرفنا اليهِ نظرنا بعد المقدسي لانّ بين الكاتبين بونًا عظيمًا في كلامهما عن سوريّة لا يكاد يجمعهما غير وحدة الموضوع . وكان الاول كما سبق القول وطنيًا وكان ابن جبير اجنبيًا غريبًا . كتب المقدسي بصفة جغرافيّ مدقق امّا ابن جبير فانهُ يكتب كتابة الرحّالة الذين يدوّنون كلّ يوم ملحوظاتهِ في محفظتهِ كما أثّرت فيهِ وعملت في قلبهِ . وقد اختلف ايضًا الكاتبان في اسلوبهما وغايتهما ولذلك تجد تعريفهما لبلاد الشام متباينًا وبينهما نحو القرنين . فانّ المقدسي يقصد قبل كلّ من كتابتهِ الافادة والتعليم . امّا ابن جبير فانهُ يتوخى من كتابتهِ بهجة القرّاء وترويح البابهم . وكذلك تجد الاوّل كثير التدقيق محبًا للضبط والايجاز . على خلاف الثاني الذي يطلق العنان الى قلبهِ فلا يحصر نفسهُ في قالب او يقضي عليها بخطّة معلومة فتراه يمزج تفاصيل رحلتهِ بما يعاينهُ ويسمعهُ وربّما ادمج وصفهُ بالاخبار والماجريّات التي جرت أبّان رحلتهِ او نقلها عن الرواة . كما فعل بذكر صلاح الدين (ص ٣٠٠–٣٠١) . فانهُ يروي عنهُ امورًا باعثةً عن ذلك الملك العظيم الذي كان يحاصر حينئذٍ حصن الاكراد

وكلا الكاتبين يدّعي مع ذلك انهُ لا يروي غير ما شهدهُ بالعيان . على انّ المقدسي يشمل في وصفهِ كل انحاء سوريّة بينما يقتصر ابن جبير على ذكر الامكنة التي احتلّها في سفرتهِ وان كانت تلك الامكنة ليست قليلةً لأنّ الرحّالة تفقّد معظم مدن سوريّة الشهيرة في زمانهِ اللهمّ الّا جهات فلسطين وربّما زاد في اوصافهِ لمدن الشام امورًا وفوائد جغرافيّة فاتت المقدسي او ضرب عنها صفحًا

وممّا نبّهنا اليهِ الخواطر في كتاب المقدسي فانتقدناهُ عليهِ استعمالهُ احيانًا للسجع في اوصافهِ . لكنّ المقدسي في ذلك لا يتجاوز حدود كَتَبة زمانهِ ولا يبالغ كثيرًا . امّا ابن جبير فانّ السجع يغلب على انشائهِ فيواصلهُ في صفحات متتالية . ومن المعلوم انّ السجع يؤدي بصاحبهِ الى حشو الكلام والى استعمال الغريب والى التصنّع فيبتعد الكاتب عن طرائق الكتابة الساذجة المألوفة ويبدلها بالمعاني المستغلقة والتعابير المستبهمة وكان السجع قليلًا في عهد الجاهليّة وفي قرون الاسلام الاولى ثم تكاثر بانحطاط فنون الكتابة . وما نقولهُ بالاجمال يصحّ في سجع ابن جبير ألا ترى مثلًا كيف وصف مدينة حلب بما يشنّف اذن السامع دون ان يجديهُ نفعًا كبيرًا في معرفتها قال (ص ٢٥٠) :

« بلدة قدرها خطير . وذكرها في كل زمان يطير . خطّابها من ملوك كثير . ومحلّها من

النفوس اثير. فكم هاجت من كفاح. وسلّت عليها من بيض الصفاح. لها قلعة شهيرة الامتناع. بائنة الارتفاع. معدومة الشبه والنظير في القلاع. تنزّهت حصانةً ان تُرام او تستطاع. قاعدة كبيرة. ومائدة من الارض مستديرة. . . »

الى آخر ما هناك من الكلام المسجّع (اطلب نخب اللح ٣ : ٩٠) الذي ليس تحتهُ كبير امر. ومثلهُ في وصف بساتين دمشق (ص ٢٦٠):

« ظلّ ظليل. وماء سلسبيل. تنساب مذانبهُ انسياب الاراقم بكلّ سبيل. ورياضٌ يحيي النفس نسيمها العليل. تتبرّج لناظريها بمجتلى صقيل. وتناديهم هلمّوا الى معرّس للحسن ومَقيل. قد سئمت ارضُها كثرة الماء. حتى اشتاقت الى الظماء. فتكاد تناديك الصمّ الصلاب. اركض برجلك هذا مغتسل باردٌ وشراب. قد احدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر. . . »

وممّا يستحبّهُ القارئ في مطالعة رحلة ابن جبير كما في اخبار الاسفار عموماً انَّ كاتبها يشير الى خواطر نفسهِ ويترجم عن احوالهِ الشخصيَّة وشواعرهِ لدى معاينتهِ الآثار والبلاد فمثال ذلك انهُ اذا رأى بلداً في الشام تذكَّر نظيرهُ في الاندلس وقاس ذلك بهذا لما يجد فيهما من الشبه. كما فعل بحمص التي ذكَّرتهُ اشبيلية. قال (٢٥٨):

« وتجد في هذه البلدة عند إطلالك عليها من بُعد في بسطها ومنظرها وهيئة موضوعها بعض شبه بمدينة اشبيلية من بلاد الاندلس يقع للحين في نفسك خيالهُ وبهذا الاسم سُمّيت في القديم وهي العلّة التي اوجبت نزول الاعراب اهل حمص فيها حسبما يُذكر وهذا التشبيه وان لم يكن بذاتهِ فانهُ لمحةٌ من احدى جهاتهِ »

ولهُ قول كهذا في قنسرين وهو يعارضها بجيّان الاندلس (ص ٢٥٤):

« وتشبهها من البلاد الاندلسيَّة جيَّان ولذلك يُذكر انَّ اهل قنَّسرين عند استفتاح الاندلس نزلوا جيَّان تأنُّساً بشبه الوطن وتعلُّلًا بهِ مثل ما فُعل في اكثر بلادها حسب ما هو معروف (١ »

هذا وانَّ في انشاء ابن جبير تعابير والفاظ تفرَّد بها تُشعر بأَصلهِ المغربيّ. وفي النصوص التي نثبتها عنهُ دليل على ذلك

ومهما كان الامر من محاسن ابن جبير ونقائصهِ فانَّهُ لمقرَّر انَّ هذا الكاتب احد

١) اطلب معجم البلدان لياقوت (٢ : ١٠٥-١٠٦) ولهُ ملاحظة كهذه

ارباب القلم يعتبره المستشرقون اعتبارًا عظيمًا . قال العلّامة رورخت في كتابهِ المعنون مكتبة جغرافيي فلسطين (١ : « انّ رحلة ابن جبير غاية في الخطر لمعرفة بلاد الشام ». وقد ادرجت جمعيّة الكتابات والفنون في باريس قسمًا كبيرًا من هذه الرحلة في مجموع مؤرخي الحروب الصليبيّة الشرقيين (٢ لِما أُودع الكتاب من الفوائد التاريخيّة عن الامور الجارية في زمانهِ . وقال الاستاذ سكياپارلّي في مقدّمة ترجمة ابن جُبير انهُ « اذا قوبل بينهُ وبين غيرهِ من رحّالي العرب كالمقدسي وابن بطوطة وغيرهما لا يوجد ابن جبير دون احد منهم في شيء من حيث الضبط والدقّة وحسن الاسلوب وخطر الامور المدوّنة » هذا ما قالهُ سكياپارلّي وحكمهُ صوابٌ وان كنّا نرى انّ المقدسيّ اعلى طبقةً من ابن جبير . لكنّنا نقدّر ايضًا ابن جبير قدرهُ كما اقرّ بفضلهِ ابن بطوطة وغيرهُ ممّن استشهدوا بهِ ونقلوا عنهُ

وممّا افادنا ابن جبير تعريفهُ لاحوال اهل الشام ووصفهُ لعاداتهم كما لحظها في تجوّلهِ بينهم فدوّن ملحوظاتهِ فيها وبما انهُ كان غريبًا تجدهُ يتسع في بيان امور لا ينصرف اليهِ نظر اهلها ولولاهُ لجهلناها تمامًا . فمن ذلك عدّة اشياء ذكرها في دمشق قد اخنى عليها الزمان منذ زمن طويل كالبنكام الذي رآهُ هناك (ص ٢٦٩—٢٧٠) وكقبّة النسر التي وصف خصائصها (ص ٢٩٣) واستغرب حجارتها فقال :

« وفي الجدار حجارة كل واحد منها يزن قناطير مقنطرة ولا تنقلها الفيَلَة فضلًا عن غيرها فالعجب كلّ العجب من تطليعها الى ذلك الموضع المفرط السموّ وكيف تمكّنت القدرة البشريّة فسبحان من ألهم عبادهُ الى هذه الصنائع العجيبة ومعينهم على التأتي لما ليس موجودًا في طباعهم البشرية ومظهر آياتهِ على يد من يشاء »

فليت شعري ما عساهُ كان قال ابن جبير لو رأى حجارة بعلبك او عاين هيكلها العجيب الّا انّ مسيرهُ لم يؤدِّ بهِ الى تلك المدينة (٣

١) اطلب Rœhricht: *Bibliotheca Geogr. Palæstinæ*, p. 42

٢) اطلب Historiens des Croisades, III, 442-456

٣) ذكر ابن جبير بعلبك (ص ٢٥٨) مرّة واحدة دون وصفها وألحق بذكرها قولهُ « اعادها الله » كانهُ ظنّ انها في ايدي العدوّ . وهو وهمٌ ظاهر لانّ بعلبك لم تحصل قطّ في حوزة الفرنج

٢ سوريّة وابن جُبير

رأيتَ في الفصل السابق الطريقة التي توخّاها ابن جبير في تسطير رحلتهِ وما ضمّنها من الفوائد . فبقي علينا ان نرافقهُ في سياحتهِ في بلاد الشام فنلتقط بصحبتهِ بعض المعلومات عن سوريّة في مختتم القرن الثاني عشر ولا غرو فانَّ دليلنا فكهُ النفس متوقد الذهن فيبهج رفقتهُ ويفيدهم معاً

بعد ان اجتاز ابن جبير بلاد الجزيرة قطع الفرات فكان اوَّل ما لقيهُ في وجههِ من بلاد الشام منبج . فاحسَّ السائح بجواد قلمهِ يُركض فاسترسل في وصفها بالسجع كمألوف عادتهِ (ص ٢٤٨) ولم يذكر من خواصها الَّا النزر القليل ممَّا لا يُشفى بهِ العليل ولا يُروى الغليل . ثم سار من منبج الى حلب فوصفها وصفاً طويلًا روينا شيئاً من الفاظهِ المبهرجة . وألحق هذا الوصف باشتقاق اسم حلب فقال (ص ٢٥١) :

« كانت قديمًا في الزمان الاوَّل ربوة يأوي اليها ابراهيم الخليل بغُنَيمات لهُ فيحلبها هنالك ويتصدَّق بلبنها فلذلك سُمّيت حلب والله اعلم »

وهذا الاشتقاق في الغرابة بمكان ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٠٤) مرتابًا في صحّتهِ وقد زاد عليهِ ابن بطوطة ما هو اغرب فجعل بدلًا من الغنم بقرةً شهباء قال : فكان اذا حلبها ابراهيم قيل « حلبَ ابراهيمُ الشهباء » . وليس في كل هذه الاشتقاقات كما ترى ذرَّةٌ من الصحّة وانَّما هي مشابهات لفظيَّة لا طائل تحتها . ومثلها اشارة ابن جبير الى اشتقاق اسم حماة من حَمَى يحمي (ص ٢٥٥)

ومن ملحوظات ابن جُبير في مسيرهِ من حلب الى دمشق (ص ٢٥٤) انَّ « خانات هذا الطريق كأنَّها القلاع امتناعاً وحصانةً وابوابها حديد وهي من الوثاقة في الغاية » وكفى بهذا دليلًا ناطقًا على احوال بلاد الشام في عهدهِ . وقد كرَّر الرحَّالة مثل هذا القول غير مرَّة اطلب مثلًا قولهُ في خان السلطان (ص ٢٥٩)

ثم يذكر ابن جبير في طريقهِ من حلب الى حماة « جبل لبنان » على حسب عادة الاقدمين الذين كانوا يطلقون هذا الاسم ليس فقط على لبنان الحالي بل ايضاً على جبال النصيريَّة الواقعة في شمالهِ (١ وجعل في سفح هذا الجبل (ص ٢٥٥) « الملاحدة

١) اطلب كتابنا تسريح الابصار (ج ٢ : ٣-١٠)

الاسماعيليّة » وذكر شيئاً من بدعتهم . امّا لبنان الحالي فقد عرّفهُ ابن جبير بما حرفهُ (ص ٢٨٧):

« وهذا الجبل من اخصب بلاد الدنيا فيهِ انواع الفواكه وفيهِ المياه المطّردة والظلال الوارفة »

واضاف الى قولهِ ما يؤيد قول المقدسيّ في العبّاد المتقطعين الى الله في لبنان فقال: « وقلّ ما يخلو من التبتيل والزهادة »

ثم مرّ ابن جبير في رَستن (ص ٢٥٧) فاشار الى آثارها العظيمة وتخريبها على يد عُمر بن الخطّاب ثم قال: « ويذكر القسطنطينيّون انّ بها اموالًا مكنوزة والله اعلم» وقولهُ هذا صدى لمزاعم العامّة في كل زمان عن المطالب والدفائن المكنوزة في الاخربة القديمة وهو شائع في انحاء سوريّة الى عهدنا هذا وربّما صدّقهُ الجهّال فاخربوا بسببهِ عدّة آثار جليلة حطّموها طمعاً في ما تحتها من الكنوز المرصودة على زعمهم

وممّا اثنى عليهِ في حمص محاسن بساتينها وطيب هوائها وذكر قبر خالد بن الوليد ثم قبر ابنهِ عبد الرحمان الذي اشبه اباهُ بجليل اعمالهِ. واضاف اليهما قبر عبيد الله (١ ابن عمر الذي قُتل في صفّين. ويؤخذ من قول ابن جبير انّ جثّة عبيد الله نُقلت الى حمص بعد موتهِ. وكانت حمص على عهد ابن جُبير فقدت كثيرًا من محاسنها كما لحظ الكاتب حيث قال (ص ٢٥٨):

« واسوار هذه المدينة في غاية المتانة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة الصمّ السود وابوابُها ابواب حديد سامية الاشراف هائلة المنظر رائعة الاطلال والإنافة تكتنفها الابراج المشيّدة الحصينة وأمّا داخلها فما شئت من بادية شمثاء خلقة الارجاء ملفّقة البناء. لا اشراق لآفاقها. ولا رونق لاسواقها. كاسدة لا عهد لها بنفاقها »

ثم واصل المسافر سيرهُ من حمص الى دمشق. وكانت الطريق بينهما قليلة العمران كما في ايّامنا اللهمّ الّا ثلاث او اربع قرى التي احتلّها كقارة التي لم يجد فيها غير النصارى (ص ٢٥٩) والنبك. وبعد اجتيازه في خان السلطان فثنيّة العُقاب فقُصَير دخل الفيحاء فاطلق العنان لقلمهِ في وصفها. وقد اتّسع في ذكر محاسنها واطنب ايّ اطناب ولولا

١) هي الرواية الصحيحة وليس كما روى الاستاذ سكياپارلي في ترجمتهِ الايطالية غير مرّة « عبد الله » فانّ عبد الله بن عُمر مات وقبر في مكّة كما اتّفق عليهِ كافة المؤرخين

مبالغتهُ في السجع لقلنا انَّ كلامهُ من اوفى ما جاء في بيان صفاتها لا نستثني من ذلك الّا بعض الكتب الخاصَّة التي وُضعت في فضائل دمشق. ودونك ما روى عن بعض ابنيتها قال (ص ٢٨٣):

« وبهذه البلدة نحو عشرين مدرسة. وبها مارستانان قديم وحديث والحديث احفلهما وأكبرهما وجرايتهُ في اليوم نحو الخمسة عشر دينارًا ولهُ قَوَمَة بايديهم الأزمَّة المحتوية على اسماء المرضى والنَّفَقات التي يحتاجون اليها في الادوية والاغذية وغير ذلك والاطبَّاء يبكّرون اليهِ في كلّ يوم ويتفقّدون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلحهم من الادوية والاغذية حسبما يليق بكل انسان منهم والمارستان الآخر على هذا الاسم لكنَّ الاحتفال في الجديد اكثر. وهذا القديم هو غربيّ الجامع المكرَّم. وللمجانين المعتقلين ايضًا ضربٌ من العلاج وهم في سلاسل موثقون نعوذ بالله من المحنة وسوء القدر »

وفي كتاب زبدة كشف الممالك (ص ٦٥) ما يشبه هذا الوصف في مارستانات دمشق

وممَّا يجدر بنا ذكرهُ الميقاتة اي الساعة التي كانت على باب جيرون اثبت المشرق سابقًا (٣: ٩٨٥) كلامهُ فيها وهي من عجائب ذلك الزمان

ولولا ضيق المكان لاثبتنا شيئًا ممَّا ذكرهُ ابن جبير عن الجامع الكبير الذي اتَّسع في وصف ارخامهِ الملوَّنة وبلاطهِ المذهَّب المنقوش بالفصوص البديعة وكانت الفسيفساء تزين جدرانهُ الخارجة المتَّصلة بصحنهِ (ص ٢٦٨) فكانت اشعَّة الشمس تصيبها وتنعكس الى كل لون منها فيأخذ منظرهُ بالابصار

وممَّا يزيد بهِ انذهال القارئ وصفُ ابن جبير لمساجد اخرى عجيبة البنيان بديعة النقوش والارخام وجدها في قرى الغوطة فافاض في محاسنها

ثم تابع ابن جبير مسيرهُ من دمشق الى عكَّة (ص ٢٩٨—٣١٠) مارًّا بداريَّة ثم بانياس ثم وادي تبنين بين حصنَيْ هونين وتبنين حتى بلغ ساحل الشام. ووصفهُ لطريقهِ غاية في الظرافة والاعتبار يصوّر احوال ذلك الزمان تصويرًا بهيًّا ويمثّل للعيان ما كان يجري في انحاء الشام من الامور الخطيرة. وكان ابن جبير في صحبة قفل من التجَّار يسيرون بامان في بلاد العدوّ لاتّفاق لطيف جرى بين الفريقين ترويجًا لسوق التجارة ولطفًا بالعباد (١ وهذا لعمري دليل على ترقي التمدّن في ذلك العهد وفيهِ عبرة

١) ولابن جبير في هذا المكان عدَّة تفاصيل وبيان عادات مألوفة تُحيل القرَّاء الى مطالعتها لما تتضمَّن من الفوائد لتعريف احوال ذلك الزمان

لاهل زماننا الذين لم يتمكَّنوا من صيانة حقوق التجارة في وقت الحرب رغماً عمَّا اقاموه من موتمرات السلم

ولابن جبير كلام حسن في وصف صور نثبتهُ هنا ليتمكَّن القارئ من المقابلة بينهُ وبين وصف المقدسيّ (راجع الصفحة ٦٩٠) قال (ص ٣٠٤):

« امَّا حصانتها ومنَعتها فاعجب ما يحدَّث بهِ وذلك انَّها راجعة الى بابين احدهما في البرّ والآخر في البحر وهو يحيط بها الَّا من جهة واحدة فالذي في البرّ يُفضَى اليهِ بعد ولوج ثلاثة ابواب او اربعة كلّها في ستائر مشيدة محيطة بالباب. وامَّا الذي في البحر فهو مدخل بين برجين مشيدَين الى ميناء ليس في البلاد البحريَّة اعجب وضعاً منها يحيط بها صور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق بها من الجانب الآخر جدار معقود بالجصّ فالسفن تدخل تحت السور وترسي فيها وتعترض بين البرجَين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج فلا مجال للمراكب الَّا عند ازالتها وعلى ذلك حرَّاس وأُمناء لا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج الَّا على اعينهم فشأن هذه الميناء شأن عجيب في حسن الوقع. ولعكَّة مثلها في الوضع والصفة لكنها لا تحمل السفن الكبار حمل تلك وانَّما ترسي خارجها والمراكب الصغار تدخل اليها فالصوريَّة اكبر واجمل واحفل »

وبقي ابن جبير في عكَّة حتى اقلعت منها سفينة جنويَّة عادت بهِ الى المغرب. وكان الركَّاب أَلفَين وليس هذا العدد مفرطاً ونحن نعلم انَّ بعض السفن الحربيَّة كانت تحمل ١٢٠٠ جنديّ ما عدا الخيل. ومنها ماكان يركبها الزوَّار في عدد ١٥٠٠ (١. وبين القوانين التي وُضعت للبحريين في ذلك العهد انهُ لا يسوغ ان يُتجاوز هذا العدد الاخير (٢ ومن المعلوم انَّ سفن ذلك الزمان كانت شراعيَّة لا يمكنها السفر الَّا في فصول محدودة وقد نبَّه ابن جبير الى هذا الامر بقولهِ (ص ٣١١):

« وفي مهبّ الريح بهذه الجهات سرّ عجيب وذلك انَّ الريح الشرقيَّة لا تهبُّ فيها الَّا في فصلي الربيع والخريف والسفر لا يكون الَّا فيهما والتجَّار لا ينزلون الى عكَّة بالبضائع الَّا في

١) اطلب ما جاء في هذا الصدد في كتابي مرشان وپرتس:
J. Marchand : *De Massiliensium cum Eois populis commercio*, p. 46 ; H. Prutz : *Kulturgesch. d. Kreuzzüge*, p. 105

٢) اطلب كتاب شوب في تاريخ تجارة الشعوب الرومانية مع سواحل البحر المتوسط
A. Schaube : *Handelsgesch.* d. *roman. Voelker d. Mittelmergebicht*, p. 202.

راجع ايضاً مقالتنا في تعريف هذا الكتاب (المشرق ٦: ٩٢٢)

هذين الفصلين والسفر في الفصل الربيعيّ من نصف ابريل وفيهِ تتحرَّك الريح الشرقيَّة وتطول مدَّتها الى آخر شهر مايه واكثر واقل بحسب ما يقضي الله تعالى بهِ والسفر في الفصل الخريفيّ من نصف اكتوبر وفيهِ تتحرَّك الريح الشرقيَّة ومدَّتها اقصر من المدَّة الربيعيَّة وانما هي خلسة من الزمان قد تكون خمسة عشر يوماً وما سوى ذلك من الزمان فالرياح فيهِ تختلف والريح الغربية اكثرها دواماً فالمسافرون الى المغرب والى صقلّية والى بلاد الروم ينتظرون هذه الريح الشرقيَّة في هذين الفصلين انتظار وعدٍ سابق فسبحان المبدع في حكمتهِ المعجز في قدرتهِ لا إله سواه »

وكانت حياة الركّاب على تلك السفن الكبيرة ذات حركة وتقلُّبات كأنَّها المدن الصغرى تمثِّل كلّ اطوار المعيشة اليوميَّة . ومما اثبتهُ ابن جبير في رحلتهِ وصف عيد اقامهُ النصارى على ظهر السفينة بأبَّهة عظيمة ورونق عجيب قال (ص ٣١٣) :

« وفي ليلة الخميس الرابع والعشرين لرجب وهو اوَّل يوم من نونبر (كذا) العجميّ كان للنصارى عيد مذكور عندهم احتفلوا لهُ في إسراج الشمع وكاد لا يخلو احد منهم صغيرًا او كبيرًا ذكرًا او انثى من شمعة في يدهِ وتقدَّم قسّيسوهم للصلاة في المركب بهم ثم قاموا واحدًا واحدًا لوعظهم وتذكيرهم بشرائع دينهم والمركب يزهر كلّهُ اعلاهُ واسفلهُ سرجًا متّقدة وتمادينا على تلك الحالة اكثر تلك الليلة »

وكان المركب في تلك الاثناء ابتعد عن سواحل الشام واقترب من جزيرة صقلّية فلا حاجة ان نتعقَّب آثار سائحنا بعد ذلك وانَّما ندوّن هنا بعض الملحوظات العموميَّة التي تُستفاد من رحلة ابن جبير بخصوص الشام ومن اقوالهِ ما يفيد ويروّح الالباب معًا

فمن ذلك انهُ يستعمل اسماء الشهور القمريَّة والروميَّة معًا كما رأيت في النصّ الاخير . ومنها ما لحظهُ في اهل الشام من المبالغة في اتّخاذ الالقاب والتعظيم في السلام بما لا أثر لهُ اليوم قال (ص ٢٨٨) :

« ومخاطبة اهل هذه الجهات قاطبةً بعضهم لبعض بالتمويل والتسويد وبامتثال الخدمة وتعظيم الحضرة واذا لقي احدٌ منهم آخر مسلّماً يقول جاء المملوك او الخادم برسم الخدمة كنايةً عن السلام فيتعاطون الحال تعاطيًا والجِدُّ عندهم عنقاء مغرب وصفة سلامهم ايماء الركوع او السجود فترى الاعناق تتلاعب بين رفع وخفض وبسط وقبض وربَّما طالت بهم الحالة في ذلك فواحد ينحطّ وآخر يقوم وعمائمهم تهوي بينهم هويًّا وهذه الحالة في الانعطاف الركوعيّ في السلام كنَّا عهدناه لقَيْنات النساء . . . فيا للعجب منهم اذا تعاملوا بهذه المعاملة وانتهوا الى هذه الغاية في الالفاظ بينهم فبماذا يخاطبون سلاطينهم ويعاملونهم لقد تساوت الاذناب عندهم والرؤوس ولم يميَّز لديهم الرئيس والمرؤوس . . . »

وقد اثنى في محلّ آخر على احتفاء اهل الشام بالضيوف وحسن معاملتهم للغريب فقال (ص ٢٧٨):

« فالغريب المحتاج هنا اذا كان على طريقة مصونٌ محفوظ غير مريق ماء الوجه وسائر الغرباء ممّن ليس على هذه الحال ممّن عهد الخدمة والمهنة يُسبّب لهُ ايضاً اسباب غريبة من الخدمة امّا بستان يكون ناطورًا فيهِ او حمّام يكون عينًا على خدمتهِ وحافظًا لاثواب داخليهِ او طاحونة يكون امينًا عليها او كفالة صبيان يؤدّيهم الى محاضرهم ويصرفهم الى منازلهم الى غير ذلك من الوجوه الواسعة »

ومن ثم يدعو اهل وطنهِ ليأتوا بلاد الشام لينتجعوا خيراتهِ العميمة قال (٢٨٥):

« فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل الى هذه البلاد ويتغرّب في طلب العلم فيجد الامور المعينات كثيرة فاوّلها فراغ البال من امر المعيشة وهو اكبر الاعوان واهمّها فاذا كانت الهمّة فقد وُجد السبيل الى الاجتهاد ولا عذر للمقصّر الّا من يدين بالعجز والتسويف . . . فهذا المشرق بابهُ مفتوح لذلك فادخل أيها المجتهد بسلام وتغنّم الفراغ والانفراد قبل علق الاهل والاولاد ويُقرع سنُّ الندم على زمن التضييع والله يوفّق ويرشد لا اله سواه . . . ولو لم يكن بهذه الجهات المشرقيّة كلّها الّا مبادرة اهلها لاكرام الغرباء وايثار الفقراء ولاسيّما اهل باديتها فانك تجد من بِدارهم الى برّ الضيف عجباً كفى بذلك شرفًا لها وربّما يعرض احدهم كسرتَهُ على فقير فيتوقّف عن قبولها فيبكي الرجل ويقول : لو علم الله فيَّ خيرًا لاكل الفقير طعامي. لهم في ذلك سرٌّ شريف »

وفي كل هذه الاقوال ما يدلّ على اعتبار ابن جبير لاهل الشام وارتياحهِ لسجاياهم الطيّبة

*

كفى بهذه الامثلة شاهدًا على اقتدار المؤلف وخواص كتابهِ وحسن نظرهِ بالامور وهذا ما حمل كثيرين على نقلهِ الى اللغات الاوربيّة بتمامهِ او باقسام منهُ . ومن ذلك ترجمة كاملة ايطاليّة نشرها في العام المنصرم العلّامة سكياپارلي (١ وقد تصفّحنا هذه الترجمة فوجدناها بالاجمال مضبوطة جامعة بين الامانة وحسن الذوق . وقد توصّل المترجم الى ان يزيل اللَّبس والشبهات عن عدّة مواضع كان مسخها النسّاخ فتحقّق روايتها الاصليّة واخرج معناها الصحيح . بيد انّنا كنّا وددنا لو ذيّل جناب الناقل ترجمتهُ

١) اسمها
Jbn Gubair : *Viaggio in Ispagnia, Sicilia, Siria e Palestina, Mesopotamia, Arabia, Egitto*. Roma, 1906, XXVII—412.

بحواشٍ اوفر وملحوظات اوسع. وقد وقع مع ذلك في هذه الترجمة بعض اغلاط منها (ص ٢٥٠) انهُ لم يفرق بين الواقعة الواقعة في جوار حمص وقُصَير المجاورة لدمشق ومن ثم ليس «النهر الجاري امامها» نهر العاصي كما ظنّ. وقد كرَّر هذا الغلط في محل آخر (ص ٤٠٠) — وكذلك وهمَ (ص ٣٨٧) بزعمهِ انّ باب الجابية في دمشق معناهُ باب الحَوْض. وانّما دُعي بهذا الاسم لانهُ كان باب يؤدي الى الجابية وهي حاضرة بني غسّان. الّا انّ هذه الاغلاط لا تمسُّ في شيء قَدْر هذه الترجمة التي تولّى عملها. كما انهُ جمع في مقدّمتهِ من الافادات في تعريف المؤلف ما لم يبلغهُ احد قبلهُ. هذا فضلًا عن الفهارس التي ألحقها بالكتاب. فنثني اذن الثناء الطيّب على الترجمة الايطاليّة الحديثة التي قرّبت منافع ذلك التأليف الذي يستحقُّ درساً خصوصياً لكثرة مضامينهِ ولتأثيرهِ في الكتبة التابعين

هذا وكنّا في وشك الانتهاء من كلامنا على ابن جبير اذ بلغتنا الطبعة الثانية من كتاب رحلتهِ التي تولّاها ذلك المستشرق الهمام السيد دي غوي (de Goeje) صاحب للطبوعات الشرقيّة المتعدّدة (١ وحسبك باسمهِ دليلًا على مزايا هذه الطبعة التي تفوق الطبعة الاولى مع ضبطها. ومن محاسن هذه الطبعة الجديدة انّ جناب وليّ العمل اثبت الاصلاحات التي تركها الطابع الاوّل المسيو رَيت واضاف اليها تنقيحات جديدة. وقد ابدى المسيو دي غوي اسفهُ على عدم حصولهِ على نسخة ثانية من الرحلة اشار اليها المسيو سكياپارلي وذكر وجودها في مراكش. والحقّ يقال ان هذه الرحلة لا يُعرف لها حتى الآن الّا نسخة فريدة فلو امكن مقابلتها على نسخة ثانية لاستطاع تحسينها وزيادة ضبطها وعلى كلّ حال نهنّي الدكتور دي غوي ونشكرهُ على هذه الخدمة الجديدة التي ألحقها بخدمهِ السابقة للآداب العربيّة لاسيما للآثار الجغرافيّة جازاهُ الله الف خير ونفع بهِ اهل وطننا الذين يجدون في مطبوعاتهِ معلومات لا تحصى عن بلاد الشام في غابر الاعصار

(١) هذا عنوانهُ:
E. J. W. GIBB MEMORIAL. vol. V. TRAVELS OF IBN JUBAIR. (Wright's Text). revised by **M. J. de Goeje**, *Leyden*, E. J. Brill, 1907. LIII—363

سيرة الحبر الطيّب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

للقس توما البودي نشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها الاب انطون ربّاط اليسوعي (تتمّة)

وماذا اقول عن القس باسيل الهدناني (١ المكنّى بالنوّاح في رهبنتنا الذي استمرّ مجاهـدًا انوَف من اربعين سنة وبالغ في السيرة شي يطول شرحه . وعن سليمان الشنتعيري (٢ وحنا دوين (٣ فالاول منهمـا انبأ عن موته قبل بشهرين واستدام يخبر بهِ الى يوم وفاته وانا كنت خادمه في مرضه . امّا الثاني حين دفن سليمان المذكور فالمشار اليهِ انبأ عن موته للرئيس وكان ذلك امام الرهبان انهُ بعد اربعين يوماً من دفن سليمان ينتقل هو . وهكذا صار . وهذا حنا المذكور ما رأيتهُ قط يسمع القداس الّا وهو باكٍ وكان يهرب من الكلام البطال قولًا وسمعاً وكانت قراءته الروحيـة في قلايته في الانجيـل دائماً فيما يخصّ الآلام . وعند قراءته كان يذرف الدموع . فلنبقِ القس حنا الباني (٤ وعبدالله البشراني (٥ اللذين بعد وفاتهما ظهروا الى البعض من الآباء واخبرا عن السعادة التي حصلا عليها . وقد اقتصرنا تسمية كثيرين غيرهم لئلا نطيـل الشرح فهؤلاء جميعهم هم اثمار رشد عبدالله والان يشاهدونه في السماء (٦

١) البسهُ الاسكيم الاب عبدالله قراعلي الرئيس العام سنة ١٧٠٠ في دير مار اليشع

٢) لبس الاسكيم من يد الاب عبدالله قراعلي في ١٥ آب سنـة ١٧٠١ في دير مار اليشع وتوفاه الله في ٢٧ نيسان ١٧٠٧ ولهُ من العمر ٣٣ سنة

٣) من غزير من عائلة زوين لبس الاسكيم من يد الرئيس العام في ٣٠ ت ٢ سنة ١٧٠٠ وتوفاه الله في الدير ذاته في ١٨ حزيران ١٧٠٧ ولهُ من العمر ٥٩ سنة

٤) لبس الاسكيم في ١ حزيران ١٦٩٨ في دير مُرت مورا وتوفاه الله في دير مار اليشع في ١٧ نيسان ١٧٠٦ وهو اول من توفي من الرهبان

٥) لبس الاسكيم مع حنا الباني وتوفاه الله في دير مار يوحنا رشميا في ٢٥ ت ٢ سنة ١٧٠٦

٦) قال مجمع نشر الايمان في رسالة تعليـية بعث جا للرهبان البلديين (٤ شباط ١٩٠٥) ذاكرًا فضائل هؤلاء الاباء الاوّلين : « وليذكروا [الرهبان] ايضاً ما تمنّى اباؤهم من المشـاق والمذابات فكانوا اغنياء في الفضيلة فحيوا في اعقابهم . فليتّبعوا آثارهم ويكونوا ميراثاً مقدّساً لهم ويضيئوا كالنجوم في افق الكنيسة اذ يستيرون بشهامة امام الرب بالروح والدعوة التي دُعوا اليها »

فعبدالله كان عدو الكذب والنفاق وكان ذا عدل وقسط بهذا المقدار حتى اذا حدث حادث لاحد من العزيزين عنده في الرهبنة كان يحكم عليهِ بالعدل بشجاعة هذا مقدارها حتى ولو عرف انهُ يخسر مهما كان لهُ لم يبالِ . وسوف يتبرهن لك ذلك في سيرهِ وهو مطران . ومن خصوص فضيلة ايمانه ورجائهِ في الله كان يفوق ادراكي وادراك غيري واقرُّ اني عاجز عن تبرهن ذلك

فحين اخذه المشايخ الى عند البطريرك لكي يرسمه حسب امره فبعد وصولهم الى قرية عجلتون حيث كان البطريرك يستنظره حدثت مخاصمة بين المشايخ وهي هذه: ان المشايخ كانوا حلفين والحلفان يريدان ان يكون مطرانهما . انما مطران حلب مخائيل البلوزانيّ الاصل (١ الذي كان ساكناً في طاميش ومسمى في اولاد ابي ناصيف (٢ لما عرف برسامة المذكور توجه الى عند البطريرك ليكون من الراسمين فهذا المذكور توهم في رسامة عبدالله انهُ اذا صار مطراناً ربما الحلبيون في حلب يطلبونه ليكون هو مطرانهم ويخسر هو رعيته حلب وسبب هذا الوهم هو ان في تلك الايام كان الاساقفة في يد البطريرك ينقل ويغير على خاطره وهذا الامر على القول درج في الطائفة حين ابتدوا يرسمون بطاركة من تلاميذ المدرسة (٣ . فحلف من المشايخ المكنّيين باولاد ابي ناصيف طلبوا من عبدالله انهُ يكتب على حاله تمسك انهُ ما يطلب رعية حلب ولا يقبلها ولا ينزل الى حلب بنوع ما وان نزل يكون عنده خسارة مبلغ دراهم ٣٠٠٠ غرش . فعبدالله اذ كان مرامه ان تبطل رسامته فحضن الفرصة وصرخ بصوتٍ عالٍ : لا اكتب ولا ارتسم . امّا الحِلف المكنّى باولاد ابي نوفل والجميع هم خوازنة اشتدوا ضد الاوّلين وعظمت المخاصمة بينهم بهذا المقدار حتى كل واحد من الحلفين ركض على سلاحه . فلما رأى البطريرك والمطارين ذلك ارغموا على عبدالله وامره البطريرك امراً ان يقبل . فما امكن بل قوله كان هكذا : انا لا اريد الرسامة ولا طلبتها كيف ارتسم بسيمونيا تحت وعد ووعيد . ودامت هذه المخاصمة

---

١) جعلهُ عمه البطريرك جبرائيل البلوزاني سنة ١٧٠٦ خلفاً لهُ على الابرشيّة الحلبيّة

٢) اطلب كتاب الاعيان في اخبار لبنان (ص ٨٩)

٣) هذه مسألة تقتضي شروحاً طويلة نكتفي منها بالاشارة الى المجمع اللبناني سواء كان في المتن (قسم ٢ باب ١٤ وقسم ٣ باب ٤—٦) او في الذيل (الفصل ٤١)

يوماً وليلاً . اخيرًا لِتنطفي هذه الشرور والمخاصمات كتب عبدالله صكًا ومضمونه : انا عبدالله اعطيت قولًا وقرارًا انني ما اتغير عن رعيتي ولا اقاوض بغيرهــا وبالخاصة رعية حلب . هذا الذي كتبه من فطنته لكي يرجع المشايخ عن المخاصمــة . فحينئذٍ ارتفع القال والقيل ورسموه في كنيسة عجلتون وصار ذلك في سبعة عشر يوم من شهر ايلول سنة ١٧١٦ الف وسبعماية وست عشرة مسيحية . وبعد ايام قلايل جدًا واجهته انا في عجلتون وحين واجهته اعطاني منشورًا من البطريرك يعقوب لجمعنــا بهِ يأمر ان نجتمع ونقيم رئيساً عاماً ومدبرين ونتوجه الى عنده ليثبتهم وعلى هذا السند عملنا مجمعنا واقيم فيهِ جبرائيل فرحات رئيساً عاماً . وباقي مجروية المجمع والحوادث التي صارت بعدها تجدها محررة في تواريخ الرهبنة

اما عبدالله بما ان ظن الجميع فيهِ انهُ رجل متوحد محب التقشف والانفراد وما باشر قط رئاسة الكهنوت وخاصة امور الشريعة لان مفهوم في الجبال ان المطارين هم الذين يشرعون للشعب فكان كثيرون من محبيه وغيرهم يقولون : مسكين عبدالله ظلموه . هذا رجل خائف الله لكن رعاية الانفس وخاصة في تلك البلاد تعسر عليهِ . وفي ذلك الحين كان زمان زيارة الرعية التي ارتسم عليها فاراد البطريرك ان يطلع معهُ الى قرية بسكنتا ليزور تلك الرعية بزعمهِ لكي يعلمه كيف السلوك . هــذا الظاهر والباطن الله اخبر بهِ . فحين انوجدوا في بسكنتا مرض عبدالله واستدام مرضه انوف من اربعين يوماً طريح الفراش . وبعد ان تقوّى قليلًا نزل الى قرية عجلتون . وبعد مدة قليلة ابتدأ بالوعظ على الشعب كالوف الرؤساء الحقيقيين وابتدأ يشرع كانهُ منــذ صباه كان دارس الشريعة وحافظها غيباً . فعجبت الناس منهُ وظهرت لهُ سطوة على الجميع بهذا المقدار حتى حين كان يأمر امرًا في الكنيسة او خارجاً عنهــا كانوا يظنون ان من خالفها خالف الله بالحقيقة . وظهر ما ذُكر للعالي والدون حتى الحكام والامراء والمؤمنين والغير مؤمنين كانوا يتواردون اليهِ ليشرع بينهم والذي كان يحكمه جائز على الجميع وبالاكثر الغرباء فانهم مرارًا شتى كانوا يتركون قضاتهم ومشترعيهم وياتون اليهِ وبعد الحــكم عليهم يا للعجب من اناس غير مؤمنين لان الغالب والمغلوب كان يخرجون من امامه راضين لاعتقادهم فيــهِ انهُ ما يمكن ان يشرع بخلاف الحق كما كان ذلك بالحقيقة . وبعض امرار حدث انهُ كان يحكم في بعض قضايا يقع فيهــا الغلط اما من

قبل الشهود او من قبل المدّعين لعدم معرفتهم النص فكان يرسل يطلب المحكوم عليهِ المغلوب ويعطيه ما رغمه بالشريعة من ماله وكان يشهر للعالي والدون : اني سهوت في هذا الحكم وانا ملزوم ذمةً في ان اعوض عليـهِ الضرر الذي صار لهُ . فيا لهُ من تواضع عميق يعسر على كثيرين استعماله . كم وكم من المرات حين كانوا ياتون اليهِ من المدن اناس معتبرون من غير المسيحيين ومن الجبـال ايضاً واذ كانوا يواجهونه كانوا ينطقون علانيةً ان هيبة الله على هذا الرجل . ومع هذا كله كنت تراه متواضعاً انيساً موأنساً للمساكين والفقراء اكثر من السادات والرؤساء

والبطريرك يعقوب وغيره من رؤساء الكهنة من كان يقدر يتجرأ ان يحرم احد المشايخ اذا زلّ زلّةً توجب ما ذُكر والحال ان عبدالله بعد ما ارتسم باربعة اشهر خبّروه ان احد المشايخ الحوازنة الذين في رعيته ارســل الى السحراء لكي يخبروه عن جملة دراهم كانت خفيت عنهُ . فحال ما تحقّق الخبر اشهر حرمه . وناهيك من كبار اهل الجبال في ضربةٍ ما حصلت لهم بعد وخاصةً خافوا لئلا يجري هذا الكاس على الكل . فصار اضطراب عظيم فيما بينهم وحين سمع البطريرك وباقي المطـارين ما صار ظنوا ان عبدالله فيهِ طرف جنون . فراسله اكثر المشايخ بنوع تدليس وتهديد ليحلّ المحروم من غير ان يحضر ويقرّ باثمهِ . فكنت تنظر في عبـدالله نوع غيرة على الحق بشجاعة هذا مقدارها فانا وغيري عاجز عن وصفهـا . وكان جوابه دائماً الى المراسيل التي كانت تأتي اليهِ من قبـل المشايخ والى المشايخ : حاشا لي ان اكون في الحيوة واترك الغنم يفترسها الشيطان من بين يديَّ . ولئلا نطوّل الخطـاب التزم الشخص المحروم يجيء الى دير لويزة حيث كان قاطن المطران عبدالله كي يرمي عليهِ سطوة من غير ما يخضع . فصار الامر بخلافه وهو هكذا لاني كنت حاضر انا وغيري من الرهبان . فحين وصل الشيخ المشار اليهِ اول كلامه لعبدالله كان هكذا : الذي مثلك ومثل غيرك يده تمتد ان تحرمنا نحن ؟ وكلام مثـل هذا يطول شرحه . فسكت عبدالله الى ان سكّن ذاك مصايحته وردّ عليهِ هذا الجواب لا غير : انت يا فلان اشنيت وعيَّرت طائفتك بالتزامك بالشياطين اعداء الله وانا ملزوم ذمةً في تخليصك فلا تلُمْ من يريد خير نفسك . فحالما لفظ هذه الالفاظ بكل ودّ وهدوّ وسلامة فحالاً رفع الشيخ عمامته عن راسه وسـلاحه الذي اعتاد المشايخ ان ينقلوه وخرّ ساجداً امام المطران الذي كان قاعداً وصرخ هكذا :

اخطيت في الارض والسماء وطالب الغفران من الله بواسطتك وانت ابي من الان وصاعداً. حينئذٍ نهض عبدالله وعانقه وفي الحال طفرت الدموع من عينيه فتبعه التائب في البكاء. واغلب الحاضرين بكوا وللوقت ارسل منشور تعريف الى المشايخ بان فلان حضر الى عندنا واستغفر من الله على يدنا ونحن باركناه وارتفع عنهُ كل حرم. ثم قال المطران عبدالله الى الشيخ المشار اليهِ (بعد ان فرض عليهِ كتانون قمحاً ودراهم للفقراء مبلغاً يحرز) : يا ايها الولد الحبيب الشياطين عاجزون على ان يجيئوا لك بدراهمك انما ان التجيت الى الله ما يفوتك برهة من الزمان حتى تعرف دراهمك اين هي. وهكذا صار لانهُ بعد مدّة ليست مستطيلة حضر الى عند احد المشايخ الذي كانت الدراهم مخبأة عنده من ابي المحروم وقال لهُ هكذا: دراهمك التي اودعها ابوك عندي تعال خذها. ولما رجع الشيخ المبارك من المطران الى عجلتون كان يمدح المطران ويحلف بصلاته فسألهُ باقي المشايخ : ماذا جرى لك كنت تذم فيهِ وترلت الى عنده وانت بغير نوايا فكيف انقلبت اليوم هذا الانقلاب. اجابهم: اسمعوا لما اخبركم . لمّا ترلت ووقفت امامه بدأت اتكلم بكلام كثير وهو ساكت بحال خشوعي الى ان فرغت انا من كلامي فاجابني هو بكلامه السابق بكل هدو ووداعة لي. ومع كلامه كنت احس في ذاتي ان شيئاً كان يرمي في قلبي الخوف والهيبة منهُ وهذه الهيبة والخوف جعلتني ان ارفع عمامتي من راسي واسجد امامه طالباً الغفران. ولمّا حسستُ بدموعه هاطلة على راسي تحرّك قلبي وبدأتُ انا ايضاً ابكي. واقول لكم ان هذا الرجل ما احد يقوى عليهِ والكل يستهابونه لان هذا من عبيد الله

ولنرجع الى عبدالله فابتدأ المذكور بسياسة رعيته بنوع ما كان احد يظنه. اولًا بيّن غيرته على خلاص انفسهم وثانياً غيرته على الحق ومن زود ثباته على الحق كثيرون كانوا يقولون: هذا عنيد ما يغير. ومع هذا كله تواضعه يفوق معرفة كثير من مؤانسته خاصةً للمساكين. واما ثباته وطول روحه حين يتشاجر الناس امامه في الشريعة شي يعسر وصفه عليّ. ومن حيث سيرته ونسكه وصلواته وقداساته ما غيّر منها شيئاً عن ما كان في الديورة الّا قضية واحدة انهُ في نومه بدلًا من ان ينام قاعداً بدأ يتكي راسه على المخـدة لابساً ثيابه بموجب القانون وما كان يقلع الّا ما فوق الزنار

في بدء رياسته في الكهنوت استمر في اكل الصيام مثل الدير فحثه كثيرون على ان

يأكل اللحم لاجل عافيته ليقتات بهِ لانهُ كان ضعيف الجسم. فما امكن. اخيرًا التزم ناس من رعيته ان يخبروا البطريرك وطلبوا منهُ ان يلزمه بذلك وهكذا صار لانهُ انوجد في جمعيَّة كان بها البطريرك والمطارين والزموه بان يأكل زفرًا معهم وبما انهُ كان غيورًا على الطاعة غيرة هذا مقدارها حتى اتصل بها ان الرؤساء العام الذين اقيموا بعده كانوا اذا امروه بشيء ليعمله بشرط انهُ لا يكون فيهِ شيء يثلم فكان يعملهُ بحسن قلب وبسرعة اعظم من سرعة المبتدئ في الرهبنة. فحين امره الرؤساء في اكل الزفر اطاعهم وبدأ يأكل قسرًا عنهُ ومع هذا كله جميع الذين رصدوا عليهِ في الزمان من رهبان وعوام حين اكله كانوا يرون منهُ قناعة بهذا المقدار حتى كأنهُ ما عمال يأكل شيئًا. فاستدام في لويزة نحو اربع سنوات ساكن في الدير لان الدير المذكور كان في رعيته والحال ان ما كان لهُ مقام معين وفي كل تلك المدَّة كان يعيش عيشة رهبانيَّة مثل ما كان وهو راهب.

(تمت .)

(حاشية الناسخ) هذا الجزء الجد في مكتبة مار انطونيوس الموارنة في رومية وان اردت الباقي اسأل عنهُ في مكتبة لويزه. والله اعلم

ملحق

وممَّا وجدناهُ من آثار الرئيس توما البودي صاحب الترجمة السابقة رسالة بعث بها الى وزير ملك فرنسة لويس الخامس عشر يشكرهُ فيها عن صورة جلالتهِ كان ارسلها للرهبانية اللبنانية المارونية. وهذه الرسالة مصونة في باريس في سجلات الوزارة الخارجيَّة (١

ايها السيد الكلي السمو والاحترام (٢

المعروض على الجناب السامي بعد الدعاء المفروض انهُ قد صار لي استعداد لاستكثار خيركم على الشرف الذي جنابكم السامي شرفتموني بارسال صورة من هو

---

(1) Archives du Ministère des Affaires étrangères à Paris. Série *Affaires religieuses et Missions du Levant*, *Carton* 4 (1727-1743)

٢) نقلنا الرسالة بحروفها

اكبر ملوك النصارى لتوضع في احد ديورتنا لاجل ما تكون وثيقة الى رهبنتنا وايضاً شرف الى جميع طائفة الموارنة . فانا استصوبت اني اتشاور مع اربعة مدبرين وشيوخ الرهبنة واكبر مشايخ بلاد جبل لبنان فرأينا فرضاً واجباً علينا اننا نطلب ونترجى من حضرة موسو يون (١ القنصل الفرنساوي بطرابلس سيريا الذي جنابكم السامي ارسلتم لهُ الصورة الجميلة والبهجة انهُ يريد يتفضــل يشرفنا ويسلمنا الصورة بحضور المدبرين وروساء الديورة وشيوخ الرهبنــة الذين كانوا مجموعين في ديرنا المسمى على اسم القديس لويز (٢ الذي الصورة مخصوص وضعهــا فيهِ وكل اكابر ومشايخ طائفة الموارنة حصلوا وانسروا من هذا الشرف باستعداد واستحضار كلي . موسو يون القنصل المكرم وافق مطلوب الجميع . فليكن محققاً عند جنابكم السامي بان ما كان يمكن يصير ازيد شرف من الذي صار حين قبول هــذه الصورة . وانا مقرّ ومعترف لجنابكم السامي ان الذي صار ما هو الّا لاجل الشرف الذي حصل ممّن هو اكبر ملوك النصارى وان هذا الضياء والابتهاج الذي ظهر في هذه البلاد فهو فعل يعلو فأملأ كل القلوب فرحاً وابتهاجاً زائدًا . وبما ان سيادتكم تواظبتم بالحنو والشفقة على رهبنتنا وعلى الغير بهبة هذا مقدارها التي هي علة هــذا الابتهاج والرضا الكلي فرجائي من سيادتكم ان تقبلوا مني المديح والشكران لفضلكم مني ومن رهبنتي مع طلب الاذن بذلك بالتهجم على جنابكم الكلي سموه . وبمثله اشكر فضلكم عن لسان اكابر ومشايخ طائفة الموارنة مع الشعب الغفير الذي كان حاضرًا لاستقبال هذه الصورة الاتيين من اقطار الجبال اللبنانية وهذا صار شهادة لتنازل سيادتكم بالشرف الذي شرفتموني ولرهبنتي ايضاً وذلك ليطبع في قلوب الجميع الى جيل وجيــل ليستقيموا بحفظ الوداد بالارث من ابايهم وليدوموا بالحظوة بنظر وحماية الملك المسيحي المنصور

ولكي لا يُنسى هذا الشرف انا متهجم على شرفكم السامي ان تحملوا عليّ وعلى رهبنتي ان نكون تحت حماية الملك المسيحي السعيد في هذه النواحي كما هي الرهبنات الغربية التي لها الشرف الحاصلة فيهِ اعني حماية الملك . كذلك اتهجم بالتوسل الى

---

١) Yon جُعل قنصلًا في طرابلس بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٧٣٦ خلفاً لمسيو دي بلّيس (du Bellis) (نقلًا عن سجلات الوزارة البحرية في باريس ١٤٤ B⁷, n°.)

٢) يريد دير لويزه . والمقابلة بين لويزة ولويس من الغرابة بمكان

همتكم العالية ان من الان والمزمع ان تشرفوا هذه الرهبنة الداعيــة لجنابكم بنظر خصوصي ان تامروا الاساكل بان رهباننا المتوجهين كل وقت الى ديرنا في مدينــة رومية لينالوا العلوم ان ينجملوا باعتبار على الاوقاف الفرنساوية مثــل بقية رهبنات الغربيين من غير مانع . ومن الان مع انتظارنا لاوامركم الشريفة مستعدين ان ننشي في كل ديورتنا الدعاء المعتاد لحضرة الملك مع العيلة الملوكية التي هي فخر الملة المسيحية والدائمة النصر الغير منتصر عليهــا وايضاً ما يمكن ان تفعل الرهبنة بالدعاء والصلاة لاجل رفع شانكم ودوام العز لسيادتكم مع القداسات المختصة لجنابكم المدومة . وكذلك انا وجميع رهبنتي والمزمعين ياتوا بعدنا لم يمكن ان ينسوا فضلكم واحسانكم مع الدعاء المستقيم ابدًا كما ذكر وانا مستعد بخدمــة سيادتكم وتحت اوامركم على الدوام ايهــا الشريف الحسب والسمو

حرر بدير لويز في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني سنة الف وسبعماية وثماني وثلاثين مسيحية

مكان الختم الحقير في الكهنة توما اللبودي

مع هذه الاية : اب عام رهبان مار انطونيوس اللبنانيين

من كان فيكم كبيرًا فليكن لكم خادمًا

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وقبل ان نختم تاريخ هذا الطور الاوَّل من الآداب العربيَّة في القرن المنصرم يجمل بنا ان نذكر المستشرقين الاوربيين الذين استحقُّوا ثناء الادباء بما نشروهُ من المصنَّفات العربيَّة

وممَّا يقال بالاجمال انَّ هذه ثلاثة اعشار القرن لم يبلغ احد فيهــا بين الاجانب مبلغ العلَّامة سلوستر دي ساسي لكنَّنا نؤجّل الكلام فيــهِ الى الطور التالي لأنهُ فيهِ مات . وكان دي ساسي كنقطة المركز لدائرة زمانهِ يشيرون اليهِ بالبنان لتفنُّن معارفهِ

بل كان منارًا يستضيء بنوره كلّ من اراد العلوم الشرقيَّة في فرنسة وغيرها فيقدمون باريس ليحضروا دروسهُ ويدورون في فلكهِ كالاقمار المستنيرة بهِ

وقد جاراهُ في علومهِ ولم يبلغوا شأوهُ بعض اهل وطنهِ الذين قدَّمنا ذكرهم (ص ٣٧٩) كالعلّامة دي غيني ولنغلاي ودوپرون وهربان ولكلّهم الآثار الناطقة بعلوّ هممهم وسعة معارفهم. وممَّن تتلمذوا لهُ وفازوا بالشهرة في آداب العرب المسيو امابل جوردان (A. L. Jourdain) (١٧٨٨—١٨١٨) كتب تاريخًا للعجم واتّقد تأليف مرخند وصنَّف كتابًا في البرامكة ونقل الى الفرنسويَّة نُبذًا من تاريخ العرب عن حروب الفرنج في بلاد الشام. لكنَّ هذا المستشرق مات في مُقتبل العمر. ومن تلامذة دي ساسي ايضاً في هذا الطور انطون ليونارد دي شازي (Chézy) نبغ في اللغات الشرقيَّة وكتب عدَّة مقالات في آثار العرب والعجم وغيرهم في مجلة العلماء ولهُ تاريخ العجم ومجانٍ ادبيَّة فارسيَّة ومنتخبات من كتاب عجائب المخلوقات للقزوينيّ. توفي سنة ١٨٣١ وكان مولدهُ سنة ١٧٧٣

وممَّا يُذكر من حسن مساعي الفرنسويين في خدمة الآداب الشرقيَّة في ذلك العهد نشأة الجمعيَّة الاسيويَّة الباريسيَّة انشأها دي ساسي ورصفاؤهُ وتلامذته سنة ١٨٢١ ثمَّ باشروا بنشر الآثار القديمة والمقالات المستحسنة في كل فنون الشرق وآدابهِ ولغاتهِ لاسيما اللغات الساميَّة منذ السنة ١٨٢٢ ومجلَّتهم تبرز كل سنة في مجلَّدين فيكون مجموع ما ظهر الى يومنا منها بالغًا ١٧٠ مجلَّدًا تحتوي كنوزًا ثمينة في كل آداب الشرق

وحذا الانكليز حذو الفرنسويين في العام التالي سنة ١٨٢٣ فشكَّلوا ايضًا جمعيَّة دعوها باسم جمعيَّة بريطانية العظمى وايرلندة الاسيويَّة الملكيَّة. وكان الساعي في هذا المشروع بعض كبار الاثريين مثل كولنبروك (Colenbrook) وجُنستون (Johnston) وستونتن (Staunton) وڤين (Wynn) وهوغتون (Haughton) فنشروا ايضًا نشرة علميَّة (Transactions) سنة ١٨٢٤ ثم وسَّعوها سنة ١٨٣٦ ودعوها مجلة لندن الاسيويَّة الملكيَّة لكنَّ العلماء الانكليز كانوا يوجّهون اهتمامهم الى الهند خصوصًا والى لغات الهنود وآدابهم. وكذلك نشر الالمان مجموعات شرقيَّة منها «معادن الشرق» للعلّامة هامّر (Hammer) و«جريدة المعارف الشرقيَّة» التي طُبعت في بونة من اعمال المانية امَّا الجمعيَّة الاسويَّة الالمانيَّة فلم تنشأ الّا بعد ردهة من الدهر

ومن مشاهير المستشرقين في تلك الأيام غير الفرنسويين رازموسن (Rasmussen) الدنيمركيّ (١٧٨٥—١٨٢٦) درس العلوم الشرقيَّة في باريس ثم عاد الى وطنهِ فتولَّى تدريس لغات الشرق في حاضرة بلادهِ كوبنهاغن لهُ عدَّة تآليف في تواريخ العرب في الجاهليَّة نقلًا عن ابن قتيبة وابن نباتة والنويريّ . مع جدول لتوفيق التاريخ الهجري والتاريخ المسيحيّ . ونقل قسماً من كتاب الف ليلة وليلة . ومن مصنَّفاتهِ كتاب لهُ في المعاملات التي دارت بين العرب والصقالبة في القرون الوسطى

واشتهر بين الالمان ڤلمت (J. Wilmet) الذي نشر معجماً عربيًّا لاتينيًّا ونقل معلَّقتي لبيد (سنة ١٨١٤) وعنترة (سنة ١٨١٦) وعلّق عليهما الحواشي الواسعة والتذييلات المهمَّة . ومنهم ايضاً كرل رودلف پيپر (C. R. S. Peiper) نقل قسماً كبيرًا من مقامات الحريري الى اللاتينيَّة وحشّى معلَّقة لبيد . وكذلك عُرف بينهم كرل تيودور جوهنسن (C. T. Johannsen) الذي ترجم تاريخاً لمدينة زبيد عنوانهُ « بغية المستفيد في اخبار زبيد » ونشرهُ في بونة سنة ١٨٢٨ . وهو تاريخ حسن ألَّفهُ في غرة القرن العاشر للهجرة الامام سيف الاسلام ابن ذي يزن الفقيه عبد الرحمان الربيع

وكانت الدروس العربيَّة قد ضعفت قليلًا في ايطالية فانهضها احد فضلاء الأُسرة السمعانيَّة زيد شمعون السمعاني الذي ولد في طرابلس ودرس في مدرسة الموارنة في رومية العظمى ثم تجوَّل مدَّة في مصر والشام لجمع المخطوطات الشرقيَّة . ولمَّا كانت السنة ١٧٨٥ عهدت اليهِ كليَّة پادوا تدريس اللغات الشرقيَّة فعلَّمها الى سنة وفاتهِ في ٧ نيسان ١٨٢١ . لهُ تآليف في عرب الجاهليَّة واصلهم وتاريخهم واحوالهم في مجلَّدين . ووصف الآثار الكوفيَّة في المتحف النانياني والمتحف البرجياني ومتحف السيد مينوني

وفي الوقت عينهِ اكتسب احد كهنة ايطالية المسمَّى جان برنرد دي روسّي (١٧٤٢—١٨٣١) شهرة واسعة في المعارف الشرقية . فانهُ كان اولًا ناظرًا على متحف مدينة تورينو ثم تولَّى تدريس اللغات الشرقيَّة في كليَّة پارما نحو خمسين سنة . ومن مشروعاتهِ الطيبة انشاؤهُ في پارما مطبعة شرقيَّة متقنة الادوات جميلة الحروف اصدرت عدَّة مطبوعات بديعة الطبع . وكان دي روسي حاذقاً في اللغة العبرانيَّة لهُ فيها عدَّة مصنَّفات . منها وصف مكتبة واسعة كان جهَّزها بالتآليف النادرة والمخطوطات الجليلة

ومنها تأليف في الشعر العبراني · وكان يحسن العلوم العربيّة كما يدلّ عليهِ كتابهُ « معجم اشهر ادباء وكتبة العرب » الذي طبعهُ سنة ١٨٠٧

الفصل الرابع في الاداب العربية من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠

هو الطور الثاني من القرن التاسع عشر وهو يشمل عشرين سنة اصابت في مطاويها الآداب العربيّة ترقياً مذكوراً

وممّا امتاز بهِ هذا الطور الثاني انتشار المطابع العربيّة في الشرق · نعم انّ الطباعة كانت سبقت هذا العهد كما بيّنّا الامر في المقالات المتعدّدة التي خصصناها بهذا الفنّ في اعداد المشرق من السنين الثلاث ١٩٠٠ و١٩٠١ و١٩٠٢ · لكنّ المطبوعات العربيّة في الشرق كانت قليلةً لا تتجاوز بعض العشرات واكثرها دينيّة كما في مطابع حلب وبيروت والشوير · فلمّا كان القرن التاسع عشر توفّرت الادوات الطبعيّة في الشرق وقد مرّ لنا ذكر مطبعة الاستانة العليّة ومطبعة بولاق (٣: ١٧٤) وكلتاهما وسّعت دائرة اشغالها في هذا الطور الثاني لاسيما مطبعة بولاق التي ابرزت نحو ثلاثمائة كتاب في فنون شتى بالعربيّة والتركيّة والفارسيّة (Journ. As., 1843², 24-61) وكان اكثرها منقولًا عن الفرنسويّة في العلوم المستحدثة كالرياضيّات والطبّ والجراحة وجرّ الاثقال والفنون العسكريّة اما الكتب الادبيّة فكانت يسيرةً

ومن المطابع التي جدّدت حركتها في هذه المدّة مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت (المشرق ٣: ٥٠١) فانّها بعد خمودها نحو مئة سنة عادت الى اشغالها بسعي مطران الروم الارثدكس بنيامين سنة ١٨٤٨ · وفي السنة التالية انشأ في القدس بطريرك الروم كيرلُس الثاني مطبعةً عُرفت بمطبعة القبر المقدّس اليونانيّة (المشرق ٥: ٧٤) · ومعظم مطبوعات هاتين المطبعتين في السنين الاولى لانشائهما لم تتجاوز الموادّ الدينيّة

وفي اثناء هذا الطور اعني من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠ استُحدثت ثلاث مطابع كبيرة اعانت على نشر آداب اللغة العربيّة في جهات الشام : الاولى منها مطبعة الامركان التي نُقلت سنة ١٨٣٤ من مالطة الى بيروت واستحضرت ادوات جديدة وحروفاً مشرقة فاشتغلت مذ ذاك الوقت بطبع مؤلّفات جمّة عدّدنا قسماً منها في المشرق (٣: ٥٠٤) · والثانية مطبعة الآباء الفرنسسكان في القدس الشريف باشرت اعمالها سنة ١٨٤٦ والثالثة

مطبعتنا الكاثوليكيَّة كان ظهورها سنة ١٨٤٨ فطبعت اولًا كتبًا شتى على الحجر ثم طبعت على الحروف سنة ١٨٥٤ (المشرق ٣: ٧٠٦) فهذه المطابع لم تزل منـذ نيّف ونصف قرن يجاري بعضها بعضًا في ميدان الآداب كخيل السباق ولا غرو فان بواسطتها تعدَّدت المنشورات وقرب جناها على ايدي الاحداث واقبل على مطالعتها القوم

ومن الاسباب التي ساعدت ايضًا في تلك المدَّة على اتّساع المعارف الادبيَّة وارتقاء اللغة العربيَّة ما أُنشئ في الشرق من المدارس بهمَّة اصحاب الخير. فما عدا المعاهد التي سبق لنا ذكرها (ص ٢٤٥) كعين ورقة وعين تراز والشرفة ظهرت مدارس جديدة غايتها ترقية العلوم كان الفضل في انشائها الى المرسلين اللاتينيين. واوَّل هذه المدارس التي فتحت لتثقيف الوطنيين بالآداب العصريَّة مدرسة عين طورا باشرت بالتعليم سنة ١٨٣٤ وقد سبق المشرق (٣: ٥٤٨ الخ) فاتّسع في تاريخ هذه المدرسة الشهيرة ومن تخرَّج فيها من الادباء فلا حاجة الى التكرار

ثم أُنشئت بعد تسع سنوات (١٨٤٣) مدرسة للآباء اليسوعيين في كسروان انشأها الاب مبارك بلانشه في غزير في الدار التي كان شيَّدها الامير حسن يوسف شهاب لسكناه. وهذه المدرسة بقيت عامرةً الى سنة ١٨٧٤ حيث نُقلت الى بيروت فقامت عوضًا عنها مدرسة القديس يوسف الكليَّة. ومن مدرسة غزير خرج رجال افاضل لا يُحصى عددهم منهم بطاركة اجلّاء واساقفة مبجّلون وكهنة غيورون ووجوه وأُدباء وكتبة كانوا كلهم ولا يزال كثيرون منهم الى يومنا سندًا لكل مشروع خيري ولكل مسعىً صالح

وكما اهتمَّ المرسلون بفتح المدارس للذكور لم يسهوا عن تربية الاناث فبمساعيهم قدمت راهبات مار يوسف سنة ١٨٤٥ ثم راهبات المحبَّة سنة ١٨٤٧ واخذنَ يتفانَينَ في تهذيب الفتَيات في الشام وفلسطين. وبعد سنين قليلة انشأ الآباء اليسوعيُّون سنة ١٨٥٣ جمعيَّة الراهبات المريمات ثم جمعيَّة قلب يسوع والفئتان حازتا رضى الاساقفة والاهلين وخدمتا الوطن احسن خدمة بتهذيب البنات ثم اجتمعتا باخوية واحدة عُرفت باسم راهبات قلبي يسوع ومريم يشهد لهنَّ الجميع في يومنا بالغيرة والصلاح وحسن التربية للشبيبة وخصوصًا في القرى المهملة. وكذلك انتشرت راهبات الناصرة في هذه

البلاد وتولّين ادارة مدارس الاناث من كلّ طبقـات الاهلين في بيروت وعكّا وحيفا والناصرة وشفا عمرو فاحرزنَ لهنّ ثقة الجمهور بفضلهنّ

امّا المدارس الوطنيّة فانّها تعزّزت ايضاً في هذا الطور وزادت نموًّا لاسيما مدرسة عين ورقة التي اكسبها رئيساها الاوّلان المطران خير الله اسطفان والمطران يوسف رزق الجزيني رونقاً عظيماً ماديًّا وادبيًّا · ومن اثمار هذه المدرسة حينئذٍ انشاء جمعيّة مرسلين انجيليين انتسبوا الى مار يوحنّا الانجيليّ وخدموا النفوس باعمـال الرسالة نحو عشرين سنة ثم خلفتهم جمعيّة مرسلي الكريم التي لا تزال حتى يومنا تفلح كرم الرب بنشاط وغيرة

وكذلك تقدّمت مدرستان اخريان للطائفة المارونيّة كان سبق تأسيسهما في ايّام السيّد البطريرك يوحنّا الحلو نريد مدرسة مار يوحنّا مارون كفرحيّ ومدرسة مار مارون الروميّة · فكان الساعي بانشاء الأولى المطران جرمانوس ثابت في السنـة ١٨١١ خصّها بتهذيب بعض احداث بلاد جبيل والبترون وجبّة بشراي ثم اتّسعت بعد ذلك في أيّام الطيّب الذكر المطران يوسف فريفر الذي صرف المجهود في تحسينهـا وقد حذا حذوهُ رئيسها الحالي المنسنيور بطرس ارسانيوس الذي لا يزال مهتمًّا بشؤونها ونجاحها

امّا المدرسة الروميّة فكان انشاؤها بعد ذلك سنة ١٨١٧ وكانت هذه المدرسة ديرًا فامر البطريرك يوحنّا الحلو بتحويلها الى مدرسة وصـادق على امرهِ آباء مجمع اللويزة في السنة التالية · ولعائلة بيت الصفير اوقاف وحقوق على مدرسة الروميّة التي اخرجت عددًا وافرًا من افاضل الشبّان المرشّحين للكهنوت

ولمّا قام السيد يوسف حبيش بطريركاً على الطائفة المارونيَّة وجّه عنايته الى فتح المدارس لابناء رعاياهُ ففُتحت اولاً مدرسـة مار يوحنا مارون في صربا ١٨٢٧ وكان الساعي بذلك المطران يوحنا العضم· ثم فُتحت مدرسة أُخرى في عرمون وكان هنـاك لبيت آصاف دير للراهبات فحوّلوهُ بعد امر السيد البطريرك الى مدرسة عموميّة لتعليم شبّان الطائفة المارونية العلوم الاكليريكيّة وصار لهذه المدرسة نجاحٌ عظيم خرج منها اولو فضل ممّن تفتخر بهم ملّتهم حتى اليوم كالسادة الاجلّاء المطران يوسف النجم والمطران اسطفان عوّاد والمطران بولس عوّاد والمطران يوسف مسعد وكالخوارنة العالمين العاملين يوسف العلم وكيل سيادة مطران بيروت حالاً ويوحنا رعد الغزيري الشـاعر والخوري عبد الله العقيقي وغيرهم

وبعد ذلك بسنتين (١٨٣٢) سعى البطريرك الموما اليهِ بتحويل دير مار سركيس وباخوس في ريفون الى مدرسة لابناء الطائفة كمدرسة مار عبدا فلبّى دعوته ولاة الدير من بيت مبارك بكل طيب قلب وافرغ رئيس الدير القسّ فرنسيس مبـارك كنانة الجهد في تحقيق تلك الامانيّ فلم تذهب مساعيهِ ادراج الرياح كما ترى في تاريخ هذا الدير الذي سبق بتسطير اخبـاره حضرة الاب الابراهيم حرفوش في المشرق (٦٧:٨ و ٣٤٧ و ٧٥٣)

وفي هذا الوقت ايضاً كان المرسلون الاميركان لا يألون جهـداً في فتح المدارس اخصّها في بيروت واعبَيه فنجحوا فيها بعض النجاح لولا أنهم ناقضوا فيها تعاليم الدين الكاثوليكيّ ليبثّوا في قلوب الاحداث زوان التساهل الدينيّ

وكانت الدروس العربية في كل هذه المدارس راقيةً فانَّ منها خرج معظم الذين اشتهروا بالكتابة في القرن المنصرم وخصوصاً بين النصارى كما نبيّن ذلك

أمّا المدارس خارجاً عن الشام فكانت في الغالب مقصورة على مبـادئ القراءة والكتابة واصول الحساب واللغة (له بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

I **Ludwig von Sybel.** CHRISTLICHE ANTIKE. EINFUEHRUNG IN DIE ALTCHRISTLICHE KUNST. I. Einleitendes. Katakomben, mit 4 Farbtaf. u. 55 Textbild., VII - 308 pp., gr. 8°. 1906 *Marburg, Elwert.*

II. — **Id** — DIE KLASSISCHE ARCHAEOLOGIE U. DIE ALTCHRISTLICHE KUNST. Rektoratsrede, 18 pp., 8°, 1906. Ibid.

العاديات النصرانيَّة — خطبة في الآثار النصرانية

أهدانا هذين الكتابين الطباع إلفرت بوصاة المؤلف الدكتور سيبل رئيس كليَّـة مربورغ وغاية كاتبهما ان يرشد محبّي الفنون الجميلة الى معرفة خواصّ العـاديّات النصرانيَّة القديمة كعاديّات دياميس رومية وغيرها من الآثار المجهولة. وقد صدَّر المؤلف كتابهُ بمقدّمة واسعة بحث فيها بحثاً مدقّقاً عن اصول تلك العاديّات وخواصّها وما من

العلاقة بينها وبين الآثار المدنية. والحق يقال ان الدكتور سيبل اثري مضطلع بكل فنون العاديات من هندسة وبناء وتصوير ونقوش لا يشطّ في كلامهِ حيثما يبقى في حيّز وصف العاديات فانهُ مجال يُحسن الجري فيهِ ومن ثم نسلّم لهُ بقولهِ انّ النصارى الاوّلين جاروا في آثارهم اهل عصرهم من يونان ورومان فتقلّدوا اعمالهم وخصّصوها بالدين المسيحي. وكذلك لا نؤاخذهُ في قولهِ بانّ النصرانيّة مع كونها من اصلٍ ساميّ برزت للعالم في مظهر يونانيّ من حيث فنونها ولكنّنا نردّ قولهُ وننبذهُ نبذ النواة اذ يتجاوز طور الاثريّين ويخوض عباب الفلسفة وهو لم يُتقن اصولها. فلو كان درس من الفلسفة مبادئها لَما امكنهُ ان يقول انّ الدين النصرانيّ استعار تعاليم اليونان والرومان في امور الدين. فيا ليت شعري اين خرافات اليونان من تعاليم السيّد المسيح واين اختراعات البشر من الوحي الالهيّ الصادق بل اين الظلمة من النور. وخلاصة القول انّنا نثني على هذا الكتاب من حيث اوصافهِ الوضعيّة وحسن طبعهِ واتقان صورهِ البديعة وكثرة موادّهِ الّا انّنا ننبه القرّاء على مطالعتهِ بتحذّر واحتراس لئلا يزلّوا بزلّتهِ. وممّا يستحقّ الثناء انّ المؤلف قدّر اعمال الكاثوليك قدرهم فاستشهد بهم مرارًا عديدة مصادقًا على اقوالهم وبالخصوص العلامة دي روسي والاب كاروتشي اليسوعي والعلامة كروس وماروتشي وڤلپرت. ورجاؤنا ان يتحفنا الكاتب قريبًا بالجزء الثاني من كتابهِ مع تجريدهِ من كل ما يجرح احساسات الكاثوليك الدينيّة س. ر

KARTE DER MATERIALIEN ZUR TOPOGRAPHIE DES ALTEN JERUSALEM 1 : 2500, $1^m \times 0{,}70$, und MATERIALIEN z. Top . . . Begleittext, XV - 198 pp. 8°, von **A. Kuemmel**, Deutsch. Ver. z. Erforsch. Palaest., in Komm. bei *R. Haupt, Leipzig*. 1906.

خارطة لتعريف آثار اورشليم وابنيتها القديمة مع شرحها

لقد توفّرت التآليف العلمية المنوطة باورشليم وابنيتها القديمة ولا تزال الاكتشافات الجديدة تزيدنا علماً بمواقع معاهدها وآثارها. فكان العلماء في حاجة الى نظر عامّ يشمل تلك الاكتشافات ويبيّن ما يوجد بينها من النسبة والعلاقات. فلسدّ هذه الثلمة كان احد السويسريين المدعو تسترمان وضع سنة ١٨٧٦ كتاباً مفيدًا يرجع اليهِ ارباب الدرس لمعرفة احوال القدس الشريف لكنّ الحفريّات التي صارت مذ ذلك

العهد اقتضت تأليفًا جديدًا تولّى صنعهُ العلامة الالماني كومّل. ولزيادة عمله فائدةً اخذ الخارطة التي رسمها لاورشليم الضابط الانكليزي ولسون (Wilson : *Ordnance-Survey of Jerusalem*) فاعاد فيها النظر مدقّقًا في مضامينها ومصلحًا لاغلاطهـا ومضيفًا اليها الاعلام الجديدة التي وقف الاثريّون على موقعها منذ عهد تلك الخارطة في سنة ١٨٦٥. وقد احسن بجعلهِ مقياس هذه الخارطة كمقياس خارطـة ولسون في كبرها تمتدُّ شمالًا الى ١٣٥ مترًا من المدفن المدعوّ زورًا بقبر الملوك وتبلغ جنوبًا الى محطّة السكة الحديديّة وشرقًا الى جبـل الزيتون وغربًا الى مأوى المسكوب الكبير. وقد جعل لهذه الخارطة مشبّكًا مع ارقام غليظة تسهّل التفتيش في كتاب الشرح. وهذا التأليف غاية في النظام والترتيب ضمّنهُ صاحبهُ كلّ مقامات اورشليم وابنيتها وشوارعها الحالية. يليها فصل في المدينة القديمة وموقع ابنيتها وفي اثره فصل آخر في اودية اورشليم في خارج المدينة وداخلها مع بيان مشارفها وقُللها. ثم اسوارها القديمة وحصونها. ثم حرم الهيكل وابنيتهُ والابواب التي كانت تفضي اليـهِ. ثم الاحواض والبرَك والقنيّ التي كانت في المدينة. ثم آخرًا المغاور والمدافن مع القصور والبيوت على قدر الامكان. ولكل هذه الفصول مقدّمات تعرّف تاريخ الابنية الموصوفة مع مواقعهـا مستندًا في ذلك الى اصدق الاسانيد والى تآليف مشاهير العلماء التي يورد اسماءهـا في لحف الكتاب لا ينقصها الّا زياد معرفة ببعض التآليف الفرنسويّة كخارطة الاب اوكلار (Aucler) اليسوعي لابنية اورشليم ومقالات العلامة الصعودي الاب جرمر دوران (Germer-Durand). وممّا احسن فيهِ المؤلف انهُ ضرب صفحًا عن المباحث التي لم يقرّ فيها رأي العلماء فتشعّبت فيها المذاهب. ومجمل القول ان هذا التأليف وافٍ بالمرام لا غنىً عنهُ لكل من يبحث عن اورشليم وآثارها

س. ر

Karl Mayreder: EIN BESUCH IN KLEINASIEN *Wien, Lehmann u. Wentzel.* 1907, gr. 8°, 50 p. et 39 illustr.

سياحة حديثة في الاناضول

قد رخّصت الدولة العليّة لبعثة نمساويّة ان تجري في الاناضول حفريّات للتفتيش على الآثار القديمة فانتهز احد علماء ڤينة الاستاذ كرل ميرادِر هذه الفرصة ليزور تلك

الانحاء في صحبة رئيس هذه البعثة المسيو هيبردي (Heberdey) ويدرس آثارها فتجوّلا في تلك الجهات ودرسا آثارها درساً مدقّقاً . فلمّا عاد الاستاذ المومأ اليـه الى عاصمة النمسا اسرع الى تسطير رحلتهِ وعرض ما عاينهُ على تآليف القدماء من اليونان والرومان فاحيا ذكر تلك المدن الدارسة واثبت ما يُستدلّ بهِ من اطلالها على احوالها السابقـة ورونقها فجاءت سياحتهُ مع قصرهـا بمثابة كتاب واسع حافل بالموادّ والمعلومات . وقد تتبّع تلك المدن واحدة بعد اخرى ورسم خوارطها ودوّن مآثرها . فيدخل معهُ القارئ مثلاً الى افسس فيرى هيكل ارتاميس الشهير الذي ورد ذكرهُ في اعمال الرسل ويعاين موقع مكتبتها القديمة المكتشفة آخرًا . او يتجوّل في مليطة ويُسرّ بمنظر ملعبها الشهير ومعبد ابولون الذي كان يحجّ اليهِ اليونان من اقاصي بلادهم . فكل هذه الاوصـاف تروّح الالباب وتسرّ القلوب وتطبع في الاذهان اخبار تلك الامم المتمدّنة ل . ج

شذرات

﴿ تجارة الهند الانكليزيَّة ﴾ بلغت تجارة الهند في السنة الماضيـة من غرَّة نيسان ١٩٠٦ الى غاية آذار ١٩٠٧ مبلغاً لم يُعهد لهُ مثيل قبلاً . فكان مجموع محصَّل تلك التجـارة لا يقلّ عن ٢٢٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه اعني ٥,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات وهو مبلغ يفوق كلّ المقادير السابقة . وكان معظم هذه المبالغ مصروفاً في تجارة المنسوجات والقطنيَّات ما يزيد ثمنهُ على ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . وكذلك السكَّر من الواردات الواسعة تجارتها فقد بيع من السكر في العـام المنصرم بما يساوي ٦,٢٢٣,٠٠٠ جنيه . وعلى خلاف ذلك قد كسدت قليـلاً سوق بعض الحبوب وخصوصاً القمح والأرزّ

﴿ آثار روديسية وعادياتها ﴾ كانت روديسية مجهولةً من العالم المتمدّن قبل خمسين سنة واليوم قد اضحت بهمَّة مكتشفهـا سيسيل رودس ونشاط الانكليز الذين قلبوها وجهاً لبطن بلادًا عامرة يستثمرها اصحابها فيفتتون بثروتهـا العجيبة . امَّا العلماء فوقفوا هناك على آثار قديمة كقصور وبروج مخروطة واسطوانات وبنايات شتى تدلُّ على انَّ تلك البلاد كانت قبل الوف من السنين حافلةً بالسكَّان يتولَّاها قوم ذوو معارف

وتمدُّن كانوا يحسنون الفنون ويعدّنون معادن الذهب التي في تلك الجهات ويصوغون المصوغات الجميلة. وما هو اجدر بالاعتبار انَّ البنـايات العريقة في القدم احكم صنعاً وادقّ عملًا من البنايات التي شُيّدت بعدها بمئتين من السنين وكفى بذلك دليلًا على بطلان مزاعم القائلين انَّ البشر في الطور الاوَّل كانوا همجاً يعيشون متوحشين في البراري والقفار ثمَّ تمدنوا بكرور الدهور. وكان العرب في القرون المتوسطة يعرفون بلاد الزمبيز ورودسية ويتاجرون مع اهلها . ومما وُجد من آثارهم قطع خزفيَّة وزجاج وجدت في جوار مدينة زمبابوة عليها كتابات ونقوش عربيَّة من القرن الثالث عشر

﴿ تجارة يافا ﴾ قد بلغت تجارة يافا في العام المنصرم مبلغاً لم تعهدهُ قبلًا فان مجموع الواردات والصادرات في السنـة ١٩٠٦ لم يقلّ عن ٢٩,٠٠٠,٠٠٠ فرنك والزيادة على العام السابق ٨,٢٥٠,٠٠٠ ف وان اضفتَ الى ذلك تجارة غزَّة كان مجمل مبالغ اتّجارهـا ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ ف . وقد زاد مع حركة التجارة عدد السكّان والاشغال فانَّ عدد اهل القدس يربي اليوم على ٧٠,٠٠٠ نفس. وبلغ اهل يافا ٤٥,٠٠٠ منهم ١٠,٠٠٠ يهوديّ يرتزقون بالزراعة والتجارة. واهل غزَّة عددهم ٤٠,٠٠٠ نفس. امَّا ركّاب السكة الحديديَّة من يافا الى القدس فتجاوزوا ١٠٠,٠٠٠ وكان موزون البضائع فيها ٣٤,٠٠٠ طنّ. ومما زاد عليهِ الاقبال في فلسطين المنسوجات القطنيَّة التي تأتي من ايطالية والمانية وكذلك البترول والخشب والقرميد والسكَّر. وقد ساوت الواردات من فرنسة الى يافا ١,٠٠٥,٠٠٠ ف. والصادرات من يافا الى فرنسة نحو المليون وكان عدد السفن الفرنسويَّة الراسية في مينا يافا ٩٠ نقلت اليها ١٨٢,٦٠٠ طنّ من السلع. ومن صادرات يافا ليمونها الشهير ارسلت منـهُ الى ليڤربول وحدها ٥٠٠,٠٠٠ صندوق

﴿ المذنَّب الجديد ﴾ زارنا نجمٌ مذنَّب منذ ثلاثة اسابيع لم يسبق مرورهُ على كرتنا. واوَّل من رصدهُ الاميركيّ دانيال فعُرف باسمهِ (Daniel d). وهـذا النجم ذو رأس ساطع النور وذنبهُ يمتدُّ ويتَّسع على هيئة جميلة وموقعهُ في السماء الجهـة الشرقية ليس بعيداً عن كوكب الصبح وهو من حجم الكواكب ذات الكبر الرابع او الثالث يُرى بالعين المجرَّدة ساعةً قبل طلوع الشمس

اسئلة واجوبة

س سأل احد الادباء من غلبون من ابتدأ بلبس السواد اشارة الى الحداد ولماذا ومتى ؟

لبس السواد في الحداد

ج الحداد على الموتى عريق في طبيعة الانسان لكنّ العادات في مظاهره قد اختلفت اختلافاً عظيماً على اختلاف الامكنة والازمنة والاشخاص كما يلوح من تواريخ الشعوب . فالعبرانيُّون كانوا يمزّقون ثيابهم في الحداد ويذرُّون الرماد على رؤوسهم وكان غيرهم يخدّشون وجوههم او يجرّحون اجسامهم الى غير ذلك من العادات التي يرويها التاريخ . وكذلك الثياب الملوَّنة تختلف في الحداد فانَّ الصينيين يعتبرون الابيض كشارة الحداد واليابانيُّون الازرق امَّا اليونان فانَّهم اتَّخذوا اللون الاسود لانهُ لون قاتم مظلم وهو انسب للدلالة على الحزن ومنهم عمَّ استعمال السواد في اوربة وغيرها

س وسأل الخواجا الياس فارس من البلدة ما هي اللغة التي تكلَّم بها السيد المسيح ؟

لغة السيد المسيح

ج تكلَّم السيد المسيح باللغة التي كانت دارجةً في فلسطين بين اليهود . واليهود تكلَّموا بالعبرانيَّة الى جلاء بابل ففي جلاء بابل اختلطوا بالكلدان ففسدت لغتهم لطول مدَّة سكناهم بينهم ولتقارب اللغتين . فلمَّا عادوا الى مواطنهم غلبت الكلدانية على لغتهم الدارجة . وفي هذه اللغة كُتبت اسفار الكتاب المقدَّس المؤلفة بعد جلاء بابل او في وقتهِ كنبوءة دانيال وسفر طوبيا ويهوديت وما يدعوهُ اليهود بالترجومات اي تفاسير الكتاب المقدَّس . وهي هي اللغة التي كانت شائعة في ايَّام السيد المسيح فنطق بها كما يظهر من الفاظٍ كثيرة اوردها الانجيليُّون بلفظها فصوَّروها بالحرف اليوناني كقول الرب في مرقس (٥ : ٤١) Ταλιθὰ κοῦμι (يا صبية قومي) وكقولهِ عزَّ وجلَّ على الصليب Ἠλὶ Ἠλὶ λαμὰ σαβαχθανί (الهي الهي لماذا تركتني) وغير ذلك ممَّا تجدهُ في اسفار العهد الجديد . وهذه اللغة تُعرف باسماء مختلفة فالبعض يدعونها بالسريانيَّة والبعض باللغة الفلسطينيَّة والبعض باللغة الآراميَّة او اللغة السريانية الكلدانية والمسمَّى واحد ل . ش

المشرق

سياحة اسقفيَّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش

ما كاد سيادة الحبر الجليل شكرالله الخوري يطأ ارض ابرشيَّتهِ صور حتى صمَّم العزم على زيارة ابنائهِ المتبددين في انحاء بلاد بشارة فاسعدني الحظ ان اتشرَّف بخدمة سيادتهِ مع حضرة الاب يوحنَّا مارون السبعليّ وحضرة الاب بيليسيه اليسوعيّ مدير مدارس بلاد بشارة فاحببت ان اسطّر اخبار هذه السياحة الاسقفيَّة وما جرى لنا فيها مع ما لقيناهُ في طريقنا من الآثار ولحظناهُ من احوال السكَّان وعاداتهم. ولمَّا كانت الجرائد عموماً وجريدة البشير خصوصاً روت في اعمدتها ما انجزهُ هنـاك سيادة الحبر الجديد من الاعمـال الجليلة ضربنا هنا عن تعدادها صفحاً لنقصر الكلام على ما يهمُّ قرَّاء المشرق من تعريف البلاد وذكر مآثر اهلها لاسيما المتوغلين في داخليَّة سنجق عكَّا

*

اعلم انَّ ابرشيَّة صور الجديدة التي فصلها آخرًا الكرسيّ الرسوليّ عن ابرشيَّـة صيداء يحدُّها شمالًا نهر الزهرانيّ وجنوبًا صحاري العرب وغربًا البحر المتوسّط وشرقًا بحيرة الحولة ونهر الاردن. وقد تجوَّلنا في انحائها مدَّة ستَّة اشهر توغَّلنا في قلب تلك الانحاء وقطعنا حزونها وبطونها دون ان نستوفي كل جهاتهـا فأجَّلنا زيارة يافا وغزَّة والقدس الشريف الى فرصة أخرى

١ من صيداء الى صور

دخلنا صيداء في ٢٩ من أيار سنة ١٩٠٦ فحيَّينا تلك سيّدة البحار التي ملأ سابقًا اسمُها المعمور وكان نزولنا ضيوفًا مكرَّمين على احد اعيان النصارى في البلدة حبيب افندي اسطفان رزق الله الشهير بورعهِ واريحيَّتهِ. وقد اظهر الصيداويون حفاوةً تليق بمقام حبر جليل. وبعد يوم قضيناهُ هناك خرجنا من صيداء في سلخ أيار مع وفد من اهل المدينة وبعض الاصدقاء من جزّين وسارت بنا العربات على سيف البحر تنهب خيلها الارض نهبًا حتى وصلنا الزهرانيّ فقطعناهُ ودخلنا في ابرشيَّة سيادتهِ

فلاحت لنا بعد عبور النهر عن شمالنا انقاض صرفند القديمة التى ورد ذكرها مرارًا في الاسفار المقدسة لاسيما في اخبار ايليَّا النبيّ. وقيل انَّ الصيداويين اتخذوا مكانها في سالف الاعصار لاصطناع الزجاج فدعوها باسمها دلالة على صَهر الزجاج واستحضارهِ. وقد خربت صرفند بعد عمارها وتذكَّرنا فيها قول الشاعر:

والارض كالسكّان تشقي وتسعد

اما صرفند الحاليَّة فموقعها بين اكمتين في وسط غابة صغيرة من الزيتون مرتفعة عن شاطئ البحر

ثم رأينا بعد صرفند قرية عدلون وهي حقيرة في اسفلها مغاور ومدافن سبق للمشرق (١ : ٩٨) الى وصف طرّانها العجيب. وبعد ساعة من الزمان بلغنا نهر القاسميَّة وهو نهر الليطاني الذي يجري في سهل البقاع فيمرّ تحت قلعة الشقيف الى ان ينفذ بعد الانعطافات والتعريجات في سهل صور وهو الفاصل بين بلاد الشقيف وبلاد بشارة وهو اكبر انهار فلسطين بعد الاردن. وعلى مقربة منهُ جرى لمطران الابرشيَّة الجديد استقبال شائق فكانت الفرسان من اهل صور وما يليها يمثّلون العاب الجريد فيكرّون ويفرّون ويقبلون ويدبرون مراعين في سيرهم النظام المتعارف بينهم وكانت ملابسهم وازياؤهم على شكل ازياء اهل البادية ويتغنّون باهازيجهم ويطلقون البنادق اجلالًا لمطرانهم

ولمَّا عبرنا جسر القاسميَّة ما لبثت ان لاحت لنا صور فرأينا منها ومن سدّها على رأي ابي الفرج شبه يدٍ مبسوطة في البحر راحتُها المدينة وذراعاها وساعدها السدّ وبدنها البرّ. على انَّ مسيرنا في ازقتها الضيّقة بين انقاضها واخربتها ذكَّرنا بصروف الدهر

وكوارثه الذي حوّل احدى عواصم الدنيا الى بلدة خاملة. ولو شئنـا ذكر مفاخر صور القديمة لأتسع بنا المجال فالاولى بنا ان نحيل القراء الى التآليف العديدة التي وضعت في آثارها ولا تزال الاكتشافات الجديدة تزيدنا كل يوم علماً بتلك الحاضرة الجليلة (اطلب المشرق ٨ : ٣٧٠). اماً اليوم فيبلغ عدد سكان صور ٥٠٠٠ النصارى بينهم نحو ٨٠٠ ونصفهم بنيّف موارنة اصلهم من لبنان استوطن بعضهم صور منذ اواسط القرن الثامن عشر كما يُستدل من كتابة تاريخها ١٧٤٠ للمطران جبرائيـل عوّاد اسقف عكا يعيّن فيهـا لخدمة موارنة صور وقرية علما الشعب الخوري ابراهيم اسحق من دبل في بلاد بشارة. وقد شُيدت لهم كنيسة منذ امد قريب لم تُرصّف بعد بالبلاط فامر سيادتهُ بانجاز العمل سريعاً

٢ من صور الى الناصرة

بعد ان تفقد الراعي رعيتّهُ ببهجة وغيرة غادرنا صور الى علماء الشعب في ٢١ حزيران فاجتزنا بعد ساعة راس العين حيث يجعل الاثريون موضع صور القديمة وهنـاك بعض الآثار كقناة للمياه وقناطر وغير ذلك. وعند راس العين اربع برك مياه ينسبهـا البعض لسليمان والبعض للملك حيرام والاصحّ انّها اعمال دول مختلفة وما بقي منها هو من آثار الرومان رمّمهُ الصليبيُّون

ثمّ كان مرورنا على البياضة وهو الرأس الابيض الذي يشرف على البحر حيث تمرت في صخور بيضاء طباشيريّة طريق مرتفعة ترى من تحتها مياه البحر الزرقاء ويكاد السائر يصيبهُ الدوار من هول منظرها. وبعد ان قطعنـا هذه المعابر الخطرة انكشفت لنا اخربة قصر قديم يُنسب الى الاسكندر وبقربهِ خان يدعى خـان اسكندرونة تتدفّق عندهُ ينابيع ماء زلال فتغذّينا هناك واخذنا نصيباً من الراحة

ثم واصلنا السير نحو علماء الشعب وبعد نصف الساعة عثرنا بالقرب من شاطئ البحر على آثار الطريق الرومانيّة الساحليّة وكنّا نرى على شمالنـا مدافن منقورة في الصخر الى ان لاحت لنا اعمدة ضخمة شاهقة تُعرف بخرائب امّ العواميد وصفها الاثريون وصفاً مدققاً وارتأوا فيها الآراء المتباينة. والشائع اليوم بين العلماء ان امّ العواميد هي من آثار مدينة حمّون الفينيقيّة بدلالة الوادي المسمى حتى اليوم باسم وادي حمول يبدلون النون لاماً وللعلّامة كارين (Guérin) حججٌ عديدة تاييداً لهـذا الراي وقد فنّد مذهب

رينان الذي زعم انها مدينة لوذيقية. ومن جملة مستنداته كتابة فونيقيّة وُجدت هناك ذُكر فيها معبودها عشترت على هذه الصورة: «للملك عشترت اله حمُّون نذرٌ من عبد شمون عن ابنهِ»: وقد اثبت المشرق (٦: ١٨٠—١٨٢) ما وجد سَنة ١٩٠٢ من التماثيل والدمى والانصاب والكتابات القديمة في امّ العوامية فليُراجع

ثم قطعنا وادي حمول وتوقّلنا رابيةً موقعها بين الوادي المذكور شمالًا ووادي العراض جنوبًا. وهذا الوادي العراض فيهِ مدافن كثيرة كان اهل حمون يدفنون فيها موتاهم. ثم مشينا ساعة فوصلنا الى علما وكان احداث القرية خرجوا للاقاة راعيهم وسبقوا اهلهم لنيل بركة مطرانهم الجديد فباركهم بقلب مفعم حبًّا ولطفاً على مثال معلمه الالهي

علما احدى قرى بلاد بشارة قيل أنّها «عمّة» المذكورة في سفر يشوع (ف ١٩) وكانت في تخوم سبط اشير وهي اليوم تابعة لقائمقاميّة صور عدد اهلها نحو ٦٥٠ نصفهم موارنة والباقي روم كاثوليك وبروتستانت. امّا عوائدهم فاشبه بعوائد العرب الذين يجاورونهم في تلك الانحاء كعرب البطيشيّة وخراب يارين وجُرْدَي. فيلبسون مثلهم القميص الطويل فوقهُ عباءة ملوّنة وعلى الراس العقال والكوفيّة ويسمّونها الحطّة وفي ارجلهم الجزمات المصبوغة بالقرمز الاحمر. وكذلك ملابس نسائهم كملابس نساء العرب وهنَّ يتحلين بانواع الحليّ والغوازي

وتشبه لهجتهم لهجات قبائل العرب المجاورة لهم الفاظ كثيرة واصطلاحات لا يعرفها غيرهم. وهذا مثال من كلامهم وهو غناء يقولونهُ في وصف القهوة وتهيئتها نوردهُ تفكهة للقراء:

البارحة ما طبَّق الجفن على موق (١ ... والقلب بو هجس وهاجس وهو جاس
والدمع من العين على خد مفروق ... من ضيم دنيا همّها شيب الراس
قوم سوّي فنجان شافي من العوق (٢ ... يجلي عن قلب المشقة اليباس
دبر بالك عليها من النيّ والحروق (٣ ... دبر بالك عليها يالْ صرت حمّاص
ان لونها الشفاف يشفي عن الذوق ... يشبه شبيه الورس (٤ يحمد على الكاس
ويفوح منها الطيب كما فاح من صندوق ... او فوحة العنبر في ديرة بنياس

١) اي مأق العين ٢) العوق التعب
٣ اي احذر من ان تحرقها او تتركها نيّة ٤) الورس الزعفران

وادعج بها المسمار والهال مدقوق (١ وان زدتها من جوزة الطيب
في دلة مربوب وتقول مفروق (٢ شاميّة يطرب بها الجلاس
واتّصل الحديث ما بين الاجاويد مفروق والنجر يضبح بينهم وتقول نحاس (٣
ولا ما صار حثلها على جل مدفوق (٤ حييت لابس ثياب العز مدقوق النماس (٥

امّا مساكن هذه القرى فمن الطين المجفّف في الشمس . ويسكن البيت اهلهُ مع ما عندهم من المواشي. وان حلّ عندهم الضيف اكرموهُ اكراماً عظيماً وذبحوا لهُ الذبائح وهيَّأوا المناسف الكبيرة من الارزّ ودعوا اليها اهل الضيعة

امّا الصنائع عندهم فلا يعرفون منها سوى الحراثة ورعاية المواشي. والنساء يشاركن الرجال في الحراثة. ولهنَّ حذاقة في تطريز العراقيَّات التي يلبسها الرجال تحت الكوفيات وكذلك يشتغلنَ اطباق القش بالوان ظريفة ونقوش مختلفة تأخذ بابصار ناظرها

امّا آداب اهل هذه النواحي فهي سليمة تغلب عليها البساطة وشظف العيش ومواصلة الشغل وروح الدين. ومن سوء طباعهم اخذهم بالثأر فاذا وقعت بينهم الضغائن هبُّوا للانتقام واستسلموا للنهب والسلب وسفك الدماء لا يردّهم رادع الدين ولا تضبطهم بصيرة ولولا الحكومة السنيَّة تضع حدّاً لشراستهم لأفنوا بعضهم بعضاً . ولحضرة الآباء اليسوعيين في علما مدرسة يسعون جهدهم في ترقيتها وحسن تربية الاحداث المتواردين اليها . وكثيراً ما انقطعوا في علما وغيرها من بلاد بشارة الى اعمال الرسالة من وعظ ورياضات وتعليم منذ نيف وخمسين سنة

ولم يُطل سيادة الراعي الجليل السكنى في علما لشغل اهلها بالحصاد فآثر الرجوع اليها في الخريف وأجّل زيارة بقيَّة بلاد بشارة الى ذلك الفصل فعاد وعدنا بخدمتهِ الى الساحل في ٢٤ حزيران وزار في اواخر هذا الشهر عكّة وحيفا والناصرة وتفقّد شؤون

---

١) الدعج التحريك. والهال حبّ معروف يطيّبون بهِ القهوة

٢) الدلة الركوة او ابريق القهوة. والمربوب الممزوج الذي صار كالرب. والمفروق الفارق

٣) الاجاويد السادة والنجر الدقّ. ويضبح يسمَع اي يسمع دقُّه كطرق النحاس

٤) حثل القهوة ثفلها الراكد في الركوة. والجل الجلَّة التي يوقدون به النار اي لا تدع ثفل القهوة على الجلّة لئلّا يدوسها المارّة

٥) يختم بالدعاء للذي هيّأ القهوة وهو قد دقّ دقّة شاميَّة حول عينيه

ابنائهِ فيها ولمَّا كانت هذه المدن الثلاث مشهورة قد ورد جانب من اخبارها وآثارها في المشرق لا نذكر من امرها غير ما لهُ بعض علاقة مع ابرشيَّة صور المارونيَّة ثمَّ نعود الى وصف بلاد بشارة

٣ عكا حيفا والناصرة

(عكا) دخل سيادة المطران شكر الله مدينة عكا في ٢٥ حزيران فتلقاهُ اهلها بغاية الحفاوة والاكرام ونزل في دار خاله الوجيه الخواجه ابراهيم نصر الله خوري فقضى هناك ١٢ يوماً تفرَّغ فيها لصوالح رعيَّتهِ. وقطيعهُ فيها صغير يبلغ ١٢٠ نفساً وقد كانوا سابقًا اوفر عددًا فرحل كثيرون منهم الى اميركة. امَّا اصلهم فمن انحاء لبنان انتقل بعضهم اليها منذ اواخر القرن السابع عشر. والدليل عليهِ كتابة وجدناها على رخامة تحت مذبح القديس انطونيوس كانت في قسم الكنيسة القديمة وهي من نوع الزجليَّات هكذا:

ابن باولي قبرصي اسمهُ انطون كاره مصوّر تابع لمار مارون
باثنين وعشرين من عمره مات بالطاعون سنة الف وسبمائة واثنين وثلاثون

وفي سنة ١٧٥٠ وسَّع موارنة عكا كنيستهم والظاهر انَّ محسني فرنسة ساعدوهم على ذلك وهناك كتابتان الواحدة لاتينيَّة فوقها شعار ملوك فرنسة من الزنبق وهي

ACTUM PRIMA DIE JANUARII, 1750

وكان احد هؤلا المحسنين هو السيد لافركاد احد تجارهم في سوريَّة وقد وجدنا الصحيفة التي كانت فوق ضريحهِ مكتوب عليها تاريخ وفاتهِ

HIC JACENT OSSA J- B. LAFORCADE

لمَّا الكتابة العربيَّة فمؤداها ان الكنيسة شُيدت على اسم العائلة المقدَّسة في ايَّام البابا بنديكتوس الرابع عشر والبطريرك سمعان عواد والمطران جبرائيل عوَّاد وكان خوري الرعيَّة القس ميخائيل فاضل الذي رُقي بعد ذلك الى السدَّة البطريركيَّة

اما بقية طوائف عكة فنحو ٩٠٠٠ الثلثان منهم مسلمون والباقون روم ارثودكس وعددهم ١٤٠٠ وروم كاثوليك نحو الالف مع قليل من اليهود والبابيين الذين تضاربت في مذهبهم الاقوال

(حيفا) بارح سيادة الراعي عكَّا في ٨ تموز ليزور حيفا فبعد حفلات الاستقبال

نزل على الرحب والسعة في دار اصحاب الاريحيَّة والتديُّن الجـال المرحوم المبرور سليم نصر الله خوري واقام في حيفا اسبوعين للنظر في شؤون ابنائهِ هناك· والموارنة في هذه المدينة نحو ٧٠٠ نسمة وعهدهم فيها من زمن قريب كما يدلّ على ذلك سجـلّ العماد الذي كان الاباء الكرمليون يدوّنون فيهِ اسماءهم قبل بناء كنيستهم الحاليَّة· فان اقدم اسم ماروني وجدناه تاريخهُ سنة ١٨٤٠

(الناصرة) سار اليها سيادتهُ في ٢١ تموز صباحاً وركبنا بصحبتهِ عربةً فقطعنـا قسماً من مرج بني عامر الشهير بخصبهِ ولقينا في طريقنا نهر قيشون فتذكرنا ما جرى عندهُ من الوقائع المسطَّرة في الكتاب الكريم لاسيما انتصـار دبورة والعبرانيين على سيسرا وجيشهِ كما رُوي في سفر القضاة ثمَّ مقتل كهنة البعـل بيد اليَّا النبي · وكان وصولنا الى الناصرة في هاجرة النهار واهل البلد قد خرجوا افواجاً للاقاة راعيهم لكنَّ سيادتهُ كان اخفى عنهم ساعـة وصولهِ وجرى في غير الطريق المالوفة فحُرم القوم من المظاهرات التي اعدُّوها لشخصهِ الكريم

وليست في بلاد الجليل مدينة كالناصرة تعدّدت فيها الطوائف المختلفة المنشـأ · ولكل طائفة تاريخها لا يمكنّا استيفاء اخبارها جميعاً فنكتفي بالاشارة الى اصل الموارنة نقتطفهُ من تقرير كتبهُ سنهِ ١٨٥٧ يعقوب فرح الروم الارثوذكسيّ فاطلعنا عليهِ حفيدهُ الخوري صالح ونضيف اليهِ ما وجدناهُ في سجلّ كنيستنا بخط الخوري بوناونتورا الماروني

ظهر الموارنة في الناصرة في اواسط القرن السابع عشر وكانوا يصلُّون في كنيسة الرهبـان الفرنسيسيين · ويتبعون الطقس اللاتيني ومنهم تفرَّع اللاتين الذين اليوم في الناصرة · وممن اشتهروا حينئذ يمّن ابو جرجس شمَّا وفي ايَّامهِ كثرت الموارنة الذين استوطنوا الناصرة فابتنى الخوري بوناونتورا بسعي يوسف شمَّا وهمة ابراهيم صبَّاغ كاخية ظاهر العمر ورخصة ظاهر المذكور كنيسة جمع احساناتها من مال ذوي الكرم من بيروت وعكَّة وكرَّسها سنة ١٧٧١ على اسم سيِّـدة البشارة· ثمَّ جاء الناصرة ناسٌ من بلاد بشارة من الطائفة المارونيَّة انضمُّوا الى اخوتهم وحافظوا على طقوسهم الى يومنا · ودونك الامر الذي اعطاهُ ظاهر العمر لتشييد الكنيسة:

انا سمحنا الى اعزازنا نصـارى الناصرة الموارنة انهم يجيبوا لهم خوري من طائفتهم ويستقيم عندهم في مكان مخصوص ويعمر لهم كنيسة ويعاملهم فيما يخصّ امور دينهم وذلك لاجل تصميد

احوالهم كونهُ ضروري لهم وحرَّرنا ذلك سندًا يدهم والخوري الذي يستقيم عندهم لا يشاهد من طرفنا الَّا المليح حُرّر في ٢٢ جمادى ١١٨٢ ظاهر العمر (لها تابع)

الريبـــاس

عودٌ على بدْ

لجناب الدكتور حبيب افندي الدرعوني

وعدنا في ختام مقالتنا الاولى عن الريباس (ص ٢٥٣) بان نأتي على تتمَّة البحث في خواصّ هذا النبات وبيان اركان تركيبهِ . وقد جاءنا على اثر نشر الفقرة الاولى من هذا البحث بعض افادات ارسلها من الموصل الى مجلة المشرق جناب الموصلي داود ارميا مقدسيلو نذكر خلاصتها دليلًا على دقَّة صاحبها في المراقبة وصحَّة الاختبار والنتائج

قال المراسل الاديب انهُ لما كان في قضاء زاخو احدى ملحقـات ولاية الموصل عاين قومًا من الاكراد في ايَّام الربيع قد اتوا بأحمال من هذا النبـات ليبيعوهُ في البلد وهم يدعونهُ باسم الريقاز. فسألهم عنهُ وعن مواطنهِ وكيفيَّة منابتهِ والمقادير التي تُحصل منهُ ومفاعيلهِ المرويَّة عندهم

فكان جوابهم انَّ هذا النبات ينبت عفوًا في خدود الجبال المجاورة لقضاء زاخو يخضرّ ايام الشتـاء وينضج بكمال الربيع . وتكون منابتهُ كالنرجس والسوسن دوائر متفرّقة يستغلُّون منهُ في تلك الناحيـة فقط من الف الى ١٥٠٠ اقَّة ويبيعون الأقّة بغرش . ويكون اكلهُ لماظًا لطيب طعمهِ امَّا العارفون بخواصهِ فيصفونهُ للصفراء

قال المراسل فسألت والدي عن حقيقة الامر فافادني عنهُ ما ادوّنهُ هنا لفائدة العموم : انَّ نبت الريباس يكثر في جبال زاخو في ناحية سندي وكلمن وجبال العماديَّة والتيارى والكويان وجبـال بدليس وباشقلعة وجولة فيرك وافضلهُ الجبليّ الذي يطمرهُ الثلج فاذا ذاب الثلج جناهُ اهل تلك الجبال واوسقوا بهِ دوابَّهم او حملوهُ على ظهورهم فيبيعونهُ في اسواق المدن او يبدلونهُ من مأكولات اخرى يحتاجون اليها . وطعم الريباس لذيذ فيهِ حلاوة ممزوجة بحموضة وعفوصة وهو يطيّب نكهة الفم ويسهل هضم الاطعمة ويدفع الصفراء ويليّن المعدة ويدرُّ البول . يشبه شكلهُ طلع النخـل الصغيرة . وتبلغ

عساليجهُ في السنة الاولى من ٢٠ س الى ٣٠ في عرض الابهام. واذا دخل في سنتهِ الثانية تفرَّع من عساليجهِ سوق اخرى ثانويَّة تكون الواحدة في طول ٣٠ س الى ٤٠ وهي التي تؤكل لطيب ذوقها على خلاف السوق الاصليَّة التي تفقد طعمها. ويختلف لونه بين الاخضر والاحمر والاصفر وعلى قشرتهِ زغب مخمليّ يتساقط لادنى ملامسة (والصواب انَّ ما يتساقط هو بزره). أما عرقهُ المدفون في الارض فيشبه جذر الراوند وفعلهُ كفعلهِ وخواصهُ كخواصهِ

ثم روى جنابهُ بعض الزجليَّات التي يقولها الاكراد في وصف الريباس نضرب عنها صفحًا شاكرين للكاتب ما اتى من الفوائد

ويستنتج من هذه الاعلامات ومن ملحوظاتنا انَّ الريباس يشبه الراوند كلَّ المشابهة او هو الراوند الوطني لانهُ من الفصيلة نفسها. وكذلك هيئتهُ وقوامه وصفاتهُ تشبه الراوند. غيرانَّ في تركيبهِ الكيماوي بعض الاختلاف ولذلك افردنا لهُ درسًا خصوصيًا. ولهُ مفاعيل خاصَّة بهِ ايضًا يستمدُّها من طبيعة هذه الاركان وامتزاجها. وكنَّا ارسلنا الى معمل الصيدليَّة المتوسطة في باريس جذر الريباس ليحلّلهُ علماؤُها تحليلًا مدقّقًا فاتانا منهم الجواب انَّ في تركيب اصول الريباس تدخل المواد الآتية:

١ مادَّة ندعوها باسم الريباس « ريباسين »
٢ املاح جير وبوتاس
٣ اوكسالات الجير
٤ حامض التفّاح
٥ مادَّة صمغيَّة ونشائيَّة
٦ عفص
٧ مادة خشبيَّة ومائيَّة

اما اختلاف الريباس عن الراوند فبأنَّ للراوند ركنًا مهمًّا وهو الحامض الخريزوفنيك والمادَّة الملوّنة وذلك ممَّا لا اثر لهُ في جذور الريباس. وبخلاف الامر في الريباس مادَّة مرَّة دعوناها الريباسين نعلّل بها فعلهُ المقرَّر في تقوية المعدة. والشاهد على ذلك أنَّنا نرى عادة العقاقير المسهلة تُفقد من يتعالج بها شهوة الطعام. امَّا الريباس فعلى عكس ذلك يساعد في هضم الاطعمة وينبّه الاعضاء. ويهيّج التغذية العموميَّة لامتزاج مادَّتهِ المسهلة بالتانين (tannin) والمادَّة المرَّة او الريباسين وكلاهما معروف

بخاصّته المقوّية . وهذا مما يؤيد قول ابن البيطار الذي نقلناهُ سابقًا (ص ٢٥٧) في ربّ الريباس بانهُ مقوٍ للمعدة مشهٍ للطعام



نبات الريباس (جذره وسوقه)

وعندنا انّ النصيب الاكبر في تقوية المعدة هي مادّة « الريباسين » وقد اتّخذنا ما حصلنا عليهِ من هذا النبات لمعالجة بعض عوارض سوء الهضم « الدِسْپيسيا » الناتجة عن الامراض الحادّة وعلى الخصوص التي تحدث مرارة في الفم والمًا خفيفًا في قعر

المعدة مع القبض فوجدنا مفعولها حسناً . وهذا يصحُّ في كل عارض دسپيسيا يشاركهُ عقل المعدة أيًا كان سببهُ

واجدر من ذلك باستلفات نظر الاطبَّاء ما لحظنــاهُ واختبرناهُ غير مرَّة وهو ان يمتزج الريباس بالعقاقير التي يحكمون باستعمالها ولا تقبلها معدة المريض فاذا جُعل في الدواء شيء من الريباس امكنهُ ذلك . ومما اختبرتهُ في حادثة اوجبت معالجة المريض باستعمال الزئبق فكانت معدتهُ تأبى الدواء فيحصــل لهُ منهُ ألم واسهال . فعرضت عليهِ ان احقنهُ بالزئبق تحت الجلد فلم يرضَ . فخطر على بالي ان امزج الزئبق بشيء من الريباسين فشرب الدواء دون صعوبة وقويت معدته عليهِ

هذه خلاصة ما استدللنا عليهِ واختبرناهُ بنفسنــا عن الريباس فدوَّناهُ في المشرق خدمةً للعموم ومرجعاً في ثبات اوليَّة البحث عنهُ . وفي الختام نشكر همَّــة الخواجا خليل رفائيل من بعلبك الذي ذهب بنفسهِ الى اليمُّونة فاقتلع لنا من نبات الريباس ما زيَّنَّا برسمهِ مقالتنا

المنتخب من امثال حلب

لحضرة الخوري توما أيوب السرياني الحلبي

الفصل الاول

في السعد والتعس والحظ اذا قلب

١ السعد والسعادة بيد الله

٢ ذنب السعادة املس

٣ امشِ مع السعادة تكسب جميع البضائع . اياك من التعس يروح التعب ضائع

٤ غسلوا قميص المتَّر ثارت الأَرياح . قالوا المتَّر معتَّر ان اجا وان راح

٥ انا فقَّرته انت بتغنيه . وانا موَّته وانت بتحييه

٦ لما اقبلت باض الحمام على الوتد . ولمَّا انحلت بال الحمار على الاسد

٧ السعد اذا اجا بيكسر الباب . واذا ولَّى بيقلب الذهب تراب

٨ قال لامه : يا امي ادعي لي . قالت لهُ : الله يرزقك حظ تخدمك فيهِ ارباب

الحظوظ . ولا يرزقك حظ تخدم بهِ ارباب الحظوظ

٩ المتعس اذا ركب على جمل يعضه الكلب

١٠ يا كثرة الاصحاب لما كان كرمي دبس . ويا قِلّة الاصحاب لما صار كرمي يبس

١١ كم شنيعة بالف بهجة . وكم مليحة بلا خمار

١٢ الانسان اذا قلب حظه بتغير عقله

١٣ فلان كثير النطّ قليل الصيد

١٤ دسنا اراضي هلّي ما بتنداس . وبسنا ايادي هلّي ما بتنباس

١٥ تمّ الزمان يشيلني ويحطّ . حتى جعلني ماشطة للقطّ

١٦ الدنيا دواهي والدوا هي

١٧ كل زمان إلهُ دولة ورجال

١٨ ما راح من الدهر يوم أبيض واجا مثله

١٩ من اجا سعدهُ قوام . يروح قوام

٢٠ اذا الانسان شاخ يشيخ رزقه

٢١ من قرب اجله . قل حظه

٢٢ ثلاثة اشياء ما بتنخلف دم الصباء وعافية الصباء ودرهم الصباء

٢٣ نامْ يا صاحبي نام . ما قط شي دام

٢٤ مصائب الدهر اكثر من نبات الارض

٢٥ من اين ما داريت حملي مال

٢٦ زمان الطرب هرب

٢٧ بعد ما كنت ستّها . صرت اطبّل بعرسها

٢٨ ان اسعدك اسمك . وان اتعسك ارماك

٢٩ لا فورا . الّا وراها غورا

٣٠ الدنيا ادوار

٣١ كل من اله رقصة

٣٢ السعد اذا اجا يقدح كالزناد . واذا قلب يقلب مثل دست الطعام

٣٣ كل ما فشخنا فشخة الى قدام . بنرجع لورا تلات اقدام

٣٤ من قل ما في يدّه . ما عاد حدا يودّه

٣٥ من قصر باعه . قصر لسانه

٣٦ من قلب حظه عمي قلبه

٣٧ جاءتنا ايام نسّتنا حليب هلّي رضعناه

٣٨ طلع سعدان الى القصر قالوا لهُ : انزل تتمسخ . قال لهم : اكثر من القرد ما مسخه الله

٣٩ مثل الطبل شبعنا قتل وبطننا فاضي

الفصل الثاني

في الغنى ونجاح العالم

١ المال يطلب صحابه . والجسد ترابه

٢ الشبعان بفتّ للجوعان فت بطي

٣ انا غنية . وبحب الهدية

٤ قال : هلّي معهُ مال بياكل لحم صفيحة . وهلّي ما معه مال بنشنق على الريحة

٥ من كثر ماله قسي قلبه

٦ عز الدنيا بالمال . وعزّ الاخرة بالاعمال

٧ لا تمدّ للعليا ايدك . ما لم نقل لك هات ايدك

٨ هلي عنده فلفل برش على المخلوطة

٩ بيت السبع ما بيخلى من العضام

١٠ العملة مكتوب على كنارها : قاضية الحاجات

١١ القرش بلقّش صاحبه بسبعة السن

١٢ صاحب القرش ضهره ماكن

١٣ القرش بيفرق الاخ من اخوه

١٤ الله يكفيك شرّ من تحسن اليه

١٥ المال فدا الابدان . والابدان فدا الايمان

١٦ الغني بقيس قياس نفسه

١٧ فرخ البط سبّيح

١٨ من راد يغني حاله بسنة يفقر في شهر

١٩ فلس فوق فاس بيطيلع حسّ

٢٠ الغني متل لبلوب السكّر كيف ما ملته بيتاكل منه

٢١ الله اذا اعطى ما بيسأل . واذا اخذ ما بيشاور

٢٢ الذهب بعتاذ للنخاله

٢٣ اذا فعلت خير كمّلهُ

٢٤ اعمل خير وارميه بالبحر . ان ما بان عند البالق . ما بضيع عند الخالق

٢٥ المال المزكى لا يحرَق ولا يغرَق ولا يسرَق

٢٦ الحرص الزائد من قلة اليقين . والطمع الزائد من قلة الدين

٢٧ الغنمة ما عندها دقن مسرّحة

٢٨ يا طالب المعالي . مهر المعالي غالي

٢٩ اذا كنت من الكبار . لا تخلِّ على حيطك غبار

٣٠ المبذرين . اخوان الشياطين

٣١ العين ما بتحب اعلى منها

٣٢ عين ابن آدم طماعة

٣٣ الغني مثل زيت ادلب بتاكُل منُّه وبتشعُل منه

٣٤ الكلام ما هو عند المبتدا . عند المنتهى

٣٥ البطر بقلل الدين . اذا كان العقل ما هو رزين

٣٦ حب الرناسة قتال

٣٧ ابن النعمة تبقى عليهِ اشارات . وابن الشحادين تبقى عليهِ امارات

٣٨ كثرة الدم تضر الجسد . وكثرة المال تضر النفس

٣٩ حظ عطيني وعلى المذبلة ارميني

٤٠ هلّي من قسمته رضيان . عيشته في امان

٤١ قال البرغوت ما اكبر حالي . قلّه الجمل : طلّع بالعالي

٤٢ لا تتكبر على الفقير قادر الله متله تصير

٤٣ جحش ومحمّل قروش

٤٤ هلّي سبح بالبحر . ما بتغلّب من شبر وحل
٤٥ شرب البحر وعند الساقية غصّ
٤٦ جبار ما بنصلاله بنار
٤٧ الكسم ما هو بوسع الكمام . باللياقة والهندام
٤٨ هلّي نفسها دنيّة . ما بتنسمى غنية
٤٩ من كانت نفسه شريفة . كل طباعه لطيفة
٥٠ مستريح وكمكه . ولا عشرة الوان ودعكة
٥١ من كان باعه طويل . اش ما قال بدّه يصير
٥٢ لا تجعل الدنيا اكبر همك . ما لك من الدنيا غير لقمة تمك

الفصل الثالث

في الفقراء وقلتهم وسوء حالهم

١ لا عياط الّا من شدة
٢ من قصدك وجب حقّه عليك
٣ متل البنّا على حيط هات حجر هات طين
٤ لولا اهل الكرم ماتت اهل العدم
٥ مثل السمك القوية بتاكل الضعيفة
٦ فقير اخذ فقيرة في آخر السنة بيجيبوا فقرا زغار
٧ رضينا الهمّ والهمّ ما رضينا
٨ حساب السوق . ما بيطبق على الصندوق
٩ اشما اكلت العنزة بيطلع من حليبها
١٠ ما كفاني همي وهمّ جيراني . بدّي احمل هم اهلي وخلاني
١١ المفلس متل كلب اللّي دانه مدوده . كل من بيهرب منهُ من جنب
١٢ ما بياكل العبد الّا هلّي مستاهلهُ
١٣ الله بيدسّ النبض وبيعطي الدوا
١٤ على حجة الورد بيشرب العليق
١٥ عندي من هل الحبق شتلات

١٨ من راد يغني حاله بسنة يفقر في شهر
١٩ فلس فوق فاس بيطيلع حسّ
٢٠ الغني متل لبلوب السكّر كيف ما ملته بيتاكل منه
٢١ الله اذا اعطى ما بيسأل. واذا اخذ ما بيشاور
٢٢ الذهب بعتاذ للنخاله
٢٣ اذا فعلت خير كمّلهُ
٢٤ اعمل خير وارميه بالبحر . ان ما بان عند البالق. ما بضيع عند الخالق
٢٥ المال المزكى لا يحرَق ولا يغرَق ولا يسرَق
٢٦ الحرص الزائد من قلة اليقين. والطمع الزائد من قلة الدين
٢٧ الغنمة ما عندها دقن مسرّحة
٢٨ يا طالب المعالي. مهر المعالي غالي
٢٩ اذا كنت من الكبار. لا تخلّ على حيطك غبار
٣٠ المبذرين . اخوان الشياطين
٣١ العين ما بتحب اعلى منها
٣٢ عين ابن آدم طماعة
٣٣ الغني مثل زيت ادلب بتاكُل منُه وبتشعُل منه
٣٤ الكلام ما هو عند المبتدا . عند المنتهى
٣٥ البطر بقلل الدين. اذا كان العقل ما هو رزين
٣٦ حب الرئاسة قتال
٣٧ ابن النعمة تبقى عليهِ اشارات . وابن الشحادين تبقى عليهِ امارات
٣٨ كثرة الدم تضر الجسد. وكثرة المال تضر النفس
٣٩ حظ عطيني وعلى المذبلة ارميني
٤٠ هلّي من قسمته رضيان. عيشته في امان
٤١ قال البرغوت ما اكبر حالي. قلّه الجمل: طلّع بالعالي
٤٢ لا تتكبر على الفقير قادر الله متله تصير
٤٣ جحش ومحمّل قروش

٤٤ هلّي سبح بالبحر . ما بتغلّب من شبر وحل
٤٥ شرب البحر وعند الساقية غصّ
٤٦ جبار ما بنصلاله بنار
٤٧ الكسم ما هو بوسع الكمام . باللياقة والهندام
٤٨ هلّي نفسها دنيّة . ما بتنسمى غنية
٤٩ من كانت نفسه شريفة . كل طباعه لطيفة
٥٠ مستريح وكمكه . ولا عشرة الوان ودعكة
٥١ من كان باعه طويل . اش ما قال بدّه يصير
٥٢ لا تجعل الدنيا اكبر همك . ما لك من الدنيا غير لقمة تمك

الفصل الثالث

في الفقراء وقلتهم وسوء حالهم

١ لا عياط الّا من شدة
٢ من قصدك وجب حقّه عليك
٣ متل البنّا على حيط هات حجر هات طين
٤ لولا اهل الكرم ماتت اهل العدم
٥ مثل السمك القوية بتاكل الضعيفة
٦ فقير اخذ فقيرة في آخر السنة بيجيبوا فقرا زغار
٧ رضينا الهمّ والهمّ ما رضينا
٨ حساب السوق . ما يطبق على الصندوق
٩ اشما اكلت العنزة بيطلع من حليبها
١٠ ما كفاني همي وهمّ جيراني . بدّي احمل هم اهلي وخلاني
١١ المفلس متل كلب اللّي دانه مدوده . كل من بيهرب منهُ من جنب
١٢ ما بياكل العبد الّا هلّي مستاهلهُ
١٣ الله بيدسّ النبض وبيعطي الدوا
١٤ على حجة الورد بيشرب العليق
١٥ عندي من هل الحبق شتلات

١٦ من وفر من غداه الى عشاه · ما شمتت فيهِ اعداه

١٧ كلما قلنا موسى يطلع فرعون

١٨ عمى النظر اخير من عمى القلب

١٩ الله لولا يعرف الحيه اشيّ ما حط اجريها في بطنها

٢٠ الدنيا صورة الاخرة

٢١ جمل بفلس وفلس ما في

٢٢ حيط الواطي كلّ الناس بتركبه

٢٣ بلينا وما حدا دري فينا

٢٤ الفقير متل الطبول بتتغدّى قتل وبتتعشى شنق

٢٥ متل دبانة الكلبة بتكشها من هون بتجي من هون

٢٦ عنزة الجربانة ما بتشرب الّا من راس الينبوع

٢٧ متل وراثة جحى ما نابه منها غير القتل والبهدلة

٢٨ ينعل الطوق هلي يخنق صاحبه

٢٩ متل اولاد الكتّاب كل من مشغول في مثيلته

٣٠ متل اهل جهنم كل من بتعدب بخطيّته

٣١ كل هل الدعكة على هل الكعكة

٣٢ هلي في الدنيا كاره طبال · في الاخرة كاره زمار

٣٣ يا رائح لسوق الدوابّ علّق في دقنك جرص

٣٤ متل كلب الكسلان عند الحسنة بنام

٣٥ احسن ما تاكل حلاوة منفوش · خيّط بابوجك المبخوش

٣٦ القتل متل الحسنات ما بيا كلهم الّا هلي مستاهلهم

٣٧ عندما سكّر السوق وطربق ترل المعتر يتسوق

٣٨ ما تعربنا الّا حتى نشبع مرقه

٣٩ شغلوا الكلب بعضمة

٤٠ لا قدرتك بتغلي · ولا مقلايتك بتقلي · وانا عدّيت على بيتك من قلّة عقلي

٤١ خدي على هل لطمة متعوّد

نخبة من ديوان ابراهيم الحكيم الحلبي

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني

١ وصف الديوان

عثرت في صيف السنة الماضية على ديوان بخط نسخيّ مرتب على حروف المعجم قد مُزقت اوراق كثيرة من اولهِ وآخرهِ وهو مخطوط على ورق عبَّادي جيد الخط كتبت فيه عنوانات القصائد بالحبر الاحمر وقطعه ١٨ سنتي طولًا و١٠ عرضاً وفي كل صفحة منه واحد وعشرون سطرًا والباقي من صفحاتهِ هو من ٢٩ — ٢٠٢ والقصائد الباقية في هذه المجموعة هي من حرف الدال الى حرف الميم وفي آخر كل حرف منها صفحة بيضاء او اكثر مما يدل على ان هذه النسخة من كتب الناظم كانه كان ينوي ان يضيف اليها بعض قصائد لعبت بها يد الضياع فعاجلته المنيَّة دون اتمام نيته أو ان اسفارهُ الكثيرة بدَّدت منظوماتهِ فلم يهتدِ الى الشارد منها وعلى بعضها اصلاحات بقلمهِ. وقد طالعته مرارًا فلم اهتدِ الى اسم ناظمهِ (١ ولا الى ما يرشد اليه الى ان نشرت مجلة المشرق الغراء في سنتها التاسعة خطاب «الاداب العربية في الشهباء» لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي فذكر اسم ابرهيم الحكيم الملكي الكاثوليكي ووصف سفرته من حلب الى مصر واشار الى قصيدة منها مطلعها:

قلبي يذوب الى المنازل والحمى ولديَّ ذاك الحيّ اضناني الظما

فتذكرت انني قرات هذه القصيدة وهي آخر ما في الديوان قد ذهب معظم ابياتها وبقي منها تسعة فقط. فطربت لمعرفتي الناظم وتاكدت ان الديوان من نظمهِ فبحثت كثيرًا لاجد نسخة ثانية له في موطنه حلب وفي قوائم اوربة فلم اقف على من ذكر او عرف ديوانه هذا فاشتد حرصي عليه لانه نادر وربما كانت هذه النسخة هي الوحيدة ولما نُشرت في السنة الجارية رحلته في هذه المجلة كنت اقابل كل قصيدة تورَد فيها على الباقي

---

١) سوى ما ورد في بديعيته قبل الاخير باربعة ابيات في نوع (الاستشهاد) ولكنني كنت في ريبة من الامر الى ان انجلى لي اسمه في المشرق

في يدي منه فأجدها فيه سوى قصيدتين (١ احداهما في صفحة ٧١١ ومطلعها : « يا لها روضة تحاكي الفرادس » والثانية في صفحة ٥٨٢ وهي ارجوزة فيها اسم عبد الله لم يهتدِ حضرة ناشر المقالة الى حقيقته أهو عبدالله زاخر ام غيرهُ . ولما كان في الديوان قصيدتان للناظم بمدح الشماس عبد الله عبده صديقه (صفحة ٩٣ و١٥٨ من الديوان المخطوط الذي بيدي) تحققت انه هو المقصود هنا بلا خلاف . اما بقيـــة القصائد المنشورة فجميعها واردة في الديوان في الحروف الباقية منه فقط مع اختلاف في بعض المواضع لا باس من الاشارة الى اهمهِ هنا ففي صفحة ٥٦٣ السطر الخامس من المشرق « وغدا بهم من الفصاحة ابكما » والصواب « قس الفصاحة » . وقد سقط من بين السطرين ٣ و٤ بيتان هما:

من منزلٍ باهي الجمال مزخرفٍ ولحسن زينتــهِ فـــدا يحكي السما
فكأنهُ الفلك المنــير وأهلهُ ضاهوا الثريا والسهى والانجما

وفي صفحة ٥٨١ قصيدة (نظمها سنة ١٧٥١ بمدح احد اصدقائهِ) وردت بعض اياتها وفي هذا البيت منها خطأ :

يا ايها المولى الجليل القدر والـــعالي المقام (وذو الحياة) الاشرف

وفي الديوان « وذو الجناب » وهو الاظهر

وفي صفحة ٧٠٩ قصيدة وصف بها أخطار البحر المالح وسرعة انقلابهِ سنة ١٧٥٧م . ومنها قوله كما رواه المشرق

فكم آليت في عمريّ بالأّ أحلّ النمر حيثما انت سالك

والشطر الثاني في الديوان اصحّ وهو: « اكون الى مكانٍ فيك سالك » ومنها :

الا افعل ما تشا فينا ونحن لما فوّقت فينا من نبانك

وهو في الديوان

فإفعل ما تشا فينا ويجّن لما فوّقت فينا من نبالك

وفي صفحة ٧١١ ابيات وصف بها روضاً ظليلاً على جانب نهر النيـــل في مصر كما في ديوانه وقد وقع الخطأ في الديوان بقولهِ :

١) هذا ما ورد من الحروف الباقية في الديوان الذي بيدي اما ما مزق منه قبـــل حرف الدال وبعد حرف الميم فهو غير موجود منه شيء

يمرُّ بهِ النسيم بلا انقطاع (وحرّ) الشمس مقطوع السيل

فروي في المشرق «ومرُّ» وهو المقصود

وفي القصيدة التي وصف بها مصر القاهرة وحكامها سنة ١٧٦٠ قولهُ في رواية الديوان :

قهرت ملوك الأرض شرًّا وازدرت بولاتها فلذاك (دعيت) قاهرة

وفي المشرق «تدعى قاهرة» وهو الصواب

ومنها في صفحة ٧١٠ قوله في الديوان :

قد زينت وترخرفت (مذ رسنقت) حتّى حلت في كل عين ناظر

وفي المشرق «وتزخرفت ببهائها» وهو الاولى

الى غير ذلك مما يدلّ على تلاعب ايدي النساخ وضعف الناظم باداب اللغة العربيَّة اذ ان ديوانه مشحون بكثير من هذه السقطات ولكنه في الغالب شاعر مطبوع رقيق الحواشي منسجم الالفاظ حتى انهُ يدمج العامي منها في نظمهِ وبالاستقراء رأيت ان منظوماته تتراوح بين السنة ١٧٢٠ و١٧٦٦ واغلبها من السنة ١٧٤٠ الى ١٧٦٠. ومن مطالعة الديوان يظهر ان هذا الناظم كانت اكثر اقامته في حلب. وكان في ادنه سنة ١٧٤٠ وفي سيواس سنة ١٧٤١ و١٧٥٧ وفي بلاد صهيون سنة ١٧٥٠ وفي كسروان (لبنان) سنة ١٧٥٧ وفي مصر سنة ١٧٦٠ و١٧٦٢ وفي اللاذقيَّة سنة ١٧٤٠ و١٧٥٠ وفي حمص سنة ١٧٥١ و١٧٥٤ والباقي صرفهُ في حلب وعلى الجملة فان هذا الشاعر كان حليف الاسفار واليف الترحال كما يظهر من مطالعة ديوانه النادر الوجود فهو لقطة ادبيَّة ثمينة احببنا نشر بعضها في هذه المجلة التي اخذت على نفسها نشر آثار الادباء ولاسيما الشرقيون

٢ منتخباتهُ

خاض هذا الشاعر كثيرًا من فنون النظم وقد اثرنا أن ننتخب محاسن ديوانهِ في هذه المقالة خشية ان تلعب به يد الضياع فتضيع اثاره الادبيَّة ولاسيما ان النسخة التي بايدينا ربما كانت الوحيدة منهُ وها نحن نبدا بتبويب المنتخبات بالنسبة الى مواضيعها معلقين عليها ملاحظات وشروحاً دعت اليها الحاجة زيادة في التحقيق :

﴿ الدينيّات ﴾ قال رحمه الله يمدح السيد المسيح ورسله الاطهار ومريم البتول والكنيسة المقدسة في بديعية التزم فيها تسميته النوع على نسق من تقدمه من البديعيين سنة ١٧٣٤ وقد ميز ذلك بالحبر الاحمر فوضعناه بين هلالين:

(براعتي) في امتداحي منهــل النعمِ ... قــد (استهلّت) بديع النظم كالعلمِ
قد هام قلبي (بتركيب) الغرام فقل ... بي ما تشا (مطلقاً) لم تقتصر هممي
كم ضلَّ لاحٍ (بلفظٍ) ظــل ينشدهُ ... (والقلب) ما مال لمّا لام للنــدمِ
في المنهل العذب لا يختــار منع ظما ... مضىً (بتلفيق) مــا يرويه من عظم
مذ صاح داعي الهوى (تمت) دعوتهُ ... وزد أيا صــاحِ (تطريفي) ولم أُلَمِ
ان (ذيل) الحبُّ حبل الوصل منه بلا ... فصل لحقتُ بَنيــل الجود والكرم
وقد(تصحف)حبُّ الغيد عندي(١) كما ... (تحرّف) القلب عن ذا القسم بالقسم
وملت نحو ابن نون (المعنوي) عسى ... يصــير لي كابن رعدٍ او أبي الأمم
(مستطرداً) خلفه خيــل الغرام ولم ... أخشَ النكــال ولو فيه يراق دمي
وحرتُ في حبــه (والافتنــان) بهِ ... انمي زمــاناً مضى هــدراً بغيرهم
وقــد (تخيّرت) موتي في محبتهم ... ولو طلبتُ سواهُ متُّ من ندمي
(صدر) المعــالي لهم ترتدُّ راجعــة ... (كردّ عجز) منــاويهم لصدرهم
قــد (اوجبوا القول) اني عن محبتهم ... قد ملت قلت الى الائتلاف والعــدم
وطال (تذييل) سهدي في الغرام وقد ... نام الخليّ ومضنى الحبّ لم ينم
ومذ ناوا عن عيــاني عدت (ملتفتاً) ... سيروا الهوينــا بقلبي وارحموا سقمي
ساروا بخيل غرامي عندما (استعرت) ... نار الجوى في ضمــيري يوم بينهم
(واستخدموا) في الدجى نجماً ليرشدهم ... وقــد رعتهُ ضحى انعــام سربهم
وما (اكتفيت) بتمهيد الطريق لهم ... بل رمت تشتيت منها(٢)شمل كل كمي
(طابقتُ) ان بدلوا قربي ببعــدهم ... ولا اطــابق ان شحّوا بوصلهم
(ناقضتهم) ان نووا هجري ولو بدلت ... حالي وعــدت رضيعاً غــير منفطم
(قابلت) ذلي وفقري شقوَتي نعَمي ... بعزّهم والغنى والسعــد والنعم

١) يجب اسقاط الياء ليستقيم الوزن ويتم التصحيف
٢) ولو قال : (بل رمت منهم تشتيتاً لكل كمي) تخلص من هذا الجواز

صبرت في الحب حتى قلت (ممتثلًا) من حاول الكيَّ فليصبر على الأَلمِ
جعلت حبَّهمُ في الناس (ملتزمي) وعن هوى غيرهم أعدو كمنهزمِ
قالوا (تراجعهم) ذلًّا فقلت نعم قالوا لما قلت هذي شيمة الخدمِ
بهم (تشابه أطراف) حلت بهم بهم أهيم ولو طال المدى بهمِ
قال المناوي تناسَ حبهم رسلًا فقلت (مستدركًا) لكن على ضرم
(واربتُ) مذ لامني اللاحي وقلتُ لهُ حُييتَ يا سمج الأَخلاق والشيم
(بالجدَّ هازَلني) صحبي بقولهمِ يهنيه أخصب جسمًا مذ رأوا ورمي
(وأبهم) النصح عذالي بشقشقةٍ وليت شقَّ الحشى من قبل نصحهم
لما اختبرتُ أمورًا منهمُ صدرت (نزَّهتُ) قلبي بحق عن ودادهم
(يهجو بمعرض مدحٍ) عاذلي شرفي يقول سدتم بجمل الذلّ والتَهم
فقلت (متهكمًا) (١ للمبتغي شرفًا قد عشتَ معتبرًا بُشراك بالندم
(تغايروا) في مديح الجاه وافتخروا وكم رمى أهلهُ بالذل والنقم
فلا افتخار بغير الفضل ان به (سولةً) تجعل الشان الوضيع سمي
اعملْ صلاحًا (واهملْ) كل صالحةٍ ودع كلام عدوّ الله كالعدم
(جمع الكلام) اذا ما لم يفد ادبًا لم تكتسب من جناه لذة الحكم
كلم اخا دعةٍ تعد (٢ اخا ملك (فيستوي) منك (قلب) غير منسقم
إن شكَّكت عينك اليمنى فاقلعها (٣ والقها (تقتبسْ) نورًا وأنت عمي
فمن (توجه) نحو الله منتصبًا بكسرة القلب يبنيه كما (٤ العلم
اذا (تراوح) ذنبي واعترفت لهُ نفى عذابي وكافاني على الندم
وما (رجعت) الى نفسي أؤنبها نعم رجعت ولكن عند منهرمي
يا (نفس) اصغي (لعتبي) واقبليه كفى كم تلزميني بفعل غير محتشم

١) سكّن التاء ضرورة
٢) له جوازات كثيرة في الابحر لا يسوغ للمتاخرين ارتكابها وان كان المتقدمون قد اضطروا اليها لكثرة ارتجالهم فلنا مندوحة عنها لاننا نصرف وقتًا لتهذيب المنظوم
٣) كثيرًا ما يحرك آخر فعل الامر الصحيح
٤) والأولى ان يقول بنا العلم

﴿ الدينيّات ﴾ قال رحمه الله يمدح السيد المسيح ورسله الاطهار ومريم البتول والكنيسة المقدسة في بديعية التزم فيها تسميته النوع على نسق من تقدمه من البديعيين سنة ١٧٣٤ وقد ميز ذلك بالحبر الاحمر فوضعناه بين هلالين :

(براعتي) في امتداحي منهـل النعمِ … قـد (استهلّت) بديع النظم كالعلمِ
قد هام قلبي (بتركيب) الغرام فقل … بي ما تشا (مطلقاً) لم تقتصر هممي
كم ضلَّ لاحٍ (بلفظٍ) ظـل ينشدهُ … (والقلب) ما مال لمّا لام للنـدمِ
في المنهل العذب لا يختـار منع ظما … مضنيٍّ (بتلفيق) مـا يرويه من عظم
مذ صاح داعي الهوى (تمت) دعوتهُ … وزد أيا صـاحِ (تطريفي) ولم أُلَم
ان (ذيل) الحبُّ حبل الوصل منه بلا … فصل لحقتُ بَنيـل الجود والكرم
وقد(تصحف)حبُّ الغيد عندي(١) كما … (تحرّف) القلب عن ذا القسم بالقسم
وملت نحو ابن نون (المعنوي) عسى … يصـير لي كابن رعدٍ او أبي الأُمم
(مستطرداً) خلفه خيـل الغرام ولم … أخشَ النكـال ولو فيه يراق دمي
وحرتُ في حبـه (والافتتـان) بهِ … انمي زمـاناً مضى هـدراً بغيرهم
وقـد (تخيّرت) موتي في محبتهم … ولو طلبتُ سواهُ متُّ من ندمي
(صدر) المعـالي لهم ترتدُّ راجعـة … (كردّ عجز) منـاويهم لصدرهم
قـد (اوجبوا القول) اني عن محبتهم … قد ملت قلت الى الائتلاف والعـدم
وطال (تذييل) سهدي في الغرام وقد … نام الخليّ ومضنى الحبّ لم ينم
ومذ ناوا عن عيـاني عدت (ملتفتاً) … سيروا الهوينـا بقلبي وارحموا سقمي
ساروا بخيل غرامي عندما (استعرت) … نار الجوى في ضمـيري يوم بينهم
(واستخدموا) في الدجى نجماً ليرشدهم … وقـد رعتهُ ضحى انعـام سربهم
وما (اكتفيت) بتمهيد الطريق لهم … بل رمت تشتيت منها(٢) شمل كل كمي
(طابقتُ) ان بدلوا قربي ببعـدهم … ولا اطـابق ان شحّوا بوصلهم
(ناقضتهم) ان نووا هجري ولو بدلت … حالي وعـدت رضيعاً غـير منفطم
(قابلت) ذلي وفقري شقوتي نعمي … بعزّهم والغنى والسعـد والنعم

١) يجب اسقاط الياء ليستقيم الوزن ويتم التصحيف
٢) ولو قال : (بل رمت منهم تشتيتاً لكل كمي) تخلص من هذا الجواز

صبرت في الحب حتى قلت (ممتثلاً) من حاول الكيَّ فليصبر على الألمِ
جعلت حبهمُ في الناس (ملتزمي) وعن هوى غيرهم أعدو كمنهزمِ
قالوا (تراجعهم) ذلّاً فقلت نعم قالوا لما قلت هذي شيمة الخدمِ
بهم (تشابه أطراف) حلت بهمِ بهم أهيم ولو طال المدى بهمِ
قال المناوي تناسَ حبهم رسلًا فقلت (مستدركاً) لكن على ضرمِ
(واربتُ) مذ لامني اللاحي وقلتُ لهُ حُييتَ يا سمح الأخلاق والشيمِ
(بالجدّ هازَلَني) صحبي بقولهمِ يهنيه أخصب جسماً مذ رأوا ورمي
(وأبهم) النصح عذالي بشقشقةٍ وليت شقَّ الحشى من قبل نصحهم
لما اختبرتُ أمورًا منهمُ صدرت (نزّهتُ) قلبي بحق عن ودادهم
(يهجو بمعرض مدحٍ) عاذلي شرفي يقول سدتم بحمل الذلّ والتهم
فقلت (متهكماً) (١ للمبتغي شرفاً قد عشتَ معتبرًا بُشراك بالندم
(تغايروا) في مديح الجاه وافتخروا وكم رمى أهلهُ بالذل والنقم
فلا افتخار بغير الفضل ان به (سولةً) تجعل الشان الوضيع سمي
اعملْ صلاحاً (واهملْ) كل صالحةٍ ودع كلام عدوّ الله كالعدم
(جمع الكلام) اذا ما لم يفد ادباً لم تكتسب من جناه لذة الحكم
كلم اخا دعةٍ تعد (٢ اخا ملك (فيستوي) منك (قلب) غير منسقم
إن شككت عينك اليمنى فاقلعها (٣ والقها (تقتبسْ) نورًا وأنت عمي
فمن (توجه) نحو الله منتصباً بكسرة القلب يبنيه كما (٤ العلم
اذا (تزاوج) ذنبي واعترفت له نفى عذابي وكافاني على الندم
وما (رجعت) الى نفسي أوّبنها نعم رجعت ولكن عند منهرمي
يا (نفس) اصغي (لعتبي) واقبليه كفى كم تلزميني بفعل غير محتشم

١) سكّن التاء ضرورة
٢) له جوازات كثيرة في الابحر لا يسوغ للمتاخرين ارتكابها وان كان المتقدمون قد اضطروا اليها لكثرة ارتجالهم فلنا مندوحة عنها لاننا نصرف وقتاً لتهذيب المنظوم
٣) كثيرًا ما يحرك آخر فعل الامر الصحيح
٤) والأولى ان يقول بنا العلم

فهل يبررني (تسليم) خدعتكِ (١ فلا لعمري ولو عدت (٢ الى العـدم
لا كنتُ حياً ولا بُلغت نيل مُنىً ان كنت أُصغي لدعواكِ (٣وذا (قسمي)
حتى أستعين على حسن (التخلص) ممـــا قـد جنيت بمدحي معدن الكرم
يسوع بكر الاله ابن البتولة نجـــل الأنبياء وربٌّ في (اطّرادهم)
نور الوجود وجود النور منـهُ بدا في الكون (ياعكس) شعب عن سناه عُمي
فردٌ به (كل اجزاء) الورى (انحصرت) وذاته علة الاكوان من عـدم
طبعٌ تثلّث (والتفسير) جـاء ابٌ وآبنٌ وروح إلهٍ غـير منقسم
فالآب أولدهُ والروح أيدهُ والخلق تعبدهُ (مماثلي) الخدم
(ومذهبي) في (كلامي) عن تجسده لو لم يكن ما تخلصنـا من النقم
لمّا بدا لاح (تشريع) الخلاص لنـا حزنا الفدا وهدانا أوضح اللقم
(شيئان) قد اشبها (شيئين) حين بدا وجودهُ في الـدنى كالنور في الظلم
ناسوتهُ طاهرٌ والبِر (تاسبهُ) لاهوتهُ ظـاهرٌ والسرُّ كالعلم
وافى لينقذ حوّا من خطيئتها (وتم) الفضـل اذ أوفى عن الامم
قد ردَّ مجد أبيه في (ولادتهِ) وقد رضيْ الله بعـد الغيظ والنـدم
فهو الجليل وفي ارض الجليل بدا جليـل (ترديده) في غاية الحكم
تعليمـهُ عذب ما شـانهُ كذبٌ تنبيك عن حكمٍ (تشطير) محتكم
ومن (اشـارتهِ) في وعظهِ رجعت جمع الخلائق عما في نفوسهم
قد (أوغل) السير بالتبشير مجتهـدًا على هدى شعبه بل سـائر الامم
(تؤلف الوزن والمعنى) بشـارتهُ لأنها قد أتت في غـاية الحكَم
(توشيع) آياتهِ مـذ اعلنت فضحت ضلالة الملحـدين أبليس والصنم
(تقسيمهُ) معجزات في ذوي علـلٍ كالبرص والصمّ والعميـان والبكم
(ايجاز) أوصاف ما أبدت يداهُ يُرى في الارض والبحر والافلاك والنسم
(نوادر) الجود فاضت من يديـه ولم تكف حتى الدما أجرتهـا كالديم

١) اشبع كاف الخطاب وذلك كثير في نظمه
٢) واشبع تاء المخاطب ايضاً ولم يجوز العرب الا اشباع ضمير الغائب المفرد المذكر
٣) اشبع الكاف ايضاً

وقـد تعوّد (بسط) الكف مبتهجاً   حتى على العود أعطاها بلا ندمِ
(جمعٌ) تقسّم في آلامـهِ قِسماً   فالنفس في نعمٍ والجسم في ألمِ
وجسمـهُ من نحولٍ كالخلال غـدا   وقد (تشبه) نور الوجه بالظلم
حتى (تجاهل) فيه النـاس (معرفةً)   قالوا بهِ سقمٌ ام بالنبـال رُمي
وقد (توارى) جمـال الوجه مستترًا   لما عراهُ الحيـا في ضيقـة الرجم
في موتهِ قد (تسـاوى) في الانام وفي   نهوضهِ أظهر اللاهوت كالعلم
جلّت قيامتهُ بالانتصار وقد   عزّت قلوباً من (التوهيم) في غمم
صعودهُ (اخترع) النهج القويم لنـا   كي نرتقيه بجنحي (١ البرّ والنعم
رقى على السحب بل فوق الكواكب بل   فوق السماء (باضرابٍ) عن الأكم
وأرسل الروح من تلقاهُ (منسجماً)   على تلاميذه كالسن (٢ الضرم
وقال سيروا أنا معكم بلا جزعٍ   (تسهموا) الأرض وادعوا سائر الامم
فمن تركتم خطاياه لهُ تركت   ومن (عقدتم) عليـهِ الحرم ينحرم
(فارقوا) كلّ ماوى الحب وانعطفوا   نحو الذي مات حباً في خلاصهم
(تمكنوا) في وصـاياه وقد طفقوا   يسعون بين الذياب الخطف كالغنم
(توزعوا) منزعين العجز وانتزعوا   باعِلزَبولَا وعزّتهُ (٣ بعزمهم
الباذلو الحب بذل النفس يوم وغى   (مستتبعين) الهدى بالحفظ للذمم
مذ (اودعوا) الحب قد لذت نفوسهم   في ما النفوس تراهُ غاية الألم
دماهمُ رشت البيداء مذ نزعوا   رواية الكفر في (تصحيح) قولهم
غطوا السماء بدمع بالدما (اشتركا)(٤   سما الربى لا سما الاجرام والديم
كم (صرّعوا) حاسديهم في رواتهم   كم ابرأوا قاصديهم في صلاتهم
فالفضل (موتلف) منهم (ومختلفٌ)   لان بطرس يسمو فوق كلهم
قد قام منهم امامٌ (٥ فاق اخوتهُ   وهو الصفا (موضح) الاشكال للامم

١) والاولى كي نرتقي بجناح البر والنعم
٢) والأولى على التلاميذ بحكي ألسن الضرم
٣) سكن لغير مسوّغ
٤) لا وجه للتثنية   ٥) الاولى اماماً

اعان بطرس عين الحق معتقدي ... (نكت)على من عصا بل عن سناهُ عمي
من يخسر العمر والدنيا بهم ربح ... الدارين في حبه (حسن اتباعهمِ)
او يعطف القلب يوماً نحو حبهم ... (يتعطفون) (١ بهِ في يوم دينهم
(تؤلف اللفظ والمعنى) رسالتهم ... تاّلف الوعظ بالايات والحكم
كم (رصعوا) حِكَماً من درّ وعظهم ... كم فرّعوا نعماً من برّ لفظهم
(فاللفظ) كالدرّ والعقيان (موتلف ... باللفظ) فيهم كمنثور ومنتظم
(سمّط) عقودهمُ وارفع بنودهمُ ... واخمد حسودهمُ بالذل والغمم
فما الملائك في برّ وفي ثقةٍ ... يوماً باطهر من (تفريع) برّهم
طهر النفوس (اتساع) الرأي خُصّ بهم ... بيض القلوب حسان الخلق والشيم
نحل الجسوم قريحو الجفون وهي (٢ ... (تكني) عن النسك والاسهار والندم
(تنسيق) مجدهم تميق مدحهم ... توفيق سعدهم ينبي عن العظم
تلقى الهياكل في اعيادهم عقدت ... (فرائد) الدرّ من ألحان مدحهم
(ائتلاف الوزن بالالفاظ) جانسهُ ... حسن النشائد بالإحسان والنعم
(سجعي بمدحهم) قد صار من قسمي ... اذ فيه مغتنمي . في موقف الحكم
(جزّيت) من كلمي . روّيت من قلمي ... ابديت من حكمي . اهديت كل عمي
(مدحي بمعرض ذمٍ) قد يخصّ بهم ... لا عيب فيهم سوى إكرام ربهم
من قد اعدّ لهم ملكاً (وكمّلهُ) ... مذ خصّهم ان يدينوا سائر الامم
مخلّص رام تخليص العباد وقد ... وافى وخلّصهم بعد (انشقاقهم)
قد (أبدع) العدل في شرعٍ سما فنما ... وابنع الفضل فرعاً في حماهُ حمي
وفلك نوحٍ اتت (عنوان) بيعتهِ ... فمن يلجها نجا من لجة العَرَم
كم هدّ ركن ضلال حين أسسها ... وكم (ترشح) منها الخير كالديم
(تمليح) انوارها أمست مشعشعة ... ضاهت وَرَشليمهُ العلياء في الظلم
وحيدة جمعت قدس الرسالة في ... (ترتيب) انذارها للعرب والعجم
لي منهلٌ من ينابيع الحيـاة بها ... يطفي أُوامي (بتجريدي) من النقم

١) سكن تاء يتعطفون وذلك كثير في منظومه

٢) هذا البيت مختل الوزن

أهل الهدى قد أطاعوا شرعِ بيعتهِ ... وقد (عصاه) العدى من فرط كفرهمِ
ما رام بالسيف يحمي حقّ مذهبهِ ... ولا (تعرّض) للإلزام والرّغمِ
وداعةٌ واتضاعٌ مع تقى ونقا ... قد (جمعتهم) (١ سجاياه مع الكرم
(تعديد) أوصافهِ ربُّ الوجود سما ... مولى عظيماً الهًا باريْ النسم
(طيّ ونشرٌ) وتقريب بهِ وجفـا ... للغدر والودّ والافضال والامم
لو لم يُقم أُمّهُ ملجا لأمتهِ ... لما (تعلّل) انقاذي من النقم
بها (مجازي) الى دار النعيم وهي ... باب السماء وبيت الحق والحكم
وهي النجاة لكل المؤمنين وقل ... كل الانام وان (بالغت) لم تُلَم
فلو ترى توبة الشيطان ممكنةً ... (لأغرقتهُ) بتيارٍ من النعم
كادت تردُّ زمانًا فيهِ قد سقطت ... كل الانام لكي (تعلو) بحفظهم
قالوا هي العرش (والتفريق) ... العرش موطى وهيْ (٢ ترقاه بالقدم
(تأديب) سيرتها الحسناء يخبرنا ... عن حسن (تهذيبها) للطبع والشيم
فان (توشحت) الاكرام لا عجبٌ ... لانها أم عين الجود والكرم
من كان نسبتهُ نعتًا لأمتـهِ ... فتلك أنصاره حسب (اتفاقهم)
شغلي (بتطريز) مدحي فيه مغتنَمي ... يا خير مغتنمٍ يا خير مغتنِمي
يداهُ كالبحر في (تفريق) ما (جمعت) ... وفيضـهُ البحر كم روّى فؤاد ظمي
يعطي بشحٍ وسحٍ ثم (يوضحهُ) ... شحٍ لمستغنم سحٍ لذي كرم
حلّ وغلّ لهُ (للمعنيين) غدا ... (تالف) نحو مأسورٍ ومحتكم
(لا ينتفي) منه (ايجاب) الجميل ولا ... يعطي بشحٍ ومن يقصـدهُ يغتنم
(كرّر) وسـل شيم المستحسن الشيم ... المستحسن الشيم المستحسن الشيم
وابكِ ونحْ وانتحب وامنح وجُدْ وأنل ... (فوّف) وسرّ وابتهج واطلب وسل ورُم
واصغي لقولي اذا (حاجيت) ملتفتًا ... من جاز بحرًا (٣ فهل يحصيه بالقدم

---

١) الأولى ان يقول (جمعتها)
٢) الاولى فالعرش موطاها الخ
٣) حاجى بلفظة مريم واراد مرّ يمًّا اي جاز بحرًا

وأعطِ ليومك ما يحتاج من اسف　　واطرح لما فيه تلقَ حلَّ (لغزهم)(١
من شام (تلويح) إلهام وجدَّ على　　تحصيله وجد السلوان في الغمم
لقد تبيَّن لي (حسن البيان) وقد　　تظاهر الحق والبرهان كالعلم
مذ شام طرفي بروقاً من سناه أضت　　(راعى التظير) بدمع فاض كالديم
وابيض اسود خطي حين (دبَّج) في　　صفر الخدود مجاري مدمعي العتم
لذاك قد جيت يا مولاي معترفاً　　بما (تفضَّل) من ذلي ومجترمي
فلو سمحت بعتقي لستُ (معترضاً)　　حزت النجاة وكم ساحت ذا وصم
سلبت نعماك عدلاً من ذوي كسل　　وزدت (محترساً) فضلاً على النعم
(تُشاكل) الخير خيرًا والمسيءُ اسى　　والشر شرًّا وذا الاحسان بالكرم
فاعضد بنيك ولو ابقيت (مندمجاً)　　بذلتي غير جود (٢ قط لم أرم
(سلبت) كل رجاء في الانام وقد　　(اوجبت) فيك الرجا يا عين مغتنمي
غادرت كلاًّ وما (استثنيت) من احدٍ　　الّاك يا منقذي في يوم محتكمي
فاحنُ عسى القلب يحظى قبل غايته　　بعاطف منك لولا نورهُ لعمي
انا الطبيب المرجي عفو ذنبيَ ابـ　　راهيم (مستشهد) دمعي على الندم
ارجوك من بعد مدحي والتخلُّص من　　(تاريخهِ) ان تنجيني من الضرم ١٧٣٥
(براعتي) اظهرت ما فيَّ من (طلب)　　فلا احتياج الى التصريح بالكلم
من قبل بدءِ حسابي يوم محتكمي　　ارجو(الخلاص)وأُعطي حسن(مختتمي)

هذه بديعيتهُ التي تدل ابياتها على انهُ صرف زمناً على نظمها لانهُ اورد في العنوان انهُ نظمها سنة ١٧٣٤ ويظهر من التاريخ انهُ انهاها بعد سنة وهي من أمتن قصائدهِ بالنظر الى جميع ابياتها

وقال متغزلاً في الحب الالهي ومضمناً بعض شهادات الكتاب المقدس المختصة ببهاء الملكوت سنة ١٧٢١ في حلب وهي ثمانية واربعون بيتاً ننتخب منها اهمها :

أترى متى آتي ووجهك أنظرُ　　واكون منتصباً ببيتك أشكرُ

---

١) اللغز يوسف فقولهُ اعط ليومك ما يحتاج من اسفٍ واطرح لما الخ معناه خذ من الاسف (سف) واطرح من يوم الميم فيبقى (يو) ومنها يتركب اسم يوسف خطيب العذراء
٢) وفي الاصل جودق وهو غلط

متمتعاً بجمال وجهك ساطعاً جوزوا الى فرحي الهيَّا واعبروا
حتَّام بي ظمأٌ وعندك منهلُ الخيرات وافرةٌ تفاضُ (١ وتزخرُ

الى أن يقول

بل ما أَحبَّ مساكن الرب الاله وما اعزَّ وما ألذَّ المنظرُ (٢
طوباهمُ سكان بيتك دائماً طول المدى تسبيحهم لا يفترُ
يا ربِّ قد احببت حسن مقامك الاسنى وموضعك البهي التخير
يا ربِّ أرجو منك يوماً واحدًا ان تقتبلني (٣ في ديارك احشر
كيما اشاهد نور وجهك ظاهرًا ولكي يظللني خباك الانور
وتقوم لي من عن يميني حافظاً وامام عيني لم أزل لك ابصر
ارجوك تاتيني وعندي تصطفي لك منزلًا والِيَّ سرًّا تخطر
وتقول هذي راحتي ورضيتها أبدًا واسكن ها هنا لا اصدر
وجعلت هذا القلب موضع راحتي ربه أُقيم وفيه جهرًا اظهر
ويصير قلبي منزلًا لك طاهرًا وبغير عيبٍ في سبيلك يعبر
وتكون أنت نصيب قلبي علّه في كل حب غير حبك يكفر
وتميل من طرب اليك جوانحي والقلب يحمد والجوارح تشكرُ
ومنها: ولي افتحوا باب القداسة قبل ما ياتي العروس ودونه يتسكَّر
هذا هو البيت الذي في ضمنهِ خيرٌ يكلّ الوصف عنه ويقصر
هذا رجائي ثم هذي غايتي القصوى وهذا ما بهِ اتفكر
هذا مناني ثم هذا مطلبي هذا مرادي والذي أتخـير
فيه أُبلّغُ كلَّ ما ارجوهُ من خير وأُعطى فوق ما أتصور
وبهِ اشاهد كل حسن معجبٍ وهناك يسبيني الجمال الأنور
وهناك خيرات تكل اللسن عن اصحابها اذ ليس مما تحصر
وهناك طغمات الملائك يستترون وجوههم من هيبة تتوقر

١) والاولى ان يقول: وعندك هذه الخيرات وافرة تفيض
٢) عدل عن النصب للضرورة وله كثير من مثل هذه السقطات النحوية
٣) سكّن اللام لغير موجب وهذا كثير في ديوانه

وهناك سارافيمُ كل دقيقة يعطون تسبيحًا جديدًا يبهرُ
وهناك كاروبيم يهتف جمهم قدُّوسٌ أنت الله ربٌّ اقدرُ
وهناك قدس القدس هيكل مقدس الاقداس يتلوهُ البهاء الانورُ
وهنالك (١ الثالوث يظهر نورهُ متلألئًا والشمس منه تحقر
وهنالك (٢ الحمل الذبيح عن الورى اضحى يسودُ وانهُ لمظفر
وهناك ينبوع الحياة ومصـــدر الفيض الذي خيراتهُ لا تجزر
وهناك اجثو في ديارك ساجدًا في موضع قدماك فيهِ تخطر (٣
وهناك من ينبوع جودك استقي ماء ينقي مهجتي ويطهر
ويداي (٤ اغسل بالنقاوة عندما احتاط مذبحك البهي واشكر
وتقرُّ عيني ثم قلبي يمتلي شبعًا اذا ما شام مجدك يظهر

اكرام الصليب والصور عند النساطرة

لحضرة الخوري الفاضل بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

زعم بعض كتبة البروتستانت انَّ النساطرة الكلدان لا يكرمون الصليب المقدَّس وينبذون استعمال الصور والايقونات التقويَّة فاتوا بذلك شططًا ظاهرًا واستثنوا هـذه الطائفة ممَّا أَلِفَتْهُ كل الطوائف الشرقيَّة المسيحيَّة. فتفنيدًا لهذا الافتراء الباطل جمعنا هنا عدَّة دلائل تبين بنوعٍ واضح انَّ النساطرة لم يخرجوا في تعظيم الصليب والصور المقدَّسة عن حكم بقية نصارى الشرق فنقول:

١ من القوانين المرعيَّة عند النساطرة انهم لا يقومون بخدمة كنائسيَّة دون ان يجعل الصليب بازائهم وهم يعتقدون انهُ بلا صليب لا تتم صلاة فرضيَّة ولا قداس ولا زياح قطعًا. كما هو مدوَّن عندهم في تعريفات كتاب الدائرة. نعم انَّ هذا الصليب

١) و٢) في الاصل وهناك وهو خطاء او انهُ اراد قطع همزة الوصل بعدها وهو ضرورة يستغني عنها

٣) ولو قال: في موضع القدم التي تتخطر لنجا من هذه الضرورة

٤) والصواب ويديَّ

مجرَّد عن تمثال السيد المسيح لكنهُ دليل كافٍ على اكرامهم لهُ اذ لا تُكرم الصور الّا من جهة نسبتها الى اصلها ولولا ذلك لما جاز اكرام الصليب

٢ يشهد على اعتقاد النساطرة في اكرام الصليب والصور ما تجدهُ في كتب طقوسهم القديمة والحديثة من التصارير فانَّ اناجيلهم مثلًا مرصَّعة بالصور الفضيَّة ومن جملتها صورة المصلوب وكذلك يزينون هذه الكتابة بنقوش بديعة تمثل اسرار حياة المسيح من مولدهِ الى قيامتهِ على حسب رتب الاعياد ومعاني الصلوات . ففي قوجانس مقرّ بطاركتهم يُصان الى يومنا هذا انجيل مصوَّر يُعدّ من التُّحف البديعة وفي خزائن لندن وباريس اناجيل مثلهُ باعوها من النساطرة

٣ كان عندهم معلقًا في المذبح فوق قدس الاقداس شبح كبير من خشب او من شمع للسيد المسيح ويدعونهُ ܝܘܩܢܐ (يوقنا) ويدل على ذلك ما جاء من تعريفات تقديس المذبح بالزيت المقدس حيث يقول : ܘܗܝܕܝܢ ܢܩܪܒܘܢ ܠܡܐܢ̈ܐ ܕܩܘܕܫܐ ܕܡܫܡܫܝܢ ܒܗܘܢ ܐܪ̈ܙܐ ܩܕܝ̈ܫܐ ܐܝܟ ܦܝ̈ܢܟܐ ܘܟܣ̈ܐ ܘܡܦ̈ܝܐ ܘܝܘܩܢܐ ܕܠܥܠ ... ܘܠܒ̈ܘܫܐ ܕܡܕܒܚܐ ܣܛܪ ܡܢ ܨܠܝܒܐ ܘܐܘܢܓܠܝܘܢ «حينئذ يُؤتى باواني التقديس التي تخدم بها الاسرار المقدسة كالصواني والكؤوس والمراوح والصورة التي فوق : ... والبسة المذبح ما عدا الصليب والانجيل» . ارأيت كيف ان هذا اليوقنا كان من جملة الادوات المقدَّسة المختصة بالمذبح وبخدمة الاسرار وانه كان يتعلق من فوق وانه شيء ممتاز عن الصليب المذكور على حدة — ويؤيد ذلك ما جاء في البيت الشهير الذي يرتل في تقديس البيعة ويكرَّر مرات كثيرة في دور السنة (طالع مثلًا وجه ٣٩١ من المجلد الثالث لكتاب الفرض) ما ترجمته : ان كنيستك ايها الخاص حاملة كنزًا وغنًى سماويًا بالاسرار والرموز التي سلمتها لها واليها تلتجي وبها ترجو وهم كتاب بشارتك العظيم وعود صليبك المسجود له وصورة ناسوتك الجميلة فما اعظم اسرار خلاصك اهـ . وفي هاتين الشهادتين قوَّة مضاعفة لانهما تدلان على حقيقة اتخاذ اليوقنا اي الصورة المجسمة للسيد المسيح كشي واجب الحضور في بيعهم كافةً وانهُ من جملة الادوات المقدسة اللازمة لخدمة الاسرار والواجب تكريسها بالدهن وانهُ من جملة اللآلي المشتمل عليها كنز البيعة التي تتباهى بها قبالة اضدادها وما عدا اثبات وجود تلك الصورة في البيعة دومًا ففي هاتين الشهادتين دليل

واضح على ان اتخاذ هذه الصورة على كل حال هو شيء يجب الافتخار به فضلًا عن جوازه وصوابيته فشتان بين هذه الحال التي لا يزال عليها النساطرة وما يقذفهم بها ظلماً مضطهدو الصور والرفضة من الافرنج

٤ ذكر مار توما اسقف المرج في تاريخهِ السفر الرابع الفصل ١٨ انه كان في الدير محفوظاً صليب كان مكرَّماً لدى يعقوب رئيس دير باعابا وكان كلما اقتضت حاجة يخضونهُ في الماء فيصير للشفاء. فمن جملة ذلك ان رجلًا غريباً من اهل الموصل كان له ولد معترى بمرض عضال فطلب الى مار نرخا اسقف نينوى ان يستودع ابنه لادعية رهبان باعابا وهذا الاسقف كتب رسالةً الى قرياقوس كي يرسل حناناً (اي تراب الذخائر) الى ذاك الرجل اما القديس فارسل ماء مخضوضاً بصليب ربنا مع اثنين من الرهبان وهو رجع الى الصلوة لاجلهِ فلما ذهب الراهبان واعطيا ما كان معهما من الحنان والبركة لهذا الرجل وهو سقى ابنهُ فمن ساعتهِ قام الصبي متعافياً

٥ وعبد يشوع النصيبين يشرح كم هو مقدار الاحترام المقدَّم لعلامة الصليب وما الباعث الى ذلك وكيف ينبغي ان يُعتبر وذلك في مختصر السنهادوسات الفصل الخامس الراس التاسع المخصص باحترام الصليب يقول:

«يقول التقليد. ان مخلصنا لما مدَّ يديه في جبل الزيتون ليبارك الرسل مدهما بشبه علامة الصليب مذكرًا اياهم انهُ من ذاك العار عار الصليب الذي شاهدتموني بهِ ارتفعت الى هذا المجد الذي تشاهدونني بهِ وانا صاعد. كقول ماري بولس اذ قال: اخضع نفسهُ حتى الموت موت الصليب ولهذا فالله ايضاً رفعهُ الخ فالتلاميذ كما ذكرنا انفاً لما عاينوه بهذه الصورة وبهذا الشكل سقطوا على الارض سجداً لهُ ومن ذاك الحين بداوا بالسجود لهُ. الا ان رسم علامة الصليب فالكنائس بدات بهِ اولًا وسجدت لهُ فالكنيسة الاولى هي كنيسة العلية اي علية صهيون واما الثانية فهي كنيسة انطوخيا ولم يكن من يقول اذ ذاك انهم يسجدون للخشبة او للذهب او غير ذلك من الادوات البسيطة بل للمسيح نفسه اذ هو هو الصليب الذي صُلبَ في اورشليم ويشهد لذلك قول الرسول السماوي ماري بولس حيث يقول. اما انا فحاشاي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح. فكانت الكنائس تلزم الناس بتأدية الاكرام للخشبة ولعلامة الصليب وللسجود لهُ من اجل العجائب والمعجزات والقوات التي كانت تعمل بهِ»

ويؤيد ذلك ما يقصه عبد يشوع نفسه ايضاً في هذا المعنى في كتاب اللؤلؤة القسم الخامس الراس الثاني بقولهِ:

اننا نسجد لناسوت المسيح اعتبارًا للاله الحالّ فيها وكذلك في الصليب نكرم الاله مخلصنا لان

الصليب هو اسم المسيح هو قتيل ومسجود لهُ . على انه لا يليق هذا الاسم للخشب او للفضة او للنحاس لان اساس النصرانيَّة العظيم هو هذا ان نقرَّ بالتجديد والفداء العام الصائر بواسطة المصلوب . وان صورة الصليب التي عندنا هي علامة فادينا التي ستظهر في السماء قبل استعلانه كما يقول هو : لاننا لما نتامــل في علامة فدائنا فكاننا نرى المسيح مخلصنا مصلوباً فنحسب اننا نعاين وفاء ديننا وتجديد العالم ومن اجل ذلك نقدم سجوداً خشوعياً مع الشكر على اننا لسنا نعتبر في ذلك مادة حسية بل ذلك الذي سـمّر على الصليب بل الله الذي سلم ابنه ليصلب عوضنا الذي بموتهِ على الصليب حصل لنا التجويد وخوَّلنا نحن غير المستحقين الخلاص والحياة الابدية في الملكوت السماوي

٦ وكتب مذيل تواريخ ابي الفرج السريانية في ذكر ما جرى سنـــة ١٢٩٥ انَّ نوروز بعد ان دك بيع النساطرة واليعاقبة في اديبل عفا عن بيع الموصل من اجل الدراهم الوافرة التي قُدمت لهُ من اهالي هذه المدينة قيمة الصور والصلبان وغير ذلك من الآثار الثمين البيعي . وقال نوح متمم قرونيقون ابي الفرج في سنة ١٤١٣ مسيحيـــة حُرق باب هيكل قرتامين ونُهب وأُخذ كل ما كان في الهيكل وذخيرة عين القديس جبرائيل والطقس والصلبان والكؤوس والصواني من الأكراد التشليخيين اللاعين وفي هذه السنة نهب الأكراد اللاعين كنيسة قرية كبرزا واخذوا صورة الشهيد مار عزازائيل . (طالع السمعاني المكتبة الشرقيَّة المجلد الرابع وجهِ ١٣٦)

٧ وقد اكثر النساطرة في نظم منـــاقب الصليب المقدس ووجوب الاكرام والسجود له كما يتَّضح من تآليف شعرائهم . قال الشاعر وردا في قصيـــدة له على الصليب مطلعها : يا من خلق بنعمته . قال : ܘܐܠܘ ܐܡܪ ܠܝ ܠܐ ܡܗܝܡܢܐ
ܕܐܢܐ ܠܐ ܠܟ ܫܠܡܢܐ . ܡܢܘ ܠܗ ܢܝܫܐ ܗܢܐ . ܕܠܗ ܣܓܕܐ
ܐܘ ܟܪܣܛܝܢܐ : ܗܢܘ ܢܝܫܗ ܕܐܠܗܐ . ܘܨܠܝܒܐ ܕܒܪ ܐܠܗܐ .
ܫܡܥ ܐܘ ܕܡܗܝܡܢ ܒܐܠܗܐ . ܘܟܦܪ ܒܚܝܠܗ ܕܐܠܗܐ : ܗܘ
ܕܪܬܝܬ ܫܡܝܐ ܒܩܠܗ . ܘܐܬܬܙܝܥܬ ܐܪܥܐ ܒܡܠܬܗ ܡܢ ܠܐ
ܣܓܕ ܘܡܘܕܐ ܠܗ . ܠܨܠܝܒܗ ܕܪܒ ܚܝܠܗ

واذا قال لي احد المناظرين اني لا اسلم لك . ما هذه العلامة التي تسجد لها ايها المسيحي (اجيب) هذه علامـــة الله وصليب ابن الله فاسمع يا من تؤمن بالله وتنكر قوة الله . ذاك الذي ارتجفت من صوتهِ السماوات وبكلمتهِ تزعزعت الارض . من لا يسجد ويعترف لصليبهِ ذي القدرة العظيمـــة — وقال في هذا المعنى الشاعر خميس : ܢܒܪܟ ܠܨܠܝܒ ܒܪ ܛܝܢܢ ܘܢܣܓܘܕ ܠܢܝܫܗ ܕܣܝܓ ܕܝܢܢ لنركع للصليب ابن طيننا ولنسجد لعلامة من سيج حكمنا

وغير ذلك من الجناس والنظم اللطيف الذي لا يسعنا التوسع فيه

٨ وقال يرسي الملفان العظيم في ميمر له على الشخص الواحد : ܗܘܐ ܕܡܘܬܗ (ܗ.ܕ ܕܣܗܕܐ) ܐܠܒܫܬ ܒܐܬܪܐ ܕܒܝܬ ܚܘܣܝܐ ܘܪܥܝܢ ܫܘܦܪܗ ܥܠ ܩܪ̈ܢܬܗ ܕܡܕܒܚ ܩܘܕܫܐ : هوذا صورة (اي الشهيد) متكاثرة في مكان بيت المغفرة وجماله مرسوم على زوايا مذبح القديس

٩ وقال ايشوعياب مطران نصيبين في جداله مع اليعاقبة والملكيين : «ان الصور واجب اكرامها غير انه ينبغي ان لا يتكاثر استعمالها وان لا توضع في كل محل بلا تمييز» يريد بذلك التمييز في اتخاذها

١٠ وجاء في ميمر قديم مشتمل على سيرة البطرك دنحا الذي توفي سنة ١٥٩٢ يونانيّة شهادة جليلة على تكريم الصور واتخاذها في البيع والفوائد الحاصلة منها ما نصه : بنى كنيسة في قلعة اربيل جميلةً جدًا ومن اجلها احتمل آلامًا من الوقحاء وانفق على هذه الكنيسة ذهبًا وفضة بلا عيار وحسَّنها بالزينات والصور الفائقة القوة فصوَّر فيها سيرة ربنا يسوع كلها لكي ينظر الاميون ويرجعوا الى سبيل الحق : (طالع بدجان سيرة يابا لاها وغيره من بطاركة النساطرة)

١١ وعمرو بن متى المؤرخ في كتابهِ الشهير بالمجدل يخوض بنوع خصوصي في هذه المسئلة ويحامي اتخاذ الصور ويبين مطابقة ذلك للدين المستقيم فانهُ في القسم الثالث من كتابهِ المذكور بعد ان ذكر شيعة مكسّري الصور يردف قائلًا :

واما الذي يصلح ان يقال في هذا المعنى اي اتخاذ النصارى الصور في بيعهم وفي كنائسهم واكرامهم لها فليس هو كما يشنع عليهم جهال الناس انهم يتعبدون لها فليعلم ان ليس اتخاذهم اياها عبثًا ولاجهلًا ولا كرامةً لجوهر العقاقير والاصباغ بل القصد بها تذكّر كل شخص تصورت على اسمهِ من القديسين في وقت الحاجة الى ذلك في شفاعتهِ في وقت شدة والتوصل بها الى ما يرضي الله عزّ وجلّ اذ هم عند الله اكرم واقرب اليهِ واذ كان الناس من الاماكن البعيدة والجبال المقفرة والبحار الهائلة لم تصل الى قبورهم ومواضع اجسادهم ليتشفعوا بها صوَّروا صورهم وكتبوا تحت كل صورة ما ظهر على يد صاحبها من العجائب وكذلك ايضًا صوّروا ما كان من خلقة السماوات والارض وجميع الكائنات منذ بدء الخليقة كقضية الطوفان وسفينة نوح وبرج بابل وذبح اسحق ونحو ذلك ليفهمهُ الاميّون الذين لا يعرفون الكتابة والقراءة ويقرب فهمه على من تقصر معرفته عن فهمه من الكتاب حتى شملت معرفة ذلك جميع الناس ومع هذا فانهم لم يبتدعوا ذلك من ذاتهم بل لان السيد المسيح هو اعتمد ذلك وشرعه اذ انفذ اليهِ ابجر ملك الرها يسألهُ المصير اليهِ ليتبارك بمشاهدته وليشفيه من علة كانت بهِ فكتب اليهِ يعتذر عن المصير اليهِ واعلمهُ انهُ يرسل اليهِ من تلاميذه من يشفيه من علته واخذ منديلًا مسح بهِ وجهه فارتسمت فيها صورته كهيئته ومثاله

وانفذها اليهِ ليبلغ بهـا قصده من مشاهدته وظهر من تلك الصورة على طول الزمان معجزات وآيات نقلها المخبرون المحقّقون من سائر اللغات وليس ذلك بمستغرب ولا مستنكر من قدرة الله تعالى . وكذلك المرأة التي كان بها نزيف الدم منذ سنين كثيرة وكانت قد نفقت كل مالها على الاطباء فلم يقدروا على شفائها حتى لمست طرف ثوب السيد المسيح مـا بين زحمة الجمع فبرئت فعملت صورتين من نحاس مثال صورتها وصورة السيد المسيح وكانت من اهل مدينة بانياس من ذوي اليســار والنسب المعروف المشهور فنصبت تينك الصورتين ظاهر المدينة ليعلم المترددون ويخبروا في البـلاد بقوة تلك الايات. وان حشيشاً نبت تحت تلك الصور وكان يشفي كل من بهِ مرض وسقم ومثل ذلك كثير لو شرحناه لقصر الزمان عن مطالعتهِ

وبهذا المعنى كتب ايضاً ابو الفرج عبـد الله ابن الطيب القسيس النسطوري في كتابهِ المسمى ترياق النفوس وكذا ايضاً شرح الشيخ ابو الحسن بن هبة الله ابن التلميذ في كتاب العلل الدينيَّة الفصل ٥٠ الذي عنوانه في العلة التي من اجلهـا اتخذت الصور في البيع . ويؤيد قول عمرو بن متى ما جـاء في سيرة القديس ماري السليم في نسخة كلدانيَّة قديمة وهي عند النساطرة في اعتبار عظيم وقد طبعها الان الاب بدجـان في المجلد الاول من سير الشهداء والقديسين

وقال ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان يصف دير الروم :

دير الروم وهو بيعة كبيرة حسنة البناء محكمة الصنعة للنسطورية خاصةً وهي ببغـداد في الجانب الشرقي منها وللجاثليق قلاية الى جانبها وبينه وبينها باب يخرج منه اليها في اوقات صلواتهم وقربانهم وهي حسنة المنظر عجيبة البناء مقصودة لما فيها من عجائب الصور وحسن العمل

والمؤرخ ماري بن سليمان في ذكرهِ تلماذ القديس ماري السليح واعماله يقول

وانحدر مار ماري الى دسميســان وبلغت دعوتهُ الى بحر فارس وصوَّر في البيع صورة السيد واشخاص الابرار بعد شخص سيدنا لتستنير قلوب المؤمنين برويتها تاسياً بالسيد المسيح في انفاذه المنديل الى ابجر وعليه صورته

ففي رواية ماري هذه فضلاً عن تاييد ما اوردناه في شـان المنديل المنفذ الى ابجر شهادة في ان ماري صور الصور وذلك بروح التقوى والديانة لاجل استنارة قلوب المؤمنين في البيع وليس صورة السيد المسيح فقط بل صورة اشخاص الابرار ايضاً اقتداء بعملهِ سبحانهُ اذ كان اول من صور صورتهُ وانفذها الى ابجر فالشـاهد هو في تبيان حقيقة رأي النساطرة نظراً الى اتخاذ الصور واكرامها ليس في تاييد حقيقـة المنديل المصور من السيد بل ولا لتاييد كل ما جاء في قصة ماري السليح وان مقصودنا هذا متحصّل من هذه الشواهد ولو افترضنا عدم صحة الروايات المستشهـدة في خلال ذلك نظراً الى

المنديل وسائر اعمال المجر والسليح ماري مع ان هذه الروايات ليست باضعف اساس من ما سواها من الاخبار المقبولة اليوم عند العامة والخاصة في شان القرون السالفة والآثار المتقادمة

١٢ وفي عوينت اسحق الشبذني عند تاويل كوكب المجوس يورد مارآبا الكشكري هكذا: ܡܪܝ ܐܒܐ ܟܫܟܪܝܐ (ܐܡܪ) ܚܙܘ ܠܗ ܡܓܘܫܐ ܠܟܘܟܒܐ ܕܥܠ ܟܠ ܟܘܟܒܐ ܒܚܝܠ ܟܝܢܗ ܚܙܘ ܕܝܢ ܛܠܝܬܐ ܕܨܝܪܐ ܒܓܘܗ ܘܛܠܝܐ ܒܥܘܒܗ ܘܛܥܝܢ ܬܓܐ ܐܝܟ ܢܒܝܘܬ ܙܪܕܘܫܬ

قال مار آبا الكشكري ان المجوس راوا كوكب يفوق جميع الكواكب بقوة طبعه وراوا فتاة مصورة فيه وطفلًا في حضنها متوجاً حسب نبوة زردشت

وفي ذلك قال يشوعداد مفسر الانجيل : ܕܡܘܬ ܛܠܝܬܐ ܡܕܡ ܡܬܚܙܝܐ ܗܘܬ ܡܨܥܬ ܟܘܟܒܐ ܘܡܓܦܦܐ ܠܒܪܗ ܥܡ ܐܬܘܬܐ ܘܦܣܘܩܐ ܕܐܡܪ ܙܠܘ ܣܓܘܕܘ ܠܡܠܟܐ ܕܐܬܝܠܕ ܒܝܗܘܕ

ظهر في وسط النجم صورة فتاة حاضنة ابنها مع حروف ومقاطع يُقال فيها ان اذهبوا واسجدوا للملك المولود في اليهودية

وفي ذلك قال ايليا اسقف فيروزشا بور وهي الانبار في كتاب المئات ما نصه: ܐܬܚܙܝ ܓܒܪ ܠܡܓܘܫܐ ܐܝܟ ܕܐܡܪ ܩܕܝܫܐ ܦܪܨܘܦܐ ܐܢܫܝܐ ܒܐܣܦܝܪ ܟܘܟܒܐ ܕܓܠܝܢܐ ܕܡܘܬܐ ܕܛܠܝܬܐ ܒܬܘܠܬܐ ܐܬܚܙܝܬ ܒܓܘ ܓܠܓܠܐ ܕܓܦܝܦܐ ܒܥܘܒܗ ܠܒܪܐ ܕܛܥܝܢ ܬܓܐ ܡܠܟܝܐ

ظهر للمجوس حسبما يقول القديسون شبح شخص بشري في دائرة نجم الظهور . صورة فتاة عذراء ظهرت في الفلك محتضنة ابناً حاملًا تاجاً ملوكيًّا

وناهيك من هذه الشواهد الناطقة بها افواه هؤلاء المعلمين النساطرة ان الله بنفسهِ صور بمعجزة صورة المسيح الطفل في حضن والدتهِ العذراء فكيف لا يجوز عندهم العمل بمثل ذلك اقتداء بهِ تعالى

١٣ وجاء في القاموس الكلداني لحسن بن بهلول على لفظة ܨܠܡܐ ما نصه « صورة او صنم او مثل ما نصور نحن صورة مريم وغيرها من الصور » . ومن ذلك يتضح ان في ايام هذا المعلم النسطوري كانوا يصورون صورة العذراء وسائر القديسين

فضلًا عن صورة السيد المسيح وهذه الشهادة تبيّن ليس فقط جواز هذا العمل بل استعماله عندهم ايضاً

١٤ وحكى ابو الفرج ابن العبري في الاقرونيقون عن حنين الطبيب المشهور النسطوري المتوفي سنة ١١٨٢ يونانيَّة: انه كان لهُ عداوة مع اسرائيل الطيغوري ووشى بهِ عند المتوكل قائلًا ان اسرائيل يسجد لصنم في بيتهِ وانه ليس مسيحيًّا الَّا بالاسم فامر الحاكم فكبسوا بيت اسرائيل فوجدوا عندهُ صورة والدة الاله واتوا بها امام الحاكم وقال حنين: هذا بالحقيقة هو الصنم الذي قلتُ عنهُ. فقال اسرائيل: ان كان هذا صنماً فابصق فيه. ولم يخجل حنين من ان يبصق بالصورة. فارسل الحاكم واستدعى عنده تاودوسيوس جاثليق النساطرة وسأله في خصوص الصورة هل هي مقبولة عنده لم لا واذا كانت مقبولة فماذا يستحق من القصاص من بصق فيها فاجابهُ الجاثليق: انها ليست صنماً لكنها صورة امّ مخلصنا ويجب ان يُحرم المسيحي الذي يحتقرها فامر الحاكم فحرم الجاثليق حنيناً

فقد صحّ اذًا استعمال واكرام الصليب والصور عند النساطرة ولم نرَ احدًا منهم يقول انهم اخذوه من الكنيسة الرومانيَّة بل جهدهم ان يسلسلوه الى الرسل وتلاميذهم ويثبتوا وجوده في كنيسة المسيح على الدوام مستقبحين بدعة مكسّري الصور كما تستقبحها الكنيسة الرومانيَّة

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

بعض مشاهير المسلمين في هذا الطور الثاني

أ تقدم عليهم الشيخ حسن بن محمّد العطّار كان اهلهُ من المغرب فانتقلوا الى مصر وولد حسن في القاهرة سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) وكان ابوهُ عطّارًا استخدم ابنهُ اوّلًا في شؤونهِ ثم رأى منه رغبةً في العلوم فساعدهُ على تحصيلها فاجتهد الولد في احراز المعارف واخذ عن كبار مشايخ الازهر كالشيخ الامير والشيخ الصبّان وغيرهما حتى نال

منها قسماً كبيرًا . وفي ايامهِ جاء الفرنسويون الى مصر فاتّصل بأُناس منهم فاستفاد منهم الفنون الشائعة في بلادهم وافادهم اللغة العربيّة . ثمَّ ارتحل الى الشام واقام مدَّة في دمشق وممَّا نظمهُ حينئذٍ قولهُ في منتزهات دمشق

بوادي دمشق الشام جُزْ بي اخا البسط ‏ وعرّجْ على باب السلام ولا تُخطِ
ولا تبكِ ما يُبكي امرء القيس حوملًا ‏ ولا منزلًا اودى بمنعرج السقطِ
فانَّ على باب السلام من البها ‏ ملابسَ حسنٍ قد حُفظنَ من العطرِ
هنالك تلقى ما يروقك منظرًا ‏ ويُسلي عن الاخدان والصحب والرهطِ
عرائس اشجارٍ اذا الريح هزّها ‏ تميلُ سكارى وهي تخطر في مرطِ
كساها الحيا اثواب خطر فدثرت ‏ بنورِ شعاع الشمس والزهر كالقُرْطِ

وتجوَّل هذا الشيخ حسن في بلاد كثيرة يفيد ويستفيد حتى كرَّ راجعاً الى مصر فاقرَّ له علماؤها بالسبق فتولَّى التدريس في الازهر وقُلد رئاسة هذه المدرسة بعد الشيخ محمَّد العروسي سنة ١٢٤٦ فدبَّرها احسن تدبيرٍ الى سنة وفاتهِ في آخر سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) وكان محمَّد علي باشا خديوي مصر يجلّهُ ويكرمهُ . وقد خلف عدَّة تآليف في الاصول والنحو والبيان والمنطق والطب . ولهُ كتاب في الانشاء والمراسلات تكرَّر طبعهُ في مصر . وكان هذا الشيخ عالمًا بالفلكيَّات لهُ في ذلك رسالة في كيفيَّة العمل بالاسطرلاب والرُّبعَين المقنطر والمجيَّب والبسائط . وكان يُحسن عمل المزاول الليليَّة والنهارية . وقد اشتهر ايضاً الشيخ العطَّار بفنون الادب والشعر . وممَّا يُروى عنهُ انهُ لمَّا عاد من سياحتهِ في بلاد الشرق رافق امام زمانهِ في العلوم الادبيَّة السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشَّاب فكانا يبيتان معاً ويتنادمان ويتجاذبان اطراف الكلام فيجولان في كل فنّ من الفنون الادبيَّة والتواريخ والمحاضرات واستمرَّت صحبتهما وتزايدت على طول الايام مودّتهما الى ان توفي الخشَّاب فاشتغل الشيخ العطار بالتأليف الى موتهِ . ولهُ شعر رائق جُمع في ديوانه فمن ذلك ما رواه لهُ الجبرتي(٤ : ٢٣٣) في تاريخهِ يرثي الشيخ محمَّد الدسوقي المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥م)

احاديث دهرٍ قد ألمَّ فاوجعا ‏ وحلَّ بنادي جمعنا فتصدَّعا
فقد حال فينا البَين اعظم صولة ‏ فلم يخلُ من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوبُ الدهر تترى فكلّما ‏ مضى حادث يعقبهُ آخرُ مسرعا

وهي طويلة قال في ختامها :

سعى في اكتساب الحمد طول حياتهِ ‏ ولم ترهُ في غير ذلك قد سعى

ولم تُلهِهِ الدنيا بزخرفِ صورةٍ عن العلم كما ان تَغُرَّ وتَخدعا
لقد صرف الاوقات في العلم والتقى فما أن لها يا صاحِ امس مضيّعا
فقدناه لكنْ نفعهُ الدهرِ دائمٌ وما مات من ابقى علوماً لمن وعى
فجوزي بالحُسنى وتُوج بالرضا وقوبِل بالاكرام ممّن لهُ دعا

وممن مدحوا الشيخ حسن العطار المعلم بطرس كرامه اللبناني فقال فيهِ لما قابلهُ في مصر :

قد كنتُ اسمعُ عنكم كلَّ نادرةٍ حتى رايتك يا سؤلي ويا أربي
والله ما سمعتْ اذني بما نظرت لديك عيناي من فضلٍ ومن ادبِ

وقام بعد الحسن العطار في رتبتهِ البرهان القويسني فتقلّد مشيخة الازهر اربع سنوات وتوفي سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨) وكان مكفوف البصر عالمًا لهُ تآليف فقهيَّة قال فيهِ احد شعراء زمانهِ يوم ولي رئاسة الازهر معترفًا بسلفهِ :

ولئن مضى حسَنُ العلوم لربهِ فلقد اتى حسنٌ وأحسنُ من حسنْ
انت المقدَّم رتبةً ورئاسةً وديانةً من ذا الذي ساواك من

واشتهر بالآداب احد تلامذة الشيخ حسن العطار وهو الشيخ حسن قويدر. ولد بمصر سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) وكان اصل اجداده من المغرب ثمَّ انتقلوا الى مدينة الخليل وتناسلوا بها ثمَّ انتقل علي قويدر والد المترجم الى القاهرة وفيها ولد ابنهُ الحسن . فلما نشأ اخذ عن شيوخ زمانهِ وخصوصاً عن الشيخ حسن العطار. ولم يزل يتقدّم في العلوم حتى نال فيها شهرة عظيمة وكان مع ذلك يشتغل بالتجارة ويعامل اهل الشام ومن تآليفهِ شرحهُ المطول على منظومة استاذهِ حسن العطار في النحو وكان قرَّظها بقولهِ :

منظومةُ الفاضل العطّار قد عبقت منها القلوبُ بريًّا نكهة عطرهْ
لو لم تكن روضةً في النحو يانعةً لما جنى الفكرُ منها هذه الثمرهْ
في ظلمة الجهل لو أبدت محاسنها والليلُ داجٍ أرانا وجهُها قمرهْ
قالوا جواهر لفظ قلت لا عجبٌ بحر البلاغة قد اهدى لنا دررهْ

ومن تآليفهِ ايضاً كتاب انشاء ومراسلات ورسائل ادبيَّة . ومنها كتاب نيل الارب في مثلثات العرب وهي مزدوجات ضمَّنها الالفاظ المثلَّثة الحركات المختلفة المعاني كمثلثات قطرب. وهذا التاليف طُبع في مصر وقد نقله الى الايطاليَّة المستشرق الاديب

المرحوم اريك ڤيتّو قنصل ايطالية في بيروت سابقًا وطبعهُ في المطبعة الادبيَّة. وممَّا يروى من شعره قولهُ:

يا طالب النصح خذ مني محبرةً | تُلقى اليها على الرغم المقاليدُ
مروسة من نبات الفكر قد كُسبت | ملاحةً ولها في الخد توريدُ
كأنَّها وهي بالامثال ناطقةٌ | طيرٌ لهُ في حميم القلب تغريدُ
احفظ لسانك من لغط ومن غلطٍ | كل البلاء بهذا العضو مرصود
واحذر من الناس لا تركن الى احدٍ | فالخل في مثل هذا العصر مفقود
بواطنُ الناس في هذا الدهر قد فسدت | فالشر طبع لهم والخير تقليد

توفي الشيخ حسن قويدر سنة ١٢٦٢ وقيل انهُ في مرضه الاخير وضع تاريخ وفاته بهذه العبارة « رحمة الله علي حسن قويدر » مجموع حروفها سنة وفاته

اما بلاد الشام فاشتهر من علمائها الشيخ محمَّد امين بن عمر بن عبد العزيز كان مولدهُ بدمشق سنة ١١٩٨ هـ وفيها توفي سنة ١٢٥٢ (١٧٨٣ — ١٨٣٦) برز بين ادباء وطنهِ واخذ عنهُ علماء الشام وقد صنَّف في الفقه والتصوُّف نحو خمسين كتابًا

واشهر منهُ في الشعر الشيخ امين بن خالد اغا ابن عبد الرزَّاق اغا الجندي ولد في حمص من أُسرة شريفة سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) ونشا بها في طلب العلوم ثم رحل الى دمشق فامتاز بين اقرانهِ وشهد لهُ الشيخ عمر اليافي بالتقدُّم في الشعر. وقد نظم القصائد المفيدة والقدود الفريدة وتفنن خصوصًا في الموشحات والمواليات والاناشيد الموقعة على آلات الطرب وقد غلبت عليهِ الغزليات . وكان سيَّال القلم طيّب القريحة لم يمض عليهِ يوم خاليًا من نظم او نثر يحرّر في يوم ما يعجز عنهُ غيرهُ في شهر . وكان اهل زمانهِ يتزاحمون على مسامرتهِ ويتنافسون في مواصلتهِ ويتغنون باقوالهِ. وكانت وفاتهُ في حمص سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١م) ودُفن قريبًا من الجامع الخالديّ . ولهُ ديوان طبع قسمًا منهُ بالمطبعة السليميَّة سليم المدوَّر سنة ١٨٧٠ ثم طبعه سنة ١٨٨٣ اصحاب المكتبة العموميَّة واضافوا اليهِ قسمًا اخر لم يُنشر بالطبع . ومنذ عهد قريب تولَّى نشر ديوان الجندي بتمامهِ الاديب محمَّد افندي كمال بكداش في مطبعة المعارف. وهذه الطبعة لا تقل عن ٤٥٠ صفحة ولشهرة هذا الديوان نكتفي بذكر بعض مقاطيع قليلة تدلُّ على اساليبه فمن ذلك قولهُ من الرجز يصف فيه الربيع في ربوة دمشق:

يا حبَّذا الربوة من دمشقِ بالفضل حازت قصبات السبقِ
كم اطلعت جا يدُ الربيعِ من كل معنىً زائدٍ بديعِ
وفتَّح الورد الكفوف اذ دعا داعي الصباح للهنا ورجَّعا
وفكَّكت انامل النسيمِ ازرار زهر الرَّند والشميمِ
وسقطت خواتم الازهارِ من فنن الاغصان كالدراري
والتفَّ سيفُ البرق في اوراقِ مذ شام خيل الريح في سباقِ
ما بكتِ السماء بالغمامِ الّا وصار الزهرُ في ابتسامِ

ومن محاسن شعره قولهُ مشطرًا ومخمسًا لابيات عرضها عليهِ عبد الله بك العظم في خصام النرجس والورد:

قال لي النرجس حرَّضْ لقتال الورد وادحضْ
قلتُ هذا قول مبغضْ ايها النرجسُ اعرضْ
لن تنال الافضليَّهْ
عُد الى الحق سريعًا ولقولي كن سميعا
وأنت للورد مطيعا وسل الزهر جميعا
عن معانيك الرديَّهْ
قد جهلت الامر قدما وادَّعيت الحسن ظلما
فبمن اولاك حلما لا تكن للورد خصما
فهو مرفوعُ المزيَّهْ
كنت قبل العجب آمنْ وبظل الروض كامنْ
فاذا حرَّكت ساكنْ انت ربُّ السيفْ لكن
شوكة الورد قويَّهْ

ومن قوله في هجو قوم:

وقوم غضَّ طرف الدهر عنهم فاذوا كل ذي عرض وعادوا
وفي ظلمات ظلم الحق ساروا فسادوا عند ما ظهر الفساد
وان قالوا سنرجع حيث كنَّا مخافة ان تذمَّهم العباد
وان طلبوا رجوعهم عنادًا فما صدقوا ولو رُدُّوا لعادوا

ومن مديحهِ قولهُ في وزير من قصيدة طويلة

رفيع مقامٍ شامخ العز ضيغمٌ غياث مغيث من ظلوم اذا اعتدى
يلوذُ بهِ الجاني فيبلغُ مامنًا ولو كان اهل الخافقين لهُ عدى
ومن أمهُ من فاقة عاد مثريًّا ويرجع بعد الذل والفقر مسعدا
اذا الدهر يومًا جارَ في حكمهِ بنا على الدهر ارسلناهُ سهمًا مسدّدا
فتىً جمع الدنيا مع الدين والحجى مع الحزم والرأي السديد مع الهدى

فاضحى لارباب الحوائج كعبةً وكهفاً لمن ياوي اليـهِ وموردا
لعمرك هذا المجـدُ والحسبُ الذي سما فوق اركان المجرَّة مصعـدا
ستغدو لنـا للعزّ دارًا وللورى بحضرتهِ باب المراد ومقصـدا
ويبقى لسان الحال فيـهِ مؤرخاً لك الحمد يا ذا الجود لازال سرمدا ١٢٦٢

وقال سنة ١٢٥٦ مؤرخاً وفاة السيّد نجل الكيلاني:

في جنَّة الفردوس حـلَّ كانهُ بدرٌ ولكـن نورهُ لا يحجَبُ
قد صاد كلّ المكرمات وكيف لا يصطادهـا وابوهُ باز اشهب
بوفاتهِ التـاريخ انبا قائـلًا هذا النجيب وليس منهُ انجبُ (لها تابع)

اشتقاق اسم القرامطة

لحضرة الاب انستاس الكرملي

للعلامة دي كُوي (J. de Goeje) عدَّة مؤلفات في تاريخ الشرق واممهِ وبلادهِ ومن جملة هذه الاسفار كتـاب اسمهُ « مذكرة في القرامطة البحريين والفاطميين Mémoire sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides جمع فيهِ كل ما يحتـاج الى معرفتهِ من تاريخ هذا القوم او هذين القومين (ان شئت الفصل بينهما) فشفَّ بحثهُ هذا عن علم بعيد الغور واطلاع واسع على تاريخ الشرق في العصور المتوسطة ولذا جاء كتابهُ هذا مما لا يستغني عنهُ شرقيٌّ من محبي التاريخ والوقائع

وقد زاد في آخرهِ زيادات حسَّنت الكتاب حتى غدا وحيدًا في بابهِ الّا انهُ توقَّف في تعيين معنى القرمطيّ والقرمطة فذكر جميع الاراء التي توفق الى العثور عليهـا من كتبة الغرب والعرب ومع ذلك فلم يشفِ الغليل. ولا نريد هنا ان نذكر الاراء المختلفة في هذا الصدد فمن اراد الوقوف عليها فليطالعهـا في المذكرة المذكورة بل نريد ان ناتي هنا على معنى هذه اللفظة على ما بدا لنا. واول كل شيء ناخذ على حضرة العلامة دي كُوي انهُ نسي فصلًا مهماً يتعلَّق بمراتب القرامطة التي يستدرجون بها الناس ويستنزلونها مراتب تُظهر نياتهم الخبيثة وتفسح لنـا مُغلق هذه التسمية الغريبة. وقد وقع بيدي قبل عدة سنوات كتاب خط يبحث عن هذه المراتب وقد نقلتهـا في مذكرتي ونسيت ان اذكر اسم الكتاب والمؤلف. الّا اني اؤكد ان صاحبهُ من مشاهير الكتـاب واكابرهم وكلامه الاتي حُجَّة مما يجب الحرص على حفظهِ قال:

«الغيارية طائفة من المجوس راموا عند شوكة الاسلام تاويل الشرائع على وجوه تعود الى قواعد اسلافهم . ورأسهم حمدان قرمط . وقيل : عبد الله بن ميمون القدّاح . ولهم في الدعوة مراتب : (١) الذوق . وهو تفرُّس حال المدعوّ هل هو قابل للدعوة ام لا. ولذلك منعوا إلقاء البذر في السبخة . والتعلم في بيتٍ فيهِ سراج . ثم (٢) التأنيس باستمالة كل احد بما يميل اليهِ من زهد وخلاعةٍ . ثم (٣) التشكيك في اركان الشريعة بمقطعات السور وقضاء الصوم . . . وعدد الركعات ليتعلق قلبهم بمراجعتهم فيها . ثم (٤) الربط وهو اخذ الميثاق منهُ بحسب اعتقادهِ ان لا يفشي لهم سرًّا . وحوالته على الامام في حل ما اشكل عليهِ . ثم (٥) التدليس وهو دعوى موافقة اكابر الدين والدنيا لهم حتى يزداد ميلهُ . ثم (٦) التأسيس وهو تمهيد مقدمات يقبلها المدعو. ثم (٧) الخلع وهو الطمأنينة الى اسقاط الاعمال البدنية . ثم (٨) السلخ عن الاعتقادات وحينئذٍ يأخذون في استعمال اللّذات وتاويل الشرائع . ولقبوا بالقرامطة لان اولهم حمدان قرمط وهي احدى قُرى واسط»

قلت : فاذا وقف القارئ على هذه الافادات انهتك لهُ من ذاتهِ سترُ السر وتجلى لهُ وراءه احسن التجلّي فانقسام آراء العلماء في اصل اللفظة ومعناها يدلُّ على غرابتها في اللسان العربي . وعندنا انها نبطية من ܩܘܪܡܛܢܐ اي المدلس والخبيث المحتال او من ܩܘܪܡܛܐ وهو الخبث والتدليس والنكر

ويشهد على صدق راينا هذا .

١ً تشعُّب الاراء في اصل اللفظة وهو كثيرًا ما يحدث عند اعجميَّة اللفظ كما اسلفنا القول

٢ً ان العلماء قد اتفقوا على ان اللفظة هي لقبٌ من القاب حمدان وقد تابعهم المستشرقون وليس من اسمائهِ او من اسماء احد مشايخه كما ذهب اليهِ بعض كتبة العرب

٣ً ان اول من سماهُ بهذا الاسم اهل واسط او من كان في جوارها . وكانت لغة اولئك السكان يومئذ الارامية او النبطيَّة فضلًا عن العربيَّـة . ولذا ظنَّ بعضهم انَّ «قرمط» هو اسم إحدى قرى واسط . وان كان هذا لا ينفي ذاك

٤ً كان الأنباط منتشرين في واسط ونواحيها ولا سيا الصابئة المندائيَّة ولهذا فاسم المحتال المدلس عندهم الى يومنا هذا هو بلغتهم «قرمطان» او «قرمطا» على وجه التخفيف

ولمَّا ما قالهُ العلّامة دي كوي ص٢٠٣ : «اني طلبت من صديقي الاديب نلدكي

معنى اللفظة (כרמיתה) النبطية فلم ينجح بكشف غامضها » فلا ينفي صدق هذا التفسير وقد تلقَّيتهُ عن ادباء اللغة النبطيَّة بل ومذكور في كتبهم ومعاجم لغتهم

واما ما قالهُ ابن الجوزيّ : « واما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة اقوال :

احدها : انهم سموا بذلك لان اول من اسس لهم هذه المحنة محمد الورّاق المقرمط وكان كوفيًّا

والثاني : انهُ كان لهم رئيس من السواد من الانباط يلقب بقرمطويه (اقرأها : قرمطونه קרמטונה) فنسبوا اليهِ

والثالث : ان قرمط كان عاملًا لاسماعيل بن جعفر فنسبوا اليهِ لانهُ احدث لهم مقالاتهم

والرابع : ان بعض دعاتهم اكترى بقرًا من رجل يُقال لهُ قرمط بن الاشعث ثم ادخلهُ في مذهبهِ

خامسًا : ان بعض دعاتهم نزل برجلٍ يقال لهُ كرميته فلما رحل تسمَّى باسم ذلك الرجل ثم خفف الاسم فقيل قرمط

والسادس : انهم لقبوا بهذا نسبةً الى رجلٍ من دعاتهم يقال لهُ حمدان بن قرمط . وكان حمدان من اهل الكوفة يميل الى الزهد فصادفهُ احد دعاة الباطنية في طريقهِ . اه

فهذا كلُّهُ يثبت صدق كلامنا لاختلاف الآراء على ضعفها . فضلًا عن غيرها من البراهين الواهية . هذا ما اردنا كشفهُ خدمةً للحقيقة . وربك فوق كل ذي علم عليم

مطبوعات شرقية جديدة

COOK'S HANDBOOK for **Palestine and Syria.** New edition. *London, Thos. Cook and Son*, 1907, In-8°, VIII-424 pages.

— for **Egypt and the Sûdân**, by E. A. WALLIS BUDGE. Second edition, *Ibid*, In-8°, XXII-912 pages.

دليل كوك لفلسطين وسوريا ثمَّ لمصر والسودان

انَّ محل كوك ذاعت اليوم شهرتهُ في انحاء المعمور ولم يكتف اصحابهُ بتسهيل الاسفار الى اقاصي العالم على شروط معلومة بل ارادوا ايضًا ان يضعوا لمحبي الاسفار

عدّة تآليف خصصوا كلاً منها لوصف احد البلدان التي يزورها الرحالون ومما بلغنا آخرًا دليلان جُدّد طبعهما نريد بهما دليل فلسطين وسوريًا ثم دليل مصر والسودان . اما الدليل الأوّل فليس هو كدليل الزوّار الافرنسي الذي غايتهُ التقوى والعبادة اكثر من ارشاد السيّاح وتمهيد طريقهم . وهو يُقسم الى قسمين فالقسم الأوّل مداره على الاسفار في السكك الحديدية وفي العجلات والقسم الثاني على الرجل مع القفول السائرة على الدواب والبائتة تحت المضارب والخيم . وقد فصل كل قسم الى فصول عديدة يتضمّن كل فصل رحلة خاصة مع كل التفاصيل التي يحتاج اليها المسافر في طريقهِ كساعات الرحيل والمراكيب وتقسيم الرحل ومؤونة السفر الى غير ذلك مما لا غنى عنهُ لراحة الزوّار وهنائهم . وتجد مع هذه الافادات عدّة معلومات أخرى تاريخيّة وجغرافيّة اقتطفها المؤلف غالبًا من مصادر ثقة الّا بعض الاقاويل التي يمكن اصلاحها بطبعة تالية كقولهِ مثلًا عن هيكل جرش الكبير انهُ كان على اسم الشمس والمرجّح انهُ كان مختصًا بعبادة ارطميش . وكقولهِ عن اليسوعيين انهم يتولون ادارة مستشفى بيروت . امّا الخارطات التي الحقت بهذا الدليل فهي دون خارطات دليل مصر في حسنها لكنّها اتمّ واكمل من خارطات سورية التي رسمت الى الان في هذا الحجم

أمّا الدليل الثاني اعني دليل مصر والسودان فقد وكل بهِ اصحاب كوك الى احد كبار الكتبة الانكليز المسيو بودج (Budge) الذي يذهلنا بغزارة معارفهِ ووفرة تآليفهِ بحيث يمكن القارئ ان يثق بهِ الثقة التامة ويستقي من موارده الصافية . وهذا الدليل كبقيّة الكتب الشبيهة بهِ يحتوي على الافادات العلميّة التي من شأنها ان تضمن الراحة للمسافرين مع الفصول العلميّة لوصف مصر وآثارها . فالفصل العلميّ لا يقلّ عن ٣٤٠ صفحة اودعهُ كاتبهُ البارع خلاصة تاريخ مصر وفقًا لكل ما كتبهُ كبار علماء ذلك القطر مع الاشارة الى مكتشفاته المستحدثة . وكذلك قد استحسنا القسم الجغرافي الذي تُغني خلاصته عن المطوّلات . اما القسم العلمي فانهُ يتناول اوّلًا مصر السُّفلى مع مُلحق في واحات أمون وشبه جزيرة سينا . ثم ثانيًا بلاد الفيوم وثيبة مع ما هناك من الاثار المصريّة العجيبة كالهياكل الفخيمة والمدافن الملكيّة . ثمّ اخيرًا الصعيد مع حواضرهِ الشهيرة اسوان والفنتين وفيلة . يليه قسمٌ جديد لم يسبق اليهِ دليل آخر في وصف السودان مباشرةً من وادي حلفا الى الخرطوم ومنها الى النيل الازرق والى ما وراء

فاشودة حتى البحيرات الكبرى وقد تبع في وصفهِ طريق النيــل راكبًا ذهبيَّة مصريَّة وواصفًا لضفَّتي النهر · وكل هذه الاوصاف مدقَّقة راهنة اقتبسها المؤلف من كتاباتهِ السابقة وخصوصًا من كتابهِ النفيس في تاريخ وآثار السودان المصري (The Egyptian Sûdân, its history and monuments, 1907, 2 vols.

ل. ش

منهل الورّاد في علم الانتقاد

تاليف قسطاكي بك الحمصي

انجز حضرة الكاتب البارع قسطاكي بك الحمصي الجزء الاول من كتابهِ الذي عنوانهُ « منهل الوراد في علم الانتقاد » وهو كتاب والحق يقال نادر في بابه لم يسبقه احد اليه في الشرق · فسرنا ان نرى من لهم الباع الطويل في العربية يتبعون آثار ادباء الفرنج ويوسعون نطاق الابحاث العربيَّة ويخرجون عن الدائرة التي رسمها الاولون ممن تقدمهم في الكتابة عن الاداب لانهُ من الواجب ان ترتقي العلوم العربيَّة لتوفر اسباب النجاح التي بين ايدينا وهي لم تتهيَّ لسلفائنا · فوجب علينا اذًا شكر المؤلف على همتــهِ راجين لهُ اقرانًا عديدين يبارونه في ابحاثه الخطرة

وامَّا الجزء الذي نُشر من الكتاب فقد كنَّا نود لو استطعنا شرح ما فيهِ بكلمات وجيزة الَّا انَّ الامر يتعذر علينا لما ورد في تعريف موضوعه من الالتباس والابهام · فلقد يظل القارئ يقلب صفحات الكتاب وهو يتساءل عما اراد الكاتب وضعه ويتردد بين موضوع وآخر لا يستقر رائد فكره حتى منتصف الجزء · · فتارةً يخال لهُ ان الكلام في ما يسميه العصريون La Critique او النقد مطلقًا · واخرى انهُ في الانتقاد البيــاني وطورًا يحسب ان المؤلف يتوخَّى البحث عن اصول العلم المسمى Esthétique او فلسفة الفنون الجميلة · وطورًا ان المقصود اصول البلاغة Rhétorique او تاريخ البلاغة واذا طلب حدًّا يقف عنده لم يجد لموضوع الكتاب تعريفًا سوى ان النقد « هو التفتيش عن الحقيقة (ص١٢٦) وهو لعمري تعريف اعم من ان يفيد اذ هو شامل لكل العلوم ولا ننكر ان من كتب في اصول النقد يحتاج الى معرفة ما ذكرناه من الفنون والعلوم فلا يسعه الا الالمام بها في مؤلفهِ الا ان ذلك ينبغي ان يكون بطريقة لا تترك للابهام حظًا حتى لا يصعب على احد سيما على الطالب الحدث ادراك معاني الكاتب

ثم لما كان الانتقاد البياني هو الغاية المقصودة من وضع الكتاب—على ما ظهر لنا— فليسمح لنا حضرة المؤلف بابداء ملاحظة اخرى ليست دون الاولى اهمية وهي ان انواع النقد البياني كثيرة وكلها جائزة اذا استوفت شروطها. وعليهِ لا نرى صوابياً مذهب من اكتفى بالنقد العلمي في الفنون البيانيّة ونبذ كل مذهب سواه بحجة انهُ « نتائج اوهام سقيمة » او « خطأ فاحش » وهو على ما فهمنا رأي حضرة المؤلف. ومما يزيد قولنا خطراً ان حضرة الكاتب اراد تقديم كتابه للطلبة [ولا يخفى على احد ما في هذه التقدمة من الرقة والغيرة على صالح الاحداث] ولكن الطلبة عاجزون عن ادراك فوائد النقد العلمي فضلاً عن انهُ لا يفيدهم — ولا غيرهم — في اكثر الاحيان ذرة. لانهُ يقتضي إتعاب الذاكرة واستيعاب امور شتى متباينة لا يقوى على احرازها التلميذ المسكين مع اهمال باقي القوى النفسانيَّة التي يهمّ تهذيبها قبل غيرها. ولذا لم يستحسن هذه الطريقة من النقد ايمة النقد انفسهم الا في ظروف محدودة وبشرط ان ان لا يستعين الناقد بالعلوم الا على قدر الحاجة والّا خرج النقد عن ان يكون بيانياً مبنياً على سلامة الطبع وحسن الذوق

هذا في موضوع الكتاب وللمؤلف ابحاث اخرى في هذا الجزء الاول قسمها الى قسمين ضمَّن اولها ما يتعلّق بحقيقة النقد وتاريخه عند سائر الامم وهو القسم الذي ابدينا فيهِ ما ارتأيناه . واما القسم الثاني ففيه قواعد الانتقاد ذكرت قطعة منها في هذا الجزء وسوف تأتي تتمتها في الجزء الثاني من الكتاب. فأحببنا ان نؤجل الكلام عنها حتى ظهور الجزء الثاني الى عالم الوجود لنقف على افكار المؤلف برمتها. اما انشاء حضرة الكاتب فلو اردنا اطراء فصاحة عبارته وجود سبكها لما افدنا قراءنا فائدة تذكر لان حضرته معروف بحسن المقال وصدق اللهجة العربية خ٠ ا

شذرات

رسم الاصابع للقضاة والشرط في الدول الاوربيّة طرائق شتى للاستدلال على الاشخاص لاسيا ذوي السوابق منها التصوير الشمسي للمتَّهم او المشبوه. ومنها قياس الجُناة طولاً وعرضاً مع قياس بعض الاعضاء كالرأس وغيرهِ مع

وصف تقاطيع وجهه وسحنته ومنهـا تعريف لون قزحيّة العين وكذلك تعريف بعض السمات الخاصّة من عيون ومحاسن وربّما كانوا يزيدون على هـذه التعريفات رسم صورة الاصابع . واليوم قد تحقّق اصحاب الفيسيولوجيا انّ هذا الدليل الاخير هو اصدق الادلّة وهو وحدهُ ينوب عن بقيّة الدلالات . فانهم يغمسون اصابع الانسان في الحبر ثم يجبرونهُ على ان يضغط بها ورقاً او صفيحة فترتسم عليها كلّ خطوط الاصابع الخفيّة كالخواتم . ومن عجيب امر هذه الخطوط انهـا تختلف في كل فرد من ابناء البشر اختلافاً تامًّا وانّها تثبت في الانسان طول حياته دون تغيير منذ طفوليّته الى وفاته فان قابلت بين رسم الاصبع ذاته بعد ٢٠ او ٣٠ سنة عرفت صاحبها بلا مراء على خلاف بقيّة الادلّة التي تختلف شيئاً مع الزمان . امّا الذي وقف على حقيقـة هذا الامر فالانكليزي هرشل (M. W. Herschell) فكتب فيهِ مقالات حسنـة واستلفت انظار الحاكم . وقد وافق اكثر العلماء على صحّتها حتى انّها عما قريب سيصير عليها المعوّل الكبير لتعريف هويّة الاشخاص . وممّا يُقضى منهُ العجب انّ اثار الاصابع الخفيّة ذاتها صارت اليوم من الدلائل على اصحابها . فمنذ شهرين دخل اللصوص الى بيت في جبال البيرينة وشربوا خمرًا من زجاجة كانت هناك فتوسّل القضاة ببعض الوسائل الكيماويّة لفحص آثار الاصابع الباقية عليها فعرفوا اللصوص وجازوهم على فعلهم

الدين والوطن — على الذين يدّعون ان تقويض اركان الكنيسة وغسل الهيئة الاجتماعيّة من كل صبغة دينيّة من اسباب الارتقـاء العصري ان يتأملوا هذه الكلمات الخطيرة التي لفظها جلالة الامبراطور غليوم في مونستر من اعمال وستفالي وجلالته ادرى الناس بما فيهِ خير الهيئة الاجتماعيّة اذ الكل يشهدون لهُ بالفضـل في ترقية شعبهِ الى الدرجة السامية من العمران التي بلغها اليوم

« يسرني هذا الاتّحاد الباسط رواقه على وستفـالي وارى ان لا شيء ادعى الى الالفة والوئام والنجع لتوطيد دعائم الوفق والمحبة بين عموم الطبقات من التدرع بالدين والتمسك باهدابهِ

وهذا ما انتجهُ لي اختباري الشخصي فقد استلمت زمام الاحكـام منذ عشرين سنة وبهذه الفسحة من الزمن قد تعاطيت امورًا هامّة ذات شان وتعاملت مع اناس عديدين وكثيرًا ما اضطرني الامر ان أغمض الجفن على القذى

فانهُ قد توقع لي مراراً عديدة حدوث ما كنت امتعض منهُ غاية الامتعاض فتغلي اذ ذاك مراجل الغضب في داخلي وتلتهب نار الانتقام واود لو نكلت بمن خالفني او جاهر بمعاكستي الّا اني ما كنت لاستسلم الى مثل هذه الافكار بل اعود الى نفسي وابحث عن وسيلة لاخماد نار غضبي وتحريك عوامل التودّة في قلبي فكنت اسمع صوتاً داخلياً يقول لي: انهم بشر مثلك ومهما كان الشر الذي فعلوا تذكر ان لهم نفساً اتتهم من الاعالي السماوية التي ستعود اليها يوماً وبهذه النفس هم صورة الخالق

فمن كانت تلك افكاره يكون ولا ريب رحوماً شفوقاً على امثاله وغفوراً لهم واني من صميم الفؤاد اتمنى لو تيسر لي ان اغرز هذا الفكر في قلب الشعب الالماني كله فيكون كحجر الزاوية المتين بالنسبة الى الالفة والاتحاد. لكن هذا الاتحاد لا يكون موطد الاركان الّا اذا تم على المثال السامي مثال مخلصنا الالهي الذي تنازل فدعانا اخوته وعاش بيننا ليكون لجميعنا قدوةً ومثالاً ولم يزل الى الان معنا وبيننا. فليوجه شعبي نظره اليهِ اذاً ويضع اساس الاتحاد على الصخر الذي لا تقوى عليهِ الزوابع والاعصار .... » (البشير)

تجارة المانية وبلجكة تجارة هاتين الدولتين في نجاح متداوم. فان المانية في السنة المنصرمة اصدرت الى الخارج ٦٤٦,٧ مليوناً من الطنّات واوردت الى بلادها ٨,٤٣٩ مليوناً. فكان مبلغ تجارتها ١٤,٩٣٦,٠٠٠,٠٠٠ مرك ولم يتجاوز في العام السابق ١٣,٢٧٧,٠٠٠,٠٠٠. وان قابلت تجارة المانية اليوم مع حالتها قبل خمس سنوات وجدت ان الواردات زادت بنسبة ٤٠ في المئة والصادرات بنسبة ٣٦ في المئة. وكذلك تجارة بلجكة الخارجيّة فانّها زادت زيادة بالغة فانّ الوارد من السلع الى الداخل بلغ في السنة ١٩٠٦ : ٢٥,٨٥٠ ٧٠٠ طنّ تساوي نحو ٥,٧٢٥,٨٠٠,٠٠٠ فرنك بدلاً من ٢٣,٣٧١,٢٠٠ طنّ ثمنها ٤,٩٨٩,٩٠٠,٠٠٠ بزيادة ٢,٤٧٩,٥٠٠ طنّ ثمنها ٧٣٥,٠٠٠,٠٠٠ ف. امّا الصادرات من بلجكة الى الخارج فانها بلغت ٢١,١٧٤,٨٠٠ طنّ تساوي ٥,٠٦٢,٧٠٠,٠٠٠ ف مع زيادة على العام ١٩٠٥ بما وزنهُ ١,٨٤٣,٤٠٠ طنّ وثمنهُ ٨٠٦,٧٠٠,٠٠٠ ف

اسئلة واجوبة

س سالنا احد كهنة الروم الارثذكس من حمص عن السند الذي استندنا اليهِ في ترجمة آية سفر الاعمال (١٦ : ٧) : « لم ياذن لهما روح يسوع » فانَّ النسخ المخطوطة التي راجعها لم ترو « روح يسوع » بل « الروح القدس » او « الروح » فقط

شرح اية سفر الاعمال (١٦ : ٧)

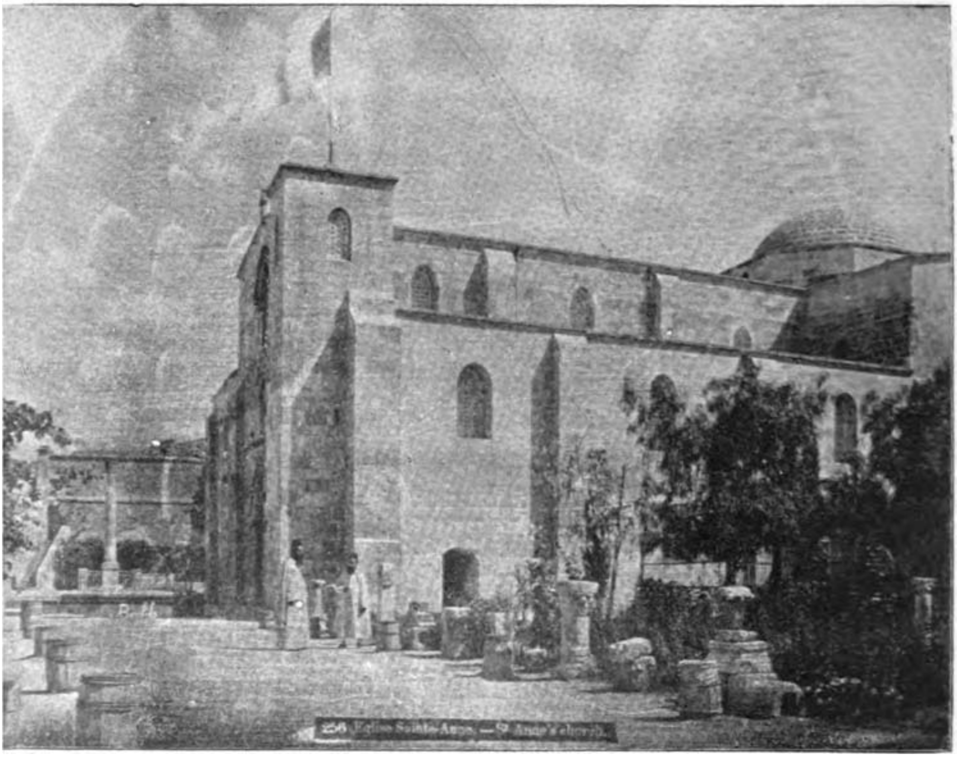
ج معلوم انَّ ترجمتنا العربيَّة للاسفار المقدَّسة على النصوص الاصليَّة · واصل كتاب الاعمال باليونانيَّة وفي اقدم النسخ اليونانيَّة كالنسخة الواتيكانيَّة الراقية الى القرن الرابع ونسخة بطرسبرج القريبة من عهدها والنسخة الاسكندريَّة المحفوظة في متحف لندن كلّها قد دوّنت باليونانيَّة روح يسوع τὸ Πνεῦμα Ἰησοῦ وان كانت النسخة الدارجة اليوم ليس فيها اسم يسوع · والنسخة اللاتينيَّة تنطبق على النسخة اليونانيَّة القديمة ومثلها النسخة السريانيَّة المعروفة بالبسيطة وهي من اواخر القرن الاوَّل للميلاد او اوائل الثاني وكذلك النسخة الارمنيَّة المنقولة عن اليونانيَّة · (راجع كتاب العلّامة تيشندورف في نسخة العهد الجديد اليونانيَّة ورواياتها (Tischendorf : Novum Testamentum græce, II, 139) وكتابهُ حجَّة في هذا الباب

س سال حضرة القس انطون صابر عوّاد : كيف امكن صاحب البحث ان يستشهد على النكرة الواقعة مبتداءً بهذه الاية : هل شيطان يخرج شيطانًا . وقد قال في باب حروف الاستفهام ان هل تختص بالدخول على الفعل والمبتدا الذي خبره فعل ؟

ج لا نرى وجهًا للتوفيق بين الموضعين الَّا القول بان المؤلف رحمه الله لم يعتبر ما نصهُ عن حكم هل مضطردًا بل مرجحًا اخذًا بمذهب بعض النحاة مثل الكسائي والاخفش والدماميني والصبَّان الخ فقد اجازوا ادخال هل على مبتداء خبره فعل مثل : هل شيطان يخرج شيطانًا

س وسالنا احد الاساتذة : انتخب رجل للقسوسية وقبل ان يندرج في الدرجات الكنسية عابه الدهر بعيب في جسمهِ كالعرج الظاهر مثلًا فهل يجوز تدريجهُ وترقيتهُ الى درجة الكهنوت وهو في غنى عنهُ

ج لا تحل رسامة من كان « مشوها تشويهًا ظاهرًا » كالعرج الا بتفسيح ممن لهُ الامر كالسيد البطريرك عند الموارنة وذلك اذا كان هناك داع موجب (راجع المجمع اللبناني)



كنيسة القديسة حنَّة في القدس الشريف

المشرق

نبذة تاريخية

في مدرسة القديسة حنة الاكليركية

لحضرة الخوري نقولا دهان احد تلامذة مدرسة القديسة حنة (الصلاحية)

لقد مضى على مدرسة القديسة حنة الاكليركيَّة ربع جيل وهي سائرة في طريق الفلاح والتقدم تحت رعاية رئيسها الهمام الايكونوموس لويس فدرلن الذي احتُفل بيوبيلهِ الفضي في التاسع من هذا الشهر فلعمري ما اغرب واجمل هذا الاتفاق يليق بمن وقف ذاتهُ لخدمة هذا الصرح ولم يزل منذ تسع عشرة سنة مشمّرًا عن ساعد همّةٍ لم يُعيِها الكلل ليهيّئ لكنيستنا الملكيَّة كهنةً مزدانين باحسن الصفات. فهو الجميل حملنا نحن المتخرّجين في هذه المدرسة ان نحتفل بهذا العيد الميمون احتفالًا شائقًا اعترافًا بافضال من سُطِّرت افضالهُ على صفحات قلوبنا باحرف لن تمحيها يد الزمان وانا احدهم لم اجد تقريظًا ياتي طبق المرام الّا ان اهدي قرّاء المشرق لمحة عن تاسيس اكليركيَّة القديسة حنة ونظامها ومآثر اربابها واعمال الكهنة الذين تثقفوا فيها والاماكن المقدسة التي تحويها ومتحفها النادر الوجود

١ تاسيس المدرسة

على اثر حوادث القرم التي فيها انتصرت دولتنا العليَّة على روسية صدرت الارادة السنيَّة بان يمنح للدولة الفرنسوية منزل القديسة حنة حيث تمَّ سرّ الحبل بلا دنس وولادة العذراء فقبلت الحكومة الفرنسوية شاكرة هذا المقــام الشريف وتوابعهُ وعهدت الى فريد عصرهِ الكردينال لافيجري تخصيص هذا المكان لمشروع خيري

فاوعز نيافته الى جمعية الاباء البيض المؤسسة منه ان ترسل الى القدس بعض المرسلين ليقوموا بالصلوات والاحتفالات في مقام القديسة حنة وذلك سنة ١٨٧٨ واما الكردينال فلم يرضَ بتخصيصهِ للدين فقط بل عزم على ان يجعلهُ مورداً للعلوم وان يفتح بجوار الكنيسة مدرسة اكليركيّة للطوائف الشرقيّة علماً منهُ انها في غاية الافتقار الى ذلك لمّا اتى سوريّة سنة ١٨٦٠ وتجوّل في بلاد الشام ولبنان وتبعاً لنوايا العالي الهمم البابا لاون الثالث عشر. وكان امّ القدس سنة ١٨٨٠ السعيد الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف ليتفقّد شؤون الرعيّة فزار القديسة حنة واظهر لحضرة الاب روجه رئيس المحل انهُ يرغب بان تشاد بجانب مهد البتول مدرسة يتخرج فيها كهنتهُ واساتذتهُ فخابر الرئيس الكردينال بهذا الشان وكان لهذا البلاغ الوقع الحسن في قلبهِ لما لطائفة الروم الكاثوليك من الاهميّة الكبرى في الشرق. ولمّا كان نيافتهُ على جانب عظيم من السياسة بيّن لحكومته ما ينشأ من ذلك من الفوائد الجمّة بواسطة الاكليروس فاستحسنت وزارة كمبيتّا رأيه الثاقب وعيّن له مجلس الندوة تسعين الف فرنك لمباشرة العمل فاقبل توّا الى رومة غايته ان يحصل على الرضى البابوي ومصادقة البروبا كندا ثم رفع لها عريضة يستمدّ منها اولاً ان يؤذن بقبول احداث مجاناً من طائفة الروم الملكيين في مدرسة الصلاحية . ثانياً ان يجري في تهذيبهم حسب عوائد البلاد وطقوسهم . ثالثاً ان تقام الاحتفالات على الطقس الشرقي . فاسرعت الى مصادقة هذا المشروع ونظامه لموافقة التامّة للمنهج الذي نهجهُ البابا لاون الثالث عشر (١

فلما شاع خبر افتتاح هذه المدرسة سنة ١٨٨٢ في جميع انحاء الابرشيات اقبل السادة الاساقفة ورؤساء الاديرة يرسلون الاحداث اليها حيث يتلقون العلوم الدينيّة والمدنيّة بتمامها ويتثقفون على الفضائل الكهنوتيّة والتهذيبات والطقوس الشرقيّة وكان قدرهم اول سنة اثني عشر واخذ عددهم يتكاثر سنة بعد سنة الى ان اصبح الان في الاكليركيّة الصغرى يتجاوز المئة وفي الكبرى ينيف على الثلاثين وهم من جهات مختلفة كالشام ومصر وحوران وبيروت ولبنان وحلب وصور وعكا وطرابلس وبين النهرين واسيا الصغرى يذهب كل سنة لجلبهم بعض الاباء الذين يعانون مشاق الاسفار

(١ راجع ترجمة حياتهِ Vie du Cardinal Lavigerie par Mgr Baunard, chap. IX, S^te Anne.

ويتحملون الكلف الباهظة لانتخاب احداث مفطورين على احسن المناقب . ولا حاجة الى الاسهاب في ذكر البنايات الشامخة الشائعة التي تشيدت لهذه الغاية فهي فسيحة الاطراف رحبة المحلات مجهَّزة بكل ما تحتويهِ اهم المدارس ولهم مصيف بقرب القدس في عين كارم حديث البنيان تكتنفهُ الاشجار والرياض يقضي فيهِ التلامذة ايام العطلة برعاية هؤلاء الاباء الذين بعنايتهم يزيلون عنهم غصص الفراق عن اهلهم . وما مضى على افتتاح هذه المدرسة ثماني سنوات الّا واتت بثمارها اليانعة فشرعت تقدّم كهنة لكنيستنا الملكيَّة وكان عددهم اربعة احدهم سيم كاهناً والثلاثة شمامسة . ولمّا حمل البرق الخبر لقداسة البابا اهتزّ طرباً وارسل الكردينال رمبولّا نيابةً عنه يهنّئ المرتسمين ويبلّغهم بركة قداستهِ وفي ايامنا اصبح عدد القسوس المتخرجين في الصلاحية يناهز السبعين وقد انتقل البعض منهم لجوار ربهم وهم في عنفوان الشباب

٢ نظام المدرسة

على انهُ لا بد ان نأتي بملخَّص الرسوم التي سنَّها مؤسس هذه المدرسة فانهُ فرض اولًا على من انتدبهم لهذا العمل المحافظة الكليَّة على عوائد وتقاليد البلاد من لغة وطقس وتهذيب ومأكول وملبوس. ولذا نرى عنايتهم موجهة الى تدريس اللغة العربيّة بكامل فروعها والذين يدرّسونها من الكهنة المتخرجين فيها وذلك منذ سنة ١٨٩٠ ثم اليونانيَّة على تمامها والبسلطيكا اي الموسيقى الكنسية وان كانت اللاتينيَّة محور الدروس اللاهوتيَّة والافرنسيّة لاجل العلوم المدنية . واما محافظتهم على طقوسنا الشرقيّة فقد بلغت درجة غريبة فمن حضر احدى الحفلات التي تقام في الصلاحية يشنّف اذانهُ بسماع الالحان اليونانية على اصولها لا الانغام المدنية التي قد فشت في بلادنا و يندهش لدى سماعهِ لغة يوحنا فم الذهب فيها تُتلى الصلوات الكنسية بدون ان تتخلّلها كلمة بالعربية فتظهر لهُ الطقوس على منوالها الحقيقي منزَّهة عن كل الشوائب التي ادخلتها يد الاهمال في كثير من كنائسنا ويشاهد الترتيبات والتهذيبات التي لم تُحفظ بكاملها في محلّ سواها . وكيف لا يقضي منهُ العجب اذ يرى ارباب هذه المدرسة لا يحتفلون بطقوسهم الّا ما ندر مضحّين كل غالٍ لديهم تعزيزًا واجلالًا لطقوسنا ولئلا تقع عليهم الشبهة انهم يسعون في استمالة التلامذة الى طقسهم لا بل ان مؤسسهم نهاهم عن قبول احد التلامذة في جمعيتهم وفضلًا عن ان جماعة منهم قد برعوا ووضعوا المؤلفات في الموسيقى الكنسية وهم الذين

يلقنونها للتلامذة وغيرهم تبحّروا في تهذيبات كنيستنا الشرقية فاصبحوا من ائمّتها يُرجَع اليهم حتى انهم في تدريس اللاهوت ذاته يسهبون الشرح في المسائل التي هي موضوع جدال في الشرق ويؤيدون القضايا اللاهوتية باقوال من الاباء الشرقيين او من كتبنا الطقسية. واماً تربيتهم لنا فهي موافقة لعوائد ومنهج البلاد ومبنية على تدريس اللغة العربية وتاريخ الشرق وجغرافية قطرنا السوري والمحافظة الكلية على اللبس والأكل الشرقي محضاً فضلًا عن انهم يثقّفوننا على الفضائل الرسولية التي تعدّنا للعيشة القشفة واقتحام الاخطار في الارساليات الى انه من يخرج منهـا ليس كمن يخرج من كثير من المدارس الاخرى يسير سير اقرانه ويعيش عيشهم فلا يعسر عليـهِ مخالطتهم ومحادثتهم ومواكلتهم ولو كانوا من اهل القرى. فاصاب الكردينال المومأ اليهِ اذ اعطى الشرق كهنة شرقيين ليس بالاسم فقط بل بالعواطف والمشرب والاخلاق والمزايا فازال برقع الاوهام عن افكار كثيرين الذين يتصورون ان الكنيسة تسعى بنزع عوائدهم وطقوسهم وجعل مسألة الاتّحاد قريبة المنال

وقد اشتهر الامر هذا لدى الجميع فاستلفت اولًا انظار البابا لاون الثالث عشر اذ قال في منشوره العام في مقام الكنائس الشرقيّة سنة ١٨٩٤: «انا نعضد بكل قدرتنـا اكليركيّة القديسة حنة المشيَّدة في اورشليم لتعليم الاكليركيين الملكيين» ولمَّا التأم المجمع القرباني في السنة نفسها اقبل السعيد الذكر البطريرك غريغوريوس مع اربع من السادة الاساقفة فشاهدوا عياناً ما كانوا يعلّلون بهِ الآمـال من نجاح المدرسة ومحافظتها على الطقوس والتهذيبات الشرقيّة وكم سرَّ قلبهم لدى سماعهم احد الآباء البيض الاب ميشال يلقي خُطباً مفحمـة في شأن مفاخر وترتيبات الكنيسة الشرقيّة ووجوب السعي وراء المحافظة على طقوسها الى ان قام احد الاساقفة مرتجلًا في جلسة من جلسات المجمع فقـال : يا نيافة الكردينال لنجنيو نرجوك بان ترفع لقداسة البابا جزيل ثنائنا وشكرنا عما طوّقنا بهِ من النعم بتأسيس اكليركيّة القديسة حنة. واقام البطريرك قداساً حبريًا في الصلاحيّة بحضور جمهور غفير من الزوار الافرنسيين يتقدَّمهم نيافـة الكردينال لنجنيو فمنح في اثنائه رتبة الارشيمندريت لحضرة الاب فدرلن رئيسها المفضال دليلَ اعتباره لهُ ورمز انشراحه من المدرسة. وكان مرارًا يقول لهُ : اني اعتمد كل الاعتماد على الكهنة الذين يتخرجون في مدرسة القديسة حنة. وهنا

يلذ لنا ان نورد جانباً من كتاب ارسلهُ غبطـة بطريركنا الحالي كيرلس الثامن الى الرئيس العام لجمعية الآباء البيض السيد لقينياك لمّا قدم الى القدس في العام المنصرم:

« ايها السيد اني من امد مديد واقف والسرور ملءُ القلب على اعمال مدرسة القديسة حنة الاكليريكيَّة للروم الكاثوليك التي هي تحت ادارة اولادكم مرسلي افريقيـة الملقبين عادةً بالآباء البيض ففي رحلتي الاخيرة الى رومية لمّا حظيت بمقابلة الحبر الاعظم اول ما سألني قداسته قال: أمسرورٌ انت من مدرسـة القديسة حنة ؟ فاجبتهُ: اي نعم ايهـا الاب الاقدس فان هناك يتثقف كهنةٌ لطائفة الروم الملكية حسنو المدحة هم تعزيتي وسندي وموضوع آمالي وان مديري هذه المدرسـة اخصُّهم حضرة الاب الجليل الخوري فدرلن لا يكفُّون عن مساعدة ارسالياتنا وتنشيط وعضد اعمالنا في جميع الابرشيَّات . ومن ثم ايها السيد بعد ان استعنت باسم الله عزمتُ مكافأةً لغيرة حضرة الابوين الفاضلين فدرلن وروقيه على ترقية الاول الى رتبة ايكونوموس عظيم والثاني الى رتبة ارشيمندريت للكرسي البطريركي الاورشليمي » (١

القدس ٣٠ كانون ١ سنة ١٩٠٦

٣ اعمال الكهنة المتخرجين فيها ومآثر اربابها

لا شكَّ انهُ يحلو لكثيرين ان يقفوا على اعمال هؤلاء الكهنـة الذين تخرجوا في الصلاحية نذكرها بالاختصار لتكون شاهدًا لفضل من جعلنا اهلًا لما يُعهد الينا . فالعدد الاكبر منهم ودأبه تهذيب الاحداث في المدارس البطريركية في بيروت والشام ومصر والاسقفية في حلب وحيفا وزحلة وحوران واكليريكية دير المخلص حيث احدهم متولي الرئاسة فيها وتدريس العلوم العالية والبعض منهم مفوَّض بخدمة الرعية في المدن والقرى تراهم بالاخص في بلاد حوران رغمًا عن ضيق الحال ومشاقّ المعيشة لا يأنفون الكدَّ والتعب بل يبذلون كنه جهدهم في تشييد المدارس والكنائس في الشام ولبنان ويافا وخرطوم. وغيرهم انصبُّوا على الوعظ والارشاد تحت ادارة سيادة العلامة المطران جرمانوس معقد الذي اسس جمعية مرسلين وسمَّاها الرسالة البولسية نسبة الى بولس الرسول وانشأ لها محلًا خاصًا في لبنان بعد ان نال رضى المغفور عنهما البابا لاون الثالث عشر والبطريرك

(١ اطلب نشرة الاباء البيض Bulletin des Pères Blancs, *Mars-Avril*, 1907

غريغوريوس يوسف فقصد هذا الشهم الهمام ان يختار عددًا قليلًا من تلامذة الصلاحية المبرّزين منها يسعدهم للوعظ والارشاد وينقطعون لهما عن كل امرٍ آخر فيرسلهم اوقات الصيام المبارك الى من يدعوهم من الاساقفة لوعظ الرياضات وذهب احدهم هذا العام الى القطر المصري فجاء عنه في الاهرام: انهُ قام بالرياضات للرجال والسيدات التى فيها الخطب المؤثرة والعظات البالغة ما كان لهُ اعظم وقع في نفوس الجميع

والان لا بدَّ ان نعدّد بعض اعمال ومآثر ارباب هذه المدرسة التي اصبحت دافعًا لتاسيس غيرها ودستورًا لها فانَّ الصعوديين فتحوا مدرسة لليونان في الاستانة والبندكتيين للسريان في القدس فاقول: عن طول باع اساتذتها وغزارة معارفهم فحدّث ولا حرج فاحدهم الاب ميشال كما ذكرناه سابقًا وضع تاليفًا مهمًّا في علم اللاهوت الادبي وفي تاريخ الكنائس الشرقيَّة وتهذيباتها فضلًا عن انه اشتهر في المجمع القرباني بخطبهِ البليغة. وغيره المأسوف عليهِ المطران تولوت اكتشف بركة بيت حسدا ذات الخمسة اروقة ومحل استشهاد اول الشهداء القديس استفانوس. واشتهر الاب كوتريه في الموسيقى الكنسية وعلم الطقوس اليونانية. والاب ل. كراي اهتدى الى وجود ضريح القديسة حنة واثبت بالبراهين الدافعة حقيقة ولادة البتول في منزل الصلاحيَّة وامتاز باكتشافاتهِ العادية وجمع منها متحفًا نادر الوجود لا بد ان نأتي بوصف وجيز عنهُ. فهذا المتحف يحوي كثيرًا من العاديات المتعلقة بالكتاب المقدس فترى فيهِ اشياء نادرة الوجود لا بل فريدة في جنسها كالوزنة التي كانت موجودة في هيكل سليمان وزنها ٤٢ كيلوغراماً اكتشف عليها حضرة الاب كراي ولا مثيل لها في العالم (١. وحمامة من حجر وجدت بجوار القدس مقوَّرة في وسطها على شكل مدور يظنُّون انها استُعملت لحفظ القربان المقدس كما كانت العادة في الاجيال الاولى للكنيسة. ومنها المسكوكات الثمينة من عهد المسيح وقبلهُ فضلًا عن ان العاديات الموجودة هناك بازاء كل منها آية من الكتاب المقدس مما يدلّ على براعة الاب العالم في شرح الكتاب الكريم. وما يقال عن اهمية وفائدة المتحف ان كثيرين ممن زاروه اقرُّوا بانهم لدى مشاهدتهم له تمكنوا من فهم آيات شتى كان يعسر عليهم حلُّها ومفسّرو الكتاب المقدس والعلماء الذين يزورونه يعدّونه من اهم وافخر المتاحف

١) اطلب المجلة الأدبيَّة الكتابية سنة ١٨٩٢ R B., Juillet 1892, p. 416-432

حتى ان اصحاب المتاحف الاوربية قدموا المبالغ الباهظة لاجل مشتراه

٤ الاماكن المقدسة

قد أتينا بادئ بدء عن ذكر المقام المجيد الذي اتى اولًا الآباء البيض لحراسته ألا وهو مسقط رأس البتول وضريح والديها يواكيم وحنة والبركة التي فيها شفى المسيح المخلع. فهد العذراء تظللهُ كنيسة قديمة العهد قد شُيدت على منوالها الحالي في الجيل التاسع. ثم جرى فيهــا بعض اصلاحات في الجيل الحادي عشر على أيام الصليبيين. ثم طرأت عليها كوارث الدهر فاصبحت خرابًا الى ان عُهد بها الى الحكومة الافرنسية فارسلت المسيو موس المهندس البارع فاعادها الى هيئتها الاصلية البيزنتينيّة ومؤخرًا اقام فيها الآباء البيض هيكلًا نادر الوجود في بلادنا بلغت كلفتــه ثلاثين الف فرنك على طرز الهياكل الشرقية القديمة. الّا انَّ هذه الكنيسة شُيِّدت في مكان معبد آخر من عهد يوستنيانوس كما يشهد بذلك تاودوسيوس الكاتب وانطونين الشهيد فقال الاول سنة ٥٣٠ اذ زار الاراضي المقدسة: « يوجد بقرب بركة الغنم اي بيت حسدا حيث كان المرضى يشفون من امراضهم كنيسة للكليَّة القداسة والدة الله ». اما الآثار التي وجدت عند ما شرع المسيو موس بترميم الكنيسة فانها تثبت وجود مقام في هذا المكان من اجيال الكنيسة الاولى اي قبل الجيل الخامس. وما يؤيد ذلك ايضًا تصاوير اكتشف عليها حضرة الاب كراي في معبد ظهر لهُ تحت هيكل الكنيسة وتدل على رأي ارباب هذا الفن انها من الجيل الاول او الثاني لان نسق التصوير كان حينئذٍ على هذه الصفة. وما اعتبار المسيحيين منذ نشأة الكنيسة لهذا المقام الّا لان فيهِ تمَّ سرّ الحبل بلا دنس وولادة العذراء. فنورد الان ما يؤيد هذا الامر من البراهين القاطعة نتخذها من لمحة تاريخية علمية بهذا الموضوع لحضرة العالم الاب كراي: فالقديس يوحنا الدمشقي في احدى خطبه التي القاهــا في كنيسة القديسة حنة قال: « احيِّيكِ يا بركة الغنم كنتِ قديمًا صيرة يواكيم والان انتِ كنيسة قطيع المسيح الروحي ورمز السماء » (١. وفي محــل آخر قال: « اليوم بدء خلاص العالم فانهُ ولد لنا عند بركة الغنم المقدســة من هي عتيدة بان

١) اطلب مجموع الاباء اليونان لمين Migne: PP. GG.,XCVI, 678

تكون ام الله ومن ولد منها حمل الله الرافع خطايا العالم » (١. والقديس صفرونيوس الذي تولّى الكرسي البطريركي الاورشليمي في الجيل السادس للمسيح يهتف في تسبحة روحية: « ادخل الى بركة الغنم المقدسة حيث حنة المغبوطة ولدت مريم البتول ادخل الى معبد ام الله النقية. ادخل بورع واحترام الى هذا المكان حيث ولدت في مسكن اجدادها البتول الملكة حيث اتى الخلع حاملاً سريرًا بعد ان برئ بامر الكلمة » (٢. واتى في قانون قديم للتاسع من شهر ايلول: « السلام لكِ يا هيكلاً مقدساً مجيدًا قد شيد عند بركة الغنم والمزيّن بعظمة حيث المسيح الاله اراد ان تولد من هي خاتمة الرموز من ام مغبوطة بعد ان كانت عاقرًا وحزينة ففازت بوافر النعم ولهذا نحن نسبحها فرحين مقيمين عيد ميلادها مع سائر المؤمنين في مدينة صهيون المقدسة » (٣. وان تصفحنا تاريخ ولادة مريم في الانجيل المنسوب للقديس يعقوب ظهر لنا جليًّا ان مريم ولدت في المكان الذي اشرنا اليه كفاك شاهدًا انهُ يذكر ان بيت يواكيم حيث ولدت العذراء بجانب الهيكل وان الكهنة تجلس مرارًا الى مائدته (٤. والتقاليد الشرقيّة تثبت هذا القول وهي بلا شك اقوى حجة في مثل هذا الموضوع من التقاليد الغربية

غير ان كنيسة الصلاحية لم تلقّب في الاجيال المتوسطة باسم القديسة حنة الذي غلب عليها الّا لانها تحوي مقاماً آخر ايضاً اي ضريح والدة امّ الله وقف المغفور له المطران تولوت من الآباء البيض على كتابة من احد مؤرخي الاسلام مجير الدين الذي كان قاضياً في اورشليم بعد ما بارح الفرنج القدس بجيلين قال:

« المدرسة الصلاحية بباب الاسباط وقف الملك صلاح الدين وهي كنيسة من زمان الروم تُعرف بقبر حنة فانه يقال ان فيها قبر حنة امّ مريم عليها السلام تاريخ وقفها ثالث عشر رجب سنة ثماني وثمانين وخمسمائة ووظيفة مشيختها من الوظائف السنية بمملكة الاسلام »

وجاء في تاريخ صلاح الدين:

« ثم رحل السلطان الى القدس في رابع شهر رمضان وتفقد احواله وامر بتشديد اسواره وزاد

١) Migne, ibid., XCIV 730-750

٢) Id. LXXXVII, 3822.

٣) ورد في احد مخطوطات كلية القديس يوسف في بيروت

٤) Protévangile de Jacques.

مع وقف المدرسة التي عملها بالقدس وهذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصند حنة يذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم ثم صارت في الاسلام دار علم قبل ان يملك الفرنج القدس

وبيردكاس احد المتوظفين الكبار في كنيسة افسس في الجيل الثاني عشر قال : « من جهة الشمال تشاهد بيوت مرتفعة وقصر ومنزل يواكيم وحنة وهناك يوجد ايضاً ضريح والدَي العذراء »

امَّا المقام الثالث الذي يوجد ضمن جدار الصلاحية فهو بركة الغنم ذات الخمسة اروقة التي شفى فيها المسيح المخلع وقد اتى ذكرها في الاقوال التي اوردناها عن مكان ميلاد العذراء. فلا حاجة الى الاسهاب في هذا الشان غير انك ترى آثار كنيسة قديمة بنيت على البركة وعلى حائط قدس الاقداس صورة ملاك ولم تزل الكنيسة خراباً وبعض الاروقة تحت الدمار فهمّ الاباء البيض ان يعيدوها الى هيئتها الاصلية ويشيدوا معبداً يليق بهذا المقام المجيد

وفي ختام هذه اللمحة يأبى الحق الّا ان نعدد محامد هؤلاء الارهاط الذين بكدهم أسسوا اكليركيَّة القديسة حنة واوصلوها الى ذروة النجاح اولهم وزعيمهم الذي طار صيته في الافاق الكردينال لافيجيري فرغماً عن الموانع الجمة التي حالت دون مشروعه اقام مدرسة تضمُّ اكثر من مئة وثلاثين تلميذاً يتلقون فيها العلوم مجاناً مدة اثنتي عشرة سنة ولم تزل عين الرعاية تلحقهم بعد خروجهم منها. وعهد امر الادارة والتعليم الى رجال همة من نخبة اعضاء جمعيتهِ فان منهم ممَّن انتُدبوا الى اهمّ الوظائف في الرهبنة وغيرهم الى درجة الاسقفية واستنهض همة حكومته التي خصصت لها المعيَّنات الوافرة واوجد لها محسنين يواصلون لها الامداد حتى في هذه الازمة الحاضرة وُعني بترقيها نفس العناية التي ابداها في تاسيس جمعية المرسلين ولما كان له من الايادي البيضاء على طائفتنا الملكية فبعد وفاتهِ سنة ١٨٩٢ التي القتنا في بحر من الاحزان حسُن لسادتنا الاساقفة اقراراً بالجميل ان يقيموا لهُ تمثالاً عظيماً في ساحة المدرسة تخليداً لذكر من كسانا بنعمهِ. وكم يلذُّ لنا ان نذكر ايضاً من جملة الذين ضحّوا اتعابهم في هذا المكان سيادة المطران يوحنا هيرت الذي تولّى شؤون المدرسة في بدايتها ونظم دروسها وجعلها في الهيئة التي نراها فيها اليوم وحضرة الاب ديكيري الذي انتدب مراراً الى الرئاسة

(١ Migne, P G. T. 67, col 1167

العامة وحضرة الارشيمندريت روفيه رئيس الاكليركيَّة الصغرى الذي رفع شان المدرسة بتعزيزه العلوم المدنيَّة وبالاخص سيادة الايكونيموس لويس فدرلن الذي لم يزل قابضاً على زمام المدرسة منذ تسع عشرة سنة بعد ان قام بوظيفة كاتم اسرار الكرديال فللّه درُّه من رئيس ذي حزم واقتدار بلغت في ايامه المدرسة الى اوج الفلاح واتت بيانع الثمار ووقف ذاته لخدمة كنيستنا اليونانيَّة وقد فاز برضى واعتبار كل من البطاركة الذين رقوا الكرسي البطريركي في ايامه وجميع السادة الاساقفة فادامه الله إماماً للمدرسة وسنداً لطائفتنا الملكيَّة واطال ايَّامهُ وجزاه عنَّا خير الجزاء انهُ السميع المجيب

المنتخب من امثال حلب

لحضرة الخوري توما أيوب السرياني الحلبي (تابع)

الفصل الرابع

في الصبر والامل

١ الله حبله طويل

٢ الله ما بيخلّي حمل على ارض

٣ فكّ العقد لها اوقات

٤ نام على جنزير واتركها لصاحب التدبير

٥ انت بتريد وانا بريد . والله يفعل ما يشاء ويريد

٦ بيت المستور حاشا الله يفضحهُ

٧ الله ما بينسى دودة في صخرة

٨ اش بيطلع من ايدك قوم خرمش السقف

٩ الخير ما يختاره الله

١٠ ما بعد الضيق الّا الفرج يا قعدة عند باب الفرج يا نزلة تحت الدرج

١١ ما يقطع الراس الّا هلّي ركّبهُ

١٢ هلّي بيطّلع على جرح غيره بيسلى جرحه

١٣ الله ما يقطع من مطرح الّا يوصل باحسن
١٤ شدّة الدنيا بتزول مع الدنيا
١٥ توكل على الرحمان وبات في امان

الفصل الخامس

في الاولاد

١ ما يربى جسد الّا حتى يفنى اسد
٢ البنت بسبع حسنات
٣ وردة بتخلف شوكة وشوكة بتخلف وردة
٤ جوّزت بنتي حتى اخلص من بلاها راحت وجابتلي وراها
٥ وقعة الصبي وقعة ووقعة البنت الف وقعة
٦ عند فرحهم ما منراهم وعند شقاهم يحملونا بلواهم
٧ عند نقش كفوفهم ما حدا بيشوفهم وعند بلاويهم قوموا يا اهاليهم
٨ قلبي على ولدي وقلب ولدي على حجر
٩ من خلّف ما مات
١٠ الطول طول النخلة والعقل عقل السخلة
١١ يا ابو الاولاد الصغار لا تكتر كلام لسّا انت على بساط الحمام
١٢ البنت متل حلقة باب الزقاق كل من فات بيدقها
١٣ يا ابو الوليدات لا تبات عهموم رزق الوليدات عند ربّ السما مقسوم
١٤ اب ربّى الف ولد والف ولد ما ربّوا اب
١٥ الولد متل عرق الريحان
١٦ قامت رجل وحطت رجل جابت صبي متل العجل
١٧ موتهم صغار ولا تعتزهم كبار
١٨ لولا السمسارا ما نفقت بنات الحارا
١٩ ما بتعرف قيمة المربى حتى تربي
٢٠ صاحب العيال دوم مشغول البال

الفصل السادس

في دعاء الوالدين ونصائح الفجار والصالحين

١ المعتر ما بتامن عليه حتى تحط الحجر عليه

٢ دعاء الاب مستجاب من الرب

٣ من ضرب أُمه لعب في دمه

٤ ظالم لا تكون ومن الدعا لا تخاف

٥ هلّي بحطّ عقلهُ بعقل ولد يتعب

٦ هلي بتحطه بالدست بيطلع بالمغرفه

٧ هلي بتطبخ منهُ بتاكل منه

٨ الضرب ما هو ضرب العصا الضرب ضرب الكلام

٩ هلّي ما بتأثر فيه كلمة ضربة سيف ما بتأثر فيه

١٠ العين ما بتعلى على الحاجب

١١ العادة هلّي بالبدن ما بيغيرها غير القطن والكفن

١٢ لسَّا انت ابن امس

١٣ لسَّا انت حليب امك بتمك

١٤ اكبر منك بيوم اعلم منك بسنة

١٥ طبخة الطيبة بتطلع ريحتها من العصر

١٦ الكلب هلّي يتجرء على صيد بنس منه ومن صيده

١٧ ان بزقت لفوق على شواربي وان بزقت لتحت على دقني

١٨ كل شي زايد بارد

١٩ هلي بدوس بساط الناس الناس بدها تدوس بساطه

٢٠ الانسان ما بيتطلم الّا من كيسه

٢١ قالوا لهُ: من اين تعلمت الادب. قال: من قليل الادب

٢٢ يتمة الاب ضربة من الرب

٢٣ يمشي من حيط لحيط ويقول يا الله السترة

٢٤ هلّي ما بأدبه ابوه وامه بتأدبه الحكام وهلي ما بتأدب الحكام بتأدبه الايام

٢٥ الجبال لو تحمل هموم هدمت

٢٦ متل قرع الشتوي كل ما كبر يخفّ

٢٧ صندوق المقفول يبني على مال والانسان الصموت يبني عن كمال

٢٨ لا تقول اليوم انا واقف اليوم إِلّه غداء. هلي يحسب غدا ما بربّيله عدا

٢٩ طول ما الفلك بدور الدنيا على طلوع وتزول

٣٠ هلي بيداري الزمان بنام في امان

الفصل السابع

في نصائح الجهال

١ النفس هلي بتخطي هي بتهلك

٢ الشجرة موضع ما بتكون مايلة بتسقط

٣ المركبجي ما بموت الّا بالبحر والقاطرجي ما بموت الّا بالغربة

٤ الكذب حبله قصير

٥ الصدق سفينة النجاح

٦ ان كان الكذب بينجي الصدق انجا وانجا

٧ لا تجمع نار وقطن سوا

٨ العطشان بيشرب ميّة الصابون

٩ الجوعان بياكل قرمة المكنسة

١٠ الانسان بده يلقش الحق ولو على رقبته

١١ حدا بيشتري جهنم بمصاري ؟

١٢ من لم يكن لنفسهِ واعظ كلّت عنهُ المواعظ

١٣ من كانت اياناتهُ سريعة صارت فيهِ خامس طبيعة

١٤ هلي بيحكي كتير بيغلط كتير

الفصل الثامن

في الدَّين

١ الدَّين هين الدورة على الوفا

٢ الف درهم برطيل ما وفى درهم دين

٣ اذا كان عليك الف والك الف لا تخاف

٤ كونوا اخوة وتحاسبوا على الحق

٥ هلّي ما بيجي بعصاة موسى بيجي بعصاة فرعون

٦ عصفور باليد ولا درّة بالوعد

٧ خذ ما تيسّر وابقي ما تعسّر

٨ القلم ما بضيّع شي٠

٩ اذا كثرت همومك نم وخليها

١٠ وفاء الدين عز

١١ قال: يا الله لا تموتني حتى اوفي ديني٠ قلّه: لكن بدك ماتموت

الفصل التاسع

في النسوان واحوالهم

١ هنيال من عاش بلاهم وخلّص من بلاهم

٢ هلي بيعطي للمرا دانه بتعب

٣ النسوان ما هن كلهن سوا

٤ المرا ضلع اقصر لكن لسان اطول

٥ الرجّال جنًا والمرا بنًا

٦ قامت الرعنا حتى تحوس كسرت الجرّه والكوز

٧ الرجال بالكدانه والمرا بالسيبانه

٨ اجوا يخطبوها تدللت راحوا وتركوها تدخلت

٩ بنّيك على ما ربيتيه وجوزك على ما علمتيه

١٠ لو محبة العرس تدوم كانت القيامة ما بتقوم

١١ من بيشكر البنت غير امها والماشطة

١٢ وجه الاعوج اش بتعمل معه الماشطة

١٣ رجال العار بيقاتل مرته على باب الدار

١٤ الله يعين الحزانى عند فاضيات القلوب

١٥ خذ الشمس من تحت الغيم وخذ البنت من تحت الضيم

١٦ قال لها : يا مرا اطبخي طيب . قالت لهُ : يا رجل كتر ايدام
١٧ ست وجاريتين على قلي بيضتين
١٨ عند دق الكبة الصبايا بتتخبا بالقبة وعند دق التوم الصبايا بتقوم
١٩ الست ما هي في قلادتها وسوارها الست في عقلها ومقدارها
٢٠ ابرتي المصدية قبال سوارك هلي بالف ومية
٢١ غليون البجّاقة بدُّه الف حراقة
٢٢ هلي عقلها رزين بتساوي شغلها بتركين (له بقيّة)

الرسالة الزاخريّة

في امتناع اكل اللحوم للرهبانيّات الشرقيّة

نشرها حضرة الاب تيموتاوس جق احد تلامذة مدرسة القديسة حنة (الصلاحية)

توطئة

ان امتناع الرهبان الشرقيّين عن اكل اللحوم عادةٌ قديمة العهد جرت في شرقنا منذ تأسيس الرهبانيّات وهي لم تزل سالكة بالعمل حتى اواخر الجيل الثامن عشر كما نشرح ذلك فيما بعد الّا انها في اوائل الجيل المذكور ثقلت على بعض من الرهبان فآثروا إبطالها وعكفوا على استعمال اللحوم في الاديرة وكان قد سبق تلك المخالفة امرٌ آخر عمَّ الكنيسة الشرقيّة جمعاء واخلَّ في عوائدها وطقوسها الممدوحة القديمة العهد فينبغي لنا إظهار ذلك بالتفصيل تسهيلاً لما آثرنا نشره وايضاحاً لما سيأتي بيانه فنقول :

كلٌّ يعرف ما للعوائد الطقسيّة في كنائسنا الشرقيّة من الاهميّة والاعتبار عند العامة والخاصة فترى ارباب الدين يجتهدون بالمحافظة عليها والعمل بها ولقد استوثق لها الامر واستقرَّ لها ذاك الاعتبار فاصبحت في عقول الاميين من جوهر الديانة المسيحيّة حتى ومن القضايا المنزلة الالهيّة . امّا الكنيسة الرومانيّة أُم الكنائس الشرقيّة والغربية فلم تزل تدافع عنها منذ الابتداء وتحثُّ ابناءها على العمل بها مراعاةً لما ابداه الرسل الاطهار والاباء القديسون من التقوى والعبادة في خدمة الله

ففي اوائل الجيل الثامن عشر خطر ببال السيد افتيميوس صيفي اسقف صور وصيدا ان يغيّر بعضاً منها لأسباب ظنّها صوابية ولقد زاد على ذلك انهُ ابطل القطاعات الثلاث التي تحتفل بها الكنيسة الشرقيَّة وهي ١ً من ١٠ ك١ الى ٢٥ منه. ٢ً من ١٧ حزيران الى ٢٩ منه. ٣ً من ١ آب الى ١٥ منهُ وذلك استعداداً لعيد ميلاد الرب بالجسد وعيد القديسين بطرس وبولس وانتقال السيدة الجيدة. فحالاً طلب اليهِ المجمع المقدس ان يردَّ القديم الى قدميتهِ وكتب لهُ في ٦ شباط ١٧١٦ ما يأتي بيانهُ :

« ولو انَّ هذا المجمع المقدس يعتقد ان مجرد الغيرة لنقاوة الديانة الكاثوليكية وحسن طقوس الكنيسة حركت حضرتكم الى التغيير والتبديل. . . غير انهُ لا يقدر هذا المجمع المقدَّس ان يخفي عنكم هذا وهو انهُ لا يجوز عليهِ ان حضرتكم قبل تتميم الامر لم يستشر مشيرَ الحق اعني بهِ الكرسي المقدس لتقبلوا منهُ قياساً حقيقياً اميناً ثابتاً لمشكلاتكم وتحيدوا عن كل خطر الضلال. فلتحفظ إذن حضرتكم هذه النصيحة في اتفاقاتٍ أُخر الممكن حدوثها كيلا تُلام افعالها ويُمتدح اهتمامها في وظيفةِ الرعاية » اه

فهذه القطاعات الثلاث كانت أُبطلت باديءَ بدء في ابرشيتي صور وصيدا المتحدتين وفيما بعد رويداً رويداً انتشر إبطالها في الابرشيَّة الانطاكيَّة جمعاء الى ان ارتقى السدة الانطاكيَّة الخوري سيرافيم طاناس ودعي كيرلس السادس (١٧٢٤) فهذا البطريرك التابع للكنيسة البطرسية الرومانيَّة لم يبطل شيئاً مما ابطلهُ عمه المتنيح سنة ١٧٢٢ فارسل المجمع المقدَّس يطلب اليهِ ان يرد كل شيء الى اصلهِ بقولهِ هكذا :

« يجب ان يؤمر كيرلس المنتخب بطريركاً بان يحفظ ويجعل ان تحفظ بالتدقيق جميع الاحكام والتعاليم المتقدم ذكرها ولا يغيّر ولا يسمح بتغيير طقس كنيسة الشرق الكاثوليكية قبل جواب الكرسي الاقدس الذي يلزمهُ طلبهُ بواسطة المجمع المقدس ولكن من حيث ان طقوس الصيامات وغيرها قد غيَّر اكثرها المطران افتيموس المتقدم ذكرهُ وربما كيرلس ايضاً فلذلك يجب ان يُنصح اعني كيرلس نفسهُ نصحاً ابوياً بانهُ لمن الممتنع ان هذه التغييرات تُقتَبل ويجب ان يجتهد في ان يردَّ الصيامات القديمة جداً المقدار وبقية العوائد الحميدة المحفوظة من الكنيسة الكاثوليكية منذ زمان مديد والغير المرذولة من المجمع الرسولي المقدس. فان دخل نقصٌ وفسادٌ من جهل الناس او خبثهم كما زعم افتيموس المقدم ذكرهُ فليهتمَّ في تعليم الجهلة وردَّ الضالين لانَّ مثل هذا النقص والفساد لا يمنح سبباً لتغيير الطقوس المذكورة بل انما يمنح سبباً للحذر والاحتراس » اه

فرضخ حينئذ كيرلس السادس لاوامر المجمع المقدس وقدم لها الخضوع التام

فطلب منهُ الحبر الاعظم البابا بناديكتوس الثالث عشر الحلف على انهُ يحفظ جميع الطقوس والعوائد الشرقيَّة القديمة العهد وبعد ذلك يثبتهُ بطريركًا على ملَّة الروم الملكيين الكاثوليكيين فقبل وابرز حلفهُ امام النائب الرسولي البادري دوروثاوس الكبوجي على هذه الصورة الآتية :

« انا كيرلس المنتخب بطريرك الروم الانطاكي انذر واحلف امام هذا المحفل المكرم وامامك انت ايها الاب المحترم البادري دوروثاوس الكبوجي الوكيل الرسولي من قِبَل الاب الجزيل الطوبى البابا بناديكتوس الثالث عشر انهُ اذا رضيَ بي الكرسي الرسولي وثبتني بطريركًا انني احفظ جميع طقوس كنيسة الروم ورسوماتها التي ابطلها الصالح الذكر افتيميوس مطران صور وصيدا وكذلك احفظ الصيامات والانقطاعات والاربعينات وجميع العوائد على الصفة والنوع والقياس المرسومة عليها حديثًا من الكرسي الرسولي واني احفظها لا نظرًا الى ذاتي فقط بل نظرًا الى مطارنتي واساقفتي وقسوسي ورهباني واعوام رعيتي ايضًا واني لا اجدد ولا أُغيّر ولا ازعزع شيئًا قط من الامور المتقدم ذكرها بغير رضى الكرسي الرسولي المقدس الرضى الظاهر المفسر منهُ صريحًا واني لا اسمح ولا احتمل ان يُعمَل شيء ولا بوطة واحدة من الامور المذكورة واخيرًا انذر واحلف انني قد فهمتُ الحلف المتقدم والتزامهُ واني احفظهُ حسب ايرادات المجمع المقدس الذي لانتشار الايمان والمثبتة بالاسطاطيكون الرسولي الذي قُرِىء امامنا. هكذا يعينني الله وإناجيلهُ هذه المقدسة » اه

وكان ذلك في اوائل سنة ١٧٣٠ الَّا انهُ لمَّا جرى ما جرى من الحوادث الشاقَّة في بلاد الشرق واغتم لها كثيرًا هذا البطريرك المنتخب حديثًا ففي اواخر سنة ١٧٣١ ذهب كيرلس الى قرية جون التي بقرب دير المخلص وهناك اجتمع بالمطرانين باسيليوس فينان واكليمنضوس وازال القطاعات الثلث بحضورهما وكتب اسطاطيكونًا عامًا للمدن والقرى بابطالها وهذه صورتهُ بالحرف :

الحمد لله دائمًا

كيرلس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

« النعمة الالهية والبركة السماوية تُمنح لمحبة اولادنا الروحانيين جماعة المسيحيين قاطبةً الموجودين في الابرشية الانطاكية رعيتنا المباركين. بارك الرب الاله عليهم وعلى اولادهم وحريمهم وسائر تصرفاتهم باتم البركات السماوية امين

ثم اننا نُعرف محبتكم هو اننا نحن واخوتنا المطارنة الاجلَّاء الكاثوليكيين الذين قد اقامنا الله في هذا الزمان مؤتمنين لرعاية خرافه الناطقة وحراسة شعبه بعد الفحص الواجب والتفتيش الكلي قد الزمتنا الضرورة ذمةً ان نحلَّ ما يجب تحليلهُ ونطلق ما يجب اطلاقهُ وذلك في الثلث القطائع

المختصة بالنساك المعروفة بقطاعة الميلاد والرسل والسيدة فالمؤمنين رعايانا يأكلوا فيها زفرًا ما خلا ان في كل آخر قطاعة من القطائع المذكورة يقطعوا ويصوموا يومًا واحدًا باramون كالصوم الكبير وذلك بموجب طقسنا القديم وعوائدنا الممدوحة واما يوما الاربعا والجمعة والصوم الكبير فلتحفظ بكل حرصٍ وعبادة وتوقير

هكذا اطلقنا وهكذا رسمنا وامرنا وحلّلنا في مجمعنا بسم الاب والابن والروح القدس امين. وان وجد احدٌ من الكهنة لا يعتبر هذه الحلة فليس لاحد من المؤمنين دستور ان يعترف عنده لانهُ تعاون بسلطتنا. تعلموا ذلك والبركة عليكم ثانيًا وثالثًا

جرى ذلك وحرر في ١١ ت ٢ سنة ١٧٣١

\+ كيرلس

(مكان الختم) البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

وفي اثناء ذلك اثر البطريرك المذكور توحيد الرهبنيَّة المخلصيَّة والشويرية واخـذ يهتم في هذا الشأن الخطير واخبر بذلك رومية والمجمع المقدس فأُجيب طلبهُ ومدح غيرتهُ الاب الاقدس البابا بناديكتوس الثالث عشر وكذلك سُرَّ رئيس المجمع المقدس جدًا لهذا العمل المبرور وارسل يعجل في افتتاح المجمع الذي فيهِ امر ان يتمّ هذا الاتحـاد واخيرًا حرَّر الى الاب الرئيس العام الخوري نيقولاوس الصـائغ يعلن لهُ ارادتهُ بذاك التوحيد ويحرضهُ على وضع اساس متين لذاك العمل الخطير فيقول :

ايها الاب المحترم

انهُ قد عُرضت على هذا المجمع المقدس الفائدة العظمى جدًا الجيدة ان تؤول الى الخير العام لطائفة الروم الملكيين كلها والترتيب الرهباني اذا ثبت اتحاد تام ما بين هذين الديرين اعني جما دير مار يوحنا الشوير ودير المخلص وصارا مع باقي الاديرة والمنازل المنسوبة اليهما جماعة واحدة مشاعة. ولذلك اذ اثبتَ المجمع المقدس بالكفاية هذه الفائدة الخلاصية فيرغب تتميمها باضطرام ولكي ينال مرامهُ بذلك احتسبَ من الواجب عليهِ ان يستحثَّ جـذا الامر وان يوصي غيرة ابوتكم بهِ بغاية الاجتهاد لكي ترتضوا باستعمال سلطتكم بذلك وهو انكم بألطف الانواع واعذبها تستميلون رهبانكم المرؤوسين منكم الى الرضى والقبول بغاية الاتفاق وقد يلزم لذلك بان تجتمع الجماعتان بمجمع واحد يُعقد امام السيد كيرلس اي بطريركم وان تباشروا بهِ هذه المادة فصلًا فصلًا وبكل فحصٍ وحرصٍ بليغ واضعين دائمًا تجاه اعينكم مجدهُ تعالى الاعظم الذي من شأنهِ خاصةً يلزم توجيه هذا الاتحاد المرغوب وخير الطائفة وترتيب القانون الرهباني وشرفهُ غير ان اهتمام ابوتكم واجتهاده الاعظم في هذه الفرصة ينبغي اظهارهُ جدًا خاصةً اي انهُ يوضع اساس كل سعي. اولًا الايمان المقدس الكاثوليكي. ثانيًا طقوس كنيسة الروم الشرقية. ثالثًا حفظ قوانين مار

باسيليوس الرهبانية العامة المشاعة لكل رهبان الشرق واما ما يخص الفرائض والقوانين المتيدة ان تحتم فينبغي تسطيرها مع باقي فصول الاتحاد الاخص في كتابٍ واحدٍ يلزم ارسالهُ الى المجمع المقدس عينهِ حتى بعد ان يفحص بمبالغة يثبتهُ مؤيدًا الامر المتمم برضاهُ ولهذا السبب لزم ان يرجع الى هذا الطرف الاب الخوري ميخائيل رئيس عام جماعة دير المخلص والاب القس نكتاريوس مدبر جماعة ابوتكم وهما قفا بازاء فم بوردان ما يمكن ان يحدث بزيادة ولكنهما قد تركا ههنا رفيقيهما يبيشان باتحادٍ واحدٍ بانتظار نهاية امرٍ هذا عظمُ مقدارهِ فينبغي اذن لابوتكم ان تبذلوا كل مجهودكم بواسطة غيرتكم وافرازكم وامثالكم لكي يُبطل كل مانعٍ مضادٍ يمكن ان يتوسط جهذا الامر ولاجل ذلك فليكن محققًا عندكم رضى المجمع المقدس الخصوصي الذي لا بد من ان يزداد ايضًا من قبول قدس سيدنا الابوي وقد سبق وانذركم بموازرة عنايتهِ الالهية الفعالة ملتمسًا اخيرًا منكم الدعاء حرر في ٨ ت ٢ سنة ١٧٣٥ عبد ابوتكم

الكردينال بترا

مقدم المجمع المقدس

فيلبوس مونتي

الكاتب

فخضعت الاباء والرهبان لمشورة المجمع المقدس وعقد السيد البطريرك مجمعًا في دير المخلص استقام ثلاثة ايام (١ وكان ذلك في ٢٦ اذار سنة ١٧٣٦ فوقع بينهم الاتفاق على كل ما يتعلق بشؤون الرهبانية خلا القانون والفرائض الرهبانية ثم تفاوضوا اخيرًا في امر استعمال اكل اللحوم في الاديرة الشرقية فانكر ذلك الرهبان الشويريون واقرَّ بهِ الرهبان المخلصيون وحالًا وقع بينهم جدال استقام اياماً ففي ذات يوم كان الشماس عبد الله زاخر يقرأ في كتاب فرائض الرهبان الروس فرأى في باب الغذاء والمائدة ما يشير الى منع اكل اللحم فاراهم ذلك قائلًا. ما هذا. . . فلم يردُّوا جوابًا

حينئذٍ تحفز الاب العام والمدبرون للرجوع فودَّعوا السيد البطريرك والرهبان وتوجهوا الى دير الصابغ الا ان نار هذا الجدال لم تطفأ وكان السيد البطريرك عاضدًا للرهبان المخلصيين اخيرًا دخل في الامر الشماس عبد الله زاخر وإثر نهاية تلك المسئلة التي كانت قد اتخذت مجالًا واسعًا وعد رهبان دير المخلص انهُ عن قريبٍ يرسل لهم رسالة برهانية في امتناع اكل اللحوم على الرهبنات الشرقية وفي اوائل سنة ١٧٣٧ ارسل لهم تلك الرسالة الجليلة المؤسسة على براهين تقنع العلماء والمنطقيين فيقول كتاب التواريخ الرهبانية انهم عند اطلاعهم عليها لم يردُّوا جوابًا ومن ثم أُخمدت نار تلك

١) راجع المشرق ٩: ١١٤٠

الجادلات واقتنع الجميع بان استعمال اللحوم لم يُبَح قط للرهبان الشرقيين وذلك منذ ابتداء العيشة النسكيَّة وتأسيس الاديرة في الانحاء الشرقيَّة

فحبًا لما ابداه الشماس الفاضل المذكور من الخدم والتفاني في نجاح الامور الكنسيَّة والرهبانيَّة وصونًا لهذا الاثر الخطير من الضياع احببنا نشر هذه الرسالة البرهانيَّة بحرفها:

رسالة

في بيان قدمية امتناع الرهبان الروم الشرقيين عن أكل اللحوم وفي انهُ لم يُطلق لهم ذلك قط وفي ان الجميع يلتزمون بهذا الامتناع حتى الذين نذروا على قانون يظنون انهُ يبيح لهم ذلك وهي بسؤال وجواب

(سؤال) هل ان اكل اللحوم ممنوع عن الرهبان الشرقيين منذ القديم وهل ان هذا الامتناع يلزمهم من قبل الفرائض النسكيَّة العامة والطريقة القديمة

(جواب) نعم ان اكل اللحوم ممنوع عند الرهبان الشرقيين منذ القديم وان هذا الامتناع يلزمهم من قبل الفرائض النسكيَّة العامة والطريقة القديمة ولعمري لن الرهبانيَّة والامتناع عن اكل اللحوم نظرًا الى الشرقيين هما بالمفهوميَّة امران متضايفان متلازمان اي لا ينفكّ احدهما عن مفهوميَّة الآخر فمتى ذكرت راهبًا يفهم عند الجميع حتى الامم ايضًا انهُ ناسك متعبد لله بالامتناع عن الزيجة واكل اللحوم . وهذا نفسهُ جملة مفيدة يدلّنا على قدمية هذا الامتناع وانهُ لم يوجد ما يضادهُ قط . وتشهدُ ايضًا بذلك العادة القديمة المساوية بقدميتها وجود الرهبانية في هذه البلاد والقائمة بالعمل حالًا عند الجميع . ثم القوانين النسكية العامة والرهبنات القديمة والموجودة الى الآن . وها نحن نبرهن ذلك فنقول : ان ابتداء وجود السيرة الرهبانيَّة كان في الدهر الرابع للتجسد الالهي :

(اولًا) في براري مصر بواسطة القديس انطونيوس ابي الرهبان جميعهم لانه هو الاول والمتقدم بوضع ترتيب الطقس الرهباني على الرجال والنساء كما يشهد القديس باسيليوس عند بارونيوس

(ثانيًا) في بلاد الصعيد بواسطة القديس بوخوميوس الذي بامر ملاك الرب وارشاده اقام اديرة كثيرة واجتمع اليهِ اناس جزيل عددهم حتى انهُ في دير واحدٍ من اديرتهِ كان يوجد الف وثلثمائة راهب

(ثالثًا) في بلاد فلسطين بواسطة القديس ايلاريون الذي بعد ان تتلمذ للقديس انطونيوس واقتبل منهُ علم كل ما ينبغي لكمال السيرة النسكيَّة أسس السيرة الرهبانيَّة في براري بلاد فلسطين حيث اقام اديرة كثيرة وتتلمذ لهُ اناس كثيرون الى ان بلغ عدد رهبانهِ اربعة الاف راهب

(رابعًا) واخيرًا بواسطة القديس باسيليوس في بلاد قيصرية الكبادوك حيث كتب فرائض كثيرة نسكيَّة قد اقتدى بها كثيرون حتى من النساك الذين كانوا في عهد هذا القديس والذين وُجدوا بعدهُ وهذا جميعهُ كما ذكرنا كان في الدهر الرابع

والحال ان هولاء جميعهم لم يستعملوا اكل اللحوم ولم يبيحوه قط لرهبانهم . فالامتناع اذًا عن اكل اللحوم في السيرة الرهبانية مساوٍ بالقدمية لتاسيسها في هذه البلاد

هات نوضع ثبات صغرى برهاننا المتقدم اي نوضح ثبات قولنا ان جميع هؤلاء الآباء المؤسسين لم يستعملوا اكل اللحوم ولم يبيحوه لرهبانهم قط فنقول:

اولًا انهُ مما لا يستريب بهِ احد ان القديس انطونيوس لم يستعمل اكل اللحوم ولم يُبحه لتلاميذه ولا تلاميذه استعملوا ذلك اصلًا ولا عُرف عندهم حتى لا اقول انهم لم يكونوا يستعملوا لمعاشهم سوى الحبوب المبلولة والبقول المسلوقة بغير أدَم وبعضهم الخبز والماء لا غير وتشهد بذلك اخبارهم الموردة في كتب كثيرة وما نذكرهُ بكلامنا التالي

ثانيًا القديس بوخوميوس لم يُطلق اكل اللحوم لرهبانهِ الَّا في ضرورة المرض لا غير ويشهد بصحة قولنا الخبر الذي يورده القديس انستاسيوس السينائي عن اديرة هذا القديس ورهبانهِ حيث يذكر انهُ زار احد اديرة هذا القديس في تايس وكان هذا الدير يحوي رهبانًا كثيرين ذوي مهن واعمال متفننة ولهم خنازير كثيرة فيقول القديس انهُ عتب عليهم في ذلك فاجابوه: انها سنَّة سُلّمت الينا وهي ان نكون نطعم هذه الخنازير من فضلة بقولنا وغربلتنا لكي لا يضيع شيء مماَّ للدير لانهُ قربان لله. ونذبح الخنازير ونبيع لحمها. واطرافها تأكلها المرضى لان البلد قليل الغذاء. ومن هذا الخبر يتضح لنا امران احدهما ان الامتناع عن اكل اللحم كان ناموسًا عامًا لجميع الرهبان وعادة ملازمة للطريقة النسكية ولهذا استراب القديس المتقدم ذكرهُ من وجود الخنازير في هذا الدير ولامهم على ذلك كشيء مخالف القوانين النسكيَّة والعادة العامة. ثانيهما ان رهبان

القديس بوخوميوس كانوا يمتنعون عن اكل اللحوم كبقية الرهبان وانما يسمحون باطراف الخنازير للمرضى

ثالثاً القديس ايلاريون الذي بعد تتلمذه للقديس انطونيوس اسس السيرة الرهبانية في براري بلاد فلسطين لم يكن ياكل لحماً . بل لم يكن ياكل جبناً وبيضاً حتى ولا زيتاً ايضاً لكنهُ كما يخبر عنهُ كتاب اخبار القديسين الذي للكنيسة الرومانيَّة نقلاً عمَّا كتبهُ عنهُ القديس ايرونيموس انهُ في ابتداء نسكهِ كان ياكل كل يوم بعد غروب الشمس عشر تينات لا غير واحياناً يمتنع ثلاثة ايام او اربعة ايام عن الاكل . وهذا فعلهُ نحو احدى وعشرين سنة . ثم بعدها بمدة ست سنين كان ياكل كل يوم كمشة عدس منقوع في ماء بارد . ثم في بقية ايام حياتهِ كان ماكلهُ الوحيد كل يوم رغيفاً من الخبز الشعير ويسيرًا من حشائش غير مطبوخة . وهكذا رهبانهُ الذين بلغ عددهم في حياتهِ نحو اربعة الاف لم يكن يُعرف عندهم اكل اللحم حتى ولا ما هو دونهُ كالبيض والسمن بل كان اكلهم الاعتيادي البقول والحبوب ليس في حياة القديس فقط بل وبعد انتقالهِ عنهم ايضاً . وتشهد بذلك اخبارهم العجيبة التي كتبها القديس صفرونيوس ثم خبرُ ذلك الراهب الذي من السيق العتيق في ايام رئاسة القديس استراتيوس الذي طغاهُ الشيطان بان ياكل لحماً فتحيَّل واشتراهُ خفيةً وطبخهُ سرًّا . فعرف بذلك القديس استراتيوس بالهام الروح القدس . فاتى الى ذلك الراهب وسجد لهُ . فقال لهُ القديس : اتيتُ اليوم لاعمل معك محبةً وناكل معاً . فقدم لهُ الراهب ما توفق من طعام الرهبان . فقال القديس : كلا بل اطعمني من القدر الذي طبختهُ في هذه الساعة . فبهت الراهب والتزم بان يحضر القدر الذي كان قد اخفاهُ فوبخهُ حينئذٍ القديس قايلاً : اهكذا تدنّس نفسك لاجل شهوتك وتخضع لافكارك . ثم امره ان يحضر فاساً فاحضر . فحفر بهِ في حاكورتهِ وطمر فيها ذلك القدر وداسهُ برجليهِ وانصرف . ومن هذا يُعلم جلياً كم كان اكل اللحم غريباً عند هؤلاء الرهبان ومحتسباً مماً يدنس النفس لمخالفتهِ القوانين النسكية العامة

رابعاً القديس باسيليوس الذي كتب بعد هؤلاء الآباء المؤسسين المتقدم ذكرهم فرائض كثيرة نسكية لم يخالف فرائض هؤلاء الاباء ولم يحد عن طريقتهم النسكية وبالنتيجة لم يبح للرهبان اكل اللحوم بل لزم الطريقة التى سلك بها الاباء المتقدمون

عليهِ عينها . وهذا نوضحهُ اولًا من التعاليم النسكية التي لهذا القديس والمعلم العظيم . ثانياً من طريقة الذين تمسكوا بقوانينه واقتدوا برسومه . ثالثاً من العادة الثابتة في العمل عند جميع الرهبان الروم الشرقيين

فنقول اولًا ان تعاليم هذا القديس النسكيّة تنافي اباحة اكل اللحوم في السيرة الرهبانيَّة لانهُ في مواضع كثيرة يشير الى وجوب الامساك عن ذلك . بل يصرح بهِ ايضاً في غيرها من اقوالهِ . من ذلك ما حرره في نسكياتهِ حيث يعلّم كم يجب ان يتحفظ الرهبان من مخالطة العالميين ومعاشرتهم قائلًا هكذا : « فان شاهدوا (يعني العالميين) الناسك لا يقسو بالكلية على الجسد بل يغذي (كذا) العوز الحاصل بخبزٍ وماء فيشتمون ويثلبون ويدعونهم قوماً اكولين رغيبين والشتيمة التي على الواحد يثبون بها على الكل ولا يفتكرون هم (يعني العالميين) انهم مرتين او ثلاث مراتٍ في النهار ياكلون اسمن ما يكون من الاغذية واغلظها وادسمها ويتلئون من ضخامة اللحمان بغير حدٍ ويشربون كثرة من الخمر بغير كيل . وهم شاخصون الى الموائد مثل كلاب قد أُطلقت من الجنازير بعد اعوازٍ طويل . مع ان النساك الذين على الحقيقة نساك يستعملون الغذاء الجزيل التقشف وهو شيء يسير مما يغذي تغذية ضعيفة وفي طول النهار مرة واحدة ان كانوا يحسنون ان يعيشوا بترتيب وهذا يستعملونهُ بمقدار ومعرفة »

فها ان القديس يصرّح ظاهرًا بان غذاء الرهبان الذي يسدُّون بهِ العوز الحاصل هو خبز وماء . ثم يقابل غذاء العالميين مع غذاء الرهبان الحقيقيين فيقول ان اولئك اي العالميين يمتلئون من الاغذية الغليظة الدسمة واللحوم الضخمة مراتٍ في النهار وهؤلاء اي الرهبان يستعملون الغذاء الجزيل التقشف وهو شيء يسير مما يغذي تغذية ضعيفة . فليت شعري ما هو هذا الغذاء الجزيل التقشف الذي يغذي تغذية ضعيفة الذي يقابل بهِ القديس غذا العالميين فهل هو اللحوم لا لعمري . حيث ان اللحوم لا تقابل اللحوم وليست هي بغذاء جزيل التقشف ولا تغذي تغذية ضعيفة بل جزيلة جدًا . فلا ريب اذًا ان المراد بهذا الغذاء الذي يخصُّهُ القديس بالرهبان هو الخبز والماء والحبوب والبقول التي تخصها هذه الاوصاف وتقابل اللحوم مقابلةً واضحة

وهذا يتوكد جلياً بنوع آخر من التكلم يوضح به القديس ان ماكولات الرهبان غير ماكولات العوام . وان هذه اعني ماكولات العوام هي قبيحة بالرهبان وغير ملائمة

لسيرتهم فيقول في فرائضهِ المتسعة هكذا: وكما انهُ لا يليق بنـا شيء من الفرش اللينة والبسط الثمينة الفاخرة ولا الآلات الكريمة والفضيَّة هكذا لا يحسن ايضاً بنا الاكثار من الاطعمة ولا الاحتفال بالماكولات الخارجة عن ماكولاتنا وما لا يشبهها. لانهُ ان سعينا كثيرًا بطلب ما ليس هو بضروري للاحتياج بل القصد بهِ تلذُّذ اللهاة وتمتُّع الجوف فذلك ليس هو قبيحاً بنا فقط وغير ملائم لسيرتنا بل مسبب لنا مضرة كثيرة لانه متى رآنا المنعكفون على هذه الاشياء انّا منكبون عليها نظيرهم فنضرّهم ونضرّ انفسنا(١

فليقل لنا محب الحق الذي لم يمتلك الغرض عقلهُ ما الذي ينبغي لنا ان نفهمهُ بهذا النوع من التكلم وبهذه المقابلة الجلية حيث يوضح المعلّم الجليـل ظاهرًا انهُ ليس لا يليق بالرهبان الاكثار من الاطعمة نظير العالمين فقط بل انهُ لا يليق بهم ايضاً الاحتفال بالماكولات الخارجة عن ماكولاتهم وما لا يشبهها. فالرهبان اذًا لهم ماكولات خصوصية مختصة بهم غير ماكولات العالمين. وبالتـالي انهُ اذا كانت ماكولات العالمين اللحوم فتكون ماكولات الرهبان الحبوب والبقول لا محالة والّا لمَا صحّت المغـايرة التي يُشير اليها القديس بقولهِ الخارجة عن ماكولاتنا وما لا يشبههـا. وتُحقّق ذلك الصفات التي يصف بها القديسِ هذه الماكولات والغير المشابهة لماكولات الرهبـان. قائلًا انها ليست بضرورية للاحتياج وان القصد بها تلذُّذ اللهاة وتمتُّع الجوف وانما هي المواكيل المنعكف عليها العالميون على ان هذه الصفات انما تنطبق على اللحوم التي هي ماكولات العالميّين لا على غيرها. فاللحوم اذًا هي الماكولات الخارجة عن ماكولات الرهبان وماكولات الرهبان هي الحبوب والبقول وبالتالي انها اعني اللحوم هي التى ينهي عنها القديس الرهبـان بكلامهِ المتقدم ايراده موضحاً ان استعمالهـا قبيح بهم وغير ملائم لسيرتهم بل مسبب لهم مضرَّة كثيرة وللعلمانيين الذين يشاهدونهم نظيرهم في التمتع غـير متميّزين عنهم بشيء.

وقد يتايد ايضاً هذا التاكيد بكلام هذا القديس العظيم في رسالتـهِ الى القديس غريغوريوس الثاولوغوس حيث يقول هكذا: ونقول على الاطلاق كما ان الملبوس اللائق هو ما دعت اليهِ الحاجة كذلك في الطعام الخبز يتم الحاجة. والماء يكفي لطفي العطش للصحيح المعافى وجميع البزور والقطنية فيها كفاية لسد الحاجة الضرورية فنعطي الجسم

١) توجد هذه الشهادة في المقالة ١٩ من الحاوي الكبير (حاشية المؤلف)

قوة ولا تقصد ما تطلبهُ الحنجرة بل نطلب دائماً ما قام باودنا ساذجاً لا ملذًا محرّكاً للهوى ومضرًا بالعقل ومعيقاً عن تصور الله. بل نجعل الطبيعة نفسها وما يقبلهُ الجسم من الاغذية سبباً لمجد الله

فليقل لنا المنصف اين اكل اللحم عند هذا القديس ها انهُ يصرّح ظاهرًا ان امر الاكل عند الرهبان يجب ان يقاس على امر الناس فكما ان الرهبان ليس لهم ان يلبسوا كل شيء على الاطلاق بل ما دعت اليهِ الحاجة هكذا ليس لهم ان يأكلوا كل شيء على الاطلاق بل ما دعت اليهِ الحاجة وهذا يوضحهُ ظاهرًا بذكر الخبز والماء والبزور والقطنية . فاين اللحوم اذًا بل ان هذه ينفيها بقولهِ « ولا تقصد ما تطلبهُ الحنجرة مما يلذّ ويحرّك الهوى ويضرّ بالعقل ويعيقهُ عن تصور الله » على ان هذه الصفة انما تنطبق على اللحوم كيفما كانت فالقديس اذًا ينهي عن طلب هذه ويامر بتلك. ولكن لأن الذين يحاورون بهذا الامر ربما لا يقتنعهم الّا ان يجدوا ذكر منع اللحوم ظاهرًا باللفظ والحرف عينه بقول هذا القديس فليسمعوا ما قالهُ في امر اصلاح الاخلاق حيث يتفوّه هكذا: ما كان في الفردوس نبيذ ولا ذبح حيوانات ولا اكل لحمان انما كان ذلك بعد الطوفان لانهُ لما أنس من الكمال اطلق الاستمتاع

فاذًا على راي هذا القديس الجليل ان شرب الخمر وذبح الحيوانات واكل اللحوم لا يناسب حال الكمال ولا السعي في امتلاكه ولا يجب ان يوجد في فردوس الرهبنة كما انهُ لم يكن في الفردوس القديم بل يطلق للذين لا يسعون في طريق الكمال ولا تقتضي دعوتهم ذلك

وعسى ان هذا ايضاً لا يقتنع بهِ المتعند فليقرأ ما كتبهُ هذا القديس في رسالته الى يوليانوس العاصي حيث يذكر لهُ هكذا: اننا نحن نكتفي باليسير وكل صنع طبيخ عندنا بطال وسكّيننا لا تقطع لحماً ولا تتلطخ بدم ذبيحة واشرف الاطعمة عندنا بقل وحشيش مع ملح جريش وشراب متغير لكي لا نلذّذ الحنجرة فنجوز مجاز الهلاك. ثمّ فليقرأ قوانين هذا القديس الموجودة في كتاب الناموس الكنائسي ليرى هناك المعلم الجليل يقول صريحاً هكذا: ولا يتزوج الرهبان ولا ياكلوا لحماً في اديرتهم ولا خارجاً عنها. ولعمري انهُ لتكفي هذه الشهادات من تعليم هذا القديس لايضاح عدم اباحته للرهبان اكل اللحوم في فرائضهِ المختصة بهم. فلنؤيد ذلك من طريقة الذين تمسكوا بقوانينه (لهُ بقية)

نخبة من ديوان ابراهيم الحكيم الحلبي

بقلم عيسى اسكندر افندي المعلوف اللبناني (تابع)

وقال في الحب الالهي والابتعـاد عمّا سواه مادحاً مريم البتول وذلك سنة ١٧٤٢ وهو في حلب وهي واحد واربعون بيتاً تخيّرنا منها هذا:

ألا في سبيل الله عمرٌ مضى هـدرا وقد ضاع في ما ليس يكسبني شكرا
وأضرفت ايامي سدى في هوى الأولى اروني الجفا والصدَّ والبعـد والهجرا

الى ان قال:

يسوع الـذي حقًّا بسفـك دمائهِ لفرط اشتداد الحب افدى الورى طرًّا
وجاد علينـا بالوجود وغـيره من النعم الفضلى بمـا يعجز الذكرا

الى ان قال:

وهـذا الذي يعطي محبيه انعماً وعوناً وتعزية (١ على الضرًا والسرًّا
فسِرْ بي ورا هذا الحبيب الذي بهِ تنال حياة الروح دنيـاك والأخرى
وواظب على تحصيلـه ان تكن فتى ولا تخشَ في ذا الحبّ ان تخسر العمرا
ودع عنك كل محبة (٢ عاليّة تفيدك اتعاباً اذا لم تلد شرًّا
وابذل لهذا الحبّ ما عزَّ في الورى وما جلَّ من مال وجاه ومـا سرًّا

الى ان يقول في مديح العذراء مريم:

اسيّدتي اني ببابك واقفٌ اسيرٌ وفي ذا الباب استعذب الأسرا
واني قصدت اليوم اعتاب فضلك(٣ وما لي انثنا عنهـا ولو اخسر العمرا

الى ان يقول:

فقوي لنصري وانشلي مدنفاً هوى ببحر الشقا بل خاض واستوطن القمرا

الى ان ختمها بقوله:

وهدّي احتـداد الاب عني وسكّني تفاقم غيظ الابن بل مهّدي العـذرا
وردّي ليَ الروح المعزّي لانهُ لفرط الشقا عن صحبتي النوم قد فرًّا
وعيدي (٤ رضى الثالوث نحوي لعلني بحسن اختتام العمر استقبل الحشرا

١) ولو قال «وسلواناً» لكان اولى
٢) ورد له كثير من مثل هذه الجوازات العروضية
٣) اورد كثيراً اشباع غير ضمير الغائب وهو محظورٌ
٤) الاولى (أعيدي)

وقال أيضاً في الحب الالهي مهنئاً عشّاقهُ وطالباً من لدنه ان يعرفه هـذا الخير سنة ١٧٥٤ م من قصيدة جمعت اربعة وعشرين بيتاً منها :

هنيئاً لقلب انت يا رب زائرُهُ ‌ ‌ وطوبى لصبٍّ انتَ يا حبُّ عاذرُهْ
وسقياً لمشغوف بكم طول عمره ‌ ‌ يراك إزاءه كلما شاء خاطرهْ
ورعياً لمشتاق اليكم ولم يزل ‌ ‌ ينـال الذي ترجوه منكم ضمائره
فمن ذلك الصبُّ السعيد الذي حوى ‌ ‌ حبيباً له لا زال طبعاً يناظره
ومن ذلك الحبُّ الذي دام حاضرًا ‌ ‌ الى وصل من يهواه بل لا يهاجره

الى ان قال :

ولم أُبدِ حتى الان اثمار توبة ‌ ‌ ولم يبقَ في ذا العمر الّا نوادره
ومنها: ويا رب أُطرد منهُ مـا لا تحبُّه ‌ ‌ وابعد منه (١ كل شر يخامره

وقال يبين سرّ تجسد الاقنوم الثاني ومحبته للجنس البشري ورغبتـه في خلاصهم الخ معارضاً الحريري وذلك سنة ١٧٥١ م وهي سبعة وعشرون بيتاً آثرنا منها بعضها :

مَن الذي ما ساء قطْ ‌ ‌ ومن لـهُ الحسنى فقطْ
سوى يسوع الناصري ‌ ‌ قد جاء في هذا النمطْ
لهُ المحاسن (٢ كلها ‌ ‌ من غير نقص او شططْ
اكرم بهِ مولىً لفرط ‌ ‌ وداده (٣ فينـا ارتبطْ
كيما يقيم ابا الورى ‌ ‌ من كان قدماً قد سقطْ
واراق كل دمائهِ ‌ ‌ ليقيم جنساً قد هبطْ
وغدا يحـاول ردَّنا ‌ ‌ ويدي(٤ الحنوّ لنا بسطْ

الى ان يقول مشيرًا الى نتيجة العصيان :

كم نستحق من العقاب ‌ ‌ وكم يحيط بنا سخطْ
يا ربّ لا تسمح بنا ‌ ‌ أن يعترينا ذا الغلطْ
بشفـاعة البكر التي ‌ ‌ لم يعتريها النقص قطْ
كلّا ولا كف المشيب ‌ ‌ ولا المعيب جا وخطْ

---

١) الاولى وضع (الهي) بدل (منه) ليستقيم الوزن
٢) التبس عليهِ مجزوُ الرجز بمجزوُ الكامل فخلط بينهما ويمكن وضع (المعالي) عوض المحاسن فيستقيم الوزن
٣) لو ابدل هذه الكلمة « بوده » لاستقام الوزن الذي ارادهُ وهكذا في ما يليه
٤) الاولى (ويد) باسقاط الياء

بـل في مباشرة التقى   لم ترتضِ الحال الوسطْ
لكنهـا رقت العلى   مع كل جوقٍ قد هبطْ
حارت اولو الالباب في   ما قد حوتهُ من غُبَطْ
بل اعجز التحرير إحـصا   نعتها لمـا ضُبطْ
فلذاك قالوا مذ رأوا   الخيرات منها تُلتقطْ
هذي التي لم تأسَ (١ قط   وصنهـا الحسنى فقطْ

وقال يثبت مجيء السيد المسيح وذلك سنة ١٧٣٧ وهو في حلب وهي ستة وستون بيتاً منها :

لقد بانت من الله العلامـه   وشاع بارضنا صوت اليمامه
وقد لاح الهدى للكون طرًّا   واخفى الكفر بل انفى قتامه
واعطى الله مجدًا في الاعالي   وفي الارض المسرة والسلامه
وقد وافى مخلصنـا المرجى   ونجى آدماً وطفى ضرامـه
ومذ شام المواعيد استتمت   وقد كملت رموز اولي الزعامه
فكمَّل ما بداهُ بانبياهُ (٢   واوفى الوعد بل اخفى كلامه
وقد نهج الهدى وازاح عنا   ضلال الكفر حين اضا ظلامه
وصالحنـا مع المولى ونقى   فساد الكون بل اردى زوامه
واهدى شعبه للحق لمَّا   انار ظلامــهُ وشفى سقـامه
وابدى المعجزات لديه جهرًا   كذا الايات اضحاها امامـه
لكم برص وخرسٍ قد شفاهم   وكم من مقعد ابرا سقامـه (٣
وفتح عميهم وشفى صنـام   وانطق من بهِ فرط البكامه
وكم من مقعدٍ (٤ ومصاب جنٍّ   شفى منهم وكم ميت اقامـه
وقد نال الورى منه مناه   وفاز بما ترجـاهُ ورامـه

الى ان قال مخاطباً اليهود:

وموسى قال يأتيكمُ نبيٌّ   كمثلي منكم استمعوا كلامه
وشعيا قال ها هوذا بتول   ترى حبلى وهذي هي العلامه (٥

---

١) اراد لم تسئ فلم يوافقه اللفظ
٢) ولو قال : (أتمَّ الوحي من فم انبياهُ) لتخلَّص من هذا الاضطراب
٣) يكرر القافية بعد اقل من سبعة ابيات في كثير من المواضع
٤) يكرر المعاني والالفاظ في بعض المواضع
٥) يتصرَّف كثيرًا بضميري الغائب المذكر والمؤنث المنفصلين

وفي سبعين سابوع (١ يوافي | مسيح الله يعطي الاستقامه
ويأتيه ملوكٌ بالهدايا | لنجم كان متجهاً امامه
فها هوذا الاسابيع استتمت | وقد جاء الذين نرجو دوامه
وقد بطلت ذبائحهم وزالت | ضحايام فحتّى لا حمامه
وهوذا (٢ قدسهم اضحى خراباً | كذاك وملكهم بلغ انعدامه
وباد بخورهم مع محرقات | كذا الكهنوت قد حاز انصرامه
وقد وفد الصبيّ المدعوّ رسولا | وربُّ الدهر والاهُ السلامه
وها من بيت لحم قد اتانا | مخلصنا الذي فيهِ القيامه
ووافاه ملوك الفرس كيما | لهُ يجثوا ويعطوه الكرامه
ولما بين حيوانين شافوا الا | اله بمذود مرفوا العلامه
واهدوهُ لباناً ثمّ مرّاً | كذا وعسجداً وجثوا أمامه
وعادوا في طريق لم يمرُّوا | على هيرودس يطفوا (٣ ضرامه
وها هيرودس من فرط خوفٍ | قضى قتلًا على صبيان رامه
وهوذا البكر قد حبلت وولدت | وفي ميلادها حزنا السلامه
وفيه صالحتنا بعد غيظ | مع المولى وقد نفت الزهامه
ولكن يا لميلاد عجيب | به طبع الملا اخلى نظامه
فمن ذا قد رأى العذراء حبلى | ومرضعة وذاك بلا ملامه
ولم تعرف فساداً بل زواجاً | بدون الشك بل زادت كرامه
فيا لله من بكر تسامت | . على كل الملا وعات شهامه
فهذي جزّة الخيرات اندت | وفاض نداؤها فيض الغمامه
وهذي جرّة المن استفاضت | على كل الملا وعلت شهامه
وهذي هي عصا هارون ازرت | نضارتها ببانٍ مع خزامه
وهذي غصن زهرة اصل يسّى | عليها الروح بادٍ كالحمامه
وهذي قبة العهد التي قد | غدت تجثو لها اهل الزعامه
وذي الباب الوصيد المارُّ فيه | اله العرش لم يُفضض ختامه
وهذي هي عمود الصبح اهدت | لاهل التيه بل هذي الغمامه
وهذي (٤ منارة الاقداس اضحت | تنير الكون ثمّ تضي ظلامه
وذي عليقةٌ موسى راى في | ذراها النار لم تحرق كمامه

---

١) لو قال اسبوع لكان اقرب الى الفهم
٢) يسكن لغير مسوغ
٣) كثيراً ما يحذف نون الاعراب بحالة الرفع وهي لغة العامّة
٤) الاولى (وتلك) ليستقيم الوزن

وهذي سلّم أسرائيـل التي عليـه الله موكى كالدعامـه
وهذي النجمة الغرّاء ضاءت بليل الكفر كي تنفي قتامـه
وذي باب السما وطريق عدن وجسرٌ ناقـلٌ نحو السلامـه
سفينة نوح والمرسى ومينا الـ رجا والامن في يوم القيامه
خزانة حكمـة الله العلية (١ بما قد شـاءه المولى ورامـه
وكرسي مجده المحبوب منـهُ وكنز غناته الحـاوي الفخامه

ثمَّ انتقل الى مدح العذراء وكلها رشيقة منسجمة وهي من محاسن قصائده . وقال مضمناً بعض نوافل من عبـادة قلب يسوع وذلك سنة ١٧٣٢ م وهو في حلب وهي سبعة وعشرون بيتاً اليك بعضها :

يا ايها القلب الالهي الاقدسُ يا منبع الجود الذي لا يُحبسُ
يا منهل الفيض الذي بوروده ماء الحيـاة لكل من يتقدّسُ
يا منبر الثالوث بل يا هيكل اللاهوت والنـار التي لا تُلمسُ
يا مقدس الاقداس والكنز الذي خيراتـهُ مَن امَّهـا لا ييـأسُ
يا مصدر الجود الذي عمَّ الورى خيرًا تـكلُّ اللسن عنهُ وتخرسُ
انت الوجود وانت عين الجود بل انت الحياة لكل من يتنفسُ
انت الجمال بل الكمال باسره ولهذه الاوصـاف تعنو الانفسُ
انت الحبيب وانت عين الحب والحاوي الكمالات التي لا تعكسُ
انت الذي اضرمت نار الحبّ في . قلب الذين هويت ان يتقدسوا
اضرم بقلبي هـذه النـار التي تحيـا القلوب بها وتملى الارؤسُ
ارجوك يا مولاي قبل الموت ان تعطي عُبَيْدَك ما به يتهجسُ
ان ترتضي قلبي لقلبك منحـةً وذبيحـةً حسنـاء لا تتدنسُ

الى ان قال :

هـذا الذي من اجلـه خلعت هيا كلَها الى قاع الحضيض الانفسُ
هذا الذي من اجلهِ قد غادرت جثمانهـا طعم السيوف الاروسُ

وقال موشحاً في القربان المقدّس سنة ١٧٥٣ في حلب وهو عشرون بيتاً منهـا قولهُ :

جد لي الهي ان نشا بوليمة منها نشـا
سرٌّ عجيب ادهشا عقل البرايا مذ فشـا

الى ان قال : خمر ننال بها الهنـا ونحوز غـايات المنى

---

١) الاولى ان يقال (ارتفاعاً) ونحوها

وهي النجاة من الضنى وخلاصنا منها نشا

راح بدت بيد القسوس يزري سناها بالشموس
من شانها تحيي النفوس وتعيد ميتاً منعشا

راح جا روح الاله مع جسمه الحاوي دماه
وجا الحصول على النجاه وهي الحياة لمن يشا

وهي الغذاء الجوهري وشراب كل مطهرِ
فارويَ بدمٍ مسكرِ واسكر بهِ دون اختشا

خبز وخمرٌ لا جرمْ صيرهما لحماً ودمْ
وغدا يبيعهما كرم للراغبين بلا رشا

يا رب من قبل الحمام جد واسقنا من ذا المدام
واجعل بهِ حسنَ الختام كيلا نعود ان نعطشا (١

وقال موشحاً يمدح به سبعة اسرار البيعة والرسل الاطهار معارضاً الموشحات الأندلسية وذلك سنة ١٧٤٠ م وهو في حلب. وهي سبعة وخمسون بيتاً هاك بعضها:

كلما البيعة ابدت قبسا يا خليلي من سناها اقتبسِ
ومن الإلحاد كن محترسا ضلَّ من عن ذاك لم يحترسِ

ذي عروس الله لمَّا وُحدت قُدِّست بمناية (٢ الابن الوحيد
وبجمع أبنائها قد حُمدت في جميع الارض بالراي الحميدْ
وزهت في رسلها وانفردت في الورى بسمو ذا (٣ الفعل الفريدْ
فلذاك الله فضلًا قدَّسا كلما فاهت بروح القدسِ
وجا الاسرار سبعاً غرسا يجتني منها ثمار الفرسِ

نِعمٌ اوَّلها سرُّ المعاذْ في ابتدا امرك كن فيه عميدْ
كم خطايا الجد من طفل اباد وخطايا كل موعوظ يبيدْ
وكذا الميرون تثبيتاً افاد ثم تأييداً وتوطيداً يفيدْ
فاتخذ منه وشاحاً وكسى ان ترُم يا صاح موناً تكتسي
فهو يقصي عنك ما قد لبسا وهو اسنى من اجلِّ الملبسِ

ثم بالكهنوت كن حبرًا حكيم تلتقي فيه ينابيع الحكمْ

١) الاولى ان يقول (كيلا نعود منعطشا)

٢) سكن الميم وهي ضرورة قبيحة ويمكن التخلص منها بقوله (في نعمة)

٣) لو قال (بسمو جا) بدل (بسمو ذا) لاستقام الوزن وتخلَّص من الضرورة القبيحة

وبهِ ترقى الى دار النعيم وتنال الفوز مع فيض النعمْ
واحـذرن الّا تكن فيه سقيم لتداوي فيـه انواع السقمْ
وتوامي مدنفًا قد ايسا من شفاه ثم لم (١ ييـاسِ
وتماني حلَّ ماسور الاسى وتبرّي ذلك الغمر المسي

ثم نقي باعترافك (٢ آثمـا ان نوى التوبة عن فعـل أثيمْ
واجعلنه عن خطاه نادما كي تصـيرهُ لمولاهُ نديمْ
واعطه الكاس المفيض مكارما (٣ بسخـا صانه الرب الكريمْ
عندما اياهُ كان مقدسا في العشا السري ببيت المقدسِ
حين اعطاناه قوتًا وحسا للحيوة فغـاب (٤ من لم يحتسِ

كم لزيت المرضى (٥ من سر عجيب قد رأينا منه ايات عجابْ
كم شفا من مدنف مضنًى كئيب وراى الغبطة بعد الاكتئابْ
ثم في الزيجة اطفاه اللهيب والتوقي من جحيم الالتهابْ
ان يكن بكرًا عدم (٦ الدنسا ورداهُ بالـدنى لم يدنسِ
ياخذ النعمة صبحًا ومسا ويبـاركهُ الـه لم ينسِ

وقال يمدح العذراء مريم ويعاتب نفسهُ وذلك سنة ١٧٥٣ م وهي سبعة وعشرون بيتًا مطلعها :

اذا ما افترّت الأسنان مني بكت عيني ولامتني على ذا
وقلبي ان يسرّ لبعض لهوٍ ابت نفسي وقالت لي لماذا
وان سكر الزمان وطبتُ نفسًا صحـا دهري وقال علامَ هذا
فقلتُ اجل وكان الضحك مني سدىً وسفـاهةً وبـدا شواذا
فكم من ضاحك من سوء عقـل ومن دائـهِ (٧ للقلب آذى
وكم تبدو لنا الاطيار رقصًا اذا ذبحت ومهجتها جذاذا (٨
وهل يفترّ ثغرًا من وراهُ سهام الموت نافذةً جراذا (٩
وبعـد الموت سوف يقوم كلٌّ لدى المولى مجيبًا عن لماذا

---

١) الاولى لمّا ٢) الاولى باعتراف
٣) وزنه مختل ٤) الاولى (لحياة خاب)
٥) الاولى (كم لزيت المسح)
٦) الاظهر (عدمًا دنسا)
٧) وزنهُ مختلّ ٨) الاولى ان يقال (وقد قطعت جذاذا) ونحوه
٩) المشهور انها بالزاي (بمعنى القاطعة)

لذاك أني (١ حليف الحزن دهرًا بفيض مدامع تجري رذاذا
على ما قد صنعت من المعاصي واغضبت الالـه المستعاذا

ثم انتقل الى مدح العذراء بقوله:

وقد اوشكت قطع رجاي لو لم تقم لي مريمُ اقوى (٢ ملاذا
بتول لم يقم في الكون خلق رفيعَ مقامها وازى وحاذى
بتول اصلحت بين البرايا وبارجها وقد قامت معاذا
بتول مرضعٌ بكرٌ وحبلى فيا لله من قد شام هذا
وما ردَّت شفاعتها بجره ولا سمعت على فعلٍ لماذا

سياحة اسقفيّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

٤ الى عين ابل

لما انتهى سيادة المطران شكر الله من زيارة ابنائهِ في الناصرة استأنف الرحيل الى بلاد بشارة لعلمهِ بان اهلها تفرغوا من اعمالهم الزراعيَّة فاصبحوا في استعداد تام لاستقبال اسقفهم المفضال. فسافرنا من صور في مساء الاربعاء الواقع في ٢٣ آب ١٩٠٦ وجهتنا الجنوب الشرقي فسرنا وحولنا موكب من اعيان البلدة ممن أُشربت قلوبهم محبَّة راعيهم المفدَّى. فسرنا في ليلة صافية الاديم عليلة النسيم قامت نجومها الزُّهر مقام نور البدر فتذكرنا قول الشاعر:

سرى نحونا ليلٌ كأنَّ نجومهُ قناديل فيهنَّ الذبال المفتَّلُ

وكانت خيلنا تنشط للمسير في اوَّل الشوط وتنشب سنابكها في كثبان الرمل فلا يسمع لوطأة اقدامها صوت

ثم دخلنا بعد هنيهة في فناء من الارض كما يقول العرب لا حزن ضرس ولا سهل دهس تسارعت في قطعهِ الجياد. فمررنا اول قريبًا من اثر قديم يعرف باسم قبر حيرام تضاربت الاراء في حقيقة نسبتهِ ثم اجتزنا قرية قانا وهي غير قانا الجليل الواقعة في جوار

١) لو قال (لذا إني) لتخلَّص من ضرورة وصل الهمزة
٢) لو قال (مريم العذراء ملاذا) لكان اولى واصحّ

الناصرة. وقانا هذه ورد اسمها في سفر يشوع (١٩ : ٢٨) وفيها من المدافن والنواويس والرسوم ما يشهد على قدمها . وعدد اهلها اليوم ازيد من الالف نصفهم من الروم الكاثوليك والباقون متاولة

ثم بلغ بنا المسير الى قرية تسمى صدّيقين التي دعاها كتبة الفرنج (Sedequie) وجعلوها كقرية قانا من املاك البناحقة . وقد رأى فيها العلامة گيرين آثار مجمع يهودي ومعاصر وحفائر قديمة . ثمَّ انحدرنا من هناك الى وادٍ يُعرف بوادي الدبّ وهو ذو منظر مخيف منقطع عن كل سكن طالما اتخذه الاشقياء لاجترام المآثم وقطع الطريق لكنَّ الحكومة السنيّة لم تزل تتعقبهم الى ان قطعت دابرهم . وبعد عبورنا لهذا الوادي تسلَّقنا اكمةً ادَّت بنا الى يفاع من الارض على علو ٧١٥ مترًا فلقينا هناك قرية يسكنها المتاولة تُدعى يعتر يرجح العلماء كونها مدينة ادرعاي الوارد ذكرها في سفر يشوع (١٩ : ٣٧) وللمدينة القديمة آثار واخربة تُرى على اكمة قريبة من جهة الشمال الغربي

ولمَّا طال بنا المسير اخذ منَّا التعب ماخذهُ وكلَّت الخيل فتصبَّبت عرقًا راغيًا فنزلنا عن صهواتها لننال نصيبًا من الراحة وكنَّا نستنشق النسيم العليل وزي الليل ناشرًا لواءهُ ومتمطيًا بصلبهِ كانهُ ابى ان يقشع عنَّا ظلامهُ

ابى ليلك ان يذهبْ ونيط الطرف بالكوكبْ
وهـذا الصبح لا ياتي ولا يدنو ولا يقرب

فلبثنا حينًا نترصَّد الشرق حتَّى لاحت لنـا لوائح السحر وتنفَّس الصبح فعدنا الى خيلنا واستبطنَّا واديًا أدَّى بنا الى بئر العيون وهي بئر رويّة عذبة غزيرة الميـاه يظن البعض انها عين حاصور القديمة لقربها من خربة تُعرف بخربة حزور او حزيرة

وكنَّا قاربنا عينبل وليس لاهلها علم بقدومنا لانَّ سيادتهُ احب ان يدخل القرية بالهدو والسكينة وينجو من جلبـة الوفود والمظاهرات الاحتفائيَّـة . لكنَّ رجلًا من عينبل مرَّ بنا فعرف صحَّة الخبر واسرع الى القرية واعلم اهلها بالوفد الكريم الذي يقدم عليهم . فما كادوا يجتمعون ليسيروا للاقاتهِ ويكرموا وفودهُ حتى بغتناهم واندمقنا عليهم اندماقًا وهم متلئمون في ساحة البلدة . فدهشوا وعلت اصواتهم بالترحيب وتساتلوا الى منزل حضرة خوري الرعيَّة حيث نزلنا على السعة والرحب ليلثموا راحات راعيهم المقدّسة وينالوا بركتهُ الرسوليَّة

عينبل

عينبل (وتُكتب عين ابل) من اعظم قرى بلاد بشارة اللاحقة بابرشيَّة صور المارونيَّة وهي تابعة لمديرية تبنين علوها عن البحر يبلغ نحوًا من ٨٠٠ متر. وعينبل قديمة كما تشهد عليها الآثار المكتشفة في جوارها من ذلك طريق رومانيَّة تُرى حتى اليوم بقاياها. ومنها نواويس ضخمة وجدت في خربة شلعبون التي تبعد عنها نصف ساعة ومنها كتابة نقلها رينان من الدوير الى متحف اللوفر وهي منقوشة على حجر ضخم فيها رسم الاله ابولون والالهة ديانة المرموز بهما عن الشمس والقمر وتاريخ الكتابة السنة التاسعة للمسيح

وفي عين ابل عينا ماء الواحدة منهما فيها شيء من الملوحة لكنهما تصلح للشرب. واهل القرية نحو ١٥٠٠ اكثرهم موارنة مع بعض الروم الكاثوليك. والاولون ١٣ بطنًا انتقلوا الى عين ابل منذ ٢٤٠ سنة واقل من جهات لبنان لاسيما حصرون وبشراي وحدث الجبّة ومشمش اخصُّهم آل صادر وذياب وخريش وعتمة وخير الله واسحاق. وللموارنة في عينبل كنيسة فخيمة حديثة البناء سعى سيادتهُ بانجاز رصفها بالبلاط. وللاباء اليسوعيين سوابغ الافضال على هذه القرية وغيرها من قرى بلاد بشارة فقد انشأوا في عينبل ديرًا لراهبات قلبي يسوع ومريم اللواتي يقمن بتهذيب الفتيات احسن قيام ويتفانين في كل صوالح نساء القرية. وترى احد هؤلاء الاباء الافاضل يتجوَّل صيف شتاء في تلك الانحاء ليتعاطى مشروعات الرسالة والانذار وليتفقد شؤون المدارس. وكان الذي يسعى بهذه المهمات عند زيارتنا لبلاد بشارة الاب بليسيه المعروف بغيرتهِ وفضلهِ فلم ينفكّ طول مدَّة اقامتنا في بلاد بشارة يعضدنا في كل مشروع خيري ويرافقنا في زيارتنا لتلك الابرشيَّة التي كان يعرف كل احوالها

ليلة ساهرة في عين ابل

لمَّا احسَّ اهل عينبل انَّ سهمهم طاش واخفق مسعاهم من ابداء ظواهر الحفاوة براعيهم واستقباله بالتجلَّة والاكرام عمدوا الى احياء ليلة ساهرة يعلنون في خلالها شواعرهم وعلائم فرحهم فاجتمع شعراؤهم المعروفون بالقوَّالة واصحاب فن الزجليَّات ليترجموا عن عواطفهم بما يلهمهم قلبهم وبلاغتهم الطبيعيَّة. فما أرخى الليل ستارهُ الَّا بدت القرية متوشحة بجلباب من النور ودوت اصوات طلقات البارود في تلك الوهاد تبشر بحلول الاب بين اولادهِ. ولمَّا احتشد القوم في دار مضيفنا وجلس الحبر المفضال

على مصطبة عالية ليؤانس الوفود اندفع القوّال انطونيوس الجشي وهو مكفوف البصر منذ ولادتهِ فافتتح كلامهُ بقولهِ :

بتشريفك يا سيدنا زاد الهنا وفاض النور

ثم استرسل هذا القوّال بضروب المديح وتفنن مع غيره من رصفائهِ في اساليب الشعر العامي حتى قضى الحضور منهُ العجب وصفقوا لهُ مرارًا .

ولمّا انتهوا من هذه الازجال قام قسم من الشبّان يلعبون بما يدعونهُ عندهم بالسحجة فامسك الواحد بساعد الآخر ووقفوا على شكل نصف دائرة يتقدَّمهم شاب بيده عصاة يشير اليهم بها كما يشير رئيس النوبة الى جوقة الموسيقيين لضبط الحركات. وكان بازائهم قوال اخذ يتغنى (بالحدّية) فجعل الشبان يتمايلون على نغمتهِ ويضربون الارض بالايقاع ويصفقون على حسب اوزان النغمة مرددين لفظة « حه وحاه هاه » وذلك نوع من الدبكة يحسنها عرب تلك الجهات فاخذها عنهم اهل القرى المجاورة. وطالت تلك الحفلة القروية التي سرّ بها كل الحضور وعند انتهائها شكر السيد المطران للقوم حفاوتهم وكرامة ضيافتهم وحضّهم على العيشة المسيحيّة الصالحة ودعاهم الى حضور رياضة روحيّة تُقام في بلدتهم . فلبوا الى دعوة راعيهم وعزّوا قلبهُ بتقواهم

فصل في سكّان عينبل وبلاد بشارة عموماً

قبل ان ننتقل من عينبل الى ذكر القرى التي زارها السيد المطران شكر الله احببنا ان نثبت هنا فصلًا عموميًا عن سكّانها وملابسهم ومساكنهم وعاداتهم. وليست عينبل منفردةً في ذلك وانمّا الامر يعمّ كل بلاد بشارة فجمعنا هذه الملحوظات هنا خوفًا من التكرار فنقول :

اذا تفرّست في رجال هذه البلدة لاول وهلة رايت الشمس صوّحتهم فظهرت على وجوههم لفحتها فلا ترى عندهم من التأنق في الملابس ما يُذكر. يضفرون شعرهم ويرخون الناصية ثم يلبسون على الراس الشملة او الحطّة يعلوها العقّال وقلّ من يستعمل الطربوش ويشدون على وسطهم الزنّار او الكمر وتحته الغنباز والصدرة وفوقهما العباءة وهم رجال معتدلو القامة شديدو البنية تكثر بينهم امراض العيون لكثرة الغبار واشتداد الحرّ. يدهم من العمل مجلة وعليها الوشم الذي يتباهون بهِ ويصورون غالبًا مار جرجس ممتطيًا جواده ممّا يناسب طباعهم وميلهم للفروسيّة. يستعملون الفلح من

الزراعة والغراسة بانواعها الّا ان شجر التوت قليل عندهم ومنهم من يتعاطى رعية المواشي من الغنم والماعز والبقر ويكثرون من تربية الخيل للقيام بدراسة الحبوب ويستخدمون بعضها للركوب وهذه من كرام الخيل عادة يبالغون في ترويضها فتصبح لينة العنان . وقد صار لهم البأس خلقاً فهم مانعون لحوزتهم اذا داهمهم معتدٍ فيتألبون «للفزعة» اذا سُرق لهم سائمة اقتصّوا اثر السارق ولهم بذلك قواعد خاصة بهم فيدركون المسروق ويعودون بهِ فرحين وتراهم يتفاخرون بخيولهم ومآثر شجعانهم واقويائهم فيضعون في الساحات العمومية ربيعةً لاختبار قوة الوارد اليهم الّا انهُ لسوءِ الحظ درجت عند البعض منهم عادة النهب وهذه بدأت تبطل بينهم من فضل عدل الحكومة السنية (لها بقية)

تاريخ ديوان الاسلام لمحمد الغزّي

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ الكتب التاريخيّة الاسلاميّة لكثيرة العدد مختلفة المواضيع متوفرة المواد منذ القرن الثالث للهجرة الى القرن الثامن وقد طُبع منها جانبٌ عظيم في مطابع الشرق والغرب بهمّة ارباب البحث ومحبي العلوم التاريخيّة. لكنّ فنّ التاريخ أُصيب بعد القرن الثامن بخمول وتقهقر فترى فيهِ التآليف التاريخيّة عزيزة الوجود لا يكاد يُعرف منها الّا النزر القليل ممّا لا يُعبأ بهِ او يكون في الغالب ملخصاً عن تآليف الائمة السابقين. فمن ثمَّ نُسرّ باكتشاف التواريخ التي كُتبت في هذه القرون الاخيرة ونبادر الى تعريفها لقرّائنا عند وجود شيء منها

وممّا وقع في ايدينا من هذا القبيل كتابٌ مخطوط حصل عليهِ آخرًا في دمشق جناب الاديب يوسف افندي ليان سركيس فسمح لنا بوصفه في المشرق. قياس هذا الاثر ٢٤ سنتمترًا في عرض ١٤ س مجلّد بجلد احمر منقوش وسطهُ وعلى اطرافهِ اطار مزدوج وعدد صفحاتهِ ١٨٠ وفي كل صفحة ٣١ سطرًا. والكتاب مخطوط بخط نسخي دقيق غاية في اللطف والجلاء بحبرين احمر واسود. وفي صدر الكتاب عنوانهُ هكذا :

«التاريخ البديع المسمى ديوان الاسلام تأليف الشيخ الامام الرحلة المحدث المسند الاثري

شمس الدين ابي المعالي محمَّد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي العامري الشهير نسبهُ الكريم بابن الغزي قدس سره»

تعريف المؤلف

وقبل بيان مضمون الكتاب ووصف خواصه لا بدَّ من تعريف صاحبهِ وايراد ترجمة حياتهِ فانَّ اعمال الكاتب ادلّ على مرتبتهِ ومقامهِ بين الادباء. وقد اغنانا المراديّ عن مؤونة التفتيش فعرَّف مؤلفنا في ترجمة مطوَّلة اثبتها في كتابهِ سلك الدرر في اعيان القرن الثامن عشر (٤ : ٥٣ — ٥٨) نستمدُّ منهُ ما نراهُ ملائماً بالموضوع

كان الشيخ محمَّد العامري من اسرة عريقة بالفضل والشرف برَز منها كثيرون بالعلوم والاداب منهم والده زين الدين الذي اصاب لهُ شهرة في المعارف . وكان مولد ابنهِ محمَّد في ١٨ شعبان سنة ١٠٩٦ (١٦٨٥م) ثم ماتت والدتهُ وسنُّهُ دون السبع فنشأ في كنف والدهِ وعليهِ اشتغل بالدروس. وقد عدد المرادي العلوم التي انعكف على اقتنائها والمشايخ الذين درس عليهم في وطنهِ فاجازوا له في كل الفنون اللسانيَّة وفي الفقه والحديث والمنطق والحساب وممَّا زادهُ اعتبارًا عند اهل زمانهِ انهُ صاهر للشيخ عبد الغني النابلسي وسكن عنده بالصالحيَّة وقرأ عليهِ كتب الائمة. وفي سنة ١١٢٢ (١٧١٠م) اشتغل بالتدريس فعلَّم في المدرسة العموميَّة الصالحيَّة وفي الجامع الأموي وفي المدرسة الشاميَّة. قال المرادي: «وكان رحمهُ الله تعالى ماهرًا وعمدةً في التاريخ والادب وحفظ الانساب والاصول وتراجم الاسلاف وبالجملة فقد كان فرد الزمان ولهُ شعر باهر» ثمَّ ذكر لهُ مقاطيع من الشعر منها قولهُ:

ضيَّعت نقد شبابي لم انلْ اربًا ... من لذَّة العيش والآمالُ تنعكسُ
ثمَّ انحنى غصنُ قدّي بعد ضيعتهِ ... حتى كاني لهُ في الترب التمسُ

وقولهُ في نصيحة الجاهل:

اذا نصحتَ قليل العقل نلتَ بذا ... عداوةً منهُ لا تخفى مساويها
فالحمقُ داءٌ قبيحٌ لا دواء لهُ ... قد قال فيهِ من الاشعار راويها
لكل داء دواء يُستطبُّ بهِ ... الَّا الحماقة اعيت من يداويها

وفي آخر عمره استولت عليهِ العلل والامراض الى ان مات يوم الخميس ١٧ محرَّم افتتاح سنة ١١٦٧ (١٧٥٣ م) . قال المرادي : «وكان الشيخ محمَّد العامريّ عالمًا

فاضلًا محدثًا نحريرًا متمكنًا متضلعًا غوّاص بحر التدقيق ومستخرج فنونه اديبًا بارعًا ألمعيًا صالحًا فالحًا لهُ الفضل التام . . . . وكان عجبًا في علم التاريخ والانساب وايراد المسائل والفوائد العلميَّة والادبيَّة » ومع هذا المدح المستفيض لم يذكر لهُ من التاليف غير الكتاب الذي نحن في صدده . قال: « والف تاريخًا سماه ديوان الاسلام يجمع العلماء والمشاهير والملوك وغيرهم »

وصف الكتاب

ليس من التاريخ الذي قصدنا وصفهُ في خزائن الكتب التي نعرفها نسخة ثانية ولعلّها النسخة الوحيدة الباقية منها ونرجّح انها من يد صاحبها يدلُّ على ذلك انَّ المؤلف ترك بعض اسماء الاعلام الذين اراد تعريفهم دون شرح ولا تاريخ كانهُ عزم على مراجعة كتابهِ للتفتيش عمن لم يتيسر لهُ معرفة تاريخه التآليف لينجز عملهُ فحال الموت دون مرامهِ . وما لا شكَّ فيه ان صنف الورق والحبر والتجليد كل ذلك ممَّا يبين انَّ عهد الكتاب من زمن المؤلف ان لم يكن هو كاتبهُ

وقد افتتح الكتاب صاحبهُ بما اولهُ بعد البسملة :

« الحمد لله الاحد الواحد الذي خلق الخلق بقدرتهِ واحصاهم عددًا وجعلهم ادلَّة على الوهيَّتهِ فبعدًا لكل جاحد . واشهد ان لا اله الا الله وحدهُ لا شريك لهُ شهادةً تنجي الشاهد . . . الخ »

وقد الحق بهذه الفاتحة ذكر نسبهِ والمقصود من تاليفهِ فقال :

« امَّا بعد فيقول العبد الفقير الى عفو الله تعالى محمَّد ابو المعالي بن عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريًّا بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن احمد العامري الشهير بابن الغزّي الهمهُ الله رشدهُ هذا انموذج لطيف اذكر فيهِ المشاهير من كل فن بحسب ما اطلَّعت عليهِ ممَّن كان في هذه الدولة الاسلاميَّة وكان لهُ اثر في الاسلام من العلماء ارباب التصانيف او الادباء والشعراء والندماء ومن لهُ وشهرة ببناء مدرسة او جامع او مسجد في بلدتنا دمشق ومشاهير الملوك والوزراء والامراء والرؤساء ومشاهير الاطباء وغيرهم . . . »

وهذا المجموع يشتمل على نيف والفي علَم من كبار الرجال وائمة الفضل ومشاهير العلماء منذ اوائل الاسلام الى ايَّام المؤلف . وقد جعل تأليفهُ كتذكرة لهؤلاء الاعلام وكمعجم يلقى فيه الباحث مجمل احوال كل شخص « مقتصرًا من الترجمة على ما لا بُدَّ منهُ وهو اسم المترجم واسم ابيهِ وجدّه غالباً والفنّ الذي اشتهر بهِ او التصنيف

الذي شاع اسمهُ بهِ ثم ذكر نسبهِ وبلدهِ وعام وفاتهِ مرقوماً بالحساب الهندي ان وقف على عام وفاتهِ »

فترى من ثمَّ انَّ غاية هذا الكتاب ليست استيفاء تراجم المترجمين بل المقصود منهُ ان يكون كمفكرة موجزة فمن اراد الاطالة لا بدَّ لهُ من مراجعة التآليف المسهبة من اخبار الاعيان وتواريخ المؤرخين

امَّا طريقة المؤلف في تقسيم كتابهِ فهي سهلة قريبة المنال لانهُ قد رتب قائمة المترجمين على حروف المعجم وقسم كل حرف الى خمسة فصول . فجعل في الفصل الاوَّل الاسماء كايوب وابراهيم واحمد في حرف الالف . وفي الفصل الثاني الذين اشتهروا بالالقاب كالاشرف والاخفش والاعلم في الحرف المذكور . وفي الفصل الثالث اسماء الذين عُرفوا بالكنى كابي الاسود وابي ادريس وابي اسامة من الحرف . وفي الفصل الرابع الانساب ممَّن شاع اسم نسبهم كالاثري والآمدي والابيوردي والاصمعي من الحرف . وفي الفصل الخامس الابناء اعني الذين عُرفوا بابن فُلان مع مراعاة الحرف الاول من اسم الاب كابن الاثير وابن الاعرابي وابن اسحاق وابن الاجدابي من حرف الالف

واذا عُرف اثنان او اكثر باسم واحد افرد لكل منهم تعريفهُ الخاصّ بالتتابع . وكذلك إن اشتهر بعض افراد أُسرة واحدة جمع بينهم في اسمهم او كنيتهم او نسبهم او لقبهم على ما شاع من ذكرهم . وها نحن نختار من الكتاب بعض تراجم لبيان اسلوب الكاتب ولتعريف بعض مشاهير القرون الاخيرة الذين يصعب وجود ذكرهم في كتب التاريخ

١ الاسماء

(الغ بيك) بن شارخ بن تيمور ملك التتر صاحب الزيج المشهور مات سنة ٨٥٧ (١٤٥٣)

(الشيخ ايوب) بن احمد بن ايوب الشيخ الامام الحبر العارف الحنفي الخلوتي الصالحي لهُ مصنفات ورسائل في التصوُّف ونظم شهير توفي سنة ١٠٧١ (١٦٦٠) وتاريخهُ « الشيخ أَيوب قطب »

(احمد بابا) ابن احمد بن احمد الصنهاجي الماسيّ السودانيّ العلّامة المتبحر المالكي المغربي صنَّف اكثر من ٤٠ مصنَّفاً منها شرح السنوسيَّة وكتاب الديباج توفي سنة ١٠٣٣ (١٦٢٣)

(المنلا اسد الدين) بن معين الدين الشيخ الامام العلّامة الشيرازي الشافعي نزيل دمشق لهُ شعر كثير حسن بليغ وبينهُ وبين ادباء عصرهِ مراجعات توفي سنة ٩٩٨ (١٥٩٠)

(بيبرس) المنصوري الخطائي الدوادار الامير الكبير المؤرخ المصري والحنفي صنّف تاريخًا حسنًا في ٢٥ مجلدًا وهو مشهور توفي سنة ٧٢٥ (١٣٢٥)

(تقيّة) بنت غيث بن علي الاديبة الشاعرة امّ عليّ بنت ابي الفرج السلميّ الارمنازيّ الصوريّ لها شعر جيّد في ديوان صغير توفيت سنة ٥٧٩ (١١٨٣)

(الشيخ خالد) بن عبد الله بن ابي بكر الشيخ الامام العلّامة النحوي زين الدين القاهري الشافعي الازهريّ صاحب المؤلفات المتقنة النافعة كشرح التوضيح والقواعد والاجروميّة والجزريّة والبردة واعرب الالفيّة الازهريّة وشرحها توفي سنة ٩٠٥ (١٤٩٩ م)

(داود الطبيب) بن عمر المحقق الحكيم الفيلسوف الانطاكي القاهريّ مؤلف التذكرة والنزهة وشرح قصيدة ابن سينا توفّي سنة ١٠٠٨ (١٥٩٩)

(سنان باشا) الوزير الاعظم صاحب الآثار العظيمة في البلاد منها الجامع والسوق بدمشق حتى قيل انهُ عمّر اربعين جامعًا مات سنة ١٠٠٤ (١٥٩٥)

(الصلاح الصفديّ) خليل بن ايبك بن عبد الله الامام الاديب البليغ الناظم الناثر المؤرخ القاضي صلاح الدين ابو الصفاء الشافعيّ صاحب المؤلّفات الادبية الكثيرة منها الوافي بالوفيات ثلاثون مجلدًا وشرح لامية العجم والحان السواجع والتذكرة توفي سنة ٧٦٤ (١٣٦٣)

٢ الالقاب

(الافرم) اقوش الامير الكبير نائب دمشق من جهة الناصر بن قلاوون وباني الجامع بصالحيّة دمشق سنة ٧٠٥ (١٣٠٥) توفي سنة ٧٢٠ (١٣٢٠)

(الابله) محمّد بن بختيار الاديب الشاعر البارع ابو عبد الله البغدادي له ديوان شعر مشهور توفي سنة ٥٧٩ (١١٨٣)

(باقشير) محمّد بن سعيد المكي الفاضل الاديب الشاعر لهُ شعر رائق ونثر فائق وهو من شعراء السلافة والنفحة توفي سنة ١٠٧٧ (١٦٦٦)

(الديبع) عبد الرحمن بن علي الامام العلّامة الحبر الحافظ وجيه الدين ابو محمّد الشيبانيّ الزبيدي الشافعي لهُ مؤلفات منها تاريخ بلدهِ وقرّة العيون في اخبار اليمن الميمون وغيرها توفي سنة ٩٤٤ (١٥٣٧)

(العصام) ابراهيم بن محمّد بن عرب شاه الامام العلّامة المحقق المدقّق عصام الدين الاسفرائيني السمرقندي صاحب المؤلفات المشهورة كحاشية البيضاوي والجامي والاطول توفي سنة ٩٥١ (١٥٤٤)

(القطب المكي) محمّد بن احمد بن محمّد الامام العلّامة الاديب الفقيه قطب الدين النهرواني الحنفي المشهور لهُ مصنّفات منها تاريخ مكّة المشرفة والبرق اليماني في الفتح العثماني توفي سنة ٩٩٠ (١٥٨٣)

٣ الكنى

(ابو البقاء) عبد الله بن الحسين بن عبد الله الامام العالم العلامة الحبر البحر محبّ الدين العكبري البغدادي الضرير النحوي الحنبلي صاحب المصنّفات الكثيرة في العربيّة كاعراب القرآن واعراب الحديث وشرح المقامات وشرح الحماسة وشرح فصيح ثعلب توفي سنة ٦١٦ (١٢١٩)

(ابو جلنك) احمد الاديب الشاعر الحلبيّ لهُ ديوان شعر توفي سنة ٧٠٠ (١٣٠٠)

٤ الانساب

(الآثاريّ) شعبان بن محمّد بن داود المحدث الاديب الشيخ زين الدين الموصلي ثم المصري الشافعي لهُ مؤلفات منها الفيّة في النحو وارجوزة فيهِ ايضاً واخرى في العروض ولسان العرب في علوم الادب وشرح على الفيّة ابن مالك في ثلاث مجلدات وديوان شعر توفي سنة ٨٢٨ (١٤٢٥)

(الابشيهيّ) محمّد بن احمد بن منصور الامام الاديب الشيخ بهاء الدين ابو الفتح المحلّي الشافعي مؤلف الكتاب المشهور المتداول المسمى بالمستطرف من كل فنّ مستظرف وكتاب اطواق الازهار في الوعظ ولهُ كتاب في صناعة الانشاء ونظم كثير توفي سنة ٨٥٤ (١٤٥٠)

(الابهريّ المفضّل) بن عمر ابن المفضّل المحقّق الشيخ المنطقي الشيخ اثير الدين

لهُ مصنَّفات منها تعليقة في الخلاف والزيج الكبير وايساغوجي في المنطق وغيرهُ توفي سنة ٦٣٠ (١٢٣٢)

(الإحساني) ١ً ابو بكر بن علي المدني الامير الكبير الاديب لهُ ديوان شعر في مجلَّدين توفي سنة ١٠٧٦ (١٦٦٥) = ٢ً ابراهيم بن حسن الاديب الفاضل الحنفي لهُ شرح على نظم الاجروميَّة للعمريطي وشعر كثير توفي سنة ١٠٤٨ (١٦٣٨) = ٣ً ومحمَّد بن خليل المكّي الاديب الشاعر الماهر من شعراء السلافة توفي سنة ١٠٤٤ (١٦٣٤) = ومحمد بن (بياض في الاصل) العالم الفاضل البغدادي الحنفي لهُ مؤلفات منها حاشية على شرح الالفيَّة للسيوطي توفي سنة ١٠٨٣ (١٦٧٢)

(الأدفويّ) جعفر بن ثعلب بن جعفر الشيخ الامام الفقيه الاديب كمال الدين ابو الفضل الشافعي صنَّف كتباً منها الامتاع في احكام السماع وتاريخ الصعيد ولهُ نظم ونثر توفي سنة ٧٤٨ (١٣٤٧)

(الارمويّ محمد) بن ابي بكر بن حامد اللغويّ صفيّ الدين ابو الثناء القرافي الف ذيلًا على نهاية ابن الاثير وكتاباً جامعاً في اللغة توفي سنة ٧٢٣ (١٣٢٣)

(الاسحاقيّ عبد الباقي) المنوفي من شعراء النفحة الاديب الشاعر المجيد لهُ تاريخ لطيف ورسائل في فنون كثيرة وشعر جيد توفي بعد السنة ١٠٦٠ (١٦٥٠)

(الاشمونيّ) علي بن محمَّد بن عيسى الامام العلَّامة المحقّق النحوي نور الدين ابو الحسن القاهري الشافعيّ لهُ مصنَّفات منها الشرح المتقن الشهير على الفيَّة ابن مالك وعلى قطعة من التسهيل والحاشية على الانوار في الفقه والرد على البرهان البقاعي ونظم جمع الجوامع في الاصول توفي بعد سنة ٩٢٠ (١٥١٤)

(الاكرمي) ابراهيم بن محمَّد الاديب الشاعر البارع المجيد الصالحي الدمشقي من شعراء النفحة صاحب الديوان المسمى مقام ابراهيم توفي سنة ١٠٤٧ (١٦٣٧)

(الايوبي) موسى بن يوسف بن ايوب القاضي المؤرخ شرف الدين الدمشقي الشافعيّ الَّف تاريخاً في مجلَّد وتذكرة في مجلَّدين توفي سنة ١٠٠٠ (١٥٩٢)

(البابيّ) مصطفى بن عثمان الفاضل الاديب الشاعر المجيد الحلبي الحنفي قاضي المدينة المنورة من شعراء النفحة توفي بمكة المشرفة سنة ١٠٩١ (١٦٨٠)

(السيوطي) ١ً عبد الرحمان بن ابي بكر بن محمَّد الشيخ الامام العلامة الحبر

البحر اعجوبة الدهر شيخ الاسلام جلال الدين ابو الفضل الحضيري القاهري الشافعي صاحب المولفات الحافلة الجامعة النافعة المتقنة التي تزيد على ٥٠٠ مصنف وقد تداولها الناس وتلقوها بالقبول واشتهرت وعمّ النفع بها توفي بمصر سنة ٩١١ (١٠٠٥) =

٢ً محمّد بن ابي بكر بن علي الشيخ الامام الاديب صلاح الدين الشريف الحسني السيوطي المصري الشافعي لهُ مؤلفات منها رياض الالباب والمرج النضر (اطلب مقالتنا في المشرق ٩ : ٥٨١ — ٥٨٩ عن هذا الكتاب) ومطلب الاديب ونظم النخبة توفي سنة ٨٥٦ (١٤٥٢)

• الابناء

(ابن آجُرّوم) محمّد بن محمّد الشيخ الامام النحوي ابو عبد الله الصنهاجي مولف الاجروميّة توفي بعد السنة ٧٢٠ (١٣٢٠)

(ابن ايبك) علي بن ايبك بن عبد الله الاديب الشاعر علاء الدين الناصريّ الدمشقي لهُ تاريخ على الحوادث وشعر كثير شهير توفي سنة ٨٠١ (١٣٩٨)

(ابن بشاره) خليل بن جمال الدين الاديب المؤرخ صلاح الدين الدمشقي صنّف تاريخًا للحوادث وغيره توفي سنة ٨١٥ (١٤١٢)

(ابن تغري بردي) يوسف بن تغري بردي الاديب المتفنن الامير جمال الدين ابو المحاسن البشغاوي الظاهري القاهري الحنفي مؤلف المنهل الصافي في التاريخ والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وكل منهما في ستّ مجلدات والدر المنظوم لجمع الفوائد والعلوم وغير ذلك توفي سنة ٨٧٤ (١٤٦٩)

(ابن جابر) محمّد بن احمد بن علي الامام العلامة ذو الفنون النحويّ الاديب الشاعر ابو عبد الله الضرير الاندلسيّ الهواريّ المالكيّ لهُ مولفات منها شرح الالفيّة ونظم فصيح ثعلب ونظم كفاية المتحفظ وديوان شعر كبير والبديعيّة المعروفة ببديعيّة العميان توفي سنة ٧٨٠ (١٣٧٨)

(ابن عزم) محمّد بن عمر بن محمّد الشيخ الامام المحدث المورخ ابو عبد الله شمس الدين التميميّ التونسيّ المكي الشافعي مولف التاريخ الذي حذوتُ حذوه بهذا التاريخ توفي سنة ٨٩١ (١٤٨٦)

(قلنا) هذا برضٌ من عدّ ونقطة من بحر اثبتناها دلالة على فضل صاحب الكتاب

مطبوعات شرقية جديدة

J. Rosenberg. PHOENIKISCHE SPRACHLEHRE UND EPIGRAPHIK. (Hartleben's Kunst der Polyglottie, n° 92). 1907. VIII-173 pp. und 4 Schrifttaf.

درس اللغة الفينيقيّة وآثارها الكتابيّة

كان المستشرق الالماني روزنبرغ خدم العلوم الشرقيّة بما ألّفهُ من المصنفات المفيدة لدرس لغات الساميين ان قديمة وان حديثة. وقد اصابت هذه التآليف الحظوى لدى الدارسين لحسن اسلوبها وقرب منالها. وها هوذا اراد تصنيف كتاب جديد لم نرهُ كفوءًا لهُ فوضع تاليفاً في تعليم اللغة الفينيقيّة ودرس آثارها. فان الآثار الفينيقيّة المكتشفة الى يومنا هذا نزرة قليلة لا يمكن ان تُستخرج منها الاصول الصرفيّة والنحويّة. وغاية ما يُعرف من امر هذه اللغة علاقتها مع العبرانيّة والفاظ معدودة وردت في جملة الكتابات. فالمسيو روزنبرغ اراد ان يسد هذا الخلل فوضع للافعال تصريفاً استعاره من اللغات المجاورة للفينيقيّة كالفونيّة القديمة والحديثة وغير ذلك من المصادر المبهمة او المشكوك فيها كالفقرات التي نقلها الشاعر اللاتيني پلوتوس فجاء هذا الغراماطيق مجموعاً غريباً لا يستطيع الدارسون ان يرجعوا اليهِ بثقة. وكذلك خلط الكاتب في كتابة اللغة الفينيقيّة بين قلمها الخاص بها وقلم اللغات المناسبة لها ومزج احرف هذه بتلك وبعكس. وزد على ذلك ان صور الحروف التي رسمها لا توافق الاصول التي اخذ عنها فيبقى الدارس مرتاباً عن صحتها وعن الزمن الذي شاعت فيهِ. وعلى رأينا لا نظن انّ احدًا من العلماء يمكنهُ ان يتخذ هذا التأليف كدستور لتعليمهِ ما لم يُعِد النظر فيهِ صاحبه ويصلحهُ اصلاحاً تاماً ويبني معلوماتهِ على درسهِ للاصول فلا يكتفي عن نقل ما اوردهُ منذ زمن مديد الدكتور شرودر (Dr Schrœder) او اشاعهُ العلامة لدزبرسكي (Lidzbarski)

س. ر

ALBUM DE TERRE SAINTE, 492 photographies. *Paris, Bonne Presse. Gros volume in-folio* (0,29 × 0,36). Prix : 25 Francs.

مجموع تصاوير الاراضي المقدّسة

قد كثرت تصاوير الاراضي المقدّسة التي يبيعها الباعة دون ان يكترثوا لدقة صنعها

او لحسن اختيارها . وذلك ما حدا بالآباء الصعوديين ان ينشروا سنة ١٨٩٦ في مجموع كبير مجمل مناظر الامكنة المقدّسة مصوّرةً تصويرًا محكماً . ويسرُّنا ان نبشر القرّاء بصدور طبعةٍ ثانية من هذا المجموع الفريد الذي زاد بهمّة اصحابهِ الافاضل سعةً وتحسيناً . فمن ذلك انهم اضافوا الى الطبعة الاولى من عملهم مئة صورة جديدة فاضحى المجموع حاوياً نحو ٥٠٠ منظر بالتصوير الشمسي وهو يباع بثمن بخس لا يتجاوز ٢٥ فرنكاً . ولو اراد احد ان يحصل على مثل هذا المجموع مفرَّقاً لما نال بغيتهُ باقل من ٤٠٠ فرنك . وممَّا يزيد هذا التاليف فائدةً انَّ في ذيل كل صورة شروحاً توقف القارئ على معانيها وخلاصة تاريخها . وهذه الشروح اما بالفرنسوية وحدها واماَّ بها وبلغة غيرها كما يحبُّ مقتنوها كالالمانيّة والانكليزيّة . فنحضُّ اذن المولعين بنظر بلاد فلسطين على التمتع بهذه الطرف فاننا نؤكد لهم انهم لا يتأسفون على ما ينفقون من الدراهم في سبيلها فانها ابهى وابدع ما يزينون بهِ معاهدهم ل.ج

Dr Hermann Schneider. Kultur und Denken der alten Aegypter. [Entwicklungsgeschichte der Menschheit, I], XXXVI-565 pp., 8°, + Karte. 1907, *Voigthaender*, *Leipzig*; / 12 *Marks*, 50.

آداب قدماء المصرين ومآثرهم

الدكتور شنيدر مؤلف هذا الكتاب طبيب نطاسي يحبُّ البحث عن مآثر القدماء وآدابهم . وهي نعم الغاية لولا انهُ يتعدَّى طورهُ في وصف الوضعيات فيحاول ان يبني عليها البنايات الشاهقة التي لا يحملها الاساس الموضوع . وعليهِ اننا نفرز بين الامور المقرَّرة التي يرويها مستندًا فيها الى الكتبة الاثبات والنتائج التي يستنتجها منها وفقاً لافكاره وتخيلاتهِ الغريبة . ففي الكتاب الذي نحن في صددهِ تراه قد عُني بجمع آثار المصريين الدالّة على آدابهم واحوالهم الدينيّة واثبت في ذلك نصوصاً شتى استعارها من علماء العاديات المصرية واستنجد في ادراك معانيها بالمستشرقين المبرزين في معرفة آثار مصريّة كالمسيو شافر (Schaefer) الذي اصلح كل ما كتبهُ في هذا الشان . فهذا القسم الوضعي كما ترى حسن وان سها صاحبهُ عن ذكر الاسانيد التي اعتمد عليها . اماَّ القسم الاخر الذي يتفلسف فيهِ المؤلف فانهُ يشطُّ فيهِ ايَّ شطط فعلى رايهِ ان هذه الآثار الدينيّة التي رواها عن المصريين ليست سوى ترقٍ طبيعي على حسب المذهب الدرويني ابتدأ على

زعمـهِ في البشر الاولين ثم لم يزل يتّضح ويتحسن ويترقى حتى بلغ الى الدين النصراني فيقابل بين آثار المصريين في دينهم والتعاليم النصرانيَّة ويدعي انَّ هذه من تلك تفرَّعت منها تفرُّع الغصون عن جذورها . والاثمار عن زهورها . فيا لله ما اغرب كل هذه المزاعم التي تخطر في بال هؤلاء الناس ولو تروَّوا قبل الكتابة لما عرضوا بانفسهم لانتقاد اهل الذوق وصانوا عرضهم من سخرية اهل العلم س . ر

شَذَرَاتٌ

ملاحظة على دبرا ليبانوس وردتنـا من حضرة الاب الفاضل المدقق القس جرجس منش هذه الاسطر نثبتها بحرفها: ارتأى الصيدلي القانوني عبد الله افندي رعد في مقالتهِ المستملحة في هذا الدير ان الباعث الذي حدا الاحبـاش ان يدعوه باسم جبل لبنان هو التيمُّن باسم ذلك الجبل المذكور في الكتاب الكريم والشبه بينه وبين الجبل من حيث التكوين الطبيعي والغابة التي تمتد في تلك الجهة اذ معظم اشجارها يشبه كثيرًا شجر الارز المشهور فدعوا المكان باسم جبل لبنـان . ويظن ان اطلاق اسم دبرا ليبانوس على هذا المكان اقرب عهدًا من تاسيسهِ فلا يتجاوز مائة سنة (المشرق ١٠ : ٧٧٠, ٧٧٣) . وهو قول لا يخلو من الصحة ولكن هناك باعثًا اقوى الى تسمية هذا الدير بدير جبل لبنان فيما يظهر وهو ان القس يعقوب ورفاقهُ الرهبـان الاحباش قد نزلوا لبنان في اواخر القرن الخامس عشر واستوطنوا دير ماريعقوب باهدن حتى عُرف بدير الاحباش على ما ذكرهُ العلامة الدويهي الشهير في تاريخ الطائفة (ص ١٤٢ و٤١٥) فمن المحتمل ان فرقة من هؤلاء الرهبان الذين نزلوا لبنـان قطنوا هذا الدير الحبشي فأُطلق عليهِ اسم دير الاحباش لما بين هؤلاء الرهبان من الوحدة القانونيَّة الرهبانيَّة . ومن القريب الى الصواب ايضًا ان هؤلاء الرهبان (او سواهم من ارفاقهم) الذين طُردوا من لبنان سنة ١٤٨٨ قفلوا عائدين الى بلادهم وعمروا الدير السـابق الذكر فأُطلق عليهِ (او اطلقوا عليهِ) اسم دير جبل لبنان تيمُّنًا باسمهِ وتذكارًا لهُ في كل حال لما يُرى من المشابهة بينهما بتكوينهما واشجارهما الباسقة النضرة . ففي الظن الراجح على كلا الوجهين ان الاحبـاش اطلقوا هذه التسمية على الدير المبحوث عنهُ في القرن السادس عشر فتبصَّر وتدبَّر

استدراك ورد في الصفحة ٨١٩ « ان عدد سكّان صور ٥٠٠٠ النصارى بينهم نحو ٨٠٠ ونصفهم بنيف موارنة » لكنّ حضرة الخوري رافائيل زلحف اعترض على هذا الاحصاء بما نثبتهُ هنا مع الشكر لحضرتهِ قال : « في تحرير النفوس الذي اجرتهُ الحكومة السنيَّـة سنة ١٣٢١ بلغ عدد سكّان صور نحو ٦٠٠٠ وعدد المسيحيين نحو ٢٣٠٠ بينهم ١٤٥٠ من الروم الكاثوليك والباقون موارنة ولاتين وروم ارثوذكس . واذ كان التحرير المذكور حديثاً منذ سنتين فقط فيجب التعويل على صحّتهِ »

اسئلة واجوبة

س سأل من زحلة احد ادبائها : ١ً ما هي اصحّ المصادر لمعرفة سلسلة الملوك الغساسنة . ٢ً هل يوجد اعتراض على بقايا النصارى الغساسنة في حوران الى اواسط القرن الخامس عشر للميلاد او حواليه ثمّ تركهم حوران ومجيئهم الى سوريّة ولبنان . ٣ً ما هي المدن والقرى في حوران التي سكنها الغساسنة . ٤ً هل يصحّ انّ اليونان او الرومان ابقوا آثار سلالتهم في حوران الغساسنة وحوران

ج نجيب على (الاوّل) انّ سلسلة الملوك الغساسنة كثيرة الاضطراب يجد فيها علماء الانساب مشاكل متعدّدة يصعب حلها لاسيما اذا قابلتَ بين روايات كتبة العرب التي دُوّنت في القرن الثالث للهجرة وبين ما ورد لقدماء المؤرخين المعاصرين من يونان ورومـان وسريان . وممن سعوا بالتوفيق بين كل هؤلاء الرواة العلامة دي ساسي في مقالاتهِ عن تاريخ عرب الجاهليّة . والعلامة كوسان دي پرسڤال في تاريخ العرب قبل الاسلام وبالاخص الكاتب المدقق البارع نولدكه في كتـابهِ الالماني عن امراء غسّان (Die Gassanischen Fuersten) . نجيب على (الثاني) انّ الغساسنة بعـد الهجرة اختلطوا ببقيَّة القبائل العربيَّة بحيث يصعب تدوين تاريخهم واخبارهم بعد ذلك العهد لاسيما الذين بقوا على دينهم النصراني فانّ الكتبة لا يكادون يذكرون من امر الغسّانيين شيئاً اللهم الّا بعض الاشـارات الخفيفة التي لا تروي غليلًا . نجيب على (الثالث) انّ الغساسنة سكنوا مدن حوران والصفا وجولان والبلقاء مع اخلاط من قبائل أُخرى كانوا يسكنون معهم وينقادون لامرهم . نجيب على (الرابع) انّ أُسر اليونان والرومان في حوران قد فقدت بتوالي الازمان فلا يمكن القطع بها لقلّة الآثار المُنبئة بالامر . وليس ما يتناقلهُ البعض سوى مجرّد حدس وتخمين لا يؤيدهُ شيء من الآثار ل . ش

المشرق

الاضاليل العصريَّة والكرسيّ الرسوليّ

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو

من مواعيد الرب المقرَّرة لكنيستهِ انَّ ابواب الجحيم لن تقوى عليها وليست ابواب الجحيم على ما بيَّنهُ لفيف الاباء واللاهوتيين الَّا الاضاليل والهرطقات التي يبثُّها ابليس كما الزوان بين الحنطة في حقل الكنيسة ليفسد الزرع الجيد ويتلف طعام الارواح الذي هو قائم بمعرفة الحقيقة وعقائد الايمان الثابتة

ولهذا السبب لم تزل الكنيسة في كل اطوار تاريخها منذ صعود الرب الى يومنا هذا تُصلي البدع حربًا عوانًا لتحفظ وديعة الايمان مصونة من كل ضرر يلحق بها منزَّهة من كل شائبة كما تسلَّمتها من ايدي المسيح رأسها. فتارةً تميط القناع عمَّا استخفى من الاضاليل واندسَّ متواريًا الى العقول السليمة وتارةً تفلُّ شوكة البدع بما تعقدهُ من المجامع المسكونيَّة او الاقليميَّة وطورًا تتصدَّى للتعاليم الكاذبة بما يصنّفهُ ملافنتها من التآليف المدقَّقة او ما يسطّرهُ احبارها الاعظمون من المناشير والرسالات العموميَّة الموجَّهة الى كل الكنائس. وبكل هذه الوسائل تجعل حدًّا للضلال وتردّ الكفر خاسرًا مدحورًا وتصون في قلوب ابنائها تلك الدرَّة الثمينة التي يبيع التاجر العاقل كل شيء ليقتنيها

وقد اظهرت الكنيسة في عهدنا حرصًا وعناية خاصة لمَّا عاد الجحيم فنفث سمَّهُ في انحاء شتَّى بما ابدعهُ من الاضاليل اللاهوتيَّة والفلسفيَّة والادبيَّة ليقوّض بذلك اساس الكنيسة ويضعضع اركانها. فقام ربَّان السفينة البطرسيَّة بازاء تلك الانواء ولم يدَّخر وسعًا الى ان نجَّى سفينتهُ من الغرق واطاش سهام المعادين. ولو تتبَّعنا فقط اعمال

الثلثة الاحبار الاخيرين الذين شرّفوا منذ نصف قرن كرسي الخلافة البطرسيّة لتحقّقنا ما احرزوهُ من المفاخر في تعقّب آل الضلال واطفاء جمرتهم فانّ البراءات البابويّـة التي تركوها تشهد لهم بالفوز التامّ بعدّة تعاليم باطلة لم يبقَ اليوم غير اسمها. وكذلك المجمع الواتيكاني اثبت حقائق متعدّدة حاول بعض الملحدين انكارها فكبا زندهم وذهبت ريحهم وانتصر الحقّ وزهق الباطل

على انّ الضلال مع مـا يناله من الضربات اللازبة لن يموت تماماً فهو ذلك التنين الكثير الرووس الذي لا يُقطع لهُ رأس حتى يبرز راساً آخر اشد سوءا واوخم عقبى ومن ثم ما دام الحقّ يناضل على الارض ليثبت ملكهُ الذي هو ملك الله عينه سيقوم ايضاً الضلال بازائهِ كعدوّه الالد الذي يترّصدهُ لثل عرشهِ السامي. فانّ الربّ سبق واخبر بذلك تلاميذهُ حيث قال لهم انهُ لا بُدَّ من وقوع الشكوك (متى ١٨: ٧) وانهُ سيقوم فيهم انبياء كذبة يعلّمون غير ما علّمهُ (متى ٢٤: ٢٤) وكذلك انبأ بولس الرسول بوقوع الهرطقـات وفشوّ البدع (١ قور ١١: ١٩) فلا عجب اذن ان يعود الضلال فيحاول نشر زوانهِ في الكنيسة حيناً بعد آخر

والحق يقال انّهُ منذ عشر سنوات قد فشت اوباء اضاليل مختلفة قام للدفاع عن حوزتها رجال اوقعوا اوهامهم في موقع الحقّ وانقادوا لترهات مخيلتهم فاعتصموا باضغاث احلامهم. ومن جملة هؤلاء بعض الكاثوليك بل بعض الكهنة ممن جعلوا الاراء الغريبة دينهم والبحث المفرط ديدنهم فانخدعوا ببهرجة بعض الاكتشافات العصريّة وانبهروا باقاويل قوم من اعداء الكنيسة فظنّوا انّ الكنيسة لعلى خطر عظيم وعلى شفير هـارٍ فجاؤوها يعرضون عليها اصلاحاتهم ومذاهبهم كأن فيها الخلاص

وقد جمع الكرسي الرسولي جدول هذه المزاعم المردودة في براءة خصوصيّـة اصدرها المجمع المقدس مع مصادقة الحبر الاعظم عليهـا . ولا غرو انّ هذا القرار من اخطر ما ابرزهُ رعاة الكنيسة في تفنيد التعاليم المستحدثة ونبذها . وقائمة هذه المزاعم تحتوي ٦٥ قضيّة لا يسمح عظيم الاحبار بتعليمها والقول بها بل يحتم على الكاثوليك كافةً برذلها وانكارها. وما عتم الاب الاقدس في اواسط ايلول المنصرم ان نشر رسالة عامة أيّد فيها حكم المجمع المقدّس واوضح فكرهُ في تلك التعاليم المبتدعة فكرّر نبذهُ لها وامر كلّ الكاثوليك بالحياد عنها وجحدها

ولمّا كانت اوامر الكرسي الرسوليّ لدينا مرعيّةً تقوم لنا مقام وصاياهُ تعالى الذي

منهُ مصدر كلّ ساطة رأينا ان نوقف قرّاءنا الشرقيين على مجمل تلك القضـايا التي ابطلها الكرسي المشار اليهِ لا لان احد كاثوليك الشرق ذهب الى تلك المذاهب الواهنة او اعلن بها بل لفائدتهم الخاصة فقط لئلّا ينخدعوا بمثل تلك الاقاويل اذا ما وجدوها مسطّرة في بعض المصنّفات الغربيّة او عثروا عليها في الجرائد الوطنيّة فيأخذوا منهـا حذرهم ويعرفوا ما في دسمها من السم الناقع . وتسهيلًا لادراك الامر ها نحن نقسمُ هذه القضايا الى بعض اقسام يرجع اليها القراء فيستخلصون منها التعاليم الصادقة التي يجب متابعتها والضدّ بالضدّ يظهر

١ الوحي والاسفار المقدسة

معلوم انّ الوحي هو اساس الديانة النصرانيّة فانّ كل مسيحيّ يعتمد في ايمانهِ على قول الله الذي سبق في العهد القديم واوحى بتعاليمهِ وشرائعهِ الى موسى الكليم والى انبيائهِ واصفيائهِ الذين دوّنوا ما تلقّنوا من فمهِ تعالى في الاسفار المقدّسة السابقة لزمن السيّد المسيح. ثم لمّا تمّت الازمنة وتجسّد الكلمة ابن الله وحلّ فينا اكمل تلك التعاليم ولقّنها اوّلًا شفاهًا الى رسلهِ ثم بعد صعودهِ الى السماء اوحى الى البعض منهم بأن يودعوا تلك التعاليم في الاناجيـل المقدّسة والرسائل الى الكنائس . وكل هذه الاسفار سواء كانت من العهد القديم او العهـد الحديث يعدُّها المسيحيّ في منزلة متساوية بمثابة كلام الله الحيّ الصادق تشهد على صحّتها الآثار التاريخيّة والاكتشافات الحديثة وتقاليد الشعب اليهودي وتواتر الشهادات في كنائس الشرق والغرب

فهذه الامور مع انطباقهـا على الحق اليقين وتسليم كل نصرانيّ بصحّتها منذ عشرين قرنًا زعم بعض الكتبة العصريين انّهـا محض اختلاق وانّ الوحي الالهي لا اصل لهُ ولا سند وانّ الاسفار المقدّسة كتبها بعض المؤلفين من تلقاء ذواتهم مستندين على معلوماتهم الخاصّة ومن ثم امكنهم ان يضلّوا في ما كتبوهُ وفي الواقع قد اخطأوا في مزاعم شتى. واستنتجوا من هذه المقدّمات ان الكتب المنزلة كمثل بقية التآليف البشريّة يستطيع انتقادها وتزييف اقوالها كلُّ من شاء وان الكنيسة لم تُعطَ السلطة لتفسيرها والدفاع عنها

هذا مجمل اقوال هؤلاء الكتبة الذين ينقضون اساس الوحي ويدكُّون اركان الدين وما هو افظع من ذلك انهم يدّعون بانهم كاثوليك وهم ملحدون ليس الّا.

فابطالًا لهـذه السفسطات قد خصَّ الكرسي الرسولي القسم الأوّل من جدول القضايا المبطلة من القضيَّة الاولى الى القضية الرابعة والعشرين (راجع منطوقها في اخر هذه المقالة ص ٩١٩) فترى هناك انَّ الكنيسة تؤيّد تعاليم المجمع الواتيكاني في الوحي وفي سلطة الكنيسة التامَّـة على حفظ الاسفار المقدَّسة وشرحها شرحاً قانونيًا وانَّ لها ان تتصدَّى لمن يُسيء شرح الكتب الالهية وتجري على كتاباته الفحص فتحظر على المسيحيين مطالعتها. ومن جملة ما قرَّرهُ هنا المجمع المقدس ان وحيهُ تعالى يتناول كل اجزاء الاسفار المقدسة من كلا العهدين دون استثناء وبالخصوص انجيل القديس يوحنًا الذي لا تختلف تعاليمهُ وصحّة معجزاته عن بقيـة الاناجيل من حيث اصلهِ الالهي ومصدره وانهُ حقيقة ليوحنًا الحبيب الذي شهـد بما عاين وشهادته حقٌ كما قال في نهاية انجيلهِ

هذه خلاصة القسم الاول من القضايا التي رأى الكرسي الرسولي تزييفها وفرض على المسيحيين نفيها

٢ عقائد الايمان الكاثوليكي

يحتوي هذا القسم الثاني اربع عشرة قضية (٢٥—٣٨) استخلصها المجمع المقدس من تآليف بعض المحدثين ليرذلها . ومدارها على عقائد الايمان الكاثوليكي عموماً وخصوصاً . فانَّ القحة حملت بهؤلاء الكتبة الى ان يزعموا بانَّ العقائد التي ورثتها الكنيسة من السيد المسيح وتسلَّمتها من ايدي رسلهِ الكرام ليست حقائق ثابتة مقرَّرة وانَّما هي اختراعات بشريَّة نظمتها الكنيسة في عداد المعتقدات تزيد وتنقص على اختلاف الازمنة والامكنة وليس منها فائدة الّا ان تساعد المؤمنين في مباشرة الاعمال الصالحة دون ان يحتاج المسيحي الى الخضوع لها والانقياد الى حكمها بالايمان. وما اكتفوا بان غيّروا جوهر العقائد وحقيقة تعريفها حتى ناقضوا اخصَّها واشرفها اعني عقيدة تجسد ابن الله وعقائد لاهوتهِ وصفاتهِ الجوهريَّة ومعجزاتهِ وموته فداء عن الجنس البشري ولاسيما قيامتهُ من بين الاموات فبلغوا في نكرانهم الى حيث لم يبلغ الهراطقـة القدماء والشيع البروتستانيَّة

فهذه الاضاليل المنافية للعقائد المسيحية قد ضربهـا الكرسي الرسولي بالحرم في جدول القضايا التي نحن بصددها وبذلك كرَّر ما طالما اثبتتهُ اسفار العهد الجديد وتعاليم .

الآباء وقوانين المجامع المقدسة اولًا بخصوص معتقدات الايمان التي لا يمكن ان يطرأ عليها ادنى تغيير فحفظتها الكنيسة كما أُودعتها من ايام الرسل دون زيادة ولا نقصان وانّما اوضحتها فقط ايضاحاً اجلى لمّا انكرها الهراطقة . وعليهِ يجب على المسيحي ان يعتقدها الاعتقاد الباطن التام ويُخضع لها قوى عقله ويضحّي دونها كل نفيس حتى حياتهُ ان لزم الامر كما فعل الوف الالوف من الشهداء واولياء الله

امّا لاهوت المسيح وتعاليمهُ وصفاتهُ الالهيَّة ومعجزاتهُ وافتداؤه للبشر وقيامتهُ من الموت فتلك حقائق لا يشك فيها الّا من جحد النصرانيَّة ونبذ معتقداتها الخلاصيّة وكتبُ الآباء واللاهوتيين مشحونة بالبراهين القاطعة التي تثبتها وتنفي عنها كل ريب وقد دوّنّا في مجلة المشرق عند سنوح الفرصة كثيرًا من هذه القضايا في مقالات نسج بردتها بعض اساتذة اللاهوت في كليَّة القديس يوسف يسهل مراجعتها على من يطلب الحجج الراهنة عن صحّة عقائدنا المسيحيَّة . وان طلب منّا القرّاء غير ذلك فنحن مستعدّون لتلبية دعوتهم

٣ اسرار البيعة

ليس فقط علّم السيد المسيح تلاميذه مدّة حياتهِ على الارض وتقدّم اليهم بان يذهبوا الى العالم كلهِ لينشروا دعوتهُ ويبشروا بانجيلهِ لكنّهُ ايضاً دفع اليهم مع وديعة الايمان وسائل فعالة انشأها بنفسهِ ومن شانها ان تخوّل النعمة الفوز بالنعيم السرمدي . وهذه الاسرار كما لا يخفى سبعة تشمل كل حياة الانسان منذ ميلادهِ اذ تجعلهُ ابنًا لله بالمعموديّة وتقوّيه ضد تجارب العدو بالتثبيت وتقيت نفسهُ بالقربان الاقدس وتطهّرها بسر التوبة وتشدّد قواها عند الموت بسرّ المشحة الاخيرة وتخول السلطة لرسم الاسرار بالكهنوت وتقدس العيال المسيحيَّة وتنميها بسرّ الزواج

على ان اولئك الجحَدة الذين انكروا المعتقدات المسيحيَّة ما كانوا ليسكتوا عن اسرار الكنيسة فمنهم من زعم ان هذه الاسرار علامات تقويَّة لكنها فارغة لا تعطي النعمة لمباشريها ومنهم من ارتأى ان السيد المسيح ليس هو منشئها بل ظهرت بعده بتوالي الازمان . وغيرهم نبذوا بعضها او شرحوا ما ورد عنها في الانجيل الطاهر شرحاً منافيًا لتعليم الكنيسة المتواصل فهذا يزعم انّ المعموديّة كانت طقساً رمزيًا لا يمحي الخطيئة وذاك يرى ان سرّ التثبيت لا اثر لهُ في العهد الحديث وبعضهم يحسب انّ

كلام الرب هذا هو جسدي هذا هو دمي مجاز لا حقيقة لهُ وكذلك قولهُ تعالى « تغفر الخطايا لمن تغفرونها وتُربط على من تربطونها » لا يراد بهِ سرّ التوبة

فلتزييف كل هذه الترهات حرم الكرسي الرسولي الاراء الفاسدة المخالفة لتعليم الكنيسة المتواتر في الاسرار وقرَّر ان السيد المسيح وحده انشأ تلك الاسرار واورثها نعمةً فاعلة تحلّ لا محالة على من يقبلها بالشروط المفروضة . ثمَّ نفى كل تفسير سقيم لاقوال الرب الصريحة الجليّة . وهذه القضايا التي تقرّر نعمة الاسرار وتبطل في شأنها اكاذيب الملحدين عددها ١٣ قضيَّة (٣٩—٥١) نهى عن تعليمها المجمع المقدَّس وبذلك قرَّر كلام الرب الذي يثبت الى الابد ولا يزول ولو زال السماء والارض ودافع عن تعاليم الرسل التي اودعوها في رسائلهم المنزلة او شهدت عليها بالتواتر كنائس الشرق والغرب وملافنتها العظام منذ عهد الحواريين الى يومنا وكشف سحابة الريب عن وجه شمس الحقيقة

٤ الكنيسة وتعليمها

قد خُصَّ القسم الاخير من جدول القضايا المنهي عن تعليمها لنفي الاضاليل المنوطة بالكنيسة وتعليمها . فممَّا ارتآهُ المبتدعون المحدثون كون الكنيسة جماعة بشريَّة لم ينشئها السيد المسيح ولم يجعل بين تلاميذه رئيساً يطيعونهُ في امور الدين كان هؤلاء المتشدقين نسوا قول الرب لبطرس : « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي » وقولهُ لهُ : « ارعَ خرافي ارعَ نعاجي » وقولهُ : « ثبِّت اخوتك » . ومثل هذا في الغرابة قولهم بان الكنيسة الرومانيَّة ليس لها مزيَّة على بقيَّة الكنائس وانَّما رئاستها نتجت عن بعض ظروف خارجيَّة . واغرب من هذا قولهم بانَّ تعاليم الكنيسة اليوم غير تعاليمها في قرون النصرانيَّة الاولى وانَّ معتقداتها في الله عزَّ وجلَّ وفي تكوين الخليقة وفي التأنس والفداء تخالف العلوم الطبيعيَّة ومن ثمَّ ستكون الكثلكة ابدًا معادية للعلم والتقدُّم ما دامت محافظة على عقائدها

ترى رعاك الله ما في كل هذه المزاعم من الكذب والشطط وكفى لتزييفها القول بان للدين والعلم مصدرًا واحدًا هو الله سبحانهُ وتعالى فلا يمكنهُ ان يجعل الحقائق الدينيَّة معاكسة للعلوم الطبيعيَّة . فبكل صواب اذن ابطلها المجمع المقدس في القضايا المحرَّمة (٥٢—٦٥)

واقوى دليل على ذلك انّ الكنيسة كانت في كل زمان من اعظم انصار العلوم فهي التي سعت في فتح الوف من المدارس لتعزيز العلوم واثارة الاذهان . وهي التي انشأت الجمعيّات الرهبانيّة لتهذيب الاحداث وبثّ المعارف البشريّة . فمنها خرج عدد لا يُحصى من مشاهير الرجال الذين شرّفوا كل الفنون وباعمالهم تنطق الآثار التي لا يفي بها احصاء من آداب وشعر وفلسفة وفنون جميلة وعلوم رياضيّة وفلكيّات . فليت شعري كيف اتت شجرة الكنيسة بمثل هذه الثمار الطيّبة ان كانت الشجرة سيّئة غير صالحة والشجرة تعرف باثمارها

هذا نظر عموميّ سطّرناه على صفحات مجلّتنا ولم نحاول فيهِ الردّ على تلك القضايا التي رذلها الكرسي الرسولي لانّ مثل هذا العمل يقتضي مجلّدات ضخمة اذ لم يترك هؤلاء الجحدة قضيّة من قضايا الايمان الّا نفوها او زيّفوها . وما سبب ذلك غير جهلهم بالعلوم اللاهوتيّة فانّهم لو اعملوا فيها النظر بعض ساعات لتحقّقوا انّ كل آرائهم مفنّدة بالبيّنات اللامعة منذ مئين من السنين لكنّهم آثروا الاعتماد على عقولهم الضعيفة وحملهم الكبرياء الى ان يجعلوا نفوسهم بمثابة علماء فطالما كان افنوا عمرهم في التنقيب والبحث وبنوا للدين صرحاً منيعاً لا يهدمهُ آل الكفر مهما طغوا وبغوا لكنّهم يرجعون خاسرين ويقرّون مرغومين بثبات الدين المستقيم الى منتهى العالمين

جدول

القضايا التي رفضها وحرمها المجمع المقدّس بمصادقة الحبر الاعظم پيوس العاشر

١ انّ القانون الكنسيّ الذي يقضي بعرض التآليف المتعلقة بالاسفار الالهيّة على مراقبة السلطة الدينيّة لا يتناول الكتبة المنقطعين الى انتقاد اسفار العهدين القديم والحديث والى تفسيرها تفسيرًا علميًّا

٢ لا يجوز الازدراء بتأويل الكنيسة للاسفار المقدّسة لكنّ هذا التاويل يجب عرضهُ على حكم المفسّرين واصلاحهُ على رأيهم

٣ يُستدل من الاحكام والتأديبات الكنسيّة التي أُبرزت في نفي التفسير العلمي العالي بان الايمان الذي تقتضيه الكنيسة منافٍ للتاريخ وان المعتقدات الكاثوليكيّة لا توافق تاريخ اصول الديانة المسيحيّة الراهنة

٤ لا يستطيع تعليم الكنيسة لن يقرّر حتى بتحديداتهِ الاعتقادية صحّة معاني الكتب المقدّسة

٥ لمّا كانت وديعة الايمان تشمل فقط حقائق الوحي ليس للكنيسة ان تبدي حكمها على اي وجه كان في قرارات العلوم البشريّة

٦ في تحديد حقائق (الايمان) تتحد الكنيسة المعلِّمة والكنيسة المتعلِّمة كلتاهما بحيث لا يبقى للكنيسة المعلِّمة الّا ان تصادق على اراء الكنيسة المتعلِّمة

٧ انَّ الكنيسة اذا ما رذلت بعض الاضاليل لا يمكنها ان تطلب من المؤمنين الرضى الباطن بالاحكام التي اصدرتها

٨ يخلون من كل ذنب اولئك الذين لا يكترثون لقضاء المجمع المقدّس الموكول اليهِ فحص الكتب ولاحكام بقيّة المجامع الرومانيّة

٩ الذين يعتقدون انَّ الله عزَّ وجل هو حقيقةً الموحي بالاسفار الالهيّة يعربون عن سذاجة عظيمة او جهل مفرط

١٠ ان الوحي في العهد القديم يتوقف على كون الكتبة الاسرائيليين قد عرضوا الحقائق الدينيّة على اسلوب خاص لم يحسن معرفتهُ الوثنيون او جهلوهُ تماماً

١١ لا يشمل الوحي الالهي جميع الاسفار المقدسة بحيث يجعل ايَّ قسمٍ كان من اقسامهِ بأمن من كل خطأ

١٢ على المفسر اذا اراد ان يتجرّد بنوع مفيد للدروس الكتابيّة ان يُقصي عنهُ كلّ فكر سابق بخصوص اصل الكتاب المقدّس الفائق الطبيعة فيشرحها شرحهُ للتاليف البشريّة ليس الّا

١٣ قد سعى الانجيليون انفسهم ثمّ نسل النصارى الثاني والثالث بترويق الامثال الانجيليّة فعلّلوا بذلك قلّة الفائدة الناجمة عن دعوة المسيح لليهود

١٤ في روايات متعدّدة لم يقصد الانجيليّون تدوين الحقيقة بل اوردوا ما حسبوهُ اجدى نفعاً للقرّاء وان كان زورًا باطلًا

١٥ انَّ الاناجيل لم تزل تزداد وتنقّح الى ان اصبحت في صورتها القانونيّة وهكذا لم يبقَ فيها من تعليم المسيح الّا اثر طفيف ومشبوه فيه

١٦ ليست روايات يوحنا تاريخاً صحيحاً وانّما هي تأملات تقويّة عن الانجيل

وكذلك الخطب التي رويت في بشارتهِ انّما هي مذاكرات لاهوتيّة في سرّ الخلاص مجرّدة عن الحقيقة التاريخيّة

١٧ قد بالغ الانجيل الرابع في رواية المعجزات ليس فقط زيادةً في بيان غرابتها بل لتكون ايضاً اجدر بتعظيم عمل الكلمة المتجسد ومجدهِ

١٨ ينسب يوحنا الى نفسهِ كونهُ شاهدًا عيانيًا عن المسيح وانّما هو بالحقيقة شاهد ممتاز عن الحياة المسيحيّة او حياة المسيح في الكنيسة في منتهى القرن الاوّل

١٩ قد عبّر المفسرون غير الكاثوليك عن معنى الكتاب المقدّس الصحيح تعبيرًا افضل من الكاثوليك

٢٠ لم يمكن الوحي ان يكون سوى حصول الانسان على معرفة علاقاتهِ مع الله

٢١ ان الوحي الذي هو موضوع الايمان الكاثوليكي لم يبلغ نهايتهُ مع الرسل

٢٢ ليست العقائد التي تعلن بوحيها الكنيسة حقائق منزلةً من السماء لكنّها تفسيرٌ ما للحوادث الدينيّة اصابهُ العقل البشري بعد عناء طويل

٢٣ انهُ لممكن — والامر واقع بالحقيقة — ان يوجد مناقضة بين الاحداث المرويّة في الكتاب المقدّس وعقائد الكنيسة التي تستند اليها تلك الاحداث بحيث يستطيع ارباب الانتقاد ان ينبذوا تلك الاحداث ويبطلوا ما تعتبرهُ الكنيسة غايةً في الصحّة

٢٤ لا لوم على المفسّر اذا وضع مقدّمات قياس يُستنتج منها بطلان او عدم يقين العقائد تاريخيًا على شرط ان لا ينكر رأسًا تلك العقائد

٢٥ ان الرضى بالايمان مرجعهُ في آخر البحث الى مجموع امور مرجّحة

٢٦ يجب ان تحفظ عقائد الايمان على مقتضى معناها العملي اعني كقاعدة تأمر بالعمل ليست كقاعدة توجب الاعتقاد

٢٧ لاهوت السيد المسيح لا يثبتهُ الانجيل فانّ ذاك عقيدةٌ استخلصها الضمير المسيحيّ من معنى اسم المسيح

٢٨ لمّا كان يسوع يتمّم اعمال بشارتهِ لم يشأ ان يعلم الناس كونهُ المسيح كما انهُ لم يقصد بمعجزاتهِ ان يثبت حقيقة هذا الامر

٢٩ يمكن التسليم بان المسيح من حيث التاريخ احطّ مقاماً منهُ من حيث الايمان

٣٠ في كل الآيات الانجيليَّة المتضمنة للفظة « ابن الله » ترادف هذه الكلمة اسم مسيح فقط ولا يُراد بها البتَّة انَّ السيد المسيح هو ابن الله الحقيقي الطبيعي

٣١ انَّ التعليم المختصَّ بالمسيح كما ورد في بولس ويوحنا وفي مجامع نيقية وافسس وخلقيدونية ليس هو تعليم يسوع وانَّما هو التعليم الذي ادركهُ الضمير المسيحي عن يسوع

٣٢ لا يمكن الموافقة بين معنى النصوص الانجيلية الطبيعيّ وتعليم اللاهوتيين عن ادراك يسوع المسيح وعصمة علمهِ

٣٣ يتَّضح جليًّا لكل رجلٍ لا ينقاد للتوهمات البديهيَّة احد الامرين امَّا ان يسوع ضلَّ في كلامهِ عن قرب مجيء المسيح وامَّا انَّ معظم تعليمهِ المدوَّن في الاناجيل الثلاثة الاولى لا صحَّة لهُ

٣٤ لا يمكن المنتقد ان ينسب الى المسيح علماً غير محدود الَّا على افتراضٍ لا يثبته التاريخ ولا يرضى بهِ العقل السليم اعني انَّ المسيح من حيث هو انسان احرز علم الله ولم يشأ مع ذلك ان يشرك تلاميذهُ والاجيال التابعة في احاطتهِ بكل تلك المعلومات

٣٥ لم يدرك يسوع دائماً سموَّ رتبتهِ من حيث هو مسيح

٣٦ ليست قيامة المخلص بحصر المعنى قضيَّة تاريخيَّة وانَّما هي فقط حادث من النظام الفائق الطبيعة المحض ممَّا لم تبيّنهُ الادلَّة ولا يمكن اثباته وقد استخلصهُ الضمير المسيحي شيئاً فشيئاً من حوادث اخرى

٣٧ ان الايمان بقيامة المسيح كان في الاصل عبارةً عن الاعتقاد بحياة المسيح المخلَّدة عند الله ليس بذات قيامتهِ

٣٨ انَّ عقيدة فداء المسيح للبشر بموتهِ ليست من الانجيل بل من تعليم بولس الرسول فقط

٣٩ انَّ الاراء في اصل الاسرار كما توهمها آباء المجمع التريدنتيني واثَّرت في احكام المجمع وقوانينه الاعتقادية لمختلفةٌ اي اختلاف عن الاراء الشائعة اليوم بالصواب بين مؤرخي النصرانيَّة

٤٠ تولدت الاسرار من تفسير الرسل وخلفائهم لبعض افكار المسيح ونياتهِ بعد

لستضاءتهم بانوار الظروف وعلى مقتضى ماجريات الحوادث

٤١ ليس للاسرار غاية اخرى سوى ان تحيي في عقل البشر ذكر الخالق ووجودهِ ذي النعم المتواصلة

٤٢ هي الجماعة النصرانيّة التي لشاعت وجوب المعموديّة وقبلتهُ كطقس الزامي واناطت بهِ واجبات الاقرار بالدين المسيحي

٤٣ انَّ عادة منح سرّ العماد للاطفال جرت بدافع نظام مستحدث كانت احدى نتائجه انقسام هذا السرّ الى سرّين اعني المعموديّة والتوبة

٤٤ لا شيء يثبت استعمال الرسل لسر التثبيت . وان الفرق الجوهريّ بين سري المعمودية والتثبيت لا يتعلّق بتاريخ اوائل النصرانيّة

٤٥ ليس ينبغي ان يُنظم كل كلام بولس عن انشاء سر الافخارستيّا (١ قورنتس ١١ : ٢٣—٢٥) في جملة الاحداث التاريخيّة

٤٦ لم يخطر على بال الكنيسة الاولى شيء من امر الخاطئ المزكَّى بواسطة السلطة الكنسيّة . وانَّ هذا الفكر لم تتعوَّدهُ الكنيسة الَّا رويدًا رويدًا . لا بل انَّ التوبة بعد ان تقرَّرت بين رسوم الكنيسة لم تُدعَ باسم سرّ لأنها كانت تعتبر كسرّ معيب

٤٧ انَّ قول الرب « خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم (يوحنا ٢٠ : ٢٢—٢٣) » لا يدلّ مطلقًا على سر التوبة مهما رضي بتقريره آباء المجمع التريدنتيني

٤٨ لم يقصد يعقوب الرسول في رسالتهِ (٥ : ١٤ — ١٥) ان يُعلن سرّ رسمهِ المسيح وانَّما اراد فقط ان يوصي بعادة تقويّة وان رأى في هذه العادة واسطة لنوال النعمة فانهُ لا يفهم ذلك بحصر المعنى كما أَلِفهُ اللاهوتيين الذين عرَّفوا الاسرار وحدَّدوا عددها

٤٩ انَّ الذين كانوا يتصدَّرون عادةً في العشاء السري اكتسبوا بتوالي الازمنة صفة كهنة لمَّا صار ذلك العشاء في رتبة الاعمال الطقسيَّة

٥٠ انَّ الرسل رقَّوا الى درجة كهنة او اساقفة اولئك الشيوخ الذين وكلت اليهم نظارة المسيحيين في اجتماعاتهم لكي يتولوا تنظيم تلك الاجتماعات النامية وليس ليخلّدوا دعوة الرسل وسلطتهم

٥١ لم يمكن انَّ يُعدّ الزواج في الكنيسة كاحد اسرار الشريعة الجديدة الّا مؤخرًا لانهُ كان يلزم لاعتبار الزواج كسرّ ان يبلغ قبل ذلك مذهب اللاهوتيين في النعمة والاسرار مبلغهُ من الكمال والثبات

٥٢ لم يكن في فكر المسيح ان يجعل الكنيسة كجمعيَّة تدوم على الارض على مدى اجيال متعدِّدة . وعلى خلاف ذلك كان في فكرهِ انَّ ملكوت السماوات سيحلّ قريباً ومعهُ ينقضي العالم

٥٣ انَّ النظام الذي تتألَّف منهُ الكنيسة ليس بثابت . بل الجمعيَّة المسيحيَّة كالجمعيَّة البشريَّة قابلة مثلها تغييرًا دائمًا

٥٤ ليست المعتقدات والاسرار ونظام الرئاسة سواء كان في النظر او في العمل الّا تأويلات وتحويرات طرأت على الفكر المسيحي فأنمت وكملت بزيادات خارجيَّة الجرثومة الصغيرة المودعة في الانجيل

٥٥ ما جال قطّ في فكر سمعان بطرس ان المسيح خوّلهُ الرئاسة على كنيسته

٥٦ قد اصبحت الكنيسة الرومانيَّة لجميع الكنائس ليس بتدبير رأساً من العناية الالهيَّة ولكن تبعاً لظروف سياسيَّة محضة .

٥٧ انَّ الكنيسة تناصب ترقّي العلوم الطبيعيَّة واللاهوتيَّة

٥٨ ليست الحقيقة اثبت من الانسان نفسهِ فانها تتغيَّر معهُ وفيهِ وبهِ

٥٩ لا يحتوي تعليم المسيح مجموعاً من الحقائق محدَّداً يشمل كل الازمنة وكل البشر وانَّما باشر فقط بحركة دينيَّة تتكيَّف بكيفيَّات شتى على مقتضى الازمنة والامكنة

٦٠ كان التعليم المسيحي باديءَ بدءٍ ذا صبغة يهوديّة ثمَّ اضحى بعد تغييرات متوالية اوَّلًا مصوّرًا لتعليم بولس ثمَّ لتعليم يوحنا ثم تحوّل الى تعليم اليونان حتى صار آخرًا تعليماً عمومياً

٦١ يمكن القول بلا مماراة انهُ ليس في الكتاب المقدَّس فصل واحد من سفر التكوين الى رؤيا يوحنا يتضمَّن تعليماً مطابقاً بالتمام لتعليم الكنيسة في المواضيع نفسها ومن ثمَّ ليس في الكتاب المقدَّس فصل واحد يتفق في معناه المنتقد واللاهوتيّ

٦٢ انَّ اهم القضايا في قانون ايمان الرسل كان معناها لدى النصارى الاوَّلين غير معناها عند نصارى عهدنا

٦٣ تظهر الكنيسة عاجزةً في دفاعها عن حفظ الآداب الانجيليَّة لأنها تتشبث مُصرَّة بتعاليم ثابتة لا تطابق التقدُّم العصري

٦٤ يقتضي ترقي العلوم بان يُصلح جوهر التعليم المسيحي في الله عزَّ وجل وفي التكوين وفي الوحي وفي اقنوم الكلمة المتأنس وفي سر الفداء

٦٥ انَّ الديانة الكاثوليكيَّة الحاضرة لا تستطيع ان توافق العلم الصحيح ما لم تتحوَّل الى ديانة مجرَّدة عن المعتقدات اعني الى بروتستانيَّة واسعة اباحيَّة

المنتخب من امثال حلب

حضرة الخوري توما أيوب السرياني الحلبي (تابع)

الفصل العاشر

في التمثيل في الحيوانات

١ متل السعدان بياكل وبيخزن

٢ متل الحيَّة ما بيبرد خلقها حتى تنفض سمَّها

٣ متل القطاط ما بتقع الّا على يديها ورجليها

٤ كل الغنم ما بتنساق بفرد عصاية

٥ حطت القنفدة ايدها على اولادها قالت لهم : كلكم شوك بشوك

٦ قالوا للديك : صيح . قال : كل شي. في محله مليح

٧ قالوا للجحاش : غد بتموتوا بكفنوكم : قالوا : خلي جلدنا يتمّ علينا

٨ قالوا للكلاب : ليش ما بتاكلوا وبتعووا قالوا : كارين في ايد ما بينمسكوا

٩ متل العصفور الواقف على دبق بيقيم ايد بتعلق الاخرى

١٠ هلي شاف الفيل ما بقى بيهاب الحمير

١١ بدك قط من خشب يصطاد وما ياكل

١٢ الرزق ما هو بكترة الركض اكتر من الكلب ما حدا بيركض

١٣ الغنمة اذا وقعت تكتر سكاكينها

١٤ لا يموت الديب ولا يفنى الغنم

١٥ لولا هديك الشبكة ما اجت هل سمكة

١٦ الف عصفور ما بتعبي هل مقلاية

١٧ متل النمل ضعيف جبار

١٨ متل القطاط بسبعة ارواح

١٩ الحيوان بنربط من رسنه وابن آدم من لسانه

٢٠ الحية لولا تأذيها ما بتاذيك

٢١ متل عنكبوت يبني بيته من احشاه

٢٢ عصفور بفلسين بيقلب في النهار الف قلبه

٢٣ السبع اذا كبر بتلعب في دانيه الفار

٢٤ قام الجمل حتى يرقص قتل ست سبع انفس

الفصل الحادي عشر

في الشغل والصانع والبطالة وعمل اليد

١ اذا جار الزمان عليك جور على يديك

٢ الشغل بيستر كل العيوب

٣ خذ الشغل ولا تاخذ بيت مال

٤ حرك الارطال ولا تقعد بطال

٥ اشتغل بفلس وحاسب البطال

٦ يا شاري احسب حالك بايع

٧ الانسان متل ما بيشتري بيبيع

٨ الكسل ما بطعمي عسل

٩ من راده كله فاته كله

١٠ من طلب الزود وقع في النقص

١١ ما حدا بتعيّر من كاره

١٢ هلي عمره ما كسب ما يبالي بالخسارة

١٣ اكل ومرعى وقلّة صنعة

الفصل الثاني عشر

في العافية والمرض

١ العافية بتروح بالقنطار وبتجي بالمتقال

٢ من عاش بالمداراة يموت سقيم

٣ هلي قشع الحمى بيرضي بالبردية

٤ ريسين في مركب بيغرق

٥ العين لولا اللمس طابت من امس

٦ الطيب ما بطيب

٧ وقعت السلامة لها علامه

٨ اشو مراد الاعمى غير جوز عيون

٩ يا ما في القبور من قلة المداراة

١٠ من طالت علته كان القبر مأواه

الفصل الثالث عشر

في الموت والوراثة والحزن

١ الموت ما هو نعاس الموت بدُّه هز اكتاف

٢ اذا كنت ما مت ما شفت من مات قدامك

٣ من راد يشوف الدنيا من بعده يشوفها من بعد غيره

٤ الف نومة كدر ولا نومة تحت الحجر

٥ كم من بنى وعلّى وراح وخلّى

٦ عزرائيل بيفوت على الدار بينقي الخيار

٧ ماتوا ما ورتونا وحق البكا ما عطونا

٨ كم كبش عند الراعي وكم خروف عند القصاب

٩ وان عاش عمر النسر لا بدّ من ان يقولوا مات

١٠ الانسان ما بيكشفه الّا الموت

الفصل الرابع عشر
في امثال فصول السنة

١ اذا كان القمر عليهِ طارة يكون ليلة غدا مطارة

٢ اذا احمرّت باكر خد عصاك وسافر واذا احمرت عشيه حوش لك مغارة دفية

٣ برد الصيف احدّ من السيف

٤ دخان يعمي ولا برد يقمي

٥ عنصر واطلع صلّب وادخل

٦ البرد والقلة اساس كل علة

٧ شمس شباط بتخلي الوجه متل مخباط

٨ اذا اقبلت آذار وراها وان احلت اذار وراهــا

٩ اذا احتجبت شمس ادار نعمة من النعم الكبار

١٠ طوال ما النصراني صايم البرد قايم

١١ في عيد البربارة النهار طول الفارة

١٢ الغسيل بالصيف صابون وبالشتا حطب

١٣ في الصيف حريق وفي الشتا غريق

١٤ سعد الدابح بخلي الكلب نابح

١٥ سعد السعود بدبّ الماء بالعود وبدفا كل مبرود

١٦ سعد الخبايا بتطلع العقارب والحيايا

الفصل الخامس عشر
في كل ما يؤكل

١ عند البطون بتطير العقول

٢ كل ما جت بتاكل طيب

٣ اذا كان الاكل زيتون الشبع متى بدّه يكون

٤ خبزنا حنطة وخبزكم حنطة ليش الخلطة

٥ ايام البطيخ لا تقول يا مرا اشو الطبيخ

٦ الحنطة بتدور بتدور وبترجع لقلب الطاحون

٧ طحنا الذهب والياقوت ما قاتنا عوض القوت
٨ هلي بيصبر على الحصرم بياكله عنب
٩ الرز اذا بات كبوه على الخرابات
١٠ اعطي خبزك للخبّاز ولو اكله كله (ويروى غالباً: ولو اكل نصّه)
١١ الخيارة قشّرها ولو كانت بقرش والتفاحة كلها ولو كانت بفلس
١٢ كُلْ من خبز العيلة ومن طعام النفسين
١٣ مكسور لا تاكل وصحيح لا تكسر وكُلْ واشبع
١٤ اكلوا الهدية وكسروا الزبدية
١٥ رز بحليب كل ما برد بطيب
١٦ صار للكشك راس وصار ينطبخ في العراس
١٧ ما في شي هين ولا آكل خبز اللين

الرسالة الزاخريّة

في امتناع اكل اللحوم للرهبانيّات الشرقيَّة (تابع)

نشرها حضرة الاب تيموتاوس جق احد تلامذة مدرسة القديسة حنة (الصلاحية)

فنقول ثانياً انه يتضح لنا ان جميع الاديرة والكنوبيات التي تأسست منذ عهد القديس باسيليوس قد تأدبت بفرائضهِ النسكية وقوانينهِ لان هذا القديس الجليل هو الذي سلم باحسن اسلوب شكل الكنوبيين بتعاليمهِ النسكيَّة كما يقول القديس يوحنا الدمشقي وهكذا يشهد كتاب فرائض الرهبـان الباسيليين اللاتينيين اي ان جميع الاديرة والنساك تمسكت بفرائض القديس باسيليوس. فان كان ذلك كذلك فلنفحص عن طريقة هذه الرهبنات والاديرة لنعلم ان كان اكل اللحوم مباحاً لها ام ممنوعاً ولنأتِ منها بذكر الاديرة الرئيسية القانونيَّة المشتهرة والثابتة الى ايامنا هذه وهي: اولًا دير الطور في سينا داخل مصر الذي ابتداء نشوء رهبـانهِ كان من عهد القديس انطونيوس. ثانياً ودير السيق المؤسس من القديس ماري سـابا في برية الاردن. ثالثاً ودير القديس

ثاودوروس الاسطوديون في القسطنطينية. رابعاً ودير جبل اثوس المؤسس من القديس اثناسيوس آثوس. فهذه الاربعة الاديرة هي الاديرة الرئيسية القانونية المشتهرة والثابتة الى ايامنا هذه

فهات نفحص اولًا هل ان رهبان دير الطور المقدس اباحوا قط اكل اللحوم واطلقت ذلك فرائضهم وقوانينهم وهل عُرفَ هذا الامر عندهم وعنهم. كلّا لانهُ من المشهود عن هؤلاء الرهبان انهم من عهد القديس انطونيوس الى الآن يحفظون هذا الامتناع بغاية الصرامة والتدقيق خلوًا من انحلالٍ اصلًا ولان ذلك لا يستريب بهِ احد فنستغني عن ايراد اخبارهم فيما يخصّ امساكهم العجيب اذ كان ذلك مفهوماً عند الجميع

ثانياً هل ان رهبان القديس مار سابا الذي تتلمذ اولًا تحت فرائض القديس باسيليوس في احد اديرة بلاد الكبادوك ثم انتقل الى اورشليم ونسك في دير القديس ثاوكتيسطوس حيث كان الرهبان يسيرون بطريق النسك بكمال النشاط والصرامة ثم بعد مباشرة السيرة المتوحدة وانتقال القديس ثاوكتيسطوس الى براري الاردن وهناك بعد جهادات عظيمة وسيرة سامية الامساك والتقشف تتلمذ لهُ كثيرون وابتنى الدير الكبير ثم أُقيم من بطريرك اورشليم بعد ارتسامهِ قساً رئيساً عاماً على جميع اديرة تلك الابرشية. فهل ان هذا القديس ورهبانه استعملوا قط اكل اللحوم بل هل عُرف عندهم ذلك كلّا ان الجميع يعلمون بطلان هذا الظن واخبار هؤلاء الرهبان تحقّق ذلك بل التيبيكون الاورشليمي الذي كتبهُ هذا القديس ترتيباً لجميع اديرة اورشليم يشهد شهادة نيّرة انهُ لا يُعرف عندهم اكل اللحوم اصلًا ولا في يوم عيد الفصح نفسهِ

ثالثاً هل ان رهبان القديس ثاودوروس الاسطوديتي قد عُرف عندهم قط اكل اللحوم. كلّا فليقرأ ترتيبهم في امر المأكولات والمشروبات من يريد ان يفحص عن هذه الامور في المقالة السابعة والخمسين من الحاوي الكبير ليرى كيف انهُ لا يوجد اثر لذكر اللحم عندهم بل ان اكلهم خارجاً عن الاعياد في ايام الصيام خبز وماء وقطنية من غير سليق وشرب خمر وفي الاعياد قطنية وسليق وبيض وجبن وسمك ان وجد ويسير من الخمر واما اللحوم فلا ذكر لها في ترتيبهم ولا يوجد اصلًا

رابعاً هل ان رهبان جبل آثوس المدعو الجبل المقدس يباح لهم اكل اللحوم.

كلّا. فليقرأ ترتيبهم من حيث المآكل والمشارب في المقالة المتقدم ذكرها من الحاوي الكبير ليعلم كيف ان هذه الاباحة لا تُعرف عندهم وهي غريبة لديهم جدًّا حتى في الاعياد العظيمة حيث انهم لا يسمحون فيها اي الاعياد العظيمة سوى بالمآكل الرهبانية المتقدم ذكرها اعني طبيخًا من القطنية والسليق بزيت وبيضًا وجبنًا وسمكًا ان وجد ويسيرًا من الخمر

فهذه هي طريقة الرهبان الشرقيين جميعهم الذين تدربوا بقوانين القديس باسيليوس في الاديرة المشتركة المعاش بل هذه طريقة كثيرين من الآباء القديسين ايضًا الذين تمسكوا بفرائض القديس المذكور ولم يذوقوا لحمًا قط منهم القديس الجليل ايرونيموس الذين يعده كاتب فرائض الرهبان الباسيليين من جملة الذين تمسكوا بفرائض القديس باسيليوس وتدرّبوا بقوانينهِ. والحال ان القديس المذكور لم يكن يأكل لحمًا اصلًا بل كان ممتنعًا عن ذلك على الدوام كما يخبر هو نفسهُ في رسالته الى تلميذتهِ القديسة استوكيوم وعن بقية الرهبان الذين في برية اورشليم الذين يقول عنهم هكذا: «انهم في حال المرض ايضًا لا يشربون سوى الماء ويحتسبون تنعمًا مفرطًا اكل طعامٍ مطبوخ». وهذا نفسهُ يخبر بهِ التاريخ الكنائسي عن هذا القديس عينهِ اي انهُ لم يكن يأكل شيئًا مسلوقًا ابدًا بل كان اكلهُ الخبز والماء لا غير. فلم تُبح اذًا قوانين القديس باسيليوس للرهبان اكل اللحوم والّا لوجدت هذه الإباحة في الرهبنات التي تمسكت وتدربت بهذه القوانين. ولنزد ذلك تأكيدًا من قبَل ثبات العادة القائمة في العمل عند جميع الرهبان الشرقيين الى يومنا هذا

فنقول ثالثًا انهُ مما لا يشكّ بهِ احدٌ ان هذه العادة العامّة لم تزل ثابتةً بالعمل الى الآن في جميع الاديرة الشرقية حيث انهُ الى الآن لا تعرف رهبنة في بلاد الشرق تُبيح اكل اللحوم بل المفهوم عند الجميع والظاهر بالعمل في كل مكان ان الرهبان يمتنعون عن اكل اللحوم كما يمتنعون عن الزيجة. ويعترف بذلك كتاب فرائض الرهبان الباسيليين اللاتينيين حيث يشهد مؤلفهُ شهادةً نيرةً بانهُ في جميع اديرة رهبنة القديس باسيليوس الشرقية مُنفى اكل اللحوم على الاطلاق حتى نهار عيد الفصح. بل يعترف ايضًا انهُ في اديرة هذه الرهبنة الكائنة في بلاد ايطاليا نفسها لم يكن يُعرف ذلك اصلًا حتى انهُ لشدَّة امتناعهم عن اكل اللحوم لم تَعد كلابهم تأكل لحمًا اذا قُدم

لها لانقطاعها الدائم عن مذاقة اللحوم وائتلافها على اكل الخبز . وهذا يثبتهُ بخبرٍ عجيب يورده في شأن هذا الامتناع

فمن اين اذًا يبان لنا ان قوانين القديس باسيليوس تبيح اكل اللحوم اذا كانت هــذه القوانين نفسها تنافي ذلك . وكذلك سلوك جميع الذين تمسكوا بقوانينه من رهبان الاديرة وغيرهم والعادة الظاهرة والقائمة بالعمل الى الآن

غير ان المعترض يقول ان هذه الاباحة توجد حقًا في قوانين القديس باسيليوس في القانون الخامس والعشرين الذي هو في البساطة والحشمــة نحو المآكل حيث يقول القديس هكــذا : لا يجب للراهب بوجه من الوجوه ان يلتمس اختلاف الاطعمة ولا تحت شكل الزهد يجتهد في تمييز المآكل وتبديلها لان هذا الشيء هو تبلبــل القانون الصالح والنظام العمومي وقد يعطي مادةً لشكوك كثيرة والويل لمن يُدخل في العشرة النسكيَّة اسباب قلق مثل هذه . فلذلك ولو ان ذلك اللحم الناشف المالح الذي فُرض من الاباء القديسين انهُ يجب لستعمالهُ يكفي عوض غير تمييقــات اذا وضع في مرقة غير اطعمة او خضرة فلاجل ذلك لا يجب لاحد تحت شكل امساك اختيــاري (مثلًا يكون يرفض استعمال اللحوم) ان يلتمس غير اطعمة ازيد ثمنًا وافخر تمييقًا لكن يبلّ الخبز بالسذاجة من غير عبادةٍ باطلة في مرقة تلك القطعة الصغيرة ويقتبلهُ بشكرٍ لان تلك القطعة الصغيرة الموضوعة بماء كثير المقدار او اذا صدف الامر وضعت في بعض اطعمة من الحبوب لا تدخل على اللذة والشراهة بل تكون زهدًا كلي التقشف فينبغي اذًا لمن ينذر الرهبنة والتقوى الّا يعتبر هذه المراعاة الباطلة لاننا نمتنع عن بعض اشياء ليس تشبهًا باليهود بل هربًا من اللذة والامتلاء (١

١) (تنبيه) اعلم ان هذا القانون هو مأخوذ من النسخة المستخرجة من النسخة اللاتينيَّة التي كتبها الكردينال بيصاريون للرهبان الباسيليين اللاتينيين ولكن لانهُ يتبين انهُ غير مضبوط بالنقــل العربي وليس بخالٍ من التحريف اللفظي وعدم الانسجام فلذلك نوردهُ من نسخة أُخرى مترجمًا من اصلهِ اليوناني لا لنضعف معناه بل لنوضحهُ ونزيدهُ بيانًا فنقول ان هذا القانون يوجد منقولًا عن اليوناني هكذا :

ينبغي للناسك بالجملة ان يلتمس تفاصيل المآكل ولا بوجه الزهــد والنسك يجتهد في تمييز الاطعمة وتبديلها لان هذا انقلاب حُسن الترتيب والنظام العمومي وسبب

فيقول اذاً المعترض انهُ يتضح لنا من هذا القانون. اولًا ان اكل اللحم لم تمنعهُ الاباء القديسون بل سمحوا بهِ ورسموه للرهبان كما يقول القديس انهُ رسم من الاباء القديسين. ثانيا ان القديس باسيليوس نفسهُ لم يمنعهُ بل اطلقهُ بقولهِ « انهُ لا يجب ان يطلب الراهب غير اطعمة ازيد ثمناً بل يبل الخبز في مرقة تلك القطعة الصغيرة ويقتبلهُ بشكر ». فلا الاباء القديسون اذاً ولا القديس باسيليوس نفسهُ حرَّم على الرهبان اكل اللحم بل اباحهُ لهم

فعن هذا الاعتراض الذي اوردناهُ على انفسنا بكل سذاجةٍ وامانةٍ كما ينبغي نجيب قائلين: لعمري ان هذا القانون لا يدل على اطلاق القديس اكل اللحم بمقدار ما يدلّ على ما يضاد ذلك. ولبيان ذلك نقول (اولًا) ان هذا اللحم الذي يقولهُ القديس انهُ من الاباء اولًا ليس هو لحماً على اطلاق اللفظ بل هو لحم مقدَّد مملح. ثانياً ان الاباء كما يتضح من قول القديس لم يسمحوا بهِ ليؤكل على الاطلاق بل لان يستعمل على هذا النوع اي ان يوضع منهُ شيء يسير جدًا اي قطعة صغيرة كما يقول القديس بماء كثير المقدار او بغير اطعمة من الحبوب والسلاقي وذلك عوضاً عن غيره من التوابل والادم. فهذا كل ما رسمهُ الاباء الذين يُشير اليهم القديس

نقول (ثانياً) ان القديس باسيليوس لا يقصدُ بكلامهِ المتقدم ان يُطلق للرهبان على

شكوك كثيرة والويل لمن يدخل في زمرة نسكيَّة اسباب قلق مثل هذه فلذلك ان كان ذلك المسك العظيم (بهذا يشير الى اللحم المقدَّد) الذي رسم من الاباء القديسين انما يطرح منهُ شيء يسير في المآكل عوضاً من بعض توابل مخلوطاً بباقي طبع الماء او في السلاقي فلا يتعلل احدٌ كمعجبٍ في نفسهِ وتحت شكل تورع اختياري (مثلًا يكون يرفض لستعمال اللحوم) ان يطلب اكرم الاطعمة واصلحها. لكن يبل الخبز من غير عبادة باطلة في مرقة تلك القطعة الصغيرة وليستعملهُ بشكر لان تلك القطعة اليسيرة الموضوعة في كثرةٍ من الماء هذا عظم مقدارها او يتفق ان تطرح في طعام حبوبي لا تكون طلباً للذة والتنعم بل امساك محرر جدًا. فيجب اذا على الناسك الذي للبر ألّا يعتبر هذا التحفظ الباطل لاننا لا نمتنع عن هذه الاشياء كمتهودين بل هاربين من الشبع والتنعم (انتهى)

الاطلاق اكل اللحم المذكور على النوع المقدم ذكرهُ . ولا ان يرسمهُ ماكلًا اعتياديًا لهم . كلّا ليس هذا قصدهُ . بل قصدهُ الخصوصي واليقيني ان يُفهم عن تميز المآكل الصادر عن ضمير سقيم وعبادةٍ باطلة بشكل زهدٍ مصنَّع الذي من شانهِ ان يسبب في العيشة المشتركة السجس والتبلبل ويقدم مادةً لشكوك كثيرة . فهذا هو قصدهُ الخصوصي واليقيني الذي تدل عليهِ جملة الفاظهِ وعنوان هذا القانون حسب ترجمته من اصلهِ اليوناني حيث يوجد عنوانهُ هكذا : « في النهي عن التقزز من الاطعمة وفي البساطة في المآكل » . ولاجل هذا القصد ولحال الزمان الذي كان فيه هذا القديس رأى انهُ لا يجب على الناسك ان يمتنع بعبادة باطلة وتحفظ مشهود عن بعض اطعمة كانها نجسة وليست بطاهرة (كما كان يعتقد كثيرون من تُبَّاع ماني في عهد هـذا القديس وبحجة النسك يمتنعون عن اكل اللحوم وغيرها) بل الخليق بهِ ان ينزع عنهُ هذا التحفظ الباطل والمقدّم شكوكًا كثيرة ويبل خبزه بسذاجة في مرقة تلك القطعـة الصغيرة حيث يستعمل هذا النوع من المآكل الكلي التقشف ويقبلهُ بشكر . ولا يقلب النظام الرهباني ويقدّم عثرةً لكثيرين تمسكًا بعبادةٍ باطلةٍ .

فهذا كل ما يفهم بوجه التحقيق والتدقيق من القانون المذكور ولا يمكن ان يفهم منهُ ان بعض الاباء رسموا هـذا النوع من المآكل الذي هو حقًّا كلي التقشف ليطلقوا للرهبان مطلق اكل اللحوم . ولا القديس باسيليوس ارتأى هذا الرأي . بل رسموا ذلك على الخصوص لمضادة راي اللذين يرون في اللحوم وغيرها رأيًا رديًا ولنزع التحفظ الباطل من كثيرين اللذين لاجلهم ولدحض رأيهم رُسمت ايضًا بعض قوانين ابوية بل رسولية ايضًا (١ تحرم كل من يمتنع من الاكليريكيين من الزيجـة واكل اللحم وشرب الخمر لا لسبب النسك والتعفف بل كانَّ هذه الاشياء نجسة وليست بحسنة . فكما ان هذه القوانين انما تحرم الامتناع عن الاشياء المتقدم ذكرهـا اذا كان مسببًا عن نيةٍ محترفة واعتقادٍ باطل ولا تنكرهُ على الذين يستعملونهُ نسكًا وتعففًا بل توجبهُ لهم كما كانت الرسل انفسهم . هكـذا الاباء القديسون ومعهم القديس باسيليوس انما ينهون عن الامتناع عن اكل اللحوم اذا كان هذا النوع الرديّ اي اذا كان مسببًا عن اعتقادٍ باطلٍ ونيةٍ محترفة ويريدون ان ينزع هذا التحفظ المهلك والمسبب شكوكًا كثيرة بهذا النوع

١) قانون ٥١ من قوانين الرسل

من المآكل الجزيل التقشف . لا ان يطلقوا ذلك ويرتبوه للممتنعين عن اكل اللحوم نسكاً وتعففاً ولا لان يشيروا الى ان الرهبان لا يجب ان يمتنعوا عن ذلك . وهذا يحققهُ ما يختم به القديس قانونهُ هذا قائلاً : فينبغي اذاً للناسك البر الّا يعتبر هذا التحفظ الباطل لاننا نمتنع عن هذه الاشياء لا كمتهودين بل كهاربين من الشبع والتنعم » . فها هوذا المعلم الجليل يصرح جلياً انهُ انما ينهي عن التحفظ اليهودي الذي كان يمتنع بهِ البعض عن هذه الاشياء كانها نجسة ثم يوضح صريحاً ان الرهبان يمتنعون عن هذه ولكن لا تهوداً بل نسكاً وتعففاً

فاين اذاً اباحة اكل اللحوم واطلاقها للرهبان بقانون هذا القديس . اين ذبح الغنم والمعزى والخنازير والدجاج فها انهُ قد اتضح جلياً اولاً ما هو الذي سمح بهِ القديس لنزع الشكوك المهلكة ودحض العبادة الباطلة وهو بلُّ الخبز بمرقة تلك القطعة الصغيرة من اللحم المقدَّد الموضوعة بمقدار جزيل من الماء مع الحبوب والسلايق وذلك حينما كان الامر داعياً الى ذلك لنزع ما ذكرنا من الشكوك والعبادة الرديئة . ثانياً قد اتضح صريحاً باعتراف القديس نفسهِ ان الرهبان يمتنعون عن ذلك ولكن لا تهوُّداً بل هرباً من الشبع والتنعم

فباطلاً اذاً يستند البعض على هذا القانون الذي هو بعيد جداً ومن كل وجه عن هذه الاباحة الغريبة التي لو كان حقاً هذا القانون لهُ دلالةٌ ما عليها لما كان يجب اعتبار ذلك . حيث ان بقية اخبار هذا القديس وطريقة جميع الرهبنات الشرقيَّة التي تأسست على تعليمهِ وفرائضهِ والعادة العامَّة الظاهرة والثابتة في العمل تنافي هذه الاباحة وتنكرها . ومن المعلوم ان مثل هذه الرسوم والفرائض تفسِّرها العادة القديمة والسالكة بالعمل عند الجميع اكثر مما يفسِّرها الحرف فكيف اذا كان الحرف نفسهُ متفقاً مع العادة القديمة والعمل

غير ان المعترض ربما يعترض ثانياً بطريقة الرهبان الباسيليين اللاتينيين المتمسكين بمختصر فرائض القديس باسيليوس الموجود بهِ هذا القانون زاعماً انهُ لو لم يعتبر هذا القانون مُطلقاً اكل اللحوم للرهبان لمَا كان الرهبان المذكورون استباحوا ذلك

فعن هذا الاعتراض نجيب قائلين : ان الرهبان المذكورين استباحوا ذلك حسب عادة غالب الرهبان اللاتينيين وبسماح خصوصي من الكرسي الرسولي مسلَّم . اما انهم

استباحوا ذلك من قبل هذا القانون نفسهِ فذلك منكر . والبرهان على حقيقة قولنا هذا هو ان الرهبان المذكورين لم يكونوا سابقاً يستبيحون اكل اللحم في جميع اديرتهم اصلًا كما يشهد بذلك صريحاً كتاب فرائضهم والحال انهم كانوا متمسكين بهذه القوانين ويفهمونها جيدًا . فلم يستبيحوا اذًا اكل اللحم من قبل هذا القانون بل بسماح خصوصي حسب العادة المشتهرة في بلادهم (لهُ بقيَّة)

اثر تأريخي قديم للواقدي

نظر في كتاب فتوح الشام ونسخهِ المختلفة للاديب المحقق يوسف افندي ليَّان مركيس

الشيخ الامام والسيّد الفاضل محمَّد بن عمر الواقدي من اقدم مؤرخي الاسلام واشهرهم سمعةً كان مولدهُ في المدينة سنة ١٣٠ (٧٤٧ م) واتَّصل ببني عبَّاس فاستقضاه الرشيد والمأمون زمناً طويلًا على بغداد وفيها توفي في شهر ذي الحجة من السنة ٢٠٧ (٨٢٣ م) وكان المأمون يكرم جانبهُ ويبالغ في رعايتهِ . وصنَّف كتباً في التاريخ منها كتاب المغازي طبعهُ العلّامة كريمر (A. Kremer) في كلكوتَّا سنة ١٨٥٦ ومنها كتاب في فتوح الامصار ذكرهُ البلاذري والمسعودي وغيرهما وهو تأليف اخذتهُ يد الضياع فصار اثرًا بعد عين مثل كتب اخرى عدَّدها صاحب كتاب الفهرست ابن النديم (ص ٩٨ و٩٩) ولا يُعرف من خبرها شيء

ومما لم يذكرهُ القدماء للواقدي وشاع اليوم على اسمهِ عدَّة فتوحات تكرَّر طبعها كفتوح منف والاسكندريَّة وفتوح الجزيرة وفتوح افريقية وفتوح البهنساء تجدها كلّها منسوبة للواقدي ومشحونة حكايات غريبة واحاديث ضعيفة يصعب تصديقها . ولعلّ هذه الفتوحات كلّها انتزعها الكتبة من كتاب الواقدي فتوح الامصار او من بعض كتبهِ المفقودة وزادوا عليها زيادات متوالية حتى اصبحت في الصورة المعروفة بها اليوم

على انَّ للواقدي كتاباً آخر اشهر من الكتب السابقة وارقى منها عهدًا وان دخلتهُ مثلها الاقاصيص الغريبة والروايات المستهجنة . ألا وهو كتاب فتوح الشام كان ألّفهُ الواقدي واملاه على كاتبهِ محمَّد بن سعد الزاهريّ . وكانت هذه النسخة معروفةً عند

المؤرخين كما يشهد على ذلك ابو الفرج ابن النديم في الفهرست (ص ٩٩) وقد ذكرها من بعدهِ الامام جمال الدين ابي الفرج بن الجوزي احد الكتبة الموثوق بهم في القرن الثالث عشر

امَّا اليوم فان راجعت النسخ المتعدّدة الباقية من هذا الكتاب في خزائن كتب لندن وباريس وبرلين ومصر وجدت اكثرها سقيمةً قريبة العهد من زماننا مشوَّهة بالقصص الغريبة التي اشرنا اليها يختلف بعضها عن بعض اختلافاً عظيماً حتى لا يكاد يُركن اليها . رعن هذه المخطوطات نُقلت النسخ المطبوعة في كلكوتَّا سنة ١٨٥٤ ونسخة مصر سنة ١٨٦١ ثم كُرِّر طبعها مراراً

وعُرف فتوح الشام للواقدي في اوربا قبل غيرهِ من تواريخ العرب الأثبات لانَّ احد علماء الانكليز كان نقلهُ الى الانكليزيَّة فعوَّلوا عليهِ في تآليفهم عن الفتوحات الاسلاميَّة لاسيا جيبون (Gibbons) الانكليزيّ والفرنساوي لوبو (Le Beau) فلمَّا ظهرت بعد ذلك مؤلفات الائمة الفطاحل كابي جرير الطبري والبلاذري والمسعودي وغيرهم وكثر المحققون الفرنج المطلعون على مآثر العرب المنقبون عن اثبتها صحَّةً واصدقها لهجةً استضعفوا روايات الواقدي واهملوا مطالعتهُ وتبين لهم بعد التحرّي انَّ كتاب فتوح الشام منسوب له زوراً او بالحري انَّ ايدي المدلّسين قد ادخلت فيهِ اموراً غريبة لم يكتبها الواقدي . وزاد ريبهم في امر كتابهِ انَّ اشياء كثيرة تُنسب فيها الى الرواة كالاقاصيص العاميَّة دون ذكر اسم الواقدي غالباً فيكرّر الناسخ ما حرفهُ « قال الراوي »

وما هو اعظم من ذلك ان علماء التاريخ في الاسلام نسبوا الى الواقدي روايات ضعيفة وعدم انتقاد قال ابن خلكان في وفيات الاعيان في ترجمة الواقدي : « وضعفوهُ في الحديث وتكلَّموا فيهِ » وكذلك ابو جعفر الطبري امام المؤرخين يغلطهُ في مواطن كثيرة وفي احاديث عديدة ولاسيا في تاريخ الوقائع وفتح البلدان . لكنَّنا لا نستطيع ان نبرز في ذلك حكماً باتاً لفقدان النسخ الصحيحة من تآليفهِ وبالخصوص كتاب فتوح الشام الذي اصبح بعد تلاعب النسَّاخ باخبارهِ اشبه برواية فكاهيَّة منهُ بتاريخ مدقّق

هذا ما اتّفق عليهِ ارباب البحث غير انَّ هناك مسألةً اخرى حريَّة بالنظر . هل يا

ترى لا يجد العلماء في كتاب الواقدي الذي نحن في صدده اخبارًا تستحق الاعتبار وتجعل هذا الاثر رغمًا عن علّاته من الموارد التي يجوز الالتجاء اليها . أجل انّ في فتوح الشام عدّة فوائد تجعلهُ في مصافّ المؤلفات التي توقفنا على حقائق متعدّدة من تاريخ الفتوحات الاسلاميَّة . قال جبون المؤرخ الانكليزي: « ان كتاب الواقدي اقدم مصنَّفات وصل الينا في الفتوحات الاسلاميَّة ويفوق اشباههُ بكثرة تفاصيلهِ لا بل يُعرب بنوع جلي عن احوال الزمان الذي جرت فيهِ تلك الحوادث في نشأة الاسلام وعن عادات الامم التي عليها مدار كلامهِ »

والحقّ يقال ان من تأمل كتاب فتوح الشام وجرّدهُ عن نوافلهِ وجد فيهِ فوائد جمَّة لا تكاد تراها في غيرهِ من المؤرخين الذين اضربوا عنها حبًّا بالايجاز . هذا مع ما امتاز بهِ الكتاب من العبارة المنسجمة اللطيفة المأخذ وتفاصيل الاخبار وتنميق الحوادث . وان قابلناهُ مع مصنَّفات بعض مؤرخي اليونان كهيرودوتس وثيوفانس وكدرانيوس تحققنا انهُ لا يبعد عنها في صفاتها الطيّبة . فلا غرو اذن ان وقعت فيهِ روايات غير صحيحة او احاديث ملفّقة فان ارباب الانتقاد كالمعدّنين الحاذقين يلقون التراب ونفاية المعدن ويستخلصون الجواهر الثمينة التي يغالون في ثمنها ويقدّرونها قدرها الصحيح . وها نحن نثبت هنا بعض الحوادث التي تفرّد بها هذا الكتاب ومن شأنها ان تؤيد زعمنا

١ جاء في الصفحة ٩٨ من طبعة كلكوتا « انّ ابا عبيدة ارتحل مع المسلمين من حمص حتى نزل على الرستن فرآها حصنًا منيعًا وماؤها غزير وهي مشحونة بالرجال فبعث اليهم رسولًا يأمرهم بالصلح وان يكونوا في ذمَّتهِ فأبوا الخ » . ويلي هذا خبر فتح الرستن المعروفة عند اليونان باسم اريتوزا

وان راجعت مؤرخي العرب والروم لا تجد ذكرًا لفتح هذه البلدة الصغيرة التي عاينَّا اخربتها قبل سنتين . فان موقعها على نهر العاصي بين حمص وحماة دليل واضح على أن المسلمين بعد فتح حمص لم يقصدوا حماة الّا بعد ان فتحوا حصن الرستن المنيع وقد كان لهذه البلدة قديمًا سور و برجان وكانت آثارها باقية الى القرن السابق فوصفها العلّامة كرل ريتر الالماني في سياحتهِ الى الشام وقد عاينَّا نحن ايضًا آثارها فوجدنا بينها ابوابًا على الطرز العربي وغير ذلك ممّا يشهد على عمرانها السابق الذي يشير اليهِ الواقدي

٢ ومن ذلك اشارة الى عادات الروم في ذلك الزمان كذكره الكنائس الخشبيَّة التي كان يلتجئ اليها الروم في حروبهم فانهم كانوا ينقلونها من مكان الى مكان ليقيموا فيها الادعية قبل خوضهم ميدان الوغى وكثيرًا ما كانوا يقدمون فيها ذبيحة القربان قبل الوقائع. قال الواقدي (طبعة الهند ٣: ١٠٥ طبعة مصر ٢: ١٩)

« ثم خرج هرقل من كنيستهِ الى عسكره ليشرف على الخيام والسرادقات فرأى سرادقات البطارقة قد ضربت ونوبيات الملك قد نُصبت وبازاء كل نوبيَّة كنيسة من الخشب مدهونة بالذهب والاجراس على ابوابها. قال وكان زي الروم ذلك. وهذه البيع الخشب يتنافسون فيها وفي صنعتها تكون معهم في اسفارهم وفي عساكرهم »

فمن له المام بتواريخ الروم اي البوزنطيين يعلم ما اعتادوهُ من نصب هذه الكنائس في مضاربهم ليصلي فيها الجند قبل انطلاقهم الى الحرب وهذه العادة كانت مألوفة منذ عهد الامبراطورين والنس وثاودوسيوس كما بيَّنا ذلك في مقالة لنا كتبناها عن تاريخ مقري كوي من ضواحي القسطنطينيَّة وربما كان الملك يحضر الرتب الدينيَّة ويوقد الشمع بيدهِ

وقد ورد مع صفة هذه الكنائس ذكر « المذبحة » يريد بها الواقدي الذبيحة الطاهرة التي كان يقدّمها كهنة الروم ويتقرَّب فيها الجند لتناول القربان الاقدس

٣ ومن ذلك اوصاف متعدّدة تلوح منها احوال ذلك العصر وعادات اهلهِ كوصف حالة الروم الادبيَّة التي كانوا عليها ايَّام الفتح (راجع خطاب الملك هرقل في كنيسة انطاكية في طبعة كلكوتا ١: ١١١). وكوصف مصارعة البطريق وخالد بن الوليد مع ما يذكر هناك من تعريف سلاح الروم الثقيل وخفّة العرب في ركوب الخيل الى غير ذلك من العادات الممثلة للقوم

٤ وممَّا دوَّنهُ الواقدي في فتوح الشام واثبتهُ من بعدهِ المؤرخون دخول خالد بن الوليد الى دمشق عنوة من جهة الباب الشرقي بينما كان ابو عبيدة دخلها من باب الجابية بالامان والصلح. وقد ذكر الواقدي تاريخ هذه الواقعة في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٢٣ للهجرة وكأنَّ الطبري (٤: ٢١٥٥) قرأ في نسخة مغلوطة للواقدي وقعت في يدهِ انَّ فتح دمشق وقع في سنة ١٤ فردَّ عليهِ

٥ ومن ذلك ايضاً قصَّة جبلة بن الايهم فانَّها مفيدة لسياق التاريخ وتراها في

ترى لا يجد العلماء في كتاب الواقدي الذي نحن في صدده اخبارًا تستحقّ الاعتبار وتجعل هذا الاثر رغمًا عن علّاته من الموارد التي يجوز الالتجاء اليها. أجل انّ في فتوح الشام عدّة فوائد تجعلهُ في مصافّ المؤلفات التي توقفنا على حقائق متعدّدة من الفتوحات الاسلاميّة. قال جبون المؤرخ الانكليزي: « ان كتاب الواقدي اقدم مصنّفات وصل الينا في الفتوحات الاسلاميّة ويفوق اشباههُ بكثرة تفاصيلهِ لا بل يُعرب بنوع جلي عن احوال الزمان الذي جرت فيهِ تلك الحوادث في نشأة الاسلام وعن عادات الامم التي عليها مدار كلامهِ »

والحقّ يقال ان من تأمل كتاب فتوح الشام وجرّدهُ عن نوافلهِ وجد فيهِ فوائد جمّة لاتكاد تراها في غيرهِ من المؤرخين الذين اضربوا عنها حبًّا بالايجاز. هذا مع ما امتاز بهِ الكتاب من العبارة المنسجمة اللطيفة المأخذ وتفاصيل الاخبار وتنميق الحوادث . وان قابلناهُ مع مصنّفات بعض مؤرخي اليونان كهيرودوتس وثيوفانس وكدرانيوس تحققنا انهُ لا يبعد عنها في صفاتها الطيّبة. فلا غرو اذن ان وقعت فيهِ روايات غير صحيحة او احاديث ملفّقة فان ارباب الانتقاد كالمعدّنين الحاذقين يلقون التراب ونفاية المعدن ويستخلصون الجواهر الثمينة التي يغالون في ثمنها ويقدّرونها قدرها الصحيح. وها نحن نثبت هنا بعض الحوادث التي تفرّد بها هذا الكتاب ومن شأنها ان تؤيد زعمنا

١ جاء في الصفحة ٩٨ من طبعة كلكوتا « انّ ابا عبيدة ارتحل مع المسلمين من حمص حتى نزل على الرستن فرآها حصنًا منيعًا وماؤها غزير وهي مشحونة بالرجال فبعث اليهم رسولًا يأمرهم بالصلح وان يكونوا في ذمّتهِ فأبوا الخ ». ويلي هذا خبر فتح الرستن المعروفة عند اليونان باسم اريتوزا

وان راجعت مؤرخي العرب والروم لا تجد ذكرًا لفتح هذه البلدة الصغيرة التي عاينّا اخربتها قبل سنتين. فان موقعها على نهر العاصي بين حمص وحماة دليل واضح على أن المسلمين بعد فتح حمص لم يقصدوا حماة الّا بعد ان فتحوا حصن الرستن المنيع وقد كان لهذه البلدة قديمًا سور و برجان وكانت آثارها باقية الى القرن السابق فوصفها العلّامة كرل ريتر الالماني في سياحتهِ الى الشام وقد عاينّا نحن ايضًا آثارها فوجدنا بينها ابوابًا على الطرز العربي وغير ذلك ممّا يشهد على عمرانها السابق الذي يشير اليهِ الواقدي

٢ ومن ذلك اشارة الى … الفقير اسماعيل غفر الله لهُ ولوالديه ولجميع المسلمين

الحشبيَّة التي كان يلتجئ اليها الروم في …

مكان ليقيموا فيها الادعية قبل خوضهم ميدان … ـه الجزء الثاني منهُ كما يظهر في آخر

ذبيحة القربان قبل الوقائع . قال الواقدي (طبعة …

« ثم خرج هرقل من كنيسته الى عسكره ليشرف على الخيام والسرادقات … الاشراف السيد صالح

البطارقة قد ضربت ونو بيسات الملك قد نُصبت و بازاء كل نوبة كنيسة … سلات والاحياء

بالذهب والاجراس على ابوابها . قال وكان زي الروم ذلك . وهذه البيع المختصة …

صنعتها تكون معهم في اسفارهم وفي عساكرهم »

فمن لهُ المام بتواريخ الروم اي البوزنطيين يعلم ما اعتادوهُ من نصب هذه

الكنائس في مضاربهم ليصلي فيها الجند قبل انطلاقهم الى الحرب وهذه العادة كانت

مألوفة منذ عهد الامبراطورين والنس وثاودوسيوس كما بيَّنا ذلك في مقالة لنا كتبناها

عن تاريخ مقري كوي من ضواحي القسطنطينيَّة وربما كان الملك يحضر الرتب الدينيَّة

ويوقد الشمع بيدهِ

وقد ورد مع صفة هذه الكنائس ذكر « المذبحة » يريد بها الواقدي الذبيحة الطاهرة التي كان يقدّمها كهنة الروم ويتقرَّب فيها الجند لتناول القربان الاقدس

٣ ومن ذلك اوصاف متعدّدة تلوح منها احوال ذلك العصر وعادات اهلهِ كوصف حالة الروم الادبيَّة التي كانوا عليها ايَّام الفتح (راجع خطاب الملك هرقل في كنيسة انطاكية في طبعة كلكوتا ١ : ١١١) . وكوصف مصارعة البطريق وخالد بن الوليد مع ما يذكر هناك من تعريف سلاح الروم الثقيل وخفّة العرب في ركوب الخيل الى غير ذلك من العادات الممثّلة للقوم

٤ وممَّا دوَّنهُ الواقدي في فتوح الشام واثبتهُ من بعدهِ المؤرخون دخول خالد بن الوليد الى دمشق عنوة من جهة الباب الشرقي بينما كان ابو عبيدة دخلها من باب الجابية بالامان والصلح . وقد ذكر الواقدي تاريخ هذه الواقعة في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣ للهجرة وكأنَّ الطبري (٤ : ٢١٥٥) قرأ في نسخة مغلوطة للواقدي وقعت في يدهِ انَّ فتح دمشق وقع في سنة ١٤ فردّ عليهِ

٥ ومن ذلك ايضاً قصَّة جبلة بن الايهم فانَّها مفيدة لسياق التاريخ وتراها في

كتاب الاغاني كما رواها الواقدي . وفي هذا التاريخ ايضاً ذكر المتنصرين من العرب في جماعة المسلمين فانَّ المؤرخين غير الواقدي لم يرووه الَّا روايةً خفيفة

هذه بعض فوائد اقتبسناها من مطالعة نسخ الواقدي المطبوعة . ولو شئنا لاتسعنا في ذكر معلومات اخرى تبيّن قدر هذا التاريخ مع ما وقع في هذه الطبعات من الاغلاط لاسيما الطبعة المصريّة التي تشوهت بتصحيفات لا تحصى كأنَّ الذين تولوا نشرها لم يكترثوا لوجود نسخة مضبوطة او لم يدققوا النظر ليصلحوا ما وقع فيها من الاغلاط فانَّ الفاظاً عديدة قد صُحفت واعلاماً كثيرة من الاماكن والرجال قد مُسخت الى غير ذلك ممَّا يطول شرحهُ وقد كرّر طبع هذه النسخة على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٧ في مطبعة الصفدي ولم يُصلح من اغلاطها شيء . اما طبعة كلكوتا فهي اضبط واصح اذ تولّى طبعها احد علماء الانكليز وهو وليم ناسو وعلّق عليها بعض الحواشي فلم يسمح له الوقت باتمامها وكان اعتماده على عدّة نُسخ مخطوطة اقدمها من السنة ٧٧٣ للهجرة لكنّهُ عوَّل خصوصاً على نسختين خطّيتين كاملتين تاريخ احداهما سنة ٨١٥ كانت من ملك الكولونل روايلسن والثانية كانت في يد المولوي ملّا حسن من بلد كنپور من اعمال الهند . وهذه الطبعة مع فوائدها لا تحتوي كلَّ ما تحتوي الطبعة المصريّة التي تتضمَّن فضلًا عن فتوح الشام فتوح مصر والاسكندريّة والجزيرة والعراق والعجم

*

وقد اسعدنا الحظ فتوفقنا الى اكتشاف نسخة مخطوطة وجدنا لها بعض المزايا فاحببنا ان نبينها للقرَّاء وليس غرضنا هنا ان ننتقد كتاب الواقدي انتقادًا علميًّا لبيان صحَّة رواياته او لتعريف ما هو حقيقةٌ لهُ او اضافهُ اليهِ الكتبة من بعده فانَّ هذا البحث يطول بنا ولا نعدُّ نفسنا من فرسان هذا الميدان فضلًا عن انَّ المستشرق وليم ناسو قد سبقنا الى هذا البحث في مقدمة طبعة كلكوتا . وانَّما نكتفي بذكر بعض الملحوظات التي تجدي نفعاً لارباب النظر وأُولي البحث عن تآليف القديمة فنقول:

انَّ النسخة التي حظينا بها مخطوطة بخط جميل تاريخها سنة ١١٨٠ هـ كما يُستدلّ على ذلك من ختامها حيث جاء ما نصهُ :

« وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة نهار الخميس الثالث عشر من شهر رمضان

سنة ثمانين ومائة والف على يد العبد الفقير اسماعيل غفر الله لهُ ولوالديه ولجميع المسلمين امين »

وليست تحتوي الّا جزءًا واحدًا من الكتاب وهو الجزء الثاني منهُ كما يظهر في آخر اوراقهِ وفيها يُقال:

ثمَّ الجزء الثاني تكملة تاريخ فتوح الشام لمستكتبها لنفسهِ ومالكها فخر الاشراف السيد صالح ابن المرحوم السيد عبد المؤمن العربيلي غفر الله لهُ ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والاحياء منهم والاموات امين »

فيلوح ممَّا ترى ان نسختنا ليست قديمة جدًّا وغير كاملة ولكنَّ ذلك لا ينقص قدرها اذ انَّ صاحبها استكتبها عن نسخة قديمة. ثمَّ انَّ في هذا القسم اشياء ليست في النسخ المطبوعة فانها تتضمَّن ما عدا فتوح الشام الذي اقتصرت عليهِ طبعة الهند والفتوحات المذكورة في الطبعة المصريَّة فتوحات اخرى لم تُذكر في كلتيهما اعني فتوحات العجم وخراسان وفتح جزيرة صقلية وقبرس وارواد فتكون الزيادة على طبعة مصر نحوًا من ثمانين صفحة. وانَّنا لنعلم انَّ صاحب جريدة المحروسة نشر في كراسة صغيرة فتوح بلاد العجم وخراسان المنسوب للواقدي الّا انَّ نسختنا تتضمَّن عددًا وافرًا من الحوادث التي لا تُروى في الكرَّاسة المذكورة كفتح جلولاء وحلوان (ص ٣٢١) وذكر بناء الكوفة (ص ٣٢٥) وفتح الاهواز (ص ٣٢٦) وامور غيرها يطول ذكرها. وربَّما رُويت الحوادث عينها مع شروح دقيقة وتفاصيل جميلة لا تُلقى في الطبعات المتداولة. من ذلك فتح شيزر التي ورد في ذكرها من الاوصاف ما يدل على شاهد عيانيّ حضر الفتح فوصف ما وقع تحت نظرهِ

ومن مزايا هذه النسخة الخطيَّة انَّها تُصلح اغلاطاً كثيرة من النسخ الطبعيَّة نذكر هنا بعضها للافادة:

١ روى الواقديّ هتاف الروم للاستغاثة والاسترحام والامان عند حلول البلاء بهم وقت الحرب فقال كانوا يصرخون « إلغون إلغون » فهذه اللفظة أُغلقت على الذين تولَّوا طبع « فتوح الشام » فرواها في طبعة كلكوتا « إلفون إلفون » بالفاء وصحَّفها صاحب طبعة مصر بجعلها عربيَّة فرواها « الغوث الغوث ». والكلمة يونانيَّة الاصل (ἔλεος) معناها « الرحمة » و « الامان » كما يظهر من قرينة الكلام وهي في نسختنا

اصحّ واضبط . قال الواقدي يذكر كلاماً لرافع بن عميرة الطـائي يريد ضرب جارية بالسيف :

« فدنوتُ منها وعلوتُ رأسها بالسيف صفحاً فجلستْ ويدُها على رأسها وجعلت تقول كلاماً بالروميّة فاستلفيتُها واذا هي تقول : « إلفون إلفون » يعني الامان الامان ثم رجعتُ عن قتلها »

٢ ومن ذلك ما روي عن البطريق الذي صرعهُ خالد قال (ج ١ ص ١١١ من طبعة كلكوتا) : « انّ البطريق عنـد سقوطهِ من فرسهِ كان مندفناً في سرجهِ » وفي طبعـة مصر « كان مزرّداً في سرجهِ » والصواب ما جاء في نسختنا « وكان مزرقناً في سرجهِ » اي مرتبكاً

٣ ودونك بعض اغلاط اخرى تشوّه بها وجه المعنى في الطبعة المصريّة نصلحها عن نسختنا :

الصفحة من طبعة مصر	الغلط	الصواب
٥	انا حيض القطا	افاحيصُ القطا
٦	من طرسيسهِ	من جواسيسهِ
«	صاحب شرطيّة	صاحب شرطتهِ
«	صلّت عليهم الامة	صلّت عليهم الأقِسَّة
«	جمم عالية وقلوب غير دانية	« « غير وانية
٧	قال جرجيس لاصحابه عليّ بانفس صقالبة	قال جرجيس لحاجبهِ علي بصقلبة القسيس

ولو تتبعنا هذا الجدول لاتّسع بنا الى حدّ بالغ فنكتفي بما روينـا وفيه غنى عن الاطالة . ولمّا تحققنـا ما في هذه النسخة من الفوائد العلميّة لو نُشرت بالطبع اخذنا نبحث عن مخطوط اخر يضاهيه حسناً وضبطاً ويسدُّ نقصهُ في اوّلهِ . فانطلقنا الى دمشق وبحثنا في خزانة كتبها العامرة المعروفة بالملك الظاهر فلم نجد ضالّتنا المنشدة . ثم طرقنا ابواب رجال العلم فذهب املنا سدًى الى ان عثرنا عند احد افاضل الفيحاء من الكتبيين الادباء على عدّة مخطوطات امكنّا اقتناؤها فاذا بينها ثماني كراريس متفرقة باقطـاع وخطوط مختلفة منها متقنة جميلة بحبرين اسود واحمر في اربعة اجزاء ومنها مهملة ذات خط غير محكم في اربعة اجزاء أُخرى . ومن غريب الاتفاق انّ تلك الكراريس كانت تحتوي الجزء الاوّل من كتاب تاريخ الشام للواقدي الذي كنّا في طلبه يتبع بعضهـا

بعضاً مع اختلاف هيئاتها وخطوطها لا ينقصها الّا خمس عشرة صفحة . فشكرنا الباري تعالى على هذا التوفيق الغريب الذي جاء مطابقاً لرغبتنا تماماً

واذ حصلت اليوم في يدنا نسخة مخطوطة كاملة من فتوح الشام للواقدي عزمنا على اعادة النظر في النسخ المطبوعة واصلاحها على النسخة الخطيّة التي وجدناها مع تذييل الكتاب بالحواشي والافادات التاريخيّة والجغرافيّة التي تزيده نفعاً مستندين في ذلك الى اثبت التواريخ واصدقها لاسيما بعض المخطوطات النادرة والمطبوعات العزيزة الوجود وذلك بعبارة موجزة لانقة بنمط الكتاب ان شاء الله . وها نحن نورد هنا مثالاً من نسختنا يبيّن فضلها على غيرها من النسخ المطبوعة . وهو خطاب بديع للنعمان بن مقرن القاه على الجيش الذين استصحبهم من الكوفة والبصرة لمحاربة الفرس في وقعة نهاوند . قال :

«ان الفرس امامكم فان هزمتموهم ترجعون الى نعمة وسرور وان هزموكم والعياذ بالله فلا بصرة ولا كوفة ولا مدينة تظلّلكم . واعلموا انكم قد اصبحتم باباً للاسلام . فان كسروا هذا الباب والعياذ بالله دخل على الاسلام منهُ مضرّة . فالله الله عباد الله ان تخذلوا . فانتم عماد الدين توحدونهُ وتعبدونهُ . وانما تقاتلون خلقاً من خلق الله يأكلون رزقه ويعبدون غيرهُ وهي الشمس والقمر والنار وينكحون الاخوات والامهات والخالات والعمات وكل فاحشة يعملونها . وقد ساقكم الله اليهم وساقهم اليكم هواناً بهم وكرامة لكم . فتقرَّبوا الى الله بجهادكم وارغبوا في اعظم ثواب الله . . . الخ »

فحسبك هذا المثال للوقوف على خطر نسختنا . والسلام

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وقد اشتهر في هذا الطور الثاني غير الذين ذكرناهم من أُدباء المسلمين لاسيما في العراق وحلب الّا انَّ اخبارهم قليلة متضعضعة ولعلَّ بعض القراء يرشدونا اليها فيحيوا ذكر اولئك الافاضل الذين درست آثارهم مع قرب عهدهم منّا

امّا ادباء النصارى الذين عُرفوا في تلك المدَّة بخدمة الآداب العربيَّة فها نحن نذكر

من اتّصلت بهِ معرفتنا القاصرة مع الرجاء بان يزيدنا اهل الفضـل فيهم علماً ويسدُّوا ما يجدون من الخلل

فممَّن يستحقُّ الذكر بآدابهِ وشعرهِ في الطور الذي نحن في صددهِ نصرالله الطرابلسي وهو ابن فتح الله بن بشارة الطرابلسي ولد في حلب سنة ١٧٧٠ وكان من اسرة كريمة من طائفة الروم الكاثوليك. ولما انتقل ابوه الى طرابلس عُرف بالطرابلسي وكان عريقاً بالدين تحمَّل في سبيل ايمانهِ محناً عديدة فنشـأ ابنهُ على مثالهِ تقيًّا ورعاً وكان مع ذلك متوقد الذهن محبًّا للعلوم ولدرس اللغات فتعلم منها التركيّة والفرنسويّة وكان مبرزًا في الآداب العربيّة مطّلعاً على فنونها يُحسن فيها الكتابة وينظم الشعر الحسن . وقد ابقى من نظمهِ مآثر عديدة اكثرها متفرق لو جُمعت حصل منها ديوان كامل. وسكن نصرالله الشهباء زمناً طويلاً ومدح وجوه اهلها من مسلمين ونصارى لاسيا نقيبها محمَّد الجابري وقد اثبتنا في المشرق (٣: ٤٠٠) قصيدتهُ فيهِ ومدح الشيخ هاشم افندي الكلّاسي فقال فيهِ:

لمَّا سمعتُ مسلسلًا من سـادةٍ ... انَّ الفصاحة كلها في هاشمِ
يمَّمتُ ناديهُ والقيت العصـا ... ورجوتُ يقبلني ولو كالخـادمِ
ان جـاد لي بالارتضا فبفضلـهِ ... او لم يجُدْ فلسوْ حظ النـاظمِ

فاجابهُ الشيـخ جواباً لطيفاً فكتب اليه:

نسيمُ لطفـك صابني بألوكةٍ ... صببَ المحبّ الى محبٍّ قادمِ
فبمثلـهِ اهـلًا وسهـلًا مرحباً ... بمسـامر ومنادمٍ لا خـادمِ

وكذلك كان الطرابلسي يتردد على عبد الله الدلّال (١ ويجتمع عندهُ بادباء زمانهِ وقد قال في احدهم فتح الله المرّاش قصيدة يشكر لهُ جميل ايادية ويهنئه بعقد زواجه سنة ١٨٢١ هذا مطلعها:

يا للهوى ما للعذول ومالي ... انا قد رضيتُ بكافةِ الاحوالِ

ومنها في المدح:

الندبُ عبد الله فخر اوانهِ ... نسل الاماجد من بني الدلّالِ
فهو الذي يشري الثنـاء بمالهِ ... ويزيّن الاقوال بالافعـالِ
وهو الذي لم يخلُ قطُّ زمانهُ ... من غوث ملهوف وبذلِ نوالِ

١) اطلب السحر الحلال في شعر الدلّال للاديب قسطاكي الحمصي (ص ٢-٣)

وختمها بهذا التاريخ:

واسلم بتاريخي ودمتَ بعِنْـهِ متمتعاً باللطف والاقبـالِ

وممَّن مدحهم في حلب القنصل الفرنسوي يوسف لويس روُسو وكان محبًا للاداب الشرقيَّة (اطلب المشرق ٣: ٣٩٨ و٤٠٠) وبايعـازهِ نظم الطرابلسي تهنئة نابوليون الاول بمولد نجلهِ الذي دعاهُ ملك رومية سنة ١٨١١ فقال قصيدتهُ التي اوَّلها (المشرق ٣: ٣٩٩):

وردَ البشيرُ فسرَّتِ الاقطارُ وترنَّمت في دوحها الاطيارُ

ومن حسن نظمهِ ابياتهُ في شهداء الكثلكة في حلب سنة ١٨١٨ (المشرق ٣: ٤٠٢ و١٠: ٦٦٤) فقال:

دعِ العين مني تذرف الدمع عَنْدما فحقٌ لهذا الخطب ان تُسكب الدما

وفيها ابيات صادرة عن قلب طافح حبًا متفطر حزنًا. وفي السنة ١٨٢٨ تحامل على الطرابلسي اعداؤهُ فاحبَّ الخروج من وطنهِ ورحل الى مصر فلقي الحظوى عنـد بني البحري من اعيان طائفتهِ وكانوا متقدّمين في الدواوين فخدمهم وتقرب بواسطتهم في المناصب وقد مرَّت لنا اقوالهُ فيهم (المشرق ٣: ٤٠٣ — ٤٠٥) وتوصل بهم الى محمد علي باشا خديو مصر فمدحهُ ونال من احسـانهِ. وكانت وفاة الطرابلسي نحو السنة ١٨٤٠ وشعرهُ منسجم بليغ المعاني كثير التفنن اوردنا منهُ ما اوقفنا عليهِ بعض ادباء الشهباء في اغراض شتى (المشرق ٣: ٤٠٦ — ٤٠٨) وممَّا وجدنا لهُ بعد ذلك مراسلات شعر ونثر بينهُ وبين شاعر عصره بطرس كرامة فقال هذا في مدحهِ:

نشأت بنصر الله روح صبـابةٍ وأبى الفؤادُ لغيرها ان يذكرا
فرعٌ لفتح الله اينع مخصباً بحديقة الاداب شبَّ واثمرا
فاليك يُعزى الفضل يا من لاح لي منهُ الودادُ ولن يراني مبصرا
قرباً لدار كنتَ فيهـا وحبَّذَا م الشهباء نصر الله فيها قد سرى

فاجابهُ نصر الله الطرابلسيّ من قصيدة وقد ذكر فيها طرابلس بلدهُ وكان بطرس كرامة حينئذ ساكناً فيها:

فسقى طرابلس السحابُ وليُّهُ سحًّا وهتـانًا يُرى منفجرا
بلدٌ كأنَّ الدهر عاندني بها فاستاقَ اهلي قبل أن اطأ الثرى
لو فاخرتْ كل البلاد بانَّ فيهـا بطرساً لكفى بذلك مفخرا
الاوحد الندب الفريد الامجـد الندس الحميد الالمعي الأنورا

الى ان ختمها بقولهِ :

واسلم ودم بمهابةٍ وكرامةٍ يا موردًا لم ارضَ عنهُ مصدرا
ما سارتِ الركبان تقطع فدفدًا من عاشقٍ ولهانَ تحدي الاسطرا

ولهُ ايضاً من قصيدة اخرى في مدحهِ وذكر بعض رسائلهِ :

شرَّفتنا بكتاب منك قد بزغت انوارهُ فهدينا واقتبسناها
رسالة أُرسلت للقلب تحفظهُ فبالهُ ضاع مني عند مسراها
فيا لها دررًا من يمّكم قذفت سفن العلوم فبأسم الله مجراها
وصرتُ أُلثمها شوقًا وانشدها توقًا لمن بديع النظم وشاها
ان اسعد الله عيني ساعةً ورأت محياكمُ وجلت بالنور مرآها
غفرتُ للدهر ما ابداهُ من نكدٍ ونلت من واردات العمر اهناها

وكتب لهُ ايضاً :

لقد حكم الزمان عليَّ حتَّى اراني في هواك كما تراني
وان بعدت ديارك من دياري فشخصك ليس يبرح عن عياني
لقد امكنت حبك من فؤادي مكانًا ليس يعرفهُ جناني
كانك قد ختمت على ضميري فغيرك لا يمرُّ على لساني

ونُلحق هنا بذكر نصرالله الطرابلسيّ ترجمة صديقهِ بطرس كرامة الذي لعب في ترقي الآداب العربيَّة دورًا مهمًّا قبل اواسط القرن التاسع عشر. وهو بطرس بن ابراهيم كرامة الحمصيّ من اعيان حمص وكان اهلهُ من الروم الملكيين يدينون بالدين الكاثوليكي وهم متحمّسون فيهِ. وكان عمُّهُ ارميا كرامة من الرهبان الشويريين ثم انتقل الى الرهبنة المخلّصية . وفي سنة ١٧٦٣ سُقّف على قلاية دمشق فعُرف بمطران دمشق وقاسى محنًا عديدة من قبل المنفصلين الى أن توفي سنة ١٧٩٥ في دير المخلص. وكان عالمًا غيورًا على ايمانهِ ولهُ مصنَّفات دينيَّة. امَّا بطرس كرامة ابن اخيهِ فولد في حمص سنة ١٧٧٤ وفيها نشأ وتأدَّب ولهُ في مديح اعيانها اقوال حسنة كقولهِ في الشيخ عبد الرحمان الكزبري :

يا حبَّذا حمص التي ضاءت باعظم نيّرِ
قد اشرق البدرُ بها وبشمس فضل الكزبري

وقال مرتجلًا في الشيخ امين الجندي الذي مرَّ لنا ذكرهُ :

لله نمَّ مهذب باهت بهِ حمصٌ ونور الفضل عنهُ يبينُ
لا غرو اذ فاق البديعَ انهُ شهم على درر البديع امينُ

ثم قويت شوكة المنفصلين فألحقوا بالكاثوليك ضروب الاذى سنة ١٨١٠ فاضطرَّ بطرس ان يفارق حمص مع والدهِ متوجهَين الى عكّا فسكنا هناك مدَّة ثم صعدا الى لبنان فاستوطنا الجبل واتَّصل بطرس بنقولا الترك شاعر الامير بشير فقرَّبهُ منهُ وحظي بطرس عند الامير الشهابي لما رآهُ فيهِ من العلم وجودة العقل وفصاحة اللسان مع معرفتهِ للغة التركيَّة. ثم جعلهُ الامير بشير معتمدًا من قبلهِ في التوجّه الى عكّا فقام باوامر سيّدهِ احسن قيام ثم سلّمهُ الامير تنظيم خزينة الحكومة فوضع لها قوانين استحسنها الشهابيّ وامر باجرائها ثم رفع منزلتهُ وعملهُ كتخداه فصارت امور لبنان كلّها في يدهِ يدبّرها احسن تدبير فوقعت هيبتهُ في القلوب وانتشرت شهرتهُ. ولمَّا سار الامير بشير الى الاستانة سنة ١٨٤٠ رافقهُ بطرس كرامة ونال من الالتفات وعلوّ المقام لدى رجال الدولة ما لم يزل مشهورًا. ثم عُين ترجمانًا للمابين الهمايونيّ فاظهر من البراعة ما اكسبهُ ثقة الجميع. وبقي في تتميم اعباء وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ في الاستانة العليَّة سنة ١٨٥١. ولهُ مع اكابر رجالها مساجلات لطيفة وكان بليغ الكلام. وقد ارَّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي فقال:

مضى من كان اذكى من اياسٍ بحكمتهِ واشهر من زُهَيرِ
فقل يا ابن الكرامة قرَّ عينًا لبطرس ارخوهُ ختام خيرِ

ولبطرس كرامة مكاتبات ورسائل غير مطبوعة. ولهُ ديوان شعر كبير طبعهُ الاديب سليم بك ناصيف سنة ١٨٩٨ في المطبعة الادبية وقد وجدنا لهذا الشاعر آثارًا اخرى في بيت حفيدهِ الفاضل. منها مساجلاتهُ مع ادباء الاستانة ومنظوماتهُ في العاصمة وبعضها لم يُطبع في ديوانهُ. وشعر بطرس كرامة اضبط واطبع من شعر آل عصرهِ تراهُ يتصرَّف في المعاني ويخرجها على ابدع طريقة فمن قولهِ في الوصف ذكرهُ لباقة زهر اهداهُ أيّاها الامير بشير:

وباقة زهرٍ من مليك مُنحتها معطّرة الارواح مثل ثنائهِ
فابيضُها يحكي جميع خصالهِ واصفرها يحكي نضار عطائهِ
وازرقها عين تشاهد فضلهُ واحمرها يحكي دماء عدائهِ

ولهُ تخميس وتشطير على هذه الابيات. ومما لم نجدهُ في ديوانهِ قصيدة قالها مستغفرًا عمَّا فرط منهُ ومناقشًا اهل المادة في آرائهم الفاسدة وسماها «درَّة القريض وشفاء المريض»: اوَّلها:

نأى الوجد عن قلبي وأعيت بلابله   وبانت لباناتُ الهوى وبلابله

وهي طويلة نختار منها احسن ابياتها:

ألا اندب زماناً قد صرفتُ بكورهُ   خلالًا وقد مرّت سفاهاً اصائلهْ
فكم خضتُ بحر المعصيات مفاخرًا   وقصّرت رجلًا عن ثواب تقابلهْ
وكم اسمعتْك الحادثاتُ نصائحًا   فلم تنقطع عن سوءْ فعلٍ تواصلهْ
فدع عنك ذكر الغانيات فكم بهِ   هوى فاضلٌ كانت تضيءُ فضائلهْ
وخلّ الاغاني فالاغاني حبالة   يُصادُ بها سامي الذكاء وخاملهْ
ولا تشرب الصهبا فانّ بشربها   سواء يُرى قسُّ البيانِ وباقلهْ
فيا شوقتي ان لم تأجج ندامةً   لظى كبدي والطّرْف يهتن وابله
ويا لهفتي ان لا اتوب بتوبةٍ   أُغاث بها من ويل ذنب انازله
فيا حيُّ يا قيوم يا غافر الخطا   لمستغفرٍ يا من يرى الرشد سائله
ويا من وعدت التائبين برحمةٍ   وعفوٍ وان ذنبٌ تطاول طائله
الا اغفر لعبدٍ اثمتهُ آثامٌ   ومن جملة الاوزار قد كلّ كاهله
فان كان ذنبي قد تعاظم جرمهُ   فعفوك بحرٌ ليس يُدركُ ساحله
فيا ويح قوم قد عصوك واركنوا   الى الكفر فانصبّت عليهم غوائله
فان اثبتوا فعل الطبائع بعضها   فبداء هذا الفعل من هو فاعله
ويلزم من هذا دوامَ تسلسلٍ   وهذا محال لا تصحُّ مسائله
فمن سيّر الاقمار في درجاتها   على دورانٍ لا تخلُّ منازله
فان كان جذباً مثلما قد رووا فمن   ترى اوجد الجذب الذي هو كامله
فيا ملحدًا امسى على الله منكرًا   فانّ وجود الله صحّت دلائله
فمن ابدع الكون البديع نظامهُ   ومن ذا على ترتيبه الدهر شامله
فان قلتَ انّ الكائنات تمدّها   فقد لزم الدورُ الذي شاع باطله
وان قلت اجزاء قديم وجودها   تحركها بالطبع كانت تعامله
فوافقَ وقتًا انها قد تألفت   على هيأة منها نشا الكون كامله
فما هذه الاجزا وهل بارادةٍ   تحركها ام جاء بالقسر عامله
فان كان قسرًا فهي تحتاج موجدًا   يقيم بها فعلًا مريًا تفاعله
وان كان عن قصدٍ اتى فهي ربكم   تقاسمهُ عالي الوجود وسافله
فما قلتموه باطلٌ وكلامكم   محال ومهزول النتيجة حاصله
فيا واحدًا يا قادرًا يا مهيمنًا   تنزّه عن ضدٍ وندّ يماثله
فهبنيَ عفوًا من لدنك ومنّةً   وحسن ختام ليس يُمنَعُ آمله

(له بقيّة)

سياحة استقفيّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

وممّا خصُّوا بهِ ان فيهم العصبية الشديدة فالحمولة عندهم او العائلة تتعصب جدًّا لحمولتها وقد يبالغون في هذا الامر فيتصل بهم الى حصر الزواج في العائلة وكثيرًا ما يحصل عن ذلك من الاغتصاب والضغط على طالبي الزواج وبئس العادة . امّا اخذ الثار عندهم فسنّة مرعية اخذوها عن مجاوريهم اي عرب البادية :

اما كبراؤهم ومشايخهم فقد يقع في نفوس العموم لهم من الوقار والتجلة ما نعده غلوًا . وانما يؤسف جدًّا ان ترى بعضهم يتجاوزون حدود الانصاف فيصبح الضعيف من العامة طعمة لكل آكل :

واذا تفرست في مساكنهم واثاثهم فلا ترى عندهم ما يشعر بشيء من التانق الّا ما استُحدث من البنـاء وهذا نادر جدًّا : فاذا دخلت باب المسكن رأيت على يمينك او شمالك الاصطبل وهو زرب للماشية وفوق الاصطبل السدة وهي ما يسمى عند اهـل بلادنا المتخت وفي بعض البيوت تكون السدة بمنزلة البهو والديوان لاستقبال ضيف كريم ثم تصعد من الاصطبـل بدرج من طين او حجر فاذا انت في بيت مدهونة ارضه بترابة زرقاء لمّاعة وحيطانه مطروشة بترابة صفراء وفي الجدران الاهراء او الكوائر من الطين المنقوش نقشًا بديعًا ملونًا وفي القرنة ترى المستوقد لايام البرد ينفذ الدخان منهُ الى السطح بداخون من الطين بهيئة قمع يتسع فوق المستوقد ثم يضيق تدريجًا الى ان يبلغ السقف وجل ما تراه من الاثاث الحصر من البـابير الخشن ياتيهم من بحيرة الحولة وفي بيوت مشايخهم يجعلون المقاعد المفروشة على الارض وفوقها الطنافس والسجـادات : ثم ترى اليوك او المرتبة في عرفهم وهو محل تحفظ فيه الفرشة الى ميقات المنام فتُبسط اذ ذاك على الارض . ثم ترى الاسلحة والملابس معلقـة باوتاد مدقوقة في الحائط والبيوت عمومًا مبنيّة بحجارة ولبن ولذا يسهل على السارق نقبهـا . امّا السقف فمؤلف من قصب واخشاب قصيرة ملقاة على قناطر تسندها . والسطح يطيَّن بطين مشوب بالتبن لمنع الوكف وندر جدًّا استعمال القرميد او العدسة

واعلم ان سكان هذه البلاد عموماً يحصّلون معاشهم بشق النفس ومع ذلك ترى فيهم ميلًا شديدًا للضيافة ويتفانون في اكرام ضيفهم غير انهم لا يعرفون التأنق في علاج الاقوات واستجادة المطابخ: فالارزّ عندهم هو الطعام الفاخر ومع اللحوم يبسطون موائد الطعام على سدر من نحاس او طبق من قش ملون يجيدون صنعه وقد درج عندهم مؤخرًا استعمال الملاعق والشوكة او الفرتيكة وهذه الآخرة نادر استعمالها . اما الاقداح فاخذ يدرج استعمالها على اثر المهاجرة الى امركة وقد يستخدمون كوبًا واحدًا يشرب منهُ المدعوون كلهم . خبزهم المرقوق على الصاج او التنور وهذا النوع من الخبز المرقوق او المرقق اخذناه في بلادنا وغيرها عن العرب وهولاء اخذوه عن الفرس . قال ابو خلدون: لمّا قُدّم المرقق للعرب في بلاد فارس فكانوا يحسبونهُ رقاعًا . وقد شاهدنا بعض الافرنج لمّا قدّم لهم المرقق في بلادنا ظنوه فوطة او منشفة:

واذا عرض لاهل بلاد بشاره شغل شاغل عاقهم عن طحن الحبوب عمدوا الى رحى عندهم يسمونها الجاروشة فيجرشون الحنطة ثم يعجنون ويعملون اقراصاً من هذا الجريش وينضجونهُ على الجلة وهذا ما اشار اليهِ احد الانبياء في الكتاب الكريم

اما الصنائع عندهم فقليلة جدًا والتجارة لا اسم لها قلما ترى حانوتًا في القرية وذلك لاستعاضتهم عن الحوانيت بالاسواق العموميَّة التي تقام في اوقات معينة من ايام الاسبوع في بعض الاماكن كسوق بنت جبيل وغيره كما سترى

فلنعودنّ الآن الى تتمَّة سياحتنا الرسوليَّة في انحاء بلاد بشارة . وكان اوّل ما رأيناهُ بعد خروجنا من عين ابل قرية بنت جبيل . ولم يشأ اهلها الّا ان يخرجوا لملاقاتنا بروق عظيم لئلّا نخلّ بينهم كما فعلنا في عين ابل . فدخلنا القرية محفوفين باعيانها الذين تأنقوا في اكرام راعيهم

وقرية بنت جبيل قائمة على رابية قليلة الارتفاع تمتدّ في وادٍ ليس بالعميق وهي في مقام مدينة يهوديَّة قديمة ترى آثارها ولم يتفق العلماء على اسمها السابق . ومن المحتمل ان تكون بيت شمس المذكورة في سفر يشوع (١٩ : ٣٥) اورد اسمها بعد بيت عانات وهي عاناثا الحاليَّة القريبة منها . وفي بنت جبيل سوق على مثال الاسواق القديمة يجتمع فيها اهل بلاد بشارة ليبيعوا ويشتروا . وقد وصف حزقيال اسواق صور وفي وصفهِ ما

يبين انَّ الشرقيين اذا ما الفوا عادة جروا عليها ابدًا. وقد تمكنَّا من رسم بنت جبيل يوم اجتماع الناس لسوقها

وممَّا عثرنا عليهِ اتفاقًا في بنت جبيل كتابة يونانيَّة من عهد الرومان على عتبة قديمة مطروحة في ازقة القرية. ثم علمنا بعد ذلك انَّ السيَّاح نشروها . وان لحضرة الاب سبستيان رنزفال عليها ملحوظات سينشرها قريبًا

رحلتنا الى دبل

بعد ان انتهى سيادة المطران شكرالله من زيارة عينبل وجَّه النظر الى قرية دبل فقصدناها في صحبتهِ في ١٢ ايلول. ودبل هذه قرية من قائمقاميَّة صور تابعة مديريَّة تبنين تبعد عن عينبل نحو الساعة موقعها في غربها الشمالي وهي تعلو فوق سطح البحر ٦٨٠ مترًا. وفي دبل كنيسة ومدرستان تحت ادارة الآباء اليسوعيين. واهلها كلهم موارنة يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ وكان الشيطان ضرب قبابهُ في هذه القرية ووسوس في عقول بعض اهلها فانحازوا الى المذهب البروتستانيّ من بضع سنوات لكنَّ الله مسَّ قلوبهم لمَّا رأوا راعيهم الصالح فعادوا الى حجر امهم الكنيسة فاقتبلهم سيادتهُ بحفلة كنسيَّة مؤثرة وحلَّهم من خطيئتهم

ودبل قرية مشهورة بخصبها وهي قديمة العهد كانت داخلةً في ضمن حدود سبط نفتالي. وفيها آثار دارسة ومساكنها مبنيَّة من انقاض بنايات قديمة. وفيها قبور منقورة بالصخر على بعضها اعلام يونانيَّة قرأها العلَّامة كرين (Guérin). وعلى مقربة من دبل عدَّة اخربة تشهد بقاياها على قدم عهدها. منها الطيرة شرقًا التي ورد ذكرها في صك لبغدوين الثالث فدعاها Aithire. ومنها بيت ليف غربًا يرى المسيو كرين انها حالق المذكورة في سفر يشوع (١٩ : ٣٣) الواقعة في سبط نفتالي وكان مركزها القديم على اكمة قريبة من القرية في محلٍ يُدعى عزية. وفي بيت ليف آثار منها عتبة قديمة تُرى تحت جامعها عليها صورة ارنب وقد شاهد اصحاب العاديات مثل هذا النقش في ابنية اليهود القديمة في بلاد الجليل. ومنها ايضًا حزُّور غربي دبل وجنوبي شرقي بيت ليف تمتدُّ اخربتها في منبسط من الارض. والمرجَّح انها مدينة عين حاصور الوارد اسمها في سفر يشوع (١٩ : ٣٧) في جملة املاك نفتالي. وحتى اليوم ترى اساس بيوتها ظاهرة بين الادغال وشجر الغار. وهناك آثار برج مكعَّب علو جوانبهِ تسعة

امتار وهو مبني بحجارة ضخمة وبالقرب منهُ بركة ماء طولها ٢٢ مترًا في عرض ١١ . وفي شرقيها اكتشفنا بقاية حنيَّة كنيسة قديمة اظنُّها من الطرز البوزنطي . ومن جملة اخربتها مدفن يُنزَل اليهِ بدرج وهو اليوم مسدود واهل القرية يدعون هذا المدفن بني حزُّور او حاصور. وعلى المدفن قبة معقودة على الطرز الروماني وهي احدث عهدًا من المدفن. وماء عين حاصور يأتيها من مسافة قريبة من مورد يدعى بئر العيون ولعل حاصور لم تدعَ عينًا الَّا لوجوده

حفلة عرس في دبل

اذ كنَّا في دبل سمعنا في احدى الليالي صوت طلقات البارود فسألنا عن سبب ذلك فقيل لنا يوم غدٍ يُعقد لفلان على ابنة فلان ثمَّ اخذ القوم يسردون لنا عاداتهم في مثل تلك الظروف فاحببنا اثباتها هنا تفكهة للقراء

اذا اراد شاب ان يخطب فتاةً يجتمع والد الخطيبين سرًّا فيتَّفقا على ما يقرّرهُ والد الخطيب لوالد الخطيبة كمهر ابنتهِ يدفعهُ لهُ و يزيد على ذلك ما يدعونهُ بالمؤكلة اي ثمن المرطبات والمشروبات والحلويات التي ينفقونها في دعوة العرس. ثمَّ يوجه آل الخطيب وفدًا الى بيت الخطيبة فيعرض احدهم وهو عادة كاهن المكان سؤْلهُ على والد الصبيَّة: «قد وجَّه بنا فلان اليك لنخاطبك بداعي خطبة ابنتك لابنهِ» . فيجيب الاب على عادة الشرقيين بلغة التجامل :« لا ابنة لي وعمها واعمامها في الحياة (ويذكر اسماءهم) فالامر لهم » او يجيب: « انَّ ابنتي مقدَّمة لكم». فاذ ذاك يذهب عميد القوم الى مواجهة الابنة وطلب رضاها وتكون مخبأَةً في بيت احد الجيران فيقول: « فلان وجَّه الى ابيك مع اوجه بلدنا ولم يجزم ابوك بشيءٍ قبل اخذ رضاك ورأيك (١ فتجيب الابة :« الامر الى والدي واعمامي فانا مطيعة لهم » لكن الكاهن او لسان القوم يلح عليها الى ان تصرح برضاها فتقبل يده دلالةً على ذلك. فتُطلَق اذ ذاك العيارات الناريَّة في دار والد الخطيبة ويتغنون بالاهازيج وينهض رجل من اقارب الخطيب ويجعل في كيس من الخام كميَّة من الملبَّس يوزعهُ على الحضور ثمَّ يباركون لوالدي العروسين ويقررون ثمن المهر ويبلغ

---

١) راجع في سفر التكوين ما روى مثل هذه العادات في خطبة رفقة (ف ٢٤) وفي خطبة راحيل (ف ٢٩)

عادةً الاقين غرشاً يسلمهُ والد الخطيب الى والد الخطيبة ويتحف الخطيبة ببعض الحلي ثمَّ يقبِّل راس والد الخطيبة ورأس الحضور وينصرفون

وبعد هذا يهيئون معدَّات العرس ويعيّنون ميقات العقد ويعدّ الخطيب الخلع التي يرسلها لاصحابهِ الذين يدعوهم الانجيل (متى ٩ :١٥) بابنـاء العرس حتى اذا آن الوقت يبدأون بحفلة العقد او الاكليل . وتلك الحفلات تدوم مدَّة اسبوع يجتمع فيها المدعوون والاصحاب كلّ ليلة لما يسمَّى باصطلاحهم التعليلـة فيشربون المسكرات ويقومون للسحجة او الدبكة . ومن عاداتهم في الاسبوع الذي يسبق حفلة الاكليل انهم يخرجون للاحتطاب اعداداً لضيافات العرس بجلبة عظيمة ومعهم الجمال والدواب يتقدَّمهم جمل على ظهره مذراة او عصاً منصوبة يلبسونها اثواباً كالعروس فيظنها الناس عروساً ملتفَّةً بازارها واذا جمعوا الحطب اتوا بهِ الى بيت والد الخطيب ويعطون منـهُ حملاً واحدًا لاهل العروس ومثلهُ للاشابين (١

واذا اتى يوم السبت يطلب والد الخطيب من والد الخطيبة بان يسمح بغسـل العروس فلا يرضى بذلك الَّا اذا دفع مهرها بتمام فتجتمع اذ ذاك النساء في منزل الخطيبة فتُغسـل وتزيَّن وتصبغ بالحنَّاء وكذلك النساء يصطبغن وتُجلى وتكحل وتُرش عليهـا الروائح الطيبة وتُلفّ بازارها ويغطَّى وجهها بقناع لا تُميطه الَّا بعد ايام العرس وترسل العروس الى بيت اقاربها تدعوهم الى عرسهـا فمن لم تحضر من النساء ارسلت خاتمها او عصابتها للخطيبة معتذرةً . وتُقضى تلك الليلة في الافراح في بيت العروسين الى ما بعد نصف الليل وقد اشار السيد المسيح الى مثل هذه العادة في انجيلهِ الطاهر (لوقا ١٢ :٣٦) . وفي بعض الامكنة كما شاهدنا ذلك في النـاصرة يدورون في القرية والاسواق في موكب حافل ويغنون انواع الاهـازيج ويتقدَّم الموكب بنات يحملن المصابيح والمشاعل في ايديهنَّ ذاهبات الى بيت الختن لملاقاتهِ وللاحتفاء بتكليلهِ في الكنيسة . وهي عادة ألفها القدماء ووصفهـا الانجيل في مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (متى ف ٢٥)

واذا انبلج صباح الاحد يذهبون بالعروسين الى الكنيسة فيبـارك الكاهن زواجهما

---

١) جاء في مقدمة ابن خلدون في معرض كلامهِ على عرس المامون » انهُ اعدّ بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل ١٤٠ بغلاً مدَّة عام ثلاث مرات في كل يوم «

حسب الرسوم المألوفة ويعودون بالعروس الى بيت والدها ويعود زوجها الى بيتهِ ثمَّ يتبادر اهل المحل الى دعوة العروس لتزور بيوتهم فيُركبونها جوادًا وبيدها اليمين منديل فيضيفونها في كل بيت ويحتفون بها وربما قضوا عليها بالرقص فتفعل باشارة اشبينتهــا وهي في يدها كآلة وان دخلت بيتًا وقدم البيت احد قامت لهُ ولا تعود الى الجلوس حتى تؤمر بذلك . واذا جاء وقت دخولها بيت زوجها لاوَّل مرَّة تُقدَّم لها خميرة لتلصقها فوق عتبة البيت وفي بعض الامكنة يضربها زوجها بيدهِ او بعصاً على راسها اشارةً الى ما يُطلب منها من الطاعة والخضوع والقيام بالاشغال البيتية

ومن عوائد اهل علماء الشعب وغيرهم في بلاد بشارة ما يُعرف « بسرقة العريس » فانَّ رجلًا منهم مزوجًا يخفيهِ في بيتــهِ ولا يكشف امرهُ الَّا اذا جزروا جزورًا وذبحوا الذبائح فيأخذونهُ ويحلقون حولهُ ويجلسونهُ على كرسيّ . ويتقدَّم احد وجهاء القوم ويقول: « بحماية فلان صاحب الوجاهة » ويضرب سكينًا ويغرسهــا في الارض فيعفون اذ ذاك العريس من الوقوف عن كرسيهِ لكل آتٍ واذا اتَّفق انَّ هذا سها عن دعوة احد الشبان الى عرسهِ واتى الشــاب وجب على العريس ان يقف على رجلٍ واحدة ولا يجلس الَّا بعد استعطاف خاطر الشاب المنسيّ

هذه بعض عادات اهل بلاد بشارة ممَّا شهدناهُ او رُوي لنا فذكرناهُ بيانًا لعادات تلك الانحاء ودلالة على ثبات الشرقيين على رسومهم القديمة (لهُ بقيَّة)

مَطْبُوعَاتٌ شَرْقِيَّةٌ جَدِيدَةٌ

نفثات القلم على يد العلَم

من قلم المنسنيور يوسف العلم النائب الاسقفي في ابرشية بيروت

طُبعت في بيروت سنة ١٩٠٧ (ص ٩٨)

تُعرف الورقاء من سجعها كما يُعرف الاسد من زئيرهِ . وفي هذا المجموع طُرف شعريَّة رقيقة النظم تذكّرنا بسجع الحمام وخطب فلسفيَّة متينة البرهان بليغة المعاني تدوي في القلوب كزئير الضرغام وقد كنَّا طربنا سابقًا لكثير من هذه الآثار عنــد

بروزها على صفحات المشرق اذ كانت مجلّتنا تردان بها حيناً بعد آخر فسُررنا اليوم لجمع شتاتها في كتاب مستقلّ ليسهل على القرّاء مراجعتها والتروّي في مضامينها وكأنّنا بها في هذا المجموع اشبه بقلادة دريّة يتحلّى بها جيد الآداب او بوليمة فاخرة تغتذي من طيب اقواتها الالباب. ومن ثمّ نحضّ الادباء وطلبة المدارس على اقتناء هذا التأليف لانهُ من افضل ما يتداولهُ الطلّاب وينسج على منوالهِ الكتّاب ل. ش

كتاب شمس المعنّى الفريدة

نظم القوّال الشهير خليل سمعان فرح الفغالي الشحروري

المجلد الثاني. طُبع بالمطبعة الشرقية الحدث (لبنان) سنة ١٩٠٧ (ص ١٤٣)

سبق لنا في المشرق (٥:٩٥٨) تعريف صاحب هذا الكتاب ومنزلته بين القوّالين وتفنّنه في ضروب المنظومات العاميّة وبراعته في الاقوال البديهيّة التي تشهد لهُ بالذكاء. وقد اقتطفنا نبذةً من اقوالهِ دلالةً على توقّد فهمهِ. وهذا المجلّد الثاني شبيه بشقيقهِ في محاسنهِ واساليبهِ الفكاهيّة يحتوي عشرة فصول في فنون شتى وقد وعدَنا جناب القوّال بان يكتب في المجلّد الثالث فصلًا في هذه الفنون الدارجة واصلها واقسامها وقواعدها فنشكر لهُ هذا العمل سلفاً ونتمنّى لمجلّديهِ السابقين رواجاً وانتشاراً ل. ش

كتاب مجموع رسائل

نشرهُ القس طوبيّا العنيسي الحلبي اللبناني

طبع في المطبعة اللبنانية ببعبدا (لبنان) سنة ١٩٠٧ (ص٨٠)

افادنا حضرة طابع هذا الكتاب في مقدّمتهِ انّهُ وجد هذه الرسائل في احد مخطوطات مكتبة الرهبان الموارنة الحلبيين في رومية العظمى بينما كان يشتغل في وضع فهرست مطول لتلك المكتبة وهو خبر يسرّنا جداً ونتمنّى ان يُنشر هذا الفهرست بالطبع قريباً ليقف القرّاء على مكنونات المكتبة المذكورة ومخطوطاتها الشرقيّة القديمة. امّا الرسائل التي تولى حضرة القس نشرها فعددها ٥٨ رسالة من قلم ائمة الكتاب كابي الفضل الميكالي وبديع الزمان الهمذاني وابن مجاهد وغيرهم وكلّها مسبوكة سبكاً

بديعًا جامعة بين المعاني البليغة والتعابير الرائقة · ولكن يسوءُنا القول بانَّ هذه الطبعة لا تفي بالمقصود لخلوها من كل شكل لا يفك مبهماتها ادنى شرح فضلًا عن كونهـا مشحونة بالاغلاط ولعلَّ النسخـة الاصليَّة التي أُخذ عنها سقيمة وعلى كل حال كان يمكن اصلاح بعض هذه الرسائل بعرضها على المطبوعات الشائعة فهاكَ مثال على قولنا وهي رسالة لبديع الزمان الهمذاني نثبتها كما هي في هذا التاليف الجديد مع اصلاحها على مجموع رسائلهِ المطبوع في مطبعتنا بهمّة الشيخ الفاضل ابراهيم افندي الاحدب

النسخة الجديدة (ص ١٣)	اصلاحها على نسختنا الطبعيَّة (ص ٩٦)
وكتب ابو الفاضل احمد بن الحسن الهمزاني بديع الزمـان الى ابى جعفر الميكالي يعاتبهُ	(والصواب : احمـد بن الحسين الهمذاني)
(من شاني ان نلتني) بمساءة لقد سرَّني اني خطرت ببالك	لئن ساءني انْ نلتني . . .
الامير الفاضل الشيخ الرئيس اطال الله بقاءه الى اخر الدعاء في حالتي بره وجفائهِ متفضـل (وفي يومي البعاده وادنائهِ) متطول وهنيئًا لهُ من حمانا ما يحلُّهُ (ومن عُرانا ما يحلهُ) ومن اعراضنا ما يستحله . بلغني ادام الله عزه انهُ (استرار ضيعتهُ) وكنتُ اظنني (مجنبًا عليـهِ) مساه الله (فاذا اني) في قرارة الذنب (ومثابة العتب . . . .) ثمَّ لم يلق الا في (الميكال) رحلة ولم يصل الا جمم حيله ولم ينظم الا فيهم شعره ولم يقف الا عليهم شكرهُ ثمَّ ما بعدت صحبة الّا (لدنت مهانة) ولا (نادت حرمة الّا نقصت صيانه ولا تضاعفت ذمَّة الّا ترجعت مترلة . . .) . وهلم جرًّا	في يومي ابعـاده وادنائهِ . . . من عرانا ما يحلهُ (من حلَّ العروة اي فكها) . . . استزاد ضيعهُ . . . مجنيًا عليهِ . . . فاذا انا . . . ومثارة العتب . . . آل ميكال . . . الا دنت مهابة (ومهابة هنا اصحّ) ولا زادت حرمة . . صيانة ولا تضاعفت منَّة ألا تراجعت مترلة . . . ل . ش

ܟܬܒܐ ܕܪܓܬ ܛܠܝܐ

كتاب رغبة الاحداث

تأليف القسّ اسحق ارملة السريانيّ الماردينيّ

طُبع في المطبعة اللبنانيَّة سنة ١٩٠٧ (ص ١٦٩)

انَّ الكتب السريانيَّة المدرسيَّة لقليلة جدًّا بالنسبة الى الكتب العربيَّة ولعلَّ ذلك ممَّا يزيد الاحداث نفورًا من درسها اذ لا يجدون ما يعينهم على تعلُّمها · وعليهِ انَّنا نشكر حضرة القس اسحق ارملة كاتب اسرار غبطة السيد البطريرك مار اغناطيوس

افرام الثاني الرحماني الذي نشر هذا الكتاب وفيهِ من المفردات والمركَّبات والتمارين المختلفة والمكالمات بالسريانيَّة والعربيَّة ما يرغّب الطلَّاب في درس لغة السريان التي هي لغة ثلاث طوائف شرقيَّة وفيها من الكنوز الادبيَّة والآثر اللسانيَّة ما يحل عدداً لا يُحصى من المستشرقين على تلقُّنها وتدريسها في الكليَّات الاوربيَّة هذا فضلاً عن سهولة مأخذها وقرب منالها على من يعرف العربيَّة واللغتان شقيقتان ليس بينهما بون عظيم. وهذا الكتاب الجديد من شأنهِ ان يزيد رغبة الاحداث في تعلُّم لغة الآراميين اجدادهم ويا ليت طبعهُ كان موازياً لحسن مضامينهِ. فان شاء الله تكون طبعتهُ الثانية اوفى مراماً واتمّ حسناً ل. ش

COLLECTION «SCIENCE ET RELIGION», Librairie Bloud et Cie, in-12: I **Evangiles Canoniques et Evangiles Apocryphes,** par M. Lepin = II **La propagation du Christianisme dans les trois premiers siècles,** par J. Rivière = III. **L'Eau bénite** par A. Gastoué,

الاناجيل القانونيَّة وغير القانونيَّة – انتشار النصرانيَّة في القرون الثلاثة الاولى – الماء المصلَّى عليهِ

هذه ثلاثة كتب جديدة تُضاف الى ذلك المجموع النفيس المعروف بالعلم والدين الذي بلغ عدد مصنَّفاتهِ نحو الخمسمائة . فالكتاب (الاول) مدارهُ على الاناجيل القانونيَّة الاربعة وكاتبيها وزمان كتابتها مع كل ما يتعلق باخبارها ورواياتها المختلفة وصحتها ثم ينتقل المؤلف الى ذكر الاناجيل المتعدّدة غير القانونيَّة التي كتبها بعدئذ بعض المبتدعين ونسبوها الى الرسل او تلاميذهم زوراً فصاحب هذا التاليف يبحث عن تلك الآثار المزيَّفة احسن بحثٍ ويبين ما فيها من الاقوال الضعيفة والروايات الكاذبة مع ما يستفاد منها لتاريخ تلك الازمنة وكل ذلك على طريقة واضحة مؤيدة بالبرهان شأن العلماء الاثبات – والكتاب (الثاني) يبحث عن انتشار الدين النصراني في الدولة الرومانيَّة في الثلثة القرون الاولى بعد المسيح وصاحب الكتاب احد علماء اللاهوت ذو شهرة في الابحاث الكتابيَّة. ومما يثبتهِ في هذا التاليف انَّ انتشار النصرانيَّة في العالم الروماني لمن اعظم المعجزات التي تدلُّ كون هذا الدين من الله اذ لولا ذلك لما امكنهُ ان ينتصر من فساد الوثنيَّة ولم تكن دعوتهُ لا بالسيف ولا بالمال ولا بالوسائط الماديَّة بل بقوَّة الله وحده الذي اثار قلوب شعوب كثيرة وجعلهم يذعنون لدعوة الله دون طمع في

شي من حطام الدنيا — اما الكتاب (الثالث) فقد وضعهُ صاحبهُ لتعريف الماء الذي تصلّي عليهِ الكنيسة وتتّخذهُ للبركات وطرد الارواح النجسة ولمنح المعموديّة واستمطار النعم الالهية في رُتبها وهو يبحث عن اصل استعمال ذلك الماء ومعنى اتخاذهِ في الطقوس الكنسيّة وفي مفاعيلهِ المختلفة. وهي ابحاث يتوق الى معرفتها كل من ينقّب في معاني الطقوس الكنسيّة واصلها وغايتها س٠ ر

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ حياة القديس يوحنّا مارون للخوري بولس عويس. طُبع في الاسكندرية (١٩٠٧ ص ٤٢)

٢ الثروة العقارية للقطر المصري بقلم الدكتور عيد طُبع في مصر (١٩٠٦ ص ٢٢)

٣ متى تستقل مصر. خطاب مفتوح الى الامة المصريّة من ب. م بالمنيا (ص١٢)

٤ زيارة القاصد الرسولي على العراق وما بين النهرين لانحاء كردستان

Au Kurdistan, Une Visite Apostolique, *Paris,F. Guilmot*, pp. 48

٥ سوريّة قبل عهد بني طولون

F. Bouvier: La Syrie à la veille de l'usurpation Tulunide. *Extrait, Paris,* pp. 16.

٦ استشهاد القديسة كاترينا — كرامة القديسين الشهيدين كورس ويوحنّا — سيدة صيدنايا

P. Peeters s. j. (*Analecta Bollandiana*): I Une Version arabe de la Passion de Ste Catherine d'Alexandrie. pp. 32=II Miraculum SS. Cyri et Johannis in urbe Monembasia, pp. 8 = III La Légende de Saïdnaia, p. 21.

٧ خارطة العالم للاكسرخوس يوحنا الحداد نزيل شيكاغو في الولاية المتحدة

Map of the World.

شذرات

تين اليونان منذ ٣٠٠٠ سنة — سافر بعض الاثريين من علماء اليونان تحت نظارة المسيو پوليتيس (Politis) رئيس كليّة اثينة الى جهات اليدة (Elide) الواقعة في شرقي اليونان وغايتهم ان يجروا هناك حفريات عند مدينة اولمپية حيث كان

قصر لاحد حكماء اليونان المدعوّ نِسطور فوقفوا على آثار مختلفة في مكـان يُدعى « كاكوباتُن » (Kakovaton) منها ابنية واسعة يحسبونها قصر نسطور المطلوب . وممّا وجدوا في الابنية مصوغات وعاديات شتى . واغرب من ذلك جرّتان صغيرتان كانت فيهما ماكولات اخصها ثمر التين والشعير . وتاريخ هذا القصر يبلغ كما يظنّون ٣٠٠٠ سنة بنيف فيكون تاريخ التين لا يقلّ ايضاً عن ثلاثين قرناً

ماسة كولينان يذكر قرّاؤنا الوصف الجميل الذي ارسلهُ لنا من الترنسفال جناب مكاتبنا الاديب اسكندر افندي طحيني (المشرق ٨ : ٣٨٥–٣٨٩) لهذه ملكة الالماس التي تفوق كل ما وجد من جنسها سابقاً في كل انحاء المعمور (انظر صورتها هناك وهي بكبرها الطبيعي) . وقد قُدّر ثمنها بقيمة ١٥٠,٠٠٠ ليرة انكليزيّة اعني ٧٥٠,٠٠٠ فرنك فابتاعت حكومة الترنسفال هذه الجوهرة الثمينة وكان لهـا حق في ثلاثة اخماسها فاهدتها لجلالة الملك ادوار شكرًا لهُ على ما خوّلهُ بلاد الترنسفال من الامتيازات

كتاب مفقود لارخميدس نشر الالماني هيبرغ (Heiberg) كتاباً وجدهُ في الاستانة على رقّ وكان هذا الرق سُحج بعد كتابتهِ الاولى فكُتبت عليهِ كتابة ثانية (palimpseste) فتمكن المسيو هيبرغ من قراءة الكتـابة الاولى فاذا هي اثر مفقود لارخميدس اليوناني تحتوي كتابهُ المعروف بالاسلوب مدارهُ على مسائل ميكانيكيّة وهندسيّة تدلّ على انّ ذلك الرجـل بلغ في تلك العلوم مبلغاً عظيماً فسبق نيوتن وليبنيتس الى ابحاثٍ كانوا ينسبون اكتشافها اليهما

الجراجمة وقفنا في كتاب الاغاني الشهير (١٦ : ٧٦) لابي الفرج الاصفهاني على فقرة في الجراجمة احببنا تدوينها في المشرق تتمّة لما اثبتناهُ سابقاً من اقوال العرب في حقّ هؤلاء القوم : (المشرق ٥ : ١١٢٢ و٧ : ٣٠١) . قال الكاتب في شرح بيت اميّة بن ابي الصلت يمدح سيف بن ذي يزن عند ظفرهِ بالحبش :

حتّى اتى ببني الاحرار يقدمهم تخالهم فوق متن الارض أجبالا

قال ابو الفرج « بنو الاحرار الذي (كذا) عناهم اميّة في شعرهِ هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم الان يسمّون بني الاحرار بصنعـاء ويسمّون باليمن الابناء وبالكوفة الاحامرة وبالبصرة الاساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشام الجراجمة » .

وهو قول حري بالاعتبار ينطبق مع ما كتبهُ العلّامة الفرنسوي في تنقّلات المردة (راجع المشرق ٥: ٧٢٩)

اسئلة واجوبة

س سال من بغداد حضرة الاب انستاس الكرملي. ١ً من اين أُخذ نص شرح المجاني (٧: ٩٤٠) حيث ورد «انَّ المستعصم كان يقضي اكثر زمانهِ بسماع الاغاني والتفرُّج على المساخرة» وماذا يراد بالمساخرة. ٢ً ماذا يُعرف من امر القصيدة الحميرية في تاريخ ملوك حمير

المساخرة – القصيدة الحميريَّة

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ النص الذي اثبتناه في شرح مجاني الادب منقول بالحرف عن تاريخ الفخري لابن طقطقى الذي طُبع مرارًا في المانية ثمَّ في فرنسة ثمَّ في مصر. امَّا المساخرة فجمع للمسخرة كالمَساخر وهم المشعوذون (bouffons) وقد ورد هذا الجمع في آثار البلاد للقزويني (ص ١٢٨) وفي معجم عربي اسباني من القرن الثاني عشر راجع معجم العلّامة دوزي Dozy : *Supplément aux Dictionnaires arabes*, I, 637-638. ونجيب على (الثاني) انَّ القصيدة الحميريَّة لنشوان بن سعيد الحميري وقد شرحها شرحًا موسعًا. ومن هذه القصيدة نُسخ متعددة في معظم مكاتب اوربَّة كلندن وفينة وليدن وبرلين وبطرسبرج وقد طبعت مع ترجمة المانية في ليبسيك سنة ١٨٦٥ بهمَّة العلّامة كريمر (A. von Kremer) ثمَّ ترجمت الى الانكليزيَّة وكان صاحبها شاعرًا مفلقًا ينتسب الى ملوك حمير وتوفي سنة ٥٧٣ هـ (١١١٧م) ولهُ ديوان شعر ومصنفات اخرى. وقصيدتهُ الحميرية اشهر تآليفهِ تبتدئ بهذه الابيات:

الامرُ جدٌّ وهو غير مزاحِ   فانظر لنفسك صالحًا يا صاحِ
كيف البقاء مع اختلاف طبائعٍ   وكرور ليل دائم وصباحِ
الدهر افصح واعظ يعظ الفتى   ويزيد فوق نصيحة النصّاحِ

(استدراك) وقع غلط طبعي في القضية ٥٦ الواردة في الصفحة ٩٢٤ من هذا العدد فتشوَّه المعنى. وصواب تعريبها:

٥٦ قد اصبحت الكنيسة الرومانيَّة رأسًا لجميع الكنائس ليس بتدبير من العناية الالهيَّة ولكن تبعًا لظروف سياسيَّة محضة ل. ش

المشرق

كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

لا نزال نطّلع كل يوم على بعض دفائن الآثار مما صنَّفهُ العرب وبقي محجوباً منذ اجيال في زوايا المكاتب الى ان يُسعد الحظّ احدَ ارباب البحث فيخرجهُ من مكمنهِ بل يحييهُ بعد موتهِ. ومن هذا القبيل كتاب جليل بل سفرٌ فريد وقفنا عليهِ في الصيف الاخير عند احد ادباء المدينة ووجوه الطائفة الارثدكسيَّة صاحب الفضل سليم افندي شحادة ترجمان سعادة قنصل روسيا في الثغر (١). وهذا التاليف عبارة عن مصنَّف مخطوط طولهُ ٢٠ سنتيمترًا في عرض ١٤ س مجلَّد تجليدًا شرقيًا قديمًا بنقوش وذهب مع لسان يضمّهُ منقوش مثلهُ. وصفحات الكتاب ١٥٨ صفحة في كل وجه منهُ ١٧ سطرًا وهو مكتوب بخط نسخي حسن غاية في الجلاء والوضوح بحبر اسود في المتن واحمر في رؤوس الابواب ويزين كلَّ وجه اطار احمر دقيق ذو خطَّين ناعمين ولا تاريخ للكتاب الَّا انَّ ورقهُ يدلّ على انهُ كُتب منذ نحو ٣٠٠ سنة. امَّا اسمهُ فمثبت في صدرهِ هكذا «كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة. تاليف الامام العالم العلامة ابن بسَّام المحتسب» وتحت هذا العنوان رسم خاتم هذه كتابتهُ «من مواهب ذي الفيض المدرار لغيثهِ محمَّد

١) بينا نحن نسطر هذه المقالة بلغنا نبأ مشؤوم بوفاة صاحب الكتاب فكان لهذا الخبر اسوأ موقع في قلبنا وقد كنَّا نعرف جناب الفقيد ونسرّ بمشاهدتهِ وكلامهِ. وكان رحمهُ الله محبًّا للاداب واسع المعارف حصيف العقل سليم الذوق. وممَّا نشكرهُ لهُ تقديرهُ لمجلتنا التي كان يحرص عليها ويطرئ مقالاتها ويحض اصحابهُ على مطالعتها. وهذه المقالة الحاضرة احدى مآثرهِ اذ تكرَّم واعارنا هذا المخطوط الثمين لنكتب عنهُ ما شئنا

الحسيني ابن العطار خادم الفقه والآثار ١٢٠٠ » وفي اسفل الصفحة بخط احدث ما حرفهُ « دخل بملك الفقير لمولاه الغني حيدر رسلان في شهر رجب سنة١٢٥٢صح صح » وليس في اخر الكتاب شيء يفيدنا عن صاحبهِ او عن ناسخهِ

١ في الحسبة والمقصود بها

وكأني بالقارئ يلحُّ علينا كي نعرّفهُ بمضمون هذا الكتاب ليعرف سبب تعظيمنا لهُ. فالجواب انَّ مدارهُ على امرٍ غايةٍ في الخطر لنظام الهيئة الاجتماعيَّة اي الحسبة او رتبة المحتسب. فلا بدَّ من تقديم الكلام عن هذه المهنة قبل تعريف مضامين كتابنا ونقل بعض فصولهِ فنقول: قد افاض قدماء الكتبة في وظيفة الحسبة وتعريف خواصّها واتساع نطاقها واختلاف احوالها في ممرّ الاجيال. والحسبة في اللغة قيمة الشيء وقدرهُ وتأتي بمعنى الاحتساب فيقال احتسبَ لهُ اجرًا عند الله اذا اتخذهُ بعمله الصالح فكأنَّ المحتسب هو طالب الاجر بحسن معاملاتهِ. والاحتساب كل مشروع يُفعل لله تعالى حتى قالوا: انَّ القضاء باب من ابواب الاحتساب. ثمَّ ارادوا بالاحتساب معنى محدَّدًا فاطلقوهُ على امور منها اراقة الخمور ومنها كسر المعازف وآلات الملاهي ومنها اصلاح الشوارع. ونجم عن ذلك علم خاصّ يُدعى بعلم الاحتساب يبحث عن الامور الجارية بين اهل البلد من معاملاتهم التي لا يتمُّ التمدُّن بدونها فيجبرونهم على القانون والعدل وينهونهم عن المنكر ويأمرونهم بالمعروف ويمنعونهم عن المشاجرات في الاسواق وكانوا خصوصًا يتولّون امر ضبط الاوزان والاسعار وما اشبه ذلك (١. وقد افرد الماورديّ في كتابهِ الاحكام السلطانيَّة بابًا في بيان احكام الحسبة (اطلب طبعة بُنّ سنة ١٨٥٣ ص ٤٠٤ — ٤٣٢) وها نحن ننقل هنا ما كتبهُ في ذلك ابن خلدون في مقدمتهُ. وكلامهُ حجة في ذلك يغنينا عن الاطالة:

امَّا الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعيّن لذلك من يراهُ اهلًا لهُ فيتعيَّن فرضهُ عليهِ ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الإكثار في الحمل والحكم على اهل

---

١) اطلب تاريخ المماليك للمقريزي (De Quatremère.: *Histoire des Mamlouks*, I, 1,114)

المباني المتداعية للسقوط جدمها وازالة ما يُتوقَّع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلّمين ولا يتوقف حكمهُ على تنازع او استعداء بل لهُ النظر والحكم فيما يصل الى علمهِ من ذلك ويرفع اليهِ وليس لهُ امضاء الحكم في الدعاوي مطلقًا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل والموازين ولهُ ايضاً حمل المماطلين على الانصاف واشال ذلك ممّا ليس فيهِ سماع بيّنة ولا انفاذ حكم وكأنّها احكام يتنزّه القضاء عنها لعمومها وسهولة اغراضها فتُرفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعُها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء . . .

فخلاصة الكلام انّ الحسبة في الازمنة الاخيرة صارت تدلّ على وظيفة اشبه بوظيفة صاحب الشرطة في عهدنا

١ تعريف كتب الحسبة

قد فهمت من الباب السابق ما معنى الحسبة فينبغي الان ان ننتقل الى وصف الكتب التي وُضعت في هذا العلم وما يترتّب على صاحبهِ من الاعمال . وهو حقيقةً غرض شريف ما كنّا لنظن انّ كتبة العرب تفرّغوا لهُ . فنعرّف اولًا ما كُتب في هذا الموضوع ثم نبيّن خواصّ الكتاب الذي وقع في يدنا

قلنا انّ اول من يجب مراجعتهُ في امر المخطوطات العربيّة كتاب كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون للحاج خلفا الشهير وليس تاليف في العربيّة اوسع واشمل منهُ وقد جاء لهُ في باب النون (ج ٦ ص ٤٠٠ و٤٠١ من طبعة لندن) ذكر كتابين يشبه اسمها كتابنا بعض الشبه وليسا بهِ كما سترى . فالاوّل هو « نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة للشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي . اولهُ : الحمد لله على نعمهِ الخ . وهو على اربعين بابًا » . امّا الثاني فلا يختلف اسمهُ عن الكتاب السابق ولعلهُ هو هو كما ارتأى الحاج خلفا نفسهُ فشُبّه عليهِ لاختلاف صورتهِ فقال عنهُ : « نهاية الرغبة في طلب الحسبة للشيخ الامام جلال الدين عبد الرحمان بن نصر التبريزي الشافعي المتوفى سنة (   ) رتبهُ على اربعين بابًا وفي اثنائها فصول . اوّلهُ : الحمد لله على ما انعم واستعين فيما اكرم الخ . قلت لعلّ الاوّل الثاني »

ففي هذا التعريف ما يبين انّ كتابنا ليس هو الكتاب او الكتابين اللذين وصفهما الحاج خلفا لانهُ يختلف عنهما في اسم المؤلف وعدد الابواب ومفتتح الكتاب . وما يؤيد قولنا انّ من التاليف الموصوف في كشف الظنون خمس نسخ مخطوطة في مخازن الكتب

الشرقيّة منها نسخة في ڤينّة موصوفة في قائمة مخطوطاتها العربيّة (Flügel : *Die arabischen Handschriften zu Wien*, II, 265) وهي نسخة توافق وصف الحاج خلفا للكتاب الثاني تماماً الّا في عنوانهِ الموافق لنسختنا فدعاه «نهاية الرتبة (ليس الرغبَة) في طلب الحسبة» . وهذه النسخة قديمة لا تاريخ لها عدّد صاحب قائمة ڤينّة ابوابها الاربعين التي اشار اليها الحاج خلفا . ودعا صاحبها بالامام تقيّ الدين عبد الرحمن بن نصر بن محمّد النبراوي (ليس العدوي او التبريزي كما روى الحاج خلفا). والنسخة الثانية في مكتبة كليّة ليبسيك (Vollers : *Katalog der islam. Handschriften zu Leipzig*, p. 193) تشبه نسخة ڤينّة وهي مخطوطة منذ نحو مئة سنة. والنسخة الثالثة في خزانة كتب غوتا (Pertsch : *Kat. zu Gotha*, III : 429) هي كالنسختين. وكذلك نسختان مصونتان في المكتبة الخديوية (ج ٦ ص ٢٠٩) فالواحدة منهما قديمة تاريخها سنة ٧١١ للهجرة (١٣١١ م) ويدعى مؤلفها «عبد الرحمن ابن نصر بن عبد الله بن محمّد الشيزري» فكل هذه النسخ متشابهة في موادّها وتقاسيمها وافتتاحها الّا ما لا يُعبأ بهِ كنسبة المؤلف الذي يُدعى «العدوي والنبراوي والتبريزي والشيزري والشيرازي» وعاش هذا المؤلف في القرن السادس للهجرة بدليل انهُ كتب لصلاح الدين الايوبي ومن تاليفهِ لهُ «كتاب نهج المسلوك في سياسة الملوك» وكانت وفاتهُ سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م)

ومما يشبه كتاب عبد الرحمن بن نصر في خزائن الكتب الاوربيّة «كتاب معالم القربة في احكام الحسبة» لمحمد بن محمّد بن احمد المعروف بابن الاخوه القرشي الشافعي الاشعري منهُ نسخة في خزانة كتب اكسفرد (Bibl. Bodl., Cod. arab., n° 97) وهو كتاب كبير في سبعين باباً «كُتب برسم خزانة الامير تم بن عبد الله الناظر في الحسبة» يحتوي كل ما تراهُ في كتاب نهاية الرتبة لعبد الرحمن بن نصر وهو اوسع منهُ «ضمنهُ طرفاً من الاخبار وطرّزهُ بالحكايات والآثار ونبّه فيهِ على غشّ المبيعات وتدليس ارباب الصناعات» لينتفع بهِ «من استند لمنصب الحسبة وقلد النظر في مصالح العموم وكشف احوال السوقة وامور المتعيشين على الوجه المشروع»

وفي مكتبة ڤينّة (Katalog zu Wien, II, 501) كتاب آخر وهو «كتاب المختار في كشف الاسرار» للامام عبد الرحمن بن ابي بكر الدمشقي المعروف بالجوبري

من كتبة القرن السابع للهجرة وأحدُ كتبة بني ارتق اصحاب ماردين جعل كتابهُ في ٣٠ باباً وضمنهُ قسماً كبيراً من حِيَل اهل الصناعات فكشف اسرارهم واظهر شعوذاتهم (١

٣ وصف كتابنا

تلك هي الكتب التي وُضعت في الحسبة فبقي علينا ان نذكر الكتاب الذي حاولنا وصفهُ لنبين خواصهُ

(اسم الكتاب) رأيت ان اسم كتابنا يوافق اسم كتاب عبد الرحمن بن نصر في بعض نسخهِ المخطوطة وان لم يكن ايّاه كما سيتضح لك

(مؤلفهُ) يُدعى المؤلف في عنوان كتابنا بابن بسّام المحتسب واسمهُ كما في فاتحة الكتاب محمَّد بن احمد بن بسام. وليس هو بابن بسّام الشاعر الاديب صاحب « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » فانَّ هذا يُدعى ابا الحسن عليًّا وتوفي سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥م) امَّا مصنف كتابنا فلا نعلم من امره شيئاً مع كثرة تنقيبنا عنهُ في تراجم الادباء. وغاية ما نعلم من امره ما يُستخلص من كتابهِ الذي ليس منهُ نسخة ثانية تُعرف. فيقال عنهُ انهُ كان محتسباً وهذا ما يزيدنا ثقة في كلامهِ عن وظيفة المحتسبين. وتدلُّ ابحاثهُ المتعدّدة على دقة نظرهِ في الامور واختبارهِ لطبائع الناس وبحثهِ عن فنون الصنائع ومكنوناتها وحسن اطلاعهِ على حيل المدلّسين وطلبهِ للادوية الناجعة في ابطالها. وليس في مطاوي الكتاب ما يشير الى اعمال المؤلف الشخصيَّة او الى حادث من حوادث زمانهِ يرشدنا الى معرفة عهدهِ او بلادهِ او مذهبهِ في الاسلام او نسبتهِ فلا يبقى الَّا الاقرار بجهلنا لكل احوالهِ راجين من ارباب العلم ان يسدُّوا الخلل ويفيدونا ما تحيط بهِ معرفتهم ولهم منّا الشكر سلفاً

(علاقة هذا الكتاب بتأليف عبد الرحمن بن نصر) انَّ بين هذا الكتاب وتأليف عبد الرحمن بن نصر مطابقةً كبيرة وكأنَّ ابن بسّام اخذ تأليف سلفهِ واضاف

١) اطلب في المجلة الاسيويَّة الفرنسوية مقالةً موسعة في الحسبة ونظارة الشرطة عند العرب مستندًا الى كتابي عبد الرحمن بن نصر وعبد الرحمن الجوبري وصاحبها العلَّامة برنهاور نقل الى الفرنساوية معظم كتاب الاوَّل وزاد عليهِ ملحوظات دقيقة

W : Bernhauer : *Mémoire sur les institutions de Police chez les Arabes,* **1860**¹, 460; **1860**², 114, 347; **1861**¹, 5.

اليهِ ابواباً متعدِّدة. فيكون نسج على منوالهِ وبنى على اساسهِ. ومما يزيد قولنا حجةً انَّ ابن بسَّام بعد فاتحة كلامه يذكر الشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله وينقل قسماً من مقدمتهِ. وكفى بهذا دليلًا على انهُ تعقَّب آثارهُ وحذا حذوهُ

(وصف الكتاب) يفتتح ابن بسَّام كتابهُ بما نصهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقنين (؟) قال محمد بن احمد بن بسَّام المحتسب احمد مَن لهُ الحمد والنعمة منهُ والهداية بهِ والفضل من عندهِ والصلاة على خير خلقهِ وبهِ نستعين. . .

الى ان قال عن غاية تاليفهِ:

وقد رايت المؤلفين من المتقدمين سبقوا الى ذكر كثير ما يحتاج اليهِ وينتفع ولم اجد احدًا منهم ذكر ما ينبغي ذكرهُ من الغبن والفحش والخيانة من الناس في المعاملات والمبايعات والتنبيه على ذلك والتحذير منهُ حتَّى لا يكون ولا شيء منهُ بعون الله تعالى فاحببتُ ان اؤلف كتابًا ادلُّ فيهِ على ما تيسَّر من انواع ذلك رجاء لثواب الله وجعلتهُ ابوابًا اذكر في كل باب منها ما يقرّبهُ ويشاكلهُ وبالله التوفيق

ويليهِ ما نبَّهنا اليهِ من مقدّمة الشيخ عبد الرحمن بن نصر دون ان يقول المؤلف انهُ نقل عنهُ او زاد عليهِ. وعلى رأينا انهُ عاش بعدهُ بزمن قليل اعني في القرن الثالث عشر او الرابع عشر للمسيح والمرجح انهُ كان في مصر

وفي اثر هذه المقدَّمة فهرس ابواب الكتاب وهي في عدد مئة واربعة عشر باباً وبعض هذه الابواب تُقسم الى فصول. فترى انَّ الزيادات على كتاب عبد الرحمن بن نصر مهمَّة كادت تبلغ ثلاثة اضعافهِ. وهو ايضاً اوسع مادة من كتاب ابن الاخوه «معالم القربة في احكام الحسبة» الذي تبلغ ابوابه السبعين. ولولا خوف الاطالة لعدَّدنا هنا اقسام كتابنا وهذه ابوابهُ الاولى: ١ً فيما يجب على المحتسب من امور الحسبة. ٢ً في النظر في الاسواق والطرقات. ٣ً في الخبَّازين والخبز. ٤ً في السقَّائين والماء. ٥ً في السوقة وغشّهم. ٦ً في جزَّازين الضان والمعز وغيرهم. ٧ً في الشوَّائين وتدليسهم ٨ً في الهرايسيين وغشهم. ٩ً في الزلبانيين وغشهم. ١٠ً في الروَّاسين وغشهم. ١١ً في الطبَّاخين وغشهم الخ. . . فان الكاتب لم ينسَ صناعة من صنائع عصرهِ الَّا ذكر احوال اصحابها وطرائق خدعهم. وفي بعض هذه الابواب ما يتدارك اخطارًا للعموم او يفيد صحتهم او يساعد على ترقية المدنيَّة بينهم كالباب الـ ٧٤ في معلمين الصبيان والباب الـ ٨٠ في حافري القبور والباب الـ ٨٦ في اصلاح الجوامع والمساجد

ومن الامور الاثيرة التي تُرى في هذا الكتاب ما ورد في الابواب ٩١ الى ٩٥ في معرفة الموازين والمكاييل ومثاقيل الذهب والارطال والقناطير والاقساط وفي ضبطها من الشأن والخطر ما لا يُخفى · وبالاجمال نقول انّ هذا التأليف من اجمل آثار القدماء يستحقُّ الطبع لتعميم فائدتهِ · وقد وقع فيهِ بعض اغلاط من النسّاخ يمكن اصلاحها بعد التروّي

وها نحن ندوّن هنا بعض فقرات من ابواب هذا الكتاب الجليل كامثلة تبيّن فضل صاحبهِ وحصافة عقلهِ

(نبذة من الباب الثاني في النظر في الاسواق والطرقات)

ينبغي للمحتسب ويُستحَبُّ لهُ ان يجعل لهُ على كل صنعة عريفًا من صالح اهلها خبيرًا بصناعتهم بصيرًا بغشوشهم وتدليسهم مشهورًا بالثقة والامانة يكون مشرفًا على احوالهم ويطالعهُ باخبارهم وما جُلب الى سوقهم من المتاجر والبضائع وما تستقرّ عليهِ الاسعار وغير ذلك من الاسباب التي يلزم المحتسب معرفتها ليُستعان على كل صنعة بصالح اهلها . ولا يجوز للمحتسب ان يسعر بالبضائع على اهلها ولا ان يلزمهم بيعًا بسعر معلوم . . . وانما اذا راى المحتسب احدًا قد احتكر الطعام من سائر الاقوات وهو ان يشتري في وقت الغلاء (12r) ويتربَّص بهِ ليزداد في ثمنهِ اكثر منهُ يبيعهُ اجبارًا لانَّ الاحتكار حرام والمنع من فعل الحرام واجب . . . ولا يجوز تلقي الركبان وهو ان تقدم قافلة فيلقيهم (كذا) انسان خارج البلد فيخبرهم بكساد ما معهم ليبتاعهُ منهم رخيصًا . . . فان عثر المحتسب بمن يقصد ذلك عزرهُ وردعهُ عن فعلهِ وينبغي ان يُمنع احمال الحطب والحلفاء واحمال التبن وروايا الماء والرماد وما اشبه ذلك من الدخول الى الاسواق لما فيهِ من الضرر بلباس الناس ويامر اهل الاسواق بكنسها وتنضيفها (وتنظيفها) من الاوساخ وغير ذلك مما يضرُّ بالناس . . . كذلك كل ما فيه اذيَّة واضرار على السالكين كمجاري الاوساخ الخارجة من الدار في زمن الصيف الى وسط الطريق فانهُ يكلّف بسدهِ في الصيف (12v) ويحفر لهُ في دارهِ حفرة يجمع فيه ولا يجوز التطلع الى الجيران من الاسطحة والنوافذ ولا يجلس الرجال في طرقات النساء من غير حاجة فمن فعل ذلك عزرهُ المحتسب . . .

(نبذة من الباب الثالث في الخبّازين)

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفًا ثقة من اهل صناعتهم ويأمرهُ ان يكتب لهُ جريدة باسمائهم وعدَّتهم ويُطالَبوا برسومهم في كلّ يوم ولا يسامحوا منها بشيء ومتى سُومحوا منها بشيء كان ذلك سببًا للاضطراب في الاسواق وفساد الاحوال ويتفقدوا ما يغشوا بهِ الاخباز من دقيق الجلبّان والفول فانهما يسوّدانهِ وكذلك دقيق الحمّص فانهُ يثقلهُ ويمحه (ويُبَجّجهُ) وكذلك دقيق الشعير والسميد (والسميذ) ما يخفا (يخفى) نظرهما (13r) على وجههِ وايضًا في كسرهِ واذا لم

ينضج الخبز أُدِّب الخبّاز والفرّان جميعاً لانَّ الخبّاز اذا امر الفرّان ايتمر ويُطالبوا بنظافة اوعية الماء وتغطيتها ونضافة (ونظافة) المعاجن وما يُغطّى بهِ الخبز وما يُفرَش تحتهُ ولا يُعجن عجانًا بقدميهِ ولا بركبتيهِ ولا بمرافقهِ لئلّا تتحدَّر اعراق ابدانهم في المعجين وفي ذلك ايضاً احتقارًا (احتقار) بالطعام ويكون العجّان متاشمًا لئلا يبــدر من بصاقهِ او مخاطهِ من (الى) المعجين اذا تـكلّم او عطس ولا يعجن الّا وعليهِ مِلْعَبة او ثوب مقطوع الاكمام ويشدّ جبيه (جبينهُ) بعصابة بيضاء تمنع عرقهُ ان يقطر ويحلق شعر ذراعيهِ كل قليل. واذا عجن في النهــار فليكن مندهُ من ينش (كذا) عليهِ من الذباب. هذا كلهُ بعد نخل الدقيق بالمنخل الصفيق... (13^v) ويقرّر بيع الخبز بلا غبن ولا حيف على الخبّاز ولا على الرعيّة ويُؤمروا الّا يخبزوا خبزًا الى ان يختمر فان غير الخمير يثقل في الميزان ويثقل في المعدة وكذلك اذا كان قليل الملح فانهم يقصدون بذلك ثقلهُ ووزانتهُ (ورزانتهُ) وينبغي ان يرشّوا على وجههِ الابازير الطيّبة مثل الكمّون الابيض والاسود والشمر والقرطم وما اشبه ذلك وكذلك في المعجين والمصطكا وعرق الكافور والشبية ويعتبر سعر الاوقات ونقصانه وينقش على لوح الخبّازين واوزانها على اطرافها واذا عرض حركة على الخبز امرهم بعمل وظائفهم كلها خبزًا...

(لهُ بقيّة)

معنى حلب الشهباء

لحضرة الاب انستاس الكرملي

ما معنى «حلب الشهباء». هذا سؤال اذا طرحتــهُ على بعض الكتبة لم يتوقفوا هنيهة من الزمان في تأويلهِ. وللحال يلفّقون لك حكاية عامرة بالشواهد ويطبّقونها اتمّ التطبيق على مزاعمهم حتى تحير في إنكارها ان لم يكن لك هنــاك ادلّة تنقض هذا الراي الوَهن. فقد قال اغلبهم: «سُمّيت حلب لان ابراهيم الخليل كان لهُ بقرة شهباء يحلبها على اكمةٍ فوق مركز المدينة ويطعم الناس فكانوا يقولون: حلبَ الشهباء»

وقال ياقوت: «سمّيت حلب لان ابرهيم عم كان يحلب فيها غنمهُ في الجمعــات ويتصدّق بهِ. فيقول الفقراء. حلَبَ! حلَبَ! فسُمي بهِ. قلتُ انا (يعني ياقوت): وهذا فيهِ نظر لان ابراهيم عم واهل الشــام في ايّامهِ لم يكونوا عربًا. انما العربية في ولد ابنهِ اسماعيل عم وقحطان... فان كان لهذه اللفظة اعني حلب اصل في العبرانيّة او السريانيّة لجاز ذلك لان كثيرًا من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقهُ الّا بعجمة يسيرة كقولهم: «كهنّم في جهنّم». وقال قوم: ان حلب وحمص وبرذعة كانوا اخوة من بني عمليق (؟!!)

فبنى كل واحد منهم مدينة فسُمّيت بهِ . . . وبنو عمليق اختلطوا بالعرب ومنهم الزباء فعلى هــذا يصح ان يكونوا اهل هذه المدينة كانوا يتكلمون بالعربيَّة فيقولون حَلَبَ. اذا حلب ابرهيم غنمهُ »ا.ه

وقال في شرح المجاني (٧: ١١٢) «وكان اسمها القديم هلبون وهلبة وبيري». وقال في دائرة المعارف: واسمها القديم: خاليبون ثمَّ بيريا». وقــال في معجم البلدان: «باروًا هي حلب». وقال ابن بطوطة: «قلعــة حلب تُسمَّى الشهباء» اه

قلنا: اقدم اسم ورد لهذه المدينة هو «حَلَب» كما جاء في التنزيل العزيز وكما رُئي مدرجاً في العاديات الاشورية والبابلية والمصريَّة بالصورة المعربة المنونة وهي «حَلَبٌ او حَلَبُونْ» باشباع حركة الاعراب. واما «هلبون وهلبة» فليسا باقدم من حلب انما هما تصحيفان لهذه اللفظة ليس الَّا. واما «بيري» Beroea او «بيريا» او «باروًا» فهي لفظة محدثة بالنسبة الى حلب وقد سماها بها سلوقوس نيقاطور بعد ان رمَّم بها بعض الترميات وبنى فيها ابنيةً جديدة. واما «خاليبون» فهو كتابة χαλυβων اليونانيَّة المنقولة عن «حَلَب او حَلَبُون» الساميَّة ولخلوّ الحاء في لغة اليونان نقلوها بالخاء المعجمة الموجودة عندهم. واما «الشهباء» فهو لقب المدينة على المشهور فان قُيِّدت القلعة بهذا الاسم بعد ذلك فهو حديث ايضاً او من باب حذف المضاف وابقاء المضاف اليهِ اي ان الاصل في هذا التعبير: قَلْعَة الشَّهْبَاء

والان نريد ان نعلم ما معنى حلب. ولماذا سميت بهذا الاسم. ثم ما معنى الشهباء على الاصح

نقول: لا جرمَ ان حلب لفظة قديمة سامية الاصل. وقد ثبت اليوم عند العلماء ان جميع الالفاظ الثلاثيَّة السامية هي ثنائية التركيب في بدء الوضع. واصل مادة «ح ل ب» هو «ل ب» وقد أُدخلت الحاء وأُبدلت من غيرها من حروف الحلق لتأييد معنى «ل ب» والحال ان معنى هذين الحرفين المتجاورين الضخــامةُ والخصبُ والغِلَظ والامتلاء ونحوها لان «لبْ» هي حكاية صوت شيء رخصٍ او لدن او ضخم يضرب بشيءٍ مثلهِ. وقد توهَّم هذه الحكاية اصحابُ جميع الالسنة في وضع هذين الحرفين المجاورين. فاليونان قالوا: λίπος ; λιπάω ; ἀλείφω ومعناها: الشحم او الدهن او كل

جسم دهني ; وضَخُمَ او تصبَّب ماء ; ودَهن او طلى بسائلٍ ايًّا كان. ومن الغريب ان اليونان تقول: λιπαρής كما تقول العرب « لبيب » بمعنى رجل لازم للامر لا يفتر عنهُ كانهُ قد جعل لبَّهُ وهو قلبهُ يروح ويغدو متردداً اليهِ. وقال اللاتين labium اي الشفة لحكاية وقعها على الشفة الثانية lippus ومعناهُ الارمص لانطباق العينين الواحدة على الاخرى عند تجمُّع وسخها فيحدث من انطباقها حكاية صوت « لب »

ومن ذلك في العربيَّة اللُبّ وهو القلب لاكتناز عضلاتهِ وهو كذلك في اللغــات السامية كالسريانية والعبرانيَّة والكوشيَّة (الاثيوبيَّة) واذا استقريت مادة « ل ب » او « ل ب ب » تحققت ان جميع اللغات السامية فضلًا عن غيرها توءيد هذا المعنى. ثمَّ اذا ادخلتَ حرفًا من حروف الحلق على اول هذه المادة (وحروف الحلق هي أ. ح. خ. ع. غ. هـ.) لم يتغير شيء من المعنى الاصلي بل يتأَيد ويتقوى. ومنهُ : ألَبَتِ الابلُ : « انضمَّت » بعضها الى بعض والقوم « اجتمعوا » والسماء: « دام » مطرها

وحلَبَ القوم: « اجتمعوا » من كل وجه كأَلَبَ. وحَلَبَ الرجل: جلس على ركبتَيهِ (كانك تقول تجمَّع) والحليب ما يتجمع من اللبن في ضرع الاناث. والحالبُ: شراب التمر (الذي يُتَّخذ من جمع جواهر التمر بعضهُ على بعض) الخ

وحلَبَ فلانٌ فلانًا: خدعهُ بمنطقهِ ولسانهِ وامال « قلبَهُ » بألطف القول. كانهُ جمع كل شواعرهِ وكل ما في نفسهِ واماله اليهِ. والحِلْب لُحيمة رقيقة تصــل بين الاضلاع او الكبد او زيادتها او حجابها او شيء ابيض رقيق لاصق بها...

وعلَبَ الشيء: صلُب واشتد وجَسأ (ومعنى التجمُّع والاكتناز ظاهر)

وغلب فلان فلانًا: قهرهُ واعتزَّ عليهِ وامتنع (ولا يكون الَّا بعد تجمُّع قوى الغالب على المغلوب) وغَلِب الرجل: « غَلُظ » عنقهُ

وهلبت السماء القوم: بلّتهم بالندى او مطرَتهم مطرًا متتابعاً. والفرس (جمع قواه) فتابع الجري . والهُلب: الشعر كلهُ او « مــا غلظ » منهُ ... الى اخر ما يتفرَّع من هذه الاصول

وعليــهِ فمعنى مدينة حلب : المدينة الخصبة الارض المكتنزة التراب الدَّسِمتهُ العلكتهُ

واما الشهباء فهو اسم ماخوذ من لون التراب لشهبتهِ كما هو مشهور عن ارض حلب

وقد جاء في اللسان: الشهباء: الارض البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر من الشهبة وهي البياض » قلتُ: وقد يكون لون الارض اشهب وتكون الارض مع ذلك خصبةً فاللون من الاعراض. لا اثر لهُ على طبيعـة الاراضي. فان كان لاحد رأي غير هذا الراي فليبدهِ ولهُ الفضل العميم. وربك فوق كل علم عليم

الرسالة الزاخريّة

في امتناع اكل اللحوم للرهبانيَّات الشرقيَّة (تتمَّة)

نشرها حضرة الاب تيموتاوس جق احد تلامذة مدرسة القديسة حنة (الصلاحية)

يُعترَض ثالثاً انهُ يتضح من الخبر الذي يورده المؤرخون عن الملكة تاوفاني ان امتناع الرهبان عن اكل اللحوم لم يكن منذ القديم. حيث ان ذلك تمَّ بمشورة هذه الملكة في اواخر الدهر الثامن بمجمع عُقد في القسطنطينيَّة وبهِ منعت الرهبان عن اكل اللحم وهكذا بعد هذا المجمع وُجد رهبان روم شرقيون ياكلون لحماً كما يخبر بذلك الكتبة المسيحيون

فنجيب اولًا عن القسم الاول من هـذا الاعتراض قائلين: انهُ من الخبر المذكور ينتج انهُ كان يوجد في ذلك العهد بعض اديرة من اديرة القسطنطينية ياكل رهبانهـا لحماً في الاعياد الربية لا غير وبسماح كنائسي لا باطلاق القوانين الرهبانية. مسلَّم. انَّ كل الرهبـان كانوا ياكلون لحماً وعلى الاطلاق. منكر. وذلك لاننا قد اوضحنا بما تقدَّم انهُ في جميع الرهبنات الشرقية لم يكن يُعرف اكل اللحم اصلًا ولكن ان كانت توجد بعض قوانين ابوية تطلق للرهبان اكل اللحم في الاعيـاد الربية لا غير فذلك لمضادة الاعتقاد المانوي وترع العبادة الباطلة كما ذكرنا فيما تقدم. فوجد في القسطنطينية بعض اديرة ياكل فيها الرهبان لحماً في الاعياد المذكورة. وذلك لا لان القوانين الرهبانية تطلق لهم ذلك بل بسماح تلك الرسوم الكنائسية وفي تلك الايام المعيَّنة لا غير وذلك اذ رأت الملكة العابدة اشتغال البعض من هؤلاء الرهبان في الايام المتقدمة على هذه الاعياد باعداد اللحوم لم تستحسن ذلك. لكن بمشورتها ارتضت الآباء الذين

كانوا في ذلك العصر ان يمنعوا هذا السماح الذي قد زال سببهُ ليكون جميع الرهبان ممتنعين عن اكل اللحوم مطلقاً حسب القوانين الرهبانيـة والعادة العامة السالكة في جميع الاديرة حتى في اديرة كثيرة من القسطنطينيّة نفسها كاديرة القديس تاودوروس الاسطوديتي التي لم يكن يُعرف بها اكل اللحوم ولا يوم عيد الفصح نفسه · كما يوضح ذلك ترتيبهم في المآكل والمشارب المتقدم ذكره منّا والموجود بتفصيل واسهاب في المقالة السابعة والخمسين من الحاوي الكبير

نجيب ثانياً عن القسم الثاني: انهُ يوجد بعض رهبان روم شرقيين ياكلون لحوماً خفيةً واختلاساً بنوع مخالف للطريقة النسكية العامة لا باشتهارٍ مقبول · مسلّم · يوجد رهبان ياكلون لحوماً بطريقة مشتهرة مقبولة وحسب قوانينهم النسكية · منكر · ومن المعلوم ان الافعال المخالفـة الشريعة على النوع المذكور اي المفعولة من البعض سرقةً واختلاساً لا تنفي وجود الشريعة ولا تضعف قوة الزامهـا · حتى ولا ان وجد اناس خصوصيّون في بعض امكنة متطرفة ياكلون شيئاً من اللحوم في بعض ايام ظـاهراً خلاف العادة العامة المشتهرة · وذلك امّا بمعصية وامّا بسماح خصوصي فلا اعتبار لذلك . على ان العوائد المنَح الخصوصية المحتملة او المقبولة في بعض امكنة لا تبطل الناموس العام · بل تبطل بهِ حينما يلزم ويسلك بالعمل · مع ان هذا الذي نفرضهُ لا وجود لهُ وان وجد في بعض امكنة فلا يوجد عندهم رهبان حقًّا · بل عند من يُدعَون رهباناً مجازاً ولبيان ذلك نقول ان الرهبان الصغار وهم اصحـاب الاسكيم الصغير الذي هو المتيّة والبارمنني واللاطية وطغمة الرهبان الكبار وهم اصحاب الاسكيم الكبير الذي هو الثوب المختص بهم والكوكوليون والاتالابون فذوو هاتين الطغمتين هم رهبان حقًّا بنذورٍ احتفالية ثابتة يلتزمون من قبلها بحفظ جميع القوانين الرهبانيّة التي تخصُ كلًّا من هاتين الطغمتين · اما المدعوُّون رهباناً مجازاً فهم طغمة المبتدئين في السيرة الرهبانيّة اي اللذين يلبسون القبع والثوب العـام لا غير وذلك للتجربة من غير نذور فهؤلاء لا يلتزمون بالقوانين الرهبانية إلّا في الاديرة المشتركة للعـاش وذلك من وجه الاقتداء والمشاركة · واما خارجاً عن هذه الاديرة وفي العيشة المنفردة كاصحاب القلالي الذين في جبل اتوس المدعو الجبل المقدس فلا يلتزمون بها اي بالقوانين الرهبانية الّا حينما يحدث من عدم التزامهم شكوك وعثرات للضعفاء واهانة للمذهب الرهباني

فاذ تقرَّر ذلك فنقول ان هؤلاء اعني اصحاب القبع والثوب العام الذين في رتبة المبتدئين يمكن ان يأكلوا لحماً في بعض امكنة على النوع الذي ذكرناهُ اي في العيشة المنفردة عن الاديرة القانونيَّة التي للرهبان الناذرين وحيثما لا يصدر شكٌّ بما انهم ليسوا برهبانٍ حقًّا ولا تلزمهم القوانين الرهبانيَّة على النوع المذكور . واما اولئك اي الرهبان حقًّا ذوو الاسكيم الرهباني والنذورات فسواء وُجدوا في الاديرة المشتركة المعاش او خارجاً عنها ايضاً فلا يستطيعون ان ياكلوا لحماً ولا ياكلون ايضاً فهذا هو القائم بالعمل والمشتهر عند جميع الاديرة وان اكل احدهم فيأكل اختلاساً اكلاً محرَّماً ممنوعاً من القوانين الرهبانية التي يلتزم بها من قبل نذوره الاحتفالية الظاهرة او من قبل مضمر نذر هذا الامتناع . وهو الذي يلتزم بهِ روساء الكهنة الذين يلبسون الاسكيم الرهباني المقدس قبل الارتقاء الى الرئاسة الكهنوتيَّة ليكونوا رهباناً حقًّا وبالتالي يلتزمون بهذا الامتناع حسب العادة القديمة والثابتة الى الان وهذا اعني هذا الاكل الاختلاسي الممنوع من القوانين الرهبانية والعادة القديمة لا يُضعف قوة إلزام هذه القوانين العامة اصلاً كما هو مقرر عند جميع علماء الشريعة والذمة . فصح اذًا انهُ لا احتجاج بقول البعض انهُ في بعض امكنة يوجد رهبان يأكلون لحماً . اذ كان هؤلاء امَّا انهم ليسوا برهبان حقًّا ولا في اديرة قانونيَّة مشتركة المعاش . واما انهم يأكلون ذلك اختلاساً اكلاً محرَّماً ممنوعاً كما تقرَّر ذلك واضحاً

فان قيل فما قولك في البعض من الرهبان الروم الشرقيين الذين قد نذروا الرهبانيَّة على القانون الذي اختصره بيصاريون من قوانين القديس باسيليوس ظانين انه يبيح لهم اكل اللحوم لسبب ما يذكر في تلك الفريضة التي اوردها المعترض فيما تقدَّم من هذا القانون فهل ان هؤلاء يجوز لهم اكل اللحوم نظرًا الى ذلك ام يلتزمون بالامتناع

فنجيب لا ريب في ان هؤلاء ايضاً يلتزمون بالامتناع عن اكل اللحوم حسب القوانين العامة والمشاعة لكل رهبان الروم الشرقيين . وذلك اولاً لانهُ لا احتجاج لهم بهذا الظن . ثانياً لانهم بما انهم رهبان روم شرقيون نسبةً ومسكناً فيلتزمون بحفظ فرائض القديس باسيليوس العامة التي بها يمتنع الرهبان الروم الشرقيون عن اكل اللحوم

قلت اولاً انهُ لا احتجاج لهم بهذا الظن وذلك اولاً لان تلك الفريضة القانونيَّة لا توجبهُ كما تقدَّم بيان ذلك . حيث انها انما تُطلِق بلَّ الخبز بمرقة تلك القطعة الصغيرة من

اللحم المقدَّد الموضوعة في مرقة حبوب او سلائق جزيل مقدارها . وذلك لا على الاطلاق ايضاً لكن حينا وحينا يقتضي الامتناع عن هذا الما كل الجزيل التقشف بوجود العبادة الباطلة وتبلبل العيشة المشتركة فهذا هو ما تُبيحهُ الفريضة المذكورة لا غير . لنزع التحفُّظ الباطل والمشكك كثيرين لا ان يأكل الرهبان لحماً على الاطلاق بل ان هذا تنفيه ظاهراً بايضاحها ان الرهبان يمتنعون عن اكل اللحوم هرباً من اللذة والشبع . ثانياً لان كتاب فرائضهم يشهد لهم شهادة نيّرة بما ينافي هذا الظن المأخوذ باطلاً عن هذه الفريضة حيث انهُ يصرح بان رهبان القديس باسيليوس يمتنعون عن اكل اللحوم حتى يوم عيد الفصح . ثالثاً لان هذا الظن لم يحقق عندهم قط حتى لا اقول انهُ لم يترجَّح بل لم يزالوا على الدوام مشككين وقد اوجبوا على انفسهم هذا الامتناع مرات كثيرة لشكهم بجواز الاطلاق

ولنزع كل احتجاج اقول انهُ ولو فرضنا ان الرهبان المذكورين لم يفهموا شيئاً مما ذكرنا بل انما عرفوا ان قانونهم يبيح لهم ذلك الّا ان يكونوا قصدوا في حال نذرهم أَلّا يكونوا ملتزمين بهِ اي بهذا الامتناع ان ظهر لهم فيما بعد ان قانونهم يوجبهُ ولا يطلق لهم اكل اللحم لانهُ على راي جميع علماء الذمة ان الغلط في الشروط العرضيّة الغير المعتبرة لا يعفي من الالتزام بالنذر بما ان الناذر يرتضي بجوهر النذر ويلزم نفسه بهِ من غير قصدِ مضادٍ اي من غير ان يقصد عدم الالزام بهِ اذا ما ظهر له اخيراً بخلاف ما هو ظاهر له في حال النذر وذلك بامرٍ لا يعتبر ولا يختص بالجوهر بل انهم اعني معلّمي الذمة يعلّمون ايضاً ان النذورات الرهبانيَّة التي ينذرها الراهب بعد كمال التجربة في رهبنة مثبتة لا يمكن ان تحصل باطلة لاجل اي غلط كان ما عدا الغلط الواقع في نفس الجوهر مثلاً ان ينذر الرهبنة في دير يظنه من رهبنة القديس انطونيوس ويكون ذلك الدير من رهبنة القديس باسيليوس فهذا الغلط لا غير يعفي من الالتزام بالنذر لا الغلط في بعض شروط عرضيّة لا تعتبر كاكل الرهبان الشرقيين لحماً في هذا الجبل المقتضي الصوم اضطراراً لعدم وجود اللحم وتعذُّر حصول الرهبان عليهِ الّا قليلاً فاذا تقرَّر ذلك فلتشهد لنا ضمائرهم امام الله . هل انهم حينما نذروا الرهبانيّة قصدوا قصداً خصوصياً حقيقاً أَلّا يمتنعوا عن اكل اللحم ان ظهر لهم فيما بعد ان قانونهم لا يبيح لهم ذلك . فعلى ما اظن انهُ ولا واحد منهم يستطيع ان يقول

هذا بصدقٍ فجميعهم اذًا يلتزمون بهذا الامتناع ولو كانوا قد نذروا غلطاً اي بتصديقهم ان قانونهم لا يمنع ذلك

قلت ثانياً انهم بما انهم رهبان روم شرقيون نسبةً ومسكناً يلتزمون بحفظ فرائض القديس باسيليوس النسكيَّة العامَّة التي بها يمتنع الرهبان الروم الشرقيون عن اكل اللحوم . وذلك اولًا لان عدم تمسكهم بهذه الفرائض ومخالفتهم العادة العامة والمشتهرة عند الجميع بأكلهم اللحوم هو امرٌ مشكك ومسبب أسجاساً كثيرة وهدماً لكثيرين لانهُ امر مفهوم عند الجميع ان جميع الشرقيين يتقززون من الراهب الآكل لحماً ويشكون به ويحتسبونه كمنافق وخائن النذور حتى وان كان الان يوجد قليلون جدًا لا يشكون من هذا الامر . وذلك لغلطٍ رديٍّ يلزمهم الارتجاع عنهُ اعني لنكرانهم الصيامات الكنائسيَّة وانقطاع الرهبان عن اللحوم فمع ذلك البقية وهم الكثيرون جدًا يتسجسون ويشكون ويثلبون وينهدمون . والحال ان الرسول الالهي لا يريد ان يأكل لحماً الى الابد ان كان اكل اللحم يفتن الاخ الضعيف . ثانياً لانهُ لا اذن لهم ولا سلطة للرؤساء ايضاً لأن يقيموا طريقة جديدة غير مألوفة ولا سالكة بالعمل في هذه البلاد منذ عهد تأسيس الرهبنات الى يومنا هذا كما اوضحنا بما تقدَّم وذلك لان المجمع اللاتراني العام المقدَّس المجتمع من اباء الكنيسة شرقاً وغرباً في عهد البابا اينوشنيوس الثالث يمنع في الفصل الثالث عشر من رسومهِ ظهور طريقة جديدة ويأمر كل من اراد ان يترك العالم ويقصد الرهبانيَّة ان يسلك في أيَّة طريقة اراد من الطرق المقبولة من البيعة والحال ان استعمال هؤلاء الرهبان اللحوم هو اظهار طريقة جديدة في الكنيسة الشرقيَّة التي لم توجد بها قط رهبنة تأكل لحماً فاستعمال اكل اللحم في رهبنةٍ شرقيَّة ممنوع وبالتالي لا يجوز اصلًا وقولي ولا الرؤساء ايضاً يستطيعون ان يعطوهم هذا الاذن يُفهم بهِ جميع الرؤساء غير الحبر الروماني حيث ان الحبر المذكور وحده يستطيع ان يقيم طريقة جديدة لانهُ وحدهُ الذي يستطيع ان يحل قوانين المجامع العامَّة حينما يقتضي ذلك خير البيعة وبنيانها . ثالثاً لان المجمع الروماني المقدَّس ينهيهم عن مخالفة الطقوس المختصة بالكنيسة الشرقيَّة لاسيما طقوس الصيامات والانقطاعات . بل يأمر هؤلاء الرهبان انفسهم بوجه الخصوص ان يحفظوا هذا الطقس اي طقس الصيامات والانقطاعات عن اكل اللحم وذلك لانهُ بمنشوره المقدَّس الذي ورد سنة الف وسبعماية وتسع وعشرين حيث

يرد جواباً عن طلبة هولاء الرهبان الاولى وهي ان يحيوا ويتّحدوا مع رهبنة الرهبان الباسيليين الذين في رومية ويكونوا خاضعين لرئيس هذه الرهبنة العام الى مدَّة . يقول هكذا : « فليسمع هذه الطلبة رئيس هذه الرهبنة العام (اي رئيس رهبنة الرهبان الباسيليين اللاتينيين) . اماَّ هم فمن جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا باكمال الطقس والقانون » فكأنهُ يقول انهُ من جهة اشتراكهم مع الرهبان المذكورين فليعرض ذلك على رئيس هذه الرهبنة العـام . اما هم ولو قبلوا بشركة هذه الرهبنة فيلزمهم من جهة الصيامات والانقطـاع عن اكل اللحم ان يحفظوا باكمال الطقس والقانون اي طقس الصيامات والانقطاع عن اللحم حسب عادة الرهبـان الشرقيين جميعهم

الَّا ان البعض يقول ان كلام المجمع المقدس المقدم ايرادهُ يقبل غير هذا التأويل فيفهم بمعنى مضادّ للمعنى المتقدم وذلك لانهُ يفهم بالطقس والقانون من قوله « فليحفظوا باكمال الطقس والقانون » لا طقس رهبان الروم الشرقيين وقانونهم المانع اكل اللحوم بل طقس الرهبان الباسيليين اللاتينيين وقانونهم . والحال ان هذا القانون يبيح اكل اللحم فاذاً يجوز لهوءلاء الرهبان ان يأكلوا ذلك كما اطلق لهم المجمع المقدَّس

فعلى هذا القول نجيب اولًا قائلين اننا قد اوضحنا بما تقدَّم ان قانون هذه الرهبنة الذي جمعهُ والفهُ بيصاريون من رسوم القديس باسيليوس لا يبيح اكل اللحوم اصلًا حتى ان الرهبان الباسيليين المتمسكين بهذا القـانون لم يكونوا يذوقون اللحم اصلًا كما يشهد كتاب فرائضهم وانَّ اكلهم الان اللحم ليس هو من قبل القـانون بل من قبل عادة بلادهم وسماحٍ خصوصي فهذا جميعه قد تقدم تقريره بكفاية . فاذاً ولو سلمنا هذا التأويل الذي يراه البعض صحيحاً لَما نتج منهُ انهُ يجوز لهوءلاء الرهبـان ان ياكلوا لحماً بل ان يمتنعوا عن ذلك ان كان المجمع المقدس على رأي اصحاب هذا التـاويل يلزمهم بحفظ هذا القانون باكمال . والحال ان هذا القـانون لا يبيح اكل اللحوم . بل كان المتمسكون بهِ من اللاتينيين انفسهم يمتنعون عن ذلك فاذاً لا يجوز لهوءلاء الرهبان ان ياكلوا لحماً ان راموا حسب وصية المجمع ان يحفظوا هذا القـانون باكمال والتدقيق

ولكن لان هذا التاويل باطل بالكليَّة فنجيب ثانياً قائلين بئس التـاويل الذي لا

يوافق قصد المتكلم وغرضهُ ولا حرف الكلام ونوعهُ ولا القراين المتفقة مع ذلك النوع لكن يوافق قصد المجمع المقدّس ولا الغاية التي لاجلها ارسل هذا المنشور. لانهُ لا ريب ولا شك في انَّ قصد المجمع المقدَّس في هذا المنشور والغاية التي لاجلها ارسلهُ هي ان يحفظ طقس الكنيسة الشرقيَّة وعوائدها المحمودة المقبولة والّا يدخل تغييرًا جديدًا مسببًا شكوكًا وانقساماً كما يصرّح بذلك ظـاهرًا بمنشوره. فكيف يصدَّق انه بهذا المنشور نفسهِ عينهِ امرَ بما يضاد قصده هذا وهو ان يغير هؤلاء الرهبان طقس الرهبنـة العام والمشاع لجميع الرهبان الروم الشرقيين بادخال تغيير مضـاد ومنشئ شكوكًا وسجساً وانقساماً. فهل يصدق عاقل هذا الامر وهو ان المجمع المقدس يامر بشيءٍ وينفيهِ في منشور واحد مرسل لغاية واحدة كلّا فلا يمكن اذًا صدق هذا التاويل بما انه مضاد لقصد المجمع المقدس مضادة صريحة

ثانياً هذا التاويل لا يوافق الحرف ونوع التكلم وذلك لان المجمع المقدّس بعد قولهِ « فليسمع هذه الطلبة رئيس تلك الرهبنة العام » يستتلي بنوع الاستدراك قائلًا: « اما هم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » فنحن نسأل هنا لماذا يتكلم المجمع هنا بنوع الاستدراك الذي هو تعقيب الكلام برفع ما يتوهَّم ثبوتهُ او نفيهُ. فهـل ان المجمع المقدس خشي من ثبوت هذا الامر . اي خشي من هؤلاء الرهبـان اذا اشتركوا مع الرهبـان الباسيليين اللاتينيين بدخولهم تحت طاعة رئيسهم الى مدة لا غير. لا ياكلون لحماً حسب عادة اولئك بل يثبتون ايضاً بموجب امره على التمسُّك بالصيامات والانقطاع عن أكل اللحم حسب طريقة الرهبان الشرقيين العـامة وطقسهم القديم فيحدث عن ذلك شكوك وسجس وخراب جزيل في هذه البلاد. فلذلك امرهم ان يحفظوا طقس اولئك الرهبان اللاتينيين بطرح الصيامات وبعدم الامتناع عن أكل اللحم والّا يعتبروا امره بحفظ الطقوس والعوائد اصلًا لكي لا تحدث مثـل هذه الشرور. وهل انهُ خاف ايضاً من انهم اعني هولاء الرهبـان اذا اكلوا لحماً بحسب طقس اولئك وقانونهم لا يفطون ذلك بالكمال فتفسد عبادتهم ولا تكون مرضية لله فلذلك قال مدققاً بالكمال. أليس ان هذه المظنَّات خرافات لا يراها ذو صواب. فالمجمع المقدس اذًا لم يقصد بهذا النوع من التكلم رفع ما يتوهَّم نفيهُ اي يقصد ازالة توهم نفي الصيـامات وعدم الالتزام بالانقطاع عن أكل اللحم الذي يمكن ان يحدث من قبل هذه الشركة مشيرًا

الى انهُ وان قبل ذلك الرئيس العام ان يشترك هؤلاء الرهبان بشركة رهبنتهِ الى مدة فلا يجب لذلك ان يطرحوا عنهم الالتزام بالطقس والقانون العام المشاع لجميع الرهبان الشرقيين بل يحفظوا ذلك بالكمال

ثالثاً التاويل المقدَّم ذكره لا يوافق القرينة حيث ان المجمع المقدّس لم يقل مطلقاً « اماً هم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » . بل قيَّد ذلك بقولهِ « من جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم» فهو اذا يأمرهم بحفظ الطقس والقانون من هذه الجهة المعينة وهذا يستلزم ضرورة ألّا يكون هذا القانون منافياً هذه الجهة اي منافياً حفظ الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم بل موجبها لأنه لا يمكن ان يأمر احداً بحفظ شيء منافٍ لما من جهتهِ ونظراً اليهِ يريد حفظ ذلك الشيء فلا يقال مثلاً : انه من جهة الفقر وعدم الاقتداء يجب ان تحفظ بالكمال طريقة المتحولين المحتشدين او من جهة حفظ البتولية وعدم معرفة النساء يجب ان تحفظ عادة المتزوجين فلا يُقال ذلك البتة وذلك لاجل المنافاة الموجودة فيما بين الشيء المأمور بحفظهِ وبين الذي من جهتهِ ونظراً لوجوب حفظ ذلك الشيء فهكذا اذاً لا يمكن ان يقول المجمع المقدَّس : « اما هؤلاء الرهبان فمن جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا بالكمال طقس الرهبان الباسيليين اللاتينيين وقانونهم حيث ان طقس هؤلاء الرهبان وقانونهم ينافي الصيامات والانقطاع عن اللحم» وبالتالي لا يمكن على حسب نوع التكلم ان يؤمر بحفظهِ نظراً الى الصيامات والانقطاع المذكور ولو يقصد المجمع ذلك لمَا كان ذكر الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم بل كان ذكر ما يضادّ ذلك قائلاً هكذا: « اماً هم فمن جهة اكل اللحم وعدم الالتزام بالصيامات فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » . او قلما يكون كان قال هكذا: « اماً من جهة الاكل . . . الخ » على انه لو يقول هكذا لكان يمكن ايضاً احتمال هذا التأويل والحال انهُ لم يقل هكذا بل قال : « اماً هم فمن جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » . فلا يريد اذاً بالطقس والقانون طقساً وقانوناً منافيين الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم بل طقساً وقانوناً موجبين ذلك وهما طقس الرهبان الشرقيين وقانونهم

ولكي نوضح بزيادة حقيقية مفهومية هذا النوع من التكلم فلنورد امثلة تطابق بكمال المطابقة عبارة المجمع المقدس ولنبصر كيف يجب ان نفهم من كل ذي

تصور. فنقول: لو قال احد « انهُ يجب على العالميين ان يقبلوا بكل كرامة الرهبان الذين يعظونهم ويرشدونهم الى الخلاص امّا هم (نعني الرهبان) فمن جهة الصيامات وبقية الرياضات النسكية فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون » فهل كان يمكن ان يفهم بالطقس والقانون من هذا القول طقس العالميين وقانونهم. كلّا. بل انّما يفهم طقس اولئك الرهبان وقانونهم المستلزم الصيامات والرياضات النسكية. وهكذا لو قيل « انهُ يجب على الرهبان الفرنسيسكانيين ان يقبلوا في اديرتهم الرهبان الكرمليين فمن جهة الانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون فهل كان يفهم بهذا الطقس والقانون طقس الرهبان الفرنسيسكانيين وقانونهم المبيح اكل اللحم ام طقس الرهبان الكرمليين وقانونهم الذي يمنع عن ذلك. هكذا ايضاً لو طلب من المجمع المقدس بعض الافرنج الذي يعيشون في هذه البلاد ان يسمح لهم بان يشتركوا مع الشرقيين في تعييد الفصح على الحساب العتيق. فقال المجمع المقدس في جوابهم هكذا فليسمع هذه الطلبة قدس سيدنا البابا امّا هم فمن جهة تناول القربان المقدس بشكل الفطير لا غير والانقطاع عن اللحم يومي الجمعة والسبت فليحفظوا بالكمال الطقس والقانون فهل كان يقول احد ان المجمع يريد بالطقس والقانون طقس الشرقيين وقانونهم في تناول الاسرار وعدم صوم السبوت لا طقس الغربيين وقانونهم ام ان كل من لهُ ادنى تصوُّر يقول ان المجمع المقدس يريد انهُ اذا ما رضي الحبر الاعظم بطلبتهم يجب ان يحفظوا طقسهم وقانونهم من جهة تناول الاسرار وصوم يومي الجمعة والسبت لا طقس الشرقيين بهذه الامور فهكذا بصدق القياس التمثيلي نقول انهُ لا يمكن ان يفهم بقول المجمع المقدس « الطقس والقانون » طقس الرهبان الباسيليين وقانونهم الذي يقال انهُ يبيح اكل اللحوم بل طقس الرهبان الروم الشرقيين المستلزم الصيامات والانقطاع عن اللحوم فالمجمع المقدس اذاً يريد انهُ اذا رضي رئيس رهبنة الباسيليين بقبول طلبة هؤلاء الرهبان ألّا يغيروا طقسهم من جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم بل ان يحفظوا هذا الطقس بالكمال والتدقيق

ولذلك المجمع الروماني المقدس اذ رسم ان يتحد الرهبان المنتمون الى دير ماري يوحنا الشوير والرهبان المنتسبون الى دير المخلص برهبنةٍ واحدة امر ان يؤسسوا اتحادهم على حفظ قوانين القديس باسيليوس العامة المشاعة لجميع الرهبان الروم

الشرقيين وبالتالي لا على القانون المؤلف من هذه القوانين المختص بالرهبان الباسيليين الغربيين وذلك لكي لا يدخل تغيير جديد مخالف طريقة الرهبان الشرقيين العامة المأخوذة عن قوانين هذا القديس

فصحَّ اذًا بكل ما اوردناه: اولًا ان عادة الرهبان الشرقيين بالامتناع عن اكل اللحوم هي عادة قديمة مساوية بالقدميَّة لوجود الرهبنة في هذه البلاد. ثانيًا ان القديس باسيليوس لم يحلّ هذه العادة ولم يطلق اكل اللحم اصلًا بل اوجب الامتناع عنهُ بامكنة كثيرة من اقواله. ثالثًا ان الفريضة التي يعترض بها البعض من فرائض هذا القديس لا تبيح اكل اللحم بل تطلق استعمال ذلك النوع المذكور من المآكل الجزيل التقشف حيثما كان يقتضي ذلك نزع العبادة الباطلة والشك بوجودها. رابعًا ان الرهبان الذين نذروا على القانون المختصر والمؤلف من نسكيّات القديس باسيليوس عن الكردينال بيصاريون للرهبان الباسيليين الغربيين. يلتزمون ايضاً بالامتناع عن اكل اللحوم ولو ظنوا سابقًا ان قانونهم يبيح لهم ذلك. خامساً واخيرًا ان كلام المجمع المقدَّس نحو هؤلاء الرهبان حيث يقول. امَّا هم فمن جهة الصيامات والانقطاع عن اكل اللحم فليحفظوا باكمال الطقس والقانون انما يُراد بهِ ان يحفظ الرهبان المشار اليهم طقس الصيامات وقانون الانقطاع عن اكل اللحم المشاع لجميع الرهبان الشرقيين

وليكن هذا كافيًا لحل هذا المشكل اي لبيان وجوب امتناع الرهبان الشرقيين كافةً عن اكل اللحوم. ولعمري انهُ كان يكفي لبيان وجوب هذا الامر الشكوك العظيمة التي تحدث عن هذا الاكل الممنوع على انهُ ١): «شرٌّ للانسان ان يأكل بعثرةٍ ويهلك بطعامهِ الاخ الضعيف الذي من اجلهِ مات المسيح». وقد يلزم الرهبان بالخصوص ان ٢): «يُظهروا ذواتهم كانهم خدام الله بصبرٍ طويلٍ بالاتعاب والاسهار والاصوام والعفاف» موضحين بنموذجهم للجميع ان ٣): «ملكوت الله ليس هو طعامًا وشرابًا لكن برٌّ وسلامة وفرح بالروح القدس» لان الذي ٤): «يخدم المسيح بهذه يكون لله مرضيًا وعند الناس خيرًا»

١) رومية ف١٤ عد ٢٠
٢) قرنتية اولى ف ٨ عد ١١
٣) « ثانية ف ٦ عد ٤ و٥
٤) رومية ف ١٤ عد ١٧ و١٨

فهذا هو رأيي انا الفقير عبدالله زاخر مؤلف هذه الرسالة وها انا اثبتهُ بامضائي وخط يدي واقدمهُ لمن ينكرهُ عليَّ ويُعلّم خلافهُ ليدحضهُ إن لم يرهِ صحيحاً ولكن بشرط ان يكتب لي ذلك بخط يدهِ او امضائهِ وعن لسانهِ لا عن لسان غيرهِ وذلك بضميرٍ مستقيم وعقلٍ ناظرٍ الى حق فقط والحمدُ لله وحدهُ

الفنون الجميلة والكنيسة

نظم حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي

توْطئة

الفنون الجميلة كما اصطلح عليها الاقدمون هي التي اتخذها البشر لزينة العقل خصوصاً وكانوا يفرزونها عن الفنون الصناعيَّة التي مرجعها غالبًا الى الاعمال اليدوية والى المهن والحرف المادية. وكذلك كانوا يفرقون بينها وبين الفنون العلميَّة التي تختصّ بالنظريات كالفلسفة والرياضيَّات. وقد جعلوا الفنون الجميلة سبعة عدًّا: الخطابة او البلاغة ثمَّ الشعر ثمَّ الرسم او التصوير ثمَّ النقش او نحت التماثيل ثمَّ البناء ثمَّ الموسيقى ثمَّ الرقص او الحركات المنتظمة. وعلى هذه الفنون السبعة بنى حضرة المنسنيور جرجس شلحت مقالتهُ الشعرية مفردًا لكل بابٍ عددًا من الابيات الرائقة ليثبت ما للدين عليها من الحقوق وما بينهُ وبينها من الوفاق. وهذه القصيدة من بعض فصول كتابهِ « النجوى » الذي طبعت منهُ مقدمتهُ فقط سنة ١٩٠٣. وهي طويلة اقتصرنا منها على ما ترى بيانًا لفضل صاحبها

ل. ش

مشهد الطبيعة

الدِّينُ والعلمُ مع الصِّناعهْ ثالوثُ ارضٍ شرعهُ الإطاعهْ
أمامَ ثالوثِ السَّماء يسجدُ وباتِّفاقِ الرأيِ كانَ يعبُدُ
فالدِّينُ رامَ الخيرَ والصلاحا والعلمُ للحقِّ بنى إيضاحا
ومقصِدُ الصناعةِ الجمالُ في كلِّ فنٍّ سحرهُ حلالُ
وما الجمالُ غيرُ مَجْلى الحقِّ والخيرِ والنظامِ بين الخلقِ (١

١) اطلب فصل « تعريف الحسن » الذي نشرتهُ في السنة الثانية من مجلة الضياء عام ١٩٠٠

فالعلمُ فهمُ خلقةِ الالـهِ بالرَّغم من معطِّـل تيَّاهِ
وما الصِناعةُ سوى تمثيلهـا لعَيْن مَن يرغبُ في تخييلهـا
لذا الفنونُ صدرتْ عن مشهدِ جمـال صنعِ البارئ الممجَّدِ
فالكونُ يبـدو للورى بديعاَ ويُبهج النـاظر والسميعاَ
لا يحسدُ الصماخُ فيهِ الطَّرْفا فالاذنُ ايضًا فيهِ تُلفي ظَرَفا
مِن جامـدٍ ومانعٍ ورائق ونابتٍ وصـامتٍ وناطقِ
ونافحٍ وفائح وسـاجمِ وسابحٍ وصادحٍ وباغمِ
وباسقٍ وسـامقٍ وزاهرِ وبارقٍ وشـارقٍ وباهرِ
محاسنٌ ملـكَتِ المشاعرَا وراحَ منها كلُّ عقلٍ حائرَا
عن وصفها تُعجزُ هذا الشاعرا ان كان فيــهِ ناظمًا او ناثرا
ان شئتَ ان تجدها مجموعهْ في مظهرٍ منظورةً مسموعهْ
في مظهرٍ يخطفُ مِنك البصرَا والسمعَ بل يسلبُ منك الفِكَرَا
فعُجْ ولِجْ كنيسةً وأَجِلِ قداحَ طرفٍ في بهاء الهيكلِ
وعِ اناشيـدَ الصلوة وكُنِ مُراعيَ السمعِ لوقعِ الارغنِ

البناء

كلُّ الفنونِ مظهرِ الجمالِ وغـاية التمامِ والكمالِ
تنظرها بغير مـا جدالِ في معبدٍ من الطراز العالي
حتى يُرَدَّ الطَّرْف في كلالِ عنهُ ويُلقى الذهنُ في انذهالِ
في معبـدٍ للّه ذي الجلالِ كم تلتقي للحسن من مجالِ
في معبـدٍ لربِّكَ القدوسِ مشيَّدٍ للحمد والتقديسِ
محاسنُ الطبيعةِ المنوَّعهْ تجدهـا بأسرها مجمَّعهْ

في الكونِ تلقى ذلك الرَّقيعا ... بهِ النجومُ رُصِّعت ترصيعا
ان هُوَ الَّا القبَّةُ الزرقاءْ ... تزينها الكواكبُ الزَّهراءْ
ورمزها القبَّة في الكنيسهْ ... مزدانةٌ بدُررٍ نفيسهْ
بحسنها حاكت دراري الخَضرَا ... والدُّرَرُ الغرُّ دراري الغَبْرا
فنُّ البناء يا لهُ من فنِّ ... آدمُ قد أُلهمهُ في عدنِ
ترى بهِ مذابحَ المسيحِ ... كأنها الجَنَّة في الصحيحِ
فنُّ البناء مطمحُ المؤَمِّلِ ... وغاية الفنِّ ترى في اهيكلِ
فنُّ البناء اوَّل الفنونِ ... قد كان مأوى آدمَ المسكينِ
من بعد أن طردَهُ العليُّ ... حاكى الجنانَ جدُّنا الشَّقيُّ
في سفحِ طورٍ انشأَ الرياضا ... وسبَّحَ المهيمنَ الفيَّاضَا
فالكونُ كان معبدًا عظيمًا ... والطُّورُ كان مسجدًا فخيما
في كهفهِ كان المبيت الاوَّلُ ... ثمَّ ابتغاء النفعِ شِيدَ المنزلُ
وفيهِ ربِّي عبَدَ الخلائقْ ... بل نوحُ شادَ معبدًا للخالقْ
وقد مشى النَّسل على آثارهِ ... وطَبعوا حينًا على غِرارهِ
فرفعوا هياكلَ العبادهْ ... في غاية الاتقان والإجادهْ
الى زمانٍ مرَّ بعد الصَّرْحِ ... والشعرُ قد يأبى طويل الشرحِ
الى زمانٍ فيهِ عينُ المرءِ ... زَنَتْ بما خَطِفها من مرئي
فشيَّدوا الهياكل الانيقهْ ... ليعبدوا الاهواء في الحقيقهْ
حاشا سليمانَ مقيمِ الهيكلِ ... للواحدِ الكائنِ منذُ الازلِ
من ولدِ يعقوب الخطِيِّينَ الأُلى ... خصَّهمُ المولى بأَسرار الولا
عَبدةُ الاصنامِ ضلَّت شاردهْ ... وعن صراط الحقِّ ظلَّت حائدهْ

حتّى اتى مخلّصُ الخليقهْ ليُصلح النُّهيةَ والخليقهْ
فحازت الكنيسةُ المقدّسهْ فتحاً جديداً في سبيل الهندسهْ
هندسةٌ سنيمةٌ سنيّهْ تبقى بقاءَ دهرنا غنيّهْ
نظامُها الهندام في البنيان كأنهُ الإيقاعُ في الآذانِ
وشرعُها تُناسُبُ الاجزاء كأنهُ تُناسُبُ الاعضاء
ذي وحدةٌ تقوم في التنوُّعِ مبدأُ حسنِ كلِّ كونٍ مُبْدعِ
بل «مبدأُ الجمال (١)» ذاتُ الوحدهْ يذكرها الكافر عند الشدّهْ
وهيَ «إلهُ العلمِ ٢» والمعارفْ تسيرُ في ظلِّ هُداها الوارفْ
وهي التي لم تشأ انفرادا فانشأتْ عالَمَنا ايجادا
في كونها محمودةَ الصُّنعِ وفي معبدها بحمدها الخلقُ تفي

النقاشة

لكنهُ الكونُ يصيرُ خاوِيَا ان كان يوماً من دُماه خاليَا
تلك نباتٌ لا جمادٌ هامدْ فيهِ حياةٌ حارَ منها الجاحدْ
وحيوانٌ بيّنٌ فيهِ الاخا والحسُّ فصلٌ فارقٌ عنهُ الأَخا
وبشرٌ بنفسهِ يحكي الملَكْ وجسمهِ مع البهائمِ اشتركْ
هذا دعوهُ ملِكَ الطبيعهْ اتى فكانت امرَهُ مطيعهْ
هذا هو المرءُ العليُّ الشانِ على مثال باريء الاكوانِ
بناؤهُ بدونِ فنِّ النَّقشِ لا يُشبهُ الكونَ البديعَ الرقشِ
فنُّ البناء قائمٌ بالخطِّ وداخلٌ هندامهُ في الشرطِ

١) راجع سفر الحكمة (١١ : ٢١)
٢) سفر ١ ملوك (٢ : ٣)

فسطحهُ ان لم يُزَن بفتحِ تماثِنا متنٌ بغير شرحِ
وصَرْحُه تحسبهُ أشباحا جامدةً فاقدةً ارواحا
ان لم تَقُم فيهِ التماثيل يُرى كالارض إنْ حرَمها اللهُ الورى
او كالسماء برِحَتها الشُّهبُ او كأس راحٍ لم يزنها الحَبَبُ
اوسِلْكِ تبرٍ لم يُحَلَّ بالدُّرَرْ او مزنةٍ ضنَّت علينا بالمطرْ
أَجَلْ اذا القصرُ خلا من دميةٍ تخالهُ جوًّا خلا من ديمةِ
او بقعةً قد ذبلتْ ازهارُها وخسرتْ اثمارَها اشجارُها
وغادرت اطيارُها الاوكارا لمَّا غدت اريافُها قفارَا
لا شيءَ فيها يبهج النواظرَا ويُثلجُ الاسماعَ والخواطرَا
والمرءُ لا يبعثهُ على التقى سوى شميمهِ لزنبقِ النقا
وحذبهِ التمثالَ بالابصارِ يُذكرهُ فضائل الابرارِ
وسمعهِ الاشعارَ في الاسحارِ تشدُو بها الرهبانُ في الاديارِ
تُسبِّحُ اللهَ على الاوتارِ ونغمِ القيثارِ والمزمارِ
يجثُو امامَ دمية القديسِ مقدِّسًا لربهِ القدُّوسِ
مُستغفرًا من ذنبهِ الكبيرِ كعبدِ سوءٍ آبقٍ صغيرِ
مُلتمسًا منهُ غياثًا ومددْ مستشفعًا لهُ الى المولى الصمدْ
وطالما اصبحَ يجثُو راكعًا امامَ دميةِ الطَّلاحِ خاضعًا
بين الكمنجا واغاني العِشقِ ورقص ربَّاتِ الهوى والفسْقِ
مصطبحًا مغتبقًا والراحُ افراحها تُعقبها اتراحُ
كان يعدُّ السعدَ في ذاكَ وذا لكنَّهُ من الشَّبابِ أُتقذَا
لدى سماعِ خطبةٍ لواعظِ أَلفاظهُ تزري بنثر الجاحظِ

وبمعانيهِ يضاهي الذهبي — إمامَ اهل الوعظِ قسَّ الخطبِ
في معبدٍ كالكون في زينتهِ — وجنَّةِ النعيم في حليتهِ
دماهُ تحكي في بهاء النقشِ — أبرارُها تحمدُ ربَّ العرشِ
من الدمى في معبدِ النصارى — تجـدنا بلا طِلًا سكارى
ومن سَنى روائها حيارى — وفي قيود فنِّها اسارى
لكنَّنا لا نعبدُ التمثالا — كما هذى جُهَّالنا مقالا
بل نتمثَّل بها اصحابَها — مبجِّلين كلُّنـا اربابَهـا
الشَّافعين عند مُبدي النفسِ — لنا وذا لهمْ بدا كالشَّمسِ
فمهوا بصـيرةً والبصرُ — غشِيَهُ عشَاوةٌ او سدَرُ
والعُميُ اعداءٌ لضوء البدرِ — والجهـلُ مدعاةٌ لكلّ شرِّ
ومن يكن في البُطْل والغَوايهْ — يظنُّ انَّ زعمهُ هدايهْ
ومن غدا محترمَ الدرايه — لهُ يُخيَّلُ بلوغُ الغَايهْ
من الصَّلاح بل بُلوغُ الجَنَّهْ — متَّبعًا ما وضعتهُ السُّنَّهْ
بدُونِ انْ يَقرَّ منـهُ النَّاظرْ — ويطربَ السَّمع ويُجلَى الخاطرْ
بدُميةٍ او صورةٍ او نغَمِ — تدعوهُ للخشُوعِ بل للندمِ
كأنهُ قد عدِمَ الشُّعورَا — وفي الحيوة سكنَ القبورَا
بل القبورُ تقتضي ان تُنصَبَا — فيها تماثيل البها لتُعجِبـا
هذا جناهُ الخوفُ من عبادةْ — لوثنٍ كانتْ لهُ السيـادهْ
في غابر الاحقاب والدهور — وبالمسيـح كان عصرُ النور
حتى لوِ النقَّاشُ رامَ صُنْعَا — لدميةِ الله لجاءَ بدعَا
نحتَهـا شيخًا وقارًا بارعا — جلالهُ للعين يبدو رائعا

لا يدَّعي بذاكَ انَّ الباري مجسَّمٌ كصنعِ الفخّارِ
لكنني لا أرتإي ان تُصنعَا لعلَّ ذا سذاجةٍ ان يخدعَا
بدُميةِ المسيحِ والعذراءِ لنا غِنىً عنها بلا مراءِ

الرسم

وانما النحتُ بلا تصويرِ تُعوزهُ براعة التحبيرِ
ان رامَ تمثيلًا لصنع الخالقِ فدونهُ يحولُ ألفُ عائقِ
هيهاتِ أن يُمثِّلَ الالوانا وينقلَ الانوارَ والافنانا
وينظمَ الاضواءَ والافياءْ ويرسمَ الخضراءَ والغبراءْ
فسدَّ فنُّ الرسمِ هذي الثُّلمهْ لذاكَ للنحتِ غدا تتمّهْ
وهو الذي قد فازَ في السباقِ ان شُبِّهَ الإثنانِ بالعتاقِ
فرسمَ الروضَ الاريضَ والفلكْ والله مَنْ للجلدِ الاسمى سَمَكْ
وآدمَ الجدَّ وحوَّا والملَكْ ومَن بكبرٍ وعتوٍّ قد هلكْ
مصوّرًا جنّةَ عدنٍ والسما حتى بدا الحسنُ بهِ مجسَّما
مميّزًا بين البها والقبحِ وليسَ نعبُ طائرٍ كصَدْحِ
في صورةِ الملاكِ والشيطانِ وطلعةِ النسناسِ والانسانِ
وهو الذي يُقرّبُ البعيدَا ويهبُ الاشيا بهًا جديدَا
اذ ينفثُ المرءُ بها من نَفَسهْ منوّرًا ظلمتها بقَبَسهْ
مجرّدًا احياءها عن رِجسها وباعثًا امواتها من رمسها
يعيدها لا قاصدًا تمثيلها بعينها بل قاصدًا تجميلها
منتحيًا بلبّهِ الجلالا محتذيًا لربهِ مثالا
منتحلًا بوضعهِ مقالهْ محاكيًا بصنعهِ فَعالهْ

مسافرًا لعالَم الاذهانِ في نقلهِ مشاهدَ الاعيانِ
مقتديًا بالمُنشِئ البديعِ في رسمهِ لكونهِ البديعِ
ذاكَ الذي يقدرُ أنْ يبتدعَا عوالمًا تكونُ نوعًا ابدعَا
لا صحَّةٌ لقولهم: لن يُمكنا باري الورى أبدعُ ممَّا كوَّنا (١
لكنَّ هذا الكونَ كالقيثارِ مهندَمٌ مدوزَنُ الاوتارِ
اشياؤهُ شجيَّةُ الرنَّاءِ هيآتها بهيَّةُ الرُّواءِ
منشورةٌ في عالمٍ عظيمِ ينظمها الراسمُ في رقيمِ
صورها مطبوعةٌ في حسّهِ كانهُ مِرآتها بنفسهِ
يزيدُها وسامةً من عندهْ مخترعًا مُثُلَها بجهدهْ (٢
خَيالهُ يُكسبها كمالا فتصبحُ الاشياء ارقى حالا
اذ تُجمَعُ المحاسنُ المختلفهْ على النسيجِ فترى موتلفهْ
والروحُ يحييها فتغدو راحا تُسكرُنا ولا ترى أقداحَا
بل يَغتدي الجمادُ حيًّا ناطقًا بالرسم والداجي يعودُ شارقًا
وورقُ الاشجار تمسي لُسُنَا كأنَّها الوُرْقُ تُجيدُ اللحنَا
هذا هو الرسمُ وما المصوِّرُ سوى الذي بفكرهِ يبتكرُ
ويبتغي بصنعهِ الصلاحا ان صوَّرَ القِباح والملاحا
ان صوَّر الشيطان يبدو اشنعا لأَن كلَّ الشرِّ فيهِ اجتمعا
وصوَّر الملاكَ يبدو أسنعا لانَّ كل الخيرِ فيهِ انطبعا
وصوَّر الكهلَ ترى المهابَهْ تشملهُ حتَّى علتْ ثيابهْ

١) راجع حاشية مقدمة كتابي المعروف « بالنجوى » ق ١ ف ٣ ص ٥٢
٢) طالع قول الكاتب الفرنسويّ دِلاماي المثبت في مقدمة النجوى ق ١ ف ٤ ص ٢٦

وصوَّرُ المرأةَ تُلفِي الطهرا | من بُردها الاسنى يفوح عطرَا
وصوَّرَ الطفــل ترى الملاحهْ | في ثغره بل كله صبــاحهْ
ذي صورةٌ للاسرةِ العُلويَّهْ | تُبصرهــا في البيعة القدسيَّهْ
ذي يوسفُ الابرُّ والبتولُ | والحَمَلُ الفادي ابنُها الجميــلُ
ناداكمُ هُبُّوا ايا نيــامُ | وأقبلوا اليَّ لن تُضاموا
ضعوا عن الرقاب ذاكَ النيرَا | في بيعتي تلقونَ حقًّا نورَا
يريحكم من العنــاء والنصَبْ | وعندهُ تلقونَ غاياتِ الاربْ
بل يجدُ المجرِّبُ الاثيمُ | مواهبًا يُخزى بهــا الرجيم
يَسرُّهُ بها الملاكُ الحــارسُ | من كلّ سرٍ هو منهُ قابسُ
في بيعةٍ كانها العلياءُ | بوشيها او روضةٌ غنَّاءُ
بل تسحبُ البيعةُ في زخرفها | على الدراريّ سَنَى مُطرَفها
فبهجةَ الدنيا حوتْ في صحنها | والفلكَ الاسمى علتْ في حسنها
وسبَّحتْ بحمدِ ربِّ الفلَقِ | اجواقُهــا في شفقٍ وغسَقِ
والسُرُجُ تحتَ قبةِ الكنيسهْ | قد مثَّلتْ انوارهُ القدُّوسهْ
وكل جوقٍ فوقَ جوقٍ قد سما | كالملاءِ الاعلى وسكَّان السما

(لهُ بقية)

سياحة اسقفيَّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الى الجش

في ٢٦ من شهر ايلول اقرأنا الوداع على اهل الجش وعدنا الى عينبل ثمَّ استأنفنا المسير صباح اليوم الثاني الى الجش فواكبتنا شرذمة من الفرسان حتى دخلنا سهلًا واسعًا

بقرب يارون فاخذ مواكبونا يتجوَّلون في تلك الفلاة على صهوات خيلهم تعدو بهم الجياد كأنهم الرياح سرعةً فتلتهم الارض التهاماً وكانوا يمثلون العاب الجريد بخفة غريبة وحذق يُقضى منهُ العجب

وكان اهل يارون خرجوا للقاء سيادة المطران فشكر لهم تلطفهم لكنهُ لم يعرج على قريتهم لانهُ كان زارهم مدة اقامته في عينبل · ويارون هذه جنوبي عينبل كانت من جملة مدن سبط نفتالي تُدعى في سفر يشوع (١٩ : ٣٨) يَرْؤون وموقعها على اكمة جميلة وفيها من الآثار ما يدلّ على قدمها من جملتها صهاريج ومدافن منقورة في الصّخر ومنها كتابة يونانيَّة قديمة تشهد على انَّ هناك وُجد هيكل للوثنيين · وآثار ذلك الهيكل الذي حوَّله النصارى الى كنيسة على عهد الروم لا تزال مبثوثة في انحاء القرية التي يبلغ عدد اهلها نحو ٦٠٠ نصفهم مسلمون والنصف الاخر روم ملكيون

ثمَّ انحدرنا من هناك الى واد عميق فيهِ عين ماء زلال شربنا منها واخذنا عندها قليلًا من الراحة ثمَّ توقلنا الاكمة القائمة عليها قرية الجش فكان مسيرنا في طريق خطرة لانَّ تربتها من الصخر الطباشيري المعروف بالحوَّارى يصعب فيها العبور عند انهيـال الامطــار في مثل هذا الفصل · ولمَّا صرنا في جوار القرية خفَّ اهلها للقائنا فهزجوا وترَّحبوا كمالوف عادتهم ومكثنا في الجش الى اليوم الثاني من تشرين الاول

الجش قرية كبيرة تابعة لقائمقاميَّة صفد تعلو عن البحر ٨٠٩ امتار بنيف موقعها في الشمال الغربي من صفد وبالقرب من جبل الجرمق يفصل بينه وبينهـا جنوباً سهلٌ فيهِ قرية الصفصاف التي تُدعى في التلمود صفصوفا · وفي شمال الجش قرية قارا وفي شرقيها الشمالي واد عميق ذو مياه غزيرة وكذلك في غربيها سهل ثم وادٍ آخر من ورائهِ قريتـا كفر برعم وسعسع · واهــل الجش اكثرهم المسلمون ثمَّ الروم الكاثوليك ثمَّ الموارنة وعددهم ٤٤٥ وفي الجش كنيسة للروم الكاثوليك مبنيَّة على انقــاض حصن قديم وللموارنة ايضاً كنيسة · وفي هذه القرية مدرستـان يديرها الاب داود الخوري الالماني رئيس دير الطابغة بقرب بحيرة طبريَّة

والجش كانت قديماً مدينة حصينة كان في اعلاها قلعة ذات سور يحدق بها لم تزل بقاياهُ منظورة الى اواسط القرن السابق وفي مقامها بُنيت كنيسة الروم الكاثوليك ·

ويرتقي تاريخ الجش الى عهد بني اسرائيل قيل انها أَحلب المذكورة في سفر القضـاة

(۱ : ۳۱) في جملة املاك سبط اشير . وكان الرَّبانيون يدعونهـا باسم « جوش حلب » اشارةً الى خصبها ومعاصر زيتها الفاخر ثم عُرفت في ايام اليونان باسم جسكالا . وقد لعبت الجش دورًا مهمًا في ايام الرومان لمَّا زحف وسبسيان وابنهُ طيطوس على اليهودية . وكان المؤرخ يوسيفوس اليهودي متوليًا عليها اذ ذاك فرمَّمهـا وزادها حصانةً لكنَّ الرومان فتحوها وأَلفوا بكرمهم قلب صاحبها فانحاز الى دولتهم وكتب تاريخ اورشليم وتفاصيل الحرب اليهوديَّة التي بها انتهت دولة بني اسرائيل

وفي الجشّ آثار عديدة بعضها من بناء اليهود منها بقايا كنيسين قديمين لهم . وقد وجد الالمان في بعثتهم الاخيرة في الوادي الواقع شرقي شمالي الجش وعلى مقربة من عين الماء التي هناك في محلّ يدعى المخسوفة اثار معبد يهودي فاحتفروا حتى وجدوا اساسهُ ورسومهُ بهيئتها تامًا . وكذلك اكتشفوا بعض النقوش القديمة من جملتها رسم النسر الرومانيّ . وكان رينان سابقًا وقف هناك على كتابة فيها اسم مشيِّد هذا البناء وهو يدعى يشوع ابن ناحوم . ثم تراكم الردم هناك فطُمرت الكتابة حتى استخرجها المهندسون الالمـان مؤخرًا . ويظهر من هندسة هذا الجامع ان اليهود في عهد اليونان والرومان فضَّلوا طرز اولئك الامم في ابنيتهم كما انهم لم يانفوا ان يستعيروا منهم بعض النقوش والتصـاوير الشائعة عندهم

وفي الجشّ غير ذلك من الاثار وخصوصًا المدافن القديمة التي توفرت في انحائهـا واكثرها اليوم قد سُدَّ او أُهمل فخرب

وبقينـا في الجشّ ايَّامًا مع سيادتهِ وقد وفَّقه الله الى اعادة الصلح والسلام بين اهلها الموارنة وكانت الضغائن تمكنت في قلوبهم وانقسموا الى قسمين لسبب قتيل اغتالهُ البعض منهم . وكان الشر قد تفاقم فلمَّا حلَّ سيـادته بينهم اندمل الكلم واصطلح القوم وانقادوا الى اوامر راعيهم

واني ارى في هذه النسبة ان اذكر هنا العادات التي كانت جارية قديمًا بين اهل بلاد بشـارة في مثل هذه الحوادث . ولعلهم اخذوها اهل البادية المجاورين لهم

اذا قُتل رجل من تلك البلاد ثمَّ رضي القوم بالاصطلاح وابطـال العداوة يوجه اهل القاتل الى اهل القتيل وفدًا من الاوجه ليقرروا امر الصلح والدية فيعيِّن هؤلاء مدة معيَّنة تُسمى عطوة بها يحجبون اعتداءهم عن اهـل القاتل بحيث في خلالها

تتقرر الدية وهذه المدة يعطى مقابلها مبلغاً من المال من الف الى الفي غرش. ثم تقرر مواجهة ثانية لعقد الصلح ويذهب وفد لهذا الغرض يرافقهُ رئيس عائلة القاتل الذي يكون ارسل صحبة هذا الوفد ما يلزم من الضيافة من الارز والقهوة والذبائح والخلع على اهل القتيل. وعند وصولهم يكون الطعام مُعدّ فلا يأكل الوفد قبل ان يعدهم اهل القتيل بحل المشكل واذ ذاك تبدأ المخابرة فيطلب اهل القتيل مبلغاً باهظاً من المال ينوف على المبلغ الذي يكون تقرر مع الوفد الاول فيقبل هذا الوفد الثاني بالمبلغ تماماً وانما يطلب رئيس الوفد كرامتهُ من اهل القتيل «بماذا تكرموني» فيجيبونهُ بعد اخذ وردّ بأنهم «تركوا لهُ الفي غرش اكراماً لخاطرهِ» واذ ذاك يتقدم افراد الوفد واحداً فواحداً يطلبون ترك شيء اكراماً لهم ايضاً فيفعل اهل القتيل الى ان تصل القيمة الى ما تقررت عليهِ في المواجهة الاولى مع الوفد الاول: ثم يجلسون يتناولون الطعام

وبعد الاكل يؤتى بعصاً طويلة يركزها وجيه اهل القاتل امام باب دار القتيل ويربطها بمنديل من رأسها ويعقد تحت ربطتها عقدة واحدة في المنديل ويتبعهُ على ذلك اهل حمولته او عشيرتهِ فيعقد كل منهم عقدة وحينئذٍ تُنقد الدية من طرش او نقود او عقارات ويُنتخب كفيلان الواحد يدعى كفيل الوفاء والآخر كفيل الدفاء. فكفيل الوفاء يكفل اهل القاتل على ايفاء تمام الدية التي تكون تقسطت الى قسطين او ثلاثة — وكفيل الدفاء يكفل اهل القاتل على سلامة ارواح واموال وحرية اهل القتيل

ثمَّ يحضرون القاتل بين تلك الجماهير من قرية قريبة يكون اختفى فيها الى بيت القتيل يصحبهُ كفيل الوفاء فيحلقون لهُ قطعة من فُرص شعر راسهِ ليدلوا بذلك على انهم اعتقوهُ ويتقدم اذ ذاك وجيه عائلة القتيل فيفكّ عقدتهُ من المنديل ويتبعهُ باقي اقاربهِ الى ان ينتهي حل كل العقد يشيرون بذلك الى ان الخصومات قد انحلَّت وينصرفون بعد ان يخلعوا على اهل القتيل الخلع من الملابس المألوفة عندهم واذا تأخَّر اهل القاتل عن الوفاء فعلى الكفيل ان يجرد من حمولتهِ واصحابهِ ومن الخارج ليحصل الدية مضاعفاً ويأخذ قسماً خاصاً بهِ وقسماً لاهل القتيل. امَّا اذا جرى تعدٍ من اهل القاتل فلكفيل الدفاء الحق ان يحصل منهم الدية مضاعفاً

صفد

وفي اليوم الثاني من تشرين الاول قمنا من الجش نريد مدينة صفد فقام معنا حفاوةً بسيادته ثمانون فارساً يمتطون الخيل المطهَّمة وبايديهم الحجن او الجريد وملابسهم على زيٍ واحد العقال والشملة. فسرنا في سهلٍ ذي حجارة سود نخرة قذفها بركان قديم ترى آثار عيثهِ في تلك الحرَّة الى بلاد الغور مارًا ببحيرة طبرية. واجتزنا في طريقنا بركة الجش التي عندها كانت كما يظهر فوهة البركان

ثم مشينا قليلًا فادركنا مزرعة فدّيتا من املاك الخواجا اليـاس افندي البوَّاب عضو مجلس ادارة صفد عن المسيحيين. وفدّيتا هذه على ما يُرجَّح هي المدينة التي ذكرها يوسيفوس والربَّانيون باسم كيزما يحيط بها اراضٍ طيبة التربة لكنَّنـا في هذا الفصل وجدناها قاحلة جرداء لا ينبت فيها سوى الشبرق والعضـاه ولم نجد فيها اثرًا للبطيخ الصفدي الذي اطراهُ ابن بيطار وذكروجودهُ في السهول المجاورة لصفد

ثمَّ ملنا الى الشرق وعرَّجنا الى الجنوب حتى اذا صرنا على مقربة من الاكام الثلثة الواقعة فوقها صفد رأينا كوكبة من الفرسان في مقدمتهم بعض رجال الحكومة السنية قد بادروا لملاقاة الزائر الكريم والسلام عليهِ. فبعد مبادلة عبـارات المجاملة والترحيب استأنفنا المسير نحو المدينة في طريقٍ صعبة المرتقى اشبه باللولب في تعريجاتها حتى بلغنـا باب المدينة واذا باهل صفد خرجوا الى ملاقاتنا زرافات ووحداناً فترجل سيادتهُ وسرنا بمعيَّتهِ في وسط تلك الصفوف المتزاحمة في طرق البلدة الضيِّقة الى كنيسة اخوتنا الروم الكاثوليك اذ ليس للموارنة كنيسة في صفد فصلى قليلًا ثمَّ خطب خطاباً وجيزًا شاكرًا للملاقين لطفهم وخرج الى دار جناب اميل افندي راجي مدير التلغراف والبريد فحلَّ عندهُ ضيفاً كريماً فلم يلبث وجوه البلد ان توافدوا ليؤدوا لسيادتهِ مراسيم التحيَّات فردَّ الزيارات للجميع

وكان جلُّ اهتمام سيادتهِ مدَّة اقامتنا في صفد مصروفاً الى الموارنة وهم قليلو العدد وكلهم من صيداء من نخبة اهلها قدموا صفد لاشغالهم ويخدمون الحكومة السنيَّـة بامانة نخصُّ منهم بالذكر جناب مضيفنا المعروف بحسن سجاياه وكرم طبـاعهِ وهو صهر الياس افندي البواب احد وجوه صفد وافاضلها ونذكر بالثنـاء ايضاً الافنديَّة آل نمُّور المتقدمين بخدمة الحكومة السنية وكلهم ساعدونا على ارتاج باب الفتنة بين المتعادين

من اهل الجش وكان قسمٌ منهم في صفد هاجروا بلدهم بسبب تلك الفتن فعاد التحابُّ بين الجميع وانتهى الخصام

وممن يسرُّنا ذكرهم بالخير اسرةٌ كريمة لها الايادي البيض على نصارى صفد والقرى المجاورة اعني قنصل دولة النمسا الفخيمة ووكيل قنصليَّة بريطانيا العظمى المسيو لاديسلاس احد المتخرجين في مدرسة عينطورا العامرة. فانهُ في طول مدَّة اقامتنا في صفد لم يدَّخر وسعاً في اكرام سيادة المطران مظهراً من التحفّي بشخصه الكريم ما يندر مثلهُ. ودعاهُ للاحتفال بالذبيحة الالهيَّة في معبد داره الخاص فحضر كثيرون تلك الرتبة الشائقة. وقد لقينا من جنابه رجلًا راسخ القدم في الاداب محبًّا للعلوم باحثًا للاثار القديمة ومن فضلهِ ما تكرَّم علينا بهِ من الرسوم التي اخذها بالتصوير الشمسي

صفد (ويقال لها صفت) ورد ذكرها في سفر طوبيا (١:١) فقال «كان طوبيا وهو من سبط ومدينة نفتالي التي في الجليل الاعلى فوق نحشون وراء الطريق الآخذ غربًا والى يسارها مدينة صفت» ويرى بعض الجوَّالة ان مدينة طوبيا على الارجح كانت في المحلّ المدعو في ايامنا عين رشاده لجنوبي المدينة الحالية رأيناه عن بعيد من محل يدعى الرجوم بالقرب من بناية لسيدة اميركيَّة تدعى مس فورت ويكشف هذا المحل على اجمل مشاهد فلسطين كبحيرة طبرية وجبال حوران ومغاور دبلا الشهيرة في تاريخ يوسيفوس وقرون حطين. وصفد الحاليَّة تعلو عن البحر نحوًا من ٩٠٠ متر مبنيَّة على ثلاث اكام حول الاكمة المبنيَّة عليها القلعة وتقسم الى خمسة احياء وسكانها من المسلمين واليهود وهم العدد الاوفر ثمَّ النصارى وهم قليلون. اما قلعة صفد الشهيرة فقد هُدمت بزلزال شهير سنة ١٨٣٧ وهلك اذ ذاك من السكان نحو من ٥٠٠٠ نسمة وما تبقى من حجارة القلعة استخدمه السكان للابنية وهذه القلعة قديمة بلا مراء لصلاحية مركزها للدفاع قد اخبرنا يوسيفوس بانهُ حصَّن او رمَّم هذه القلعة مع غيرها من الحصونة بحربهِ ضد الرومان ودعاها كتبة القرون الوسطى Le Saphet وهيئتها بيضوية الشكل طولها ٤٠٠ متر بعرض ٩٥ م وكان يرى فيها بعض بنايات حتى سنة ١٨٦٣

وصفد هي مدينة اليهود والمعظمة بعد خراب اورشليم ولعلماء التلمود ذكرٌ وآثار فيها وسكانها اليهود الان مهاجرون اليها من المجر وبلاد المسكوب على الاكثر وقد روى صموئيل بن شمشون الذي زار هذه المدينة سنة ١٢٠٠ ان عدد اليهود في صفد كان

عظيماً اذ ذاك . وهم اليوم ايضاً كثيرون . ومما جرى لنا اننا كنا نتجول في المدينة نهار السبت فوقع نظرنا على زي لم نكن راينا اليهود يلبسونه وهو عمامة يحيط بها ذنب ثعلب وتفرسنا في تلك الوجوه الضئيلة الكالحة عند خروجهم من مجامعهم فسألت بعض الاصدقاء عن هذا الزيّ الغريب فأجاب انهم عمدوا اليهِ منذ عهد قريب فاتخذوه علامة كرامة وفخر

وقد بلغنا ان سكان صفد من اليهود أَلِفوا خطة لم يالفها غيرهم من جنسهم وهي البطالة وانما حملهم على ذلك ما كان يُرسل اليهم من المساعدات الماليَّة من صناديق الجمعيات الخيريَّة التي أُقيمت في اوروبا لعضدهم وترى الفقر المدقع سائرًا بينهم ومساكنهم اشبهُ بمغاور منها بمساكن لا يدخلها النور والهواء فيسكنون تحت الارض ويخرجون بغتةً من منفذٍ صغير بين بلاط السوق يعلو وجوههم الاصفرار وقد ضرب الهزال اطنابهُ بينهم

اما حالة صفد التجارية فمعروفة فالسوق في كساد ويؤَمَّل التحسين اذا تمَّ مشروع مدّ طريق العربات من هذه المدينة حتى بحيرة طبريَّة فتكون منهل خير لبلاد صفد وبلاد بشارة والان قد سيَّرت السكة الحديدية الحجازية مراكب صغيرة في البحيرة لنقل البضائع الى اطرافها . ثمَّ أُتيح لنا الصعود في هذا النهار نفسهِ الى القلعة التي لم يعد يُرى منها سوى بعض حجارة وبعض ابآر واثار الخندق ومن هنا انكشفت لنا المدينة باحيائها وحاراتها وما جاورها مما اخذ بابصارنا . فحدَّقنا نظرنا نحو الشرق فوقع على حارة الأكراد وحارة الجوزة وسكانهما من المسلمين ويتَّصل بهذه الحارة الاخيرة للجنوب حارة الصواوين وسكانها من المسلمين ايضاً ثم نظرنا الى الغرب فاذا بحارة الوطى امامنا ويتصل بها من الجنوبي حارة الجامع الاحمر وسكانها من المسلمين

ثم نظرنا حارة النصارى وهي واقعة بين الجامع الاحمر وحارة السوق وحارة السوق هي للشمال الغربي يقطنها اليهود ثمَّ نظرنا الى الشمال الشرقي فاذا بقرية بيريا فكان مجموع حارات صفد سبعة مبنيَّة على منعطفات اكام او تلال حول اكمة القلعة التي تكلل المدينة والبنايات مرصوفة حولها

(لهُ بقيَّة)

سرياني ملكي

وهو يوحنا موديانا مطران ماردين المنوفستي الرهاوي

لحضرة القس اسحاق ارملة السرياني الكاثوليكي

كانت الفرق النصرانيَّة التي تقتسم بلاد الشرق منذ القرن الخامس ثلاثاً: الملكيَّة وهم اتبــاع المجمع الخلقيدوني المحافظون على قوانين الكنيسة الكاثوليكيَّة وعُرفوا بالملكيين في جهات الشــام ومصر وما بين النهرين لزعم خصومهم بأنَّهم اتبعُ للملوك منهم للمسيح . ثم النساطرة اشياع نسطور الذين جعلوا للمسيح اقنومين كما لهُ طبيعتان اقنوم الهي واقنوم انساني اتحدا اتحادًا ادبيًا مستقلًا فابطلوا بذلك كل سرّ الفــداء ثمَّ اليعاقبة الذين تصدَّوا للنساطرة في اقوالهم وبالغوا في تقرير لاهوت المسيح الى ان قالوا انَّ في المسيح طبيعة واحدة الهيَّة كما هو اقنوم واحد

وهذه الفرق بقيت مدَّة طويلة في خصام ومعاداة تسعى الواحدة في تنكيس الاخرى فضلًا عن كونها تعدَّدت اقسامها فصار لكل فرقة شيعة متبــاينة وليس تاريخ كنائس الشرق مدَّة عشرة اجيال سوى خبر هذه المشاحنــات والانقسامات . على ان الكنيسة الكاثوليكيَّة كانت تسعى عند سنوح الفرصة ان تردّ الضــالين وتنشر بينهم العقائد الراهنة التي اثبتهــا الاباء وقرَّرتها المجامع . وكان البعض من تبعة اليعاقبة او النساطرة يرتدُّون من وقت الى اخر الى مذهب الروم الملكيين إمَّا بعد اطلاعهم على صحة قولهم وامَّا فرارًا من شرور حلَّت بهم عند اهــل شيعهم . ومن جملة هؤلاء احد اساقفة ماردين اليعاقبة اسمهُ يوحنا موديانا اي المعترف الذي ورد ذكرهُ في تواريخ القرن الثاني عشر فذكرهُ في تاريخهِ ميخائيل الكبير الذي كان وقتئذٍ بطريركاً على اليعاقبــة ونقل ايضاً اخباره ابن العبري في تاريخهِ الكنسي وغيرهُ من اهل ذلك العصر . فاحببنا ان نجمع هنا اقوالهم ونسرد حياة هذا الرجل باختصار فانَّ في اخبارهِ ما يطلعنــا على بعض احوال تلك الكنائس المنشقَّة ويفيدنا علماً عن اسقفٍ نبذ الشيعة اليعقوبيَّة ليتبع الكنيسة الكاثوليكيَّة التي كان يمثلها الملكيُّون في الشرق حتى بعد انفصال فوطيوس عنها اذ لم يتم ذلك الانشقاق الَّا على عهد ميخائيل كيرولاريوس

وُلد موديانا (المعترف) في اواسط القرن الثاني عشر وانقطع منذ حداثتهِ الى جبال الرها المزدانة بالنسّاك والزهاد . وعكف على مطالعة مصنفات كتبة السريان الاقدمين . واحرز من العلوم والاداب نصيباً وافراً . وامتاز خاصَّةً بالخبرة بالامور الدنيا وبلاغة النطق وفصاحة الكلام . وكان ممن يوثق بهِ ويُرجع اليهِ في الدعاوي لدى ارباب الحكم

وكان في ذلك العصر البطريرك ميخائيل الكبير (١ مستلماً ازمّة رعاية الامة السريانيّة اليعقوبيّة . فتطاول على حقوقهِ تاودورس بن وهبون وكريم بن ماسح الاسقفان اليعقوبيّان . وحاولا اختلاس البطريركيّة فحصل بسبب هذه المزاحمة فتن وقلاقل في الشعب كانت نتيجتها انَّ ابن وهبون فاز بمرغوبهِ وبعد ثلاث عشرة سنة لبطريركيّة ميخائيل ارتسم في ديار بكر بطريركاً دخيلًا بوساطة اربعة مطارنة . وذهب توّاً الى ماردين واستولى على الكرسيّ البطريركيّ . فبعث ميخائيل اذا ذاك قوماً الى ماردين فاتوهُ قسراً بابن وهبون الى دير برصوم وحرمهُ جهراً . فلم يرعوِ ابن وهبون بل ازداد حقدًا وكمدًا وانقلب راجعاً الى ماردين فالموصل وجدَّد الشغب والقلق . ثم انطلق اخيراً الى لاون كبير الارمن والى جاثليقهم فرحّبا بهِ وامرا ان يُنادى بهِ بطريركاً في بلادهما . وما لبث على تلك الحال حتى اخترمتهُ يد المنون في رومي قلعة سنة ١١٩٣ وكان متضلعاً باللغات السريانيّة واليونانيّة والعربيّة والارمنيّة وخلف مصنفات شتى تشهد بطول باعهِ وحذاقة عقلهِ

اما كريم بن ماسح فنزل الى تكريت محاولًا اختلاس كرسي المفريان فرُدَّ الى الموصل بصفقة خاسر وفترسهُ اي حرمهُ المفريان غريغوريوس عام ١١٩٢

ولمّا راى سكان ماردين ما جرى لابن وهبون نهض الذوات منهم واستصحبوا رهباناً من دير الزعفران (٢ ومضوا الى دير برصوم متوسلين الى البطريرك ان يحضر

---

١) ارتقى ميخائيل الكبير الى البطريركيَّة في ١٨ تشرين الاول عام ١١٦٧ وتوفي في ٧ تشرين الثاني عام ١٢٠٠

٢) شيد دير حنانيا المعروف بدير الزعفران سنة ٨١١ مسيحيّة بهمَّة حنانيا مطران ماردين وكفرتوت الذي رقاه الى مطرانية ماردين عام ٧٩٣ قرياقس بطريرك اليعاقبة — (راجع تاريخ ميخائيل الكبير)

اليهم والّا فيقيم لهم راعياً قانونيًا ينظر في امورهم . وانما طلبوا حضوره لاعتادهم على ما كان قد صرّح به عام ١١٦٧ اذ جعل مقام الكرسي البطريركيّ رسميًا (١ بماردين بدلًا من آمد

فرحب بهم ميخائيـــل ولبى نداءهم وانجز رجاءهم تملصاً من ثقل تلك الرعيّة وتعبهـــا . فاوعز اليهم ان يصطفوا من يشاؤون . فوقع اختيارهم على موديانا الرهاوي صاحب الترجمة لانهُ كان مشهورًا بالغيرة ومشهودًا لهُ بالفضل وسعة المعـــارف . فارسل البطريرك في طلبهِ ورقاه مطرانًا على ماردين ودعاه يوحنـــا موديانا (٢ وقلده رعايتها بدلًا منهُ . ثمّ زود الرهبان والذوات بالصلوات وشيعهم بالانس والترحاب . وما كاد يظفر بهِ الماردينيون حتى انقشعت عنهم سحابة الغموم وانتعشت افئدتهم لمّا توسموا فيـــه من النباهة والذكاء فاظهروا لهُ عواطف الولاء والوداد واحتفوا بهِ احتفاء عظيماً . اما ابن وهبون وابن ماسح ففي تلك الليلة فرّا هاربين الى الموصل

فاخذ المطران الجديد اذ ذاك يدبر ابرشيتهِ صارفًا الهمة والنشاط في مـــا يعود الى نجاحهم ونال الحظوى لدى الحكام خاصةً وغدا محبوبًا وموقرًا عند القريب والغريب

بيد ان عدوّ الخير اخذ يثير في الاهلين نار الشحناء والبغض عليهِ فقاوموه وناصبوه لاسيا الرهبان منهم . وممّا زاد الشرور والاحن انهم نسبوا اليهِ اموراً مستقبحة . فامتعض موديانا ايّ امتعاض وتجرّع من جرّاء ذلك غصص الالام والحسرات وحاول استمالتهم اليه باللطف واللين فذهبت مساعيهِ ادراج الرياح ثم التمس الذرائع الفعالـــة ليظهر عليهم ويستمرّ لديهم فلم يتمكن . فكتب آنئذ يُخبر البطريرك ويستنصره على اعدائهِ المقعمين غيظاً وسخطاً عليهِ . فجعـــل ميخائيل يدافع عن المطران لكنّ الشرّ لم يزل

١) قلنا رسمياً لان دير الزعفران كان مركز ديونوسيوس بطريرك اليعاقبة منذ عام ١٠٣٤ حتى سنة ١٠٤٤ ولا يخفى ان البطاركة الذين خلفوا ميخائيـــل لم يجروا على تلك السنّة (راجع تاريخ ابن العبري الكنسي)

٢) هو غير يوحنا موديانا الذي جرت حفلة رسامتهِ بطريركًا يعقوبيًا في ١٧ شباط ١١٢٩ في كنيسة الافرنج (الكاثليك) بالرها بحضور الامير جوسلين وتوفي البطريرك المذكور عام ١١٣٧ وخلفهُ اثاسيوس بن قطره سالف ميخائيل الكبير (راجع ابن العبري)

يتفاقم حتى اضطرَّ موديانا الى مزايلة رعيتهِ متوخياً اطفاء شرارة الفتن فرجع الى خلوتهِ واقام في بيت ابويه بالرها. فتضعضعت من ثمَّ حال الابرشيَّة وتشعَّبت الاهالي واستفحل الفساد. فراى حينئذٍ البطريرك ان يقسم المرعيث ووكل الرعاية الى ابرهيم اسقف الخابور ريثما تهدأ الامور وتنجلي الحقائق

امَّا الماردينيون فلم يهدأ اضطرابهم بل طفقوا يتذمرون على البطريرك ويلومونهُ في تدبيره لهم. فذهب ثانية اليهِ نخبة منهم قائلين: «انا نستثقل الذهاب والاياب يا اباتا. وانك لتعلم اهميَّة رعيَّة ماردين من حيث ازدياد عدد الطائفة والرهبان والاديرة والارزاق . . . فاليك نتوسل ان ترثي لحالنا وتجبر انكسارنا. وليس لنا غنى عنك. على انا كلَّما احتجنا الى رسامة او قضاء دعوى تعنَّينا مشقة السفر فعدنا اليك. فحتى متى نلبث هكذا» . فتاوَّه البطريرك وهتف قائلًا: «لقد ضاق ذرعي وكلَّت عزائمي ممَّا دهمني من النوائب والاهوال. وكنت اودُّ لو اتمكن من المكث لديكم لعلمي الوكيد بان ماردين محتاجة الى راعٍ لا يغيب عنها قطّ. بيد ان اثقال الشيخوخة وامراضها قد انهكت قواي وحصلتُ في خطر المنون. وليس عندي اعزّ من المفريان غريغوريوس ابن اخي فاليهِ اوكل اموركم ماديًّا وادبيًّا. وبهِ أُنيط تدبيركم روحيًّا وزمنيًّا». ثم انهُ رقم رسالة عامَّة بهذا الصدد بخط يده في تشرين الاول عام١١٩٧ ووقَّع عليها سبعة اساقفة. وفيها قرَّر كذلك ان تكون ماردين ودير الزعفران ودير مار ديط ودنيسر وتل قبب وما يجاورها تحت سلطة المفريان اُبان حياته فقط. وبعد وفاتهِ (اي المفريان) تعود تحت رئاسة البطريرك

وفي تلك الغضون كان يوحنا موديانا مقيماً في الرها كما قدَّمنا مثابرًا على مطالعة الكتب. فجرت منازعة بينه وبين اثناسيوس دنحا اسقف الرها اليعقوبي (١ فوشي بهِ لدى البطريرك الذي بعث اليهِ كتاباً يأمرهُ بمزايلة وطنهِ والنزوح عن جبلها

فغادر موديانا آنئذ الرها وتوجه الى ملطية فصادفه اليونانيُّون وهم الملكيون القائلون بالطبيعتين والمشيئتين فارسلوه الى القسطنطينيَّة فاعتنق مذهبهم واصبح خلقيدونيًّا . ولمَّا توسم بطريرك الروم نجابته وذكاءه قلدهُ رعاية ابرشيَّة ميافارقين

١) سقف على الرها عام ١١٦٩

وميافارقين هذه مدينة قديمة كان اليونان يدعونها مدينة الشهداء (Martyropolis) وعُرفت عند السريان بميفرقط وكانت اذ ذاك مدينة عامرة بالسكان منيعة ذات ابراج وقلعة . وكان لليعاقبة فيها كرسيّ اسقفي يجلس عليهِ حينئذٍ اغناطيوس ابو غالب . امَّا الخلقيدونيون فيها فكانوا قليلين . فلمَّا قدم اليها يوحنَّا مودیانا اخذ يهتمّ بشؤون الملكيين بنشاط حتى زاد بهمَّتهِ عدد اتباعهِ . ولا شكَّ انهُ ممن انهضوا انصار المجمع الخلقيدوني بعد خمولهم ولعلَّ بقايا الروم في بلاد دياربكر الى يومنا كان سببها الاسقف مودیانا المذكور وبعض الذين اقتدوا بمثاله . على ان المؤرخين اليعاقبة لم يرووا شيئًا من اخبارهِ في ايام اسقفيَّتهِ ولعلهم سكتوا عنها ليغضُّوا منهُ كما ان ابن العبري نسب الى خداع اليونان رجوعهُ الى تعاليم المجمع الخلقيدوني (١ لكنَّ الموت عاجلهُ فتوفي في مفتتح القرن الثالث عشر ودُفن في كنيسة ميافارقين الملكيَّة

نظر

ممَّا سبق يلوح للقرَّاء (اولًا) ما كانت عليهِ الكنيسة اليعقوبيَّة في ذلك العصر وهي في زهوها ومجدها الَّا انَّ الخاصمات والانشقاقات كانت قد استولت عليها واعدَّت انحلالها وهبوطها الذي نشاهدهُ في ايَّامنا وليس لها اساس ثابت يجمع كلمتها ويصونها من الفتن والشغب

(ثانيًا) ونرجح كون مودیانا لم ينضم الى الملكيَّة لاسباب زمنيَّة او فرارًا من الدسائس اليعقوبيَّة فقط بل علمًا منهُ بصحة المعتقدات الملكيَّة وذلك لأَنَّ هذا الاسقف كان مشهودًا لهُ بالفضل والفضيلة والاداب والعلوم كما اثبت المؤرخون . لاسيما انَّ البطريرك ميخائيل ما كان يدَّخر وسيلةً ليمنعهُ من الانحياز الى الملكيين او ليسترجعهُ الى مذهبهِ السابق بعد اتباعهم . ولعل المنازعة التي جرت بينهُ وبين اسقف الرها انَّما كانت لجدال حدث بينهما في امر الدين والاراء اليعقوبيَّة

(ثالثًا) ومما يستفاد من هذه الترجمة انَّ يوحنا مودیانا لمَّا اعتنق مذهب الروم وسُقف على ميافارقين لم يحتج الى تغيير لسانهِ السرياني الى اللسان اليونانيّ وانما اقام

١) قال ابن العبري: ܘܟܕ ܦܓܥܘ ܒܗ ܝܘܢܝܐ ܒܢܝ ܡܠܝܛܝܢܐ ܐܚܕܘܗܝ ܘܐܝܬܝܘܗܝ ܠܩܘܣܛܢܛܝܢܘܦܘܠܝܣ ܘܗܘܐ ܟܠܩܝܕܘܢܝܐ ܘܝܗܒܘ ܠܗ ܡܝܦܪܩܝܛ. ومعناه: لمَّا صادفه اليونان اهل ملطية غرّوه وبعثوا بهِ الى القسطنطينية فصار خلقيدونيًّا واعطوه ميافارقين

الطقوس اليونانيّة باللغة السريانيّة وقد اثبت المثلَّث الرحمات السيد اقليميس يوسف داود في كتابهِ القصارى انَّ الروم الملكيّين كانوا يتلون فروضهم الدينيَّة في انحاء شتى باللغة السريانيَّة

(رابعًا) ومع اشتهار امر موديانا ورجوعهِ عن تعاليم اليعاقبة الى معتقدات الجمع الخلقيدوني لا تجد في كتب مؤلفي الروم احدًا يذكر هذا الارتداد لانَّ الكتبة اليونان قلَّما اتسعوا في التاريخ الديني واخبار اساقفته في الجهات البعيدة عن القسطنطينيَّة ففاتتهم امور عديدة لا تجد لها ذكرًا الَّا في مؤرخي السريان

مطبوعات شرقية جديدة

Daremberg, Saglio et Pottier. Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, 40ᵉ Fasc. (PRINCEPS – QUORUM BONORUM), Paris, *Hachette*, 1907.

معجم العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة (القسم الاربعون)

لم يمرَّ على المشرق ستَّة اشهر منذ أعلن (ص ٤٧٤) صدور القسم التاسع والثلاثين من هذا المعجم الخطير الذي افضنا في سعة موادهِ وحسن تنسيقهِ وعلم كتبتهِ ولا غرو لانَّ فصول هذا المعجم لا يكتبها الَّا كبار العلماء ممن يُشار اليهم بالبنان. وفي هذا القسم ابحاث جليلة منها تاريخيَّة ومنها جغرافيَّة ومنها في تعريف خرافات الاولين واساطيرهم فلو اردنا تعدادها لطال بنا الكلام نخص منها بالذكر المقالة المطوَّلة في الاقاليم الرومانيَّة (PROVINCIA) والعاب دلفي اكرامًا لافولون (JEUX PYTHIQUES) ورتبة المجتبي (PROCURATOR) وفي اروقة الهياكل (PROPYLUM). وفي هذا القسم تفاصيل ظريفة عن عادات الرومان مثلًا عن حمَّاماتهم وعن الالعاب المعروفة عند العرب بالبنات (POUPÉES). ومما يهمّ بلادنا الفصل المختصّ بالارجوان واصلهِ وتاريخهِ واستحضاره من الاصداف المدعوَّة موركس (MUREX) لاسيما في سواحل فينيقة. وكانت الصدفة لا تتضمَّن سوى بعض نُقط من هذا الصبغ يستخرجونها من دودتها بعمل شاقّ فيملّحونها ثمَّ يعرضونها على النار ويغمسون فيها الحرير مدَّة خمس ساعات ويكرّرون

ذلك ليحكموا صبغهُ وكان ثمن الارجوان غالياً جدًّا وكان ارفع قدرًا الصنف الصيداوي تباع منهُ نصف الأُقّة الى حدّ ٨٠٠ فرنك من نقودنا. وكان الطلب عليهِ مع ذلك كثيرًا لانّ لون الارجوان كان ثابتًا لا يبور كغيرهِ من الالوان النباتيَّة ولذلك كانوا ايضًا يتَّخذونهُ ليس فقط للابسهم بل لصبغ جدران بيوتهم وآنيتهم وتماثيلهم ويزيّنون بهِ كتبهم الى غير ذلك من الفوائد التي يعدّدها المسيو بنيه (Besnier) صاحب هذه المقالة. فنشكر اذن المتولّين لنشر هذا المعجم ونتمنَّى انجازهُ قريبًا لتعمّ بهِ الفائدة

س. ر

J. Rivière : **Saint Justin et les Apologistes du II[e] siècle** XXIX-346, in-16 (Collection *La Pensée Chrétienne*) Paris, Bloud et C[ie], 1907.

القديس يوستينوس والمدافعون عن النصرانيَّة في القرن الثاني

لم يكتفِ الكتبة في زماننا اذا ارادوا تسطير حياة احد القديسين ان يدونوا فقط اعمالهُ ويسردوا تفاصيل اخباره ويصفوا تآليفهُ بل تراهم يوسعون نطاق ابحاثهم فيجمعون كل ما من شأنهِ ان يعرف زمان المترجم واحوال عصره وما كان لهُ من النفوذ في معاصريه. وهذا ما ارادهُ صاحب هذا الكتاب فانهُ لم يألُ جهدًا في بيان اعمال القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القرن الثاني للنصرانيَّة فاوضح على احسن اسلوب مآثرهُ وصفاتهِ الشخصيَّة وشهامة موتهِ في سبيل الايمان. ثمَّ درس درسًا مدققًا كتابات القديس واتَّسع في خواصّها لاسيما في تاليفهِ الشهير الذي قدمهُ للقياصرة لتزكية النصارى من التُّهم التي كان يقرّفهم بها الوثنيون. واتَّخذ هذا القسم كتوطئة لدرس آخر اعمّ وأفيد فقابل بين دفاع يوستينوس ودفاع اباء عصره عن حقوق الدين المسيحي كطاطيانوس واثيناغوراس وترتوليان وغيرهم وبيَّن ما من الائتلاف بين هؤلاء الكتبة ويوستينوس وما استعاروا منهُ في كتاباتهم وما انفردوا بهِ عنهُ. وفي هذا النظر فوائد لا تُحصى تبيّن احوال النصرانيَّة بعد عهد الرسل لمّا ثارت عليها اضطهادات القياصرة والوثنيين. فنشكر صاحب هذا التاليف ونوصي محبّي الدروس الكنسيّة على مطالعتهِ فانهُ يقفهم على كل ماجريات ذلك العهد ويزيل كثيرًا من الامور المستبهمة التي تحول دون معرفة احوال ذلك الزمان السحيق

ل. ش

PERSIA PAST AND PRESENT. A book of travel and research, with more than 200 illustr. and a Map, by **A. V. Williams Jackson**, professor of indo-iranian languages, etc. *New-York, The Macmillan Company — London : Macmillan et Co., ltd.* 1906. in-8, pp. 470,

بلاد العجم سابقًا وحاضرًا

يجمع هذا الكتاب بين الافادة واللذَّة فانَّ صاحبهُ الاديب المستر جاكسون يتناقل بقرَّائهِ من شمالي العجم الى انحاء شيراز ثمَّ يتوقَّل بهم الى بحر قزبين مارًّا بمدينتي يزد وطهران فيصف تلك الجهات كلها وصفًا حسنًا ويشير الى ما جرى ثمَّ في سالف الاعصار من المآثر التاريخيَّة مع بيان احوال شعوبها وذكر مبانيها والامور المحكي عنها في الكتاب الكريم وقد اضاف الى ذلك عدَّة ملحوظات لغويَّة لاسيما في شرح معاني اعلام الامكنة. ومما يزيد هذا التاليف شأنًا ان جناب مؤلفهِ لم يعوّل على ما كتب غيرهُ حتى عاين بنفسهِ ما رُوي لهُ فزار الآثار وقاسها واخذ رسومها فتمكن كذلك من مشاهدة قبر قورش الفاتح والشاعرين الشهيرين حافظ وسعدي وعدَّة كتابات قديمة فأصلح قراءتها. ولم يتصل الى بعض هذه الآثار الّا بعد شقّ النفس والاخطار العديدة فمن ذلك الكتابات المسماريَّة المثلَّثة اللغات في بهستان التي كان قرأها لاوَّل مرَّة العلَّامة رولنسون فانَّ المسيو جاكسون بلغ مكانها وصوَّرها بالتصوير الشمسيّ وهو فوق هوَّة هائلة متشبّث بالصخور. وقد جازاه الله على ثباته لأنَّهُ اخذ رسوم تلك الكتابات واصلح كثيرًا من اغلاط سلفهِ في عشر صفحات سوف يتلقَّاها المستشرقون بالشكر الجزيل. ويلوح لمن يتصفح هذا الكتاب انَّ كاتبهُ يعرف تاريخ العجم معرفةً تامَّة لا يفوتهُ من احوالهم شيء. فيتبع القارئ رواية رحلتهِ بلا عناء وببهجة متواصلة لكثرة ما يجنيهِ من الفوائد فضلًا عمَّا يلقاهُ في الكتاب من التصاوير البديعة — على اننا مع اقرارنا بفضل المؤلف لا نرضى بكل ارائهِ وخصوصًا لا نسلم لهُ ببعض ما قال عن سفري طوبيا واستير. وليسمح لنا ايضًا جناب المسفار بان نضيف هنا ملحوظًا آخر لغويًا في اصل اسم مدينة اورمية. فانهُ في اثناء كلامهِ (ص٨٧) يزعم بانَّ البعض يلفظونها اورومیا او أُروميا او اوروميَّة أفليس هذا دليلًا على انَّ هذا الاسم حديث أُطلق على مدينة قديمة. وعندنا انهُ لمن الممكن ان اسم اورميا مشتق من لفظة روم او رومي ويقال في التركيَّة اوروم ومنها اوروميا او اورميا. وممَّا يزيدنا ترجيحًا لهذا

القول انَّ هذه المدينــة الشهيرة بمولد زرادشت (على قول بعض الكتبة) لم تُعرف بهذا الاسم في الكتاب المسمَّى اوستا وفي التآليف البهلوية . وفي الختام يحسن بنا ان نذكر للقراء بانَّ المسيو جاكسون افادنا انهُ عاد ثانية الى العجم وتفقد اواسط اسيا وجمع جملةً من الاثار التي قصد نشرها قريباً ل . ر

DAVID ROSS FOTHERINGHAM : The, Chronology of the Old Testament. *Cambridge, D. Bell and C°*, 1906, in-12, 143 pp.

سلسلة تاريخ العهد القديم

هذا الكتاب لاحد دعاة الدين البروتستاني الانكليز ممَّن يجلون الاسفار المقدَّسة ويدافعون عن صحَّتها بنشاط عظيم . وهو مع كثرة اشغالهِ يُعنى بكتابة المقالات الضافية في الابحاث الكتابيَّة . وممَّا وضعهُ آخرًا في اوقات فراغهِ سلسلة تاريخ العهد القديم بناء على ما ورد في الكتاب المقدَّس وحدهُ مع قطع النظر عن التواريخ العالميَّــة والاكتشافات العصريَّة الَّا ما رآهُ موافقًا لغايتهِ . ونحن لا ننكر انَّ في الاسفــار المقدَّسة معلومات تاريخيَّة عديدة تُساعد على صوغ سلسلة تاريخيَّة متينة لكننــا نرى ايضًا انَّ العالم لا يمكنهُ ان يضرب الصفح عن التواريخ المدنيَّة والاكتشافات العصريَّة ليوافق بينها وبين ما رواهُ اصحاب الكتب المنزلة ويعمــل فيها عين الانتقاد فيأخذ ما ثبت منها وينبذ ما لم تتقرَّر صحتهُ . وزد على ذلك انَّ اللاهوتيين يسلّمون بوقوع بعض اغلاط في اعــداد التاريخ المقدَّس حصلت بسهو النسَّاخ الذين لم يحسنوا قراءة حروف الجمَّل وبعضها كما لا يخفى تتشابه في العبرانيَّة فجعلوا حرفًا بدل حرف مثــال ذلك حرف ב الذي يساوي عدد ٢ فانهُ يشبه حرف כ المســاوي لعدد ٢٠ وكذلك حرف ד (٤) يشبه حرف ר (٢٠٠) وهلمَّ جرًّا س . ر

P. GREGORIUS DEV O. F. M. I. — **Ethica** seu Ethica Generalis ad mentem Ven. J. Scoti, D. Subtilis. pp. 173 — *Hierosolymis, Typis PP. Franciscalium*, 1906. II. — **Jus Naturæ** seu Ethica specialis ad mentem ejusdem, pp. 293 — *Ibidem*, 1906.

الفلسفة الادبيَّة للراهب المكرَّم يوحنَّا سكوتس

لنَّ الكتب الفلسفيَّة المستنــدة الى تعاليم القديس توما الاكويني المدعو بشمس المدارس لا تزال تتوفر وتشيع يومًا بعد يوم في معاهد العلوم . على انَّ الكنيسة تشرفت

بتعاليم غيرهِ من اللافنة الكبار الذين وان لم يبلغوا مبلغهُ نالوا مع ذلك شهرةً عظيمة وتركوا من التآليف ما لا يسع العلماء جهلهُ . فمن جملة هؤلاء المعلمين المكرَّم يوحنـا سكوتس الذي لُقب بالمعلّم الدقيق النظر (Doctor subtilis) وكان من الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة كالقديس بوناونتورا وبعض ائمة اللاهوتيين القدماء . وقد سرَّنا انَّ احد الاباء الفرنسيسيين بنى تعليمهُ الفلسفيَّ على تاليف سكوتس واستخرج من مصنفاته الفلسفيَّة المبادئ الراهنة في الفلسفة الادبيَّة والحقوق الطبيعيَّة جعلهما كدستور للتعليم المدارسي . وممَّا نشكر فيهُ فضل المؤلف انَّهُ في كل ابواب كتابهِ لم يَحِدْ مطلقًا عن الآراء المقرَّرة بين العلماء الكاثوليك في الابحـاث الاجتماعيَّة سواء كانت عن الافراد او عن العائلة او الدول او السلطة الدينيَّة . وكذلك نوافقهُ (وان كان الامر بعيدًا) في ما كتبهُ عن تحكيم الدول للاحبار الرومانيّين الذين لهم نفوذ ادبي اعظم من نفوذ مؤتمر السلم في لاهاي . وان سمح لنا حضرتهُ أضفنا الى ثنائنا بعض ملحوظات لعلهـا تُفيدهُ في تحسين طبعتهِ الثانية . انَّ بعض فصول هذين الكتابين تحتـاج الى توسيع وشرح اطول دفعًا للالتباس وتقريبًا للمعنى . وكذلك تجد بعض اقيستهِ لا تُقنع تمامًا فانَّ نتائج البرهـان ليست دائمًا متضمَّنة في مقدماتهِ فيستطيع الخصم انكارها ما لم تكن القضايا مرتبطةً بعضها ارتباطًا غير منفصم . وقد وجدنا ايضًا انَّ بعض التحديدات لا تفي بالمقصود والتحديد كما لا يُخفى لا بُدَّ ان يكون جامعًا مانعًا (١

الاب يوسف ديلنسيغر

شذرات

☙ تنشيط ملكيّ ❧ كان حضرة الاب ماريوس شان اليسوعيّ استاذ اللغتين القبطيَّة والحبشيَّة في مكتبنا الشرقي رفع الى جلالة النجـاشي منليك الثاني ملك الحبشة نسخةً من كتابهِ الحديث في اصول اللغة الحبشيَّة مع منتخبـات من تاليفها ومعجم لالفاظها فتلطف النجاشي وارسل الى المؤلف على يد مكاتبنا الفاضل

(١ مثال ذلك تحديد المؤلف للاحتكار الدولي كما ترى وهو تعريف لا يفيد شيئًا :
Centralismus est systema quo sub ementito nomine boni et progressus nationalis jura civium conculcantur.

عبد الله افندي ميخائيل رعد صيدليّ جلالتهِ هذه الرسالة التي ندوّن اصلها مع ترجمتها الحرفيَّة الى العربيَّة وشعارها الملكي



غلب الاسد من سبط يهوذا

منليك ملك ملوك الحبشة

قد غلب الاسد من سبط يهوذا . منليك الثاني الذي اصطفاهُ الرب ملك ملوك الحبشة . فلتبلغ هذه الرسالة الى الاب ماريوس شـان والسلام عليك . انَّ الكتاب الذي صنفتهُ قد أُرسل اليَّ ووردني فجازاك الله خيراً . وهذا التاليف قد سرني جدًّا امَّا ما رغبت فاني بطيب الخـاطر احظيك بهِ . ايَّدك الله

كُتب في مدينة اديس ابابا في ٣ من شهر جنبوت في سنة النعمة ١٨٩٩ (١

ሞዓ ፡ አንበሳ ፡ ዘእምነገደ ፡ ይሁዳ ፡ ዳግማዊ ፡ ምኒልክ ፡ ሥዩመ ፡ እግዚአብሔር ፡ ንጉሠ ፡ ነገሥት ፡ ዘኢትዮጵያ ። ይድረስ ፡ ከባ ፡ ማሪዎስ ፡ ሼኔ ፡ ሰላምታዬ ፡ ላንተ ፡ ይሁን ። አትመሕ ፡ የላከህልኝ ፡ መጽሐፍ ፡ ደረሰልኝ ፡ እግዚአብሔር ፡ ይስጥልኝ ። ቃሉም ፡ ደስ ፡ አለኝ ፡ ለስሜ ፡ እንዲደረግ ፡ ሰለለመንከኝ ፡ ፈቅጀልሃለሁ ፡ እግዚአብሔር ፡ ይርዳህ ፡ ግንቦት ፡ ፫ ቀን ፡ ፲፰፻፺፱ ዓመተ ፡ ምሕረት ፡ አዲስ ፡ አበባ ፡ ከተማ ፡ ተጻፈ ።

١) هذا التاريخ يوافق ١١ ايّار من السنة الحاليَّة

✤ تاريخ فقيد الملة المارونيَّة في بيروت ✤ ارسل لنا جناب الاديب بولس افندي زين تاريخين للطيب الذكر فقيد الدين والدنيا المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس يسرُّنا ادراجهما في صفحات مجلتنا كتذكار مخلد لاعماله الخطيرة وكآية شكر على تنشيطهِ المكرر لكتبة المشرق فالتاريخ الاوَّل هو لوفاة ذلك السيد الجليل :

كرميُّ بيروت قالت وهي باكيةٌ لقد تيتَّمتُ يا ويحي بفقد ابي
بحر العلوم ارسطو العصر يوسفُهُ وآية الله بين العجم والعربِ
شهديُّ خلقٍ واقوالٍ مخلَّدةٍ اثارها الغرُّ في الاسفار والكتبِ
بنى لابناء مارونٍ بحكمتهِ مجدًا اذا شاب راسُ الدهر لم يشبِ
كنائسٌ وصروح العلم شاهدةٌ بفضلهِ اخر الايام والحقبِ
ما زال يبني ويبدي من فوائده في شدة المرض المُدْني من الترَبِ
حتى قضى في ضمان الله ترمقهُ عين السعادة وحيًا من ورا الحجبِ
يا رحمة الله غاديهِ مُضاعَفةً وفوق مضجعهِ يا أدمعُ انسكبي
يا خير حبرٍ رأيناه فسنَّ لنا طرق الهدى والندى والبرّ والادبِ
عليك اجمى سلام الله خاتمةً طابت كذكراك في الدنيا فلم تطبِ
لئن تواريتَ عنَّا بالسما ابدًا فحسن تاريخك المنشور لم يغبِ
١٩٨ ٦٢٧ ٧٠ ١٠١٢

امَّا التاريخ الثاني فهو تاريخ ضريحهِ في الكنيسة الكتدرائيَّة التي شيدها في بيروت وهو :

مضى السيد الدبسيُّ يوسف عصرهِ وخلى فَراغًا في الوجود مسوَّفا
فناحت عليهِ الارض شرقًا ومغربًا وذو الدين والدنيا عليهِ تأسفَا
قضى مالئًا الاسماع قولًا وحكمةً وذكرًا فكم ألقى وأملى وألَّفا
وكم اثرٍ باقٍ لذكراهُ في الورى وبيض ايادٍ ليس تحصى فتوصفَا
فذي البيعةُ الغراء برهان فضلهِ ومعهدهُ العلمي عنوانهُ الوَفَا
كذا فليكن مطرانُ بيروت ارّخوا اماماً عظيماً سائدًا مثل يوسفَا
سنة ١٩٠٧ م

✤ خارطة بديعة ✤ وصفنا سابقاً (المشرق ٣: ٥٢٥) الهديَّة الثمينة التي اهداها جلالة قيصر روسية لفرنسة سنة ١٩٠٠ اي خارطة بلادها بالحجار الكريمة. واليوم قد افاد البشير بان جلالتهُ امر برسم آخر اجمل وابدع من الاوَّل ليهديهُ الحكومة الفرنسيَّة وهذا الرسم سوف يمثل المقاطعات الافرنسيَّة الستّ والثمانين بالوانها الطبيعيَّة وتكون اسماء المدن من الذهب الابريز والانهار من البلاتين ويشار الى موقع كل مدينة

بحجر كريم مختلف النوع والحجم. وكلّ هذه الحجارة مستخرجة من معادن روسيّة فتزيد بذلك قيمتها. امّا ثمن هذه الهديّة فسيبلغ ٦,٢٥٠,٠٠٠ فرنك

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة القس داود رمو الكلداني من الموصل عن كتاب مخطوط سنة ١٨١٠ اسمهُ التبر المكنوز لمنفعة الكاروز وجد منهُ نسخة بالكرشوني فطلب ان نفيده عن مؤلفهِ

مؤلف كتاب التبر المكنوز لمنفعة الكاروز

ج قد ذكرنا هذا الكتاب في المشرق (٩ : ٦٩٧) وهو لاحد افاضل الكتبة الحلبيين مكرديج الكسيح الارمني الكاثوليكي الذي اشتهر في اواسط القرن الثامن عشر ولهُ من التآليف ما يشهد لفضلهِ واسماؤها مدوَّنة في المحل المذكور

س سالنا احد المعلمين في البلدة ما هي شجرة الساج المذكورة في نص القزويني المطبوع في القسم الثالث من نخب الملح (ص١٠١) وهل تكون من اشجار بلادنا

شجرة الساج

ج الساج شجرة هنديّة يعرفها الفرنج باسم تاك (teck) ويدعوها العلماء (tectona grandis) تُعدّ من الاشجار ذات الخشب الصلب الذي يصلح للبناء ويصبر على الزمان. وهاك وصفها لابن البيطار في مفرداتهِ قال عن الشريف (٣ : ٢) : «الساج شجر هندي وليس في الشجر ما هو اكبر منهُ خشبهُ اسود وصلب يسمو في الهواء كثيرًا وفروعهُ تسمو وتمتد لهُ ورق كثير وفيما يحكى انَّ الشجرة منهُ تظلّل خلقًا كثيرًا وخشبهُ لا يتغير من القدم»

س وكتب من مصر احد المستفيدين: قرأنا في الجرائد المحليَّة انهم اكتشفوا جثة الفرعون منفتاح ابن سيّ الكبير وأنّ هذا الملك هو الفرعون الذي يزعم سفر التكوين بانهُ غرق في البحر لمَّا تبع بني اسرائيل فكيف التوفيق بين القولين

الفرعون منفتاح وجثتهُ

ج ليس اكتشاف جثة الفرعون منفتاح امرًا حديثًا وقد سبق لنا في المشرق (١ : ٨٨١) ذكر هذا الخبر منذ عشر سنوات وبيَّنا هناك (١ : ٨٩٠) حلّ المشكل في غرقهِ بحرًا فليراجع

ل. ش

المشرق

الزواج المسيحيّ

نظر تاريخي ولاهوتي للاب لويس شيخو

قلّما يجد القرّاء في المشرق كلاماً عن الزواج بينما يرون مجلّات أُخرى حافلة بالمقالات الزواجيّة يتفنَّن فيها اصحابها كيفما شاؤوا لا يبالون بما تتضمَّنهُ اقوالهم من المبادئ المجحفة بحقوق الدين او الضارَّة بالهيئة الاجتماعيَّة التي قوامها بآداب الزواج وليس سكوتنا تغاضياً عن الامر وانَّما نتحاشاهُ لعلمنا بانَّ بحثاً كهذا اوسع مجالًا واعلى شأناً من ان تخوض فيهِ فرسان القلم دون تروٍ او تتناولهُ ألسنة الاغرار بلا تحفُّظ ووقار

على انَّنا رأينا في هذه المدَّة الاخيرة تفاقماً في الشرّ حتى لم يَعُد يسعنا الإضراب عن بعض ما تحامل بهِ هؤلاء المتشدّقون على الكنيسة وكثيرًا ما ينقلون ما يسطّرونهُ عن اقوال بعض الاوربيّين ممَّن لا يكترثون لدين ولا يراعون لأدب . انارهم الله وارشدهم الى سواء السبيل

وممَّا قرأناهُ في بعض المجلّات المصريّة معرَّباً عن الانكليزيّة لاحد اهل الهند مقالة كثرت فيها الاوهام والاقوال الفاسدة في حقّ الزواج المسيحيّ وقد شعر بذلك صاحب المجلة فنبَّه في ذيل المقالة انَّ « بعض ما ورد فيها من الافكار والاحكام فيهِ نظر عند فئة من اهل العلم » فردّ بذلك عن نفسهِ المسئوليَّة . وكان الاولى بهِ أن لا ينشر هذه الموهومات بتاتًا

ولمَّا كانت اغلاط هذه النبذة عديدة يقتضي الردّ عليها كتاباً ضخماً رأينا ان

نأخذ هنا بعض اقوالها فنبيّن بطلانهُ ليقتبس القرّاء بذلك علماً بضعف بقيّة مزاعم هذا الكاتب وما تستحقّهُ من الاعتبار . قال :

« انَّ النصرانية في عصورها الاولى اوضحت حطّها من قدر الزواج فكانت تعدُّ هذا الارتباط من الاحوال المنحطَّة وتحسب البنين جنايةً وشرًّا . . . وقد نشأ بعض هذا الانحراف عن التشبُّه بالمعلّم نفسهِ لشدَّة تعلُّق نبيّ الناصرة باهل المذهب الأسنيّ وانتظارهِ حلول الساعة في العاجل حين تنتهي الارتباطات المدنيَّة وانقضاء بشتهِ وهو في مقتبَل العمر كلّها امور تجلو لنا اسباب حطّهِ من قدر الزواج . . . وشدَّة بغض بولس للنساء مع ما يقصدهُ من كلام المعلّم قوّى في الكنيسة الاعتقاد الأسني بانَّ الارتباط الزوجيّ وهو اقدس العقود انَّما هو اثمٌ يجب تجنُّبهُ ما امكن وكان بحسب المقصود من الزواج ايلاد الاولاد وقضاء الشهوة البهيميَّة ليس الَّا ولا تزال عقود الزواج في اكثر الكنائس مصبوغة بهذه الصبغة الحالية الى يومنا هذا . . .

« ومن المحقَّقات التاريخيَّة التي لا تقبل الشكّ أنَّ تعدُّد الزوجات لم يُستنكر (اي عند المسيحيين) الَّا في الاعصر المتأخرة . والظاهر انَّ القديس اغسطينوس نفسهُ لم يرَ فيهِ سقوطاً في الآداب او اثماً وحرجاً بل صرَّح ان تعدد الزوجات لا يُعدُّ جريمةً لانَّ قوانين البلاد تبيحهُ . . ولا نرى في تاريخ الكنيسة ما يدلّ على انَّ الاساقفة او رؤساء الكنيسة استاؤوا او اظهروا اقل اعتراض على هذا القانون »

نكتفي بهذه الاسطر ليتحقَّق القرَّاء ما في هذه المقالة من الاوهام وانَّ كلامنا ليس هو تحاملًا بل انتصارًا للحقّ وصونًا لشرف الدين المسيحيّ فنقول :

يُستخلص ممَّا روينا انَّ كاتب هذه المقالة ينسب الى السيد المسيح والى الكنيسة الحطّ من قدر الزواج لأَسباب عدَّدها اخصُّها تأثير التعاليم الاسينيَّة في عقل المسيح واقوالهِ ثم اعتقادهُ بقرب حلول الساعة وانتهاء العالم ثمَّ شدَّة بغض بولس الرسول بحيث اعتقدت الكنيسة انَّ الارتباط الزوجيّ هو اثمٌ يجب تجنُّبهُ ما امكن . فتفنيدًا لهذه الدعاوى الباطلة نبيّن (اوَّلًا) انَّ السيد المسيح رفع قدر الزواج فضلًا عن ان يبخسهُ حقّهُ . (وثانياً) انَّ بولس الرسول لم يخالف في ذلك تعاليم سيّدهِ . (وثالثاً) انَّ الكنيسة اعتبرت دائماً الزواج كاقدس العقود وناصبت كل من اعدَّهُ اثماً يجب تجنُّبهُ

١ الزواج والسيد المسيح

لا ننكر ان السيّد المسيح لذكرهِ السجود احبَّ التبتُّل وفضَّلهُ على الزواج وكفانا دليلًا على ذلك انهُ ليس فقط كان بتولًا بل قرَّب ايضاً الى شخصهِ الكريم المتبتّلين زهدًا بالدنيا وحبًّا بالله . فهذه امهُ الطاهرة كانت بتولًا وهذا ابوهُ بالذخيرة يوسف

البارّ كان بتولًا (المشرق ٣ : ٥٨٠ و٤١٣) وكان صابغهُ القديس يوحنا المعمدان بتولًا. واحبَّ بين تلاميذهِ يوحنا الحبيب لتبتُّلهِ. ولكن كيف يمكن الناظر ان يبيّن انَّ المسيح بتفضيلهِ البتوليَّة على الزواج بخس حقوق الزواج وحطّ من قدرهِ ؟ فانَّ في الاناجيل المقدَّسة لا نرى ذكرًا للبتوليَّة الَّا في نصّ واحد في انجيل متى (١٩ : ١٢) فهناك يجيب المخلّص على تلاميذهِ الذين وجدوا قولهُ في منع الطلاق صعبًا قائلين « ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأتهِ فاجدر لهُ الَّا يتزوَّج » فقال لهم الرب: « ما كل احد يحتمل هذا الكلام الَّا الذين وُهب لهم لأَن من الخصيان من وُلدوا كذلك من بطون أُمهاتهم ومنهم من خصاهم الناس ومنهم من خصَوا انفسهم من اجل ملكوت السماوات فمن استطاع ان يحتمل فليحتمل »

فهذا الكلام كما فهمهُ المعلّمون والآباء دون استثناء يدلُّ على البتوليَّة الاختياريَّة صوَّرها السيّد المسيح بصورة حسيَّة لا يريد بها عملًا جراحيًا مذمومًا كما لا يخفى بل اراد قهر شهوات النفس حبًّا بالله وايثارًا للآخرة على الحاضرة. ثم ترى من هذا القول ان المسيح لا يدفع الى التبتُّل وانَّما اشار اليهِ فقط اشارة خفيفة فلا يتجاوز قولهُ الوصيَّة حيث اردف « من استطاع ان يحتمل فليحتمل ». وزد على ذلك أنهُ صرَّح بصعوبة الامر وبيَّن ان هذه الوصيَّة لا يقدر ان يقوم بها « الَّا الذين وُهب لهم »

فاين رعاك الله وجد صاحب المقالة بانَّ المسيح حطَّ من قدر الزواج أَوَليس الكاتب هو الذي حطَّ من قدر المسيح لمَّا نسب اليهِ امرًا كهذا ؟

وليس قولهُ بان « السيِّد المسيح كان شديد التعلُّق بمذهب الاسينيين » اقوى حجَّةً لانهُ ليس لدينا شاهد تاريخيّ يشير الى تردُّد المسيح على الاسينيين او الى الاجتماع بهم او مراسلتهِ أيَّاهم في زمن من ازمنة حياتهِ. ثمَّ ان تعاليم الاسينيين كما ذكرها يوسيفوس اليهودي وفيلون الاسكندري وبلينيوس الطبيعيّ وغيرهم تختلف في امور كثيرة عن تعاليم السيِّد المسيح حتى في امر الزواج كما سترى فانَّ الاسينيين كانوا نسَّاكًا من اليهود يعيشون في الزهد ويشتغلون بالاعمال اليدويَّة تحت ادارة شيوخ من جنسهم وكانوا عادةً يمسكون عن الزواج الَّا فئة منهم كانوا يتزوَّجون على شروط معلومة. وكان للاسينيين تعاليم فلسفيَّة خصوصيَّة استعاروها من تعاليم فيثاغورس الفيلسوف اليونانيّ وكانوا لا يأتون الى اورشليم لزيارة هيكل الرب ولا يقدّمون ذبائح

دمويّة وهم مع ذلك يبالغون في حفظ السبت كالفريسيين الى غير ذلك من العادات التي لا نرى منها اثرًا في تعاليم السيّد المسيح ومنها ما ابطلهــا بمثَله وكلامهِ وناهيك بذلك برهانًا على بطلان قول الزاعمين بانَّ المسيح كان شديد التعلّق بمذهب الاسينيين

واضعف من هذا زعمهم بانَّ المسيح كان يتوقَّع حلول الساعة عاجلًا وهو قولٌ بناهُ بعض المحدثين على كلام المسيح في قرب خراب مدينة اورشليم وكان اتّخذهُ الربّ في الانجيل كندحةٍ ليُعلم تلاميذهُ بما سيحلُّ في العــالم من الآيات والنكبات عند حلول الســاعة فظنَّ قوم ان السيّد المسيح تكلّم عن امرٍ واحد وعن قرب منتهى العالم. ولو اعمل هؤلاء فكرهم في كلام الانجيل لتحقّقوا ان الرب روى هناك لتلاميذهِ امرين مختلفين اولهما قريب حلولهُ والآخر بعيد فجعل الاوَّل كصورة ورمز عن الثاني. وما يوضح جليًا بان السيّد المسيح لم يتوقَّع حلول الساعة بعد زمن وجيز انَّهُ قبــل صعودهِ الى السماء وعد تلاميذهُ بأنَّهُ سيكون معهم الى منتهى الدهر (متى ٢٨: ٢٠) وانَّهُ سيُكرز باسمهِ في جميع الامم (لوقا ٢٤: ٤٧) والى اقصى الارض (اعمال ١: ٨) وكل هذا يدلُّ صريحًا على مدَّة مديدة واجيال عديدة فلو كان المسيح كما زعموا يتوقع حلول الساعة قريبًا لَمَا استطاع ان يفوه بكلام كهذا

فسقط اذن دعوى القائلين بان السيّد المسيح حطّ من قدر الزواج وليس للحجج التي ذكروها اصل ثابت بل هي تخيُّلات وهميَّة باطلة يردُّها العلم الاكيد والنظر المجرَّد عن الغايات

ولا يكفينا تزييف هذه السفاسف بل لدينا بيّنات واضحة بانَّ السيّد المسيح رفع قدر الزواج وجعلهُ في رتبةٍ لم يعهدها العالم سابقًا منذ ايَّام الآباء الاوَّلين ودونك الدليل على ذلك

انَّ من يتصفح خبر تكوين الابوين الاولين كما رواه موسى الكليم في سفر الخليقة يجد هناك الصفات التي ارادها الخالق للزوجين فانَّ النبي يذكر اوَّلًا خلقة آدم ولم يُعقب روايتهُ باستحسان الرب لعملهِ كما فعل بعد خلقة بقيَّة الكائنات كأن الله أجّل استحسانهُ الى ان أتمَّ تكوين حوَّاء فرأى حينئذ انَّ عملهُ «هو حسن جدًّا» ولم يكوّن حوَّاء من التراب كما فعل بآدم بل من ضلع استلَّهُ من ادم دلالةً على ما يريدهُ من الارتبــاط غير المنفصم بينهما ثمَّ يعطيها لآدم لا كأمةٍ دونهُ بل «كعونٍ بازائهِ» اشارة الى شرف مقام

الزوجة في بيت رجلها ويقرّ آدم بهذه الرتبة الشريفة حيث يهتف « هوذا عظمٌ من عظامي ولحم من لحمي » . ثم يردف الراوي الموحى اليهِ من الله قولهُ بهذه الآية الجليلة كتوقيع لذلك الصكّ الذي لا يمكن البشر الغاءه قائلًا : « ولذلك يترك الرجل اباهُ وأمهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران جسدًا واحدًا »

تلك هي صورة الزواج الأوَّل كما انشأهُ الله وكان هو الشاهد عليهِ لمَّا تمَّ الرضى المتبادل بين القرينين . وقد جعل الخالق هذا الاقتران كمثال تامّ لكل ارتباط زواجيّ فجعلهُ وصالًا بين واحد وواحدة فقط ليصيرا جسدًا واحدًا . ولعمري لو كان تكاثر النسل يقتضي تعدُّد الزوجات لكان الامر في بدء العالم ألزَم منهُ في توالي الاجيال بعد انتشار الجنس الآدمي . ثمَّ جعلهُ اقترانًا غير منفصم فلذلك امر بان يترك الانسان اباهُ وأمهُ ويلزم امرأتهُ » وقد منح الباريْ بركتهُ لمثل هذا الزواج « فباركهم الله وقال لهم : انموا واكثروا واملأوا الارض »

على انَّ البشر قد مسخوا صورة الزواج الالهيّ وتجاوزوا فيهِ سنن الله كما فعلوا ببقيَّة وصاياه . ولا يسعنا هنا ان نتعقَّب تاريخ الشعوب القديمة حتى ارقاها في التمدُّن والعمران لنصف ما الحقوا بهذا العقد المقدَّس من الفساد ولعلَّ معظم النوائب والملمَّات التي حدثت في العالم انمَّا كان اصلها من سوء تصرُّف البشر بالزواج وليس الطوفان سوى خطْب من الخطوب التي دهمت بني آدم من جراء ذلك لمَّا اهمل الانسان نفسهُ لشهواتهِ القبيحة ولم يجد في المرأة سوى آلة عمياء يستخدمها للَّذاتهِ البهيميَّة ثمَّ يقصيها عنهُ بعد قضاء شهواتهِ . والتواريخ طافحةٌ عن المساوئ التي تشهد على استعباد المرأة وانحطاط الشعوب بعد تذلُّلها كيف لا وعليها مبنى تربية الاحداث لا ينشأُون على الصلاح دونها ولا صلاح حيثما لا تجد اتفاقًا بين الزوجين يمكن افتراقهما لاسباب لا طائل تحتها او لمجرد اهواء الرجل

والحق يقال انَّ شعب الله بني اسرائيل مع سمو رتبتهم الادبيَّة بين الامم لم ينجوا تمامًا من هذه الشوائب ففشا بينهم كثير من هذه الادواء ونسوا ما اوصى بهِ الخالق في اوَّل الخليقة واستسلموا كغيرهم الى اهواء قلبهم فتسامح لهم موسى ببعض الامور « لقساوة قلوبهم » كما قال لهم المخلص

فلمَّا ظهر السيد المسيح وكانت غايتهُ « لا ان يحلّ الشريعة بل ان يكملها » اراد

ايضاً ان يردّ الزواج الى مقامهِ الذي كان اختارهُ لهُ الله في اوَّل الخليقة وكل ما تراه في الانجيل عن الزواج يؤيد ذلك فانَّ المسيح ردَّ لهُ وحدتهُ وقرَّر ثباتهُ المطلق الى آخر حيـاة الزوجين وتجد دستور الزواج المسيحي في انجيلي متى (١٩: ٣—١٠) ومرقس (١٠: ٢—١٢) لمَّا دنا الفريسيون الى يسوع ليجرّبوهُ فسألوهُ قائلين: «هل يحلّ لرجلٍ ان يُطلّق زوجتهُ» فاجابهم قائلًا: «بماذا اوصاكم موسى». قالوا: «انَّ موسى قد أذن ان يُكتب كتاب طلاقٍ وتخلّي». فاجاب يسوع وقال: «لاجل قساوة قلبكم كتب لكم هذه الوصيّة. أما قرأتم أنَّ الذي خلق الانسـان في البدء ذكرًا وانثى خلقهم وقال: لذلك يترك الرجل أباه وامهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران جسدًا واحدًا» ثم اردف المسيح مثبتاً لقول الخالق: «وما جمعهُ الله فلا يفرقهُ انسان» وصرَّح من بعد ذلك عدم جواز الطلاق بقولهِ: «انا اقول لكم من طلق امرأته وتزوَّج أُخرى فقد زنى عليها وان طلقت امرأةٌ بعلها وتزوَّجت آخر فقد زنت»

فترى من هذه الآيات كلها انَّ السيد المسيح ليس فقط لم يبخس شيئاً من حقوق الزواج وانما اراد اصلاحهُ على مثـال الزواج الاول الذي رسمهُ الله في فردوس عدن فقرَّر وحدتهُ كما كانت في البدء ونفى الطلاق «لئلا يفرق الانسان ما جمعهُ الله» وقد سمح فقط لعلّة الزنى بالطلاق النوعي اعني بالافتراق لا بحلّ رباط الزواج (١

لكنَّ المسيح ما اجتزأ بذلك ولم يرضَ باعادة الزواج الى كرامتهِ الاولى فانَّهُ جعلهُ في جملة اسرار بيعتهِ السبعـة ورفع بذلك قدرهُ الى اوج الشرف. لانَّ السرّ كما هو معلوم يمنح النعمة لمن يباشرهُ فالزواج كالمعمودية والتوبة والقربان والكهنوت يخوّل من يرتبط بهِ نعمةً خصوصيَّة فيكفي الزوجين ان يتَّفقا على الشروط المفروضة من الكنيسة ويقبلا الارتباط الزوجي حتى يفيض الله عليهما بمجرد رضاهمـا نعمةً خصوصيَّة تقدّس عيشتهما الزوجيَّة وتساعدهما على ممارسة الفضائل الالهيَّة وترشدهما الى تربية اولادهما على سنن الآداب. وهذا مـا نواهُ المخلص لذكره المجد اذ حضر عرس قانا الجليل واصطنع معجزاتهِ الاولى لاجل المدعوين اليهِ لمَّا حوَّل الماء الى خمر

---

١) اطلب مقالة حضرة الاب انطون صالحاني «الطلاق عند المسيحيين» (في المشرق ٨: ١٠١٣؛ ١٠٧١؛ ١١٢٩) وقد استوفى فيها هذا الموضوع باقنع البرهان وردَّ على كل الاعتراضات. وهذه المقالة قد طُبعت مرَّتين على حدة فتباع في المطبعة الكاثوليكية

ولنا شاهد آخر على قولنا بانَّ المسيح كرَّم الزواج وجعلهُ سرًّا وهو ما رواه بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل افسس (٥ : ٣٢) فانَّهُ بعد ان حرَّض الازواج الى المحبة المتبادلة وذكر قول الله في سفر التكوين عن ملازمة الرجل لامرأتهِ لانهما جسد واحد على مثال ملازمة المسيح لكنيستهِ « التي اتَّخذها لنفسهِ كقرينة مجيدة لا كلَف فيها ولا غضن بل منزَّهة من كل عيب » اتبع كلامهُ عن الزواج بهذه الالفاظ: « ان هذا لسرٌّ عظيم. اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة » وهو كلام صريح يبيّن انَّ الزواج دخل في اسرار البيعة. ومن ثمَّ لم تزل كنيسة الله تعظم هذا السرّ وتعتبرهُ اعتبارها لاقدس العهود وتحافظ عليهِ محافظتها على الاشياء المقدَّسة

٢ الزواج وبولس الرسول

كلّا لم يضعْ المسيح من قدر الزواج بل شرَّفهُ واوثق عروتهُ وبذلك زاد العيشة الزوجية والهيئة الاجتماعيّة قوَّة ومتانةً وفخرًا. ولم يجرِ بولس الرسول على طريقٍ مخالفة لطريق سيّدهِ بل عرف مثلهُ رفعة الزواج ودافع عن شرفهِ. فلنبين ذلك باقوالهِ نفسها لتسقط حجة القائل بانَّ بولس الرسول كان مبغضاً للنساء فحطّ من قدر الزواج

واوَّل شاهد نقدّمهُ للقرَّاء هو المكان الذي اشرنا اليهِ انفاً في رسالتهِ الى الافسسيين فانَّ كلامهُ في تعظيم الزواج وتعريف خواصهِ التي تميّزهُ يوافق تعليم المسيح موافقة تامَّة قال الرسول (افسس ٥ : ٢٢ — ٣٢) : « لتخضع النساء لرجالهنَّ كما للربّ. لانَّ الرجل هو راس المرأة كما انَّ المسيح هو راس الكنيسة وبذل نفسهُ لاجلها ليقدّسها مطهرًا ايَّاها بغسل الماء وكلمة الحياة ليهديها لنفسهِ كنيسة مجيدة . . . . . فكذلك يجب على الرجال ان يحبُّوا نساءهم كاجسادهم . من أحبَّ امرأتهُ احبَّ نفسهُ فانهُ لم يبغض احد جسدهُ قط بل يُغذيهِ ويربيهِ كما يعامل الرب الكنيسة . . . . وكذلك يترك الرجل اباه وامهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا . انَّ هذا لسرٌّ عظيم الخ » فأيمُ الله اين وجد صاحب المقالة في هذا الكلام شيئاً يُشعر ببغض بولس الرسول للنساء وللزواج. أوَ كان يمكنهُ ان يصف الزواج بعبارات ارقّ والطف ويصوّر هذا السرّ بمعانٍ ابلغ واسمى .

وليس هذا المكان الوحيد الذي ذكر فيهِ الاناء المصطفى الزواج لكنَّ كلامهُ

عموماً يدلُّ على اعتبـاره للزواج المسيحيّ وعلى حرصهِ على قداسة هذا السرّ ووثاقة روابطهِ فمن ذلك قولهُ في رسالتهِ الى الرومانيين (٧: ٢—٣): «انَّ المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس برجلها ما دام حيًّا فان مات الرجل برئت من ناموس الرجل فمن ثمّ ما دام رجلها حيًّا ان صارت الى رجل آخر فانها تُدعى زانيةً وان مات رجلها فانَّها حرَّة من ناموس الرجل حتى انها ان صارت لرجل آخر فليست بزانية»

وكذلك في رسالتهِ الى العبرانيين يقول في صيانة شرف الزواج: «ليكن الزواج مكرَّمًا في كل شيء. والمضجع طاهرًا فانَّ الزناة والفُسَّاق يدينهم الله». وفي رسالتهِ الاولى الى تلميذهِ تيموتاوس (٤: ٣) يحذرهُ من تعاليم بعض المبتدعين الناطقين بالكذب الذين «يمنعون عن الزواج» فاين ناشدتك الله في كل ذلك ما يشير الى بغضٍ للزواج. أليس هذا الكلام والحق على طرفي نقيض

بقي محلّ آخر اتَّسع فيهِ بولس الرسول عن الزواج والبتوليَّة ولعل الخصم رمز اليهِ فينبغي ان نوردهُ. وهو الفصل السابع من رسالـة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس فان مداره برمَّتهِ عن الزواج وكان اهل كورنتس كتبوا الى الرسول هل يحسن بهم ان يمتنعوا عن الزواج فيجيب القديس على سؤالهم مميزًا بين الذين ارتبطوا سابقًا بالزواج القانوني وبين غير المتزوجين فيأمر الاولين باسم الربّ ان يبقوا في زواجهم قال: «امَّا المتزوجين فاوصيهم لا انا بل الربّ بان لا تفارق المرأة رجلها وان فارقتهُ فلتبقَ غير متزوجة او فلتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأتهُ». امَّا غير المتزوجين فانَّ الرسول يشير اليهم بعدم الزواج اذا ارادوا الكمال وخدمة الله بعيدًا عن لذَّات هذا العالم لكنّ كلامهُ لا يتجاوز مجرَّد النصيحة لا بل يحرض على الزواج ان وجد الانسـان في نفسهِ داعيًا الى الخطيئة قال: «احسن للرجل ان لا يمسّ امرأة ولكن لسبب الزنى فلتكن لكل واحد امراتهُ وليكن لكل واحدةٍ رجلها» وقال: «اني اودّ لو يكون جميع الناس مثلي لكن كل احدٍ لهُ من الله موهبة تخصُّهُ فبعضهم هكذا وبعضهم هكذا». ومثل هذا يقول للبتولات مشيرًا فقط عليهنّ بالبتوليَّة: «امَّا البتوليَّة فليس عندي وصيَّـة من الربّ لكني افيدكم فيها مشورة ... اني أُريد ان تكونوا بلا همّ. فانَّ الغير المتزوج يهتمُّ فيما للربّ كيف يرضي الرب وامَّا المتزوج فيهتمُّ فيما للعـالم كيف يرضي امراتهُ فهو منقسم. والمرأة الغير المتزوجة والعذراء تهتمّ فيما للربّ لتكون مقدَّسة في الجسـد وفي

الروح واما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها . وانما اقول ذلك لفائدتكم لا لالقي عليكم وَهقًا بل ابتغاء ما يجمل ولاجل المواظبة للربّ بغير ارتباك » هذا مجمل ما ورد في هذه الرسالة في الزواج والبتوليَّة يظهر منها انَّ الرسول يفضِّل البتوليّة لانَّ المتبتلين بزهدهم في ملذات الدنيا يصرفون نظرهم الى خدمة الله ولكن هيهات ان يُستدلّ من اقوالهِ على ما يُشعر بالبغض للزواج وهو يكرّر مرارًا انَّ الزواج حسن وان كانت حالة البتوليَّة احسن . ولا يقصد الرسول أية بتولية كانت بل يريد تعفُّف الانسان ليتفرَّغ لخدمة الله « فان لم يتعفَّفوا فليتزوجوا فانَّ التزوُّج خير من التحرُّق »

فهذا كلُّ ما ورد في رسائل بولس عن الزواج وهو عين الصواب جرى المسيحيون على مقتضاهُ منذ اوائل النصرانيَّة ولا يزالون يجرون عليهِ وليس فيهِ شيء يستغربهُ ذوو العقول السليمة بل يثبت صحَّتهُ عقلاء الفلاسفة فضلًا عن اللاهوتيين (لهُ بقيَّة)

نخبة من ديوان ابراهيم الحكيم الحلبي

بقلم عيسى اسكندر افندي المعلوف اللبناني (تابع لصفحة ٨٩٠)

وقال يمدح مريم البتول ويحثُّ نفسه على التوبة وذلك سنة ١٧٥١ م وهي ستة واربعون بيتًا نختار منها بعضها ومطلعها :

ماذا اكنّي مريمًا   تلك البتول البارعهْ

الى ان قال :

ان قلتُ عرشًا شمتُها   من فوقه هي طالعهْ
او ان اقل باب السما   فهي السماء السابعهْ
او ان اقلْ فلك لهـا   الافلاك تعنو طائعهْ
او قلت شمسٌ شمسها   تخفي الشموس الساطعهْ
او نجمة الصبح التي   جنح الدياجي رافعهْ
او قبَّة العهد التي   فيها الملائك راكعهْ
او جرَّة المنّ الشهي   وعصاة موسى الفارعهْ
او بركة الضان التي   اهل البلايا نافعهْ
ومنارة الاقداس في   تابوت عهد لامعهْ

او روضة مخضلّـة زهر الفضائل يانعه
كم ذا اعدّد في كتا بات الصفات الواسعه
فعييتُ لكن لم ازل بمدائح متتابعه
افهي الزمان لعلّها تُلفَى بمدحي قانعه
وتمنُّ لي بالصفح عن فرط الذنوب الذائعه

الى ان قال يعاتب نفسه:

قد بعتُ عمري كلّه بالاثم شرَّ مبايعه
وصرفت ايام التجارة بالخسارة ضائعه
وغدوت في شيخوخة تلك المعاصي تابعه
أنوي الرجوع عن الشقا والنفس فيه والعه
ابدي مساعي توبةٍ والنفس تغدو راجعه
فغدوت مقطوع الرجا من توبة لي نافعه
حتّامَ اقضي العمر بين عصاوة ومطاوعه
وإلامَ نفسي تلتهي بخصومةٍ ومنازعه
تتغافلين عن الخلا ص بليل اثمك هاجعه
كم تطمعين بذي الاماني بالتواني قانعه
كفى ارجعي قومي ارفعي زفرات قلب خاشعه

وقال يمدحها من قصيدة ذهب اولها والباقي منها اربعة واربعون بيتاً منها:

مريم البكر التي قد أعتقت جنسنا المأسور لمّا ومقا
فاعطفي الطرف لنحوي كرماً والطفي بي قبل يوم الالتقا
وانقذيني من ذنوب أثّرت بي كلوماً خرقُها لن يُرتقا

وقال يمدحها ايضاً ويندب نفسه سنة ١٧٤٠ وهو في حلب من قصيدة مؤلفة من واحد وثلاثين بيتاً فمن عتاب نفسه:

تَسْعينَ نحو الاثم سعي الماء في الـوادي وتنهمكين في دنياكِ
حتى متى لم تنثني من ميلك المعـوجّ والايغال في اهواكِ

ومن مدح البتول:

ثم النجي بحمى البتولة مريم مينا الخلاص لكل خاطٍ باكِ
لا ترجعيني يا بتولة آيساً ما عاد عنك قط راجٍ شاكِ
لولاك ما نال الاثيم خلاصهُ كلّا ولا حاز التقى لولاكِ

٢ الزهد

قال ابراهيم الحكيم يوبخ المتوغلين في الشرور ويحثهم على التوبة سنة ١٧٥٣م من موشح مؤلف من عشرين دورًا اليك بعضها :

حتامَ في فعل الذنوبْ   لم تَخشَ من فرط العيوبْ   تغيظ علّام الغيوبْ
وتردهي في بغضهِ

٩ اوما خشيت من القضا   وما علينا فرضًا   والفحص عمّا قد مضى
يوم الحساب وعرضهِ

وقال يندب نفسه ويحثها على الرجوع الى التوبة وذلك سنة ١٧٥١ م في قصيدة مؤلفة من خمسة وعشرين بيتًا ننتخب اهمّها :

ليت شعري هل عاد لي من شفيعِ   ارتجيهِ لدى حماك المنيعِ
قد عُدمتُ الوسيط واسودَّ وجهي   من صنيعي القبيح عند الجميعِ
مذ تباعدتُ عنك صرت كئيبًا   لم يبد لي من سلوةٍ او هجوعِ
عائشًا في ظلام ليل المعاصي   عائمًا في يمّ الذنوب الوسيعِ

الى ان قال :

فإلامَ اكون عنك طريدًا   مبعدًا عن رجا رضاك السريع
هل يسرُّنك موت خاطٍ فكلًّا   بل تشا الكلّ يرجعون رجوعي
فاقتبلني كما قبلتَ قديمًا   مريمًا وارتضي بترر دموعي
ثمَّ نجّني من بحر إثمٍ غريقًا   واجتذب مدنفًا كثير الوقوعِ
مذّ غوي يد السخا وانتشلني   من حماةٍ قد طال فيها هجوعي

وقال يندب نفسهُ ويحثها على التوبة وذلك سنة ١٧٣٨ م وهاك القصيدة برمّتها :

يا قلب حسبك ما كفى   تبدي لمولاك الجفا
حتامَ تزهو لاهيًا   والموت سلَّ المرهفا
اسرفت (١ عمرك باطلًا   فلذاك كنت المسرفا
لو كنت تربحُ نصفه   كنت الحكيم المنصفا
لكن مضى ما قد مضى   فاخضع وكن متخوفا
واندم وتبْ وابكي ونُح   واذرِ دموعك مذرفا
واضرع لربك علَّهُ   بالعفو ان يتعطفا

---

١) وفي الاصل اصرفت فالمصرفا والمقصود (اسرفت والمسرفا) والبحر من مجزوء الكامل ويعترج بمجزوء الرجز

نادي الهي فاقبل عبدًا ببابك مدنفا
يا ربّ إرحم شقوتي قبل أن أموت واتلفا
يا ربّ إقبل توبتي كقبول مريم والصفا
يا ربّ كن لي ناصرًا يا ربّ كن لي مسعفا
يا ربّ غيرك ليس لي بل انت حسبي وكفى

وقال يندب نفسهُ ويحثها على التوبة ويطلب من الله ان يعاملهُ بالصفح والغفران لذنوبه مستشفعاً بابنه سيدنا يسوع المسيح وبآلامه وموته وشفاعة امهِ مريم العذراء وذلك سنة ١٧٥٠ وهو في اللاذقيّة . وهي ثمانية وسبعون بيتاً نقتطف منها قوله :

فكيف ولي نفس الى الشر ميلُها يفوت انحدار الماء من ذروة الجبلْ
فتأمرني بالسوء والطبعُ قابلٌ وحبُّ الدُنى يغري وابليس لم يزلْ
فما لي جمٌ لو ان خصمًا لقيتهُ ولكن ثلاثًا قهرهم يُعجز البطلْ
أبيت بعزم للصلاح مصمّمًا واصبح القى القلب بالاثم قد حفلْ
فارتدّ مقطوع الاماني موئسًا (١ وما لي رجاءٌ بالخلاص ولا املْ
تطمّعني نفسي باحسان خالقي ورحمتهِ العظمى لترتاح بالكسلْ
ولم تدرِ ان الله مرٌّ عقابهُ ولم يرحم الّا مَن عن الشرّ قد عدلْ
فحسبكِ يا نفسي الجنوح الى الشقا وسعيًا ورا الدنيا وحبًّا لما سفلْ
تهيمين باللذات والذات والغنا ولم تدري أنَّ السمَّ في ذلك العسلْ

الى ان قال:

لقد سُؤتُ آدابًا بما فهتُ فاعفُ من جسارة من قد ذاب خوفًا وإنتحلْ
وقد ضاع رشدي من تناسي مآثمي وما عدتُ ادري ما اقول من الوجلْ
وليس جزائي غير نارٍ أجيجةٍ اذا أنت لم ترحم اولي الضعف والفشلْ
ولكنّ ذا الاحسان والجود والسخا يجود بلا وقفٍ ويعطي بلا مللْ
لهذا فلم اقطع رجائي من السخا الا م لهي وارجوهُ وادعو ولم ازلْ . . .

٣ الوصف

وقال يصف واديًا زائد البهجة والبهاء مرَّ بهِ في بلاد صهيون وذلك سنة ١٧٥٠ م من قصيدة جمعت ستة وخمسين بيتًا منها:

بين الطلول جوار نهرٍ جارِ بتنا على فرشٍ من الازهارِ
في سفح وادٍ عُطِّرت ارجاؤه من طيب ازهار وعرف نوار (٢

١) الاولى آيسًا
٢) لو قال جار ونحوها لكان اقرب الى قصدهِ

وادٍ وقانا روحــهُ حرَّ الهجيـ م لفرط ما اخضلَّ (١ من الاشجارِ
وادٍ سقاه الله مرفضَّ الحيــا وافاض فيهِ مجاريَ الانهارِ
وادٍ كسـاهُ الله انواع البهـا بازاهرٍ كجواهرٍ ونضـارِ
وادٍ حكى روض الجنان لما حوى من حسن روضات وطيب صحاري
وخمائل ومناهل ومراتعٍ ومناعٍ ومسارح ومساري
فبكل ناحية ظباءٌ رتَّعٌ وبكل قطر منهلٌ ومجاري
وبكل زاوية رياض اينعت وبكل دوح نغمةٌ الاطيـارِ
ولكثرة الاشجار والاثمار والازهار والاطيـار والانهـارِ
فحسبتهُ الفردوس حُطَّ من العلى او أنجم الجوزاء في الاسحـارِ
من احمرٍ قـانٍ وابيضَ ساطعٍ مع زرقة وكصفرة الدينارِ
فترى الشقيق مشققًا ثوب الردا مذ سوسنُ الاحزان عاد كهاري
والبـان قد طرد الردا وابانهُ لمـَّا ابان جمـاهُ للنظّـارِ
والآس عاد ممزَّقًا ثوب الاسى وغدا يواسينا من الاضرارِ
وكذلك المنثور قد نثر الجفـا واتى الاقاحُ باطيب الازهـارِ
وعيون نرجسنا النواعس احدقت لمَّا غـدا متمزِّق الازرارِ
وغدا الرقيب مضاعف الاحزان مذ نمَّ (٢ بهِ النمَّام للحضَّارِ
والاقحوان ادار حول فقاحهِ (٣ كدراهمٍ نُظمت على دينـارِ
والورد اورد في الحديقـة نثرهُ وشذاؤهُ قد نمَّ في الاقطـارِ
والروض فاح عبيرهُ والطير صا حَ هشيرهُ والماء ساح مجـاري

الى ان قال :

وتراقصت ايدي الغصون وغنَّت الـورقاء ساجعـةً لشـدو هزارِ
وافترَّ ثغر الزهر لمَّا ان بكت مقل الغمام بدمعها المدرارِ
وتكلَّلت تيجـان هاتيك الربى دررُ السحاب ولؤلؤ الامطـارِ
والمـاء سلَّ سيوفه لما اكتسى درعًا تزرّدهُ صبا الاسحارِ
وسعت جـداوله كسعي اراقمٍ تسعى بجدٍّ في لجينٍ جارِ
قد رقَّ لطفًا واستـاذ ترشفًا من حسن منهلهِ وطيب مجـاري
وتلامعت حصباؤهُ فحسبتهـا كبرى وصغرى انجمٍ ودراري
فكأنما والماء يجري فوقها حبـل المجرَّة في الثوابت سـارِ

---

١) الأولى (لفرط أظلالٍ من الاشجار)
٢) اشبع الميم وذلك كثير في نظمهِ
٣) الفِقاح جمع فقحة وهي زهر كل نبت

وسرت على عذباتها ريح الصبا سحرًا فأحيت ميّت الأكدارِ
نشرت علينا من شذاهُ نفحةً فحسبتها سرًّا من الاسرارِ
روّحْ بمرّك يا نسيم حشاشتي فعسى تمرُّ بروح قلبي النّاري

ثم انتقل الى وصف موطنهِ واهله الى ان قال :

كم نشأةٍ لي بينهم وفكاهةٍ ومسرَّة عُدمت من الأكدارِ
يا طالما بتنا غبوقًا نحتسي بنت الدنان وراحة الخمّارِ
راحًا أبت من لطفها وصفاتها السكنى بغير مواضع الاسرار
ما طاف ساقيها علينا في الدجى الّا حسبنا مطلع الانوار
وتشمشمت في كاسها وتجليت(١ كعروسة جُليت مع الابكار
من كل حالبة وعاطلة الطلى غنّت على العيدان والاوتار
مع صوت شادٍ لعلمتْ ألحانهُ تُتلى على القانون والمزمار
وتناثرت درر المعاني من ذوي الافضال بعد تنظّم الاشعار
في ذلك المغنى الفريد وموطن الانس السعيد ومسكن الاخيار
دارٌ اناخ الفضل في اوطانها وعلا على الجدران والاسوار
دارٌ ازاح الله عنها كلما يزري بها من شائب او عار
مني السلام عليك يا دار الهنا ما غنت الورقاء في الاشجار
مني السلام عليك يا دار الوفا ما جادت الافكار بالاشعار

وقال يصف واديًا فيه نهر عظيم وذلك سنة ١٧٦٠ م بقصيدة نسجت من ثمانية عشر بيتًا منها :

رعاك الله ما ازهاك وادٍ وما اشهى غديرًا فيك ماررْ(٢
كأنك بالبها فردوس عدنٍ وغدران جرت فيك الكواثرْ
يمرُّ الماء فوق ثراك يحكي لجينًا والنضارُ لهُ حفائرْ

الى ان قال :

يجرّ من النسيم عليهِ درعًا ويشْلُّ العوالي والبواترْ
ويقتحم العجاجة كالمغازي ويزأر زائرة الاسد الكواسر
يغار عليه يصدمهُ كجيش ومثل عساكر طردت عساكر
تراهُ منذ بدا الاشراق يجري كرعد قاصف ينقضُّ هادر
ويحكي فضلة تغلي فتجري على الحصباء كدرٌ في جواهر

١) لا يراعي القواعد الصرفية والاولى (تمثّلت)
٢) فك الادغام هنا وهو كثير في نظمهِ

ومثـل اراقم تسعى بجوف   من الحاوي ومن راقٍ وزاجرْ

وقـال يصف روضة حسنة من رياض حمص يمرّ بها العاصي وذلك سنة ١٧٥٠ م بقصيدة مؤلفة من ثلاثة وعشرين بيتاً معها :

رعى الله يوماً طاب فيه لنا البسطُ   بروضٍ تحاكيهِ بتدبيجهـا البُسطُ
قضيناهُ بالافراح والسلم والهنـا   بيوم من الاعمـار ما زاره سخطُ
ترى الزهرَ فيه قد سما انجمَ السما   بما كلّ عنه الحدُّ والعـدُّ والضبطُ

الى ان قال :

ومالت به الاغصان مرحاً من الصبا   كميل النشاوى حين يؤذيهم ضغطُ
وصـال به الدوحُ الخصيب كأنهُ   جيوش يغازي رهطهم في الوغى رهطُ
ومن حولـه العـاصي يدور كأنهُ   مياهُ الفرات يحوطها ذلك الشطُّ (١
وامواجـه تسعى كجندٍ وجـدلٍ   غدا بعضهم رغماً على بعضهم يسطو

ثم قال :

وبعد انحصار عاد يجري كفضـّة   ونثر لآلٍ لا ينظّمهـا سمطُ
وفاض على ناعورة دار قوسهـا   زوايا كرات زان مركزهـا نقطُ
وقال : وقد زار هذا الروض صوبٌ من الحيا   ونشر من الفردوس ما شابهُ خلطُ
ولو بات فيه شـائب زال شيبهُ   وان دام فيه الشاب ما شابهُ وخطُ

وقال يصف احد الرياض الحسنة وقد كثرت مياهها وازهارها ورقّ نسيمها وماؤها في نواحي كسروان سنة ١٧٥٧ م بقصيدة مركبة من تسعة عشر بيتاً وهي التي نشرت بعضها مجلة المشرق (١٠ : ٧٠٨) وبين الروايتين اختلاف نشير اليه ونشرناها هنا برمّتها :

لقد زاد الجوى صوتُ القماري   وذكّرني الاحبّة في السحاري (٢
وتغريد الحمامُ اذا تبدّى   بدا فينا الهيام الى الديارِ
ومذ صـاحت مطوّقة وناحتْ   على إلفٍ نأى شبّت اواري (٣
وما صوّت (٤ لنا الشحرور الّا   طفى مني الحرور وفلّ ناري
وما غنّت لنا الورقاء الّا   غصون الروض قصت(٥ كالجواري

١) والاولى (مياهُ فرات حاطها ذلك السمطُ

٢) رواية المشرق والسحاري ونرى الاولى (في الصحاري)

٣) هذا البيت وما بعدهُ لم يرد في المشرق

٤) الاولى (وما غنى)   ٥) الاولى (ترقص)

واصوات البلابل قد اهاجت بنا حرَّ البلابل في القفارِ
وقد طابت لنا الاوقات حتّى تحيَّرنا بها هتكَ الستارِ
فقلت (١ لرفقتي يا قوم هاتوا لنغتنم المُنى في ذي الصحاري
ونستجلي الصبابة والحميّا ونقترح الفكاهة بالعقارِ
فدارت بيننا كاسات راحٍ وريحان وورد مع بهار (٢
وقد ضرب الغمام لنا خياماً سرادقها كست تلك البراري
ومرَّ بنا نسيم البان لمّا ابان لنا صبابة ذا النهار
وقد ذرفت عيون السحب درًّا كما زهر الربا حلل النضار (٣
وكللها بياقوتٍ ثمينٍ وتيجان اللجين مع النضارِ
فنمَّ اريجها الارجاء طرًّا وعطَّر نشر هاتيك الصحاري (٤
وذكَّرني شذا الشهباء لمّا يضوع عبيرهُ وقت السحاري
وينعش قلبَ ممراضٍ ويجلي صدا عقل الانام من البخارِ
فحيّا الله تربتهم وماها وطيب نسيمها كلَّ النهارِ
وحيا اهلها اهل الصبابة اهيل المجد عنوان الفخار (٥

٤ التهنئة

لم نقف لهُ من هذا الباب ألّا على قصيدتين لاولهما عشرة ابيات هنأ بها احد اصدقائهِ مؤرخاً طلاق لحيته وذلك سنة ١٧٥٧ م وهو في سيواس:

لله درُّك ماجدٌ في الدهر ما لك من مثالْ
قد حزتَ اعلى رتبةٍ لمّا سَمَتْ منك الفعالْ
وملكتُ مع حسن الثنا حسن السجايا والخصالْ
قد زدت إفضالًا ورزقًا مع وقارٍ واكتمالْ
لمّا غدوت مثمماً ما هُوَ على التوقير دالْ
وبلمّة حسناء قد زينت ارباب القذالْ
وسموت قدرًا اذ بها تسمو كمالات الرجالْ
اذ عمَّك الحسن الذي ما كنت قبلًا منهُ خالْ

الى ان قال:

وغدا الكمال مناديًا لي ارّخوا بلَغَ الكمالْ ١١٥٤ هـ

١) رواية المشرق (وقلتُ) ٢) وفي المشرق (عقار)
٣) وفي المشرق (الفخار)
٤) وفي المشرق: فنم اريجها في القطر طرًّا وعطر نشر هاتيك القفار
٥) وفي المشرق: وحيًّا اهلها اهلًا كرامًا ذوات الفضل عنوان الفخار

والثانية هنأ بها يوسف ابن اخته في عرسهِ سنة ١٧٦٣ م وختمهـا بتاريخ رشيق وهي اربعة عشر بيتاً مطلعها :

خيرُ الزفاف واسعدُ الاعراسِ   مترافقاً بالسلم والايناسِ

الى ان قال :

الله اوصى بالزواج وحلَّـهُ   واباحهُ امرًا لكل النـاسِ
لكننا احفظ فراشـك طاهرًا   متحذرًا من ذلّة الادناسِ
لتكون موضوع السلامـة والتقى   وملازم التبريك والاقـداسِ
وترى بنين(١ بنيك حولك جثّما   كالنخل والزيتون ثم الآسِ

وختمها بتاريخ قائلًا :

وغدا السرور مع المؤرخ ناطقًا   خير الزفاف وأبركُ الاعراسِ

• النصيحة

وقال ينصح ويحرض محمد اغا بن رستم ألّا يحزن على ولده المائت ويعرفهُ انه ليس كل ولد بنافع ويستحقّ ان يُبكى عليه وذلك سنة ١٧٤٢ م وهي اربعة واربعون بيتاً نختار منها بعضها ومطلعها :

لا تبكي يا ذا الاصل غصناً يُقصفُ   مـا دمتَ حيًّا انت عنـه مخلفُ
فالاصـل بفرع مخلفًا اضعاف مـا   منـه ذوى فلـذاك لا يتأسَّفُ
او كلّ غصن تُرتجى اثمارهُ   ام كلّ عودٍ من جنـاهُ يُقطفُ
ما كل مولودٍ يحـاول نفع وا   لدهِ ولا كلٌّ هو (٢ لك يوسفُ
كم من وليدٍ شـان والدهُ وكم   لوجوده امسى ابوهُ يأسفُ
لا تبكينَّ وليدك المفقود بل   سلّم امورك للالـه فتُسعفُ
مَن ذا الذي دامت لهُ الدنيا ومَن   ذاك الذي بين الورى لا يحتفُ

ومنها :

اين الملـوك واين ارباب النهى   اين الذين بنوا القصور وزخرفوا
كلٌّ الورى قد صيغ من هذا الثرى   واليهِ كلٌّ بعـد حين يعطفُ

وقال ينصح احدهم القائل « دعني مثل ابي وجدي » وذلك سنة ١٧٦١ م في قصيدة أبياتها ثلاثة عشر بيتاً منها :

١) والاولى حذف النون وكان يمكن ان يقول (وترى بنيك وولْدَهم في كثرة)
٢) يكثر في شعره الاشباع ولاسيا في مثل هذا الضمير

أفقِ من سكرك المذموم واصحو وكن لكلام رب الخلق صاغِ
تمسَّك بعد فحصٍ وامتحانٍ بخيرِ حقيقةٍ فُضلى بلاغي

ومنها :

بل اتّبعِ الهدى والحق تلفي طريقَ الله واسعة الفراغِ

وقال ينصح القريب ويميله عن كل الشرور وذلك سنة ١٧٦٢ م في مصر بقصيدة أبياتها ثلاثون منها :

ان رمت تجتاز يا ذا خير مجتازِ أصغي لنصحي واوعِيهِ بافرازِ
ومن لسانك عن هذر وشقشقةٍ بل موّدنهُ على قصرٍ وايجازِ
ولا تفُه بكلامٍ تحت توريةٍ كلّا ولا بمضامينٍ والغازِ
واستلزم الصمت وابعد عن اخي سفهٍ قولاً وفعلًا وكن عنهُ بمنحازِ

ومنها :

واحذر من الشتم والخلق الرديْ وكن للناس ذا سيرةٍ حسنى كمهمازِ
ولا تفه بوعود لا تقوم بها بل كمِّل الوعد في صدقٍ وانجازِ
ولا تكن كاسلًا في ما كلفتَ به كيلا تُجازى باقلالٍ واعوازِ
ولا تُبِحْ سرَّك المكتوم تسقطُ من افشائهِ في فمٍ واشٍ وغمّازِ (لهُ بقيَّة)

الفنون الجميلة والكنيسة

نظم حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي (تابع)

الحركة المنتظمة او الرقص

صفٌّ يسيرُ من وراء صفِّ في حفلةٍ أجلُّها عن وصفِ
هذه هيَ الحرَكةُ المُنتظِمَهْ تجدُها في طبعِ كلِّ نسمَهْ
جَذبٌ ودفعٌ مبدأُ العوالمِ من كل جارٍ في الفضا وعائمِ
وَهوَ نظامُ سائرِ الكَواكِبِ من كلِّ نجمٍ ثابتٍ وثاقبِ
فالكونُ يلفى أبدًا في حرَكَهْ وَقيلَ فيها المرْءُ يلقى البرَكه
فأَوَّلًا تحرَّكتْ بالطبعِ أقدامُهُ تحتَ فروضِ الشَّرعِ

لِجَلبِ نفعٍ أو لِدَفعِ ضَرّ   مُحاكيًا لِحَيوانِ ٱلْبَرّ
ثمَّ ٱنثَنَى حتّى بوقعِ قدَمِهْ   يَقرَعُ أسبابَ ٱلسَّما بِسُلَّمِهْ
لحركاتِ الزُّهْرِ كم من وَزْنِ   يُلَقِّنُ ٱلإنسانَ فنَّ ٱلزَّفْنِ
لعَقلهِ قد كُشِفَتْ أسرارُهْ   وإنْ على ٱلطَّرْفِ ٱختَفَتْ آثارُهْ

. . . .

لقد درى بحرَكاتِ ٱلفَلَكِ   فراحَ يَحكيها بِغَيرِ دَرَكِ
مُستخدِمًا لِلحَزمِ وَٱلإدْراكِ   لعلَّهُ يَنجو من ٱلأَشْرَاكِ
مُؤتَنِسًا ببُلْبُلٍ في قَفَصِ   قد مارَسَ ٱلرَّقصَ عَقيبَ ٱلقَنَصِ
علامةُ ٱلحَيوةِ فيهِ ٱلحَرَكَهْ   وٱلسَّكَنَاتُ مَظهَرٌ لِلهَلَكَهْ
يطيرُ وقتًا ثمَّ وقتًا يقَعُ   هاتيكَ إيقاعاتُهُ يا أَلمَعُ
تُذَكِّرُهُ حُرِّيَّةً في ٱلمَنزِلِ   وعهدَهُ معَ ٱلحبيبِ ٱلأَوَّلِ
فيبتغي تخلُّصًا من أسرِهِ   مُؤَمِّلًا عَودَتَهُ لِوَكرِهْ
تغريدُهُ يُطرِبُ الفؤادا   وزفنُهُ يُرَقِّصُ الجمادا
هذا الذي غِبطَتَهُ قد فَقَدا   وَجَدُّهُ عنِ النَّعيمِ أُطرِدا
هذا الذي معَ تمادي ٱلزَّمَنِ   كأنَّهُ نَسيَ عهدَ ٱلوطنِ
كَعَنْدَليبٍ نَسِيَ ٱلأَليفا   وجنَّةً كانَ بها مَشغُوفا
فأَلِفَ ٱلدُّنيا وعافَ الدِّينا   وشوَّهَ ٱلعاداتِ وٱلفُنونا
ودَنَّسَ ٱلأقوالَ وٱلأفعالا   وأفسدَ ٱلأميالَ وٱلأعمالا
فوَلَجَ ٱلفَسادُ فنَّ ٱلرَّقصِ   لِمَا سَرَى في خِيمِهِ من نَقْصِ
لكنَّهُ في بَدْئِهِ رِياضَهْ   ونعمةٌ على الفَتَى مُفاضَهْ
بل كانَ مِنْ شعائرِ ٱلعِبادَهْ   يُرافِقُ ٱلإنشادَ وٱلإشادَهْ

وقد غدا بينَ فُنونِ ٱلشَّكلِ والصَّوتِ مثلَ هَمزَةٍ للوَصلِ
سِلسِلَةٌ فنونُهـا مُفرَّعـه عن وَحدَةِ الصِّناعَةِ ٱلمُنوَّعه
يَجمعُ ما بَينَ ٱلبِنا وٱلرَّسمِ وَبينَ فنِّ ٱلموسِقى وٱلنَّظمِ
مَجلَى ٱلنِّظامِ تلكَ في ٱلمكانِ وَهذهِ مجلاهُ في ٱلزَّمانِ
وَٱلرَّقصُ ظلَّ مَظهَرَ ٱلنِّظامِ في ٱلأَينِ وَٱلآنِ لدى ٱلأنامِ
مُزاوِلو ٱلزَّفنِ ذَوُو قَوامِ وصورَةٍ وَهَيئَةٍ ٱنتِظامِ
ضَمُّوا الى ٱلإيقاعِ في ٱلأَنغامِ حَركَةَ ٱلأَقدامِ في هِندامِ
وظهروا بمظهَرِ ٱحتشَـامِ في مَعرِضِ ٱلإقدامِ وٱلإحجامِ
فٱلرَّقصُ بَعضُهُ منَ الحرامِ وَٱلشَّرِّ بل مَجلَبَةُ ٱلحِمامِ
لأَنَّهُ يُحرِّكُ الأَهـواءَ فتورِثُ ٱلأَسواءَ والأَرزاءَ
نصيبهُ نصيبُ كُلِّ فنِّ ذَوُوهُ في خَلاعَـةٍ وأَفنِ
وإنَّما ٱلزَّفنُ منَ ٱلفُنونِ مَرمى أمانِيِّ بَني ٱليَمينِ
داوُدُ قامَ بشجونِ ٱلزَّفنِ وكانَ مَلِكًا مُولَعًا بٱللَّحنِ
أَمامَ تابوتٍ لذاكَ ٱلعَهدِ وقد بَغى إرضاءَ رَبِّ المجدِ
وَتَجِدُ الطَغَماتِ يَومَ ٱلحفلَةِ تَسيرُ سَيرَ ٱلشُّهبِ حَولَ ٱلبِيعَةِ
يَرفُلُ كلٌّ منهمُ في حُلَّةِ كأَنَّهُ البَدرُ بدا في دُجنَةِ
والهيكَلُ ٱلكَاسي ضروبَ ٱلزِّينةِ تُبصرُهُ منَ ٱلبها في شُعلَةِ
وَٱلأَرغُنُ ٱلشَّادِي ٱلشَّجِيُّ ٱلنَّغمَةِ تَسمعهُ مُؤَثِّرًا في ٱلصَّخرةِ

الموسيقى

وَههنا أَوسَعُ المجـالَا إِلى فنونٍ تُعجِزُ المقـالَا
تلكَ التي مَرَّتْ بِنا لِلنَّظَرِ وكم تَنالُ إنْ بَدَتْ من حَبَرِ

لكنَّ هذهْ خُصِصَتْ بالسَّمْعِ ... وكم نحوزُ إنْ شَدَتْ من نَفعِ
فآلتَا الحسنِ هُمَا عَينُ الفتى ... وأُذْنُهُ (١ وَٱلأُذْنُ أَوْلى بِٱلنُّهى
تلكَ تَرَى المياهَ في ٱلغَديرِ ... وَهٰذِهِ تُصِيخُ لِلْخَرِيرِ
تلكَ تَشيمُ بارقًا من نورِ ... وهذِهِ تَسمَعُ رعدَ الطُّورِ
وَٱلكَهْرَبا وقوَّةُ البُخَارِ ... أَثرُها في مسمَعِ النُّظَّارِ
أشـدُّ ممَّا تجتَليهِ العَينُ ... فبينَ نصتٍ ورُنُوٍ بَوْنُ
وكم تَرَى ٱلأَكْمَهَ سامي العقلِ ... وتجدُ ٱلأَصمَّ طامي الجهلِ
ومن أُصيبَ بضياعِ البَصَرِ ... والسَّمعِ لم تَفدُدْهُ بينَ البَشَرِ
ولو غدَتْ أُرجوزَتي مُناظِرَهْ ... لطالَ وصفي لَهُما مُفاخَرَهْ
لكنَّني زَعَمتُ أَنَّ ٱلسَّمْعا ... الى الشُّعورِ بِالجمالِ أَدْعى
فإنَّ بعضًـا من بَرَايا ٱللهِ ... عن رَمْقِها يَقصُرُ طرفُ السَّاهي
وَهْيَ اذا أَعارهـا سَمَاعَا ... أَعمى تَطيرُ نفسُهُ شَعاعَا
وكلَّما تَرقَّتِ الخلائقْ ... زادت على العينِ خفا خلائقْ
وان غَدا ٱلكَوْنُ لنا في صَمْتِ ... لم نَجتَزِئْ بِما بدا من سَمْتِ
وَبَقِيَتْ مستورَةً حقائقُـهْ ... عنَّا ولم تُكشَفْ لنا دقائقُهْ

١) ان البصر والسمع هما آلتا الحسن الطبيعيّ والصناعي دون سـائر الحواس . والحجَّة في ذلك ان التأثير المتأتي عن اللمس والشمّ والذوق لا يُحدث إحساسًا ولا تصوُّرًا البتَّة . على ان اللّين والصّلب والحارّ والبارد والأرج والذفر واللذيذ والتَفِه إنما هي فواعل عقيمة بذاتها يُمكنها ان تمدَّ للنفس بعض عواطف وتذكّرها ببعض افكار بيدَ انَّها ليست بكفيَّة ابدًا ان تُصدر تلك العواطف والافكار. وامّا البَصر والسمع فهمـا رائدا القلب والعقل وما المنظور والمسموع سوى محوَّر الاحساسات والتصوّرات. وعندي ان السمع يخدم العقل خدمة لا يؤدّيها البَصر وفي المتن أدلَّة على ذلك لا يذوقها الّا أُلو النظر. انتهى مُلخَّصًا عن جزء الصنـاعة من كتاب النجوى وهو الجزء الذي هذه الارجوزة المبتكرة هي زُبدَتُهُ

وإنّما ٱلكونُ لهُ أصواتُ … فإنْ عدَتْهُ حلّهُ ٱلمَوَاتُ
بل نَغماتٌ كَوْنُنا رخيمَهْ … وَمُوسِقاهُ جزلةٌ فخيمَهْ (١
هذي بَدَت عبارةَ النّظامِ … لدى ٱلملا وَحِليَةَ ٱلأنامِ
كانت تَعُمُّ الشِعرَ وَٱلخطَابَهْ … قَالَ عَنتْ قِدمًا شَدا خطابَهْ
عندَ جميعِ ناشِئاتِ ٱلأُمَمِ … من قبلِ سُحْبانَ العَريقِ القِدَمِ
كلاَهما بَنَتْ على ٱلأَوْزانِ … مَشْفُوعَةً بِنَبْرَةِ ٱلأَلحانِ
أوميرُسُ كانَ يُغنّي شِعرَهْ … والمرءُ بعدَ الشِّعرِ عُدَّ نَثرَهْ
والشِعرُ مُشتَقٌّ من الشُّعورِ … والموسقى إلهةُ السُّرورِ
بل ربَّةُ الحِكمَةِ والشَّجاعَهْ … وَقتًا ووقتًا رَبَّةُ الخلاعَهْ
وَإنَّ من شعرِ ٱلورى لَحِكْمَهْ … طورًا ومنهُ تارةً لَوَصْمَهْ
عَنِ ٱلأَسى تلكَ رَوَت أحيانَا … وَذاكَ أُخرى يَبْعَثُ ٱلأَحزانَا
فَٱلأَخَوانِ يُطرِبانِ الصَّخْرَا … خَنساؤُنا تَرْثي أخاها صَخْرَا
إذْ فُصِلَت من بعدُ فَنًّا عَنْهُ … كأَنَّها في البَدءِ ليسَت منهُ
فَصلَها ٱلفَرَنجُ والأعلامُ … دَرَوْا بأنَّ شِعرَهُمْ أنغامُ
قد بَخَسُوهُ حقَّهُ لمَّا غدا … رِتاجُهُ عن موسقاهُمْ موصَدا
وحينما تَفَنَّنُوا فَأَلَّفُوا … بغيرِ شعرٍ جَوْقَهُمْ لم يُنصِفوا
بل أنصفوا لأنهم أجواقُ … بِموسقاهُمْ وَقَعَ ٱلوِفاقُ

. . . .

١) طالع قول الخطيب الفرنسوي الكبير الاب منسبراي المثبَت في مقدَّمة النجوى (ق ١ ف ٥ ص ٨٤) حيث فُسرت آية الكتاب البديعة وهي: « رتَّبتَ كلَّ شيءٍ بمقدارٍ وعدَدٍ ووزنٍ » راجع سفر الحكمة (١١: ٢١)

ما بالُنا تجرُّنا ٱلأفكارُ   والموسقى (١ مطلبُنا ٱلمختارُ
هذه لَها عندي المقامُ الأوّلُ   لأنّها ٱلإحساسُ وٱلتعقُّلُ
مُجتمِعَينِ جامِعَينِ ٱلفارِقَا   مُقوّمَينِ حيَوانًا ناطِقَا
هذهِ هي ٱلإيقاعُ من ترجيعِ   صَدى ٱلدُّنى عوالمِ ٱلرَّقيعِ
فمن نِظامِها بدا الإيقاعُ   فوضَعَت أصولَهُ الأسماعُ
وعن قَصيفِ ٱلرَّعدِ والتيّارِ   وعن حَفيفِ وَرَقِ الأشجارِ
وعن صفيرِ ٱلرّيحِ وٱلإعصارِ   وعن خريرِ ٱلماءِ في ٱلأنهارِ
وعن هَديرِ ٱلوُرْقِ وٱلقَماري   وعن غناءِ سائرِ ٱلأطيارِ
لكنّـهُ ٱلهزارُ لا يَبتكرُ   فموسقاهُ نقصُهـا مُقرَّرُ
لكونهِ لا يَملكُ ٱلأفكارا   وَإنْ حكى بصَدْحهِ ٱلمزمارا
هذا لقد صَنعَهُ ٱلإنسانُ   فهوَ لهُ لا صَدْحُهُ عُنوانُ
وَإن تغنّى ٱلمرءُ فٱلمزمارُ   مُقصِّرٌ إذْ صوتُهُ مِضمارُ
لكُلِّ فكرٍ بٱلسَّما يُعلَّقُ   لذا عَنِ المزمارِ حقًّا يُفرَقُ
ولو رَأيتَ المرءَ فيهِ يَنفُثُ   بٱلنَّفخِ ما على الخشوعِ يَبعثُ
إذَا دَرَى بصوتهِ ٱلمُحدِّثُ   بكُلِّ آلاتِ ٱلغناءِ يَعبثُ
فآلةُ ٱلتَّطريبِ لن تُعبّرا   كالصَّوتِ عن وجدانهِ إن فكَّرا
ويَعجزُ الشُّحرورُ عنهُ مُنشدا   لأنّهُ أعجمُ مـا تغرَّدا
بَلى هُوَ ٱلمنطيقُ فاقَ مَنْ شَدا   في كوننا وراحَ يُحيي ٱلمَعبدا
لو راحَ يَشدو نَغمًا مُبتدَعا   بِذهنِ من كانَ لهُ مُخترِعا

---

١) قال بعض الفلاسفة: « الموسقى حكمة عجزت عن اظهارها الالفاظ فاظهرتها الاصوات فلمّا ادركتها النفوس عشقتها »

لِخِلْتَ أَنَّ ٱلْحُسْنَ صارَ صَوْتَا — وَأَنَّكَ ٱلسَّماءَ قد عَلَوْتَا
تَسْمَعُ فيها زُمَرَ ٱلْمَلائِكْ — وَفَوقَ ٱلْأَبْرَارِ في ٱلْأَرَائِكْ
يُسَبِّحُـونَ رَبَّهُمْ بِنَغَمِ — «ماخَطَرَتْ على قُلوبِ ٱلنَّسَمِ» (١
وَٱلْأَرْغُنُ ٱلْبَاغِي مُحَاكَاةً لَهُ — بِلَحْنِـهِ عَابِدُنا يُؤَلِّـهُ
وَٱلْعاشِقُ ٱلْمُدَلَّهُ ٱلْمُوَلَّـهُ — مِن سَمْعِ إِيقَاعَاتِهِ يُنَبِّـهُ
في هَيْكَلٍ أَصوَاتُهُ تُعْتَبَرُ — إِنعامَ رَبٍّ تَوْبَهُ يَنْتَظِرُ
وَإِنْ تَمَادَى في دَيَاجِي ٱلْغَفْلَةِ — جَرَسُهُ يَجْعَلُهُ في يَقْظَةِ

(لهُ بقية)

سياحة اسقفيَّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

زيارة ميرون وآثارها

في جنوبيّ صفد على مسافة ساعة ونصف منهـا تقريباً قرية حقيرة تُدعى ميرون وكانت في ايّام يوسيفوس مدينة آهلة وقد ذكرها هذا المؤرخ في تاريخ الحرب اليهوديّة وهو يدعوها مروت وجعلها الحدّ الفاصل بين بلاد الجليل الاسفل والجليـل الاعلى من املاك سبط نفتالي وهي قائمة في اوّل السهل على مرتفع من الارض قريباً من جبـل الجرمق الذي يعلو عن سطح البحر ١١٩٨ متراً. ولا يسكنها اليوم سوى بعض المسلمين واليهود

وقد اشتهرت ميرون بمدرسة يهوديّة كانت تُعرف بمدرسة التلمود فرغبنـا في نظر آثارها ورافقنا في زيارتنا سعادة قنصل النمسة صديقنا. وكنّا في طريقنا نلقى زوّار اليهود عائدين الى صفد بعد تأديتهم في ميرون فرائض الاكرام لقبر ربي شمعون احـد مشاهير الربيين وتلميذ عقيبة الحبر الذي ازهر في اواخر القرن الاوّل للمسيح. وقبرهُ قائم ضمن

١) راجع نبوّة اشعيا (٦٤: ٤) و ١ كورنتس (٢: ٩)

حجرة فسيحة وعليهِ آثار الشموع والزيت الذي يتدفق من القناديل المسرجة لاكرامهِ. وفي حجرة ثانية نحو الجنوب قبر ابنهِ الربي العـازر. وبالقرب من القبرين مساكن ذريتهِ يحلُّ فيها الزوَّار من اليهود . وفي لحف الجبل قبور اخرى عديدة اخصُّهـا قبر الربيين الشهيرين وكاتبي التلمود الربي هلّل والربّي شمعاي. واليهود يكرمون هذه المدافن اكراماً فائقاً ويتقاطرون اليها في ايَّام اعيادهم الوفاً مؤلفة من صفد وجوارهـا فيقيمون عندها الافراح ويعاقرون الخمرة فيعودون المسـاء ثَمِلين الى ديارهم

اما مدرسة التلمود فانقاضها قائمة على شمال قبر الربيَّين وهناك اثار مجمع من طرز مجمع الجش وكفر برعم كما سترى وِجهته الشمال ومدخله من الجنوب وحائطه الجنوبي لم يزل معظمه قائما وهذا المجمع مبني على صخر عظيم وسيع كقطعة من جبـل هندمته ايدي العمال والحائط الغربي منقور في نفس الصخر وكذلك بلاط المجمـع فهو الصخر ذاته هندمهُ العمال فصار بلاطة واحدة امَّا الجداران الشرقي والشمالي فقد انقضا وتبعثرت حجارهما . وعرض هذا البنـاء ١٦ قدماً وطولهُ ٣٢ قدماً ويرجح العلَّامة كرين انهُ يرتقي الى سنة ١٢٠ للمسيح . ومن عن شمال البناء على مسافة قريبة كهوف عديدة منقورة في الصخور بهيئة متقنة

ولما كانت الشمس تضيَّفت للمغيب هممنا في العود الى صفد وادركنا المدينة عند اول الغسق والنفس في انقباض من الوحشة التي شاهدناها في ميرون وعلى الطريق اذ لا انيس للمسافر سوى بعض اشجار السنديان وبعض اشجار زيتون قديمة العهد شاهدة على فناء الاجيال من البشر الذين زرعوهـا واستثمروها ولا تسمع الَّا الذباب والبعوض ونعق البوم وهدير الحمام البرّي . ولمَّا طرق اذني شجوها تذكرت ما قالهُ الشاعر:

لقـد راعني للبَين نوحُ حمامةٍ على غصن بانٍ جاوبَتْهـا حمائمُ
هواتفُ امَّا من بكينَ فعهـدهُ قديمٌ واماَّ شجوهنَّ فدائمُ

وفي يوم الاثنين الواقع في ٨ من تشرين الاوَّل قمنا من صفـد نريد زيارة موارنة كفربرعم فسرنا شمالًا مجتازين في مزرعة عين الزيتونة حتى بلغنا طيطبـا وهي قرية يسكنها المسلمون ودورها مبنيَّة بالحجارة البركانيَّة يتخلَّلها شجر التين وفيها بقايا مدينة قديمة. وكان بودنا ان نعرّج على خربة النبرتين لنرى آثار ابنيتها السالفة وخصوصاً مجمعهـا

اليهودي البديع الصنع المثلَّث الاسواق المزدان بنقوش رمزيَّة جميلة بينها الشمعدان ذو المشاعل السبعة لكنَّ ضيق الوقت لم يسمح لنا بذلك

وهنا ودَّعنا سعادة القنصل لادسلاس وشكرنا لطفهُ فرجع هو الى صفد وواصلنا نحن سيرنا الى كفربرعم ثم قطعنـــا سهل الجشّ البركاني ومررنا بقرية راس الاحمر فزرنا شيخها عليّ الايوبي ثمَّ مشينا الى الجش فبتنا فيها وفي صباح الغد غادرناها فوصلنـــا الى كفربرعم التي تبعد عنها نحو ساعة بالتقريب في شمالها. وعلوّها نحوٌ من ٨٤٠ مترًا فوق سطح البحر وكانت سابقًا من نصيب اشير وموقعها بين ثلاثة اودية شمالًا وغربًا وجنوبًا وسكَّانها كلهم موارنة يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ يُقسمون الى عشرة بطون اقدمهم بيت الخوري الذين اصلهم من حدث الجبة قدموا الى كفربرعم منذ نحو ٢٠٠ سنة امَّا الباقون فمن جهات مختلفة فبيت سوسان من كسروان وبيت مخول ابي صافي من قليعة مرجعيون وبيت مارون تركيَّة من رميش وبيت حنَّا موسى من عقتنيت وبيت السروع من سرعل ثمَّ قيتوله وبيت فرح من القوزح وبيت دياب من بيت لحم وبعضهم مجهول الاصل. واهل كفربرعم قوم اتقياء محافظون على سذاجة العيشة متهيئون لما ينطبع في نفسهم من الخير وكانوا يتلقَّون المواعظ التي نلقيها عليهم مدَّة اقامتنا بينهم بغاية الرغبة والتقى ومعظم عناية اهل كفربرعم في الزراعة والفلاحة ورعية المواشي كغيرهم من موارنة بلاد بشـــاره. وفي مدخل قريتهم تلال من السماد الذي يحرقونهُ بالنار ولو سمَّدوا بهِ اراضيهم لأصلحوها وانتفعوا منها ونجوا من روائحها الوبيئة كما نبَّههم الى الامر سيادة راعيهم. ولهم كنيسة ومدرستان يديرهما الاباء اليسوعيُّون

وفي كفربرعم هيكل قديم او كنيس بديع لليهود ذو هندسة فخيمة قد اصاب الخراب قسمًا منهُ فبدَّد حجارتهُ في كل انحـــاء القرية. وكان احد الاهلين سقَّف قسمًا منهُ بالاخشاب فجعلهُ كمنزل لسكناه فابتاعهُ منهُ سيادة المطران بولس بصبوص يوم زار هذه القرية ثمَّ فحصتهُ البعثة الالمانيَّـــة سنة ١٩٠٤ واجرت فيهِ حفريات كشفت رسمهُ الاصليّ تمامًا وظهر البلاط الذي رُصفت بهِ ارضهُ. فكان لهذا الهيكل رواق يستنـــد الى عواميد ضخمة بقي بعضها ودائرتها تبلغ مترًا و٨٥ س وكانت سعة الرواق خمسة امتار و٥٠ س وِجهتهُ الجنوب كمدخل الهيكل. وكان يُدخل الى الهيكل من ثلاثة ابواب اكبرها الباب الاوسط. وعلى بعد مترين من هذا الجدار ثلاثة عواميد تقـــابل ابواب

المدخل الثلاثة بقي منها العمود المقابل للباب الاوسط مع قاعدتي العمودين الآخرين. وكان طول هــذا الهيكل ١٨ مترًا و٤٠ س وعرضهُ ١٣ م و٤٠ س . ومعظم هذا البناء قد استولى عليهِ الخراب الّا جدارهُ الجنوبيّ اي مدخلهُ الذي لا يزال في حالة حسنة يمكن اصلاحهُ بسهولة . وكان فوق عتبة بابهِ الاوسط كتابة عبرانيَّة قرأها رينان هذا تعريبها « ليكن السلام في هذا المكان وفي كل امكنة اسرائيل . يشوع اللاوي ابن لاوي صنع هذه العتبة فلتحلّ بركة الربّ على عملهِ » . وهذه الكتابة لم نعثر على اثرها ثمَّ افادنا حضرة الخوري الجليل يعقوب غانم الذي سكن زمناً طويلًا في تلك الجهات انَّ في بيت طانيوس الخوري من كفربرعم حجرًا عليهِ كتابة عبرانيَّة مطلية بالطين داخلة في جدار بيتهِ واعل هذا الحجر هو الذي اشار اليهِ رينان وفسّر كتابتهُ

اما تاريخ هذا الهيكل فهذا ما دوَّنهُ عنهُ المهندسون الالمـــان في بعثتهم الاخيرة يقولون انهُ من البنايات اليهوديَّة المشيَّدة على الطرز الروماني في غاية القرن الثاني للمسيح. وهم يرتأون انَّ الهياكل اليهوديَّة او الجامع التي تُرى اثارهـــا في كفربرعم وفي تلحوم وخربة تل البلاط وبترب القوزح وفي خربة النبرتين وفي الجش والصفصاف وخربة كازه وقصيون كلها من هذا العهد وعلى طرز واحد اي الطرز الروماني مع بعض نقوش ورموز يهوديَّة كغصون الجفنة وعنـــاقيد العنب . ولم يكن لليهود هندسة بنائيَّة خصوصيَّة بل كانوا يخلطون بين الهندسة الرومانيَّة والهندســـة اليونانيَّة لا يتفرَّدون الّا ببعض الاعراض . وكانت مداخل مجامعهم ابدًا من جهـــة الجنوب ووجهتهم الشمال بخلاف الهياكل الوثنيَّة

معليا وقلعة القرين

للآباء اليسوعيين في قرية معليا مدرسة للاحداث ودير صغير لراهبات قلبي يسوع ومريم فعرض للاب بيليسيه مدير المدرسة اشغال قضت بذهابهِ اليها فاشتدت رغبتي بمرافقتهِ لمشاهـــدة قلعة القرين الشهيرة مع حصن جدين لو تيسر ذلك. والمسافة بين كفربرعم ومعليا نحو اربع ساعات فغادرنا كفر برعم صباحاً واخذنا وجهة الجنوب الغربي وبعد ربع ساعة مررنا بقرية سعسع القائمة على اكمة اشبه بحصن صعب المرام منيع المرتقى تشرف على السهول المحيطة بها وفيها آثار بنايات قديمة وهي واقعة في نصيب سبط اشير. وكان لليهود فيها مجمع ومدرسة عند ما زارها اسحـــاق شيلو الجوالة اليهودي سنة ١٣٣٤ .

ولظاهر العُمَر مواقع شهيرة مع سكان سعسع يرويها الكهول عن اجدادهم وسكّانها الحاليون من المسلمين يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ نسمة تقريباً

وبعد ان قطعنا السهل الممتد امام سعسع توغّلنا في نقب بين احراج دغلة لا صافر فيها ولا ديّار الى ان ادركنا بعد ساعة قرية اسلاميّة فوق رابيتين يفصل بينهما رهوٌ من الارض فيهِ اشجار الزيتون والتين والكرم واسم القرية دير القاسي التي دعاها الفرنج Cassie وكانت تابعة لامارة القصر الملكي في معليا وتعلو عن البحر ٤٤٢ متراً شاهد فيها كرين آثار كنيسة بناها الفرنج سابقاً امّا آثار السور فهي حديثة ·

ثم انحدرنا من دير القاسي الى وادٍ عميق يدعى وادي السقا وهو من تشعبات وادي القرين الشهير واعطاف هذا الوادي تكسوه خضرة الاحراج ثوباً جميلًا وبعد ان صعدنا من هذا الوادي عند ملتقى وادٍ اخر يدعى وادي الجيس او وادي الخرب وقع نظرنا على اكمة بين الواديين وفي اعلاها بناية قديمة كانت معبداً او حصناً تدعى خربة فرحاطه بقربها عين ماء

ثم واصلنا السير الى معليا فانكشفت لنا بعد قليل على شمالنا على رابية بديعة قرية طرشيحا التي دعاها قدماء الفرنج Tersiha اكثر اهلها المسلمون وهم نحو الفين لهم ثلاثة جوامع واحسنها جامع عبد الله باشا والي عكا · وفي طرشيحا ايضاً روم كاثوليك كان عددهم ٥٠٠ نفس لما زارهم كرين قبل ٣٠ سنة ولهم كنيسة · وكانت هذه القرية عامرة في القرون الوسطى وتابعة للقصر الملكي في معليا · ثم توغلنا في سهل مزدان ببعض اشجار الزيتون والتين وعيوننا شاخصة الى قرية معليا القائمة امامنا على رابية بديعة فدخلناها قرب الظهيرة

معليا بلدة قديمة كانت واقعة في املاك سبط اشير وكانت تدعى معلوت لوقوعها فوق تلّ عالٍ تحدق باعطافهِ اشجار التين ومزارع التبغ · وفي أعلى التلّ آثار حصن قديم بُني بنحيت الحجارة الضخمة وعلى جوانبهِ اربعة بروج · ثم تحوّل الحصن بعد ردحة من الدهر الى بلدة مسوّرة تُرى منها بقايا صالحة · وفي مقربة من القرية اخربة حوض كبير منقور في الصخر · وقد تكرّر اسم معليا في القرون الوسطى يدعوها المؤرخون بالقصر الملكي (Castrum regium) يتبعهُ عدّة دساكر ابتاعها الرهبان الالمان سنة ١٢٢٠ من اثون كنت دي هَنبرك

ومعليا يسكنها اليوم قومٌ من الروم الكاثوليك يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ نفس وكنيستهم حديثة جدَّدوا بناءها على انقاض كنيسة أُخرى قديمة كانت تزينها العواميد المتوَّجة باكاليل من الطرز القورنثي

وبعد ان تناولنا طعام الغداء في معليا همَّمنا في المسير الى قلعة القرين فامتطينا خيلنا وما ابتعدنا عن القرية بضع دقائق حتى وصلنا الى الطريق الرومانيَّة التي كان الرومان نقروها في الصخر يسيِّرون عليها عجلاتهم بين معليا والبصَّة وقلعة القرين لم يثبِّط همَّتهم في عملها وعورة هذه الامكنة. ثم انحدرنا بين الادغال والاحراج الى وادٍ يسمَّى وادي الدم وبعد ساعة لاح لنا ذاك الصرح الشامخ الذرى وهو مبنيّ بحجارة كبيرة عملت فيها صروف الزمان فحوَّلتها الى لون قاتم يقرب الى السواد وكان يثير فينا منظرها هواجس الافكار

عجبنا ما كلَّمتنا الدارُ اذ سُئلتْ وما جا عن جواب خلتُ من صممِ

ثم قتَّشنا على منحدر سهل الى وادي الدم لنزور هناك بناء قائمًا على ضفَّة نهر القرين الشماليَّة فقطعنا النهر من جهة الغرب بازاء القلعة ثم انعطفنا نحو الشمال فاذا بقبوٍ امامنا تكسو جدرانهُ آثار الدخان ممَّا اوقدهُ الرعاة في فصل الشتاء ليصطلوا بناره. وبالقرب منهُ صفَّة من البناء داخلة في النهر ذهب كثير من حجارتها ولعلَّها كانت جسرًا يعبرون فوقهُ الى القلعة. فدخلنا القبو واذا بهِ سرداب يتصاعد فيه السائر على درجٍ مُتقَن النحت فرقينا الدرج وبلغنا الى بهوٍ واسع من الطرز الغوطيّ قد انقضّ جداراهُ الغربي والشرقي وبقي سقفهُ وكان يُصعد من هذا البهو الى بناء اعلى ثم يُرقى منهُ تدريجًا الى قمَّة الرابية المشيَّدة عليها القلعة على علو ١٤٠ مترًا عن النهر. لكنَّ انقاض البناء من الردم والتراب المنهال قد سدَّت السرداب المؤدي الى القلعة من الجهة الشماليَّة فلزم الامر ان ننحدر ونعود الى الجهة الجنوبيَّة لنتسلَّق الى أعلى القلعة من وادي الدم حيث كنَّا تركنا خيلنا فتوقَّلنا الربوة وبلغنا أعلى البناء بعد شقّ النفس

انَّ موقع هذه القلعة من احصن المراكز فكان اهلها امنع من عقاب فانها على هضاب متوعر يجري حولها نهر القرين غربًا وشمالًا في وادٍ عميق يدعوه سكَّان تلك الناحية وادي هردويل (Hardouin) احد فرسان القرون الوسطى. ويحيط بها جنوبًا وادي الدم امَّا الجهة الشرقيَّة فينتصب فوقها جبل صعب المرتقى حُفر بينهُ وبين القلعة خندق

عميق ومنهُ أُخذت الحجارة لبناء الحصن · فترى انَّ الطبيعة والصناعة اتفقتا في تحصين هذا المقام وكان طول القلعة مئتي قدم وعرضها ٣٥ قدماً وعلوها فوق البحر ٣٨٠ متراً بالتقريب

وقد اكثر كتبة الاجيال المتوسطة من ذكر هذه القلعة فانَّ غليلموس الصوري يدعوها فروسشاستياوس (Frauschastiaus) ودعاها غيره بالجبل الحريز او منفور (Monfort) وكذا دعاهُ الفرسان الالمان في سجلاتهم ستاركنبرغ (Starkenberg) · امَّا العرب فدعوهُ القرين وهو تصغير قرن بمعنى الجبل الصغير · والمظنون ان الرومان ابتنوا اولًا هذه القلعة ثمَّ حصنها هرمان سلزا (Hermann Salza) رئيس الفرسان الطوطونيين سنة ١٢٢٩ وسكنها رهبانهُ الى سنة ١٢٧٦ حيث دخلها بيبرس البندقداري ولم يبقَ منها اليوم الّا جدارها الغربيّ والجنوبيّ حيث كان مدخل القلعة من الجنوب كما هو ظاهر من العتبة ومن محلّ مصاريع الابواب · وكذلك نجت من آفات الدهر آثار المعبد القديم الذي كان يقيم فيهِ الفرسان فرائض دينهم وقيل انهُ كان مستودع سجلّاتهم وهو بناء خطير غاية في الفخامة وكانت فيهِ العمد الكبيرة ترى منها قواعدها التي يبلغ محيط استدارتها ثلاثة امتار

وتجوَّلنا بين تلك الآثار فمتَّعنا بها النظر وتأسفنا على ما فعل بها الدهر الكنود وكنَّا نفكر في من شيَّد ذلك الصرح الفخيم وكأننا نسمعه يقول:

ونحن عمَّرنا القصر كنَّا ولاتهُ نضاربُ عنهُ من اتانا وندفعُ
وما كان يبغي ذاك في الناس غيرنا ولم يكُ حيٌّ قبلنا ثمَّ يمنعُ
وكنَّا ملوكاً في الدهور التي مضت كُسرنا فقل الله يولي ويرفعُ

وفي مساء النهار عدنا الى معليا فبتنا ليلتنا فيها وكان قصدنا ان نقوم صباح الغد الى قلعة جدين الشهيرة وهي تبعد عن قصر معليا نحو ساعتين وتُعدّ من افخم آثار القرون المتوسطة ثمَّ رممها ظاهر العمر والي عكة الّا انَّ واقعاً لم يكن في الحسبان عرض لنا فاضطررنا الى تغيير سيرنا فعدنا الى كفربرعم · وترى في مقالتنا هذه رسم قلعتي القرين وجدين تلطف سعادة قنصل النمسة في صفد واعارنا اياها وكان هو رسمهما في بعض اسفاره

(التتمة لعدد آخر)

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

ومن نظم بطرس كرامة المستجاد الذي لم يُروَ في ديوانهِ قولهُ يرثي الامير بشير الشهابي لمَّا توفي في الاستانة سنة ١٨٥١ :

اذا طلع النهارُ ارى الرجالا ... كما أبصرتُ في الليل الخيالا
واعجبُ كيف تطوي الارضُ ناسًا ... لو اجتمعوا بها كانوا جبالا
يخونُ الدهرُ شخصًا بعد شخصٍ ... كما ترمي عن القوس النبالا
اذا اغلقتَ دون الموت بابًا ... تنـاول الف بابٍ كيف جالا
ومن حذر المنيَّةَ من يمينٍ ... تدور بهِ فتاخـذهُ شمالا
من الله السلام على امير ... دفنَّا المجـد معهُ والجلالا
كأنَّ الموت لم يجسر عليهِ ... مجـاهرةً ففاجأهُ اغتيـالا
فتىً كالسيف ارهاقًا وقطعًا ... ومثل الرمح قدًّا واعتدالا
ومثل البدر اشراقًا وحسنًا ... ومثل الغيث جودًا وابتذالا
أجلُّ بني الكرام ابًا وجدًّا ... واكرمُ رهطهم عمًّا وخالا
واحسنهـم واجلهم فعـالا ... واوثقهـم واصدقهم مقـالا
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ ... بنوا في المجد اعمدةً طوالا
سليل امير لبنانٍ ينادي ... انا لبنان لمَّا ملتُ مالا
اذا قلتَ الامير ولم تسمّي ... فلا يحتاج سامعك السؤالا
سالنا تحت معنٍ من نظيرٍ ... لهُ هل قـام قال لا لا
ستبكيهِ البلادُ ومَن عليها ... الى ان تستعيض لهُ مثالا
وتُحصي الناسُ ما فعلت يداهُ ... ولكن بعد ان تحصي الرمالا

الى ان قال :

لبستَ اليوم ثوبًا من بياضٍ ... فزاد جمالك الباهي جمالا
الى دار السعـادة سرتَ فوزًا ... كانك عاشقٌ يبغي الوصالا
رايت العيش في الدنيا طريقًا ... لها فاخترت اقربهُ مجالا
على رمسٍ تزلتَ بجانبيهِ ... سحابٌ يمطرُ المـاء الزلالا
وتعبق فيهِ رائحة الخزامى ... ويسطع فوقـهُ نورٌ تلالا

وقال مؤرخًا سنة وفاتهِ :

هذا الامير السعيد الحظ تخدمهُ ... ملائكُ الله حول العرش تجتمعُ

تقول ارقام تاريخٍ تحيط بهِ انّ الشهاب على الافلاك ترتفعُ

ولهُ فيهِ تاريخ آخر حُفر على ضريحهِ في كنيسة الارمن الكاثوليك مرَّ لنا ذكرهُ (المشرق ٧ : ١٧٦٣) . ومما روينا ايضاً لبطرس كرامة في مجلّتنا (٢ : ١١١٦ : ١١١٧) مناظرة فكاهيَّة بين نارجيلة وماسورة

ومن مديحهِ الذي لم يُذكر في الديوان قولهُ يثني على البطريرك الجليل مكسيموس مظلوم :

قُمْ للهناء فنسمة السحر جاءت برياً عاطرِ الزَّهَرِ
واغنم من العيش الهني طرباً عين السرور لمشرق الاثرِ
وارشق كؤوس الصفو من زمنٍ راقت مشاربهُ من الكَدَرِ
ودَعِ النسيبَ وكن على غزلٍ بمديح بدر السادة الغُرَرِ
مكسيموس الحبر المقدس من اضحى طهور القول والفكرِ
البطريرك المرتقي شرفاً بفضائلٍ يشرقن كالقمرِ
ملأت قداستهُ الورى منحاً منقودةً بالسمع والبصرِ
مولى تفرَّد في الفضائل في هذا الزمان وسالفِ العُصُرِ
راعٍ يقوم على الحفيظة في جدٍّ جديدٍ غير مندثرِ
ولكم بتصنيفٍ ومعتكفٍ افنى الليالي الدهم بالسهرِ
ما زال مجتهداً بنيل منى ولغير نيل العزّ لم يسرِ
يستلُّ من فمِ التقى صمماً فتَّاكةً بالبيضِ والسحرِ
باتت على أمْنٍ رعيتهُ ولطالما باتت على حذرِ
هو غوث ذي فقرٍ وذي نعمٍ بذلًا ورشداً غير منحصرِ
بشرى لنا آل الكنيسة قد نلنا بهِ مجداً على وزرِ
يا بدرَ علمٍ ضاء مشتهراً شرقاً وغرباً ايَّ مشتهرِ
اوضحت من نهج الهدى غُرَرًا للناس كانت قبل في غَرَرِ
ورفعت شعباً كان منخفضاً ما بين ناب الليثِ والظفرِ
وظفرتَ بالنعم السنية من ملك الملوك الواهب الدُّررِ
فاسلَمْ لنا مولًى وخير ابٍ يرعى البنين بصادقِ النظرِ
والى مقامك ان نؤرّخهُ جاء الهنا بعلامة الظفرِ

ومما جاء لهُ في التهاني قولهُ في ولادة الامير عبد الله الشهابي حفيد الامير بشير سنة ١٢٣٥ لم تذكر في ديوانهِ :

يا سيد العدل والاحسان زد شرفاً قد زادك اللهُ انعاماً وتأييدا
لك الهنا بحفيد كان مولدهُ للسعد عزّاً وللعلياء توليدا

فيا لهُ من كريم ضاء طالعهُ واشرق المجد لمَّا هلَّ مولودا
لهُ السيادةُ من جدّ سما وابٍ اضحت يداهُ تفيضُ البذل والجودا
فلا يزال هو المحمود سؤددهُ مدى الزمان سعيد الدهر مسعودا
ولا تزال لك الايَّام ضاحكةً والعيش رغدًا وطيبُ العمر ممدودا

وقال في فضائل الصيد (وليست هي في ديوانهِ):

للصيد فضلٌ في ثمان فوائدٍ من بعدها عشرٌ تشيد اساسَهْ
سلوان همٍّ ثم ترك بطالةٍ وفصاحة التعبير ثمَّ سياسَهْ
ونزاهة ولذاذةٌ ونشاطةٌ ويقاظةٌ ونباهةٌ وحماسهْ
ورياضةُ الاجسام ثمَّ طلاقة م الابصار ثمَّ حلاوة وفراسهْ
وصيانةٌ ثمَّ اكتساب معيشةٍ والعلم بالطرقاتِ ثمَّ رئاسهْ

وممَّا لم نجدهُ ايضًا في ديوانهِ قولهُ في صَقْر كان فُقد ثم رجع:

تلالا البِشْرُ وانجلت الغياهبْ وحلَّ الانس في من كان غائبْ
وردَّ الله ضائعنا علينا وأولانا بذا نِعَمَ المواهبْ
وجاء الصَّقْرُ المفقود منَّا يرفرف بالغنائم والمكاسبْ
فكم طبنا بعودتهِ قلوبًا وبتنا في الحديث لهُ نعاتبْ
وانشدناهُ ما لك غبتَ عنَّا لعلك كنت انت منَّا هاربْ
فردَّ مجاوبًا ردًّا جميلًا معاذ الله لي من ذي الشوائبْ
وحاشا ان اخون العهد يومًا ولي مولى جليل القدر صاحبْ
ولكن قد شعرتُ بنِعْمَ صقرٌ اعزّ الآلِ منّي والاقاربْ
أتى ضيفًا جديدًا في حمانا نزيلًا والنزيلُ قِراهُ واجبْ
فسرتُ لملتقاهُ وجئتُ معهُ امينًا مطمئنَّ القلب طائبْ
لكني قد قضيتُ بذا همومًا وكم قاسيتُ فيهِ من متاعبْ
وكم شاهدتُ اهوالًا ثقالًا واحوالًا رأيتُ بها العجائبْ
وكم كابدتُ في سفري عناء وكم فيهِ دهتني من مصائبْ
وكم لي وقعةٌ مع كلّ حرٍّ وكم لاقيت شاهينًا محاربْ
وكم صادفت فيهِ من عُقابٍ شديد البأس قنّاصٍ معاقبْ
وكم من كاسرٍ من كل طيرٍ تعمَّدني وجاء عليَّ واثبْ
هناكَ أبنت بطشي واقتداري وابديتُ العجائب والغرائبْ
وجرَّدتُ الاظافرَ من اكفٍّ مظفَّرةٍ وانشبتُ المخالبْ
وبتُّ بكل ذي جنحين اسطو واقهر كلَّ خطَّافٍ مضاربْ
فكم شتَّتُّ منهم في الفيافي وكم بددتُ منهمْ في السباسبْ
وكم غادرتهم في الجوّ فرضى وكم افنيتُ منهم في الشعائبْ

ولم انفكَّ اسقيهم كؤوساً اجرِّعهم بها مرَّ المشاربْ
ولم اترك جسم الَّا فراخاً يتامى في العشوش غدتْ نوادبْ
فمثلي من يخوض وغى المنايا ويغزو هكذا ويعودُ غالبْ
انا المجلوبُ من كرمٍ ولكن بعون الله للاحرار جالبْ
فهنُّوا سيدي بي في مقالٍ يؤرِّخ جاء بعد العزّ كاسبْ

وقال لمَّا دخل الاستانة العليَّة مع الامير بشير يمدح دار السعادة :

مذ جئتُ اسلمبولَ شمتُ محاسناً دعت المحاسنَ كلَّهنَّ الى الورا
فلوكها شرفُ الملوك وربْعها خير الربوع واهلها نعم الورى

ولولا خوف الاطالة لروينا غير هذا من قصائدهِ التي لم تُطبع في ديوانهِ . فاكتفينا بما سبق . ويحسنُ بنا القول في ختام كلامنا عن بطرس كرامة انَّ ادباء عصرهِ عرفوا فضلهُ واقرُّوا بهِ الَّا البعض منهم . ولما قال قصيدتهُ الخاليَّة الشهيرة التي التزم ان تكون قافيتها في جميع ابياتها لفظة « الخال » في معانيها المختلفة واوَّلها :

أمن خدّها الورديّ أفتنَكَ الخالُ فسحَّ من الاجفان مدمعك الخالُ

أُعجب بها كثيرون وأثنوا على قائلها . وعارضها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة كتبها في بغداد يمدح فيها داود باشا هذا مطلعها :

الى الروم اصبو كلما اومض الخالُ فاسكبُ دمعاً دون تسكابهِ الخالُ

وغيرهم خمَّسوها كالشيخ ابراهيم يحيي العاملي والشيخ موسى بن شريف المشهدي وتخميسهما في ديوان كرامة (ص ٣٥١ — ٣٦٠) . لكنَّ الشيخ صالح التميميّ لم يستحسنها وكتب في تزييفها قصيدتهُ التي اوَّلها :

عهدناك تعفو عن مسيءٍ تعذَّرا ألاَ فاعفُنا عن ردّ شعر تنصّرا

فاستاء من ذلك الادباء وكتب الشيخ رشيد الدحداح في قمطرة الطوامير انتقاداً مطوَّلاً على صاحبها . واجاب عليها بطرس كرامة بقصيدةٍ من البحر والروي اوَّلها :

لكل امرئٍ شان تبارك من برى وخصَّ بما قد شاء كلًّا من الورى

وقد وقفنا على قصيدة للسيد عبد الجليل البصري حكم فيها بين الشاعرين فقال قصيدتهُ التي افتتحها بقولهِ :

حكمتُ وحكمي الحقُّ تاهِ عن المرا بأنَّ التميميَّ الاديبَ تعثَّرا

بذمّ قوافٍ في تمامِ جناسها وذلك نوعٌ في البديع تقرَّرا

ومنها في مدح بعض شعراء العرب :

وقد قام من اهل الكتابين زمرةٌ جنوا من رياض الشعر ما كان مزهرا
فمن كابن عبَّادٍ يجاري مهلهلا وكان مسيحيًّا تقدَّم يشكرا
وكالاخطل المعروف شاعرِ تغلبٍ يسوق بهِ القسّيس في الدير كالفرا (١

ومنها في مدح بطرس كرامة :

كما شاع حرّ الشعر في بيت بطرسٍ وفي نجلهِ بين المداين والقرى
فصيحٌ رقى اوج البلاغة يافعًا فاشعارهُ حلَّى بها ربع قيصرا
لافكاره غرُّ القوافي قريبةٌ وعن غيرهِ بُعد الثريَّا من الثرى
اتى منهُ نظمٌ هدَّ حجة صالحٍ وان كان في المنظوم قدمًا تصدَّرا
وقد كان لي من صالح خير صحبةٍ وعند اتّباع الحقّ ما زلت اجدرا
لكلٍّ تراني قد قضيت بحقهِ واسئل بارينا الهدى والتبصُّرا

وقد مدح صاحبَ الترجمة قومٌ من ادباء زمانهِ كنصر الله الطرابلسيّ الذي سبق شيء من قولهِ. وكنقولا الترك وفي ديوانهِ عدة قصائد يطريٓ فيها محامد بطرس كرامة فيجيبهُ هذا باقوال مستطرفة تجدها في مجموع نظمهِ (ص ١٠٩ — ١٢٨)

وممن مدحهُ عبدُ الحميد البغداديّ الشهير بابن الصباغ فكتب اليهِ رسالة اولها :

تبسَّم الزهر عن انفاسكم فسرى من طيب ذكركمُ نشرًا فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركمْ والاذنُ تعشق قبل العين احيانا

فاجابهُ بطرس كرامة بكتابٍ افتتحهُ بقولهِ :

عشقتكمْ من قبل لقياكمُ وكلُّ معشوق بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنهـا من نورها تُعرفُ

وكذلك مدحهُ رزق الله حسون الحلبي وسنذكر قولهُ في ترجمتهِ. واشهر منهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فانَّ ديوانهُ الذي طُبع لاوَّل مرَّة في بيروت مصدَّر بقصيدة في مدح كرامة يقول فيها :

رجـلٌ واذا وصفهُ وكفى بهِ رجلٌ لهُ المفهومُ والمنطوقُ
حسنُ المعـاني والبيان كلامهُ جزلٌ ومعنـاهُ الرقيقُ دقيقُ

ومنها :

يا بطرسُ الشهمُ الكريم مكانهُ وبنانـهُ ولسانـهُ المتطيقُ

١) راجع مجاني الادب (٤ : ٢٦٥) وهناك اشارة الى هذه القصَّة

انتَ الكرامةُ وابنها وابٌ لها نسبٌ كريمٌ في الكرامِ عريقُ

ولهُ ايضاً يعزيهِ بولديهِ وهو رثاء بليغ اولهُ :

أجمَلَ الله في فؤادك صبرا وجزى منةً واعظمَ أجرا

ومنها :

لو يُفيد البكاء والنوحُ شيئاً لأقامت خنساء قبلكَ صخرا
يطمع للمرء في الحياة طويلًا وهو في الموت اوعن الموت فترا
وحياة الدنيا تسمّى حياةً مثلما تُحسَبُ المجرّةُ نهرا
هكذا الناسُ عاثرٌ إثر كابٍ كلُّ عينٍ بدمعة البين سَكرى
يا طريق البقا اذا كنت خيراً فلك الفضلُ كلّما زدت قصرا
وحياة الدنيا طريق الى الاخـــرى فخذ زادها الذي هو أحرى

وقال الشيخ يؤرخ سنة وفاته ١٨٥١ :

مضى من كان اذكى من اياسٍ بحكمتهِ وأشعرَ من زُهيرِ
فقُلْ يا ابنَ الكرامة قرَّ عيناً لبطرس أرِّخوه ختامَ خيرِ

ومن اشتهروا في هذا الطور الثاني اديب عاجلتهُ المنيَّة فقصفت غصن حياتهِ النضير وهو احد نصارى صيداء جرجس بن يوسف بن الياس ايلا الذي روينا شيئاً من شعره في المشرق (٦ : ٢٩٣ — ٢٦٥) وكان هذا الشابّ مكفوفاً وهو شديد الذكاء والنباهة يقول الشعر عن سليقةٍ وكانت وفاتهُ سنة ١٨٤٩ وهو في الربيع السابع عشر من عمره فأرخهُ بطرس كرامة بقولهِ :

بُنيٌّ لآبيلا بذا اللحد قد ثوى بصيرٌ ذكيٌّ شاعرٌ متفرّسُ
ولمّا قضى نودي تنعّمْ مؤرخاً ونلْ فرحاً في جنة الخلد جرجسُ

وكان جرجس ايلا مع صغر سنهِ يكاتب ادباء عصرهِ فكاتب ابراهيم بك ابن بطرس كرامة فقال فيه ولعلَّ هذه الابيات لاخيهِ رفول :

لقد احييتَ فضل ابيك حتّى بفضلك فقت والدك الحكيما
ابوك لقد بنى لك بيت مجدٍ وزدتَ بمجدك المجد القديما

وكاتب الشيخ ناصيف اليازجيّ فمدحهُ بقصيدةٍ لم نعرف غير مطلعها :

بحور الهوى قد اغرقت كلَّ سابحٍ وقصّر في ميدانهِ كلّ راجحِ

فكان جواب الشيخ بقصيدةٍ قال فيها مثنياً على الشاعر الحدث :

هويتُ الذي اعطى العلوم فؤادهُ فاعطَتْهُ منها سانحاً بعد بارحِ
تيمّنتُ باسم الخضر فيهِ وطالما ترى المرءَ لا يخلو اسمهُ من لوائحِ

وجدتُ بهِ بل منهُ متعةَ سامعٍ ويا حبَّذا لو نلتُ روْية لامحٍ
بهِ حسدت عيناي أُذني وربَّما تُخصَّص بالاقبال بعضُ الجوارحِ

ومن حسن اقوال جرجس ابيلا قصيدة مدح بها السيّد عبد الله الجابري منها:

دُعيتَ بعبد الله انك سيّد وبالجابريَّ الالمعيَّ لتجبرا
واصبحَ ذو فضلٍ بحبك هائمًا واضحى بك الشاني الظلومُ مكدَّرا
حويتَ التُّقى والجدَّ والمجد والهدى عن الجدّ حتَّى طبتَ فرعًا وعنصرا

ولهُ من قصيدة مدح فيها الشيخ يوسف الاسير:

فيوسف يُدعى بالاسير لأنَّهُ يسيرُ اليهِ العلم في غاية الأَسْرِ
فهيمٌ كريمٌ فاضلٌ متأدّبٌ قداستوجب المدح الجزيل مع الشكرِ
قد استوجبَ العزّ الرفيع مع الثنا لكثرة ما فيهِ من الشيم الغُرِ

وكان لجرجس ابيلا اخٌ اكبر منهُ يُدعى رفُّول وكان ايضًا مكفوفًا كشقيقهِ ويشبهُ في توقّد ذهنهِ وفصاحة لسانهِ لكنهُ عاش دهرًا بعدهُ وكان يقول مثلهُ الشعر وقد شبههما اهل زمانهما بابي العلاء المعرّي فقيل انهما حكياهُ في ادبهِ كما حكياهُ بفقد بصرهِ. وتأدب على رفول بعض الادباء فاشتهروا بعدهُ بالكتابة منهم فقيد الادب نقولا بك توما المحامي الشهير المتوفي في مصر السنة المنصرمة. ومن شعر رفول ابيات نجت من ايدي الضياع اثبتناها في المشرق (٦ : ٢٦١) منها قصيدة قالها في احد الادباء اوَّلها:

يا نسيم الصبح خُذْ عني السلام نحو قومٍ هيَّجوا فيَّ هيامْ

ومن اقوالهِ في الشوق الى بعض الاحباب:

اخبرِ الاحبابَ عني انني بعد بُعدي عنهمُ ذقتُ الندمْ
طيفهم ان بعدوا عن مقلتي لم يفارقها دوامًا وهي لمْ
فعسى احظى بروْياهم وبي رمقٌ كي اشتفي من ذا الالمْ
وعلى الله اتكالي فالذي يُخلص الآمال فيهِ لم يُضَمْ

وفي هذا العهد كان ايضًا الشماس حنَّا الماروني المعروف بالقزّي وزّي كان يقول الشعر الحسن بالمواضيع الدينيَّة لكن اكثرهُ قد فُقد. ومَّا سلم منهُ تخميسهُ لقصيدة الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات في مريم العذراء وقد عثرنا على نسختين من هذا التخميس احداهما عند الرهبان الموارنة البلديين قال في مطلعه:

كلّ النبيّين الذين تقدَّموا في مدح سيدةِ الانام تكلّموا
فلذا يُناديها الفؤَادُ المغرمُ لو كان للافلاك نطقٌ او فمُ
لترنَّموا بمديحك يا مريمُ

(لهُ بقية)

ترقّي العلاج بالكهرباء

للدكتور الياس الحاج متولي المعالجة الكهربائيَّة في مكتبنا الطبي

جمعني وقوماً من الادباء منتدى علم فاخذنا نسرد اكتشافات هذا العصر ونقضي العجب ممَّا توفَّق الانسان الى وجوده من اسرار الطبيعة فاصبح يطير في الجوّ على اجنحة المناطيد ويغوص في اعماق البحار راكباً متن الغوَّاصات ويقطع المسافات البعيدة لا يجاريهِ اسرع الجياد الَّا انَّ تلك العجائب كلها يكاد ينساهـا العاقل اذا تأمل في غرائب الكهرباء من اشعَّة رنجن ونقل الحركة الى الامكنة السحيقـة والتلغراف اللاسلكي وغير ذلك ممَّا تعدّدهُ المجلاَّت العلميَّة في اعدادها المتوالية

فانتهز احد الحضور تلك الفرصة فسألني عن رأيي في حقيقـة فعل الكهربائية بالامراض وكيف فعلها وما هي الادواء التي تُعـالج بها . واردف قولهُ بانهُ لا يزال مرتاباً في منافع المعالجة بالكهرباء لأنهُ سمع في ذلك اقوالاً متناقضة فمن الاطبَّاء من يدَّعي انها تضرّ ولا تنفع ومنهم من يزعم انَّ نفعها يسير لا يعوَّل عليهِ

فتبسَّمت لهذا القول وأجبت السائل بأن جهل الشيء ربما كان مدعاةً لانكـارهِ وان انتشار المعالجات الكهربائيَّة في البلاد الاوربيَّة وتقاطر المرضى للتداوي بهـا دليل قاطع على انَّ للكهرباء من الفعل ما لا ينكرهُ الَّا الجاحد للنور

وكان في يدي احد مجلدات المشرق نشر فيهِ (٤ : ٤٣٣ و٨٠١) زميلنا الدكتور النطاسي نجيب اصفر مقالاتٍ حسنة في العلاج بالكهرباء فقرأْتُ لهُ ما نقلهُ جنابهُ عن اثبت المجلاَّت العلميَّة في مفاعيل الكهرباء العجيبـة في المجرى العصبيّ وفي الدوران الدموي وفي الاجهزة المحرّكة والهضميَّة لاسيما على طريقـة الاستحمام بالكهرباء . ثمّ انتقلت الى ذكر بعض العاهات التي عمَّ اليوم علاجها بالكهرباء من ذلك كيّ اللوزتين بها (hypertrophie des amygdales) بدلاً من العمليَّـة الجراحيَّة الخطرة التي كان يجريها الاطباء سابقاً ومنهـا ازالة البُقع الدمويَّة (angiomes) التي تظهر في الجسم منذ الولادة. ومنها علاج الفالج وغير ذلك ممَّا عددهُ هناك حضرة الكاتب بحسن نظر وإصابة فكر. ثمَّ ذكرتُ لهُ اموراً أُخرى مستجدَّة وامراضاً تمكَّن من شفائهـا

الاطبَّاء الكهربائيُّون منذ كتابة هذه الفصول وهي التي ننشرها في هذه النبذة تعميماً للفائدة فنقول :

انَّ من منافع الكهرباء المكتشفة حديثاً استعمالها لإيلاج الادوية في الجسم دون ألم ولا مضرَّة . والمعلوم أنَّ الادوية تُشرب او تُسفّ او تُبلَع حتَّى تنفذ الى المعدة فتمتصُّها العروق وتسري في المجرى الدموي الى ان تبلغ الى العضو المريض لتعمل فيهِ عملها . الّا انَّ ادويةً كثيرة تمجُّها المعدة او تولّد فيها عللًا ضارَّة وربما أبت المعدة ان تمتصها فتجتاز فيها بدون فائدة . فاستدراكاً لهذا الخلل استعمل الاطبَّاء طريقة الحقن تحت الجلد فادَّى ذلك الى نتائج حسنة لولا انَّ بعض المرضى يتأذَّون من الحقن فضلًا عن كون الحقن يسبب احياناً التهابات في الاجسام تضرُّها كثيرًا ان لم تؤخذ الاحتياطات الجمَّة لتلافيها فضلًا عن ان الجلد ايضاً ينالهُ منها اذًى

وقد جاءت الكهرباء فحلَّت هذا المشكل واليوم جعل الاطبَّاء يُنفذون الادوية الى الاجهزة المريضة الباطنة بواسطة الكهرباء (ionisation) دون وجع ولا شقّ ولا اراقة دم وكذلك المعدة لا يصيبها من ذلك ادنى أذىً . فيبلُّون قطعةً من الشاش بمحلول الدواء الذي وُصف للمريض ويغمسون قطعة اخرى في الماء الاعتيادي وتوضع القطعة الاولى على المكان الموجوع والقطعة الثانية توصل ببطاريّة كهربائيّة فاذا جرت المجاري الكهربائيّة امتصَّ الجلد الدواء . وهذه الطريقة اكثر استعمالها في داء المفاصل اي في الروماتزم المزمن او الروماتزم الحادّ وفي داء النقرس وعرق النَّسا وفي السرطان الجلدي (lupus) وفي الصلَع الطفلي (pelade) وهذا العلاج يفضَّل على ما سواهُ

وقد اتسع ايضاً نطاق العلاج الكهربائي بالمجاري المتعاكسة الشديدة التواتر (اطلب المشرق ٤ : ٨٠٥) الذي بوشر منذ بضع سنوات لعلاج ادواء متعددة وهذه الطريقة ذات منافع قد ثبتت اليوم بالتجربة لامراض لا تُحصى . ويكون استعمالها امَّا موضعيًا لشفاء ادواء محلّية في الجسم وامَّا عموميَّة . فالموضعيَّة تشفي من الحُكاك الموضعي والظَفَر الموضعيّة والاكزيما المزمنة والبُقع التي تشوّه الوجه خصوصاً الانف باحمرارها . وقد رأيت رأي العين مرضى مبتلين بالسلّ الجلدي لم ينجع في دائهم دواء شفوا بهذا

المنوال شفاء تامًّا . وكذلك رايت فتاةً مصابة بجرح سلّي نالت الشفاء بعد زمن قليل من عرض دائها على المجاري الكهربائيَّة المتواترة

وعلى هذه الطريقة عينها يُعالَج المصابون بالقروح الدواليَّة الناتجة عن ضخم عروق الدم لاسيما النوع الذي يُعرَف بقلة اندمالهِ (atone) فانَّ الاطبَّاء كانوا يحكُّون الجرح ويكشطونهُ ثمَّ يكوونهُ وكان شفاؤهُ مع كل ذلك يعتاص عليهم . واليوم اقرب وسيلة الى ازالة هذا الداء توجيه الشرارات الكهربائيَّة المتواترة الى العضو العليل

امَّا العلاج العموميّ بمجاري الكهرباء المتواترة فيكون على طريقة الاستحمام كما تفعل ذلك في المكتب الطبيّ الافرنسيّ انظر الصورة في المشرق (٤ : ٤٣٦) فاننا نجعل المريض على كرسيّ ضمن قفص تحدق بهِ الاسلاك الكهربائيَّة فتنفذ في جسمهِ دون ان يشعر باهتزازاتها ومن مفاعيلها انها تزيل الأَرق وتقوي شهوة الطعام وتنعش الجسم وتزيد حركة التنفس بتوفيرِ عنصر الاكسيجين المحيي وطرد الحامض الكربونيك السامّ

وممَّا نبه اليهِ الافكار في هذه المدَّة الاخيرة العلَّامة درسنفال (d'Arsonval) إمام المعالجين بالكهرباء انَّ الاستحمام الكهربائي مع انجع الوسائل لاطالة حياة الانسان وقد بنى قولهُ على البرهان الآتي قال : معلوم انَّ الدم يجري في الشرايين والعروق كما يجري الماء في انابيب المطَّاط (الكاوتشوك) . الَّا انَّ هذه العروق لا تتمّم وظيفتها تمامًا الَّا على قدر لينها وطراوتها حتَّى امكن الاطبَّاء وضع هذا المبدأ انَّ عمر الانسان على مقتضى حالة عروقهِ يريدون انَّ الموت اجمالًا والموت الفجائي خصوصًا لا يطرأ على المرء ما دامت عروقهُ لِيّنة مرِنة . امَّا اذا صلبت العروق وجست فانها تعجز عن اتمام وظيفتها كانبوبٍ من الكاوتشوك العتيق وعليهِ يُخاف من انفجار عرق منها فيسبّب امَّا الموت الفجائي واما الفالج او احد اعراض تصلُّب العروق (artériosclérotie) التي يطول بنا تعدادها . امَّا جسوّ العروق وتصلبها فلأسباب عديدة منها الامراض السالفة وانحلال القوى الجسميَّة والعقليَّة ومنها الادمان على شرب المسكرات والاكثار من اكل اللحم وداء الزهري الخ

فان صحَّ انَّ علَّة موتنا من تصلُّب العروق ثبت ايضًا انَّ اطالة حياتنا تتوقف على منع هذا الجسوّ او على ازالتهِ عند حلولهِ . ومن ثمَّ سعى الاطباء بوجود دواء لهذا الداء كي يحفظوا للعروق لينها فوجد بعضهم ادوية شتَّى لم تفِ بالمرغوب وان افادت بعض الافادة

لاسيما براعاة الوسائل الهيجينيَّة والقوانين الصحيَّة · وكان الدكتور درسنفال في تلك الاثناء يبحث عن مفاعيل الكهرباء في الجسم فصرف نظرهُ الى فعلها في تليين العروق فتوفَّق بعد الاختبارات المتوالية الى وجود ضالَّتهِ وتأكد انَّ الاستحمام الكهربائي اذا ما جرى على طريقة معلومة وبواسطة آلات قويَّة يلين العروق ويزيل تصلُّبها وبذلك تطول حياة الانسان

فقام العلماء وقعدوا لهـذا الخبر فمنهم من يثبتهُ ومنهم من ينكرهُ وأجروا لذلك الامتحانات المتعدّدة وكتبوا المقالات المطولة وكانت نتيجتها الاولى الاكيدة انَّ معظم الاعراض التي يشكو منها المنؤُون بتصلُّب العروق تخفُّ الى ان تزول تماماً كصعوبة التنفُّس وخور القوى في المشي وخفقان القلب ووجع الرجلين والصـداع والدُّوار· امَّا العروق ذاتها والشرايين فانَّ الاستحمامات الكهربائيَّة وحدها لا تردّ لها طلاوتها ولينها ولكن اذا رُوعيت مع هـذا القوانين الصحيَّة كاقلال التعب وتخفيف اكل اللحم والاعتدال في امور الحياة عادت نوعاً الى الانسان مرونة عروقهِ وطال كذلك عمرهُ

هذا ما تقرَّر اليوم بلا شك ولا مراء· على انَّ المسيو درسنفـال لم يزل مواصلاً لاختباراتهِ وهو يؤكد انَّ لديهِ آلاتٍ قويَّة كافية وحدها لان تعيد الطـلاوة للعروق الجلسية المتصلبة فبواسطتها يمكنهُ ان يخفف ضغط الدم على الشرايين ويلين العروق ومن ثمَّ يطيل الحياة · والمجلات العلميّة تخوض اليوم في هذه الابحاث حقق الله اماني الباحثين وعسانا نبشِر قريباً قراءنا باكتشاف ثابت مبنيّ على الاختبارات الوضعيَّة التي لا يختلف فيها اثنان· وعلى كلّ حال انَّ اكتشافات المسيو درسنفال الى هـذا اليوم تُعد من اعظم اكتشفات العصر اذا ثبت انَّ الانسان يستطيع ان يمدَّ عمرهِ بالاستحمـام الكهربائي مع مراعاتهِ للقوانين الصحيَّة وكفى بذلك تفنيـداً لقول الذين ينكرون منافع المعالجة بالكهرباء

مطبوعات شرقية جديدة

WOMAN : Her position and influence in ancient Greece and Rome and the early Christians, by **James Donaldson** M. A. LL. D. *Longmans, Green and C°*, 1907, *pp*. 278.

المرأة ومقامها ونفوذها بين اليونان والرومان وفي اوائل النصرانيَّة

افتتح مؤلف هذا الكتاب كلامهُ بايضاح المشاكل التي يلقاها الكاتب في بحثهِ عن المرأة في التاريخ القديم ولذلك بيَّن المبادئ التي ينبغي الرجوع اليها في مثل هذا الموضوع وأولها درسُ احوال الامم والازمنة التي يقصد الكتابة فيها حتى اذا عرف حقَّ المعرفة شؤونها المختلفة وطبقات اهلها امكنهُ ايضاً على طريق المقابلة ان يبحث بحثاً مدققاً عن المرأة في ذلك العهد ومقامها ورتبتها. والحقّ يقال ان صاحب هذا الكتاب قد جرى على هذا المبدأ فتراهُ في كل من الاطوار الاربعة التي خصَّها بدرسهِ اعني في عهد اوميروس الشاعر ثمَّ في ايَّام النهضة اليونانيَّة وازدهار دولها ثمَّ في عهد الرومان واخيرًا في اوائل النصرانيَّة يجمع ما كتبهُ المؤرخون والشعراء وما ورد في الآثار في حقّ المرأة وذكر محاسنها ومساوئها ويستنتج من كل ذلك ما لعبتهُ من الادوار في تاريخ الاجتماع البشري. لكنهُ في الغالب يجد انَّ المرأة لم تؤدِّ للهيئة الاجتماعيَّة ما كان يُنتظَر منها وذلك لانَّ الدول القديمة ما كانت تعتبر المرأة اعتبارًا كافياً فلا تهتم بتربيتها الادبيَّة وتُضعف نفوذها في تهذيب اولادها وربما كانت تبعد عنها صغارها قبل البلوغ. ومما لا يُنكر انَّهُ وجد بين اليونان والرومان نساء فاضلات ذات نفوذ عظيم والمؤلف يذكر اسماءهنَّ واعمالهنَّ في عدَّة صفحات تؤثر في القارئ تأثيرًا حسناً لكنَّ عدد اولئك النساء كان قليلًا بالنسبة الى اهل زمانهنَّ. ثمَّ انتقل الكاتب الى ذكر النساء بعد ظهور المسيح بين النصارى الاوَّلين وهو يخبط في هذا القسم خبط العشواء وما ذلك الَّا لكونهِ استند في كلامهِ الى عدَّة كتابات من كتَبة البدع واهل الضلال ونسب الى كنيسة المسيح ما لا يصحّ الَّا عن بعض المبتدعين. ومن غريب اقواله انَّ الزواج في الكنيسة لم يُعتبر اعتبارًا كافياً وان النصارى الاوَّلين كانوا يحطُّون من قدر الزواج وهي شكاية اجاب عليها المشرق في المقالة الاولى من هذا العدد فعليك بمراجعتها الاب ب. كسنتاكيس

Realencyclopaedie HERZOG-HAUCK, XIX, pp. 844, (STEPHAN-TONSUR) *Hinrichs, Leipzig,* 1907.

دائرة المعارف البروتستانيّة . الجزء التاسع عشر

انّ هذه الدائرة تُطبع بسرعة غريبة فما مرّ علينا اشهر قليلة مذ وصفنا الجزء الثامن عشر منها (ص ٣٢٨) فلم يبقَ الى آخرها غير قسم واحد سيتمّ قريباً بهمّة الكتبة المتعددين الذين يشتغلون في موادّها وكلُّهم من ائمة علماء البروتستانت في المانية. وفي ذيل كل مادّة اسم صاحبها ليقف القارئ على امياله ومعارفهِ. وفي نسبة هذا الجزء الجديد نُثني على كثير من مقالات هذه الدائرة العلميّة والاثريّة والادبيّة التي جمع فيها اصحابُها خلاصة المعلومات الحاليّة استنادًا الى سادة يُحسبون كحجّة في هذه العلوم. لا بل استحسنّا عدّة مقالات كتبها بعض العلماء في هذه الدائرة عن الامور الكاثوليكيّة بانصاف. لكنّ الموادّ التي لها علاقة مع البروتستانية ومع تعاليمها فانها مكتوبة بقلم غطّ في مداد الاوهام والاغراض وروح العداء للكنيسة الكاثوليكيّة كمادّة الخطيئة (SÜNDE) ومادّة المعموديّة (TAUFE) ومادّة الشيطان (TEUFEL) وبالاشارة كفاية للتنبيه على مضامينها الاب هـ. ي. ويسمان

NOUVELLE GRAMMAIRE ARABE (Méthode Gaspey-Otto-Sauer) par **Robert Armez**, *Heidelberg, G. Groos*, 1907, pp. X-445. avec le corrigé des Versions et des Thèmes, *id : ibid*, pp. 64.

اصول اللغة العربية على طريقة مستحدثة

للادباء غسپاي واوتُّو وساور طريقة مستحدثة لدرس اللغات شاعت في بلاد كثيرة تُقسم فيها الابحاث الى دروس ويليها معجم لبعض الالفاظ مع تمارين عديدة. وقد سلك قوم هذا المنهج في تدريس اللغة العربيّة منهم المستشرق أرمه الذي وردَنا كتابهُ آخرًا. فانهُ قسم الاصول العربيّة الى ٤٩ درساً وألحق بكل درس جدولًا للالفاظ وعبارات عربيّة لينقلها الدارس الى الافرنسيّة ثمّ تمارين افرنسيّة يلزمهُ ترجمتها الى العربيّة. وقد اتّبع في عملهِ الغراماطيق الذي ألّفهُ من قبلهِ بالالمانيّة الدكتور هَرْدر وسبق لنا وصفهُ في المشرق (٨ : ٨١٢). وممّا لحظناهُ في هذا التأليف انّ صاحبهُ لم يعرّف حسناً حرف الغين (ص ٧) وكذلك لم يفرق بين الياء المثنّاة في آخر الالفاظ والالف المقصورة التي على صورة الياء (ص ٨) فانّ للاولى

نقطتين على خلاف كتابتها في الفارسيَّة والتركيَّة . وقد وجدنا في بعض التمارين العربيَّة اغلاطاً في التركيب والشكل لا يسعنا هنا تعدادها مثال ذلك تمرين الصفحة ٢٨٧ فانهُ أنَّث البلد كالبلدة وهو مذكر. ثم جعل مضارع بات « يبات » وصوابهُ « يبيت ». وجعل اسم المكان من الوضع « مَوْضَع » والصواب « مَوضِع » وليس هو « الرِصاص » بل « الرَصاص » وقِسْ عليهِ اغلاطاً كهذه في تمارين أُخرى. على انَّ هذه الاغلاط قليلة بالنسبة الى فوائد هذا الكتاب الذي يسهّل للطلبة الاوربيين درس اللغة العربيَّة ل. ر

G. Frederick Wright: Scientific confirmation of Old Testament History, pp. 432, in-8°, (Bibliotheca Sacra Company). Oberlin, Ohio, U. S. A. 1906.

الموافقة بين اسفار العهد القديم والعلم

علم الجيولوجيا احد العلوم الحديثة التي لم تبلغ بعد كمالها وما انفتح بابها أمام ارباب البحث حتى تسارع البعض منهم الى التنديد في سفر التكوين وتزييف تاريخ الخليقة كما رواهُ موسى في صدر التوراة. لكنَّ الله ربَّ العلوم كما هو ربُّ الوحي اقام بين اهل النقد من يتصدى لهذه المماحكات المتسترة بثوب العلم . وممن كتب حديثاً في هذا الصدد احد اساتذة مدرسة اوبرلين من معاملة اوهيو في الولايات المتحدة المستر ج. ف رَيْت وهو من علماء البروتستانت المتضلّعين بعلم طبقات الارض وقد وضع هذا الكتاب ليثبت الموافقة التامة بين رواية موسى النبيّ والقضايا الجيولوجيَّة الثابتة فيبين انَّ الله اوحى الى موسى كل ما رواهُ عن تكوين الارض في ايَّامها السبعة التي يعتبرها المؤلف لا كأيَّام اعتياديَّة مؤلفة من ٢٤ ساعة بل كأطوار متوالية اقتضى لكل طور منها اجيال عديدة لا يعرفها الَّا الله. ومهما كان من صحَّة هذا الرأي الذي يجوز للكاثوليك ان يدافعوا عنهُ او يرفضوهُ فانَّهُ يزيد رجحاناً بانحياز المسيو رَيْت اليه مع سعة علمهِ . وكذلك قد خصَّ المؤلف بذكر الطوفان فصلاً مطولاً (ص ١٥٩ — ٣٦٧) لاثبات صحَّتهِ وايراد البراهين الجيولوجيَّة المقرَّرة لوقوعهِ في انحاء المعمور . ولهُ فصل آخر في تقرير ما رواهُ موسى عن انخساف بحيرة لوط وخراب سادوم وعامورة. ونحن مع ثنائنا على همة هذا الكاتب وصواب ارائه في عدَّة امور نأخذ عليهِ شطوطهُ في شرح بعض المعجزات بنوع طبيعيّ يرديها كبعض آثار الجيولوجيَّة مثال ذلك انهُ يعلل سقوط اسوار

اريحا عند ضرب ابواق اللاويين حولها بزلزال طبيعيّ حدث تلك الساعة. ومثلهُ وقوف مياه الاردن عن اجتياز شعب اسرائيل فانهُ ينسبهُ ايضاً الى زلزلة. فانّ شرحاً مثل هذا ليس بكافٍ لايضاح الحقائق الفائقة للعقل وتعليل الخوارق التي اجراها الله بمشيئتهِ لغايات تشهد لحكمتهِ ولعنايتهِ الصمدانيَّة الاب ب. جوون

OTTO HUBNER'S geographisch-statistiche Tabellen aller Laender der Erde, 1907 (**Dr Franz von Juraschek**), *Verlag von Heinrich Keller in Frankfurt a.* M., p. 101 (0, 20 × 0, 14), 1907.

جداول لتعريف كلّ البلاد والممالك

هو كتاب صغير الحجم كلُّهُ فوائد يحتوي مجموعاً من الجداول لتعريف احوال كل البلاد من سعة ومساحة وعدد سكّان وقوّة عسكريَّة وبحرية وتجارة ونقود الى غير ذلك من المعلومات التي يحتاج اليها الكتبة وخصوصاً الاساتذة وارباب المدارس والصحافيون فيستغنون بهذا الكتاب عن مراجعة التآليف الضخمة وتقاويم هذا الكتاب واحصاءاتهُ مضبوطة يشير لبيان صحتها الى المصنَّفات التي اخذ عنها. فنحضُّ الشرقيين على اقتناء هذا الكتاب الذي عمَّ اليوم نفعهُ وانتشر انتشارًا عظيماً. والطبعة التي نحن نصفها هي التاسعة والخمسون فكفاك بذلك دليلًا على منافعهِ ل. ر

Un Manuscrit arabico-malgache sur les campagnes de La Case dans l'Imoro de 1659 à 1663 par MM. **E.-F. Gautier** et **H. Froidevaux**, *Paris, C. Klincksieck*, 1907, pp. 151.

مخطوط عربيّ في لغة اهل مدغسكار

اهل جزيرة مدغسكر لم يعرفوا سابقاً الكتابة ولذلك ليس تاريخ اسقم من تاريخهم. الّا انّ اهل زنزبار كانوا يتردَّدون الى تلك الجزيرة ويتاجرون مع اهلها وكانت الكتابة العربيَّة انتشرت بينهم فتعلَّمها منهم لتدوين لغتهم بعض اهل مدغسكر القاطنين في سواحل الجزيرة في جنوبها الشرقيّ وخطُّوا بالقلم العربيّ مخطوطات متعدّدة نُقلت الى باريس. وحتى الان لم يجد العلماء في هذه الآثار شيئاً حقيقاً بالذكر وهي عبارة عن جداول نَسَبيّة لا طائل تحتها او اغاني قصيرة او وصفات طبيَّة ولاسيما تصاوير وعبارات سحريّة امَّا التاريخ وبقيَّة العلوم فانَّها عندهم اعزّ من بيض الانوق. وممَّا توفق اليهِ كاتبان افرنسيان انهما وجدا في احد هذه المخطوطات قطعة تاريخيَّة في وصف غزوات احد

الفرنسيين المدعو لاكاز (La Case) في القرن السابع عشر وكان لويس الرابع عشر يفكر في فتح تلك الجزيرة وارسل السفن الحربيَّة للاستيلاء عليها فاحتلوا بور دوفين وحاولوا استملاك مدغسكار فحملوا عليها الحملات المتواترة لكن مساعيهم ذهبت ادراج الرياح. على انهُ كان بينهم احد ابناء جنسهم يُدعى لاكاز فهذا كان ذا عزم شديد لا تثبطهُ العقبات ولا تضعف عزيمتهُ المشكلات فحشد قوماً من اصحابه مع بعض الوطنيين وزحف على سكَّان الجزيرة المتولين عليها واذاقهم مرَّ النكال وبدَّد شملهم ورجع ظافرًا غير مرَّة حتى هابهُ الاعداء ودفعوا لهُ الاموال ليردُّوا هجماتهِ . وهــذه الحوادث كان الاهلون دوَّنوها في بعض كتاباتهم فوجدها صاحبا هذا الكتاب ونشراها باصلها اللغاشي بالحرف العربيّ مع رسم صورتها بالحرف اللاتيني وترجمتها الى الافرنسيَّة وتذييلها بعدَّة حواشٍ تسهيلًا لادراك معانيها. هذا فضلًا عن مقدَّمة طويلة في تاريخ رحلة الفرنسيين الى مدغسكار في القرن السابع عشر ل. ش

شذرات

العسل الصناعي حلَّل الكيمويُّون العسل الطبيعيّ فعرفوا تركيبهُ واخذوا اليوم باستحضار عسل صناعيّ لا يكاد يخالف الطبيعيّ في شيء الَّا في رائحته العطريَّة قليلًا. وتركيبهُ كما يأتي يأخذون كيلوغراماً من السكَّر المصفَّى الطيّب ويضيفون اليهِ ٣٠٠ سنتمتر مكعَّب من الماء مع ٢١ غراماً من الحامض الترتريك(acide tartrique) وقليل من العسل الطبيعي ويجعلون الكل على النار الى الدرجة ١١٠ ويزجونهُ فبعــد ثلاثة ارباع الساعة يصير في شبه لون العسل وطعمهِ تماماً لكنَّ السكر يتجمَّد بعد ايام فيكفي حلهِ ان يُعرض العسل الصناعي على النار بضع دقائق. وارباب الكيميا يطرئون هذا العسل ويزعمون انهُ افضـــل من عسل النحل الذي يختلف كثيرًا باختلاف الزهور التي تجتني منها النحل

اللحم النيّ والمسلولون قد اختبر الدكتور ريشه (Richet) انَّ من افضـــل الاطعمة التي تُعطى للمسلولين الزبدة والسكَّر ولاسيما اللحم النيّ . وبيانًا لذلك اخذ كلاباً وحقنها بمكروب السلّ حتى هزلت ثمَّ اطعم بعضها لحماً نيًّا وبعضها

لحماً مطبوخاً فماتت هذه وعاشت تلك زمناً مديداً . فترى من هذا افادة الكبّة النيّة لتقوية المسلولين وصحّة قول القرويين عنها في بلادنا« هذه الكبّة كبّتنا لولاها كنّا متنا »

اكبر مستحجرات الحيوان — قد باشرت اللجنة العلميّة الاميركيّة المركبة من علماء كليّة ڤيومنغ (Wyoming) حفريات في جوار مدينتهم وهناك طبقات جيولوجيّة قديمة فوجدوا نوعاً من التمساح المستحجر الذي كاد ناظروهُ يكذّبوا فيهِ العيان لعظمهِ وقد بقي من هذا الحيوان هيكلهُ كاملًا وطولهُ ٩٦ متراً قد حُفظ في الارض حفظاً تاماً وقد نزعوا منهُ احدى فقراتهِ فوزنوها واذا هي تبلغ ٤٥٠ كيلو . وسيعرض قريباً هذا التمساح في متحف ڤيومنغ الذي هو اغنى المتاحف الحالية بالمستحجرات

تبليط الكاوتشوك — كانت مدينة لندن سنة ١٨٨١ فرشت حيّاً من احيائها ببلاط مصنوع من مركب الكاوتشوك وكان سمك البلاط خمسة سنتمترات فبعد عشرين سنة عادت فقلعت البلاط لتعرف حالتهُ فاذا هو في احسن حال لم يتلف منهُ في بعض الامكنة ألّا ١٥ ملمتراً فاستدلت على فضل التبليط بالكاوتشوك الذي يعود لثباتهِ وطول مدّتهِ ارخص من التبليط بالخشب الذي لا يدوم اكثر من اربع سنوات

الجراثيم الحيّة والجماد — كنّا ذكرنا سابقاً (المشرق ٨ : ٧٣٢) ما شطّت بهِ مجلّة المقتطف لمّا روت انّ بعض العلماء كالدكتور بورك توصّلوا الى تركيب جراثيم حيّة من عناصر معدنيّة كسولفات النحاس وسلفات الزنك تجعل في الجيلاتين وغير ذلك من التحضيرات . فكذبنا هذا الخبر في وقتهِ (ص ١١٥١) واليوم قرأنا في مجلة الابحاث العلميّة للدكتور داهلوين (d'Halluin) مقالة مطوّلة يبين فيها الفرق العظيم الذي بين هذه الاستحضارات الكيمويّة وبين الجراثيم الحيّة فانّ الاولى ظواهر طبيعيّة عقيمة بخلاف الثانية التي هي خلايا حيّة تتمم كل وظائف الاحياء

أعمق الحفريات في الارض — اعمق ما بلغ اليهِ المهندسون من الحفريّات في قلب الارض ثلاثة آبار حفروها في مقاطعة ميشيغان الاميركيّة لتعدين النحاس فالبئر الاوَّل عمقهُ ١٤٩٤ متراً والثاني ١٥٢٤ م والثالث وهو ابعدها غوراً ١٠٨٥ متراً

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد المستشرقين من انكلترة ما هو اصل لفظة اقنوم ولاي سبب اتخذها النصارى الشرقيون للدلالة على ما يدعوهُ اللاتين persona في الدلالة على الثالوث الاقدس

الاقنوم اصلها ومعناها

ج لفظة اقنوم سريانيّة ܩܢܘܡܐ اصلها كما يرجَّح من الثلاثيّ الاجوف ܩܡ (قام) فارادوا بهِ اوَّلًا ما يقوم بنفسهِ واستعملوهُ في معنى الجوهر وفي معنى كنه الشيء وحقيقتهِ وانَّما خصّوهُ بكل واحد من افراد الثالوث الاقدس الذي تقوم بهِ وحدانية الله وذلك على معنى اللفظ اليوناني « ὑπόστασις » الذي شاع في كتب الاباء اليونان فنقلهُ السريان بما ينطبق على معناه ويوافقهُ في اللاتينيّة persona

س وسأل من بكفيا جناب الاديب ناصيف افندي الزغزغي ما هو معنى قولِ السيد المسيح: « اريد رحمة لا ذبيحة » وما الذي اوجب لقولهِ هذا

آية الانجيل « اريد رحمة لا ذبيحة »

ج وردت هذه الآية اوَّلًا في سفر هوشع النبي (٦:٦) ومعناها هناك على حسب التركيب العبرانيّ « اني افضلّ الرحمة على الذبيحة » والمراد « بالذبيحة » الذبائح الشرعيَّة من مواش وغيرها كان الاسرائيليّون يقدمونها على حسب سنن موسى. وقد استشهد الرب في الانجيل (متى ٩:١٣) بهذه الاية ردًّا على الفريسيين الذين كانوا يتخذون هذه الفرائض كحجة لابطال اعمال الرحمة ويذمُّون المسيح لمعاملتهِ الخطأة برحمة فيقول لهم انَّ الذبائح والاعمال المفروضة في سنة موسى هي دون اعمال الرحمة والامر واضح

س وسأل مستفيد عن شجر الزيزفون وهل يوجد منهُ نوع مشوك يُتَّخذ للسياج

شجر الزيزفون

ج الزيزفون شجر كثير الانواع يدعوهُ الفرنج tilleul وفصيلتهُ tiliacées. وهو عادةً متوسط الكبر واوراقهُ ناعمة لهُ زهرة بيضاء ضاربة الى الصفرة ويتَّخذ الزيزفون كمشروب معرّق مثل البابونج. ومن انواعهِ العنّاب (ζίζυφος jejubier) الذي ياتي بثمرة معروفة توكل ومنهُ ايضًا انواع بريّة مشوكة يسيّجون بها الاملاك ل. ش

المشرق

انجيل يوحنّا الحبيب

والشواهد القديمة في سمتهِ التاريخية

درس للاب انفرد دوران اليسوعيّ القاهُ في المكتب الشرقي اللاحق بكليَّة القديس يوسف

بين الاراء التي حكم الكرسيّ الرسولي آخرًا ببطلانها (المشرق ٩١٧ — ٩٢٥) عدَّة قضايا (ع ١٦ — ١٨ ,٣١) مختصة بانجيــل القديس يوحنَّا الحبيب فانَّ بعض المبتدعين المحدثين انكروا انَّ هذا الانجيل ليوحنا وغيرهم ادَّعوا انهُ ليس بتاريخي او انهُ اقرب الى التأملات التقويَّة منهُ الى الروايات الصادقة . وقد بنوا رايهم هذا على مــا وجدوهُ من التباين بين الانجيليين الثلاثة الاولين متى ومرقس ولوقا وبين انجيل يوحنا فيزعمون انَّ اولئك رووا اعمال السيد المسيح روايةً تاريخيَّة بخلاف يوحنا الذي يفسّر تلك الاعمال ويستنتج منها النتائج التعليميَّة ويشرحها شرحًا رمزيًا . وان وقفوا على حادث تاريخيّ انفرد بهِ هذا الانجيل نفوا صحتهُ ونسبوهُ الى المجاز مثال ذلك قيامة لعازر فانهم يرون ان رواية يوحنَّا تخيليَّة لا اساس لهــا وانَّما اراد المسيح ان يعلم البشر كونهُ هو القيامة والحياة . وغاية ما يسلمون بهِ انَّ يوحنا في انجيلهِ اشار الى حوادث تاريخيَّة اخذها عن الاناجيل الثلاثة وتصرَّف فيها كما خطر على بالهِ واضاف اليها التوهمات التقويَّة . فانَّ قيامة لعازر مثلًا ليست واقعيَّة وانَّما وجد يوحنَّا لقولهِ سندًا في رواية من سبقهُ من المبشرين عن قيامة ابن ارملة نائين وفتاة رئيس المجمع فنسب ذلك الى لعازر . وان قيل لهؤلاء المنتقدين : ألا ترون انَّ كل الاعلام المذكورة في انجيل يوحنَّا تاريخيَّة كما هي في

الاناجيل الاخرى الثلثة ؟ فيجيبون على ذلك انَّ الاسماء في سفر يوحنا هي رمزيَّة لا حقيقة لها فيزعمون مثلًا انَّ والدة يسوع المذكورة في عرس قانا وعند الصليب ليست هي مريم العذراء بل يراد بها تشوقات الأمة اليهوديَّة الى مجيء المسيح كما يرتأُون انهُ يراد بالتلميذ الحبيب جماعة الكنيسة المحافظة على اقوال الربّ وتعاليمهِ الروحيَّة

هذا بعض ما ذهب اليهِ هؤلاء المدَّعون بالعلم وفي مقدمتهم الكاهن الفرنسويّ لوازي (Loisy) · فيا تُرى هل لمذهبهم ركن ثابت او بالحري قولهم فارغ لا يتجاوز الوهم الباطل · فليس لفصل هذا المشكل الَّا مراجعة التاريخ القديم والكتبة الذين عاشوا في عهد يوحنا الانجيلي او عاصروا الذين كانوا في زمانهِ او من بعدهِ بقليل فان وُجد شهود مثل هؤلاء يعلنون بانَّ انجيل يوحنا يشبه في سمتهِ التاريخيَّة بقيَّة الاناجيل فشهادتهم اصدق من سواهم وادلّ على حقيقة الامر ولا يبقى الَّا الاذعان لاقوالهم ونبذ رأي سواهم · لانَّ الاولين لقربهم من عهد الكاتب الاصليّ امكنهم ايضًا ان يدركوا معناهُ هل اراد بقولهِ مجازًا ورموزًا او قصد سرد ماجريَات تاريخيَّة صحيحة يجب تصديقها وقبولها كما تُقبل الحوادث الواقعيَّة · وننبّه القراء على اننا في هذه المقالة نضرب الصفح عن مؤلف هذا الانجيل اهو يوحنَّا الرسول او رسول آخر او احد تلاميذ الرسل المدعو يوحنَّا فانَّ هذه مباحث قد افردنا لها دروسًا اخرى فنفترض هنا انَّ الخصوم يسلمون بان الانجيل هو حقيقةً ليوحنَّا الحبيب ابن زبدى واخي القديس يعقوب · ونحصر كلامنا في بيان قضيَّة واحدة اعني تاريخيَّة هذا الانجيل التي ينكرها هؤلاء المحدثون

١

من عارض انجيل يوحنا البشير باناجيل رصفائهِ الثلثة متَّى ومرقس ولوقا تبيَّن لوقتهِ ما خُصَّ بهِ الاول دون هؤلاء · وقد لحظ النصارى الاوَّلون بانَّ الانجيل الرابع تفرَّد في امور شتى عن الانجيليين الاخرين ولم يخطر على بالهم قطّ بان هذا السفر انَّما هو مجموع رموز وامثال اسفار يُراد بها معناها دون حقيقتها · لكنهم قد علَّلوا هذا الاختلاف بين يوحنَّا والمبشِّرين السابقين بعلَّتين فقالوا انَّ يوحنَّا قصد في انجيلهِ تتمَّة الاناجيل السابقة فروى من اعمال الربّ وخطبهِ ما اهملهُ اولئك الكتبة ومن ثمَّ لم يكرّر ممَّا رووهُ الَّا النزر القليل واتَّسع في ما أضربوا عنهُ · فهذا هو السبب الاوَّل للفرق الذي تراهُ بين انجيلهِ واناجيلهم وبين رواياتهِ ورواياتهم · امَّا السبب الثاني الذي ساق الحبيب الى مخالفة

اصحـاب الاناجيل المعروفة بالمتوافقة (Synoptiques) في طريقهم فهو الردّ على قيرِنتوس والهراطقـة الأدريين (Gnostiques) الذين قاموا في اواخر القرن الاوّل للنصرانيّة وانكروا لاهوت السيّد المسيح ووجودهُ قبل تأنسهِ في احشاء مريم البتول. فاقتضى على يوحنا ان يتصدى لهؤلاء الجحدة ويُعلن جهارًا بالوهيَّة السيد المسيح التي كانت محجوبة نوعًا تحت ستار رواياتهم كما يحجب الجسدُ صورةَ النفس وقوتها. وعلى كل حال كانوا يكرّرون على رووس الاشهاد انهُ ليس بين انجيل يوحنا والاناجيل المتوافقة تباين جوهريّ واختلاف اصليّ

فهلمَّ بنا نتصفَّح ما كتبهُ ملافنة الكنيسة منذ القرن الثاني للمسيح لنقف على اقوالهم في حقيقة انجيل يوحنا وفحواه التاريخي

واول من تلزم شهادتهُ في هذا الصدد القديس ايريناوس الشهيد (١٤٠ — ٢٠٢م) تلميذ پوليكربوس خلف القديس يوحنَّا على كرسيّ افسس فانَّ قولهُ حجَّة لازبة. فهذا الكاتب الجليل في كتابهِ عن الهرطقات (ك ٣ ف ١ ع ١) قد ذكر الاناجيـل الاربعة القانونيّة ولم يفرز بينها بل يعتبرها كلها على سواء كأسفار تاريخيَّة محضة لا بل يستند على انجيل يوحنا لتزييف احد الهراطقة الوالِنطيين المدعو بطلميوس الذي زعم انَّ السيد المسيح لم يبشر في اليهوديّة والجليـل اكثر من سنة واحدة. فابطالًا لهذا الزعم يعدّد ايريناوس اعمال السيد المسيح ورِحلَهُ المختلفة الى اورشليم كما رواها القديس يوحنا وحدهُ. وفي هذا الفصل عينهِ يشير الكاتب الى ثلاثٍ من معجزات الرب التي لا ذكر لها في غير انجيل الحبيب اعني تحويل الماء الى خمر في عرس قانا ثمَّ شفـاء المخلع عند بركة بيت حسدا ثمَّ قيامة لعازر (الهرطقات ك٢ ف ٢٢ ع ٣). وقد ذكر قيامة لعازر من قبرهِ في موضع آخر في جملة الموتى الذين احياهم السيد المسيح. ويروي هناك التقـاء الربّ بالسامريّة عند بئر يعقوب وتكثيرهُ للخبزات الخمس ثم اعتزالـهُ عن الجموع في افرانيم (ك ٥ ف ١٣ ع ١) ويمكن القول اجمالًا بانَّ ايريناوس جعل هذا الفصـل كخلاصة انجيل يوحنا

ولنا دليل آخر على فكر اسقف ليون واعتبارهِ لانجيل القديس يوحنا فانَّ هذا الكاتب يردّ على الهراطقة الذين كانوا وضعوا اناجيل مزوَّرة ينسبونها زورًا الى بعض الرسل فيبيّن

لهم ان الاناجيل القانونيَّة الموحى بها اربعة ليس الَّا وانَّ هذا العدد قد جمعهُ الروح القدس فلا يُمكن ان يُزاد عليهِ او يُنقص منهُ ودونك كلامهُ بحرفهِ اليوناني (كـ٣ ف١١ ع ٨) :
Ἔδωκεν ἡμῖν τετράμορφον τὸ Εὐαγγέλιον, ἑνὶ δὲ Πνεύματι συνεχόμενον

ولعلَّ قائلًا يردُّ شهادة ايريناوس لزعمه بانَّ هذا الكاتب يتشبَّث بالمعنى الحرفي ولا يفرز المجاز والمعاني الرمزية كما فعل في شرح بعض آيات سفر الرؤيا . فنجيب على هذا الاعتراض بأنَّا نعلم انَّ ايريناوس بالغ في بعض شروحهِ لرؤيا يوحنَّا فاخذها بمعناها الحرفي مثال ذلك ما كتبهُ عن ملك المسيح مدَّة الف سنة على الارض (في كتاب الهرطقات كـ ٥ ف ٢٤ ع ٢ وف ٣٥ ع ٢) لكنَّ غلطهُ هذا لا يُضعف شهادتهُ في سمة انجيل يوحنا التاريخيَّة . وزد على ذلك انَّ ايريناوس عرف حقَّ المعرفة ما امتاز بهِ عموماً سفر جليان يوحنَّا وانَّ هناك وصفًا لرؤيا نبويَّة ارشدهُ بها الله الى حقائق روحيَّة تحت شكل الرموز وانَّما غلط القديس فقط في شرح بعض هذه الحقائق كما يغلط المفسرون كل يوم في ايضاح بعض ما يفسرونهُ من الآيات وانَّما هذا لا يصدُّهم عن ادراك خواصّ السفر الذي حاولوا شرحهُ والاستدلال على مميزاتهِ العموميَّة . فكذلك ايريناوس

وان قال المعترض بانَّ ايريناوس في رأيهِ عن ملك المسيح الألفي لم يذكر رأيهُ الخاصّ بل تقليدًا ورثهُ من شيوخ البيعة وخصوصاً من القديس پاپياس معلمهِ وكانوا كلهم عرفوا يوحنا الحبيب وتردَّدوا معهُ (كـ٥ ف٣٣ ع ٣ و ٤) . اجبناهُ انَّ القديس ايريناوس لم يستشهد البتة في كلامهِ عن هذا التملُّك الموهوم بيوحنَّا الرسول كما انهُ لم يقُل بانَّ الشيوخ اخذوا تفسيرهم لقولهِ عن الحبيب والاولى ان يُقال انَّ هؤلاء الشيوخ حملوا قولهم على الحدس والتخمين او اخذوهُ من اوهام بعض الربّيين الذين كانوا ينسبون للمسيح ملكًا ارضيًا في آخر العالم

وكذلك نقرُّ بانَّ ايريناوس قد بالغ في استشهادهِ براي هؤلاء الشيوخ وبشرحهِ لبعض آيات الانجيل الرابع ليبيّن انَّ المسيح بلغ سنَّ الخمسين (كـ٢ ف ٢٢ ع ٥) . لكنَّ اغلاطًا كهذه ليست بكافية لردّ شهادة ايريناوس في سمة انجيل يوحنَّا التاريخيَّة لننسب اليهِ جهلًا فظيعًا بأنهُ لم يميز ما هو حقيقيٌّ ووضعيٌّ وما هو خيالي واستعاري . فانهُ ما كان ليجهل انَّ بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازيّ طريقًا وسطى اعني المعنى الروحي

لتهذيب النفوس وارشادها وفي تآليفهِ عدّة نصوص تبيّن بأجلى برهان انهُ يميز في الاسفار الالهيّة بين الوقائع التاريخيّة والامثال وينبّه القراء على الامر (ك٢ ف ٢٢ ع ١). وكذلك لا يسهو عن ايراد المعاني الروحيّة والادبيّة فانهُ يعود غير مرّة الى قيامة لعازر (ك ٣ ف ١٧ ع ٣ ثم ك ٤ ف ٢٢ ع ١ وف ٢٤ ع ٤ ثم ك ٥ ف ٨ ع ٣ وخصوصاً ف ١٣ ع ١) فلا يكتفي ببيان صحتها التاريخيّة ولكن ينتهز الفرصة ليوضح معناها الروحي فيقول انَّ لعازر في قبره هو رمز عن الخاطئ في اثمهِ تربطهُ خطاياه كما كانت الاكفان تسجّي لعازر الميت

فترى من ثمَّ انَّ ايريناوس لم يشطّ عن الصواب اذ نسب الى انجيل مار يوحنا حقيقةً تاريخيّة وانهُ لو عرفهُ كتاباً محمولاً على الرموز والامثال لما تردَّد في ايضاح الامر وكشفهِ لاهل عصرهِ . وما يزيد شهادتهُ قوّةً انهُ وضع كتابهُ في الهرطقات لتفنيد الأدريّين الذين سندوا بعض اضاليلهم في الارواح الابديّة (Eons) الى انجيل القدّيس يوحنّا فيبطل ايريناوس اقوالهم ويبين سوء شرحهم لاقوال الرسول الحبيب ولكنهُ لا يؤاخذهم مطلقاً بجهلهم لتاريخيّة الانجيل الرابع وانكارهم صحّة رواياتهِ ولو كانوا رفضوا ذلك لما كان ايريناوس سكت عنهم . ويؤيد قولنا عن الادريّين وعن اقرارهم بواقعيّة الاخبار المرويّة في انجيل يوحنّا ما قالهُ فيهم اوريجانوس المعلم الاسكندري حيث كتب عن احد زعمائهم هيراكليون « انهُ مثل غيرهِ من ذوي بدعتهِ كان يتمسك بالمعاني الحرفيّة في الانجيل » ὁ Ἡρακλέων, ὁμοίως τοῖς πολλοῖς, ἐπὶ τῆς λέξεως ἔμεινε (١

ومن معاصري القديس ايريناوس طاطيانوس الشهير الذي كان احد تلامذة القديس يوستينوس فهو قد ارتأى في انجيل القديس يوحنا راي ايريناوس وعدَّهُ سفراً تاريخياً كبقيّة الاناجيل دون ان يفرقهُ عنها بشيء . ومن تآليفهِ الشائعة كتابهُ في موافقة الاناجيل الاربعة او الدياطاسرون حيث سرد في تاريخ واحد متتابع اخبار السيّد المسيح المرويّة في كلّ الاناجيل فيذكر رواية يوحنّا كما يروي اخبار الانجيليين الثلاثة دون تمييز قطعيّاً كما ترى في كتاب القلادة الدرية المطبوع في مطبعتنا . وممّا يدلّ على انَّ طاطيانوس لم يذهب في فعلهِ هذا الى رايهِ الخاصّ بل الى راي اهل زمانهِ انَّ كتابهُ اشتهر في

---

١) اطلب مجموع الاباء اليونان لمين (Migne, : PP. GG. VII, 1309 ; cf. 1294 — 1322)

البلاد الى اواخر القرن الخامس وكان مكتوباً بالسريانيَّة وبقي لنا قسمٌ من شروح القديس افرام عليهِ ونُقل الى اليونانيَّة واللاتينيَّة ثمَّ فُقد الاصل السريانيّ الَّا انَّ ترجمتهُ العربيَّة وُجدت في المكتبة الفاتيكانيَّة وطبعت قبل ٢٠ سنة وفي مكتبتنا الشرقيَّة اوراق من نسخة قديمة وصفهـا المشرق في بعض مقالاتهِ السابقة (٤: ١٠٠ — ١٠٥) ورسم صورتها بالشمس

وفي مطاوي هذا القرن الثاني كُتب في رومية جدول الاسفار المقدسة المقبولة في الكنيسة كمُنزلة. وهذا الجدول يُعرف باسم مكتشفهِ فيدعى «جدول موراتوري» فترى فيهِ مع الايجازهِ وصفًا لانجيل القديس يوحنا لا يقلّ عن ٢٥ سطرًا وكأنَّ صاحب هذا الاثر اراد ان يتصدَّى لاعتراض الناكرين لحقيقة هذا الانجيل فيستدرك المشكل بقولهِ: «ان وُجد في هذا الانجيل امور تفرَّد بها عن سواهُ فلا باس لانَّ الاناجيل الاربعـة تصدر عن روح واحد هو الروح القدس. وهذه الاناجيل تتَّفق في امور عديدة كميلاد المسيح وآلامه وقيامتهِ وتصرُّفهِ مع رسلـهِ ومجيئهِ الاول بالذلّ والهوان ومجيئهِ الاخير بالعزّ والمجد. ثم يردف قولهُ بما تعريبهُ «لا عجب اذا كان يوحنا في رواياتهِ مثبتاً للامور لا يرتاب في تقريرها وهو القائل في اوَّل رسائلهِ: «الذي كان من البدء الذي سمعناهُ الذي رايناه بعيوننا الذي تأملناهُ ولمستهُ ايدينا ... نشهد ونبشركم ونكتب بهِ اليكم. فبهـذا القول لم يبيّن فقط انهُ رأى وسمع ولكن يثبت ايضاً انهُ قد دوّن بالكتابة كل العجائب التي صنعها الربّ بترتيب ونظام»

هذا ما قرَّرهُ عن الانجيل الرابع احد كتبة الكنيسة الرومانية بين تاريخ السنـة ١٨٠ والسنة ٢٠٠ للمسيح ومرجع قولهِ الى انَّ الرسول يوحنَّا موثوق بكلامـهِ ثبتٌ في رواياتهِ عن حياة السيد المسيح وان تفرَّد عن المبشرين الاخرين في طريقتهِ فلا بأس من ذلك لانَّ كل انجيلي كتب على حسب ما اوحى اليهِ الروح القدس

٢

انَّ الجواب السابق كما ترى كافٍ لتثبيت المسيحيين في ايمـانهم وازالة كل شكّ عن حقيقة انجيل مار يوحنا. الَّا ان المشكل الذي عرضناهُ لا يُحَلّ تماماً ان لم نبحث عن سبب التباين الموجود بين يوحنَّا ورصفائهِ الثلاثة. وقد علم القدماء بهذا الاعتراض وحاولوا فكَّهُ. واوَّل من استدرك الامر اقليميس الاسكندري في كتـابهِ المسمى

بالوضعيَّات (Ὑποτυπώσεις) الذي صنَّفهُ في اواخر القرن الثاني وهذا الكتـاب قد فُقد الَّا بعض مقاطيعه التي نقلها اوسابيوس القيصري منها نبذة نعربهـا هنا لأنها تتضمن الجواب على المشكل المقصود قال: « انَّ يوحنـا كتب بعد المبشرين الاخرين لانهُ لحظ انَّ الاناجيل السـابقة لم تسطّر من ترجمة السيد المسيح الَّا الامور الجسديَّة فتلبية لدعوة حاشيتهِ وبعد وحي الروح القدس عزم على كتابة انجيل روحيّ »(١

فمعنى هذا القول انّ نسبة انجيل يوحنَّا الى الاناجيل الثلثـة المتوافقة بمنزلة النفس الى الجسد فبينما ترى الانجيليين الثلثة يعرضون اعمال الرب الخارجيَّة ويتشبَّثون بجسمها الظاهر فيذكرون ما رأوا وسمعوا تشاهد يوحنَّا على خلاف ذلك يستشفُّ ما وراء هذه الاعمال فيميط الحجاب عن اللاهوت وعن قوتهِ الالهيَّة التي كانت تحيي تلك الاعمـال والاقوال الصادرة من السيد المسيح ابن الله

وهذا التفسير من شأنهِ ان يُقنع الجميع ولم يخترعهُ اقليميس الاسكنـدري من تلقاء نفسهِ بل عرضهُ استنادًا الى تقليـد سابق يرتقي الى الشيوخ الاولين (Κατά παράδοσιν τῶν ανέκαθεν πρεσβυτέρων) . ومذ ذلك العهد درجت هذه الكلمة واضحت كصورة مميزة للانجيل الرابع وكبيان لخواصهِ . نعم انَّ هـذا الشرح لا يعلّل سكوت الانجيليين الاولين عن بعض المعجزات والخطب التي رواهـا القديس يوحنَّا لكنهُ يبين سبب الفرق الموجود بين هذا الانجيلي ورصفائهِ ويثبت لرواياتهِ صحتها التاريخيَّة بحيث يمكننا القول بانَّ الخطب المدرجة في انجيل يوحنَّا عن لسـان السيد المسيح او يوحنَّا المعمدان او الرسل او نيقوديموس وهلمّ جرًّا ليست هي خطبًا مصنوعة بل وضعيَّة حقيقيَّة وان يصحّ القول ايضاً بانها اجتازت في قلب الرسول الحبيب ومخيّلتـهِ فنالت شيئًا من عواطف لبهِ ورونق تصويراتهِ . فانَّ يوحنا كتب بعد موت المسيح بسبعين سنة وكانت نفسهُ لا تزال مفعمة من ذكر الاله المتأنس طافحة من افضالهِ فاراد ان يصفـهُ باقوالهِ وصفاً يحيي شخصهُ الكريم في سامعيهِ فترى في كل كتـابات يوحنَّا دلائل على

---

(١) وهاك قولهُ بحرفهِ نقلًا عن اوسابيوس : Τὸν μέντοι Ἰωάννην ἔσχατον συνιδόντα ὅτι τὰ σωματικὰ ἐν τοῖς Εὐαγγελίοις δεδήλωται, προτραπέντα ὑπὸ τῶν γνωρίμων Πνεύματι θεοφορηθέντα, πνευματικὸν ποιῆσαι Εὐαγγέλιον (Eusébe,HE, VI, 14)

سعيهِ هذا بان يجعل لسيّدهِ مقاماً اهلاً بجلالهِ وذلك مع مراعاة حقوق التاريخ المقدسة. وكل غايتهِ ان يقرّب تعاليم الربّ الى فهم الجميع سواء كانوا يهودًا او وثنيين. وهذه الغاية تلوح ايضاً في الاناجيل السابقة الّا انها في انجيل يوحنا تظهر بكل رونقها وتسطع بكل نورها

٣

قام بعد اقليميس الاسكندري تلميذهُ اوريجانوس الذي طبّق اسمهُ اقاصي البلاد. وكان هذا المعلم الشهير في تفسيرهِ للاسفار المقدَّسة محبًّا للمعاني الرمزية يرى في كل الحوادث الكتابيَّة امثالًا ومجازات ومع هذا لا تراهُ في تفاسيره للاناجيل يفرق بين بشارة يوحنا وبقيَّة الانجيليين بل يقبل حقيقتها التاريخيّة على سواء ويضيف الى ذلك معاني اخرى يوجّهها الى الرموز والروحيَّات. ولنا في تآليفهِ عدّة شواهد لا تبقي ريباً في اعتبارهِ انجيل يوحنا كسفر تاريخي. اطلب مثلًا كتاب ردّهِ على كلسوس فانهُ هناك يفنّد تُهم ذلك الفيلسوف الوثني في حقّ المسيح فيعدّد اعمالهُ الالهيَّة ومعجزاتهِ الباهرة ويستعير معظم ادلّتهِ من انجيل يوحنا كإحيائهِ لعازر من القبر وظروف موتهِ ودفنهِ وقيامتهِ وظهورهِ للقديس توما. وفي هذا الكتاب عينهِ ينبه اوريجانوس قرّاءهُ الى انّ الاسفار المقدسة تحتوي معنيين معنى حرفيًا اي تاريخيًا ومعنى روحيًا فكفى بهذا التفصيل دليلًا على انهُ لا ينفي المعنى الحقيقي (١

وقد قام بعد اوريجانوس عددٌ من مشاهير الملافنة كيوحنا فم الذهب وكيرلّس الاسكندري وتاودورس المصيصي ولكلّهم تفاسير على الانجيل الرابع فلا ترى واحدًا منهم يشكّ في صحّة هذا الانجيل التاريخيَّة وحقيقة اخباره ورواياتهِ وانما ينبّهون القرّاء الى سموّ معاني هذا الانجيل حتى انهم لقبوا صاحبهُ بالثاولوغوس اي المتكلم باللاهوت فشاع هذا الاسم بين الفلاسفة الوثنيين نفسهم كما روى اوسابيوس (٢

امّا مذهب القائلين بانّ القديس يوحنا كتب انجيلهُ تتمّة للاناجيل السابقة ليروي

١) اطلب مجموع الاباء اليونان في مين Migne : PP. GG. XI, 872, 888-895, 904-906 وبالاخص راجع رد اوريجانوس على كلسوس ك ٢ ع ٤٨ ثم ٥٢ – ٦٣

٢) اطلب مين Préparat. évang., XI, 18, Migne : XXI, 900.

ما فاتتهم روايته فقد ذهب اليهِ خصوصاً الاباء اللاتينيُّون كما صرَّح بهِ القديس اوغسطينوس في كتابهِ المعنون بالتوفيق بين الاربعة الانجيليين قال : « انَّ اصحاب الاناجيل الثلثة الاولى قد صرفوا عنايتهم الى تسطير الاعمال التي انجزها الربّ بناسوتهِ امَّا يوحنَّا فوجَّه نظره ُ قبل كل شيءٍ الى لاهوتهِ الذي يجعلهُ شبيهاً بابيهِ السماوي (١ ». فكأنَّ القدّيس اوغسطينوس اعاد في قولهِ هذا ما سبقهُ اليه اقليميس الاسكندري في انجيل يوحنَّا لما دعاهُ بالانجيل الروحي. وقد كرَّر اوغسطينوس في كتاباتهِ قولهُ السابق في انجيل الحبيب وسمتهِ الروحيَّة مع اثباتهِ لحقيقة معانيه التاريخيَّة وعلَّل ذلك بسببين : الاول انَّ يوحنا حبيب الرب كان اقرب الى قلب المسيح من بقيَّة الرسل فاستقى معانيهُ من هذا المنهل الالهي وحلَّق في كبد السماء كالنسر الطائر. والسبب الثاني انَّ يوحنا في انجيلهِ توخَّى غاية خصوصيَّة فانهُ بروايتهِ لاعمال الرب لا يكتفي بقشرتها الظاهرة بل يضيف اليها معانيها الباطنة ليُري المؤمنين انَّ لتلك الاعمال الوقتيَّة فعلاً ثابتاً يجدّدهُ المسيح في النفوس كل يوم الى منتهى الدهر (٢

فاين يا تُرى كل هذه الاقوال الصادقة والتقارير المتواترة المبنيَّة على العقل والنقل من مزاعم اولئك المحدثين الذين يبتدعون كل يوم رأياً جديداً تسوّلهُ لهم اوهامهم ومخيلتهم الجامحة ؟ اما الكنيسة الكاثوليكيَّة فلم تَحِدْ عن تعاليم أئمتها العظام وحفظت تلك الوديعة الثمينة بحرصٍ واهتمام. لا بل وافقها في تعليمها هذا البروتستان المعروفون بالمحافظين فانَّهم يرون رايها في صحة انجيل يوحنا وحقيقة معانيهِ وسمتهِ التاريخيَّة وان كانوا استرسلوا في ايضاح معانيهِ الروحيَّة الى حدّ بليغ

اما البروتستان المتطرّفون والاباحيُّون وناكرو الوحي فانهم يسلّمون بما يحتويه انجيل يوحنا من الاخبار التاريخيَّة المحضة لكنهم يرفضون ما يتضمَّنهُ من المعجزات لزعمهم بانَّ العجائب مستحيلة وفي هذا لا يفرقون بين الانجيليين الاوَّلين وصاحب الانجيل الرابع ومن ثمَّ لا نحاججهم هنا لأَنهم يوافقونا في القول بانَّ اخبار هذا الانجيل تاريخيَّة ليست تخيليَّة كما زعم آخرًا الكاهن الفرنسوي لوازي في كتابهِ الذي دعاهُ الانجيل الرابع

١) اطلب اعمال الاباء اللاتين لمين (Migne : *PP. LL.*, XXXIV, 1045)

٢) اطلب في مجموع مين شروحه على يوحنا Migne : XXXV, 1062 et 1713
وكتابهُ في التوفيق بين الانجيليين Ibid., XXXIV, 1045-1046

(Loisy : *Le quatrième Evangile:* p. 96) حيث نهج طريقاً وعرة بزعمهِ انَّ انجيل يوحنا مجرَّد عن الحقيقة وبكل صواب رذل قولهُ الكرسي الوسولي في القضيَّة السادسة عشرة (اطلب المشرق ص ٩٢٠) التي اقتطفها من كلامهِ : « ليست روايات يوحنا تاريخاً صحيحاً وانَّما هي تأمّلات تقويَّة عن الانجيل وكذلك الخطب التي رُويت في بشارتهِ انَّما هي مذاكرات لاهوتيَّة في سرّ الخلاص مجردة من الحقيقة التاريخية ». وكانت لجنة الاسفار المقدَّسة في رومية سبقت وصرَّحت في ٢٩ ايار من السنة الجارية مع مصادقة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيدًا بانَّ الانجيل الرابع ليس هو فقط ليوحنا الرسول بل هو سفرٌ تاريخيّ يتضمن حقيقةً معجزاتِ الربّ التي اجترحها وخطبهُ التي نطق بها وقد اودعها الحبيب في كتابهِ كما رآها وسمعها. فلم يبق بعد هذا الحكم لكل كاثوليكيّ صادق الَّا الرضوخ لقول الكنيسة لانَّ من يسمع منها يسمع من الرب ذاتهِ (لوقا ١٠: ١٦)

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وفي هذا الزمان عينهِ كان في الاستانة شاعر آخر من طائفة السريان الكاثوليك اسمهُ فيليب باسيل بنَّاء وكان اصلهُ من حلب واستوطن دار السلطنة وعُرف بادبهِ وحسن نظمهِ فمن ذلك عدَّة قصائد قالها ولم يبق منها الَّا ثلث طُبعت في برسلو من حواضر المانية مع ترجمتها الى الالمانيَّة سنة ١٨٤٤ الواحدة منها قالها في السلطان الغازي عبد المجيد والثانية مدح فيها البرنس دي جوانڤيل وكان اظهر مروَّة عظيمة في حريق بُليت بهِ بعض احياء استنبول. وقال الثالثة في مدح غليوم الرابع ملك بروسيا. امَّا سنة وفاتهِ فمجهولة

وكذلك نجهل تاريخ شاعر آخر مدحهُ نيقولا الترك وهو نيقولا النحاس نكتفي بتدوين اسمهِ رجاء ان يستدلّ احد القراء على مآثره

وممَّن نختم بذكره هؤلاء الكتبة والشعراء لهمَّته وخدمتهِ للاداب الدينيَّة بطريرك الملَّة السريانيَّة اغناطيوس بطرس جروه اشتغل بتعريب عدَّة تآليف دينيَّة اخصها مختصر

اللاهوت النظري والادبي لتوما دي شرم وكتاب الحياة الالهيَّة للاب نيرمبرغ اليسوعي ولهُ كتــاب مواعظ وكتب ترجمة عمهِ البطريرك ميخائيل جروه اوّل بطاركة السريان الكاثوليك بعد انفصالهم النهائي عن اليعاقبة وكانت وفاتهُ سنة ١٨٦١ في ١٢ ت ١ ·

وعارضهُ في هذه التعريبــات معاصرهُ ووطنيُّه السيد ابراهيم كوبلي مطران الارمن في حلب فعرَّب كتاب الحق القانوني وبعض التآليف الروحيَّــة (المشرق ٩ : ٤٢٠) كانت وفاتهُ سنة ١٨٣١ شهيد محبَّتهِ في خدمة رعيَّتهِ

*

دعنا الان ننتقل الى ذكر شيءٍ من الحركة العلميَّة التي استجدّت في هذا الطور بين الاوربيين فحملتهم على طلب الآداب العربيَّة واحراز فوائدها · ومن اقوى البواعث التي ساعدت علماء اوربَّا على بلوغ هذه الغاية تشكيل جمعيات علميّة اسيويَّة يعقد اصحابها جلسات قانونية وينشرون الابحاث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقيَّة · وكانت الجمعيَّة الاسيوية الفرنسويَّة تتقدَّم ما سواها في هذا السباق الشريف فبلغت في ذلك الطور الثاني مقاماً عاليًا كما تشهد عليهِ منشوراتها المتعدّدة · وكذلك الجمعيَّة الاسويَّة الانكليزية تجاري شقيقتها في همَّتها وان كان نظرها منصرفًا بالخصوص الى الهند والشرق الاقصى · وممَّا استوْنف من هذه الجمعيَّات الجمعيَّة الاسيوية البنغاليَّة التي باشرت سنة ١٨٣٢ نشر مجلة كالمجلَّات الاسيوية الاوربيَّة وهي لا تزال الى يومنا تواصل اعمالها بنشاط

وفي هذا الزمان نشأت في المانية نهضة محمودة لدرس العلوم الشرقيَّــة ولاسيا العربيَّة · فاجتمع قوم من اصحــاب الجدّ والعمل اخصهم ايفلد (Ewald) وغابلنتس (v. d. Gabelentz) وكوسغرتن (Kosegarten) وروديغر (Roediger) وجعلوا ينشرون مجلَّة لمعرفة الشرق (Zeits. f. d. Kunde d. Morgenlandes) تجد فيها مقالات عديدة في التاريخ والاداب العربيَّة · ومــا لبثت جمعيَّة أُخرى اوسع نطاقًا وارقى علماً فظهرت في المانية باسم الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG) كان اول ظهورهــا سنة ١٨٤٥ ونشرت مجلتها سنة ١٨٤٧ فخدمت مذ ذاك الحين الاداب الشرقيَّة خدماً لا تُنسى ومجموع هذه النشرة يُعدّ اليوم كخزانة كتب واسعة تحتوي طُرَفًا جليلة من سائر فنون الشرق ومعارفهِ · وقد احتفلت هذه الجمعيَّة قبل سنتين بيوبيلهــا الخمسينيّ وناهيك بذلك شاهدًا على ثباتها وترقي اعمالها

اما الذين اشتهروا بين المستشرقين بتآليفهم العربيَّة فليس منهم احد نال فخرًا كالعلامة البارون دي ساسي (Baron S. de Sacy) فانَّ هذا الرجل العظيم فضلًا عن علمهِ العجيب بلغات الشرق بعث في قلوب آل عصرهِ روح الغيرة والهمة فكان كنار استضاء بهِ طلبة العلوم الشرقيَّة في كل انحاء البلاد وكالقطب دارت حولهُ كل مساعيهم في استخراج كنوز آداب الشرق

ولد دي ساسي في باريس سنة ١٧٥٨ وفيها توفي سنة ١٨٣٨ . ما كاد هذا يميط عنه التمائم حتى نبغ في المعارف ولاسيما في درس اللغات ولم يكتفِ بالالسنة الاوربيَّة بل طلب لغات الشرق فاخذ منها شيئًا عن علماء زمانهِ منهم الراهب البندكتي الشهير دون برترو (Dom Berthereau) فتعلَّم اوَّلًا العبرانيَّة ثمَّ السريانيَّة والكلدانيَّة والسامريَّة ثمَّ العربيَّة ثمَّ الفارسيَّة والتركيَّة وكان يعرف اكثر هذه اللغات معرفة جيّدة كما يلوح من منشوراتهِ وتآليفهِ لكنهُ كان يحكم آداب اللغتين العربيَّة والفارسيَّة حتى سبق في معرفتهما علماء زمانهِ شرقًا وغربًا . ولو عددنا كل ما قام بهِ هذا الهمام من المشروعات في تعزيز العلوم الشرقيَّة من تعليم وكتابة وانشاء مجلَّات وادارة دوائر علميَّة وتنظيم مكاتب لاتسع بنا الكلام كثيرًا وحسبنا ان نقول انهُ نشر نيفًا ومئتي تأليف في كل علوم الشرق ولغاتهِ وكثير من هذه المصنفات كبير الحجم واسع المادة نذكر منها غراماطيقهُ العربي في مجلدين كبيرين ومنتخباتهِ العربيَّة في ثلاثة مجلدات وطرائفهُ اللغويَّة في مجلد كبير وتاريخه لعرب الجاهليَّة وتعريف ديانة الدروز في مجلدين وكتاب كليلة ودمنة ومقامات الحريري مع شروح مستوفية بالعربيَّة في مجلدين ورحلة عبد اللطيف البغدادي الى مصر . فترى من هذه القائمة ما للبارون دي ساسي من الفضل العميم وكان مع علمهِ كثير الدين حريصًا على كل وصايا الكنيسة متبعًا لتعاليمها

ومات قبل دي ساسي رجلٌ آخر حظي شهرة بمنشوراتهِ من علوم العرب الفلكيَّة وهو جان جاك عمانويل سيدليو (J.-J. E. Sédillot) ولد سنة ١٧٧٧ ودرس في مكتب اللغات الشرقيَّة ثمَّ انقطع الى درس النجوم فنقل الى الافرنسيَّة كتاب الآلات الفلكيَّة المسمى جامع المبادئ والغايات لابي الحسن عليّ المراكشي وتآليف شتى لابن يونس ولابي الوفاء وكتب عدَّة مقالات في تاريخ الشرق وعلومهِ الرياضيَّة . كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٢ . وسيأتي ذكر ولدهِ في محلهِ

وزاد على سيديليو شهرةً مستشرق افرنسي آخر كوسان دي پرسڤال (J. - J. A. Caussin de Perceval) كان مولدهُ سنة ١٧٥٩ وتوفي سنة ١٨٣٥ . تولى نظارة المخطوطات الشرقيَّة في باريس وعلَّم اللغة العربيَّة في مكتبها الملكي والَّف كتباً عديدة في آداب العرب وتاريخهم منها المعلَّقات السبع وكتاب الزيج الكبير الحاكمي لابي الحسن علي ابن يونس الفلكي وكتاب الصور السماويَّة للشيخ عبد الرحمن الصوفي ونقل الكتابين الى الافرنسيَّة وطبع ايضاً مقامات الحريري وامثال لقمان وملحقاً على كتاب الف ليلة وليلة في مجلدين وتاريخ صقليَّة من عهد الاسلام للنويري وخلَّف ابناً اشتهر مثلهُ في معرفة احوال العرب سنذكرهُ

ومن تلامذة دي ساسي الذين توفَّاهم الله في هذا الزمن جوبار (Pierre Amédée Jaubert) كان درس اللغات الشرقيَّة في باريس ورافق نابوليون الاوَّل في رحلتهِ الى مصر بصفة ترجمان ثمَّ تجوَّل في انحاء ارمينية والعجم وكتب اخبار رحلتهِ وعلَّم في عاصمة فرنسة اللغتين التركية والفارسية وصنف فيهما كتباً وكان يُحسن العربية وهو الذي نقل جغرافية الشريف الادريسي (نزهة المشتاق) الى الافرنسية في مجلَّدين طُبعا في باريس سنة ١٨٣٦ — ١٨٤٠ وترجم ايضاً كتاب تاريخ غانة

وممن تخرجوا ايضاً على العلامة دي ساسي جان همبرت (J. Humbert) كان مولدهُ في جنيڤة عاصمة سويسرة سنة ١٧٩٢ وفيها درَّس اللغات الشرقية بعد ان تلقَّنها في باريس . وكان عالماً باللغة العربيَّة ولهُ فيها بعض اثار مشكورة منها منتخبات شعريَّة مع ترجمتها الى الافرنسية وعدَّة كتب مدرسية لدرس العربية صنفها في اللاتينية والافرنسية ومنها مقالات انتقاديَّة ونظريَّة في علوم العرب ولغتهم توفي همبرت سنة ١٨٥١

ولزهر في هذا الزمان بعض المستشرقين الالمان منهم ارنست فردريك روزنمولر (E. F. K. Rosenmüller) من اساتذة اللغات الشرقية البارعين مات سنة ١٨٣٥ وكان مولده سنة ١٧٦٧ . اخذ العلوم الدينية عن ابيه احد كبار علماء البروتستانت ثم درس في ليبسيك اللغات الشرقية ولما اتقنها صار احد اساتذتها ولهُ مطبوعات متعدّدة تدلّ على براعتهِ في معرفة اللغة العربية منها غراماطيق عربيّ في اللاتينية ومنها مقتطفات في ثلاثة اجزاء مع ترجمتها الى اللاتينية وكذلك نقل اليها معلَّقة زهير وبعض مقامات

الحريري وطرفًا من امثال الميداني لكنْ معظم كتاباتهِ كانت في تفسير الاسفار المقدَّسة توفي في ليبسيك سنة ١٨٣٥

وفي سنة وفاة روزنغولر ١٨٣٥ توفي وطنيُّهُ الشهير كلابروت (H. G. de Klaproth) ولد في برلين من اسرة شريفة سنة ١٧٨٣ وكان ابوهُ احد علماء الطبيعة المعدودين وآثر ابنهُ درس اللغات الشرقية ورحل الى روسية لهذه الغاية وتجوَّل في اقطار اوربَّة ثمَّ عاد الى وطنهِ فقلَّدتهُ الحكومة تدريس العلوم الشرقية فقام بمهنتهِ احسن قيام . وهو ممَّن سعوا في مقابلة لغات آسيا وبيان ائتلافها فألَّف في ذلك كتابًا كبيرًا ولهُ كتاب آخر في الاصول السامية (Asia Polyglotta) وقد صنَّف تآليف غيرها في معظم لغات الشرق وفي تاريخ امهِ وآدابها . وبرَّز خصوصًا في اللغات التترَّية والكرجية

واشتهر في زمانهِ المعلم هابخت (C. M. Habicht) ولد في برسلو سنة ١٧٧٥ وتوفي سنة ١٨٣٩ جاء باريس في عهد دي ساسي ودرس عليهِ وعلى الاب رافائيل المصري اللغة العربية ثمَّ عُهد اليهِ بتدريسها في بلدهِ وقد نشر مجموعًا من الرسائل العربية المكتوبة في مراكش ومصر والشام ونقلها الى اللاتينية ثمَّ طبع نخبةً من امثال الميداني وعلَّق عليها التعليقات الحسنة وهو اول من سعى بطبع كتاب الف ليلة وليلة فباشر بهِ سنة ١٨٢٥ وطبع منهُ ثمانية اجزاء قبل وفاتهِ ثم انجز الباقي منهُ المعلم فلَيْشر ولهابخت ترجمة المانية لهذا الكتاب مع عالمين آخرين من تلامذتهِ هاغن (V. d. Hagen) وشال (Schall) ولهُ ايضًا عدَّة مقالات في المجلَّات الشرقية

ومن افاضل المستشرقين الالمان الذين فقدهم العلم في هذا الطور جزنيوس (H. W. Gesenius) ولد سنة ١٧٨٦ ومات سنة ١٨٤٢ انقطع منذ صغره الى درس اللغات السامية فبرَّز فيها وصار في بلادهِ اماماً يُقتدى بمثلهِ ويؤخذ عنهُ قيل انَّ عدد حضور دروسهِ اربى في مدينة هالّ على الالف . وقد ترك آثارًا جليلة في اكثر اللغات الشرقية كالسريانية والكلدانية والفينيقية والحميريَّة والسامريَّة لكنهُ كان في العبرانية حجَّة ولهُ المعجم الكبير في ثلاثة مجلدات لا يزال العلماء يرجعون اليهِ وقد طُبع الطبعات العديدة . وكان يُحسن ايضًا العربية كما يظهر من مقالتهِ في المعجمين السريانيين والعربيَّين لبَر علي وبَرْ بهلول ولرسالتهِ في اللغة المالطية

واشتهر في هذا الزمان كاتب آخر من مستشرقي الالمان هـ . بولس (H. Eb. G.

Paulus) درس اللغات الشرقية في كليّة توبنغ ثمَّ في لندن وفي اكسفرد واشتهر في الدروس الكتابية وشرح الاسفار المقدسة مع كونهِ لم يعتقـد بالوحي. ولهُ من الآثار العربية كتاب مختصر في اصولها باللاتينية وسعى بطبع الترجمة العربية للكتب المقدّسة التي ألّفها سعدي الفيومي في القرن التاسع للميلاد وعلّق عليها شروحاً. كان مولدهُ سنة ١٧٦١ ووفاتهُ سنة ١٨٥٠

وعُرف ايضاً في هذا الطور الالمانيّ فراهن (C. M. Frahen) ولد في روستك سنة ١٧٨٢ وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ كان من كبار المستشرقين الالمـان واشتهر خصوصاً في معرفة النقود الشرقية القديمة ولهُ من التآليف نيف و٢٠٠ كتاب وقد نشر عدّة مصنفات عربية ونقلها الى اللاتينية اخصها رسالة ابن فضلان في الرُّوس نقلها الى الالمانية واضاف اليها ما وجدهُ في كتب العرب عن قبائل روسيا القديمة ومنها كتاب تحفة الدهر في عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقي انجزهُ بعـد وفاتهِ العلّامة مهرن (Mehren) ومنها مقالة ابن الوردي في مصر اخذها من كتابه خريدة العجائب. ولهُ ايضاً عدّة مقالات في النقود العربية

امّا الانكليز فعُرف منهم في هذا الزمان وليم مارسدِن (W. Marsden) كان مولده في دوبلين سنة ١٧٥٤ ثمَّ رحل الى سوماترا وبقي فيها مدّة ووضع تاريخهـا وكتب في اللغة المالزيّة واشتهر بكتاباتهِ في النقود القديمة والنقود الاسلاميـة وكان لهُ مكتبة شرقية كثيرة المخطوطات العربية اهداها الى خزانة المتحف البريطـاني. كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٦

ولم يبلغ احد في هولندة ما بلغهُ في هذه المدّة الاستاذ هماكر (H. A. Hama-ker) ولد في امستردام سنة ١٧٨٩ وتخرَّج على المستشرق ڤلمت (ص ٨٠٧) وتعلّم بزمن قليل اللغات السامية فضلًا عن سائر لغات اوربّة وانتدبتهُ الحكومة الى التدريس في كلية ليدن فعلّم هناك العربية والسريانية والكلدانية واحرز لهُ شهرةً قلما يبلغها العلماء وابقى آثاراً عربية متعدّدة منها وصف المخطوطات العربية في مكتبة ليدن ونشر قسماً من تآليف بعض مشاهير العرب كالواقديّ والمقريزي ورسالة ابن زيدون وتاريخ احمد ابن طولون. واشتهر كثير من تلامذتهِ (لهُ بقيّة)

الاحكام النهائيّة في القطاعات الرهبانية

لحضرة الخوري تيموثاوس جحّا احد تلامذة مدرسة القديسة حنة (الصلاحية)

ان الرسالة الزاخرة التي نشرناها في اعداد المشرق السابقة تستدعي لها ملحقاً ليعرف القرّاء ما جرى بعد ذلك من تساهل الرؤساء مع الرهبان الملكيين في امر القطاعات

ومما لا ينكر انَّ تلك الرسالة اتت وقتئذٍ بمنافع عديدة وافادت طغمة الرهبانيتين الشويرية والمخلصيّة واخمدت نيران الجدال القديم وفيما بعد أعدَّت الرهبان المخلصيين لقبول قانون القديس باسيليوس الكبير الذي ارسلهُ لهم رئيس الاحبار البابا بناديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٤٥ عقيب تعريبهِ عن اصلهِ اليوناني بهمّة الاب ثاوفيلوس فارس الحلبي احد رهبان مار يوحنا الشوير إذ كان وقتئذٍ في رومة. الّا ان اتحاد الرهبانيتين لم يتمّ لاسباب نضرب الصفح عن ذكرها

غير ان المناظرة في مادة ترخيص اللحوم للرهبانيات الشرقيّة اتّسع نطاقها في الرهبانيّة الشويرية المحافظة على العوائد والطقوس الشرقيّة ففتحت باباً واسعاً للقيل والقال ثم اتّصلت الى ان عمَّت جميع ابناء الرهبانية وخاصةً عقيب وفاة الطيب الاثر الخوري نيقولاوس الصائغ

ففي سنة ١٧٨٧ في ٤ ت ٢ عقدت هذه الرهبانية مجمعاً عامًا في دير القديس جاورجيوس الشير فاقامت الخوري اغناطيوس ارقش الحلبي رئيساً عامًّا فجرت في امر القطاعــات مباحثات طويلة اشغلت آباء المجمع الماً عديدة واخيرًا اجمع رأيهم على اطلاق اكل اللحم في الرهبانيَّة بنوعٍ علني وعمومي عقيب ان يقفوا على نيَّة السيد البطريرك ويستأذنوهُ بكل خضوعٍ واتضاع فكتبوا عرضاً بهذا الشأن وارسلوهُ صحبة الابوين القس اكاكيوس والقس بطارس فهذان اوضحــا لقدسهِ صوابيَّة اكل اللحم جهارًا بامر الطاعة واعربا لهُ عن افكار الاباء المدّبرين والرؤساء ولفيف الرهبان في هذا الشأن وان بتلك الواسطة تُحسم شرور كثيرة فحينئذٍ انعطف خاطر السيــد البطريرك واذن للرهبان الشويريين بمطلوبهم بموجب منشورٍ ارسلهُ لهم في ذلك الحين وهذه صورتهُ:

المجدُ للهِ دائمًا

ثاوضوسيوس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

بعد البركة الرسوليَّة الى الابناء الاحباء مجمع رهبان ماري يوحنا الاب العام الخوري بولس (١ الجزيل الاكرام والمدبرين الاكرمين وباقي اولادنا المكرمين

انهُ قد وصلنا العرض المقدم لنا منكم بواسطة اولادنا الروحيين القس كاسيانوس والقس بطرس المكرمين بخصوص التفسيح في هل اكل اللحم للرهبنة عموماً والاذن بذلك إذ كانت راحة الرهبنة بهذا التفسيح واستعمال اكل اللحم تحصُل بهِ الفائدة والراحة للرهبنة وحسم المقال والسجس الدائم وضيق الاوقات وكثرة الامراض وبخلاف ذلك اي بعدم استعمالهِ تُعدَم هذه الفوائد كلها فاذا كان هذا مطلوبكم الصوابي الشرعي كما لا يخبانا ذلك باعظم ما شرحتم فمن ثمَّ اذا كان يخصنا التفسيح في مثل هذا وغيرهِ فنفسح ونحلّ لجمعيتكم المذكورة عموماً رهباناً وراهباتٍ ان تأكلوا لحماً بسلامة الذمة وزوال كلِ فكرٍ مضاد إذ كنا قد رفعنا عنكم ما كنتم ملتزمين بهِ سابقاً حينما لم يكن مفيداً لكم من جهاتٍ كثيرة ثمَّ نباركم جميعاً ونحلكم من الالتزام السابق بسم الاب والابن والروح القدس امين

جرى بدير انطونيوس القرب (٢

في ٦ ت ٢ سنة ١٧٨٧

+ ثاوضوسيوس

محل الختم

البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

فبعد وصول هذا المنشور البطريركي ابتدأت الرهبانية ان تاكل لحماً بكل سلامة ضميرٍ وحينئذٍ بطلت تلك المخالفات التي كانت تصنع سراً . هكذا اقتبسنا من انوار السجلات الرهبانية التي بين ايدينا

وفي سنة ١٧٨٨ في شهر اذار انتقل السيد البطريرك ثاوضوسيوس الدهان الى رحمة الله في دير القديس انطونيوس القرب او القرقفة بموت صالح وخلفهُ السيد اثناسيوس جوهر على السدة الانطاكيَّة فهذا عقد مجمعاً في دير المخلص سنة ١٧٩٠ (٣ واصدر فيهِ اوامر عديدة تختص بالرهبان الشويريين من جملتها الامتناع عن تنـاول الزفر على

١) ان هذا الاب عند ارتقائه الى سدة الرئاسة العامة اتخذ اسم اغناطيوس وعُرف بهِ الى ان توفاهُ الله كما ذكرنا في مقالتنا السابقة على الرهبانيَّة الباسيلية الحلبية

٢) هو دير القديس انطونيوس الملقب بالقرقفة فوق قرية كفرشيما ابتنى فيهِ السيد ثاوضوسيوس محلًّا منفرداً جعَل فيهِ اقامتهُ مدة جلوسهِ على السدة الانطاكية

٣) راجع تفاصيل هذا المجمع في السنة التاسعة من هذه المجلة (ص ٩٢٩ الخ)

موائد الاديرة القانونيَّة فارسلوا اوقفوهُ على منشور البطريرك ثاوضوسيوس الدهَّان فعدَلَ عن نهيهِ ألَّا انهُ سمح للرهبان الشويريين ان ياكلوا لحماً مرةً واحدةً في كل سبَّةٍ وفي اربعة ايام المرافع (١ لا غير وهذا ما نصهُ لهم بالحرف:

انهُ اذ كان تناول الزفر في جمعيتكم امرًا ممنوعاً منعاً كلياً بموجب العهد المثقل الذي عاهدتموه على انفسكم حين ابرزتم النذور الاحتفاليَّة وقبلتموهُ وعليهِ اسس متقدمو هذه الجمعيَّة المباركة منذ الابتداء الرسوم والفرائض وارادوا ان تنالَ حظ التثبيت الاحتفالي فمن ثمَّ كان الامتناع عن الزفر بهذه الجمعية امرًا لازماً وواجباً كما هو رأينا ورأي اسقفكم (٢ واكثر اخوتنا الاساقفة المحترمين. الَّا انهُ اذ كان حضرة ولدنا الاب الخوري اغناطيوس الرئيس العام الجزيل الاكرام قد اوضح بمجمعنا هذا المقدس عدم امكان قبول هذا الامر كليًا وانهُ يوشك ان يحدث ضررًا وخراباً للرهبنة بمنعهِ وهذا الادّعاء نفسهُ تقدَّم للمجمع المقدَّس ونيافتهُ سلم الفحص عنهُ لمجمعنا البطريركي فمن ثمّ بعد ملاحظة الظروف كلها وحال الرهبنة والاوقات الحاضرة مع اعتبار قانون القناعة والامساك والتزام السيرة الرهبانية فقد اذن مجمعنا هذا المقدس باستعمال الزفر لجمعيتكم المباركة ضمن الاديرة القانونيَّة في كل سبَّةٍ مرة واحدة فقط اما نهار الاحد او في غير يوم من ايام السبة واربعة ايام المرافع لا غير. واماً استعماله فيكون بالنوع البسيط المنافي بذخ اهل العالم. الَّا ان المرضى الغير الاعتياديين فلهم ان يستعملوه حسب تدبير الاطبَّاء مدَّة تشويشهم امَّا المرضى الاعتياديون فتكفيهم تلك المرة في السبَّة مع امتناعهم عن الزيت واستعمالهم البياض المُباح لهم حسب تدبير الطبيب

وكان وقتئذٍ عُقدَ مجمع الرهبان الشويريين العام في دير الصابغ فلما أطَّلعوا على تلك الاوامر الشاقة اوقفوا اعمال الجمع العام وارسلوا يستعطفون خاطر السيد البطريرك فلم يرضَ بابدال ما سطرهُ لهم من القوانين الكنسيَّة والرهبانيَّة. حينئذٍ رفعوا دعواهم الى الجمع المقدس وكتبوا عرضاً مستطيلًا بهذا الشان واستمرُّوا على خطتهم الاولى في استعمال اللحوم

وكان راهبان من جمعية مار يوحنا الشوير يتعاطيان وقتئذٍ صناعة الطب في الرهبانية ويُعالجان اسقام الفقراء المجاورين إذ لم يكن اطباء في تلك الايام. فلما علما بالمنشور البطريركي توجَّداهُ وطلبا ان يُعفيا من استعمال تلك الصناعة في الاديرة وخارجاً عنها. الَّا انهما لم يلبثا ان قدَّما كلٌّ منهما عرضاً مستطيلًا فيهِ اوضحا لزوم

١) اعني في ٩ ك ١ وفي ١٦ حزيران وفي ٣١ تموز وفي احد مرفع الجبن قبل الصيام الكبير
٢) السيد اغناطيوس صرُّوف الذي كان سابقًا راهبًا من جمعية الشويريين

استعمال اللحوم في الاديرة القانونيَّة لسبب حصول الامراض المتنوعة بين الرهبان والعالميّين فكتب الاول اعني الاب الخوري اكليمنضوس الطبيب ما نصهُ :

ايها الاباء المحترمون

بعد تقبيل اياديكم والتماس دعاكم اعرض لجمعكم العام اني في حزن عظيم مع مرارة القلب من قبل بعض اشخاص لم يفهموا حقائق الامور التي ينسبونها الى المعلّم جبرائيل الطبيب والاخ زكّا والى الفقير وهي اننا نحن فسّحنا للرهبنة اكل اللحم وشرب الدخان بالاجازات التي اعتاد الاطباء اعطاءها للمرضى والحال انهُ في المجمع العام الذي عُقد بدير القديس انطونيوس القرقفة في ١ اذار سنة ١٧٨٥ قد قبلتُ انا الفقير بخضوع العقل ذاك الحتم الذي صدَر من الرهبنة بان لا احد يتناول لحماً ولو حصل في ضرورة الموت نفسها الّا انهُ في هذا المجمع المذكور ذاتهِ قد رذل هذا الحتم قدس السيد البطريرك ثاوضوسيوس المرحوم والسيد المطران اغناطيوس صروف وقالا باستعمال اكل اللحم في الرهبانية بدون خطر الضمير فحينئذٍ فنّدت الرهبنة تدبير هذا الامر قدس السيد البطريرك والرئيس العام الخوري ثاوفانوس القاضي فحُرر في اعمال المجمع العام وكان ذلك بحضور القاصد الرسولي السيد بطرس مورينا في الدير المذكور

وبما ان الانسان لا يحسن تبرير نفسهِ بل من الواجب ان ينال التبرير من غيرهِ فالفقير على ما يظهر لي ارى ان الامراض الحادثة في اغلب ابناء الرهبنة هي تبرّر لي ولغيري من الاطباء اذا عرضت على ذوي الخبرة . فاقول انه يوجد في الرهبنة والراهبات جملة اشخاص مبتلين بامراض الفالج واكثر من هؤلاء عدداً هم الواقعون في الامراض الصدرية كالسل وشبههِ مع نزولات ذات الجنب وذات العرض فهذا الداء قد افنى كثيرين في تلك البلاد ولقد تكاثر ايضاً جداً جداً في الرهبانيّة داء المراقياً (كذا) واضرَّ في عدد الرهبان والراهبات وكذلك اوجاع المفاصل بانواعها كالنقرس وغيره هذا ما عدا اوجاع العين التي فشت فيهم واذاقتهم مرارة لا تطاق فنهم من فقدوا بصرهم ومنهم من قاربوا تلك البلية العُظمى

فهذه الاوجاع الثابتة في الرهبنة والمعروفة عندي انا الفقير كما وعند غيري ايضاً بل وعند جميعكم ايها الاباء المحترمون اذا عُرضت على ارباب الاطباء وحُكم عليَّ بقصر الباع في امر علاج الامراض المنوَّه عنها وأُطلقت عليَّ الملامة فاكون ملاماً واماً الملامة التي تصدر من بعض اشخاص لا يفهمون حقائق تلك الامراض فلا اقدر احتمالها وان لي سبعة وعشرين سنة في خدمة اخوتي الرهبان والراهبات لم اسمع بها ان احداً يتداول الزفر بدون ضرورة كلية او جزئية وحقاً من كان يكتفي بالارزّ في ايام الصيام فلم نرخص لهُ بالسمن وكذلك من كان يكتفي بالسمن فلم ناذن لهُ باللحم

ومع هذا فانا كُنا حافظين مع الاذن بتناول الطعام قانون القناعة وملاحظين الامر الذى لا بُدَّ منهُ نظراً الى التشويش الحاصل لذاك الشخص بالكمية والكيفية

فاملي من قدسكم ان تعفوني من هذه الوظيفة اي من تطبيب الرهبان والراهبات لاني اذا اذنت لهم بتناول الزفر حسبما تقتضيهِ صناعتي اكون ملاماً وان لم اسمح لهم بذلك فبالحقيقة اكون

ظلمتُهم وانهُ لم يعُدْ لي قلبٌ للاحتمال لاسيما بعد وقوفي على منشور السيد البطريرك اثناسيوس الآمر بهِ بالحتم تحت الخطإ ان لا يصير تناول الزفر الآمرة في كل اسبوع مع ايام المرافع الاربعة اما انتم فارتأيتم ان يكون هذا الاستعمال جاريًا مرتين لا غير في كل سبة

فناشدتكم الله اذا تناول الزفر اصحاب تلك الاوجاع مرّة واحدة في الاسبوع وفي بقية ايام السبة تناولوا العدس والفول والخلوطة وما اشبه ذلك فهل يستفيدون من تلك الاكلة الواحدة او هل تلك الاكلة المفردة يقوم نفعها بمقام ضرر تلك الاكلات جميعها في باقي ايام السبة

وان بهذا كفاية لذكاء فهمكم والفقير بكل خضوع طائع لمجمعكم غير ان املي وطيد بان ترفعوا مني هذا الثقل الباهظ الذي لا اقدر احتمالهُ مع سلامة الضمير ودمتم لتلميذكم

حرر في ٦ ك ١ سنة ١٧٩١ القس اكليمنضوس

الطبيب

قب

فهذا العرض اتبعهُ الاخ زكا الطبيب الراهب القانوني بعرض آخر باسمهِ واثبتهُ كما ياتي :

اني اشهد بموجب ذمتي ومقتضى معرفتي بصناعة الطب واطلاعي على جميع هذه الامراض المشروحة بانهُ يجب ذمةً تناول الزفر في الرهبنة حيث ان اكثر ابنائها رهبانًا وراهبات حاصلون على هذه الامراض المشروحة من القس اكليمنضوس الطبيب ثم انهُ بموجب حتم منشور قدسهِ ان لا احد يتناول الزفر الآمرة بالاسبوع يلزمنا ان نمتنع عن معاطاة الطب مع ابناء الرهبنة لاجل سلامة ضميرنا حيث انهُ انحجز عنا الاذن بما تقتضيهِ صناعتنا تلميذكم

الاخ زكا

الطبيب

قب

اما الرهبانية فما زالت مواظبةً على الخطة التي تبعتها سنة ١٧٨٧ عقيب المنشور البطريركي الذي اثبتناهُ سابقًا بالحرف وحتى الان تستعمل اكل اللحوم في الاديرة القانونية ثلاث مرات في السبت يوم الاحد ويوم الثلثا ويوم الخميس أمّا يوما الاثنين والسبت فالرهبان يتناولون البياض واما يوما الاربعاء والجمعة فينقطعون عن اللحم والبياض وياكلون طعامًا بزيتٍ غير انهم لا يبرحون عن ممارسة القطاعات الثلاث التي ذكرناها سابقًا كما وانهم لا يفترون ايام الصوم الاربعيني في التعبد لله عزَّ وجل محافظين على الصيام الطبيعي ومنقطعين عن الزفرين

هذا وانهم لا ينقطعون عن استعمال اللحوم ايام المرافع حتى وفي الاعياد السيدية والممتازة ولا يمنعون المرضى عن ذلك بل يجرون بالعمل على مشورة الطبيب واوامرهِ

ولقد حكم في ذلك حكماً نهائيًا السيد البطريرك مكسيموس مظلوم في منشورهِ المرسل الى الرهبان الباسيليين الحلبيين وهـذا قولهُ عن النسخة الممضاة بختمهِ بحرفها الواحد:

المجد لله دائمًا

مكسيموس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي وسائر المشرق

اعلامٌ بالرب لكل مطّلعٍ عليه او سامع اياه وهو

انهُ لقد عرض لدينا ما ياتي شرحهُ وهو:

اولًا ان اولادنا الاعزّاء رهبان الثلاث الرهبنات الباسيلية القانونية التي في طائفتنا الروم الملكية الكاثوليكية لا يحفظون في اديرتها التي للرهبان والتي للراهبات طريقةً واحدة متساوية بخصوص قطاعتي عيد الميلاد الشريف وعيد الرسل القديسين الاطهار بل اخص في بعض الاديرة يتمّمون هاتين القطاعتين حسب طقسنا اليوناني القديم خلوًا من تفسيح ما واما سكان باقي الاديرة فيطلبون وينالون من اساقفتهم تفسيحات سنوية اكثر او اقل حسب الاحتياج

ثانيًا انه في اناطيش هذه الرهبنات فسكانها الرهبان يشتركون بالتفسيحات السنوية التي تُعطى للعالمانيين بغير تفسيحٍ خصوصي لهولاء الرهبان

ثالثًا ان البعض منهم القاطنين في الديورة الحافظين القطاعتين المرقومتين بموجب الطقس عينه فحينما يتوجّه اناسٌ منهم بالاذن القانوني الى اناطيشهم لاجل بعض مصالح فيشاركون سكان الاناطيش بالتفسيحات ولئن كانوا ابتدأوا بالقطاعة اياماً ما قبل انتزاحهم عن تلك الاديرة وهذا يفعلونهُ بمجرد الاشتراك مع اخوتهم او مع الرعية خلوًا من تفسيح خصوصي لهم ولمّا يرجعون الى اديرتهم قبل زوال ايام التفسيح فيعودون الى القطاعة

رابعًا انه يحدث للرهبان الذين بامر الطاعة القانونيـة ينتقلون من دير تكون ابتدأت فيه القطاعة كحسب الطقس الى دير اخر تكون سكانه فائزين بالتفسيح فيشاركونهم بهِ بدون اذن خصوصي

خامسًا ان هذا نفسهُ يتمّ مع اولئك الكهنة الرهبان او الشمامسة الرهبان الذين في بحر القطاعتين المرقومتين بعد ان يكونوا ابتدأوا بهما بموجب الطقس يرسلون وقتئذٍ الى خدمة الرسالة او الى تعليم الاولاد في المكاتب فيشتركون بالتفسيحات السنوية الجارية عند الرعايا في الامكنـة التي هم ينطلقون اليها بغير نوالهم لذواتهم التفسيح اللازم

سادسًا واخيرًا انهُ حاصل تشكي صوابي من سكان الاديرة التي فيها تُحفظ القطـائع بدون تفسيح وتشكيهم هو من عدم حصولهم بسهولة على الاشياء القطاعية في الوقت نفسهِ الذي فيهِ سكان الاديرة الأُخر ينالون التفسيح مع ان الاشياء القطاعية توجد هناك باكثر سهولة جدًّا وهذه الظروف كلها تسبب بلبلة وتذمرًا لاجل عدم حفظ المساواة فيما بين سكان الاديرة كافةً كما انها تسبّب نوعاً

من تعب الضمير لاولئك الذين كما اشرنا آنفاً يشتركون مع الغير بالتفسيحات السنوية من دون اذنٍ خصوصي لهم من السلطة الاسقفية . ومن ثمَّ وردت الينا تقارير في هذا الشان من اولادنا رهبان بعض الاديرة تشير الى ما تقدم ذكره وتتضمَّن التماسهم منا تدبير طريقة المساواة فيما بين سكان الاديرة عموماً

فنحن قد كتبنا الى حضرة اولادنا الاعزاء روساء عام الثلاث الرهبنات الجزيل اكرامهم طالبين منهم ان يعرفونا حقائق سلوك رهبان اديرتهم بهذا الخصوص فوردت الينا منهم الاجوبة مؤرخة في ٢٦ ت ٢ المنتهي وفي ٢ كانون الاول الحاضر ثم في ١٠ منهُ ومن تلاوتنا اياها تحقَّق لدينا وجود الستة الظروف المقدم شرحها ومن ثم رأينا ضرورياً ان نرسم طريقة المساواة فيما بين اعضاء الثلاث الرهبنات المذكورة اجابة للالتماس المنوَّه عنهُ وصداً لاسباب التشكي وراحةً للضمائر ومنعاً لحدوث البلبلة ومراعاةً لسكان الاديرة البعيدة عن البنادر وملاحظةً للفصول السنوية واشفاقاً على كثيرين من الرهبان المتقدمين في السنّ او المتوبين نوعاً في صحتهم ولهذا بسلطتنا البطريركية قد منحنا ونمنح التفسيح لجميع اعضاء الثلاث الرهبنات الحلبية والشويرية الحلبية والشويرية البلدية رهباناً وراهبات بالصورة الآتي شرحها وهي :

اولاً ان جميع الذين من اعضاء هذه الثلاث الرهبنات يقطنون في اناطيشها او يتمتعون بانعام خدمة الرسالة في الرعايا او يخدمون المكاتب فهؤلاء كلهم يشتركون بالتفسيحات السنوية التي تعطى للعالمانيين سكان الاماكن

ثانياً كل الرهبان الذين باذن الطاعة القانونية يذهبون الى الاناطيش الى خدمة الرسالة فهم ايضاً داخلون في انعام التفسيحات المرقومة خلواً من تعب الضمير

ثالثاً في جميع اديرة هذه الرهبنات فلتكن قطاعة عيد الميلاد الشريف خمسة عشر يوماً فقط وقطاعة عيد الرسل الأطهار فلتكن اثني عشر يوماً لا غير

رابعاً جميع سكان هذه الاديرة يستطيعون ان يستعملوا اكل السموكات في ايام قطاعات السنة كلها وفي ايام الاربعاء والجمعة وفي ايام البارامونات ثم في الصيام الكبير المقدس نفسهِ بدون استثناء

خامساً انهم يستعملون اكل الزفر في جمعة البياض عينها ما عدا يومي الاربعاء والجمعة منها بياضاً وقد منحنا هذه التفسيحات لسكان الاديرة تحت الشروط الاتي شرحها وهي :

اوَّلا انه في الايام التي فسَّحنا فيها من قطاعتي عيد الميلاد والرسل خارجاً عن الخمسة عشر يوماً وعن الاثني عشر يوماً الباقية يلزمهم ان يكتفوا باكل الزفر يومين في كل سبتٍ وهما يوما الاحد والخميس ثم ياكلوا في ايام الاثنين والثلثاء والسبت بياضاً

ثانياً ينبغي لهم ان يحفظوا جميعاً القطاعة عن الزفرين في ايام الاربعاء والجمعة في مدار السنة كلها حفظاً مدققاً (ما عدا جمعة الفصح المجيد وجمعة العنصرة وجمعة المخالفين والاثني عشرية من الميلاد الى الغطاس) لأن هذه القطاعة هي من التقليدات الرسولية ولأن حفظها لا يضرّ الصحة لوجود نهار الخميس فاصلاً بين الأربعاء والجمعة ويؤكل فيه الزفر

ثالثاً انهُ في الأيام التي فسحنا لهم باكل الزفر فيها ينبغي ان يصير الاكتفاء باكلة واحدة زفرية ضمن الاربع والعشرين ساعة اما في الغداء واماً في العشاء ولتكن الاكلة الثانية اماً قطاعية من الزفرين واماً بياضاً

رابعاً ان اكل السمك يجب ان يكون كذلك في الايام القطاعية اي مرةً واحدة فقط في اليوم الطبيعي وتكون الاكلة الثانية خالية من السموكات وبهذا السلوك يحصل نوع ما من التمييز فيما بين العيشة الرهبانية وبين العيشة العلمانية

خامساً يلزم ان تُتلى هذه التفسيحات كلها مرةً واحدة في كل سنة يوم عيد الختان السيدي في كنائس الاديرة جميعها لكي يُعرف من ذلك انما هي تفسيحات سنوية لأجل الاسباب المقدَّم ايرادها وليست هي تفسيحات دائمة مؤبدة ومن ثم يُفهم ان شريعة الصيامات والقطاعات في طقسنا اليوناني لم تزل في قوتها والزامها وانهُ يعطى التفسيح في بعض اجزائها كما شرحنا لاجل الاسباب المرقومة اعطاء سنوياً لا ابدياً فاثباتاً لجميع ما اعلنَّاه في منشورنا الحاضر قد امضيناهُ بخط يدنا ممهوراً بختمنا صانعينهُ ثلاث نسخ اصلية مرسول كلٌّ منها الى رئيس عام رهبنةٍ من الثلاث الرهبنات المذكورة لكي يوجّه هو عنهُ الى كلٍ من اديرة رهبنتهِ صورة مسجَّلة منه صح صح

اعطي من الديوان البطريركي في اليوم الخامس عشر من شهر كانون الاول ختام سنة خمسين وثمانماية والف في مدينة بيروت محل الختم مكسيموس

البطريرك الانطاكي
والاسكندري
والاورشليمي

هذا ما استطعنا الاطلاع عليه في شأن هذه العوائد القديمة العهد والممدوحة من الاحبار الرومانيين ومن متقدمي المجمع المقدس خاصةً في الجيل الثامن عشر ولعلَّهُ فاتنا شيء من تلك الاخبار فنطلب الى المطَّلعين عليهِ ان ينشروهُ ولهم منا مزيد الفضل والامتنان وعلى المولى الاتكال في كل حال

كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

ودونك ابواباً اخرى من هذا الكتاب الظريف الذي مرَّ لنا وصفهُ فانها كلها تنطق بحكمة كاتبها وحسن نظرهِ ولعلَّ اشياء كثيرة يخدع بها الباعة حتى يومنا

الباب الخامس في السوقة

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفاً ويأمر احدهم ان لا يقدّم فرشه خارجاً عن مسطبتـهِ بشيء وان

يجعل فراش اكبرهم الى داخل حانوتهِ واذا اجلس البياع على ميزانهِ صبياً دون البلوغ اشترط على معلمهِ انهُ اذا بخس كانت العقوبة واقعة بهِ دون صبيه وبعد الشرط فلا يمنع الصبي التعيُّش. ويعيّر موازنهم (موازينهم) وصنجهم واقداحهم. . . وينبغي اذا شرع في الوزن ان يُسكن الميزان ويضع فيها البضاعة ولا يهمز حافة الكفة باجسامهِ فان ذلك بخس وتدليس . . . ويكون سائر ما يكتالون بهِ مختوماً بالرصاص منقوشاً في طرفها اسم الامام لئلا يبردوا روؤس المكاييل بعد العيار فتنقص ويكون سائر ما كال بهِ واسعه اسفلهُ (كذا) او قريب منهُ ويتفقدُها بعد ذلك كل قليل لئلا يصبَّ فيها ما ينقصها مثل الجبس وغيره وربما حُشيت اواقي (اواني) الزيت التي يطوفون بها البيعة (كذا) والمكاييل بالقير في اسفلها ويقلعها اذا خاف. ويُلزمون ان تكون موازين الارطال متعرضة في قوس الدكان ليشاهد الزبون ما يحمل بهِ من الارطال عند الوزن والماكولات ويمنعهم ان يجعلوا في كفَّة الميزان خيطاً من حلفاء فانهُ يمنعها النزول ويجنبها بسرعة الرجحان. . (20) ويكون جميع موازينهم واوعيتهم التي لأطعمة الناس نضافاً (كذا) مصوناً بالأغطية والشدّ عليها ويُمنعوا ان يسقوا الجبن النساري بالزيت الطيب ولا بالسيرج لانهُ تدليس وربَّما بخُّوهُ بافواههم فيكون ذلك ضرراً لمن يأكلهُ ولا يغسلوا الجبن الحلسى (كذا) في مظاهر (مطاهر) الحامات ويتبع من يرطّب التمر بالماء. وكذلك باعة الزيت يمنعون من بخهِ بالماء. وينهاهم عن بيع ما دوَّد من البطيخ والقثاء والتين والرُّطَب وما قد تناهى نضجهُ حتى يجرى قشرهُ من جميع ذلك. ويكون ملاعق بيع الصابون من خشب فانَّ صدأ ملاعق الحديد يُبقي الصابون فانَّ طبوعهـا محرقة لما يتعلّق منهُ في الملابس. ويعتبر عليهم الزيوت في زمن نفاقها فان (كذا) تُغش بزيت القرطم في زمنهِ الّا انَّ لهُ دخاناً عظيماً في النار. وهو يُخلط في السيرج لوقتهِ (لرقّتهِ). وكذلك زيت الحسّ وهو يعرف بخفتهِ في الوزن ورقتهِ في الوعاء وشمهِ اذا مُسح بهِ على ظهر اليد. وقد يخلط السيرج بالزيت للانفـاق اذا غلى (غلا) سعرهُ وجسمُ السـيرج اخف من جسم الزيت فلا يمكّنهم من ذلك فانهُ غش وتدليس

واذا غشُّوا الخل بالماء اغمس فيهِ حشيشة (21) من الرسن فانَّها تشرب المـاء وتنقلهُ دون الخل. ومن معرفتهِ ايضاً اذا صُبَّ الخلّ الخالص على الارض نشَّ واذا كان معيوباً لم ينشَّ. ومن معرفتهِ ايضاً خذ خوصة اطليها (اطلها) بدهن او بزيت ثمَّ اغمسها في الخلّ فان خرجت وعليها خل ففيهِ ماء وان خرجت ملساء ليس عليها شيء فليس فيهِ ماء. وكذلك اللبن الحليب اذا كان فيـه الماء اغمس فيهِ شعرة فانهُ لم يطلع منهُ عليها شيء واذا كان خالياً من الماء طلع اللبن عليهـا مكللاً. وكذلك اذا غمست فيهِ الريش فانهُ يشرب الماء دون اللبن فتمصهُ فيخرج في فيك واذا كان بلا ماء فانك تمصها ما يخرج منها شيء. ومن معرفتهِ ايضاً اذا قُطر منهُ على خرقةٍ سال كالدهن وجرى واذا لم يكن فيهِ ماء وقف

ثمَّ يتتبع المؤلف في هذا الباب مبيعات اخرى من الخضر والبقول التي يخدع بها الباعة ليكون المحتسب على بصيرةٍ من امورهم ويردعهم عن ذلك . ويلي هذا الباب باب آخر في الجزّارين والقصابين فيصف كيف يكون ذبح المواشي وطرائق التدليس في

بيعها وتمييز اللحوم والشحوم عن بعضها . ونضرب الصفح عن عدّة ابواب مفيدة لا يسمح لنا المكان باثباتها كباب الشوّائين وباب الهرائسيين والزلبانيين اي باعة الهريسة والزلابية وباب الطباخين وفيهِ من الملحوظات الدقيقة التي تبيّن ضروب مكر بعضهم في الطبخ وينبّه الكاتبُ العريف عليهم بان « يطالبهم بنظافة آلاتهم كلها وغسلهـا كل يوم بالماء الحارّ والاشنان » ثمّ يذكر اسطرًا من كتاب للكندي في كيمية الطبخ تثبتها لئلا تضيع قال (ص ٣٣) :

وقد وجدتُ في الرسالة التي تُعرف بكيمية الطبيخ التي ألفها (34) يعقوب بن اسحـاق الكندي الى المتضد الوانًا تُطبخ من غير لحم . وقلايا كبودٍ من غير كبود . ومج (ومخ) من غير مخ . ونقـانق من غير لحم . وعجةً من غير بيض . وجواديب من غير جبن ولا ارز . وحلاوة من غير عسل ولا سكّر . والوانًا كثيرة من غير عناصرها يطول شرحها وليس يُهتدى الى دقة صناعتها حوفًا (خوفًا) من التنبيهِ على عملها رجاء لثواب الله تعالى »

ومثل هذا الباب في فائدتهِ باب الحلوانيين اي عملة الحلوى والناطف والقطـائف وغشهم لمركّباتهـا كابدال العسل برب العنب او بالدبس وخلط الفالوذج بدقيق الارز ودقيق العـدس . ولهُ ثلاثة ابواب في باعة السمك وقلّانيه . ويذكر انواعًا من السمك كالصير والبوري ما يدل على انّ المؤلف وضع كتابهُ في مصر . ويؤيد ذلك تقريرٌ للخليفة الفاطميّ الحاكم بامر الله اوردهُ في باب الجزّارين . ومن الابواب الظريفـة « باب صيّادين السمك والعصافير » وباب الطحانين وهو التاسع عشر يقول فيهِ (ص ٤٣) :

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفًا ثقة ويامرهُ ان يكون في كل طاحون ميزان خشب نظير موازين الجبس واوزانهِ وكلّابهِ كما شرطنا في موازين الجبس يوزن بهِ القمح اذا ورد والدقيق اذا صدر ويُشدّ على اذن كل قفّة لوح صغير ويُكتَب فيهِ اسم صاحبهـا ووزنهُ فاذا صحّ الوزن زالت التهمة وارتفع الشكّ . وتكون (44) الحجارة التي يوزن بها القمح مجلّدة معايرة مختومة بالرصاص مكتوبًا عليها بالحبر بخطّ المحتسب اوزانها . ويشترط على المتاجرين من الطحانين اعتدال موازين الحجارة لانها اذا رُفعت خفّت على الدواب وجرشت الدقيق واذا وُضعت سحقت واضرّت بالدواب وانما يكون الميزان معتدلًا حتى لا يقع الضرر ويصلح حـال الدواب ويطيب الدقيق من غير حيف على الجهتين . ويُحلّفوا ان لا يخونوا احدًا في قمحهِ . ومنهم من اذا وُزن عليهِ زنبيل قمح افرغهُ في القادوس وبلّ اسفل الزنبيل بالماء واخذ بمقدار بللهِ من ذلك الدقيق يُفعَل هذا بقفاف كثيرة ويستحلّون ذلك فيحلّفوا ان لا يفعلوا ذلك ولا يأمروا من يفعـل لهم ذلك . ثمّ يوصي بعد ذلك ارباب دوابّ العمل ان يتّقوا الله تعالى في ترفيهها في كلّ يوم وليلة بحاجتها الى الراحة والسكون . . . .

ويليه الباب العشرون في الفرّانين فيوصيهم باشياء كثيرة منها « ان يرفعوا بنيان مداخنهم بالبرابخ فتُعلى بحيث يخرج دخانها مرتفعاً عن دور مجاوريهم » — ومن الابواب التي تستحقُّ الذكر الباب الخامس والعشرون في الحمّامات وما يلحق بها افتتح الباب بذكر منافع الحمامات ومضارّها وان لم يكن ذلك من قبَل الحسبة اورده ُ للانتفــاع بهِ ومعرفتهِ قال (ص ٥٠) :

وجدتُ قال بعض الحكماء خير الحمّام مـا قدم بناؤهُ واتّسع جواهُ وعذب ماؤهُ وقدَّر الوقّاد وَقُودهُ بقدر مزاج مَن اراد ورودهُ . واعلم انَّ الفعــل الطبيعيَّ للحام الحســن لهوائهِ والترطيب بمائه . فالبيت الاوّل مبرّد والثاني مسخّن مرخٍ . والثالث مسخن مخفف . والحمام يشتمل على منافع ومضارّ فامّا منافعها فتوسع المسام وتستفرغ الفضلات وتحلل الرياح وتحسّن الطبع عن السهولة وتنظف الوسخ والعرق وتُذهب الحكَّة والجرب والإعياء وترطّب الدمــاغ وتجوّد الهضم وتنضج النزلات والزكام وتنفع من حمايم (كذا) يوم ومن حمّى الدق . واما مضارُّها عند طول القيام فيها فانها تسقط شهوة الطعام وتضعف الباه واعظم مضارّها صبّ الماء الحار على الاعضاء الضعيفــة وقد يُستعمل على الريق والخلاء فيخفّف تخفيفاً شديداً ويهزل ويضعف وقد يُستعمل الحمّام على قرب عهد بالشبع فيسخن البدن الّا انها تحدث مدداً (51) واجود ما استُعمــل الحمّام على الشبع بعد الهضم الاوّل فانهُ يرطب البدن ويسمّنهُ ويحسن بشرتهُ

ثمَّ ينتقــل الكاتب الى ذكر ما يلزم ضامن الحمام وحرّاسها والبلّانين والمزينين والوقادين وباعة النورة وها نحن ننقل من اقوالهِ برضاً من عدّ :

وينبغي للمحتسب ان يامر ضامن الحمام بنظافتها وكنسها وغسلها بالماء الطاهر غير ماء الغسالة يفعلون ذلك كل يوم مرّتين ويدلكون البلاط بالاشياء الخشنة لئلّا يتعلّق بهــا السدر والخطمي والصابون فتزلق عليها ارجل الناس . ويغسلون الخزانة من الاوساخ المجتمعة في مجاريهــا والعكر الراكد في اسفلها كل شهر مرّة لأنها ان تُركت اكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطعم والرائحة . . . . ويبخّر الحمام بالفحم واللُبان في كل يوم مرتين لاسيا اذا شرع في كنسها وغسلها (52) ومتى بردت الحمام فينبغي ان يبخرها بالخزامى فانهُ يُحمي هواءها ويطيّب رائحتها وفي ايّام الشتاء يزيد في بخورها الميعة اليابسة . . . . ويأمر ضامن الحمّام ايضاً بان يجعل عندهُ ميازر يكريها او يعيرها لمن يجتاز (كذا) فانَّ الغرباء والفقراء قد يحتاجون الى ذلك فانَّ كشف العورة حرام . . . . ويمنع من الدخول اليها الاجذم والابرص واصحاب العاهات الظــاهرة ولا يدع الاساكفة تغسل فيها الجلود فانَّ الناس يتضرَّرون برائحة الدباغ . . . . . (53) واذا اخــذ الحارس اجرةً على حفظ ملابس الناس وعُدم شيءٌ منها لزمهُ غرمه . . . .

وفيهِ للمزينين والحجامين :

وسبيل المزيّنين ان يصلحوا لحية كل احد على مقدار ما يليق بوجههِ وان يكون حديدهم رطباً

قاطعاً ويأمرهم ان لا يحلقوا راس صبي دون البلوغ الّا باذن وليّهِ ولا يحلقوا ذقن مخنث ولا يزينوا لهُ صدغاً ولا لغيره من المردان والاحداث ولا يعمّقوا شرط (مشرط) الحجامة لئلا يقطعوا ما تحتها من الشريانات الرقاق . . . .

ويليها ابواب في الكتّانيين والحريريين والقطّانين والقلانسيين والخياطين والسماسرة والبزّازين والغسّالين والقصّارين والمطرّزين والرفائين . ومن اجود ابواب هذا الكتاب ثلاثة ابواب طويلة من الصفحة ٦٣ الى ٨٠ في الصيادلة والعقاقير ثمَّ في الاشربة والمعاجين ثم في العطر والعطارين نؤجل نشرها برمّتها لفرصة أُخرى ان شاء الله . ولا يخلو البابان التاليان في الصيارف والصاغة من فائدة . وفي اثرهما الباب الثالث والاربعون في الاطباء والفصادين يقول في اوّلهِ (ص ٨٣) :

ينبغي انْ يكون المقدَّم على الاطبَّاء والمرجوع اليهِ منهم مَن كثرت حرمتهُ وتبالغت تجربتهُ ويحلف عا لا له منهُ كفارة ان يطالب سائر الاطبَّاء عا شرطهُ يوحنا بن ماسويه المطبب (المتطبب) في كتابهِ المعروف بمحنة الطبيب فمن وجدهُ قيّماً بجميع ما حوتهُ شروطهُ فصلًا فصلًا امرهُ في معيشتهِ واعلمهُ انهُ قد احسن وانهُ اذا لم يطالبهُ عا شرطهُ جالينوس في محنة الطبيب انهُ (كذا) لا يكاد ان يقوم بذلك كثير منهم ومن كان بضد ذلك صرفهُ عن هذه المعيشة ويُمضى للدروس فيلزَم قراءة الكتب قبل انتصابهِ لمداواة الناس لما في ذلك من الضرر الواقع بالمريض فقد بلغني ان ملوك الاكاسرة جعلوا الاطبَّاء الذين يختصّون بهم ويتيقّنون فضيلتهم ولاة على سائر المتطببين وكانوا يمتحنون من يريد الجلوس للناس فمن وجدوهُ قيماً عا التمسهُ طبائعياً اباحوه ذلك وكتبوا لهُ رقعة الى المحتسب بجلوسهِ وان كان (84) بالضدّ صرفوهُ . وينبغي ان يُقرأ عليهِ ما شرطهُ بقراط على نفسهِ وعلى سائر المتطببين ويحلّفهم عليهِ وعلى انهم لا يعطوا (كذا) لاحد دواء قتّالًا ولا يشيرون بهِ ولا يعطوا النسوان ما يسقط الاجنّة . . . وليغضّوا ابصارهم عن المحارم عند دخولهم الى المرضى ولا يفشون الاسرار ويهتكون الاستار ويكون عندهُ آلات الطبّ مكمَّلة . . . ويتشاوروا اذا عرض مرضٌ يُشك فيهِ ويحتلف عليه حتى يطابق على مداواته . . . .

ثمَّ يتسع المؤلف في شروط الفصادة والحجامة لكثرة استعمالها في ذلك العهد ويذكر بالتفصيل ما ينوط بهما . وقد الحق بهذا الباب ثلاثة ابواب اخرى في الكحل والكحّالين وفي المجبّرين للعظام المكسورة وفي الجرائحيّين . ثمَّ يخصّ باباً بالبيطرة دونك منهُ بعض اسطرٍ (ص ٩٥) :

اعلم ان البيطرة علم جليل سطّرتهُ الفلاسفة في كتبهم ووضعوا فيها كتباً على انها اصعب علاجاً من امراض الآدميين لأنَّ الدواب ليس لها نطق تعبّر بهِ عمَّا تجد من المرض والالم وانما يُستدلّ على عللها بالجسّ والنظر فيفتقر البيطار الى حسّ وبصيرة بعلل الدواب وعلاجها فلا يتعاطى

البيطرة الّا من لهُ دين يصدُّهُ عن الدواب بفصد او قطع او كيّ او ما اشبه ذلك بغير خبرة فيؤدي الى هلاك البهيمة وعطبها. وينبغي للبيطار ان ينظر رسغ الدابة ويعتبر حافرها قبل تقليمهِ . . . (96) . . . وينبغي ان يكون البيطار خبيرًا بعلل الدواب ومعرفة ما يحدث فيها من العيوب فانَّ الناس ترجع اليهِ اذا اختلفوا في الدابة وقد ذكر بعض الحكماء في كتاب البيطرة في علل الدواب ثلثمائة وعشرون (وعشرين) علّة . . . .

وبعد هذا ابواب عديدة في صنائع لا يسعنا الّا ذكر اسمائها كصبّاغي الحرير والغزل والخرّازين والحنّاطين اي باعة الحنطة وفي صنَعة الشرابات وفي باعة الأبزار وباعة الخشب والزفّاتين والحدّادين والمساميريين والنحاسين والنجارين والبنائين والنشارين والنخّاسين اي باعة العبيد وباعة الدواب والدلّالين والدهانين والزجّاجين والنخّاتين والدبّاغين. ومما استحسناهُ الباب الخمسون في الاساكفة وصناع الأخفاف قال (ص ٩٨):

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفًا ثقة عارفًا ويامرهُ ان يمنعهم من عمل العتيق ويطرّوه (ويطرّونهُ) ويبيعونهُ جديدًا وان لا يكثرون (يكثروا) حشو الخرق بين البشتيك والبطانة ولا بين النعل والظهارة وان يشدّوا حشو الاعقاب ولا يشدّون (يشدّوا) نعلًا قد احرقتهُ الدباعة (الدباغة) ولا فطيرًا لم ينضج ولا اديمًا فاسدًا ولا مسوسًا ولا معيوبًا وان لا يحكموا ابرام الخيط ولا يطولونهُ (يطوّلوهُ) اكثر (99) من ذراع الّا انهُ (لأنهُ) اذا طال انسلخ وانتقض ابرامهُ وضعُف من الجذب ولا يخرزون (يخرزوا) بشعر الخنازير ويجعلون عوضهُ ليفًا او شارب الثعلب فانهُ يقوم مقامهُ ولا يُمطلون (يمطلوا) احدًا بمتاعهِ الّا ان يشترطوا عليهِ ايّامًا معلومة فانَّ الناس يتضرّرون من التردّد اليهم وان لا يعملوا الوزق (كذا) في الاخفاف كي يصير (لعلّها: يصرّ) عند المشي كما كانت تفعلهُ نساء بغداد فيمنع المحتسب من عملهِ

وقال في الباب الرابع والسبعين في معلمين الصبيان ومعلّمات البنات ما ننقل اسطرًا منهُ (ص ١١٩):

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفًا ثقة لهُ دين يمنعهم من التعلم في المساجد . . . لانهم يسوّدون حيطانها وينجّسون ارضها . . . بل يتخذون التعليم حوانيت في اطراف الاسواق او على الشوارع ولا يعلّموا في بيوتهم ولا في دهاليزهم . واوّل ما ينبغي للمؤدب ان يعلّم الصبي السُّوَر القصار من القرآن بعد حدقهِ (حذقهِ) بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ويدرّجهُ بذلك ثمَّ يعرّفهُ عقائد السُّنن ثمَّ اصول الحساب وما يُستحسَن من المراسلات والاشعار دون سخيفها ومُسترذلها وفي الرواح (الزواج) . يأمرهم بتجويد الخط ويكلّفهم عرض ما املاه عليهم حفظًا غائبًا ومن كان عمرهُ سبع سنين امرهُ بالصلاة في الجماعة فانَّ النبي صلعم قال : علموا اولادكم الصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر. ويأمرهم ببر الوالدين والانقياد لامرهما بالسمع والطاعة (120) والسلام عليهما وتقبيل اياديهما عند الدخول عليهما ويضربهم على اساءة الادب والفحش من الكلام وغير ذلك من الافعال الخارجة عن قانون الشريعة مثل اللعب بالكعاب والبيض ونردشير

(يريد لعب النرد من العاب القار) وجميع انواع القمار (القار) ولا يضرب صغيراً بعصاً غليظة تكسر العظم ولا رقيقة توئلم (نظن الصواب : لا توئلم) الجسم بل يكون وسطاً ويتخذ محلاً (كذا) عريض السّير ويعتمد بضرب به على اللوايا (كذا) والافخاذ واسافل الرجلين لأنّ هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا علّة ولا غائلة . ولا ينبغي للموءدب ان يستخدم احدًا من الصبيان في حوائجهِ واشغالهِ . . . ومتى جعل عليهم عريفًا جعلهُ ممّن يوءنس رشدُهُ وعفافهُ ويمنعهُ من ضربهم والحيف عليهم ويراعا (ويُراعي) طعامهم وقت جوعهم . ولا يعلم الخطّ لامرأة ولا لجارية لأنّ ذلك ممّا يزيد المرأة شرًّا(١ وقد (121) قيل انّ المرأة التي تتعلم الخط كمثل الحية تُسقى سمًّا . وينبغي ان تُمنَع الصبيان من حفظ اشعار ابن حجّاج والنظر فيهِ ويضربهم على ذلك . وكذلك ديوان صريع الدلاء فانهُ لا خير فيهِ . ومعلمات البنات يمنعوا البناتِ البالغاتِ الفواحشَ ومن القصائد والاشعار والكلام الذي لا خير فيهِ ويَمنَعوا من زينتهم وبهرجتهم يوم عيدهم (زينتهنّ وبهرجتهنّ يوم عيدهنّ) في البطالة . وكذلك الصبيان يوم الجمعة ليخرجوا الى صلاتها والبنات يوم الاحد

وهذا البـاب الثمانون في حافري القبور نثبتهُ هنا برمّتهِ للحوظاتهِ الدقيقة (ص ١٢٤) :

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفاً ثقة يمنعهم ان لا (هذا الحرف زائد) يتعدوا على تربة يحفروها بغير امر مالكها او يستغنوا عية (غيبة) صاحبها فيحفروا فيها لغيرهِ . وعلى كل وجه وسبب ان تكون التربة لامرأة غائبة في منزلها لا تدري بهم فيتعدّوا (فيتعدون) عليها فيحفروا (فيحفرون) فيها (125) . ويوءمروا ان تكون القبور عميقة قدر قامة وبسطة لئلا تنبش الكلابُ النـاس ولئلّا تطلع رائحتهم ويوءمروا بان لا يحيفوا على الناس في الاجرة وان لا يطالبوا للضعفاء بذلك بما لا يقدرون عليهِ . وكلّما ظهر لهم وقت حفرهم عظم من عظـام الناس ستروهُ بالتراب ولا يتركونهُ ظاهرًا بين ايدي الناس . ويُعمَل للقبر لحدًا (لحدٌ) الّا ان تكون الارض رخوة محفورة فيُشَقّ ويُدفَن في شقّها ويُسَلّ الميت من قبل رأسهِ الى القبر ويسجّى بثوب عند ادخالهِ القبر ويقول عند ادخالهِ « بسم الله وعلى ملّة رسول الله صلعم » ويضجعهُ على الجانب الايمن ويوضع تحت راسهِ لبنة ويفضي بخدهِ الى الارض وينصب عليهِ اللبن ويُحثي عليهِ التراب ويُرفَع القبر من الارض قيد شبر ويُرَشّ عليهِ الماء وتسطيحهُ افضل

فمن هذه الامثلة يمكن القرّاء ان يعرفوا مضامين هذا الكتاب وفوائدهُ المتعدّدة وهو يستحقّ الطبع لما يتضمَّنهُ من تعريف احوال الأمة في زمان كاتبهِ . ونختم هـذه المقالة بذكر ابواب اخرى ادرجها الموءلف في مصنَّفهِ هذا وهي الابواب الحادي والتسعون وما يليه وصف فيها موازين عهده ومكاييلهُ ومثاقيلهُ الذهبيّة والفضيّة وارطالهُ وقناطيره وها انّنا ننقل شيئاً من هذا الباب الاخير (ف ١٣٦) لفوائدهِ التاريخيّة مع ما فيـهِ من الاشارة لأعمال الموءلف وقت حسبتهِ :

١) في هذا القول مبالغة ظاهرة تنافي التمدُّن المصري

قد اصطلح اهل كل بلد واقليم على ارطال تتفاضل في الزيادة والنقصان. . . والقنطار المتعارف مئة رطل والرطل ١٤٤ درهماً وهو ١٢ اوقيّة كلّ اوقيّة ١٢ درهماً هذا رطل مصر الذي رسم بها. واماً رطل دمشق ٦٠٠ درهم واوقيتها ٥٠ درهماً ورطل حمص ٧٩٤ درهماً واوقيّتهـا ٦٧ درهماً وحبّة وثلثا حبّة (137). ورطل حماة ٦٦٠ درهماً واوقيّتها ٥٥ درهماً. ورطل معرّة مثل حمص. ورطل شيرز (شيزر) ٦٨٤ درهماً واوقيّتها ٥٧ درهماً. والرطل البغداديّ ١٣٠ درهماً واوقيّتهُ ١.١ درهماً الّا دانقاً والمنّ ٢٦٠ درهماً وهو منسوب اليهِ وقد وجدنا جميع العطارين والصيالة (والصيادلة) يَزِنوا (يَزِنون) بالعشرة دراهم عوضاً عن الاوقية وهذا بخس وخيانة فألزمناهم الاوقيّـة عشرة دراهم ونصف وثلث وجعلناها مخالفة لصنجة العشرة دراهم وجعلناها مثقالاً عند المدّبر يعتّرون بهـا ويعملون نظيرها في ايّام حسبتنا. واماً الرطل الليقي (الليثي) ٢٠٠ درهم واوقيتهُ ١٦ درهماً ونصف وثمن وحبّة وثلثي (وثلثا) حبّة. وامّا الرطل الجروي ٣٠٠ درهم واوقيّتهُ ٢٥ درهماً. واما القناطير فينبغي ان تُضبَط فتها ما يكون قد نُقش وجُوهها بالعربيّة ليقرأها كل احد ومنها ما يكون الوجه الواحد عربياً والاخر قبطياً فيُنقَش على قبّ القبابين تحت لسنهـا بالعربيّة ويُنقش على الرمّانة وزنها ليكون (138) اصحّ وأبين لأن كلّ رمّانة تنقص عن حقّها رطلاً فيدخل على المشتري بها نقص عشرة ارطال فينبغي للمحتسب ان يحتاط على هذا اتمّ حوطة وينبغي ان يتفقّد القبابين في كل وقت العيار لانها سب (تتب ؟) الى النقص لاسيما اذا ميّلها الوزّان ليطرح الوزنة عنهـا من غير حمّالين يرفعوا (يرفعون) الثقل عنها فانها تتب (تتب) للوقت والقبّان الروميّ اصحّ من القبطي. وينبغي ان يكون المحتسب يمتحنهم بعد كل حين ويعيرهم (ويعتبرهم) فانها ربّما تعوجّ من شيـل الاثقال فتفسد كما ذكرنا اولاً

الزواج المسيحيّ

نظر تاريخي ولاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة لما سبق)

٣ .الكنيسة والزواج

ثبت للقارئ في مقالتنا الاولى انّ السيد المسيح والرسول بولس اتّفقا في تعليمهما عن البتوليّة والزواج فأعلنا تفضيلهما للتبتّل الاختياريّ حبًا بهِ تعالى وزهدًا بملاذ الدنيا وتقرّبًا من حالة الابرار في دار الخلود حيث « لا يزوّجون ولا يتزوّجون ولكن يكونون كملائكة الله في السماوات » (متى ٢٢ : ٣٠) الّا انّهما لم يرذلا قطّ العيشة الزوجيّة بل على خلاف ذلك اعلنا بكرامتها ووضعا لها شروطاً تزيد عُروتها وثاقةً كما كانت في البدء وبيّنا قداستها لارتقائها الى رتبة الاسرار المسيحيّة

بقي علينا ان نبرّئ الكنيسة من التهمة التي رماهـا بها الكاتب المصريّ حيث

قال « بان النصرانيَّة في عصورها الاولى اوضحت حظَّهـا من قدر الزواج » فنبين ان الكنيسة كمنشئها الالهي وكرسول الامم بولس وفت البتوليَّة والزواج حقهما من الاعتبار الجدير بهما في كل الاجيال مباشرةً من عصور النصرانيَّة الاولى

اما انَّ الكنيسة اعتبرت البتوليَّة ورفعت قدرها واطنبت في مديح المتبتّلين لاجل ملكوت السماوات فغنيٌّ عن البيان. ولا حرج في ذلك على الكنيسة اذ انها سمعت من عريسها الالهيّ أن من يترك في سبيل الله أبًا او امًّا او « امرأةً » او بنين او املاكًا يَنل مئة ضعف ويفوز بالحيـاة الابديَّة (متى ١٩ : ٢٩) كما انَّها تعلمت من يوحنا الحبيب (رؤيا ١٤ : ٤) : « انَّ الابكار الذين لم يتنجسوا مع النساء يتبعون الحمل حيثما يذهب ويتقدَّمون في السماء على الابرار ويسبحون الله بتسبحة لا يعرفها غيرهم »

فلما عرفت الكنيسة ما في البتوليَّة من الخيرات العميمة لسعادة الدارين رفعت ألوية العفة في العالم ودعت اليها النفوس الشريفة في كل طبقات الهيئة الاجتماعيَّة وكان العالم الرومانيّ وقتئذٍ متسكعًا في ظلمات الوثنيَّة غائصًا في بحر الفسـاد واقبح الآثام الفظيعة جاريًا في ارجاس اصنامهِ وآلهتهِ الذين نسب اليهم العهارة والفجور فاتخذهم لهُ قدوةً. فلبَّى دعوة الكنيسة الوف من العذارى والمتبتلين وأدهشوا بطهرهم تلك الاجيـال وعطَّروها بارج عفافهم الذي يضوع شذا عرفهِ حتى يومنا. فناهيـك باسماء بتولات كاغنس وسيسيلية وكاترينا وبربارا اللواتي ذهبن شهيدات العفَّة كما استشهدن في سبيل ايمانهنَّ وضفرن لهنَّ اكليلًا من ورد الحبِّ الالهيّ وزنبق الطهارة انالهنَّ فخرًا مؤبدًا امام العرش مدى الدهور

وكما جذبت الكنيسة قلوب ابنائها الى التبتُّل الاختياريّ أحبَّت ان لا يصعد الى جبل الربّ الَّا كل عفيف النفس ومن يقيّد نفسهُ بالتبتُّل ففرضت على كهنوتها الامساك عن الزواج ليخـدموا في هيكل الربّ بالقدس والعفة التامَّة. وقد افرزنا لهذا البحث مقالةً مستقلَّة في السنة المنصرمة (المشرق ٩ : ٨٠٠ — ٨١١) نحيـل اليها القرَّاء فلا حاجة الى التكرار

وخلاصة القول انَّ الكنيسة في كل آن عظَّمت البتوليَّة كما انَّ كتبتها في كل جيل وضعوا في ذلك المصنفات الجليلة تنويهًا بمحـامد البتولية نخصُّ منهم بالذكر القديسين والمعلمين يستينوس وقبريانوس وترتليان واقليميس الاسكندري ويوحنـا فم الذهب

وامبروسيوس واوغسطينوس وغيرهم كثيرين يطنبون في شرفِ البتولية ويبجّلون الذين آثروا البرارة والعفة ليعيشوا مع الرب القائل « طوبى لانقياء القلوب لانهم يعاينون الله » (متى ٥ : ٨)

*

فنقرُّ اذن جهارًا بانَّ الكنيسة أجلّت البتولية وقدَّمت المتبتلين في اعتبارها على المقيدين بروابط الزواج . ولكن كيف يسوغ القول للمناظر « انَّ النصرانية حطَّت قدر الزواج وحسبت توليد البنين جناية وشرًا » . أيا تُرى لو فضّلتُ فنَّ الكتابة على فنّ التجارة افيجوز القول عني اني بخستُ حقوق التجارة وحسبتُ الارتزاق بالتجارة جناية وشرًا . وهذا البرهان مع بساطتهِ كافٍ لردّ حجّة الخصم وابطال شكواهُ على كنيسة المسيح .

الّا اننا لا نرضى بهذا الجواب وحدهُ وها نحن نقدّم للقرّاء بعض البيّنات التي نوضح لكل ذي عين اعتبار الكنيسة للزواج ومدافعتها عن سمو شرفهِ

١ واوّل دليل على صحّة قولنا انّ الكنيسة من حيث انها وارثة لتعاليم السيد المسيح ورسلهِ الكرام ما كانت لتجهل آيات اسفار العهد الجديد في هذا الصدد سواء كانت اقوال السيد المسيح راسها ومعلمها الاوّل وقد اثبتنا في ما مرَّ انهُ عزَّ وجل رفع شأن الزواج فضلًا عن كونهِ لم يهضم شيئًا من حقوقهِ او كانت تعاليم بولس الرسول الذي اقتفى معالم سيده كما بيّنا . وزد على ذلك اقوالًا اخرى صريحة وردت في اسفار العهد الجديد لا يُمكن شرحها الّا على فرض كرامة الزواج وشرفه كاقوالٍ عديدة في الرسائل تشير الى تربية البنين الصالحة والى ممارسة الفضائل الاهلية . كالتوادّ والمحبة والصبر وطول الاناة واكرام الوالدين . ولو اثبتنا كل هذه الايات لملأت عدّة صفحات . فمن ذلك قول بطرس الرسول في رسالته الاولى (٣ : ١ — ٨) حيث اتّسع في المعاملة المتبادلة بين النساء ورجالهنَّ فاوصى النساء ان يخضعنَ لرجالهنَّ ليربحنَهم بحسن تصرُّفهنَّ بالمهابة والعفاف على مثال سارة امرأة ابراهيم . ويوصي الرجال « ان يساكنوا نساءهم على مقتضى العقل لكون الإناء النسويّ هو اضعف ويكرموهنَّ كالوارثات معهم نعمة الحياة » . وكقول بولس في رسالتهِ الى تلميذهِ تيطس يفيض في وصف العائلة وخواصّ افرادها (٢ : ١ — ٦) فيفرض على الرجال المحبة والصبر وعلى النساء « ان يكنَّ محبات لرجالهنَّ

وابناتهنّ . عاقلات عفيفات معتنيات بمصالح بيوتهنَّ صالحات خاضعـات لرجالهنَّ لئلا يُجدَّف على كلمة الله ». ويوصي الفتية بالتعقل والبرّ

وللقديس بولس وصايا اوسع واوضح في هذه المعيشة الاهليَّـة في رسالتهِ الى تيموتاوس فان معظم آياتها في الفضائل البيتيَّة وسيرة كل فرد من افراد العائلة فهنـاك (٤ : ٣) يبكت « المرائين الناطقين بالكذب المانعين عن الزواج » ولهُ في هـذه الرسالة اقوال عسجدية في فضائل النساء وسلوكهنَّ مع ازواجهنَّ فيوصيهنَّ « ان يتزيَّن بزينة لائقة على مقتضى الحشمة والتعقُّل » وان « يتعاهدنَ العبادة بالاعمـال الصالحة » وان « لا تتسلط المرأة على رجلها » ويُعلمها « انَّها ستخلص بولادة الاولاد ان استمرَّت على الايمان والمحبة والقداسة ». وان كانت النساء ارامل فتيات وتعرَّضنَ لاخطار الخطيئة ليس فقط لا يمنعهنَّ عن الزواج بل يحتمهُ عليهنَّ بقولهِ (٥ : ١٤) : إذَن احبُّ انَّ الفتيَّات يتزوجن ويلدن البنين ويدبّرن البيوت ولا يعطين المقـاوم سبباً للطعن » فكلُّ هذه الاقوال وغيرها مثلها كانت تعلم بها الكنيسة حقّ العلم فجرت على مقتضاها دون خلاف

٢ وقد اعانت الكنيسة عن فكرها ورضاها بالزواج القانونيّ بما وضعتهُ منذ اول النصرانية من الطقوس والرتب والصلوات في عقد سرّ الزواج. وقد حتمت على كهنتها بحضورهِ ليقدسوهُ ويباركوهُ ويستمطروا على الزوجين كل النعم السماويّة. وبعض هذه الصلوات ترتقي الى القرن الثالث والرابع للميلاد . فيا ليت شعري لو كانت الكنيسة تعدّ الزواج كاثم وتعتبر توليد البنين كجناية كيف امكنها ان تعهد الى كهنتهـا بحضور المحظورات وتنشيطها بصلواتهم وطقوسهم

٣ ولنا على هذا الامر دليل آخر عياني بما وجد من الآثار في دياميس رومية وفي حفريَّات المدن النصرانيّة القديمة في فرنسة وايطالية وافريقية فمن ذلك تصـاوير عديدة وخواتم منقوشة تمثل رتبة الزواج فمنها ما يُرى فيها الزوجان متصافحين فوقهما اسم السيّد المسيح



(وتارةً ترى عند راسيهما كتابةً تدلُّ على تهنئة العروسين مع الدعاء لهما « احييا » او « احييا بالله » او « احييـا بالمسيح » او « فليكن زواجكما مباركاً سعيدًا »

وقد وُجدت آثار أُخرى كنقوش وكتابات مرقومة على نواويس وصفائح ضريحيَّة تشير الى وجود جسدي الزوجين في قبر واحد بعد عيشتهما بالحبّ والاتفاق مدّة سنين يُذكر

تاريخها . مثال ذلك ناووس قديم صُوِّرت عليهِ سمكتان بلغتا الى مرساة وفي ذلك تنويه بموت الزوجين وبلوغهما المأمن في مرسى الابديَّة . وبعض هذه التصاوير ترى فيها لفيف العائلة من اب وامّ وابناء . وفي غيرها صورة الزوجين يتلاثمان كانهما يريدان الدلالة على حبهما الدائم حتى بعد الوفاة . وكثيرًا ما يجعل في يد المرأة دَرْجٌ وهو صك الاقتران الذي جرى على موجبهِ الزوجان . وقد يتكرَّر على هذه النواويس ذكر البعث والنشور في اليوم الاخير امَّا تصريحًا وامَّا تلويحًا على صورة رموز واشارات . هذا ونضرب صفحًا عن كتابات أُخرى تذكر فضائل الزوجين كامانتهما وطهارة ذيلهما وصفاء عيشهما دون نفور ولا انزعاج الى غير ذلك من الاوصاف التي توصي بها الكنيسة اولادها المقيدين بسنة الزواج

٤ ولنا شاهد آخر على اكرام الكنيسة للزواج القانوني في ما كتبهُ آباء البيعة في هذا السر . فانهم قد صرَّحوا بذلك مرارًا عديدة في تآليفهم اما عند شروحهم على آيات العهد الجديد التي سبق لنا ذكرها واما عند سنوح الفرصة ردًّا على تعييرات المبتدعين . فنهم اقليميس الاسكندري في القرن الثاني فانهُ قال (في الكتاب الثالث من متفرقاتهِ) ليس فقط الزواج بين المسيحيين جائز ومبرور لكنهُ ايضًا سرٌ مقدَّس غايتهُ تقديس الزوجين وتأهيلهما لتربية الاولاد الذين يولدون منهما . وقال في محل آخر « انَّ في الزواج هو الله القدُّوس الذي يجمع بين الرجل والمرأة » . وقال المعلم ترتليان في اوائل القرن الثالث في كتابهِ الذي وجههُ الى زوجتهِ (ad Uxorem) يمدح الزواج المسيحيّ : « كيف يمكنني ان اثني على الزواج الذي تعقدهُ الكنيسة وتثبتهُ التقدمة وتختمهُ البركة الذي عليهِ يشهد الملائكة ويقرّرهُ الآب السماويّ »

وكان القديس اغناطيوس اسقف انطاكية تلميذ الرسل سبق وقال في رسالتهِ الى بوليكربوس (٥٤) : « انهُ يليق بمن يطلبون الزواج ان يعقدوا زواجهم برضى الاسقف ليكون اقترانهم على مقتضى مشيئة الرب ولا يُدفعوا اليهِ بدافع الاهواء . وليتمَّ كلّ شيءٍ لمجدهِ تعالى »

وقال القديس اوغسطينوس في كتابهِ عن العيشة الزوجيَّة وغيرها ان الزواج يطبع في قلب الزوجَين سمةً لا يُمحى اثرُها على الاطلاق حتى بسقوطهما في اقبح الآثام

كجحود الايمان المسيحيّ وانّ الزواج يشبه في فعلهِ سرَّي المعمودية والكهنوت اللذين يبقى فعلهما الى آخر حياة الزوجين

فكلّ هذه الشواهد وغيرها كثيرة لا يسعنا ايرادها تبين علانيةً ايَّ مقامٍ اصابهُ في الكنيسة سرّ الزواج وكيف كانت تعتبرهُ كاقدس العقود وتصونهُ من كل آفة تلحق بكرامتهِ

٥ وقد صرَّحت الكنيسة عن خلوص نيَّتها وتعظيمها لسرّ الزواج بطريقة اخرى نريد المجامع المقدَّسة حيث يلتئم كلّ اساقفة الكنائس المتفرّقة في المعمور تحت رئاسة عظيم الاحبار اسقف رومية فيبحثون عن عقائد الايمان وعن امور الآداب فيثبتون منها ما يجدون إثباتهُ وينفون ما يرون نفيهُ ثمَّ يسنُّون في ذلك القوانين التي يجب تنفيذها. ومن هذه المجامع ما هو محلّي لكنهُ نال بمصادقة الحبر الروماني قوَّة المجامع المسكونيَّة. والحال انَّ الكلام في هذه المجتمعات الجليلة قد دار مرارًا كثيرة في الزواج وشروطهِ وخواصهِ وسُنَّت في ذلك قوانين متعدّدة تكاد تملأ مجلدات ثم يُضاف الى ذلك براءات الاحبار الرومانيين وأجوبة اللجنات الرومانيَّة المختصَّة بفحص امور الزواج. وقد اعملنا النظر في كلّ هذه القرارات ودرسنا مضامينها فلم نجد كلمةً واحدةً تُشعر بما نسبهُ الى الكنيسة الكاتب المصريّ من بخس شان الزواج وحطّ قدرهِ بل كلها تجلّهُ وتعتبرهُ اعتبارها للاسرار المقدَّسة والعهود الخطيرة وتوصي بصيانة شرفها والذبّ عن كرامتها

٦ وما اكتفت الكنيسة المقدَّسة بتعزيز الزواج القانونيّ واخذ الاحتياطات اللازمة لدفع كل ما يصيبهُ من الاضرار بل تصدَّت في كلّ وقت للمبتدعين الذين حاولوا نكث حَبلهِ ونقض اركانهِ. وقد قام في اوائل النصرانيَّة كثيرون من الهراطقة فزعموا انَّ الزواج محظور مستهجن كسطورنينوس وبسيليدس ومرقيون وغيرهم الذين قالوا انَّ التزويج من فعل الشيطان والى هؤلاء المانعين من الزواج اشار الرسول بولس في ما سبق لنا ذكرهُ. والحقّ يقال انَّ الكنيسة اسرعت الى تزييف هذه المزاعم الباطلة وحرم القائلين بها ولدينا تآليف مختلفة للآباء والمعلمين الاقدمين كترتليان واقليمس الاسكندري يفندون فيها اقوال المبتدعين ويناضلون عن معزَّة الزواج الذي انشأهُ الله منذ البدء لحفظ الجنس البشري ورقَّاهُ المسيح الى رتبة السرّ. ولما جدَّد بريسيليان

المبتدع الاسباني في القرن الخامس فجدَّد بدعة مرقيون في الزواج فشذب قولهُ البابا القديس لاون الكبير ثمَّ التأم سنة ٤٤٧ مجمع اساقفة في طليطلة فرذل اقاويل پريسيليان ومن جملتها قولهُ في الزواج في هذه القضيَّة السادسة عشرة: « ان قال احد او اعتقد بانَّ الاقترانات الزواجيَّة التي يجوز عقدها على مقتضى الشرع الالهي هي شيء ممقوت فليكن محروماً »

٧ وليست الكنائس الشرقيّة في هذا الامر مخالفةً للكنيسة الرومانيَّة فانَّ آثارها ورتبها وصلواتها منذ القدم تتَّفق من كلّ وجه مع تعاليم الرسل والآباء . وفي كلّ هذه الطقوس اقوال اثيرة تنطق باعتقـاد اصحابها في عظمة الزواج المسيحي مثالهُ قول الكنيسة الارمنيَّة في بركتها للزوجين: «باركْ يا ربّ وقدّس اقتران عبديك هاذين... لأَنك لم تَنهَ عن الزواج بل قدستهُ وباركتهُ بكهنوتك واثبتهُ بقولك الصادق (في متى ١٩ : ٢) ما جمعهُ الله لا يفصلهُ الانسان» . ومن هذا القبيل خطب قديمة كانوا يقولونها قبل اقامة رتبة الزواج تجد منها عددًا وافرًا في مجموع خطب ايليَّـا الثالث بطريرك النساطرة المعروف بابي الحليم (راجع طبعة الموصل ٢٤٨ — ٢٦٧) فمما جاء هنـاك قولهُ وهو يبيّن تعظيم نصارى الشرق لسرّ الزواج :

ايها المؤمنون انَّ التزويج من النعم العظائم . يميّز بهِ الناطقون عن طبقـات البهائم . أحلَّه الله للانسان واطلقهُ . وانزله في اوضاع الشرائع وحقَّقهُ . وحتم بفضلهِ على من يؤثر النسل حتماً . ونظم بهِ القلوب المتنافرة في سلك الولاء نظماً . . . ألم يذكرهُ موسى النبي في السنَّة القصاصيَّة . ونبَّه عن فخرهِ مخلص البرايا في الشريعة الاختصاصيَّة . قال الله تعالى في سفر الخليقة: ليس يحسن ان تترك آدم على شريطة الوحدة . بل نخلق لهُ معينةً تعضدهُ في الرخاء والشدَّة . وقال المخلص في كتـاب الحيـاة وديوان الحقيقة . انَّ الاجمل بالرجل ترك آلهِ وامرتهِ ليكون بالالفة والمحبة مع زوجتهِ . . . . وليس بعد هذه الوصلة حلّ لعقدها . ولا نكث لعهدها ولا طلاق يهدم مبناها . ولا فراق تقطع مديتهُ اطنابها وعراها . . . .

فكل هذه البراهين لا تُبقي ريباً في ما حاولنا اثباتهُ وتُظهر لكلّ ذي عين خطأَ الكاتب المصريّ عند قولهِ « انَّ النصرانيَّـة حطّت في العصور الاولى من قدر الزواج وأنها اعدّت هذا الارتبـاط من الاحوال المنحطة وحسبت البنين جنايةً وشرًا . . . وان عقود الزواج في اكثر الكنائس لا تزال مصبوغة بهذه الصبغة الخالية الى يومنا هذا » . فتلك التهمة والحقيقة على طرفيْ نقيض

هذا وانّنا في قولنا السابق لم نتجاوز حقوق الدفاع لردّ تهمة المتّهمين لكنّ الانصاف يستدعي ما هو فوق ذلك لنبيّن ان النصرانيّة بلّغت العيشة الزوجيّة الى ارقى مقام بالمناضلة عن وحدة الزواج وعن ثبات عهدهِ دون السماح بالطلاق

فانّ وحدة الزواج اي عدم تعدُّد الزوجات امر بهِ المسيح بقولهِ (متى ١٩: ٥): « فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا فليسا هما اثنين بعد ولكنهما جسدٌ واحد » وجرت عليهِ الكنيسة في كل اطوار تاريخها واعلنت بهِ كلّ آباء البيعة ومن ثمّ كذب الكاتب المصريّ في قولهِ:

من المحقَّقات التاريخيَّة التي لا تقبل الشكّ ان تعدُّد الزوجات لم يُستنكر الّا في الاعصر المتاخرة. والظاهر ان القديس اغسطينس نفسهُ لم يرَ فيهِ سقوطًا في الآداب او اثمًا وحرجًا بل صرَّح انَّ تعدُّد الزوجات لا يُعدّ جريمة لأنَّ قوانين البلاد تبيحهُ

فهذا القول ينافي الحقيقة من كل وجه فانَّ معلّمي الكنيسة لم يقولوا به قط ولم يذهب اليهِ اغسطينس في احد كتاباتهِ وانّما خلط الكاتب بين اقوالهِ عن العهد القديم وعن العهد الجديد فتعدُّد الزوجات كان مسموحًا بهِ في الطور الاوّل دون الثاني. ولو شئنا لأتينا بشواهد لا تُحصى لبيان ذلك. قال اثيناغوراس الفيلسوف في دفاعهِ عن النصارى (٣٤): « انَّ عادتنا نحن النصارى امَّا ان نعيش متبتلين كما ولدنا وامَّا ان نكتفي بزوجة واحدة ». ولا خفاء في ما تحتويه من الخيرات وحدة الزواج فلولاها لا يكون الحبّ صافيًا بين الزوجين ولا تتم سنّة العدل بينهما اذ يكون قلب الرجل منقسمًا بين ازواجهِ يعاملهنَّ في الغالب معاملة الإماء ولا يمكن المرأة ان تخلص الحبّ لزوجها اذ ترى لها في قلبهِ شريكًا كما ورد في مثال سارة وهاجر. امَّا تربية الاولاد فتبقى اعباؤها على عاتق الامّ خصوصًا وربما اهمل الاب بنيهِ لانهماكهِ في اللذّات. ويؤيد ذلك ما قرأناهُ آخرًا في مجلة هنديَّة عن بعض امراء الهند الوثنيين انّهُ في ايَّام حداثتهِ رآهُ ابوهُ يومًا فسألهُ: من هي امهُ. فتأثر الشاب من هذا السؤال وحلف انهُ لا يتزوَّج بغير واحدةٍ ما دام حيًا

وكما جاهدت الكنيسة في حفظ وحدة الزواج ولم تسمح بتعدُّد الزوجات كذلك لم تتساهل قطّ باجازة الطلاق التام لئلا تفصل من جمع الله بينهما (راجع مقالة حضرة الاب صالحاني في الطلاق عن المسيحيين). ولمَّا قام بعض الملوك المسيحيين وطلبوا من

الكنيسة ان توسع لهم هذا الباب اجابتهم بكلمة الرسل امام مجمع اليهود « لسنا نستطيع » . وكثيرًا ما تحمّلت الكنيسة اضطهادات الكبار والمتسلطين بل اهرقت دماء شهدائها دون ان تنقض حرفاً من تعاليم المسيح . وكفى بمثال انكلترة وملكها هنريكس الثامن الذين فضّلت الكنيسة انفصالها عن الكثلكة من الترخيص بالطلاق

فهذا ما جعل الزواج المسيحيّ معظماً مهيباً . هذا ما رفع برتبة المرأة واجلّها بين بنيها في مقام اثير كربّة البيت وسيدة جليلة . هذا ما اثبت الحبّ في العيال وربط قلبي الزوجين برباط اقوى من الموت . قال ترتليان يصف العيشة الزوجيّة (لك ٢ ع ٩) : « لله ما أخفّ نير الحياة اذا كان على كاهل اثنين يجمع بينهما رجاء واحد وخدمة واحدة . فهما اخوان وهما عديلان ليس بينهما انفصال لا في الجسد ولا في الروح فهما حقيقة اثنان في جسد واحد واذا كان الجسد واحدًا كان الروح ايضاً واحدًا . فالزوجان يصليان معاً ويستريحان معاً ويصومان سواء يعلّم احدهما الاخر وينشطهُ ويسندهُ . اذا ذهبا الى الكنيسة ترافقا وجلسا على مائدة الخلاص معاً لا ينفصل الواحد عن الآخر في البلايا والضيقات كما في الافراح والمسرّات . لا يخفي الواحد عن اخيهِ امرًا ولا يخالفهُ في شيء ولا يتثاقل عليهِ . . . حقيقةً انَّ المسيح بينهما لانهُ وعد انهُ يكون حيثما اجتمع اثنان باسمه وان كان المسيح بينهما فلم يبقَ للشرير مكان في شركتهما »

وليس هذا الوصف امرًا خياليًا نادرًا فلله الشكر اننا نرى كل يوم أسرًا مسيحيّة تمثل بصلاحها وفضائلها السعادة على الارض قبل فوزها بالسعادة الدائمة . وبينما نحن نكتب هذه الاسطر عُقدت في بيوت بعض جيرتنا حفلةٌ مؤثرة اجتمع فيها احد عشر من الاخوة والاخوات في اعمار مختلفة ليهنئوا والديهم بعرسهم الفضي وقد قضيا ربع جيل في السعد والهناء لم يكدر صفاء عيشهما رنقٌ . ولسان حال كل المدعوّين الى هذه المظاهرة يردّد كلمة واحدة : « هذه ثمرة الزواج المسيحيّ »

الفنون الجميلة والكنيسة

نظم حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي (تتمّة)

الشعر

يُبَادِرُ ٱلْعَارِي ٱلتُّقَى لِلْبِيعَهْ   فَيُجْزِلُ ٱللهُ لَهُ ٱلصَّنِيعَهْ

فَيَلْبَسُ ٱلتَّقْوَى شِعَارًا عِنْدَمَا يُصْغِي إِلَى ٱلصَّلَوةِ نَظْمِ ٱلْحُكَمَا
مِنْ مِثْلِ أَفْرَامَ ٱلْمُجِيدِ ٱلْقَوْلِ وَكَمْ حَبَا فِي شِعْرِهِ مِنْ طَوْلِ
حَاكَى بِهِ هَدْرَ حَمَامِ ٱلزَّاجِلِ وَسَجْعَ وُرْقٍ وَغِنَا عَنَادِلِ
هٰذَا هُوَ ٱلصِّدْقُ إِذَا تَرَنَّمَا هٰذَا هُوَ ٱلْكَمَالُ إِنْ تَنَغَّمَا
هٰذَا هُوَ ٱلْحَقُّ إِذَا تَكَلَّمَا هٰذَا هُوَ ٱلْجَمَالُ إِنْ تَجَسَّمَا
لِأَنَّهُ كَلَامُ بَارِي ٱلْخَلْقِ أَنْزَلَهُ عَلَى ٱلْوَرَى لِلْحَقِّ
فَٱلْكَوْنُ شِعْرٌ فَائِقُ ٱلْبَدَاعَهْ سَامِي ٱلنِّظَامِ بَاهِرُ ٱلصِّنَاعَهْ
وَٱلْمَرْءُ فِي قَرِيضِهِ يُمَثِّلُ مَشَاهِدَ ٱلْكَوْنِ وَمَا يُخَيِّلُ
مُجَرِّدًا بِفِكْرِهِ ٱلْأَشْبَاحَا مُجَسِّمًا بِلَفْظِهِ ٱلْأَرْوَاحَا
مُنَسِّقًا بِأَبْدَعِ ٱلنِّظَامِ مُحَاوِلًا لِغَايَةِ ٱلتَّمَامِ
مُدَوِّمًا حَوْلَ ذُرَى ٱلْمَجَازِ مُحَلِّقًا فِي فَلَكِ ٱلْإِعْجَازِ
مُصَوِّرًا بِذَوْقِهِ ٱلْجَمَالَا فِي ٱلْكَوْنِ أَوْ فِي مَا غَدَا خَيَالَا
كَأَنَّ يُصَوِّرَ ٱلْيَرَاعُ مَعْبَدْ مُشَيَّدًا بِفِضَّةٍ وَعَسْجَدْ
جُدْرَانُهُ بِأَسْرِهَا زَبَرْجَدْ وَأَرْضُهُ وَسَقْفُهُ زُمُرُّدْ
نَظِيرَ مَا قَدْ جَاءَ فِي ٱلرُّؤْيَا وَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُهَا عَنِ ٱلسَّمَا
هٰذَا هُوَ ٱلشِّعْرُ ٱلْمُحَاكِي ٱلْكَوْنَا نَاظِمُهُ يُلْفِي ٱلْبَدِيعَ عَوْنَا
وَيَزْدَرِي أَقْيِسَةَ ٱلْبَدِيعِ وَيَرْتَقِي عَوَالِمَ ٱلرَّقِيعِ
وَيَفْرَعُ ٱلصُّرُودَ وَٱلْأَطْوَادَا وَيَعْرِفُ ٱلْعُرُوضَ وَٱلْأَبْعَادَا
وَيُدْرِكُ ٱلْمَعَادَ وَٱلْمَآلَا «مُعْتَبِرًا مَا فِي ٱلدُّنَى زَوَالَا»
مُعَلِّمًا هٰذَا ٱلْوَرَى ٱلْفُرُوضَا وَجَاعِلًا مَثَلَهُ ٱلْبَعُوضَا
مُمَثِّلًا مُهَذِّبًا لِلْخُلْقِ مُخَيِّلًا مُنَوِّرًا لِلْخَلْقِ

مُسْتَخْدِمًا بَعْضَ تَوَارِيخِ ٱلْأُمَمْ   مُسْتَنْتِجًا مِنْهَا وَصَايَا وَحِكَمْ
يَزِيدُهَا ٱلْخَيَالُ كُلَّ حُسْنِ   كَشِعْرِ أُومِيرُسَ شَيْخِ ٱلْفَنِّ
هٰذَا هُوَ ٱلصِّنَاعَةُ ٱلْجَمِيلَهْ   كُلُّ ٱلْفُنُونِ دُونَهُ ضَئِيلَهْ
فَشَاعِرٌ مُهَنْدِسُ ٱلْبِنَاءِ   أَفْكَارُهُ تُلْقَى عَلَى ٱلْبَنَّاءِ
فَيَخْرُجُ ٱلْبِنَاءُ صَرْحًا شَاهِقًا   لِلْعَيْنِ يَبْدُو رَائِقًا وَشَائِقًا
وَشَاعِرٌ مَنْ يَنْحَتُ ٱلتِّمْثَالَا   يَكْسُوهُ مِنْ خَيَالِهِ جَمَالَا
وَشَاعِرٌ مَنْ يَرْسُمُ ٱلْأَبْدَانَا   يَجْعَلُهَا بِٱلرَّسْمِ أَرْقَى شَانَا
وَشَاعِرٌ مَنْ يَخْطِرُ ٱنْتِظَامَا   مُحَرِّكًا يَدَيْهِ وَٱلْأَقْدَامَا
وَشَاعِرٌ مُخْتَرِعُ ٱلنَّشِيدِ   وَٱلْعَازِفُ ٱلْمُحْسِنُ ضَرْبَ ٱلْعُودِ
وَشَاعِرٌ مَنْ يُرْسِلُ ٱلْكَلَامَا   لَا يَبْتَغِي سَجْعًا وَلَا نِظَامَا
وَشَاعِرٌ ذَاكَ ٱلْخَطِيبُ ٱلْمِصْقَعُ   وَشَاعِرٌ عِنْدِي ٱلْحَكِيمُ ٱلْمُقْنِعُ
وَشَاعِرٌ مَنْ يَكْشِفُ ٱلْمَجْهُولَا   وَشَاعِرٌ مَنْ يَفْعَلُ ٱلْمَقُولَا
وَشَاعِرٌ مُصَنِّفُ ٱلْحِكَايَهْ   وَشَاعِرٌ مُؤَلِّفُ ٱلرِّوَايَهْ
وَشَاعِرٌ مَنْ يَضَعُ ٱلْأَمْثَالَا   وَشَاعِرٌ مَنْ يُنْشِئُ ٱلْمَقَالَا
وَتَسْمَعُ ٱلْأَشْعَارَ فِي ٱلْوَلِيمَهْ   وَتَسْمَعُ ٱلْأَشْعَارَ فِي ٱلْوَضِيمَهْ
وَتَسْمَعُ ٱلْأَشْعَارَ فِي ٱلْفُسْطَاطِ   وَتَسْمَعُ ٱلْأَشْعَارَ فِي ٱلْبَلَاطِ
وَتَجِدُ ٱلْأَشْعَارَ فِي ٱلْمَلَاحِمْ   بَيْنَ ٱشْتِبَاكِ ٱلْبِيضِ وَٱللَّهَاذِمْ
وَتَجِدُ ٱلْأَشْعَارَ فِي ٱلْحَدَائِقْ   مَا بَيْنَ صَوْتِ صَادِحٍ وَنَاطِقْ
وَتَجِدُ ٱلْأَشْعَارَ فِي ٱلنَّدِيِّ   يُؤْتَى بِهَا كَمَثَلٍ مَرْوِيِّ
وَيَذْهَبُ ٱلنَّثْرُ مَعَ ٱلدَّوِيِّ   وَيُحْفَظُ ٱلشِّعْرُ مَعَ ٱلرَّوِيِّ
بَلْ تُحْفَظُ ٱلْأَشْعَارُ بِٱلْمَعَانِي   لَا بِقَوَافِيهَا وَبِٱلْأَوْزَانِ

فَٱلشِّعْرُ يمْتَازُ بِسَامِي ٱلْمَعْنَى لَا بِٱلْقَوَافي ٱلْمُحْكَمَاتِ وَزْنَا
وَرُبَّ شِعْرٍ بَارِعٍ فِي نَثْرِ وَرُبَّ نَثْرٍ بَارِدٍ فِي شِعْرِ
يُعَدُّ عِنْدِي قَوْلُ فَيْلَسُوفِ شِعْرًا إِذَا كُسِيَ بِٱلشُّفُوفِ
مِنْ كُلِّ مَعْنًى فَائِقٍ لَطِيفِ وَكُلِّ لَفْظٍ مُونِقٍ ظَرِيفِ
نَعَمْ وَإِلَّا فِكْرُهُ ٱلشَّرِيفُ سَبَبُهُ إِلى ٱلْوَرَى ضَعِيفُ...
فَٱلشِّعْرُ كُلُّ ٱلشِّعْرِ فِي ٱلدِّيَانَهْ تَرْعَى لِكُلٍّ حَقَّهُ وَشَانَهْ
وَاضِعَةً حَدًّا لِكُلِّ عِلْمِ وَٱلشِّعْرُ عَدَّتْهُ شَقِيقَ ٱلْفَهْمِ
وَنَزَّلَتْ وُحِيَهَا بِٱلشِّعْرِ وَعَلَّمَتْنَا شَرْعَهَا بِٱلنَّثْرِ
وَٱلنَّثْرُ فِيهِ نُشِرَتْ مَعَارِفْ «مِنْ كُلِّ عِلْمٍ تَالِدٍ وَطَارِفْ»
لِحِفْظِهَا قَدْ جُمِعَتْ بِٱلنَّظْمِ وَٱلشِّعْرُ فَنٌّ مُسْعِدٌ لِلْعِلْمِ
لٰكِنَّهُ مُقَيَّدٌ وَمُطْلَقُ بِٱلدِّينِ وَهُوَ عَبْدُ عِلْمٍ مُعْتَقُ
فَهْوَ هُوَ ٱلْحَقُّ إِذَا تَرَدَّى وَهْوَ هُوَ ٱلْبُطْلُ وَقَدْ تَرَدَّى
قَيِّدْهُ بِٱلدِّينِ تَجِدْهُ صَالِحَا وَإِنْ غَذَاهُ ٱلْعِلْمُ يَغْدُو نَاجِحَا
هٰذَا هُوَ ٱلشِّعْرُ وَلَيْسَ ٱلشَّاعِرْ إِلَّا ٱلَّذِي بِدِينِهِ يُفَاخِرْ...
فَٱحْتَقَرَ ٱلدُّنْيَا وَحَارَ فَطِنَا وَٱعْتَبَرَ ٱلدِّينَ وَصَارَ مُؤْمِنَا
وَبِٱلتُّقَى وَٱلْبِرِّ أَمْسَى عَابِدَا يُحْيِي ٱللَّيَالِي قَانِتًا وَهَاجِدَا
بِشِعْرِهِ قَدْ مَلَأَ ٱلْمَعَابِدَا قَصَائِدًا يَتْلُونَهَا نَشَائِدَا

الخطابة

إِذَا تَأَمَّلَ ٱلْفَتَى فِي نَفْسِهْ وَعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَحِسِّهْ
رَأَى كَمَالَ ٱلْكَوْنِ فِيهِ ٱجْتَمَعَا وَنَفْسَهُ أَمْسَتْ لَهُ مُسْتَوْدَعَا

كَأَنَّهُ ٱلْمِرْآةُ فِيهَا ٱنْطَبَعَا جَمَالُ مَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَا مَعَا
كَأَنَّهُ مِنْ خَلْقِهِ فِي مَشْهَدِ صُنْعِ ٱلْقَدِيرِ ٱلْأَزَلِيِّ ٱلْأَوْحَدِ
كَأَنَّهُ مِنْ خَلْقِهِ فِي مَعْبَدِ رَبِّ ٱلْبَرَايَا ٱلسَّرْمَدِيِّ ٱلصَّمَدِ
فَٱلْحُكَمَا بِنَفْسِهِمْ قَدْ بَلَغُوا مَعْرِفَةَ ٱلْبَارِي وَفِيهَا نَبَغُوا
مُذْ عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ سُجَّدَا وَكَمْ أَقَامُوا هَيْكَلًا وَمَسْجِدَا
وَكَمْ أَجَادُوا وَأَفَادُوا فِي ٱلْأُمَمْ بِمَنْطِقٍ يَنْثُرُ لُؤْلُؤَ ٱلْحِكَمْ
فِي عَالَمِ ٱلصَّلَاحِ وَٱلْعِبَادَهْ وَعَالَمِ ٱلْإِصْلَاحِ وَٱلسِّيَادَهْ
بِٱلشِّرْكِ لَمْ يَضْلِلْ سِوَى ٱلطَّغَامِ وَٱلْمُظْلِمِي ٱلْعَقْلِ مِنَ ٱلْأَنَامِ
فَٱلْوَحْيُ جَاءَ مُسْعِدًا وَمُرْشِدَا خُطَى ٱلْفَتَى إِلَى مَحَجَّةِ ٱلْهُدَى
حَتَّى أَتَى يَنْبُوعُ أَسْرَارِ ٱلْفِدَى وَأَنْقَذَ ٱلْجِبِلَّةَ مِنْ وَعْثِ ٱلرَّدَى
وَقَوَّمَ ٱلتَّعْلِيمَ وَٱلْآدَابَا وَعَمَّمَ ٱلْعِظَـةَ وَٱلْخِطَـابَا
وَبَثَّ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلدُّعَاةَ وَٱلرُّسُلْ مُمَهِّدًا إِلَى ٱلسَّمَا كُلَّ ٱلسُّبُلْ
وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِمِ ٱلْحُفَّـاظُ وَٱلْعُلَمَا وَٱلْخُطَبَا ٱلْوُعَّاظُ
وَنَشَرُوا إِنْجِيلَهُ فِي ٱلْعَالَمِ فَٱتُّبِعَ ٱلْمَسِيحَ وُلْدُ آدَمِ
«فِي كُلِّ صُقْعٍ صَوْتُهُمْ قَدْ سُمِعَا» وَلَبَنُ ٱلتَّهْذِيبِ مِنْهُمْ رُضِعَا
وَكُلُّ ذَا بِنِعْمَةِ ٱللهِ جَرَى وَقُوَّةِ ٱلَّذِينَ زَانُوا ٱلْمِنْبَرَا
تَسَابَقَ ٱلْمِنْبَرُ وَٱلْيَرَاعَـهْ وَهْوَ ٱلْمُجَلِّي فِي مَدَى ٱلْبَرَاعَهْ
وَهْوَ لَدَيْنَا حِلْيَةُ ٱلْكَنَائِسْ وَبَهْجَةُ ٱلنَّدَوَاتِ وَٱلْمَدَارِسْ
تَعَالَ يَا هٰـذَا غَدًا لِلْبِيعَهْ وَٱحْضُرْ لَدَى طُقُوسِهَا ٱلْبَدِيعَهْ
تَلْقَ جَمَالًا يَبْلُجُ ٱلْبَوَاصِرْ وَيَبْلُجُ ٱلْآذَانَ وَٱلْبَصَائِرْ
مِنْ رَائِقٍ وَمُونِقٍ وَرَائِعْ وَشَائِقٍ وَمُشْرِقٍ وَسَاطِعْ

فِي ٱلْمُنْتَهَى يَغْدُو ٱلْمُصَلِّي نَاصِتَا   وَٱلْأَرْغُنُ ٱلشَّادِي يَعُودُ صَامِتَا
مُحْتَرِمِينَ مَنْ تَرَاهُ يَنْبَرِي   لِخُطْبَةٍ مُرْتَقِيًا فِي ٱلْمِنْبَرِ
كُلُّ ٱلْفُنُونِ لِلْخَطِيبِ ٱلْمُصْقَعْ   تَرْنُو وَتَجْثُو سُجَّدًا وَرُكَّعْ
هٰذَا هُوَ ٱلشَّاعِرُ بِٱلسَّلِيقَهْ   هٰذَا هُوَ ٱلْمُنْشِئُ فِي ٱلْحَقِيقَهْ
هٰذَا هُوَ ٱلْحَكِيمُ وَٱلْأُسْتَاذْ   هٰذَا هُوَ ٱلْمَرْجِعُ وَٱلْمَلَاذْ
هٰذَا هُوَ ٱلْمُشْتَرِعُ ٱلْمُنَظِّمْ   هٰذَا هُوَ ٱلْعَالِمُ وَٱلْمُعَلِّمْ...
تَجِدُهُ بَيْنَ ٱلْوَرَى كَمَلَكِ   يُنِيرُهُمْ كَكَوْكَبٍ فِي حَلَكِ
هٰذَا هُوَ ٱلدِّينُ وَلَيْسَ ٱلْوَاعِظْ   سِوَى مُذَكِّرٍ بِهِ وَحَافِظْ...
فَٱلْعِلْمُ فِي ٱلدِّينِ وَلَيْسَ ٱلْعِلْمُ   فِي عَالَمٍ خُيُورُهُ هِيَ ٱسْمُ
فِي عَالَمٍ إِنْسَانُهُ كَوَحْشِ   دَيْدَنُهُ فِي مَطْمَعٍ وَنَهْشِ
مَاذَا أَفَادَ سَكْبُهُ ٱلدِّينَارَا   وَحُبُّهُ ذَا ٱلْعَالَمَ ٱلْغَرَّارَا...
هٰذِهِ هِيَ ٱلدُّنْيَا وَفِيهَا ٱلشَّرُّ   هٰذَا هُوَ ٱلدِّينُ وَفِيهِ ٱلْبِرُّ
بِعْهُ بِهَا تَغْدُ لَنَا إِبْلِيسَا   بِعْهَا بِهِ تَغْدُ لَنَا قِدِّيسَا

مطبوعات شرقية جديدة

Dom Placide de Meester O. S. R.: La divine Liturgie de S. Jean Chrysostome, annotée et publiée avec le texte grec en regard. *Rome, François Ferrari*, 1907, pp. XV × 267.

ليترجيا القديس يوحنا الذهبي الفم

يسرُّنا نبشر محبيّ الطقس اليوناني من ابناء الكنائس الشرقيَّة وغيرهم ان حضرة الاب الفاضل بلاسيد دي مستر البنديكتي استاذ الليترجيا والطقوس في مدرسة القديس اثناسيوس للروم الكاثوليك في رومة قد نشر حديثًا كتابًا هو من اجمل الكتب الطقسيّة ألا وهو كتاب ليترجيا القديس يوحنا الذهبي الفم ابي الكنيسة جمعاء عمومًا وكنيستنا

الشرقيَّة اليونانيَّة خصوصاً طبعت في مطبعة الفاتيكان . وذلك بمناسبة عيد القديس المذكور للمئة الخامسة عشرة . وكفى باسم الذهبي الفم دليلًا على اهميَّتهِ . اما الكتاب فيحتوي : ١ً مقدمة ووصفاً مختصراً لكنيسةٍ يونانيَّة الطقس بكل اقسامها وآنيتها — ٢ً ليترجيا الذهبي الفم باقسامها الثلاثة اي تهيئة الذبيحة (Προσκομιδή) فليترجيا الموعوظين(Λειτουργία τῶν κατηχουμένων) وليترجيا المؤمنين (Λειτ. τῶν πιστῶν) وكلها مطبوعة باليونانيَّة مع ترجمة كل صفحة على الصفحة المقابلة . وكل ذلك بحبر احمر واسود مما يجعل الكتاب غاية في الرونق . وعبارة الكتاب اليونانيَّة ماخوذة عن اوثق المصادر — ٣ً شروحاً وافية على اقسام الليترجيا الثلاثة — ٤ً فصلًا في خصوصيات القداس الحبري — واخيراً جدول هجاءي للالفاظ الليترجية الواردة في الكتاب — وفي اوله صورة صناعية منقولة عن ايقونة بيزنطية قديمة الاصل — والكتاب مطبوع بالافرنسيّة ما عدا الليترجيا وبعض صلوات ونحوها في سائر اجزائه فيها وباليونانيَّة كما مرّ وقد طبع ايضاً بالطليانية مع اليونانية لليترجيا وسائر الصلوات كما هو بالافرنسية . اما الطبع فبالغ في الاتقان غاية بعيدة فانَّ الورق جيد والحروف مشرقة بديعة والحروف اليونانية في كل اقسام الكتاب هي الحروف القديمة الشهيرة المعروفة بحروف اكسفورد وكل صفحة منهُ محاطة باطار احمر . وغاية القول انه لم يبقَ شيء من محسنات الطبع غير مبذول فيه فضلًا عن محسّناته المعنوية الكثيرة . فقد اتت هذه الطبعة (في اللغتين الافرنسية والطليانية) فريدة في بابها يجد فيها محبّ الطقوس كل ما يودّ من بيان وشرح فلا يرى في القداس امراً الّا رأى في الكتاب شرح ما يصعب عليه فهمه . فهو من هذا القبيل غاية في الافادة لكل المؤمنين . اما كهنة الطقس اليوناني فيجدون فيه لصغر حجمه كتاباً يتلون فيه القداس الالهي ولاسيما في الاسفار ونحوها حيث يصعب حمل الكتب الكبيرة . وفي صادق نظر حضرة الاب دي مستر وسعة معارفهِ بالطقوس الشرقية ولاسيما طقسنا اليوناني غنًى عن اطراء كتابهِ فانه يحتوي خلاصة اطلاعهِ الواسعة وابحاثهِ الكثيرة في احوال الكنيسة اليونانية قديمة وحديثة فان حضرتهُ لم يكتفِ بدرس تلك الطقوس والتبحُّر فيها وفي ما يتعلق بها من الآثار بل قصد ان يرى بعينهِ ويمسّ بيده ما يجري في الكنائس اليونانية من الحفلات والطقوس فزار كثيراً من المدن اليونانية في تركيا وبلاد اليونان حتى جبل اثوس الشهير باديرتهِ فلابس رهبانهُ مدة واخذ عنهم كل ما تهمّهُ معرفته .

فنرجو لكتابه مزيد النفع والانتشار كما اننا نرجو ان لا يزال يفيدنا من بحر علمهِ الواسع الاطراف ان شاء الله عز وجلّ (١ ف. خ احد رهبان دير المخلص الباسيليين

G. WILBOIS: **L'avenir de l'Eglise Russe.** Essai sur la crise sociale et religieuse en Russie, *Bloud et C^ie*, *in*-16, *Paris*, 1906.

نظر في مستقبل الكنيسة الروسيَّة

موْلف هذا الكتاب عالمٌ سكن طويلًا بلاد روسية ولهُ مع اهلها وشيجة رحم فقد وضع هذا التأليف لتعريف نظام الكنيسة الروسيّة واحوالها الدينيَّة المختلفة وبيان الشيع التي تُضعفها يوماً بعد آخر لاسيا شيعة الرسكولنيين. وقد قدّم على هذه الابحاث نظرًا عموميًّا في روسيَّة وجغرافيتها وسكَّانها وهيئتها الاجتماعيَّة مع ما يمتاز بهِ الروسيون من السجايا الطيبة والاخلاق السيئة فيمدح فيهم طول اناتهم وكرم طباعهم ويذمّ شراسة اخلاقهم وبطئهم في العمل واميالهم المنحرفة الى شرب المسكرات وارتكاب المحظورات وغاية المؤلف في كل ذلك البحث عن مستقبل الكنيسة الروسيَّة وهل يؤمل عودُها الى الوحدة الكاثوليكيَّة . فرأي الكاتب انَّ هذا الاتحاد المرغوب ممكن وهو يعرض عدَّة وسائل لتسهيلهِ وتقريب زمانهِ يحسن التوسل ببعضها لصلاحها امَّا البعض الاخر فلا يمكن التسليم بهِ كتحوير بعض العقائد الدينيَّة كأنَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة تستطيع ان تنبذ شيئاً من التعاليم التي ورثتها من الرسل بتقليد متواتر. ومع هذا التحفُّظ نثني على مؤلف هذا الكتاب ونقرُّ بأنَّ في تأليفهِ امورًا عديدة تدلُّ على دقة نظر وبحث دقيق

الاب ف. تورنبيز

D^r M. Fishberg. Materials for the Physical Anthropology of the Eastern European Jews, 1905, 141 pp., (reprinted from the *Annals of the New-York Acad,. of Sciences*. With 6 Studies on the Jews, 1906-1907, 60 pp.

موادّ لتعريف خواص اليهود النسلية في شرقي اوربَّة

انَّ علم تمييز الانسال البشريَّة (Anthropologie) وتعريف خواصها وسماتها التي تفرزها عن سواها لمن العلوم المستحدثة التي لم تثبت حتى اليوم اصولها فترى العلماء

١) والكتاب ثمنهُ في المكاتب فرنكان ونصف. على ان المؤلف يبيعهُ بما دون ذلك ولا سيما لمن يطلب عددًا وافرًا من النسخ. اما عنوانهُ فهو: Collège Grec – Via Babuino, 149,— Rome.

يتردّدون في بيان مبادئها وتقرير قواعدها . لكن هذا الامر في تعريف خواصّ اليهود النسليَّة اقرب منهُ في غيرهم لحفظهم في سحنتهم وتركيب بنيتهم كثيرًا من السمات المفرزة لهم عن غيرهم في كل انحاء الدنيــا . ولذلك قد اكثر العلماء من درس المميزات التي تلوح في الموسويين فنهم من يزعم انهم لم يختلطوا مع سواهم من الامم منذ نحو ٤٠٠ سنة فبقوا على اصلهم الجنسي دون تغيير يذكر . وادَّعى غيرهم انَّ الدم اليهوديّ ليس بخالص فامتزج بأمم أخرى . على انَّ العلماء مجمعون على انقسام اليهود الى قسمين كبيرين احدهما قسم اليهود المعروفين بأشكنازيم نسبة الى اشكناز بن يافث (تكوين ١٠ : ٣) وهم يهود روسيًّا والمانية وپولونيا والاخر اليهود السفارديم نسبة الى بلاد سفارد المذكورة في نبوّة عوبديا (ع ٢٠) وهم يهود اسبانيا والبرتغال الذين طردهم الاسبان سنة ١٤٩٢ فانتشروا في جهات اوربة وتركيًا . فخصَّ المسيو فيشبرغ الاميركي كتابهُ في هذا القسم الاخير وفحص عددًا وافرًا من اليهود ليتبين خواصهم الطبيعيَّة من تركيب بنية وطول وعرض ولون العيون والشعر وقياس الجمجمة وصورة الانف وسحنة الوجه . وساعدهُ على عملهِ وفرة اليهود الذين هاجروا الى نيويرك من اوربًا واسيــا وافريقية وهم يبلغون ٦٠٠,٠٠٠ فكانت نتيجة بحثهِ مدّة سنين متواصلة انَّ يهود شرقيّ اوربة وهم اربعــة اخماس يهود العالم لم يحفظوا سمة بني سام التي تجدها خالصة في عرب البــدو . والمرجَّح انهم اقترنوا بالاموريين فاخذوا منهم مميزاتهم كشقرة شعرهــم وزرقة عيونهم وغير ذلك ممَّا عُرف بهِ كثيرون من اليهود المحدثين . وقد عاد المسيو فيشبرغ الى دروسهِ عن اخلاق اليهود الطبيعيَّة في عدَّة مقالات نشرها في مجلَّات مختلفة وطبعهــا على حدة وكلُّها مفيدة في بابها استفاد فيها المؤلف من ملحوظات العلماء على كتــابهِ السابق . فنمحض المؤلف شكرنا ونتمنى ان يخصّ بدرسهِ قريبًا يهود الشام وفلسطين ولاسيما يهود صفد لكشف النقاب عن اصلهم ونسَبهم . وفي ختام كتاب المؤلف جدول التآليف التي راجعها وهي كثيرة لكنها منها ما لا يستحق الذكر كتأليف رينان «في اصــل اليهود ودينهم» الذي طبعهُ سنة ١٨٨٣ وقد بيَّن اغلاطهُ العديدة دي روسّي في نشرة الجمعيَّة المصريَّة عند ظهوره . وكذلك نشير على المسيو فيشبرغ ان يراجع ما ورد في اصل اليهود الحاليين في نشرة الدروس اليهوديَّة للعالمين اليهودين جاك سنــة ١٨٩٣ ورِيناخ سنة ١٩٠٣

س . ر

شَذَرَات

تاريخ فقيد الملّة المارونيّة — نظم سيادة المنسنيور يوسف العلم النائب الاسقفي الماروني في بيروت هذا التاريخ ليخلد بهِ ذكر فقيد ملّتهِ الجليلة المثلث الرحمات والواسع المبرّات المطران يوسف الدبس :

زُرْ يوسفَ الدبس حبر الله في جدثٍ من المراحم تهمي فوقهُ دِيَمُ
حيُّوا ثراهُ مدى الاجيال تكرمةً للدين والعلم والاحسان يا أُممُ
صفُّوا تآليفهُ صفُّوا تراجمهُ من حولهِ فلهُ من صفّها هرَمُ
هذه كنائسهُ تشدُو بهمّتهِ هذي منابرها فيها لهُ نغمُ
وتلك مدرسةٌ عن حكمةٍ بُنيتْ فازهرت عندها الآدابُ والحكمُ
ما مات من بقيت هذي مآثرهُ ولا طوتهُ رموسٌ لا ولا رِمَمُ
قولوا لمن قال «والبيداء تشهد لي والطعن والضرب» دَعْ ما فيهِ تختتمُ
في الدبس قولك أرِّخْ جاد قائلهُ ذا مَنْ لهُ يشهدُ القرطاسُ والقلمُ

١٩٠٧

دائرة علوم الصين — للمرسلين اليسوعيين في بلاد الصين مطبعتان الواحدة في زيكاواي قريباً من شنغاي قديمة طبع فيها عددٌ لا يُحصى من الكتب الصينيّة في كلّ ضروب المعارف وقد سبق لنا وصف البعض منها في المشرق(٣ : ٤٧٤؛ ٤ : ٣٨٢؛ ٥ : ٩١، ٨٠٩ الخ) . والثانية احدث عهدًا أُنشئت في هسين هسين في مقاطعة تشالي اصابت في هذه السنين الاخيرة سمعةً طيبة . ومما انجزت طبعهُ مؤخرًا كتاب واسع في اثني عشر جزءا و ٧٠٠٠ صفحة يحتوي مجموع العلوم الصينيّة من تاريخ وجغرافية وفلسفة وآداب ولغة ودين وشيع وعادات وخرافات . ومؤلف هذا الكتاب النفيس الاب لاون ڤيغر (L. Wieger) . وقد اثنى علماء الصين على المصنَّف الجديد اطيب الثناء كما ان المستشرقين الفرنسويين بعد الجزء الخامس منهُ سنة ١٩٠٥ اتالوا مؤلفهُ جائزة ممتازة تعرف بجائزة ستانيسلاس يليان (Prix Stanislas Julien) تُعطى لأخطر كتاب يُنشر في علوم الصين

اسئلة واجوبة

س سألنا من زحلة احد كهنتها الافاضل ما هو سبب اختلاف العدد لتلاميذ الرب في آيتي لوقا (١٠ : ١ و١٧) حيث ورد في ترجمة الآباء اليسوعيين انهم كانوا ٧٢ وفي النسخ الشائعة في الكنائس الشرقيَّة انَّ عددهم كان ٧٠ ؟

عدد تلاميذ الربّ

ج انَّ نسخ الاناجيل القديمة قد اختلفت في ضبط هذا العدد. فمن النسخ اليونانيَّة (وفيها كُتب انجيل لوقا) ما يذكر ٧٠ تلميذًا ومنها ما يذكر ٧٢. وكذلك لا تتّفق الترجمات السريانيَّة واللاتينيَّة والحبشيَّة والارمنيَّة فبعضها يروي العدد الاوَّل وبعضها الثاني. على ان المرجح بان العدد الاصلي كان ٧٠ كما يظهر من اقدم النسخ اليونانيَّة. اما تعليل هذا الاختلاف فمبنيّ على اختلاف سابق في عدد الشيوخ الذين اقامهم موسى الكليم أكانوا ٧٠ او ٧٢ حسبما يضاف اليهم ألداد ومَيْداد (سفر العدد ١١ : ١٦ ,٢٥ ,٢٧). ويُرى مثل هذا الاختلاف في عدد امم الارض المذكورة في سفر التكوين (ف ١٠) فالنسخة العبرانية لا توافق اليونانيَّة في العدد فالواحدة تروي ٧٠ والاخرى ٧٢. ومثل ذلك ايضاً عدد مجمــع اليهود الملّي الاعلى فلم يَعلَم المفسرون اكان عددهم ٧٠ مع المقدَّم عليهم او دونهُ. وما يزيد الامر ارتباكًا ان العددين كليهما من الاعداد الرمزيَّة المقدسة فامكن النسَّاخ ان يتّخذوا الواحد بدلًا عن الآخر. وكذا جرى في السبعين تلميذًا فعدَّهم البعض ٧٢ وجرت عليهِ النُسَخ. ولعلَّهم زادوا اثنين ليكون لكل رسول ٦ تلامذة واذا ضربت ٦ بعدد ١٢ حصل ٧٢. وكان القدماء في رواية الاعداد يلحظون في الغالب عددها الرمزيّ فيروونهُ بالتقريب. كما ترى في الانجيل بعد قيامة الربّ ذكر « الاثني عشر » مع انهم لم يكونوا الّا ١١ بعد موت يوداس ومثلهُ قولنا في ١٢ سبط يهوذا مع انَّ الاسباط في الحقيقة ١٣ لانَّ سبط يوسف انقسم الى قسمين افرام ومنسّى الاب ا. دوران

س. سالنا من عمشيت احد معلّميها هل يمكن ان يكون التنويم طبيعيًا؟ وان امكن ان يكون طبيعيًا افيجوز استعماله ؟ ومتى جاز فكيف يلزم ان يباشر واي وقت ولأيّة غاية ؟

التنويم ايكون طبيعيًا وهل يجوز استعمالهُ

ج ترى الجواب على هذا السؤال في مقالة افردها لهــذا الموضوع حضرة الاب لويس رنزفال في السنة السابعة للمشرق (ص ١١٣١ — ١١٣٨) ل. ش

المشرق

التوحيد في بني اسرائيل

وجمع التفخيم في الكتابات السامية

للاديب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعيّة الكتابيّة الأثريّة

في المقالات التي نشرناها سابقًا في المشرق عن اسفار العهد القديم وما ورد في الاكتشافات المستحدثة من الآثار المثبتة لصحّتها لم نتعرّض لغير الامور المقرَّرة المبنيَّة على حجج راهنة وبيِّنات لامعة فتحاشينا كل بحث استند الى الحدس والتخمين او كانت براهينهُ غير مقنعة

ومن جملة المطالب التي كان العلماء يتباحثون فيها الاسم الكريم الذي ورد في اوَّل سفر التكوين ثم في فصولهِ التالية وفي آيات متعدّدة على صورة الجمع فيُدعى الربّ سبحانهُ وتعالى باسم «الوهيم» وبالعبرانية אלוהים الذي تفسيرهُ الآلهة . فذهب بعض العلماء لاسيما الالمانيين ممَّن لا يعتقدون بالوحي الى انَّ استعمال هذه اللفظة في الاسفار المقدَّسة دليل واضح على توثُّن بني اسرائيل في اوَّل عهدهم وانهم سجدوا للطواغيت كبقية الامم المتسكعة في ظلمة الشرك . وزاد هؤلاء الكتبة على زعمهم هذا ان الوثنيّة بقيت مدّة قرون متوالية شائعةً في شعب اسرائيل بخلاف التوحيد الذي كان منحصرًا في بعض الافراد منهم فقط

فهذا القول لو ثبت لنقض ما يدَّعيهِ المحافظون على كرامة الوحي والمدافعون على صدق الاسفار الالهيَّة وهي تثبت انَّ توحيدهُ تعالى لم ينقطع في الجنس البشريّ وانَّهُ عزَّ وجلَّ اختار لهُ بين الآباء صفيًا وهو ابراهيم الخليل الذي جعلهُ ابًا لأُمَّة كبيرة

استودعها حقيقة التوحيد لتصونها سالمةً من كل شوائب الشرك بين ظلمات الوثنيَّة

على انَّ ذوي الرأي المستقيم لم يسكتوا عن هذه الدعاوي الباطلة ففنَّدوها بأدلَّة شتَّى لا تخلو من القوَّة . وهاك الاكتشافات الحديثة قد أتت اليوم لتنفي كلَّ ريب عن هذه المسئلة الحيويَّة فأحببنا ان نجمع هنــا تلك البراهين ليتحقَّق القرَّاء عناية الله تبارك اسمهُ الذي يأتينا كلَّ يوم بشواهد جديدة على صدق وحيهِ

ولسنا نزيد في ذكر هذه الحجج انَّ الوثنيَّــة لم تؤثّر في العبرانيين تأثيرًا سيئًا فان شعب الله كان معرَّضًا لخطرٍ دائم بين الشعوب الوثنيَّــة التي تُحدق بهِ فينجذب الى عباداتها الباطلة ونرى الانبياء يبكّتونهُ على قلَّة ثباتهِ في خدمة ربّهِ وعلى ميلهِ الى الآلهة الغريبة بل ربَّما اصابتهُ لذلك آفات عديدة ليعود الى إلههِ وينبذ ارجاس الامم . ومع قرارنا بما تقدَّم لا نسلّم بان الوثنيَّة استعبدت بني اسرائيــل بحيث انستهم إلههم او انَّ عبادة هذا الإِله كانت شبيهة بعبادة الاصنام وانَّ إلههم الحقَّ كان كاحد آلهــة الامم او انَّ الذات الالهية كانت في اعينهم متعدّدةً في جوهرها . فكل ذلك نأبى التسليم بهِ لأنَّهُ يخالف الحقَّ من كلّ وجه

واوَّل برهان تقدّمهُ ردًّا على اوهام الملحدين نأخذهُ من نفس الآيات التي ورد فيها اسم الجلالة مجموعًا . فانَّ من يتبيَّن النصوص المذكورة يجدها جامعةً بين الاسم الجمع والفعل المفرد على خلاف قاعدة اللغة العبرانية التي يتبع فيهــا الفعلُ فاعلَهُ في الافراد والجمع سواء تقدَّم الفعل على فاعلهِ او الفــاعل على فعلهِ فيقولون « الرجال دخلوا » كما يقولون « دخلوا الرجال » بجمع الفعل على الحالتين . امَّا اذا كان الفاعل اسم الجلالة فترى الفعل على عكس الامر مفردًا فيقولون : خلق الالوهيم (ברא אלוהים) وقال الالوهيم (ויאמר אלוהים) ودعا الالوهيم (קרא אלוהים) وقس على ذلك . فهــذا ولا شكَّ برهان قاطع على انَّ موسى النبي لم يقصد بجمع لفظة الوهيم تعدُّد الآلهــة وانَّما اراد بها مجرَّد التفخيم . وهذه حجَّة كافية لبيان المقصود واليها التجأ المفسرون لتزييف من قرَّع ديانة الاسرائيليين بالتوثن في اصلها ونسبها الى الشرك

فهيهات اذن ان يستطيع الزنادقة اثبات زعمهم بهذه النصوص . ولدينا براهين أُخرى تؤيّد قولنا وتبطل رأي اولئك الكتبة في صحَّــة معنى هذه الجموع وذلك بان

تقابلها بجموع التفخيم التي وجدت في الكتابات الساميّة المكتشفة حديثاً في انحاء الشرق المجاورة لمملكة بني اسرائيل اعني مصر والشام وفينيقية

قد وصف المشرق (٣ : ٧٨٥) لقرائهِ الرسالات الاشورية التي وُجدت في تل العمارنة الراقية الى القرن الخامس عشر قبل المسيح كتبها امراء فينيقية الى ملوك مصر الفراعنة ليفيدوهم عن احوال بلادهم. فبين الالقاب التي يخاطب بها اولئك المراسلون سيّدهم فرعون لفظة شبيهة بما نحن في صددهِ وهي « ايلانيا » ومعناها « يا سادتي » او « يا آلهتي » وهي لفظة جمع للتفخيم ليس الّا مرادهم منها المفرد « يا سيدي » او « يا الهي »

وهو لعمري برهان واضح يزيل كلّ شكّ في معنى اللفظة التي اتّخذهـا موسى. ويوافقها ما ورد في سفر تثنية الاشتراع (٦ : ٤) من الاسماء الالهيّة حيث قال موسى لاسرائيل: اسمع يا اسرائيـل انّ الربّ الهنا ربٌّ واحد » وهذه الالفاظ في العبرانية حرفيّتها كما ترى: « اسمع يا اسرائيل انّ يهوهَ (اي الكائن. بالمفرد) آلهتك (بالجمع) يهوهُ (بالمفرد) واحد »فدلّ بهِ على انّ اسمي الجلالة المفرد والجمع بمعنى متساوٍ. ومثلهُ في سفر التكوين (٤٦ : ٣) قول الربّ ليعقوب : « انا الله اله ابيك » فانّهُ في العبرانيّة « انا ايل (اي الاله. بالمفرد) آلهةُ (بالجمع) ابيك (١ »

ويزيد الامر وضوحاً اذا ما تصفحنا الكتابات الفينيقيّة التي خرجت من دفائنها في هذه السنين الاخيرة منها كتابة تحفظ في جزيرة سردينية نشرها العلّامة برجـه (Ph. Berger) في نشرة جمعيّة الكتابات والفنون (Comptes Rendus de l'Acad. des Inscriptions et Belles—Lettres, 1901, p. 575) وهـذه الكتابة تحتوي احد عشر سطراً كانت على مدفن من مدافن تارُّوس (Tharros) من اعمال صور وفي صـدر الكتابة اسم ملقرت بعـل صور الذي يُدعى تفخيماً باسم الجمع:

לאדן	לאלם	הקדש	מלקרת	בעל	חצר	וערפת
للسيّد	الآلهة	القدّوس	ملقرت	بعل	صور	وعرفة

١) ويؤخذ من هذه الاية الاخيرة برهـان آخر لردّ زعم القائلين ان اسم « ايل » يدلّ ليس على الهٍ عام يشمل كلّ البلاد بل على اله مكانيّ لا سلطة لهُ خارجاً عن فلسطين لانّ الربّ يقول ليعقوب : لا تخف ان تهبط مصر فاني ساجعلك ثم امّةً عظيمةً فقولهُ . « ثمّ » يبين قدرتهُ في مصر كما في فلسطين

فقولهُ « السيد الالهة » دليل واضح على انَّ لفظة « الآلهــة » جمع تفخيم للجلالة ليس جمعاً صحيحاً للدلالة على العدد. و« إلم » عندهم جمع « ال » او « إيل » وهي بمثابة « الوهيم » عند العبرانيين

ومثل هذه الكتابة اثر آخر وجد قريباً من اثينة ونُشر في مجموع الكتابات الساميَّة (CIS, I, n° 119) وفيهِ تقدمة كبير كهنة « الآلهة » لمعبودهِ نرجل

ותנבעל בן אשמנצלח רבכהנם אלם נרגל

يتنبعل بن اشمنصلح كبير كهنة الآلهة نرجل

« ونرجل » هــذا الهٌ اشوريٌّ دعاهُ تعظيماً لهُ باسم الجمع. وكذلك نشر المسيو برجه كتابة فونيَّة سنة ١٨٩٩ مصدَّرة باسم الآلهة عشترت (לאלם לעשתרת) بتقديم اسم الجلالة مجموعاً على اسمهــا . وهو على صورة اسم الجمع المذكر مع تقديمهِ على اسم موءنث. وقد ورد في التوراة في سفر الملوك الثالث (١١ : ٥ و٣٣) اسم عشترت المذكورة ملقبة باسم « الوهم » وهو جمع مذكر كما مرَّ

فكلُّ هذه النصوص والكتابات تبين جليًّا بانَّ اسم الجلالة مجموعاً لا يدلُّ على عدد بل على تعظيمٍ ومن ثمَّ سقطت حجَّة القــائلين بأنَّ اسم الجلالة مجموعاً في الاسفار المقدَّسة يُستشفُّ من ورائهِ آثار الوثنيَّة

ويمكنًا ان نأتي بشواهد اخرى لبيان هذا الامر ننقلهــا عمَّا اكتُشف في بابل من الكتابات الاشوريَّة. فمن ذلك اسطوانة منقوشة باسم نابونيد فيها كتابة اشتهرت لورود اسم الملك بلشصَّر فيها على صورتهِ الاشوريَّة (بل — شا — اوزور). وفي هذه الكتــابة تكرَّر ايضاً اسم الاله « سين » مع تقديم اسم الجلالة عليهِ مجموعاً كما يقدَّم هذا الاسم على آلهة متعدِّدة في الكتابة عينها

وفي كتابة اشوريَّة نشرها السنة الماضية الاستاذ ساس (Sayce) في اعمال الجمعيَّة الكتــابيَّة الاثريَّة (Proceedings of the Soc. of Biblical Archaeology, 1906, p. 199 تُعرف اليوم برسالة « كدر لاعومر » ذُكر الاسم الكريم غير مرَّة على صورة الجماعة مع الدلالة على اسم الهٍ مفرد كقولهِ مثلًا فيهــا « ودخل الى بيت الديَّان وكشف الستر امام مروداك واذا بالاله ملتحفاً بالنور » . فلفظــة الاله هي بالاشوريَّة « ايلاني » ومعناها الحرفي « الآلهة » وبعد هذا بقليل قد كرَّر الكاتب العبارة نفسها فلم يُبقِ ريباً في صحَّة نيَّتهِ

ومن يتصفّح الكتاب الكريم يجد في كلّ صحيفة من صحائفهِ تأكيد وحدانيّة الله فلا يمكنهُ ان يشكّ في وحي هذه العقيدة للبشر منذ البدء فتوارثتها الامم كلها من ذلك المصدر الاوّل . فانّهُ ورد مثلًا في الآثار المصريّة « انّ الله واحد هو وانّ كلّ الاسماء الالهيّة ليست الّا ظواهر كمالهِ » وجاء مثل هذا في الآثار الاشوريّة وغيرها لكنّ تلك الامم اهملت نفسها لعبادة الاصنام فغلب عليها فساد الشرك حتى نسيت خالقها بخلاف الامم اليهوديّة التي بنعمةٍ خاصة من الله لم تفقد هذا الكنز بل حفظتهُ سالمًا الى مجيء المسيح . وكان الله اذا راى في شعبهِ شططًا في هذا الصدد يرسل اليهِ الانبياء ويؤدبهُ بالضربات والبلايا الى ان ينيب الى خالقهِ تائبًا . فما كان لموسى وللانبياء ان يعلّموا التوثن لبني اسرائيل وهم يقرعونهم على ذلك . ومن ثمّ لا بُدّ من القول بانّ اسم الله في الجمع كما ورد في الاسفار المقدسة لا يدلُّ مطلقًا على شرك

وان سألت عن سبب اتخاذ اولئك الكتبة اسم الجلالة على هذه الصورة وهم يعرفون بانّ ذلك يعرّض بالسامعين الى الفكر بآلهة متعدّدين . اجبنا اوّلًا ان اصحاب الاسفار المقدّسة لمّا رأوا جميع الشعوب المجاورين لهم يتخذون اسم الجلالة مفخمًا للدلالة على كل صنم من اصنامهم ارادوا أن يبينوا انّ تفخيم هذا الاسم احقّ واولى بالاله الوحيد الذي يستحقّ من الكرامة ما لا تستحقّهُ الطواغيت

ولنا جواب ثانٍ لتعليل ذلك وهو انّ في استعمال اسم الجلالة المجموع دليلًا على سرّ الثالوث الاقدس اعني الاقانيم الثلاثة في الاله الواحد . فانّ الله اراد ان يعدّ بذلك شعبهُ الى معرفة ثالوثهِ اذا ما أُوحيت اليهِ هذه العقيدة على يد السيد المسيح . وفي سفر التكوين غير هذه الاشارة الى الاقانيم الالهيّة كقول الرب هناك بعد خطيئة آدم (٣: ٢٢) : « هوذا آدم قد صار كواحد منّا » وكقولهِ عند ابتناء برج بابل (١١ : ٧) : « هلم نهبط ونبلبل لغتهم » . فهذه الجموع كما فسّر المعلّمون تلمح الى الثالوث الاقدس لكنّ تلك الاشارات لم ينجلِ سرّها تمامًا الّا بواسطة ابن الله المتأنس الذي ازال في الامر كل شبهة واعلمنا بذلك السرّ العجيب الذي يفوق كل ادراك وامر تلاميذهُ ان يبشروا بهِ العالم اجمع وعلى اسمهِ القدّوس يعمدوا المتنصرين (١

١) راجع مقالةً للعلّامة هنري بروكتور في هذا الموضوع نشرها في مجلّة العاديّات الاميركيّة (The American Antiquarian, 1905, pp. 33)

نخبة من ديوان ابراهيم الحكيم الحلبي

بقلم عيسى اسكندر افندي المعلوف اللبناني (تابع لصفحة ١٠١٧)

٤ المدح

لابراهيم الحكيم في المجموع الخطي الذي حظينا بهِ قصائد متعددة في المدح وهي اجمل منظوماتهِ وابلغها معاني واضبطها وزناً. وقد نشرت مجلة المشرق طرَفاً منها (١٠: ٥٨١, ٥٨٥). وكان بودّنا ان ننقل من هذه الغرر قسماً واسعاً لكنَّ ضيق صفحات المشرق عن استيعاب الموادّ يقضي بالاختصار. فمن ذلك قولهُ يمدح صديقهُ الشماس عبد الله عبده سنة ١٧٢٠ م في حلب في اربعة وثلاثين بيتاً منها:

بزغت شموسي من سماء الاكوُس   وتشعشعت في جنح ليلٍ حندسِ
وادارها بدرٌ كأن الله ألبـــسه الكمال كحلَّـــة من أطلسِ

ومنها: راحٌ ابت من لطفها وصفائها   أن ترتضي السكنى بغير الأروُسِ
فكأنها الاكسير يكسب شربُها   سمعاً ونطقاً للأصمّ الاخرسِ

الى ان تخلَّص الى مدح صديقهِ:

خلٌّ اذا مـــا جئتهُ متضايقاً   من كلّ حادثةٍ ازال توسوسي
من عذب الفـــاظ كأنَّ سلافهـــا   راحٌ لهـــا ذكري وفكري يحتسي
مولاي عبد الله مَن قـــد اشرقت   شمس المعارف من سناهُ الاقدسِ
ألسيّد الندب الذي رُفعت لهُ   راياتُ فضلٍ أشرقت بالحندسِ

ومنها مشيرًا الى آدابه:

فكأنّ جيد الدهر كان معطَّلًا   من نظمهِ فكساهُ افخر ملبسِ
نظمٌ حكى من رقة وبلاغة   سحرًا بالفاظ الجواري الكنَّسِ
وبمنطق عذب يحـــلُّ نتـــائج م الرمز الذي اخفاهُ كل مهندسِ
ينحو فيصرف جهدهُ في مطلب   العليا ليعرب كل معنى ملبسِ
فكأنهُ روض المكارم أحدقت   فيهِ عيونُ الفضل مثل النرجسِ

وختمها بقولهِ:

خذهـــا وان كانت مقصّرة ولا   تهمـــل جواباً يـــا زكيَّ المغرسِ
لا زلت ممدوحاً وسعـــدك راقياً   فلـــك الثوابت ثمَّ فوق الاطلسِ

وقال يمدح جارهُ عمر آغا يحيي بك ويخبرهُ بذبول ازهار جنتهِ من قلة ورود الماء الى حوضهِ من جهتهِ ويعرض بوصف الماء وخواصهِ سنة ١٧٤٢ م بستة وستين بيتاً منها:

أنعم صباحاً ايها المسـولى الذي لا زال فاخرْ
واسلم ودم مع كل نجل في حمى مغناك حاضرْ

ومنها :

بفواضل الفيض الـذي ما انفكَّ منهلًا وزاهرْ
فامننْ ولو بالنزر منـه م حيث لا ينفكُّ جازرْ
واروي ظما المذنوب يا مَنْ فيضهُ لا زال وافرْ
حتّام يلتهب الحشى لوصاله والطرف ساهر

ومنها في وصف الماء :

بينـا تراهُ فائرًا يغدو على الاعقاب غائرْ
فكأنـهُ ظبيٌ حمانا م راعهُ فارتدَّ نافرْ
وكأنهُ فرس البريد فلا تراهُ أَلَّا مسافرْ (١
او شبه أيمٍ خاف من اقبـاله فارتدَّ دابرْ
ولطول غيبتـه ترى لوروده دُقَّتْ بشائرْ

الى ان قال :

اياك رقتَـهُ ومن لين الافاعي كُنْ محاذرْ
ان جئتهُ وسبرتَهُ فهو العدوُّ ابو الخاطرْ
كم غرَّ قومًا صفـوُهُ وبشربهِ ذاقوا المرائرْ
ولكم اناس غشَّهم جدوله مذ كان ماكرْ
ولكم ثوى فيه رجـالٌ لا يجابون البواترْ
كم رقَّ لطفًا واستكـنَّ م وعاد كالرئبال زائرْ
يا ايها الغدّار يكـفي بالمرا طبعًا تفاخرْ
حزتَ النفـاق سجية وبسرعة التغيير ظاهرْ
لولا الضرورة ملتُ عنك وكنتُ للأَمواه هاجرْ
لكنني غصبًا لفر ط لوازملي فيك خاطرْ
ولذاك ارجو ان يكن (٢ مولاي للمحتاج عاذرْ
مولاي انظر نحو عبدٍ لم يزل للفضل ذاكرْ
حوّل لنحوي المين افـضالًا وكن للجار ناظرْ
فالجار يُرعى ذمّة حتى ولو ان كان جائرْ
لازلت موضوع الثنا وبك الملا باهٍ وباهرْ

وقال يمدح سعد الدين الوالي لشنقه احد الاشقياء المدعو كبريل سنة ١٧٥٠ بقصيدة ابياتها ثلاثة وثلاثون مطلعها :

---

١ الاولى و (فلا يُرَى إِلَّا مسافر)
٢) الأولى (أن يُرى) ونحو

كم قد صبرت على الزمان الجائر مترقبًا منهُ هلاك الفاجرِ
طالت لهُ الايام حتى خلتها لا تنقضي الَّا بفطر مرائري
ولكم نصبتُ لهُ الفخاخ ولم أنل منهُ المنى ونجى نجاة الطائرِ

ومنها: حتى اذا الوتَّار أعيى حيلهُ وقضى به حكم الاله القادرِ
واناطهُ في منفهِ متوترًا ناديت لا شلَّت يمين الواترِ
حتى ولا شلَّت يد السيَّاف بل طالت يد الوالي السيد الفاخرِ
مولاي سعد الدين سعد الدولة الـعلياء سعد المدن سعد التاجرِ

واتَّسع في المدح الى ان قال مؤرخًا القتل:

ومن الهنا جلاكه قد ارخوا لا يرحم الرحمن روح الكافرِ ١١٦٤ هـ

وقال يمدح المقدسي عبد الله الكاتب ابن اليازجي (١ في حمص ويهنئهُ في عرس ابنهِ ابرهيم وذلك سنة ١٧٥٢ م بقصيدة منسوجة من ٥٦ بيتًا مطلعها:

بشرى لقد وافى التهاني يخفقُ وتبادرت ايدي السرور تصفّقُ

ومنها في مدح ابي يوسف عبد الله المذكور:

ذو السيرة الحسنا التي قد اتقنت عملًا وعلمًا فيهما يتألّقُ
قد حاز من فضل المهيمن حكمةً وفطانة ونباهةً تتنمّقُ
وغدا تراهُ راغبًا فعل الجميل مع الجميع وليس يومًا يخنقُ
يرعى ذمام الجار حتى انهُ لو جار لم يسأم ولا يتخلّقُ
ما قد أتاهُ المستجير الّا وقد ولّى اساهُ كالهبا يتمزّقُ
ما أمّهُ ذو غمّةٍ إلّا وقد ألفاهُ بحرًا بالاماني يدفقُ
من حسن اخلاق يخال عبيرها مسكًا لهُ ذكري وفكري ينشقُ

الى ان قال:

اذ ليس لي اربٌ بمدحكمُ سوى اخلاص حبٍّ ما عراهُ تملّقُ
لكنني مذ شمتكم أهلًا لهُ امسى لساني بالمدائح ينطقُ
فاسلم ودمْ متمتعًا بمسرّةٍ ما غرّد القمري وصاح مطوّقُ

---

١) كان كثير من اسرة اليازجي في هذا العصر من ارباب الادب مقرَّبين من ولاة مدينتهم حمص ولقد عثرت في بعض التواريخ المخطوطة على اسماء بعض متقدميهم ووضعت لهم تاريخًا مطولًا اختصرتهُ في تاريخ (دواني القطوف) الذي كدتُ انجز طبعهُ

وقال يمدح المطران مكسيموس (١ ويهنئهُ بخلاصهِ من المنفى وكان موافقاً لعيد الفصح سنة ١٧٥٧ م في حلب بقصيدة اياتها خمسة واربعون ومطلعها:

ألا حبذا يوم جنيك بالبشرِ   بإعتاق مولى من جلا النفي والأسرِ
فطارت من الافراح فيهِ قلوبنا   ونلنا التهاني فيهِ واليسر في العسرِ
وذلك من بعد التأسف والاسى   وبعد انفطار القلب من شدّة الضرِّ
فكم عمّنا الحزن المبرّحُ قبلهُ   وكم غمّنا فرط التباعد والهجرِ

ثم قال يخاطبهُ:

لقد حزتَ حظاً في الرئاسة واسعاً   وفي النفي اكليلاً ومجداً على الصبرِ
صبرت ولكن قد قدرت وحبذا   صبور حمولٌ مكثر الحمد والشكرِ

وختمها بتاريخ هو:

وقد فاه في بشرى تواريخكم فتى   بعيدٍ سعيدٍ فزتَ بالعتق واليسرِ

ومما قالهُ فيهِ الشاعر قصيدة طويلة ختمها بهذه الابيات عند ارتقائهِ الى الكرسي البطريركي:

هذا الذي مذشاع صالح ذكرهِ   غرباً وشرقاً في النواحي والبقعْ
كم حاولتهُ الرتبةُ العليا وكم   هامت لترفعه اليها فامتنعْ
حتى رقاها بانتخاب البيعة العظمى واسقفها ومن فيها اجتمعْ
ومنها: يا خير راعٍ عالمٍ ومعلمٍ   في السيرةِ الحسنا وفي رفع البدعْ

وارخ انتخابه بقولهِ:

حق لهُ ختم المؤرخ قولهُ   قد شُرفت فيه الكنائس والبيعْ

وقال يمدح محمد آغا ابن رستم ويطلب منه حسبةً ما ولم يذكر السنة وذلك بقصيدة مؤلفة من عشرين بيتاً مطلعها:

ألا يا نسيمات الصبا مطلع الفجر   خذي أنعماً مني الى الجسر والشغرِ (٢
وحيّي ربى تلك الديار وعطّري   معاهد ذاك الحيّ من أطيب العطرِ
كذا حيّ سكان الديار وبلغي   غرامي واشواقي الى أوحد العصرِ

---

١) هو نسيبه المطران مكسيموس الحكيم اسقف حلب سيم سنة ١٧٣٢ م وترقى الى البطريركية سنة ١٧٦٠ م ببراءة رسوليّة واقام في دير القديس يوحنا الصابغ الى ان توفي في ٢٨ ت ٢ سنة ١٧٦١ ولهُ مؤلفات   ٢) جسر الشغر مكان قريب من حلب

حميد السجايا احمد الناس فعلةً ومحمودها الاخلاق ومُحمد الذكر (١
سليل الكرام الخيرين أخو التقى ابو الفضل رب الجود والحمد والشكر
هو السيد الندب الهمام المظفرُ القويّ الشديد البطش والفعل الامر
حسيب نسيب قد حوى كل سؤددٍ اريبٌ اديبٌ فاضل وافر الفخر
له همة تعلو السماك ورتبة تفوق على النسرَين والانجم الزُهرِ

وقال يمدح المذكور بعد برئه من مرض مُني بهِ وهذه القصيدة عدد ابياتها ستة وعشرون ومطلعها:

صحَّت لصحة جسمك الاقطارُ وتجدَّدت لشفائك الاعصار
وعلا الوجود مسرةً فكأنهُ بعد العفا جدَّت لهُ أعمارُ

وختمها قائلًا:

واسلم ودم متمتعًا بمسرةٍ لم يلقها طول المدى اكدارُ
لا زلت منتصرًا على الأعداء ما ناح الحمامُ وغنَّت الاطيارُ

وقال يمدح استاذهُ منصور الحكيم ويودّعه عند مضيّهِ الى استبدا وذلك في سبعة وثلاثين بيتًا مطلعها:

أبارقُ الثغر أبهى أم ضيا النورِ أم الثريا اذا ضاءت بديجورِ
ونغمة العود مع صوت القيان ترى أبهى وألطف أم ألحان شحرور

الى ان قال يذكر براعتهُ في الطبّ:

أبدى لهُ الطبّ ما قد كان اغمضهُ عن غيرهِ ثمَّ أعطاهُ بتكثيرِ
فما لهُ واحدٌ في عصرهِ عجبٌ اتى بما ليس يأتي بالتفاسيرِ
كم حلَّ لي مشكلًا قد كلَّ من قِدمٍ عن حلّهِ كل ذي علم وتقريرِ

ثم ختمها بتوديعهِ قائلًا بعد أن وصف ما سيلاقيه من بعادهِ:

فسرْ مصانًا بأمر الله محتفظًا مرافقًا كل توفيق وتيسيرِ
واسلم ودم ناجحًا بالفضل مؤتزرًا ما ضاءت الشهب في اغلاس ديجورِ

العتاب والشكوى

وقال يعاتب بعضهم على سرعة انقلابه عن وداده وذلك سنة ١٧٤٩ م بقصيدة ابياتها تسعة وعشرون مطلعها:

ألا يا تاركًا حفظ الودادِ ومسرورًا بطردي وابتعادي
أطعتَ معنّفًا وطغاك واشٍ وملتَ أذنًا الى قول الاعادي

١) والأولى ان يقول (محمّد اخلاقٍ بمحمدةٌ الذكرِ)

وما قالوا سوى انا اتفقنا　　على حفظ العهود بلا جبادِ
فلِمَ صيَّرتَ ذاك القول لوماً　　وكاف للقلى والإنفرادِ
كانك كنت منتظراً اليهِ　　لتجعلهُ سبيلًا للتعادي

الى ان قال :

فها نحن ارتحلنا عنك طوعاً　　كما تهواهُ من هذه البلادِ
فكن متمتعاً في طيب عيشٍ　　مع الأحباب اذ غاب الاعادي

وقال يشكو من مدينة سيواس لما كان مرافقاً عثمان باشا وذلك سنة ١٧٤١ في حلب في عشرين بيتاً مطلعها :

حملتُ أمرًا لمولائي على الراسِ　　لمَّا دعاني لاخدمهُ (١ بسيواسِ
قاسيتُ من اجلها بالبرد كل عنا　　وجئتها في طريق غير منداسِ

ومنها :

ومذ حللتُ بها ألفيتها بلدًا　　كثيرة الفقر والاقتار والياسِ
لم يُعطَ فيها الغدا ما لم يقم سحرًا　　وبات في جوعه مَن زارها ماسي
رمنا بها عسلًا قالوا أسأتَ وهل　　تعطي سوى بصل أو اصل اشراسِ
قلنا الفواكه قالوا ان صبرتَ الى　　آبٍ تنلْ بعضها بالكد والباسِ
رمنا البقول فقالوا ان تكن بطلًا　　تنل نصيبك من فطرٍ وقلقاسِ
فلتُ يوماً لأكل الفطر مغتذيًا　　منه وقلت اساوي جملة الناسِ
فنلت منهُ عذاباً لا نظير له　　وكاد يقتلني لو لم اكن آسي
فقلتُ دعني من الماكول ملتفتاً　　لمكسب المال املا منهُ أكياسي
وهمتُ في جمعهِ بالجدّ محترصاً　　فلم أنل ما اراهُ بشرتي كاسي
فلتُ نحو مودَّات الرجال عسى　　ارى بهم رقة مع حسن ايناسِ
فلم أجد غير قوم ساءَ خُلْقُهمُ　　من كل فظ غليظ طبعهُ قاسي

وقال يشكو من المرأة السوء سنة ١٧٥٧ م وهي اربعة وثمانون بيتاً نذكر منها القليل :

من يصحب الافعى ويأمن شرَّها　　أو من يبيت ضجيع ليثٍ ضارِ
هذي التي فتكت بألباب الورى　　بصنيعها المملوْ من الأضرارِ
هذي بلا حربٍ تذلّ كماتها　　وهي دليلة ذلك الجبَّارِ
فاحذر أُخيَّ من الوقوع بفخها　　ومن الوصال بها حذارِ حذارِ

ومنها :

لولاكِ ما أخطا الأنام ولا عصى　　الرحمن أبنا الناس بالأوزَارِ
اذ أنتِ مبدا الاثم في جنس الورى　　بل أول العاصين والاشرارِ

---

١) سكّن لغير موجب وذلك كثير في نظمهِ

ومنها يمدح العذراء مخاطباً لحوّاء:

لو لم تقم بحر المراحم مريمٌ لتزيل ما سبّبتِ بالأعصارِ
وتوسّطت بين الاله وبينكِ لتعيدك للبر بعد العارِ
قد اهمدت بجنوها غضب الاله واخمدت نيران غيظ الباري
بطهارةٍ وبرارةٍ وبكارةٍ وعفافة فاقت عن المقدارِ
فتحت لنا باب النعيم بسرّها وتقدمت بجماعة الأبكارِ
حلّت قيود ابي البرايا آدم ونفت شقا حوّا مع الاكدارِ

الى ان قال:

يا مريم العذراء غيثي مدنفاً ملقىً على اذيالك الاطهارِ

وقال يشكو من بخل الاغنياء ويمدح الفقر والصدقة وذلك سنة ١٧٦٠ م في حلب وهي ٣٥ بيتاً منها:

لا تضلُّوا فليس يُعبد ربّاً ن ولكن ان يدنُ ذا ذاك يُقصى
بين حب الغنى وحبّ إلـه فرطُ بعدٍ بل قد حوى البُعدَ الاقصى
ان تحب الاله تبغضُ مالاً او تحبَّ الغنى فلله تعصى

وقال في الفقر:

انما الفقر اهل كل مديحٍ وغدا فضلهُ بما ليس يحصى
لو يشم الاله احسن منه ما حواهُ وفي المساكين أوصى
ما فعلتم باخوتي من جميلٍ بي فعلتم وذاك عنديَ محصى
ولهم طوّب الإلـه مراراً ودعاهم أحبابه والاخصا

وقال يشكو من صناعة الطبّ وصعوبة السلوك مع الناس وذلك سنة ١٧٦٢ م وهو في مصر بقصيدة ابياتها ٤٠ منها:

تبّاً لسوء صناعة محسورةٍ مضروبة بالقلّ والافلاسِ
تلقى الطبيب ولو حوى الاموال لا تبقى لديه لآخر الانفاسِ
يلقى الزمان مداريًا اخلاق كل الناس من سهلٍ وطبعٍ قاسِ
يسعى مجدّاً في خلاص الناس من أمراضهم بالسلم والإيناسِ
متوقفاً لهمُ الشفا متقصداً عنهم ازالة ما جسم من باسِ

ومنها:

هيهات تلقى منصفاً يعبا بما بعلاجه ذاك الطبيب يقاسي
أو مفكراً(١) بتعنا الطبيب وجهده ولاجله كم بات في وسواسِ
ولكم بقي من اجلهِ متأرقاً في درس كتب الطب دون قياسِ

١) الاولى (فاكراً)

لكن اذا ما قد شفي ذاك العليـــل غدا لافضال المداوي ناسي
بل ناكرًا اتعابهُ وجميله ومكـافئًا ايّـاهُ بالانجـاسِ
ويقول أصلًا ما نفعني (١ طبّه بل زادني شرًّا وكثرة ياسِ
ماذا سقاني غير مـاء حشائشٍ وفضـالة العسّال والدبّاس
لو كنت متكـلًا على تدبيره منذ القديم لصرت في الاجداس (٢
لكن بفضل لله قد حزت الشفا وببركة الصلوات والقدّاسِ
فالخـير ينسبه لفضـل الله ثم الضرّ ينسبـه لقصر (٣ الآسي
لاسيا ان رام منهُ حسابهُ اسوَى لديه كظالمٍ مكّاسِ
وغدا بكل وقاحة متكلمًا في حقهِ بالافتراء القاسي
واذا استحى من فرط لوم الناس يعـطيه بفرط الشحّ والاخسـاسِ
هـذا اذا شفي العليـل ولا تسلْ ان ما شفيْ أو مات بالانكاسِ

• الرثاء

ومن رثائهِ قولهُ يرثي اشبينهُ وصديقه الخواجه الياس قاري ويعاتبـهُ على شربه كاس المنون بيده وذلك سنة ١٧٤١ م بقصيدة موءلفة من ٦٢ بيتًا مطلعها:

ما بال نوحك يا حمـام طويلُ هل غاب إلفك أم جفاك خليلُ

ومنها:

أتراك مذ سلّمت نفسك للردى وعلمتَ انك قـاتلٌ وقتيـلُ
هـلّا خشيت الله أو لم تدرِ أنْ من يعصِ قول الله فهو رذيـلُ
او مـا خشيتَ على وجودِ نلتَهُ بالله من قبل الزمان يزولُ

وهذه القصيـدة من امتن منظومه ومن اكثره تصرفًا في فنون الوصف ولا سيا نصحهِ للمنتحر فهي جديرة بالمطالعة

وقال يرثي ولدهُ جبرائيل الذين مات مطعونًا سنة ١٧٤٣ م وهي ٦٧ بيتًا مطلعها:

ساقي الرّدى حتّام كاسُك مترعُ سمًّا ومنـهُ للأنام تجرّعُ

وهي من محاسن شعرهِ يسوءنا الاضراب عنها. وقال يرثي الشماس عبد الله زاخر سنة ١٧٤٩ م في حلب بقصيدة موءلفة من ٦٦ بيتًا مطلعها:

هـل مَن يردّ مواقع الاقـدار او من يكفّ يد الردى الغدّارِ

١) الاولى ان يقول (ويقول اصلًا ما انتفعت بطبه)
٢) ترى الغلط اللفظي كثيرًا في ابياته والمشهور الاجداث بالثاء المثلثة
٣) الاولى (لجهل الاسي)

او من ينجّي من سريع هجومه ويفلُّ غَرْب حسامه البتّار
فقد اعتدى الباغي عليَّ بجوره وعفا بفقدان الوحيد دياري
هل منقذ او مسعد او منجدٌ فمساهُ يمهلهُ على الاخيار

ومنها في مدحهِ :

يا من ينوح معي على طول المدى اسفًا على ذي الماجد المنوار
السيد المفضال عبد الله ذا ك الزاخر الافضال كالمدرار
الالمعيُّ اللوذعيّ الاردعيّ م الارفعي القدر والمقدار
شمس المشارق والمغارب والجنو ب كذا الشمال وسائر الاقطار
فالشمس يعروها الكسوف ونورهُ متساطع ابدًا بغير تواري
غيثٌ ولكن لم يزل متهاطلًا ليثٌ ولكن عادم الاظفار

ومنها في وصف مؤلفاته :

طبع القلوب على محاسن طبعه كتبًا افادت سامعًا مع قاري
فتراه في كتب (الاباطيل) ابتغى تبطيل مجد العالم الغرّار
وكذا (بميزان الزمان) ابان عن ابدية الاشرار والاخيار
(والمرشد الخاطي) ليرشدنا بهِ وكذلك (الجسري) البهيُّ الانوار
وغدا (الارشاد المسيحي) طابعًا كي يرشد اهل الجهل والابرار
واجاد في اعرابهِ (رردريكسًا) ووقاهُ من غلط قديم طاري
وابان في اعرابه (تفسير ما قد نصّهُ داود في الاسفار)
كم ذا أعدّد من فوائده التي سارت الى الأقطار والأمصار
اغنى بلاد الشرق من تاليفه السامي المنير وسائر الأقطار

وختمها بقولهِ :

تاجرتَ بالوزنات بل ضاعفتَها وربحتَ خير الربح بالاتجار
فلذاك قد جوزيت من نعم الجزا ما لا تراهُ أعين النظار
فاسمو الى رتب العلى مترافيًا وارتع مع الابرار والاطهار
واسعد بحسن ختام تاريخ ودم ضمن النعيم بمسكن الابرار
٥٠ ٨٩٠ ٢٠١ ١٧٢ ٤٣٥ ١٧٤٨ م

وقال يرثي الاب الاكرم الخوري نقولا (١ الرئيس العام وذلك سنة ١٧٥٦ في حلب بقصيدة ابياتها ٧١ مطلعها :

١) يريد الخوري نقولا الصائغ الراهب القانوني الباسيلي من رهبنة دير الصابغ قرب الشوير وقد نشرت مجلّة المشرق (٦ : ٩٧) ترجمتهُ مطولة فراجعها

من لا يخاف اذا راى الدهر المسي … يسطو على اهل المقام الاقدسِ
ويسلّ صارمهُ على اهل النهى … ويكيد حتى كل ندب كيسِ
ويعدّ للأخيار قَرْب حسامهِ … حتى يسود على الهمام الارأسِ

ومنها: فلأبكهِ طول المدى بمدامعٍ … تجري دماً منهلة لم تحبسِ
ولتبكهِ الأرضون مع سكانها … مع كل جلمودٍ وصخر أخرسِ
بل كيف لم تبكِ البرية كلها … اسفاً على هذا الرئيس الارأسِ
السيد الندب الجليل القدر … والبطل الهمام لدى العدوّ الاشرسِ
البارع الفطن الفريد زمانهُ … الشاعر الحذق البديع (١ الكيسِ
الناظم النثر البديع بطرسه … كقلائد الياقوت فوق الأطلسِ
المنشي من وَشْي اليراع جواهراً … كالعقد في جيد الجواري الكنَّسِ
كم صاغ عقداً من جواهر لفظهِ … كشذور درّ في طرازٍ سندسي

الى ان قال:

كم شاد اديرةً ورمَّ معابداً … وكنائساً زاهت (٢ بحسن تهندسِ
واقام رهبنة على اس التقى … متخيراً قانون باسيليوسِ
فاضت بها الرهبان تحت برانسٍ … ككواكب ضاءت بجنح الحندسِ
وغدا يثقفهم بحسن درايةٍ … كالساهر اليقظان دون تنعسِ
وقد اقتفى بالسلّمي بنسكهِ … وبشدّ قوس الزهد بأنطونيوسِ
وبصبر ايوب وعفة يوسفٍ … وحنوّ يوحنا وتوبة بطرسِ

وختمها بقولهِ مؤرخاً:

سِرْ ايها الأبُ السيد الى العلا … متمتعاً بالمجد ضمن الاطلسِ
واسعد بحسن ختام تاريخ وسِرْ … متمتعاً بنعيم ربٍ اقدسِ ١٧٥٦

ولهُ مراثٍ غيرها كمرثيتهِ ليوسف ابن صديقهِ المقدسي رزق الله اللاذقي لمّا مات في باياس سنة ١٧٦٠ وهو في مصر. وكمرثيتهِ لتوما صيدح المتوفي بالطاعون في السنة عينها ولهُ متفرقات في اغراض عديدة منها ثلاثة الغاز في العسل والقرش المعروف بالاسدي وفي البحر وكذلك اقوال من نوع الدوبيت لا يسعنا ذكر شيء منها. فمن مطالعة ما رويناهُ ومن خلال كلامهِ يظهر انهُ كان طبيباً قليل الحظ وانهُ رزق اربعة اولاد توفوا وكان آخرهم جبرائيل الذي رثاهُ بقصيدة سنة ١٧٤٣ م وانهُ درس على الشماس عبد الله

١) الاولى (الرشيق) ونحوها
٢) الاولى (تاهت) او نحوها

زاخو. وكان كثير الاسفار منغَّص العيش تقيًا اديبًا ولهُ تصرفات غريبة بالاوزان واللغة تدلُّ على عدم مراجعة منظومه وعلى الجملة فانه شاعر مطبوع رقيق العواطف كثير الشكوى جوَّاد القريحة ولهُ لطائف ونكات في منظومهِ تدل على ذكائهِ. وحبذا لو افادنا مطالعو هذه المقالة عما بقي لهُ من المنظومات والمؤلفات في المكاتب زيادة في تعريفهِ رحمه الله واجزل ثوابه وسامحنا عما وقع من الخطإ في نقلنا

الركوسية وبدعة المشيئة الواحدة

عود على بدء

نظر للاب لويس شيخو

جاء في بعض الامثال انَّ الحقيقة بنت البحث. وعليهِ لا نأبى اذا ما سنحت الفرصة ان نقرع هذا الباب لاستدلال على الحقّ اليقين فنذكر آراء الادباء المتباينة اللهمَّ الَّا اذا تجاوز الباحثون عن درس الحقائق الى الشخصيّات او الى المسائل الباطلة القليلة الجدوى

ومن الابحاث التي خاض فيها كتبة المشرق سابقًا (في السنة السادسة ص ٥٧٤, ٧٧٧, ٩٢٨) تعريف شيعة الركوسيَّة. واوَّل من ركض جواد قريحتهِ في هذا المجال حضرة الاب انستاس الكرمليّ فاستلفت نظر قرَّائنا (المشرق ٦ : ٥٧٤) الى هذه الفئة فاورد ما يُعرف من امرها في كتب العرب لاسيما المعجمات كلسان العرب وتاج العروس فاستدل حضرتـه من هذه الشواهد على انَّ الركوسيَّة هم نصارى بلاد قورس او كورس التي بحث فيها حضرة الاب لامنس في مقالتهِ المستجادة عن جغرافيَّة سيرة القديس مارون الناسك وطلب الكاتب الفاضل الى ارباب التنقيب بان يجاروهُ في هذا الميدان لعلهم يصيبون ما لم يُصبهُ

فلبى حضرة الاب لامنس دعوتهُ وكتب في مجلتنا (٦ : ٧٧٧ — ٧٨١) فصلًا واسعًا للبحث عن الركوسيَّة كان مؤداهُ نكران التوافق بين الركوسيَّة ونصارى بلاد قورس ورجَّح كون الركوسيَّة من فروع المرقيونيين وقد كان من بعض زعمائهم المدعوَّ مرقوس الذي عاش في الشام ونشر فيها بدعتهُ الادريَّة وفنَّد الاباء اقوالهُ

لكنَّ حضرة الاب انستاس لم يرضَ بهذا الجواب فعاد الى نقد مقالة مناظرهِ فكتب مقالة اخرى ليردّ عليها رداً مفصّلاً فاثبتناها في المشرق (٦ : ٩٢٨ — ٩٣٢) بحرفها ولم يشأ الاب لامنس مواصلة هذا البحث دفعاً لسأم القرّاء من الابحاث التي يكثر فيها القال والقيل وانّما اكتفى بتذييل المقالة ببعض ملحوظات من شانها ان تبين ما في مقالة مكاتبنا البغدادي من الحجج الضعيفة في تأييد رايه السابق ليبقى الحكم لذوي البصيرة المجرَّدين عن كل غرض

وكان حضرة الاب انستاس في هذه المقالة استنبط رايًا جديدًا في الركوسيّة وهو ان « الركوسيَّة » نسبة الى احد مشاهير المبتدعين من القائلين بالمشيئة الواحدة اي المنوثليّة وهو كورس بطريرك الاسكندريّة فزعم انَّ « الركوسيَّة » قلب « كورسيَّة » وان الكورسيَّة شيعة كورس المذكور

وكنّا ظننّا انَّ هذا البحث بلغ نهايتهُ وخمد غبار الجدال اذ وردنا عدد من مجلّة حديثة تُطبع في النمسة اسمها انثروبوس (Anthropos) اي « الانسان » فقرأنا لحضرة الاب انستاس (المجلّد ٢ ص٦٦٨ — ٦٧٤) نبذة في الركوسيَّة حيث عاد الى بحثهِ المنوَّه بهِ فاستأنف قولهُ بان الركوسيَّة هم انصار بدعة المنوثليين وان هذا الاسم مقلوب عن اسم « كورس » بطريرك الاسكندريَّة من زعماء تلك الشيعة الذي عرفهُ مؤرخو العرب كالمسعودي في التنبيه والاشراف وابن الاثير في تاريخهِ الكامل فضلًا عن ابن بطريق المؤرخ الاسكندريّ الشهير

هذا مجمل ما ورد في هذه المقالة . ولمّا كان حضرة الاب انستاس رغب الينا ان نبدي فيها رأينا اجبنا الى ذلك بكل نزاهة فنقول :

لا بدَّ قبل المصادقة على رأي مكاتبنا الفاضل او نبذهِ من درس تاريخ لفظة الركوسيَّة اذ عليها يستند كل قول حضرتهِ . اعلم انَّ لفظة الركوسيَّة رُويت لاوَّل مرَّة في حديث عديّ بن حاتم الطائيّ في السنة التاسعة للهجرة اعني السنة ٦٣٠ للمسيح لمّا قدم عديّ مكّة فأسلم . وحديثهُ طويل رُوي في سيرة ابن هشام (طبعة غوتا ص٩٤٧ — ٩٥٠) فجاء هناك انَّ عديًا كان « نصرانيًا ركوسيًا ملكًا على قومهِ بني طيّ يسير بالمرباع » اي ينفرد بربع الغنيمة . وهذا الحديث كاد يُروى بحرفهِ في كتب متعدّدة وليس ذكر للفظة الركوسيَّة في موضع آخر الّا انَّ المعاجم روتها كما روت كل الفاظ الحديث ولم

نُقدنا شيئاً في بيان معناها سوى شرح صاحب لسان العرب «انّ الركوسيَّة قومٌ لهم دين بين النصارى والصائبين» مع ما زادهُ صاحب التاج عن ابن الاعرابيّ « ان الركوسيَّة من نعت النصارى » هذا كل ما ورد في تعريف الركوسيَّة في تآليف العرب وراجعنا كل معاجم الهرطقات والبدع وتواريخ اليونان كتاوفانوس والسريان كميخائيل الكبير فلم نجد ذكرًا للركوسية

فماذا حدا اذن بحضرة الاب انستاس الى قولهِ بانَّ الركوسية هم تبعة ذوي المشيئة الواحدة ولانَّ المسمَّى كورس او قورس بطريرك الاسكندريَّة هو الذي اعار اسمهُ للركوسيين بعد أن قلب العرب اسمهُ

اوَّل دليل لستند اليـهِ حضرة الاب في نبذتهِ الجديدة انَّ مادَّتي « ر ك س » و « ك ر س » تتبادلان فتأتي الفاظ من المادَّة الاولى بمعنى الفـاظ المادَّة الثانية فلا بدع اذنْ ان ابدل العرب الكورسيَّة بالركوسيَّة

وزاد على هذا الدليل برهاناً آخر وهو ما وجدهُ بقلم كاتب عصري يُدعى السويدي كان كتب على هامش تاريخ ابن الاثير حيث يذكر هذا المؤرخ قورس بطريرك الاسكندريَّة ما نصُّهُ : « ان قورس هذا هو الذي بدل اسمهُ العرب. فدعوهُ ركوس وبهِ عُرفت شيعة الركوسيَّة من بدع النصارى التي ورد اسمها في الحديث » فاستنتج حضرة الاب انَّ الركوسيَّة شيعة القائلين بقول كورس او قورس الاسكندري اي بالمشيئة الواحدة في المسيح

هذا كل ما اتى بهِ مكاتبنا الاديب من الحجج لتأييد رأيهِ بان الركوسيَّة مذهب المنوثليين. لكنَّ الجواب سهل على هاتين الحجتين فننقض الحجة الاولى بقولنا انَّ حقائق كهذه لا تُبنى على مجرَّد مجانسة الحروف واشتقاقها الوهمي واستبدال بعضها من بعض بل على براهين تاريخيَّة وضعيَّة راهنة لا يمكن الريب في صحتها . ومن ثمَّ وان سلَّمنـا لحضرتهِ بان « ركس » و « كرس » ينقلبان افيكون ذلك كافياً للقول بانَّ العرب دعوا اشياع كورس بالركوسيَّة ؟ اوليس هذا برهاناً ضعيفاً مردودًا الى أنْ يأتي حضرة الكاتب بدليـل قاطع على ان العرب لم يمكنهم فقط ان يبدلوا اسماً من اسم بل فعلوا ذلك بالحقيقة ، وهو البرهان الذي نحن في انتظارهِ

ونردّ على الحجة الثانيـة بانَّ السويديّ في قولهِ ارتأى رأياً خصوصياً ولا نعلم على

اي سند حمل زعمهُ بانَّ الركوسية هم شيعة قورس الاسكندريّ . أفيجوز أن تقبل زعم كاتب حديث عن امرٍ تاريخيّ سبق زمانهُ الفاً وثلثمائة سنة دون ان يثبت قولهُ بالبرهان ويصرّح بالشواهد التي اخذ عنها رأيهُ

وها نحن نعرض لحضرة الكاتب جملة براهين اخرى تصدُّنا عن التسليم بقولهِ وتبطل رايهُ بتاتاً

١ ان قول حضرة الاب بانَّ الركوسية هم اشياع كورس يلزمهُ قول آخر وهو انَّ المنوثليين اي ذوي بدعة المشيئة الواحدة عُرفوا باسم كورس بطريرك الاسكندريَّة وهو قول مجترف لا يمكن ايضاحهُ بالبرهان فاننا راجعنا كل تواريخ المرطقات في اللغات اليونانية واللاتينية والسريانية والعربية فلم نجد لاسم الكورسيين ذكرًا فكيف يستطيع حضرة الاب ان يبين ان الركوسية مقلوب الكورسية ؟ افما كان ينبغي ان يكون هذا الاسم الاخير شائعاً كالاسم الاوَّل بل اكثر منهُ

٢ ليس كورس بطريرك الاسكندريَّة اوَّل زعماء البدعة المنوثلية ولا اشهرهم فلايّ سبب يكون الركوسيون اشتقُّوا منهُ اسمهم بعد قلبهِ ولم يشتقُّوهُ من اسم غيرهِ ؟. امَّا كونهُ ليس باوَّل زعماء ذوي المشيئة الواحدة ولا اشهرهم فالامر واضح لانَّ سرجيوس بطريرك القسطنطينية سبقهُ الى هذه البدعة بنحو ٢٠ سنة فدسَّها في رعيتهِ واقنع بها هرقل الملك وهو الذي كتب دستور الايمان (Ecthèse) الذي اشاعهُ هرقل الملك سنة ٦٣٩ أفما كان الاولى بالركوسية ان ينتسبوا اليهِ من كورس الاسكندريّ . ولو قال حضرتهُ انَّ « الركوسية » تصحيف « سركوسية » اي بدعة سركيس او سرجيوس لكان رايه اقرب الى التصديق وان لم نسلم بهِ ايضاً . وكذلك سبق كورسَ في بدعة المشيئة الواحدة ثاودورسُ اسقفُ فاران فلمَ لم ينتسب اليهِ الركوسية وثاودورس هذا كان قريباً من العرب المتنصرين عائشاً بينهم في شبهِ جزيرة سينا فكيف عدلوا عنهُ وانتسبوا الى بطريرك بعيد كان يسكن بلاد مصر . ومثل هاذين اشتهر ايضاً بمناصرة البدعة المنوثلية اثناسيوس بطريرك انطاكية قبل كورس الاسكندريّ فكيف لم ينتسب اليهِ الركوسيون مع انَّ عرب الشام والجزيرة المتنصرين كانوا اعرف بهِ يتبعون مثلهُ البدعة اليعقوبية التي منها تفرَّعت البدعة المنوثليـة . أفيصدّق احد انَّ الركوسية اهملوا بطريركهم لينتسبوا الى بطريرك لا علاقة لهم معهُ ؟

٣ ولنا برهان آخر جازم يبطل هذا الزعم من اصلهِ . انَّ لفظة الكورسية كما قدَّمنا وردت لاوَّل مرَّة في حديث عدي بن حاتم في وفودهِ الى مكَّة السنة التاسعة للهجرة اعني في سنة ٦٣٠ للمسيح . وفي هذه السنة عينها جلس كورس على كرسي الاسكندريَّة وكان قبل ذلك اسقفاً على مدينة مجهولة تُدعى فازيس (Phasis) حيث لم يكن احد يعرفهُ بميلهِ الى الشيعة المنوثلية الَّا قليلون . فلمَّا جُعل اليهِ تدبير كرسي الاسكندرية لم يجاهر بميلهِ الَّا بعد مدَّة اي سنة ٦٣٣ حيث عقد مجمعاً ووضع فيهِ عدَّة تعاليم دسَّ بينها تعليم بدعة المشيئة الواحدة . ولذلك حرمهُ البابا مرتينوس الاوَّل والبابا لاون الثاني وكذلك زيف تعليمهُ آباء المجمع السادس سنة ٦٨٠ . فان كان الامر كذلك كيف رعاك الله امكن عديّ بن حاتم وقومهُ ان ينتسبوا الى كورس هذا والى بدعتهِ المنوثليَّة قبل ان يُعرف كزعيم للمنوثليين حتى في كرسيهِ الاسكندريّ . وكيف اتَّصلوا الى معرفتهِ ؟ . وكيف تصحَّف عليهم اسمهُ ؟ وكيف ؟ . . وكيف ؟ . . أفلا ترى ما في هذا الرأي من الاوهام الغريبة ؟

٤ لا نعلم الى ايّ كاتب استند حضرة الاب انستاس ليقول بانَّ العرب المتنصرّين تبعوا بدعة المشيئة الواحدة . وغاية ما نعلمهُ من المؤرخين السريان كميخائيل الكبير وابن العبريّ ومن كتبة اليونان انهم قالوا بقول اليعاقبة اعني بالطبيعة الواحدة وليس احد منهم يذكر انهم تمذهبوا بمذهب المشيئة الواحدة . فكيف اجاز القول بان للركوسيَّة علاقة مع انصار هذه البدعة والتاريخ يعلمنا بانَّهُ كان بين البدعتين خصام

٥ امَّا قول حضرتهِ بانَّ العرب عرفوا كورس بطريرك الاسكندريَّة وبدعتهُ ففيهِ نظر لانَّ الذين ذكرهم كالمسعودي وابن الاثير عاشوا بعد ظهور البدعة المنوثليَّة بقرون متعدّدة ولم يذكروا قولهم عن قورس والمجمع السادس استناداً الى كاتب عربيّ بل اخذوهُ من ابن البطريق . وابن البطريق كما لا يخفى كان بطريركاً على الملكيين يدبر الكرسيّ الاسكندريّ فلا عجب ان اتَّسع في تواريخ بطاركة الاسكندريَّة اسلافهِ فذكر قورس او كورس في جملة الذين حرمهم آباء المجمع السادس لقولهم ببدعة المنوثليين

هذه بعض ملحوظات نعرضها على ارباب البحث . ولا نشكّ انَّ حضرة الاب انستاس يقدّرها قدرها . وفي مقالتهِ اشياء اخرى مبنيَّة على هذا البناء الضعيف لا نتعرَّض

لها لانها تسقط بسقوطهِ كقولهِ مثلًا انَّ الشاعر النصراني الاخطل كان من انصار المشيئة الواحدة

ولعل القارئ يطلب منَّا قبل ختامنا لهذه النبذة القصيرة ما هو رأينا في الركوسيَّة ؟ فنقول انَّ هذا السؤال لا يمكن الجواب عنهُ ريثما يكتشف احد العلماء نصًّا آخر واضحًا يفيدنا شيئًا عن احوال هؤلاء القوم كبعض مناسكهم الدينيَّة او بعض اعمالهم او اقوالهم او زمانهم او مكانهم او رجالهم . فما دام ذلك مجهولًا كانت كلّ الاراء سخيفة مبنيَّة على الوهم والخياليَّات

سياحة اسقفيَّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تتمَّة)

من كفر برعم الى تبنين

قمنا من كفر برعم في ١٦ تشرين الاوَّل فسرنا مغرّبين وقطعنا واديًا ثمَّ سهلًا فسيحًا ادّى بنا بعد ساعة الى رميش وهي قرية قديمة كانت في ضمن املاك سبط اشير تعلو ٦٣٠ مترًا عن سطح البحر فيها كثير من الآثار القديمة كالعمد الضخمة وقطع السواري واعتاب البيوت ولاسيما المدافن العاديَّة

ورميش اليوم تابعة لمديريَّة تبنين من قضاء صور يرتزق سكَّانها بالزراعة لانَّ اراضيهم كثيرة الخصب طيبة التربة تغلّ لهم اصناف الحبوب ولاسيما التبغ الجيد. واهل رميش كلهم موارنة يبلغ عددهم ٨٣٠ نفسًا يرجعون الى بعض الاقسام والبطون اخصهم ١ً بيت الحاج اصلهم من قيتولة في اقليم جزّين ٢ً وبيت الشوفاني اصلهم من مزرعة الشوف وهم فرع من بيت لطفي ٣ً بيت المعتوق منشاهم بسكنتا وهم متفرعون من بيت العلم . ومنهم زعانف يقال لها في اصطلاحهم «كلاسنة» . وفي رميش كنيسة ومدرستان تحت ادارة الاباء اليسوعيين

وبقينا في رميش ايامًا تفقَّد فيها سيادة الراعي احوال اهلها ووعظنا لهم رياضةً روحيَّة حضروها بمزيد التقوى . وفي اثناء مقامنا في هذه القرية زرنا مزرعة قطمون من املاك

حضرة الخوري يعقوب غانم البكاسينيّ وهي تبعد عن رميش ثلاث ساعات كانت في سالف الاعصار مركزًا عسكريًا للرومان اقاموا فيها قلعة حريزة لحماية البلاد وكان حولها خنادق طبيعيَّة واودية تصونها من العدوّ والى اليوم ترى بقايا السور الذي احاطها بهِ الصليبيُّون في القرون الوسطى طولهُ ٥٥ قدمًا في عرض ٢٢

ثم رحلنا من رميش في ٣٢ ت ١ متوجهين الى تبنين احدى قرى بلاد بشارة الشهيرة فوصلنا اليها بعد ثلاث ساعات وكنَّا عرَّجنا في طريقنا على قرية عيتا وزرنا وجوه اهلها وهم السادة من بيت حيدر الحسينيّ الشريف. ثمَّ واصلنا المسير محفوفين بجمّ غفير ممن وافوا لملاقاة زائرهم الكريم حتى دخلنا قرية تبنين وذهبنا توًّا الى كنيسة الروم الكاثوليك اذ لا كنيسة للموارنة فيها. وبعد أداء فرائض السجود لله والشكر للجماعة نزلنا ضيوفًا في دار الشيخ حبيب نوفل البعذرانيّ الاصل من بيت القهوجيّ وهم يعرفون حتى الآن بهذا الاسم في بعذران وقد انتقلوا الى تبنين منذ نحو مئة سنة وتبع اكثرهم طقس الروم الكاثوليك لعدم وجود كاهن مارونيّ يقوم بخدمتهم لكنَّ الشيخ حبيب حافظ على طقس اجدادهِ مع عائلتهِ فتفقدنا شؤُونهم وشؤُون بعض الموارنة الذين يسكنون في قرية مجاورة تدعى صفد البطيخ

وتبنين مركز لمديريَّة باسمها يسكنها نحو ٦٠٠ نفس من المتاولة و٣٠٠ من الروم الكاثوليك والطائفتان في حيَّين منفصلين. وعلو تبنين فوق سطح البحر نحو ٧٠٠ متر وهي في رهوٍ من الارض بين اكمتين تعلو الواحدة منهما وهي الشماليَّة الشرقيَّة قلعة تبنين الشهيرة وفوق الاخرى آثار برج يقابلها

وكان جناب المدير اسرع لزيارة سيادة المطران شكرالله ففي غد اليوم الثاني عزم سيادتهُ على ردّ السلام فصعدنا القلعة حيث يسكن المدير مع اهلهِ ودائرتهِ وشرذمة من الجند. فرقينا اولًا درجًا عاليًا على منعطف الاكمة حتى بلغنا سورًا يمتدّ من الشمال الشرقي الى القبليّ الغربيّ فيستدير حول ربوة مرتفعة في وسطها القلعة. والسور المذكور ذو لساس قديم ضخم الحجارة في اسفلهِ وقد رُمم قسم منهُ في اجيال مختلفة امَّا القلعة فكانت واسعة الارجاء كثيرة الابنية تنتصب في الجوّ على شبه النسر الطائر وبقاياها الجليلة تدل على عظم شانها وليس فيها ما يسكن الَّا نحو ربعها قد جدَّد بناءهُ بعض امراء تلك البلاد قبل ١٥٠ سنة. وفي هذه الابنية يسكن المدير الذي اظهر كل لطف في استقبالنا

وادخلنا ديوانًا يشرف منهُ النظر على كلّ الجهات المجاورة ومحاسنها البديعة

والمظنون ان قلعة تبنين ترتقي الى عهد بني كنعان ثم توالت عليها الدول المختلفة وقد افاد غليامُوس السوري انَّ هوغو دي سنت اومر امير طبريَّة قد اعادها الى رونقها القديم فجدَّد ابنيتها سنة ١١٠٧ واورثها بنيهِ من بعدهِ وعُرفت باسم تورون (Toron) اشارةً الى منعتها. ثمَّ فُتحت القلعة على يد صلاح الدين سنة ١١٩٧ وهدمها الملك ظاهر بيبرس سنة ١٢٦٦ وكان لهذه القلعة كنيسة على اسم السيدة جُعل فيها مدفن لأُمرائها ثم استولى عليها الخراب بتمادي الايام لكنَّ بقاياها تأخذ الى يومنا بمجامع القلب .

القوزح وعلما الشعب

لم نطل الاقامة في تبنين فسرنا منها في ٢٦ من الشهر على طريق عينبل وكان اليوم مغيمًا ولم نلبث ان امطرتنا السماء بمطر خفيف كان اوَّل مطر الخريف فتذكرنا قول الشاعر :

لم يبقَ للصيف لا رسمٌ ولا طللُ ولا قشيبٌ فيستكسى ولا سَمَلُ
عدلٌ من الدمع ان يُبكى المصيف كما يُبكى الشبابُ ويُبكى اللهو والغزلُ

ودخلنا القوزح في غد ذلك اليوم. والقرية على اكمة عالية يبلغ علوها ٨٠٠ متر فوق سطح البحر وهي شمالي رميش وغربيّ عينبل تتبع مديريَّة تبنين من قضاء صور كانت معدودة في املاك سبط اشير. وسكانها اليوم نحو ١٧٠ نفسًا ينقسمون الى اربعة بطون وهم البيوت الآتية: نجم وابو اليـاس وابو كرم وبيت فلفلة قدموا الى القوزح من دبل فاستوطنوها منذ نحو ١٥٠ سنة. ولهم كنيسة صغيرة متداعية للخراب فسعى سيادتهُ بجمع الحسنات لترميمها كما انهُ نال من الآباء اليسوعيين ان ينشئوا فيها مدرسةً لتربية الأحداث

وفي القوزح من الآثار ما ينبئ بخطرها سابقًا فمن ذلك في شرقها عمد وبقايا ابنية. وقد وجدوا ايضًا فسيفساء مع نقوش اخرى طمرها التراب منذ زمن قليل. وكذلك رأينا على منعطف اكمتها مدافن قديمة وناووسًا على طرز النواويس التي عايناها في عينبل. وكان بقرب هذا الناووس فسيفساء من الحجارة البيضاء . وقد اكتشف بعض العملة ونحن في القوزح على عتبة باب نُقرت فيها صورة رأس ثورين ناتئين

وفي غرّة تشرين الثاني ودَّعنا اهل القوزح وسرنا الى علما الشعب التي لم نتمكَّن من زيارتها سابقاً لانشغال اهلها بزراعتهم فقطعنا سهلًا قليل الاتساع ترتفع في وسطهِ ربوة كان عليها قديمًا مدينة محصَّنة تُدعى الرامة ذكرها سفر يشوع (١٩ : ٣٦) . وهي اليوم قرية حقيرة فيها صهاريج ونواويس ومدافن قديمة . ولاح لنا على يميننا انقاض جليلة تُعرف اليوم بخربة البلاطة وعرفها قدماء الفرنج باسم بلاطين (Belatin) وفي هذا المكان عدَّة مآثر عاديَّة سرَّحنا فيها الابصار ونحن في القوزح . وموقع البلاط على قنَّة جبل يبلغ علوهُ نحو ٩٠٠ متر فوق سطح البحر تُرى منها البلاد المجاورة كصفد والكرمل وبلاد الشقيف وكثير من قرى بلاد بشارة . وفي اعلى هذا الجبل بطحاء فسيحة كثرت فيها الادغال وشجيرات السنديان . امَّا الانقاض فهي بقايا هيكل بديع الصنعة فخيم البناء بقي منهُ قسم من مدخلهِ ورواقهِ شمالًا وعدد من عواميده شرقاً وغرباً وطولهُ نحو ٤٠ قدماً في عرض ١٢ قدماً . وقد فحصتهُ البعثة الالمانيَّة فارتأت انهُ كان مجمعاً لليهود ثمَّ اتخذهُ الفرسان الالمان لمقامهم سنة ١٢٢٠ م . واليوم يسكن في خرائبهِ قومٌ من عرب القليطات البدادرة الذين تحفَّوا بنا مرحبين وهم كاخوتهم الساكنين في هذه النواحي بين الخرائب العديدة التي هناك كخربة مريين والبطشيَّة وخربة بارين يرعون مواشيهم في ادغالها واحراجها ويقطنون بيوت الشعر

واقام سيادة راعي الابرشيَّة في علما الشعب اثني عشر يوماً فاصلح الامور وحلَّ المشاكل ووعد اهلها بانهُ يدبر لهم كاهناً يُعنى بخدمتهم وعيَّن لذلك موقتاً حضرة الاب يوحنَّا السبعلي ريثما يتسنى لهُ ارسال الكاهن الموعود . وبهذه الزيارة انجز السيد شكرالله تفقُّد الموارنة في جنوبي بلاد بشارة وبلاد صفد بعد ان قضى في هذه الزيارة شهرين وعشرين يوماً . فعاد سيادتهُ وعدنا بصحبتهِ الى صور

بلاد بشارة الشماليَّة

وبعد ثلاثة ايَّام استانف سيادتهُ الرحيل ليزور شمالي بلاد بشارة فخرجنا من صور في ١٦ تشرين الثاني يشيّعنا كثيرون من اهل البلد في موكب مهيب فقطعنا سلسلة آكام مختلفة الهيئة يسكن بعضها قوم من اهل الشيعة يُعرفون بالعبَّاسيَّة والحموديَّة . وبعد ساعة من الزمان دخلنا وادياً كثير الشُّعَب والمنعرجات ذا تربة طباشيريَّة وعلى ضفتي الوادي اشجار الزيتون والتين وانواع النبات العطر . ورأينا على

كتف الوادي قريةً صغيرة يسكنها اهل الشيعة ولها عين مـاء مررنا عليها بينما كانت النساء يستقين من مائها فاذهلهنَّ منظرنا . ثمَّ افضى بنا المسير الى منبسط من الارض تعلوهُ اكمة فوقها قرية جناتا

ثمَّ ملنا الى الشمال فبلغنا بعد ثلث ساعات بنيف قرية الحلاسيَّة المشرفة على السهل حتى بلغنا الطريق الرومانيَّة المنقورة في النقب فسرنا على جادَّتها المطروقة منذ مئين من السنين وبعد قليل راينا على اليمين قرية النفاطية بين واديين عميقين اهلها روم كاثوليك قدَّرهم العلّامة كَيرين بستمائة نفس والقرية تشرف على القرى المجاورة وعلى ساحل صور . وعلى مقربة منها قلعة تدعى قلعة مارون بقيت منها بقايا صالحة

ثم كان مسيرنا قريباً من قرية أُخرى للروم الكاثوليك تدعى دردَغيا اشتهر اهلها بصنعة البناء ولذلك ترى دورهم انيقة العمل ذكرنا بقرى لبنان العامرة . وفوق كنيستها كتابة يونانيَّة قديمة تذكر اسم القديس يوحنا الصابغ . وفيها ايضاً وُجدت آثار عبادة عشترت الفينيقيَّة

وعند اصيل النهار بلغنا مزرعة ترسمحات فاسرع الى ملاقاتنا الخواجات مارون وسعيد الخوري وحضرة الخوري طانيوس صادر الذي كانوا سبقونا من عينبل واعدُّوا المكان لسكن راعينا

وترسمحات على منعطف وادي الليطاني والنهر ينساب تحتها في وادٍ عميق مهيب المنظر يُسمع لمياهِ هدير شديد وبالخصوص في الشتاء . واهل المزرعة موارنة يرتزقون بالفلاحة وعددهم نحو مئة نسمة وقد شرحنا لهم مبادئ الايمان واعددنا احداثهم لقبول سرّ التثبيت . وليس لهم كنيسة غير حجرة في دار صاحب المزرعة يقدّس فيها بعض الكهنة عند قدومهم اليها . وفي القرية آثار راقية الى زمن الصليبيين ولعلَّها مبنيَّة من انقاض ابنيتها القديمة

وفي اليوم ١٨ ت ٢ اقام سيادتهُ قداساً حبريًا حضرهُ اهل المزرعة بكل تقوى وفرح . وكان اهل الرفيد والطويرة ومرنبا اقبلوا ايضاً الى روءية السيّد راعيهم وكنَّا اعددناهم لقبول الاسرار من يدهِ الطاهرة كما اهَّبنا صغارهم لسرّ التثبيت فتمَّت تلك الحفلات بخشوع عظيم تأثَّر منها الحضور

ثمَّ قمنا من ترسمحات في ذلك النهار متوجهين الى علمان . فقطعنا الوادي الفاصل

بين ترسمحات والرفيد ولمّا بلغنا الضفّة الثانية اذا براعي معز رآنا من علوّ صخرة فصرخ باعلى صوتهِ الى سيادة المطران ان لا يحرمهُ من بركتهِ ولثم راحاتهِ . فتلطّف راعي الخراف الناطقة وانتظر ذاك المسكين حتى نزل من مكانهِ واستمدّ بركتهُ فباركهُ السيّد المفضال ودعا لهُ بالتوفيق وردّهُ الى غنمهِ فرحاً غانماً

ثمّ استأنفنا السير فوصلنا الى مزرعة مرنبا على ضفّة النهر وهي للخواجات زيدان ليس فيها غير بيت ماروني واحد . ثمّ سرنا في ظلّ اشجار الدلب الباسقة الاغصان النابتة على تلك المياه . وبعد ثلاث ساعات عبرنا جسراً طويلاً يمتدّ على النهر قريباً من وادي الحجيل الذي يصبُّ في الليطاني وكان جمهور اللاقين من موارنة علمان والقصير ينتظرونا على اكمة فوق الوادي . فلمّا رأوا راعيهم اطلقوا البنادق وعلت اصواتهم بالجوّ . ثمّ نزلوا مسرعين ليقبّلوا راحاتهِ فترجل سيادتهُ وباركهم شاكرًا وبعد قليل امتطينا صهوات الخيل وتسنّمنا اكمة تغطيها اشجار السنديان وبلغنا بعد ساعة علمان مقصد سفرنا

علمان مزرعة من املاك الوجيه الخواجا ابراهيم الاصفر قائمة على شفير وادٍ مرعب وهي تطلّ على النهر الذي يتلوّى تحتها كتلوّي الافعوان . ومن هذا المرقب تشاهد قلعة الشقيف او شقيف ارنون وقرى عديدة قائمة في قاطع النهر وعلمان اضحت اليوم مثالاً للزراعة العمليّة بهمّة نجل صاحبها الخواجا سليم اصفر فحقّق عمليًّا ما سبق وكتبهُ على صفحات المشرق من المقالات الزراعيّة المستحسنة . فجعلها كحديقة غنّاء لا ينقصها شيء من اسباب الحسن . وفيها آثار قديمة منها مغارة تُرى على جانب الوادي شماليّ المزرعة على بابها صور ناتئة طمست نقوشها والمرجح انّها فينيقيّة . وكذلك تُرى بين حجارة جامع قديم حجر عليهِ كتابة لم نُحسن قراءتها

امّا موارنة علمان فنحو ٥٠ نفساً وكلهم شركاء صاحب المزرعة الذي يعاملهم معاملة الاب لبنيهِ وقد افرز لهم في دارهِ معبدًا ليقوموا بواجباتهم الدينيّة . فنزلنا في دارهِ على الرحب والسعة وكان اوعز الى قيمهِ بألّا يهمل شيئاً من اسباب الحفاوة والاكرام فقام هذا باوامر مولاه احسن قيام

وفي غد النهار اقبل موارنة علمان والقصير فوزّع عليهم سيادتهُ الاسرار المحيية وثبّت صغارهم واحيا الايمان في قلوبهم بتعاليمهِ الصالحة

وعند علمان هذه آخر تخوم بلاد بشارة التي قصدنا زيارتها ومنها انتقلنا الى زيارة بلاد

الشقيف الواقعة ضمن ابرشيَّة سيادتهِ فتفقَّدنا جهاتها وقد ارجأنا وصفها الى فرصة أُخرى اذ كان قصدنا هذه الدفعة ان نصف بلاد بشارة · مستميحين عذرًا من القرَّاء لما وقع في كلامنا من الاغلاط وليس الكمال الَّا للربِّ وحدهُ

مطبوعات شرقيّة جديدة

Henslow (Rev. G.): THE PLANTS OF THE BIBLE: their ancient and mediæval history populary described, *with numerous illustrations, London, Masters and Co.*, pp. VII — 294, 1906.

نبات الاسفار المقدَّسة

في الاسفار المنزلة مفردات متعدّدة تشير الى المواليد النباتيَّة التي يرتاب القرَّاء في حقيقتها ولذلك ترى كثيرين من الكتبة توخَّوا وصفها وتعريف خواصها · ومن المطبوعات المستحدثة في ذلك كتاب نشرهُ بالانكليزيَّة احد رجال الدين من البروتستانت في لندن يُدعى هِنسلو تتبَّع فيهِ ضروب النبات الكتابيّ فجمع منها نحو ٣٠٠ صنف قسمها الى ١٦ قسماً على حسب اشكالها او فوائدها من اشجار مثمرة واشجار البادية وبقول وزهور وتوابل وافاويه الى غير ذلك ممَّا يسهل الرجوع اليهِ · وقد تحرَّى في تعريفهِ لكلّ شكل من النبات الاوصاف القريبة والمنافع الشائعة نقلًا عن علماء النبات القدماء والحدثين مع الدلالة على معانيها الرمزيَّة · والكتاب مزيَّن برسوم متعدّدة تزيل الشبهة في شكل النبات الموصوف — ومع اقرارنا بفضل المؤلف لا نراهُ مستوفياً لشروط الوصف في تفاصيلهِ والظاهر انهُ لم يطَّلع على كتاب حديث وضعهُ في هذا الصدد حضرة الاب ل· فونك (L. Fonck) اليسوعيّ الذي عنوانهُ (Streifzüge durch die biblische Flora, *Herder*, 1900) فلو وقف عليهِ لاصلح في كتابهِ اغلاطاً شتى · كقولهِ مثلًا عن الزنبق (lilium candidum) انهُ السوسن الخلقيدوني (lilium chalcedonicum) الذي لا اثر لهُ في بلاد فلسطين ولم يذكرهُ الدكتور بست في كتابهِ نبات فلسطين والشام بخلاف الزنبق الابيض الذي يزهر الى يومنا هذا

في لبنان وانحاء الجليل والسامرة . ومن اوهـامهِ انهُ ترجم ما يُدعى بالعبرانية תפוח بالسفرجل . وكلّ يعلم ان المقصود بهذا الاسم التفّاح كما يدلّ عليهِ تشابه اللفظين واتفاق اللغويين — وكذلك قد وهم بظنهِ انّ الشجرة ברוש هي السرو والصواب انّها الشربين او السنديان . وبزعمهِ ان الشجرة אלמג او אלגם هي شجرة اللزّاب (if) والصواب انّها الصندل . وبزعمهِ ايضاً انّ النبات פקעת الذي تسمّم بهِ اولاد الانبياء (٤ ملوك ٤ : ٣٩) هو قثّاء الحمار والصواب انهُ الحنظل . وقد ساء بقولهِ ايضاً ان الورد لم يُذكر في الاسفار المقدّسة وكان الاجدر بهِ ان يقول لم يذكر الورد في الكتب المعروفة بالقانونيّة الاوّليّة (protocanoniques) ليس بالثانويّة (deutérocanoniques) لانّ ذكرهُ قد تكرَّر في هذه الاخيرة كسفر الحكمـة وسفر استير وسفر ابن سيراخ . — ولم يُصب ايضاً بقولهِ انّ لفظة ἄκρις اليونانيّة الواردة في سفر الجامعة (١٢ : ٥) معناهـا في النسخة السبعينيّة الخرُّوب . والصواب انّها اللوز وعليهِ فقد احسنت التوراة الانكليزيّة بترجمتها (The almond shall flourish) . ونكتفي بهذه الملحوظات ولو اردنا لاضفنا اليها غيرها مثلها

الاب ي ديلنسيفر

كتاب خدمة القدّاس

حسب طقس الكنيسة السريانيّة الانطاكيّة

عني بجمعهِ وترتيبهِ مار اغناطيوس افرام الثاني الرحماني (طبع بالشرفة ص ٣٩٢ + ٤٨)

تعدّدت طبعات خدمة القدّاس السرياني على حسب طقس الكنيسـة السريانيّة الكاثوليكيّة فطبع مختصرها اوّلًا في مطبعتنا ثمّ طُبع مطوّلًا في الشرفة سنة ١٨٧٨ بمساعي غبطة البطريرك جرجس اغناطيوس شلحت ثمّ في الموصل بهمّة رئيس اساقفتهـا قورلس بهنام سنة ١٨٨١ وكانت كلّ طبعت تزيد حسناً وضبطاً على ما سبق لكنّ هذه الطبعة الجديدة التي عني بجمعها وترتيبها غبطة بطريرك السريان الحالي الكلي الطوبى قد أنست الطبعات السابقة بحسن نسقها وكثرة مضامينها وتطبيقها على النسخ القديمة واضاف اليها بعض الخصوصيّات لاعياد السنة الثابتة والمنتقلة التي كان أُهمل استعمالها لتشتّتها في كتب مخطوطة بعيدة المنال . هذا فضلًا عن عدّة اناشيد عربيّة يُترنّم بها اوان القصي في

بعض المواسم الحقها بالكتاب. فبكل هذه التسهيلات قد استحقّ غبطتهُ شكراً جديداً من كلّ ابناء طائفته لحرصهِ على جمال الطقوس الشرقية التي تجرّد النفوس عن الامور الزمنية لتسمق بها الى عرش الحمل الالهيّ فتماثل على الارض تسابيح الملائكة في السماء

الدروس العثمانية

تأليف عثمان افندي رضان (طبعة ثانية بنفقة المكتبة الاهليَّة ص٨٠ سنة ١٣٢٥)

ما مرَّ على هذا الكتاب سنة كاملة حتى راجت سوقهُ واقتضى الامر اعادة طبعهِ وحسبك بهذا الرواج دليلًا على منافعهِ وسهولة اساليبهِ وزيادة اقبال الدارسين على احراز فوائد اللغة العثمانية الشريفة. امّا وصف الكتاب فتجدهُ في احد اعداد مجلتنا في السنة الماضيـة (المشرق ٩ : ١٠٥٧) وقد قابلنا بين الطبعتين فلم نلحظ بينهما فرقاً يُذكر

مقالات فلسفية قديمة

لبعض مشاهير فلاسفة العرب (طُبع في بيروت سنة ١٩٠٨ ص ١٣٠)

هو المجموع الفلسفيّ الذي اقتطفناهُ من مجلة المشرق فيحتوي احدى عشرة مقالة لأئمة كتبة العرب ومشاهير فلاسفتها كالشيخ الرئيس ابن سينـا وابن نصر الفارابيّ والامام الغزّالي وغريغوريوس ابن العبري وابن العسَّال. وكل هذه المقـالات فريدة في جنسها بليغة المعاني شريفة الاغراض فصيحة الالفاظ استخرجناها من دفائن المكاتب حيث كانت نسخها اعزّ من بيض الانوق. وقد الحقنـا بها عدة آثار فلسفية منسوبة الى حكماء اليونان كارسطو وافلاطون وفيثاغورس عرَّبها احد كبار المعرّبين من نصارى السريان اسحاق بن حنين. فجاء هذا المجموع كشاهد جديد على فضل العرب ورسوخهم في العلوم العقلية وآداب القدماء. ل. ش

هدايا ارسلة الى مجلّة المشرق

١ مقالتان في العلوم الطبيعيَّة عند العرب بالالمانيَّة

Beitraege zur Geschichte d. Naturwissenschaften, bei d. Arabern, X, XI von **Eilhard Wiedemann,** 1907

٢ الكيميا عند العرب

Zur Alchemie bei den Arabern v. **E. Wiedemann, 1907**

٣ مفتي مصر الاخير

Richard Gottheil :Mohammed 'Abd, latue Mufti of Egypt.

٤ برنامج جمعيّة شبّان القديس لويس غونزاغا الخيريّة في البترون عن سنتها الثانية والثالثة بالمطبعة التجارية لسليم لطفي في البترون ١٩٠٧

٥ مديحة تبكيت النفس لحضرة الاب فرنسيس حنّاوي القبطيّ الكاثوليكيّ بالمطبعة المفتخرة بالمنيا

٦ ترجمة الطيب الذكر المطران عبد الله قراعلي كتبها تلميذه الاب توما البودي نشرها الاب انطون رباط اليسوعي

شذرات

﴿ الاوتوموبيل ﴾ سبق لنا في المشرق (٣: ٢٣) مقالة واسعة في الاوتوموبيل الّا ان هذه العجلات المتحركة لا تزال تترقى وتزيد خطرًا فاحببنا ان نشير الى تقدُّمها. ونضرب لذلك مثل فرنسة وسقْ عليهِ بقيّة الدول. فانّ صادرات الاتوموبيل في سنة ١٨٩٧ كان مدخولها ٦٠٠,٠٠٠ فرنك فلم تزل تتسع تجارتها وتترقى حتى بلغ مدخولها سنة ١٩٠٤ نيفاً و٧١,٠٠٠,٠٠٠ ثم زاد في السنة التالية الى ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ وقارب في سنة ١٩٠٦ ١٣٠,٠٠٠,٠٠٠ رغماً عن اعتصابات العملة الذين خسّروا معامل فرنسة نحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وهو لعمري تقدُّم غريب لم يُرَ لهُ شبيه في بقيّة الصنائع امّا سببهُ فما للاوتوموبيل من المنافع المختلفة التي تغني راكبيهِ عن عجلات الخيل وعجلات الامنيبوس وبقيّة وسائل التنقل بديره راكبهُ كيف شاء وحيثما شاء ويمكنهُ ان يحركهُ امّا بالغاز وامّا بادوات كهربائيّة هذا فضلًا عن خفّة هذه العجلات التي تقطع من ٢٠ الى ٣٠ كيلومترًا في الساعة مع رخص اسعارها حتى انّ العملة نفسهم اخذوا يستخدمونها لاشغالهم. ومن منافعها انّ محبي الاسفار يمكنهم ان يركبوها الى بلاد بعيدة فتقوم لهم مقام السكك الحديديّة وزد على ذلك منفعتها الصحيّة كما اشرنا اليهِ سابقاً

﴿ عنصر الراديوم وعناصر الجوّ ﴾ يعلم القراء ما لاكتشاف الراديوم من الشهرة وما في عنصره من الخواصّ الغريبة. وغاية العلماء ان يكتشفوا طريقةً لاستخراج كمّية كافية منهُ لتسهيل درسهِ اذ نعلم ان الدرهم منهُ يباع بالوف من الفرنكات. فالكيمويّان الانكليزيّان رمساي ولودّي (Ramsay et Loddy) اكتشفا منذ عهد

قريب انَّ التموُّجات المنبعثة من عنصر الراديوم تتحول بعد قليل الى عنصر آخر يدعونهُ هيليوم . وكان هــذا العنصر قبل ذلك مجهولًا حتى تحققوا وجودهُ في الشمس بواسطة الطيف الشمسيّ . ثم استدلَّ بعض العلماء على وجودهِ في ارضنا في الهواء وفي بعض المعادن ثمَّ اكتشفهُ العالمان كوري ولابورد في عدَّة عيون معدنيَّة واستنتجوا انَّ انتشارهُ في الهواء لانبعاثهِ من تلك العيون المعدنيّة . وقد توصل آخرًا العلّامة الفرنسويّ مورو (Moureu) الى تقدير كميَّاتهِ في عدَّة حمامات معدنيَّة منهــا حمام لِنب (Lymbe) التي ينبعث منها في الهواء ١٠,٠٠٠ ليترمن الهيليوم . واليوم اخذ ارباب الطبيعيَّات يستخرجون هــذا العنصر العزيز الوجود من المياه المعدنيَّة وعما قليل ستتوفَّر كميَّاتهُ وتُدرس خواصهُ الطبيَّة التي اطرأها العلماء

❊ شفاء السرطان ❊ اجمع العلماء الجراحيون في مؤتمر الجراحة المنعقد في باريس في تشرين الاوَّل انَّ اشعَّــة رنتنجن تشفي كل ضروب السرطان فان كان القرح لم يتجاوز البشرة فانَّ شفاء الداء اكيد غالبًا امَّا اذا كان عميقًا فانَّ فعلها ايضاً يحسن بعد العمليّة الجراحيّة ليمنع تجديد الداء ولكن يشترط على الطبيب ان يكون حذقًا في استعمالها . لأنها كالسيف ذي الحدّين فاذا لم يُحسن صاحبهــا المعالجة بها اضرَّ العليل دون نفعه

❊ الوان الحجارة الكريمة ❊ مما كثر فيهِ القال والقيل في هذه المدَّة الاخيرة ما اكتشفهُ العالمان الفرنسويّان بوداس (Bordas) ولاپاران (Lapparent) من عمل الراديوم في الحجارة الكريمة فانهما اخذا عددًا من ضروب هذه الحجــارة كالياقوت والعقيق والزمرُّد واعملا فيهــا اشعَّة برومور الراديوم وذلك مدَّة شهر كامل فلحظا انَّ الوان هذه الحجارة قد تغيرت بفعل الراديوم فاجتازت من الاحمر الى البنفسجي ومن الازرق الى الاخضر ومن الاخضر الى الاصفر فيصبح الياقوت الاحمر كالعقيق واللازورد كالزمرُّد والزمرُّد كالزبرجد . وهذا الاكتشاف مهمّ لتعريف تركيب تلك الحجارة فضلًا عن منافعهِ التجاريّة فانَّ لبعض هذه الحجــارة ثمنًا غاليًا على حسب الوانها . ومع هذا لا يُعلم حتّى الان أتبقى تلك الالوان المستجــدَّة ثابتةً دون تغيير بفعل الزمان فانَّ هذه الخاصَّة من مزايا الحجارة الكريمة المعوَّل عليها في التجارة

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الاساقفة الاجلاء في اي زمان اخذ بطاركة انطاكيـة من الروم الملكيين يسكنون دمشق

بطاركة انطاكية على الروم الملكيين

ج اجـاب على ذلك البطريرك مكاريوس في اوّل تاريخهِ المخطوط المحفوظ في مكتبتنا الشرقيّة فقال انّ ذلك حدث بعد فتح الملك الظاهر بيبرس البندقداري لمدينة انطاكية في ٧ رمضان سنة ٦٦٦ (١٢٦٨ م)٠ فتشتّت اهل انطاكية في مصر وبقيـة البلاد وكذلك تفرّق شمل سكّانها المسيحيين فلهذا السبب انتقـل بطاركة انطاكية الى دمشق وجعلوها كمقام كرسيّهم ٠ وفي تاريخ الآباء بطـاركة انطاكية للخوري ميخائيل بريك انّ آخر من سكن انطاكية من البطـاركة اغناطيوس الذي توفي في قبرس فخلفهُ بوخوميوس وهو البطريرك المئة والسابع عشر سنة ١٣٧٤ وتوفي سنة ١٣٨٧ والمرجح انّ البطاركة لم يسكنوا دمشق الّا ازمنة متقطعـة الى عهد السلطان سليم فاستقاموا حينئذٍ في الفيحاء وجعلوا فيها الكرسيّ الانطاكي رسميًّا

وسأل من بغداد حضرة الاب انستاس الكرملي ان نفيدهُ عن كتاب الدرّ المنظوم في اخبـار ملوك الروم ومؤلفهِ

كتاب الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم

ج ألّف هذا الكتاب باليونانيّة كاهن من الروم قبرسيّ الاصل يُدعى متى جيغالا Τζιγάλλα ويروى Κιγάλα كان متوليًا التـدريس والوعظ في بلدهِ في اوائل القرن السابع عشر هذا ما امكنّا الحصول عليهِ من اخبارهِ وقد ذكر لهُ مؤلف قائمة مخطوطات اورشليم اليونانيّة (Papadopoulos Kerameus) كتبًا اخرى (ج ١ : ١٥٨ وج ٣ : ١٨٢ وج ٤ : ١٥٨) وأشهر كتبهِ تاريخ ملوك الروم من قسطنطين الى الفتح الاسلامي ثم تواريخ السلاطين المعظّمين الى السلطان مراد الثـاني الذي تولى الامر سنة ١٦٢٤ ٠ وهذا التاريخ نقله الى العربيّة الخوري يوسف المصورّ ثمّ اعاد النظر فيهِ البطريرك كير مكاريوس الحلبيّ الشهير. ومنهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان

س وسأل جناب الاديب توما افندي كيّال عن سبب تعييد الروم الكاثوليك للحبل بمريم العذراء بلا دنس في ٩ كانون الاول بينما تحتفل الكنيسة اللاتينيّة بهذا العيد في ٨ كانون

قد مرّ الجواب على هذا السؤال في المشرق (١ : ٤٨) فليراجع ل٠ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة العاشرة من مجلّة المشرق ١٩٠٧

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الاساقفة الاجلاء في اي زمان اخذ بطاركة انطاكيــة من الروم الملكيين يسكنون دمشق

بطاركة انطاكية على الروم الملكيين

ج اجــاب على ذلك البطريرك مكاريوس في اوَّل تاريخهِ المخطوط المحفوظ في مكتبتنا الشرقيَّة فقال انَّ ذلك حدث بعد فتح الملك الظاهر بيبرس البندقداري لمدينة انطاكية في ٧ رمضان سنة ٦٦٦ (١٢٦٨ م). فتشتَّت اهل انطاكية في مصر وبقيــة البلاد وكذلك تفرَّق شمل سكَّانها المسيحيين فلهذا السبب انتقــل بطاركة انطاكية الى دمشق وجعلوها كمقام كرسيّهم . وفي تاريخ الآباء بطــاركة انطاكية للخوري ميخائيل بريك انَّ آخر من سكن انطاكية من البطــاركة اغناطيوس الذي توفي في قبرس فخلفهُ بوخوميوس وهو البطريرك المئة والسابع عشر سنة ١٣٧٤ وتوفي سنة ١٣٨٧ والمرجح انَّ البطاركة لم يسكنوا دمشق الَّا ازمنة متقطعــة الى عهد السلطان سليم فاستقاموا حينئذٍ في الفيحاء وجعلوا فيها الكرسيَّ الانطاكي رسميًّا

وسأل من بغداد حضرة الاب انستاس الكرملي ان نفيدهُ عن كتاب الدرّ المنظوم في اخبــار ملوك الروم ومؤلفهِ

كتاب الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم

ج ألَّف هذا الكتاب باليونانيَّة كاهن من الروم قبرسيّ الاصل يُدعى متى جيغالا Τζιγάλλα ويروى Κιγάλα كان متوليًا التــدريس والوعظ في بلدهِ في اوائل القرن السابع عشر هذا ما امكننا الحصول عليهِ من اخبارهِ وقد ذكر لهُ مؤلف قائمة مخطوطات اورشليم اليونانيَّة (Papadopoulos Kerameus) كتبًا اخرى (ج ١ : ١٥٨ وج ٣ : ١٨٢ وج ٤ : ١٥٨) وأشهر كتبهِ تاريخ ملوك الروم من قسطنطين الى الفتح الاسلامي ثم تواريخ السلاطين المعظَّمين الى السلطان مراد الثــاني الذي تولى الامر سنة ١٦٢٤ . وهذا التاريخ نقله الى العربيَّة الخوري يوسف المصوّر ثمَّ اعاد النظر فيهِ البطريرك كير مكاريوس الحلبيّ الشهير. ومنهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان

س وسأل جناب الاديب توما افندي كيَّال عن سبب تعييد الروم الكاثوليك للحبل بمريم العذراء بلا دنس في ٩ كانون الاول بينما تحتفل الكنيسة اللاتينيَّة بهذا العيد في ٨ كانون

قد مرَّ الجواب على هذا السؤال في المشرق (١ : ٤٨) فليراجع ل . ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة العاشرة من مجلّة المشرق ١٩٠٧

٧ : ٣٠٥–٣١٠ ; ١٠ : ٤٦٣–٤٦٩) = ملاك الرحمة (رواية) للاب لويس فؤاد اليسوعي (٣١٤–٣١٨ ; ٦ : ٢٦٠–٢٦٥) – آداب اللغة الفارسية . انتقاد للاب ل . شيخو (٢١٨–٢٢٨) = فصول صحيّة لتدبير الاحداث . نقلًا عن كتاب القانون الطبي . نشرها الاب ل . شيخو (٢٢٨–٢٣٤) = نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة (مخمّس) للاديب حلمي افندي مصري (٢٣٨–٢٣٩)

العدد ٦ (١٥ آذار) الآداب العربية في القرن التاسع عشر للاب ل . شيخو (٢٤١–٢٤٦ ; ٨ : ٣٧٦–٣٨٠ ; ٩ : ٤٠٨–٤١٤ ; ١٠ : ٤٦٩–٤٧٣ ; ١١ : ٥١٠–٥١٣ ; ١٢ : ٥٦٤–٥٦٩ ; ١٣ : ٦٠٧–٦١٣ ; ١٤ : ٦٦٣–٦٦٧ ; ١٧ : ٨٠٥–٨١١ ; ١٨ : ٨٥١–٨٥٦ ; ٢٠ : ٩٤٣–٩٤٨ ; ٢٢ : ١٠٣٩–١٠٤٥ ; ٢٣ : ١٠٦٦–١٠٧١) = الاسقفيات المنوطة بكرسي صور للاب كيرلُّس شارون الرومي الملكي . اساقفة عكا (٢٤٦–٢٥٣) اساقفة صيداء (٨ : ٣٤٦–٣٥٥) اساقفة جبيل (٩ : ٤٠١–٤٠٧) = الريباس للدكتور حبيب افنـدي الدرعوني (٢٥٣–٢٥٨ ; ١٨ : ٨٣٤–٨٣٧) = خطبة وعظية لابي الحليم ايليّا الثالث المعروف بان الحديثي . نشرها الاب ل . شيخو (٢٥٨–٢٥٩) = اثران لارسطو الفيلسوف في العربية . نشرهما الاب ل . شيخو (٢٧٣–٢٧٨ ; ٧ : ٣١١–٣١٩) = رسالة فرنسيس الصليبي الى الشيخ نوفل الخازن سنة ١٧١٣ (٢٨٦–٢٨٧)

العدد ٧ (١ نيسان) جمعة الآلام في الكنائس الشرقية للاب ل . شيخو (٢٨٩–٣٠٠) = السنّ او آثار قصر الخلد و بقايا قصور البرامكة للاب انستاس الكرملي (٣٠٠–٣٠٤) = نشرة كتابيّة لاساتذة المكتب الشرقي (٣٢٠–٣٢٣) = افادات عن قصيـدة السموءل اللامية المكتشفة حديثًا للاب انستاس الكرملي (٣٢٤–٣٢٥)

العدد ٨ (١٥ نيسان) العاديّات البابلية والاسفار المقدسة للاديب يوسف اوفرد (٣٣٧–٣٤٣) = اوّل متحفة للهوامّ والحشرات انشاؤها عربي للاب انستاس الكرملي (٣٤٣–٣٤٥) = من بورت سعيد الى جوهنسبورج للخوري عمنويل فضل (٣٥٥–٣٦٣) قبل الولادة و بعد الموت (ردّ رابع على المقتطف) للاب ا . صالحاني (٣٦٤–٣٧١)

العدد ٩ (١ ايّار) مدارس الزوراء في عهد الخلفاء للاب انستاس الكرملي (٣٨٥–٣٩٤ ; ١٠ : ٤٤٠–٤٤٦) = اثر جديد لاعمال القديس جرجس الشهيد . نشرهُ الاب ل . شيخو (٤١٤–٤٢٠) = زنبقة أيّار (قصيـدة) للاخ بطرس ساره الراهب اللبناني (٤٣٠–٤٣١) = المتاحف واصلها للاب ل . جلابرت (٤٣٣–٤٣٧)

العدد ١٠ (١٥ ايّار) خلود النفس للاب لويس شرفوالبو اليسوعي (٤٣٣–٤٣٩ ; ١١ : ٥١٣–٥١٩) = مقالة لايليّا مطران نصيبين في نعيم الآخرة . نشرها الاب ل . معلوف (٤٤٦–٤٤٩) = سلامة النية (رواية) للاب لويس فؤاد (٤٤٩–٤٥٨) = سيدة لبنان ام الرحمان (موشح) للاديب يوسف افندي ابي سليمان (٤٧٧–٤٧٨) = حال الكتابة العربية في الاسلام فصـل من كتاب الخبر عن البشر للمقريزي (٤٧٨–٤٧٩)

العدد ١١ (١حزيران) نخل العراق وتمرهُ للاديب يوسف غنيمه (٤٨١–٤٨٨) = دير الزور اسماؤها ومعانيها حديثًا وقديمًا للاب انستاس الكرملي (٤٨٨–٤٩١) = تفساح ودير الزور . نظر للاب ه . لامنس (٤٩١–٤٩٢) = نشرة انتقادية لتآليف جديدة في التاريخ الكنسيّ لاساتذة

المعلوف (٨٣٣-٨٤٤ ; ١٩ : ٨٩٠-٨٩٧ ; ٢٢ : ١٠١٧-١٠٢٦ ; ٢٤ : ١١١٠-١١٢٠) = اكرام الصليب والصور عند النساطرة للخوري ب. عزيز الكلداني (٨٤٤-٨٥١) = اسم القرامطة للاب انستاس الكرملي (٨٥٦-٨٥٨)

العدد ١٩ (١ تشرين ١) نبذة تاريخية في مدرسة القديسة حنَّة الاكليريكيَّة للخوري نقولا الدهَّان (٨٦٥-٨٧٤) = الرسالة الزاخرية في امتناع اكل اللحوم عند الرهبانيَّات الشرقية نشرها الاب ت. جق (٨٧٩-٨٨٩ ; ٢٠ : ٩٢٩-٩٣٦ ; ٢١ : ٩٧١-٩٨١) = تاريخ ديوان الاسلام لمحمد الغزّي نبذة للاب ل. شيخو (٩٠١-٩٠٨)

العدد ٢٠ (١٥ تشرين ١) الاضاليل المصريَّة والكرسي الرسولي نظر للاب ل. شيخو (٩١٣-٩٢٥) = اثر تأريخي قديم للواقدي. للاديب يوسف افندي ليان مركيس (٩٣٦-٩٤٣)

العدد ٢١ (١ تشرين ٢) كتاب غاية الرتبة في طلب الحسبة. نظر للاب ل. شيخو (٩٦١-٩٦٨ ; ٢٣ : ١٠٧٩-١٠٨٦) = الفنون الجميلة والكنيسة للخورفسقفوس جرجس شلحت (٩٨١-٩٨٩ ; ٢٢ : ١٠٢٦-١٠٣٣ ; ٢٣ : ١٠٩٤-١٠٩٩) = سريلني ملكي : يوحنا موديانا مطران ماردين للقس اسحاق ارملة (٩٩٦-١٠٠١) = رسالة للامبراطور منليك (١٠٠٦)

العدد ٢٢ (١٥ تشرين ٢) الزواج المسيحي نظر تاريخي لاهوتي للاب ل. شيخو (١٠٠٩-١٠١٧ ; ٢٣ : ١٠٨٦-١٠٩٤) = ترقّي العلاج بالكهرباء للدكتور الياس الحاج (١٠٤٦-١٠٤٩)

العدد ٢٣ (١ ك ١) انجيل يوحنَّا الحبيب والشواهد القديمة في سنتهِ التاريخية للاب الفرد دوران اليسوعي (١٠٥٧-١٠٦٦) = الاحكام النهائيَّة في القطاعات الرهبانية للاب ت. جق (١٠٧٢-١٠٧٨)

العدد ٢٤ (١٥ ك ١) التوحيد في بني اسرائيل وجمع التفخيم في الكتابات الساميَّة للاديب يوسف اوفرد (١١٠٥-١١٠٩) = الركوسية وبدعة المشيئة الواحدة نظر للاب ل. شيخو (١١٢٠-١١٢٥)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة العاشرة من المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيَّة والسريانيَّة والارمنيَّة الخ

مطبوعات اوربيّة

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحـة ٢٨ السطر ١٦ «البشرى» صوابهُ «البشريّ» = ٣٤ : ١ «الطرق» ص «الطرق الرومانيَّة» = ٧٦ : ٩ «عبد الله يحيى» ص «عبد الله بن يحيى» = ٧٧ : ٣٥ «وضناهُ» ص «وضناهُ» = ٨٤ : ٩–١٠ «ميت رينه» ص «رهينة» = ٤٩ : ٣ «الديزاني» ص «الديراني» = ٩٧ : ٨ «عندما وعليهِ اننا» ص «وعليهِ انّنا عندما» = ١٠٨ : ١٤ «خواصّهم» ص «خواصّهم» = ١٢٤ : ١٨، ٢١، ٢٢ الخ «طرق» ص «ترك» = ١٢٦ : ١٢ «الهباطلة» ص «الهياطلة» ١٣ – «هنطلة والهاء» ص «هفطلة والفاء» = ١٣٤ : ١٩ «كمبوان» ص «كيوان» = ١٤٠ : ٤ «كتاب مخطوط» ص «كتاباً مخطوطاً» = ١٤٦ : ١٧ «وهاءنذا» ص «وهاهوذا» = ١٩٣ : ١٤ «والثانية» ص «والثالثة» = ١٩٨ : ١٧ – ١٨ «طريق المنصورية» ص «طريق المنصورية ٩،٠٠٠ متر» = ٢٣٥ : ٥ «المرب» ص «المغرب» = ٢٤٣ : ٢١–٢٢ «اشتهر عند المير بشير الشهـابي جرجس

از واخوه عبدالله » ص « اشتهر هذان عند اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم » = ٢٤٥ : ٧ « مدرسة عين ورقة التي كان انشأها خلفهُ البطريرك يوسف اسطفان » زد عليها « لما كان اسقفاً » = ٢٧٥ : ٩ « شغل الدنيا » ويروى « تنقّل الدنيا » — ٦ « بتدلل » ص « بتذلّل » = ٢٧٦ : ١٣ « ولا تصنع » ص « ولا تُضِعْ » = ٢٨٧ : ٢ « يطاب منهُ » ص « يطلب من الشيخ نوفل » = ١٠ « يخبر عنهُ » ص « يخبر عن اخلاق » = ٣٠١ : ٢٥ « ومنهم من بُوَيْه » ص « ومنهم من يضبط بوَيه » = ٣٠٢ : ١٣ « لطيب ميت » ص « اطيب ميت » = ٣٣٤ : ٧ « اليفتها » ص « الفِيَتُها » = ٣٣٥ : ٢ « عذب » ص « مذبُ » = ٣٤٣ : ٢٢ « اشهرسوق عكاز » ص « اشهرها » = ٣٤٤ : ٢ « تضلّل » ص « تُضلِّل » = ٣٤٦ : ١٩ « سرنقة » ص « شرنقة » = ٣٤٧ : ١٣ « سنة ٤٥٨ » ويروى « ٤٥٧ » = ٣٥٥ : ١٠ « ولد في جزّين » زد عليه « في ٦ ك ٢ » — ١١ « وفي ٢٤ تشرين الاول » وفي كتاب النظام الكاثوليكي : « في ١٤ تشرين الاول » = ٣٧٧ : ١١ « الرهبانية الدومنيكيَّة » ص « الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة » = ٣٨٥ : ٦ « معاهد العالم » ص « معاهد العلم » = ٣٨٨ : ١ « الكتب » ص « والكتب » = ٣٩٠ : ١٩ « عنها هذه المدرسة » ص « عن هذه المدرسة » = ٣٩٢ : ٨ « والترجبين » ص « والترّجيين » — ٢٢ « بعد ترسيمهِ » ص « بعد ترميمهِ » = ٣٩٣ : ٦ « غبر الكتب » ص « غير » — ٢٥ « اثنتين وثمانين » ص « اثنتين ومائتين وثمانين » = ٣٩٤ : ٢ « غبر » ص « غير » = ٤١١ : ٨ « ابن اخيه » ص « ابن عمهِ » = ٤١٣ : ١٥ « كُتبوا » ص « كَتبوا » = ٤١٤ : ١٣ « ولابن المنير ذلك » ص « غير ذلك » = ٤٢٣ : ١٩ « لم تُحصى » ص « لم تُحصَ » = ٤٤٠ : ٢٢ « من ابناه » ص « من بناه » = ٤٤٢ : ٧ و٩ ثمَّ ٤٤٤ : ٤ « المطومة » ص « المقطومة » = ٤٤٦ : ١٦ « مُرماي » ص « مرماري » = ٤٨٥ : ١٣ « يُرسل اليها التمر » ص « يرسل منها التمر » = ٤٩١ : ١٣ « على إنَّ » ص « على أنَّ » — ١٣ « ارتأوا » ص « ارتأوا » — « فقرة » ص « فقرةً » — ١٧ « روي » ص « روى » = ٤٩٢ : ٢ « وجدوا إنَّ » ص « وجدوا انَّ » = ٥١٢ : ٢٩ « سنة ١٧٩٣ » ص « ١٢٢٣ ه (١٨٠٨م) = ٥١٤ : ٢٠ « ندعهُ » ص « تدعهُ » = ٥٢٢ : ٨ « بكر » ص « بكرًا » ٥٢٣ : ٤ « اخو المنذر » ص « اخي » — ١٧ « بعض الهجرة » ص « بعد » = ٥٢٤ : ٢٢ « محبّي للمسيح . . . ٥٠ وشهر » ص « محبّين للمسيح . . ٥٠ وشهر » = ٥٢٥ : ٣ « للملك المنذر » ص « في ايَّام الملك المنذر » = ٥٢٨ : ٦ « من تحتها » ص « ما تحتها » = ٥٤٨ : ٢٠ « يرخوني » ص « برخوني » = ٥٤٩ : ٣ « النخلة » ص « النحلة » — ٤ « تتقاسمنهُ » ص « يتقاسَمْنَهُ » = ٥٥٤ : ٢٢ « زيد » ص « زبد » = ٥٥٦ : ١٣ « لله درٌّ » ص « لله درُّ » = ٥٥٨ : ١٥ « عمرو بن شبة » ص « شبَّة » = ٥٥٩ : ١٥ « مصنوع » ص « مصنوعاً » = ٥٨١ : ١٧ « وذا الحياة » ص « وذا الجناب » = ٥٨٢ : ١٥ « الشمَّاس عبد الله » ص « هو الشمَّاس عبد الله عبده » (اطلب الصفحة ٨٣٤ ص ٤) = ٥٩٠ : ١٥ « germe » ص « ferme » — ١٩ « الفضا » ص « الفضاء » = ٥٩١ : ١٠ « بيين » ص « يعني » = ٥٩٩ : ١٩ « التربيع » ص « التربُّع » = ٦٠٠ : ٢٢ « قبعته » ص « قُبَّعتهِ » = ٦٠٢ : ١٧ « والسامرة » ص « والسامرية » = ٦٠٧ : ٢ « نقل من هاهنا » ص « نقلهُ من هاهنا » = ٦٥١ : ١٨ « كان دجلة . . . ضر » ص « كان دجلة . . . ضرًّا » = ٦٥٢ : ١٦

« للبلق » ص « المياه » =٦٥٣ : ٢٦ « مدّ دجلة » ص « مدُّ دجلة » =٦٥٤ : ١١ « الاجاحرة » ص « الاجامرة » = ٦٥٦ : ٢٢ « اتقتوا » ص « اتقنوا » — ٣٢ « والنباتية » ص « والقبات » =٦٥٧ : ٢٠ « باصول بلادنا » ص « باحوال بلادنا » — ٢١ و ٦٥٩ : ١٨ « السكّر » ص « قصب السكّر » — ٢٤ « الفصل الربيع » ص « فصل الربيع » = ٦٧٢ : ١٧ « موسطا » ويروى « مويسطا » = ٦٨٤ : ١٢ « Gildemeister » ص « Gildmeister » = ٦٨٩ : ١١ « ايليًّا » ص « إيليا » = ٦٩١ : ٩ « الّا » « البصرة الصغرى » ص « الّا اخا البصرة الصغرى » — ٢٤ « عيون موسى » ص « وادي موسى » = ٦٩٣ : ١٥ « الفلسطين » ص « فلسطين » = ٦٩٤ : ٢٥ و ٢٦ « القلزم » ص « قلزم » =٧١٩ : ٥ « لالّ » كذا في الاصل ولعلّها « الصلّ » — ٧ « الرامه » لعلها « الدامة » — ١٥ « الحرساء » لعلها « الحرشاء » — ١٧ « اسود سامخ » لعلها « سالخ » ولقرأ « حزيران » = ٧٢٢ : ١٠ « طبعة بولاق » ص « طبعة الاستانة » = ٧٢٤ : ١١ « والتقاص » ص « وعرر التقاص » — « لخَصهُ بعنوان » ص « لخَصهُ البعض بعنوان » = ٧٢٥ : ١٢ « وارسطوا » ص « وارسطو » = ٧٢٦ : ١٨ « املهم » ص « اللهمّ » = ٧٢٧ : ٩ « رافع » ص « دافع » = ٧٢٨ : ١٠ « ابن بقّال » ص « ابن بصّال » = ٧٢٩ : ٤ « ناصر الفقصي » ص « ناصر الدين الفقصي » = ٧٤٦ : ٢٦ « لجنة » ص « الجنة » = ٧٩٧ : ٢ « بين الواقعة الواقعة » ص « بين قصير الواقعة » = ٨٠٦ : ٢٠ « Colenbrook » ص « Colebrook » =٨٠٩ : ١٢ « الدار التي كان شيدها الامير حسن يوسف شهاب » ص « الامير حسن شقيق الامير بشير الشهابيّ » =٨١٨ : ١٢ « تشقي » ص « تشقى » =٨٢٠ : ٢٤ « بنياس » ص « بنياس » =٨٢١ : ١ « من جوزة الطيب » ص « من جوزة الطيب لا باسٍ » = ٨٣٤ : ٢٠ « من نابلك » ص « من نابلك » — ٢٢ « ويبنٍ » ص « وَيجبَن » = ٨٤١ : ١١ « والتفريق » ص « والتفريق بينهما » = ٨٥١ : ٤ « الطيفوري » ص « الطيفوريّ » = ٨٥٤ : ٥ « تفريلا » ص « تفريدُ » — ١٠ « علي حسن » ص « على حسن » = ٨٥٥ : ١٠ « حرّص » ص « حرّض » — ٢٠ « مثرياً » ص « مُثرياً » = ٨٥٦ : ١٢ « القرامطة البحريين » ص « قرامطة البحرين » — ٢٢ « ويستترلوتها » ص « ويستترلونهم » — ٢٣ « وتفسح » ص « وتفتح » = ٨٥٧ : ٤ « في بيتُ » ص « في بيتٍ » — ١٣ « التجلّ » ص « التجليّ » = ٨٥٨ : ١ « اكثر من » ص « اكثر منهُ » — ٥ « على الرجل » ص « على الرحل » = ٨٦٠ : ١١ « التجلج » ص « التجلج » — ١٣ « لم تنتهي » ص « لم تنتهياً » = ٨٦٤ : ١٧ « الذي خبره فعلٌ » ص « الذي ليس خبرهُ فعلًا » = ٩١١ : ١٩ « فاطلق عليهِ اسم دير الاحباش » ص « اطلق عليه اسم دير جبل لبنان كما سكن اولئك دير لبنان فاطلق الخ » = ٩١٨ : ١٥ « كان هؤلاء » ص « كأنّ هؤلاء » = ٩٢٤ : ١٤ « قد اصبحت الكنيسة الرومانيّة لجميع الكنائس ليس بتدبير راساً من العناية الالهيّة » ص « قد اصبحت . . . راساً لجميع الكنائس ليس بتدبير من العناية الالهية » = ٩٥٢ : ٥ « وماء عين حاصور يأتيها من مسافة قريبة » ص « وسكّان عين حاصور قديمًا كانوا يأتون بالماء من مسافة من مورد الخ » = ٩٥٩ : ٢١ « المشرق ٧ : ٢٠١ » ص « ٨ : ٢٠١ » = ٩٩٠ : ١ « تنقلّات » ص « تنقلات » — ٢ « ٧٢٩ » ص « ٨٢٩ » = ٩٦٦ : ٥ « للمتقنين » ص « للمتقين » = ٩٩٨ : ٦ « ينشى » لعل الاصل « يكش » — ١٠ « ووزانتهُ » هذه اللفظة صحيحة وهي مصدر وَزُنَ فلا

حاجة لاصلاحها = ٩٧٠ : ١٥ « حلَبَ فلانٌ فلانًا » ص « خلَبَ » = ٩٨٤ : ٥ « تُناسُبُ » ص تَنَاسُبُ » = ٩٨٩ : ٢٠ « اهل الجشَ » ص « اهل دبل » = ٩٩٤ : ١٥ « دبلا » ص « اربلًا » = ١٠١٤ : ٢٥ « معجزاتهِ الاولى » ص « معجزَته الاولى » = ١٠٢٥ : ١٥ « لا تبكي » ص « لا تبكِ » = ١٠٣٠ : ٩ « رنَّة » ص « رنَّة » = ١٠٣٩ : ٣–٤ « قولهُ يرثي الامير بشير سنة ١٨٥١ » كانت وفاة الامير بشير سنة ١٨٥٠ وهذا الرثاء مع التاريخ الذي يليهِ قد وجدناهما مرويين لبطرس كرامة والصحيح انهما للشيخ ناصيف اليازجي تجدهما في ديوانهِ المطبوع حديثًا (ج ٢ ص ٩٤) قالهما في رثاء الامير سعيد ابن الامير خليل وحفيد الامير بشير المتوفى سنة ١٨٥٧ . ونشكر لجناب الشيخ سليم افندي خطار الدحداح الذي نبَّه فكرنا الى هذا الغلط = ١٠٤٠ : ٧ « قَمْ » ص « قُمْ » — ٩ « وارشق » ص « وارشف » = ١٠٩٤ : ١٩ « بمرسهم » ص « بمرسهما »